أبي العلاء المعري

دراسات

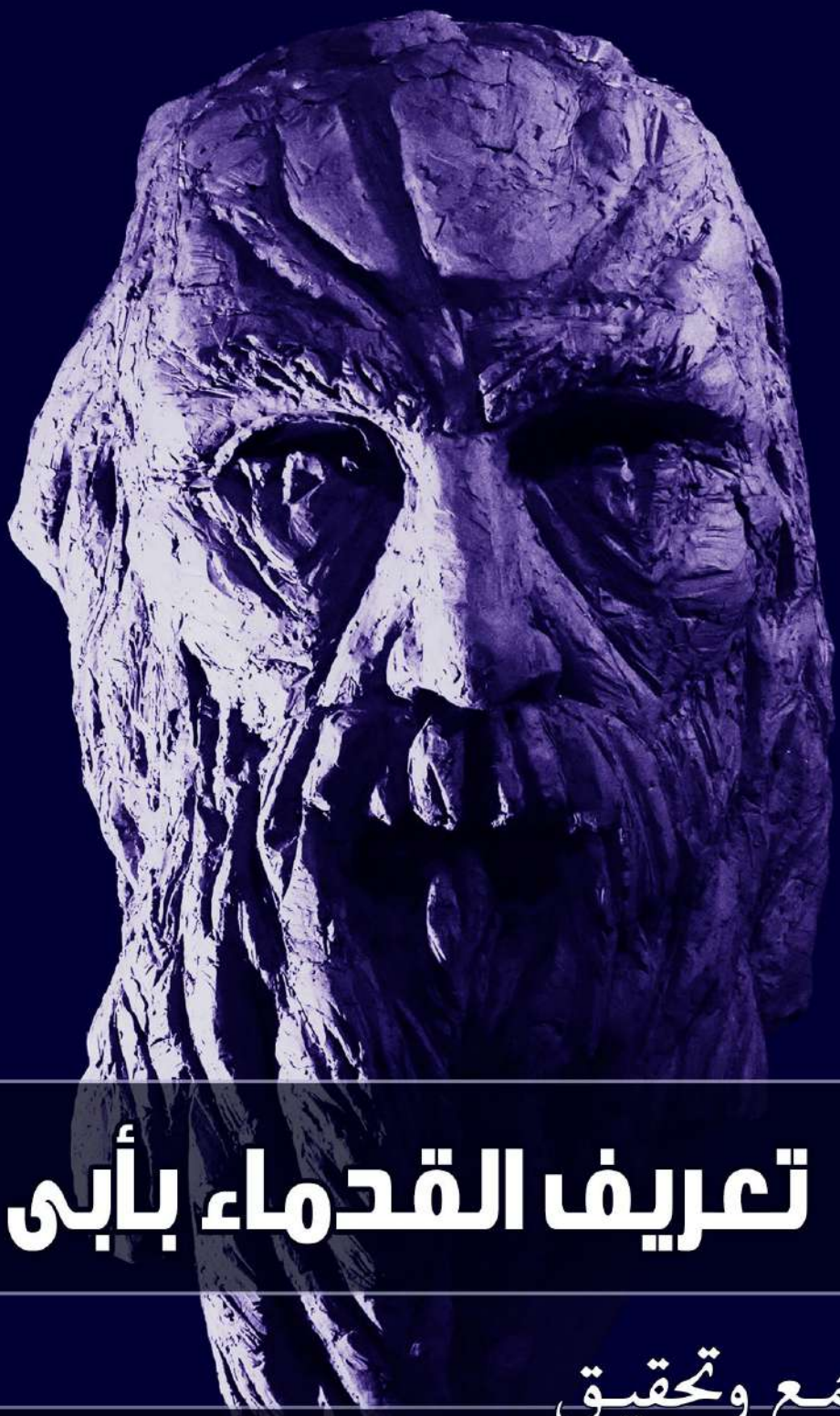

تعريف القدماء بأبي العلاء

جمع وتحقيق

مصطفى السقا - عبد الرحيم محمود

عبد السلام هارون - إبراهيم الابياري - حامد عبد المجيد

إشراف طه حسين

الجمهورية العربية المتحدة
الثقافة والإرشاد القومى

آثار أبى العلاء المعرّى

السِّفر الأوّل

تعريف القدماء بأبى العلاء

نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب سنة ١٣٦٣ هـ - ١٩٤٤ م

الناشر
الدار القومية للطباعة والنشر
القاهرة

١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م

تَرَهْذا العَمَل بإشراف

الدكتُورطَلَه حُسَيْن

وتحقيق الأسانِذة

مُصْطفى السَّقا عبْدالرّحيم محمُود

عَبدالسّلام هَارُون إبراهِيم الإبيَارى

حَامِد عَبدِ المجِيد

تقديم

بقلم الدكتور طه حسين

يقول أبو العلاء فى قصيدة من شعره الحر الذى لم يلتزم فيه مالم يلزم ، ولم يعمد فيه إلى تعمية ولا إلغاز كما صنع فى اللزوميات :

وإنّى وإن كنت الأخير زمانه لآتٍ بما لم تستطعْه الأوائلُ

وقد قصد أبو العلاء بهذا البيت إلى مجرد الفخر ، شأنه فى القصيدة كلها . وكان فى أثناء شبابه ، وبعد اعتزاله الناس ، ولزوم بيته ، وأخذ نفسه بألوان من الشدة والتضييق يحاول أن يمتحن قدرته على القول فى فنون الشعر المختلفة يروض نفسه على ذلك كما راضها على أشياء كثيرة . فيفخر غير مؤمن بالفخر بل يفخر وهو رافض للفخر أشد الرفض ويتغزل والغزل أبغض شىء إليه ، ويمدح وهو يرى أن ليس بين الناس من يستحق المدح . ويقول فى تصغير نفسه وازدرائها :

دُعيت أبا العلاء وذاك مينٌ ولكن الصحيح أبو النزول

ومع ذلك فلم يصدق أبو العلاء فى شىء من شعره الحرّ كما صدق فى هذا البيت الذى رويته آنفاً :

وإنى وإن كنت الأخيرَ زمانُه لآتٍ بما لم تستطعْه الأوائلُ

على ما فى هذا البيت من غلوٍّ ظاهر وإسراف فى المبالغة والإحالة .

وما أشك فى أنه قال هذا البيت وهو يراه فخراً من الفخر الذى ألفه الشعراء ولم يتحرجوا فيه من الإبعاد والإغراق دون أن يؤمن بشىء منه فيما بينه وبين نفسه . لأنه كان شديد التواضع شديد الإصغار لنفسه وعمله ومكانته فى العلم والأدب . فهو الذى يقول فى اللزوميات :

يزورنى القوم هذا أرضه يمن　　من البلاد وهـذا داره الطبس
قالوا سمعنا حديثاً عنك قلتُلهم　　لايبعد الله إلا معشراً لبسوا

إلى أن يقول :

ماذا تريدون لآمالٌ تيسَّر لى　　فيسّماحُ ولا علمٌ فيُقتبس

ومن المحقق أنه لم يكن ذا مال . ولكن من الغلو فى التواضع زعمه أنه ليس عنده علم يسعى إليه الناس فى طلبه ، وآية ذلك أنه أنفق قريباً من نصف قرن يُملى علمه وأدبه على من كان يسعى إليه من الطلاب على اختلاف أقطارهم ، وتباعدها ، وهذا الذى أملاه على الطلاب منذ لزم بيته إلى أن توفى هو الذى يدل على أن ذلك البيت فى الفخر برىء كل البراءة من الغلو والإسراف قريب كل القرب من الصدق والإنصاف.

فلسنا نعرف عالماً من علماء اللغة منذ العصور الأولى لتدوينها أتى بمثل ما أتى به أبو العلاء . فهو لم يكد يدع لفظاً من ألفاظ اللغة إلا أحصاه واستعمله فى شعر أو نثر وما أظن أن كاتباً أو شاعراً من كتاب العرب وشعرائهم أحاط بمادة اللغة العربية وأحصاها واستعملها أحسن استعمال وأدقه وأصدقه كما فعل أبو العلاء فيما أملى من كتبه العلمية والأدبية شعراً ونثراً .

ويكفى أن تنظر فيما أحصى القدماء من كتبه وما وصفوا به هذه الكتب لتعلم : أن أبا العلاء قد أحصى اللغة العربية واستعملها كما لم يحصها ولم يستعملها أحد قبله أو بعده .

وهو بهذا قد أتى بما لم تستطع الأوائل أن تأتى به من إحصاء اللغة وتدوينها لاتدوين المعجمات بل تدوين الكلام النافع الممتع الذى يكلف قارئه من الجهد والعناء أكثر ما تكلف أبو العلاء نفسه فى حفظ المادة اللغوية وتصريفها فى وجوه القول على اختلافها .

ذلك أن أبا العلاء قد منح قدرة خارقة على الحفظ والاستذكار ، وعصم أوكاد يُعصم من النسيان . والقدماء يروون فى ذلك أنباء لانكاد

نطمئن إليها بما فيها من الغلوّ والإسراف . ولكن الشيء الذى ليس فيه شك هو أنه كان سريع الحفظ لايكاد ينسى مما حفظ شيئاً .

وكتبه كلها تدل على ذلك دلالة واضحة كل الوضوح . ثم هو لم يحفظ اللغة حفظ المتقصّي لمادتها أوسع الاستقصاء وأدقه فحسب ، ولكنه أتقن أشد الإتقان علوم اللغة على اختلافها . فكان بارعاً فى النحو والصرف والعروض حافظاً لأكثر ما أنشأ الشعراء وكتب الكتاب فى العصور الأدبية التى سبقته . ولم يكتف بذلك بل أتقن علوم الدين على اختلافها . فروى الحديث وفهم القرآن الكريم أحسن فهم ودرس الفقه والكلام كأحسن مايكون الدرس .

نرى هذا كله فى شعره ونثره ، ثم أضاف إلى هذا كله العلم بفلسفة الفلاسفة وقراءة ما ترجم من اللغات الأجنبية ، فعرف فلسفة اليونان وقرأ ما ترجم من كتبها ، وعرف كذلك حكمة الهند والفرس وكل ماكان العرب قد أخذوا عن الأمم التى سبقتهم إلى الحضارة . كل هذا بين فى لزومياته وما بقى لنا من رسائله . وفى كتاب الفصول والغايات أوفيما وصل إلينا من هذا الكتاب.

وبهذا كله كان أبو العلاء فذاً بين أدباء العرب وشعرائهم وكتابهم لم يجتمع لأحد من الذين سبقوه أوجاءوا بعده مثل ما اجتمع له من إتقان العلم وسعة المعرفة وعمقها إلى أقصى غايات السعة والعمق .

وهذا كله يسّر له ما أخذ نفسه به من إحصاء اللغة واستعمالها فى ألوان مختلفة من فنون العلم والأدب والفلسفة وضروب الثقافة على اختلافها .

وما أظن أنه فكر فى شيء من هذا عندما قال بيته الذى رويته آنفاً ، يمنعه من ذلك ما عرف من تواضعه وازدرائه لما حصّل من فنون المعرفة .

ونحن نرى آثار هذا العالم الممعن فى السعة والعمق واضحة كل الوضوح فى آثاره التى وصلت إلينا ، فأنت واجد فى اللزوميات حين تقرؤها فقه

الفقهاء ونحو النحاة وكلام المتكلمين وفلسفة الفلاسفة سواء أكانوا من العرب أم من الأمم القديمة .

ومن أجل هذا كله اختلط أمره على كثير من الناس . فاتّهمه قوم بالكفر ورفعه قوم إلى منازل الصديقين . ذلك أن بعض الناس رأوا فى آثاره فلسفة حرة صريحة وخروجاً على ما ألف المتحفظون فى الدين من الاقتصاد فى القول والعمل . ورأى قوم آخرون وعظه الرائع الذى ينفذ إلى القلوب فيؤثر فيها أبلغ الأثر وأقواه فجعلوه من أولياء الله الصالحين .

وستعرف فى هذا الجزء حين تقرؤه صوراً جليّة لآراء أولئك وهؤلاء فى أبى العلاء .

والواقع من أمره فيما يظهر لى أنه كان يحكّم عقله فى كثير جداً من الأشياء فيضطر إلى شىء من الشك وإلى شىء من الحيرة ، ولكنه لايطمئن إلى الشك ولا إلى الحيرة وإنما يغالبهما ماوجد إلى مغالبتهما سبيلاً . وهو من أجل ذلك كان مؤمناً أشدّ الإيمان وأقواه بوجود الله ، ووحدته ، وقدرته ، وعلمه الذى وسع كلّ شىء . ولكن هذا لم يمنعه من أن يصور شكّه فى كثير من شعره ونثره أيضاً ، وربما صوّر شيئاً يوشك أن يكون خروجاً على الدين ؛ لأن فنه وحيرته وشكه ، كل أولئك كان يضطره إلى ذلك ويُكرهه عليه إكراهاً . فهو كان يوازن بين الديانات السماوية فيضطرب عليه الأمر من ذلك أشـــد الاضطراب حتى ليوشك أن يرفضها جميعاً ، وأكثر ماكان يدعوه إلى ذلك إنما كان اختلاف أصحاب هذه الديانات . وماكان يثور بينهم من الجدال . ولكنه مع ذلك يثنى على المسيح عليه السلام ويعجب بسيرته ومذهبه فى الحياة ، ويمدح النبىّ صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الدين فيقول :

دعاكم إلى خير الأمور محمدٌ　　وليس العوالى فى القنا كالسوافلِ
حداكم على تعظيم من خلق الضحا　　وشهب الدجى من طالعاتٍ وآفلِ
وألزمكم ما ليس يُعجز حملُه　　أخا الضعف من فرْضٍ له ونوافلِ

وحثَّ على تطهير جسمٍ وملبسٍ وعاقب فى قذف النساءالغوافلِ
وحرمخمراً خِلْتُ ألبابَشربها من الطيش ألبابَ النعامِ الجوافلِ
يجرون ثوب الملك جرّ أوانسٍ لدى البدو أذيال الغوانى الروافلِ
فصلَّى عليه الله ماذرّ شارق وما فت مسكاً ذكره فى المحافلِ

ولايمنعه هذا الثناء الذى يظهر الصدق فيه من أن يضيف إلى الشرائع أنها أورثت الناس ألوان التباغض والإحن والعداوة ، ويضيف إلى النبوات أنها سببت الحرب وأباحت للإنسان استرقاق الإنسان . وذلك حيث يقول :

إن الشرائع ألقت بيننا إحناً وأورثتنا أفانين العداواتِ
وهل أبيحتنساءالرومعنعرض للعرب إلا بأحكام النبواتِ

بل يمضى إلى أبعد من هذا فيقول فى الأبيات المشهورة :

أتى عيسى فأبطل دين موسى وجاء محمد بصلاة خمسِ

ويختلف الناس فى رواية البيت الذى يجىء بعد هذا . فيرويه قوم :

وقيل يجىء دين بعد هذا فضاع الناس بين غد وأمس

ويرويه قوم آخرون :

وقالوا لا نَبِىٌّ بعد هذا فضاع الناس بين غد وأمسِ

ثم يقول :

إذا قلت المحالَ رفعت صوتى وإن قلت الصحيحَ أطلتهمسى

بل يمضى إلى أبعد من هذا كله فيقول :

ولاتحسَب مقال الرسل حقاً ولكن قول زور سطروه
وكان الناس فى عيش رغيد فجاءوا بالمحال فكدروه

ويمضى إلى أبعد من هذا فيقول :

تلوا باطلاً وجلوا صارما وقالوا صدقنا فقلنا نعم

وهذا كله إن دل على شيء فإنما يدل على الشك والحيرة اللذين كانا يصيبان أبا العلاء حين كان يحكّم عقله فى أشياءَ لايحسن العقل وحده أن يحكم فيها . ولكننا حين نقرأ مواعظه ونقرأ كثيراً من شعره الذى كان يصور فيه الإيمان الصادق والزهد الذى لازهد بعده والإشفاق مما يكون بعد الموت لانشك فى أن قلبه قد كان مطمئناً إلى الإيمان كل الاطمئنان .

واقرأ هذين البيتين المشهورين :

قال المنجم والطبيب كلاهما　　لا تُحشَرُ الأجسام قلت إليكما
إن صح رأيكما فليس بضائرى　　أوصح رأيي فالخسار عليكما

ومعنى هذا أنه كان يخالف الفلاسفة فى إنكار بعث الأجسام ولكنه على ذلك لم يكن يقطع برأيه قطعاً بريئاً من الشك .

يرى أن الأجسام تُحشر ويتخذ من الأهبة لهذا الحشر ما يستطيع ، ولايمنعه ذلك من أن يقول للمنجم والطبيب : إن صح رأيكما فليس على من صحته بأس وإن صح رأيي أنا فالبأس كل البأس عليكما .

وأكبر الظن أن أبا العلاء كان يروى آراء الفلاسفة والمتكلمين حين تقع له ، وكان ذلك يُظهر تورطه فى الشك والحيرة .

وكان أبو العلاء يتردد فى أشياء كثيرة منها البعث ، ومنها قيمة التاريخ بالقياس إلى الذين يأتون جلائل الأعمال ويفكرون فيما ستذكرهم به الأجيال المقبلة بعد أن يستأثر بهم الموت .

وكان أبو العلاء يكره أن يقدم الإنسان بين يديه عملاً وهو ينتظر عليه جزاء، وما أكثر ماكان أبو العلاء يكره من الأشياء وما أكثر ماكانت تمتحنه الأيام فى حياته ، بإخضاعه لما يكره ، وقد كانت حياته محنة كلها ، لقى فيها قليلاً جداً مما أحب وكثيراً جداً مما كره .

والظاهر أن الأيام لم تغير سيرتها مع أبى العلاء بعد موته ، فذِكْره يلقَى من الناس مثل ماكان شخصه يلقى منهم، يمضى فى آفاق الأرض على

تعاقب الأجيال ويزداد شيوعاً وانتشاراً كلما تقدمت القرون . ولم يكن أبو العلاء يبغُض شيئاً كما كان يبغُض الشهرة ، وقد امتُحن بها حياً فاشتهر على كره منه فى جميع أنحاء العالم الإسلامى وهو يمتحن بها ميتاً ، فيشتهر على غير كره منه وعلى غير رضاً فى جميع أنحاء العالم المثقف.

وكان يعتقد أنه إذا مات سيستريح وسيريح . والله يعلم أأتيحت له الراحة بعد موته أم صرفت عنه ، ولكن الشىء المحقق أن موته لم يرح أحداً ، وأنه أتعب الناس بعد موته ، وسيتعبهم أضعافاً مضاعفة لما كان يغرى بهم من التعب فى حياته .

وسواء أرضى أبو العلاء عن عناية التاريخ به أم لم يرض ، فالتاريخ معنىّ به على كل حال ، وعند الله وحده علم الحياة الآخرة وما ادخر فيها لأبى العلاء من جزاء . ولكنا نعلم ما ادخر الناس لأبى العلاء فى هذه الحياة الأولى ، ونعلم أنه جاء مطابقاً مطابقة دقيقة جداً لما أتيح للأفذاذ الممتازين فى جميع أقطار الأرض على اختلاف الأجيال والعصور . فقد شغل الناس بأبى العلاء فى أثناء حياته ، يحمده قوم ويشنؤه آخرون ، وكانت وفاته حدثاً من الأحداث الأدبية الكبرى . شغل به الناس فى بيئته القريبة منه ، وفى البيئات العلمية والأدبية البعيدة عنه . ثم ألقى النسيان الموقوت بينه وبين الناس ستراً ، فلم يذكره إلا أقلهم وصرف أكثرهم عن ذكره والعناية به إلى ما شغل العالم الإسلامى من الخطوب الجسام .

ثم عاد الناس إلى ذكره ، يختلفون فيه كما كانوا يذكرونه مختلفين فيه قبل أن يموت ، يثنى عليه بعضهم وينعى عليه بعضهم الآخر ، يكفره فريق ويعده فريق آخر بين الأولياء الصديقين ، وأولئك وهؤلاء يأخذون فى أمره بالظنة ، ويحكمون له أوعليه بأيسر مايقرءون له ويفهمون عنه من الشعر والنثر ، لانكاد نستثنى منهم إلا ابن النديم الذى فرغ له وأفرد للدفاع عنه كتاباً خاصاً أقامه على البحث العميق والاستقصاء الشامل بمقدار ماكان القدماء يستطيعون أن يبحثوا ويستقصوا .

ومضت القرون تتبعها القرون ، وذكر أبى العلاء ورأى الناس فيه تقليد تتوارثه كتب التاريخ ولايكاد يحفل به أحد . حتى إذا كانت النهضة الأدبية الحديثة فى الشرق استيقظت الآثار العلائية أوما بقى منها كما استيقظت آثار غيره من الشعراء والكتاب والعلماء ، واستيقظت فى شىء من التردد وظهرت للناس فى شىء من الاستحياء لا تقبل عليهم إلا ريثما تعرض عنهم ، ولايحفلون بها إلا ريثما ينصرفون عنها ، حتى إذا اشتد الاتصال بين الشرق المستيقظ والغرب الحديث ، اشتد إقبال المثقفين على أبى العلاء شيئاً ما لأنهم وجدوا فى الآداب الغربية ألواناً من التفكير وضروباً من الشعور وفنوناً من التصوير ، وأحبوا أن يلتمسوا شيئاً يشبهها فى الأدب العربى فوجدوا كثيراً مما كانوا يلتمسون عند أبى العلاء .

رأوا فى الآداب الغربية شعراً يتعمق الفلسفة ويعالج مسائلها الكبرى ؛ فلما التمسوا ذلك فى الأدب العربى — وجدوا منه أطرافاً عند المتنبى ، ووجدوا إشارات يسيرة إليه عند أبى تمام ، ولكنهم وجدوا عند أبى العلاء ما أرضاهم ، واستطاعوا فى أول هذا القرن أن يقرنوا اسم أبى العلاء إلى أسماء المنشائمين من فلاسفة الغرب وشعرائه . ثم وجدوا فى الأدب الغربى خيالاً جريئاً بعيد المدى ملحاً فى التصعيد والعروج إلى أرقى ما يستطيع الإنسان أن يعرج .

قرءوا دانتى وقرءوا ملتن ، والتمسوا شيئاً من هذا الخيال الذى يمضى ما شاء الله أن يمضى طولاً وعرضاً وعمقاً فلم يجدوا ذلك إلا عند أبى العلاء، فى رسالة الغفران أول الأمر ، ثم فى كثير من نثره بعد ذلك ، فاستقر فى نفوسهم أن أبا العلاء هو الأديب العربى الخصب الذى يستطيع المثقف الحديث أن يفرغ له فيجد عنده غذاء العقل والقلب وإن نبت آثاره عن الذوق الحديث نبواً يختلف قوة وضعفاً باختلاف ما يكون لقارئه من مشاركة فى الثقافة العربية القديمة ، فعنوا به عناية خاصة لم تنقطع منذ أول هذا القرن، وما يزال المثقفون الذين أدركوا أول هذا القرن وهم يذوقون الأدب

العربى ويقبلون عليه ، يذكرون ظهور رسالة الغفران وتلخيص المنفلوطى — رحمه الله — لها فى بعض الصحف السيارة .

وقد كان المصريون أسرع الشرقيين فى هذا العصر إلى الاتصال بالغرب وأشدهم توثيقاً لهذا الاتصال ، فكانوا من أجل ذلك أسرعَ الناس إلى العناية بأبى العلاء وأشدهم إلحاحاً فى هذه العناية . ومن المحقق أن مصر المعاصرة سبقت غيرها من البلاد العربية إلى نشر آثار أبى العلاء ودرسها وإذاعة الحديث عنها .

وفى أثناء هذا كلِّه كان المستشرقون من الأوروبيين يدرسون آثار أبى العلاء فيما كانوا يدرسون من الآثار العربية الأدبية القديمة فيوفّقُون فى الدرس والنشر إلى خير كثير .

ولكن هذه الدراسات التى كثرت فى الشرق والغرب لأبى العلاء وآثاره كانت إلى الآن مضطربة مختلطة ينقصها النظام والوضوح لأنها لم تكن تعتمد على أساس متين من هذا النشر العلمى المنظم الذى يجب أن يسبق كل بحث دقيق يعتمد على التعمق والاستقصاء .

وأمْرُ أبى العلاء فى ذلك كأمر غيره من الأفذاذ فى جميع الآداب الكبرى . وقد كان علم الناس بهوميروس وبندار والشعراء الممثلين والفلاسفة الممتازين تقليدياً مختلطاً ، يقوم على الشهرة والنصوص المقتطفة هنا وهناك فى أكثر العصور ، إلا حين يكون الدرس المنظم وتنسيق النصوص وإتقان ترتيبها كالذى كان فى الإسكندرية مثلاً وكالذى كان بعد النهضة الأوروبية الحديثة ، هنالك تكون القراءة الشاملة والاستقصاء للألفاظ والمعانى والامتحان للأساليب ، والموازنة بين النظراء واستخلاص البحوث العليا فى العلم والأدب والفن .

لذلك كان المصريون المعاصرون حراصاً أشد الحرص على أن يسبق النشر العلمى المنظم لآثار أبى العلاء هذه الدراسات التحليلية الشاملة ، ولكن

الظروف لم تسكن تواتى والفرص لم تسكن تُسعف . حتى إذا كانت سنة أربع وأربعين وتسعمائة وألف فكرَّ إخواننا السوريون فى إحياء ذكرى أبى العلاء لمرور ألف عام منذ مولده . ودعيت مصر إلى المشاركة فى هذا الحفل ، فاقترحتُ على المغفور له الأستاذ أحمد نجيب الهلالى وزير المعارف إذ ذاك أن نستجيب لهذه الدعوة ونشترك فى هذا العيد ونهدى إلى المحتفلين به الوعد بأن مصر ستنهض بالنشر العلمى لما بقى أو لما يمكن أن تصل إليه من آثار أبى العلاء ، وما أسرع ما استجاب الوزير — رحمه الله — لهذا الاقتراح فأصدر فى السادس والعشرين من فبراير سنة ١٩٤٤ قراراً بنشر آثار أبى العلاء نشراً علمياً منظماً بمناسبة هذا العيد الألفى . وألف لذلك لجنة من حضرات الأساتذة : مصطفى السقا ، وعبدالرحيم محمود — رحمه الله — وعبد السلام هارون ، وإبراهيم الإبيارى ، وحامد عبد المجيد لتنهض بهذا العمل الخطير ، وكلفنى أن أشرف على عمل هذه اللجنة .

ويرى الذين يقرءون هذا السفر أن اللجنة لم تضع من وقتها قليلاً ولا كثيراً وأنها تكلفت فى عملها جهداً عنيفاً ، اقتضاها فى كثير من الأحيان أن تصل الليل بالنهار ، وأن تضحّى بكثير مما يحتاج إليه الناس من الراحة ليستأنفوا نشاطاً خصباً وعملاً مجدياً ، ومن بين أعضاء اللجنة من كان يضيف عمله فيها إلى أعمال أخرى مرهقة شاقة .

وقد حرصنا على أن نبدأ بنشر ما نستطيع أن نصل إليه مما كتب عن أبى العلاء . منذ العصر الذى عاش فيه إلى آخر القرن الثالث عشر للهجرة ليكون ذلك تمهيداً حسناً لابد منه لنشر النصوص التى بقيت لنا من كتب أبى العلاء . ولست أزعم أنّا قد بلغنا من ذلك ما كنا نريد . بل لست أزعم أنا قد بلغنا من ذلك أكثر ما كنّا نريد ، فقد كنا نعيش إذ ذاك فى أيام حرب قطعت فيها المواصلات لا أقول بين الشرق والغرب ، بل بين البلاد المتجاورة فى الشرق نفسه فكيف بالبحث فى المكتبات واستقصاء المخطوطات فى جميع الأقطار المتحضرة . فلا شك فى أن كثيراً مما كتب عن أبى العلاء لم يصل إلينا ولكن ماجمعناه من ذلك لا بأس به فهو يصور تصويراً حسناً جهد القدماء فى درس أبى العلاء ، على تتابع القرون .

وما دامت وزارة الثقافة قد أخذت نفسها بأن تعيد نشر الأجزاء التى أتيح لنا نشرها فى تلك الأيام ثم لم تتح ظروف الحياة المصرية إذ ذاك لنا المضى فى هذا العمل حتى نبلغ غايته .

فإنى أرجو أولاً أن تقبل منى ومن الذين يحبون أبا العلاء ويحرصون على أن يقرءوا آثاره أجمل الشكر وأعمقه وأحسن الثناء وأصدقه على هذه العناية التى اختصت بها شيخ المعرة وآثاره والتى أتمنى أن تعم تراثنا العربى كله ، ووزارة الثقافة مزمعة أن تتم ما لم نستطع إتمامه من نشر مايمكن نشره من آثار هذا الشاعر الفيلسوف العظيم .

وأنا أتمنى على السيد الكريم نائب رئيس الوزراء للثقافة والإرشاد القومى ألا يكتفى بنشر ما بين أيدينا من كتب أبى العلاء . فهذا الجهد على خطورته واستحقاقه للشكر والثناء لايرضى حاجة الباحثين والدارسين .

ووزارة الثقافة تستطيع أن تكلف بعض علمائنا البحث فى المكتبات على اختلاف أقطارها وتباعدها عسى أن يظفروا بما لم يصل إلينا من آثار أبى العلاء أو مما كتب القدماء عنه

وتستطيع وزارة الثقافة أن تمضى فى هذا الجهد الخصب المشكور الحميد حتى تتم نشر ما بين أيدينا فإذا ظفر العلماء والباحثون بشىء ألحق بما نشر شيئاً فشيئاً .

وأنا مطمئن كل الاطمئنان إلى أنى لا أطلب إلى السيد نائب رئيس الوزراء الجليل شيئاً عسيراً أو بعيد المنال فنحن نعيش الآن فى ظل ثورة كريمة أتت من جلائل الأعمال ما غيّر الحياة المصرية تغييراً يوشك أن يكون كاملاً . فليس ببعد ولا يشق على وزير من وزراء حكومة الثورة أن يخصص حياة الأدب العربى بشىء من هذه الجهود الخصبة التى تُبذل ليبلغ وطننا أقصى ما يمكن أن يبلغ من الرقى الخصب الذى لاينبغى أن يقتصر على حياتنا المادية ولا على النشاط العلمى الخالص وإنما يتناول النشاط الأدبى أيضاً .

أما بعد فإنى أجدد الشكر للسيد نائب رئيس الوزراء للثقافة ووزارته والعاملين فيها على إحياء التراث العربى والمعنيين بنشر آثار أبى العلاء .

أرجو أن يتاح التوفيق للسيد نائب رئيس الوزراء للثقافة وأعوانه إلى تنظيم العمل فى إحياء التراث العربى وإتقان البحث عما ليس فى أيدينا من هذا التراث عامة ، ومن آثار أبى العلاء بنوع خاص .

طه حسين

تعريف القدماء بابي العلاء

السفر الاول

التراجم

تتمـــة اليتيمـــة (*)

لأبى منصـــور الثعـــالبىّ (**)

٣٥٠ — ٤٢٩

أبو العـــلاء المعـــرّىّ

قد جمعتُ بين أهل معـرّة النُّعمان التى أخرجت هؤلاء الفضـلاء (١) . وهى غير مشهورة بخراسان .

وكان حدّثنى أبو الحسن الدُّلَفىّ المصّيصىّ الشاعر (٢) — وهو مِمّن (٣) لقيته قديمًا وحديثا فى مدّة ثلاثين سنة — قال : لقيتُ بمعرّة النعمان عَجَبًا من العجَب : رأيت

(*) تتمـة اليتيمة : جعله الثعالبىّ تتمة لكتابه "يتيمة الدهر"، استدرك فيه بذكر من فاته فى اليتيمة من أعيان عصره ، أو من ترجم لهم فى اليتيمة ترجمة يسـيرة وأمكنه فيما بعد أن يعرف بهم تعريفا وافيا . وقد طبع هذا الكتاب فى مدينة طهران سنة ١٣٥٣ فى مجلدين صغيرين .

وتقع هذه الترجمة منه فى (١ : ٩)

(**) هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى النيسابورى . والثعالبى : نسبة إلى خياطة جلود الثعالب وعملها . قيـل له ذلك لأنه كان فرّاء . والثعالبى كاتب شاعر ، أتحف المكتبة العربية بآثار خالدة ، منها فقه اللغة ، واليتيمة ، والمضاف والمنسوب . وكان معاصرا لأبى العلاء ، وتوفى قبل أبى العلاء بعشرين سنة . انظر الوفيات ومعاهد التنصيص ص ٤٧٠ والدمية ص ١٨٣ .

(١) ذكر الثعالبى قبيله من أهل المعرّة أبا الحسين أحمد بن المعرّى ، وأبا الخير المفضل بن سعيد بن عمرو المعرّى .

(٢) هو أبو الحسن على بن مأمون الدلفى المصيصى . وقد روى عنه الثعالبى فى اليتيمة (١ : ٢٢/٢ : ٢٨٦) . والمصيصى : نسبة إلى المصيصة ، وهى مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام . وقد اختلف فى ضبطها : ضبطها صاحب القاموس كسفينة . وذكر ياقوت هذا الضبط وقال : الأصح أنها بفتح الميم وكسر الصاد مع التشديد . وضبطها السمعانى بكسر الميم وتشديد الصاد الأولى المكسورة .

(٣) فى الأصل ، وكذلك فى نقل ياقوت عن تتمة اليتيمة فيما سيأتى ص ٧٩ : « من » وقد وردت على الصواب الذى أثبتناه فى الوافى والنكت والإنصاف .

أعمى شاعرًا ظريفا، يلعب بالشَّطْرَنْج والنَّرد، و يدخل فى كلِّ فنٍّ من الجِدّ والهزل، يكنى أبا العلاء ؛ وسمعته يقول : أنا أحمد الله على العمى ، كما يحمده غيرى على البَصر؛ فقد صنَع لى، وأحسَن بى، إذ كفانى رؤية الثُّقَلاء البُغَضاء .

قال : وحضرتُه يومًا وهو يُمْلِى فى جواب كتاب وَرَدَ عليه من بعض الرؤساء :[1]

وافى الكتابُ فأوجب الشُّكرا ... فضممته وتمثْتُهُ عَشْرَا

وفضضتُه وقرأتُه فإذا ... أجْلَى[2] كتابٍ فى الورى يُقْرَا

فمحاه دَمْعِى من تحدُّرِهِ ... شوقًا إليك فلم يَدَعْ سطرَا

فتحفَّظتها[3]، واستعملتُها كثيراً فى مكاتبات الإخوان .

---

(١) الأبيات التالية مما لم يرو فى الديوانين .

(٢) فى الأصل : «أحلى» بالمهملة ، وما أثبتناه من نقل ياقوت عنه فيما سيأتى ص ٧٩ .

(٣) تحفظ الكتاب ونحوه : استظهره شيئا بعد شىء . انظر اللسان (٩ : ٣٢١) .

تاريخ مدينة السلام (*)

للخطيب البغدادى (**)

٣٩٢ — ٤٦٣

أحمد بن عبد الله بن سليمان ، أبو العلاء التَّنوخىّ الشّاعر، من أهل مَعرّة النعمان . كان حسنَ الشِّعر ، جَزْلَ الكلام، فصيح اللسان ، غزير الأدب ، عالمًا باللغة، حافظًا لها .

وذكر لى القاضى أبو القاسم التَّنوخىّ (١) ، أنه ورد بغداد فى سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، وأنّه قرأ عليه ديوان شعره ببغداد .

وقال لى التنوخىّ : هو أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد ابن سليمان بن داود بن المطهّر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن أنور (٢)

(*) هو المشهور بتاريخ بغداد . كتبه على طريقة المحدّثين ، صدّره مؤلفه بوصف تفصيلى لبغداد ، وجمع فيه تراجم رجالها ومن ورد إليها ، مرتبة على حروف المعجم ، وضم إليه فوائد جمة . طبع لأول مرة فى سنة ١٣٤٩ فى مصر بمطبعة السعادة . وهو فى أربعة عشر مجلدا .

ويقع هذا النص منه فى الجزء الرابع (ص ٢٤٠ — ٢٤١) .

(**) هو الحافظ أبو بكر أحمد بن على بن ثابت بن أحمد بن مهدى بن ثابت البغدادى ، المعروف بالخطيب . كان من الحفاظ المتقنين ، والعلماء المتبحرين ، صنف غير تاريخ بغداد هذا نحو مائة مصنف . انظر وفيات الأعيان ، والبداية والنهاية لابن كثير ، وكامل ابن الأثير ، وتتمة الدهر (٤ : ٨٢) والذمية ص ٧٨ .

(١) هو أبو القاسم على بن المحسن بن على بن محمد بن أبى الفهم التنوخى . ولد بالبصرة سنة ٣٦٥ — وقيل سنة ٣٧٠ — وكان ينفق على أصحاب الحديث ، وكان الخطيب البغدادى والصورى وغيرهما يبيتون عنده ، ويأخذون عنه ؛ وكان أديبا فاضلا ، صحب أبا العلاء ، وأخذ عنه كثيرا . توفى سنة ٤٤٧ انظر ياقوت (٥ : ٣٠١) وكتب التاريخ فى وفيات سنة ٤٤٧ .

(٢) فى الأصل : «أيوب» وهو تحريف .

ابن أسْحَم بن أرقَم بن النُّعمانِ بن عَدىّ بن عبد غَطَفان بن عَمرو بن بَرِيح بن جَذِيمَةَ ابن تَيْم الله بن أسد بن وَبْرة بن تَغلِب بن حُلوان بن عِمْرَان بن الحافِ بن قُضاعة .

أنشدنا القاضى أبو القاسم علىّ بن المُحسِّن قال : أنشدنا أبو العلاء المعرّى لنفسه يرثى بعض أقاربه :

غَيْرُ مُجْدٍ فى مِلّتى واعتقادِى ... نَوْحُ باكٍ ولا ترنُّم شادِ
وشَبِيهُ صوتُ النَّعِىّ إذا قيـ ... ـسَ بصوت البشيرِ فى كلّ نادِ
أبَكَتْ تلكمُ الحمامةُ أم غنـ ... ـتْ على فَرعِ غُصنِها المِيّادِ
صاحِ هٰذى قبورُنا تملأ الأر ... ضَ فأين القُبُور من عهدِ عادِ
خفِّف الوطءَ ما أظنُّ أديمَ الـ ... ـأرضِ إلّا من هذه الأجسادِ
وقبيحٌ بنا وإن قَدُم العهـ ... ـدُ هَوَانُ الآباءِ والأجدادِ
سِرْ إن استَطَعْتَ فى الهواء رُوَيْدًا ... لا اختيالًا على رُفاتِ العبادِ
رُبَّ لحد قد صار لحدًا مِرارًا ... ضاحِكٍ من تزاحُمِ الأضدادِ
ودَفينٍ على بقايا دَفينٍ ... فى طويل الأزمانِ والآبادِ
فاسأل الفَرْقدينِ عَمّن أحسّا ... مِن قَبيلٍ وآنَسا مِن بلادِ

(١) فى الأصل : «ثعلب» وهو تحريف . انظر نهاية الأرب (٢ : ص ٢٩٥ س ٢) .

(٢) قال أبو ذرّ الخشنى فى شرح السيرة لابن هشام (١ : ٥) : «الحاف، منهم من يكسر همزته ويقطعها، كأنه سمى بمصدر ألحف فى المسألة إذا بالغ فيها ... ... ومنهم من يجعل الألف واللام فيه للتعريف بمنزلة اسم الفاعل، فهو من حفى يحفى» . وعلى الوجه الأخير حذفت ياؤه اجتزاء بالكسرة، كما تقول فى العاصى : العاص . انظر تاج العروس (حفى) والاشتقاق ص ٣١٣ .

(٣) المحسن، بتشديد السين المكسورة، كما ضبطه ابن خلكان (١ : ٤٤٧) .

(٤) هو القاضى أبو حمزة الحسن بن عبد الله التنوخى الفقيه الحنفى، قاضى منبج . انظر الوفيات (٢ : ٤١٧) . والقصيدة فى سقط الزند (١ : ٢٠٨) .

(٥) وكذا رواية القفطى ص ٢٨ وسبط ابن الجوزى (ص ١٦٠) . وفى السقط : «تملأ الرحب» .

كم أقاما عـلى زوالِ نهـارٍ وأَنارا لِمُـدْلِجٍ فى سَـوادِ
تَعَبٌ كلُّها الحيـاةُ فمـا أعـ ـجَبُ إلّا من راغبٍ فى ازديادِ
إنّ حُزْناً فى ساعةِ الموت أضعا فُ سُرورٍ فى ساعة الميـلادِ
خُـلِق النـاسُ للبقاء فَضَلّتْ أُمّـةٌ يَحْسَبونهـم للنَّفـادِ
إنّمـا يُنقلونَ من دارِ أعمـا لٍ إلى دارِ شِـقْوةٍ أو رشادِ

والقصيدة طويلة .

حدّثنى أبو الخطّاب العلاء بن حزم الأندلسىّ[1] قال : ذَكر لى أبو العلاء المعرّىّ أنّه ولد فى يوم الجمعة لثلاثٍ بقين من شهر ربيع الأوّل سنة ثلاثٍ وستين وثلاثمائة.

وكان أبو العلاء ضريرا، عمِى فى صِباه . وعاد من بغداد إلى بلده معرّة النعمان، [و] أقام بها إلى حينِ وفاته .

وكان يتزهّد ، ولا يأكل اللحم ، ويلبس خشِنَ الثّياب .

وصنّف كتبًا فى اللغة، وعارض سُوَرًا من القرآن، وحُكى عنه حكايات مختلفة فى اعتقاده، حتّى رماه بعض الناس بالإلحاد .

وبلغنا أنّه مات يوم الجمعة الثالثَ عشر من شهر ربيع الأوّل، سنة تسعٍ وأربعين وأربعمائة .

(١) هو أبو الخطاب العـلاء بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم الأندلسى . كتب بالأندلس فأكثر، ورحل إلى المشرق . قال المقرى : «وذكره الحافظ الخطيب أبو بكر أحمد بن على بن ثابت البغـدادى، وقال : هو من بيت جلالة وعلم ورياسة . وأخرج عنه فى غير موضع من مصنفاته . وقدم بغداد ودمشق وحدث فيهما ، ثم عاد الى المغرب فتوفى ببلده المرية سنة ٤٥٤ » . انظر نفح الطيب (١ : ٨٩٣) .

دميـــة القصـــر (*)

للباخَـــرْزىّ (**)

٤٦٧ — ٠٠٠

أبو العلاء أحمد بن سليمان[1] المعرّىّ التنوخىّ ضرير، ماله فى أنواع الأدب ضَريب؛ ومكفوف، فى قميص الفضل ملفوف؛ ومحجوب، خصمه الألدّ محجوج. وقد طال فى ظلال الإسلام آناؤه، ولكنْ ربّما رشح[2] بالإلحاد إناؤه؛ وعندنا خبر بصره، والله أعلم ببصيرته، والمطلع على سريرته. وإنّما تحدّثت الألسن بإساءته، لكتابه الذى زعموا أنّه عارض به القرآن، وعَنونه بالفصول والغايات، ومحاذاة السُّوَر والآيات؛ وأظهر من نفسه تلك الحيانة[3]، وجَذّ تلك الهوسات كما يجُذّ العَيْر الصَّلَيانة[4]؛ حتى قال القاضى أبو جعفر[5] قصيدةً أولها:

كَلْبٌ عوَى بمعـرّة النُّعمانِ ... لمّا خلا عن رِبْقَةِ الإيمانِ

أمعرّةَ النُّعمانِ ما أنجبتِ إذْ ... أخرجْتِ منكِ معرّةَ العُميانِ

(*) دمية القصر، وعصرة أهل العصر: ذيل لليتيمة الدهر للثعالبى. واعتمدنا النسخة المطبوعة بالمطبعة العلمية بحلب سنة ١٣٤٩، وهى فى مجلد واحد صفحاته ٣١٦، وتقع هذه الترجمة منه فى (ص ٥٠ — ٥٢).

(**) هو أبو الحسن على بن الحسن بن على بن أبى الطيب الباخرزى، الشاعر. نسبته إلى باخرز (بفتح الخاء): ناحية من نواحى نيسابور، وبها توفى مقتولا. انظر الوفيات، وتتمة اليتيمة (٢ : ٣٧).

(١) كذا فى الأصل، بإدراج "عبد الله" والد أبى العلاء.

(٢) فى الأصل «يترشح». والوجه ما أثبتناه والنص نقله القفطى والصفدى.

(٣) وكذا وردت بهذا اللفظ فى الوافى. لكن فى القفطى والنكت: «الجناية» بالجيم والنون.

(٤) الصليانة (بكسر الصاد، وتشديد اللام المكسورة وتخفيف الياء): ضرب من الشجر ينبت صعدا، وأضخمه أبجازه وأصوله؛ والعير إذا كدمها بفيه اجتثها بأصلها.

(٥) هو أبو جعفر محمد بن إسحاق بن على البحائى الزوزنى. والبحائى: نسبة إلى «البحاث» أحد أجداده. توفى بغزنة سنة ٤٦٣. انظر السمعانى فى رسم (البحائى) ودمية القصر ص ٢٧٤ وتتمة اليتيمة (٢ : ٣٠) ومعجم الأدباء (٦ : ٤٠٨).

ورأيتُ ديوان شعره الذى سمّاه سَقْط الزّند ، وهَتف فيه كالحمام على فَنَنٍ غَضّ النبات من الرند[1] . ولم يتّفق أن ألتقط منه ما يصلُح لكتابى هذا ، فرجعتُ إلى تعليقاتى ، فعثَرتُ بما أنشدنيه الإمام الشيخ إسماعيل الصابونى[2]، قال : أنشدنى بمعزة النعمان :

مَحمودُنا اللهُ والمَسعودُ[3] خائفُه ... فعَدَّ عن ذِكر محمودٍ ومسعودِ
مَلْكان لو أنّنى خُيِّرتُ مُلْكَهما ... وعُودَ صَلْبٍ[4] أشار العقلُ بالعُودِ
عُودِى يخاف من الإحراق صاحبُه ... إنْ قال ربّى لأجسامِ البِلى عُودِى

وله من قصيدة[5] :

ياساهرَ البرقِ أيُقظْ راقدَ السَّمُرِ ... لعلّ بالحزْع أعواناً على السَّهَرِ
وإنْ بَخِلتَ على الأحياءِ كُلِّهِم ... فأسْقِ المَواطرَ حيًّا من بنى مَطَرِ
ويا أسيرةَ حِجْلَيْها أرى سَفَهًا ... حَمْلَ الحُلِىّ بمن أعيا عن النَّظَر
ما سِرتُ إلّا وطيفٌ منكِ يتبعنى ... مُمَرًّى أمامى وتأويبًا على أثَرِى
لو حطّ رَحْلِى فوق النَّجم رافعُهُ ... ألفيتُ ثَمَّ خيالًا منكِ مُنتظِرى
يودّ أنّ ظلامَ الليلِ دامَ له ... وزِيدَ فيه سوادُ القلبِ والبصرِ

---

(١) الرند (بفتح الراء) : شجر من أشجار البادية ، طيب الرائحة ، وانظر الأغانى (٥ : ٣٨) .

(٢) هو أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل ، كان إماما مفسرا محدثا فقيها واعظا خطيبا ، ولد بنيسابور سنة ٣٧٣ وتوفى بها سنة ٤٤٩ . والصابونى : نسبة إلى عمل الصابون . انظر السمعانى ص ٣٤٦ وطبقات الشافعية (٣ : ١١٧) .

(٣) فى الأصل : « والمحمود » . والوجه ما أثبتنا من اللزوم (١ : ٢٨٩) . والبيت الأخير من أبيات أخر فى مقطوعة قبلها .

(٤) عود الصلب ، (بالفتح) : الذى يصلب عليه .

(٥) القصيدة فى سقط الزند (١ : ٣٠) ، مع خلاف فى الرواية واستعمال للاختيار .

لو آختصرتم من الإحسان زُرتكمُ والعَذْبُ يُهجر للإفْراطِ فى الحَصَرِ
فالحُسن يَظهر فى شيئينِ رَوْنقُهُ بيتٍ من الشِّعْر أو بيتٍ من الشَّعرِ[1]
والخَلُّ كالماءِ يُبدى لى ضَمائِرَه مع الصَّفاءِ ويُخفيها مع الكَدرِ
فلا يغرَّنك بِشْرٌ من سواه بدا ولو أَنار، فكم نَوْرٍ بلا ثَمَرِ
ماجتْ مُمِرٌّ فهاجت منك ذا لِبَدٍ واللَّيثُ أَفتكُ أفعالًا من النَّمِرِ
هَمُّوا فأَمُّوا فلمّا شارفوا وَقفوا كوقْفة العَيْرِ بين الوِرْد والصَّدَر
تُلْقِى الغَوانِى حَفيظَ الدُّرّ من جَزَعٍ عنها، ويُلقى الرِّجالُ السَّرْدَ من خَوَرِ
فكم دِلَاصٍ على البَطْحاء ساقطةٍ وكم جُمانٍ مع الحَصباءِ مُنتثِرِ
رَأَوْك بالعَين فاستغوتْهُمُ ظُنَنٌ ولم يَرَوْك بِفِكْرٍ صادقِ الخَبرِ
والنَّجْمُ تَستصغِر الأبصارُ صُورتَه والذَّنبُ للطَّرْف لا للنَّجم فى الصِّغرِ
والكِبْر والحَمْد ضِدّانِ ، آتّفاقُهما مثلُ آتّفاق فَتَاءِ السِّن والكِبَرِ
يُجْنَى تَزايُدُ هذا من تَنافُصِ ذا واللَّيلُ إن طالَ غالَ اليومَ بالقِصَرِ

ولــه[2] :

حَيِّ مِن أجلِ أهلِهِنّ الدِّيارَا وآبْكِ هِنْدًا لا النُّوَى والأَحْجارَا
هى قالتْ وقد رأتْ شَيب رأسى وأرادتْ تَنكُّرًا وآزْورارَا
أنا بَدْرٌ وقد بدا الصُّبح فى رأ سِكَ والصبحُ يَطْرُد الأَقمارَا
لستِ بدرًا و إنّما أنت شمسٌ لا تُرَى فى الدُّجَى وتَبدو نَهارا

---

(١) هذا البيت متعلق ببيت قبله فى سقط الزند، وهو :

حسنت نظم كلام توصفين به ومنزلا بك معمورا من الخفر

(٢) من قصيدة فى سقط الزند (١ : ١٣٦) مع خلاف يسير فى الرواية .

ولـــه[1] :

وصـفراء اون التِّبْرِ مثلى جَليـدة ... على نُوَبِ الأيام والعيشةِ الضَّنْكِ

تُرِيك ٱبتسـاماً دائمًـا وتجـلُّداً ... وصَبْراً[2] على ما نالها وهى فى الهُلْكِ

فـلو نَطقتْ يومًا لقالت أَظُنُّـكم ... تَخالون أَنِّى مِن حِذَارِ الرَّدَى أَبكى

فـلا تَحسبوا دَمعِى لِوجْدٍ وجدتهُ ... فقدتَدْمَعُ الأَحداقُ مِن كثرة الضِّحْكِ

---

(١) انظر سقط الزند (٢ : ١٣٦) .

(٢) فى السقط : «نابها» بالباء .

الأنساب (*)

للسَّمعانى (**)

٥٠٦ — ٥٦٢

قال السمعانى فى رسم « التنوخى » :

التَّنوخى ، بفتح التاء المنقوطة باثنتين من فوقها ، وضم النون المخفّفة ، وفى آخرها الخاء المعجمة ، هـذه النسبة إلى تَنُـوخ . وهو اسمٌ لعدّةِ قبائل اجتمعوا قديمًا بالبحرين ، وتحالَفُوا على التّوازُر والتّناصر ، وأقاموا هناك فسُمُّوا تَنُوخا . والتَّنوخ الإقامة . وقال أبو العلاء المعرّى يصف الثلج :

أتانا فى الولادةِ وهو شـيخٌ فأزرَى بالشَّبابِ و بالشُّيوخِ
فقـالَ أُريدُ عِنـدكُم تَنُوخًا فقلتُ أصَبْتَ إنّى من تَنُوخِ (١)

جماعة منهم نزلت معرّة النُّعمان ، وأكثرهم كانوا فضلاء علماء .

أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان [بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان] (٢) ابن داود بن المطهّر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن أنور بن أسحم بن أرقم ابن النُّعمان بن عَدِىّ بن عبـد غطفان بن عمرو بن بَرِيح بن جَذِيمـة (٣) بن تيم الله —

(*) كتاب فى التراجم رتب فيه الأنساب إلى القبائل والبطون والولاء والبـلاد والقرى والأجداد والحرف ، على حروف المعجم . وذكر فى كل نسبة المشهورين من رجالها .

والنصان فى الورقتين ١١٠ و ٣٦ ه من النسخة المطبوعة فى مدينة ليدن سنة ١٩١٢ .

(**) هو تاج الإسلام أبو سعد — ويقال أبو سعيد — عبد الكريم بن أبى بكر محمد بن أبى المظفر المنصور بن محمد بن عبدالجبار ، التميمى السمعانى المروزى الفقيه الشافعى الحافظ . كان واسطة عقد البيت السمعانى . انظر الوفيات وابن كثير (١٢ : ١٧٥) .

(١) البيتان مما لم يرو فى الديوانين .

(٢) التكملة عن النصوص التى أوردت النسب كاملا .

(٣) فى الأصل : « خزيمة » تحريف . انظر تاج العروس (٨ : ٢٢٣ س ٣٩) .

وهو تنوخ — بن أسد بن وَبْرة بن تغلِب[1] بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، التنوخى المعرّى، من أهل معرّة النعمان.

كان حسنَ الشعر، جزلَ الكلام، فصيحَ اللسان، غزيرَ الأدب، عالمًا باللغة، حافظًا لها.

صنّف التصانيف الكبار، وأملاها من حفظه. وكان ضريرًا، عمى فى صباه. وكان يتزهّد ولا يأكل اللحم، ويلبس خشن الثياب.

وصنّف كتبًا فى اللغة. وقيل إنه عارض سورةً[2] من القرآن. وحكى عنه حكايات مختلفة فى اعتقاده، حتى رماه بعض الناس بالإلحاد.

وشعره المعروف بسقط الزند سائر مشهور.

سمع الحديث اليسير وحدّث به. روى عنه أبو القاسم علىّ بن المحسِّن[3] التنوخى القاضى، وأبو الخطاب العلاء بن حزم[4] الأندلسى، وأبو الطاهر محمد بن أحمد بن أبى الصَّقر[5] الأنبارى، وأبو زكريا يحيى بن علىّ الخطيب التبريزى، وجماعة كبيرة سواهم.

وحكى تلميذُه أبو زكريا التبريزى، أنّه كان قاعدًا فى مسجده بمعرّة النُّعمان، بين يديه، يقرأ عليه شيئًا من تصانيفه. قال: وكنت قد أتممتُ عنده سنتين ولم أر أحدًا من بلدى، فدخل مفاجأةً[6] المسجدَ بعضُ جيراننا للصلاة، فرأيته

(١) فى الأصل: «ثعلب» وهو تحريف. وانظر ما سبق ص ٦

(٢) كذا. وفى سائر النصوص: «سورا» بالجمع.

(٣) فى الأصل: «الحسن» تحريف. وقد سبقت ترجمته فى ص ٥.

(٤) فى الأصل: «أبو الخطاب» تحريف، وانظر ترجمته فى ص ٧.

(٥) أبو طاهر ثقة فاضل خير دين. رحل إلى مصر والشام والحجاز، وسمع الكثير وحصل الكتب، ورجع إلى الأنبار، وحدث وانتشرت عنه الرواية، وقد سمع منه الخطيب البغدادى، وروى عنه مصنفاته. وله شعر كثير. توفى بالأنبار سنة ٤٧٦. انظر البداية، وشذرات الذهب.

(٦) المفاجأة: المفاجأة.

وعرفته، وتغيّرتُ من الفرح . فقال أبو العلاء : ما أصابك؟ فحكيت له أنّى رأيت جارًا لى بعد أن لم ألْقَ [أحدا](١) من بلدى منذ سنين . فقال لى : قم وكلّمْه . فقلت له : حتّى أتمم السّبق(٢) . فقال : قم أنا أنتظرك . فقمت وكلّمته بالأذْرَبيجيّة كثيرا ، إلى أنْ سألت عن كلّ ما أردت . فلمّا عُدت وقعدت بين يديه قال لى : أىّ لسانٍ هذا ؟ قلت : هذا لسان أهل أذربيجان . فقال : ما عرفتُ الأسانَ ولا فهمتُه ، غير أنّى حفظتُ ما قلتما . ثمّ أعاد لفظَنا بلفظ ما قلنا . فجعل جارى يتعجّب غاية العجب، ويقول : كيف حَفِظ شيئًا لم يفهمْه ! .

وكانت ولادته فى شهر ربيع الأوّل سنة ٣٦٣ .

ودخل بغداد سنة ٣٩٩ .

ومات يوم الجمعة فى الثالث عشر من ربيع الأوّل سنة ٤٤٩ بمعرّة النّعمان .

* * *

وقال السمعانى فى رسم « المعرّى » :

المعرّى - بفتح الميم والعين المهملة وكسر الراء المشدّدة ، هذه النسبة إلى معرّة النعمان(٣) ، وهى بلدة بالشام، على اثنى عشر فرسخًا من حلب . وذكر أبو النّصر الرّامشىّ أنّ النّسبة الصّحيحة إليها معرّنمىّ، لأنّ ثَمّ معرّتين : معرّة النُّعمان، ومعرّة مَصْرين(٤) .

---

(١) التكملة من نقل الوافى عن السمعانى .

(٢) السبق (بالتحريك) : يراد به الدرس ، وهذه الكلمة لم ترد فى المعاجم بهذا المعنى . وشاعت فى الفارسية بمعنى الدرس نقلا عن العربية . انظر معجم استينجاس (ص ٦٤٩) .

(٣) الرامشى : نسبة إلى رامش (بضم الميم، وآخره شين معجمة) : قرية من أعمال بخارى . وهو محمد بن أحمد بن محمد . ولد سنة ٤٠٤ وكان أبو نصر هذا مقرئا فاضلا، قرأ بمعرة النعمان على أبى العلاء . انظر السمعانى (ص ٤٤٢) والمنتظم فى وفيات ٤٨٩ .

(٤) مصرين (بفتح الميم، وسكون الصاد المهملة وراء، مكسورة) : بليدة وكورة بنواحى حلب ومن أعمالها، بينهما نحو خمسة فراسخ . وفى الأصل : «بسرين» وهو تحريف . انظر تاريخ حلب لابن العديم (١ : ١٧٦) نسخة دار الكتب ناقلا عن السمعانى، وياقوت فى معرة مصرين .

فالنّسبة إلى الأولى مَعَرِّيّ، و إلى الثانيـة مَعَرَّمِصِيّ[1] . غير أنّ أكثر أهلِ العـلم لا يعرف ذلك ، فالمعرّيّ المطلق منسوب إلى معرّة النّعمان ... ...

والمشهور بهـا ... والشّاعر المعروف ، البحر الذى لا ساحل له فى اللّغـة ، أبو العلاء أحمد بن عبـد الله بن سـليمان المعرّيّ ، [المكفوف[2]] البصر ، أعجوبة الزمان ، غير أنه تُكُلِّم فى عقيدته .

توفّى فى شهر ربيع الأوّل سنة ٤٤٩ بالمعرّة .

---

(١) فى الأصل : « معرمسى » .

(٢) زيادة يقتضيها السياق .

من نزهة الألبا
لابن الأنبارى(*)
٥١٣ — ٥٧٧

وأمّا أبو العلاء أحمد بن سليمان التّنوخىّ(١) المعروف بالمعرّى ، لأنّه كان غزير الفضل ، وافر الأدب ، عالمًا باللغة ، حسن الشّعر ، جزل الكلام ، وكان ضريرًا أعمى ، ولم يكن أكمه(٢) ، كما توهّمه من لا علم له .

وصنّف تصانيف كثيرة ، وأشعارًا جمّة ، كسقط الزند ، ولزوم ما لا يلزم ، إلى غير ذلك .

قال أبو القاسم التّنوخىّ : ورد بغداد ، وقرأت عليه شعره .

وذكر أنّه لمّا قدم بغداد [و] دخل على(٣) علىّ بن عيسى الرّبعىّ(٤) ليقرأ عليه شيئا من النّحو ، قال له الرّبعىّ : ليصعد الإصطبل(٥) ، فخرج مغضبا ولم يعُد إليه .

(*) نزهة الألبا ، فى طبقات الأدبا : كتاب فى أعيان الأدباء وأزمانهم وأحوالهم إلى عصر المؤلف . والنص يقع منه فى (ص ٤٢٥ — ٤٢٧) من طبع القاهرة سنة ١٢٩٤ .

(**) هو أبو البركات عبد الرحمن بن أبى الوفاء محمد بن عبيد الله بن أبى سعيد الأنبارى ، الملقب كمال الدين . كان من الأئمة المشار إليهم فى علم النحو . والأنبارى : نسبة إلى الأنبار ، بلدة قديمة على الفرات ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ . انظر الوفيات والبغية والفوات .

(١) كذا فى الأصل بإدراج اسم والده : « عبد الله » .

(٢) الأكمه : من ولد أعمى .

(٣) فى الأصل : « عليه » وهو تحريف . وسترد القصة فى ياقوت ونكت الهميان .

(٤) هو على بن عيسى بن الفرج بن صالح الربعى أبو الحسن الزهرى ، أحد أئمة النحو بين وحذاقهم ، الجيدى النظر ، الدقيق الفهم والقياس . أخذ عن السيرافى والفارسى . وكان يحفظ الكثير من أشعار العرب مما لم يكن غيره يقوم به ، إلا أن جنونه كان يحول دون التمكن من الأخذ عنه . ولد سنة ٣٢٨ وتوفى سنة ٤٢٠ . انظر ياقوت (٥ : ٢٨٣) وبغية الوعاة (ص ٣٤٤) والمنتظم فى وفيات (ص ٤٢٠) .

(٥) الإصطبل ، هو الأعمى بلغة أهل الشام . انظر ياقوت وبغية الدهر (٣ : ١٨٧) وشفاء الغليل ، ونكت الهميان . واللفظ فى الأخير : « الإسطبل » بالسين .

ويروى أنه دخل يوما إلى مجلس المُرتضَى ، فعثَر بإنسان . فقال له : من هذا الكلب ؟ فقال : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسمًا[1] .

وأخذ عنه أبو زكرياء يحيى بن علىّ الخطيب التبريزى .

وذكر أنّ مولد أبى العلاء يوم الجمعة ، مَغِيب الشّمس ، لثلاثٍ بقين من شهر ربيع الأوّل سنة ثلاثٍ وستين وثلاثمائة .

وعَمِى بالجدَرىّ . وجُدِر أوّل سنة سبعٍ وستّين وثلاثمائة ، فغشّى يمنى حدقتيه بياضٌ[2] ، وأذهب اليُسرى .

وقال الشّعر وهو ابن إحدى عشرة سنة ، أو اثنتى عشرة .

ورحل إلى بغداد سنة ثمانٍ وتسعين ، ودخلها سنة تسعٍ وتسعين ، وأقام بها سنة وتسعة أشهر . ولزم منزله بعد منصرَفه[3] من بغداد سنة أربعمائة ، وسمّى نفسه "رَهْن المحبِسين" .

وكان عمره ستًّا وثمانين سنة ، لم يأكل اللّحم منها خمسًا وأربعين سنة .

ويحكى عنه أنّه كان برهميًا ، وأنه وُصف لمريضٍ فَرُّوج[4] ، فقال : استضعفوك فوصفوك !

ويحكى عنه كلمات وأشعار مُوهِمة ، توجب التُّهَمة فى حقّه . والله أعلم .

وتُوُفّى يوم الجمعة لثلاث عشرةَ ليلةً خلت من شهر ربيع الأوّل ، سنة تسعٍ وأربعين وأربعمائة ، فى خلافة القائم بأمر الله تعالى[5] .

(١) انظر « الدرى من معرة المعرّى » للسيوطى من كتابنا هذا .

(٢) فى الأصل : « بياض » .

(٣) فى الأصل : « عند » .

(٤) يروى أن المعرّى هو الذى وصف الطبيب له الفروج فى مرض له . انظر نص ياقوت ص٧٦ .

(٥) هو أبو جعفر عبد الله بن أحمد القادر بالله ابن الأمير إسحاق بن المقتدر العباسى . ولد سنة ٣٩١ وولى الخلافة سنة ٤٢٢ . وتوفى سنة ٤٦٧ .

المنتظم (*)
لابن الجوزى (**)

٥١٠ — ٥٩٧

ذكر من توفّى فى هذه السَّنة من الأكابر :

أحمد بن عبد الله بن سليمان، أبو العلاء التّنوخىّ المعرّىّ .

ولد يومَ الجمعة، عند غروب الشّمس، لثلاثٍ بقين من ربيع الأوّل، سنة ثلاثٍ وستّين وثلاثمائة .

وأصابه الجدرىّ فى سنة سبع، أو أواخر سنة ستّ، فغشّى حدقتيه ببياض، فعمى. وقال الشّعر وهو ابن إحدى عشرة سنة، وله أشعار كثيرة (٢) .

وسمع اللّغة وأملَى فيها كتبًا، وله بها معرفة تامة .

(*) المنتظم فى أخبار الأمم : تاريخ كبير، نهج فيه صاحبه نهج ابن جرير الطبرى، مرتبا ماقبل الهجرة على أبواب، وما بعدها على السنين، وانتهى فيه إلى سنة ٥٧٤، مرتبا الأسماء فى كل سنة على الحروف . وبدار الكتب المصرية نسخة منه فى خمسة عشر مجلدا، مصوّرة من نسخة أيا صوفيا بالآستانة، وهى التى اعتمدناها .

ويقع النص من هذه النسخة فى القسم الأوّل من الجزء السابع ص ١٥٦ — ١٦٠، وقد قابلنا هذا النص أيضا على النسخة التى طبعت من هذا الكتاب فى حيدر أباد سنة ١٣٥٨ . والنص فيها فى الجزء الثامن (ص ١٨٤ — ١٨٨) .

(**) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن عبيد الله، المعروف بابن الجوزى . والجوزى : نسبة إلى محلة بالبصرة تسمى محلة الجوز . قال الحافظ الذهبى : ما علمت أن أحدا من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل . وكان شاعرا واعظا . وله فى الحديث تصانيف كثيرة، منها كتاب الموضوعات . انظر الكامل والوفيات والبداية وشذرات الذهب .

(١) اى سنة تسع وأربعين وأربعمائة .

(٢) فى الأصلين : « فقال » .

ودخل بغداد سنة تسعٍ وتسعين وثلاثمائة، وأقام بها سنة وسبعةَ أشهر، ثمّ عاد إلى وطنه، فلزم منزله، وسمّى نفسه "رهين المحبِسَين" لذلك ولذهاب بصره.

وبقى خمسًا وأربعين سنةً لا يأكل اللّحم ولا البيض ولا اللّبن، ويحرّم إيلام الحيوان، ويقتصر على ما تُنبِت الأرض، ويلبس خشن الثّياب، ويُظهر دوام الصّوم.

ولقيه رجلٌ فقال: لم لا تأكل اللّحم؟ فقال: أرحم الحيوان. قال: فما تقول فى السِّباع التى لا طعام لها إلّا لحوم الحيوان؟ فإن كان الخالق الذى دبّر ذلك فما أنت بأرأف منه؛ وإن كانت الطبائع المُحْدِثة لذلك فما أنتَ بأحذقَ منها، ولا [هى][1] أنقص عملًا منك.

قال المصنّف رحمه الله: وقد كان يمكنه ألّا يذبح رحمةً، فأمّا ما قد ذبحه غيره، فأىُّ رحمةٍ قد بقيت فى تركه أكله!

وكانت أحواله تدلّ على اختلاف عقيدته.

وقد حُكى لنا عن أبى زكريّا أنّه قال: قال لى المعرّى: ما الذى تعتقد؟ — فقلت فى نفسى: اليوم أعرف اعتقاده — فقلت: ما أنا إلّا شاكّ! فقال: هكذا[2] شيخك.

وكان ظاهر أمره يدلّ على أنّه يميل إلى مذهب البراهمة؛ فإنّهم لا يرون ذبح الحيوان، ويجحدون الرُّسل.

وقد رماه جماعةٌ من العلماء بالزّندقة والإلحاد — وذلك أمره[3] ظاهرٌ فى كلامه وأشعاره — وأنّه يردّ على الرسل، ويعيب الشّرائع، ويجحد البعث.

---

(١) تكملة يقتضيها السياق.

(٢) فى الأصلين: «هذا» صوابه ما أثبتنا.

(٣) فى المصوّرة: «أمر».

ونقلتُ من خطّ أبى الوفاء بن عقيل[1] أنّه قال :

من العجائب أنّ المعزّى أظهر ما أظهر من الكفر البارد، الذى لا يبلغ مسه مبلغ شبهات الملحدين، بل قصّر فيه كلّ التقصير، وسقط من عيون الكلّ. ثمّ اعتذر بأنّ لقوله باطناً، وأنّه مسلم فى الباطن. فلا عقل له ولا دين؛ لأنّه تظاهر بالكفر، وزعم أنّه مسلم فى الباطن. وهذا عكس قضايا المنافقين والزنادقة، حيث تظاهروا بالإسلام وأبطنوا الكفر. فهل كان فى بلاد الكفّار حتّى يحتاج إلى أن يبطن الإسلام! فلا أستخف عقلًا ممّن سلك هذه الطريقة التى هى أخسّ من طريقة الزّنادقة والمنافقين — إذ كان المتديّن[2] يطلُبُ نجاة الآخرة لا هلاكها، فى الدّنيا — حين طعن فى الإسلام فى بلاد الإسلام، وأبطن الكفر، وأهلك نفسه فى المعاد، فلا عقل له ولا دين. وهذا ابن الرِّيوندى[3] وأبو حيّان[4]، ما فيهم إلّا من قد انكشف من كلامه سقم فى دينه، يُكثر التّحميد والتّقديس، ويدس فى أثناء ذلك المحن.

قال ابن عقيل :

وما سلم هؤلاء من القتل إلّا لأنّ إيمان الأكثرين ما صفا، بل فى قلوبهم شكوك تختلج، وشكوك[5] تعتلج، مكتومة، إمّا لترجّح الإيمان فى القلوب،

(١) هو على بن عقيل، شيخ الحنابلة ببغداد، كان صاحب مشاركة فى العلوم. ولد سنة ٤٣١. وتوفى سنة ٥١٣. انظر الكامل والمنتظم والبداية فى وفيات ٥١٣.

(٢) فى الأصلين : « إذا ».

(٣) هو أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندى المتكلم، منسوب إلى راوند : قرية من قرى قاسان (بالمهملة). وقد ضبطت فى الأنساب وياقوت والوفيات والبداية بألف بعد الراء. لكن جرى ابن الجوزى، كما جاء فى الأصلين، وفى ترجمته لابن الراوندى فى المنتظم — على أن يرسمه : «الريوندى» بالياء بعد الراء. وقد فرّق ياقوت بين راوند التى هى بناحية قاسان، وريوند التى بناحية نيسابور. أما ابن خلكان بفعل البلدين بألف بعد الراء. ولم يصرح ابن الجوزى بنسبته إلى أحدهما. وفى وفاته خلاف، جعله ابن الجوزى فى وفيات ٢٩٨ والذهبى فى سنة ٣٠٠ وصاحب الشذرات فى ٣٠١. ووهم ابن خلكان بفعل وفاته فى سنة ٢٤٥ أو ٢٥٠.

(٤) كذا فى الأصلين بضمير الجمع.

(٥) كذا فى الأصلين بالتكرار.

أو مخافةِ الإنكار من الجمهور ، فلما نطق ناطق شُبهاتهم أصغَوا إليه . ألا ترى مَنْ صدَق إيمانُه كيف قتــل أباه ! وإذا أردت أن تعلم صحّة ما قلتُ فانظر إلى نفورهم عنــد النَّظرِ فى عقائدهم(١) ، وفى بعض أهوائهم ، أو فى صــورٍ يهوَوْنها(٢) . فإذا ندرتْ نادرة فى الدّين وإن كَبُر وقْعُها(٣) لم يتحرّك منهم نابضة .

قال المصنّف رحمــه الله : وقد رأيت للعنزىّ كتابا سماه "الفصول والغايات" يعارض به السُّــور والآيات . وهو كلامٌ فى نهــاية الرَّكّة والبرودة . فسبحان من أعمى بصره وبصيرته ! وقد ذكره على حروف المعجم فى آخر كلماته .

فمما هو على حرف الألف(٤) : طوبى لركبان النِّعال ، المعتمدين على عصا الطَّلْح ، يُعارِضون الرّكائب فى الهواجر والظلماء . يستغفر لهم نَفْتُ(٥) القمر وضياءُ الشّمس . وهنيئًا لتاركى النُّوق فى غِيطان الفَلا ، يحوم عليها ابن دأية ، ويُطيف بها السِّرحان . وشتّان أولئك ثُرّة(٦) الألبان ، وأُخرَى(٧) لبنُها أفقد من لبن العَظاء .

وكلُّه على هذا [النمط](٨) البارد .

وقد نظرتُ فى كتابه المسمّى "لزوم ما لا يلزم" ، وهو عشرة مجلدات .

---

(١) فى الأصلين : « عند الظفر فى عشائرهم » ووجهه ما أثبتنا .

(٢) بعد هذه الكلمة فى الأصلين : « فانظر إلى ارافة » والظاهر أنها مقحمة .

(٣) فى الأصلين : « كثر » .

(٤) فى الأصلين : « فما » .

(٥) الفخت ، بالفتح : ضوء القمر أوّل ما يبدو . انظر اللسان والقاموس والمخصص (٩ : ٢٦) . وفى الأصلين : « فحة » تحريف ، صوابه ما أثبتنا .

(٦) ثرة : غزيرة . وفى الأصلين : « قوة » محرف .

(٧) العظاء : جمع عظاية ، وهى دويبــة كسام أبرص . وفى الأصلين : « وأجرى » مكان : « وأخرى » و « العطا » بالمهملة ، صوابهما ما أثبتنا . وهــذا الفصل من الفصول التى لم يعثر عليها من كتاب الفصول والغايات .

(٨) بمثل هذه الكلمة يلتئم الكلام .

وحدّثنى ابن ناصر[1] عن أبى زكريّا، عنه بأشعارٍ كثيرة . فمن أشعاره[2] :

إذا كان لا يحظى برزقك عاقلٌ ... وترزُقُ مجنوناً وترزُقُ أحمقا

فلا ذنبَ يا ربَّ السّماءِ على امرئٍ ... رأى منك ما لا يشتهى فتزندقا

ولـه[3] :

وهيهات! البريّةُ فى ضلالٍ ... وقد فطِنَ اللبيبُ لما اعتراها[4]

تقدّمَ صاحبُ التّوراةِ مُوسَى ... وأوقعَ فى الحَسارِ مَنِ افتراها[5]

فقال رجالُه وحىٌ أتاه ... وقال النّاظرون بل افتراها

وما حَجّى إلى أحجارِ بيتٍ ... كؤوسُ الخمرِ تُشرَب فى ذَراها

إذا رجعَ الحليمُ إلى حِجاهُ ... تهاوَنَ بالمذاهبِ وازدراها

ولـه[6] :

هفت الحنيفةُ والنّصارَى، ما اهتدتْ ... ويهودُ حارتْ والمجوسُ مضلّلهْ

اثنانِ أهلُ الأرض: ذو عقلٍ بلا ... دينٍ، وآخر دينُهُ لا عقلَ لهْ

ولـه[7] :

فلا تحسَبْ مَقالَ الرُّسْلِ حقًّا ... ولكنْ قول زورٍ سطّروهُ

وكانَ النّاسُ فى عيشٍ رَغيدٍ ... فجاءوا بالمحالِ فكدّروهُ

---

(١) هو أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن على بن عمر البغدادى السلامى، محدّث العراق . ولد سنة ٤٦٧ . قرأ على أبى زكريا التبريزى وأبى طاهر بن أبى الصقر . وعدّه ابن الجوزى فى المنتظم من شيوخه، كما ذكر فى ترجمته . توفى سنة ٥٥٠ . انظر المنتظم وشذرات الذهب .

(٢) البيتان التاليان مما لم يرو فى الديوانين .

(٣) الأبيات من مقطوعة فى اللزوم (٢ : ٤١٥) .

(٤) فى الأصل : « نظر » وأثبتنا ما فى اللزوم .

(٥) افتراها : تبعها . وفى الأصلين : « افتراها » بالفاء، محرف .

(٦) البيتان من مقطوعة فى اللزوم (٢ : ٢٠١) .

(٧) البيتان : مما لم يرو فى الديوانين .

ولـــه (١) :

إن الشرائـع ألقَتْ بيننا إحَنًـا وأورثَتْنَـا أفانين العـداوات (٢)

وهل أُبيح نساءُ الرُّوم عن عُرُضٍ للعُـرب إلّا بأحكام النُّبُـوّات

ولـــه (٣) :

أفيقـوا أفيقـوا ياغـواة فإنّمـا ديانَاتكُم (٤) مكرٌ من القـدماءِ

ولـــه (٥) :

تَنَاقُصُ ما له (٦) إلّا السّكوت له وأن نعوذ بمولانا من النّارِ

يد بخمس مِئٍ (٧) مِنْ عسجدٍ فُديتْ ما بالُها قُطِعت فى رُبع دينـارِ

ولـــه (٨) :

لا يكتئِب النّـاسُ على ربِّهـم ما حُـرِّكَ العـرشُ ولا زُلـزِلَا

ولـــه (٩) :

ضحِكْنا وكان الضَّحْكُ منا سفاهةً وحُقّ لسكّان البَسيطةِ أن يبكُوا

تحطّمنا الأيّامُ حـتّى كأنّنـا زجاجٌ [ولكن] (١٠) لا يعاد لنَا السَّبكُ

---

(١) البيتان من مقطوعة فى اللزوم (١ : ١٨٥) .

(٢) فى الأصلين : « العدوات » محرف .

(٣) البيت من مقطوعة فى اللزوم (١ : ٦٣) :

(٤) فى الأصل المطبوع بالهند : « ديانتكم » بالإفراد .

(٥) البيتان فى اللزوم (١ : ٣٨٦) .

(٦) رواية اللزوم : « مالنا » .

(٧) مئ ، بميم مكسورة وهمزة منونة : جمع من جموع المائة .

(٨) البيت من مقطوعة فى اللزوم (٢ : ٢٠٣) .

(٩) البيتان فى اللزوم (٢ : ١٤٣) .

(١٠) التكملة من اللزوم .

ولـــه[1] :

كـونٌ يُرَى وفَسادٌ جاء يتْبعُـهُ تبـارَكَ الله ما فى خَلقِـهِ عَبَثُ
وإنْ يُؤذِّنْ بِلالٌ لابنِ آمنـةٍ فبَعـدَه لسَـجاحٍ ما دعا شَـبَثُ

أراد بالبيت الأول المجون، ومعناه : هل هذا إلا عبث! وعنى بالبيت الثانى شَبَث ابن رِبْعِىّ؛ فإنه أذّن لسَجاحِ التى ادّعت النبوّة . وذكر نبيّنا عليه السلام باسم أمّه .

وأراد : إن كان قُدِّر[2] له هذا فقد جرى مثله لامرأةٍ .

وله فى هذا المعنى[3] :

فسـادٌ وكونٌ حادثانِ كلاهُما شهيدٌ بأنَّ الخلقَ صنعُ حكيمِ[4]

وله مثل الذى قبله :

فربُّنا ، جَلَّ ، موصوفٌ برأفتـه[5] فكيف يُمْحَنُ أطفـالٌ بإيلامِ

ولـــه[6] :

أمـــورٌ تستخفُّ بهـا حلومٌ وما يدرِى الفـتَى لِمِنِ الثُّبورُ
كتابُ محمدٍ وكتابُ مـوسَى وإنجيـلُ ابنِ مَريمَ والزَّبـورُ

ولـــه[7] :

قُلْـتُمْ لنـا خالـقٌ قـديمٌ قلنـا صـدقتُمْ كذا نقـولُ[8]

---

(١) البيتان مما لم يرو فى الديوانين .

(٢) فى الهندية : « تدله » وفى المصوّرة : « قدله » وصوابهما ما أثبتنا .

(٣) البيت آخر مقطوعة فى اللزوم (٢ : ٢٩٩) .

(٤) بين الشطرين فى الأصلين عبارة : « وله فى مثل ذلك » .

(٥) فى الأصلين : « يرافه » صوابه ما أثبتنا . والبيت مما لم يرو فى الديوانين .

(٦) البيتان من مقطوعة فى اللزوم (١ : ٣٢٤) .

(٧) الأبيات فى اللزوم (٢ : ١٧٩) .

(٨) فى الهندية : «صدقتم هكذا نقول» وهى رواية . وفى المصوّرة : «قلتم صدقتم كذا ...» محرّف .

زعمتمـوهُ بـلا زمانٍ ولا مكانٍ ألَا فقُـولُـوا
هـذا كلامٌ لـه خبيءٌ معناهُ ليست لنا عُقُولُ

أُنظر إلى حماقةِ هـذا الجاهل ، أنكر أن يكون الخالق موجودا ، لا فى زمانٍ ولا فى مكان ، ونسِىَ أنّه أوجدَهما .

وإنّما ذكرت هذا من أشعاره ليُستدلَّ بها على كفره . فلعَنَه الله !

وذكر أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسِّن الصّابى[1] ، فى تاريخه ، قال : ومن أشعار المعرّى[2] :

صَرْفُ الزّمانِ مفـرِّقُ الإلْفَينِ فاحكُمْ إلَىّ بين ذاكَ وبينِي
أنَهيتَ عن قَتْـلِ النُّفوس تعمُّدًا وبعثْتَ أنت لأهلهـا ملكين[3]
وزعمتَ أنّ لَهَـا معـادًا ثانيًـا ما كان أغناها عن الحالَينِ

مات المعرّى فى ربيع الأوّل ، من هذه السّنة ، بمعرّة النُّعمان ، عن ستّ وثمانين سنة ، إلّا أربعةً وعشرين يوما .

وقد رُوِى لنا أنّه قد أُنشِد على قبره ثمانون مرثيةً ، رثاه بهـا أصحابه ومن قرأ عليه ومال إليه . فقال بعضهم[4] :

إن كنتَ لم تُرِق الدِّماء زَهادةً فلقد أرقتَ اليـومَ مِن جفنِي دَمَا

(١) هو أبو الحسن محمـد بن هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابى ، الملقب بغـرس النعمة . له ذيل على تاريخ والده الذى ذيله على تاريخ ثابت بن سـنان ، وتاريخ ثابت هو ذيل على تاريخ ابن جرير . توفى سنة ٤٨٠

(٢) الأبيات ممـا لم يرو فى الديوانين .

(٣) يروى : « لقتلها » و « لقبضها » .

(٤) هو تلميذه على بن حمـام ، كما سيأتى .

وهؤلاء بين أمرين : إمّا جُهّال بما كان عليه ، وإمّا قليلو الدِّين لا يبالون به .
ومن سَبَر خفيّات الأمور بانت له ، فكيف بهذا الكفر الصريح فى هذه الأشعار !

قال ابن الصابى : ولمّا مات المعرّى رأى بعض النّاس[1] فى منامه كأنّ أفعيين على عاتق رجلٍ ضَريرٍ قد تدلّيا إلى صدره ، ثمّ رفعا رأسيهما ، فهما ينهشان من لحمه وهو يستغيث . فقال : من هذا ؟ فقيل : المعرّى الملحد !

---

(١) هو أبو غالب بن نبهان كما سيأتى فى نص القفطى ص ٦٤ .

إنباه الرواة على أنباه النحاة (*)

للقِفطىّ (**)

٥٦٨ — ٦٤٦

أحمد بن عبد الله بن سليمان، أبو العلاء المعرّى

كتب إلىّ أبو اليُمن زيد بن الحسن بن زيد الكِندىّ (١) رحمه الله، أخبرنا القزّاز (٢)، أخبرنا أحمد بن علىّ (٣) فى كتابه، قال:

أحمد بن عبد الله بن سليمان أبو العلاء التّنوخىّ الشّاعر، من أهل معرّة النّعمان.

(*) إنباه الرواة، على أنباه النحاة، ويسمى أيضا "أخبار النحويين" كما فى معجم الأدباء (٥ : ٤٨٣) و" تاريخ النحاة " كما فى بغية الوعاة. والكتاب فى تسعة مجلدات من نسخة مصوّرة بدار الكتب المصرية محفوظة برقم ٢٥٧٩ تاريخ.

والنص فى القسم الأوّل من الجزء الأوّل ص ٤١ — ٧٧.

(**) هو أبو الحسن على بن يوسف بن إبراهيم الشيبانى القفطى، منسوب إلى "قفط": بلد بالصعيد الأعلى من مصر، وهى اليوم من أعمال مديرية قنا. ولى القضاء والوزارة بحلب، وكان صدرا محتشما جماعا للكتب وله غير هذا الكتاب كتب كثيرة، منها: تاريخ مصر. وتوفى بحلب.

وقد ترجم له ياقوت، وذكر من بين مؤلفاته كتاب "تاريخ النحويين" وهو الكتاب الذى نحن بصدده. وفى هذا دليل على سبق كتاب الإنباه لكتاب معجم الأدباء لياقوت. لهذا قدّمناه عليه فى الترتيب، مع أن وفاة القفطى تأخرت عن وفاة ياقوت بنحو عشرين سنة.

(١) هو زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن الكندى النحوى اللغوى، ينتهى نسبه إلى ذى رعين الأصغر. ويكنى أبا اليمن. ولد ببغداد سنة ٥٢٠، وتوفى سنة ٦١٣ (انظر البغية).

(٢) القزاز هو أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد الشيبانى البغدادى. روى عن أبى جعفر ابن المسلمة والخطيب. وذكره صاحب الشذرات فى شيوخ أبى اليمن زيد بن الحسن الكندى، وترجم له فى وفيات سنة ٥٣٥.

(٣) هو أبو بكر أحمد بن على بن ثابت البغدادى، صاحب تاريخ بغداد. وقد سبقت ترجمته ص ٥ من هذا الكتاب.

كان حسنَ الشعر ، جَزْل الكلام ، فصيحَ اللسان ، غزيرَ الأدب ، عالمًا باللُّغة ، حافظًا لها .

وذكر لى القاضى أبو القاسم التَّنوخىّ ، أنّه ورد بغداذ فى سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، وأنّه قرأ عليه دواوين الشُّعراء ببغداذ .

وقال لى التنوخىّ : هو أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد ابن سليمان بن داود بن المطهَّر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن أنور ابن أسحم بن أرقم بن النُّعمان بن عدىّ[1] بن غطفان بن عمرو بن بَرِيح بن جَذِيمة بن تيم الله بن أسد بن وَبْرة بن تغلب بن حُلوان[2] بن عِمران بن الحاف بن قُضاعة .

أنشدنى القاضى أبو القاسم علىّ بن المُحَسِّن قال : أنشدنا أبو العلاء المعرّى لنفسه يرثى بعض أقاربه[3] :

غيرُ مُجْدٍ فى مِلّتى واعتقادِى ... نَوْحُ باكٍ ولا ترنّم شادِ
وشَبيهُ صوتُ النعىّ إذا قِسْـ ... ـتَ[4] بصوت البشير فى كُلّ نادِ
أبكتْ تلكُمُ الحمامةُ أم غَنّـ ... ـتْ على فَرْع غُصنِها المَيّادِ
صاح هذى قُبورُنا تملأ الرَّحـ ... ـبَ[5] فأين القُبور من عهد عادِ
خفِّف الوَطْءَ ما أظنّ أديمَ الـ ... ـأرض إلّا من هذه الأجسادِ
وقبيحٌ بنا وإن قَدُم العَهْـ ... ـرُ[6] هَوانُ الآباءِ والأجداد

(١) سبق فى ص ٦ : « عبد غطفان » .

(٢) فى الأصل : « ثعلب » . وانظر ما سبق فى ص ٦ من نص تاريخ بغداد .

(٣) انظر الحاشية (رقم ٤ ص ٦) .

(٤) فى السقط : « إذا قيس » .

(٥) فى السقط : « الرحب » .

(٦) فى السقط : « المهد » .

سِرْ إن آستطعتَ فى الهواءِ رُويدًا ... لا آختيالًا على رُفاتِ[1] العبادِ
رُبَّ لحدٍ قد صار لحدًا مِرارًا ... ضاحكٍ من تزاحُمِ الأضدادِ
ودَفينٍ على بقايا دفينٍ ... فى طويلِ الزّمانِ[2] والآبادِ
فآسألِ الفرقدين عمّن أحسّا ... من قَبيلٍ وآنسا مِن بلادِ
كم أقاما على زوالِ نَهارٍ ... وأنارا لمُدْلِجٍ فى سوادِ
تَعَبٌ كلُّها الحياةُ فما أعْـ ... ـجبُ إلّا مِن راغبٍ فى آزديادِ
إنّ حُزنًا فى ساعةِ الموتِ[3] أضعا ... فُ سُرورٍ فى ساعةِ الميلادِ
خُلِق النّاسُ للبقاءِ فضلّت[4] ... أمّةٌ يحسبونهم للنَّفادِ
إنّما يُنْقَلون من دارِ أعما ... لٍ إلى دارِ شِقْوةٍ أو رَشادِ

والقصيدة طويلة .

حدّثنى أبو الخطّاب العلاء بن حَزْم الأندلسىّ قال :

ذكر لى أبو العلاء المعرّىّ أنّه ولد فى يوم الجمعة لثلاثٍ بقين من شهر ربيع الأوّل سنة ثلاثٍ وستّين وثلاثمائة .

وكان أبو العلاء ضريرًا، عمِى فى صباه، وعاد من بغداذ إلى بلده معرّة النعمان، وأقام بها إلى حين وفاته .

وكان يتزهّد ولا يأكل اللحم، ويلبس خشن الثياب .

وصنّف كتابًا فى اللّغة، وعارض سورًا من القرآن .

---

(١) فى الأصل : «رقاب» . وما أثبتنا عن السقط .

(٢) فى السقط : « الأزمان » .

(٣) فى الأصل : « الفوت » والوجه ما أثبتنا من السقط .

(٤) فى الأصل : « فظلت » وهو تحريف .

وحُكِى عنه حكايات مختلفة فى اعتقاده، حتّى رماه بعض النّاس بالإلحاد .

وبلغنا أنّه مات فى يوم الجمعة الثّالثَ عشرَ من شهر ربيع الأوّل، سنة تسعٍ وأربعين وأربعمائة .

انقضى كلام أحمد بن علىّ فى كتابه .

وذكر غيره أنّ أبا العلاء جُدر فى السّنة الثّالثة من عمره، وكُفّ من الجدرىّ، وقال : لا أعرف من الألوان إلّا الأحمر ؛ فإنّى أُلبست فى مرض الجُدرىّ ثوباً مصبوغًا بالعُصْفُر، فأنا لا أعقل غير ذلك ؛ وكلُّ ما أذكره من الألوان فى شعرى ونثرى، إنّما هو تقليد الغير واستعارةٌ منه .

ولمّا كَبِر أبو العلاء، [و] وصل إلى سِنّ الطّلب، أخذ العربيّة عن قومٍ من بلده، كبنى كوثر أو من يجرى مجراهم من أصحاب ابن خالويه وطبقته، وقيّد اللّغة عن أصحاب ابن خالويه أيضا . وطمحت نفسه إلى الاستكثارِ من ذلك، فرحل إلى طرابلس الشام، وكانت بها خزائن كتبٍ قد وقفها ذو و اليسار من أهلها، فاجتاز باللاذِقيّة، ونزل دير الفاروس[1]، وكان به راهبٌ يشدو شيئا من علوم الأوائل، فسمع منه أبو العلاء كلاماً من أوائل[2] أقوال الفلاسفة، حصل له به شكوكٌ لم يكن عنده

(١) لم نجد له ذكرا فى معجم البلدان ولا فى معجم ما استعجم . وجاء فى تقويم البلدان لأبى الفداء (ص ٢٥٧) فى الكلام على اللاذقية : «وبها دير مسكون يعرف بالفاروس حسن البناء» . وفى مسالك الأبصار (١ : ٣٣٦) : «دير الفاروس على جانب اللاذقية من شمالها ، وهو فى أرض مستوية ، وبناؤه مربع ، وهو حسن البقعة» . وأنشد فيه شعرا ، ورسمه بالقاف ، وهو تحريف . وقد رجعنا إلى حضرة المحقق الجليل ، الأب أنستاس مارى الكرملى ، فأجابنا أنه كان قد قيد فى كتاب له سماه «المجموعة الذهبية» فى ص ١٢٢ : «دير الفاروس» بالفاء فى الأول : من ديارات الروم فى بلاد الشام . وقد شيد إكراما للكفن الذى سجى به السيد المسيح بعد موته . والفاروس كلمة يونانية معناها الكفن : Pharos » . وانظر كتاب نخبة الدهر لشمس الدين الدمشقى ص ٢٠٩ ورحلة ابن بطوطة (١ : ٤٧) .

(٢) كذا فى الأصل . ولعلها : «أوابد» .

ما يدفعها به[1]، فعلق بخاطره ما حصل به بعضُ الانحلال. وضاق عَطَنُه عن كتمان ماتحمّله من ذلك، حتّى فاه به فى أوّل عمره، وأودعه أشعاراً له، ثم ارعوى ورجع، واستغفر واعتذر، ووجّه لأقواله وجوهًا احتملها التأويل.

ولم يكن من ذوى الأحوال[2] فى الدّنيا، وإنما خُلق له وقف يشاركه فيه غيرُه من قومه. وكانت له نفسٌ تشرُف عن تحمّل المِنَن، فمشى حاله على قدر الموجود. فاقتضى ذاك خشن الملبوس والمأكل، والزُّهدَ فى ملاذّ الدنيا. وكان الذى يحصل له فى السّنة مقدار ثلاثين دينارا، قَدَر منها لمن يخدمه النّصف، وأبقى النّصف الآخر لمؤونته. فكان أكله العدس إذا أُكل مطبوخا، وحلاوته التّين، ولباسه خشن الثّياب من القطن، وفَرشه من لُبّاد فى الشّتاء، وحصيره من البُرديّ فى الصّيف، وزِيّه ماسوى ذلك.

ولمّا عُورض فى الوقف المذكور بيد بعض نوّاب حلب، سافر إلى العراق شاكيا ذلك، فى سنة تسع وتسعين وثلاثمائة.

واشتهر ذكره ببغداذ، وقرئ عليه كتابه: "سقط الزند"، واجتمع بالشريف الرضىّ والمرتضى، ولدَىْ أبى أحمد، وشهدا بفضله وفطنته وفرط ذكائه.

وحضر خزانة الكتب التى بيد عبد السّلام البَصرىّ[3]، وعرض عليه أسماءها، فلم يستغرب فيها شيئا لم يره بدُور العلم بطرابلس، سوى ديوان "تيم اللات"

---

(١) فى الأصل: «ما يدفعه بها».

(٢) يريد: ذوى الأحوال الحسنة واليسار.

(٣) هو عبد السلام بن الحسين بن محمد البصرى اللغوى، المعروف بالواجكا. ولد سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، سمع من جماعة وحدث ببغداد، وكان صدوقا عالما أديبا قارئا للقرآن عارفا بالقراءات. وكان يتولى النظر ببغداد فى دار الكتب. وانظر كتب التاريخ فى وفيات ٤٠٥.

فاستعاره منه، وخرج عن بغداذ، وقد سها عن إعادته، ولم يذكره حتّى صار بالمعرّة، فأعاده إليه، وفى صحبته القصيدة التائيّة التى أوّلها[1] :

هاتِ الحديثَ عن الزَّوراءِ أوهيتَا ومُوقِدِ النارِ لا تَكْرَى بتَكْرِيتَا

يقول فيها :

اِقْرَ السَّلامَ على عبدِ السَّلامِ فَلِي جِيدٌ إلى نَحوِه ما زال مَلْفوتَا[2]

وذكر فيها "ديوان تيم اللات" فقال :

[سألتُه قبلَ يومِ السَّيرِ مَبْعَثَه إليك ديوان تَيْمِ اللَّات ما لِيتَا][3]

ولمّا عاد إلى المعرّة فى سنة أربعمائة لازم منزله، وشرع فى التّصنيف، وأخذ عنه النّاس، وسار إليه الطَّلبة من الآفاق، وقُدّر له ابنُ أبى هاشم[4]، فكتب عنه تصانيفه من غير أجرة.

وكاتبه العلماء والوزراء والفضلاء وأهل الأقدار، واختاروا عليه التصنيفات ففعل، وكان نادرةَ زمانه.

ولمّا دخل إلى العراق قصد من أكابرها الإعانةَ بجاههم على بلوغ أغراضه، من كَفِّ مَن تَطرّق أذاه إليه فى أمر وَقْفه؛ فلم يجد منهم ذلك.

---

(١) القصيدة فى سقط الزند (٢ : ١١٢).

(٢) فى الأصل : «ما زلت» وإنما الضمير تجيد. ورواية السقط :

أهدى السلام إلى عبد السلام فما يزال قلبى إليه الدهر ملفوتا

(٣) هذه البيت تكملة من السقط.

(٤) هو أبو الحسن على بن عبد الله بن أبى هاشم.

أنبأنا أبو طاهر أحمد بن محمد الأصبهانى[1]، أذِننا[2] إذْنًا عاما، قال فى كتابه : أخبرنا أبو محمد عبد الله[3] بن الوليد بن غريب الإيادىّ، بالإسكندرية — وأبو محمد هذا، على ما حكاه لى، وُلِد بالمعرة، ودخل أصبهان وغيرها من بلاد الشرق، ثمّ آستوطن مصر، وقد حجّ ورأى نفراً من أدباء بلده، وكان يحفظ من شعرهم يسيرا، من جملتهم أبو العلاء التنوخىّ — سمعته يقول :

دخلت على أبى العلاء، وأنا صبىّ، مع عمّى أبى طاهر، نزوره، فرأيته قاعدًا على سَجّادة لِبْد وهو شيخٌ[4]، فدعا لى ومسح على رأسى، وكأنّى أنظر إليه السّاعة، وإلى عينيه، إحداهما نادرة، والأخرى غائرة جدًّا، وهو مجدّر الوجه، نحيف الجسم.

وذَكر لى أحدُ نَقَلةِ العلم مُذاكرة : أن مشايخ الأدب باليمن يذكرون أنّ أبا العلاء كان يحفظ ما يمرّ بسمعه، وكان عنده من الطلبة من يطالع له التصانيف الأدبية، لغةً وشعرا وغير ذلك، وكان لا يكاد ينسى شيئا مما يمرّ بسمعه.

ويذكرون أنّ رجلا منهم وقع إليه كتاب فى اللغة، سقط أوله، وأعجبه جمعه وترتيبه، فكان يحمله معه، ويحجّ، فإذا آجتمع بمن فيه أدبٌ أراه إيّاه، وسأله عن آسمه، وآسم مصنّفه، فلا يجد أحدًا يُخبره بأمره. وآتّفق أن وجد من يعلم حال أبى العلاء، فدلّه عليه. فخرج الرجل بالكتاب إلى الشّام، ووصل إلى المعرّة، وآجتمع

(١) هو أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأصبهانى، المعروف بالحافظ السلفى ولد سنة ٤٧٢ واستوطن الإسكندرية بضعا وسنين سنة. وسلفة (بكسر السين وفتح اللام) : لقب جدّه أحمد. انظر التواريخ فى وفيات ٥٧٦.

(٢) فى الأصل : «أذنا».

(٣) فى الأصل : «أبو محمد لا هذا عبد الله». وظاهر أن قوله : «لا هذا» مقحم.

(٤) نادرة : بارزة ظاهرة.

بأبى العلاء ، وعرّفه ما حالُه ، وأحضر الكتاب ، وهو مقطوع الأوّل . فقال له أبو العلاء : آقرأ منه شيئًا . فقرأه عليه . فقال له أبو العلاء : هـذا الكتاب آسمه كذا ، ومصنّفه فلان ، ثمّ قرا عليه من أوّل الكتاب إلى أنْ وصل إلى ما هو عِند الرّجل ، فنقل عنه النقص ، وأكمل عليه تصحيح النُّسخة ، وآنفصل إلى اليمن ، فأخبر الأدباء بذلك .

وقد قيل إنّ هذا الكتاب هو ديوان الأدب للفارابىّ اللغوىّ . وهو مضبوط على أوزان الأفعال ، ومصنّفه كان يسكن ما وراء النّهر . ويقال إنّه خال الجوهرىّ مصنّف كتاب الصّحاح . وقيل إن الجوهرى خاله ، والأوّل أشبه . والله أعلم .

وقرأت على نسخةٍ من هذا الكتابِ ورَدَتْ مِن تِرمِذ ، بخط خطيب تِرمِذ ، أنّ الفارابىّ مصنّفه مات فى سنة ثمانٍ وتسعين وثلاثمائة .

وأهل اليمن يَهِمون[1] فيه ، ويقولون : مات بعد سنةِ أربعمائة ، ويزعمون أنّه دخل اليمن .

وكأنّهم خلطوا وظنُّوا أن الذى دخل به من عند أبى العلاء هو المُصنّف ، وليس كذلك ، وإنما هو المُصحِّح ، ولم يحقّقوا أمره لغفلتهم .

ولأهل اليمن بهذا [الكتاب][2] عناية تامة : يقرءونه ، وينسخونه ، ويتكلّمون على فوائده ، حتّى شرحه منهم القاضى نَشْوان بن سعيد[3] ، بخاء كتابه فى شرحه كبيرًا حسنا ، كثير الفوائد ، وسمّاه "إعلام العلوم ، وشفاء كلام العرب من الكلوم" .

---

(١) يهمون ، من الوهم ، وهو الغلط والسهو .

(٢) ليست فى الأصل . يراد به كتاب الأدب للفارابى .

(٣) هو أبو سعيد نشوان بن سعيد بن نشوان اليمنى الحميرى ، الفقيه النحوى اللغوى . ومن مؤلفاته شمس العلوم طبع فى ليدن ١٩١٦ ، وتوفى أبو سعيد سنة ٥٧٣ . انظر معجم الأدباء (٧ : ٢٠٦) .

وشاهدت على ظهر جزءٍ من ديوان الأعشى بخط ابن وَداع[1]، وحواشيه بخط أبى عبد الله بن مُقلة، فى شُهورِ سنة تسعٍ وثمانين[2] بقفط : أنّ صالح بن مِرْداس صاحب حلب، خرج إلى المعزة وقد عصى عليه أهلها، فنزل عليها، وشرع فى قتالها، ورماها بالمناجيق[3] . فلما أَحسّ أهلُها التغلّبَ سعوا إلى أبى العلاء، وسألوه الخروج إليــه والشّفاعة فيهم عنده، فخرج متوكّئا على يد قائدٍ له . وقيل لصالح : إن باب المدينةِ قد فُتِح، وخرج منها رجل يُقاد كأنّه أعمى . فقال صالح : هو أبوالعلاء! بطّلوا القتال، إلى أن نرى فى أىِّ أمرٍ جاء . فلما وصل إلى الخيمة أذن له، وأكرمه عند دخوله عليه، وعَرّفه شوقَه إلى نظره . ولمّا استقر بمجلسه قال له : ألك حاجة ؟ فقال له أبو العلاء : الأمير — أطال الله بقاه — كالسّيف القاطع[4]، لان متنه وخشن حَقْباه ؛ وكالنّهارِ المـانع[5]، قاظ وسَطُه وطاب أَبرداه[6] . ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ . فقال له صالح : قد وهبتها لك يا أبا العلاء . ثم قال له صالح : أنشدنا شيئًا من شعرك يا أبا العلاء، لنرويه عنك . فأنشد ارتجالًا فى المجلس[7] :

تَغيّبتُ فى مــترلى بُرهــةً ... سَتِيرَ العُيوب فقِيــدَ الحَسَدْ

فلمّا مضَى العمرُ إلّا الأقلّ ... وحُمّ لرُوحى فِـراقُ الجَسَدْ[8]

---

(١) هو النعمان، ذكره ابن النديم فى الفهرست ص ٥٧ بلفظ : «ابن وداع بن الفضل الأسدى الفرشى» .

(٢) فى نص ياقوت : « سنة خمس وثمانين » .

(٣) كذا فى الأصل . والمسموع فى جمع منجنيق : منجنيقات ومجانيق ومجانق .

(٤) فى الأصل : « وحسن » وما أثبتنا موافق لنص الذهبى الذى صرح بنقله عن القفطى .

(٥) كذا فى الذهبى . ومتع النهار : ارتفع . وفى الأصل : « وكالنهر ... » وهو تحريف .

(٦) الأبردان : الغداة والعشى . وفى الأصل : «بإراده» وهو تحريف .

(٧) المقطوعة من لزوم مالا يلزم (١ : ٣٠٢) .

(٨) حم : قدر . وفى الأصل : «جم» والتصويب من اللزوم .

بُعثتُ شفيعًا إلى صالح وذاك مِن القومِ رأىٌ فَسَدْ
فَيَسمع منّى سَجْع الحَمام وأسمع منه زئير الأَسَدْ
فلا يُعجِبنّى هذا النِّفَاق فكم نَفّقت مِحنةٌ ما كَسَدْ

فقال صالح : بل نحن الذين نسمع مِنّا سجع الحمام ، وأنت الذى نسمع منك زئير الأسد . ثم أمر بخيامه فوُضعت ، و بأثقاله فرُفعت ، ورحل عنها

فرجع أبو العلاء إلى المعرة ، وهو ينشد[1] :

نَجّى المعــرّةَ من بَرَاثِنِ صالحٍ[2] رَبٌّ يُداوى كُلَّ دَاءٍ مُعْضِلِ
ما كان لى فيها جَناحُ بعوضةٍ الله أَلْحَفَهُم جَنـاحَ تَفضُّلِ[3]

ولمّا صنّف أبو العلاء كتاب "اللامع العزيزى" ، فى شرح شعر المتنبى" وقرئ عليه ، أخذ الجماعةُ فى وصفه . فقال أبوالعلاء : رحم الله المتنبى ! كأنما نظر إلىّ بلحظ الغيب ، حيث يقول :

كأنّما نَظر الأعمى إلى أدبِى وأَسمعتْ كلماتى مَن به صَمَمُ[4]

وسمع الجماعةَ يومًا يذكرون بِطّيخ حلب ، فتكلّف وسيّر مَن ابتاع له منه حِملا ، وأحضرهم إيّاه ، فأفردوا له منه عددًا يسيرا ، وتركوه فى سِرداب له كان إذا أراد الأكل نزل إليه وأكل مستترا ، ويقول : الأعمى عورة ، والواجب استتاره فى كلّ أحواله .

---

(١) البيتان من مقطوعة فى اللزوم (٢ : ٢٣٤) .

(٢) فى الأصل : «يد ابن صالح» . والتصويب من اللزوم .

(٣) ألحفهم ، هى فى الأصل : «ألحقهم» بالقاف ، وهو تصحيف . ورواية اللزوم : «ألبسهم» . وبين الرواية هنا وفى اللزوم خلاف . ولحفه وألحفه : غطاه بلحاف . وانظر الحيوان (٤ : ٣٢٨) .

(٤) الرواية المعروفة : «أنا الذى نظر» .

ولما كان بعد أيّام نزل خادمه إلى تفقّدِ المغارة ، [و] وجد البطّيخ بحاله لم يعرِض له وقد فسد، فراجعه فى ذلك فلم يُجبه . واستدلّ الجماعة بذلك على أنّه ما كان يتفكّه . وربّما كان يتناول ما يقوم بالأَودِ من أيسر الموجودات .

وذُكر أنّه نزل إلى السِّرداب ، وأكل شيئا من رُبٍّ[1] أو دِبس ، ونقط على صدرِه منه يسير وهو لا يشعر به . فلما جلس للإقراء لمحه بعض الطلبة فقال : يا سيِّدى، أكلت دِبسا ! فأسرع بيده إلى صدره ومسحه، وقال : نعم، لعن الله النَّهَم ! فاستُحسِن منه سرعةُ فهمه بما على صدره، وأنّه الذى أُشعِر به .

وكان الطّلبة إذا قصدوه أنفقوا على أنفسهم من موجودِهم ، ولم يكن له من السَّعَة ما يَبَرُّهم به . وأهل اليسار من أهل المعرّة يُعرَفون بالبخل ، فكان — رحمه الله — يتأوّه من ذلك، ويعتذِر إلى قاصديه .

ولقد قصده مِن الطلبة رجل أعجمىّ يعرف : الكردانىّ، وكتب عنه فيما كتب "ذكرى حبيب" . فتقدّم أبو العلاء إلى بعض نسبائه[2] بما كتبه له على الكتاب المذكور، وهو :

قال أحمد بن عبد الله بن سليمان التّنوخىّ ، من أهل معرّة النُّعمان : قرأ علىّ هذا الجزء ، وهو الجزء الثانى من الكتاب المعروف بذكرى حبيب، الشّيخُ الفاضل أبو الحسن يحيى بن محمد الرازىّ ، أدام الله عزّه ، من أوّل الجزء إلى آخره ، ووقع الاجتهاد منّى فى تصحيح النُّسخة ، وكان ابتداؤه بقراءته لسبعٍ بقين من شعبان سنة ستّ وأربعين وأربعمائة ، وفرغ من قراءته لثلاثٍ بقين من شهر ربيع الأوّل

(١) الرب (بالضم) : سلافة خثارة كل ثمرة بعد اعتصارها . والدبس (بالكسر) : عسل التمر وعصارته .

(٢) نسباء وأنسباء : جمعان لنسيب .

سنة سبعٍ وأربعين وأربعمائة، وأجزْت لهُ أن يروِيه عنِّى على حسبِ ماقرأه . ويَشهد الله أنّى معتذر إلى هـذا القارئ من تقصـيرى فيما هو علىّ مفترَض من حقوقه ؛ والاعترافُ بالمَعْجَزة ، تمنع من اللائمة المنجزة . وكتب جابرُ بن زيد بن عبد الواحد آبن عبد الله بن سـليمان ، بإذن أحمـد بن عبد الله بن سـليمان المعرّى ، فى المحرّم سنة ثمانٍ وأربعين وأربعمائة .

وأحضرنى بعض البغداديّين بالبلاد الشامية أوراقًا تشتمل على ذكرِ تصانيف أبى العلاء ، وتقاديرِ أكثرِها ، فنقلتها على فصّها . وهى :

بسم الله الرحمن الرحيم

أسماء الكتب التى صنّفها الشيخ أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان ، رحمه الله وعفا عنه .

قال الشيخ أبو العـلاء رضى الله عنـه : لزِمتُ مسكنى منذ[(١)] سـنةِ أربعمائة ، [واجتهدت][(٢)] أن أتوفّر على تسبيح الله وتحميده ، إلا أن أُضطَرّ إلى غير ذلك ، فأمليتُ أشـياءَ تولّى نسخَها الشيخ أبو الحسن على بن عبـد الله بن أبى هاشم ، أحسن الله معونته ، ألزمنى بذلك حقوقًا جمّة ، وأيادى بيضاء[(٣)] ؛ لأنه أفنى [فِىّ][(٤)] زمنه ، ولم يأخذ عما صنع ثمنه ؛ والله يحسن له الجزاء ، ويكفيه حوادث الزمان والأرزاء .

وهى على ضروبٍ مختلفة ، فمنها ما هو فى الزُّهد والعظات ، وتمجيد الله سبحانه ، من المنظوم والمنثور . فمن ذلك : الكتاب المعروف " بالفصول والغايات " وهو كتاب موضـوع على حروف المعجم ما خلا الألف ؛ لأنّ فواصـله مبنيّة على أنّ

(١) فى الأصل : «مدة» والتصحيح من ياقوت والذهبى ، وقد صرح الأخير بنقله عن القفطى .

(٢) التكملة عن الذهبى . وفى ياقوت : « واجتهدت على أن » بإقحام : « على » .

(٣) كذا فى الأصل بالمد .

(٤) فى الأصل : « زمانه » وأثبتنا ما فى الذهبى و ياقوت .

يكون ما قبل الحرف المعتمد فيها ألفا، ومن المحال أن يجمع بين ألفين، ولكن تجىء[(١)] الهمزة وقبلها ألف، مثل : الغطاء وكساء؛ وكذلك السَّراب والشباب، فى البـاء؛ ثمّ على هـذا الترتيب . ولم يعتمد فيـه أن تكون الحـروف التى بُنى عليها مُستوية الإعراب، بل تجىء مختلفة . وفى الكتاب قوافٍ تجىء[(٢)] على نسقٍ واحد[(٣)]، وليست الملقّبة بالغايات . وإنّما سمّيت بغاية البيت، وهى قافيته . وتجيئها على قَرِىٍّ[(٤)] واحد، مثـل أن يقال : لهامها وغلامها، وأمرا وتمرا، وما أشبهه . وفيه فنون كثيرة من هذا النوع . ومقدار هذا الكتاب مائة كراسة .

كتاب أنشىء فى غريب هـذا الكتاب وما فيه من اللُّغَة، وهو كتاب مختصر، لقبه " السادن[(٥)] " . ومقداره عشرون كراسة .

وكتاب آخر لطيف، مقصور على تفسير اللغز، لقبه "إقليد الغايات". ومقداره عشر كراريس .

وكتاب يعرف " بالآيك والغصون " . وهو كتاب كبير يعـرف بكتاب الهمـز والرَّدف، بُنِى على إحدى عشرة حالة من الحـالات : الهمزة فى حال انفـرادها وإضافتها، وتمثال ذلك : السماءُ، بالرفع، والسماءَ، بالنصب، والسماءِ، بالخفض، سماء، يتبع الهمزة التنوين، سماؤه[(٦)]، مرفوع مضاف، سماءه، منصوب مضاف، سمائه،

(١) فى الأصل : «يجتمع» .

(٢) فى الأصل : «بغايات» والوجه الإفراد .

(٣) فى الأصل : « قافية » .

(٤) القرى (بفتح القاف وتشديد الياء، وكذا القرى، بالكسر) : الطريقة والنسق .

(٥) السادن (بالسين المهملة، وآخره النون) : الخادم . وللعرى فى نحو هـذه التسمية كتابه : «خادم الرسائل» . وفى الأصل هنا : «السادر» . وفى الذهبى : «الشادن» . وفى ياقوت : «الشاذن» وفى كشف الظنون (٢ : ١٩٧) : « السادر » . والصواب ما أثبتنا .

(٦) فى الأصل : « سماء » .

مجرور مضاف ؛ ثم سماؤها [وسماءها](١) وسمائها ، على التأنيث ؛ ثم همزة بعدها هاء ساكنة(٢) ، مثل : عباءه وملاءه . فإذا ضربت أحد عشر فى حروف المعجم الثمانية والعشرين خرج من ذلك [ثلاثمائة فصل وثمانية فصول](٣) . وهى مستوفاة فى كتاب الهمز والردف . وذكرت فيه الأرداف الأربعة بعد ذكر الألف ، وهى الواو المضموم ما قبلها ، والواو التى قبلها فتحة ، والياء المكسور ما قبلها ، والياء التى قبلها فتحة . ويذكر لكلّ جنس(٤) من هذا أحد عشر وجها ، كما ذكر للألف(٥) . ويكون مقدار هذا الكتاب ألفا ومائتى كراسة .

والكتاب المعروف : " الفصول(٦) " . ومقدار هذا الكتاب أربعمائة كراسة .

والكتاب المعروف بـ"تاج الحُرّة" . وهو فى عظات النّساء خاصّة ، وتختلف فصوله . ويكون مقدار هذا الكتاب أربعمائة كراسة .

وكتاب يعرف بـ"سيف الخُطب"(٧) المشتمل على الخطب الست(٨) . وفيه : خطب الجمع ، والعيدين ، والخسوف ، والكسوف ، والاستسقاء ، وعَقْد النكاح . وهى

---

(١) التكملة من معجم الأدباء .

(٢) فى الأصل : « ثم همز بعدها ساكنة » وتصحيحه من ياقوت .

(٣) التكملة من ياقوت .

(٤) فى الأصل : « خبر » صوابه فى ياقوت .

(٥) فى الأصل : « الألف » .

(٦) كذا فى الأصل . وعند الذهبى : « كتاب مختلف الفصول » وعبارة ياقوت : « والكتاب المعروف بتضمين الآى وهو كتاب مختلف الفصول » .

(٧) عند الذهبى : « كتاب الخطب » . وعند ياقوت : « سيف الخطبة » . وفى الكشف : « سيف الخطيب » .

(٨) فى الأصل : « الستة » .

مؤلفة على حروف من حروف المعجم، وفيها خطب عِمادها الهمزة، وخطب بُنيت على الباء، وخطب على التاء، والدال، وعلى الزاى، وعلى اللام، والميم، والنون، وتركت[1] الجيم والحاء وما جرى مجراهما؛ لأن الكلام المقول فى الجماعات ينبغى أن يكون سجيحا[2] سهلا. مقداره أربعون كراسة.

وكتاب تسميته: "خطب الخيل"[3]. يتكلم [فيه] على ألسنتها. مقداره عشر كراريس.

وكتاب يعرف بـ"خطبة الفصيح"[4]. يتكلم فيه على أبواب الفصيح. مقداره خمس عشرة كراسة.

وكتاب يشرح فيه ما جاء فى هذا الكتاب من الغريب، يعرف بـ"تفسير خطبة الفصيح".

وكتاب يعرف بـ"ترسيل الراموز"[5]. مقداره ثلاثون كراسة.

وكتاب يعرف بـ"لزوم مالا يلزم". وهو فى المنظوم، بنى على حروف المعجم، ويذكر كل حرف سوى الألف بوجوهه الأربعة، وهى الضم، والفتح، والكسر، والوقف. ومعنى لزوم ما لا يلزم أن القافية يردد فيها حرف[6] لو غُيِّر لم يكن ذلك مُخِلًّا بالنظم، كما قال كُثَيِّر:

(١) فى الأصل: «وتركيب»، والتصويب عن ياقوت.

(٢) السجيح: السهل اللين. وفى الأصل: «سجسجا» وهو تحريف.

(٣) ليست فى الأصل.

(٤) وقد عارض هذا الكتاب الحافظ أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعى بكتاب له سماه: «جهد الفصيح وحظ المنيح، من مساجلة أبى العلاء المعرى فى خطبة الفصيح»، ومنه نسخة ضمن مجموع خطى برقم ٤٧٩٩ بمكتبة جامع الزيتونة بتونس. وقد أثبتنا اسم الكتاب بعد معاينة هذه النسخة. وانظر نفح الطيب (٢: ٧٩٦) فقد تصرف فى التسمية.

(٥) الراموز: البحر. ورسيله: ماؤه العذب. وفى ياقوت: «رسل». وفى تأويله عسر.

(٦) فى الأصل: «حرفا».

خَليلىّ هذا رَبْعُ عَزَّةَ فاعقِلا فَلُوصيكما[1] ثمّ انزلا حيثُ حلّتِ

فلزم اللام قبل التاء، وذلك لا يلزمه . ولم يفعل كما فعل الشَّنْفَرَى فى قصيدته على التاء ؛ لأنه لم يلتزم قبلها حرفًا واحدا، ولكنّه خالف بين الحروف التى قبل الروىّ، فقال :

أرى أمَّ عمرٍو أزمعتْ فاستقلّتِ وما وَدّعت جيرانَها يوم وَلّتِ

وقال فيها :

بِرَيْحانةٍ مِن نَبتِ حَلْيةَ نَوّرتْ لها أَرَجٌ[2] مِن حوله غير مُسْنِتِ

وقال فيها :

لها وَفْضةٌ فيها ثلاثونَ سَيْحَفًا إذا آنَست أُولى العِدَىّ[3] اقشعرّتِ

مقدار هذا الكتاب أربعة أجزاء، مائة وعشرون[4] كرّاسة .

وكتاب فيما يتعلّق بهذا الكتاب اسمه : "زجر النّابح"[5]. مقداره أربعون كرّاسة.

وكتاب يتعلّق به أيضا، تسميته : "نجر الزجر"[6] ، مقداره كذا .

وكتاب يعرف بـ"راحة اللزوم" ، يشرح فيه ما فى كتاب لزوم ما لا يلزم من الغريب[7] . مقداره مائة كراسة .

---

(١) القلوص : الفتية الشابة من الإبل . وفى الأصل : «فأوصيكما» . صوابه من الأمالى (٢ : ١٠٧) .

(٢) حلية : واد بتهامة . ومسنت : مجدب . وفى الأصل : « حلبة » بالباء الموحدة ، و : «مسبت» بالباء بدل النون ، وكلاهما تحريف ، والتصويب من المفضليات .

(٣) الوفضة : جعبة السهام . والسيحف : السهم العريض النصل . وآنست : أحست . والعدى : جماعة القوم يعدون راجلين للقتال ، لا واحد له من لفظه . واقشعرت : تهيأت للقتال .

(٤) فى الأصل : « وعشرين » . وفى ياقوت : « ثلاثة أجزاء أو أربعمائة وعشرون كراسة » .

(٥) النجر (بفتح النون وسكون الجيم) : الأصل . كما نص على ذلك ابن النديم فقيد به اسم الكتاب كما أثبتنا فى الأصل ، وكما هو عند الذهبى . لكن فى معجم ياقوت : « بحر الزجر » وهو تصحيف .

(٦) وردت هذه الكلمة بالأصل . وقد تكون إشارة للانبهام كتبها بعض النساخ، أو أريد بها أنه أربعون كراسة كسابقه . لكن عبارة ابن النديم : «مقداره ثلاثون كراسة» .

(٧) فى الأصل : « العربية » ولا وجه له . ونص ياقوت : « ويشرح فيه ما فى كتاب لزوم ما لا يلزم من الغريب » .

كتاب لطيف يعرف بـ"مُلَقَ السبيل"[1] . مقداره أربع كراريس .

وكتاب آخر يعرف بـ"خُماسية الرّاح" فى ذمّ الخمر خاصة . ومعنى هذا الوسم أنّه بُنِى على حروف المعجم ، فـذكر لكلّ حرف يمكن حركتُـه خمس سجماتٍ مضمومات ، وخمس مفتوحات ، وخمس مكسورات ، وخمس موقوفات . يكون مقداره عشر كراريس .

وكتاب لطيف يعـرف بـ"مواعظ الستّ"[2] . ومعنى هذا اللّقب أنّ الفصل الأوّل منه فى خطاب رجلٍ ، والثانى فى خطاب آثنين ، والثالث فى خطاب جماعة ، والرابع فى خطاب آمرأة ، والخامس فى خطاب آمرأتين ، والسّادس فى خطاب نِسوة . مقداره خمس عشرة كراسة .

كتاب يعرف بـ"وقفة الواعظ" .

كتاب يعرف بـ"نَظْم السّور"[3] . مقداره ستّ كراريس .

وكتاب يعرف بـ"الحلّى والحلى" . عُمِل لرجل من أهل حلب يعرف بأبى الفتح ابن الحلّى[4] . مقداره عشرون كراسة .

---

(١) لأبى الربيع الكلاعى كتاب : « منابذة الأمل الطويل ، بطريقة المعرى فى ملق السبيل » . انظر تتمة الطيب (٢ : ٧٦٩) . وفى مكتبة جامع الزيتونة معارضة أخرى للحافظ الكبير محمد بن الأبار القضاعى ، سماها : « مقاهرة المسعى الجميل ، ومحاذرة المرعى الوبيل ، فى معارضة ملق السبيل » وهى برقم ٤٧٩٩ وضبطت فيها كلمة : « ملق » بضم ميم وفتح اللام وتشديد القاف المفتوحة . وفى مكتبة الأسكوريال برقم ٥١٩ معارضة ثالثة لذى الوزارتين محمد بن مسعود بن أبى الخصال الغافق .

(٢) كذا . لكن فى ياقوت وابن العديم : «المواعظ الست» .

(٣) فى الأصل : « بنظام السور » تحريف . والصواب ما أثبتنا من ياقوت وابن العديم . وقد قيد الأخير هذه التسمية بتعليل . انظره فى مكانه

(٤) هو أبو الفتح عبد الله بن إسماعيل الحلبى الحلى ، بكسر الجيم وتشديد اللام المكسورة . ذكره الذهبى فى المشتبه ، وابن العديم فى كتابه الإنصاف والتحرى

كتاب يعرف بـ"سجع الحمائم" . مقداره ثلاثون كراسة .

كتاب يعرف بـ"جامع الأوزان الخمسة"[1] التى ذكرها الخليل بجميع ضروبها ، ويذكر فيه قوافى كلّ ضرب . مثال ذلك أن يقال : للضّرب الأول من الطّويل أربع قواف : المطلقة المجرّدة، مثل قول القائل[2] :

ألا يا آسلمي يا هند هندَ بنى بَدْرِ وإن كان حَيّانا عِدًى آخرَ الدهرِ

والقافية المردَفة، مثل قول آمرئ القيس :

* ألا آنعم صباحًا أيُّها الطّلَلُ البالِي *

والمقيَّدة المجرّدة، ذلك مفقودٌ فى الشعر القديم والمحدَث، وإنّما جاء به المحدَثون على النّحو الذى يسمّى مقصورا، كما قال آبن عبد القدوس[3]، وهو فى السِّجن :

إلى اللهِ أشكُو إنّه موضِع الشّكوَى وفى يدِهِ كشفُ المصيبةِ والبلوَى
خرجْنا من الدُّنيا ونحنُ منَ آهلِها فما نحن بالأحياءِ فيها ولا الموتى
إذا ما أتانا زائرٌ متفقّدٌ فرِحْنا وقلنا جاء هذا مِن الدُّنيا
ويُعجِبنا الرُّؤيا بقُلَّ حديثنا إذا نحن أصبحنا الحديثُ عن الرُّؤيا
فإن حَسُنَتْ لم تأتِ عَجْلَى وأبطأتْ وإن قَبُحتْ لم تحتبس وأتت عَجْلَى

ثمّ [القافية المقيدة المؤسسة، مثل أن][4] يكون العادل والقائل، وذلك مرفوض متروك . [ثم][4] على هذا النحو إلى آخر الكتاب . ومقدار هذا الكتاب ستّون كراسة . وتكون عدد أبياتِ الشعر المنظومةِ نحوًا من تسعة آلاف بيت .

---

(١) فى (ص ٤٩) ونص ياقوت وكشف الظنون : « جامع الاوزان » . وفى الذهبى : « جامع الأوزان والقوافى » .

(٢) هو الأخطل . انظر اللسان (١٩ : ٢٦٢) .

(٣) فى رسالة الغفران ص ١٤٢ وكذا فى مقدمة اللزوم : أنّ الشعر الآتى لرجل من ولد صالح بن عبد القدوس . وقد روى ياقوت الأبيات منسوبة لصالح، مع خلاف فى الرواية .

(٤) التكملة من ياقوت وابن العديم .

كتاب لطيف يشتمل على شيءٍ نُظِم قديمًا فى أوّل العمر يعرف بـ"سقط الزند". مقداره خمس عشرة كراسة ، تزيد الأبيات المنظومة فيه عن ثلاثة آلاف بيت .

وكتاب فيه تفسير ماجاء فى هذا النظم[من](١) الغريب ، يعرف بـ"ضوء السّقط". مقداره عشرون كراسة .

وكتاب يعرف بـ"رسالة الصاهل والشّاجّ"(٢). يتكلّم فيه على لسان فرسٍ و بغل. مقداره أربعون كراسة .

وكتاب لطيف فى تفسير المقدّم ذكره بالصّاهل والشّاجّ يعرف بـ"لسان الصاهل والشّاجّ" . وكان الذى عُمِل له هذا الكتاب يدعى عزيز الدّولة(٣) .

وكتاب يعرف بـ"القائف" على معنى كليلة ودمنة، ألّفت منه أربعة أجزاء، ثمّ انقطع تأليفه بموت من أمر بعمله ، وهو عزيز الدولة المقدّم ذكره . ومقدار هذا الكتاب ستون كراسة .

وكتاب يعرف بـ"منار القائف" فى تفسير ما جاء فيه من اللّغز والغريب . مقداره عشر كراريس .

كتاب يعرف بـ"السّجع السّلطانى" . يشتمل على مخاطبات الحنود والوزراء وغيرهم من الولاة . ومقداره ثمانون كراسة .

كتاب يعرف بـ"سجع الفقيه" . ومقداره ثلاثون كراسة .

---

(١) ليست فى الأصل .

(٢) صنع بعض الأندلسيين، وهو الوزير أبو القاسم بن عبد الغفور، رسالة سماها « الساجعة » حذا فيها حذو أبى العلاء فى الصاهل والشاجّ . انظر نفح الطيب (٢ : ٣٧٢) .

(٣) هو أبو شجاع فاتك بن عبد الله الرومى، كان واليا على حلب من قبل المصريين فى أيام الحاكم وبعض أيام الظاهر . وقد قتل فى سنة ٤١٣، كما ذكر ابن العديم فى الإنصاف .

كتاب يعرف بـ"سجع المضطرّين" . وهو كتاب لطيفٌ عمل لرجلٍ تاجر يستعين به على شؤون دنياه .

كتاب يعرف بـ"رسائل المعونة" .

كتاب يعرف بـ"ذكرى حبيب" تفسير شعر أبى تمام حبيب بن أوس[1] الطائىّ . مقداره ستّون كرّاسة .

كتاب يتّصل بشعر البحترىّ ، يعرف بـ"عبث الوليد" . وكان سبب إنشائه أنّ بعض الرؤساء[2] أنفذ نسخةً ليقابل له بها ، فأثبت ماجرى من الغلط ؛ ليعرض ذلك عليه . مقداره عشرون كرّاسة .

كتاب يعرف بـ"الرياشىّ المصطنعىّ"[3] فى شرح مواضع من الحماسة الرياشيّة .

عمل لرجل يلقب بمصطنع الدولة[4] . مقداره أربعون كرّاسة .

كتاب يعرف بـ"تغليق الخلس"[5] مما يتّصل بكتاب أبى القاسم الزجاجى عبدالرحمن ابن إسحاق ، المعروف "بالجمل" .

كتاب يتعلّق بهذا الكتاب أيضا يعرف بـ"إسعاف الصديق" .

كتاب يتّصل بالكتاب المعروف "بالكافى" الذى ألّفه أبو جعفر أحمد بن محمد النحّاس ، ولقبه "قاضى الحقّ" .

---

(١) فى الأصل : « أبى تمام بن أوس بن حبيب » تحريف .

(٢) هو أبو اليمن المسلم بن الحسن بن غياث الكاتب الحلبى النصرانى ، . كان صاحب الديوان بحلب . كما فى الإنصاف والتحرّى .

(٣) الرياشى : نسبة إلى أبى رياش شارح حماسة أبى تمام . وفى الأصل وكذا فى ياقوت والذهبى : « الرياش » وأثبتنا ما فى الوافى بالوفيات والإنصاف والتحرّى .

(٤) هو أبو غالب كليب بن على .

(٥) فى ياقوت : « تعليق الجليس » بالعين المهملة .

كتاب يعرف بـ"الحقير النافع" فى النّحو . مقداره خمس كراريس .

كتاب يتّصل به يعرف "بالظّل الظّاهرىّ" . عمل لرجلٍ يكنَى أبا طاهر، من أهل حلب .

كتاب يتّصل بكتاب محمد بن سعدان[(١)] ، لقبه "المختصر الفتحى"[(٢)] . عمل لولد كاتبِه أبى الفتح محمد بن علىّ بن أبى هاشم .

كتاب[(٣)] يعرف "باللامع العزيزىّ" فى شرح غريب شعر أبى الطيب أحمد بن الحسين المتنبى . عمل للأمير عزيز الدولة أبى الدوام ثابت[(٤)] [بن][(٥)] الأمير تاج الأمراء معزّ الدولة أبى العلوان ثمال بن نصر بن صالح بن مرداس[(٦)] . مقداره مائة وعشرون كرّاسة .

كتاب فى العظة والزّهد والاستغفار ، يعرف بكتاب "استغفر واستغفرى" منظوم . مقداره مائة وعشرون كرّاسة ، يشتمل على نحو من عشرة آلاف بيت .

كتاب "ديوان الرّسائل" وهو ثلاثة أقسام : الأوّل رسائلُ طِوالٌ تجرى مجرى الكتب المصنّفة ، مثل "رسالة الملائكة" ، و"الرّسالة السّندية" ، و"رسالة الغفران" ، و"رسالة الغَرْض"[(٧)] ونحو ذلك . والثّانى دون هذه فى الطول مثل "رسالة المنيح"

(١) هو محمد بن سعدان الضرير الكوفى النحوى ، ولد سنة ١٦١ . وكان ذا علم بالعربية ، وصنف كتبا فى النحو ، وآخر فى القراءات . توفى سنة ٢٣١ . انظر ياقوت والبغية .

(٢) فى الأصل : « الفصيحى » .

(٣) فى الأصل : «كتاب الفتحى » وكلمة : « الفتحى » مقحمة ، كما هو ظاهر .

(٤) فى الأصل : « نائب » وصوابه من ياقوت والإنصاف والتحرّى . ويسمى كتاب اللامع العزيزى أيضا : « الثابتى العزيزى » كما نص عليه ابن العديم .

(٥) ليست فى الأصل ، وبها يستقيم الكلام .

(٦) انظر كتب التاريخ فى وفيات ٤٥٤ .

(٧) كذا وردت فى الأصل بالغين المفتوحة والراء الساكنة . وفى ياقوت : « الفرض » بالفاء ، وفى كشف الظنون : « العروض » .

و"رسالة الإغريض". والثّالث رسائل قِصار، كنحو مايجرى به العادة فى المكاتبة. ومقداره ثمانمائة كراسة .

كتاب يعرف بـ"خادم الرسائل" . فيه تفسير بعض ما جاء فيها من الغريب .

دعاء يعرف بـ"دعاء ساعة" .

"دعاء الأيّام السّبعة" .

"رسالة على لسان ملَك الموت" .

كتاب جمع فيه بعض فضائل علىّ عليه السلام[1] .

رسالة تعرف بـ"أدب العصفورين"[2] .

كتاب لطيف يعرف بـ"السجعات العشر"، موضوع على كلّ حرف من حروف المعجم عشر سجعاتٍ فى الوعظ .

كتاب يعرف بـ"عون الجُمَل" فى شرح شىءٍ من كتاب الجمل . شرحه لمحمد ابن علىّ بن أبى هاشم، وهو آخر شىء أملاه .

كتاب يعرف بـ"شرف السيف" . عمل لأمير الجيوش[3] . مقداره عشرون كتراسة .

كتاب يشرح فيه كتاب سيبويه، غير كامل . مقداره خمسون كتراسة .

ومن الأمالى التى لم تتمّ، ولم يفرد لها آسم، ما مقداره مائة كراسة .

فذلك الجميع خمسة وخمسون مصنّفا . العدد بتقريب، سوى ما لم يذكره، أربعة آلاف ومائة وعشرون كراسة .

---

(١) فى الذهبى : « كتاب مناقب على رضى الله عنه » .

(٢) فى الذهبى : « رسالة العصفورين » .

(٣) هو أنوشتكين الدزبرى أبو منصور التركى . ولى دمشق للظاهر خليفه مصر سنة ٤١٩ ولم يزل إلى أن وقع بينه وبين كبار الجيش فتن، فهرب منها إلى حلب، وبقى فيها ثلاثة أشهر . ومات فى سنة ٤٣٣ . انظر ابن الأثير وعيون التواريخ وغيرهما فى وفيات هذه السنة .

قلت : وأكثر كتب أبى العلاء هذه عُدمت ، وإنّما يوجد منها ما خرج عن المعرّة قبل هجم[1] الكفار عليها ، وقَتْلِ من قُتِل من أهلها ، ونَهْب ما وُجد لهم .

فأمّا الكتب الكبار التى لم تخرج عن المعرّة فعُدمت ، وإن وُجد شىء منها فإنّما يوجد البعض من كلّ كتاب .

فمن ذلك كتاب "الأيك والغصون" . ولم أجد أحدًا يقول رأيته ، ولا رأيت شيئًا منه ، إلى أن نظرت فى فهرست وقف نظام الملك الحسن بن إسحاق الطُّوسىّ ، الذى وقفه ببغداذ ، فرأيت فيه من كتاب الأيك والغصون ثلاثة وستّين مجلدا . وأما "إسعاف الصّديق" و "قاضى الحق" فإنّى رأيت أجزاء من "الإسعاف" من تجزئةٍ ما ، أرانيها أحد بنى حرب الحلبيّين ، ومن "قاضى الحقّ" من تجزئة سبعة مجلّدات ، أرانيها المذكور . ثمّ سألت عنها بعد مدّة ، فذكر أنّها أحرقت فى مقام إبراهيم عند ما احترق ، فذهبت ، ولم أر بعدها من الكتابين سواها .

فأمّا الذى رأيتُه أنا من كتبه فهو ما أنا ذاكره :

لزوم مالا يلزم ، وزجر النابح ، ومُلقى السبيل ، وحُماسية الزاح فى ذم الزاح ، هو الذى ذكره ابن الخطيب [أبى][2] هاشم ، وهو حُمَاسِيّة الراح . كتاب جامع الأوزان . سقط الزّند . الصّاهل والشاحج . لسان الصاهل والشاحج ، ذاكرنى به ولد أبى هاشم خطيب حلب ، وذكر أنه عنده . كتاب القائف . كتاب السجع السُّلطانى . كتاب سجع الفقيه . ذكرى حبيب . عبث الوليد . الرياشى[3] المصطنعىّ . إسعاف الصّديق .

(١) كذا فى الأصل والذهبى . والمعروف "هجوم" .
(٢) تكملة .
(٣) فى الأصل : « الرياش » وانظر ما سبق ص ٤٦ .

قاضى الحق . الحقير النّافع . الظل الظّاهرىّ . اللامع العزيزىّ . استغفر وآستغفرى . كتاب فى الرسائل يعرف بـ"السّجع السُّلطانى"[1] . رسالة الغفران . رسالة التّعزية إلى بعض الحلبيّين فى ولدٍ له مات . الرسالة السَّنَدِيّة . رسالة الملائكة . رسالة المنيح . رسالة الإغريض . كتاب السّادن . كتاب الإقليد .

ورأيت فى أوراقٍ منقولةٍ عن المعرّيين أنّه مات، سامحه الله ، فى يوم الجمعة لليلتين خلَتَا من شهر ربيع الأوّل من سنة تسعٍ وأربعين وأربعمائة .

كتب إلىّ أبو الضياء شهاب بن محمد بن منصور المَرْوَزىّ الشيبانى رحمه الله، من خُراسان، أخبرنا عبد الكريم[2] بن محمد بن منصور المروزىّ، رحمه الله، فى كتابه بقراءة أبى النصر الفامىّ عليه ونحن نسمع، أنشدنا أحمد بن المبارك بن عبد العزيز الأرجىّ من لفظه إملاء ، أنشدنى أبو زكريا يحيى بن علىّ الخطيب الشّيبانى ، أنشدنى أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرّىّ[3]، لنفسه، بمعرّة النعمان، من شعره :

مِنكِ الصُّدودُ ومنّى بالصُّدود رِضَا ... مَن ذا علىّ بهذا فى هواكِ قَضَى

بى منكِ ما لو غدا بالشّمس ما طلعَتْ ... مِن الكآبة أو بالبرق ما ومَضَا

جرّبتُ دهرى وأهليه فما تركَتْ ... لى التجاربُ فى ودّ آمرئٍ غَرَضَا

وقد غَرِضْتُ من الدُّنيا فهل زمَنى ... مُعطى حياتى لغِرٍّ بعدُ ما غرِضَا

إذا الفتى ذمّ عيشًا فى شبيبته ... فما يقول إذا عصرُ الشّباب مَضَى

وقد تعوّضْتُ عن كلّ بمشيبه ... فما وجدْتُ لأيّام الصّبا عِوَضَا

---

(١) تكرار لما سبق آنفا ص ٤٩ .

(٢) فى الأصل : « عنه الكريم » تحريف .

(٣) فى سقط الزند (١ : ١٣٧) .

أنبأنا الشيبانى[1] قال : أخبرنا المروزىّ، أنشدنى أبو العثمان المبارك بن أحمد بن عبد العزيز الأنصارى إملاءً من حفظه، أنشدنا أبو زكريا يحيى بن على الشّيبانىّ التّبريزى ، أنشدنا أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرّى[2] لنفسه :

وصفراءَ لون التِّبرِ مثلى جَليدة ... على نُوبِ الأيّامِ والعيشةِ الضَّنكِ
تُريك ابتساماً دائماً وتجلُّدا ... وصبراً على ما نابها وهى فى الهُلْكِ
ولو نطقَتْ يوماً لقالت أظنُّكم ... تخالُون أنِّى من حِذارِ الرَّدَى أبكِى
فلا تحسبوا دمعِى لوجدٍ وجدتُه[3] ... فقد تدمع الأحْداقُ من كَثرة الضَّحْكِ

شاهدت على نسخةٍ من كتاب " إصلاح المنطق " يقرب أن يكون بخطّ المعرّيين ، أنّ الخطيب أبا زكريا يحيى بن علىّ بن الخطيب التّبريزى ، قرأه على أبى العلاء، وطالبه بسنده متّصلا، فقال له : إن أردتَ الدِّراية[4] فخذْ عنّى ولا تتعدّ، وإن قصدت الرِّواية فعليك بما عند غيرى .

وهذا القول من أبى العلاء يُشعِر أنّه قد وجد من نفسه قوّةً على تصحيح اللّغة، كما وجدها ابن السكّيت مصنّف الإصلاح، وربما أحسّ من نفسه أوفر من ذلك؛ لأنّ ابن السكيت لم يصادف اللغة منقّحة مؤلّفة، قد تداولَهَا العلماء قبله ، وصنّفوا فيها وأكثروا، كما وجدها أبو العلاء فى زمانه .

وقد روى أبو العلاء ، ولم يكن مُكْثِرا . وذلك أنّى شاهدتُ بخطّ ابن كهبار الفارسىّ، صاحب الخطيب أبى زكريا التبريزىّ، والآخذ عنه، وكان ذكيّا فاضلاً محقّقا لما ينقُله، حاكيًا عن صاحبه فى تصنيفه لتهذيب غريب الحديث لأبى عُبَيد:

(١) يريد أبا الضياء شهاب بن محمد المتقدّم .
(٢) انظر سقط الزند (٢ : ١٣٦) .
(٣) فى الأصل : « وجدى » ووجهه ما أثبتنا من السقط .
(٤) فى الأصل : « الرواية » براء وواو، وهو تحريف

قال الخطيب التبريزى : وكنتُ قرأتُ هذا الكتابَ، سنة خمس وأربعين وأربعمائة، على أبى العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخىّ، المعرّىّ قال : قرأ علينا سنة خمس وثمانين وثلاثمائة كتاب غريب الحديث ، القاضى أبو عمرو عثمان ابن عبد الله الكرجى، وذكر أنه سمعه من أبى عمير عدىّ بن عبد الباقى ، وسمعه أبو عمير من على بن عبد العزيز صاحب أبى عبيد .

(١)
قال : كنت فى سنّ الصِّبا، وذلك فى حدود سنة خمس وثمانين وخمسمائة، أقدح فى اعتقاد أبى العلاء؛ لِمَا أراهُ من ظواهر شعره، وما ينشد له فى محافل الطّلب، فرأيت ليلةً فى النوم ، كأنّنى قد حصلت فى مسجد كبير ، فى شرقيّه صُفّة كبيرة، وفى الصّفّة سلّ الحُصُر مفروشٌ من غير نَسج، وعليه رجلٌ مكفوف سمين متوسّط البياض، ورأسه مائلٌ إلى جهة كتفه الأيسر، وهو مستقبل القبلة فى جلسته، وإلى جانبه طفل، وكأنّنى فهمت أنّه قائدُه، وكأنّنى واقفٌ أسفل الصُّفّة، ومعى ناسٌ قليل، ونحن ننظر إليه، وهو يتكلّم بكلامٍ لم أفهم منه شيئا . ثمّ قال فى أثناء كلامه مخاطبًا لى : ما الذى يحملك على الوقيعة فى دينى؟ وما يدريك، لعلّ الله غفر لى؟ ! فخجلت من قوله، وسألتُ عنه مَن إلى جانبى، فقال لى أحدهم : هذا أبو العلاء المعرّىّ . فابتسمت متعجّبا للرُّؤيا، واستغفرتُ الله لى وله، ولم أعُدْ إلى الكلام فى حقّه إلّا بخير. ومرت على ذلك سنين، فلما كان فى سنة خمس وستمائة، أرسلنى مَن كنتُ فى صحبته بحلب، إلى القوم المقيمين فى جبلِ بهراء (٢) فى حصونهم ، لإصلاح ما بينهم وبين

(١) القائل هو القفطى . وانظر الذهبى ص ٢٠٤ .

(٢) بهراء : قبيلة من قبائل العرب، يضاف إليهم هذا الجبل . وقال الإصطخرى فى مسالك الممالك ص ٥٦ : "وجبل اللكام هو جبل داخل فى بلد الروم، و يقال إنه ينتهى فى بلد الروم إلى نحو من مائتى فرسخ، و يظهر فى بلد الإسلام بين مرعش والهارونية وعين زربة، فيسمى اللكام إلى أن يجاوز اللاذقية، ثم يسمى جبل بهراء وتنوخ إلى حمص، ثم يسمى جبل لبنان، ثم يمتدّ على الشام حتى ينتهى إلى بحر القلزم" .

أميرٍ من أمراء الدّولة، يعرف بأحمد بن علىّ بن أحمد، وكان قد خشى عاديتهم؛ فلمّا عدت آجتزت بالمعزّة، فدخلت للصّلاة فى جامعها . وعند ما شاهدتُه رأيته قريباً ممّا رأيته فى المنام، فأذكرنى من ذلك ما أُنسيتُه على طول المدّة، ونظرت فإذا الصُّفّة إلى جانبه الشرقىّ، وهى قريبٌ ممّا رأيته، وإذا فيها رجلٌ عليه هيئة الرُّهبان، وبيده قَشّ يفتله، فقصدته وسألته عمّا يفعله، فقال: إنّ هذا الجامع إذا آحتاج إلى حُصُر حصّل له النُّوّابُ هذا البَردىّ، وعلى رُهبان الدّير الذى أنا منهم عملُ ذلك، وقد آلت النّوبة إلىّ، فحضرتُ لذلك. فعجبت من أمر الرُّؤيا، وقُربها ممّا رأيته من الصحّة بعد حين .

وسألته عن قبر أبى العلاء، فقال: لا أعرفه، ولم أعلم حال المقبرة ومن بها . وبينما أنا معه فى الحديث إذْ حضر رجلٌ من أهل المعرّة يعرف بساطع، قد كنت أعرفه بحلب، قبل ذاك، فسألته عن قبر أبى العلاء، فقصدت إليه، وإذا هو فى ساحةٍ من دورِ أهله، وعلى السّاحة بابٌ. فدخلنا إليه، فإذا القبر لا احتفال لأهله به، ورأيت على القبر خُبّازَى قد طَلَعت[1] وجفّت، والموضع على غايةِ ما يكون من الشَّعَث والإهمال . فزرته وقرأت عنده، وترحّمت عليه، واعتذرتُ إليه ممّا تقدم، رحمه الله .

وذكر أنه قُرِئ بحضرته يوماً أنّ الوليد لمّا تقدّم بعمارة جامع دِمشق، أمر المتولّين بعمارته ألّا يصنعوا حائطًا إلّا على جبل، فامتثلوا، وتعسّر عليهم وجودُ جبلٍ لحائطِ جهة جَيرون، وأطالوا الحَفْر امتثالًا لمرسومه، فوجدوا رأس حائطِ مكينِ العمل، كثير الأحجار، يدخل فى عملهم، فأعلموا الوليدَ أمره، وقالوا: نجعل رأسه أُسّا، فقال: اتركوه واحفروا قدّامه، لننظروا أسّه وُضِع على حجرٍ أم لا .

(١) طلع (بفتحتين) وطلع (بالتشديد) وأطلع: خرج طلعه . وأصله فى النخل .

ففعلوا ذلك، فوجدوا فى الحائط باباً وعليه حجرٌ مكتوب بقلم مجهول ، فأزالوا عنه التراب بالغسل، ونزّلوا فى حفره لوناً من الأصباغ، فتميزّت حروفُه، وطلبوا من يقرؤها، فلم يجدوا ذلك، وتطلّب الوليد المترجمين من الآفاق، حتى حضر منهم رجلٌ يعرف بقلم اليونانيّة الأولى، المسمّى ليطين[1]، فقرأ الكتابة الموجودة، فكانت :

٥ "باسم الموجد الأوّل أستعين. لمّا أنْ كان العالم محدَثا[2] ؛ لاتّصال أمارات الحدوث به، وجب أن يكون له مُحدِث لا كهؤلاء ، كما قال ذو السَّنَيْن وذو التّحيين وأشياعهما، [فوجبت عبادة خالق المخلوقات][3]. حينئذ أمر بعمارة هذا الهيكل، من صلب ماله، محبّ الخليل[4]، على مضىّ ثلاثة آلاف وسبعمائة عامٍ لأهل الأسطوان[5]. فإن رأى الدّاخل إليه ذِكْرَ بانيه عند باريه بخير، فعل . والسلام" .

١٠ فأطرق أبو العلاء عند سماع ذلك ، وأخذ الجماعةُ فى التعجّب من أمر هذا الهيكلِ، وأمرِ الأسطوان المؤرّخ به، وفى أىّ زمانٍ كان . فلمّا فرغوا من ذلك رفع أبو العلاء رأسَه، وأنشد فى صورة متعجّب :

سيسأل قومٌ ما الحجيج ومكّةٌ كما قال قومٌ ما جديسُ وما طسْمُ[6]

وأمر بسَطر الحكاية، فسُطرت على ظهر جزءٍ من "استغفر واستغفرى"، بخطّ ابن
١٥ أبى هاشم كاتبه . وأكثر مَن نقل الكتاب نقل الحكايةَ على مثلِ [ما على][7] الجزء الذى هى مسطورة عليه .

---

(١) فى فهرست ابن النديم ص ٧ : « ليطون » . (٢) فى الأصل : « الحدث » .

(٣) التكملة عن معجم البلدان، فى الكلام على دمشق ، وقد صرح بنقل هذا النص عن القفطى . لكن فى المعجم : «فوجدت» بالدال، بدل : «فوجبت» .

٢٠ (٤) كذا فى الأصل ومعجم البلدان طبع ليبزج . وجعلت فى طبعة مصر من المعجم : «محب الخير» .

(٥) أهل الأسطوان : قوم من الحكماء كانوا ببعلبك . انظر معجم البلدان .

(٦) البيت فى اللزوم (٢ : ٢٥١) برواية أخرى . (٧) بمثل هذه التكملة يستقيم الكلام .

وذكره الباخرزىّ فى كتابه، وسجّع له فقال : أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرّىّ التنوخىّ . ضرير، ماله فى الأدب ضريب؛ ومكفوف، فى قميص الفضل ملفوف؛ ومحجوب، خصمه الألدّ محجوج . قد طال فى ظِلال الإسلام آناؤه، ولكن ربّما[1] رشح بالإلحاد إناؤه . وعندنا خبر بصره، والله العالم ببصيرته، والمطّلع على سريرته . وإنّما تحدّثت الألسُن بإساءته، لكتابه الذى — زعموا — عارض به القرآن، وعَنْونه بالفصول والغايات، [و][2] محاذاة السُّور والآيات، وأظهر من نفسه تلك الجناية، وجذّ تلك الهوسات كما يجذّ العَير الصِّلّيانة، حتّى قال فيه القاضى أبو جعفر محمد بن إسحاق البحّاثىّ الزّوزنىّ[3] قصيدةً، أوّلها :

كلبٌ عــوَى بمعـرّةِ النُّعمانِ ... لمّا خلا عن رِبقـةِ الإيمـانِ

أمَعـرّةَ النُّـعمانِ ما أنجبتِ إذْ ... أخرجتِ منكِ مَعـرّة العُميانِ

أنبأنا أبو طاهر السِّلفىّ الأصبهانى، فى إجازته العامّة، سمعت أبا الحسن علىّ بن بركات بن منصور التاجر الرحبىّ، بالذَّنِبة[4]، من مُضافات[5] دمشق يقول : سمعت أبا عِمران يقول : عُرِض على أبى العلاء التنوخىّ الكفيف كفٌّ من اللوبيا، فأخذ منها واحدةً ولمسها بيده، وقال : ما أدرى ما هى، إلّا أنّى أُشبّهها بالكُلية . فتعجّبوا من فِطنته وإصابة حَدْسه .

قال محمّد بن طاهر المقدِسىّ[6] : سمعت الرئيس أبا نصر أحمد بن عبدُوس الوفراوندىّ بها، يقول : سألت شيخَ الإسلام أبا الحسَن علىّ بن أحمد بن يوسف

(١) كذا فى الأصل . ونص الدمية : « بما » . (٢) التكملة من دمية القصر .
(٣) فى الأصل : « الزوزى » وإنما هو من زوزن . وانظر ترجمته فى ص ٨ .
(٤) الذنبة، بالتحريك وتقديم النون على الباء : موضع بعينه من أعمال دمشق، كما فى معجم البلدان . وفى الأصل : « الذبنة » مصحف .
(٥) أى مما أضيف إليها من الضواحى والأرباض . وفى الأصل : « مصانات » .
(٦) هو أبو الفضل محمد بن طاهر بن على بن أحمد المقدسى الحافظ . ولد سنة ٤٤٨ وتوفى سنة ٥٠٧ .

المكارى[1]، عن أبى العلاء بن سليمان التنوخى المعرى — وكان رآه — فقال : رجل من المسلمين .

ولما وصلت إلى هذا الموضع من خبره، وسُقت ما سُقته من أثره، قال لى بعض من نظر : لو سُقتَ شيئًا مما نُسب إليه من أقواله التى كُفّر بها، لكنتَ قد أتيتَ بأحواله كاملة؛ فإن النفس إذا مرّ بها من الأقوال ما مرّ، اشتهت أن تقف على فحواه . فأجبتُه إلى ملتمسه ، وذكرتُ ما ساقه غرس النعمة محمد بن الرئيس هلال[2] بن المحسّن بن إبراهيم، فى كتابه؛ فإنه قال :

وفى يوم الجمعة الثالث عشر من شهر ربيع الأول — يعنى من سنة تسعٍ وأربعين وأربعمائة — توفّى بمعرّة النعمان من الشام أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى المعرى الشاعر الأديب الضرير . وكان له شعرٌ كثير، وفيه أدبٌ غزير، ويرمى بالإلحاد، وأشعاره دالّة على ما نزل به من ذلك . ولم يك يأكل لحوم الحيوان، ولا البيض، ولا اللبن، ويقتصر على ما تنبت الأرض، ويحرّم إيلام الحيوان، ويُظهر الصوم زمانَه جميعه . ومولده فى يوم الجمعة لثلاثٍ بقين من شهر ربيع الأول سنة ثلاثٍ وستين وثلاثمائة .

ونحن نذكر طرفًا مما بلغنا من شعره، ليُعلم صحّةُ ما يحكى عنه من إلحاده . فمن ذلك[3] :

صَرفُ الزمانِ مفرّق الإلفينِ فاحكم إلهى بين ذاكَ وبينى

---

(١) هو أبو الحسن على بن أحمد بن يوسف بن جعفر بن عرفة الهكارى، من ولد عتبة بن أبى سفيان . طاف بالبلاد واجتمع بالعلماء والمشايخ وأخذ عنهم الحديث ورجع إلى وطنه . والهكارى، بفتح الهاء وتشديد الكاف وبعد الألف راء . وهذه النسبة الى قبيلة من الأكراد لهم معاقل وحصون وقرى من بلاد الموصل، من جهتها الشرقية . ولد سنة ٤٠٩ وتوفى سنة ٤٨٦ . انظر الوفيات . وجاء فى أصل القفطى : «أبا الحسين» صوابه فى الوفيات وسائر كتب التاريخ فى وفيات ٤٨٦، وكذا فى الإنصاف والتحرى .

(٢) فى الأصل : «هليل» .

(٣) الأبيات التالية لم يرو فى الديوانين .

أنبيتَ عن قتلِ النفوسِ تعمُّدا وبعثت أنتَ لِقَبْضها ملَكين
وزعمتَ أنّ لهـا معادًا ثانيًا ما كان أغناها عن الحالين

ومنـــه :

يدٌ بخَمْسِ مِئٍ مِنْ عسجدٍ فديت[1] ما بالهـا قُطِعت فى ربع دينارِ
تناقضٌ مالنا إلّا السّكوت له وأنْ نعـوذَ بمولانا من النّـارِ

ومنـــه[2] :

قـرانُ المشترِى زُحَلًا يرجّى لإيقاظِ النّواظـرِ من كَراهـا
وهيهـاتَ! البريّةُ فى ضلالٍ وقد فطن اللّبيبُ لِمَـا اعتراها
تقضّى النّاسُ جِيلًا بعد جيلٍ وخُلِّفت النّجومُ كما تراها
تقدّم صاحبُ التوراةِ مُوسَى وأوقَـعَ بالخسارِ مَن آفـتراها
فقـال رجالُه وحـىٌّ أناه وقال الآخرونَ بل آفتراها
وما حجّى إلى أحجـارِ بيتٍ كؤوس الخمرِ تُشرَبُ فى ذَرَاها
إذا رجَـع الحكيمُ[3] إلى حجـاهُ تهـاوَنَ بالـذاهبِ وآزدَراها

ومنـــه :

عقولٌ تستخفُّ بها سـطورُ[4] ولا يدرِى الفَـتى لمن الثّبورُ
كتابُ محمّـدٍ وكتابُ موسى وإنجيـل آبنِ مريمَ والزّبورُ

---

(١) وكذا رواية اللزوم (١ : ٣٧٦) . ويروى : « وديت » .
(٢) فى اللزوم (٢ : ٤١٥) .
(٣) رواية اللزوم : « الحصيف » .
(٤) رواية اللزوم (١ : ٣٢٤) : « أمور تستخف بها حلوم » .

ومنـــه[1] :

إذا كان لا يحـظَى برِزقِك عاقلٌ وتَرزُقُ مجـــنونا وترزُقُ أحمقَـا

فلا ذنْبَ يا ربَّ السّماءِ على امرئٍ يَرَى منـك مالا يشتَهى فـتزندقَا

ومنـــه :

ضَحِكنا وكانَ الضَّحكُ منَّا سـفاهةً وحُقَّ لسكان البسيطةِ أنْ يبكُوا

تحطَّمنا الأيّامُ حـتّى كأنّنـا زجاجٌ ولكن لا يُعادُ لنـا سبكُ[2]

ومنـــه[3] :

خَبَرُ المقابرِ فى القُبور ومَنْ لهـم بمبشِّرٍ يأتى بصـدق المحْشَـرِ

هيهـات يُرجَى ميّتٌ فى قـبرِه لو صَحَّ ذاك لكان عَيْنَ المتجرِ[4]

خسِرت تجارتُهم فهل من ميّت يَرْجُو التِّجارةَ من ضريح المحفـرِ

ومنـــه[5] :

فى كلّ أمرِك تقليـدٌ تدين به حتّى مقالك ربِّى واحـدٌ أحـدُ

وقـد أُمِرنا بفكرٍ فى بدائعـه فإن تفكَّر فيـه معشَـرٌ لحـدُوا

[ومنـــه][6] :

لولا التنافسُ فى الدُّنيا لمـا وُضِعتْ كتبُ التّناظُرِ لا المغْنِى ولا العُمَدُ

---

(١) البيتان مما لم يرو فى الديوانين .

(٢) رواية اللزوم (٢ : ١٤٣) : « يحطمنا رب الزمان كأننا » ، و : « له سبك » .

(٣) الأبيات مما لم يرو فى الديوانين .

(٤) أى لو صح إخبار الموتى بصدق المحشر لكان ذلك أربح تجارة .

(٥) البيتان فى اللزوم (١ : ٢٥٢) .

(٦) تكملة ضرورية . والبيت من مقطوعة غير السابقة فى اللزوم (١ : ٢٤٩) .

ومنـــه[1] :

أســتغفِر الله فى أمنِى وأوجالِى ... مِنْ غفلتى وتَوالِى سُــوءِ أفعــالِى[2]

قالوا هِرِمْتَ ولم تطرُق تِهامةَ فى ... مُشاةِ وفــدٍ ولا رُكبانِ أجمــالِ

فقلتُ إنّى ضريرٌ والذين لهــم ... رأْىٌ رأوا غير فرضٍ حَجَّ أمثــالِى

ما حجّ جَدّى ولم يحجُجْ أبِى وأخى ... ولا ابنُ عمّى، ولم يعرِف مِنّى خالِى

وحجّ عنهمْ قضاءً بعــد ما ٱرتحلوا ... قومٌ سيقضُون عنّى بعــدَ تَرحالِى

فإن يفوزُوا بغفرانٍ أفُزْ معهــمْ ... أوْ لَا فإنّى بنــارٍ مثلهم صــالِى

ولا أرومُ نعــيمًا لا يكــونُ لهم ... فيه نصيبٌ وهمْ رهطِى وأشكالِى

فهــل أُســرُّ إذا حُمَّتْ محاسبتِى ... أو يقتضى الحكم تعناتى وتسآلِى[3]

من لى برضــوانَ أدعُوه أرحّمــه[4] ... ولا أنادِى مــع الكفّار يا مالِى[5]

يقول فى آخرها :

سأعبــد الله لا أرجــو مثوبتــه ... لكن تعبُّــد إعظامٍ وإجــلالِ

ومنــــه[6] :

هفتِ الحنيفةُ والنّصارى ما ٱهتدت ... ويهودُ حارَتْ والمجوسُ مضــلَّلَهْ

اِثنانِ أهــلُ الأرضِ ذو عقلٍ بلا ... دينٍ وآخر دينٌ لا عقــلَ لهْ

---

(١) الأبيات مما لم يرو فى الديوانين .

(٢) فى الأصل : «من» .

(٣) كذا . ورواية مرآة الزمان والوافى والنكت : « تعتابى » .

(٤) فى الأصل : « أرحمه » بالحاء المهملة ، وإنما هو من الترحيم ، كما يفهم من عجز البيت .

(٥) مال : مرخم مالك . وفى الأصل : « مالى » محرف .

(٦) البيتان فى اللزوم (٢ : ٢٠١) .

(١)
ومنـــه :

كأنّ منجّم الأقوامِ أعمَى لدَيهِ الصُّحْفُ يقرؤُها بلَمْسِ
لقد طال العنـاءُ فكَمْ نُعـانِى سُطورًا عاد كاتِبُهـا بطَمْسِ
أتى عيسَى فعطَّل دِينَ مُوسى وجاء محمـدٌ بصـلاة خمْسِ
وقِيـل يجىءُ دينٌ بعد هـذا وأوْدَى النّاسُ بين غَدٍ وأمسِ
(٢)
ومَن لى أنْ يعودَ الدِّينُ غضًّا فيَنْقَعَ من تنَسُّكَ بعـد خِمسِ
(٣)
ومهما كان مِن دُنيـاك أمرٌ فمـا يُخْليـك من قمـرٍ وشمسِ
لحـاها الله دارًا لا تُدارَى مثـل المَيْنِ فى لُجَـجٍ وقَمْسِ
(٤)
وأوّلُهـا بآخـرِها شبيـهٌ ونُصبِـح فى عجائبهـا ونُمسِى
قدومُ أصاغرٍ ورَحِيلُ شِيبٍ وهِجرة مَنزِلٍ وحُـلولُ رَمْسِ
إذا قلتُ المحالَ رفعتُ صَوتى وإنْ قلتُ اليقينَ أطلْتُ همسِى

(٥)
ومنـــه :

ما بال ذا الحيوانِ يُؤكَلُ لحمُه ويُقَـدُّ جِلدته ويُهشَمُ عظْمُهُ
إنْ كان ذا أكلٍ فأكلُك أكلُه أوكانذاشربٍ فشُربُك شربُهُ
قُـلْ للمُـريقِ نجيبَه من نحرِهِ ما شأنُه ما ذنبُـه ما جُـرمُهُ
الله يقتصُّ الجـرائمَ كلَّها ويُعِيـدُها فى نحرِ من ذا دأبُهُ

---

(١) الأبيات فى اللزوم (٢ : ٣٦) مع خلاف فى الرواية والترتيب .

(٢) فى الأصل : «فيقنع من تنسك بالتأسى» وبذا لايتحقق اللزوم . وصححناه من اللزوم .

(٣) وكذا الرواية فى مرآة الزمان . لكن رواية اللزوم : « فما تخليك » .

(٤) رواية اللزوم : « وآخرها بأولهـا شبيه » .

(٥) الأبيات مما لم يرو فى الديوانين . وقد انفرد القفطى بروايتها . وفيها خطأ الروى ؛ إذ لا ترد هاء الضمير رويا إلا بعد ساكن .

ومنه (١) :

فلتم لنا خالقٌ قديمٌ صدَقتمُ هكذا نقولُ
زعمتُموه بلا زمانٍ ولا مكانٍ ألاَ فقولُوا
هذا (٢) كلامٌ له خبِيءٌ معناه ليستْ لكمْ عُقولُ

ومنه (٣) :

دينٌ وكفرٌ وأنبياءٌ تقال وفْر قانُ ينَصُّ وتوراةٌ وإنجيلُ
فى كلِّ جيلٍ أباطيلٌ يُدانُ بها فهل تفرَّدَ يوماً بالهُدى جِيلُ

ومنه (٤) :

شهدتُ بأنّ الكلْبَ ليس بناجٍ يقِيناً وأنّ اللّيثَ فى الغاب ما زَأَرْ
وأنّ قريشًا ليس منها خليفةٌ وأنّ أبا بكرٍ شَكا الحَيْفَ من عُمَرْ
وأنّ عليًّا لم يصلِّ بصحبِهِ وما هو والله العظيمِ مِن البَشَرْ

ومنه — وقد قيل إنّ هذا من الإلغاز — :

الحمد لله [قد] (٥) أصبحتُ فى لُجَجٍ مُكابِدًا من همومِ الدّهرِ قاموسا
قالتْ معاشِرُ لم يَبعَثْ إلهكُمُ (٦) إلى البريّة لا عيسى ولا مُوسَى
وإنّما جَعَلُوا الرّحمنَ مأكُلةً وصيّرُوا دِينَهم للمُلْكِ ناموسا (٧)
ولو قدَرْتُ لعاقبتُ الذين طَفَوْا حتّى يعودَ حليفَ الغَىِّ مغموسا (٨)

(١) الأبيات فى اللزوم (٢ : ١٧٩) مع خلاف فى الرواية .
(٢) قبل هذه الكلمة فى الأصل زيادة : « ومنه » وإنما هى مقطوعة واحدة .
(٣) البيتان فى اللزوم (٢ : ١٧٧) .
(٤) هذه الأبيات مما انفرد القفطى بروايته ، ولم تَرِد فى الديوانين .
(٥) كلمة « قد » ساقطة من الأصل . وفيه : « مابوسا » . وتصحيحه من اللزوم (٢ : ٢٢) .
(٦) فى الأصل : « إله لهم » تحريف .
(٧) رواية اللزوم :
وإنما جعلوا للقوم مأكلة وصيروا بجميع الناس ناموسا
(٨) فى اللزوم : « مرموسا » .

ومنـــه (١) :

فلا تحسَبْ مَقالَ الرسلِ حقًّا ولكنْ قولُ زورٍ سَطَّرُوهُ
وكانَ النّاسُ فى عيشٍ رَغيدٍ فجاءوا بالمُحالِ فكدَّروهُ

ومنـــه (٢) :

والنَّفسُ أرضيّة (٣) فى رأى طائفةٍ وعنـــد قـــومٍ تَرَقَّى فى السّمواتِ
تمضى على هيئة الشّخص الذى سكنَتْ فيـــه إلى دار نُعْمٍ (٤) أو شقاواتِ
وكونُها فى ضَريحِ الجسمِ أحوجَها (٥) إلى مَـــلابِسَ عَنْهـا وأقـــواتِ
وإنّما حَمَّـــلَ التّـــوراةَ قارئَها كَسْبُ الفـــوائدِ لاحُبُّ التّلاواتِ
إنّ الشّرائعَ ألقَتْ بيننا إحَنًا وأورثَتْنا أفانينَ العَـــداواتِ
وهل أُبيحَتْ نِساءُ الرُّومِ عن عُرُضٍ (٦) للعُـــرْبِ إلّا بأحكامِ النُّبُـــوّاتِ

ومنـــه (٧) :

لَعمرى لقد طال هـذا السَّفَرْ عَلَىَّ وأصبحْتُ أحدُو النَّفَـــرْ (٨)
أأخرُج مِن تحت هذى السَّماءِ فكيف الإباقُ وأينَ المفَرّْ
لَحَى اللهُ قـــومًا إذا جئتُهم بصدق الأحاديثِ قالوا كَفَرْ

---

(١) البيتان مما لم يرو فى الديوانين .
(٢) الأبيات فى اللزوم (١ : ١٨٥) .
(٣) فى الأصل : « راضية » تحريف . ورواية اللزوم : « والروح أرضية » .
(٤) النعم بالضم : النعيم ، مثل النعمى . ورواية اللزوم : « نعمى » .
(٥) فى الأصل : « أخرجها » وفى اللزوم : « فى عاريح الجسم أحوجها » .
(٦) فى الأصل : « غرض » بالمعجمة .
(٧) الأبيات فى اللزوم (١ : ٤٢٦) .
(٨) فى الأصل : « إحدى البقر » وتصحيحه من اللزوم .

و إن غُفِرتْ مُوبِقاتُ الذُّنوبِ فكلُّ مصائِبهم تُغتَفَرْ
هنيئًا لجسمى إذا ما آستقرّ وصار لعُنصرِه (١) فى العَفَرْ

وله كتاب سمّاه " الفصول والغايات "، عارض به السّور والآيات، لم يقع إلينا منه شيء فنوردَه .

وحدّثنى الوزير فخر الدّولة أبو نصر بن جهير (٢) . قال حدّثنى المَنازِىّ (٣) الشّاعر، قال: اجتمعت بأبى العلاء المعرّى بمعرّة النّعمان، وقلتُ له: ما هذا الذى يُروَى عنك ويُحكَى ؟ فقال : حسدنى قوم، فكَذبوا علىّ، وأساءوا إلىّ . فقلت له: على ماذا حسدوك وقد تَركتَ لهم الدنيا والآخرة ؟ فقال : والآخرة أيُّها الشيخ ! قلت : إى والله . ثمّ قلت له : لِم تمتنعُ من أكل اللّحم، ولِم تلومُ من يأكله ؟ فقال : رحمةً للحيوان . قلت : لا ! ولعمرى بل تقول إنّه من شره (٤) النّاس ! إنّهم (٥) يجدون ما يأكلون ، ويتجزّون (٦) به عن اللُّحمان ويتعوّضون . فما تقول فى السّباع والجوارح التى خُلقت لا غذاءَ لها غير اللّحوم من النّاس والبهائم والطّير، ودمائها وعظامها ؛ ولا طعام تعتاض به عنها ولا تتجزّى به ، حتى لم يخلص [من] (٧) ذاك حشرات الأرض ؟ فإن كان الخالق لها الذى تقوله نحن، فما أنت بأرأف منه بخلقه، ولا أحكم منه فى تدبيره ، و إن كانت الطبائع المحدثةَ لذلك على مذهبك فما أنتَ بأحذق منها ،

(١) فى الأصل : « وصار بعنصره » تحريف ، صوابه فى اللزوم .
(٢) هو محمد بن محمد بن جهير . وزر للقائم ثم المقتدى ولده . ولد بالموصل ومات بها سنة ٤٨٣ .
(٣) هو أبو نصر أحمد بن يوسف المنازى الشاعر ، منسوب إلى منازجرد من بلاد أرمينية ، توفى بميافارقين سنة ٤٣٧ . انظر وفيات الأعيان . والقصة الآتية أوردها ابن خلكان مختصرة .
(٤) فى الأصل : « شر » محرف . (٥) فى الأصل : « وإنهم » .
(٦) يتجزون : يكتفون ويستغنون . وأصله الهمز، ثم سهل وعومل معاملة المعتل .
(٧) ليست فى الأصل ، و يقتضيها السياق .

ولا أتقنَ صنعةً، ولا أحكمَ عملاً، حتّى تعطّلها، و يكونَ رأيك وعملُك وعقلك أوفى منهـا وأرجح ، وأنت من إيجادها (١) ، غير محسوس عندها ! فأمسَكَ .

قال غرس النِّعمة : وأذكر عنـد ورود الخبر بموته ، وقد تذاكرنا أمرَه ، وإظهارَه الإلحادَ وكفره ، ومعنا غلامٌ يعرف بأبى غالب بن نبهان ، من أهل الخير والسّلامة ، والفِقه والديانة ، فلمـا كان من غدٍ يومنا حكى لنا — وقد مضى ذلك الحديثُ بسمْعه عَرَضا — فقال : أُريت البارحة فى منامى رجلًا شـيخا ضريرا ، وعلى عاتقه أفعيان متدلّيان إلى فخذيه ، وكلٌّ منهما يرفع فمه إلى وجهه ، فيقطع منه لحمًا يزدرده ، وهو يصـيح و يستغيث ، فقلت : من هذا ؟ وقد أفزعنى ما رأيت منه ، وروّعنى ما شاهدتُه عليه ، فقيل لى : هذا المعرّى الملحد . فعجبنا من ذلك ، واستطرفناه بعقبِ (٢) ما تفاوضناه من أمره وتجاريناه .

قرأت بخط المفضّل بن مواهب بن أسد الفارزىّ الحلبى ، المسـمى بشاعر آل محمّد ، حدّثنى الشّـيخ أبو عبد الله الأصبهانى (٣) ، قال : لمّـا حضَرتِ الشّـيخَ أبا العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخىّ الوفاةُ ، أتاه القاضى الأجلّ أبو محمد عبد الله التنوخىّ (٤) بقدح شراب ، فامتنع مِن شُربه ، فحلف القاضى أيمـانًا مؤكّدة لا بدّ من أن يشرب ذلك القدح ، وكان سَكَنْجَبِين . فقال أبو العلاء مجيبًا له عن يمينـــه :

---

(١) أى مما أوجدته الطبائع .

(٢) الذى فى اللسان : « وجاراه فى الحديث وتجاروا فيه » .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الأصبهانى ، كما ذكره ابن العديم فى تلاميذ أبى العلاء .

(٤) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمان بن أحمد بن سليمان التنوخى . وهو ابن أخى أبى العلاء . ترجم له ابن العديم فى الإنصاف والتحرى .

أعبدَ اللهِ ، خيرٌ من حيـاتى وطولِ ذَمائهـا موتٌ مُرِيحُ[1]

تعلَّلنى لتَسـقِيَنى فـذَرْنى لعـلّى أسـتريحُ وتسـتريحُ

وكان مرَضه ثلاثةَ أيّام، ومات فى اليوم الرَّابع، ولم يكن عنـده غيرُ بنى عمِّه، فقال لهم فى اليـوم الثّـالث : اكتبوا . فتناولوا الدَّوِىّ والأقلام ، فأملى عليهم غير الصّواب . فقال القاضى أبو محمـد : أحسن الله عزاءَكم فى الشيخ ؛ فإنّه ميّت . فمات فى غداةِ غدهِ. و إنّما أخذ القاضى هذه المعرفةَ من ابن بُطلان[2]؛ لأنّ ابن بطلان كان يدخل على أبى العلاء، ويعرف ذكاءه وفضله ، فقيل له قبل موته بأيّام قلائل: إنه أملى شيئا فغلِط فيـه . فقال ابن بُطلان : مات أبو العـلاء . فقيل : وكيف عرفتَ ذلك ؟ فقال : هـذا رجل فَطِنٌ ذكىّ، ولم تَجْرِ عادتُه بأن يستمرّ عليه سهوٌ[3] ولا غلط ، فلمّا أخبرتمونى بأنّه غلط، علمت أنّ عقله قد نقص، وفكره قد انفسد، وآلاته قد اضطربت، فحكمت عليه عند ذلك بالموت . والله أعلم .

ومن شعره أيّامَ مرضه، فى القاضى أبى محمد عبد الله التنوخىّ[4] :

وقاضٍ لا يزال اللّيلَ عِنـدى وطولَ نهارِه بينَ الخُصومِ[5]

---

(١) الذماء : بقية النفس . وفى الأصل : « وطول دمائها موت صريح » محرّف .

(٢) هو أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون بن بطلان . طبيب نصرانى من أهـل بغداد . وخرج عنها إلى الجزيرة والموصل وديار بكر وحلب ومصر وأنطاكية ، وترهب فى آخر عمره . وذكره ابن أبى أصيبعة (١ : ٢٤٣) مصنفا عمله بأنطاكية سنة ٤٥٥ . وهذا يدفع ما فى القفطى (فى أخبار الحكماء) أنه توفى سنة ٤٤٤ ، كما يدفعه أيضا هذه الرواية التى رواها القفطى هنا أنه كان حيا قبل وفاة أبى العلاء بأيام قلائل . وانظر تاريخ حلب الشهباء (٤ : ١٩١) .

(٣) استمرّ ، مثل مر .

(٤) فى الأصل : «أبو محمد بن عبدالله» بإقحام كلمة «ابن» . وقد تقدمت ترجمته فى الصفحة السابقة .

(٥) الأبيات مما لم يرو فى الديوانين . وانظر روايتها فى الإنصاف والتحرى .

يكون (١) أبرّ بى من فرخ نسير بوالديه والطّفّ من رحيم (٢)
سأنشر شُكره فى يوم حَشْر أجَلْ، وعلى الصّراط المستقيم

هذه آخر أخبار أبى العلاء بن سليمان (٣).

(١) فى الأصل : « يلان » صوابه من الإنصاف والتحرى .
(٢) فى الإنصاف والتحرى : « من حميم » .
(٣) كذا بالاكتفاء باسم الجد .

إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (*)

لياقوت الحموىّ (**)

٥٧٤ — ٦٢٦

أبو العلاء المعرّىّ

هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان [بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان (١)] بن داود بن المطهّر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن أرقم بن أنور بن أشجَم بن النُّعمان — ويقال له الساطع الجمال — بن عدىّ بن عبد غطفان ابن عمرو بن رَبيح (٢) بن جَذيمة (٣) بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عِمران بن الحافِ بن قضاعة . وتيم الله مجتمع تنوخ .

من أهل معرّة النّعمان (٤) ، من بلاد الشّام .

كان غزيرَ الفضل ، شائع الذِّكر ، وافرَ العلم ، غايةً فى الفهم ، عالمًا باللغة ، حاذقًا بالنّحو ، جيّد الشعر ، جَزْل الكلام . شُهرته تغنى عن صفته ، وفضلُه ينطق بسجيّته .

وُلد بمعرّة النعمان سنة ٣٦٣ . واعتلّ علّة الجدرىّ التى ذهب فيها بصره سنة ٣٦٧ .

(*) وهو المعروف بمعجم الأدباء . طبع لأول مرة بمطبعة هندية ، بعناية المستشرق الإنجليزى «د . س . مرجليوث» من سنة ١٩٠٧ إلى سنة ١٩٢٧ .

والنص فيه يقع فى الجزء الأول من ص ١٦٢ — ٢١٦ .

(**) هو أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومى الحموى ، صاحب التصانيف النافعة . ولد فى حماة وتوفى بحلب .

(١) التكملة من نص البغدادى والقفطى .

(٢) فى الأصل : « يرنح » تصحيف .

(٣) فى الأصل : «خزيمة» تحريف . انظر ما سبق ص ١٢ .

(٤) فى الأصل : «محلة النعمان» .

ورحل إلى بغداد سنة ٣٩٨ . وقال الشِّعر وهو ابن إحدى عشرة سنة . أقام ببغداد سنةً وسبعةَ أشهر، ثمّ رجع إلى بلده، فأقام به ولزم منزله، إلى أنْ مات يوم الجمعة الثّانىَ من شهر ربيع الأوّل سنة ٤٤٩ فى أيّام القائم .

وكان فى آبائه وأعمامه ومَن تقدَّمه من أهله وتأخّر عنه من ولد أبيه ونسله ، فضلاءُ وقضاةٌ وشعراء ، أنا ذاكرٌ منهم مَنْ حضرنى لتعرِف نسبَه فى العلم ، كما عَرفْتَ ما أُعطيَه من الفَهم :

كان سليمان بن أحمد بن سليمان جدّه[1] قاضى المعرّة ، ولى القضاء بحمص، وبها مات فى سنة ٢٩٠ .

ثمّ ولى القضاء بعدَه بها ولدُه أبو بكر محمد، عمُّ أبى العلاء . وفيه يقول الصّنَوْبرىّ[2] الشّاعر :

بأبى يابن سُليما ن [لقد] سُدتَ تَوُخَا
وهمُ السّادةُ شُبّا نًا لَعَمرِى وشُيوخَا
أدرَكَ البُغيةَ مَنْ أضـ ـحَى بِناديكَ مُنيخَا
وارِدًا عندَك نيلًا وفُراتًا وبَليخا[3]

(١) كذا فى الأصل . والحق أنه جدّ جدّه . على أن فى النص هنا اضطرابا ونقصا . ونثبت هنا ما فى الخريدة ليتسنى للقارئ من معارضة النصين معرفة ذلك : قال العماد : وكان سليمان بن أحمد بن سليمان جدّ جدّ أبى العلاء قاضى المعرّة فى سنة ٢٩٠ ثم بعده ولده محمد ، وفيه يقول أبو بكر الصنوبرى الشاعر (وأنشد له الشعر الذى رواه ياقوت) . ثم بعده ولده سليمان أبو الحسن . ومن شعره فى الناعورة (وأنشد له بيتا) وتولى قضاء حمص أيضا . ثم عبد الله ولده ، وهو والد أبى العلاء .

(٢) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسن بن المرار ، المعروف بالصنوبرى الحلبى . قال السمعانى : نسبة إلى الصنوبر . وانظر تعليلا آخر فى مختصر تاريخ دمشق (١ : ٤٥٦) . وتوفى فى سنة ٣٣٤ كما فى شذرات الذهب . وانظر الفوات (١ : ٧٧) .

(٣) بليخ : نهر بالرقة .

واجدًا منك متى آستَصْـ ـرَخَ للمجْـدِ صَـــريخَا
فى زَمانٍ غادَرَ الهِـ ـمَّاتِ فى النّاسِ مسوخا

ثم بعده أخوه أبو محمد عبدالله، والد أبى العلاء. ولعبد الله شعر فى مرثية والده:

إنْ كان أصبحَ مَن أهواه مُطَّرَحًا ببـاب حِمْص فما حُزنِى بمُطَّرَح
لو بانَ أيْسرُ ما أُخْفيـه من جَزَعٍ (١) لمـاتَ أكثرُ أعدائى من الفَرَح

وتوفِّى عبد الله بحمص سنة ٣٧٧ .

ومنهم : أبو المجد محمد بن عبدالله ، أخو أبى العلاء، وكان أسنَّ من أبى العلاء ، وله أيضا شعر، منه فى الزُّهد :

كرمُ المهيمنِ مُنتهَى أمَلِى لا نِيَّتى أرجو ولا عمـــلِى (٢)
يا مُفضِلًا جلّتْ فواضـلُهُ عن بُغيتى حتَّى انقضَى أجَلِى
كم قد أفَضْتَ علَىَّ مِن نِعَمٍ كم قد سترتَ علىَّ مِن زَلَلِ
إن لم يكنْ لى ما ألوذُ به يومَ الحساب فإنّ عفوكَ لى (٣)

ومنهم : عبد الواحد أبو الهيثم ، أخو أبى العلاء، القائل فى الشمّعة :

وذاتِ لَونٍ كلونِى فى تغـــيُّره وأدمعٍ كدُموعى فى تحـدُّرِها
سَهِرتُ ليلى وباتت لِى مُسهِّرةً (٤) كأنّ ناظرها فى قلب مُسهِرِها

وله أيضـا :

قالوا تُراه سَـــلَا لأنَّ جفونَهُ ضنَّتْ عَشِـيَّةَ بيننا بدُموعِهَا
ومن العجائب أنْ تَفيضَ مدامعٌ نارُ الغرام تُشَبُّ فى يَنبُوعِهَا

(١) وكذا فى الخريدة . لكن فيما سيأتى فى الإنصاف والتحرى أنه توفى سنة خمس وتسعين وثلاثمائة .
(٢) فى الأصل : «أجر» والصواب من الخريدة .
(٣) هذا البيت ساقط من الخريدة .
(٤) رواية الخريدة : «بى مسهدة» .

هؤلاء مَن حضرنى ممّن كان قبل أبى العلاء وفى زمانه .

وقد تأخّر عن زمانه من أهله مَن كان عالمًا فاضلا . وأنا ذاكرهم هاهنا ليجيئوا على نَسَقٍ واحد :

فمنهم : القاضى أبو المجد محمد بن عبد الله [بن محمد أبى المجد](١) — وأبو المجد الثانى هو أخو أبى العلاء — وذكره العماد(٢) فى الخريدة فقال : ذكر لى [ابن](٣) ابنه القاضى أبو اليُسْر الكاتب أنّه كان فاضلًا أديبا ، فقيهًا على مذهب الشافعىّ ، أريبا مُفْتِيًا خطيبًا ، أدرك عمّ أبيه أبا العلاء ، وروى عنه مصنّفاته وأشعارَه ، وولى القضاء بالمعرّة ، إلى أن دخلها الفرنج — خذلهم الله — فى سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ، فانتقل إلى شَيزر ، وأقام بها مدّة ، ثم انتقل إلى حماة ، فأقام بها إلى أن مات فى محرم سنة ٥٢٣ . ومولده سنة ٤٤٠ . وله ديوان ورسائل . ومن شعره :

رأيتُك فى نومى كأنّك مُعْرِضٌ ... مَلالًا فداويتُ الملالةَ بالتَّرْكِ

وأصبحتُ أبغى شاهدًا فعدِمتُه ... فعُدتُ فغلّبتُ اليقينَ على الشّكّ

وعهدى بصُحْفِ الوُدّ تُنشَر بيننا ... فإن طُوِيَتْ فاجعَلْ ختامَكَ بالمِسْكِ

لئِنْ كانت الأيّامُ أبلَى جديدُها ... جديدى وردّتْ من رَحيبٍ إلى ضَنْكِ

فما أنا إلّا السيفُ أخْلَقَ جَفنُهُ ... وليس بمأمونِ الفِرارِ(٤) على الفَتْكِ

(١) التكملة من الخريدة . وبدونها يفهم الكلام .

(٢) هو الكاتب الوزير أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد الأصبهانى . ولد سنة ٥١٩ بأصبهان ، وقدم دمشق بعد سنة ٥٦٠ ، وخدم فى ديوان الإنشاء ، وصنف التصانيف الأدبية ، وكانت بينه وبين القاضى الفاضل مطارحات ومداعبات . وتوفى سنة ٥٩٧ .

(٣) التكملة من الخريدة . وأبو اليسر ، هو ابن عبد الله بن أبى المجد هذا .

(٤) الفرار ، بالكسر : حد السيف . وفى الأصل : «الفراد» بالدال ، صوابه من الخريدة .

قال : وأنشدنى [له][1] بعضُ أهلِ المعرَّة :

جَسَّ الطّبيبُ يدى جَهلًا فقلتُ له ... إليكَ عَنِّى فإنّى اليوم بُحْرانِى[2]

فقال لى ما الذى تشكو فقلتُ له ... إنّى هَوِيتُ بجَهْلى بعضَ جيرانِى

فقام يَعجَبُ مِن قَولى[3] وقال لهمْ ... إنسانُ سَوْءٍ فداوُوهُ بإنسانِ

قال : وأنشدنى مؤيّد الدولة أسامة بن منقذ، قال أنشدنى القاضى أبو المجد المعرّىّ لنفسه :

وقائلةٍ رأتْ شيباً علانى : عَهِدْتُك فى قَميصٍ صِبًا بديعِ

فقلت فهل تَرَيْنَ سِوى هَشيمٍ ... إذا جاوزتِ أيّامَ الرَّبيعِ

قال الأمير أسامة : ولما فارق أهله بالمعرّة، وبقى متفرّدًا[4]، وكان له غلام أسمه شَعْيَا، قال :

زمانٌ غاضَ أهلُ الفَضلِ فيه ... فسَقْيًا للحِمامِ بِه ورَعْيَا

أُسارَى بينَ أتراكٍ ورُومٍ ... وفقدِ أحبّةٍ ورِفاقِ شَعْيَا

قال : وقد سبقه إلى هذا المعنى الوزيرُ المغربىّ، فإنّه لما تغيّرت عليه الوزارة وتغرّب، كان معه غلام أسمه داهرٌ، فقال :

كفَى حَزَنًا أنّى مقيمٌ ببلدةٍ ... يملّلُنِى بَعْدَ الأحبّةِ داهرُ

يحدّثنى ممّا يجمّعُ عقلُه ... أحاديثَ منها مستقيمٌ وجائرُ

---

(١) التكملة من الخريدة .

(٢) بحرانى، بضم الباء وبياء النسبة : منسوب إلى البحران . قال ابن منظور : « والأطباء يسمون التغير الذى يحدث للعليل دفعة فى الأمراض الحادة بحرانا » . وفى الأصل : « فإن اليوم » .

(٣) فى الخريدة : «من جهلى» .

(٤) فى الخريدة : « منفردا » .

قال الأمير أسامة : لمّـا بُليت بفُرقة الأهل ، كتبت إلى أخى أستطردُ بغلامَىْ أبى المجد والوزير المغربىّ، اللذينِ ذكراهما فى شعريهما :

أصبحتُ بعدَكَ ياشقيقَ النَّفسِ فى ... بَحْـرٍ من الهَـمِّ المـبرِّح زاخرِ
متفرِّدًا بالهـمِّ مَنْ لى ساعةً ... برِفاقِ شـعيًا أو عُـلالة داهرِ

الحديث شجونٌ، يُذكَر الشىء بمـا يتّصل به .

وأشعار أبى المجد المعزى كثيرة، منها :

قـد أوسـعَ الله البـلادَ وللفـتى ... إلى بعضهـا عن بعضها مُـتَزَحْزَحُ
فَـلِّ الهُوَيْنَى إنّهـا شَرُّ مركَبٍ ... ودُونَكَ صعبَ الأمرِ فالصَّعبُ أنجحُ
فإنْ نِلتَ ماتهوَى فذاك و إن تَمُتْ ... فَلَلْموتُ خيرٌ للكـريم وأرْوَحُ

ومنهم : أبو اليسر شاكر بن عبد الله بن محمدٍ أبى المجد بن عبد الله بن محمد بن [عبد الله] بن سليمان[1] . قال العماد : كان كاتب الإنشاء لنور الدين محمود بن زِنكى[2] قبلى، فلما استعفَى وقعَد فى بيته تولّيتُ الإنشاء بعده . ومولده بشَيزر فى جمادى الآخرة سنة ٤٩٦[3] . وكان قد تولّى ديوان الإنشاء سنين كثيرة . قال وأنشدنى لنفسه :

وَرَدتُ بجهلِى موردَ الصَّبِّ[4] فارتوتْ ... عُروقِى مِنْ مَحْضِ الهَوَى وعِظامِى
ولم تَـكُ إلّا نظرة بعـدَ نظرةٍ ... على غِرّةٍ منهـا ووَضعِ لِثـامِ

(١) فى الأصل : «شاكر بن عبدالله بن محمد بن أبى المجد بن عبدالله بن محمدبن سليمان» . وفى الخريدة : «شاكر بن عبد الله بن محمد بن أبى المجد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمان» . وما فى الأصل محرّف ناقص . كما أن نص الخريدة مقحم فيه كلمة «بن» بين «محمد» و «أبى المجد» لأن «محمدا» هو أبو المجد .

(٢) هو نور الدين أبو القاسم محمود بن زنكى بن آق سنقر الملقب بالملك العادل . ملك حلب بعد أبيه ، ثم أخذ دمشق فملكها عشرين سنة . وكان مولده فى شوّال سنة ٥١١ وتوفى سنة ٥٦٩ .

(٣) كذا أثبتها المستشرق مرجليوث بالأرقام ، وهو يطابق ما ذكر بالعبارة فى الإنصاف والتحرّى . لكن فى الخريدة بالعبارة : « سنة ست وسبعين وأربعمائة » .

(٤) رواية الخريدة : «مورد الحب» .

فظلّت بقلبى من تثنّى طماعه أقرت بها حتى الممات عظامى (١)

وله أيضا :

سارقتُه نظرةً أطال بها عذابَ قلبى وماله ذنبُ
يا جَوْرَ حُكْم الهوَى ويا عجبا تسرِقُ عَينى ويُقطع القلبُ

وله : ٥

يا ... عارض دب فى الخد مدّ دبيبًا من تحتِ عَقرب صُدْغِ (٢)
قَعد القلبُ منهما فى بَلاءٍ وعذابٍ ما بين قَرْصٍ ولَدْغِ

وله :

غَرِيتْ بهم نُوَبُ اللَّيالِى فاغتدَوْا ما يستقرُّ لهمْ بأرضٍ دارُ
حتّى كأنهمُ طَرِيفُ بضائعٍ وكأنّ أحداثَ الزّمانِ تِجارُ ١٠

وله :

تعمَّم رأسِى بالمشيبِ فساءنى وما سَرَّنى تفتيحُ نَورِ بياضِهِ
وقد أبصرَتْ عينى خُطوبًا كثيرةً فلم أرَ خطباً أسودًا كبياضِهِ

ومنهم : القاضى أبو مسلم وادع بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمان . كان أبوالعلاء عمّ أبيه . تولّى القضاء بمعرّة النعمان، وكفر طاب، وحماة ، وكان مشهوراً ١٥ بالكرم . مولده سنة ٤٣١ . وله رسائل حسنة وشعر بديع، منه :

وقائلةٍ ما بالُ حِبِّك أرمَدًا (٣) فقلتُ وفى الأحشاءِ من قولها لَدْغُ
لئن سرقتْ عيناه مِنْ لون خدِّه فغير بديعٍ ، ربّما نَفَضَ الصِّبغُ

(١) كذا ورد البيت فى الأصل والخريدة .
(٢) كذا فى الأصل مع ترك فراغ بين هذه الكلمة وسابقتها . ولعل البيت : « يا لقومى لعارض » . ٢٠
(٣) الحب، بالكسر : الحبيب . وفى الأصل : « حسك » تصحيحه من الخريدة .

ومن شعره أيضا :

ولمّا تلاقَينا وهـذا بنارِهِ حَريقٌ وهـذَا[1] بالدُّموع غَريقُ
تقلَّدتِ الدُّرّ الذى فاض جفنها فرصّعهُ مِنْ مُقلتىَّ عقيقُ

ومنهم : أبو عدىّ النعمان بن أبى مسلم وادع، من أهل العلم والفضل .

وهو القائل :

يأيُّها المُلَّاك لا تَرتجُوا[2] الـ ـأملاكَ وآرجُوها إلى قابِلِ[3]
فالعامَ قد صحَّتْ ولكنَّها للعَدْلِ والمُشرِف والعامِلِ

ومات أبو عدىّ بعد سنة ٥٥٠ .

ومنهم : أبو مرشد سليمان بن علىّ بن محمد بن عبد الله بن سليمان . ولى القضاءَ بمعرّة النُّعمان، وآنتقل إلى شَيزر، بعد أخذ الفرنج المعرّة، وتوفّى بها . وله رسائل وشعر، منه قصيدةٌ[4] التزم فى كلّ كلمة منها حرف النون، أوّلها :

نزِّهْ لسانك عن نِفاقِ منافِق وآنصَحْ فإنّ الدِّين نصح المؤمنِ
وتجنّب المنَّ المنَكِّدَ للنَّدَى وأعِنْ بنَيلِك مَنْ أعانَكَ وآمنُنِ

ومنهم : أبو سهل عبد الرحمن بن مُدرِك بن علىّ بن محمد بن عبد الله بن سليمان . مولده ومنشؤه بشَيزر وحماة . وتوفى فى الزّلزلة [التى][5] كانت بحماة سنة ٥٥٢ ، وكان شاعرا مطبوعَ الشّعر . ومنه :

---

(١) فى الخريدة : « وهذى » . ولكل وجه .

(٢) أى اقطعوا الرجاء منها . وفى الأصل : « لا تبرحوا » . والصواب من الخريدة .

(٣) فى الخريدة : « القابل » .

(٤) القصيدة فى الخريدة أربعة عشر بيتا .

(٥) عن الخريدة .

جَرحْتُ بلحظِىَ خدَّ الحبيبِ فما طالبَ المُقْلَةَ الفاعِلهْ
ولكنَّه آقتصَّ مِن مُهْجتى كذلكَ الدِّياتُ على العاقِلهْ

ومن شعره أيضًا :

ولمَّا سألْتُ القلبَ صبرًا عن الهوى وطالَبْتُهُ بالصِّدق وهو يَروغُ
تيقَّنْتُ منه أنَّه غيرُ صابرٍ وأنَّ سُلُوًّا عنه ليس يسوغُ
فإن قال لا أسلُوهُ قلتُ صدقتَنى وإن قال أسلو عنه قلت دُروغُ[1]

هذه كلمة عجميَة معناها كذب .

ومنهم : أخوه أبو المعالى صاعد بن مُدرِك بن علىّ بن محمد بن عبد الله بن سليمان ، مولده ومنشؤه شَيزرُ وحماة ، ومات بمعرّة النعمان . ومن شعره :

أيأيها الوادى المبنى[2] هل لنا تَلاقٍ فنشكو فيه صُنْعَ التفرُّقِ
أشْكِ ما بى مِن غرامٍ ولَوعةٍ وفرطِ جَوًى يُضنِى وطولِ تشوُّقِ
عسى أن تَرِقَّ حين مُلِّكتِ رِقَّهُ وتَرثِى له مِمَّا بهجرك قد لَقِى
بوصلٍ يروِّى غُلَّةَ الوجدِ والأَسَى ويُطفَا به حرُّ الجوى والتحرُّقِ

وغير هؤلاء حذفت أسماءهم آختصارا ؛ وإنّما قصدت الإخبار عن إعراق أبى العلاء فى بيت العلم .

ونقلت من بعض الكتب أنّ أبا العلاء لمّا ورد إلى بغداد قصد أبا الحسن علىّ بن عيسى الرَّبَعى ليقرأ عليه ، فلمّا دخل إليه قال علىّ بن عيسى : ليصعد الإصطبل ، فخرج مغضَبا ولم يعُدْ إليه . والإصطبل فى لغة أهل الشّام : الأعمى . ولعلها معربة[3] .

---

(١) دروغ ، بضمتين ، كما فى شفاء الغليل ص ١٠٤ ومعجم استينجاس ص ٥١٥ .
(٢) كذا . وفى الخريدة : « المنيبى » .
(٣) انظر ما سبق فى الحاشية ٥ ص ١٦ .

ودخل على المرتضَى أبى القاسم فعثَر برجُلٍ، فقال : مَن هـذا الكلب ؟ فقال المعرّى : الكلب من لا يعرف للكلبِ سبعين آسما . وسمعه المرتضى ، فاستدناه واختبره ، فوجده عالمًا مُشْبَعا بالفِطنة والذّكاء، فأقبل عليه إقبالاً كثيرا .

وكان أبوالعلاء يتعصّب للمتنبى، ويزعم أنّه أشعر المحدَثين، ويُفَضّله على بشّار ومَنْ بعده، مثل أبى نُواس وأبى تمّام، وكان المرتضى يبغض المتنبى ، ويتعصّب عليه ؛ فجرى يومًا بحضرته ذكر المتنبى ، فتنقّصه المرتضَى ،وجعل يَتّبع عيوبه . فقال المعرّى : لو لم يكن للمتنبّى من الشّعر إلّا قوله :

* لك يا منازلُ فى القلوبِ منازلُ *

لكفاه فضلا ! فغضب المرتضَى وأمر فسُحب برِجْله ، وأُخرج من مجلسه، وقال لمن بحضرته : أتدرون أىّ شىءٍ أراد الأعمى بذكر هـذه القصيدة ؛ فإنّ للمتنبّى ما هو أجـود منها لم يذكرها ؟ فقيل : النقيب السيّد أعْرَف . فقال : أراد قوله فى هذه القصيدة :

وإذا أتتك مَذمّـتى من ناقصٍ فهى الشّهادةُ لى بأنّىَ كاملُ

ولمّا رجَع إلى المعرّة لزِم بيتَه فلم يخرج منه، وسمّى نفسه " رهين المحبسين " يعنى حبس نفسه فى المنزل وتركَ الخروج منه، وحبسه عن النّظر إلى الدّنيا بالعمى .

وكان متّهَما فى دينه، يرى رأى البراهمة، لا يرى إفساد الصُّورة ، ولا يأكل لحمًا ، ولا يؤمن بالرّسل والبعث والنّشور .

وعاش ستًّا[1] وثمانين سنة ، لم يأكل اللّحم منها خمسًا وأربعين سنة .

وحُدِّثتُ أنّه مرِض مرّةً، فوصف الطّبيب له الفرُّوج، فلما جىء به لمسه بيده وقال : آستضعفوك فوصفوك ، هلّا وصفوا شِبل الأسد ؟ !

(١) فى الأصل : « شيئا » .

وقد أوردنا مِن شعره ما يُستدَلّ به على سوءِ معتقدِه، ويخبرك بنحلته ومستنده .

وحدّث غرس النِّعمة أبو الحسَن الصَّابى[1]، أنّه بقى خمسًا وأربعين سنةً لا يأكل اللحم ولا البيض ، ويحترم إيلام الحيوان، ويقتصر على ما تُنبِت الأرض، ويلبس خشِن الثياب، ويُظهِر دوام الصَّوم .

قال : ولقِيــه رجُل[2] فقال له : لم لا تأكل اللّحم؟ قال : أرحم الحيوان . قال فما تقول فى السباع التى لاطعام لها إلّا لحوم الحيوان ؟ فإن كان لذلك خالقٌ فما أنت بأرأَف منه ، وإن كانت الطبائع المُحـدِثةَ لذلك فمـا أنت بأحذق منها ، ولا أتقن عملًا ! فسكت .

قال ابن الجوزىّ : وقد كان يمكنه ألّا يذبح رحمـةً ، وأمّا ما قد ذبحه غيره فأىّ رحمة بقيت [فى ترك أكله][3] ؟

قال : وقد حُدّثنا عن أبى زكريّا أنّه قال : قال لى المعرّىّ : ما الذى تعتقد؟ فقلتُ فى نفسى : اليومَ أقف على اعتقاده . فقلت له : ما أنا إلا شاكّ . فقال : وهكذا شيخك .

قال القاضى أبو يوسف عبد السلام القزوينى[4] : قال لى المعرّىّ : لم أحجّ أحدا قطّ ! فقلت له : صدقت ، إلّا الأنبياء عليهم السلام ! فتغيّر وجهه .

وحدّث أبو زكريّا قال : لمـا مات أبو العلاء أُنشِد على قبره بعد موته أربعة وثمانون شاعرًا مراثِىَ، من جملتها أبيات لعلىّ بن الهمام، من قصيدة طويلة :

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٢٥ من المنتظم . (٢) هو أبو نصر المنازى، كما سبق فى نص القفطى ص ٦٣ . (٣) التكملة من المنتظم ص ١٩ .

(٤) هو عبدالسلام بن محمد بن يوسف بن بندار، شيخ المعتزلة . رحل إلى مصر وأقام بها أربعين سنة، وصنف تفسيرا فى سبعمائة مجلد . ولد سنة ٤١١ وتوفى سنة ٤٨٨ . انظر الكامل والبـداية، والمنتظم فى وفيات ٤٨٨ وطبقات الشافعية (٣ : ٢٣٠) .

إن كنتَ لم تُرِق الدِّماء زهادةً فلقد أرقْتَ اليومَ من جَفنى دَمَا
سـيَّرْتَ ذكرًا فى البـلاد كأنّه مِسكٌ مسامِعُها(١) يضمِّخ أو فَمَا
وتَرى الحجيـجَ إذا أرادوا لـيلةً ذِكراك أوجَبَ فِديةً مَنْ أحرَمَا

كأنّه يقول : إنّ ذكرك طِيب، والطِّيب لا يحلّ للمحرِم، فيجب عليه فدية .

ومن شعره فى الزُّهد(٢) :

ضحِكْنا وكان الضحك منّا سفاهةً وحُقّ لسكانِ البسيطةِ أن يبكُوا
يحطِّمُنـا صَرفُ الزّمان كأنّنـا زُجاجٌ ولكن لا يُعـاد لنا سبكُ

ومن شعره فى الزهد(٣) :

فلا تَشْرُفْ بدُنيَا عنكَ مُعرِضـةٍ فـا التشرُّف بالدُّنيا هو الشَّرفُ
وآصرِفْ فُؤادَك عنها مثلما آنصرَفَتْ فكلُّنا عن مغانِيها سينصرِفُ
يا أمَّ دَفْـرٍ لحـاكِ اللهُ والدةً فيك الخَنَاءُ وفيك البُوس والسَّرَفُ
لو أنّك العِرسُ أوقعتُ الطّلاقَ بها لكنّك الأمُّ مالى عنك مُنصَرَفُ

وحدّث أبو الكرم نَميس بن علىّ الحَوزىّ(٤) النحوىّ : حدّثنا القاضى أبو يوسف القزوينىّ ، قال : قال لى مُلحِد المعزّة : ما سمعتُ فى أمر الحسين بن علىّ ، رضى الله عنهما ، شيئًا يجب أن يُحفَظ . فقلت له : قد قال سَوادِىٌّ من أهل بلادنا أبياتًا لا يقول مثلَها تَنوخُ جدُّك الأكبر :

---

(١) يروى : « فسامعة » و : « فسامعه » .

(٢) فى اللزوم (٢ : ١٢٣) .

(٣) البيتان الأول والثانى من هذه المقطوعة مما لم يرو فى الديوانين . والأخيران فى اللزوم (٢ : ٩٧) .

(٤) الحوزى : بفتح الحاء المهملة ، كما فى بغية الوعاة ص ٢٤٥ . وحوز : قرية من شرقى مدينة واسط ، كما فى معجم البلدان .

رأس آبنِ بنتِ محمدٍ ووصيِّه للمسلمين على قَناةٍ يُرفَعُ
والمسلمون بمنظرٍ وبمشهدٍ (١) لا جازعٌ فيهم ولا متفجِّعُ
كُحلتْ بمنظرِك العيونُ عمايةً وأصمّ رُزؤك كلَّ أذنٍ تسمعُ
أيقظتَ أجفاناً وكنت لها كَرًى وأنمتَ عيناً لم تكن بك تهجَعُ
ما روضةٌ إلّا تمنّتْ أنّها لك تُربةٌ ولحظُّ قبرِك مَضْجَعُ (٢)

قال : ولم يسمِّ لنا قائلا :

وقال أبو منصور الثعالبي فى [تتمة](٣) يتيمة الدهر : وكان حدّثنى أبو الحسن الدُّلفيّ المصيصيّ الشّاعر، وهو ممّن لقيته قديماً وحديثا فى مدّة ثلاثين سنة، قال : لقيت بمعرّة النُّعمان عجباً من العجب : رأيتُ شاعرًا ظريفا يلعب بالشِّطرنج والنَّرد(٥)، ويدخُل فى كلّ فنٍّ من الجدّ والهزل ، يكنى أبا العلاء . وسمعته يقول : أنا أحمد الله على العمى، كما يحمده غيرى على البصر .

قال : وحضرته يوماً وهو يُملى فى جواب كتابٍ ورد عليه من بعض الرؤساء (٦) :

وافى الكتابُ فأوجَبَ الشُّكرا فضمَمتُه ولثمتُه عشرَا
وفضضتُه وقرأته فإذا أجلى كتابٍ فى الورى يُقرَا
فمحاهُ دَمعِى من تَحدُّرِه شوقاً إليك فلم يَدَعْ سَطرَا

(١) فى الأصل : « لمنظر ولمشهد » .
(٢) فى الأصل : «ولحظ» .
(٣) هذه الكلمة ليست فى الأصل . والخبر لم يرو فى يتيمة الدهر، وإنما روى فى تتمة اليتيمة . انظر ص ٣ من كتابنا هذا .
(٤) فى الأصل : « من » . وانظر ما سبق فى تتمة اليتيمة ص ٣ .
(٥) فى الأصل : «الزد»
(٦) الأبيات التالية مما لم يرو فى الديوانين .

قال : وأنشدنى لنفسه[1] :

لستُ أدرى ولا المنجِّم يدرِى ... ما يريد القَضاءُ بالإنسان
غَير أنِّى أقولُ قولَ مُحِقٍّ ... قد يرى الغيب فيه مِثلَ العِيان[2]
إنّ مَنْ كان مُحسِنًا قابلتْهُ ... بجميلٍ عواقبُ الإحسانِ[3]

حدّث أبو سعد السّمعانى ، فى كتاب النسب ، وقد ذكر المعرّىّ ، فقال بعد وصفه :

وذكر تلميذُه أبو زكريّا التبريزىّ ، أنّه كان قاعدًا فى مسجده بمعرّة النُّعمان ، بين يدى أبى العلاء، يقرأ عليه شيئًا من تصانيفه . قال : وكنت قد أقمت عنده سنين[4]، ولم أر أحدًا من أهل بلدى . فدخل المسجدَ مغافَصةً[5] بعض جيراننا للصلاة، فرأيتُه وعرفته، فتغيّرت من الفرح، فقال لى أبو العلاء : أَيْش[6] أصابك ؟ فحكيت له أنّى رأيتُ جارًا لى بعد أن لم ألق أحدًا من أهل بلدى سنتين . فقال لى : قم وكلّمه . فقلت : حتّى أُتمّ السَّبق[7] . فقال : قم أنا أنتظرك[8] . فقمت وكلّمته بلسان الأذربيّة شيئًا كثيرا ، إلى أن سألتُ عن كلّ ما أردت . فلمّا رجعتُ وقعدت بين

---

(١) الأبيات التالية لأبى القاسم المحسن بن عمرو بن المعلى ، الذى ترجم له الثعالبى فى تتمة اليتيمة عقب ترجمته لأبى العلاء المعرى فى (١ : ١٠) . ولعل نسخة التتمة التى نقل عنها ياقوت سقط منها العنوان الفاصل بين الترجمتين ، فخال ياقوت ترجمة أبى القاسم من تتمة ترجمة أبى العلاء ، واختار هذه الأبيات .

(٢) فى تتمة اليتيمة : « وأرى الغيب فيه » .

(٣) فى الأصل : « فابكيه بجميل » ، وتصحيحه من تتمة اليتيمة .

(٤) فى نص السمعانى : « قد أقمت عنده سنتين » .

(٥) المغافصة : المفاجأة .

(٦) فى نص السمعانى : « منذ سنين » .

(٧) السبق : الدرس ، كما سبق فى ص ١٣ .

(٨) فى الأنساب : « أنتظرك » .

يديه ، قال لى : أىُّ لسانٍ هذا ؟ قلت : هذا لسان أهل أذربيجان . فقال لى : ما عرفتُ اللسان ولا فهمتُه ، غير أنّى حفظتُ ما قلتما[1] . ثم أعاد علىَّ اللّفظَ بعينه ، من غير أن ينقُص عنه أو يزيد عليه ، جميع ما قلتُ وقال جارى . فتعجّبت غاية التعجُّب ، كيف حفِظ ما لم يفهمه !

قال المؤلّف[2] : وهذا غايةٌ ليس بعدها شىء فى حسن الحفظ .

وقال المؤلّف[3] : وأنا كثير الاستحسان لقول أبى العلاء :

أسالَتْ أتِىَّ الدَّمعِ فوق أسيلِ ... ومالَتْ لِظلِّ بالعراقِ ظَليلِ

أيا جارةَ البيتِ المنيعِ أهلُه ... غدَوتُ ومَنْ لى عندكم بمَقيلِ

لغيرى زكاةٌ من جمالٍ وإن تكنْ ... زكاة جَمالٍ فاذكرى ابنَ سبيلِ

وأرسَلْتِ طيفًا خان لمّا بعثتِه ... فلا تثقى من بعده برسولِ

خيالًا أرانا نَفْسَهُ متجنّبًا ... وقد زار من صافى الوِدادِ وَصُولِ

نَسيتِ مكانَ العِقدِ من دَهَشِ النوَى ... فعلّقتِه من وَجْنةٍ بمَسيلِ

وكُنتِ لأجْلِ السِّنّ[4] شمسَ غُدَيّةٍ ... ولكنّها للبَين شمسُ أصيلِ

أسَرْتِ أخانا بالخِداعِ وإنّه ... يُعَدُّ إذا اشتدّ الوغَى بقَبيلِ

فإن تُطلِقيه تملكى شُكرَ قومِه ... وإنْ تقتُليه تُؤخَذى بقَتيلِ

---

(١) بعد هذه الكلمة نقل ياقوت نص السمعانى بتصرف .

(٢) هذه العبارة ليست غريبة فى كتاب ياقوت . انظر لذلك مثلا ص ٦٧ ، ٨٣ ، ١٢٦ من الجزء الخامس طبعة مرجليوث .

(٣) من قصيدة فى سقط الزند (٢ : ١٤) .

(٤) فى الأصل : «البين» وتصحيحه من السقط .

وإنْ عاش لاقى ذِلّةً واختيارُهُ وفاةُ عزيزٍ لا حَياةُ ذَليلِ
وكيفَ يحثُّ الجيشَ يطلُبُ غارةً أسيرٌ بمحرورِ[1] الذُّيولِ كَبيلِ

ومن شعره فى لزوم ما لا يلزم[2] :

يا مَحَلِّى عليكَ مِنِّى سلامُ سوفَ أمضى ويُنجَزُ الموعودُ
فَلجسمى إلى التُّراب هُبوطٌ ولروحى إلى الهواء صُعودُ
وعلى حالها تَدومُ اللَّيالى فنحوسٌ لمشترٍ وسُعودُ
أترجُّون أنْ أعودَ إليكُمْ لا ترجُّوا فإنّنى لا أعودُ

قرأت بخط أبى سعد : أنشدنا الوكيل بأصبهان[3] : أنشدنا عبيد الله القشيرى : أنشدنا أبو الوليد الدَّرْبَنْدِىّ[4] ، قال : أنشدنى أبو العلاء التّنوخىّ فى داره ، عند وداعى إياه[5] :

كَم بَلدةٍ فارقْتُها ومَعاشِرٍ يُذرُونَ مِنْ أسَفٍ علىَّ دُموعَا
وإذا أضاعَتْنى الخطوبُ فلن أُرَى لِمُهودِ إخوانِ الصَّفاءِ مُضيعَا
خاللتُ توديعَ الأصادِقِ للنَّوَى فمتَى أُوَدِّعُ خِلَّ التَّوديعَا

---

(١) فى السقط : « لمحرور » باللام .

(٢) لزوم مالا يلزم (١ : ٢٦٨) .

(٣) هو أبو محمد عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله الوكيل ، من أهل أصبهان . كان وكيل القضاة ، ثم كبر فكان يؤدّب الصبيان ، وكان كثير الحديث ثقة . توفى سنة ٥٥١ . انظر السمعانى (الورقة ٥٨٥) .

(٤) هو الحسن بن محمد بن على بن محمد الصوفى البلخى . وكان ممن رحل فى طلب الحديث وجمعه ، وأكثر عنه أبو بكر أحمد بن على الخطيب فى التاريخ . توفى سنة ٤٥٦ . انظر معجم البلدان فى رسم (دربند) وتذكرة الحفاظ (٢ : ٣٤٩) وشذرات الذهب فى وفيات هذه السنة .

(٥) من قصيدة فى سقط الزند (٢ : ١٣٦) .

قال ابن الهبّارية[1] : أنشدنى أبو زكريا الخطيب التبريزىّ، قال : أنشدنى أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرّى لنفسه[2] :

أرى جيلَ التصوُّف شرَّ جيلِ ... فقل لهمُ وأهْوِنْ بالحلُولِ
أقال الله حينَ عبدتموه: ... كُلوا أكلَ البهائم وارقُصُوا لِي

* * *

وكتب[3] إلى خاله أبى القاسم علىّ بن سَبيكة، عند طلوعه من العراق ووجد أمّه قد توفّيت، ولم يعلم قبل مقدمه بذلك

"كتابى — أطال الله بقاء سيّدى ما طلع صَبِير، ورسا ثَبِير — من معرّة النُّعمان، ولكلِّ نبأ مستقرّ. وردتُها بعد سآمة، وُرود كعب بن مامة؛ فإنّا لله وإنا إليه راجعون، وله الحمد ممزوجًا به الدَّمع، مُستَكًّا له من الوَجْد السَّمع. وصلى الله على سيدنا محمد وعترته، صلاةً يثقل بها لسانى حُزنا، وترجُح فى المحشَر قدْرًا ووزنا. ثم أذكر قصصى بعد ذلك :

ألا يا ليتَنى والمرءُ ميّتُ ... وما تُغنى من الحدَثانِ ليْتُ

يا ليتَ عمرًا — وليتٌ ضلّةٌ سفَهٌ — ... لم يغْزُ فهْمًا ولم يحلُلْ بوادِيها

---

(١) هو أبو يعلى محمد بن محمد بن صالح البغدادى. كان شاعرا مجيدا كثير الهجاء. وكان ملازما لخدمة نظام الملك وولده ملكشاه. وهو صاحب الصادح والباغم على أسلوب كليلة ودمنة. توفى بكرمان سنة ٥٠٩، كما فى شذرات الذهب وكشف الظنون. وقال السمعانى وابن خلكان إنه توفى بعد سنة ٤٩٠.

(٢) الحق أن البيتين ليسا من شعر أبى العلاء. فقد ورد فى رسالة ابن القارح إلى أبى العلاء : « أنشدنى الظاهر لنفسه » وذكر البيتين. انظر رسائل البلغاء ص ٢٠٠.

(٣) أشار مرجليوث فى هذا الموضع من (معجم الأدباء) إلى أن المصنف أورد لأبى العلاء أربع رسائل، أشار إلى أرقامها من رسائله التى نشرها فى أكسفورد، ولم يثبتها فى المعجم اكتفاء بنشرها فى مجموع رسائل أبى العلاء. ولكنا آثرنا إثباتها هاهنا فى موضعها؛ حرصا على تمام النص.

لَوَ آنّ صُدورَ الأمرِ يَبدُون للفتى كأعقابه لم تُلفِه يتندَّمُ

رحمك الله من ساكنة رمس، أصبحَتْ حياتك كأمس .

فإنْ ينقطِع منكِ الرّجاء فإنّه سَيبقى عليكِ الحزنُ ما بقى الدّهرُ

لا آمُل بعدَها خيرا، ولا أزيد فى المِحَن إلّا إيضاعًا وسيرا .

صلّى الإلهُ عليكِ مِن مفقودةٍ إذ لا يلائمك المكانُ البَلقعُ

أنّى حللتِ وكُنتِ جِدَّ فَروقةٍ بلدًا يمرُّ به الشُّجاعُ فيفزَعُ (١)

لا بارَكَ الله فى الدُّنيا إذا آنقطعتْ أسبابُ دنياكِ مِن أسبابِ دُنيانا

يا سَلوة الأيام موعِدُك الحشر . موعِدٌ والله بعيد ، لا سلوةَ حتى يؤوب عَنَزِىٌّ القَرَظة، ويرجع النعمان إلى الحِيرة، ويُبْعثَ نَبِىٌّ من مكّة . لو لم تكن الآجال ذُبرًا (٢)، لوجب أن أُقتل بها صبرا . على أنّى والله قد أعلمتُها أنّى مرتحِل ، وأنّ عزمى على ذلك جادّ مزمِع، فأذِنَتْ فيه، وأحسبها ظنّته مَذْقةَ الشّارب، ووميضَ الخالب، ولكلّ أجلٍ كتاب . وحُزنى لِفقدها كنعيم أهل الجنّة، كلما نَفِد جُدّد ؛ وشرحُه إملال سامِع، وإفناء زمان . والله يجعلها وإيّاى فِداءَىْ مولاى من كلّ رزيّة ، ويصيِّره المخصوص عنّى بالمَزِيّة (٣) . ورُبّ سامِع خبرى، لم يَسمع عُذرى . والمَعاذر مَكاذب ، غير أنّ الزائد لا يكذب أهله . فإن قال أدام الله عِزّه : يأبى الحقين العِذْرة، وإذا سمِعتَ بِسُرَى القَين فآعلم أنّه مصبِح، وفى النّوى يكذِبك الصادق — فوالذى أخرج الجِذْع من الجرِيمة ، والنّار من الوَثيمة، ما نكّبْت حَلَب فى الإبداء

---

(١) البيتان من مرثية لمويلك المزموم . انظر الحماسة (١ : ٢٦٩) .

(٢) الذبر، بفتح الذال : الكتابة والكتاب . وفى نسخة بيروت من رسائل أبى العلاء : «زبرا» وهى صحيحة أيضا؛ فالزبر، بالكسر : المكتوب .

(٣) المزية : الفضيلة . وفى الرسائل من نسخة بيروت ومرجليوث : «العزية» بالعين، ولا وجه له .

والانكفاء ، إلّا كما تنكّب خَرِيدة المحّار ، لما دونها مِن أهوال البِحار . وأنا كما علِم — أدام الله تأييده — وحشيّ الغريزة، إنسيّ الولادة. وكلُّ أزبٍّ نَفور .

عَوى الذِّئب فاستأنستُ بالذِّئب إذ عَوى ... وصوّتَ إنسانٌ فكِدت أطِيرُ (١)

يرى الوَحشةَ الإنْسَ الأنِيسَ ويَهتدى ... بحيثُ اهتدَتْ أمُّ النُّجومِ الشَّوابِك (٢)

يودّ بجَدْعِ الأنفِ لو أنّ ظهرها ... مِن النّاس أعْرَى مِن سَراةِ أدِيمِ

لو وردتُ حَلَبَ لتعيّنَتْ عليّ حقوق إنْ قضيتُها نَصبت ، وإن تخلّفت عنها عوتبت وقُصِبت . ومن لم يَبِط نَعمان الأراك ، لم يُعتَب عليه فى إهداء المِسواك . ويُطلَب مِن راكب هجر الفَرْض ، ومن مسافر البحرَين الحُسّاس . وشوق إلى مشاهدته شوقُ اليَقِين إلى الشّباب ، والشّارِف إلى السِّقاب ؛ لو أُوسِقتْه الحمائلُ لتعقّبها عن الفَيل ، أو طُوِّقته الحمائمُ لأعَصّها بالهدِيل . كيف تزِيد الحمامةُ الخَطْباء ، على الحامة الخُطباء . الرِّياش أفضل من الرِّيش المَكْر ، والمنزل أشرفُ من الوَكْر ؛ وطوق الذّهب ، خيرٌ من طوق الغَيهب . وأين الشّارف ، من اللبيب العارف ! ليس أمُّ الفَصيل ، مِن ذوات التّحصيل . إنّما هى حِنِينٌ بعده ساوٌ ، واشتغال لُبٍّ ثمّ خلوّ . وأسَفِي على فائت قُربِه كأسفِ وحشيّة تَرُبُّ طَلا ، فى صَفاصِفَ وفَلا ؛ اتّخذَتْ بيتًا كالخدر ، فى ظِلّ الفارِدةِ مِن السِّدر ؛ ثمّ هكمت فى المجير فدرج الطِّفل ، وهو لأبى جَعدة نَصيبٌ وكفل ؛ فلمّا قضت الرُّقاد ، نظرتْ فإذا بقيّة أجلاد ؛ فهى بَين وَلِه ، وعله . والله سبحانه يسهّل اجتماعًا يكون به شَمْلنا كنجوم ذات العَرْش ، لا ترهَب فرقةً ولا نقصَ أرْش .

---

(١) البيت للأحيمر السعدى ، كما فى الشعر والشعراء فى ترجمة الأحيمر .

(٢) البيت لتأبط شرا . انظر حماسة أبى تمام (١ : ١٨ — ٢٠) .

وقد كنت كاتبتُـه كتابا من الرَّقّة أشرح له فيه ما حملنى على النُّزول . فإنْ كان وصل فهو الغَرَض، و إن تخلَّف فالإعادة لِمعناه جَرَض . ولكلِّ مقامٍ مقال، ولكلِّ أوانٍ ثمرة ، وفى كلِّ وادٍ سَمُرة . وجدتُ بغداذ كجناح الأخْيَـل ، حسن وليس فيه ما حمـل .

إنّ العِـراقَ لأهـلِي لم يكُنْ وطنًا ... والبابُ دونَ أبى غَسّانَ مسدودُ[1]

فآنِم القُتُـود على عَـيرانةٍ أُجُـدٍ ... مَهْـرِيَّةٍ مخَطَتْها غِرسَها العِيـدُ

كَمْ دونَ مَيّةَ مِن مستعمَلٍ قُذُفٍ ... ومِن فلاةٍ بهـا تُستودَعُ العِيسُ[2]

حَنّتْ إلى نَخْلةَ القُصْوَى فقلتُ لها ... بَسْـلٌ حرامٌ ألا تِلك الدّهارِيسُ

أُمّى شآميَـةٌ إذْ لا عِراقَ لنـا ... قَـوماً نودُّهمُ إذ قومُنا شُـوسُ

فإنْ يكُ فى كَيلِ اليَمـامةِ عُسْـرةٌ ... فما كَيلُ مَيّا فارفِنَـ بأعْسَـرا[3]

لنفسى أقول : أعيتنِي بأُشُر، فكيف بدُرْدُر . وعصيتنِي مِن شُبّ إلى دُبّ . ليس بِمُشّك فادرُجى . هذا أحقُّ منزلٍ بتَرك . الصَّيفَ ضيّعْتِ اللّبن . الرّبيعَ أغفلتِ الكمأة . وعلى المَفازة أرقْتِ السِّقاء . عُودِى إلى مَبارِكك ، ألحقك الشَّرُّ بأهلك فمِن أناسٍ ما أنتِ . ليس النِّيق بموطِن الظَّليم، ولا المَحْل بمرتع النُّفُر .

لِكلِّ أناسٍ مِن مَعَـدٍّ عِمـارةٌ ... عَروضٌ إليهـا يلجَؤُون وجانِبُ[4]

---

(١) الشعر لذى الرمة . وانظر اللسان (مادة مخط)

(٢) الأبيات للنمس ، واسمه جرير بن عبد المسيح . انظر جمهرة أشعار العرب ص ١١٤ ومعجم البلدان فى رسم (نخلة القصوى) . ونسبته فى معجم البلدان إلى جرير موهمة .

(٣) البيت لابن أحمر . انظر المعرب للجواليقى ص ٣٢٢ .

(٤) البيت للأخنس بن شهاب التغلبى من قصيدة فى المفضليات (٢ : ٣ — ٨) .

وكنت ظننتُ أنّ الأيّام تسمح لى بالإقامة هناك، فإذا الضارِية أَهجأُ بِمراقها، والأمة أبخـل بصَرْبتها[1] ، والعبد أشحّ بكُراعه ، والغراب أضنّ بتَمْرته . ووجدت العلم ببغدادَ أكثرَ من الحصى عِند جمرة العقَبة[2] ، وأرخص من الصِّيحانىّ بالجابِرة، وأمكن من المـاء بخُضارة، وأقرب من الجريد باليمامة[3] . ولكن على كلّ خيرٍ مانع، ودون كل دُرّة خرساءُ موحِّية، أو خضراء طامِية .

إذا لم تستطِـعْ أمرًا فـذَرْهُ وجاوِزْه إلى ما تسـتطيعُ[4]

يكفيك ما بلّغك المحلّ . إن عجَز ظِلّ عن شخصك فلا يَعجزنّ عن عضوٍ منك . فلمّـا زَبَنت الضّروسُ الحالِب، ونزَت العَنُـود[5] تحت الراكب ، ومنعت القَـلُوع النّازع ، ولم تَعُمّ الفَلُوتُ شاكِىَ الأريز، وغشّى القُولُ[6] وجه المشتار ، وخيّب رائدا سحاب ، وكذب شائمًا برق، وأخلف رُوَيعِيًا مَظِنّة ـ عادت لعِترها لِبس، وذكر وِجاره ثُعالة، وطرِب لِوُكنته آبن داية . وما هبطتُ فى طريق واديًا ، ولا فرعْتُ جبلًا ، ولا حملْنى سفينة، ولا ذلّت لى مطِيّـة ، إلّا بِمنّ الله سبحانه ومِنّة سـيّدى وعنايته وجاهه . وأياديه أكبرُ من الشُّكر، وأوسع من إحاطة الذِّكر . وقد علمتُ

---

(١) الصربة : واحدة الصرب ، بفتح الصاد وإسكان الراء وفتحها فيهما . وهو اللبن الحقين الحامض . وفى الأصل : « بضربتها » .

(٢) الجابرة والجبورة من أسماء المدينة ، كما فى القاموس . وليست فى معجم ياقوت .

(٣) فى طبعة مرجليوث : « الجريدة » وأثبتنا ما فى نسخة بيروت .

(٤) البيت لعمرو بن معديكرب . انظر الأصمعيات ٤٥ والحيوان (٣ : ١٣٨) . ورواية نسخة بيروت : « إذا لم تستطع شيئا فدعه » .

(٥) العنود ، بفتح العين وضم النون : الدابة المتقدمة فى السير ، والناقة تنكب الطريق من نشاطها ونزوتها . وفى طبعة بيروت : « العتود » بالتاء ، لا وجه له .

(٦) القول : جماعة النحل . وفى الأصل وكذا فى نسخة بيروت : « القول » بالقاف ، تحريف .

أنّه يعمل ذلك معى لا يريد جزاءً ولا شُكورا . ولكنْ لمّا كان السُّكوت غباوة عند الجماعة، والشُّكر أذيّة لمُسْدِى الصَّنيعة، كان احتمال ملامةٍ واحدة، أيسرَ من احتمال مَلاوِمَ كثيرة .

وأمّا سيِّدى أبو طاهر فقد حمّلنى من الإنعام أُوْقًا[1] لا آمُل النُّهوضَ بجُزء منه، وما ورِث بِرِّى عن كَلالة، ولا أخذ تفقُّدِى من دارِ غُرْبة . شِنشِنة من أخزم، ونِشنِشة من أخشن . إنما تقيَّلَ أباه . والشَّكير نابت من العِضَة، والبَرَم من السَّلَم، ومن أشبه أباه فما ظلم . ما زالت كتُبه تطرق أصدقاءه ، محافظةً على المكارم ، ومراعاةً لأمرٍ غير لازم، حتّى جعلهم إلىّ كعُرْف الفَرَس، أو قُوَى المَرَس . وكلّما عرضوا قضاءَ حاجة أعرضْت عن تكليف المشقّة، لأنّى أعتقد حكمة زهير فى قوله :

ومن لا يزلْ يستحملُ النّاسَ نفسَه ولا يُعفِها يومًا من الذُّلِّ يُسأمِ

ولو علمتُ أنّى أرجع على قَرْوائى، لم أتوجّهْ لهذه الجهة ، ولكنّ البلاء موكّل بالمنطِق ، والحِيَرة مغيَّبة، والخطوب مثلُ دَولِك النَّوفَل، يُفتح بعضه عن مِثل نبات الفَمَق ، وبعضُه عن ذوات النسـق . لا يدرِى الرَّجُل بمَ يُولَع هَرِمُه ، ولا إلى أىِّ أجمةٍ يَسوقه جَدُّه . ﴿ ولو كُنْتُ أعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وما مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾ . وُجد فى لوح :

يأيُّها المضمِرُ هَمًّا لا تُهَمّْ إنّكَ إنْ تُقْدَرْ لك الحُمَّى تُحَمّْ

ورِعاية الله شاملةٌ لمن عرفتُه ببغداذ ؛ فلقد أفردونى بحُسن المعاملة ، وأثنَوا علىّ فى الغَيبة ، وأكرمونى دون النُّظراء والطَّبَقة . ولمـا آنَسوا تشميرى للرَّحيل ، وأحسُّوا بتأهُّبى للظّعن، أظهروا كُسوفَ بال، وقالوا مِن جميلِ كلِّ مقال، وتلفّعوا

(١) الأوق، بالفتح : الثقل . وفى الأصل : « أوقالا » بزيادة « لا » محرف .

من الأسف ببُردٍ قشيب، وذرفت عيونُ أشياخٍ شِيب . فلا إلٰهَ إلّا الله! أىُّ نابتةٍ ليست لهـا راعية ! لا تخلو فاغِية من سائِفة ، ولا تَعْدم الخرقاء ثَلّة ، ولا الثّقـالُ سائقة، ولا السَّمِجة قانية .

وأمرونى لِرغبتهم فى صَقَبى منهـم بأمورٍ تَنهى عنها القناعة ، وتكفُّ دونهـا العادة . وما أبعد نَضَادٍ من جِبال الضَّريب، وأشدَّ آختلاف الغائر والمنجدين (١) ! ٥

شَـتّانَ ما يَومِى على كُورِها ويـومُ حَيّانَ أخِى جابِرِ (٢)

على حِين أن ذَكَّيتُ وآبيضَّ مَفرِقى أُسام الذى أعيبْتُ (٣) إذْ أنا أمرِدُ

أَماوِىَّ ما يُغنِى الثَّراءُ عن الفتَى إذا حشرجَتْ يومًا وضاقَ بها الصَّدرُ (٤)

والله يحسن جزاءهم . إن كان ما فعلوه حِفاظًا فهو مِنّةٌ عظيمة، وإن كان نِفاقًا فهو عِشرةٌ جميلة . وانصرفتُ وماء وجهى فى سِـقاءٍ غيرِ سَرِب، ما أرقْتُ منـه ١٠ قطرةً فى طلب أدبٍ ولا مال . ومنذُ فارقتُ العِشرين من العُمر ما حدَّثتُ نفسى باجتداء عِلمٍ من عِراقٍّ ولا شآمٍ . ﴿ مَنْ يَهْـدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَـدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرشِدا ﴾ .

والذى أقدمنى تلك البِلادَ مكانُ دارِ الكتب بها .

ولستُ وإن أحببتُ من بسكُنُ الغَضَى بأوّلِ راجٍ حاجـةً لا ينالُهـا ١٥

شرفًا لذلك المنزِل متزلا، وللسّاكنين به نفَرا، ولمـاء دِجلةَ واديًا ومشرَبا .

---

(١) كذا فى الأصل بإفراد الأول وجمع الثانى .

(٢) البيت للأعشى من قصيدة فى ديوانه ص ١٠٤ — ١٠٨ .

(٣) أعيبته : أراد عددته عيبا . والقياس : « أعبت » .

(٤) البيت لحاتم الطائى من قصيدة له فى مجموع خمسة دواوين العرب ١١٨ . ٢٠

وإنّى وتَهيامِي بعَزّةَ بعدما تخلّيتُ مِن حَبلِ الهَوَى وتخلّتِ
كالمبتغِى (١) ظِلَّ الغَمامةِ كُلّما تَبَوّأ منها للمَقِيلِ اضمحلّتِ

وكنت إذا خبّرت رجلًا بمسيرى بانت فيه كآبة، وبدت عليه كَبوة، فكتمتُ ذلك عنهم كِتمانَ المرأة ضَرّتَها بالغيب، ما فى جسدها من سُوءٍ وعيب. فلمّا علِق حِرباء البينِ تَنضُبَتَه، ووقف صُرَد الفِراق موقِفَه، كنت وإيّاهم كأبى قابوس وبنى رَواحةَ:

قالَ لهمْ خيرًا وأثنى عليهمُ ووَدّعهمْ ودَاعَ أنْ لا تَلاقِيَا

وسِرتُ عن بغداذ لستٍّ بقِينَ من شهر رمضان، سيرًا تَخِطّ إبلُه، وتئِطّ نُسوعه، وتَوَقّعُ الغرقَ سُفُنه. يودّ الماشى الرّجيلُ فيه أنّه بعضُ الرّكب، ولو كانوا رُكبان الجذوع؛ وأنه (٢) انتعل ولو بأديم الوجْه والجبين، واضطجع ولو على القَصَد والشَّبَهان. عند الصّباح يحمَدُ القومُ السُّرى. الغَمرات ثُمّ ينجلين. ومررتُ بطرف الشّهباء؛ لأنّى سلكت طريقَ الموصلِ ومَيّا فارِقين، وفيها أمواهٌ كأمواه الطَّثْرة والعُذَيب، فسبحان اللهِ القديم!

وردتُ مِياهًا مِلحةً فكرِهتُها فسَقيًا لأهلى الأوّلِينَ ومائِيَا

كلّما شحَجت النّواعب قلتُ خيرًا أيّتُها الطّير، لا عِلم لكِ بما كان ولا عِلم لكِ بما يكون. وراءَكِ وراءك! فغيرى مَن تهيّبين. طالما نزل نازلُكِ على النّبيلة فهاض جَناحَه الوليد.

مَن مبلِغٌ عمرَو بن لأ ي حيث كانَ من الأقاوِمْ
لا يمنعنّكَ مِن بُغا ءِ الخَيرِ تَعقادُ التّمائِمْ

(١) يروى: «لكالمرتجى» كما فى رسائل المعرى طبع بيروت وأمالى القالى. والبيتان من قصيدة لكثير عزة. انظر أمالى القالى (٢: ١٠٧ — ١١٠).

(٢) فى طبعة بيروت: «انتقل» بالقاف

فلقـــدْ غـــدوتُ وكنتُ لا أغْـــدو عـــلَى واقٍ وحائمْ
فإذا الأشـائمُ كالأيا مِنِ والأيامنُ كالأشـائمْ
وكذاكَ لا خـيرٌ ولا شَـرٌّ على أحـدٍ بـدائمْ (١)

ولمّا نزلْنا بالحَسَنِيّـة ، تساوَى حاملُ المـال وحاملُ الرِّمال، وقلّ بلاء الغَادى أين قال ، والرّائح أين عَرّس وبات . فلم نَزَلْ كذلك حتّى بلغنا آمِد ، ثمّ عادت السّبيل إلى غوائلها ، وسِدكت الرِّفاقُ بمخاوِفها .

فمـا بلّغْتِنـا إلّا جَرِيضًـا بلا نِقْيِ العِظـامِ ولا سَـنامِ

ولمّا فاتنى المُقام بحيثُ آخترت ، أجمعت على آنفرادٍ يحملنى كالظّبي فى الكِناس، ويقطع ما بينى وبينَ النّاس، إلّا من وصلنى الله به وصلَ الذِّراع باليد، والليلةِ بالغد.

وأنا أحمِلُ إلى مولاى، أدامَ الله عِزّه، وإلى مولاى أبى طاهر، عضّدنى الله ببقائه ، سلامًا له نَضرة الأَلاء . وصـفاءُ المـاء، وعذوبةُ الأُرْى ، وتَتابُع القَطْرِ، وخُلود النُّجوم ، وأَرَج العَرار، وتألّق الوميض . والسلام .

* * *

وكتب إلى أهل معرّة النعمان مَقْدَمَه من بغداذ ولم يصل إليهم : (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب إلى السَّكْنِ المقيم بالمعرّة، شملهم الله بالسّعادة، من أحمدَ بنِ عبد الله آبن سليمان، خصّ به من عرَفه وداناه، سَلّم الله الجماعةَ ولا أسلمها، ولمّ شعثَها ولا آلمَها.

أمّا الآنَ فهذه مُناجاتى إيّاهم مُنصرَفى عن العِراق، مجتمع أهل الجدال، وموطن بقيّـة السّلَف ، بعـد أن قضيت الحداثة فآنقضت ، وودّعتُ الشّبيبةَ فمضت ،

---

(١) الأبيات للرقش . انظر الحيوان (٣ : ٤٣٦ ، ٤٤٩) وتأويل مختلف الحديث ص ١٢٩ .

(٢) انظر الرسائل مرجليوث ص ٣٤ — ٣٥

وحلبْتُ الدّهرَ أشْطُرَه، وجرّبت خيرَه وشرّه، فوجدت أوْفق ما أصـنَعُه فى أيّام الحياة، عُزلةً تجعلُنى من النّاس كبارِح الأَرْوَى مِن سانح النَّعام . وما ألوَتُ نصيحةً لنفسى، ولا قصّرت فى آجتذابِ المنفعة إلى حَيِّزى. فأجمعْتُ على ذلك، وآستخَرْت الله فيه، بعدَ جلائه على نفرٍ يُوثَق بخصائلهم، فكلُّهم رآه حَزْما، وعدَّه إذا تمّ رُشْدا. وهو أمرٌ سُرِى عليه بليل، فُضِى ببَقّة، وخبّتْ به النّعامة، ليس بنَتِيج السّـاعة، ولا رَبِيب الشّهرِ والسنَة، ولكنّه غِذىُّ الحِقَب المتقادِمة، وسلِيلُ الفِكْر الطّويل. وبادرتُ إعلامَهم ذلك، مخافةَ أن يتفضّل منهم متفضِّل بالنّهوض إلى المنزل الجارية عادتى بسُكناه ليلقانى فيه، فيتعذّر ذلك عليه، فأكونَ قد جمعتُ بين سَمْجين : سوءِ الأدب وسوء القَطيعة. ورُبّ مَلُومٍ لا ذنبَ له. والمثل السّائر: خلِّ امرأً وما آختار. وما سمحت القَرونُ بالإياب، حتّى وعدتها أشياءَ ثلاثة : نَبذةً كنبذةِ فتيقِ النُّجوم، وآنقضاباً من العالَم كآنقضابِ القائبة من القُوب، وثباتًا فى البلَدِ إن حال أهلُه من خَوف الرُّوم. فإن أبى مَن يشفق علىَّ أو يُظهِر الشَّفَق إلا النَّفْرة مع السّواد، كانت نَفرةَ الأعفـر أو الأدماء. وأحلِفُ ما سافرتُ أستكثِرُ من النشَب، ولا أتكثّرُ بلقـاء الرِّجال، ولكنْ آثرتُ الإقامةَ بدار العلم، فشاهدتُ أنفَسَ مكانٍ لم يُسعف الزّمنُ بإقامتى فيه. والجاهل مغالِبُ القدَر. فلهِيتُ عمّـا آستأثر به الزّمان. والله يجعلهم أحلاسَ الأوطان، لا أحلاس الخيلِ والرِّكاب؛ ويسبغُ عليهم النِّعمة سبوغَ القمْراء الطّلقةِ على الظّبى الغَرير، ويُحسِنُ جزاءَ البغداذيّين؛ فلقد وصفونى بما لا أستحقّ، وشهِدوا لى بالفَضيلة على غير علم، وعرَضُوا علىّ أموالهم عَرض الجِدّ، فصادفونى غير جَذِل بالصِّفات، ولا هشّ إلى معروف الأقوام. ورحلتُ وهُم لرحيلى كارهون. وحسبى الله، وعليه يتوكل المتوكّلون.

* * *

وكتب إلى أبى طاهر المشرّف بن سبيكة وهو ببغداذ ، يذكر له أمر شرح السيرافى وما جرى فيه من التعب :[1]

بسم الله الرحمن الرحيم .

لله الحمد، ما أُحْصِىَ خطأً وعَمْد؛ وصلى الله على محمد ما التأم شَعب، وعلا كعباً كعب.

شوق إلى سيِّدى الشيخ شوقُ البلاد المحِلة، إلى السَّحابة المِسْحلة[2]. وآنتفاعى بقربه آنتفاعُ الأرض الأريضة، بالأمواه الغريضة. وتشوُّفى لأخباره تشوُّفُ راعى أنعام، أجدَب فى عامٍ بعد عام؛ لبارقٍ يمان، هُوَله مرتقب مُمَـان. وأسفى لفقده أسفُ وحشيّة، رادت بالعشية، فخالفها السِّرحان إلى طَلًّ رادَ فخار؛ فهى تطوفُ حول أميل، وترى صبرها ليس بجميل. وتذكُّرى لأوفاته تذكُّرُ الفطيم ثدىَ الوالدة، وللقسم بالمع لبنى خالدة. وآنتظارى لتدومه آنتظار تاجرِ مكّةَ وفدَ الأعاجم، وربِّ الماشية ظهورَ البيت الناجم. وفزعى إلى نجدته فزعُ الغرق إلى سيف دان، والفريق، إلى سَيف ليس بدَدَان؛ وآعتذارى من التثقيل عليه آعتذارُ الورقاء من الغدر، وأبى جهل من حضور بَدْر. وثِقتى بمكارمه ثقة راكب الماء بالعامَة، والحارث بالنَّعامة. وشكرى على أياديه حبيس ليس بمحتبَس، يتجدّد مع النَّفَس.

وفى هذا اليوم، وهو يوم كذا، وصل كتابُه فسُررتُ به سرورَ الظمآنِ وردَ نميرا، والسّاهرِ صادفَ سميرا. وكان مما ضمَّنه من ذكر سلامته بُشرَى لها تخفُّ الأحلام، خفّة القائل ولا يلام: ﴿ يَا بُشْرَايَ هَـذَا غُلَامٌ ﴾. والله يمنّ بآجتماع، ليس بعده من إزماع.

---

(١) انظر مرجليوث ص ٣٦ — ٣٧.

(٢) مسحلة: غزيرة المطر، من قولهم مطر مسحل، كثير: جود. والمسحل أيضا: الغاية فى السخاء. وفى طبعة مرجليوث: «المنسحلة» تحريف.

وفهمتُ ما ذكَره من أمر النُّسخة المحصَّلة . وهو ، أدام الله عزّه، الكريم المتكرِّم، وأنا المُثْقِل المُبرِم . جرى فى التفضُّل على الرَّسم ، وألحتُ إلحاح الوَسْم . فإنما الشرح إنْ سمح القَدَر ، وإلَّا فهو هَدَر . وقد كنتُ قلتُ فى بعض كتبى إلى سيِّدى : إن كانت الخطوط مختلفة ، والأبواب مؤتلفة ، فلا بأس . يُغنى عن لُبس السَّرق ، ثوبٌ جُمِع من شَتَّى خِرق . ما عدا خطَّ علىّ بن عِيسى (١) ؛ فإنّه رجل اتّكل على ما فى صدره ، فتهاون بإحكام سَطْره . وإنّما رجوتُ ببركته أن يرتفق (٢) أناس كما قال الله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾. فأمّا أنا فلا أقول : ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ .

وأمّا ما ذكره من فَساد النّاس فأحلف ما حلِم أديم : إنّ ذلك (٣) لَداءٌ قديم ؛ النَّمِرة بنت النَّمِرة ، والقَتادةُ أختُ السَّمُرة . وهو — أدام الله تأييده — من الملامة ، فى أحصن لامة ؛ فلا يبعثه نعذُر الحاجة على اللجاجة . أهو الكتاب المكنون ، الذى ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ . إنما هو أباطيل أُتَيّاه (٤) ، وتمليل فى أيام الحياة . ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ .

فأمّا سيِّدى الشيخ أبو عمرو ، فإنّ اسمه وافق آية ، بلغت بفالها النهاية ؛ وهى قوله جلّ اسمه : ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ . وأنا والجماعة نُهدى إلى سيِّدى الشيخ وإلى جميع أصدقائه ، سلامًا تأرَج الكتبُ بحمله ، وتُرَوِّضُ المُجدبةُ من سَبَلِه . وحسبى الله .

---

(١) انظر ترجمته فى ص ١٦ .

(٢) يرتفق : ينتفع . وفى الأصل : « يتفق » .

(٣) فى الأصل : « وإن » .

(٤) الأتياه : جمع تيه ، بالكسر وهو المفلة . وفى الأصلين : « لياه » ولم نرها وجها .

* * *

وكتب إلى أبي عمرو الإستراباذى، فى أمر شرح السِّيرافى[1] :

بسم الله الرحمن الرحيم

سلامٌ كالعِترة[2] الهنديّة، والرَّوضة النجْدية؛ يتّصل بسَحاب غَمْر، إلى الشيخ الفاضل أبي عمرو، أطال الله بقاءه ما سكنت ألِف، وآفتقر إلى جوابٍ حَلِف، وقرنه الله بسعد دان، كما تقارن الفرقدان؛ لا يُرْهَب منهما فِراق، ما تبع الشروقَ إشراق. فشوق إليه لو تذرّى جبلا أتعبه، أو سلك فى وادٍ لرعَبَه؛ جمع الله بيننا فى دار مقام، سالمةٍ من الآستقام.

وورد كتابه فأبهجنى آبتهاج الطائر المحتَبَس بالتسريح، والأسيرِ المصَفَّد بفكاكٍ مريح؛ وسررت بخبر سلامته سرور الدار بيْنٍ، أحدهما بنُسُكه، والآخر بمِسْكه. أدامهما الله له حتّى يصيرَ مهيلُ قمرا، والدرّ فى العِضاه ثمرا. وقد أثنيت وشكرت، وفى إملال الصديق ابتكرت. أوغَلْت كل الإيغال، وقُطِعتُ عن مُهِمّ[3] الأشغال. إذ كانت عند طلّاب العلم بمدينة السلام كشَجَر المُرَى لا يسقط ورقه، والماءِ الصَّرَى لا يؤمن شَرَقُه. لاسيّما من جَمَع نَور الآداب، من كل هَضْبٍ وعَذاب. كان أيسرَ من عنائه فى ذلك قذفُ الشّرح فى سَمِيع؛ حتّى يُعشِب خدٌّ شُريح. فهو فيما رُوِى قَطّ، ما أشعرَ وجهُه قطّ. كفانى الله وله الحِباه، أن تبدل من الشين الباء، فيصير الشرح من الشَّقَاء، البَرْحَ على الأصدقاء. أهو المصدر من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾؟ أم من قوله عزّ سلطانه: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾؟ إنّما هو أفانين كلامٍ أصبح وهو مجموع، المقيس فيه والمسموع؛ لايخلد مَن رواه،

(١) هذه الرسالة لم ترد فى طبعة بيروت من رسائل المعرّى. وهى فى طبعة مرجليوث ص ٣٨ — ٣٩.

(٢) العترة، بالكسر: القطعة من المسك، كالعنوارة. وفى الأصل: «العتيرة».

(٣) فى الأصل: «عزمهم».

قد عاش النّاس بسواه . إنّى وحياتِه الكريمة قد خِفت أنْ يجعلنى الإخوان لأجله فيمن شَرَح بالكُفر صـدرا ، ولن أخاف منهـم غدرا ؛ لا الصّـارمَ صقلت ، ولا فى الشّامخ توقّلت . والكريم المبرِّز بجوادٍ بعيـدِ الشأو، كُلِّفَ شأوًا بعد شأو، بفـاء بمودَ الآثار ، منزّهًا عن كلّ عِثار، دالًّا على اليمن بفُترةٍ زاهرة ، ودائرةٍ سَمامةٍ ظاهرة . ولن أقول لمَنْ غاب : رِيشَ سهمُه اللُّغاب؛ ولا أقرأ لكتاب أبى سعيد: ﴿ أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيـدٍ ﴾ . بل أنا من التّثقيـل حذِر، مشفِقٌ من ذلك معتذر . وإنّما سألت أن يستسعد برائِه(١) ؛ لقلّة نظرائه . وهو عندى أجلّ، والكتاب أيسر وأقلّ، من أن يكلّف خطوات، ولو كُنّ كدبيب القَطَوات .

وأنا أسأل الشيخ الأديب الفاضل، أن يُسعِفنى بكتابٍ منه يشتمل على أسطر، كأنّ فيه ريح القُطُر؛ يضمّن طيبَ خبر، هو أذكى من العنبر؛ وأوامر منه ونواه ، ما أنا إن آمتثلتها بِواه . وأستودعه اللهَ وديعةَ ضنينٍ، عند ثقة أمين .

* * *

ومن شعر أبى العلاء فى الغزل(٢) :

ياظبيـةً علِقتَـنِي فى تصـيُّدها ... أشراكُها وهى لم تَعلَقْ بأشراكِى

رعيتِ(٣) قلبِي وما راعيتِ حرمتـه ... فـلِمْ رعيتِ ولا راعيتِ مَرْعاكِ

أتحـرِقين فـؤادًا قـد حَلَلتِ به ... بِنـار حُبِّـك عمـدًا وهو واراكِ(٤)

أسْكنتِـهِ حين لم يسكنْ به سكنٌ ... وليس يحسُنُ أن تسخَىْ بسُكناكِ

ما بالُ داعِى غرامِى حِين يأمرُنى ... بأنْ أُكابِدَ حَـرَّ الوجـدِ ينهـاكِ

---

(١) استسعد به : عدّه سعيدا . والراء : الرأى .

(٢) الأبيات الآتية مما لم يرو فى الديوانين .

(٣) فى الأصل : «أعيت» والأصوب ما أثبتنا من الوفيات ومعاهد التنصيص .

(٤) فى الوفيات والمعاهد : « مأواك » .

ولِمْ غدا القلبُ ذا يأسٍ وذا طمع يرجوك أن ترحِمه ثم يخشاكِ[1]

ومن خطّ ابن العصار : قال أبو العلاء فى رجلٍ اسمه أبو القاسم :[2]

هـذا أبـو القـاسم أعجـوبةٌ لكلِّ من يَدرِى ولا يَدرِى

لا ينظِـم الشـعر ولا يحفـظ الـ ـقُـرآنَ وهْو الشّـاعرُ المُقْـرِى

قرأت بخط أبى سعد، قال : سمعت المبارك بن أحمد بن الأخوث، مذاكرةً: خرج رجلٌ على سبيل الفرجة، فقعد على الجسر، فأقبلت امرأةٌ من جانب الرُّصافة متوجّهة إلى الجانب الغربىّ، فاستقبلها شابّ، فقال لها : رحم الله علىّ بن الجهم![3] فقالت المرأةُ فى الحال : رحم الله أبا العلاء المعرّىّ! ولم يقفا، ومرّا مشرِّقًا ومغرِّبة. فتتبّعْتُ المـرأة، وقلت لهـا : أخبرينى، عافاك الله، عما قال لك وعمّا أجبتيـه. فقالت : نعم، رحم الله علىّ بن الجهم، أراد قولَه :

عيـونُ المهـا بين الرُّصافـةِ والجسرِ جَلبْنَ الهوى من حيث أدرى ولا أدرِى

وأردْتُ بترحُّمى على أبى العلاء قولَه :

فيـا دارَها بالحَـزْنِ إنّ مزارها قـريب ولكن دونَ ذلك أهوالُ[4]

قال أبو زكريّا يحيى بن على الخطيب التبريزى : أنشدنى أبو العلاء أحمـد بن عبد الله بن سليمان المعرّىُّ لنفسه :[5]

مِنكِ الصُّدود ومِنّى بالصدودِ رِضا مَن ذا علىَّ بهـذا فى هواكِ قَضَى

بى منكِ مالوغَدا بالشّمسِ ماطلعَتْ من الكآبة أو بالبرقِ ما ومَضَـا

(١) رواية المعاهد : «وكم ... وهو يخشاك» .

(٢) البيتان مما لم يرو فى الديوانين .

(٣) فى الأصل : «على بن الجعد» تحريف .

(٤) البيت من قصيدة فى سقط الزند (٢ : ٤٦).

(٥) الأبيات من قصيدة فى سقط الزند (١ : ١٣٧).

جزبتُ دهْرِى وأهْلِيه فما تركتْ ... لى التّجارِب فى وُدّ امرئٍ غَرَضَا

إذا الفتَى ذَمَّ عيشًا فى شبيبتِه[1] ... ماذا يقول إذا عصر الشبابِ مضَى

وقد تعوَّضتُ عن كُلٍّ بمشْبِهِه ... فما وجَدْتُ لأيّامِ الصِّبا عِوَضَا

وله أيضا :

غدوتُ مريضَ العقلِ والدِّينِ فالقَنِي[2] ... لِتعْلَمَ أنباءَ الأمورِ الصّحائحِ

... ... الأبيات .

قرأت بخطّ عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجىّ[3] الشّاعر، فى كتابٍ له ألّفه فى الصّرفة[4]، زعم فيه أنّ القرآن لم يخرِق العادةَ بالفصاحة حتّى صار معجزةً للنبى صلى الله عليه وسلم ، وأنّ كلّ فصيحٍ بليغٍ قادرٌ على الإتيان بمثله ، إلّا أنّهم صُرِفوا عن ذلك ، لا أن يكون القرآن فى نفسه مُعجِز الفصاحة . وهو مذهبٌ لجماعةٍ من المتكلّمين والرّافضة ، منهم بِشْر المَرِيسىّ ، والمرتضى أبو القاسم . قال فى تضاعيفه : وقد حمل جماعةً من الأدباء قولُ أصحابنا[5] — أنّه لا يمكّن أحدٌ من المعارضة بعد زمان التحدّى — على أن نظموا على أسلوب القرآن . وأظهر ذلك قوم وأخفاه آخرون .

وممّا ظهر منه قول أبى العلاء فى بعض كلامه : أقسم بخالق الخيل ، والرّيح الهابّةِ بليل ، بين الشَّرَط[6] ومطالِع سُهيل ، إنّ الكافر لطَويل الوَيل ، وإنّ العُمُر لَمكفوف الذّيل ، آتٍ مدارج السّيل ، وطالِع التّوبة من قُبيل ، تنتجُ وما إخالُك بناج .

(١) رواية السقط : «فما يقول» . (٢) البيت أول مقطوعة فى اللزوم (١ : ٢٢٢) .

(٣) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجى . كان يرى رأى الشيعة ، وكان قد عصى بقلعة عزاز من أعمال حلب . وتوفى غيلة سنة ٤٦٦ . انظر فوات الوفيات (١ : ٢٩٨) .

(٤) فى الأصل : « الصدقة » محرف . (٥) أى أصحاب الرأى مع الخفاجى .

وفى الأصل : «أصحاب» . (٦) الشرط ، بالتحريك : واحد الشرطين ، وهما نجمان من الحمل . والكلام ورد فى الفصول والغايات ص ٢٥٤ .

وقوله : أذلّت العائذة أباها، وأصاب الوحدة ورباها[1] ، والله بكرمه آجتباها، أولاها الشرف بما حباها، أرسل الشّمال وصَبَاها . ولا يخاف عقباها .

وقال[2] :

ما جارَ شمّاسُك فى كِلْمِهِ ولا يَهُودِيُّكَ بالطّامِعِ
والطّيلسان آشتُقّ فى لفظِهِ مِن طُلْسة المبتَكِرِ الخامِعِ
والقَسُّ خَيرٌ لك فيما أرَى مِن خاطبٍ يخْطُب فى جامِعِ

وله أيضا[3] :

قالوا فُلانٌ جيّدٌ فاجبتهم لا تكذِبُوا ما فى البريّة جَيِّدُ
فغنيُّهم نالَ الغِناءَ بِخُلِه وفقيرُهُم بصلاتِهِ يتصَيَّدُ

والنّاس فى أبى العلاء مختلفون، فمنهم من يقول : إنّه كان زنديقا، وينسبون إليه أشياءَ ممّا ذكرناها . ومنهم من يقول : [كان] زاهدًا عابدًا متقلّلا ، يأخذُ نفسه بالرياضة والخشونة، والقناعة باليسير، والإعراض عن أعراض الدنيا .

قال كمال الدين أبو القاسم عمر بن أبى جرادة : قرأت بخط أبى اليُسر شاكر ابن عبد الله بن سليمان المعرّى : أنّ المستنصر صاحب مصر، بذَل لأبى العلاء ما بيت المال بالمعرّة من الحلال، فلم يقبل منه شيئا، وقال[4] :

كأنما غانةٌ[5] لى من غِنًى فعَدِّ عن مَعدِنِ أسوانِ

---

(١) كذا فى الأصل .

(٢) الأبيات فى لزوم ما لا يلزم (٢ : ٩٣) مع خلاف فى الترتيب والرواية .

(٣) البيتان من أبيات فى اللزوم (١ : ٢٦٣) مع خلاف فى الرواية .

(٤) الأبيات مما لم يرو فى الديوانين .

(٥) غانة : بلاد يكثر فيها الذهب . انظر البلدان لابن الفقيه ص ٨٧ . وفى الأصل : « غاية » مصحف . وانظر نهاية كتاب الإنصاف والتحرى، واللزوم (١ : ٣١٤) .

سِرتُ برغمى عَن زمانِ الصِّبَا يُعجِلُنى وقْتى وأكوانِى
صَدَّ أبى الطّيِّب لمّا غَدَا مُنصرِفًا عن شِعبِ بَوّانِ

وقال أيضًا[1] :

لا أطلبُ الأرزاق والـ ـمولى يُفيضُ علىَّ رِزقِى
إن أُعطَ بعضَ القوتِ أعـ ـلَمْ أنَّ ذلك ضِعفُ حَقِّى

قال : وقرأت بخط أبى اليسر المعرّىّ فى ذكره : وكان رضى الله عنه يُرمَى من أهل الحسد له بالتّعطيل، وتعمل تلامذته وغيرُهم على لسانه الأشعار، يضمّنونها أقاويل الملحدة، قصدًا لهلاكه، وإيثارًا لإتلاف نفسه، فقال رضى الله عنه[2] :

حاول إهوانِىَ قومٌ فما واجهتُهم إلّا بإهوانِ
يحرسونى ببعاياتهم[3] ففيّروا نِيّةَ إخوانِى
لو استطاعوا لوشوا بى إلى الـ ـمريخ فى الشُّهب وكيوانِ

وقال أيضًا[4] :

غَرِيتْ بِذِمّى[5] أمّةٌ وبِحَمْد خالقِها غَرِيتُ
وعَبَدْتُ ربّى ما استطعـ ـتُ ومن بريّته بَرِيتُ
وفَرَتْنِى الجهّالُ حا[6]سِدةً على وما فَرِيتُ[7]
سَعَرُوا علىَّ فلم أُحِسّ وعِندَهمْ أنّى هَرِيتُ

---

(١) البيتان مما لم يرو فى الديوانين .
(٢) الأبيات مما لم يرو فى الديوانين .
(٣) كذا فى الأصل . وفى الوافى والنكت والمعاهد : «يحرشونى» .
(٤) الأبيات مما لم يرو فى الديوانين .
(٥) فى الأصل : «بدمى» بالدال المهملة، وصوابه فى الوافى والنكت .
(٦) فى الأصل : «حاسدة» تصحيحه من النكت .
(٧) فرى، كرضى : دهش .

* * *

فهرست لكتبه على ما نقلته من خطّ أحمد مستملى أبى العلاء، فقال :

الذى أملاه أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخىّ، تجاوز الله عنه، من الكتب على ضروب، منها ما هو فى الزُّهد .

وقرأت فى نسخة أخرى فهرست كتبه، ما صورته :

قال الشيخ أبو العلاء رضى الله عنه : لزمت مسكنى منذ سنة أربعمائة، واجتهدت أنْ أتوفّر على تسبيح الله وتحميده، إلّا(١) أن أُضطرّ إلى غير ذلك . فأمليت أشياء، وتولّى نسخها الشيخ أبو الحسن علىّ بن عبد الله بن أبى هاشم، أحسن الله مَعُونته، فألزمَنى بذلك حقوقًا جمّة، وأيادى بَيْضاء؛ لأنّه أفنى فىّ زمنه، ولم يأخذْ عمّا صنع ثمنَه . والله يُحسِن له الجزاء، ويكفيه حوادث الزَّمن والأرزاء .

وهى على ضروبٍ مختلفة، فمنها ما هو فى الزُّهد والعظات وتمجيد الله سبحانه وتعالى، من المنظوم والمنثور .

فمن ذلك الكتاب المعروف بـ"الفصول والغايات". المراد بالغايات القوافى، لأنّ القافية غاية البيت، أى منتهاه. وهو كتابٌ موضوع على حروف المعجم ما خلا الألف ؛ لأن فواصلَه مبنيّة على أن يكون ما قبل الحرف المعتَمَد فيها ألفًا، ومن المحال أن يُجمع بين ألِفين، ولكن تجىء الهمزة وقبلها ألف، مثل العطاء والكساء، وكذلك السَّراب والسراب فى الباء، ثم على هذا الترتيب . ولم يعتمد فيه أن تكون الحروف التى يبنى عليها مستوية الإعراب، بل تجىء مختلفة . وفى الكتاب قوافٍ تجىء على نسقٍ واحد، وليست الملقبةَ(٢) بالغايات . ومجيئها على فَرِىٍّ واحد، مثل أن

(١) فى الأصل : «إلى» .

(٢) فى الأصل : «المطلقة» . وانظر القفطى ص ٣٩ .

يقال عِمامها وغلامها وغَمامها، وأمرا وتمرا، وما أشبهه . وفيه فنون كثيرة من هذا النوع . وقيل إنه بدأ بهذا الكتاب قبل رحلته إلى بغداد، وأتمّه بعد عوده إلى معرّة النعمان . وهو سبعة أجزاء، وفى نسخة : مقداره مائة كراسة .

وكتاب "السادِن" أنشأه فى ذكر غريب هـذا الكتاب، وما فيه من اللُّغز . مقداره عشرون كراسة .

وكتاب "إقليد الغايات" لطيف ، مقصور على تفسير اللُّغز . مقداره عشر كراريس .

الكتاب المعروف بـ"الأيك والغصون" وهو كتاب الهمزة والرِّدف، يبنى على إحدى عشرة حالة : الهمزة فى حال إفرادها و إضافتها، ومثال ذلك السماء، بالرفع، السماء، بالنصب، السماءِ ، بالخفض، سماء ، يتبع الهمزة التنوين، سماؤه، مرفوع مضاف، سماءه ، منصوب مضاف ، سمائه، مخفوض مضاف ، ثم يجىء سماؤها وسماءها وسمائِها ، على التأنيث، ثم همزة بعدها هاء ساكنة ، مثل عباءة ومُلاءة . وإذا ضربت فى حروف المعجم الثمانية والعشرين خرج من ذلك ثلاثمائة فصل وثمانية فصول، وهى مستوفاة فى كتاب الهمزة والردف . وذكرت فيه الأرداف الأربعة بعد ذكر الألف ، وهى الواو المضموم ما قبلها ، والواو التى قبلها فتحة ، [والياء المكسور ما قبلها، والياء التى قبلها فتحة] . ويذكر لكل جنس من هذه أحد عشر وجها، كما ذُكر للألف .

ومن غير خطّه : وهو فى العظات وذمّ الدنيا، وهو آثنان وتسعون جزءا ، نسخة أخرى . ويكون مقدارَ هذا الكتاب ألفٌ ومائتا كراسة .

---

(١) العمام، بالكسر : جمع عمامة، وهى المقنعة، والبيضة، وما يلف على الرأس . والذى فى نص القفطى : « لمامها وغلامها » . (٢) فى الأصل : «الشاذن» تحريف وانظر القفطى .
(٣) التكملة من القفطى ص ٤٠ . (٤) فى الأصل : « جنز » .

ومن خطّه : والكتاب المعروف بـ"تضمين الآى"، وهو كتاب مختلف الفصول، فمنه طائفة على حروف المعجم، وقبل الحرف المعتمد ألف، مثل أن يقال فى الهمزة : بناء ونساء، وفى الباء : ثياب وعباب، ثم على هذا إلى آخر الحروف . ومنه فصول كثيرة على فاعلين، مثل باسطين وقاسطين؛ وعلى فاعلون، مثل حامدون وعابدون، وفيه ما هو على غير هـذا الفنّ . والغرض : أن يأتى بعـد انقضاء الكلام آية من الكتاب العزيز، مثل قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾. وربّما اقتُصر على بعض الآية، أو جىء بآيتين أو أكثر منهما، إذا كانت الآيات من ذوات القِصَر، كآيات حبَس ونحوها . ومقدار هذا الكتاب أربعمائة كراسة . وكان السبب فى تأليف هذا الكتاب ، أنّ بعض الأمراء سأله أن يؤلّف كتاباً برسمـه، ولم يُؤْثِر أن يؤلّف شيئا فى غير العِظات والحثّ على تقوى الله، فأملى هذا الكتاب .

كتاب "تفسير الهمزة والردف" . جزء .

كتاب "سيف الخطبة"[1] . جزءان ، يشتمل على خطب السّنة . فيه خطب الجمع ، والعيدين ، والخسوف، والكسوف ، والاستسقاء ، وعقد النكاح . وهى مؤلّفة على حروف من حروف المعجم، فيها خطبٌ عِمادها الهمزة ، وخطبٌ بُنِيت على البـاء ، وخطب على الدال، وعلى الراء، وعلى اللام، وعلى الميم، وعلى النـون . وتركت الجيم والحاء وما يجرى مجراهما[2] ؛ لأن الكلام المقول فى الجماعات ينبغى أن يكون سجيحا[3] سهلا . ومقداره أربعون كراسة . وكان سأله فى هـذا الكتاب رجل من المتظاهرين بالدّيانة، فصنّف له .

كتاب "نشر شواهد الجمهرة"، ولم يتمّ . ثلاثة أجزاء .

---

(١) فى القفطى : « سيف الخطب » وفى الذهبى : « كتاب الخطب » .
(٢) فى الأصل : « مجراها » تحرف . وانظر القفطى .
(٣) السجيح : السهل . وفى الأصل : « سجسجا » .

كتاب " دعاء وحرز الخيل " .

كتاب " مجد الأنصار " فى القوافى .

كتاب " تاج الحزة " فى عظات النّساء خاصة . وتختلف فصوله ، فمنها ما يجىء بعد حرفه الذى يثبت ثبات الروىّ ياء التأنيث ، كقوله : شائى ، وتشائى ، وتُسائى ، وهابى ، وترابى . ومنه ما هو مبنى على الكاف ، نحو غلامك ، وكلامك . وفيها ما يجىء على تفعلين ، مثل ترغبين ، وتذهبين . وأنواعه كثيرة . فيكون هذا الكتاب نحو أربعمائة كراسة .

كتاب يعرف بـ " دعاء ساعة " .

وكتاب آخر يعرف بـ " وقفة[1] الواعظ " .

كتاب يعرف بـ " سجع الحمائم " ، يتكلّم فيه على ألسُن حمائم أربع . وكان بعض الرّؤساء سأله أن يصنّف له تصنيفا يذكّره فيه ، فأنشأ[2] هذا الكتاب ، وجعل ما يقوله على لسان الحمامة فى العظة والحثّ على الزُّهد . قال غيره : هو أربعة أجزاء ، مقداره ثلاثون كراسة .

كتاب يعرف بـ " لزوم ما لا يلزم " وهو فى المنظوم ، بنى على حروف المعجم ، يذكر كلّ حرف ، سوى الألف ، بوجوهه الأربعة ، وهى الضمّة والفتحة والكسرة والوقف . ومعنى لزوم ما لا يلزم ، أنّ القافية يردّد فيها حرفٌ لو غُيِّر لم يكن مُخِلّا بالنّظم ؛ كما قال كثيّر :

خليلىَّ هذا ربعُ عَزَّةَ فاعقلا ... قِلُوصَيْكُما ثمّ انزِلا حيثُ حلّت

---

(١) فى الأصل : « بوقعة » .

(٢) فى الأصل : « فأنشد » .

فلزِم اللام قبل التاء ، وذلك لا يلزمه . ولم يفعل كما فعل الشَّنْفَرَى فى قصيدته التى على التاء ؛ لأنّه لم يلزم فيها إلّا حرفا واحدًا ، ولكنّه خالف بين الحروف التى قبل الروىّ فقال :

أرى أمَّ عَمرٍو أزمعتْ فاستقلَّتِ وما ودَّعت جِيرانهَا يومَ ولَّتِ

وقال فيها :

بَرِيحانةٍ من نبتِ[1] حَلْيَةَ نوَّرَتْ لها أَرَجٌ ما حولها غيرُ مُسْنِتِ

وقال فيها :

لها وفْضَةٌ فيها ثلاثون سَيحفًا إذا آنسَتْ أُولَى العَدِىِّ اقشعَرَّتِ

ومن غير خطه : وهو[2] ثلاثة أجزاء ، أو أربعمائة وعشرون كراسة ، يحتوى على أحد عشر ألفَ بيتٍ من الشعر .

وكتاب " زجر النابح " يتعلّق بلزوم ما لا يلزم . وذلك أنّ بعض الجهال تكلّم على أبياتٍ من لزوم ما لا يلزم ، يريد بها التشرير[3] والأذيّة ؛ فألزم أبا العلاء أصدقاؤه أن يُنشِئَ هذا ، فأنشأ هذا الكتاب وهو كاره .

ومن غير خطّه : وهو[2] شرح اللزوم ، وهو جزء واحد ، مقداره أربعون كراسة .

كتاب يتعلّق بزجر النابح ، سمّاه " نَجْر الزَّجر "[4] .

كتاب " ملق السَّبيل "، صغير ، فيه نظم ونثر .

---

(١) فى الأصل : « بيت » تحريف . وانظر ما سبق ص ٤٢ .

(٢) فى الأصل : «ما هو» .

(٣) التشرير : التشهير . وفى الأصل : « التشرر » .

(٤) فى الأصل : « بحر الزجر » . وانظر ما سبق فى تحقيقه ص ٤٢ من نص القفطى .

كتاب "الجلّ والجلّ"[1]. سأله فيه صديق له من أهل حلب، يعرف بابن الجلّ[2]. مجلد، واحد وعشرون كراسة.

ومن غير هذا الجنس كتاب لطيف، فيه شعر قيل فى الدّهر الأوّل، يعرف بكتاب "سقط الزند"، وأبياته ثلاثة آلاف بيت.

كتاب يعرف بـ"جامع الأوزان" فيه شعرٌ منظوم على معنى اللُّغز، يعمّ به الأوزان الخمسة عشر، التى ذكرها الخليل، بجميع ضروبها، ويذكر قوافى كلّ ضربٍ من ذلك. مثاله أن يقال: للضرب الأوّل من الطويل أربع قوافٍ: المطلقة المجرّدة[3]، مثل قول القائل[4]:

ألا يا سَلمِى يا هندُ هندَ بنى بدرِ وإنْ كان حيّانَا عِدًى آخرَ الدّهرِ

والقافية المردفة، مثل قول امرئ القيس:

* ألا أنعم صباحًا أيُّها الطلل البالِى *

والمقيدة المجرّدة، وذلك مفقود فى الشعر القديم والمحدث، وربّما جاء به المحدثون على النّحو الذى يسمّى مقصورا، كما قال بعض النّاس وهو فى السّجن — هو صالح ابن عبد القُدّوس[5] —:

إلى اللهِ أشكُو إنّه مَوضِعُ الشّكوَى وفى يدِهِ كَشْفُ المصيبةِ والبَلْوَى
خرجْنَا من الدُّنيا ونحنُ منَ أهلِها فما نحنُ بالأحياءِ فيها ولا الموتَى
إذا ما أتانا مُخبِرٌ عن حديثها فَرِحنا وقلنَا جاءَ هذا من الدُّنيا

---

(١) كذا فى الأصل: بالجيم فى كل منهما.

(٢) سبقت ترجمته فى ص ٤٣. وفى الأصل: «ابن الحلى» بالمهملة، محرف.

(٣) فى الأصل: «ثم».

(٤) هو الأخطل. وانظر ص ٤٤.

(٥) الأبيات رويت فى رسالة الغفران ١٤٢ ومقدّمة اللزوم منسوبة إلى رجل من ولد صالح بن عبد القدوس، كما سبقت فى ص القفطى ص ٤٤.

وتُعيجُنا الرؤيا بجُـلِّ حديثنا إذا نحنُ أصبحْنا الحديثُ عن الرُّؤيَا
فإن حسُنَت لم تأتِ عَجْلَى وأبطأت[1] وإن قَبُحت لم تحتبِسْ وأتَتْ عَجْلَى

والقافيـة المقيّدة المؤسسة ، مثل أنْ يكون العادلُ والقائلُ ، وذلك مرفوضٌ متروك . ثمّ على هذا النّحو إلى آخر الكتاب . ومقداره ستّون كراسـة . ويكون عدد أبيات شعره نحوَ تسعة آلاف بيت ، وهو ثلاثة أجزاء .

كتاب يعرف بـ" السجع السُّلطانى "، يشتمل على مخاطبات للجنود والوزراء وغيرهم من الولاة . وكان بعضُ من خَدَم السُّلطانَ وٱرتفعتْ طبقته ، ولا قدَم له فى الكِتْبة ، سأل أن يُنشَأ له كتابٌ مسجوع من أوّله إلى آخره ، وهـو لا يشـعر بما يريد ، لقلة خِبرته بالأدب ، فألّف له هذا الكتاب . وهو أربعة أجزاء .

وكتاب يعرف بـ" سجع الفقيه " . جزء ، ثلاثون كراسة .

وكتاب لطيف يعرف بـ" سجع المضطرّين " . عمِله لرجلٍ مسافر يسـتعين به على أمور دنياه .

وكتاب مختصر يعـرف بـ" ذِكرى حبيب " فى غريب شـعر أبى تمّام . سأل فيه صديقٌ لأبى العلاء من الكتّاب . وهو أربعة أجزاء ، ستّون كراسة .

وهـذه الكتب المسئول فى تأليفها إنّمـا تكلّفها مؤلّفها من فرط الحياء ، وهو لتأليفها كاره .

وكتاب " عبث الوليد "، فيما يتصل بشعر البحترىّ . وكان سبب إنشائه أنّ بعض الرؤساء أنفذ نسخةً ليُقابَل له بها ، فأثبت ما جرى من الغلط ، ليُعرَض ذلك عليه . وهو جزء واحد ، عشرون[2] كراسة .

---

(١) فى الأصل : « أبطلت » .

(٢) فى الأصل : « وعشرون كراسة » وانظر القفطى ص ٤٦ .

وكتاب يعرف بـ"مالرياشى[1] المصطَنعى" فى شرح مواضع من الحماسة الرّياشية، عمل لرجلٍ يلقب بمصطَنع الدّولة، ويخاطب بالإمْرة، واسمه كُلَيب بن علىّ، ويكنى أبا غالب، أنفذ نسخةً من الحماسة الرياشيّة، وسأل أن يخرِّج على حواشيها شيئًا لم يذكرْه أبو رياش، ممّا يُحتاج إلى تفسيره. فخشِى أن يضيق الحواشى عن ذلك، فصنع هـذا الكتاب، وجمع فيـه ما سنح، ممـا لم يفسِّره أبو رياش. أربعون كراسة.

وكتاب يعرف بـ"مشرف السيف" عُمل للرجل الذى كان مقيمًا بدمشق، وهو المعروف بنشتكين الدزبرى[2]. وكان السبب فى عمله أنّه كان يوجِّه إلى أبى العلاء بالسّلام، ويُخْفِى المسألةَ عنه، فأراد جزاءه على ما فعل. جزءان.

وكتاب يعرف بـ"تعليق الجليس"[3] ممّـا يتّصل بكتاب أبى القاسم عبد الرحمن ابن إسحاق الزجاجى، المعروف بالجمل. جزء.

وكتاب "إسعاف الصديق"، ثلاثة أجزاء، يتعلّق بالجمل أيضا.

وكتاب "قاضى الحـق"، يتّصل بالكتابَ المعـروف بالكافى الذى ألفـه أبو جعفر النحاس.

وكتاب "الحقير النافع"، مختصر فى النّحو. خمس كراريس.

وكتاب يتصل به، يعرف "بالطلّ[4] الظّاهرى"، أنشئ لرجلٍ يعرف بأبى طاهر، حلـبىّ.

---

(١) فى الأصل: «الرياش». وانظر تحقيقه فى القفطى ص ٤٦.

(٢) سبقت ترجمته فى ص ٤٨.

(٣) فى القفطى: «تعليق الخلس».

(٤) كذا فى الأصل بالمهملة. وفى القفطى: «الظل» بالمعجمة.

وكتاب " المختصر الفتحى "، يتّصل بكتاب محمد بن سعدان ، صنعه لرجلٍ يكنى أبا الفتح محمد بن على بن أبى هاشم . وكان أبو هذا الرجل تولّى إثباتَ ما ألّفه أبو العلاء من جميع هذه الكتب ، فألزمَه بذلك حقوقًا جَمّةً ، وأيادى كثيرة .

وكتاب فى " الرسائل الطوال "، فيها "رسالة الغفران"[1] .

وكتاب سمّيته " خطب الخيل "، يتكلّم على ألسنتها ، ومقداره عشر كراريس .

كتاب يعرف بـ"خُطبة الفصيح"، يتكلّم فيه على أبواب الفصيح ، مقداره خمس عشرة كراسة .

وكتاب شرح فيه ما جاء فى الذى قبله من الغريب، يعرف بـ"تفسير خطبة الفصيح" .

وكتاب " رسيل الراموز "[2]، نحو ثلاثين كراسة .

وكتاب " راحة اللزوم "، ويشرح فيه ما فى كتاب لزوم مالا يلزم من الغريب، نحو مائة كراسة .

وكتاب لطيف يعرف بـ"خُماسية الراح " فى ذمّ الخمر . ومعنى هذا الوَسْم أنّه بنى على حروف المعجم، فذكّر لكلّ حرف تمكن حركتُه خمسَ سجعاتٍ مضمومات، وخمسًا مفتوحات ، وخمسًا مكسورات ، وخمسًا موقوفات . يكون مقداره عشر كراريس .

وكتاب " المواعظ السّتّ "، وهو لطيف . ومعنى هذا التلقيب أنّ الفصل الأوّل منه فى خطاب رجل ، والثانى فى خطاب اثنين ، والثالث فى خطاب

---

(١) سيأتى ذكرها مرة ثانية عند الكلام على «ديوان الرسائل» ص ١١١ .

(٢) فى الأصل : «رسل الراموز» تحريف . وانظر القفطى ص ٤١ .

جماعة ، والرّابع فى خطاب آمرأة ، والخامس فى خطاب آمرأتين ، والسادس فى خطاب نسوة . نحو خمس عشرة كراسة .

كتاب " ضوء السقط "، تفسير غريب سقط الزّند . مقداره عشرون كراسة .

وكتاب " الصّاهل والشّاحج "، يتكلّم فيه على لسان فرس و بغل . مقداره أربعون كراسة . صنّفه لأبى شجاع فاتك ، الملقب بعزيز الدولة ، والى حلب من قِبَل المصريين ، وكان روميا[1] .

وكتاب " منار القائف "[2]، فى تفسير الكتاب الذى قبله ، فيما جاء فيه من اللُّغز والغريب . عشر كراريس .

كتاب " دعاء الأيّام السبعة " .

وكتاب " رسالة على لسان ملك الموت عليه السلام " .

وكتاب " بعض فضائل أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب " كرّم الله وجهه .

وكتاب " أدب العصفورين " .

وكتاب " السّجعات العشر " ، موضوع على كلّ حرف من حروف المعجم عشر سجعات ، فى المواعظ .

كتاب " شرح سيبويه "، لم يتمّ . مقداره خمسون كراسة .

كتاب يتّصل بكتاب الزّجاجى ، يعرف بـ" عون الجُمَل "، عُمِل أيضًا لأبى الفتح محمد بن على بن أبى هاشم المذكور آنفا . وهو آخر شىءٍ أملاه .

وكتاب فى النّحو يتصل بالكتاب المعروف بالعَضُدى ، ولقبهُ " ظَهير العضُدىّ ".

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٤٥ .

(٢) سقط من بين مؤلفات المرزى هنا « كتاب القائف » كما يفهم من الإشارة اللاحقة . وانظر القفطى ص ٤٥ .

وكتاب "ديوان الرسائل"، وهو ثلاثة أقسام: الأول رسائل طوال تجرى مجرى الكتب المصنّفة، مثل كتاب "رسالة الملائكة"، وكتاب "الرسالة السَّنَدِيّة"، جزء، وكتاب "رسالة الغفران"، جزء، وكتاب "رسالة الفرض" جزء، ونحو ذلك. والثانى رسائل دون هذه فى الطول، مثل كتاب "رسالة المنيح"، وكتاب "رسالة الإغريض". والثالث كتاب "الرسائل القصار" كنحو ما يجرى به العادة فى المكاتبة. قيل إنّه أربعون جزءا، وقيل إنّه ثمانمائة كراسة.

وكتاب "خادم الرسائل"، فى تفسير ما تضمنته هذه الرسائل، مما يحتاج إليه المبتدئون فى الأدب.

كتاب "تظلم السُّور"[1].

وكتاب "عظات السُّور".

وكتاب "الرّاحلة". ثلاثة أجزاء، فى تفسير كتاب لزوم ما لا يلزم.

وكتاب فى المنظوم يعرف بكتاب "أستغفر وأستغفرى"، مقداره مائة وعشرون كراسة، فيه نحوٌ من عشرة آلاف بيت.

وكتاب يعرف بـ "الرسالة الحضيّة"[2].

وكتاب "رسائل المعونة" وهى ما كتبت على ألسن قوم.

وكتاب "مثقال النظم"، فى العروض. جزء.

وكتاب "اللامع العزيزى"، فى تفسير شعر المتنبّى. عمل للامير عزيز الدولة وغرسها، ابن تاج الأمراء أبى الدوام ثابت بن ثِمال بن صالح بن مِرداس بن إدريس بن نصر بن حُميد بن شداد بن عبد قيس بن ربيعة بن كعب بن عبد الله

(١) انظر الحاشية رقم (٣) ص ٤٣.

(٢) فى الإنصاف: «الحصنية». وفى الوافى: «الخطية».

ابن أبى بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . ويقال له أيضا: "النابغ العزيزى"[1] . مقداره مائة وعشرون كراسة .

هذا ما وجدناه وأثبتناه عن جماعةٍ من أصحاب أبى العلاء .

قالوا : وله بعض كتب فى العروض والشّعر، بدأ بها ولم تتم، أو تمّت وندّ عنّا أسماؤها[2] .

ومن شِعره الدالّ على سُوء عقيدته من لزوم ما لا يلزم[3] :

ألا فانعَمُوا واحذَرُوا فى الحياةِ ... مُلِمًّا يُسَمَّى مُزيلَ النِّعَمْ[4]

أتَوكم بأقوالهم والحُسامِ ... فشَدَّ[5] به زاعمٌ ما زعَمْ

تَلَوْا باطِلًا وجَلَوْا صارمًا ... وقالوا صَدَقْنا فقُلنا نَعَمْ

زخارفُ ما نَبَتَتْ فى القُلوبِ ... بِ عَمَّى عليكم بِهِنَّ المعَمّْ

ومن ذلك أيضا[6] :

فقد طال العناءُ فكم تُعانى ... سطورًا عاد كاتبُها بطَمْس

دَعا مُوسى وزال وقام عِيسى ... وجاء محمّدٌ بصلاةِ خَمس

وقيل يجىءُ دينٌ غيرُ هذا ... فأوْدَى النّاسُ بين غَدٍ وأمْس

إذا قلتُ المحالَ رفَعْتُ صوتى ... وإنْ قلتُ اليقينَ أطلتُ همسى

---

(١) فى الأصل : «اللامع العزيزى» . وأثبتنا وجهه من الإنصاف . وانظر الحاشية رقم (٤) ص ٤٧ .

(٢) فى الأصل : «وتمت وشذعنا أسماؤها» .

(٣) الأبيات فى لزوم مالا يلزم (٢ : ٣٢٧ — ٣٢٨) .

(٤) فى الأصل : «ملهى يسمى زوال النعم» .

(٥) فى الأصل : «يسد» وأثبتنا ما فى اللزوم .

(٦) فى اللزوم (٢ : ٣٦) .

ومن ذلك أيضا[1] :

وجدْتُ الشَّرعَ تُخلِقُهُ الليالِي ... كما خَلَقَ الرِّداءُ الشَّرْعَبِيُّ
هِي العاداتُ يجرِى الشَّيخُ منها ... على شِيَمٍ تعوَّدَها الصَّبِيُّ
وأشْوَى الحقَّ غاوٍ مَشرِقِيٌّ ... ولم يُرزَقْهُ آخَرُ مَغْرِبِيُّ
فهذا عُمَرُ يقولُ وذا سِواهُ ... كِلا الرَّجُلينِ فى الدَّعوى غَبِيُّ

ومن ذلك أيضا[2] :

إذا ما ذكَرْنا آدمًا وفِعالَه ... وتزويج بِنْتَيه لِابنيه فى الدُّنا[3]
علِمْنا بأنّ الخَلْقَ من أصلِ رِيبة ... وأنّ جميعَ الناسِ مِن عُنْصُرِ الزِّنا

وقال فى رِسالة الغفران[4] : "ولمّا أجلى عمر بن الخطاب أهل الذّمّة عن جزيرة العرب، شَقّ ذلك على الجالِينَ . فيقال إنّ رجلًا من يهود خيبر، يُعرف بسمير بن أدكن، قال فى ذلك :

يصول أبو حَفْصٍ علينا بِدِرّةٍ ... رُوَيدَك إنّ المرءَ يَطفُو ويرسُبُ
مَكانَكَ لا تَتْبَعْ حَمولةَ ماقِطٍ[5] ... لتشبعَ إنّ الزّاد شيءٌ محبَّبُ
فلو كان مُوسَى صادقًا ما ظهرتُمُ ... علينا، ولكن دَولةٌ ثمّ تذهَبُ

---

(١) فى اللزوم (٢ : ٤٢٧) مع خلاف فى الرواية .

(٢) البيتان مما لم يرو فى الديوانين .

(٣) الدنا، بالفتح : مصدر كالدناءة . وقد ورد البيت بروايات مختلفة فى المرآة والوافى والنكت ومعاهد التنصيص .

(٤) رسالة الغفران . ص ١٤٤ .

(٥) الماقط : أجير الكرى، أو مولى المولى . وفى رسالة الغفران : «كأنك لم تتبع» .

ونحنُ سَبَقْناكم إلى المَيْنِ فاعرِفوا لنا رُتْبة البادِى الذى هو أكذَبُ
مَشَيْتُمْ على آثارنا فى طريقنا وبُغيتُكُمْ فى أن تسودوا وتُرْهَبُوا"

وهذا يشبه أن يكون شِعْرَه قد نحله هـذا اليهودىّ ، أوْ أنّ إيراده لمثل هذا ، واستلذاذَه به ، من أَمارات سوءِ عقيدته وقُبح مذهبه .

ومن أشعاره الدّالة على سوء آعتقادِه قوله فى لزومِ ما لايلزم أيضًا[1] :

وهيهاتَ! البريّـةُ فى ضَـلالٍ وقد نَظَـر اللّبيب لِمَا اعتَراهَا
تقـدَّمَ صاحبُ التّوراةِ مُوسى وأوقَع فى الخَسارِ مَن اقتراهَا[2]
فقـال رجالُـه وحْىٌ أتاهُ وقال النّاظرون بل افـتراهَا
وما حَجّى إلى أحجـارِ بيتٍ كؤوسُ الخَمـرِ تُشْرَبُ فى ذَرَاهَا
إذا رَجَـع الحليمُ إلى حِجـاهُ تَهـاوَنَ بالمـذاهبِ وآزدراهَا

ومنهـا أيضا[3] :

خُـذِ المـرآةَ وآستَخبِرْ نُجومًا تُمِـرُّ بمَطْعمِ الأرْزِى المَشُـورِ
تدلُّ على المـاتِ بِلا آرتيـابٍ ولكنْ لا تدلُّ على النُّشـورِ

ومنهـا أيضا[4] :

هفَتِ الحنيفةُ والنّصارَى ما آهتدَوْا ويَهودُ حارَتْ والمجـوسُ مُضَلَّلَهْ
اِثنانِ أهلُ الأرض ذُو عقلٍ بِلا دينٍ وآخرُ دِينٌ لا عقـلَ لَهْ

---

(١) انظر اللزوم (٢ : ٤١٥) .
(٢) اقتراها : تبعها . وفى الأصل واللزوم : افتراها ، بالفاء ، محرف .
(٣) فى لزوم مالا يلزم (١ : ٣٩٢) .
(٤) فى اللزوم (٢ : ٢٠١)

ومنها أيضا[1] :

إنّ الشّرائعَ ألقَتْ بيننَا إحَنًا ... وأورَثَتْنَا أفانينَ العَداواتِ

وما أُبيحت نساءُ الرُّوم عن عُرُضٍ ... للعُرْبِ إلّا بأحكامِ النُّبوّاتِ

ومنها أيضا[2] :

تناقُضٌ ما لنا إلّا السُّكوتُ له ... وأنْ نعوذَ بمولانا من النّارِ

يدٌ بخمسِ مئينٍ عَسْجدٍ فُديَتْ ... ما بالُها قُطِعتْ فى رُبْعِ دينارِ

قال المؤلّف : كأنّ المعرّىَّ حِمارٌ لا يفقه شيئا . وإلّا فالمراد بهذا بيّن . لو كانت اليد لا تقطع إلّا فى سرقة خمسمائة دينار، لكثُر سرقةُ ما دونَها طمعاً فى النّجاة . ولو كانت اليدُ تُفدَى بربع دينارٍ لكثُر من يقطعها ويؤدّى ربع دينارٍ ديةً عنها .

نعوذ بالله من الضلال !

ومنها أيضا[3] :

ضحِكْنَا وكانَ الضّحكُ مِنّا سفاهة ... وحُقّ لسُكّانِ البسيطةِ أن يبكُوا

تُحطّمنا الأيّامُ حتّى كأنّنا ... زُجاجٌ ولكنْ لا يُعادُ لنا سَبْكُ

ومما يدلّ على كفره تصريحا قوله[4] :

عقولٌ يستخفُّ بها سُطورُ ... ولا يَدْرِى الفَتَى لِمَنِ الثُّبورُ

كتابُ محمّدٍ وكتابُ مُوسَى ... وإنجيلُ ابنِ مريمَ والزّبورُ

---

(١) فى اللزوم (١ : ١٨٦) .

(٢) فى اللزوم (١ : ٢٨٦) .

(٣) فى اللزوم (٢ : ١٤٣) .

(٤) فى اللزوم (١ : ٣٢٤) .

ومن ذلك أيضا[1] :

صَرْفُ الزَّمانِ مُفَــرِّقُ الإلْفَينِ فاحكُمْ إلهِى بينَ ذاكَ وبَيْنِى
أنهيتَ عَنْ قَتْـلِ النُّفوسِ تعمُّدًا وبعثتَ أنتَ لقَتْلِهـا ملَكَينِ
وزعمتَ أنَّ لهـا معادًا ثانيًا ماكانَ أغناها عنِ الحـالَينِ

ومن ذلك أيضا[1] :

إذا كان لا يحظَى برزقِكَ عاقلٌ وترزُقُ مجنــونًا وترزُقُ أحمَقـا
فلا ذنبَ يا ربَّ السَّماءِ على امرئٍ رأى منـك ما لا يشْتَهِى فتَزَنْدَقَا

ومن ذلك أيضا قوله[2] :

فى كلِّ أمرِكَ تقليــدٌ تدِينُ به حتّى مَقَـالكَ ربِّى واحدٌ أحــدُ
وقــد أُمِرْنا بفِكرٍ فى بدائِعِــهِ فإن تفكّرَ فيهِ معْشَرٌ لحَـدُوا

[ومن ذلك أيضا][3] :

لولا التنافس فى الدنيا لَمَا وُضِعتْ كُتب التناظُرِ لا المغنِى ولا العُمَدُ

ومن ذلك أيضا قوله[4] :

قلــتُمْ لنـا خالــقٌ قــديمٌ صــدقْتُمُ هكذا نقــولُ
زعمتمــوهُ بِــلا زَمانٍ ولا مَكانٍ ألا فقــولوا[5]
هــذا كلامٌ له خَــبِىٌّ معنـاهُ ليستْ لكُمْ عقــولُ

---

(١) الأبيات مما لم يرو فى الديوانين .

(٢) البيتان فى اللزوم (١ : ٢٥٢) .

(٣) تكملة ضرورية ؛ إذ أن هذا البيت من مقطوعة غير المقطوعة السابقة . انظر اللزوم (١ : ٢٤٩) .

وانظر الحاشية رقم (٦) ص ٥٨ .

(٤) انظر اللزوم (٢ : ١٧٩) .

(٥) فى الأصل : « ألا تقولوا » .

ومن ذلك أيضا قوله[1] :

دينٌ وكفرٌ وأنباءٌ تقالُ وفُرْ قان يُنَصُّ وتَوراةٌ و إنجيلُ
فى كلِّ جيلٍ أباطيلٌ ملفَّقة فهَلْ تفرَّدَ يومًا بالهُدى جِيلُ

ومن ذلك أيضا[2] :

الحمد لله قد أصبحتُ فى لُجَج مكابدًا مِن هُموم الدَّهرِ قامُوسَا
قالتْ مَعاشِرُ لم يَبْعَثْ إلهكُمُ إلى البريّة عِيساها ولا مُوسَى
وإنما جَعَلُوا الرَّحمنَ مأكَلةً وصيَّروا دِينَهم للمُلكِ نامُوسَا
ولو قدرتُ لعاقبتُ الذين بَغَوْا حتّى يعودَ حليفُ الغىِّ مغموسَا

ومن ذلك أيضا قوله[3] :

ولا تحسَبْ مَقالَ الرُّسْلِ حَقًّا ولكنْ قولُ زُورٍ سَطَّرُوهُ
وكانَ النّاسُ فى عَيشٍ رَغيدٍ فجاءوا بالمُحالِ فكدَّرُوهُ

قال المؤلّف : نقلت هذا كلّه من تاريخ غرس النّعمة محمد بن هلال بن المحسِّن الصّابى ، وحمِدت الله تعالى على ما ألهم من صِحّة الدين ، وصَلاح اليقين ، وٱستعذْتُ به من ٱستيلاء الشَّيطان على العقول .

قرأت فى كتاب " فلك المعانى"[4] أنّ كثيرًا من الجهال يَعُدّ الموتَ ظلماً من البارى عزّ وجلّ ، ويستقبحه بما فيه من النِّعمة والحكمة والراحة والمصلحة . وقد قال أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرى — مع تحذْلُقِه ودعواه الطويلة العريضة ، وشهرةِ نفسه بالحكمة ومُظاهَرَته — :

---

(١) انظر اللزوم (٢ : ١٧٧) .
(٢) انظر اللزوم (٢ : ٢٢) .
(٣) البيتان مما لم يرو فى الديوانين .
(٤) لابن الهبارية المتوفى سنة ٥٠٩ . كشف الظنون .

ونهيتَ عن قَتْـلِ النّفوس تعمُّدًا وبعثتَ أنتَ لقتلها مَلَكَين[1]
وزعمتَ أن لهـا[2] معادًا ثانيا ما كانَ أغناها عن الحـالَين

وهذا كلامُ مجنونٍ معتوه، يعتقد أنّ القتلَ كالموت، والموتَ كالقتل . فليت هـذا الجاهلَ — لمّـا حُرِم الشّرع وبَرْدَه، والحقَّ وحلاوتَه، والهُـدى ونُوره، واليقينَ وراحتَه — لم يَدَّعِ ما هو برىءٌ منه، بعيد عنه، ولم يقُلْ :

غدوتَ مريضَ العقلِ والرَّأيِ فالْقَنِي لتُخْبَرَ أنْبَـاءَ العقـولِ الصّـحائحِ

حتّى سلّط الله عليه أبا نصر بنَ أبى عمران داعى الدعاة بمصر، فقـال له : أنا ذلك المريض رأيًا وعقلا، وقد أتيتُك مستشفيا فاشفِنى . وجرت بينهما مكاتباتٌ كثيرة، أمَرَ فى آخرها بإحضاره حلبَ، ووعدَه على الإسلام خيراً من بيت المـال. فلمّا علم أبو العلاء أنّه يُحمل للقتل أو الإسلام سمّ نفسه ومات .

وليته لمّـا ادّعى العقـل خرِس، ولم يقل مثلَ هـذه التُّرّهات التى يُخلِد إليها مَن لا حاجة لله تعالى فيه .

قال المؤلّف : لمّـا وقفْتُ على هذه القصّة اشتهيتُ أن أقِف على صورةِ ما دار بينهما على وجهه، حتّى ظفِرت بمجلّد لطيف، وفيه عدّةُ رسائل من أبى نصر هبة الله آبن موسى بن أبى عمران إلى المعرّى فى هـذا المعنى، انقطع الخطابُ بينهما على المساكتة، ولم يذكر فيها مايدلُّ على ماذهب إليه آبن الهبّارية، من سمّ المعرّى نفسه. ونقلُها على الوجه يطول، فاختصت منها الغرض، دون تفاصُح المعرى وتشدُّقه .

---

(١) البيتان مما لم يرو فى الديوانين .

(٢) فى الأصل : « لنا » .

* * *

(١) كَتَبَ ٱبن أبى عمران إليه :

الشيخ — أحسن الله توفيقه — النّاطق بلسان الفضْل والأدب ، الذى ترك مَن عداه صامتاً ، مشهودٌ له بهذه الفضيلة ، مِنْ كلِّ مَن هو فوق البسيطة . غير أنّ الأدب الذى هو جالينوسُ طبِّه ، وعنده مفاتيحُ غيبِه ، ليس ممّا يفيده كبيرَ فائدة ، فى معاشه أو معاده ، سوى الذِّكر السائر به الرُّكبان ، ممّا هو إذا تسامع المذكورُ به ، علم أنّه له بمكانة الجمال والزّينة ، ما دام حيّاً ، فإذا رمت به يدُ المَنون من ظهر الأرض إلى بطنها ، فلا بحُسْنِ ذكره ينتفع ، ولا بقُبحِه يستضرّ . و إذا كانت الصورةَ هذه ، كان مستحيلاً منه — أيّده الله — مع وُفور عقله ، أنْ جعل موادَّه كلَّها منصبّة إلى إحكام اللغة العربية ، والتقعُّر فيها ، واستيفاء أقسام ألفاظها ومعانيها ، ووفّر عمره على مالا نتيجة له منها ، وترك نفسَه المتوقّدة نارُ ذكائها خلواً من النّظر فى شأن معاده ، وأنْ يمتار[1] من علمه ما هو أنفع[2] ، فيمكث إذا ذهب الزبد جُفاءً ، مِن غيره . فإذا هو — حرسه الله — بمقتضى هذا الحكم ، مُرتَوٍ من عذب شربِ هذا العِلْم ، و إنّما ليس يبوح به ، لضربٍ من ضروب السياسة . والدّليلُ على كونه ناظراً لمعاده ، سلوكُه سبيلَ [شظف][3] العيش والتزهُّد ، وعدولُه عن الملاذّ من المأكول والمشروب والملبوس ، وتعفُّفه عن أن يجعل جوفَه للحيوان مدفناً ، أو أن يذوقَ من دَرِّها لبناً ،

---

(١) يمتار من الميرة . وفى الأصل : « يمتاز » وتصحيحه من الرسائل الخمس طبع السلفية سنة ١٣٤٩ والمجالس المؤيدية لداعى الدعاة نسخة جامعة فؤاد .

(٢) فى الأصل : « من عمله ما لا ينفع » . وتصحيحه من المصدرين السابقين .

(٣) تكملة ضرورية . وفى الرسائل الخمس : « وقصده شظف العيش » .

أو يستطعم مِن [طعامٍ][1] استُكِدَّتْ[2] عليه فى حرثِه وإنشائه . وهذه طريقة من يعتقد أنه إذ لمها جُوزِى بألمها . وهذا غايةٌ فى الزُّهد .

ولمّا رأيتُ ذلك، وسمعتُ داعيةَ البيت الذى يُعزَى إليه، وهو :

غدوتَ مريضَ الدِّينِ والعقلِ فالقَنِى لتَعْلَمَ أنباءَ الأمورِ الصَّحائِحِ

شددتُ إليه راحلةَ العليلِ فى دينه وعقلِه، إلى الصحيح الذى ينبئنى أنباء الأمور الصّحائح. وأنا أوّلُ مُلَبٍّ لدعوته، معترفٍ بخِبرته. وهو حقيقٌ ألّا يوطِئنى العَشْواء، فيسلكَ بى فى المجاهل، ولا يعتمدَ فيما يوردُه تلبيسَ الحقِّ بالباطل .

وأوّلُ سؤالى عن أمرٍ خفيف، فإن آستنشقت نسيم الشِّفاء[3]، سُقْتُ السؤال إلى المهمّ : أسأله عن العلّة فى تحريمه على نفسِه اللّحمَ واللّبن، وكلَّ ما يصدر إلى الوجود[4] من منافع الحيوان، فأقول :

أليس النباتُ موضوعًا للحيوان يمتار منه[5]، وبوجوده وجوده؟ وبقوّة فى الحيوان حسّاسة ما آستولَى على الآنتفاع بالنّبات ؟ ولو لم يكن الحيوان، لكان موضوعُ النّبات باطلًا لا معنى له . وعلى هذه القضيّة، فإنّ القوّة الإنسانية مستوليةٌ على الحيوان، آستيلاءَ الحيوان على النّبات، لرُجحانها عليه بالنّطق والعقل؛ فهى مسخِّرة له على أنواعٍ من التسخير، ولولا ذلك، لكان موضوعُ الحيوانِ باطلا . فتجافِى الشيخ — وفّقه الله — عن الآنتفاع بما هو موضوعٌ له، مخلوقٌ لأجله، إبطالٌ لتركيب

---

(١) التكملة من الرسائل الخمس .

(٢) استكده : استخرج جهده مثل اكتده . وفى الأصل : « استذت » تحريف .

(٣) فى الأصل : « الصبا » وتصحيحه من الرسائل الخمس والمجالس المؤيدية .

(٤) فى الأصل : « الجور » وتصحيحه من الرسائل الخمس والمجالس .

(٥) فى الأصل : « بمثار » وتصحيحه من المصدرين السابقين .

الخلقة . ثمّ امتناعُه من أكل الحيوان، ليس يخلو القصد به من أحد أمرين : إمّا أنّه تأخذُه رأفةٌ بها، فلا يرى تناوُلهَا بالمكروه. وما ينبغى له أن يكونَ أرأفَ بها من خالقِها . فإذا ادّعى أنّ تحليلها وتحريمها، إنّما كان من بعض البشر — يعنى به أصحاب الشّرائع، وأنّ الله لم يُبِحْ إراقةَ دم حيوانٍ وأكلَه — كان الدّليلُ على بطلان قوله، وقوع المشاهدة لجنس السّباع وجوارح الطير التى خلقها الله سبحانه على صيغةٍ لا تصلح إلّا لنتش اللحوم وفَسْخها، وتمزيق الحيوانات وأكلها . وإذا كان هذا الشّكلُ قائمَ العين فى الفِطْرة، كان جنسُ البشر وسِيعَ العُذْر فى أكل اللّحوم، وكان مَن أحَلّ لهم ذلك مُحِقّا .

والثانى : أنّه يرى سفكَ دماءِ الحيوان خارجًا عن أوضاع الحكمة ؛ وذلك اعتراضٌ منه على خالقه الذى أوجده . وإذا أنعم الشّيخُ وساق إلىّ حجةً أعتمدُها، رجوتُ كشفَ المرضِ الذى وَقعَ اعترافى به .

* * *

(٢) الجواب من أبى العلاء المعرّىّ إليه[1] :

قال العبد الضعيف العاجز، أحمد بن عبد الله بن سليمان :

أوّل ما أبدأ به، أنّى أعُدُّ سيّدَنا الرئيسَ الأجلّ، المؤيّدَ فى الدّين — أطال الله بقاءه — مِمن ورِث حكمة الأنبياء، وأعُدُّ نفسى الخاطئة من الأغبياء . وهو بكتابه إلىّ متواضع . ومَنْ أنا حتّى يكتب مثلُه إلى مثلى ! مَثَلُه فى ذلك، مثلُ الثُّرَيّا[2] كتبتْ إلى الثّرى . وقد علم الله أنّ سمعى ثَقيل، وبصرى عن الإبصار نقيل،

---

(١) هذا الجواب، لم يذكر فى المجالس المؤيدية، بل اقتصر فيها على الإشارة إليه .

(٢) الثقيل : الغريب، أى غريب عن الإبصار . وفى الرسائل الخمس : « كليل » .

قُضِىَ علىَّ وأنا ابنُ أرْبَعَ، لا أفرِّق بين البازل[1] والرُّبَع. ثم توالتْ مِحَنى، فأشبه شَخْصى العُودَ المنحنى، ومُنِيت فى آخر عمرى بالإقعاد، وعَدَانى عن النَّهضة عاد. وأمّا ما ذكره سيِّدنَا[2] الرّئيس الأجلّ، المؤيَّد فى الدِّين، فالعبدُ الضعيف العاجز، يذكر له مما عاناه طَرَفا، فأقول: إن الله — جلّت عظمتـه — حكم علىَّ بالإزهاد، فطفقْتُ من العُدْم فى جهاد. وأمّا قول العبد الضعيف العاجز:

* غدوتَ مريضَ العقلِ والدِّين فالْقَنِي *

فإنّما خاطب به من هو فى غمرة الجهل، لا مَنْ هو للرياسة عَلَم وأصل. وقد علم أنّ الحيوان كلّه حسّاس يقع به الألم. وقد سمع العبد الضعيف [شيئا][3] من اختلاف الفدماء.

وأوّل ما يبدأ به: لو أنّ قائلا من البشر قال: إذا بنينا القضية المركّبة[4] من المسند والمسند إليه، ولها واسطتان، إحداهما نافية، والأخرى استثنائية، فقلنا: الله لا يفعل إلا الخير، فهذه القضيّة كاذبة أم صادقة؟ فإن قيل إنّها صادقة، فقد رأينا الشُّرور غالبة، فعلمنا أنّ ذلك أمر خفىّ. ولم يَزَلْ من يُنسَب إلى الدِّين يرغب فى هِجران اللحوم؛ لأنّها لم يوصَلْ إليها إلّا بإيلام حيوان، يفرّ منه فى كل أوان؛ وإنّ الضائنة تكون فى محلّ القوم وهى حامل، فإذا وضعَتْ وبلغ ولدُها شهراً أو نحوه، استبطوه فأكلوه، ورغبوا فى اللبن، وباتت أمه ثاغية، لو تقدر سَعَتْ له باغية. وقد تردّد فى كلام العرب ما يَلحَقُ الوحشيّةَ من الوَجْد، والنّاقةَ إذا فقدت الفصيل، فقال قائلهم[5]:

فما وجدَتْ كوَجْدِى أمُّ سَقْبٍ أضَلَّتْهُ فرجّعَتِ الحنينَا

---

(١) فى الأصل: «النازل» وإنما هو البازل الذى بزلت سنه فى التاسعة. والربع: الفصيل ينتج فى الربيع.

(٢) فى الأصل: «عاياه».

(٣) التكملة من الرسائل الخمس.

(٤) فى الأصل: «القضية النبوّة المركبة».

(٥) هو عمرو بن كلثوم، والبيت من معلقته.

وللسائل أنْ يقول: إنْ كان الخير لا يريد ربُّنا سِواه، فالشرُّ لا يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون قد علِم به أوْ لا. فإنْ كان عالما به فلا يخلو من أحد أمرين: إمّا أن يكون مريدا له أوْ لا. فإن كان مريدا له فكأنّه الفاعل، كما أنّ القائل يقول: قطع الأمير يد السارق؛ وإن لم يباشر ذلك بنفسه. وإن كان غير مريد، فقد جاز عليه ما لا يجوز على أميرٍ مثلُه فى الأرض؛ إنّه إذا فُعِل فى ولايته شيءٌ لا يرضاه أنكره وأمر بزواله. وهذه عقدةٌ قد اجتهد المتكلّمون فى انحلالها فأعوزَهم.

وقد ذكرت الأنبياءُ أنّ البارئ — جلّت عظمته — رءوف رحيم. ولو رأف بنى آدم وجب أن يرأف بغيرهم من أصناف الحيوان الذى يجد الألمَ بأدنى شيء. وقد علم أنّ الوحش الراتعة يبكر إليها الفارسُ، فيطعُن العَير أو الأتان[1] وهُنّ ما أسْدَين إليه ذنبا. ولأىّ حال آستوجب من يفعل بها هذا الرأفة[2]، وهى لم تشرَبْ من المآثم[3] بذَنوب، ولم تَجْنِ ما يُكتب من الذُّنوب[4]. وقد رأيت الجيشين، المنتسب كلّ واحد منهما إلى الشَّرع المُنْفرد، يلتقيان وكلاهما فى مدد، ويُقتل بينهما آلافُ عدد. فهذا محسوب من أىّ الوجهين؟ فليس عند النظر بيّن.

فلمّا بلغَ العبدَ الضعيفَ العاجزَ آختلافُ الأقوال، وبلغ ثلاثين عاما، سأل ربه إنعاما، ورزقَه صومَ الدّهر، فلم يُفطِر فى السّنةِ ولا الشهر، إلّا العيدَين، وصبر على توالى الجديدين، وظنّ اقتناعَه بالنّبات يثبت له جميل العافية. وقد علم سيّدنا

---

(١) فى الأصل: «أو الإنسان» تحريف.

(٢) فى الأصل: «الرقة» وتصحيحه من الرسائل الخمس.

(٣) فى الأصل: «من الماء».

(٤) أى لم تجن ذنبا فيكتب. وفى الأصل: «ولم تجز» وفى الرسائل الخمس: «ولم تحس» والصواب ما أثبتناه.

الرئيس الأجلّ ، المؤيَّد فى الدين، ولا ريب، أنّه قد نظر فى الكتب المتقـدمة، وما حُكِى عن جالينوس وغيره ، من اعتقادٍ يدل على الحِبْرة[1] . وإذا قيل إن البارئ رءوف رحيم، فلم سلّط الأسد على افتراس نَسَمة إنسية، ليست بالمفسدة ولا القَسِيّة! وكم مات بلدغ الحيّات جماعةٌ مشهورة، وسُلِّط على الطّير الراضية بِلقط الحبة البازى والصّقر . وإنّ القطاة لتدَعُ فراخَها ظماء، وتبتكر لتردَ ماء، تحمله إليها فى حوصلتها، فيصادفُها دونهنّ أجدل، فيأكلها فيهلك فراخُها عطشا .

وذكر أشياء من هذا الباب[2] ثمّ قال :

وأعوذ بالله وأتبرّأ من قول الكافر[3] :

ألمّت بالتحيّـة أمُّ بـكرٍ فحيّـوا أمّ بـكرٍ بالسّـلامِ

وكائِنْ بالطّـوى طَوِىّ بـدرٍ من الأحسـاب والقـومِ الكرامِ

وكائِنْ بالطـوى طَوِىّ بـدرٍ من الشّـيزَى تُكلَّلُ بالسّـنامِ

ألا يا أمَّ بـكرٍ لا تَكُرّى علىّ الكأسَ بعـد أخى هِشـامِ

وبعـدَ أخِى أبيـه وكان قَرْمًا من الأقـوام شُرّابِ المُـدامِ

ألا مَنْ مُبلِغُ الرّحمـنِ عنّى بأنّى تاركٌ شهـرَ الصّـيامِ

إذا ما الرّأس زايَـلَ مَنْكِبَيـه فقـد شبِع الأنيسُ من الطّعامِ

أيُوعِـدُنا ابنُ كَبْشـة أنْ سنحيا وكيفَ حياةُ أصـداءٍ وهامِ

أيـترك[4] أن يردَّ المـوتَ عنّى ويُحيِينِى إذا بَليتْ عِظامِى

(١) فى الأصل : «الحيرة» تحريف . وفى الرسائل الخمس : «من اعتقاد يدل على خيرة الانتقاد» .

(٢) هذه العبارة من كلام ياقوت ، يشير إلى أن أبا العلاء استطرد بذكر أمثلة أخرى .

(٣) هو أبو بكر شداد بن الأسود ، كما فى الغفران ص ١٣٥ والسيرة ص ٥٣٠ جونجن .

(٤) فى الأصل : «أيزل» ورواية الغفران : «أتترك» و : «تحيينى»

ولَعَنَ الله القائل، ويقال إنّه الوليد بن يزيدَ بن عبد الملك :

أدْنِيا مِنِّى خليلى عَبْدَلاً[1] دون الإزارِ
فلقد أيقنْتُ أنّى غيرُ مبعوثٍ لنَارِ
سأروض النّاسَ حتّى يركَبُوا دِينَ الحِمارِ
وأرَى مَنْ يَطْلُبُ الجـ ـنّةَ يسعَى فى خسارِ

ووَيلٌ لابن رَغْبَان[2] إن كان قال :

هى الأُولى وقد نَعِمُوا بأُخرى وتَسويفُ الظُّنون من السُّوافِ
فإنْ يكُ بعضُ ما قالوه حقًّا فإنّ المُبتليكَ هو المعافِى

ومِمّا حثّنى على ترك أكل الحيوان، أنّ الذى لى فى السّنة نيّف وعشرون دينارا. فإذا أخذ خادمى بعضَ ما يجب، بقى لى ما لا يُعجب. فآقتصرت على قول يُلْسُن، ومالا يعذبُ على الألسن. فأمّا الآن، فإذا صار إلى مَنْ يخدُمنى كبيرٌ عندى وعنده هين[3]، فما حظّى إلاّ اليسير المتعيّن. ولستُ أريد فى رزقى زيادة، ولا أوثر لسقمى عيادة. والسلام.

(٣) الجواب من آبن أبى عمران :

حُوشى الشيخ، أدام الله سلامته ؛ من أن يكون ممّن فَطِن[4] فى مرض دينه وعقله لِعلّته، وأجاب دعوةَ الداعى منه، بالبيت الشّائع عنه، لينال شفاء علته — جواباً يزيده إلى غُلّته غُلّة ؛ إذًا يكونَ كما قال المتنبّى :

---

(١) فى نسخة من الأصل : « ادنها » وفى أخرى وفى الأصل أيضا « عنه لا » . وتصحيحه من رسالة الغفران ص ١٤٥ .

(٢) رغبان، بفتح الراء وإسكان الغين . وهو عبد السلام بن رغبان، الملقب بديك الجن. ولد بحمص سنة ١٦١ وتوفى سنة ٢٣٥ . وفى الأصل : «رعيان» محرف .

(٣) أى إذا صار إلى خادمى شىء أعده أنا كبيرا، ويعده هو هينا .

(٤) فى الأصل : « يكون ممن قطف » تصحيحه من الرسائل الخمس والمجالس المؤيدية .

أظمَتْنِيَ الدُّنيـا فلمّـا جئتُها مستسقِيًا مطرتْ علىَّ مصائبَا

كانَ سؤالى له — حرسه الله — فى شىء يختصّ بنفسه فى هجْرِه ما يشدّ[1] الجسم، من اللحم الذى ينبت اللحـم ، فأجاب بمـا أقول فى جوابه : أهـذه أنباءُ الأمور الصحائح ؟ وهل زاد السّقيمَ بدوائه هذا إلّا سَقَما ، والأعمى الأصمَّ فى دينـه وعقله بمـا قال إلّا عمًى وصَمَما[2] . على أنّ جميع ما ذكره بنجوةٍ عن سؤالى الأوّل، ومعزِلٍ عنه، ولا مناسبة بينه و بينه[3] .

وأمّا القول بأنّ اللحوم لا يُوصَل إليها إلّا بإيلام الحيوان، فقد سبق الجواب : لا يكوننّ الشّيخُ أرأفَ بها مِن خالقها . فليس يخلو من كونه عادلًا أو جائرا . فإن كان عادلًا، فإنّه سبحانه يقبِض أرواحَ الآكل والمأكول جميعا؛ وذلك مسلّم له . وإن كان جائرًا، لم ينبغ أن نرجُح على خالقنا بعَدْلِنا وجَوره .

وأمّا قوله : "وللسائل أن يقول : إن كان الخير هو الذى لا يريد ربُّنا سواه، فالشرّ لا يخلو من أحد أمرين : إما أن يكون قد علم به، أولا ... ... "إلى آخره. فأقول : قيل إنّ إنسانًا ضاع له مُصحف، فقيل له : اقرأ : ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ فإنك تجـدُه ، فقال : وهذه السورة أيضا فيـه ! فأقول أيضا : إنّ هذا أيضًا من ذلك ، وجميعُـه ظلمات ، فأين النور ! ! وإنّمـا قصدنا أنْ نعرف أنباء الأمور الصحائح، كما قاله .

وأمّا قوله : لمـا رأى اختـلاف الأقوال ، وأيقن بنفادٍ وزَوال ، سأل ربّه أن يرزقه صومَ الدّهر، واقتنع بالنّبات ، فما صح لى أنّ الربّ الذى سأله هو الذى

---

(١) فى الأصل : « يسدّ » بالمهملة، تصحيحه من الرسائل الخمس والمجالس المؤيدية .

(٢) فى الأصل : « يخوه » مصحف .

(٣) فى الأصل : « بينها وبينه »

يريد الخير وحده ، أو الذى يريد الشرّ وحده ، أو الذى يريدهما جميعا . والصوم فرعٌ على أصلٍ من شرعٍ يأتى به رسول . والرَّسول يتعلق بمُرْسِل ، وقضيتنا(١) فى المرسِل مشتبهة ، يبعث رسولًا يريد أن يطاع أم لا يطاع ؟ فإن كان يريد أن يُطاع ، فهو مغلوبٌ على إرادته ؛ لأنّ من لا يطيعُه أكثر . وإنْ كان يريد ألّا يطاع ، فإرسالُه إيّاه محال ، وطلبه حُجّةٌ على الضعفاء ليعذّبهم . فإن كان موضوعُ صومه على هذا ، فلم يفعل شيئًا ، وإن كان على غيره ممّا هو أجلى وأوضح ، فهو الذى أطلبُه .

وأمّا حكايتــه قولَ بعض الملحدين ، واستعاذته بالله أن يكون من المعترضين فى قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى . وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى(٢) ﴾ ... الآيات ، فإن كان البــارئ سبحانه خلَقَهم وهو يعــلم أنّهم مجرمون ، والتّوبةَ(٣) والإنابة يحرمون ، فكان الأَوْلى به ، وهو الرءوف الرحيم ، ألّا يخلقهم ، لئلّا يعذّبهم . وإن كان لا يعلم ، فهو كما قالوا ، ولا يدرى ما يكون منه .

وقول الشيخ بعــده : معاذ الله أن نقولَ ذلك ، بل نسـلّم ونتلو الآية : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾ ، فليس الملحد إذا قال : إنّ السـكر حلو والخلّ حامض ، لا يقبل منه لكونه ملحدا ، وقوله يقتضى جوابا ؛ فإن كان عند الشّـيخ جوابٌ فهو الذى نبغى ، وإلّا فـا التّسليم فى هـذا الموضع إلّا التّسليم للملحد ، لا شىء غيره .

وأمّا إنشاده :

* ألمّتْ بالتحية أمّ بكْرٍ(٤) *

(١) فى الأصل : « قصتنا » وتصحيحه من الرسائل الخمس والمجالس .
(٢) فى الأصل : «إن» . (٣) فى الأصل : « وللتوبة » .
(٤) فى الأصل : « أم عمرو » وتصحيحه مما سبق ص ١٢٤ ومن الرسائل الخمس

وما بعدَه من الأشعار ، وذمُّه من[1] قال ولَعَنهُ ، فمَن الذى اتّهمه بشىء من ذلك ؟ حاشاه ! وما الذى أوجب الإذكار بكفْريّات شعرهم ؟

وأمّا ختْمُه الرّسالة بقوله : إن الذى حثّه على ترك أكْل الحيوان، أنّ الذى له فى السّنة نيفٌ وعشرون ديناراً يصير إلى خادمه معظمُها ، ويَبقَى له أيسرُها ، فمحمل[2] مؤونة القَدْرِ الذى يُطعمُه ، لو كان ثقيلًا لوجَبَ تحمُّله ، فكيف وهو الخفيف محمله ! وقد كاتبْتُ مولاى تاجَ الأمراء ، حرس الله عزّه ، أن يتقدّم بإزاحة العلّة فيما هو بُلْغةُ مثلِه من ألذّ الطعام ، ومراعاتِه به على الإدرار والدّوام ؛ ليتكشّف عنه غاشية هذه الضرورة ، ويجرى أمرُه فى معيشته على أحسن ما يكونُ من الصُّورة . ثم إنْ قام من الشّيخ نَشطةٌ لجوابٍ ، أعفانى فيه عن قصد الإسجاع ، ولزوم ما لا يلزم ؛ فإنّ ملتمسى فيه المعانى لا الألفاظ .

(٤) الجواب من[3] أبى العلاء :

سيِّدَنا الرّئيسَ الأجلّ ، المؤيّدَ فى الدّين ، عصمَة المؤمنين ، هَدَى الله الأمم بهدايته ، وسلك بهم طريقَ الخير على يده .

قد بدأ المعترفُ بجهله ، المقرُّ بحيرته ، والداعى إلى الله سبحانه أن يرزقه ما قلّ من رحمته ، فى أوّل ما خاطبه به ، أنْ ذكَرَ اعتقادَه فى سيّدنا الرئيس الأجلّ ، المؤيّد فى الدين ، ضوْأ الله الظُّلَمَ ببصيرته ، وأذهبَ شكوكَ الأفئدةِ برأيه وحكمته ، وما نَفْسُه عليه من الذّلّة والحُقْرِيّة عنده ، وأنّه يحسبها ساكنةً فى بعض السَّوام .

---

(١) فى الأصل : « من » والوجه ما أثبتنا من الرسائل الخمس والمجالس .

(٢) فى الأصل : « فتحمل » .

(٣) هذا الجواب وما بعده ، سكتت عنه المجالس .

ويعجبُ أنّ مثلَه يطلب الرُّشدَ ممّن لا رشد عنده ، فيكونُ كالمقرّ[1] الذى هو دائبٌ فى خدمة ربّه ليلًا ونهارا، يطلب الحقيقة مِنْ أقمرَ[2] بفلاةٍ، يردُ الماءَ على العمّائد، ويصيبُ قلبَه بسهم .

وقد ذكر — أيّد الله الحقَّ بحياته — بيتًا من أبياتٍ على الحساء، ذكر وليُّه[3] ليعلم غيره ماهو عليه من الاجتهاد فى التديُّن، وما حيلتُه فى الآية المنزّلة التى هى قوله : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ﴾ . وأوّلها :

غَدوتَ مَريضَ العقلِ والدِّينِ فالْقَنِي ... لتعْلَمَ أنباءَ الأُمورِ الصّحائح

فلا تأكُلَنْ ما أخْرَجَ الماءُ ظالمًا ... ولا تَبْغِ قُوتًا مِنْ غَريضِ الذّبائح

ولا يقدر أحدٌ يدفعُ أنّ الحيوانَ البحرىّ لا يخرج من الماء إلّا وهو كارهٌ .

وإذا سُئِل المعقولُ عن ذلك، لم يقبّحْ تركَ أكلِه وإنْ كان حلالًا؛ لأن المتديّنين لم يزالوا يتركون ما هُو لهم حلالٌ مُطْلَق .

وأبيضَ أمّاتٍ أرادَتْ صَريحَهُ ... لأطفالِها دُونَ الغوانِي الصّرائح

والمراد بالأبيض : اللبن . ومشهورٌ أنّ الأمّ إذا ذُبِح ولدُها وجدت عليه وجدًا عظيما، وسهرت لذلك ليالى، وقد أُخِذ لحمه ، وتوفّر على أصحاب أمّه ما كان يرضَعُ من لبنها . فأىُّ ذنبٍ لمنْ تحرّج عن ذبْح السّليل، ولم يرغَبْ فى استعمال اللّبن ولا يزعم أنه محرّم ، وإنّما تركَهُ اجتهادًا فى التعبُّد ، ورحمةً للمذبوح، رغبةً أن يُجازَى عن ذلك بغفرانِ خالق السّموات والأرض ! وإذا قيل : إن الله سبحانه يُساوِى

(١) فى الأصل : « كالقمر » .

(٢) الأقمر : الحمار لونه إلى الخضرة، أو أبيض فيه كدرة . وفى الأصل : «ممن أقمر» .

(٣) أى ذكرها وليه .

بين عبـاده فى الأقسام، فأى شىء أسـلفَتْه الذّبائح من الخطأ ، حتّى تُمنَـعَ حظَّها من الرأفة والرِّفق ؟ !

فلا تَفْجَعَنَّ الطَّـيرَ وهى غوافـلٌ بمـا وَضَعَتْ فالظُّـلمُ شَرُّ القبائِحِ

وقد نهَى النبى صلى الله عليه وسـلم عن صيد اللَّيل ؛ وذلك أحد القولين فى قوله عليه الصلاة والسلام : " أقِرُّوا الطَّيرَ فى وُكُنَاتِها " . وفى الكتاب العزيز : ﴿ يَأَيُّها الذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيدَ وَأَنتُم حُرُم ، وَمَن قَتَلَه مِنكُم مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾ إلى غيرها من الآى فى المعنى .

فإذا سمِـعَ مَنْ له أدنى حِسٍّ هذا القولَ فلا لومَ عليه، إذا طلب التقرُّب إلى ربِّ السموات والأرَضين، بأنْ يجعل صيد الحِـلّ كصيد الحـرَم، وإن كان ذلك ليس بمحظور .

ودَعْ ضَرَبَ النَّحلِ الذى بَكَرَتْ له كواسِبَ مِنْ أزهارِ نَبتٍ فوَائِحِ

لمّـا كانت النّحل تحارب الشائر(١) عن العسَل بمـا تقدر عليـه ، وتجتهد أن تردّه عن ذلك(٢)، فلا غرو أن أعرَضَ عن استعماله رغبةً فى أن تُجعل النّحل كغـيرها ممّـا يكره : [من](٣) ذبح الأكيل، وأخْذِ ما كان يعيش به لتشربَه النّساء، كى يبدُنَّ، وغيرها من بنى آدم . وقد وصفت الشعراء ذلك ، فقال أبو ذؤيب(٤) يصف مُشتارَ العسـل :

إذا لَسَـعتْهُ النَّحلُ لم يرجُ لسعَها وخالفَها فى بيتِ نُوبٍ(٥) عَواسـل

(١) الشائر : جانى العسل . وفى الأصل : « الشارب » .

(٢) فى الأصل : « من ذلك » .

(٣) التكملة من الرسائل الخمس .

(٤) « وأبو ذؤيب الهذلى . وفى الأصل : « أبو ذئب » .

(٥) النوب : النحل ، واحدتها نائب . وفى الأصل : « لوب » محرف

ورُوى عن علىّ عليه السلام حكايةٌ معناها : أنّه كان له دقيقُ شعيرٍ فى وعاءٍ يختم عليه، فإذا كان صائماً لم يختم على شىء من ذلك الدقيق . وقد كان عليه السلام يميل إلى غلّة كثيرة ، ولكنّه كان يتصدّق بها ، ويقتنع أشدّ اقتِناع . وروى عن بعض أهل العلم أنّه قال فى بعض خطبه : إنّ غَلّته تبلغ فى السنَة خمسين ألفَ دينار. وهـذا يدلُّ على أنّ الأنبياء والمجتهدين من الأئمّـة يقصرون نفوسَهم ، ويؤْثِرون بمـا يفضُل منهم أهلَ الحاجة .

وقد عَدَل سيِّدُنا الرئيس إلى الإيمـاء بأنّ مَنْ تركَ أكلَ اللحم ذميم، ولو أُخذ بهذا المذهب لوجب على الإنسان ألّا يصلّىَ صلاةً إلّا ما افتُرِض عليه؛ لأنّ ما زاد على ذلك أدّاه إلى كلفة، والله تبارك وتعالى لا يريد ذلك، ولوجب [أنّ] الذى له مال كثير ، إذا أخرجَ عن الذّهب رُبع العشر، لا يحسُـنُ به أن يزيد على ذلك . وقد حُثّ الناس على النّفقات فى غير موضعٍ من الكتاب الأشرف. والعبد الضعيف العاجز قد افتقر إلى مثل ذلك . ولو مَثَلَ بحضرته السّامية لعلم أنّه لم يبقَ فيـه بقيّةٌ لأن يُسأل ولا أن يجيب ؛ لأنّ أعضاءه متخاذلة ، وقد عجز عن القيام فى الصـلاة فإنّمـا يصلى قاعدًا ، والله المسـتعان . وكيف له أن يكون يصـل إلّا أنْ يدبّ على عُكّاز . ثمّ استشهد على عجزه بأشعار العرب .

وإنّى لأعجز إذا اضطجعت عن القعود ، فربّمـا استعنتُ بإنسان ، فإذا هم بإعانتى ، وبسط يديه لنهضتى ، ضَرَبتْ عظـامى ؛ لأنهنّ عاريات من كسوة كانت عليهنّ .

---

(١) فى الأصل : « إلى » .

وأمّا استشهاده ببيت أبى الطيّب ، فمن أسترشد بمثل العبد الضعيف العاجز مَثَلُهُ مثلُ من طلب فى القتادة ثمَر النّخلة . وإنّما حمل سائلَه على ذلك حسنُ الظنّ ، الذى هو دليلٌ على كرم الطّبع ، وشرفِ النفس ، وطهارة المولد ، وخالص الحِيم .

وأمّا ما ذكره من المكاتبة فى توسيع الرزق علىّ ، فيدلُّ على إفضالِ ورثه عن أبٍ فأب ، وجدّ فى إثر جدّ ، حتّى يصل النسبُ إلى التراب . فالعبد الضعيف العاجز ماله رغبةٌ فى التوسُّع ومعاودةِ الأطعمة ، وتركُها صار له طبعًا ثانيا ، وإنّه ما أكل شيئًا من حيوان خمسا وأربعين سنة .

والشّيخُ لا يترُكُ أخلاقَه حَتّى يُوارَى فى ثَرَى رَمْسِيهِ[1]

وقد عُلم أنّ السّيد الأجلّ ، تاجَ الأمراء ، فخر الملك ، عمدةَ الإمامة وعُدّة الدولة ومجدها ، ذا الفخرين ، نَصيفُ أولادِ سامٍ وحامٍ ويافث . ووِدّ العبدُ الضعيفُ العاجز ، لو أنّ قلعة حلب وجميعَ جبالِ الشّام ، جعلها الله ذهَبا ، لِيُنفِقَه تاجُ الأمراء نصيرُ الدولة النبويّة ، على إمامها السلام وكذلك على الأئمّة الطّاهرين من آبائه ، من غير أن يصير إلى العبد الضعيف من ذلك قيراط .

وهو يستحى من حضرةِ تاج الأمراء أن ينظر إليه بعينِ مَن رغِب فى العاجلة بعد ماذهَب . وهو رَضِىَ أنْ يلقى الله ، جلّت قدرته ، وهو لا يُطالَب إلّا بما فعل من اجتنابِ اللحوم . فإنْ وصل إلى هذه الرُّتبة فقد سعِد . ثم اعتذر من السجع بأخبار أوردها ، واحتجاجات ذكرها .

وسيِّدنا الرئيس الأجل ، المؤيَّد فى الدين ، لازالتْ حجّته باهرة ، ودولته عالية ، كما قال ثعلبة بن صُعَير :

---

(١) البيت لصالح بن عبد القدوس . انظر سمط اللآلى ١٠٥ .

وَلَرُبَّ قَـومٍ ظالمين ذوى شَذًا تَفْـلِي صُـدورُهُمُ بِهِـنْرٍ هاتِرِ
لُـدٌّ ظأرْتُهُـمُ على ما ساءَهُمْ (١) وخَسَأْتُ باطِلَهُـمْ بِحَقٍّ ظاهِرِ

ولو ناظر أرسطاطاليسَ لجاز أن يُفحمه، أو أفلاطون لنبذ حجه خلفه. والله يتمّل بحياته الشريعة، وينصُر بحُجَجِه المِلّة . وحسبي الله ونعم الوكيل .

* * *

(٥) الجواب من ابن أبي عمران :

ما فاتحت الشَّيخَ — أحسن الله توفيقَه (٢) — بالقول إلّا مفاتحةَ متناكرٍ عليه فيه، مؤْثِرٍ لأن يُخفِيَ من أين جاء السؤال، فيكونَ الجواب عنه باسترسالٍ (٣)، ورفض حشمة، وحذف تكلّف للخطاب بـ "سيّدنا" و "الرئيس"، وما يجرى هذا المجرى؛ إذ كان حكم ما يُتجارى فيه مُوجِبًا ألّا يتخلّله شيء من زخارف الدنيا، ولأنّى أعتقد أنّ سيّدى بالحقيقة من تستفل (٤) دون يده يداى أخذًا منه (٥) للدنيا، أو تمتار نفسى من نفسه استفادةً من معالم الأخرى . فما أدرى كيف انعكست الحال (٦) حتّى صار الشيخ — أدام الله تأييده — يخاطبنى بسيدنا والرئيس، ولست مُفْضِلاً عليه فى دنيا ولا دين، بل شادٌّ راحلتى إليه؛ لاستفادةٍ إن وردْتُ موردَها أو صادفْتُ نَهلا أو عَلًّا منها (٧)، قابلتُها بالشُّكر لنعمته، والإعجال على نفسى بأستاذيّته (٨) .

---

(١) فى الأصل : « لا كارتهم على ما ساءهم » صوابه فى المفضليات والرسائل الخمس .

(٢) فى الأصل : «إليه» . (٣) فى الأصل : «باستدلال» صوابه فى الرسائل الخمس .

(٤) تستفل : تسفل ، كما فى أساس البلاغة ، ولم تذكر فى اللسان والقاموس . وفى الأصل : « يستقل » ولا وجه له . وهو نظر إلى الحديث : « اليد العليا خير من اليد السفلى » .

(٥) فى الأصل : « حدا » . (٦) فى الأصل : « انكشفت الحال » .

(٧) فى الأصل : « أو صادفت نهرا أو علامتها » .

(٨) فى الرسائل الخمس : « بسيادته » .

وبعد فإنى أُعلِمُه — أدام الله سلامته — أنّى شققت جيبَ الأرض من أقصى ديارى إلى مصر، وشاهدتُ النّاسَ بين رجلين، إمّا منتحلا لشريعةٍ صبا إليها ولهج بها، إلى الحدّ الذى إنْ قيل له مِن أخبار شرعه : إنّ فيلًا طار أو جملا باض، لما قابله إلّا بالقبول والتصديق، ولكان يكفّر مَن يرى غير رأيه فيه، ويسفّهه ويلعنه . والعقلُ عند مَنْ هذه سبيلُه فى مهواةٍ وفى مَضْيَعةٍ، فليس يكاد ينبعثُ [لأن يعلم][1] أنّ هذه الشريعة التى هو منتحلُها، لم يُطَوّق طوقَها ولم يسوَّر سوارها إلا بعدَ لُموع نورِ العقل منه، فكيف يصح توليته[2] أوّلا وعَزْله آخرا ؟ [أو منتحلًا للعقل يقول إنه حجّة لله تعالى على عباده، مبطلًا لجميع ما للناس فيه، مستخفًّا بأوضاع الشرائع، معترفا مع ذلك بوجوب المساعدة عليها، وعظم المنفعة بمكانها، لكونها مقمعةً للجاهلين، ولجاما على رءوس المجرمين المجدِّفين . لا على أنها ذخيرةٌ للعُقْبى، أو منجاة فى الدار الأخرى][3] .

فلما رَمتْ بى المرامى إلى الشّام، سمعت أنّ الشيخ — وفّقه الله — بفضلٍ[4] فى الأدب والعلم، قد اتّفقت عليه الأقاويل، ووضَح به البرهان والدليل، ورأيت النّاس فيما يتعلّق بدينه مختلفين، وفى أمره مُتَبلِبلين[5]، فكلٌّ يذهب فيه مذهبا .

وحضرتُ مجلسًا جليلا أُجرِى فيه ذكره، فقال الحاضرون فيه غثًّا وسمينا، فحفِظته فى الغيب، وقلت : إن المعلوم من صلابته فى زُهده يحميه من الظّنّة والرّيب، وقام فى نفسى أنّ عنده من حقائق دِين الله سِرّا، قد أسبَلَ عليه من التّقيّة[6] سترا، وأمرًا يميّز به عن قومٍ يكفّر بعضهم بعضا . ولمّا سمعت البيت : "غدَوْتَ مَريضَ العَقْل"، توثّقت من خَلَدى فيما حدثت عقوده، وتأكّدتْ عهوده، وقلت : إنّ لسانا

(١) تكملة من الرسائل الخمس . (٢) فى الأصل : « توليه » ووجهه من الرسائل الخمس .
(٣) التكملة من الرسائل الخمس . (٤) فى الأصل : « وسمعت أن الشيخ وفقه الله بفضل » وصوابه من الرسائل .
(٥) فى الأصل : « مبتلين » . (٦) فى الأصل : « البقية » .

يستطيع بمثل هذه الدعوى نطقًا، و يفتُق من هذا الفخر العظيمِ رتْقا، لَلسانٌ صامتٌ عنده كل ناطق، من ذِروةِ جبلٍ من العلم(١) شاهق. فقصدتُه قصدَ موسى للطُّور، أقتبس منه نارًا، وأحاول أنْ أرفع بالفَخر منارا، لمعرفة ما تخلَّف عن معرفته المتخلِّفون، وآختلف فى حقيقته المختلفـون. فأدلَيتُ دلوِى بالمسألة الخفيفة التى سألتُ عنها؛ ترقِّيًا(٢) من دونٍ إلى فوق، وتدرجا من صـغير إلى كبير، فكان جوابه أنه يصغر عن أن يكون للآسترشاد محلًا، فقلت: هذه زيادة فى فضله، وما يجوز صدورُ مثلِه عن مثـله. ثم آنتهى إلى الإحالة على كَون الناس ممّن تقـدم أو تأخر، فى وادى الحيرة تائهين، وفى أذيالهـا(٣) متعثِّرين، فمن قائل يقول: إنّ الخير والشرّ من [عند](٤) الله، ومجيب يجيبه: هل كان ما كان يستعيذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم من وعثاء(٥) السفر وكلِّ مستعاذٍ منه، خيرًا أو شرًّا؟ فإن كان خيرًا فالآستعاذة منه باطلة، و إنْ كان شرًّا والله مريدُه، فالآستعاذة منه كذلك فضولٌ وزيادة فى المعنى.

وسؤالُ من يسأل: هل كان سَمُّ الحسن وقتلُ الحسين عليهما السلام خيرا أوشرًّا؟ فإن كان خيرًا فاللّعنة على القاتل من أىّ جهة، و إنْ كان شرًّا والله مريده زال اللّوم عن القاتل. وقائل يقول: إنّ الخير من الله، والشرّ من غيره. ومجيب يجيب بالجواب الذى يقطع به الأسباب، وغير ذلك مما أطال به الخطاب، من أشعار الملحدة وأقوالهم. فكان جوابى — أدام الله سلامته — أنى من هؤلاء الذين [ذكرتهم](٤) تبرّيت إليك، وتطاوحت(٦) عليك، و إنّ كلامهم عندى قبل أن عللته عليل، وهو على مسامع القبول منّى ثقيل، فافتَحْ لى إلى ماعندك بابا، وآفسح(٧) لى من لدنك جنابا، فلم يفعل.

---

(١) فى الأصل: «من ذروة من جبل العلم» (٢) فى الأصل: «صغرى».
(٣) فى الأصل: «أذياله». (٤) التكملة من الرسائل الخمس.
(٥) فى الأصل: «وعث». (٦) تطاوحت: ترامت. وفى الأصل: «تطايحت» وفى الرسائل الخمس: «تطارحت» محرفان. (٧) فى الأصل: «وافتح».

ثمّ خاطبته على آمتناعه من أكل اللحوم ، فاحتجّ بكونه متحرّجا من قصدها — أعنى البهائم — بالمضرّة والإيلام، متعفّفا عنها لهذه الجهة . فقطعتُ لسان حجّته بعد تناهيها، وقلت : إذا كان الله تعالى سلّط بعضَها لتأكل بعضا ،وهو أعرف بوجوه الحكمة، وأرأف بالخليقة، فلا يُكنْ أرأفَ بها من ربّها، ولا أعدلَ فيها من خالقها. ثمّ عدل إلى قصور يدِ الآستطاعة دون ذلك؛ إذ كان القَدْر الذى هو له فى السّنة منصرفًا إلى من يتولّى خدمته أكثرُه، وخالصًا له أقلُّه . فقطعتُ الحجّةَ فى هذا الباب أيضًا، وعيّنت له على جهةٍ كريمةٍ من الذين لا يُتْبِعُون ما أنفَقُوا مَنًّا ولا أذى ،[ما] يقوم بقدر كفايته ، من أطيب ما يأكلون ، وأزكى ما فى البيوت يَدّخرون . فتجافتْ نفسُه — وقاها الله السُّوء — عن هذا الباب أيضا ، وكتب فى الجواب الثانى بأنّه لا يُؤْثِر ذلك ولا يرغب فيه، ولا يخرق عادتَه المستمرّةَ فى التّرك، وآبتدأ يقول : إنّى طلبتُ الرُّشدَ ممّن لا رشدَ عنده ، وإنّ البيت الذى قاله ممّا تعلّقت به وجهلتُه حجّة إلى آستقراءِ طريقته ومذهبه ، إنّما أراد الإعلام بآجتهاده فى التديُّن. وما حيلته فى الآية المنزّلة : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾ . بجمع بين المتضادّين فى كلمة واحدة . إنّه إن كانت الآية حقًّا كان الآجتهاد باطلا . وقال : إن لله سبحانه أسرارًا لا يقف عليها إلّا الأولياء ، فنحنُ على ذلك السرِّ نَدُور ، وعلى باب من هو عنده نطوف . فإنْ قلنا : إنّه — حرسه الله — من أصحابه بدعوَى صحّته فى دينه وعقله ، ومرض الناس على موجب قوله، قال : لا رشد عندى ، فنظمُه فى هذا المعنى يناقض نثره ، ونثره يخالف نظمه ، فكيف الحيلة ؟ ثم قال : إن البيت المقول :

---

(١) فى الرسائل الخمس : «عدل إلى ذكر قصور يد الاستطاعة» .

(٢) ليست فى الأصل .

غَدوْتَ مريضَ العقلِ والدِّين فالقَنِي لتعــلم أنْبَـاء الأمـــورِ الصحائِحِ

يؤدِّى معناه البيت الثانى :

فـلا تأكُلَنْ ما أخرجَ المـاءُ ظالمـا ولا تَبْـغِ قُـوتاً مِن غَـريضِ الذّبائِحِ

فكان مرضُ الدِّيـن والعَقل من جهـة أكل اللحوم وشرب الألبـان وتناوُل العسل . فَمَنْ ترك هـذه المطاعمَ، كان صحيحاً دينُـه وعقله . وهو يعلم أنّ مصحّة الأديان والعقول لا تقوم بذلك . ولا يجوز أن يكون هذا البيت الثانى ناسخاً لحكم الأوّل، فيكونَ محصولُ دعواه فى فقـر النّاس إلى أن يصحّ دينهم وعقلُهم هو أن يقول لهم : لا تأكلوا اللحم واللبن .

وأما قوله : إنّ الحيـوان البحرى كارهٌ أن يُخرَج إلى البرّ، وإنّه ليس يقبح فى العقول ترك أكله، وإن كان حلالا؛ لأن المتديّنين لم يزالوا يتركون ما لهم طِلق[1]، فما من حيوان بحرىٍّ ولا برىٍّ، هو أجلُّ من هذا الإنسان الحىّ العاقل، وهو كارهٌ للموت فيموت، وكارهٌ لأن يأكله شىء، والدود تأكله فى قبره . فإنْ كان ذلك صادرا عن موضع حكمة، كان ما ذكره من الحيوان البرىّ والبحرىّ، جاريا فى مضمارِ هذا مِثلا بمثـل . وإن كان معدولا به عن وجه الحكمة، كان مُحالاً أن يكون صانعى سفيها، وأكونَ — وأنا مصنوعُه — حكيما .

وأما قوله إنّ النبى صلى الله عليه وسلم، صلّى إلى أن تقرّحت قدماه، فقيل له فيه، فقال : "أفلا أُحبُّ أنْ أكونَ عبدًا شكُورا" فما هذا مما نحن عليه فى شىء. والإنسان له أن يصلّىَ ما شاء من الصلوات فى الأوقات التى تجوز فيها الصلاة، على ألّا يزيد فى الفرائض ولا ينقصَ منها. وهذا الكلام شرعى، وكانت القضية[2] للتكلّم على العقليات .

(١) الطلق، بالكسر : الحلال . وفى الأصل : «طلقا» .

(٢) فى الأصل : «النصبة» وتصحيحه من الرسائل الخمس .

وأما قوله : إنّه عليه الصلاة والسلام، حرّم صيد الحرم، و إنّ لغيره أن يحرّم صيد الحِلّ تقرّبا إلى الله سبحانه — فليس لأحدٍ أن يحلّل أو يحرّم غيره .

وأما قوله : إنّ عليًّا عليه السلام، لمـا قُدِّم [إليه] الخَبيص سأل : هل أكل النبيّ صلى الله عليه وسـلم منه؟ فلما قالوا لا ، رفعه ولم يأكله — فهذه الحجة عليه لا له ؛ فإنّ النّاس مجمعون على أنّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يُفارِقْ أكل اللحم، وهو يهجره دهرَه ، وذلك بالضـدّ سواء . ولو أنه — حرسـه الله — لم يستظهر على بالشريعة ، ولم يتجاوز قضيّة(١) العقل، لصُنْته عن هذا الجواب الذى عسى أن يشغل(٢) سرّه ، ويعزّ علىَّ ذلك .

وأمّا ما شكاه من ضعفه وقصـور(٣) حركته ، وأنّه لم يبق فيـه بقيّةٌ لأن يُسأل ولا أن يجيب ، فمـا هو — حرسه الله — على علّاته من الضعف والقوّة ، إلّا من محاسن الزمان، وممّنْ سارت بذكر فضـله الرُّكبان ؛ إلّا أنّه على عُدْوان الدهرِ عليه عدا على نفسِه ، بحرمانها ملاذَّ دُنياها . فإنْ وثقت نفسُه بملاذّ تعتاض عنها ، ممّا هو خيرٌ وأبقى منها ، فما خسِرت صَفْقتُه ، وقام مصداقُ قوله بالبيت المقدَّم ذكره، وإنْ كان يوسم بميسَم الشحّ بمنع المتعجمين، وردّ السائلين . و إن كان شقَّ على نفسه من غير بصيرةٍ كما يدّعيه الآن، خوضًا مع الخائضين ، وتحيرًا مع أمثالنا من المتحيرِّين ، فقد أضاعها وجنَى عليها ، وآدعى فى البيت المقدّم ذكره ما لا برهان له . والغـرضُ السؤال والجواب الفائدة ، وإذا عُدِمتْ فقد خفّف الله عنه أن يتكلّف جوابا .

وأمّا الأسجاع ومسألتى التخلّىَ عنها ، فما كانت إلا شحًا(٤) بالمعانى أن نضلّ بتتبُّعها ، ولأنّى إذا تتبّعت فضلَه ، بصنَعاته فى الأدب والشّعر ، وجدْتُ فى أرضه مُراغَمًا

(١) فى الأصل : «نصبة» . (٢) فى الأصل : «يستغل» .
(٣) فى الأصل : «وتضور» . (٤) شحا : ضنا . وفى الأصل : «الأسجاع» .

كثيرا وسَعة ، ومن أين لى أنْ أظهرَ على مكنون جواهِر علومِ دينــه ، كظهورى على مصنَّفات أدبِه وشعرِه !

وقبلُ و بعدُ فانا أعتذر، عن سِرِّله — أدام الله حراسته — أذَعتُه[1]، و زمانٍ منه بالقراءة والإجابة شغلْته؛ لأنّى من حيث ما نفعته ضررته ، والله تعــالى يعلم أنّى ما قصدت به غير الاستفادةِ من علمه، والاغتراف من بحره . والسلام .

* * *

وكنّا بحضرة القــاضى الأكرم الوزير جمال الدين أبى الحسن علىّ بن يوسف ابن إبراهيم[2] الشيبانى — حرس الله مجده — وفيه[3] جماعةٌ من أهل الفضل والأدب، فقال أبو الحسن علىّ بن عدلان[4] النحوىّ الموصلىّ : حضرت بدمشق عند محمد بن نصر بن عُنين[5] الشاعر وزير المعظّم[6]، فجاءته رقعةٌ طويلة عريضة، خاليةٌ من معنى، فارغةٌ من فائدة، فألقاها إلىّ قائلا : هل رأيتَ قطُّ رقعةً أسقطَ أو أبردَ[7] من هذه، مع طــولٍ وعرض ؟ فتناولْتُها فوجدتها كما قال، وشرعت أخاطبــه ، فأومأ إلىّ بالسكوت وهو مفكر، ثم أنشدنى لنفسه :

وردَتْ منكَ رُقعــةٌ أسأمتنى ... وثَنَتْ صــدرِىَ الحَمُول مَلُولاَ

كنَهــار المَصيف ثِقْــلًا وكَرْبًا ... ولَيــالِى الشِّــتاءِ بَرْدًا وطُــولاَ

(١) فى الأصل : « آذيته » .

(٢) هو القفطى صاحب إنباه الرواة ، وقد سبقت ترجمته فى ص ٢٧

(٣) جعل الحضرة بمعنى المجلس وأعاد الضمير مذكرا .

(٤) هو على بن عدلان بن حماد بن على . ولد سنة ٥٨٣ وتوفى بالقاهرة سنة ٦٦٦ .

(٥) هو أبو المحاسن محمد بن نصر الدين بن نصر بن الحسين بن عنين . ونسبه هنا إلى جدّه . وعنين، بهيئة التصغير، كما ضبطه ابن خلكان . ولد بدمشق سنة ٥٤٩ وتوفى بها سنة ٦٣٠

(٦) هو الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل أبى بكر محمد بن أيوب، صاحب دمشق والشام. ولد سنة ٥٧٦ وتوفى سنة ٦٢٤ . انظر التواريخ فى وفيات هذه السنة .

(٧) فى الأصل « أو أدبر » .

(٨) فى الأصل : « بركا » .

فاستحسنَ أهلُ المجلس هذه البديهة ، وعجِبوا من حسن المعنى . فقال القاضى الأكرم : ما زلت أستحسنُ كلاماً وجدتُه على ظهرِ كتابِ ديوانِ الأعشى ، فى مدينة قِفط ، سنة خمسٍ وثمانين ، يتضمَّن لأبى العلاء المعَرّى [شعراً] يُشبِه ما فى هذين البيتين من المقابلة ، ضدّاً بضدّ ، فى موضعين ، ولعل هـذين البيتين يفضلان على ذلك . فقلنا له : وما ذلك الكلام؟ فقال[1] :

حُكى أنّ صالح بن مرداس صاحب حلب ، نزل على معـرّة النعمان مُحاصِراً ، ونصب عليها المناجيق[2] ، واشتدّ فى الحصار لأهلها . فجاء أهل المدينـة إلى الشّيخ أبى العـلاء ، لعجزهم عن مقاومتـه ، لأنّه جاءهم بمـا لا قبـل لهم به ، وسألوا أبا العـلاء تلافِىَ الأمرِ بالخروج إليـه بنفسه ، وتدبيرَ الأمر برأيه ، إمّا بأموالٍ يبـذلونها ، أو طاعةٍ يُعطونها . فخرجَ ويدُه فى يد قائده ، وفتح له بابًا من أبواب معرّة النُّعمان ، وخرج منـه شيخٌ قصير يقوده رجلٌ ، فقال صالح : هو أبو العـلاء ، فجيئونى به . فلما مثَل بين يديه سلَّم عليـه ، ثم قال : الأمير — أطال الله بقاه — كالنهار المـاتع قاظ وسطه وطاب أبرداه[3] ، وكالسّيف القاطع لانَ متنُه وخشُن حدّاه . ﴿خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ﴾ . فقال صالح : ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾[2] قد وهبتُ لك المعـرّةَ وأهلها ، وأمر بتقويض الخيام والمناجيـق فنُقضت ، ورحَل . ورجع أبو العلاء وهو يقول :

نجّى المعـرّةَ من بَراثِنِ صـالِح ... ربٌّ يُعافِى[4] كلَّ داءٍ مُعْضِلِ
ما كانَ لى فيهـا جناحُ بعوضـةٍ ... اللهُ ألحفَهـم جَناحَ تفضُّـلِ

(١) تصرف ياقوت فى نص القفطى تصرفا كثيرا . وانظر ص ٣٥ — ٣٦ .
(٢) كذا . وانظر ما سبق فى نص القفطى ص ٣٥ الحاشية رقم ٣ .
(٣) الأبردان : الغداة والعشى . وفى الأصل : « أبراده » .
(٤) فى القفطى : « يداوى » . والبيتان من مقطوعة فى اللزوم (٢ : ٣٢٤) مع خلاف فى الرواية .

قال أبو غالب بن مهذّب المعرّىّ[1] فى تاريخه ، فى سنة سبعَ عشرةَ وأربعمائة : صاحت امرأةٌ يوم الجمعة فى جامع المعرّة ، وذكرتْ أنّ صاحب الماخور أراد أن يغتصبَها نفسَها ، فنفَر كلُّ من فى الجامع ، وهدموا الماخور ، وأخذوا خشَبه ونهبوه[2] . وكان أسدُ الدّولة فى نواحى صَيْدَا ، فوصل الأميرُ أسدُ الدولة ، فاعتقل مِن أعيانها سبعين رجلًا ، وذلك برأى وزيرِه تادرس بن الحسن الأستاذ ، وأوهمه أنّ فى ذلك إقامةً للهيبة . قال : ولقد بلغنى أنّه دُعى لهؤلاء المعتقَلين بآمد ومَيَّافارِقينَ على المنابر ، وقطع تادرس عليهم ألف دينار ، وخرج الشيخ أبو العلاء المعرّىّ إلى أسد الدولة صالح ، وهو بظاهر المعرّة ، وقال له الشيخ أبو العلاء : مولانا السيد الأجل ، أسدُ الدولة ومقدّمها وناصحها ، كالنّهار الماتع اشتدّ هجيره وطاب أبرداه[3] ، وكالسيف القاطع لانَ صَفْحُهُ وخشُن حدّاه ﴿خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ .

فقال صالح : قد وهبتهم لك أيُّها الشيخ . ولم يعلم أبو العلاء أنّ المال قد قُطع عليهم[4] ، وإلّا كان قد سأل فيه . ثم قال الشيخ أبو العلاء بعد ذلك شعرًا ، وهو :

تغيّبتُ فى مَنزِلى برهةً ... ستيرَ العيوبِ فَقيدَ الحسَدْ
فلمّا مَضَى العُمْرُ إلّا الأقَلّ ... وحُمّ لرُوحى فِراقُ الجسَدْ
بُعِثْتُ شفيعًا إلى صالِح ... وذاكَ مِنَ القومِ رأىٌ فَسَدْ
فيسمَعُ مِنّى سَجْعَ الحَمَام ... وَأسْمَعُ منهُ زئيرَ الأسَدْ
فلا يُعجِبَنّى هذا النِّفاقُ ... فكَمْ نفّقَتْ مِحنةٌ ما كسَدْ

(١) هو أبو غالب همام بن الفضل بن المهذب المعرّى . نقل عنه ياقوت وابن الوردى . وذكره ابن العديم فى تلامذة أبى العلاء .
(٢) قد أشار المعرّى فى اللزوم (١ : ٣٥٥) إلى قصة هذه المرأة .
(٣) فى الأصل : «أبراده» .
(٤) انظر لزوم ما لا يلزم (١ : ٣٠٢) .

الكامل (*)
لابن الأثير (**)
٥٥٥ — ٦٣٠

وفيها (١) فى ربيع الأوّل : توفى أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرّى الأديب، وله نحو ستٍّ وثمانين سنة .

وعلمه أشهر من أن يذكر ، إلا أنّ أكثر الناس يرمونه بالزّندقة ، وفى شعره ما يدلّ على ذلك .

حُكى أنّه قال يومًا لأبى يوسف القَزوينى (٢) : ما هجوتُ أحدًا ! فقال له القزوينى : هجوتَ الأنبياء ! فتغيّر وجهه وقال : ما أخاف أحدًا سواك .

وحَكى عنه القزوينىّ أنّه قال : ما رأيت شِعرًا فى مَرْثِيَة الحُسين بن علىٍّ يساوى أن يحفظ . فقال القزوينىّ : بلى، قد قال بعض أهل سوادنا :

رأس ٱبنِ بنت محمّدٍ ووصيِّه ... للمسلمينَ على قَناةٍ يُرْفَعُ
والمسلمونَ بمَنظَرٍ وبمَسمع ... لا جازعٌ منهم ولا متفجّعُ
أيقظْت أجفانًا وكُنتَ لها كَرًى ... وأنمتَ عينًا لم تكن بِك تهجعُ
كُحلت بمَصْرَعك العيونُ عَمايةً ... وأصمَّ نعيُكَ كلَّ أذْنٍ تَسمعُ
ما رَوضةٌ إلّا تمنَّت أنّها ... لك مَضْجَعٌ ولحَطّ قبرِك موضعُ

(*) تاريخ الكامل، أو كامل التواريخ، أو الكامل فى التاريخ . ابتدأ فيه مصنفه من أول الزمان إلى سنة ٦٢٨ . والكتاب فى اثنى عشر جزءا .
والنص الذى أثبتناه فى ص ٢٣٨ من الجزء التاسع طبعة بولاق سنة ١٢٩٠ .

(**) هو أبو الحسن على بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى، المعروف بابن الأثير الجزرى، الملقب عز الدين . ولد بالجزيرة وتوفى بالموصل . وله مصنفات كثيرة، منها : أخبار الصحابة، ولب اللباب، اختصر فيه كتاب الأنساب للسمعانى .

(١) أى فى سنة ٤٤٩ . (٢) سبقت ترجمته فى ص ٧٧ .

مرآة الزمان (*)

لسبط ابن الجوزى (**)

٥٨١ — ٦٥٤

وفيها (١) : توفى أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان [بن أحمد بن سليمان] (٢) آبن داود بن المطهَّر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن أنور بن أصحم بن أرقم بن النعمان بن عدىّ بن عبد غطفان (٣) بن عمرو بن بَرِيح بن جَذِيمة بن تيم الله بن أسد بن وَبرة بن تَغْلب بن حلوان بن عمران (٤) [بن الحاف] بن قضاعة، أبو العلاء التنوخىّ المعرّىّ .

وتنوخ : قبيلة من اليمن .

توفّى يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الأوّل بمعرّة النعمان، من الشّام .

ومولده يوم الجمعة لثلاثٍ بقِينَ من ربيع الأوّل سنة ثلاثٍ وستّينَ وثلاثمائة .

(*) مرآة الزمان، فى تاريخ الأعيان . وهو تاريخ كبير مرتّب على السنين إلى أثناء سنة ٦٥٤ ، هى السنة التى توفى فيها المؤلف . ومنه بدار الكتب المصرية نسخة مصورة فى سبعة عشر مجلدا .

والنص الذى اقتبسناه يقع فى حوادث سنه ٤٤٩ . وهذا النص مضطرب فى ترتيب صفحاته ، وقد تمكنا من ردّها إلى سيرتها الأولى بعد جهد .

(**) هو يوسف بن قزأوغلى، شمس الدين أبو المظفر، ابن بنت أبى الفرج بن الجوزى . ولد ونشأ ببغداد، ثم انتقل إلى دمشق، فعاش بها حتى مات . وله من الكتب غير مرآة الزمان : كنز الملوك فى كيفية السلوك، ومنتهى السّول فى سيرة الرسول، وغيرهما . ولفظ «قزأوغلى» تركى، ومعناه : ابن البنت . وهذا ما يحملنا على أن نقول : إنه لقب يوسف لا لقب أبيه، وأن تكون كلمة : « ابن » من إلحام الناسخين . انظر لسان الميزان، وكشف الظنون .

(١) أى فى سنة ٤٤٩ (٢) التكملة من المصادر التى أوردت النسب كاملا .

(٣) فى الأصل : « عبد بن غطفان » . (٤) ساقطة من الأصل .

وأصابه جُدَرِىٌّ فى سنة سبعٍ، أو آخر سنة ستّ وستّين وثلاثمائة، فغشّى حدقتيه بياضٌ فعمى .

وقال الشّعر وهو آبن إحدى عشرة سنة، أو آثنتى عشرة سنة .

وسمع اللُّغة وأملى فيها كتبا، وله بها معرفة تامّة .

ودخل بغداد سنة تسعٍ وتسعين، وأقام بها سنةً وسبعة أشهر، ثمّ عاد إلى بلده (١) فلزم منزله، وسمّى نفسه : "رَهْن المحبسين"، يعنى منزله وبصره .

وأقامَ خمسًا وأربعين سنةً لا يأكل اللحم ولا البيض ولا اللبن، ويحرّم إيلام الحيوان، ويقتصر على ما تنبت الأرض، ويلبس خشن الثّياب .

وأقواله تدلُّ على آختلال عقيدته (٢) .

وقال الخطيب التّبريزى : قال لى المعرّىّ : ما الذى تعتقد ؟ فقلت فى نفسى: اليوم أعرف آعتقاده! فقلت : ما أنا إلا شاكّ! فقال : وكذا شيخك !

وكان ظاهر أمره الميل إلى مذهب البراهمة ؛ لأنّهم لا يرون ذبح الحيوان، ويجحدون الرُّسل .

وقد رماه جماعةٌ بالزّندقة والإلحاد . وذاك أمرٌ ظاهر فى كلامه وأشعاره، وأنّه يردّ على الرُّسل، ويعيب الشرائع، ويجحد البعث .

وقال أبو الوفاء بن عقيل : ومن العجائب أنّ المعرّىّ أظهر ما أظهره من الكفر البارد، الذى ما بلغ فيه مبلغ شبهات الملحدين، بل قصّر فيه كلَّ التقصير، وسقط من عيون النــاس، ثمّ آعتذَرَ بأن لقوله باطنا، وأنّه مسلم فى الباطن . فلا عقل ولا دين؛ لأنه تظاهَرَ بالكفر، وزعم أنّه مسلم فى الباطن . وهــذا عكس قضايا

(١) فى الأصل : « إلى منزله » .
(٢) فى الأصل : «على اختلا» .

المنافقين والزّنادقة ؛ فإنّهم تظاهروا بالإسلام ، وأبطنوا الكفر . فهل كان فى بلاد الكُفْر حتّى يحتاج إلى هذا ؟ فلا أسخف عقلًا ممّن سلك هذه الطريقة ، التى هى أخسّ [من](١) طريقة الكفار والمنافقين والزّنادقة . وهو مثل الريوندى(٢) وأبى حيّان ؛ فإنّهم(٣) تكشّف كلامهم عن مثل هذا ، يتكلّمون فى التوحيد والتحميد والتقديس ، ويدسّون فى أثناء ذلك المِحَن .

قال ابن الصّابى : وله شعر كثير ، وفيه أدبٌ غزير ، ويُرمَى بالإلحاد ، وأشعاره دالة على ذلك . ولم يكُ [يأكل](١) لحوم الحيوان ولا البيض ولا اللبن ، ويقتصر على ما تنبته الأرض ، ويحرّم إيلام الحيوان ، ويُظهِر الصّومَ فى زمانه جميعه .

ونذكر طرفًا ممّا بلغنا من شعره(٤) الدالّ على إلحاده ، فمنه :

صَرْفُ الزّمانِ مُفَرّقُ الإلْفينِ ... فاحكُمْ إلهى بينَ ذاكَ وبينِى
أنهيْتَ عن قَتْلِ النُّفوسِ تعمُّدًا ... وبعثتَ تقبضها مع الملَكينِ
وزعمتَ أنّ لها معادًا ثانيا ... ما كانَ أغناها عن الحالّينِ

ومنه(٥) :

تناقضُ مالُه إلا السُّكونُ(٦) له ... وأن نَعوذ بمولانا من النّارِ
يدٌ بخمسِ مئينٍ عسجدٍ فُدِيتْ(٧) ... ما بالها قُطِعَتْ فى ربع دينارِ

(١) ليست فى الأصل .
(٢) كذا فى الأصل : وانظر الحاشية رقم ٣ ص ٢٠ .
(٣) جعل للاثنين ضمير الجماعة .
(٤) الأبيات مما لم يرو فى الديوانين .
(٥) البيتان فى اللزوم (١ : ٣٨٦) .
(٦) رواية اللزوم : « ما لنا إلا السكوت » .
(٧) تنوين نون «مئين» لغة نص عليها صاحب اللسان نقلا عن سيبويه .

ومنه[1] :

قِرانُ المشترِى زُحَلًا يُرَجَّى ... لإيقاظِ النّواظر مِن كَرَاهَا

وهيهاتَ! البَرِيّةَ فى ضَلالٍ[2] ... وقد فطِنَ اللّبيبُ بما آعتراهَا

تَنَضَّى النّاسُ جِيلًا بعد جيلٍ ... وخُلِّفت النّجومُ كما تراها

تقدَّمَ صاحبُ التّوراةِ مُوسَى ... وأوقَعَ بالخسار من آقتراهَا[3]

فقال رجالُه وحَيٌّ أتاهُ ... وقال النّاظِرونَ بل آفتراهَا

وما حَجَّى إلى أحجارِ بَيتٍ ... كؤوس الخَمْرِ تُشرَبُ فى ذَراهَا

إذا رجَعَ الحليمُ إلى حِجاهُ ... تهاوَنَ بالمذاهبِ وآزدراهَا

ومنه[4] :

أُمورٌ تستخفُّ بها حُلومٌ[5] ... ولا يدرِى الفتى لمن الثُّبُورُ

كتابُ محمّدٍ وكتابُ موسى ... وإنجيل آبنِ مَريم والزّبورُ

ومنه[6] :

إذا كان لا يحظَى برزقِك عاقلٌ ... وترزُق مجنونًا وترزُق أحمقَا[7]

فلا ذنبَ يا ربَّ السماءِ على آمرئٍ ... رأى منكَ ما لا يشتهى فتَزندَقَا

---

(١) انظر اللزوم (٢ : ٤١٥) .

(٢) فى الأصل : «ظلال» صوابه فى اللزوم .

(٣) اقتراها : تبعها . وفى الأصل : «افتراها» بالفاء، تصحيف .

(٤) انظر اللزوم (١ : ٣٢٤) .

(٥) فى الأصل : «عقول يستخف بها حليم» صوابه فى اللزوم .

(٦) البيتان مما لم يرو فى الديوانين .

(٧) فى الأصل : «وتعطى» ولا يستقيم به الوزن .

ومنه (١) :

ضَحِكْنَا وكانَ الضَّحكُ منّا سفاهةً ... وحُقَّ لسكّانِ البَسيطةِ أن يبكُوا
تحطَّمنا الأيّامُ حتّى كأنّنا ... زُجاجٌ ولكن لا يُعادُ لهُ سبكُ

ومنه (٢) :

خَبَرُ المقابِرِ فى القبورِ ومَنْ لهمْ ... بمبشّرٍ يأتى بصدقِ المحشرِ
هيهاتَ يُرجَى ميّتٌ فى قبرِهِ ... لو صحّ ذاكَ لكانَ عينَ المتجرِ
خسِرت تجارتُهمْ فهل من ميّتٍ ... يرجو التّجارة من ضريح المحفَرِ

ومنه :

فى كلِّ أمرِكَ تقليدٌ تدينُ به ... حتّى مقالك ربِّى واحدٌ أحدُ
وقد أمِرْنا بفكر فى بدائعه ... فإن تفكَّر فيه معشر (٤) لحدُوا

ومنه (٥) :

لولا التّنافس فى الدُّنيا لما وُضعتْ ... كتبُ التّناظر لا المغْنِى ولا العُمَدُ

ومنه :

أستغفِرُ اللهَ فى أمْنِى وأوجَالى ... مِن غَفْلتى وتوالِى سُوءِ أعمالِى
قالوا هُدِمت (٦) ولم تطرُقْ تِهامةَ فى ... مُشاةِ وفدٍ ولا رُكبانِ أجمالِ
فقلتُ إنّى ضريرٌ والذين لهم ... رأىٌ رأَوا غير فرضِ حجِّ أمثالِى (٧)
ما حجَّ جَدّى ولم يَحْجُجْ أبى وأخى ... ولا ابنُ عمّى ولم يعرِفْ مِنَى خالِى
وحجَّ عنهمْ قضاءً بعد ما ارتحلُوا ... قومٌ سيقضون عنّى بعد ترحالِى
فإنْ يفوزُوا بغفرانٍ أفُزْ معهمْ ... أوْ لا فإنّى بنارٍ مثلَهم صالِ

(١) البيتان فى اللزوم (٢ : ١٢٣) . (٢) الأبيات مما لم يرو فى الديوانين .
(٣) انظر اللزوم (١ : ٢٥٢) . (٤) فى الأصل : «محشر» . (٥) تكملة ضرورية وانظر ما سبق فى ص ١١٦ . (٦) هدم ، بمعنى حطمته السنون وأبلته . ومنه الهدم بالكسر ، وهو الشيخ الكبير . وفى سائر المصادر : «هرمت» بالراء . (٧) فى الأصل : « فرض الحج أمثالى » .

ولا أرومُ نعيماً لا يكـون لهـم ... فيه نصيبٌ وهُمْ رهطِى وأشكالِى
فهـل أُسَرُّ إذا حُمَّتْ مُحَـاسبتِى ... أم يقتضى الحكمُ تعتابى وتسآلِى (١)
من لى برِضوانَ أدعُوه فيرحمـنى ... ولا أنادِى مـع الكفار أمثـالِى (٢)
باتـوا وحَتفى أمانىّ لنـا كِبَهِم ... وبتُّ لم يخطُـروا منِّى على بالِ (٣)
فالُـوا وهم كفُـيولٍ فى كُافتهـم ... ولا نجـاحَ لأفيـالٍ كـأفيال
لمّـا هتفت بنصر الله أيَّـدَنى ... كأنْ نُصِرتُ بجـبريلٍ ومِيـكالِ
وجاء إذ ذاك عزرائيل يغضَب لى (٤) ... فيقبض الرُّوح مغتاظًا بإعجـالِ
فـا ظُنونك إذْ جنـدى ملائكةٌ ... وجنـدهمْ بين طَوّاف (٥) وبَقّـالِ
تبـارَكَ اللهُ لا أرجُـو مثوبَتَـه ... لكنْ تعبُّـدَ إعظامٍ وإجـلالِ

ومنـه (٦) :

هفَتِ الحنيفةُ والنَّصارى مااهتدَتْ ... ويهـودُ حارَتْ والمجوسُ مضلَّلهْ
اثنانِ أهلُ الأرضِ ذو عَقلٍ بلا ... دينٍ وآخرُ دَيِّنٌ لا عقـلَ لَهْ

ومنـه (٧) :

كأنّ منـجِّم الأقـوامِ أعمَـى ... لديـه الصُّحف يَقْـرِيها (٨) بلمسِ
لقـد طال العنـاءُ فـلِمْ (٩) نعـانِى ... سـطورًا عادَ كاتبُهـا بطَمْـسِ

(١) كذا فى الأصل . وانظر رواية البيت فى نص القفطى ص ٥٩ .
(٢) انظر ص ١٥٣ . ورواية النكت : «أمانيهم مصورة» . ورواية سر العالمين ص ٣٩ : «أمانى لنيتهم» .
(٣) فالوا : ضعف رأيهم وأخطأت فراستهم . والفيول : جمع فيل ، للحيوان المعروف . والأفيال الأولى : جمع فيل ، بالكسر ، وهو الضعيف الرأى كالفال . والأفيال الثانية : جمع فيل ، للحيوان . والبيت جاء صدره فى الأصل على الصورة الآتية : « فالوا وهم لفيول فى كافهم » بهذا الإهمال والتحريف .
(٤) فى الأصل : « وجاءنى » .
(٥) الطواف : الخادم والمملوك . وفى الأصل : « أطواف » . وصوابه فى النكت .
(٦) انظر اللزوم (٢ : ٢٠١) .
(٧) البيتان من مقطوعة فى اللزوم (١ : ٣٦) .
(٨) يقريها : يتتبعها . ورواية اللزوم : « يقرؤها » .
(٩) رواية اللزوم : «فكم» .

أتى عِيسَى فعَطَّل دينَ مُوسَى وجاءَ محمَّدٌ بصلاةِ خَمْسِ
وقيل يجىءُ دينٌ بعدَ هذا وأودَى النَّاسُ بين غدٍ وأمسِ
ومَن لى أنْ يعودَ الدِّينُ غَضًّا فينقَعَ من تَنَسُّكَ بعد خِمْسِ (١)
ومهما كانَ من دنياك أمرٌ فما يُخليكَ مِنْ قمرٍ وشمسِ
لحَى الرَّحمنُ دارًا لا تُدارَى بِمِثْل المَيْنِ (٢) فى لُجَجٍ وقَمْسِ
قُدومُ أصاغرٍ ورحيلُ شِيبٍ وهجرةُ منزلٍ وحلول رمسِ
إذا قلت المحالَ رفعْتُ صوتى وإن قلتُ اليقينَ أطلتُ همسِى

ومنه (٤) :

قالتْ لنا خالقٌ قديمٌ صدقْتُمُ هكذا نقولُ
زعَمتموهُ بلا زمانٍ ولا مكانٍ ألَا فقُولُوا
هذا كلامٌ له خبيءٌ معناهُ ليستْ لكمْ عقولُ

ومنه (٥) :

دينٌ وكُفْرٌ (٦) وأنباءٌ تقالُ وفُر قانٌ يُنَصُّ وتوراةٌ وإنجيلُ
فى كلِّ جيلٍ أباطيلٌ يُدانُ بها فهل تفرَّدَ يوماً بالهُدَى جيلُ

ومنه (٧) :

الحمد لله قد أصبحْتُ فى لُجَجٍ مكابدًا من هُمومِ الدَّهرِ قاموسا (٨)
قالتْ معاشرُ لم يَبْعَثْ إلهُكُمُ إلى البريةِ عيسَاها ولا مُوسَى

(١) فى الأصل : «فيقنع من تمسك بالتأسى» ولا يجرى مع سياق اللزوم فى القصيدة ، وأثبتنا رواية اللزوم .
(٢) فى الأصل : « المن » . (٣) فى الأصل : « متك » صوابه فى اللزوم .
(٤) انظر اللزوم (٢ : ١٧٩) . (٥) انظر اللزوم (٢ : ١٧٧) .
(٦) فى الأصل : «دين يص» وأثبتنا رواية اللزوم . (٧) انظر اللزوم (٢ : ٢٢) .
(٨) فى الأصل : «مكابد من هموم الدهر ناموسا» تحريف .

وإنّما جَعَلُوا الرَّحمنَ ما كَلَّهْ وصيَّرُوا دِينَهُمْ للمُلك ناموسَا
ولو قدَرْتُ لعاقبتُ الذين طغَوْا حتَّى يعودَ حليفُ الغَىِّ مغموسَا (١)

ومنه (٢) :

ولا تحسبْ مَقالَ الرُّسلِ حَقًّا ولكنْ قولُ زورٍ سَطَّرُوهُ
وكانَ النَّاسُ فى عَيشٍ رَخِيٍّ فجاءوا بالمُحَال فكدَّرُوهُ

ومنه (٣) :

والرُّوحُ أرضيَّةٌ فى رأيِ طائفةٍ وعندَ قومٍ ترقَّى فى السَّمواتِ
تمضى إلى هَيئةِ الشَّخصِ الذى سَكَنَتْ فيه إلى دارِ نُعْمَى أو شَقاواتِ
وكونُها فى صفيحِ الجسمِ (٤) أحوَجَها (٥) إلى ملابسَ عنَّتْها وأقْواتِ
وإنَّما حَمَّلَ التوراةَ قارئَها كسْبُ الفوائدِ لا حُبُّ التِّلاواتِ
إنَّ الشرائعَ ألقَتْ بيننا إحَنًا وأورثَتْنَا أفانينَ العداواتِ
وهل أُبيحتْ نِساءُ الرُّومِ عن عُرُضٍ للعُرْبِ إلّا بأحْكامِ النُّبُوّاتِ

ومنه (٦) :

لعمرى لقد طالَ هذا السَّفَرْ عَلَىَّ وأصبحْتُ أحْنُو النفرْ (٧)
أأخرجُ مِن تحتِ هذى السماءِ فكيف الإباقُ وأينَ المفَرّْ
لحى اللهُ قومًا إذا جئتُهمْ بصدقِ الأحاديث قالُوا كَفَرْ

---

(١) فى الأصل : «يعموسا» . وانظر اللزوم (٢ : ٢٢) .
(٢) البيتان مما لم يرو فى الديوانين .
(٣) انظر اللزوم (١ : ١٨٥) .
(٤) فى اللزوم : «طريح» . وأراد بالصفيح طباق الجسم .
(٥) فى الأصل : «أخرجها» .
(٦) انظر اللزوم (١ : ٤٢٦) .
(٧) فى الأصل : «إحدى النكر» .

وإن غُفِرتْ موبِقاتُ الذّنوبِ فكلُّ معايِبِهِمْ[1] تُغتفَرْ
هنيئًا لجسمِى إذا ما آستقرّ وصار لِمُنصرِه[2] فى العَفَرْ

ومنه[3] :

أفيقُوا أفيقُوا يا غُواةُ فإنّما ديانَاتُكمْ مكرٌ من القدماءِ

ومنه[4] :

لا يكذِبِ النّاسُ على ربِّهِمْ ماحُرِّكَ العَرشُ ولا زُلزِلَا

ومنه[5] :

كونٌ يُرَى وفَسادٌ جاء يتبعُهُ تبارَكَ الله ما فى خَلقِهِ عبَثُ
وإنْ يؤذِّنْ بلالٌ لآبنِ آمنةٍ فبَعْدَهُ لسَجاحٍ قد دعا شَبَثُ

وله كتابٌ عارض به السّور والآيات، سماه "الفصول والغايات"، وغير ذلك.

وقال المَنازىّ الشّاعر : اجتمعت بأبى العلاء بمعرّة النعمان، فقلت له : ماهذا الذى يُحكَى عنك ؟ فقال : حسّدنى قومٌ، فكذبوا علىّ. قلت : علامَ حسدوك وقد تركتَ لهم الدّنيا والآخرة ؟ قال : والآخرة ؟ قلت : إىْ والله ! ثمّ قلت : فلم تمتنعُ من أكل الحيوان، وتلومُ من يأكله ؟ فقال : رحمةً منّى له[6]. قلت : لا بل تقول إنه من شرّه الناس؛ فلعمرى إنهم يجدون ما يأكلون، وعن اللُّحمان يتعوّضون. فما تقول فى السِّباع والجوارح التى خُلِقتْ لا غذاءَ لها غير لحوم النّاس والبهائم تعتاض به عنهما ؟ وما أنتَ بأرأفَ من الخالق بخلقه، ولا أحكم منه فى تدبيره.

---

(١) رواية اللزوم : «مصايبهم».
(٢) فى الأصل : «منصره».
(٣) انظر اللزوم (١ : ٦٣).
(٤) انظر اللزوم (٢ : ٢٠٣).
(٥) البيتان مما لم يرو فى اللزوم.
(٦) بعد هذه الكلمة فى الأصل : «وأنهم يأكلون ما تأكلون» وهى عبارة مقحمة.
(٧) فى الأصل : «شر».

وإن كانت الطبائعُ المحدِثةَ لذاك على مذهبك [فما أنت بأحذق منها ، ولا أتقنَ صنعةً ، ولا أحكم عملا](١)] حتّى تعطّلها ، ويكون رأيك وعقلك أرجح منها . فسكت .

وقال محمّد بن الصابى : أذكر عنـد ورود الخبر بموته ، وقد تذاكَرْنا أمرَه وكُفْره ، ومعنا غلامٌ يعرف بأبى غالب بن نبهان ، من أهل الخير والسلامة والعفّة والدِّيانة ، فلما كان من غدِ ذلك اليوم ، قال : رأيت البارحةَ فى منامى رجلاً شيخا ضريرًا وعلى كتفيه أفعيان قد تدلّيَا إلَى فخذيه ، وكُلٌّ منهما يرفع فمَـه إلى وجهه ، فيقطع منـه قطعةَ لحم ، فيزدرِدُها ، وهو يصيح ويستغيث . فقلت : ومن هذا ؟ وقد أفزعنى ما رأيته ، وروّعنى ما شاهدته . فقيـل لى : هـذا المعرّى الملحد ! قال : فعجبنا حيث رقَع ذلك عقيب ما تفاوَضْناه من كفره .

وقال الشيخ أبو الفرج [بن] الجوزى : مات المعرّى بمعرّة النعمان عن ستّ وثمـانين سنة ، إلّا أربعةً وعشرين يوما ، فى ربيع الأوّل . وذُكر لنـا أنّه أُنشد على قبره ثمانون مَرثيةً(٢) ، رثاه أصحابه بها ومن قرأ عليه ومال إليه ، حتّى قال بعضهم :

إن كنتَ لم تُرِقِ الدِّماءَ زَهادةً فلقد أرقْتَ اليـومَ من عينى دَمَا

وهـؤلاء بين أمرين(٣) : إمّا جهّال بمـا كان عليـه ، وإمّا قليلو الدِّين . ومن سبر خفيّات الأمور بانَتْ له ، فكيف بهذا الكفر الصّريح فى هذه الأشعار !

وقال الغـزالى(٤) : حدّثنى يوسف بن علىّ بأرض الهركار ، قال : دخلت معرّة النُّعمان ، وقد وَشَى وزيرُ محمود بن صالح صاحب حلب إليـه ، بأنّ المعرّى زنديق ،

---

(١) التكملة من القفطى . (٢) هو على بن همام تلميذه .

(٣) سبر : اختبر . وفى الأصل : «سرّ» بالتاء ، تصحيف . وانظر المنتظم .

(٤) فى كتاب سر العالمين وكشف ما فى الدارين ص ٣٨ . والنص يخالف ما هنا فى كثير من عباراته .

لا يرى إفساد الصُّوَر، و يزعم أنّ الرسالة تحصُل بصفاء العقل. فأمر محمودٌ بحملِه إليه من المعرّة إلى حلب، و بعث خمسين فارسًا ليحملوه، فأنزلهم أبو العلاء دار الضِّيافة. فدخل عليه عمُّه مسلم بن سليمان، وقال له: يابن أخى، قد نزلتْ بنا هذه الحادثة، الملك محمودٌ يطلبك، فإن منعناك عجزنا، و إن أسلمناك كان عارًا علينا عند ذوى الذِّمام، و يركبُ تنوخًا العارُ والذِّلّة! فقال له: هَوِّنْ عليك يا عمّ؛ فلا بأسَ علينا، فلى سلطانٌ يذبّ عنى. ثمّ قام فاغتسل وصلّى إلى نصف الليل، ثم قال لغلامه: انظر أين المِرّيخ؟ فقال: فى منزلة كذا وكذا. فقال: زنْه وآضرب تحتَه وتِدا، وشُدَّ فِى رجلى خيطا، وآربط به إلى الوتِد، ففعل غلامُه ذلك. فسمِعناه وهو يقول: يا قديم الأزل، يا علة العلل، يا صانع المخلوقات، ومُوجِد الموجودات، أنا فى عِزِّك الذى لا يُرَام، وكنَفِك الذى لا يُضام. الضَّيوفَ الضيوف! الوزيرَ الوزير! ثم ذكر كلماتٍ لا تُفهَم، وإذا بهَدّةٍ عظيمة، فسأل عنها، فقيل: وقعت الدّار على الضيوف الذين كانوا [بها]، فقتلت الخمسين. وعند طلوع الشمس وقعت بطاقةٌ من حلب [على] جناح طائر: لا تُزعجوا الشيخ؛ فقد وقع الحمّام على الوزير.

قال يوسف بن علىّ: فلمّا شاهدت ذلك دخلتُ على المعرّى، فقال: من أين أنت؟ قلت: من أرض الهركار. فقال: زعموا أنّى زنديق. ثم قال: آكتب. وأملَى علىّ:

باتوا وحتْفِى أمانىٌّ مصوَّرة وبتُّ لم يخطُرُوا مِنِّى على بالِ
وفوّقُوا لى سِهامًا من سهامِهِم فأصبحَتْ وُقّعًا عَنِّى بأميالِ

(١) فى الأصل: «فقال».
(٢) التكملة من الوافى بالوفيات.
(٣) انظر الحاشية ٢ ص ١٤٨. وفى الأصل هنا: «بصورة».

لقيتُهُم بعصا موسى التى منعت فرعونَ مُلْكًا ونَجّتْ آلَ إسرال
أُقيمُ خمسى وصوم الدَّهرِ آلَفُه (١) وأُدْمِنُ الذِّكرَ أبكارًا بآصالِ
عِيدَينِ أُفطِر فى عامى إذا حَضَرا عِيدُ الأضاحِىِّ يقْفُو عِيدَ شَوّالِ
إذا تنافَسَتِ الجُهّالُ فى حُلَلٍ رأيتنى مِنْ خسيس (٢) القطن سربالِى
لا آكلُ الحيوانَ الدَّهْرَ مأثُرةً أخافُ مِن سُوء أعمالِى وآمالِى
وأعبُدُ اللهَ لا أرْجُو مثُوبتَهُ لكنْ تعبُّدَ إكرامٍ وإجلالِ
أصونُ دينِى عن جُعْلٍ أُؤمِّلُه إذا تعبَّدَ أقوامٌ بأجعالِ

قال المصنف رحمه الله : [هذا حاصل ماذكرُه من سمّيناه من أرباب السير . غير أنّهم ذكروا أوصافه الدالّة على فضائله (٣) . فأقول :] ولا خلاف فى سَعة علم الرجل وغزارةِ فَضْله ، وصحّة نسبه ، وأنّه أوحد زمانه .

وله المصنّفات الحسان ، منها :

"لزوم ما لا يلزم" فى عدّة مجلّدات . و"استغفر واستغفرى" ستّ مجلدات . و"رسالة الغفران" . و"رسالة الملائكة" . و"زجر النابح" (٤) . و"نجر الزّجر" (٥) . و"سقط الزند" . و"اللامع العزيزىّ" فى شرح المتنبى . و"السجع السلطانىّ" (٦) . و"الأيك والغصون" (٧) . وغير ذلك .

---

(١) فى الأصل : « أقيم جسمى » .

(٢) فى الأصل : « خشيش » .

(٣) التكملة من عقد الجمان . وقد صرح العينى بنقله عن السبط فى مرآته .

(٤) فى الأصل : « زجر المنايح » .

(٥) فى الأصل : « بحر الزجر » ، وانظر التحقيق فى الحاشية رقم ٥ ص ٤٢ .

(٦) كذا فى الأصل . والذى فى القفطى فى شرح غريب شعر أبى الطيب .

(٧) فى الأصل : « السبح السلطانى » .

وقال التّبريزى : كان لأبى العلاء عشرةٌ من الكتّاب، يُملِى على كلّ واحدٍ فنونًا غيرَ ما يملى للآخَر، وهم يكتبون .

وله النثر البديع، فمنه :

القولُ ذهب فى الهواء، والقومُ غرِقوا فى الأهواء . وإذا حاق القضاء، ضاق الفضاء . ونعم النِّساء المُعْتزلات، وأبعد الله المتغزِّلات .

الأوّل : من الغَزْل ، والثانى : من الغَزَل .

وقال : قَبَض ما شاء وبسط، وأقسط وما قَسَط .

وقال : الِقَ مقاديرَ الله ولا تَلِق(١)، وخلِّقْ لفظَكَ ولا تختلق(٢) ، وأضِئْ بالمعروف وائتلِق(٣) ، وأطْلِقْ يمينَك فغدًا تنطلِق(٤) .

وقال : وأين النَّثْرة من النَّثْرة(٥)، والفَرقد من الفرقد(٦) .

وقال : الساعى فى أثره فارس عصى بصير(٧) ، لافارس عصا قصير(٨) .

وقال : سَعَفُ النخيل، خيرٌ من إسعاف البخيل .

وقال : وأين موضع السُّيل، من مطلع سُهيل .

وقال : إذا لقيت جارَك فحيِّه، وإنْ نزَحَ بك الزَّمنُ عن حَيِّه .

---

(١) لفظ الجلالة ليس فى الأصل . والإكمال من الفصول والغايات ٩٣ .

(٢) فى الأصل : « خلف لفظك تختلق » وتصحيحه وإكماله من الفصول .

(٣) فى الأصل : «وارض بالمعروف واقلق» . وتصحيحه من الفصول .

(٤) فى الأصل : « واطلق عينك فعد أنت طلق » وتصحيحه من الفصول .

(٥) النثرة : الدرع الواسعة . والنثرة أيضا : كوكبان بينهما قدر شبر وفيهما لطخ بياض كأنه قطعة سحاب . وفى الأصل : « من العثرة » .

(٦) الفرقد : ولد البقرة الوحشية . والفرقد أيضا : نجم فى السماء .

(٧) كذا وردت هذه العبارة فى الأصل .

(٨) العصا : اسم فرس قصير بن سعد اللخمى .

وكان يقول : «أوردنى أبى موردًا لابدَّ أن أرده، ووالله لا أوردتُه أحدًا بعدى» .

ولمّا احتُضِر قال :

هــذا جنـاهُ أبى علىَّ وما جنيتُ على أحَدْ

وقال ابن الهبّارية : بلغ أبا نصير بنَ أبى عمران داعى الدُّعاة لصاحب مصر ، حديثُه، فاستدعاهُ إلى حلب، وكان بها، فسمَّ أبو العلاء نفسَه فمات .

ولم يُوافِق ابنَ الهبّارية على هذا أحد . وقـد أجمعوا على أنّه مات على فراشه الموتَ الطبيعىّ .

ومن شعره :[1]

يا مريضًـا أحلَّ بى كلَّ داءٍ إنّ نفسِى تفـديكَ كُلَّ الفِـداءِ
جَـلَّ ما بى فليس يُرجَى شِـفائِى كيف يُشْفَى المريضُ من ألفِ داءِ

وقال[2] :

إذا ما خَبَتْ نارُ الشَّبيبـة ساءنى ولو نُصَّ لى بين النُّـجومِ خِبـاءُ

وقال[3] :

يأتى على النّاسِ إصـباحٌ وإمساءُ وكُلّهُـمْ[4] لصُروفِ الدَّهرِ نسّـاءُ
وكم مضَى مِن قبيـلٍ أو مُمـاثِلِه[5] من المَقاوِل سَرُّوا النّاسَ أمْ ساءُوا
تَنوى[6] المـلوكُ ومِصرٌ فى تغـيُّرهم مِصرٌ على العهد والأحساءُ أحْساءُ
خَسِسْتِ يا أمَّنا الدّنيا فأُفَّ لنـا بَنِى الخَسيسـةِ أو باشُ أخسّـاءُ

(١) البيتان مما لم يرو فى الديوانين .

(٢) من مقطوعة فى اللزوم (١ : ٤٣) .

(٣) وردت هذه الكلمة فى الأصل بعد البيت التالى، ومكانها هنا . والأبيات فى اللزوم (١ : ٤٨) .

(٤) فى اللزوم : «وكلنا» .

(٥) فى الأصل : «تمائله» صوابه ما أثبتنا . ورواية اللزوم : «وكم مضى هجرى أو مشا كله» .

(٦) تنوى، من النوى، بالنون المثناة الفوقية . وهو الهلاك .

وقد نَطقْتِ بأصنافِ العِظاتِ لنا ... وأنتِ فيما يظنُّ القومُ خرساءُ
يموجُ بَحْرُكِ والأهواءُ غالبةٌ ... لراكِبيهِ فهلْ للسُّفْنِ إرساءُ
إذا تعطّفْتِ يوماً كنتِ قاسيةً ... وإن نظَرتِ بعينٍ فهى شَوساءُ
نالُوا قليلًا من اللّذّات وآرتحلُوا ... برَغْمهم فإذا النَّعماءُ بأساءُ

وقال :(١)

البابليّةُ باب كلِّ بليةٍ ... فتوقَّيَنّ هُجومَ ذاكَ البابِ
جَرّتْ مُلاحاةَ الصَّديقِ وهجرَهُ ... وأذَى النَّديم وفُرقةَ الأحبابِ

قال المصنّف رحمه الله تعالى : ومن هاهنا أخذ جدّى رحمه الله تعالى، فقال فى المدهش : محبّة الدُّنيا(٢) محنة، عيونها بابليّة، كم فتحت باب بَلِية، ولا حيلة كحيلة، من عينٍ كحيلة .

وقال :(٣)

تجيءُ يهودُ بتوراتِها ... وفيها مَواعيدُ عُرقوبِها
وإسحاقُها جرَّ إسحاقَها ... وقائبةُ الطيرِ من قُوبِها(٤)
ورقُّوا(٥) لأملاكهم عَنوةً ... وقالوا أحاديثَ رَقُّوا بِها

إسحاقها الأول : النبي عليه الصلاة والسلام، والثانى : إبعادها(٦) .

وقال(٧) :

سَلَكَ النَّجدَ فى قِطارِ المنَايا ... قَطَرِىٌّ ونَجدةٌ وشَبِيبُ
شَبَّ فكرُ الحصيفِ ناراً فما يحـ ... ـسُنُ يوماً بعاقلٍ تشبِيبُ

---

(١) فى اللزوم (١ : ١٤٤) . (٢) فى الأصل : «محنة» صوابه من المدهش ١٥٢ .
(٣) الأبيات مما لم يرو فى الديوانين . (٤) القائبة : الفرخ . والقوب : البيض . وفى المثل : « تخلصت قائبة من قوب » . وفى الأصل : « فاسه الطر من قوبها » ووجهه ما أثبتنا .
(٥) فى الأصل : « وربوا » تحريف . (٦) فى الأصل : « إبعدادها » محرف .
(٧) البيتان من مقطوعة فى اللزوم (١ : ٩٨) .

وقال[1] :

زاره حتفُــه فقطّـب للــو ... تِ وألغَى مِن بعدِها التَّقطِيبَـا
زوّدُوه طِيبًـا ليلحــق بالنَّـا ... سِ وحَسْبُ الدفين بالتُّرب طِيباَ
باتَ فى قــبره ووُسِّــد يُمنـا ... هُ فخلنـاهُ قـامَ فينـا خطيبَـا
للمنـايا[2] حَــواطبٌ لا تبـالى ... أهشيما جــرَّت لهـا أم رطيبَـا
صَرفتْ كأسها فـلم تَسْـقِ شَربا[3] ... مَرّةً خالصًـا وأُخــرى قَطِيبَـا

وقال[4] :

أسْــطُرٌ لابَ حــولَهُنَّ جهــولٌ ... فهــو يَرْجو هَــذْياً بأسـطُرْلابِ
والــبرايا تَقْــظُ الزمانِ ولا بــدَّ له من تغــيُّرٍ وانقِــلابِ

وقال[5] :

الحمــدُ لله قَــدْ أصبحتُ فى دَعَةٍ ... أرضَى القليــلَ ولا أهتمُّ بالقُوتِ
وشاهــدُ خالــق أنّ الصّــلاةَ له ... أجــلُّ عنــدِى من دُرٍّ و ياقوتِ
ولا أُعاشِرُ أهــلَ العصرِ إنّهــمُ ... إنْ عُوشِرُوا بين محبوبٍ ومقوتِ
يسيرُ بى و بغيرى الوقتُ مبتــدرًا[6] ... إلى محــلٍّ من الآجال موقــوتِ

وقال[7] :

الكونُ[8] فى جُمــلةِ العَــوالِمِ ... لا الكَون فى جمــلة العُفــاةِ
قــد خَفَتَ القــومُ وآســتراحَوا ... آهِ من الصَّمْت والُخفــاتِ
أرى آنكفــاتِى إلى المنــايا ... أغــنَى عن الأســرة الكُفاةِ

---

(١) فى اللزوم (١ : ١١٤) .
(٢) فى الأصل : « المنايا » ووجهه ما أثبتنا من اللزوم .
(٣) فى الأصل : « لم تبق » .
(٤) فى اللزوم (١ : ١٧٤) .
(٥) فى اللزوم (١ : ١٨٤) .
(٦) فى الأصل : « و بغير » صوابه فى اللزوم .
(٧) فى اللزوم (١ : ١٨٦) .
(٨) فى الأصل : « الصون » صوابه من اللزوم .

ومِن صِفات النِّساء قِدْماً أنْ لسنَ فى الوُدِّ مُنْصفاتِ
وما بَيِنُ الوفاءُ إلّا فى زمنِ الفَقْدِ والوفاةِ

وقال[1] :

خَلَصتُ من سَبَراتٍ فى السَّبارِيتِ ورُبَّ يومٍ كريتٍ دون تَكريتِ
كم بالسَّماوةِ من صِلٍّ ومن أسَدٍ كِلاهما خُصَّ فى شِدْقٍ بتهريتِ
ما زُرتُ دارَكِ حتّى شفّنى لغَبٍ وخارت النَّفسُ[2] فى آثار خِرِّيتِ
والخيرُ فى الأرض كالأُتْرُجِّ مَنبِتُه شاكٍ وأُلزِمَ تدخينا بِكِبريتِ

وقال[3] :

ثيابِىَ أكفانى، ورَمْسِىَ منزِلى وعيشى حِمامِى والمنيّةُ لى بَعثُ
تحلَّ بأسنى الحَلْىِ وآجتلِبِ الغِنى فأفضلُ من أمثالِكِ النَّفرُ الشُّعْثُ
يَسيرون بالأقدامِ فى سُبُلِ الهُدى إلى اللهِ حَزْنٌ[4] ما توطّأنَ أو وَعْثُ

وقال[5] :

تَجمّعَ أهلُه زُمَراً إليه وصاحتْ عِرسُه أودَى فصاحُوا
تُخاطِبُنا بأفواهِ المنايا من الأيّامِ ألسنةٌ فِصاحُ

وقال يرثى أبا حمزة الفقيه الحنفىّ[6] :

غيرُ مجْدٍ فى مِلّتى وآعتِقادِى نَوحُ باكٍ ولا تَرنُّمُ شادِ
وشبيهُ صَوتُ النَّعِىّ إذا قِيـ ـسَ بصَوتِ البَشيرِ فى كُلّ نادِ
أبكتْ تِلكُمُ الحمامةُ أم غنّـ ـت على فرعِ غُصْنِها المِيّادِ

(١) فى اللزوم (١ : ١٨٣) .
(٢) رواية اللزوم : « العيس » وهى أوفق .
(٣) فى اللزوم (١ : ١٩٨) .
(٤) فى الأصل : « توطأت » ووجهه ما أثبتنا من اللزوم .
(٥) فى اللزوم (١ : ٢٢٧) .
(٦) فى سقط الزند (١ : ٢٠٨) .

صاح هـذى قبـورُنا تملأ الأرْ ... ض فأينَ القبـورُ مِن عَهدِ عادِ
خفِّف الوطءَ ما أظنُّ أديم الـ ... ـأرْض إلّا من هـذه الأجساد
سرْ إن اسطَعْتَ فى الهواءِ رُويدًا ... لا اختيـالًا على رُفاتِ[1] العِبـادِ
فقبيحٌ بنـاءُ إنْ بعُـدَ العَهْـ ... ـدُ تنـاسِى الآباءِ والأجْـدادِ
رُبَّ لحـدٍ قد صارَ لحدًا مِرارًا ... ضاحكًا من تزاحُمِ الأضدادِ
ودَفينٍ عـلى بقـايا دَفين ... مِنْ قـديم الأزمانِ والآبادِ
فسَـلِ الفَـرقَدينِ عمَّا أحسّـا ... مِن قبيـلٍ وآنسَـا مِن بِلادِ
كم أقامَا عـلى بيـاضِ نهـارٍ[2] ... وأنارَا لمُـدلجٍ فى سَـوادِ
تعبٌ كلُّها الحيـاةُ فمـا أعـ ... ـجَبُ إلّا من راغبٍ فى ازديادِ
إنّ حُزنًا فى ساعةِ الموتِ أضعا ... فُ سرورٍ فى ساعة الميـلادِ[3]
خُـلِقَ النّـاسُ للبقـاءِ فضَلّتْ ... أمّـةٌ يحسَـبونَهمْ للنَّفَـادِ
إنّمـا يُنقَلون من دارِ أعمـا ... لٍ إلى دارِ شِـقوةٍ أو رَشـادِ
ضَجْعةُ المـوتِ رقدةٌ يستريح الـ ... ـجسمُ فيهـا والعيشُ مثلُ السُّهادِ
أبنـاتِ الهَـديلِ أسعِدْن أو عِدْ ... نَ قليـلَ العـزاءِ بالإسـعادِ
إيـهِ[4] لله درُّكنّ فأنتُنّ اللـواتِى يُحسِنّ حِفـظَ الوِدادِ
ما نَسِيتُنّ هالكًا فى الأوانِ الـ ... ـخالِ أودَى مِن قبـلِ هُلْكِ إيادِ
بيـدَ أنّى لا أرتضِى ما فعلْتُنّ وأطـوِاُفكنّ فى الأجيـادِ
فتسلَّبْنَ واستعِرْنَ جميعًـا ... مِن قميصِ الدّجى ثيـابَ حِدادِ

(١) فى الأصل : « رقاب » .
(٢) فى الأصل : « البياض نهارا » تحريف . وفى سقط الزند (١ : ٢١٠) : «زوال نهار » .
(٣) فى الأصل : « لأضعاف » ولا يستقيم به الوزن .
(٤) فى الأصل : « إن لله » .

ثمّ غرّدْنَ فى المآتم وآندُبْـ ـنَ بشَجوٍ مع الغَوانِى الخِرادِ
قَصَد الدَّهرُ من [أبى] حمزةَ الأ و ابِ مَولَى حِجًا ومولَى آقتصادِ
وفقيهًا أفكارُه شِدْنَ للنَّعـ ـمانِ ما لم يَشِدْهُ شِعرُ زيادِ (١)
راويًا للحديثِ لم يُحوج الرا وِىَ من صِدْقِه إلى الإسنادِ
أنفَقَ العمرَ دائبًا يطلب العِلـ ـمَ بكشفٍ عن أصلِه وآنتقادِ
فآغيلاهُ بالدَّمع إن كان طُهرًا وآدفناه بين الحَشَى والفؤادِ
وآتلُوا النَّعشَ بالقِراءةِ والتسـ ـبيح لا بالنَّحيب والتَّعدادِ
ربّما أخرج الحزينَ جَوى الثُّكْـ ـلِ إلى غَيرِ لائقٍ بالسَّدادِ
مثلَ ما فاتتِ الصَّلاةُ سُليما نَ فأنحى على رقاب الجيادِ (٢)
وهو من سُخِّرتْ له الإنسُ والجنُّ بما صحَّ من شهادةِ صادِ
كيف أصبحتَ فى محلّك بعدى يا جديرًا منّى بحسنِ آفتقادِ
قد أقرّ الطبيبُ منه بعجزٍ فتقضّى تردُّدُ العُوّادِ
والذى حارت البريةِ فيه حيوانٌ مستخرج من جمادِ (٣)
واللبيب الأريب من ليس يغتـ ـرُّ بكونٍ مصيرهُ لِفسادِ

وقال (٤) :

سِرتُ ثمانينَ طالبًا أَجَلِى والحَينُ إثرى كأنّه حادِ
ما أنا بالمُلحِدِ (٥) الكَفورِ ولا أسأل مولاىَ غير إلحادِى
ناديتُ أين الذين كان بهِمْ يشرُف هذا الفِناءُ والنَّادِى

(١) فى الأصل : « لم يخرج الرازى » مع إسقاط : « إلى » بعده . وهو محرف . ورواية السقط : « لم يحوج المعروف » .
(٢) فى الأصل : « فاحنى » صوابه فى السقط .
(٣) رواية السقط : « مستحدث » .
(٤) الأبيات مما لم يرو فى الديوانين .
(٥) فى الأصل : « بالمجد » صوابه ما أثبتنا .

مَزادَتى الآن لا بِلالَ بها ومِزْوَدى مُنْفِضٌ من الزّاد[1]
والسَّفَرُ الدائم المواصَلُ يحـ ـتاجُ إلى عُدّةٍ وعَتّادِ[2]

وقال[3] :

ألا إنّ أخلاقَ الفتى كزمانِهِ فمنهنّ بِيضٌ فى العيونِ وسُودُ
وتا كُلنا أيّامُنا فكأنّما تمرّ بنا السّاعاتُ، وهى أُسودُ
وقد يخمُل الإنسانُ فى عُنفُوانِه ويَنْبُه من بعد النُّهَى ويسودُ
فلا تحسُدَنْ قومًا على فضلِ نعمةٍ فحسبُكَ عاراً أن يُقال حَسودُ

[وقال][4] :

عرفتُ سَجايا الدَّهرِ أمّا شُرورُه فنَقْدٌ وأما خيرُه فوعودُ
إذا كانتِ الدُّنيا كذاكَ فخلِّها ولو أنّ كلَّ الطالعاتِ سُعودُ
رقَدْنا ولم تَملِكْ رُقادًا عن الأذى وقامت بما[5] خِفنا ونحن قعودُ
وكم أنذرَتْنَا بالسُّيولِ صواعِقٌ وكم خَبَّرتنا بالغمامِ رُعودُ

وقال[6] :

حياتِىَ بعد الأربعين مَنِيّةٌ ووجدانُها فى الأربعين[7] فُقودُ
فمالِي وقد أدركتُ خمسةَ أعْقُدٍ أبينى وبين الحادثات عُقودُ
كأنّا من الأيّامِ فوقَ ركائبٍ إذا قِيدَتِ الأنضاءُ[8] فهى تقودُ

---

(١) فى الأصل : « مزودى منقص » تحريف .
(٢) فى الأصل : « واعداد » . (٣) فى اللزوم (١ : ٢٤٣) .
(٤) تكملة ضرورية . والأبيات التالية من مقطوعة فى اللزوم (١ : ٢٤٤) .
(٥) فى الأصل : « وما » . (٦) فى اللزوم (١ : ٢٤٥) .
(٧) رواية اللزوم : « ووجدان حلف الأربعين » .
(٨) الأنضاء : جمع نضو . وفى الأصل : « الأنصاب » صوابه فى اللزوم .

وقال[1] :

ألا إنّما الدُّنيا نحوسٌ لأهلها فما فى زمانٍ أنتَ فيه سُعودُ
ويُوصِى الفَتَى عِند الحِمامِ كأنّه يمُرُّ فيقضِى حاجةً ويعودُ
وما يئِستْ من رَجْعَةٍ نفسُ ظاعنٍ مضَت ولها عِند القضاء وُعودُ
تسير بنا الأيّامُ وهى حثيثةٌ ونحن قيامٌ فوقَها وقعودُ

وقال[2] :

جاءتْ أحاديثُ إن صحّتْ فإنّ لها شأنا[3] ولكنَّ فيها ضعفَ إسنادِ
فشاوِرِ العقلَ واترُكْ غيرَه هَدَرًا فالعقلُ خيرُ مشيرٍ ضمّهُ النّادِى

وقال[4] :

وعظْتُ قومًا فلم يُرعُوا لموعِظَتى مثلَ امرئِ القيسِ ناجَى طائرَ الوادِى
والعفوَ آمُلُ من ربّى إذا حُضِرَتْ نفسى وفارقْتُ عُوّادِى لأعوادِى[5]

وقال[6] :

تلفَّع بالعَبَا إخوانُ صِدقٍ[7] وأوسِعَ غيرُهم سَرَقًا ولاذَا
فلا تَعجَبْ لأحكامِ الليالى[8] فإنّ صروفَها بُنِيتْ على ذَا

---

(١) فى اللزوم (١ : ٢٤٥) .
(٢) فى اللزوم (١ : ٢٨٨) .
(٣) فى الأصل : « شنا » صوابه ما أثبتنا .
(٤) فى اللزوم (١ : ٢٨٨) .
(٥) الأعواد : خشب النعش . وفى الأصل : « لأهوادى » تحريف .
(٦) فى اللزوم (١ : ٣٠٣) .
(٧) رواية اللزوم : « بالعباء رجال صدق » .
(٨) فى الأصل : « لأيام الليالى » صوابه فى اللزوم .

وقال[1] :

ما مُقامى إلّا مُقامة[2] عانٍ ... كيف أسْرى وفى يدالدّهرِ أسْرى
إنّ جَسْرًا على المنيّةِ جَزْمٌ ... والبرايا من فوقه فوق جسْرِ[3]
تَبِعتْ تُبَّعًا وفى القصرِ غالتْ ... قيصرًا وآنتحت لِكَسْرَى بِكَسْرِ
وطَوَتْ طيّئا وآدَتْ إيادًا ... وأصابت مُلوكَ قَيْرٍ بِقَسْرِ
ولقابوسَ كان قبسٌ وفَنّا ... خُسْرُ أردَتْهُ من فناءٍ وخُسْرِ
سوف ألقَى من الزّمان كما لاَ ... قَوْا بعُنْفٍ لا يستقال ودَسْرِ
ولو آنّى السُّها أو النّسرُ قد شا ... هدتُ عصرين مِن يَغُوثَ ونَسْرِ

وقال فى بنى شَيبة[4] :

وفى بطحاءِ مَكّةَ شرُّ قومٍ ... وليسُوا بالحُماةِ ولا الغُيارَى[5]
وإنّ رجالَ شَيبةَ سادنيها ... إذا راحَتْ لكعبتها الجُمارَى
قيامٌ يدفعون[6] النّاس شَفْعًا ... إلى البيتِ الحرامِ وهُم سُكارَى
إذا أخذوا الزاوئف أوْ لحوهُمْ ... وإن كانُوا اليهودَ أو النّصارَى
لعلّ قِرانَ هذا النّجمِ يهدِى ... إلى طُرُق الهُدَى أُمَمًا حَيَارَى
فقد أودى بهم نَصَبٌ وظِمْءٌ ... وأينُقُهُمْ بمَهلكة حَسارَى[7]

---

(١) فى اللزوم (١ : ٤١٧). (٢) المقامة، بالضم : الإقامة وفى اللزوم : «إلا إقامة».

(٣) البيت برواية أخرى فى اللزوم.

(٤) الأبيات فى اللزوم (١ : ٧٠) وقد التزم فيها الراء قبل الألف. وقال أبو العلاء : «هذا الفصل يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون على ما رتبت — يعنى روى الألف — والآخر أن يكون الروى ما قبل الألف وتكون الألف وصلا». وعلى الوجه الثانى لا يكون الالتزام.

(٥) فى الأصل : «الغوارى».

(٦) فى الأصل : «يرفعون» بالراء، صوابه ما أثبتنا.

(٧) فى الأصل : «نقارا» وما أثبتناه من اللزوم.

ومنه[1] :

أنتُمْ دَولةٌ قَهَرَتْ وعَزَّتْ ... فباتوا فى ظِلالتها[2] أُسارَى
وظنُّوا الطُّهرَ[3] متّصلاً بقوم ... وأحلِفُ أنَّهم غَيرُ الطَّهارَى
لهم كَلِمٌ[4] تخالف ما أجَنُّوا ... صدورُهُم بِصحّتِهِ تُمَارَى

وقال[5] :

أرَى الشَّهدَ يرجِعُ مِثلَ الصَّبِرْ ... فما لابنِ آدمَ لا يَعتَبِرْ
وخَبَّرَهُ صادقٌ فى الحديثِ ... فإنْ شَكَّ فى ذاك فليَختَبِرْ
وجَبْرٌ وكَسْرٌ له فى الزمانِ ... ويُكسَرُ يوماً فلا ينجَبِرْ
ولكنّنِى أستَخيرُ المليكَ ... وإن نابنِى حادثٌ أصطَبِرْ[6]
ودنياىَ ألقَ بُطولُ الهَوانِ ... فهلْ هِى إلّا بكسرٍ عُبِرْ

وقال[7] :

يا ظالمًا عَقَدَ الدينِ مُصَلِّيًا ... من دونِ ظُلمِكَ يُعقَدُ الزُّنّارُ
أتظنُّ أنّك للحاسِنِ كاسبٌ ... هيهاتَ ! هذا العارُ ثمّ النارُ

وقال[9] :

نادت على الدِّينِ فى الآفاقِ طائفةٌ ... يا قومِ من يشترى دِيناً بدينارِ
جَنَوْا كبائرَ آثامٍ وقد زَعَمُوا ... أنَّ الصغائرَ تُجْنِى الخُلْدَ فى النَّارِ

---

(١) أى من شعره فى المقطوعة السابقة .

(٢) الظلالة : بمعنى الظل . و رواية اللزوم : « ضلالتها » بالضاد .

(٣) فى الأصل : « بصوم » والصواب من اللزوم .

(٤) أجنوا : أخفوا وأبطنوا . وفى الأصل : « أحبوا » .

(٥) فى اللزوم (١ : ٤٣٠) .

(٦) انظر رواية اللزوم .

(٧) فى اللزوم (١ : ٣٤١) .

(٨) فى اللزوم : « وخبي أمرك شرة وشنار » .

(٩) فى اللزوم (١ : ٣٨٥) .

وقال[1] :

تمـرُّ حوادثٌ ويطـولُ دهرٌ ... وَيفتقِـرُ المجـيزُ إلى المُجـازِ[2]

وليس عـلى الحقائقِ كلُّ قـولٍ[3] ... ولكن فيـه أصـنافُ المجـاز

وقال[4] :

تُشاد المغـانِى والقبـورُ دوارسُ ... ولا يمنـعُ المطروقَ بابٌ وحارسُ

يقـولون إنّ الدِّينَ يُنسَـخُ مثلما ... تولَّتْ بإقبـال الحنيفـةِ فارسُ

ومهـما يكنْ[5] فاللهُ ليس بزائـلٍ ... ويحيِى الفَتَى من بعدُ ما هو غارسُ

وقال[6] :

جزَى الله عَنِّى مُؤنِسِى بصُـدودِه ... جميلًا ففى الإيحاشِ ما هو إيناسُ

يخافون شـيطانًا من الجنِّ ماردًا ... وعندِىَ شيطانٌ من الإنس خنّاسُ[7]

وقال[8] :

المَشِيـداتُ الـتى رُفِعتْ ... أربُـعٌ من أهلهـا دُرُسُ

قـامَ للأيّـام فى أُذُنِى ... واعظٌ من شأنِه النَّحـرَسُ

كم ابنِ الغـابِ[9] من أسـدٍ ... أىُّ ليـثٍ ليس يفـترسُ

---

(١) فى اللزوم (١ : ٤٣٥) . (٢) فى الأصل : « المجازى » .

(٣) رواية اللزوم : « قولى » بالاضافة . وقد كتب على هامش الأصل أمام هذين البيتين : « هذين البيتين لزنجفرى لا لأبى العلا » . (٤) فى اللزوم (٢ : ٧) .

(٥) فى الأصل : « وما لم يكن » صوابه فى اللزوم .

(٦) من مقطوعة فى اللزوم (٢ : ٥) . (٧) رواية البيت فى اللزوم :

تخافـين شيطانا من الجنّ ماردا ... وعندكِ شيطان من الإنس خناس

(٨) فى اللزوم (٢ : ١٠) .

(٩) أبن بالمكان أقام . وفى الأصل : « أبز » تصحيحه من اللزوم .

مهجتى ضدٌّ يحاربنى أنا منّى كيف أحترس
إنما دنياكَ غانيةٌ لم يهنّئ زوجها العُرُس
فألقها بالزهدِ مُدّرِعا فى يديكَ السيفُ والتُرُس
إنّ مَنْ خانتْ منيّتُهُ لم يُدافِعْ دونه حَرَس
ليس يبقَى فَرْعُ نابتةٍ أصلُها فى الموتِ مُنغرِسُ

وقال(١) :

قد يُخطئُ الموتَ سارٍ فى تنوفتِهِ(٢) ويَهْلِكُ المرءُ فى قصرٍ له حَرَسُ
ظنَّ الحياةَ عَروسًا خَلْقُها حَسَنٌ وإنما هى غُولٌ خُلْقُها شَرِسُ
ونحنُ فى غيرِ شىءٍ والبقاءُ جرى مَجْرَى الرَّدَى ونظيرُ المأتمِ العُرُسُ

وقال(٣) :

هل يَغسِلُ النّاسَ عن وجه الثرى مطرٌ فما بَقُوا لم يُفارِقْ وجهَها الدَّنَسُ(٤)
تناسَلُوا فنَما شرٌّ بنسلِهِمُ وكمْ بُقُورٍ إذا شُبّانُهُمْ عَنَسُوا

وقال(٥) :

تعالى الله أينَ مُلوكُ لَخْمٍ لقد نَعَمُوا فما لهمُ حَسِيسُ
تُحَدِّثُ هذه الأيّامُ جَهرًا وتحسب أنّ ما نطقَتْ هَمِيسُ
وزَوْجُكِ أيّها الدُّنيا تمنّى طلاقَكِ قبلَ أن يقَعَ المسِيسُ

---

(١) من مقطوعة فى اللزوم (٢ : ١٣ — ١٤) .
(٢) فى الأصل : « تنوفة » صوابه فى اللزوم .
(٣) من مقطوعة فى اللزوم (٢ : ١٣) .
(٤) وجهها : أى وجه الأرض المقذرة . ورواية اللزوم : « وجهه » أى وجه الثرى .
(٥) فى اللزوم (٢ : ١٨) .

وقال[1] :

يا ربِّ أخرِجْنِي إلى دارِ الرِّضَا ... عَجِلاً فهذا عالَمٌ منكوسُ
ظلُّوا كدائرةٍ تحوَّلَ بعضُها ... مِن بعضها فجميعُها معكوسُ
وأرى مُلوكًا لا تَحوطُ رَعِيَّةً ... فعلامَ تُؤخَذُ جزيةٌ ومُكوسُ

وقال[2] :

خِصاؤكَ خيرٌ من زواجِكَ حُرَّةً ... فكيفَ إذا أصبحْتَ زوجًا لمُومِسِ
وإنّ كِتابَ المَهْرِ فيما ٱلتمَسْتَه ... نظيرُ كتابِ الشّاعرِ المتلمِّسِ
ولُبسكَ ثوبَ السُّقمِ أحسنُ منظرًا ... وأبهجُ من ثوبِ الغوِيِّ[3] المنمِّسِ

وقال[4] :

إذا قَصَّ آثارِى الغواةُ ليحتَذُوا ... عليها فودِّى أنّ أكونَ قَصيصَا
وكم مَلِكٍ فى الأرض لاقَى خَصاصةً ... وكان بإكرام العُفَاة خصيصَا

وقال[5] :

أرى جوهرًا حلَّ فيه عَرَضْ ... تبارَكَ خالقُنا ما الغَرَضْ
نُداوِى العليلَ لكيما يصحَّ ... وهل صحّةُ الجسمِ إلا مَرَضْ
فلا تتركَنْ وَرَعًا فى الحياةِ ... وأدِّ إلى ربِّك المفترَضْ
فكم مَلِكٍ شيَّدَ المكرُماتِ ... ونال بها الصِّيت ثُمَّ ٱنقرَضْ

وقال[6] :

ظمِئتُ إلى ماء الشَّبابِ ولم يَزَلْ ... يَغُور على طُول المَدَى ويَغِيضُ
تراه[7] مع الأصحاب حِبًّا مُكرَّمًا ... فإن زال عنه الماءُ فهو بغيضُ

---

(١) فى اللزوم (٢ : ٢١) . (٢) فى اللزوم (٢ : ٢٧) .
(٣) فى الأصل : « العدى » وأثبتنا رواية اللزوم .
(٤) فى اللزوم (٢ : ٥٦) . (٥) فى اللزوم (٢ : ٦٣) .
(٦) فى اللزوم (٢ : ٥٩) . (٧) فى الأصل : « يراه » وصوابه فى اللزوم مع خلاف فى الرواية .

وقال[1] :

أمّا اليقينُ فإنّنا سَكَنُ البِلَى ... ولنا هناكَ جماعةٌ فُرّاطُ
ولكلِّ دهرٍ حِلْيةٌ من أهلِهِ ... ما فيهمُ حيفٌ[2] ولا إفراطُ
كم لاحَتِ الأشراطُ فى جُنْحِ الدُّجَى ... فمتى تَبِينُ لبَعْثِنا أشراطُ
وكأنَّ هذا الخلقَ أهلُ قِيامةٍ ... ولهُمْ من الموتِ الزُّؤام سِراطُ
لو لم تكن مثلَ الجماعة زائفًا[3] ... لم يُشْجِكَ الدِّينارُ والقِيراطُ

وقال[4] :

يَسبِكُ الصّانعُ[5] الزُّجاجَ ولا يَسْـ ... ـطِيعُ سَبْكًا للدُّرِّ أنْ يتشظَّى
لِيَخَفْ صاحبُ الدِّيانةِ والصَّوْ ... نِ مقالاً من جاهلٍ يتحظَّى
كيفَ لى أنْ أكونَ فى رأسِ شمّا ... ءَ وأرْعَى آسًا وبُطْمًا ومَظَّا

وقال[6] :

مَن رامَ أن يُلزِمَ الأشياءَ واجبَها ... فإنّهُ بحياةٍ [ليسَ] يلتفِعُ
أُرضِى آنتباهى بما لم يَرْضَهُ حُلُمِى ... قِدْمًا وأدفعُ أوقاتى فتندفِعُ
وخَفَّ بالجهلِ أقوامٌ فبلَّغهمْ ... منازلاً بسَناءِ العزِّ تلتفِعُ
أمَا رأيتَ جِبالَ الأرضِ لازمةً ... قَرارَها وغُبارُ الأرضِ يرتفِعُ

---

(١) فى اللزوم (٢ : ٦٧) . (٢) رواية اللزوم : « جنف » .

(٣) فى الأصل : « واها » بالإهمال ، صوابه فى اللزوم .

(٤) فى اللزوم (٢ : ٧٥) . وقد التزم فيها الظاء المدغم فى ظاء الروى .

(٥) فى الأصل : « الضايع » .

(٦) فى اللزوم (٢ : ٨٠) .

(٧) فى الأصل : « لحياة » تحريف . وفى اللزوم : « بيقاء » والكلمة التى بعدها ساقطة من الأصل ، وإثباتها من اللزوم .

وقال[1] :

إذا خَطب الحسناء كهلٌ وناشئٌ ... فإنّ الصِّبَا فيها شفيعٌ مُشَفَّعُ
ولا يُزهِدَنْها عُدْمُه إنّ مُـدَّه ... لأبْرَكُ مِنْ صاعِ الكبيرِ وأنفعُ

وقال[2] :

أخو سَفَرٍ قصدُه لحدُه ... تمادَى به السَّيرُ حتى بَلَغْ
ودُنياك مثلُ الإناءِ الخبيثِ ... وصاحِبُها مثلُ كلبٍ ولَغْ

وقال[3] :

الفكر حبلٌ متى تُمسِكْ على طَرَفٍ ... منهُ يُنَطْ بالثُّرَيَّا ذلك الطرَفُ
والعقلُ كالبحرِ ماغِيضَتْ غَرارِبُهُ ... شيئًا ومنه بنُو الأيامِ تَغترِفُ
أبْنِي بجهلِي دارًا لستُ أسكُنُها ... أُقيمُ فيها قليلًا ثمّ أنصرِفُ
أأُنكِرُ اللهَ ذنْبًا خَطَّهُ مَلَكٌ ... وبالذى خطّهُ الإنسان أعترِفُ
سَرِفتُ واللهَ أرجُو أن يُسامِحَنا ... وفى القديم خَلَا من أهْلِهِ سَرِفُ[4]
تروم رِزْقًا بأنْ سَمَوْكَ متكلًا ... وأدْيُنُ النّاسِ من يَسْعَى ويَحترِفُ
إذا آفتكرْنَا عَلِمْنا أنّ ذا ضَعَةٍ ... أعْلَى النُّجومِ[5] ولله آنتهَى الشَّرَفُ

وقال[6] :

لا تَشْرَفَنَّ[7] بدُنْيا عنكَ مُعرضةٍ ... فما التَّشرُّفُ بالدُّنيا هو الشَّرَفُ
وآصرِفْ فؤادَكَ عنها مثلَما آنصرَفَتْ ... فكُلُّنا عن مَغانيها سَنَنْصرِفُ

---

(١) فى اللزوم (٢ : ٧٦) . (٢) فى اللزوم (٢ : ٩٦) . (٣) فى اللزوم (٢ : ٩٨)

(٤) فى الأصل : « أهلها » صوابه فى اللزوم . وهو إشارة إلى بيت قيس بن ذريح :

عفا سرف من أهله فسراوع ... بخنبا أريك فالتلال الدوافع

انظر الأمالى (٢ : ٣١٤) . (٥) فى الأصل : «على النجوم» ووجهه ما أثبتنا من اللزوم .

(٦) الأول والثانى من هذه المقطوعة مما لم يرو فى الديوانين . والأخيران فى اللزوم (٢ : ٩٧) .

(٧) رواية ياقوت : « فلا تشرف » .

يا أُمَّ دَفْـرٍ لحَـاكِ اللهُ والدةً فيك العَنَـاءُ وفيك الهمُّ والسَّرَفُ
لو أنّك العِرسُ أوقعْتُ الطَّلاقَ بها لكنّك الأمُّ مالى عَنْـكِ مُنصَرَفُ

وقال[1] :

رددتُ إلى مليـكِ الخَلْقِ أمْرِى فـلَمْ أسأَلْ[2] متى يَقَـعُ الكُسُوفُ
وكم سَـلِمَ [الجهول][3] من المنـايا وعُوجِـلَ بالحِمـامِ الفيلسـوفُ

وقال[4] :

فـؤادُكَ خَفّـاقٌ و برقُكَ خافقُ وأعياكَ فى الدُّنيـا خليلٌ موافِقُ
أردْتَ رفيقًا أن ينالَكَ رِفقُهُ فدَعْهُ إذا لم يأتِ منـه المَرَافِقُ

وقال[5] :

مَنْ مُبْلِـغٌ عنى المَآلِكَ[6] مَعْشَرًا عَلِيًّـا ومحمـودًا وخانًا وآلِكا[7]
فما أتمَـنَّى أنّنى كأقلّهـمْ ولكنْ أُضاهِى المُقْتِرِينَ الصَّعالِكا
فما فيهـمُ مِن ناهِضٍ يُدَّعَى به يُفَـرَّجُ عنى بالمَضِـيقِ المَسَالِكا
ويَنفِـرُ عقلِى مُغْضَـبًا إن تركتُهُ سُـدًى واتّبعتُ الشّافعىَّ ومالِكا

وقال[8] :

يا خالقَ البَـدْرِ وشَمسِ الضُّحَى مُعَـوَّلى فى كُلِّ أمرٍ علَيْـكْ
وكُلُّ مَلْكٍ لكَ عَبْـدٌ وما يبقَى له مُلْكٌ فيُـدعَى مُلَيْـكْ

---

(١) فى اللزوم (٢ : ١٠٢) .
(٢) فى الأصل : « أسلم » صوابه فى اللزوم .
(٣) التكملة من اللزوم .
(٤) فى اللزوم (٢ : ١١٨) .
(٥) فى اللزوم (٢ : ١٥٠) .
(٦) المآلك : جمع مألكة ، وهى الرسالة . وفى الأصل : « المماليك » محرف .
(٧) هذه الأربعة أعلام . وفى الأصل : « خانكا » وأثبتنا ما فى اللزوم .
(٨) فى اللزوم (٢ : ١٦٧) .

قــد رامَتِ النَّفسُ لهـا موئلًا فقلتُ مهـلًا ليس[1] هـذا إليْـكْ
إن الذى صاغَك يقضِى بمـا شاءَ ويُمضِى فآزجُرِى عاذِلَيْـكْ
البحــرُ فى قُــدرتِهِ نُغْبــةٌ والفَـلَكُ الأعظَـمُ فيهـا فُلَيْـكْ

وقال[2] :

ذَرِ النَّاسَ وآصحَبْ وحْشَ بيداءَ قفرةٍ[3] فإنّ رضاهُمْ غايةٌ ليسَ تُدْرَكُ
إذا ذكروا المخلوقَ عابُوا وأطنَبُوا وإنْ ذَكروا الخلّاقَ خانُوا وأشْرَكُوا
كلِفتَ [بُدنياكَ][4] التى هى خُدْعةٌ وهـل خُلَّةٌ منهـا أغرُّ وأفـرَكُ
إذا فاتك الإثراءُ[5] من غير وَجْهِـهِ فإنّ قليـل الحِـلِّ أغنَى وأبْرَكُ

وقال[6] :

تَسَمَّى رجالٌ بالمُـلوكِ سـفاهةً ولا مَلِكٌ إلا الذى[7] خلق المُلْكَا
أَرَى فَلَكًا ما دارَ إلّا لحِكمـةٍ[8] فلا تَنْسَ من أجْرَى لحاجتِك الفُلْكَا

وقال[9] :

فى الوَحدةِ الراحةُ العُظمَى فأحْيِ بها قلباً وفى الكونِ بين النّاس إثقالُ
إنّ الطّبـائعَ لمّـا أُلِّفتْ جَلَبتْ شَرًّا تَولَّدَ منـه القيـلُ والقـالُ

---

(١) فى الأصل : « أيس » ، صوابه فى اللزوم .
(٢) فى اللزوم (٢ : ١٤٣) .
(٣) فى الأصل : « تبد » موضع : « بيداء » صوابه ما أثبتنا من اللزوم .
(٤) التكملة من اللزوم .
(٥) الإثراء : الغنى . وفى الأصل : « الأثر » صوابه من اللزوم .
(٦) فى اللزوم (٢ : ١٤٨) .
(٧) فى اللزوم : « ولا ملك إلا للذى » .
(٨) فى الأصل : « ملكا » بالميم ، تحريف . وفى اللزوم : « بحكمة » بدل : « لحكمة » .
(٩) فى اللزوم (٢ : ١٧٦) .

وقال[1] :

كم تنصَحُ الدُّنيا ولا تَقْبَلُ ... وفائزٌ مَنْ جَدُّه مُقبِلُ
إنّ أذاها مِثلُ أفعالِنا ... ماضٍ وفى الحالِ ومُستَقْبلُ
أَجْلَتِ الأبحُرُ فى عصْرِنا ... هذا كما أبحَرَت الأجْبُلُ
فاترُكْ لأهلِ المُلكِ لذّاتهمْ ... فحسْبُنا الكَمأةُ والأحْبَلُ
وتَشرَبُ [الماءَ][2] براحاتنا ... إن لم يكُنْ فى بيتنا جُنْبُلُ
لا تأمنُ الأغفارُ فى النِّيق أنْ ... تُصبِح موصولًا بها الأحْبُلُ
لو نَطَق الدَّهرُ هجا أهلَه ... كأنّه الرُّومىُّ أو دعْبِلُ
وهْو لَعَمْرِى شاعرٌ مُفْلِقٌ ... بالفعلِ لكنْ لفظُه مُجْبِلُ[3]
يذبُل غُصْنُ العيشِ حَقًّا ولو ... أضحَى ومن أوراقه يَذْبُلُ[4]
فليتَ حوّاءَ عقيمًا غدَتْ ... لا تَلِدُ النَّاسَ ولا تحبَلُ
تفكّروا باللهِ وآستيقظُوا ... فإنّها داهيةٌ ضِئْبِلُ
فى حَبّةٍ تُخلَق من سُنْبُلٍ[5] ... ثُمَّتَ منها يُخلَقُ السُّنبلُ
يَكرَهُ عَوْلَ الشَّيخ أبناؤُه ... وهل يَعُولُ الأسدَ الأشبُلُ
نَنزِل فى دارٍ لنا رحبةٍ ... تُطَلُّ بالآفاتِ أو تُوبَلُ[6]
وكُلُّ مَن حلَّ بها يكره الـ ... ـثُّقْلَةَ عنها وهْىَ تُستَوبَلُ

---

(١) فى اللزوم (٢ : ١٨٥) . (٢) التكملة من اللزوم .

(٣) مجبل : صعب عليه القول . وفى الأصل : « مخبل » بالخاء المعجمة ، تحريف .

(٤) فى الأصل : « مدبل أغص » ، صوابه فى اللزوم .

(٥) « من سنبل » ساقطتان من الأصل . ورواية اللزوم : « فى سنبل يخلق من حبة » وبهذه الرواية يكون التكرار فى المعنى .

(٦) فى الأصل : « تظل بالآفاق أو نوبل » محرف .

وقال[1] :

إذا ماشئْتَ مَوعظـةً فعـرِّجْ ... بيـثربَ سائـلاً عن آل قَيْـلَهْ
وقِفْ بالحِـيرةِ البَيضاءِ وانظُـرْ ... مَنـازِلَ مُنْـذرٍ وبنى بُقَيْـلَهْ

وقال[2] :

أَسَكْنَ الثَّرَى هـل تبعثونَ رسالةً[3] ... إلينا ولستُمْ سامِعِى كَلِم الرُّسْـلِ
ولم تَسـلُ نفسى عنكمُ باختيارِها ... ولكنّ طولَ الدَّهرِ يُذْهِل أوْ يُسْلِي
وما بَرَدَتْ أعضـاءُ مَيْتٍ مكرَّمٍ ... وإن عزّ حتَّى أُغلى المـاءُ للغَسْلِ

وقال[4] :

لو تَعْـلَمُ النَّحْـل بمُشْـتارِها ... لم تَـرَها فى جَبَـلٍ تَعْسِـلُ
والخـير محبـوبٌ ولكنّه ... يعجِـزُ عنـه الفَسْـلُ أو يكسَلُ
والأرضُ للطُّـوفانِ مشـتاقةٌ ... لعلَّهـا من دَرَنٍ تُغْسَـلُ
قد كثُرَ الشَّـرُّ عـلى أهلِهـا[5] ... وأتَـهَـمَ المرسِـلُ[6] والمرسَـلُ

وقال[7] :

كم تُوعَظُـون ولا تلينُ قـلوبُكمُ ... فتبـارَكَ الخـلّاقُ ما أعْتَـاكُمُ
إنّ الغَـوايةَ كالغـريزةِ فيـكمُ ... يأوِى إليهـا كَهْلُكُمْ وفتـاكُمُ

وقال[8] :

دُمـوعِى لا تُجِيبُ عـلى الرَّزايا ... فـلولا ذالكَ ما نتئتْ سُجُـوما[9]
رِضًا بقضـاءِ ربِّـك فهـو حَتْمٌ ... ولا تُظهِـرْ لحـادثةٍ وُجُـوما[10]

---

(١) فى اللزوم (٢ : ٢٠٠) .
(٢) فى اللزوم (٢ : ٢٠٩) .
(٣) فى الأصل : « هل يبعثون » وفى اللزوم : « لا يبعثون » كلاهما محرف .
(٤) فى اللزوم (٢ : ١٨٧) .
(٥) رواية اللزوم : « ظهرها » .
(٦) فى الأصل : «الرسل» .
(٧) فى اللزوم (٢ : ٢٧٥) .
(٨) فى اللزوم (٢ : ٢٨٩) .
(٩) سجوم، بضم السين : سواجم . وفى الأصل : «شحوما» . صوابه فى اللزوم .
(١٠) فى الأصل : «عبادته» . ووجهه ما أثبتنا من اللزوم .

وقال[1] :

ومولدُ هَذى الشمسِ أعياكَ حدّه[2] وخَبَّرَ لُبٌّ أنّهُ متقادِمُ
وما آدَمٌ فى مذهبِ العقْلِ واحدٌ ولكنّه عندَ القِياسِ أوادمُ
تخالفتِ الأغراضُ : ناسٍ وذاكرٌ وسالٍ ومشتاقٌ[3] وبانٍ وهادمُ

وقال[4] :

وما دُنياك إلا دارُ سَوءٍ ولستَ على إساءتها مُقيما
أرى وَلَدَ الفتَى عِبئًا عليه[5] لقد سَعِد الذى أمسى عَقيما
أَما شاهدتَ كلَّ أبى وَليدٍ يؤمُّ طريقَ حَتْفٍ مستقيما
فإمّا أنْ يُربّيَهُ عدُوًّا وإمّا أن يُخلّفَه يتيما

وقال[6] :

كلُّ ذكرٍ مِنْ بعدِهِ نِسيانُ وتَغيبُ الآثارُ والأعيانُ
إنّما هذهِ الحياةُ متاعٌ فليخبِّرْكَ عن أذاها العِيانُ
نَفَسٌ بعدَ مِثلِهِ يتقضّى فتَمُرُّ الدُّهورُ والأحْيَانُ
قد تَرامَتْ إلى الفسادِ البَرَايا وآستَوَتْ فى الضّلالةِ الأدْيانُ
أنا أعْمَى فكيفَ أُهدَى إلى المَنْـ ـهَجِ والنّاسُ كُلُّهُمْ عُميانُ
والعصَا للضّرير خيرٌ من القا ئدِ فيه الفجورُ والعِصْيانُ
ليس فى هذهِ المجرّةِ ماءٌ فيرجَّى وُرُودَه الصَّدْيَانُ

(١) فى اللزوم (٢ : ٢٦١) .
(٢) فى الأصل : « ومولد هذا الشمس أعمال حذه » . صوابه فى اللزوم .
(٣) فى الأصل : « وساق وسال » . محرف . (٤) فى اللزوم (٢ : ٢٨٩) .
(٥) فى الأصل : « أرى وكد العنى عيا » . صوابه فى اللزوم .
(٦) فى اللزوم (٢ : ٣٢٩) .

وقال[1] :

المُجْبِرون يُناظِرُونَ بباطِلٍ ... فاسمع مَقالَهُمُ بغير بيانِ
كلٌّ يقولُ : أرى الإلهَ أضلَّنِي ... وأرادَ بى ما كانَ عنهُ نَهانِى
إن صحَّ ذا فتعوَّذُوا من ربِّكُمْ ... ودَعُوا تعوُّذَكُمْ من الشَّيطان

وقال[2] :

أرى الحِيرةَ البيضاءَ حارَتْ قُصورُها ... خلاءً ولم تَنْبُتْ لِكِسْرى المدائنُ
وهَجَّنَ لذّاتِ الملوكِ زَوالُها ... كما غَدَرتْ بالمُنْذرَينِ الهجائنُ
ركِبنا على الأعْمارِ والدَّهرُ لُجَّةٌ ... فما صَبَرتْ للموجِ تلك السَّفائنُ
تجيءُ الرَّزايا بالمنايَا كأنَّما ... نفوسُ البَرايا لِلحِمامِ رهائنُ[3]
لعمرى لقد خادعْتُ نفسِى بُرهةً ... وصَدَّقت فى أشياءَ مَنْ هو خائنُ
وخَانتنِى الدُّنيا مِرارًا و[إنَّما][4] ... يجهِّزُ بالذَّمِّ الغوانِى الخوائنُ
أُعلِّلُ بالآمالِ قلبًا مُضَلَّلًا ... كأنِّى لم أشعُرْ بأنِّى حائنُ
يصونُ الكريمُ العِرضَ بالمالِ جاهدًا ... وذو اللؤمِ للأموال بالعِرض صائنُ[5]

وقال[6] :

لعمرك ما الدُّنيا بدارِ إقامةٍ ... ولا الحىُّ فى حالِ السَّلامةِ آمنُ
وإنْ وليدًا حَفَّها لَمُعَذَّبٌ ... جرتْ لِسواهُ بالسُّعودِ أيامنُ

---

(١) الأبيات التالية مما لم يرد فى الديوانين .

(٢) فى اللزوم (٢ : ٣٣٠) .

(٣) فى الأصل : « بالحمام الرهائن » . صوابه فى اللزوم .

(٤) التكملة من اللزوم .

(٥) فى الأصل : « وذا اللؤم » . صوابه من اللزوم .

(٦) فى اللزوم (٢ : ٣٣٠) .

وقال[1] :

عجبتُ لكهلٍ قاعدٍ بينَ نِسوةٍ يُقَاتُ[2] بما جرّتْ عليه الرَّوادِنُ
تُحارِبُنَا أيّامُنا ولنا رِضًا بذلك لو أنّ المنايا تُهادِنُ
إذا كان جِسمى للرَّغامِ أكيلةً فكيف يَسُرُّ النّفسَ أنّى بادِنُ
ومِن شرِّ أخدانِ الفتى أمُّ زِئبقٍ وتلك عجوزٌ أهلكَتْ من تُخادِنُ
تُخَبِّرُ عن أسرارِهِ قُرَناءه[3] ومن دونها [قُفْلٌ][4] منيعٌ وسادِنُ

وقال[5] :

أيا أنفُسًا ماصومُها وصلاتُها بدينٍ لها بل تَرْكُهَا الظُّلْمَ دِينُها
يُؤَثِّرُ فى حُرِّ الجِباهِ سُجُودُها ويشكُو أذاها جارُها وخَدِينُها

وقال[6] :

رأيت سوادَ الرّأسِ يَسلُب لونه[7] من الدَّهرِ بِيضٌ يَختلفْنَ وجُونُ
فلا يَغْترِرْ بالمُلْكِ صاحبُ دولةٍ فكم مِن مَليكٍ غيّبَتْهُ دُجُونُ
وإنّى أرى أنصارَ إبليسَ جَمّةً ولا مثلَ ما أوفَى له الزَّرَجُونُ[8]
وإنْ كانت الأرواحُ بعدَ فِراقها تنالُ رِضاءً فالجُسومُ سُجُونُ

---

(١) فى اللزوم (٢ : ٣٣١) .
(٢) فى الأصل : « نعات لما » . تصحيحه من اللزوم
(٣) فى الأصل : « قد ناه » . وصوابها فى اللزوم .
(٤) تكلة من اللزوم .
(٥) هذان البيتان مما لم يرو فى الديوانين .
(٦) فى اللزوم (٢ : ٣٣١) .
(٧) فى الأصل : « لونها » . وهو خطأ .
(٨) فى الأصل : « أبصار إبليس » و: « أوفى به » . صوابهما فى اللزوم .

وقال[1] :

كأنّ نجـومَ اللّيـلِ زُرْقُ أسِـنّةٍ بهـا كلُّ مَن فوقَ التّرابِ طَعِينُ

وقال[2] :

حيـاتِىَ تعذيبٌ وموتِى راحـةٌ وكلُّ ابنِ أُنْثَى فى التّرابِ سَجِـينُ

[وقال][3] :

توهّمتَ يا مغـرورُ أنّكَ دَيِّنٌ علىَّ يمينُ اللهِ مالكَ دِينُ

تسِـيرُ إلى البيتِ الحَـرام تنسُّكًا ويشْكُوكَ جارٌ بائسٌ وخَـدِينُ

وقال[4] :

بِئسيتِ الأمُّ للأنام هى الدُّنـ ـيَـا وبئسَ البَنونَ للأُمِّ نحنُ

فَسَـد الأمْرُ كلُّه فاتركُوا الإعْـ ـرابَ إنّ الفصاحةَ اليـومَ لحنُ

وقال[5] :

لقـد أتَـوْا بحـديثٍ لا يُثَبِّتُـه عَقْلٌ فقلنا عن أىِّ النّاسِ تحكُونَهْ

فأخبَرُوا بأسـانِيـدٍ لهـم كذِبٍ لم تَخْلُ من ذكرِ شيخٍ لا يُزَكُّونَهْ

عجِبتُ للأمِّ لمّـا مات واحِدُها بكت وسَـاعدَهَا ناسٌ يُبَكُّونَهْ

هُمُ أُسارَى منايَاهُمْ فمـا لهـمُ إذا أتاهُـمْ أسـيرٌ لا يَفُكُّونَهْ

فلو تكلّمَ دهرٌ كان شاكِيَهم كما تراهُمْ على الإحسانِ يَشْكُونَهْ

أما ترونَ دِيارَ القـومِ خاليـةً بعد الجماعاتِ والأجداثُ مسكونَهْ

---

(١) فى اللزوم (٢ : ٣٣٢) .

(٢) من مقطوعة أخرى فى اللزوم (٢ : ٣٣٢) .

(٣) تكملة يقتضيها السياق ؛ فالبيتان التاليان من مقطوعة أخرى فى اللزوم (٢ : ٣٣٢) .

(٤) فى اللزوم (٢ : ٣٣٨) .

(٥) فى اللزوم (٢ : ٣٤٦) .

[وقال][1] :

يصومُ ناسٌ عن الزّادِ المباحِ لهُمْ ... ويفتدُون بلحمٍ لا يُذَكُّونَهْ

وقال[2] :

إذا ما شِئتُمُ دَعَةً وخَفضًا ... فعيشُوا فى البريّةِ خاملينَا

ولا يُعقَدْ لكُمْ أملٌ بخلقٍ ... وبِيتُوا للهمومِ آملينَا

وقال[3] :

إذا جاءكَ الموتُ فافرَحْ به ... لتخلُصَ من عالمٍ قد لُعِنْ

هُمُ طعَنُوا حَيْدَرًا ساجدًا ... وحَسْبُكَ من عُمَرٍ إذْ طُعِنْ

وقال[4] :

إذا ما ذكرنا آدمًا وفعالَه ... وتزويجَ ابنيهِ[5] لبنتَيه فى الدُّنَا

عَلِمْنا بأنَّ الخلقَ من أصلِ زِنْيةٍ ... وأنّ جميعَ النّاسِ من عُنصُرِ الزِّنَا

فأجابه القاضى أبو محمد الحسن بن أبى عُقامة من اليمن، وكان فاضلا، فقال:

لعمرك أمّا فيكَ فالقولُ صادقٌ ... وتكذِبُ فى الباقين مَنْ شَطَّ أودَنَا

كذلك إقرارُ الفَتَى لازمٌ له ... وفى غيره لَغْوٌ كذا جاء شرعُنا

وقال أبو العلاء[6] :

عليكَ الثّابتاتِ فإنّهُنّهْ ... يُدافِعْنَ الصّوارِمَ والأسِنّهْ

ومن شَهِدَ الوغَى وعليه دِرعٌ ... تلقّاها بنفسٍ مطمئنّهْ

---

(١) تكمله يقتضيها السياق ؛ فالبيت التالى من مقطوعة أخرى فى اللزوم (٢ : ٣٤٧) .

(٢) فى اللزوم (٢ : ٣٥٣) . (٣) فى اللزوم (٢ : ٣٩٥) .

(٤) البيتان مما لم يرو فى الديوانين .

(٥) كذا جاءت الرواية هنا بما فيها من ضرورة قطع الهمزة .

(٦) الأبيات من درعياته فى سقط الزند (٢ : ٢١٣ — ٢١٦) .

وَحَبَّاتُ القُلوبِ يكُنَّ حَبًّا إذا دارَتْ رحاها المُرْجِحِنَّهْ
على أنَّ الحوادثَ كائناتٌ وما يُغْنِي الدُّروعُ ولا الأَكِنَّهْ

وقال[1] :

تَسَوَّقُوا للغِنَى بربِّهِم[2] وأظهَرُوا خيفةً لهُ ودَعَوْا
سَعَوْا لِدنياهُمُ بآخرةٍ فبئسَ ما حاولوا غداةَ سَعَوْا
ولم يَعُوا ما يقولُ واعظُهُمْ لكن لِقول المخرِّصينَ وَعَوْا

وقال[3] :

بخيفةِ اللهِ تعبَّدتَنا وأنت عينُ الظَّالمِ اللَّاهِى
تأمُرُنا بالزُّهدِ فى هذه الدُّنيا وما همُّك إلّا هِى

وقال[4] :

يا أُمَّةً ما لها عقولُ وقُبْحُ ألبابِها دَهاهَا
فدَّتْونى بغيرِ مَيْنٍ عن الثُّريَّا وعن سُهاهَا
بأىِّ جُرْمٍ وأىِّ حُكمٍ سُلِّطَ ليثٌ على مَهاهَا
وعُذِّبَتْ حاجةٌ بعُسْرٍ على لبيب قد آشتَهاهَا
وظالمٌ عندَه كُنوزٌ من أُمِّ دَفْرٍ ومِنْ لهاهَا
كانَ إذا ما دَجا ظلامٌ صاح بِأَجماله وهَاهَا

---

(١) فى اللزوم (٢ : ٤٢٦) .

(٢) أى اتجروا بإظهار التقرب لله ، جعلوا دينه تجارة . وفى الأصل : «تشوفوا بالغنا بربهم» . وفى اللزوم : «تسوقوا بالغنا لربهم» . ووجهه ما أثبتنا .

(٣) فى اللزوم (٢ : ٤٩٣) .

(٤) فى اللزوم (٢ : ٤٩٤) .

وقال[1] :

وجَدْتُ غَنائِمَ الإسلامِ نَهبا ... لأربابِ المَفازِفِ والمَلاهِى
تُنازعُنِى إلى الشَّهَواتِ نفسى ... فلا أنا مُنْجِحٌ أبدًا ولا هِى[2]
وكيفَ يصحُّ إجماعُ البَرايا ... وهم لا يُجمِعون على الإلهِ

وقال[2] :

لا تُهادِ القُضاةَ كى تظلِمَ الخَصْـ ... ـمَ ولا تَذكُرَنَّ ما تُهدِيهِ
إنّ مِن أقبحِ المعايبِ عارًا ... أن يَمُنَّ الفتى بما يُسدِيهِ

وقال[3] :

نُمسِى ونُصْبِحُ فى ضلالاتِنا ... وما على الغبراءِ إلّا سَفِيهْ
فنسألُ الواحِدَ[4] إنقاذَنا ... من عالَمِ السُّوءِ الذى نحنُ فيهْ

وقال[5] :

لو كان جسمُك متروكًا بهيئته ... بعد التَّلاَفِ[6] طمِعنا فى تلافِيهِ
كالدَّنِّ عُطِّلَ مِنْ راحٍ تكونُ به ... ولم يُحطَّمْ فعادت مَرَّةً فيهِ
لكنَّهُ صارَ أجزاءً مقسَّمةً ... ثمّ استمرَّ هَباءً فى سوافِيهِ
وذاك فى هذه الدُّنيا ويَبْعَثُه ... يومَ القيامةِ[7] مُخْفِيهِ وخافِيهِ

---

(١) فى اللزوم (٢ : ٤٩٢) .

(٢) فصل فى الأصل بين هذا البيت وسابقيه بكلمة : «وقال» . وإنما الأبيات مقطوعة واحدة .

(٣) فى اللزوم (٢ : ٤٩٣) . ولعل « نصبح » تحريف « نضحى »

(٤) فى اللزوم : « فنسأل العالم » .

(٥) فى اللزوم (٢ : ٤٢٠) .

(٦) كذا فى الأصل واللزوم .

(٧) هذا البيت لم يرد فى اللزوم .

وَفَيَات الأعيان (*)

لابن خَلِّكان (**)

٦٠٨ — ٦٨١

أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان ابن داود بن المطهّر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن أنور بن أسحم بن أرقم بن النعمان بن عدىّ بن غطفان بن عمرو بن برَيح بن جَذِيمة بن تيم الله بن أسد ابن وَبْرة بن تغلِب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، التنوخىّ المعرىّ ، اللغوىّ الشاعر .

كان متضلّعا من فنون الأدب . قرأ النّحو واللُّغة على أبيه بالمعرّة، وعلى محمد ابن عبد الله بن سعد النحوىّ ، بحلب .

وله التصانيف الكثيرة المشهورة، والرسائل المأثورة .

وله من النظم "لزوم ما لايلزم" . وهو كبير يقع فى خمسة أجزاء أو ما يقاربها .

وله " سقط الزند " أيضا ، وشرحَه بنفسه وسمّاه : «ضوء السقط» .

و بلغنى أنّ له كتاباً سمّاه "الأيك والغصون"، وهو المعروف بالهمزة والردف ، يقارب المائة جزء، فى الأدب أيضا . وحكَى لى من وقف على المجلّد الاوّل بعد المائة من كتاب الهمزة والرِّدف، وقال : لا أعلم ما كان يُعوزه بعد هذا المجلّد .

(*) وفيات الأعيان ، فى أنباء أبناء الزمان . كتاب فى تراجم الأعيان ، مرتب على الحروف ، فرغ من تأليفه سنة ٦٧٢ . وهو فى مجلدين . وقد طبع عدّة مرات فى القاهرة وغيرها من البلاد الشرقية والغربية . والنص الذى أثبتنا من الجزء الأوّل طبع المطبعة الميمنية ص ٣٣ — ٣٥ .

(**) هو قاضى القضاة أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم ، المعروف بابن خلكان ، البرمكى الإربلى ، ولى القضا . بمصر والشام فى عهد أبى الفتح الظاهر بيبرس . انظر البداية والنهاية ، والفوات ، وكشف الظنون .

وكان علّامة عصره. وأخذ عنه أبو القاسم على بن المحسِّن التنوخىّ، والخطيب أبو زكريّا التبريزى وغيرهما .

وكانت ولادته يوم الجمعة عنـد مغيب الشمس ، لثلاثٍ بقينَ من شهر ربيع الأوّل سنة ثلاثٍ وستّين وثلاثمـائة، بالمعرّة .

وعمى من الجدرىّ أوّلَ سنةِ سبع وستّين، غشّى يُمنى عينيه بياض ، وذهبت اليسرى جملة .

قال الحافظ السِّلَفىّ : أخبرنى أبو محمد عبد الله بن الوليد بن غَرِيب[1] الإيادىّ، أنّه دخل مع عمّـه على أبى العلاء يزوره، فرآه قاعدًا على سَجّادة لِبْـد، وهو شيخ . قال : فدعا لى ومسح على رأسى ، وكنت صبيًّا . قال : وكأنّى أنظر إليه الساعة، وإلى عينيه، إحداهما نادرة، والأخرى غائرة جدًّا، وهو مجدّر الوجه، نحيف الجسم .

ولمّـا فرغ من تصنيف كتابِ "اللامع العزيزىّ" فى شرح شعر المتنبّى، وقُرِئَ عليه ، أخذ الجماعة فى وصفه، فقال أبو العلاء : كأنّما نظر المتنبّى إلىّ بلحظ الغيب، حيث يقول :

أنا الذى نظـرَ الأعمى إلى أدبِى وأسمعَتْ كلماتِى مَنْ بِهِ صَمَمُ

وآختصر ديوان أبى تمام، وشرحه، وسماه "ذكرى حبيب"؛ وديوان البحترى، وسماه "عبث الوليد"؛ وديوان المتنبى، وسماه "مُعجز أحمد". وتكلم على غريب أشعارهم ومعانيها، ومآخذهم من غيرهم، وما أُخِذ عليهم، وتولّى الآنتصارَ لهم، والقَدَحَ فى بعض المواضع عليهم، والتّوجيهَ فى أماكنَ لحظئهم .

ودخل بغدادَ سنة ثمانٍ وتسعين وثلاثمائة، ودخلها ثانيا سنةَ تسعٍ وتسعين، وأقام بها سـنةً وسبعة أشهر، ثم رجَع إلى المعرّة ولزم منزلَه ، وشرع فى التّصنيف، وأخذ

(١) فى الأصل : « عزيب » بالزاى، تصحيف .

عنه النّاس، وسار إليه الطلبةُ من الآفاق ، وكاتبه العلماءُ والوزراء وأهلُ الأقدار . وسمّى نفسه : "رهين المحبسين"؛ للزومِه منزله ، ولذهابِ عينيه . ومكث مدّة خمسٍ وأربعين سنة لا يأكل اللحم تديُّنا ؛ لأنه كان يرى رأى الحكماءِ المتقدمين ، وهم لا يأكلونه ، كى لا يذبحوا الحيوان ، ففيه تعذيب له . وهم لا يرون الإيلام مطلقا فى جميع الحيوان .

وعمِل الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة .

ومن شعره فى اللزوم قوله[1] :

لا تطلبنّ بآلةٍ لك رتبةً ... قلمُ البليغ بغيرِ جَدٍّ مِغزلُ
سَكن السما كانِ السَّماءَ كِلاهُما ... هذا له رحمٌ وهذا أعزلُ

تُوفّى يوم الجمعة ثالث، وقيل ثانى شهر ربيع الأوّل، وقيل ثالث عشرِه، سنة تسع وأربعين وأربعمائة، بالمعرة .

وبلغنى أنه أوصى أن يُكتب على قبرِه هذا البيت :

هذا جناه أبى علىّ وما ... جنيتُ على أحدْ

وهو أيضًا متعلّق بآعتقاد الحكماء ؛ فإنهم يقولون : إيجاد الولد وإخراجه إلى هذا العالم جنايةٌ عليه؛ لأنه يتعرّض للحوادث والآفات .

وكان مرضُه ثلاثةَ أيّام ، ومات فى اليومِ الرابع، ولم يكن عنده غير بنى عمّه . فقال لهم فى اليومِ الثالث : آكتبوا عنّى . فتناولوا الدُّوِىّ والأقلام، فأملى عليهم غير الصّواب . فقال القاضى أبو محمد عبد الله التّنُوخى : أحسن الله عزاءَكم فى الشّيخ؛ فإنّه ميت ! فمات ثانِىَ يوم .

---

(١) البيتان لم يردا فى النسخ المخطوطة والمطبوعة التى بين أيدينا من اللزوم .

ولما تُوفِّى رثاه تلميذه أبو الحسن علىّ بن همام بقوله :

إنْ كنتَ لم تُرِقِ الدِّماءَ زهادةً فلقد أرقْتَ اليومَ من جفنى دَمَا
سَيَّرْتَ ذِكْرَكَ فى البلادِ كأنه مِسكٌ فسامعةً يضمِّخُ أو فَمَا (١)
وأرى الحجيج إذا أرادوا ليلةً ذِكراكَ أخرجَ فِديةً مَن أحْرَمَا

وقد أشار فى البيت الأوّل إلى ما كان يعتقده ويتديَّن به من عدم الذبح، كما تقدّم ذكره .

وقبره فى ساحةٍ من دورِ أهْلِه ، وعلى الساحة بابٌ صغير قديم، وهو على غاية ما يكون من الإهمال وتركِ القيامِ بمصالحه، وأهله لا يحتفلون به .

و"التنوخى" بفتح التاء المثنّاة من فوقها وضم النون المخففة ، وبعد الواو خاء معجمة . وهذه النسبة إلى تنوخ، وهو اسمٌ لعدّةِ قبائل اجتمعوا قديماً بالبحرين، وتحالفوا على التناصُر، وأقاموا هناك، فسُمُّوا تَنوخا . والتَّنوخ: الإقامة . وهذه القبيلة إحدى القبائل الثلاث التى هى نصارى العرب ، وهم بَهراء ، وتَنوخ ، وتَغلب .

و"المعـرّى" بفتح الميم والعين المهملة وتشديد الراء . وهذه النسبة إلى معرّة النعمان، وهى بلدة صغيرة بالشّام، بالقرب من حماة وشَيزر، وهى منسوبة إلى النعمان ابن بشير الأنصارى، رضى الله تعالى عنه؛ فإنّه تديَّرها فنُسبت إليه . وأخذها الفرنج من المسلمين فى محرّم سنةِ اثنتين وتسعين وأربعمائة . ولم تزل بأيدى الفرنج من يومئذٍ إلى أنْ فتحها عماد الدين زنكى بن آق سُنقر، الآتى ذكره إن شاء الله تعالى، سنة تسعٍ وعشرين وخمسمائة، ومنّ على أهلها بأملاكهم .

---

(١) فى الأصل : « فسامعه تضمخ » تحريف .

المختصر فى أخبار البشر (*)

لأبى الفـــداء (**)

٦٧٢ — ٧٣٢

وفيها (١) :

توفى أبو العلاء أحمد بن سليمان (٢) المعرّى الأعمى، وله نحو ستٍّ وثمانين سنة .

ومولده سنة ثلاثٍ وستّين وثلاثمائة، وقيل ستّ وستين وثلاثمائة .

واختُلف فى عماه، والصحيح أنّه عمى فى صغره من الجُدَرىّ وهو ابن ثلاث سنين؛ وقيل ولد أعمى .

وكان عالِمًا لغويًّا شاعرا .

ودخل بغداد سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، وأقام بها سنةً وسبعة أشهر، واستفاد من علمائها، ولم يُتلمذ أبو العلاء لأحدٍ أصلا، ثمّ عاد إلى المعرّة ولزم بيته، وطبّق الأرضَ ذِكره، ونُقلت عنه أشعارٌ وأقوال، عُلِم بها فسادُ عقيدته، ونُسب إلى التمذهب بمذهب الهنود؛ لتركه أكلَ اللحم خمسًا وأربعين سنة، وكذلك البيض واللبن.

وكان يحرّم إيلام الحيوان .

(*) تاريخ مختصر من عدّة تواريخ، منها الكامل ووفيات الأعيان . رتّبه مؤلفه على السنين كترتيب الكامل . انتهى فيه إلى سنة ٧٢١ كما ذكر صاحب كشف الظنون . غير أن ابن الوردى نص فى مقدمة كتابه «تتمة المختصر» أن أبا الفداء انتهى فيه إلى سنة ٧٠٩ ، وقال أيضا فى آخر حوادث ٧٠٩ : «وهذا آخر ما وقف عليه المؤلف رحمه الله تعالى — يعنى أبا الفـداء — فيما علمت» . وقد طبع عدّة مرات فى القاهرة وغيرها .

والنص من نسخة فى أربعة أجزاء طبع القسطنطينية ١٢٨٦ فى حوادث ٤٤٩ .

(**) هو الملك المؤيد صاحب حماة، إسماعيل بن على بن الأفضل، ينتمى نسبه إلى صلاح الدين الأيوبى . كان أميرا بدمشق، وخدم الملك الناصر، فوعده بحماة، ووفى له بذلك، وكانت له مشاركة فى العلوم، وكان محبا لأهـل العلم، وله "نظم الحاوى" فى الفقه، ومؤلفات أخرى . انظر الفوات (١ : ٢١ — ٢٣) وكشف الظنون، ومقدمة تاريخ ابن الوردى .

(١) أى فى سنة ٤٤٩ . (٢) كذا فى الأصل بإدراج : «عبد الله» والد أبى العلاء .

وله مصنّفات كثيرة، أكثرها ركيكة، فهجرت لذلك .

وكان يُظهِر الكفر، ويزعم أنّ لقوله باطنا، وأنّه مسلم فى الباطن .

فمن شعره المؤْذِن بفساد عقيدته قوله (١) :

عَجِبتُ لِكسرى وأشياعِه ... وغَسْلِ الوُجوهِ ببَولِ البقَرْ
وقولِ النّصارى إلهٌ يُضامُ ... ويُظْلَمُ حيًّا ولا ينتصِرْ
وقولِ اليهودِ إلهٌ يُحِبُّ ... دسيس (٢) الدِّماءِ وريح القُتُرْ
وقومٍ أتَوا من أقاصِى البلاد ... لِرَمى الجمارِ ولَثْمِ الحَجَرْ
فواعجَبًا من مقالاتِهِمْ ... أيعمى عن الحقِّ كلُّ البشَرْ

ومن ذلك قوله (٣) :

زعموا أنّنى سأُبعَثُ حيًّا ... بعد طولِ المُقامِ فى الأرماسِ
وأجُوزُ (٤) الجِنانَ أرتَعُ فيها ... بين حُورٍ وولدةٍ أكياسِ
أىُّ شىءٍ أصابَ عقلك يا مِسْـ ... ـكينُ حتّى رُميتَ بالوَسواسِ

ومن ذلك (٥) :

أتى عيسى فبطَّلَ (٦) شرعَ مُوسى ... وجاء محمّدٌ بصلاةِ خَمْسِ
وتالوا لا نبىَّ بعدَ هذا ... فضَلَّ القومُ بين غدٍ وأمْسِ

---

(١) هذه الأبيات مما لم يرو فى الديوانين .

(٢) الدسيس، بفتح الدال : الصنان الدفر الفائح . انظر اللسان (٧ : ٣٨٦ س ٢) .
وفى الأصل : « رسيس » ، وأثبتنا ما تقتضيه المقابلة .

(٣) الأبيات مما لم يرو فى الديوانين .

(٤) كذا فى الأصل . ولعلها : « أحوز » بالمهملة .

(٥) فى اللزوم (٢ : ٣٦) .

(٦) كذا فى الأصل والذهبى . ويروى : « وأبطل » ويروى : « فعطل » .

ومَهـما عِشتَ فى دُنياكَ هَـذِى فمـا تُخلِيـكَ من قمـرٍ وشمسِ
إذا قلتُ المحـالَ رفعتُ صـوتى وإن قلتُ الصّحيحَ أطلتُ همسِى

ومن ذلك قولُه[1] :

تاه النصارَى والحنيفةُ ما اهتدَتْ ويهـودُ حَيْرَى[2] والمجـوسُ مُضَلَّلَهْ
قُسِمَ الوَرَى قِسمَين هـذا عاقلٌ لا دِينَ فيـــه ودِينٌ لا عقْـلَ لَهْ

(١) فى اللزوم : (٢ : ٢٠١) .
(٢) فى الأصل : « هطرى » . ورواية اللزوم : « حارت » .

تاريخ الإسلام (*)

للذهبي (**)

٦٧٣ — ٧٤٨

أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهّر بن زياد بن ربيعة، أبو العلاء التنوخى المعرّى، اللغوىّ الشاعر المشهور، صاحب التصانيف المشهورة، والزندقة المأثورة .

له " رسالة الغفران " فى مجلد ، قد احتوت على مزدكة (١) واستخفاف، وفيها أدب كثير .

وله " رسالة الملائكة " ، و " رسالة الطير " على ذلك الأنموذج . وله كتاب " سقط الزند " ، فى شعره، وهو مشهور .

وله من النظم " لزوم ما لا يلزم " . فى مجلّد، أبدع فيه .

(*) تاريخ الإسلام، وطبقات المشاهير والأعلام : تاريخ كبير جمع فيه مؤلفه بين الحوادث والوفيات، ابتدأه من الهجرة النبوية، وانتهى فيه إلى سنة ٧٠٠، وقسمه إلى سبعين طبقة، وجعل من كل عشر سنين طبقة ، مرتبا كل طبقة على الحروف، والحوادث على السنين . وبدار الكتب المصرية منه نسخة ، فى أربعة وثلاثين مجلدا، منها عشرون مصوّرة، وأربعة عشر مكتوبة بخطوط مختلفة، برقم ٤٢ تاريخ . والنص يقع فى القسم الثالث من المجلد الحادى عشر من ص ٤٦١ — ٤٧٠ .

(**) هو أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركمانى، له تصانيف كثيرة نافعة، منها "تذكرة الحفاظ"، و"ميزان الاعتدال"، و"المشتبه"، وغيرها . وللذهبي أيضا كتاب مختصر فى التاريخ، يسمى " دول الإسلام " طبع فى الهند سنة ١٣٣٧ فى مجلدين . وكان من كبار المحدثين، سمع بدمشق وبعلبك وحمص وحماة وحلب وطرابلس ونابلس والرملة وبلبيس والقاهرة والإسكندرية والحجاز والقدس . وقد أضر قبل موته بأربع سنين أو أكثر . انظر الفوات والنكت .

(١) المزدكة : مذهب مزدك الفارسى المجوسى، وهو مذهب من مذاهب الثنوية التى ترد العالم إلى أصلين هما النور والظلمة . وقد ظهر فى زمن قباذ ، وقتله أنو شروان بن قباذ .

وكان عجبًا فى الذكاءِ المفرِط ، والاطّلاع الباهر على اللغة وشواهدها .

ولد سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، وجذر فى السنة الثالثة من عمره، فعمى منه، فكان يقول : لا أعرف من الألوانِ إلّا الأحمر ؛ فإنى أُلبِست فى الجدرىّ ثوبًا مصبوغا بالعُصفرِ، لا أعقل غير ذلك .

أخذ العربيّة عن أهلِ بلده ، كبنى كوثر ، وأصحاب آبن خالويه ، ثم رحل إلى أَطرابُلُس ، وكانت بها خزائن كتبٍ موقوفة ، فآجتاز باللاذقية ، ونزل ديراً كان به راهِب ، له عِلم بأقاويل الفلاسفة، سمع أبو العلاء كلامَه ، فحصل له به شكوك ،ولم يكن عنده ما يدفع به ذلك ، فحصل له بعض آنحلال ، وأودع من ذلك بعض شعره . ومنهم من يقول : آرعوى وتاب وآستغفر .

وممن قرأ عليه أبو العلاءِ اللغةَ جماعة، فقرأ بالمعرّةِ على والده، وبحلب على محمد آبن عبد الله بن سعد النحوى وغيره .

وكان قانعًا باليسير ، له وقف يحصل له منه فى العام نحو ثلاثين دينارا ، قرّر منها لمن يخدمه النصف .

وكان أكله العَدَس ، وحلاوته التين ، ولباسه القطن ، وفِراشه لُبّادًا ، وحصيره بَرديّة .

وكانت له نفس قويّة ، لا يحمِل مِنّة أحد، و إلّا لو تكسب بالشعر والمديح لكان ينال بذلك دنيا ورياسة .

وآتفق أنّه عورِض فى الوقف المذكور من جهة أميرِ بحلب ، فسافر إلى بغداد متظلّما منه ، فى سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، فسموا منه ببغداد "سقط الزند" .

وعاد إلى المعرّة سنة أربعمائة . وقد قصده الطلبةُ من النواحى .

ويقال عنه : إنه كان يحفظ ما يمرُّ بسمعه . وقد سمع الحديث بالمعرّة عاليا من يحيى بن مِسعر التنوخى[١] عن أبى عروبة الحرّانى[٢]، ولزم منزله ، وسمّى نفسه "رَهْن المحبِسين" ؛ للزوم منزله وذهاب بصره . وأخذ فى التصنيف . فكان يُملى تصانيفه على الطّلبة . ومكث بِضعا وأربعين سنةً لا يأكل اللحم ، ولا يرى إيلام الحيوانِ مطلقا ، على شريعة الفلاسفة .

وقال الشعر وهو آبن إحدى عشرة سنة .

قال أبو الحسين علىّ بن يوسف القِفطى : قرأت على ظهر كتاب عتيق[٣]، أنّ صالح آبن مرداس صاحب حلب خرج إلى المعرّة ، وقد عصَى عليه أهلها ، فنازلها وشرع فى حصارها ، ورماها بالمجانيق ، فلما أحسّ أهلها بالغَلَب سعَوا إلى أبى العلاء بن سليمان[٤] ، وسألوه أن يخرج ويشفع فيهم ، فخرج ومعه قائد يقوده ، فأكرمه صالح وآحترمه ، ثم قال : ألك حاجة ؟ قال : الأمير ، أطال الله بقاءه ، كالسّيف القاطع لانَ متْنه[٥] وخشن حدّاه[٦]، وكالنهار المـاتع[٧] قاظ وسطه وطاب أبرداه ، ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ . فقال له صالح : قد وهبتُها لك . ثم قال له : أنشدنا شيئًا من شعرِك لنَرويه ، فأنشده بديهًا أبياتا فيه ، وترحّل صالح .

---

(١) هو يحيى بن مسعر بن محمد بن يحيى بن الفرج أبو زكريا التنوخى المعرّى ، روى عن أبى عبد الله الفروى وعن أبيه مسعر ، وعن أبى عروبة ، وسمع منه أبو العلاء . تاريخ دمشق لابن عساكر (النسخة الظاهرية ٤٦ : ٣٧١) .

(٢) هو الحافظ الحسين بن محمد بن مودود السلمى الحرّانى ، كان عارفا بالرجال وبالحديث ، وكان مفتى أهل حران . توفى سنة ٣١٨ . تذكرة الحفاظ (٢ : ٣٣٥) .

(٣) الذى عند القفطى : « وشاهدت على ظهر جزء من ديوان الأعشى بخط ابن رداع » .

(٤) كذا بإدراج اسم والده . وفى القفطى : « سعوا إلى أبى العلاء وسألوه » .

(٥) فى الأصل : « حده » بالإفراد . وفى القفطى : « لان متنه » .

(٦) الماتع : المرتفع . وفى الأصل : « المائع » تحريف .

(٧) الأبردان : الغداة والعشى . وفى الأصل : « أبراده » . تحريف .

وذكر أنّ أبا العلاء كان له مَغارة ينزل إليها ويأكل فيها . ويقول : الأعمى عورة . والواجب استتاره فى كلّ أحواله . فنزل مرّة وأكل دِبسا ، ونقط على صدره منه ولم يشعر . فلما جلس للإقراء قال له بعض الطلبة : يا سيِّدى ، أكلت دِبسا ! فأسرع بيده إلى صدره يمسحه وقال : نعم ، لعن الله النَّهَم ! فاستحسنوا سرعةَ فهمه .

وكان يعتذر إلى من يرحل إليه من الطّلبة ؛ فإنه كان ليس له سعة ، وأهل اليسار بالمعرّة يعرفون بالبخل ، وكان يتأوّه من ذلك .

وذكر الباخَرزىّ[1] أبا العلاء فقال : ضرير ، ما له فى الأدب ضريب ؛ ومكفوف ، فى قميص الفضل ملفوف ؛ ومحجوب ، خصمه الألد محجوج ؛ قد طال فى ظلّ الإسلام آناؤه ، ولكن إنّما[2] رشح بالإلحاد إناؤه . وعندنا [خبر بصره ، والله أعلم ببصيرته ، والمطلع على سريرته ؛ وإنّما تحدّثت الألسن[3]] بإساءته لكتابه الذى زعموا أنّه عارض به القرآن ، وعنونه بـ " الفصول والغايات ، فى محاذاة السور والآيات " .

قال القِفطى : وذكرت ما ساقه غَرس النعمة محمّد بن هلال بن المحسّن فيه ، فقال : كان له شعر كثير ، وفيه أدب غزير ، ويرمى بالإلحاد ، وأشعاره دالّة على ما يُرَمَّى به .

ولم يكن يأكل لحما ولا بيضا ولا لبنا ، بل يقتصر على النّبات ، ويحرّم إيلام الحيوان ، ويظهر الصوم دائما .

---

(١) انظر النص كاملا فى دمية القصر .
(٢) نص الدمية : « ربما » .
(٣) هذه النكتة من دمية القصر .

قال : ونحن نذكر طرفاً ممّا بلغنا من شعره ؛ ليعلم صحّةُ ما يحكى عنه ، من إلحاده . فمنه :[1]

صَرْفُ الزَّمانِ مفرِّقُ الإلْفينِ ... فاحكُمْ إلهى بين ذاكَ وبيني
أنهيتَ عن قتلِ النُّفوسِ تعمُّدًا ... وبعثتَ أنتَ لقبضِها ملَكينِ
وزعمتَ أنّ لها معادًا ثانيا ... ما كان أغناها عنِ الحالينِ

ومنه :[2]

قِرانُ المُشْتَرى زُحَلًا يرجّى ... لإيقاظِ النَّواظرِ مِنْ كَراها
تقضّى النّاس جيلًا بعدَ جيلٍ ... وخُلِّفت النُّجومُ كما تَراها
تقدّمَ صاحبُ التَّوراةِ موسى ... وأوقَعَ بالحسارِ من افْتراها
فقال رجالُهُ وحيٌّ أتاهُ ... وقال الآخَرُون بلِ افْتَراها
وما حَجّى إلى أحْجارِ بيتٍ ... كُؤوسَ الخمرِ تُشْرَبُ فى ذَراها
إذا رَجَعَ الحكيمُ إلى حِجاهُ ... تهاوَنَ بالمذاهبِ وازْدراها

ومنه :[3]

عُقولٌ تستخفُّ بها سُطورُ ... ولا يَدرِى الفَتَى لِمَن الثُّبورُ
كتابُ محمدٍ وكتابُ مُوسى ... وإنجيلُ ابنِ مريمَ والزَّبورُ

ومنه مما أنشدنا أبو علىّ بن الخلّال ، أنبأنا جعفر ، أنبأنا السِّلَفىّ ، أنشدنا أبو زكريا التبريزى وعبد الوارث بن محمد الأسدى ، لقيتُه بأبهر ، قالا : أنشدنا أبو العلاء بالمعرّة لنفسه ، قال :[4]

ضحِكنا وكانَ الضِّحكُ مِنّا سفاهةً ... وحُقَّ لسُكّانِ البسيطةِ أن يَبكُوا
تُحَطِّمنا الأيّامُ حتّى كأنّنا ... زجاج ولكنْ لا يعادُ له السَّبكُ

(١) الأبيات مما لم يرو فى الديوانين .
(٢) فى اللزوم (٢ : ٤١٥) .
(٣) فى اللزوم (١ : ٣٢٤) .
(٤) فى اللزوم (٢ : ١٤٣) .

ومنـــه (١) :

هفتِ الحنيفةُ والنَّصارى ما اهتدَتْ ... ويهودُ حارتْ والمجـوس مُضَلَّلَهْ

اثنانِ أهلُ الأرضِ ذو عقلٍ بلا ... دينٍ وآخَرُ دَيِّنٌ لا عقـلَ لَهْ

ومنـــه (٢) :

قلـتمْ لنـا خالقٌ قـديمٌ ... صـدقتُمُ هكذا نقـولُ

زعمتمـوه بِـلا زمانٍ ... ولا مـكانٍ ألا فقـولُوا

هـذا كلامٌ له خبيءٌ ... معنـاه ليست لكم عقـولُ

ومنـــه (٣) :

دينٌ وكفـرٌ وأنبـاءٌ تقال وفُـرْ ... قانٌ يُنصُّ وتـوراةٌ وإنجيـلُ

فى كلِّ جيـلٍ أباطيلٌ يُدان بهـا ... فهل تفرّد يوما بالهدى جيـلُ

[قال النَّووىّ] (٤) :

نعم أبو القـاسمِ الهـادى وأمّتـهُ ... فـزادَكَ اللهُ ذُلًّا يا دُجيجيـلُ

ومنـــه (٥) :

فـلا تحسَبْ مَقالَ الرُّسْـلِ حَقًّا ... ولكنْ قـولُ زورٍ سَـطَّرُوهُ

وكان النّـاسُ فى عيشٍ رَغيـدٍ ... بفـاءوا بالمحـالِ فكذّبوهُ (٦)

---

(١) فى الأزوم (٢ : ٢٠١) . (٢) فى الأزوم (٢ : ١٧٩) . (٣) فى الأزوم (٢ : ١٧٧) .

(٤) التكملة من نص الذهبي طبع مرجليوث نقـلا عن نسخة المتحف البريطانى . والنووى هو يحيى ابن شرف الشافعى الحافظ ، ويقال فيه أيضا النواوى ، بإثبات الألف ، نسبة إلى نوى من قرى حوران بالشام . ولد سنة ٦٣١ وتوفى بنوى سنة ٦٧٦ . انظر الشذرات وطبقات الشافعية والبداية والنهاية فى سنة ٦٧٦ .

(٥) البيتان مما لم يرو فى الديوانين .

(٦) فى جانب الأصل ، كتب البيتان التاليان ردا على أبى العلاء :

«فلا تحسب مقال الرسل زورا ... ولكن قـول حق بلغـوه

وكان الناس فى جهل عظيم ... فجاءوا بالبيان فأوضحـوه

قاله ابن كثير» . وسيرد البيتان فى نص ابن كثير .

ومنـــه[1] :

وإنّمـا حَمَّـلَ التـوراةَ قارئَهـا كَسْبُ الفَوائِدِ لا حُبُّ التِّلاواتِ
وهل أُبيحَتْ نِساءُ الرُّومِ عن عُرُضٍ[2] للعُـرْبِ إلّا بأحكامِ النُّبـوّاتِ

أنبأتنا أُمُّ العربِ فاطمة بنت أبي القاسم[3]، أنبأنا فرقد الكناني سنة ثمانٍ وستمائة، أنبأنا السِّلفيّ، سمعت أبا زكريا التبريزي قال : لمّا قرأت على أبي العلاء بالمعرّة قولَه[4] :

تناقُضُ ما لنا إلا السُّكوتُ له وأنْ نَعُـوذَ بمـولانا من النّارِ
يُدُ بخمسِ مِئٍ من عَسْجَدٍ وُدِيَتْ ما بالُهـا قُطِعتْ في رُبعِ دينـارِ

سألتـه عن معناه فقال : هـذا مثل قولِ الفقهاء : " عبادة لا يُعقَل معناها ".

قلت : لو أراد ذلك لقال : "تعبُّدٌ ما لنا إلّا السكوت له"، ولمّا اعترض على الله بالبيت الثاني.

قال السِّلفيّ : إنْ قال هـذا الشعر معتقدًا معناه، فالنار مأواه، وليس له في الإسلام نصيب.

هـذا إلى ما يحكى عنه في كتاب " الفصول والغايات "، وكأنّه معارضةٌ منه للسُّوَر والآيات. فقيل له : أين هذا من القرآن؟ قال : لم تصفُّه المحاريبُ أربعمائة سنة. إلى أن قال السِّلَفي : أخبرنا الخليل بن عبد الجبار بقزوين، وكان ثقة :

---

(١) في اللزوم (١ : ١٨٥ — ١٨٦).

(٢) في الأصل : « غرض » بالغين المعجمة، تحريف.

(٣) هي فاطمة بنت الحافظ الشهيد أبي القاسم علي بن الحافظ أبي القاسم بن الحافظ الكبير أبي القاسم ابن عساكر الدمشقي، أم العرب. وقد ذكرها الذهبي في معجم شيوخه (مخطوطة دار الكتب رقم ٦٥ مصطلح الحديث)، وقال : توفيت في شعبان سنة ثلاث وستين وستمائة عن نحو ثمانين سنة.

(٤) في اللزوم (١ : ٣٨٦).

حدّثنا أبو العلاء التنوخى بالمعرّة، حدّثنا أبو الفتح محمد بن الحسين، حدّثنا خَيثمة[(١)] . فذكر حديثًا[(٢)] .

وقال غرس النِّعمة : وحدّثنى الوزير أبو نصر بن جَهير، حدّثنا أبو نصر المنَازىّ الشّاعر قال : اجتمعت بأبى العلاء فقلت له : ما هذا الذى يُروَى عنك ويحكى ؟ قال : حسدونى وكذبوا علىّ ! فقلت : على ماذا حسدوك وقد تركت لهم الدنيا والآخرة ؟ فقال : والآخرة ! قلت إى والله !

قال غَرس النِّعمة : وأذكر عند ورود الخبر بموته ، وقد تذاكرنا إلحادَه ، ومعنا غلامٌ يعرف بأبى غالب بن نَبهان، من أهل الخير والفقه، فلما كان من الغد حكى لنا قال : رأيت فى منامى البارحة شيخًا ضريرا، وعلى عاتقه أفعيانِ متدليّان إلى مَنْكِبيه، وكلٌّ منهما يرفع فمه إلى وجهه ، فيقطع منه لحمًا يزدرده ، وهو يستغيث، فقلت — وقد هالنى — : مَنْ هذا ؟ فقيل لى : هذا المعرّىّ المُلْحِد !

ولأبى العلاء[(٣)] :

أتى عيسى فبَطَّل[(٤)] شرعَ مُوسى ... وجاء محمدٌ بصلاةِ خَمْسِ
وقالوا لا نبىٌّ بعدَ هذا ... فضَلَّ القومُ بين غدٍ وأمسِ
ومهما عِشتَ فى دنياكَ هذى ... فما تُخْليكَ من قمرٍ وشَمْسِ
إذا قلتُ المحالَ رفعتُ صوتى ... وإن قلتُ الصحيحَ أطلتُ همسى

---

(١) هو خيثمة بن سليمان بن حيدر الطرابلسى، كان مسند عصره بالشام . توفى فى سنة ٣٤٣ . لسان الميزان .

(٢) ذكر هذا الحديث ابن العديم فى الإنصاف، وهو : «لو علم الناس رحمة الله بالمسافر لأصبح الناس وهم على سفر ، إن المسافر ورحله على قلت إلا ما وقى الله » .

(٣) فى اللزوم (٢ : ٣٦) .

(٤) انظر الحاشية رقم ٦ ص ١٨٧ .

ولأبى العلاء (١) :

إذا مات آبنُها صَرختْ بجَهْلٍ وماذا تستفيدُ من الصُّراخِ
ستَتْبَعُه كعَطْفِ الفاءِ (٢) ليستْ بمَهْلٍ أو كثُمَّ على التَّراخِ

ولـه (٣) :

لا تَجلِسَنْ حُرَّةٌ مُوفَّقةٌ مع آبن زَوجٍ لها ولا خَتَنِ
فذاك خيرٌ لها وأسلمُ لِلْـ ـإنسان إنّ الفَتَى من الفِتَنِ (٤)

ولـه (٥) :

منكِ الصُّدودُ ومِنّى بِالصدودِ رِضَا مَنْ ذا علىّ بهذا فى هواكِ قَضَى
بى منكِ مالوغَدَا بالشمسِ ماطَلعتْ من الكآبةِ أو بالبرقِ ما ومَضَا
جرّبْتُ دَهرِى وأهليه فما تركَتْ لىَ التّجارِبُ فى ودِّ آمرئٍ غَرَضَا
إذا الفتى ذَمَّ عيشًا فى شبيبتِه فما يقول إذا عصرُ الشّبابِ مَضَى
وقد تعوّضْتُ عن كلٍّ بمُشبِهِه فما وجدْتُ لأيّامِ الصِّبا عِوَضَا

ولـه (٦) :

وصفراءَ لون التِّبرِ مثلى جليدة على نُوبِ الأيّامِ والعيشةِ الضَّنْكِ
تُريكَ ابتسامًا دائمًا وتجلُّدًا وصَبْرًا على ما نابها وهْى فى الهُلْكِ
ولو نَطقتْ يومًا لقالت أظنُّكُمْ تخالُون أنّى من حِذارِ الرَّدَى أبكى
فلا تحسَبُوا دمعى لوجدٍ (٧) وجدته فقد تدمع العينانِ من كَثرة الضَّحْكِ

---

(١) فى اللزوم (١ : ٢٤٠) . (٢) فى الأصل : « كفاء العطف » . وما أثبتنا عن اللزوم .
(٣) فى اللزوم (٢ : ٣٨٤) . (٤) فى اللزوم : « مع الفتن » .
(٥) الأبيات فى سقط الزند (١ : ١٣٧) . (٦) فى سقط الزند (٢ : ١٣٦) .
(٧) فى الأصل : « وجدى » . صوابه فى السقط .

أنشدنا أبو الحسين ببعلبك، أنبأنا جعفر، أنبأنا السلفى، أنشدنا أبو المكارم عبد الوارث بن محمد الأسدى، رئيس أَبْهر، أنشدنا أبو العلاء بن سليمان لنفسه قطعة ليس لأحدٍ مثلها[1] :

رغبتُ إلى الدنيا زمانًا فلم تَجُدْ بغير عَناءٍ والحياةُ بلاغُ
وألقَى ابنَه اليأسُ الكريمُ وبنتَه[2] لدىّ، فعندى راحةٌ وفراغُ
وزادَ فسادَ النَّاسِ فى كلِّ بلدةٍ أحاديثُ مَينٍ تُفْتَرَى وتُصاغُ
ومِن شَرِّ ما أسرَجْتَ فى الصُّبحِ والدُّجى كُمَيتٌ لها بالشَّارِبينَ مَراغُ

أنبأتنا فاطمة بنت علىّ[3]، أنبأنا فرقد بن ظافر، أنبأنا أبو طاهر بن سِلَفَة، قال: من عجيبِ رأيِ أبى العلاء تركُه تناولَ كلِّ ما كولٍ لا تُنبِته الأرض، شفقةً بزعمه على الحيوانات، حتَّى نُسِب إلى التبرهُم؛ وأنّه يرى رأى البراهمة فى إثبات الصانع، وإنكار الرُّسل، وتحريم الحيوانات وإيذائها، حتّى الحيات والعقارب.

وفى شعره ما يدلّ على غيرِ هذا المذهب، وإنْ كان لا يستقرّ به قرار، ولا يبقى على قانونٍ واحد، بل يجرى مع القافية إذا حصلت، كما تجىء لا كما يجب.

فأنشدنى أبو المكارم الأسدى، رئيس أبهر، قال: أنشدنا أبو العلاء لنفسه[4] :

أقَرُّوا بالإلٰه وأثبَتُوه وقالوا لا نبىٌّ ولا كتابُ
ووطءُ بناتِنا حِلٌّ مباحٌ رُوَيدَكُمُ فقد بَطَلَ العِتابُ
تمادَوا فى الضَّلالِ فلم يتُوبوا ولو سمِعُوا صَلِيلَ السَّيفِ تابُوا

---

(١) الأبيات التالية مما لم يرو فى الديوانين.
(٢) فى الأصل: «ألفى ابنه الناس» بالفاء «فى ألفى» والإهمال فى «الناس».
(٣) هى فاطمة بنت أبى القاسم، التى سبقت ترجمتها فى ص ١٩٥.
(٤) فى اللزوم (١ : ٨٩).

وبه قال : وأنشدنى أبو تمّام غالب بن عيسى الأنصارى بمكة، أنشدنا أبو العلاء المعرّى لنفسه :[1]

أثنتى من الأيّامِ ستُّونَ حِجَّةً ... وما أمسكَتْ كفّى بِثِنْيِ عِنانِ
ولا كان لى دارٌ ولا رُبْعُ منزلٍ ... وما مسّنِى من ذاك رَوْعُ جَنانِ
تذكّرتُ أنّى هالكٌ وابنُ هالكٍ ... فهانَتْ علىّ الأرضُ والثَّقَلانِ

إلى أن قال السِّلفىّ : ومِمّا يدلُّ على صحةِ عقيدته ما سمعت الخطيب حامد بن بختيار الثُّميرى[2]، بالشَّمسانيّة[3] : (مدينة بالخابور) قال : سمعت القاضى أبا المهذب عبد المنعم ابن أحمد السروجىّ، سمعت أخى القاضى أبا الفتح يقول : دخلت على أبى العلاء التنوخىّ بالمعرة ذات يوم، فى وقت خلوةٍ، بغير علم منه، وكنت أتردّد إليه، وأقرأ عليه، فسمعته وهو يُنشد من قِيلِه[4] :

كم بُودِرتْ[5] غادةٌ كعابٌ ... وعُمِّرَتْ أمُّها العجوزُ
أحرزَها الوالدانِ خوفًا ... والقبرُ حِرزٌ لها حريزُ
يجوزُ أن تُبطِئَ المنايا ... والخُلدُ فى الدّهرِ لا يجوزُ

ثم تأوّه مرّات، وتلا قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ . وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ . يَوْمَ يَأْتِ[6] لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾، ثم صاح وبكى بكاءً شديدا،

(١) الأبيات التالية مما لم يرو فى الديوانين .

(٢) هو أبو الزاكى حامد بن بختيار بن خزوان الثميرى الشمسانى، خطيب الشمسانية، لقبه السلفى . انظر معجم البلدان .

(٣) الشمسانية كالمنسوبة إلى مثنى الشمس، كما ضبطه ياقوت . وفى الأصل : «السمسمانية» تحريف .

(٤) هذه الأبيات من شعره فى ملق السبيل .

(٥) فى الأصل : «غوردت» ورواية ملق السبيل : «هلكت» .

(٦) فى الأصل : « يأتى » . وانظر المقنع ص ٣٢ ، ٣٥ .

وطرح وجهَه على الأرض زماناً ، ثمّ رفع رأسَه ومسح وجهَه وقال : سبحانَ من تكلّم بهذا فى القِدَم ! سبحانَ من هذا كلامُه ! فصبَرت ساعةً ، ثمّ سلّمت عليه ، فردّ وقال : متى أتيت ؟ فقلت : الساعة . ثم قلت : أرى يا سيّدنا فى وجهك أثرَ غيظ ! فقال : لا يا أبا الفتح ، بل أنشدتُ شيئًا من كلام المخلوق ، وتلوتُ شيئًا من كلام الخالق ، فليحقنى ما ترى . فتحقّقتُ صحّة دينه ، وقوّة يقينه .

وبالإسناد إلى السِّلَفى ، سمعت أبا زكريا التبريزىّ اللغوىّ يقول : أفضَلُ مَن رأيتُه ممّن قرأت عليه أبو العلاء .

وسمعت أبا المكارم[1] بأبهر ، وكان من أفراد الزمان ، ثقةً ، مالكىّ المذهب ، قال : لما تُوفّى أبو العلاء اجتمع على قبره ثمانون شاعرًا ، وخُتِم فى أسبوع واحد عند القبر مائتا ختمة .

وبه قال السِّلَفىّ : هذا القدرُ الذى يمكن إيراده هنا على وجه الاختصار ، مدحا وقدحًا ، وتقريظًا وذمّا .

وفى الجملة فكان من أهل الفضل الوافر ، والأدبِ الباهر ، والمعرفةِ بالنّسب ، وأيّام العرب . قرأ القرآن بروايات ، وسمع الحديث بالشّام على ثِقات . وله فى التّوحيد و إثبات النبوّة ، وما يحضّ على الزُّهد و إحياء طرق الفتوّة والمروّة ، شعر كثير ، والمشكل منه فله ، على زعمه ، تفسير .

ولما ماتَ أوصى أن يُكتبَ على قبره :

هذا جناهُ أبى علىّ وما جنيتُ على أحَدْ

(١) هو أبو المكارم عبد الوارث بن محمد بن عبد المنعم الأبهرى ، كما ذكر ابن العديم . وقد أدرج السمعانى فى الأنساب ذكر والده « محمد » . كان أديبا فاضلا ، تلمذ لأبى العلاء . ونسبته إلى أبهر : بلدة بالقرب من زنجان .

الفلاسفة يقولون : إيجاد الولد و إخراجه إلى هـذا العالم جناية عليـه ؛ لأنه يعرَّض إلى الحوادث والآفات . والذى يظهر أنّ الرجل مات متحيِّرا ، لم يجزِم بدينٍ من الأديان . نسأل الله تعالى أن يحفظ علينا إيماننا بكرمه .

قال القِفطى : ذِكْر أسماء الكتب التى صنّفها :

قال أبو العلاء : لزمت مسكنى منذ سنةِ أربعمائة ، واجتهدت أن أتوفّر على تسبيح الله وتمجيده ، إلّا أن أُضطَرّ إلى غير ذلك . فأمليتُ أشياءَ تولّى نسخَها الشيخ أبو الحسن علىّ بن عبد الله بن أبى هاشم ، أحسن الله توفيقه ، ألزمنى بذلك حقوقا جمّة ؛ لأنّه أفنى [فىّ] زمنه ، ولم يأخذ عمّا صنع ثمنه . وهى على ضروبٍ مختلفة .

فمنها ما هو فى الزُّهد والعظات والتمجيد . فمن ذلك :

كتاب " الفصول والغايات " . وهو موضوع على حروف المعجم ، ومقداره مائة كراسة .

ومنها كتاب أنشئ فى ذكر غريب هـذا الكتاب ، لقبه " السّادِن "[1] . نحو عشرين كراسة .

وكتاب " إقليد الغايات " فى اللغة . عشر كراريس .

وكتاب " الأيك والغصون " . وهو ألف ومائتا كراسة .

وكتاب " مختلف الفصول " . نحو أربعمائة كراسة .

وكتاب " تاج الحُرّة " فى عظاتِ النساء . نحو أربعمائة كراسة .

وكتاب " الخطب " . نحو أربعين كراسة .

وكتاب تسميته " خطب الخيل " . عشر كراريس .

كتاب " خطبة الفصيح " . نحو خمس عشرة كراسة .

---

(١) فى الأصل : « الشادن » بالمعجمة . وانظر القفطى ص ٣٩ .

وكتاب يعرف بـ " مرسيلي الراموز " . نحو ثلاثين كراسة .

كتاب " لزوم ما لا يلزم " . نحو مائة وعشرين كراسة .

كتاب " زجر النابح " . أربعون كراسة .

كتاب " نجر الزجر " . مقداره كذا[1] .

كتاب " راحة اللزوم "، فى شرح كتاب لزوم ما لا يلزم . نحو مائة كراسة .

كتاب " ملق السبيل "[2] . مقداره أربع كراريس . قلت : إنما مقداره ثمان ورقات ؛ فكأنه يعنى بالكراسة زوجين من الورق .

قال : وكتاب " حماسية الراح "[3] فى ذم الخمر . نحو عشرة كراريس .

" مواعظ "[4] . خمس عشرة كراسة .

كتاب " وقفة الواعظ " .

كتاب " الحلى والحلى "[5] . عشرون كراسة .

كتاب " سجع الحمائم " . ثلاثون كراسة .

كتاب " جامع الأوزان والقوافى " . نحو ستين كراسة .

كتاب غريب ما فى هذا الكتاب . نحو عشرين كراسة .

كتاب " سقط الزند " . فيه أكثر من ثلاثة آلاف بيت ، نُظِم فى أول العمر .

كتاب " رسالة الصاهل والشاجح " . يتكلم فيه على لسان فرس وبغل . أربعون كراسة .

---

(١) انظر الحاشية رقم ٦ ص ٤٢ .

(٢) القائل هو الذهبي لا القفطى .

(٣) فى الأصل : « حماسة الراح » . صوابه ما أثبتنا من القفطى . وانظر فيه تعليل التسمية .

(٤) عند القفطى : « مواعظ الست » . وعند ياقوت : « المواعظ الست » .

(٥) كذا فى الأصل بالحاءين المهملتين . وانظر ياقوت والقفطى .

كتاب "القائف"، على معنى كليلة ودمنة . نحو ستين كراسة .

كتاب "منار القائف"، فى تفسير ما فيه من اللغة[1] والغريب . نحو عشر كراريس .

كتاب "السّجع السلطانى"، فى مخاطبات الملوك والوزراء . نحو ثمانين كراسة .

كتاب "سجع الفقيه" . ثلاثون كراسة .

كتاب "سجع المضطرين" .

"رسالة المعـــونة" .

كتاب "ذكرى حبيب" .

كتاب "تفسير شعر أبى تمام" . نحو ستين كراسة .

كتاب يتصل بشعر البحترى .

كتاب "الرياشى"[2] . أربعون كراسة .

كتاب "تعليق الخلس" .

كتاب "إسعاف الصديق" .

كتاب "قاضى الحقّ" .

كتاب "الحقير النافع" فى النحو . نحو خمس كراريس .

كتاب "المختصر الفتحى" .

كتاب "اللامع العزيزى" فى شرح شعر المتنبى . نحو مائة وعشرين كراسة .

كتاب فى الزُّهد، يعرف بكتاب "استغفر واستغفرى"، منظوم . فيـه نحو عشرة آلاف بيت .

كتاب "ديوان الرسائل" . مقداره ثمانمائة كراسة .

---

(١) سبق فى القفطى و ياقوت : « اللغز » .

(٢) فى الأصل : « الرباش » . وانظر تحقيق الاسم فى الحاشية ٣ ص ٤٦ .

كتاب " خادم الرسائل " .

كتاب " مناقب علىّ " رضى الله عنه .

" رسالة العصفورين " .

كتاب " السجعات العشر " .

كتاب " عون الجمل " .

كتاب " شرف السيف " . نحو عشرين كراسة .

كتاب " شرح بعض سيبويه " . نحو خمسين كراسة .

كتاب " الأمالى " . نحو مائة كراسة .

قال : فذلك خمسة وخمسون مصنّفا[1] ، فى نحو أربعة آلاف ومائة وعشرين كراسة .

ثم قال القِفطِىّ : وأكثر كتب أبى العلاء عُدِمت ، وإنّما وجد منها ما خرج عن المعرة قبل هجمِ[2] الكفّارِ عليها ، وقتل أهلِها . وقد أتيت قبره سنة خمس وستمائة ، فإذا هو فى ساحة بين دُورِ أهله ، وعليه باب ؛ فدخلت فإذا القبر لا آحتفال به ، ورأيت على القبر خُبّازَى يابِسة ، والموضع على غايةِ ما يكون من الشعث والإهمال .

قلت : وقد رأيت قبره أنا بعد مائة سنةٍ من رؤية القفطى ، فرأيت نحوًا ممّا حكى .

وقد ذكر بعض الفضلاء أنّه وقف على المجلّد الأول بعد المائة من كتاب " الأيك والغصون "، قال : ولا أعلم ما يعوزه بعد ذلك .

---

(١) كذا . وإنما هى فى العدد هنا خمسون مصنفا ، ولم يستوعب الخمسة والخمسين التى ذكرها القفطى ، مع فذلكتها فى ص ٤٨ .

(٢) أنظر ما كتبنا فى هذه الكلمة فى نص القفطى ٤٩ .

وقد روى عنه أبو القاسم التنوخى ، وهو من أقرانه ، والخطيب أبو زكريا التبريزى ، أحد الأعلام ، والإمام أبو المكارم عبد الوارث بن محمد الأبهرى ، والفقيه أبو تمام غالب بن عيسى الأنصارى[1] ، والخليل بن عبد الجبار القزوينى ، وأبو طاهر محمد بن أبى الصقر الأنبارى[2] ، وغير واحد .

ومرض ثلاثة أيام ، ومات فى الرابع ، ليلة جمعة من أوائل ربيع الأول من السنة .

وقد رثاه تلميذه أبو الحسن على بن همّام ، بقوله :

إنْ كنتَ لم تُرِقِ الدِّماءَ زَهادةً فلقد أرقْتَ اليومَ مِن جَفنِي دَمَا
سَيَّرْتَ ذِكرَكَ فى البلادِ كأنّه مسكٌ فسامِعةً يضمخّ أو فَمَا
وأرى الحجيجَ إذا أرادوا ليلةً ذكراكَ أخرَجَ فِديةً مَنْ أحرمَا

---

(١) هو غالب بن عيسى بن أبى يوسف الأنصارى الأندلسى ، أبو تمام . جاور بمكة ، وروى عن أبيه ، والحسن بن جعفر المالق ، وأبى العلاء المعرّى وغيرهم . وروى عنه أبو زكريا بن أيوب ، وأبو الحجاج أخوه ، والسلفى . انظر التكملة لابن الأبار فى الترجمة رقم ١٩٥٧ .

(٢) أبو طاهر محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عبد الجبار . ولد سنة ٣٧٦ ، وسمع خلقا كثيرا ، وروى عنه الخطيب . توفى سنة ٤٧٦ . انظر المنتظم .

تتمـــة المختصر فى أخبـار البشر (*)

لابن الوردى (**)

٠٠٠ — ٧٤٩

وفيها (١) :

توفى الشيخ أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان [بن أحمد بن سليمان] (٢) بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة ابن أنور بن أسحم بن أرقم بن النعمان بن عدىّ بن غطفان بن عمرو بن بريح (٣) بن جذيمة ابن تيم الله بن أسد بن وَبْرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، المعرّىء التنوخى .

قال ابن خَلِّكان فى تاريخه : كان علامة عصره، رحمه الله ، قرأ النّحو واللغة على أبيه بالمعرّة ، وعلى محمد بن عبد الله بن سعد النحوى بحلب .

وله التصانيف المشهورة، والرسائل المأثورة . وله من النظم "لزوم مالا يلزم"، خمس مجلدات ، و" سقط الزند " ، وشرحه بنفسه ، وسماه " ضوء السقط " .

(*) هو مختصر وتتمة لكتاب أبى الفداء، المسمى : « المختصر فى أخبار البشر » . اختصر فيه هذا الكتاب ، ثم ذيله بتتمة تبدأ من حيث انتهى أبو الفداء سنة ٧٠٩ ، وتنتهى إلى سنة ٧٤٩ . وانظر التعريف بكتاب أبى الفداء فى ص ١٨٦

والنص فى حوادث سنة ٤٤٩ من النسخة المطبوعة بالمطبعة الوهبية سنة ١٢٨٥ .

(**) هو عمر بن المظفر بن عمر بن محمد بن أبى الفوارس ابن الوردى ، المعرى الحلبى الشافعى . كان إماما بارعا فى اللغة والفقه والنحو والأدب، وله ديوان شعر ومصنفات شتى . انظر الشذرات والبغية والدرر الكامنة (٣ : ١٩٤). وكلمة : «المعرى» وردت فى الشذرات والبغية برسم «المصرى» وهو خطأ ؛ لأن ابن الوردى فى أثناء ترجمته لأبى العلاء ص ٢١١ من هذا النص يقول : «وأنا كنت أتعصب له ، لكونه من المعرة» فهو معرى لا ريب . ولم نعثر لابن الوردى على تاريخ لولادته .

(١) أى فى سنة ٤٤٩ (٢) التكملة من ابن خلكان. (٣) فى الأصل : «شريم» ؛ تحرف.

وبلغنا أنّ له كتاباً سمّاه "الأيك والغصون" وهو المعروف بـ"الهمزة والردف". يقارب مائة جزء فى الأدب .

قال ابن خلّكان : وحكى لى من وقف على المجلد الأوّل بعد المائة من كتاب "الهمزة والردف" وقال : لا أعلم ما كان يعوزه بعد هذا .

وكان متضلّعا من فنون الأدب، وأخذ عنه أبو القاسم علىّ بن المحسّن التّنُوخى، والخطيب أبو زكرياء يحيى التبريزى ، وغيرهما .

وكانت ولادته يوم الجمعة عند مغيب الشمس ، لثلاثٍ بقين من ربيع الأوّل سنة ثلاثٍ وستّين وثلاثمائة بالمعرّة . وعمى من الجدرىّ سنة سبع وستّين، غشى يمنى عينيه بياض ، وذهبت اليسرى جملة .

ولمّا فرغ من تصنيف كتاب "اللامع العزيزى" فى شرح شعر المتنبى، وقرئ عليه، أخذ الجماعة فى وصفه ، فقال أبو العلاء : كأنما نظر المتنبّى إلىّ بلحظ الغيب حيث يقول :

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى وأسمعتْ كلماتى مَن بهِ صَمَمُ

وآختصر ديوان أبى تمام حبيب، وشرحه، وسماه "ذكرى حبيب"؛ وديوان البحترى، وسماه "عبث الوليد"؛ وديوان المتنبى، وسماه "معجز أحمد" . وتكلّم على غريب أشعارهم ومعانيها ، ومآخذهم من غيرهم ، وما أُخذ عليهم، وتولّى الآنتصار لهم ، والنّقد فى بعض المواضع عليهم، والتوجيه فى أماكن خطَائهم .

ودخل بغداد سنة ثمانٍ وتسعين وثلاثمائة، ودخلها ثانيا سنة تسعٍ وتسعين، وأقام بها سنةً وسبعة أشهر، ثمّ رجع إلى المعرّة، ولزم منزله ، وشرع فى التصنيف، وكان يُملِى على بِضْع عشرة محبرة، فى فنون من العلوم .

وأخَذ عنه الناس، وسار إليه الطلبة من الآفاق، وكاتب العلماءَ والوزراء وأهلَ الأقدار . وسمّى نفسه "رَهْن المحبِسين"، للزومِه منزله، ولذهاب عينيه .

ومكث خمسًا وأربعين سنةً لا يأكل اللحم تديُّنا .

وعمل الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة . ومن شعره فى اللزوم :[1]

لا تطلبنَّ بآلــةٍ لك رُتبــةً قَــلمُ البليغ بغــير حَــظٍّ مِغزلُ
سكنَ السَّما كانَ السماءَ كلاهُمــا هــذا له رمحٌ وهــذا أعزَلُ

وتُوفِّى ليلة الجمعة ثالث، وقيل ثانى ربيع الأول، وقيل ثالث عَشَرِه منها .[2]

وأوصى أن يكتب على قبره هذا البيت :

هــذا جناهُ أبى علىَّ وما جنيتُ على أحَدْ

ولمــا تُوفِّى قرئ على قــبره سبعون مرثية .

وممّن رثاه تلميذه أبو الحسن على بن همام بقوله :

إنْ كنتَ لم تُرِقِ الدِّماءَ زَهــادةً فلقد أرقْتَ اليومَ من جَفنِى دَمَا
سَــيَّرتَ ذِكرَكَ فى البــلادِ كأنّه مِسكٌ فــامعــةً يُضَمَّخُ أوفَــا
وأرَى الحجيجَ إذا أرادُوا ليــلةً ذِكراكَ أخرجَ فِــديةً مَنْ أحْرَمَا

هذه خلاصةُ ما قاله القاضى شمس الدِّين بن خَلِّكان فى تاريخه .

قلت : وقول تلميذه : «لم ترق الدماءَ زهادةً» يدفــع قول من قال إنّه لم يرق الدماء فلسفةً، ونسبه إلى رأى الحكماء . وتلميذه أعرف به ممن هو غريب، يرجمه بالغيب . وماذا على من ترك اللحم — وهو من أعظم الشهوات — خمسًــا وأربعين سنة زهادة !

---

(١) لم يرد البيتان فى لزوم ما لا يلزم . وانظر الحاشية رقم ١ ص ١٨٤ من نص ابن خلكان .

(٢) أى سنة ٤٤٩ .

وقد قال المكّىّ[(١)] فى قوت القلوب[(٢)] : إباحة حلالِ الدُّنيا حَسَن ، والزُّهد فيه أحسن . ولما أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أهلُ قُباء بشربةٍ من لبن مَشُوبةٍ[(٣)] بعسل، وضع القَدَح[(٤)] من يدِه وقال : « أمَا إنّى لستُ أحرّمه، ولكنّى أتركه تواضعًا لله تعالى » . وأُتِىَ عمر بن الخطاب رضى الله عنه بشربةٍ من ماءٍ بارد وعسل ، فى يومٍ صائف، فقال : "اعزِلوا عنّى حسابها". وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن التنعُّم . وكُتُب الرقائقِ وغيرها مشحونةٌ بتركِ السَّلَفِ الصّالح للشهوات والملاذِّ الفانية ؛ رغبةً فى النعيم الباقى .

ورثاه أيضا الأمير أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن أبى حصينة المعزّى[(٥)] ، بقصيدةٍ طويلة منها :

العلمُ بعدَ أبى العلاء مُضَيَّعُ ... والأرضُ خاليةُ الجوانبِ بَلْقَعُ
أودَى وقد ملأ البِلادَ غرائبًا ... تَسرِى كما تَسرِى النُّجومُ الطُّلَّعُ
ما كنتُ أعلَمُ وهو يُودَعُ فى الثَّرى ... أنّ الثرى فيه الكواكبُ تُودَعُ
جبلٌ ظننتُ وقد تزعزع ركنُه ... أنّ الجبالَ الراسياتِ تُزعزعُ
وعجِبتُ أن تَسَعَ المعرّةُ قبرَه ... ويضيقَ بطنُ الأرض عنه الأوسعُ

(١) هو أبو طالب محمد بن على بن عطية الحارثى الواعظ . لم يكن من أهل مكة، وإنما كان من أهل الجبل، وسكن مكة فنسب إليها . وكان من كبار المتصوفين والزهاد . توفى سنة ٣٨٦ . انظر وفيات الأعيان . قال ابن الوردى : إنه ألف كتابه قوت القلوب وقوته إذ ذاك عروق البردى .

(٢) انظر قوت القلوب (١ : ٢٥٦) .

(٣) النص فى قوت القلوب : « ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل قباء أتوه بشربة من لبن » .

(٤) فى قوت القلوب : « فوضع » .

(٥) هو الحسن بن عبد الله بن أحمد بن عبد الجبار بن أبى حصينة المعرى ، الأمير أبو الفتح ، توفى فى حدود الخمسمائة . انظر الفوات (١ : ١٥٦ — ١٥٨) . وذكر ابن الوردى (١ : ٣٦٦) وكذا ياقوت أنه توفى فى سنة ٤٥٧ . وقد ترجم له ياقوت فى (٤ : ٦٤ — ٧٥) وسماه : « الحسين » وروى القصيدة التى رثى بها أبا العلاء فى ص ٧٠ — ٧١ .

لو فاضت المُهَجاتُ يومَ وفاتِه ما استُكْثِرَتْ فيهِ فكيف الأدمُعُ
تَتَصَرَّمُ الدُّنيا ويأتى بعدَه أُمَمٌ وأنتَ بمثلِهِ لا تَسمَعُ
لا تجمعِ المالَ العتيدَ وجُدْ بهِ مِن قبلِ تَرْكك كلَّ شيءٍ تَجمعُ
وإن استطعْتَ فسِرْ بسيرةِ أحمدٍ تأمَنْ خَديعةَ من يغرّ ويخدَعُ
رفَضَ الحياةَ ومات قبل مماتِه مُتَطوِّعاً بأبرِّ ما يتطوَّعُ
عينٌ تُسَهِّدُ للعفافِ وللتُّقَى أبدًا وقلبٌ للهيمنِ يخشَعُ
شِيَمٌ تجمَّلُه فهُنَّ لمجدِه تاجٌ ولكنْ بالثَّناءِ يُرَصَّعُ
جادَتْ ثراك أبا العلاء غمامةٌ كندَى يديك ومُزنةٌ لا تُقْلِعُ (١)
ما ضَيَّعَ الباكى عليكَ دُموعَه إنّ الدموعَ على سِواك تُضيعُ (٢)
قَصدتْكَ طُلّابُ العُلومِ ولا أرَى للعلمِ باباً بعد بابِك يُقْرَعُ
ماتَ الثَّنا ونعطَّلَتْ أسبابهُ وقَضَى التأدُّبُ والمَكارِمُ أجمعُ (٣)

فانظر إلى ما رثاه أيضًا به هذا الرجل ، ووَصَفَهُ به من تقاه ورفْضه للحياة ، وموته قبل الموت ، وتطوُّعه . وهو أيضًا أعلمُ به من الأجانب .

وبالجملة فقد ألّف الصاحب كمال الدين بن العديم ، رحمه الله تعالى ، فى مناقبه كتابا سمّاه : "كتاب العدل والتحرِّى ، فى دفع الظُّلم والتجرِّى ، عن أبى العلاء المعرى" وقال فيه : إنّه اعتبر من ذمّ أبا العلاء ومَن مدحه ، فوجد كلَّ من ذمّه لم يره ولا صحبه ، ووجد مَنْ لقيه هو المادح له . وهذا دليلٌ لما قلته .

وصنّف بعضُ الأعلام فى مناقبه كتابا ، وسمّاه "دفع المعرّة ، عن شيخ المعرّة" . وفى هذين الكتابين فصول من نوادر ذكائه ، وإجابة دعائه ، والاعتذار عن طعن أعدائه .

---

(١) فى معجم الأدباء : «يضر» . (٢) فى الأصل : «ومزنه لا يقلع» تحريف ، صوابه فى المعجم .
(٣) رواية ياقوت : « إن البكاء على سواك مضيع » .
(٤) رواية ياقوت : « وقضى العلا والعلم بعدك أجمع » .

وأنا كنت أتعصّب له، لكونه من المعرة، ثمّ وقفت له على كتاب "استغفر واستغفرى"، فأبغضته، وازددت عنه نفرة. ونظرت له فى كتاب "لزوم ما لا يلزم"، فرأيت النبرِّى منه أحزم؛ فإنّ هذين الكتابين يدلّان على أنّه كان لمّا[1] نظمهما هائما حائرا، ومذبذبا نافرا، يُقرّ فيهما أنّ الحق قد خفى عليه، ويودّ لو ظفِر باليقين، فأخذه بكلتا يديه، كما قال فى مرثية أبيه:

طلبتُ يقينًا من جُهَينةَ عنهُم ... ولم تُخبِرِينى[2] يا جُهين سِوى ظَنّ

فإن تعوِّدينى لا أزالُ مسائِلًا ... فإنّى لم أُعْطَ الصَّحيحَ فأستغنِى

ثمّ وقفت له على كتاب "ضوء السقط"، الذى أملاه على الشيخ أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الأصبهانى، الذى لازم الشّيخ إلى أن مات، ثم أقام بحلب يروى عنه كتبه، فكان هذا الكتاب عندى مصلحًا لفساده، موضّحا لرجوعه إلى الحقّ وصحة اعتقاده؛ فإنّه كتاب يحكم بصحّة إسلامه مؤُولا، ويتلو لمن وقف عليه بعد كتبه المتقدّمة: ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾؛ فلقد ضمّن هذا الكتاب ما يثلِج الصدر، ويلذّ السمع، ويُقرّ العين، ويسرّ القلب، ويطلق اليد، ويثبّت القَدَم، من تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرِ بريّته، والتقرب إلى الله بمدائح الأشراف من ذرّيّته، وتبجيلِ الصحابةِ والرضا عنهم، والأدبِ عند ذكر ما يتلقّى منهم، وإيراد محاسنَ من التفسير، والإقرار بالبعث والإشفاق من اليوم العسير، وتضليل من أنكر المعاد، والترغيب فى أذكار الله والأوراد، والخضوع للشريعة المحمّدية وتعظيمها، وهو خاتمة كتبه، والأعمال بخواتيمها.

---

(١) فى الأصل: «عالما».

(٢) فى السقط (١ : ١٩٧): «ولن تخبرينى».

وقد يُعْـذَر من ذمّه، واستحلَّ شتمه؛ فإنّه عوّل على مبادئ أمره ، وأوسـط شعرِه . ويعذر من أحبّه ، وحَرَّم سبّه؛ فإنّه اطّلع على صلاح سِرّه ، وما صار إليه فى آخر عمره : من الإنابة التى كان أهلَها ، والتّوبة التى تجُبُّ ما قبلها .

وكان يقول — رحمه الله — : أنا شيخ مكذوبٌ عليه .

ولقـد أغرَتْ به حُسّادُه وزيرَ حلب، فجهّز لإحضارِه خمسين فارساً ليقتله، فأنزلهم أبو العلاء فى مجلس له بالمعَرّة، فاجتمع بنو عمّه إليـه وتألّموا لذلك. فقال : إن لى ربًّا يمنعنى ! ثم قال كلاما ، منه ما لم يفهم . وقال : الضيوفَ الضيوف ! الوزير الوزير ! فوقع المجلس على الخمسين فارسا فماتوا، ووقع الحمّام على الوزير بحلب فمات . فمن النـاس مَن زعم أنّه قتلهم بدعائه وتهجُّده . ومنهم من زعم أنه قتلهم بسِحره ورصده .

ووضع أبو طاهر الحافظ السِّلفىّ كتابًا فى أخبار أبى العلاء، وقال فيه مُسنِدًا عن القاضى أبى الطيِّب[1] الطبرىّ رحمه الله :

كتبت إلى أبى العلاء المعرّى حين وافى بغداد، وقد كان نزل فى سُويقة غالب :

وما ذاتُ دَرٍّ لا يَحِـلُّ لحالبٍ ... تَنـاوُلُهُ واللَّحْـمُ منهـا مُحَـلَّلُ

لمن شاءَ فى الحالين حَيًّا ومَيِّتًا ... ومن رام شُربَ الدَّرِّ فهو مُضَلَّلُ

إذا طَعنتْ فى السِّنّ فاللحمُ طيِّبٌ ... وآكِلُه عنـد الجميـع مُعَـقَّلُ[2]

وخِرفانُها للأكلِ فيهـا كَـزازَةٌ ... فـا لحصيف الرأى فيهنّ ما كَلُ

وما يجتَـنِي معنـاهُ إلّا مُـبَرِّزٌ ... علـيمٌ بأسرارِ القـلوبِ مُحَصِّـلُ

(١) هو أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الطبرى القاضى الفقيه الشافعى . ونسبته إلى طبرستان . ولد بآمل قصبة طبرستان سنة ٣٤٨ ، وتوفى سـنة ٤٥٠ ببغداد . انظر وفيات الأعيان وطبقات الشافعية (٣ : ١٧٦ — ١٩٧) .

(٢) عقله : عدّه عاقلا . وفى الوفيات : « مغفل » تحريف .

فأجابنى وأملى على الرسول فى الحال[1] :

جوابانِ عن هـذا السؤالِ كلاهما صوابٌ، وبعضُ القائلين مُضلِّلُ
فمَنْ ظنَّهُ كَرْمًا فليس بكاذبٍ ومن ظنَّـهُ نَخْـلًا فليس يُجَهِّـلُ
لحومُهما الأعنابُ والرُّطَبُ الذى هو الحِلُّ، والدُّرُّ الرحيقُ المُسَلسَلُ
ولكنْ ثِمـارُ النَّخلِ وهى غَضيضة[2] ثُمِرُّ وغَضُّ الكرْمِ يُجنَى فيؤكلُ
يكلِّفنى القـاضِى الجليلُ مَسائلًا هى النَّجمُ قدْرًا بل أعزُّ وأطولُ
ولو لم أُجِبْ عنها لكنتُ بجهلها جديرًا ولكن مَنْ يودُّك مُقْبِلُ

قال القاضى أبو الطيِّب : فأجبته عنه وقلت :

أنار[3] ضميـرِى مَنْ يَعِـزّ نظيرُهُ من النَّاسِ طُرًّا سابقُ الفضل مُكْمَلُ
ومَنْ قلبُـه كُتْبُ العلومِ بأسْرِها وخاطـرُه فى حِدَّةِ النَّـارِ مُشعَلُ
تَسَاوَى له سِرُّ المعـانى وجَهرُها ومُعضِلُها بادٍ لَـدَيْه مُفَصَّـلُ
ولمّـا أثار الحَبءَ فادَى مَعِينُه[4] أسـيرًا بأنـواع البيـان يُكَبَّلُ
وقرّبه مِن كلِّ فهـمٍ بكشفه وإيضاحِه حـتّى رآه المغفَّلُ
وأعجَبُ منـه نَظْمُهُ الدُّرَّ مُسرِعا ومرتجِلًا من غير ما يتمهَّـلُ
فيخرُجُ من بحـرٍ ويسمو مكانُه جلالًا إلى حيثُ الكواكبُ تنزِلُ
فهـنّاه اللهُ الكريمُ بفضـلِه مَحَاسـنَه والعمرُ فيهـا مَطـوَّلُ

---

(١) الأبيات التالية مما لم يرو فى الديوانين .

(٢) الغضيض : الثمر أول مايطلع . انظر اللسان (٩ : ٦٠ س ١٨) . وفى الأصل : « رطيبة » تحريف صوابه فى مسالك الأبصار والوفيات .

(٣) فى الأصل وكذا فى الوفيات : « أثار » صوابه فى المسالك .

(٤) فى الأصل : «فار معينه» وفى المسالك والوفيات : «قاد منيعه» ، صوابهما ما أثبتنا .

فأملى أبو العلاء [على] الرسول مرتجلا[1] :

ألا أيُّها القاضى الذى بدهائه ... سيوفٌ على أهلِ الخلاف تُسلَّلُ
فؤادك معمورٌ من العلم آهلٌ ... وجَدُّك فى كُلِّ المسائلِ مُقْبِلُ
فإنْ كنتَ بين الناس غيرَ مموَّلٍ ... فأنت من الفهم المُصُون مموَّلُ
إذا أنتَ خاطبتَ الخُصوم مُجادِلاً ... فأنت، وهم مثل الحمائم، أجدَلُ
كأنّك من فِى الشافعىِّ مُخاطِبٌ ... ومن قلبه تُمْلِى فما تتمهَّلُ
وكيف يُرى علمُ ابن إدريسَ دارِسًا ... وأنتَ بإيضاح الهُدى مُتكفِّلُ
تفضَّلتَ حتَّى ضاق ذرعى بشكرِ ما ... فَعلتَ وكفَّى عن جوابك أجمَلُ
لأنّك فى كُنْهِ الثُّريَّا فصاحةً ... وأعلى ومَن يبغِى مكانَكَ أسفَلُ
فعُذرِىَ فى أنِّى أجبتُكَ واثِقًا ... بفَضلِك والإنسانُ يسهو ويَذْهَلُ
وأخطأتُ فى إنفاذِ رقعتِك التى ... هى المجدُ لى منها أخيرٌ وأَولُ
ولكنْ عدانى أن أرومَ احتفاظَها ... رسولُك وهو الفاضل المتفضِّلُ
ومِن حقِّها أن يُصبِحَ المسكُ غامرًا ... لها، وهى فى أعلى المواضِعِ تُجعَلُ
فمن كانَ فى أشعاره مُتمثِّلاً ... فأنت امرؤٌ فى العِلمِ والشعرِ أمثَلُ
تجمَّلتِ الدُّنيا بأنّك فوقَها ... ومثلُكَ حقًّا من بِهِ يُتجمَّلُ[2]

فشهادة أبى الطيب فى الشَّيخ مقدَّمةٌ على شهادةِ الغير. وحسنُ الظنّ — وخصوصًا بالعلماء — قد دلَّ عليه القرآنُ والحديث، وهو لا يأتى إلّا بخير.

---

(١) الأبيات التالية مما لم يرو فى الديوانين.

(٢) فى الوفيات : «تجمل».

وكان شيخنا عَبْسٌ[1] حسن العقيدة فيه، واعتراف الطبرىّ له ومدْحُه يكفيه :

شهادة الطـبرىِّ الحَـبرِ كافيـةٌ أبا العلاءِ فقُلْ ما شِئتَ أو فـذَرِ
مَنْ أغمَدَ السَّيفَ عنه كان فى دَعةٍ ومن نَضَى السَّيفَ قابلناه بالطَّبَرِ[2]

وقال لى يوما بعضُ أصحابى من الأمراءِ ذوى الفهم : كيف كان أبو العلاء فى اعتقادِهِ البعث ؟ فأنشدته قولَه[3] :

فيا وطنى إنْ فاتنِي مِـنكَ سابقٌ من الدَّهرِ فلينعَمْ لساكِنِك البـالُ
وإن أستطِعْ فى الحشْرِ آتِك زائرًا وهيهاتَ ! لى يوم القيامةِ أشغالُ

وبلغنى أنّ بعضَهم زعم أنّ أبا العلاء كان ينكر النبوّاتِ . فهـذا مردود بِقول أبى العلاء :

عجِبت وقـد جُزتِ الصَّراةَ رِفَلَّةً وما خِضلَتْ مِمّا تَمُر بَلْتِ أذيالُ
أَعُمْتِ إلينـا أم فِعالَ ابنِ مريمٍ فعلتِ، وهلْ يُعطَى النبوّة مِكسالُ

وقوله فى شريف[4] :

يابنَ الذى بلسـانه وبيـانِه هُـدِىَ الأنامُ ونُزِّلَ التـنزيلُ
عَن فضلِهِ نطق الكِتابُ وبَشَّرَتْ بقـدومِه التـوراةُ والإنجيـلُ

وقوله فى الشريف أبى إبراهيم العلوىّ الموسوى[5] :

يا بنَ مُستَعرِضِ الصُّفوفِ ببـدرٍ ومُبيدِ الجُمـوعِ من غَطَفانِ
أحدِ الخمسـةِ الذين هُـمُ الأغـ ـرَاضُ من كلِّ منطقٍ والمعـانِى

(١) هو عبس، بفتح أوله وسكون الموحدة ثم مهملة، ابن عيسى بن على بن علوان العليمى الدمشقى الزاهد . كانت إقامته بقرية قرب المعرّة، يقال لها مرجة، وبها مات سنة ٧٠٧ . انظر الدرر الكامنة (٢ : ٤٣٢ — ٤٣٣) .

(٢) الطبر : الفأس يقطع بها الشجر ونحوه . معرب « تبر » الفارسية . انظر تاج العروس (٢ : ٥٧٢) واستينجاس ٢٧٩ . وفى الأصل « الطبرى » .

(٣) البيتان من قصيدة فى سقط الزند (٢ : ٤٦) .

(٤) من قصيدة فى سقط الزند (١ : ١٨٣) .

(٥) من قصيدة فى سقط الزند (١ : ٩٠) .

والشُّخوص التى خُلِقن[1] ضياءً قبل خلقِ المزيخ والميزانِ
قبلَ أن تُخلَقَ السَّماواتُ أو تؤ مَرَ أفلاكُهُنَّ بالدَّورانِ
وافق اسمُ ابنِ أحمدَ اسم رَسولِ الـ ـله لمَّا توافقَ المعنيانِ
يا أبا إبرهيم قَصَّر عنك الـ ـشِّعرُ لمَّا وُصِفْتَ بالقرآنِ
أُشرِبَ العالَمونَ حُبَّكَ طبعا فهْو فرضٌ فى سائرِ الأديانِ

وقوله[2] :

أيدفَعُ مُعْجزاتِ الرُّسْلِ قومٌ وفيكَ وفى بديهتِكَ آعتبارُ

وقد طالت هذه الترجمة؛ فإنّى رأيت المؤلِّف[3]، سامحه الله، غضَّ من الشيخ، حببت ان أُنبِّه على ذلك . والله أعلم .

---

(١) فى الأصل : « الذى » .

(٢) من قصيدة فى سقط الزند (١ : ١٧٢) .

(٣) يعنى أبا الفداء الذى صنع ابن الوردى هذا الكتاب اختصارا وتتمما له .

مسالك الأبصار (*)

لابن فضل الله العمرى (**)

٧٠٠ — ٧٤٩

أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى المعرّى . تُوفِّى سنة تسعٍ وأربعين وأربعمائة .

رفض الدُّنيا وما سلِم ، وفرض غاياتها فعمل بما علم ، وتداوى باليأس من مطامعها ودَارى الناسَ بترك حَظِّه لهم ، ومع هذا ظُلِم . نفض يديه من الدنيا وساكِنها ، وخفض لديه قدر محاسنها ، وانقطع فى بيتٍ كان له بالمعرّة لا يخرج منه إلّا إلى مسجده ، ولا ينهج طريقًا إلّا إلى تهجُّده ؛ وأخذ نفسه بالقناعة حتى صارت جُنَّةً تقيه المطامع (١) ، ومُنَّةً تقوِّيه على مغالبة الأمل الطامع . وترك أكل لحوم الحيوان ، وعموم ما يجرى مجراها من الأعسال والألبان ؛ ومال فى هذا إلى رأى الحكماء ، وقال بمذهب البراهمة فى تجنُّب إراقة الدِّماء .

(*) مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار . مؤلف كبير فى قسمين : الأول فى وصف الأرض ومسالكها وممالكها ، والثانى فى سكانها . وقد رتب مؤلفه ما بعد الهجرة على السنين ، وانتهى فيه إلى سنة ٧٤٣ .

ويقع النص فى القسم الثانى من الجزء العاشر ص ٢٨٢ — ٣١٩ من نسخة مصورة محفوظة بدار الكتب برقم ٢٥٦٨ تاريخ فى ثلاثة وأربعين مجلدا .

(**) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله بن مجلى القرشى العمرى الشافعى القاضى ، المعروف بابن فضل الله العمرى . ولد بدمشق ، وسمع بالقاهرة ودمشق . وتخرج فى الأدب بوالده وبالشهاب محمود . وباشر كتابة السر بمصر ، ثم بدمشق . وتوفى شهيدا بالطاعون . انظر شذرات الذهب . وتاريخ ابن الوردى (٢ : ٣٥٤) . وذكر ابن الوردى وفاته فى آخر كتابه .

(١) فى الأصل : « المطالع » .

وكان قد طلع عليه وهو فى الرابعة من عمره جُدَرِىٌّ ذهب ببصره، وأفقده نورَ نظاره . فلما كبر سمّى نفسه "رَهْن المحبسين"، يعنى بهما الدُّنيا والعمى .

وكان أبو العلاء من بيتٍ أطلع جماعةً من الفضلاء، وأَطْلَع[1] نَبْذَةَ العُلَا بأبى العلاء. وكان مطّلعًا على العلوم، لا يخلو فى عِلم من الأخذ بطرف ، متبحِّرًا فى اللغة، متّسع النطاق فى العربيــة ، جامع الشُّــعوب للطُّرق الأدبيّــة ؛ نَدْرة[2] فى العالم ، وشَذْرةً فى بنى آدم ؛ ما ولدت مثلَه الليالى، ولا أَوجدت شبيهَهُ المعالى .

وله من الكتب المصنَّفة والدواوين المدوّنة ، ما اشتهر ذِكره ، وظهر من ذلك البحر دُرّه؛ وهو عددٌ لا تُعْقد جُمَله، ولا يحصى منه ما أحرزه عمله ؛ عَقِمت القرائح بأمثالها، وعدِمت الجوارح أن تُضَمّ على مثالها : من كَلِمٍ غريبــةِ المعانى أنفس من العقود، وحِكَم قريبة الوصول تشقُّ القلوبَ قبل الجلود .

وله من بدائع النظم والنثر ثمراها ، ومن روائع العِلم والعمل سَمَراها[3] ، ومن يانع ما تجنِي المسامع والأبصار ثمراها . هذا على انقطاعٍ حتّى عن نفسه، وامتناعٍ حتّى عن أنسه، ونِفارٍ حتى من ظِله ، وحِذارٍ حتى مما يجالسه من فضله ؛ مع ما مُنِي به من فقدِ حاسّة بصرِه ، ورُمِى به من عدم حامّة[4] معشره ؛ وخلوّه ممّن يماثله فى بلده، ويراسله فيما يأخذ فى جُدَيده؛ وأطّراحه للمذاكرة، وانتزاحه عن المحاضرة؛ واشــتغاله أكثر الأوقات بالفِكر فى معاده، والذِّكر لمــا يحتاج أن يستصحبه من زاده؛ والتأهب للسفر، والتوثُّب مستوفِزًا ليكون فى أوّل النَّفَر . إلا أنّه كان مع هذا مذهبه ألّا يفارق

---

(١) فى الأصل : « أقطع » .

(٢) الندرة، بفتح النون : القطعة من الذهب توجد فى المعدن .

(٣) مثنى سمر، وهو ما يسمر به .

(٤) حامة الرجل بتشديد الميم : خاصته من أهله .

إلّا ونفسُــه كاملة بالمعارف ، عاملةٌ على ألّا يفوتها شيء من العوارف ؛ لترقى روحه إلى عالمها ، وتترقّى[1] بُروجَ القبولِ فى مَعالمها ؛ ولا تخرج إلّا وهى بالعلوم مرتسمة ، و بالفنون متّسِمة[2] . فهذا الذى كان يثير عزمَه الساكن ، وعِلمَه إلى أشرف الأماكن . وكان ممّن أُوتِىَ ذكاءً تتوقّد زجاجتُه ، وغَناءً تبلغ به فوق الكفاية حاجتُه . والنّاس فيه بين مكفّرٍ ومعتقدٍ له الولاية[3] ، وما بين بين هذه الغاية .

واحتجّ الصاحب كمال الدين أبو القاسم عُمر بن أبى جرادة المعروف بابن العديم ، رحمه الله ، له فى المآخذ التى أُخذت عليه ، ونفذت بهــا سهامُ المؤاخذة إليه ؛ وألّف فى هــذا تأليفًا سمّاه " الإنصاف والتحرى ، فى دفع الظلم والتجرّى ، عن أبى العلاء المعرى " ، قال فيه :

" إنّنى وقفتُ على جمــلةٍ من مصنّفات عالم معرّة النعمان ، أبى العلاء أحمــد ابن عبد الله بن سليمان المعرّىّ[4] ، فوجدتها مشحونةً بالفصاحة والبيان ، مُودَعةً فنونا من الفوائد الحِسان ؛ محتوية على أنواع الآداب[5] ، مشتملة من علوم العــرب على الخالص واللُّباب ؛ لا يجــد الطامحُ فيهــا سَقطةً ، ولا يُدرِك الكاشح فيهــا غَلطة . ولمّــا كانت هذه الأوصاف ، متميِّزةً على غيرها عنــد أهل الإنصاف ، قصده جماعةٌ لم يَعُوا وَعْيه[6] ، وحســدوه إذْ لم ينالوا ســعيه ؛ فتتبّعوا كتبه على وجه الانتقاد ، ووجدوها خاليةً من الزّيغ والفساد ؛ فحين علِموا سلامتَها من العيب والشّين ، سلكوا

---

(١) فى الأصل : « وتتلق » .

(٢) فى الأصل : « وللقلوب مبتسمة » . (٣) كذا فى الأصل .

(٤) هذه الكلمة ليست فى نص ابن العديم ، الذى يبدو أنه التزم السجع فى هذا الموضع .

(٥) فى الأصل : «الأدب» وتمام السجع يقتضى ما أثبتنا من الإنصاف .

(٦) فى الأصل : « لم يعوا عنه وعيه » ، والوجه ما أثبتنا من الإنصاف .

فيها مسلك الكذِب والمين؛ ورمَوه بالإلحاد والتّعطيل، والعدول عن سواء السبيل . فمنهم من وضع على لسانه أقوالَ الملحدة، ومنهم من حمل كلامه على غير المعنى الذى قصده؛ فجعلوا محاسنه عيوبا، وحسناتِه ذنوبا؛ وعقله حُمقا، وزهده فِسقا؛ ورشقوه باليم السهام، وأخرجوه عن الدِّين والإسلام؛ وحرَّفوا كَلِمَه عن مواضعه، وأوقعوه فى غير موافعه . ولو نظر الطّاعن كلامَه بعين الرضا، وأغمد سيفَ الحسَد مَنْ عليه آنتضى، لَأَوسَعَ له صدرًا وشرح، وآستحسن ماذَمّ ومدح . لكن جرى الزّمانُ على عاداته، فى مطالبة أهل الفضل بتراته، وقصـدِهم بإساءاته(١)؛ فسلّط عليهم أبناءه، وجعلهم أعداءه، فقصدوه بالطعن والإساءة . واللبيب مقصود، والأديب عن بلوغ الغرض مصدود، وكلُّ ذى نِعمة محسـود . ومن سلك فى الفصاحة مسلكَه، وأدرك من أنواع العلوم ما أدركه؛ وقصد فى كتبه الغريب، وأودَعها كلَّ معنًى غريب، كان للطّاعن سبيلٌ إلى عكس معانِيها وقلبها، وتحريفها عن وجوهها المقصودة وسَلْبها . ألا ترى إلى كتاب الله العزيز، المحتوِى على المنع والتجويز، الذى لا يقبل التبديل فى شىءٍ من صُحفه، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خَلْفه؛ كيف أحال جماعةٌ من أرباب [باطل](٢) الأقاويل، تأويلَه إلى غير وجه التأويل؛ فصرفوا تأويله إلى ما أرادوا، فما أحسنوا فى ذلك ولا أجادوا؛ فما ظنُّـك بكلامِ رجلٍ من البشر، ليس بمعصوم إن زلّ أو عثر؛ وقد تعمّق فى فصيح الكلام، وأتى بما لا يتيسّر لغيره ولا يرام؛ وأودعها فى كلامه أحسنَ إيداع، وأبرزها فى النّظم البديع والأسجاع، إذا قصد بعضُ الحساد(٣)، فحمل كلامَه على غير ما أراد .

---

(١) فى الأصل : « وقصدتهم بإساته » ، صوابه فى ابن العديم .

(٢) التكملة من ابن العديم .

(٣) فى الإنصاف : « قصده » .

وقد وضع أبو العلاء كتاباً، وسمّاه بـ"زجر النابح"[1]، أبطل فيه طعنَ المزرِى عليه والقادح ؛ و بيَّن فيه عذره الصحيح ، و إيمانه الصريح، ووجهَ كلامِه الفصيح . ثم أتبع ذلك بكتابٍ وسَمَه بـ"نجر الزَّجر"، بيَّن فيه مواضعَ طعنوا بها عليه بيان الفَجْر؛ فلم يمنعهم زجرُه، ولا اتّضح لهم عذرُه، بل تحقَّق عندهم كفره؛ وأصروا على ذلك وداموا، وعنّفوا من آنتصر له ولاموا، وقعدوا فى أمره وقاموا؛ فلم يرعَوا له حُرمة، ولا أكرموا عِلمه، ولا راقبوا فيه إلًّا ولا ذمة؛ حتّى حكَوا كُفره بالأسانيد ، وشدّدوا فى ذلك غاية التشديد، وكفَّره من جاء بعدهم بالتقليد . فابتدرتُ دونَه مناضلًا، وآنتصبت عنه مجادلا، وآنتدبت لمحاسنه[2] ناقلا .

وذكرت فى هذا الكتاب مولدَه ونسبه، وتحصيله للعلم وطلبه، ودِينه الصحيح ومذهبه؛ وورعه الشديد وزهده، وآجتهاده القوىّ وجِدّه ، وطعن القادح عليه وردّه، ودفع الظُّلم عنه وصدّه .

انتهى كلام الصاحب كمال الدين بن العديم فى صدر تأليفه .

ثمّ أخذ يقصُّ أخباره، و يستقصى آثاره .

وأنا ذاكرٌ ما حكاه نكتًا أختصرها وأقتصرها . أُورده على لطائف أُلحقها بعبارة تحصرها .

وأما بلده فمعرّة النعمان ، بها ولد . والصحيح أنّها تنسب إلى النعمان بن بشير الأنصارىّ، وكان واليًا على حِمص وقِنَّسْرين فى ولاية معاوية وآبنه يزيد، ومات للنُّعمان بها ولد، وجدّد عمارتَها، فنسبتْ إليه، وكانت تسمَّى "ذات القصور" .

---

(١) فى الأصل : « بزجر النائح » .

(٢) فى الأصل : « بمحاسنه » وصوابه فى ابن العديم .

وأمّا نسبه، فمن تنوخ، وأمّا بيته فسادةٌ لهم فى الفضل رُسُوخ غير منسوخ؛ منهم قضاة الأمّة، والفضلاء الأئمّة، والعلماء أصحاب العلوم الجمة، والأدباء المنطَقون بالحكمة، والشعراء الذين اغتصبوا البحر درّهُ والفلك نجمه؛ والخطباء أهل الورع، والأثبات الذين أحيَوُا السّنّة وأماتوا البِدع، ممّا لا يتسع التأليف لإحصائهم، وحصر أسمائهم. وإنما نحن بصدد ذِكر أبى العلاء على التخصيص، والإشادة من مجده بما يكاد أن يلحق بشواهد التنصيص.

قرأ القرآن العظيم بالروايات على جماعةٍ من الشُّيوخ، وتَوسَّعَ فى اللّغة والنحو، ورحل إلى بغداد فى طلب العلم، وروى الحديث، وخرّج من حديثه سبعة أجزاء رُويت عنه.

وفى بعض رسائله يقول: وأحلف ما سافرت أستكثر[من](٢) النَّشَب(١)، ولا أتكثّر بلقاء الرّجال، ولكن آثرت الإقامة بدار العلم، فشاهدت أنفس مكان لم يسعف الزّمن بإقامتى فيه.

وأخذ عنه خلقٌ لا يعلمهم إلّا الله عز وجل، كلُّهم قضاة وأئمّة وخُطباء وأهل تبحُّر وديانات، واستفادوا منه، ولم يذكره أحدٌ منهم بطعن، ولم ينسب حديثه إلى ضعف ولا وهن. وكان له أربعة من الكتّاب المجوّدين [فى جرايته] وجارِيه(٤)، يكتبون عنه ما يكتبه إلى الناس وما يمليه، من النظم والنثر، والتصانيف والإجازات

(١) فى الأصل: «استكثرت».

(٢) التكملة من الإنصاف ورسائل أبى العلاء.

(٣) فى الأصل وكذا فى الإنصاف: «ما كان» ولها وجه. وأثبتنا ما فى الرسائل ص ٣٤ مرجليوث.

(٤) فى الأصل: «وجاره» مع إسقاط الكلمتين قبلها. والتصحيح والإكمال من الإنصاف.

والسماع لمن يسمع منه ويستجيزه ، وغير هؤلاء من الكتّاب الذين يغيبون ويحضرون ، منهم جماعة من بنى [أبى[1]] هاشم .

وله رسالة تعرف بـ "رسالة الضّبعين"، كتبها إلى معزّ الدولة ثِمال بن صالح ، يشكو إليه رجلَين كانا يؤلّبان عليه، وقد حرّفا بيتا من "لزوم مالا يلزم"، قال فيها :

وفى حلب ، حماها الله ، نُسَخٌ من هذا الكتاب بخطوط قوم ثِقاتٍ، يعرفون بنى أبى هاشم، أحرار نَسَكة ، أيديهم بحبل الورع متمسّكة ؛ جرت عادتهم أن ينسخوا[2] ما أُمليه، و إن أُحضِرتْ[3] ظهرت الحجّة بما قلت فيه .

واتّفق يوم وصوله إلى بغداد موت الشريف الطاهر ، يعنى أبا أحمد الحسين ابن موسى والد الشريفين : الرضىّ والمرتضَى، فدخل أبو العلاء إلى عزائه والناس مجتمعون ، والمجلس غاصّ بأهله ، فتخطّى بعضَ الناس، فقال له بعضُهم ولم يعرفْه : إلى أين يا كلب !! فقال : الكلب من لا يعرف للكلب كذا وكذا اسمًا[4] ، ثم جلس فى أخريات المجلس ، إلى أن قام الشعراء وأنشدوا ، فقام أبو العلاء وأنشد قصيدتَه التى أوّلها :

أودَى فليتَ الحادثاتِ كَفَافِ مالُ[5] المسيفِ وعنبرُ المستافِ

يرثى بها الشّريف المذكور . فلما سمعه ولداه الرضىّ والمرتضَى قاما إليه ورفعا مجلسه ، وقالا له : لعلّك أبو العلاء المعرى ؟ قال : نعم . فأكرماه واحترماه .

---

(١) تكملة يقتضيها السياق . ومن هؤلاء القوم تلميذه على بن عبد الله بن أبى هاشم . انظر القفطى والذهبى وياقوت . (٢) فى الأصل : « يفسحوا » .

(٣) أى أحضرت النسخ السالفة الذكر . وفى الأصل : « احصرت » بالإهمال ، تحريف صوابه فى الإنصاف .

(٤) قد جمع السيوطى هذه الأسماء فى كتابه "التبرى من معرة المعرى" وسيأتى بعد فى موضعه .

(٥) فى الأصل : « ما السيف » صوابه فى سقط الزند (٢ : ٥٥) .

ثم إن أبا العلاء بعد ذلك طلب أنْ تُعرض عليه الكتب التى فى خزائن بغداذ ، فأُدخل إليها، وجعل لا يُقرأ عليه كتابٌ إلّا حفِظ جميعَ ما يُقرأ عليه .

وقال الشّعر وهو آبن إحدى عشرة أو آثنتى عشرة سنة .

وقيل له : بم بلغت هذه الرتبة فى العلم ؟ فقال : ما سمعتُ شيئًا إلا حفِظتُه ، وما حفظتُ شيئا فأُنسيته .

وحكى عنه تلميذُه أبو زكريّاء التّبريزى، أنّه كان قاعدًا فى مَسجده بمعرّة النُّعمان يقرأ عليه شيئًا من تصانيفه ، قال : وكنت قد أتممتُ عنده سنتَين ولم أر أحدًا من بلدى، فدخل مغافصةً[1] المسجدَ بعضُ جيراننا للصّلاة ، فرأيتُه وعرفتُه، وتغيّرت من الفرح . فقال لى أبو العلاء : ما أصابك ؟ فحكيت له أنّى رأيتُ جارًا بعد أن لم ألْقَ أحدًا من بلدى منذُ سنتين . فقال لى : قم وكلّمْه، فقلت : حتّى أتمم السّبق[2]. فقال : قم، أنا أنتظرك . فقمت وكلّمته بالأذربيجية شيئا كثيرا، إلى أن سألت عمّا أردت . فلمّا فرغت وقعدتُ بين يديه قال لى : أىّ لسانٍ هذا؟ قلت : هذا لسان أهل أذربيجان . فقال : ما عرَفتُ اللّسان ولا فهمتُه ، غير أنّى حفظتُ ما قلتَه، ثم أعاد لفظَنا بلفظِ ما قلنا . بفعل جارى يتعجّب غاية التعجُّب، ويقول: كيف حفِظ شيئاً لم يفهَمْه !

وقال هبةُ الله بن موسى : كنتُ أسمع من أخبار أبى العلاء وما أُوتيَه من البَسطة فى علم اللّسان ما يُكثر تعجُّبى منه . فلمّا وصلتُ المعرّةَ قاصدًا الدّيار المصرية لم أُقدّم شيئًا على لقائه، فحضرتُ إليه ومعى أخى، وكنت بصدد أشغالٍ يحتاج إليها

(١) مغافصة : مفاجأة .

(٢) السبق ، بالتحريك ، يراد به الدرس . ولم تنص عليه معاجم اللغة . ولا تزال تستعمل عند الفرس بهذا المعنى . انظر استينجاس ص ٦٤٩ .

المسافر ، فلم أسمح بمفارقته والاشتغال بها ، فتحدّث معى أخى حديثًا باللسان الفارسىّ ، فأرشدتُه إلى ما يعمله فيها ؛ ثمّ غدوتُ إلى مذاكرة أبى العلاء ، فتجاذبنا الحديث ، إلى أن ذكرتُ ما وُصف به من سرعة الحِفْظ وسألته أن يُرِيَنى من ذلك ما أحكيه عنه ؛ فقال : خُذْ كتابًا من هذه الخزانة القريبة منك فاذكُرْ أوّله ، فإنّى أُورده عليكَ حِفْظا . فقلت : كتابُك ليس بغريبٍ إن حفظته . قال : قد دار بينك وبين أخيك كلامٌ بالفارسية ، إن شئتَ أعدته عليك . قلت : أعده . فأعاده وما أخلّ والله منه بحرف ، ولم يكن يعرف اللُّغة الفارسيّة .

وكان لأبى العلاء جارٌ أعجمىٌّ بمعرّة النعمان ، فغاب فى بعض حوائجه ، فحضر رجلٌ غريب أعجمىّ مجتازٌ ، قد قدِم من بلاد العجم ، فطلبه ، ولم يُمكنْه المقام ، وهو لا يعرف اللّسان العربىّ . فأشار إليه أبو العلاء أن يذكُر حاجتَه إليه . فجعل يتكلّم بالفارسيّة وأبو العلاء يصغى إليه ، إلى أن فرغ من كلامه وهو لا يفهم ما يقول . ومضى الرجل ، وقدِم جار أبى العلاء العجمىّ الغائب ، وحضر عند أبى العلاء ، فذكر له حالَ الرّجل وطلبَه له ، وجعل يُعيد عليه ماقال بالفارسيّة ، والرجل يستغيث ويلطِم على رأسه ، إلى أن فرغ أبو العلاء . وسُئل عن حاله ، فأخبرهم أنه أخبر بموت أبيه وإخوته وجماعةٍ من أهله . أو كما قال .

ومن ذكائه وحفظه ، أنّ جارًا له سَمّانًا كان بينه وبين رجل من أهل المعرّة معاملة ، فجاءه ذلك الرّجل ، ودفع إليه السّمّان رقاعًا كتبها إليه يستدعى فيها حوائج له . وكان أبو العلاء فى غُرفةٍ مشرفةٍ عليهما ، فسمع أبو العلاء محاسبةَ السّمّان له ، وأعاد الرّجل الرّقاع إلى السّمّان . ومضى على ذلك أيّام ، فسمع أبو العلاء ذلك السّمّان

وهو يتأوّه ويتململ، فسأله عن حاله، فقال : كنت حاسبتُ فلانًا برقاع كانت له عندى، وقد عدمتها، ولا يحضرنى حسابُه . فقال : لا عليك، تعالَ إلىّ؛ فأنا أحفظ حسابكما . وجعل يملى عليه معاملته جميعها وهو يكتبها، إلى أن فرغ وقام . فلم يمض إلا أيام يسيرة، فوجد السّمّان الرقاع وقد جذبتها الفأر إلى زاويةٍ فى الحانوت، فقابل بها ما أملاه أبو العلاء، فلم يُخطِ فى حرفٍ واحد .

ولمّا دخل إلى بغداذ أرادوا امتحانه، فأحضروا دستور الخراج الذى فى الديوان، وجعلوا يُوردون ذلك عليه مياومةً وهو يسمع، إلى أن فرغوا . فابتدأ أبو العلاء، وسرد عليهم كلَّ ما أوردوه عليه .

وسمع أهلُ حلب بذكائه وهو صغير، فسافر جماعة من أكابرهم إلى معرّة النعمان لمشاهدته، وسألوا عنه، فقيل لهم : هو يلعب مع الصبيان، فجاءوا إليه وسلّموا عليه، فردّ عليهم السلام . فقيل له : هؤلاء جماعةٌ من أكابر حلب أتوا لينظروك ويمتحنوك . فقال لهم : هل لكم فى المفافاة[1] بالشّعر ؟ فقالوا : نعم . فجعل كلُّ واحدٍ منهم يُنشد [بيتا][2] وهو ينشد على قافيته، حتّى فرغ حفظُهم بأجمعهم وقهرهم، فقال لهم : أعجزتم أن يعمل كلُّ واحدٍ منكم بيتا عند الحاجة إليه على القافية التى يريد ؟ فقالوا له : فافعل أنت ذلك . فجعل كلّما أنشده واحدٌ منهم بيتاً أجابه من نظمه على قافيته، حتّى قطعهم كلَّهم . فعجبوا منه وانصرفوا .

ومرّ فى طريقه إلى بغدادَ وهو راكبٌ على جمل بشجرة، فقيل له : طأطئ رأسَك . ففعل . وأقام ببغداذ ماشاء الله، فلما عاد اجتاز بذلك الموضع وقد قُطعت

---

(١) المفافاة : يراد بها مطارحة الشعر على قافية واحدة . ولم ترد الكلمة فى المعاجم .

(٢) التكملة من ابن العديم .

تلك الشجرة، فطأطأ رأسه. فسئل عن ذلك فقال : هاهنا شجرة . فقيل له : ما هاهنا شيء . فقال : بلى[1] . فحفروا ذلك الموضع، فوجدوا أصلَها .

وقيل لبعض أُمراء حلب : إنّ اللغة التى ينقلها أبو العلاء إنّما هى من "الجمهرة"، وعنده منها نسخةٌ ليس فى الدنيا مثلُها ، وأشاروا عليه بطلبها منه، قصدًا لأذاه . فسيَّر أمير حلب رسولاً إلى أبى العلاء يطلبها منـه، فأجابه بالسَّمع والطاعة، وقال : تُقيم عندنا أيّامًا حتّى تقضى شغلك . ثمّ أمر من يقرأ عليـه كتاب الجمهرة، ففرئت عليه حتّى فرغوا من قراءتها، ثم دفعها إلى الرسول [وقال له][2] : ماقصدتُ بتعويقك إلا أن أُعيدها على خاطرى، خوفًا من أن يكون قد ندّ منها شيء عن خاطرى[3] . فعاد الرسول وأخبر أميرَه بذلك، فقال : من يكون هذا حاله لا يجوز أن يؤخذ منه هذا الكتاب، وأمر بردّه إليه .

وكان له محلٌّ عالٍ عند الملوك، يُقبِلون عليه، ويقبَلون شفاعته، ويعظّمون قدره، وله كرم، لو ملك الدنيا لبذلها[4] . وفيه مناقب، نقول ولا نحاشى : إنّه كان أكثرها أفضلها .

ومن أشعاره التى سيّر فى الأرض مَثَلُها، قوله فى النسيب والغزل[5] :

حَسَّنْتِ نَظْمَ كَلامٍ تُوصَـفِينَ به ... ومَنزِلًا بِكِ معمورًا من الحَفَـرِ

والحُسْنُ يَظْهَرُ فى شيئين رونقُـه ... بيتٍ من الشِّعرِ أو بيتٍ مِن الشَّعَرِ

---

(١) بلى، جواب استفهام معقود بالجحد، وقيـل يكون جوابا للكلام المجـرد . انظر اللسان (١٨ : ٩٤ — ٩٥) .

(٢) التكملة من ابن العديم .

(٣) ند : شرد ونفر . وفى الأصل والإنصاف : « شذ » .

(٤) نحاشى : نستثنى . وفى قول النابغة : « وما أحاشى من الأقوام من أحد » . وفى الأصل : « تجاشى » .

(٥) من قصيدة فى سقط الزند (١ : ٣٠) .

وقوله[1] :

كم قُبلةٍ لكِ فى الضَّمائرِ لم أخَفْ ... فيها الحسابَ لأنَّها لم تُكتَبِ
ورسولِ أحلامٍ إليكِ بَعَثْتُهُ ... فأتى على يأسٍ بنُجْحِ المَطلَبِ

وقوله[2] :

نَكَّستِ قُرْطيكِ تعذيبًا وما سَحَرا ... أخلتِ[3] قُرطيكِ هاروتًا وماروتا
لو قُلتِ ما قالهُ فِرعونُ مفتريا ... لخِفتُ أن تُنصَبِي فى الأرضِ طاغُوتا
فلَستِ[4] أوّلَ إنسانٍ أضلَّ بهِ ... إبليسُ مَنْ تَخِذَ الإنسانَ لاهوتا

منها :

يا عارِضًا [راحَ] تحدوهُ بَوارِقُه ... لِلكَرْخِ سُلِّمتَ مِن غيثٍ ونُجِّيتا
لَنَا ببغدادَ مَنْ نَهوَى تحيّتُه ... فإنْ تحمَّلتَها عَنّا فحُيِّيتا
بَتَّ الزمانُ حِبالِي من حِبالِكُمُ[5] ... أعِزَّ علىّ بكونِ الوَصلِ مبتوتا

وقوله[6] :

مِنكِ الصُّدودُ ومنِّى بالصُّدودِ رضًا ... مَنْ ذا علىَّ بِهذا فى هَواكِ قَضَى
بِى منكِ ما لو غَدَا بالشَّمسِ ما طَلعتْ ... من الكآبةِ أو بالبرقِ ما وَمَضَا
إذا الفَتَى ذمَّ دهرًا فى شبيبتِهِ ... فما يقولُ إذا عصرُ الشَّبابِ مَضَى
وقد تَعوَّضْتُ عن كلٍّ بمشيبِهِ ... فما وَجدْتُ لأيّامِ الصِّبا عوَضَا

وقوله[7] :

زارَتْ عليها للظَّلامِ رِواقُ ... ومِن النُّجومِ قلائدٌ ونِطاقُ
والطَّوقُ من لِبْسِ الحمامِ عَهِدتُه ... وظِباءُ وَجْرَةَ مالها أطواقُ

(١) من قصيدة فى سقط الزند (٢ : ٣١) .
(٢) من قصيدة فى سقط الزند (٢ : ١١٣) .
(٣) فى الأصل : « أحلت » بالمهملة ، محرف .
(٤) فى الأصل : «ظلت» محرف .
(٥) فى الأصل : « حبالا » .
(٦) من قصيدة فى سقط الزند (١ : ١٣٧) .
(٧) من قصيدة فى سقط الزند (١ : ١٦٣) .

وقوله فى المديح والفخر[1] :

جَمَالَ ذِى الأرض كانوا فى الحياةِ وهمْ ... بعد المماتِ جَمالُ الكُتْبِ والسِّيَرِ
وافقْتَهُمْ فى آختلافٍ من زمانِكُمُ ... والبدرُ فى الوَهْنِ مثلُ البدرِ فى السَّحَرِ
الموقِدُون بنجدٍ نارَ بادِيةٍ ... لا يحضُرون وفَقْدُ العِزّ فى الحضَرِ
إذا هَمَى القَطْرُ شبّتْها عَبيدُهُمُ ... تحتَ الغمائم للسَّارِين بالقُطُرِ

وقوله[2] :

يتهلَّلُون طلاقةً وكُلومُهُمْ ... ينهَلُّ مِنهنَّ النَّجيعُ الأحْمَرُ
لا يَعرِفُونَ سوى التقدُّمِ آسِيًا ... لِفراحُهُمْ بالسَّمهريّةِ تُشْبَرُ
مِن كُلِّ من لولا تسعُّرُ بأسِهِ ... لآخضَرَّ فى يُمنى يديهِ الأسمَرُ

وقوله[3] :

بِأىِّ لِسانٍ ذامَنِي متجاهِلٌ ... علىَّ وخَفْقُ الرِّيحِ فِىَّ ثناءُ
تكلَّمَ بالقولِ المضلَّلِ حاسِدٌ ... وكلُّ كلامِ الحاسدين هُراءُ
أتمشِي القوافِي تحتَ غيرِ لوائِنا ... ونحنُ على قُوّالِهَا أُمراءُ
ولا سارَ فى عُرْضِ السَّماوةِ بارقٌ ... وليس لـه مِن قومنا خُفَراءُ

وقوله[4] :

فإن يكُ أضحى القَولُ جَمًّا طيورُه ... فما تستوِى عِقبانُهُ بِحَمامِهِ
وإن يَكُ وادِينا مِن الشِّعرِ نبتُه ... فغيرُ خفِيٍّ أثلُهُ مِن ثُمامِهِ

منها :

إذا آفتخَرَ المِسكُ الذَّكِيُّ فإنما ... يقولُ آفتخارًا إنّه من رَغامِهِ
غمامانِ مبيضّانِ منذُ براهما ... لنا اللهُ لم نَحفِل بِسُودِ غمامِهِ[5]

(١) من قصيدة فى سقط الزند (١ : ٣٥) .
(٢) من قصيدة فى سقط الزند (٢ : ٢٩) .
(٣) من قصيدة فى سقط الزند (١ : ٨٥) .
(٤) من قصيدة فى سقط الزند (١ : ٩٩) .
(٥) فى الأصل : « لم يحفل ببيض غمامه » .

وقــوله[1] :

لقـــد شرّفتَنِي و رفعتَ قـدرِى ... بِـــهِ وألذتَنِي الحـظَّ الرَّبيحَا
أجَلْ ولَوَ انّ عِلم الغَيب عِنـدِى ... لقلت أفــدْتنِي أجـلًا فَســيحَا

وقوله فى ذكر النّوق يتخلّص إلى المدح[2] :

سألنَ فقلتُ[3] مَقصِـــدُنا سـعيدٌ ... وكان اسمُ الامِـيرِ لهنَّ فَالَا

وقــوله[4] :

ولـو قِيـل اسألوا شـرَفًا لقُلْنـا ... يعيشُ لنـا الأمـير ولا نُـزَادُ

وقــوله[5] :

إليــكَ تناهَى كلُّ فخـرٍ وسُؤدُدِ ... فأَبْـلِ اللَّيـالِي والأنامَ وجَـدِّدِ
لِجَـدِّك كان المجـدُ ثمّ حويتَـه ... ولِابْنِك يُبنَى منــه أشرفُ مَقْعَدِ
ثـلاثةُ أيامٍ هى الدّهرُ كلُّه ... وما هنّ غير اليومِ والأمسِ والغدِ
وما البــدرُ إلا نـيّرٌ[6] غـير أنّـه ... يغيبُ ويأتِى بالضّـــياء المجـدَّدِ
فلا تحسبِ الأقمـارَ خلقـاً كثيرةً ... فجملتهـا مِن نـــيّرٍ مُتَرَدِّدِ

وقــوله[7] :

هو الشّهد مجّتْـه الخطوبُ مرارةً ... وقـد فَفرت أفواهها لِألتهامِهِ
تهابُ الأعادِى بأسه وهو ساكنٌ ... كما هِيبَ مَسُّ الجمرِ قبل اضطرامِهِ

---

(١) من قصيدة فى سقط الزند (١ : ٦٣) .
(٢) سقط الزند (١ : ١٧) .
(٣) فى الأصل : « فقلن » .
(٤) سقط الزند (١ : ٦٧) .
(٥) سقط الزند (١ : ٧٧) .
(٦) رواية السقط : « واحد » .
(٧) سقط الزند (١ : ١٠٧) .

وقوله[1] :

تُعَدُّ ذنوبِى عند قومٍ كثيرةً ... ولا ذنبَ لِى الّا العُلَا والفواضِلُ
كأنِّى إذا طُلتُ الزّمانَ وأهلَه ... رجعتُ وعندِى للأنام طَوائِلُ[2]
وقد سارَ ذِكرى فى البِلادِ فمَنْ لهم ... بِإخفاءِ شمسٍ ضوءُها متكامِلُ
يُهِمُّ[3] اللياليَ بعضُ ما أنا فاعلٌ ... ويثقل رَضوَى دون ما أنا حامِلُ
وإنِّى وإنْ كنتُ الأخيرَ زمانُه ... لآتٍ بما لم تَستطِعه الأوائلُ
وأغدو ولو أنّ الصّباحَ صوارِمٌ ... وأسرِى ولو أنّ الظّلامَ جحافِلُ
وإنِّى جوادٌ لم يُحَلَّ لِجامُه ... ونِضْوٌ يمانٍ أغفلتْه الصياقِلُ[4]
وإنْ كان فى لبس الفتى شرفٌ له ... فمَا السَّيف إلاّ غِمدُه والحمائِلُ
ولِى مَنطِقٌ لم يَرْضَ لى كُنْهَ مَنزِلِى ... على أنّنِى بينَ السّماكينِ نازِلُ
لدى مَوطِنٍ يشتاقُهُ كلُّ سيِّدٍ ... ويقصُر عن إدراكِهِ المتناوِلُ
ولمّا رأيت الجهلَ فى الناسِ فاشياً ... تجاهلتُ حتّى ظُنّ أنّىَ جاهلُ
فواعجباً كَمْ يدّعِى الفضلَ ناقصٌ ... ووا أسَفاً كَمْ يُظهِر النّقصَ فاضلُ
وكيف تنامُ الطّيرُ فى وُكُناتِها ... وقد نُصِبت للفرقدينِ الحبائلُ
يُنافِسُ يومِى فىَّ أمسِى تشرُّفا ... وتَحْسُدُ أسحارِى علىَّ الأصائِلُ
فلو بانَ عَضْدِى ما تأسّفَ منكِبِى ... ولو ماتَ زَنْدِى ما بكَتْهُ الأنامِلُ
إذا وصَفَ الطّائىُّ بالبخل مادرٌ ... وعَيَّرَ قُسّاً بالفهاهةِ باقِلُ
وقال السُّها يا شمسُ أنت خَفيّةٌ ... وقال الدُّجى يا صبحُ لونُك حائلُ

---

(١) سقط الزند (١ : ١١٠) .
(٢) فى الأصل : « فواضل » .
(٣) فى السقط : « مضمر » .
(٤) فى الأصل : « وأى جواد ... وأى يمان » . وتصحيحه من السقط .

وطاولتِ الأرضُ السَّماءَ سفاهةً وفاخرتِ الشُّهْبَ الحصى والجنادلُ
فياموتُ زُرْ إنّ الحياة كريهةٌ ويانَفْسُ جِدّى إنّ دهرِكِ هازِلُ

وقوله (١) :

لِيَ الشّرف الذى يطأ الثُّريّا مع الفضلِ الذى بهرَ العبادَا
وحكم عينٍ تؤمّل أن ترانى وتَفْقِدَ عند رؤيتِى السَّوادَا

وقوله (٢) :

إذا ما أخفْتَ المرءَ جُنّ مخافةً فأيقَنَ أنّ الأرض كِفّةُ حابِلِ
يرى نفسَه فى ظِلِّ سيفِك وافقًا وبَيْنَكُما بُعْدُ المدى المتطاوِلِ
يَظُنّ سَنِيرًا من تفاوُتِ لَحْظِهِ ولُبنانَ سارا فى القنا والقَنابِلِ

وقوله (٣) :

تَخيَّرتُ جهدِى لو وَجدْتُ خِيارَا وطِرتُ بعزمِى لو أصبْتُ مَطارَا
جهِلتُ فلمّا لم أر الجهلَ مُغْنِيًا حَكُمْتُ (٤) فأوسعت الزّمانَ وَقارَا
إلى كَمْ تَشَكّانِى إلىّ ركائِبِى وتُوسِعُ عَنْسِى خُفيةً وجِهارَا
أسيرُ بها تحتَ المنايا وفوقَها فيسقط بى شخصُ الحِمامِ عِثارَا

وقوله (٥) :

إذا سارتْكَ شُهبُ اللّيلِ قالتْ أعانَ الله أبْعَدَنا مُرادَا
وإنْ جارتك (٦) هُوجُ الرّيح كانت أكُلَّ ركائبًا وأقلَّ زادَا

---

(١) فى سقط الزند (١ : ١١٩) .
(٢) فى سقط الزند (٢ : ٢٢) .
(٣) فى سقط الزند (١ : ١٣٠) .
(٤) رواية السقط : «حلمت» وهو الأوفق .
(٥) فى سقط الزند (١ : ١٦٥) .
(٦) فى الأصل : « جارتك » .

وقوله[1] :

أيدفع مُعْجزاتِ الرُّسْلِ قومٌ وفيك وفى بديهتك اعتبارُ
كأنّ بيوتَه الشُّهْبُ السَّوارِى وكلّ قصيدةٍ فلكٌ مُدارُ

وقوله[2] يرثى أباه :

نَقَمْتُ الرِّضَا حتّى على ضاحكِ المُزْنِ فلا جادنى إلّا عَبوسٌ من الدَّجْنِ
ولِيتُ[3] فمى إنْ شاء سِنِّى تبسُّمى فم الطّعنة النّجلاءِ تَدْمَى بلا سِنِّ

منها :

فيا ليت شِعْرِى هل يَخِفُّ وَقارُه إذا صار أُحْدٌ فى القِيامة كالعِهْنِ
عِجًا زادَه من جُرأةٍ وسماحةٍ وبعضُ العِجا داعٍ إلى البُخْلِ والجُبنِ
على أُمِّ دَفْرٍ غَضبةُ اللهِ إنّها لأجدر أُنثى أنْ تخونَ وأن تُخْنِى
كَعابٌ دُجاها فرعُها ونهارُها مُحَيًّا لها قامت له الشّمسُ بالحُسْنِ
كأنّ بَنِيها يُولدونَ ومالها جَليلٌ فتَخشى العارَ إن سَمَحَتْ بآبنِ

منها :

وخَوفُ الرَّدَى آوَى إلى الكهفِ أهلَه وكَلَّفَ نُوحًا وآبنَه عملَ السُّفْنِ
وما آستعذَبَتْهُ روحُ موسى وآدمٍ وقد وُعِدا من بَعده جَنّتَىْ عَدْنِ

منها :

أمُرُّ برَبْعٍ كنتَ فيه كأنّما أمرُّ من الإكرامِ بالحِجْرِ والرُّكْنِ
و إجلالُ مَغْناكَ آجتهادُ مُقَصِّرٍ إذا السّيفُ أودَى فالعَفاءُ على الجَفْنِ

---

(١) فى سقط الزند (١ : ١٧٢) .
(٢) فى سقط الزند (١ : ١٩٣) .
(٣) فى السقط : « فليت فى إن شام » .

منها :

فليتَكَ فى جَفنِى مُوارًى نزاهة بتلك السَّجايا عن حَشَاى وعن ضبْنِي
ولو حفَرُوا فى دُرَّةٍ ما رَضِيتُها لجسمك إبقاءً عليه من الدَّفْنِ

وقوله يرثى والدته[1] :

فيا راكبَ المنونِ أمَا رسولُ يبلغ رُوحَها أرَجَ السَّلامِ
ذَكيًّا يُصْحَب الكافورُ منه بمثلِ المسك مفْضوضَ الختامِ
سألتُ متى اللِّقاءُ فقيل حتّى يقوم الهامِدُون من الرِّجامِ

وقوله[2] :

ولا مِثْلَ فقدانِ الشَّريفِ محمدٍ رَزِيّةَ خَطْبٍ أو جنايةَ ذِى جُرْمِ
فيا دافنيهِ فى الثَّرَى إنّ لحْدَه مَقَرُّ الثُّرَيّا[3] فادفنوها على عِلْمِ
ويا حامِلِى أعوادِه إنّ فوقَها سماوِىَّ سِرٍّ فاتّقُوا كوكَبَ الرَّجْمِ
وما نعشُه إلّا كنعشِ وجدتُه أبًا لِبناتٍ لا يخَفْنَ مِن اليُتْمِ

منها :

إذا قيلَ نُسْكٌ فالخليل بنُ آزرٍ[4] وإن قيل فَهْمٌ فالخليل أخو الفَهْمِ
أقامت بيوتُ الشعر تُحكِم بعدهُ بناءَ المراثِى وهى صُورٌ إلى الهَدْمِ
نعيناهُ حتّى للغزالةِ والسُّهَا فكلٌّ تمنَّى لو فَداه من الحَتْمِ
وما كُلْفةُ البدرِ المنيرِ قديمةً ولكنّها فى وجهِهِ أثرُ اللَّدْمِ

---

(١) فى سقط الزند (٢ : ٨٧) . (٢) فى سقط الزند (١ : ٢٠١) .
(٣) رواية السقط : « فادفنوه » .
(٤) فى الأصل : « من آزر » . والصواب من السقط .

منها[1] :

ولا تَنْسَنِي فى الحشر والحوضُ حولَه ... عصائبُ شَتَّى بين غُرٍّ إلى بُهْمِ
لَعلَّكَ فى يوم القيامةِ ذاكرِى ... فتسألَ ربِّى أن يخفِّف مِن إثْمِى

وقوله[2] :

غيرُ مُجْدٍ فى مِلَّتِى واعتقادِى ... نَوْحُ باكٍ ولا ترنُّمُ شادِ
وشبيهُ صوتُ النَّعِىِّ إذا قيـ ... ـسَ بصوتِ البشيرِ فى كلِّ نادِ
صاح هذى قبورُنا تملأُ الرُّحـ ... ـبَ فأين القبورُ مِن عَهْد عادِ
خَفِّف الوطءَ ما أظنُّ أديم الـ أرضِ إلَّا مِن هذِهِ الأجسادِ
وقبيحٌ بِنَا وإن قدُم العهـ ... ـدُ هوانُ الآباءِ والأجدادِ
ربَّ لحد قد صار لحدًا مِرارًا ... ضاحكٍ من تزاحُمِ الأضدادِ
ودفينٍ على بَقايا دَفينٍ ... فى طويلِ الأزمانِ والآبادِ
فَسَأَلِ الفرقدين عمن أحسَّا ... مِن قَبيلٍ وآنسَا مِن بلادِ
كم أقاما على زوالِ نهارٍ ... وأنارَا لِمُدلِجٍ فى سوادِ
تعبٌ كلُّها الحياةُ فما أعـ ... ـجَبُ إلَّا مِن راغبٍ فى ازديادِ
إن حُزنًا فى ساعةِ الموتِ أضعا ... فُ سُرورٍ فى ساعةِ الميلادِ
خُلِق النَّاس للبقاءِ فضلَّتْ ... أُمَّةٌ يحسبونهم للنَّفادِ
إنَّما يُنقَلون من دارِ أعما ... لٍ إلى دارِ شقوةٍ أو رشادِ
ضجعةُ الموتِ رقدةٌ يستريح الـ ... ـجسم فيها والعيشُ مثلُ السُّهادِ

(١) وردت هذه الكلمة فى الأصل قبل البيت السابق . والصواب أن تجعل هاهنا .
(٢) فى سقط الزند (١ : ٢٠٨) .

منها :

قصَدَ الدَّهرُ من أبى حمزة الأ وَّ ابِ مولَى حِجًا وخِدْنَ اقتصادِ
وفقيهًا أفكارُه شِدنَ للعُـ ـمانِ ما لم يَشِدهُ شِعرُ زيادِ
والعِراقُ بعده للحجازِ ىٌّ قليلُ الخلافِ سَهْلُ القيادِ
وخطيبًا لو قام بين وُحوشٍ علّم الضّاريات بِرَّ النّقادِ
راويًا للحديثِ لم يُحْوِج المعـ ـروفَ من صِدقه إلى الإسنادِ
ذا بنانٍ لا تلمس الذّهبَ الأحـ ـمرَ زهدًا فى المسجدِ المستفادِ
ودّعا أيُّها الحفيّانِ ذاك الـ ـشّخصَ إنّ الوداعَ أيسرُ زادِ
وآغسلاهُ بالدّمعِ إن كانَ طُهرًا وآدفناهُ بين الحشَا والفؤادِ
واحبُواه الأكفانَ من ورَقِ المصـ ـحفِ كِبْرًا عن أَنْفَسِ الأبرادِ

منها :

كيفَ أصبحتَ فى محلّكَ بعدى يا جديرًا منى بحسنِ افتقادِ
قد أقرَّ الطبيبُ عنكَ بعجزٍ وتقضّى تردُّدُ العُوّادِ

منها :

زحلٌ أشرفُ الكواكبِ داراً من لِقاءِ الرّدَى على ميعادِ
ولِنارِ المِرّيخِ من حَدَثانِ الـ ـدّهرِ مُطْفٍ وإن علَتْ فى اتّقادِ
والثُّريّا رهينةٌ بافتراقِ الـ ـشّملِ حتّى تُعَدَّ فى الأفرادِ

منها :

والذى حارت البريّةُ فيهِ حيوانٌ مُستحدَثٌ من جمادِ
واللبيب اللبيب من ليس يَغْـ ـتَرُّ بكونٍ مصيرُه للفسادِ

وقــوله[1] :

أودَى فليتَ الحادثاتِ كَفَـافِ مالُ المِيـفِ وعنـبر المستافِ
الطَّاهـرُ الآباءِ والأبنـاءِ والـ ـآرابِ والأثـوابِ والأُلَّافِ

منهـا :

طار النَّـواعبُ يوم قادَ نواعِيًـا فتَدَبْنَـهُ لمُوافـقٍ ومُنـافِ
ونعيبُهـا كنعيبهـا وحِـدادُها أبدًا سـوادُ قـوادِمٍ وخَـوافِ
لا خابَ سَعْيُكَ مِن خُفافٍ أسحمٍ كسُـحيمٍ الأسـديِّ أو نَكُفافِ
مِن شاعرٍ لِلبَيْنِ قال قصيدةً يَرْثِي الشَّريفَ على رَوِيّ القافِ
بُنِيتْ عـلى الإيطاءِ ساليةً مِن الـ ـإقـواءِ والإكفاءِ والإصرافِ

منهـا :

فارقتَ دهرك ساخطًا أفعـالَه وهو الجـديرُ بقِـلّة الإنْصـافِ
ولَقيتَ ربَّكَ فاسترَدّ لك الهُدَى ما نالتِ الأيّام[2] بالإتـلافِ
أنتم ذَوُو النّسبِ القصير فطَوْلُكمْ بادٍ عـلى الكُبراء والأشرافِ
والرّاحُ إن قيل ابنةُ العنبِ اكتفتْ بأبٍ عنِ الأسمـاءِ والأوصافِ
ما زاغ بيتـكمُ الرّفيـعُ وإنّما بالوجـدِ أدركه خَـفِيُّ زِحافِ
والشّمسُ دائمةُ البقاءِ وإن تُنَـلْ بالشّكْوِ فهى سريعة الإخطافِ

وقوله فى الحكم والأمثال[3] :

لو اختصرتم مِن الإحسانِ زرتكُمُ والعَذْبُ يُهْجَر للإفراطِ فى الحَصَرِ

---

(١) فى سقط الزند (٢ : ٥٥) .
(٢) فى الأصل : « الهدام »
(٣) فى سقط الزند (١ : ٣١) .

منها :

والنَّجم تستصغرُ الأبصارُ رؤيتَه والذَّنْبُ للطَّرف لا للنَّجم فى الصِّغَرِ

وقوله[1] :

وكالنَّارِ الحياةُ فى رَمادٍ أواخرُها وأوَّلُها دُخانُ

وقوله :

وهل يَدَّخرُ الضِّرغامُ قُوتًا ليومِه إذا آدَّخرَ النَّملُ الطَّعامَ لعامِه

وهل يدَّعى اللَّيلُ الدَّجوجىُّ أنّه تُضىء ضياءَ الشَّمس شُهْبُ ظَلامِه

وقوله[3] :

والسَّمهريّة ليس يَشرُفُ قَدْرُها حتى يُسافر لَدْنُها عن غايِه

وقوله[4] :

إذا أنتَ أُعطِيتَ السَّعادةَ لم تُبَلْ ولو نَظَرَتْ شَزْرًا إليك القبائلُ

تَقَتَّلُكَ على أكتافِ أبطالِها القَنا وهابتْكَ فى أغمادِهنَّ المناصلُ

وإنْ سدَّد الأعداءُ نحوك أسهُمًا نَكَصْنَ على أفواقِهنَّ المعابلُ

تحامَى الرزايا كلُّ خُفٍّ ومَنسِمٍ وتلقَ رَداهنَّ الذُّرى والكواهلُ

وترجِع أعقابَ الرِّماحِ سليمةً وقد حُطِمتْ فى الدَّارعين العوامِلُ

وإن كنتَ تهوَى العيشَ فابغِ توسُّطًا[5] فعند التَّناهى يقصُرُ المتطاوِلُ

تُوقَّ البدورُ النقصَ وهى أهِلَّةٌ ويُدرِكها النُّقصانُ وهى كواملُ

(١) فى سقط الزند (١ : ٤٣) . (٢) فى سقط الزند (١ : ١٠١) .

(٣) فى سقط الزند (١ : ١٥٤) . (٤) فى سقط الزند (١ : ١١٥) .

(٥) فى سقط الزند : « تبغى العز » .

وقوله[1] :

ولا بُدّ للإنسان مِن سُكرِ ساعةٍ تَهُونُ عليهِ غيرَها السَّكَرَاتُ
ألَا إنّما الأيّام أبناءُ واحِدٍ وهذى الليالِى كلُّها أخواتُ

وقوله[2] :

والشّيءُ لا يكثُرُ مُداحُهُ إلّا إذا قيسَ إلى ضِدّهِ
لولا غَضَى نَجْدٍ وقُلّامُهُ لم يُثْنَ بالطِّيبِ على رَنْدِهِ
يَشتاقُ أيّارَ نفوسُ الورَى وإنّما الشّوقُ إلى وَرْدِهِ
أضحى الذِى أُجّل فى سِنّهِ مِثلَ الذِى عُوجِل فى مَهْدِهِ
ولا يبالِى الميّتُ فى قبرِهِ بذَقّهِ شُيِّعَ أو حَمْدِهِ
والواحِدُ المُفْرَدُ فى حَتْفِهِ كالحاشِدِ المُكثِرِ من حَشْدِهِ
وحالةُ الباكِى لآبائِهِ كحالةِ الباكِى على وُلْدِهِ
تجرِبةُ الدنيا وأفعالِها حثّت أخا الزُّهدِ على زُهدِهِ

وقوله[3] :

وظُنَّ بسائِرِ الإخوانِ شَرًّا ولا تأمَنْ على سِرٍّ فُؤادَا
فلو خَبَرتْهُمُ الجوزاء خُبْرِى لما طَلَعَت مخافَةَ أن تُكادَا

منها :

فأىُّ الناسِ أجعلهُ صديقاً وأىُّ الأرضِ أسلُكُهُ ارتيادَا
ولو أنّ النُّجومَ لدىّ مالٌ نَفَتْ كفّاىَ أكثرَها انتقادَا
كأنّى فى لِسانِ الدّهرِ لفظٌ تَضَمّنَ منه أغراضًا بِعادَا
يُكَرِّرُنى ليفهَمَنِى رجالٌ كما كرّرتَ معنًى مُستعادَا

(١) فى سقط الزند (٢ : ١٢) .
(٢) فى سقط الزند (٢ : ٣) .
(٣) فى سقط الزند (١ : ١١٦) .

وقــوله[1] :

وما الدَّهرُ إلّا دولةٌ ثمّ صَــولةٌ وما العيشُ إلّا صِحّةٌ وسَــقامُ
ولو دامتِ الدُّولات كانوا كغيرِهم رَعايا ولكنْ ما لهنّ دوامُ

وقــوله[2] :

ولَسْــنَا وإن كانَ البقاءُ محبَّبًا بأَوْلِ مَنْ أخــنَى عليه حِمام
وحُبُّ الفتى طولَ الحياة يُذِلُّه وإن كان فيه نخــوةٌ وعُرامُ
وكلٌّ يريدُ العيشَ والعيشُ حتفُه ويَستعذبُ اللذّاتِ وهى سِمامُ

وقــوله[3] :

لا تنسَ لى نَفَحاتى وانسَ لى زلَلِي ولا يغُــرُّكَ[4] خَلْقٍ واتّبِع خُلُقِي
فربَّمــا ضرّ خِلٌّ نافِــعٌ أبدا كالرِّيقِ يحدُث منه عارِضُ الشَّرَقِ
فإنْ توافَقَ فى معنًى بنُــو زَمَنٍ فإنّ جُلَّ المعــانِى غيرُ مُتّفــقِ
قــد يبعُدُ الشّىءُ من شىءٍ يُشابِهه إن السماء نظير المــاءِ فى الزَّرَقِ

وقــوله[5] :

ومِن العجائبِ أن يســيرَّ آملٌ مِدَحًا ولم يَعــلَمْ بهــا المأمــولُ
والعِيسُ أقتلُ ما يكونُ لهــا الظَّمَأ والمــاءُ فوق ظهــورِها محمولُ

وقوله فى الوصف والتّشبيه والاستعارة[6] :

أَعَنْ وَخْدِ القِلاصِ كشفتِ حالَا ومِن عِندِ الظَّــلامِ طَلَبتِ مالَا
ودُرًّا خِلْتِ أَنْجُمَــه عليــه فهــلّا خِلتِهِنَّ به ذُبالَا
وقلتِ الشَّمسُ بالبيــداءِ تبرٌ ومِثلُكِ مَن تخيَّــل ثمّ خالَا

---

(١) فى سقط الزند (١ : ١٢٧) .
(٢) الوجه أن يقول : «ومنها» .
(٣) فى سقط الزند (١ : ١٤٦) .
(٤) رواية السقط : «ولا يضرك» .
(٥) فى سقط الزند (١ : ١٨٦) .
(٦) فى سقط الزند (١ : ١٤) .

ومنها فى ذكر الخيل :

نشأْنَ مع النّعامِ بكل دَوٍّ فقد أَلِفَتْ نَتائِجُها الرِّئالَا
ولمّا لم يُسابِقْهُنَّ شيءٌ من الحيَوانِ سابقْنَ الظِّلالَا

وفى ذكر الخيل أيضا :

ونَمَّ بطيفها السّارِى جوادٌ فجُنّبَنا الزِّيارةَ والوِصالَا
وأيقَظَ بالصّهيل الرَّكْبَ حتّى ظننتُ صهيلَه قِيلًا وقالَا
ولولا غَيرةٌ من أَعوَجِىٍّ لباتَ يَرَى الغزالةَ والغزالَا
يُحِسُّ إذا الخيال سَرَى إلينا فيَمْنَعُ مِن تَعَهُّدنا الخيالَا
وقد يُلفَى زبرجدُه عقيقًا إذا شهِد الأميرُ به القِتالَا
وكلُّ ذؤابةٍ فى رأْس خَودٍ تَمَنَّى أن تكونَ له شِكالَا

ومنها فى ذكر السيف :

يُذيب الرُّعْبُ منه كلَّ عَضْبٍ فلولا الغِمْدُ يُمسِكُه لَسَالَا
ودبَّتْ فوقَه حُمْرُ المنايا ولكنْ بعدَما مُسِختْ نِمالَا

وقوله[1] :

صاغ النَّهارُ حجولَه فكأنّما قَطَعَتْ له الظَّلماءُ ثوبَ الأدهَمِ
قَلِقَ السِّماكُ لرَكْضِه ولربّما نَفَضَ الغبارَ على جَبِينِ المِرزَمِ
وبَنتْ حَوافِرُها قَتامًا ساطِعًا لولا انقيادُ عِداكَ لم يَتَهَدَّمِ
باضَ النُّسورُ به وخَيَّمَ مُصْعِدًا حتّى ترعرع فيه فَرخُ القَشْعَمِ

وقوله[2] :

فكادَ الفجرُ تَشْرَبُه المطايا وتُمْلَأُ مِنه أَسْقِيةٌ شِنانُ

(١) فى سقط الزند (١ : ٧٦) . (٢) فى سقط الزند (١ : ٤٣) .

وقد دَقَّتْ هَوادِيهِنَّ حتَّى كأنَّ رِقابَهنَّ الخِيزُرانُ
إذا شرِبَت رأيتَ الماء فيها أُزَيْرِقَ ليس يستُرُه الحِرانُ

وقوله فى الخيل أيضا[1] :

كأنَّ أُذْنيهِ أعطَتْ قلبَه خَبَرًا من السّماءِ بما يلقَى من الغِيرِ
يُحِسُّ وطء الرّزايا وهى نازِلةٌ فَيُنْهِبُ الجرىَ نَفْسَ الحادِثِ المَكِرِ
يَغْنَى عنِ الوِردِ إن سلُّوا صَوارِمَهم أمامَه لا شتباهِ[2] البِيضِ بالغُدُرِ

وقوله من أخرى[3] فى السيف :

وكلِّ أبيضَ هِندىٍّ به شُطَبٌ مِثلُ التكسُّرِ فى جارٍ بمنحدرِ
تَغايَرَتْ فيه أرواحٌ تموت بِهِ من الضّراغِمِ والفُرسانِ والجُزُرِ
رَوْضُ المنايا على أنّ الدِّماء بِهِ وإنْ تخالَفْن أبدالٌ من الزَّهَرِ
ما كنتُ أحسَبُ جفنًا قبلَ مَسْكِنِهِ فى الجفنِ يُطْوَى على نارٍ ولا نَهَرِ[4]
ولا ظننتُ صِغار النّمْلِ يُمكِنها مَشْىٌ على اللُّجّ أو سعىٌ على السُّعُرِ

وقوله[5] :

وهَجِيرةٍ كالهَجْرِ موجُ سَرابِها كالبحرِ ليس لمائِهِ من طُحْلُبِ
أوْفَى بِها الحِرباءُ عُودَىْ مِنبرٍ للظُّهرِ إلا أنّه لم يَخْطُبِ
وكأنّه رامَ الكلام ومسَّهُ عىٌّ فأسعَدَهُ لِسانُ الجُنْدُبِ

---

(١) فى سقط الزند (١ : ٣٦) .

(٢) فى السقط : « تغنى عن الورد » و « أماءهم » والبيت فى صفة الأفراس .

(٣) كذا . وإنما هما من قصيدة واحدة فى السقط (١ : ٣٠ — ٤١) .

(٤) فى الأصل : « على ماء » صوابه فى السقط .

(٥) فى السقط (٢ : ٣١) .

وقوله[1] :

ألاح وقد رأى بَرْقًا مُليحًا سَرَى فأتى الحِمَى نِضوًا طليحَا

وقوله[2] :

إذا الحِرباء أظهرَ دِين كِسرى فصلّى والنّهارُ أخو صِيامِ
وأذّنتِ الجنادبُ فى ضُحاها أذانًا غيرَ مُنتظَرِ الإمامِ

وقوله[3] :

وليلٍ خافَ قولَ النّاسِ لمّا تولّى سار منهزِمًا فعادَا
دجَا فتلَهّبَ المِرّيخُ فيهِ وألبَس جمرةَ الشّمسِ الرّمادَا

وقوله[4] :

حُروف سُرّى جاءت لِمعنًى أردتُهُ بَرَتْنِى أسماءٌ لهنّ وأفعالُ
يُحاذِرْنَ مِن لدغ الأزِقّةِ لا اهتدَى مُجَرِّبُها أنّ الأزِقّةَ أصلالُ

وقوله[5] :

إذا ما اهتاجَ أحمرَ مُستطيرًا حَسِبْتَ اللّيلَ زَنجِيًّا جريحَا

وقوله[6] :

وإصباحٍ فلَيْنا اللّيلَ عنه كما يُفْلَى عنِ النّارِ الرّمادُ
أبلّ بهِ الدُّجَى مِن كلّ سُقْمٍ وكوكبُه مريضٌ لا يعادُ
ومِن غَلَلٍ تَجِيدُ الرّيح عنهُ مخافةَ أن يُمزّقَها القَتَادُ
لَو أنّ بياضَ عينِ المرءِ صُبحٌ هنالك ما أضاءَ به السوادُ

---

(١) فى سقط الزند (١ : ٥٦) .
(٢) فى سقط الزند (٢ : ٩٥) .
(٣) فى سقط الزند (١ : ١٦٩) .
(٤) فى سقط الزند (٢ : ٥٤) .
(٥) فى سقط الزند (١ : ٥٧) .
(٦) فى سقط الزند (١ : ٧٠) .

وقــوله[1] :

تبيتُ النُّجومُ الزُّهرُ فى حَجَـراتهِ ... شــوارِعَ مِثــلَ اللؤلــؤ المتبدِّدِ
فأطمَعْنَ فى أشباحِهِنَّ سَــواقِطًا ... على المــاءِ حتّى كِدن يُلقَطْنَ باليدِ
بِخَرقٍ يُطيــلُ الجنحُ فيــه سُجودَه ... ولِلأرض زِىُّ الرّاهبِ المتعبِّــدِ
ولو نَشَــدتْ نعشًا هناك بنــاتُه ... لَمــاتَتْ ولم تَسمَعْ له صَوْتَ مُنشِدِ
وتَكْتُمُ فيــهِ العاصِفاتُ نفوسَها ... فــلو عَصفتْ بالنبتِ لم يتأوَّدِ

وقــوله[2] :

تَناعَسَ البرقُ أىْ لا أستطيعُ سُرىً[3] ... فنام صحبِى وأمْسَى يقطعُ البِيــدَا
كأنّه غارَ مِنّــا أن نُصَاحِبَــهُ ... وخافَ أن نَتقاضاكِ المواعيــدَا

وقــوله[4] :

هذا فريضٌ عنِ الأملاكِ مُحتجِبٌ ... فــلا تُذِلْهُ بإكثارٍ عــلى السُّــوَقِ
كأنّه الرّوضُ يُبــدِى منظراً عجباً ... وإن غدا وهو مبذولٌ على الطُّرُقِ
لفظٌ كأنّ معــانِى السُّكْرِ تَسكنُه ... فمن تَحَفَّظَ بَيتًــا منــه لم يُفــقِ

وقــوله[5] :

كانَ الدُّجَى نوقٌ عَرِقْنَ مِن الوَنَى ... وأنجُمُها فيهــا قَــلائِدُ مِن وَدَعْ

وقــوله[6] :

لا تَستبِينُ بــه النُّجــومُ تنائيًــا ... ويلوحُ فيــهِ البدرُ مثــلَ الدّرهَمِ

---

(١) فى سقط الزند (١ : ٨١) .
(٢) فى سقط الزند (٢ : ٢٧) .
(٣) فى الأصل : « كرى » .
(٤) فى سقط الزند (١ : ١٤٣) .
(٥) فى سقط الزند (٢ : ٧٩) .
(٦) فى سقط الزند (١ : ٧٤) .

وقــوله[1] :

كأنّ الثريّا والصباحُ يروعُها أخــو سَقْطةٍ أو ظالِــعٌ مُتحامِلُ

وقــوله[2] :

ريحٍ أُعيرتْ حافِــرًا من زبرجَدٍ لهــا التِّبْرُ جسمٌ واللُّجَينُ خلاخِلُ

إذا آشتاقتِ الخيلُ المناهلَ أعرضَتْ عن المــاءِ فآشتاقَتْ إليها المناهِلُ

ومنها فى الليل :

كأنّ دُجاهُ الهجرُ والصبحُ موعِدٌ بوصلٍ وضَوء الصُّبح حبٌّ مماطِلُ

وقــوله[3] :

فــتًى تَقْصُرُ الأبصار عن قَيمَاتِه ولا يســتُرَ إلّا هيبةٌ وجــلالُ

بغاشَ عليها البَحْرُ وهــو كتائبٌ وخرَّتْ إليها الشُّهبُ وهى نِصالُ

بأيديهــمُ السُّــمْرُ العوالِى كأنّمــا يُشَبُّ عــلى أطرافهن ذُبالُ

وقوله فى وصف النهار[4] :

نهارٌ كأنّ البدر قاسَى هجيرَه فعــادَ بلونٍ شاحبٍ من سَمَائِــهِ[5]

بِلادٌ يَضِــلُّ النَّجمُ فيهــا سبيلَه وتَثْنِى دُجاهــا طيفَها[6] عن لِمــامِهِ

وقوله من مرثية :

وما كلفة البــدرِ المنيرِ قــديمةً ولكنّها فى وجههِ أثــرُ اللَّطــم[7]

---

(١) فى سقط الزند (١ : ١١٤) . (٢) الوجه : «ومنها» ؛ فإن البيتين من القصيدة عينها .

(٣) فى سقط الزند (٢ : ١٦) . (٤) فى سقط الزند (١ : ١٠٥) .

(٥) فى الأصل : « قتامه » وأثبتنا رواية السقط ؛ لأن : « قتامه » قافية لبيت سابق له .

(٦) فى الأصل : « طيفه » .

(٧) رواية السقط : « اللدم » بالدال . وقد سبق إنشاد هذا البيت فى النص نفسه ص ٢٣٤ .

وقوله يصف الخمرة[1] :

تَطَلَّعَ مِن جِدارِ الكأسِ كيما يُحَيِّيَ أوجُهَ الشُّرْبِ الكِرامِ[2]

وقوله[3] :

كأنَّ الليلَ حارٍ بها فَفيهِ هِلالٌ مثل ما انعطَفَ السِّنانُ
ومِنْ أُمِّ النُّجومِ عليهِ دِرعٌ يُحاذر أن يمزِّقها الطِّعانُ
وقد بَسطتْ إلى الغربِ الثُّريّا يدًا غَلِقَتْ بأنملِها الرِّهانُ
كأنَّ يمينها سَرقَتْكَ شيئًا ومقطوعٌ عنِ السَّرقِ البنانُ[4]

وقوله[5] :

بيومٍ كأنّ الشَّمسَ فيهِ خريدةٌ عليها من النَّقعِ الأحَمِّ لِثامُ

وقوله[6] :

ولاح هلالٌ مثلُ نونٍ أجادَها بذَوبِ النُّضارِ الكاتبُ ابنُ هلالِ

وقوله[7] :

خِفافٍ يُباهِي كُلُّ هَجْلٍ هَبطنَهُ بِهِنَّ على العِلّاتِ رُبْدَ نَعامِهِ
إذا أرزمَتْ فيهِ المهارِى ولم يُجِبْ حُوارٌ أجابتْ عنه أصداءُ هامِهِ
ولو وَطِئتْ فى سيرها جَفْنَ نائمٍ بأخفافِها لم يَنْتبِهْ مِن مَنامِهِ

وقوله[8] :

رُبَّ ليلٍ كأنّه الصُّبحُ فى الحُسْـ ـنِ وإنْ كانَ أسودَ الطَّيْلَسانِ
قد ركضْنَا فيهِ إلى اللَّهوِ حتّى وقَفَ النَّجمُ وِقفَةَ الحَيرانِ

---

(١) فى سقط الزند (٢ : ٩٢) .

(٢) قبله : حباب تحسب الغيان منه حبابا طاو عن جنبات جام

(٣) فى سقط الزند (١ : ٥٠) .

(٤) رواية السقط : « على السرق » .

(٥) فى سقط الزند (١ : ١٢٦) .

(٦) فى سقط الزند (٢ : ٤٤) .

(٧) فى سقط الزند (١ : ١٠٣) .

(٨) فى سقط الزند (١ : ٩١) .

وكأنّى ما قلتُ والبـــدرُ طِفلٌ وشـبابُ الظَّـلامِ فى العُنْفُوانِ
لَيلتِي هـذِهِ عروسٌ من الزِّنْـ ـجِ عليهـا قلائدٌ من جُمانِ
هَرَب النَّومُ عن جفونِىَ فيهـا هَرَبَ الأمنِ عَن فُـؤادِ الجبانِ
وكأنَّ الهـــلالَ يَهـوَى الثُّرياَّ فهُمَـــا للـوَداعِ مُعتَنِقانِ
وسُهَيلٌ كوَجْنـةِ الحِبِّ فى اللـو نِ وقلبِ المحِبِّ فِى الخَفَقَانِ
يُسرِع اللَّـحَ فى آحمـرارٍ كما تُسْـ ـرِعُ فى اللِّحِ مُقـــلةُ الغَضْبانِ
ثمَّ شابَ الدُّجَى نخـاف مِن الهَجْـ ـرِ فغَـطَّى المشيبَ بالزَّعفـرانِ

وقوله يصف الدرع[1] :

نَـثْرةٌ من ضمانِها للقَنَـا الخَـطِّـىِّ عنـد اللقاءِ نَثْرُ الكُعوبِ
مِثـل وشْيِ الوليدِ لانَتْ وإن كا نَتْ مِن الصُّنعِ مثلَ وشْيِ حَبيبِ
تِـلك ماذِيَّةٌ وما لذباب الـسَّـيفِ والصَّيفِ عندها من نَصيبِ

وقـــوله[2] :

أَضـاةٌ لا يزال الزَّغْف مِنهـا كفيلًا بالإضاءة فى الدَّياجِى
مُمَوَّهـــةٌ كأنّ بهـا ارتِعـاشًا لِفَـرِط السِّنِّ أو داءِ آختِـلاجِ
وهـل تعشو النِّبالُ إلى ضِـياءٍ ثَنَى السَّمراءَ مطفأةَ السِّـــراجِ

وقـــوله[3] :

سالَتْ على العارِى وهالتْ وآنطَوَتْ لينًـا فكالتها الفتـاةُ بِصـاعِهَا
آليَّـةٌ ليست تَغُـرّ سوَى القنـا والمرهفـاتِ بمـكرها وخِداعِهَا
وكأنّمـا رُعْبُ السُّيولِ تسرَّعتْ فمضت وقـرَّ الصَّفوُ مِن دُفّاعِهَا

---

(١) فى سقط الزند (٢ : ١٨٤) .
(٢) فى سقط الزند (٢ : ١٤٥) .
(٣) فى سقط الزند (٢ : ٢٠٥) .

وقوله[1] :

فَمَنْ لِبِسطامِ بنِ قَيسٍ بِها ذخيرةٌ أو عامرِ بنِ الطُّفَيلْ
فارسُها يَسبَحُ فى لُجّةٍ مِن دِجلةَ الزَّرْقاءِ أو مِن دُجَيلْ

وقوله[2] :

كأثوابِ الأراقِم مَزّقَتْها نفاطَتُها بأعيُنِها الجرادُ

وقوله[3] :

جَرَّدَتِ الحيّاتُ فيها لِبْسَها وطَرَّحَتْ للرّيح كُلَّ مِعْوَزِ
إن نَفَختْ فيه الصَّبَا رأيتَه مثلَ عمودِ الفِضّةِ[4] المُخَرَّزِ

وقوله فى الشّمعة[5] :

وصفراءَ لون التِّبرِ مِثلِي جليدة على نُوَبِ الأيّامِ والعيشةِ الضَّنْكِ
تُريك ابتساماً دائماً وتَجلُّداً وصَبراً على ما نالها وهى فى الهُلْكِ
ولو نَطقتْ يوماً لقالت أظنُّكم تخالون أنّى من عِذارِ الرَّدى أبكى
فلا تحسبوا دمعِى لِوجدٍ وَجدْتُه فقد تدمع العينانِ من كثرة الضَّحْكِ

وحُكى من ذكاء أبى العلاء أنّه لمّا سافر إلى بغداد دفع بعضُ أهله إلى خادمه الذى كان سافر معه لخدمته ماءً من بئر بالمعرّة ، يقال لها بئر القراميد ، وقال له : إذا أراد العَوْد من بغداذ فاسقِه من هذا الماء . فلمّا خرج من بغداذ متوجّها إلى معرّة النعمان سقاه ذلك الماء . فقال أبو العلاء : ما أشبَهَ هذا الماء بماء بئر القراميد!

---

(١) فى سقط الزند (٢ : ١٩٣) .
(٢) فى سقط الزند (١ : ٧٠) .
(٣) فى سقط الزند (١ : ٨٩) .
(٤) رواية السقط : « عمود الذهب » .
(٥) فى سقط الزند (٢ : ١٣٦) .

وحكى القاضى الرشيد بن الزبير المصرى[1]، فى كتاب "جِنان الجِنان"[2]، قال : حدّثنى القاضى أبو عبد الله محمد بن سندىّ القِنّسرىّ، قال : حدّثنى أبى، قال : بينما أنا عند أبى العلاء المعرّى[3]، فى الوقت الذى يملى فيه شعره المعروف بلزوم مالا يلزم، فأملى فى ليلةٍ واحدة ألفى بيت، كان يسكت زماناً ثمّ يملى قريباً من خمسمائة بيت، ثمّ يعود إلى الفكرة والعمل، إلى أنْ كمّل العدّة المذكورة .

وتُقِل أن رجلًا من طلبة العلم باليمن وقع إليه كتابٌ فى اللّغة سقط أوّله، وأعجبه جمعه[4] وترتيبه، فاتّفق أنّه حجّ فحمله معه، وكان إذا اجتمع بأديبٍ أراه ذلك الكتابَ وسأله عنه : هل يعرفه أو يعرف مصنّفه ؟ فلم يجد أحدًا يخبره بذلك . فأراه فى بعض الأحيان لبعض الأدباء، وكان ممّن يعلم حال أبى العلاء وتبحُّره فى العلم، فدلّه عليه. فخرج ذلك الرجل إلى الشّام، ووصل إلى معرّة النعمان، فاجتمع بأبى العلاء، وعرّفه ما حمله على الرحلة إليه، وأحضر ذلك الكتاب، وهو مقطوع الأوّل . فقال له أبو العلاء : اقرأ منه شيئا . فقرأ عليه . فقال له أبو العلاء : هذا الكتاب اسمه كذا وكذا، ومصنّفه فلان بن فلان . ثمّ ابتدأ أبو العلاء فقرأ له أوّل الكتاب، إلى أن انتهى إلى ماهو عند ذلك الرجل . فنقل مانقص منه عن أبى العلاء، وأكمل النسخة.

وقيل : إن الكتاب المذكور هو "ديوان الأدب" للفارابى . والله أعلم .

---

(١) هو أبو الحسن أحمد بن على بن إبراهيم بن على بن الزبير القرشى الأسدى الأسوانى، ينعت بالرشيد. ذكره العماد فى الخريدة. وكان شاعرا عالما بالهندسة والمنطق وعلوم الأوائل . وسمع من السلفى، وروى عنه السلفى شيئا من شعره . ولى نظر الدواوين بالإسكندرية . وقتل فى سنة ثلاث وستين وخمسمائة . انظر الطالع السعيد ص ٤٩ وابن خلكان .

(٢) ذكره فى كشف الظنون باسم : «جنان الجنان، ورياض الأذهان» وقال : «فى شعراء مصر لأبى الحسن أحمد بن على الزيرى المتوفى سنة ٥٦٣ صنفه سنة ٥٨ وذيل به اليتيمة» .

(٣) فى نص ابن العديم : «بتنا عند أبى العلاء المعرّى» .

(٤) فى الأصل : «جميعه» .

وقال محمد بن أبى بكر الحاتمىّ : ارتحلت أريد المعزّة لألقى أبا العلاء ، فلقيتُ فى طريق شابًّا حسنا وسيما وهو أعور ، ومعه شخصٌ وضيء الوجه، حسن الصورة ، يعتِبه[1] عتابا لطيفًا، فلمّا انتهى إلى آخر عتابه قال له الشابّ الأعور منشدًا :

إنْ كنتُ خُنتُك فى الهـوى فخُشِرتُ أقبـحَ من فَضيحهْ

قال الحاتمىّ : فرُمت أن أزيد على هذا البيت فلم أستطع، لكثرة طربى به، إلى أن انتهيت إلى المعرّة، ودخلت على أبى العلاء، فكان أوّل حديثى معه أن تذاكرنا فى أبياتٍ من الشعر، ذُكر منها بيت جُهِل قائله، وهو :

إنّما تَسـرح آسادُ الشَّـرَى حيثُ لا تُنصَبُ أشراكُ الحَدَقْ

فقال : لقـد أضاء بصيرةً وإنْ عمِى بصرا . فقلنا له : أتعرف لمن الشـعر ؟ فقال لا . فبحثنا عنه، فوجدناه لبشار بن بُرْد. ثمّ خلوت معه، فسألنى: من أنت؟ فانتسبت إليه. فقال : أنشدنى شيئًا من شعرك . فأنشدته ، ثمّ حكيت له حكاية الشابّ، وأُنسيت أن أقولَ له إنّه أعور، وأنشدته قوله :

إنْ كنتُ خنتُـك فى الهـوى فخُشِرتُ أقبـحَ من فَضيحهْ

فأسرع أنْ قال لى : فَأَلّا زِدتَ عليه :

وجحـدتُ نِعمـةَ خالِـق وفقـدتُ مُقلـتِىَ الصحيحهْ

فقلت : والله ما كان إلّا أعور، فمن أين لك هـذا ؟ قال : شِمْتُ[2] إحدى عينيـه من بيتـه .

---

(١) كذا فى الأصل ونص ابن العديم . والمعروف : « عتب عليه » .

(٢) هى من قولهم شام البرق : إذا نظر إليه أين يقصد، وأين يمطر . وفى الأصل ونص ابن العديم : «شممت» . وفى الأصل أيضا : «من نيته» مكان : «من بيته» .

وعُرض على أبى العلاء كفٌّ من اللُّوبيا ، فأخذ منها واحدةً ولمسها بيده، ثم قال : ما أدرى ما هى ، وإنّما [هى](١) أشبَهُ بالكُلْية . فتعجّبوا من فطنته وإصابة حَدْسه .

وقال أبو العلاء فى وقتٍ لجماعةٍ حضروا عنده : عدوا علىّ الألوان ، فقالوا : أبيض، وأخضر، وأصفر، وأسود،وأحمر . فقال: هذا هو ملكها . يعنى الأحمر . وكان أبو العلاء يقول : أذكر من الألوان الحمرة؛ وذلك أنّى لمّا جُدِرت ألبِست ثوبًا أحمر . وهذا من فرط ذكائه ؛ لأنّه كان عمره أربع سنين .

ودخل عليه أبو محمد الخفاجىّ الحلبىّ، وسلّم عليه ولم يكن يعرفه، فردّ عليه السلام. وقال : هذا رجلٌ طُوال. ثم سأله عن صناعته فقال : أقرأ القرآن . فقال : أقرأ علىّ شيئا منه. فقرأ عليه عشرًا. فقال له : أنت أبو محمد الخفاجىّ الحلبىّ ؟ فقال : نعم . فسئل عن ذلك فقال : أمّا طوله فعرفته بالسّلام، وأمّا كونه أبا محمد فعرفته بصحة قراءته وأدائه بنغمة أهل حلب؛ فإنّى سمعت بحديثه .

وممّا حكى عن أبى العلاء، أنّه كان يُعجبه قصيدة التّهامىّ التى يرثى بها ولده، وأوّلها :

حُكم المنيّة فى البريّة جارِى ما هذه الدُّنيا بدارِ قَرارِ

وكان لا يرِدُ عليه أحدٌ إلّا ويستنشده إيّاها، لإعجابه بها . فقدمَ التهامىّ معرّة النعمان ودخل على أبى العلاء، فاستنشده إيّاها، فأنشدها ؛ فقال له : أنت التهامى ؟ فقال : نعم . فقال : كيف عرفتنى ؟ فقال : لأنّى سمعتُها منك ومن غيرك ، فأدركتُ من حالك أنّك تُنشدها من قلبٍ قَريح ، فعلمت أنّك قائلها .

---

(١) ليست فى الأصل .

* * *

ومن رسائل أبى العلاء رسالة كتب بها إلى أبى نصر صدقة بن يوسف، لمّا آستدناه إلى حضرة عزيز الدولة فاتك صاحب حلب، وهى :

لو أهديت إلى حضرة سيّدى الرّبيعَ يُزهَى بأحسن زهرِه، والبحرَ يتباهى بالنّفيس من جوهره؛ لكان عندى أنّى قصّرت وآختصرت، فكيف بى ولا أقدر على أنْ اهدِىَ زهرَه، ولا أنتزع صدفه؛ فدع الجوهرة. والرّائد لا يكذب أهله. فأمّا العبد إذا كذب سيّدَه فبعيد ولا سعيد. والذّاهل من لم يذكرْ أمسَه، والجاهل من لم يعرف نفسه[(١)]. ولنفسى [الجانية][(٢)] أقول : [أعيتنى بأُشُر، فكيف بِدُرْدُر]. أعيتْ رياضةُ الهرِم، وآعتصارُ الماء من الجمر المضطرم. [إن كذبت، فعن الخير أعذبت]. ما آعتزلت، حتّى جَدَدتُ وهزَلت؛ فوجدتُنى لا أصلح لِجدّ ولا هزل، فعندها رَضيت بالأزْل.

ما حمامةٌ ذاتُ طوق، يُضرب بها المثلُ فى الشّوق؛ كانت فى وكرٍ مصـون، بين الشّجر والغصون؛ تألف من أبناء جنسها رِيدا، فيتراسلان تغريدا؛ مسكنها نَعمانُ الأراك، تأمن به غوائل الأشراك؛ وتمرّ فى بُكْرتها بالبيت الحرام، لا تَفْرَق لمكانِ صائدٍ ولا رام؛ فغرّها القدر، [إذ لم ينفع الحذر]؛ فخرجت من الأرض المحرّمة، فأصبحتْ وهى جِدّ مُغرَمة؛ صادها وليدٌ فى الحِلّ، ما حفِظ لها من إلّ؛ فأودعها سجنًا للطـير، ومنَعها من كلّ مَير؛ فإذا رأت من خَصاص القفص بواكر الحمام، ظلّت تُمـارِس جُرَع الحِمام؛ تسأل بِطَرْفها أخاها، ما فعـل بمدّها فرخاها؟ فيقول : أصبحا ضائِعَين، قد سترهما الوَرق عن كلّ عين.

---

(١) فى الأصـل : « أمسـه » وصوابه من رسائل المعرى. وهـذه الرسالة وردت فى رسائل المعرى ص ٩٢ بيروت وص ٥٩ مرجليوث. وقد أثبتنا الزيادات منهما بين علامات الزيادة.

(٢) التكملة من الإنصاف. وفى الرسائل : «الخائنة».

فُرَيخان ينضاعانِ فى الفجْر كلَّما أحسّا دَوِىّ الرِّيح أو صوتَ ناعِبِ (١)

— بأشوق إلى المعيشة النَّضْرة، منّى إلى تلك الحضْرة . ولكنْ صنع الزَّمانُ ما هو صانع، وآعترض دون الخير موانع . حال الغَصَص دون القَصَص، والحِريض دون القريض . المورِد نميرٌ أزرق، ولكنّ المدنَف بالشراب يَشْرَق .

لمّا رأى لُبَدُ النُّسورَ تطايرتْ رفَعَ القـــوادمَ كالفقيرِ الأعزلِ (٢)

انهض لُبَد، هيهات! صدّك الأَبَد .

ولمّا كان اليوم الذى ورد [فيه] كتابه، المشتمِل من حسن الظنّ بوليّه على ما لا يستوجبه، عكفت عليه الغِربانُ مُبَشِّراتٍ، مُثَلِّثاتٍ بالنعيب ومعشِّرات . لو أنِس إلىّ ابنُ دأية لم أُخلِه [إن رغب] فى الحَلْى من حِجْل، فى الرِّجل؛ أو تقليد، يقع فى الجيد؛ ولضمّخت جناحه مِسكا وعنبرا، ولكسوته وشيا وحِبَرا؛ على أنه يختال من لون الشّبيبة، فى أجمل سَبِيبة . ياغراب، لغيرك بعدها التراب ! إن قضى الله نبذت لك [ما تُؤْثِر] من الطعام، إناوَةً فى كلّ يوم لا فى كلّ عام .

كأنّ كتابه الشّريف قسيمةٌ من الطيب، تضوّع بالأنَابِ القَطِيب؛ وكأنّما طرقتنى منه روضةٌ نجديّة، سقتها الأنواء الأسَدية؛ فعَمِد ثراها، وأرِجت رُباها (٣)؛ وأبدى بَهارُها للأبصار، كدنانيرَ ضُربتْ قِصار؛ وآزدانت من الشَّقيق، بمُشبِهِ العقيق؛ ولعب فيها الماء، فهى أرض وكأنّها سماء؛ لها من النّجم نجوم، ومن طَلّ السَّحَر دمع مَسجوم . وقد سألتُ من ورد إليه أن يؤنسنى بتركه لدىّ؛ كى أستمتع فى ناجِر، بمُشاكِلِ خَبيّة الحاجر؛ ولأكون جليس الروضة إن لم يرلها منظرًا مبهجا،

(١) قائله أبو ذؤيب الهذلى، كما فى اللسان (ضوع) .

(٢) قائله لبيد، كما فى اللسان (فقر) .

(٣) فى الأصل والرسائل : « رياها » .

ساف منها عَرْفًا متأَرجا . وإنّ العامّة عهدتنى فى صدر العمر أستصحب شيئًا من أساطير الأولين فقالت عالم، والناطق بذلك هو الظالم . ورأتنى مضطرًّا إلى القناعة فقالت زاهد، وأنا فى طلب الدنيا جاهد . وزاد تقوُّل القوم علىّ حتّى خشيت أن أكون أحد الجهّال، الذين ورد فيهم الحديث المأثور : «إن الله لا يقبض العلم آنتزاعًا ينتزعه من صدور الناس، ولكن يقبض العِلم بموت العلماء، حتى إذا لم يبقَ عالمٌ آتّخذ النّاس رءوسًا جُهّالًا، فسُئلوا فافتَوْا بغير علم، فضلّوا وأضلّوا » .

فغدوتُ حِلْسَ رَبْع، كالميِّت بعد ثلاثٍ أو سبع . وحدَثَتْ علّةٌ كُنِّىَ عنها فى المستمَع، وعاقت عن الحضور فى الجُمَع . وفى الكتاب [الكريم] : ﴿يَاأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾ . وإنّما ذكرت ذلك لينتهى إلى حضرة [السيّد] عزيز الدولة، [أعزّ الله نصره]، أنّى تخلّفت عن خدمته لمرض، منع من أداء المفترض . وإنّ الذكر لَيَطير، للرجل وغيرُه الخطير . كم من شجرةٍ شاكَةٍ ظلُّها ليس برحب، وثمرُها غير عذب؛ آسمها السَّمُرة، وكنيتها أمّ غَيْلان، تُذكر فى آفاق البلاد، وغيرُها من أشجار الثّمار إن ذكر، نُكِر . والإرماء، لا توجبه للشىء الأسماء . رُبَّ أسودَ كريه الرائحة يسمّى كافورًا وعنبرا، وقبيحِ الصُّورة [مِنَ البشر] يُدْعَى هلالًا وقمرا . وكيف يتأدّى العلم إلىَّ وأنا رجلٌ ضرير! وكَفَى من شرٍّ سماعُه، ونشأتُ فى بلدٍ لاعالِم فيه، وإنّما تَشَبَّثُ النامية، بالجوازع السامية . ولم أكُنْ صاحبَ ثروة فكيف الحُداء بغير بعير، والإنباض مع فقد التّوتير . فإنْ بلَغَ سيّدى الشّيخ أنّ سارِىَ اللّيل، قَبَض على سُهيل؛ وأن الأرض أنبتت وشيًا وحريرا، والسحاب أمطر مُداما وعبيرا، فهو أعلم بردّه على المبطلين . حسْبُ الأرض، أن تعنُوَ بِخُلّةٍ وحَمض . وعادةُ السَّحاب المرتفِع فى السّماء، أن يأتىَ بريّ الظّماء . والدُّبلة، بلّغت إلى البُلْجة . لهفى على فوات هذه المنزلة ! ومَنْ للورقاء، بكوكب الحرقاء؛

والراقِد عند الغرقد، أن يُضحِى مجاوِرَ الفرقد! من لا يصلح لمجالسة النُّظَراء، فكيف يَنتدِب للقاء السادات الكبراء!

لقــد أسمعتَ لو ناديتَ حيًّا ولكنْ لا حياةَ لمن تُنادِى

هل آمُل من الله ثوابا، وإنما [أنا] كقتلى بدر أسمع ولا أملك جوابا. ولِمثل هذه الرتبة سهِر من أهل العِلم الساهرون. أعرِضَ النّوفل وغاب العائِم، وأومض البارق فأين الشائم. إنّ الحىّ خُلوف، ﴿يَالَيْتَنِى كُنْتُ مَعَهُمْ فأفُوزَ فوزًا عَظِيما﴾. و [السيّد] عزيز الدولة، [أعز الله نصره]، يُعين الكسير بالجبر، فكيف يأمر بإخراج ميِّت من قبر! ولو كنت بارئًا من هذه العلّة لخشيت أن أضِحَ، فافتضح؛ لأنى ما أُنصِفت، إذ وُصِفت. [والسيد عزيز الدولة] ليس كغيره من الملوك والسادات، لأنّه يوصف بفارس من جهات: فهو فارس الأقران، من فَرْس الأسد، فارس على الجواد العَتَد، فارس من فِراسة الألمعىّ، سالم من الخطل والعِىّ. والإنسان يستحيي من نظيره، فكيف مِن سيّد العصر وأميره! يافضحةَ فتاةٍ قيل إنها بيضاء، كأنّها من النِّعمة ما تضمّنته الإضاء، حليمة رَزَان، تزين المجلس ولا تُزَان؛ حوراء غيداء، فلما كان الهِداء، وُجدت على خلاف ذلك، فإذا بياضها سواد رائع، والنِّعمة جفاء فى الجسد ذائع؛ والحَوَرُ زَرَقٌ مُباين، والغَيَد وَقَص شائن؛ و إذا هى سفيهة رَواد، لا يُشغَف بودّها الفؤاد. والمثل السائر: "أن تسمع بالمُعَيْدِىّ خير من أن تراه".

ولست أرضَى لحضرة [مولاى] الشيخ بتحيّة نُصَيب؛ لأنّه رضى بعشر تحيّات فى الصّباح، وعشرٍ عند الرواح. ووليُّه يحمل إلى حضرته الجليلة تحيّة شاكِر طروب، تصِل شُروقَ الشّمس بالغروب؛ وتكر من طلوع الشفق، إلى حين تمزُّقِ ثياب الغَسَق؛ كلّما اجتازت بالصّعيد الأعفَر، جعلته كالهِندىّ الأذفر. إن شاء الله تعالى.

وأثبتنا هذه الرسالة بجملتها لاتّساقها، واتّفاقها. وهى كبنيانٍ لو أخذت منه لَبِنةٌ لانقضّ، وسِلْكٍ لو انْحَلّ منه طاقٌ لتداعى فيه النّقض، وكعقدٍ لو انفرطت دُرّةٌ منه لا رفضّ، وكصفٍّ لو نُقل منه واحدٌ لتخلّى عن البعض.

* * *

ومن رسالة له سماها رسالة المنيح[1]:

إنْ كان للآداب [أطال الله بقاء سيدنا] نسيمٌ يتضوّع، وللذّكاء نارٌ تُشرِقُ وتلمع، فقد فعمنا[2] على بُعد الدّار أرجُ أدبه، وعما اللّيلَ عنّا ذكاؤه بتلهُّبه، وخوّلَ الأسماعَ شُنوفاً غير ذاهبة، وأطْلَع فى سويداوات القلوب كواكب ليست بغاربة. وذلك أنّا، معشرَ أهلِ هذه البلدة، وُصِف[3] لنا شرف عظيم، وأُلقِى إلينا كتاب كريم؛ قراءته نُسُك، وختامه بل سائره مسك، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾. أُجِلّ عن التقبيل فظلاله المقبّلة، ونُزِّه أن يُبْذَل فنسخه المبتذَلة، وإنّه عندنا لكتابٌ عزيز. ولولا الإلاحة، على ما ضَمِن من الملاحة؛ والحشيةُ على دُجَى مِداده من التوزُّع، ونهارِ معانيه من التشتّت والتقطُّع؛ لعكفت عليه الأفواهُ باللّثم، والمَوارِن بالانتشاء والشمّ؛ حتى تصير سُطوره لَمىً فى الشّفاه، وخيلانا على مواضع السُّجود من الجباه.

منها:

موشّحا بكل شذْرةٍ أعذبَ من سَلاف العنقود، وأحسنَ من الدّينار المنقود؛ بجاء كلوائح البروق، أو يُوحَ عند الشُّروق.

---

(١) رسائل العمرى ص ٥ بيروت، ٢ مرجليوث. وقد اختار العمرى منها، كما أسقط بعض السجعات فى أثناء الاختيار، مع تصرف يسير نادر.

(٢) فعمه الطيب: ملأ أنفه. وفى الرسائل: «فغمنا» بالمعجمة، وهما بمعنى.

(٣) فى الرسائل: «وهب».

ولو أنّ شوقَه إلى حضرته [الجليلة] تمثّل فمثَل، وتجسّم حتّى يُتَوسَّم؛ لملأ ذاتَ الطُّول والعرض، وشغَل ما بين السماء والأرض؛ ولم يكتفِ حتّى يكلِّف الخطوة، أن تَسعَ صَهوة؛ والراحة، أن تكون مثل الساحة. وبلغ وليُّه السَّلامُ الذى لو مرّ بسَلِمةٍ واريةٍ لأغدقت، أو سَلَمةٍ عاريةٍ لأورقت؛ فحمل فؤادى من الطّرب على رَوق اليعفور، بل فوقَ جناح العصفور؛ فكأنّما رفعنى الفلك، أو جاءنى الملك.(١)

منهـا:

وكِدتُ لولا اشتمالُ المخاوف على هذه المَحَلّة، واشتِعال(٢) الضمائر فيها بقبس الغُلّة، أحسب سلامَهُ السّلامَ الذى ذكره البارئ جلّ اسمُه فى قوله: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾. أفَبلدتُنا جِنان، أم وضَحَ لأهلهـا الغُفران؛ أم نُشِروا بعد ما قُبِروا، أم جُزُوا الغُرْفةَ بما صبَروا، فهم يُلَقَّوْنَ فيها تحيّةً وسلاما. وإنْ نالوا بمنّه أوصافَ الأتقياء الأبرار، فقد أُنزلتْ بهم خَلّة من خِلالِ الأشقياء الكفّار؛ وذلك أنهم بأسد البلاغة افترسوا، وبأسبابها عُقِدت ألسنتُهم عن الجواب فخرِسوا؛ فكأنّما قيل لهم: ﴿هَـذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ. وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾. وإنّما غَرِقُوا فى لُجّ التّبانة فصمتوا، وسمعوا صواعق الإبانة فخفتوا؛ فقَلَمُ كاتبهم عُود الناكت، وجوابُ بليغهم حَيرة الساكت. على أنّهم قـد راموا تصريفَ الخطاب فصُرِفوا، وعرفوا مكانَ فضـله فاعترفوا؛ وتراءوهُ من مَبارِكِ العُروج، فلمحوه فى مآرِكِ البُروج؛ واستنهضتْهم الهِمم إلى مداناته فعجَزوا، ووعدوا هواجسَهم التبلُّد فأنجزوا؛ ولن تُوجد آثارُ النُّوق، فى أوكار الأَنوق؛ فهم يتأمّلون وميضَه الآلِق، ويحمدون الإلهَ الخالق؛ على ما منحه سيِّدَهم من الاقتدار، بدقيق الأفكار؛ على إعادة اليمّ كالغدير المسمَّى بالغَدْر، وإلحاق الشَّهَا بالقمر ليلة البدر؛

(١) فى الرسائل: «ناجانى الملك».

(٢) فى الأصل وكذا فى الرسائل: «واشتغال» بالمعجمة.

ولم يزل المـاشى العازم، أسرعَ من راكب الوَازم؛ فكيف بمن آمتطى به عزمُه كَتِدَ الرِّيح، وحكم له سعدُه بالسَّعى النجيح؛ وخصَّه بارئه [تقدّست أسماؤه] بطبع راض، صعاب الأغراض؛ حتّى ذلّلها، وأنَّس بوحوش اللُّغات فأهّلها؛ فصار حَزْنُ كلام العرب إذا نطَقَ به سهلا، وركيكُه إن أيَّده بصنعته قويًّا جزْلا. فمَثَله مثَلُ جارسة الكَحْلاء، تسمح بالمسائب المِـلاء؛ تَطعَم الغَرَب، وتجود بالضَّرَبِ؛ وتَجْنى مُرّ الأنوار، فيعود شهدًا عند الآشتيار؛ وكالهواء فى مذهبٍ لا أعتقده، وقولٍ مَنْ سواىَ يسدِّده؛ يجتذب أجزاء البخار، فيسقى مَنْ تحته عذبَ الأمطار. ومَن لنا بأنّ اللفظ المَشُوف، يمثّل عليه التمثيلَ مَنْ على الحروف؛ [فُتكلّف ألبابُنا اقتضابَ العسير، وركوبَ ما ليس بيسير]؛ فعساها تَبَـلُّ بفقرة زاهرة، أو تظفر بآستخراج لؤلؤة فاخرة. على أنّه من العناء سؤال البَرَم، ورياضة الهرِم. وهيهات! بُعدت محالّ الغَفْر الطّالع، عن منزالّ الغَفْر الظالع؛ وأعجز البارِق، يد السارق؛ وجلّت الشموس، عن سُكنى الرُّموس؛ وهو — رُزِق لامُه، ما رُزِق كلامُه — أولى النّـاس، بإضاءة النـــبراس.

وقد كان فيما مضى قومٌ جعلوا الرسائل، كالوسائل؛ وتزيَّنوا بالسجع، تزيُّنَ المُحْوِل بالرَّجْع؛ مارقُوا فى درجته، ولا وضعوا قدمًا على محجّته. لكنهم تباينوا، فما تباينوا؛ وتناضَلوا، فلم يتفاضلوا. ولو طمِعوا فى الوصول، إلى مثل هذه الفصول؛ لآختاروا[1] الرَّتَبَ، على الرُّتَب؛ ورضُوا آعتسافَ السبيل، وآرتعـاء[2] الوبيل؛ ليدركوا بطلبهم ما أدرَكَ عن غير جِدّ، وآغترفه من بَديهِهِ العِدّ. وكلُّهم لو شاهده لرضِى بأن يُدْعَى السَّكيت فى حَلْبةٍ سيِّدُنا فيهـا سابق الرِّهان، وتمنّى أن يكون زُجًّا فى قناةٍ هو منهـا

(١) عبارة « إلى مثل هذه الفصول » ساقطة من طبعتى الرسائل.

(٢) الارتعاء: الرعى. والوبيـل: الوخيم من الكلأ ومن الماء. وفى الرسائل: « ارتشاف » بدل: « ارتعاء ».

موضعَ السنان ؛ ولمّا وردَتْ مع عبده موسى تلك الغرائب المُؤنِسة ، والقلائد المُنفِسة ؛ أبطلَتْ كيد السُّحّار ، وعَصفتْ بهشيم الأشعار ؛ فوجد فى وطنه أشباحَ أوزانٍ تتخيّل ، وأنقاء أذهان تتهيّل ؛ فألقى عصاه فإذا هى تَلْقَفُ ما يأفكُون .

شاهدنا فيما سمعناه المعنى الحصير ، فى الوزن القصير ؛ كصورة كِسرى فى كأس المشروب ، وتِمثال قيصر فى الإبريز المضروب ؛ لم يُزْرِ به ضِيقُ الدار ، وقِصرُ الجدار ؛ إنْ تنزّل فحنين العُود ، أو تجزّل فهدير الرُّعود ؛ وإن كان — [أدام الله شرف الدنيا به] — أستصغر من ذلك ما أستكثرناه ، وأستَزْرَ من أدبه الذى أستغمرناه .

منهـا :

وإن كان فى وانيةِ آدابنا بَقيّةُ إرقال ، ولآنيةِ أفهامنا خَفيّةُ صِقال ؛ فسوف تنتفع ، وهو — [أدام الله عزه] — ذريعة الآنتفاع ، وتضىء بما أهدى إليها من الشعاع ؛ إضاءة الصُّفْر ، بما قابل من النَّيِّرات الزُّهْر . وقد يُرَى خيال الجوزاء على رِفعتها ، فى أَضاة المَعْزاء مع ضَعَتِها ؛ ويُورِق العود ، ببركة السعود ؛ وتفيض الرَّدْهة ، عن نوء الجبهة . ولو تَفوّه بمقالٍ جامد ، وهمّ بآختيال هامد ؛ لنشرت المعزةُ صحفَ الآفتخار ، وسحبت ذيلَ العظمة والآستكبار . عجبًا أنّ فكره يلحَظُها لحظَ الشّاهد الساهد[1] ، [وإن كان لا يلفظ بذكرها لفظ الحامد العامد] ، وإنما هو فى الرَّحيل عنها بجسم ذى رُوح ، نُقِل من الغِرْقِئ إلى اللُّوح ؛ وهى بعده كقسيمة ، الوسيمة ؛ ذهب عِطرها ، وبقى نشرها . وإنّما شُرِفت على [ما] سواها ، وطالت عن البلاد دون ما والاها ؛ لإقامته [بهـا] فى تلك الأيام ، وإنامته عن أهلها نواظِرَ أزَامٍ ؛ فعُرِفت عنـد ذلك به ، ونالت خِيرَها من حَسَبِه .

---

(١) فى الأصل : « الساهى الساهد » تحريف .

وإنّما فضُلَ الطُّور بالكَلِيم، والمَقام بإبراهيم . ولقد سمونا بمجاورته ، قبل مجاورته ؛ سموَّ اليَثْرَبىّ ، بجوار النبىّ . ولعل المعزّة علمتْ أنّه عِقدٌ لا يصلُح لمُقلّدها ، وسِوارٌ يرتفع لجلالته عن يدها ؛ وتاجٌ لا يُطيق حملَه مَفْرِقها ، وجَوْنة يشرق بذُرورها مَشرقُها . ومغانيه الأُولى كالشَّجرة بعد آجتناء الثمرة ، والصدفة بغير جوهرة .

ولم يَخْفَ علينا أنّ القمر ، لم يُخلَق للسمر . وليس للمستعير أن يحسب العارية هِبة ، ولا يظن ردَّها إلى المُعير مَثْلَبة ؛ لكنْ شرفٌ للصُّعلوك ، العاريّة من الملوك . وقد أفادت هذه البقعة الصِّيتَ البعيد ، وآنقادت لما أزِمّة الجَدّ السعيد .

نظَعَن وأرَجُه مقيم ، وآرتَحَل وللثّناء تخييم . ولولا جفاء التُّربة والأحجار ، عن التخلُّق بأخلاق الجِمار ؛ لأصبحت ساحتُها للتأدُّب مختارة ، والفصاحةُ من عند أهلها ممتارَة .

ولكن أبى الجُلمود ، قَبول الطَّبْع المحمود . وما هُمّ آبن داية ، بصيد الجَداية ! فكيف يلتقط الفار ، بالمِنقار ؛ ويستر القِرواح ، بالجناح ؛ أم كيف يُمَدّ الطِّراف من النِّسْع ، ويُقَدُّ النِّجاد من الشَّسْع ! هذا ما لا يكون ، ولا تسبق إليه الظُّنون .

والظُّلم البيِّن ، والخطب الذى ليس بهيّن ؛ تكليف القُطب النابت ، مداناةَ القطب الثابت ؛ وإلزامُ نَسر الحافر ، مَرامَ النَّسر الطائر .

وإذا قيل فلان أديب ، وفلان أريب ؛ فإنّ اتفاق الأسماء ، لايمنع الفراق عند الرِّماء . الذُّباب ، سَمِىُّ طرَف القِرضاب ؛ وليس كلُّ مَنْوب مبشّرا ، ولا كل متثائب مؤشّرا . أعرِض شاوٌ لايُتعلّق بنَصبِه ، وعَنّ أمدٌ لا يُتعَب فى طلبه .

نام والله اللاغب ، وأدلج الراغب ؛ والعُجمة ، أسهل من البكمة ؛ والحُبْسة ، أقلّ ضررا من الخُرسة .

ومَن يجعل الرّبوة رُوبة، والسَّبت عَروبة ! وضائعُ أداء الفروض قبل دخول الأوقات ، والإحرامُ بعد مجاوزة الميقات ؛ وآرتياحُ اللاقطة [بساقطة] النَّقْد ، كآرتياح الماشطة بواسطة العِقد .

منها :

فقليلُ العِلم منهم يُستطرَف، ولا يكاد يُعرَف؛ كالشُّنوف، على الأُنُوف .

وإنّما يشدو بالترنُّم شاديهم ، ويغدو فى أُولَى الدَّعوَى غاديهم؛ بين أناسٍ يَقَظَةُ أحدِهم أقصر من لَحْظتـه ، وسِنَتُه أطول من سَنَته ؛ وحِلية الدواة ، لديه أحلى الأدوات ؛ وحُسن اليراعة، أحسن البراعة .

وربّما جُعل الحِمار، على وجه الحِمار . ليس الضَّريع، بالمرعى المَرِيع .

إن أغفيتُ فالوسَن، يُرِى الحُلم الحسن .

هل أدبى فى أدبه إلّا كالقطرة، فى المطْرة ؛ والنحلة ، عند النخلة .

فليته آطّلع من وليّـه على كنين الآعتقاد ، وجَنين السّواد ، فيعلم أنّ الرُّوع، وجوانح الضلوع ؛ مُفْعَمة له بالإعظام ، مُتْرَعة بمحبّتـه إتراع الجام ؛ لا لأنّه جعل حصاتى كثَبِير، وخلط عِثْيَرى بالعبير .

أصِفُ وكلُّ وصفى صحيح، وأحلِفُ وحَلِفى تسبيح .

وليس النَّصر ، بقدم العصر .

وما بجحد أحد ضحاه، ولا وحَى مخلوق مثلَ ماوحاه؛ ولكن للمهج، بالفارط لَهَج .

وقد أَنكَر من أعظم العُزّى واللات ، ما جاء به محمد صـلى الله عليه وسـلم من الآيات .

وقد تُقبَل صلاةُ الأُمّىّ، ويسمع دعاء الأعجمىّ .

وأنا على إسهابى نكابط الظلماء ، وباسِط اليد الجذماء ، ولو جِئت من الزَّرَق بُكرًا، ما كافأت على الفريدة من الدُّرّ . وليس سِرْب القطا وإن كثُر، بمقاوِم للبازى ولو لطف وصغر .

وأين الماء، من السماء؛ وموقع السَّيل، من مطلع سُهيل !

وتالله أُساجل بمَدِى بحرَه، ولن يهلك امرؤٌ عَرَف قَدْرَه . والسلام .

الوافى بالوفيات(*)

للصفدى(**)

٦٩٦ — ٧٦٤

أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهّر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن أرقم بن أنور بن أسحم بن النُّعمان — ويقال له : ساطع الجمال — بن عدىّ بن عبد غطفان بن عمرو بن بَرِيح بن جَذيمة(١) بن تيم الله بن أسد بن وبْرة بن تغلب(٢) بن حُلوان بن عِمران بن الحاف بن قضاعة — وتيم الله مجتمع تنوخ(٣) — المعرّىّ التنوخىّ، من أهل معرّة النعمان، المشهور، صاحب التصانيف المشهورة .

كان عَجَبًا فى الذّكاء المفرِط، والحافظة .

(*) الوافى بالوفيات : كتاب كبير فى التراجم، مرتب على حروف المعجم . ابتدأه مؤلفه بالمحمدين ثم بالأحمدين ، ثم سار بعد ذلك فى الترتيب على الحروف . ومنه بالخزانة التيمورية نسخة مكتوبة بالخط المغربى، بخط عبد القادر بن عبد الرحمن السلوى الأندلسى ثم القدسى، كتبها لمولانا أبى الحسن على باشا، وفرغ من كتابتها سنة ١١٥٨ . وهى فى مجلدين كبيرين .

ويقع النص منها فى المجلد الأول ص ٢٧٥ — ٢٨٥ . وبدار الكتب المصرية نسخة أخرى مصوّرة، فى سبعة عشر مجلدا، والنسختان ناقصتان وبهما خروم كثيرة . وبدار الكتب أيضا مجلد من نسخة أخرى مخطوط سنة ٨٩٠ . وإنما اعتمدنا التيمورية لسقوط الترجمة من الأخريين .

(**) هو صلاح الدين أبو الصفا خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدى الشافعى . ولد بصفد سنة ست أو سبع وتسعين وستمائة . أخذ النحو عن أبى حيان، والأدب عن ابن نباتة . وتولى كتابة الإنشاء بمصر ودمشق، ثم ولى كتابة السر بحلب . له زهاء مائتى مصنف، منها : كتاب "الشجون بالعيون" فى تراجم العيون وأخبارهم، و"نكت الهميان" و"الغيث المسجم" و"أعيان العصر" فى التراجم . وكانت وفاته بدمشق . انظر طبقات الشافعية (٦ : ٩٤) . وشذرات الذهب .

(١) فى الأصل : «خزيمة» تحريف، وانظر ما سبق ص ١٢ .

(٢) فى الأصل : «ثعلب» . صوابه ما أثبتنا . (٣) فى الأصل : «بجتمع بنوح» . تحريف .

قال أبو سعد السَّمعانى فى كتاب الذيل[1] : ذكر تلميذه أبو زكرياء التِّبريزىّ، أنّه كان قاعدًا فى مسجده بمعرّة النعمان، بين يدى أبى العلاء، يقرأ شيئًا من تصانيفه. قال : وكنت عنده سنين ولم أر أحدًا من أهل بلدى، فدخل المسجدَ بعض جيراننا للصّلاة، فرأيته وعرفتُه، فتغيّرت من الفرح. فقال لى أبو العلاء : أيْش أصابك؟ فحكيت له أنّى رأيت رجلًا جارًا لى، بعد أن لم ألق أحدًا من أهل بلدى سِنين. فقال لى : قم فكلِّمْـه. فقلت : حتى أُتمم السَّبَق. فقال لى : قم أنا أنتظر بك. فقمتُ وكلّمتُه بلسان الأذربيّة شيئًا كثيرا، إلى أن سألت عن كلّ ما أردت. فلمّا رجعتُ وقعدت بين يديه، قال : أىُّ لسانٍ هذا؟ قلت : هذا لسان أذربيجان. فقال لى : ما عرفت اللسان ولا فهمتـه، غير أنّى حفظت ما قلتما. ثمّ أعاد علىّ اللفظَ بعينـه، من غير أن ينقص منـه أو يزيد عليه، جميعَ ما قلت وقال جارى. فتعجّبت غايةَ التعجُّب كيف حفِظ ما لم يفهمه!

قلت : وهذا مُعجز؛ فإنّه بلغنا عن جماعة من الحفاظ، وما يحكى عن البـديع الهمَذانى، و[ابن] الأنبارى[2] وغير هؤلاء، ما هو أمرٌ[3] قريب من الإمكان؛ لأنّ حفظ ما يفهمه الإنسـان ويعرف تراكيبه أو مفرداته سهل. وأمّا أنّه يحفـظ ما لم يفهمه ولا يعلم له مفردا ولا مركّبا[4]، وهو أقلّ ما يكون أربعمائة سـطر، من سؤال غائبٍ عن أهل بلده سنين وجوابه[5].

(١) هو كتاب الأنساب. وقد سبق النص فى ص ١٣.

(٢) هو أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنبارى. ولد سنة ٢٧١ وتوفى سنة ٣٢٧ ببغداد. وكان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهد فى القرآن، وكان يملى من حفظه لا من كتاب. وكان يحفظ مائة وعشرين تفسيرا بأسانيدها، وأملى كتبا كثيرة، منها كتاب الأضداد. انظر بغية الوعاة.

(٣) فى الأصل : «وهو» صوابه من النكت.

(٤) فى الأصل : «يسمعه».

(٥) كذا وقع جواب «أما» محذوفا. وتقديره : «فبعيد» أو نحو ذلك. وانظر النكت.

وللناس حكاياتٌ يضعونها فى عجائب ذكائه، وهى مشهورة، أظنّها مستحيلة.

وكان آطّلاعه على اللُّغة وشواهدها أمرًا باهرا.

ولد يوم الجمعة عند مغيب الشمس، لثلاثٍ بقين من شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث وستّين وثلاثمائة، بالمعرّة.

وتوفّى ليلة الجمعة، ثالث، وقيل ثانى شهر ربيع الأوّل، وقيل ثالث عشره، سنة تسعٍ وأربعين وأربعمائة.

وجُدر من السنة الثالثة من عمره، فعمى منه. وكان يقول: لا أعرف من الألوان إلّا الأحمر؛ لأنّى أُلبِست فى الجدرىّ ثوباً مصبوغا بالعصفر، لا أعقل غير ذلك.

قال الحافظ السِّلَفىّ: أخبرنى أبو محمد عبد الله بن الوليد بن غريب[1] الإيادىّ، أنّه دخل مع عمّه على أبى العلاء يزوره، فرآه قاعدًا على سَجّادة لِبد، وهو شيخٌ فانٍ[2]، فدعا لى، ومسح على رأسى، فكأنّى أنظر إليه الساعةَ وإنّ عينيه إحداهما نادرة، والأخرى غائرةٌ جدّا، وهو مجدّر الوجه، نحيف الجسم. انتهى.

وقال أبو منصور الثعالبىّ[3]: وكان حدّثنى أبو الحسن الدُّلَفىّ المِصّيصىّ الشاعر، وهو ممّن لقيته قديمًا وحديثا، فى مدّة ثلاثين سنة، قال: لقيت بمعرّة النُّعمان عجبًا من العجب: رأيتُ أعمى شاعرًا ظريفا، يلعب بالشِّطرنج والنَّرد، ويدخُل فى كلّ فنٍّ من الجِدّ والهزل، يكنى أبا العلاء. وسمعته يقول: أنا أحمد الله تعالى على العمى، كما يحمده غيرى على البصر. انتهى.

---

(١) فى الأصل: «عريب» بالمهملة.
(٢) فى الأصل: «بادية».
(٣) انظر نص تتمة اليتيمة ص ٣.

وهو من بيت علمٍ وفضلٍ و رياسة، له جماعةٌ من أقارب قضاةٌ وعلماء وشعراء، مثل سليمان بن أحمد بن سليمان. جدّه قاضى المعرة، وولى القضاء بحمص . ووالده [عبد الله](١) بن سليمان كان شاعرًا . وأخيه محمد بن عبد الله ، وكان أسنّ من أبى العلاء ، وله شعر . وأبى الهيثم أخى أبى العلاء، وله شعر .

وجاء من بعده الجماعةُ الذين من أهل بيته(٢) ، وُلوا القضاء و رأسوا ، ساقهم الصاحب كمال الدين بن العديم، على الترتيب، وذكر أشعارهم وأخبارهم، فى مصنف سمّاه "دفع التجرّى، على أبى العلاء المعرى" .

وذكر ياقوت فى مُعجم الأدباء عند ذكر المعرّى أبى العلاء : وقال أبو العلاء الشعر، وأوّل ما صنّف الشِّعرَ(٣) وهو ابن إحدى عشرة سنة .

ورحل إلى بغداد، ثمّ رجع إلى المعرّة، وكان رحيله سنة ثمانٍ وتسعين وثلاثمائة . وأقام ببغداد سنةً وسبعة أشهر، وقصد أبا الحسن علىّ بن عيسى الرَّبَعىّ النحوىّ ليقرأ عليه . فلمّا دخل عليه قال : ليصعد الإصطبل! نخرج مُغضَبا، ولم يعُدْ إليه . والإصطبل فى لغة أهل الشّام : الأعمى . كذا قال ياقوت، وقال : لعلها معرّبة .

ودخل على المرتضى أبى القاسم، فعثَر برجُل ، فقال : مَن هذا الكلب؟ فقال أبو العلاء : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسمًا ! وسمعه المرتضَى فأدناه وآختبره ، فوجده عالمًا مشبَعا بالفطنة(٤) والذكاء، فأقبل عليه إقبالًا كثيرا .

---

(١) التكملة من النكت .

(٢) فى النكت : « جماعة من أهل بيته » .

(٣) فى الأصل : «وهو أول من صنف الشعر وهو ...» الخ . والذى فى معجم الأدباء : «وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة » .

(٤) فى الأصل : «شبعان الفطنة» صوابه فى النكت .

وكان المعرّى يتعصّب لأبى الطيب، ويفضّله على بشّار وأبى نُوَاس وأبى تمام، وكان المرتضى يتنقّصه ويتعصّب عليه. فجرى يومًا ذكره، فتنقّصه المرتضَى، وجعل يتتبّع عيوبه. فقال المعرّى: لو لم يكن للمتنبّى من الشعر إلّا قولُه:

* لك يا منازلُ فى القلوب منازلُ *

لكفاهُ فضلا. ففضِب المرتضَى، وأمر به فسُحِب برجله، وأُخرج من مجلسه، وقال لمن بحضرته: أتدرون أىّ شىء أراد الأعمى بذكر هذه القصيدة، فإنّ لأبى الطيّب ما هو أجودُ منها، ولم يذكرها؟ فقيل[1]: النقيب السيّد أعرَف. فقال: أراد قولَه فى هذه القصيدة:

وإذا أتتك مَذمّتى من ناقِص فهى الشّهادةُ لى بأنى كاملُ

ولمّا رجع المعرّى لزِم بيته، وسمّى نفسه "رهين المحبِسين". يعنى حبس نفسه فى المنزل، وحبس بصره بالعمى.

وكان قد رحل أوّلا إلى طرابلس، وكانت بها خزائنُ كتبٍ موقوفة، فأخذ منها ما أخذ من العلم.

وآجتاز باللاذقيّة، ونزل دَيْرًا كان به راهبٌ له علم بأقاويل الفلاسفة، سمع كلامَه، فحصل له بذلك شكوك.

والنّاس مختلفون فى أمره، والأكثرون على إكفاره وإلحاده.

أورد له الإمام فخر الدين فى كتاب الأربعين[2] قوله:

قلتم لنا صانع قديم[3] قلنا صدقتُم كذا نقولُ

---

(١) فى الأصل: «فقال». وتصحيحه من النكت.

(٢) انظر كتاب الأربعين فى أصول الدين لفخر الدين الرازى ص ٩٥. والأبيات فى اللزوم (٢ : ١٧٩).

(٣) فى الأربعين: «حكيم».

ثمّ زعمتمْ بلا زمانٍ ولا مكانٍ ألا فقولُوا
هــذا كلامٌ له خبيءٌ معناه ليست لنا عقولُ

ثم قال الإمام فخر الدين : وقد هذى كثيرًا (١) فى شعره .

وأمّا ياقوت فقال : وكان متّهما فى دينــه، يرى [رأى] (٢) البراهمــة، لا يرى إفساد الصورة، ولا يأكل لحمًا، ولا يؤمن بالرُّسل ولا البعث والنُّشور .

قال القاضى أبو يوسف عبد السّلام القزوينى : قال لى المعرّى : لم أهجُ أحدًا قطّ . فقلت له : صدقت، ولا الأنبياء (٣) عليهم السلام ؟ ! فتغيّر لونه، أو — قال : — وجهــه .

ودخل عليــه القاضى المنازىّ، فذكر له ما يسمعه عن النّاس من الطّعن فيه، ثم قال : مالى وللناس، وقد تركت دنياهم ! ! فقال له القاضى : وأخراهم ! فقال : يا قاضى، وأخراهم ! وجعل يكررها .

قال ابن الجوزىّ (٤) : وحُدّثت عن أبى زكريّا، أنّه قال : قال لى المعرّى : ما الذى تعتقد ؟ فقلت فى نفسى : اليــوم يتبيّن لى اعتقاده ! فقلت له : ما أنا إلّا شاكّ ! فقال : وهكذا شيخك .

وأمّا الشّيخ شمس الدين (٥) فحكم بزندقته، فى ترجمته له، وطوّلها وذكر له فيها فبائح.

وأظنّ الحافظ السّلفى قال : إنّه تاب وأناب .

---

(١) فى النكت والمعاهد : « وقد هذى هذا فى شعره » . والعبارة بجملتها لم ترد فى النسخة المطبوعة من كتاب الأربعين .

(٢) التكملة من ياقوت والنكت .

(٣) عند ياقوت وكذا فى النكت : « إلا الأنبياء » .

(٤) انظــر المنتظم ص ١٩ .

(٥) هو سبط ابن الجوزى . انظر مرآة الزمان .

وأما البـاخَرْزىّ فقال فى حقه : ضرير ، ما له فى أنواع الأدب ضريب ؛ ومكفوف ، فى قميص الفضـل ملفوف ؛ ومحجوب ، خصمه الألَدُّ محجوج . قد طال فى ظلال الإسـلام آناؤه ، ولكن ربّمـا رشح بالإلحاد إناؤه . وعندنا خبر بصره ، والله تعـالى أعلم ببصيرته ، والمطّلع على سريرته . وإنّمـا تحدّثت الألسن بإساءته ، لكتابه الذى زعموا أنّه عارض به القرآن ، وعنونه بـ"الفصول والغايات"، محاذاةً للسُّور والآيات[1] . وأظهر من نفسيـه تلك الخيانة ، وجذّ تلك الهوسات كما يجذّ العير الصِّلّيانة ؛ حتّى قال فيه القاضى أبو جعفر محمد بن إسحاق البَحّاثى الزوزنىّ فى قصيدةٍ أولهـا :

كلبٌ عـوَى بمعـزةِ النُّعمانِ ... لمّـا خلا عن ربقة الإيمـانِ

أمَعـزةَ النُّعمانِ ما أنجبتِ إذْ ... أخرجْتِ منكِ معـزةَ العُميانِ

وأما ابن العديم ، فقال فى المصنّف المذكور الذى له فى أمر المعزّ :

قرأت بخـط أبى اليسر شاكر بن عبد الله بن سـليمان المعزّىّ[2] ، أنّ المستنصر صاحب مصر ، بذل لأبى العلاء المعزّىّ ما بين المـالين بالمعزة من الحـلال ، فلم يقبل منه شيئا ، وقال[3] :

لا أطلـبُ الأرزاقَ والـ ... ـمَوْلى يُفيـض علىّ رزقى

إن أُعْـطَ بعضَ القـوتِ أعْـ ... ـلَمْ أنّ ذلك فـوقَ حقّى

وقال أيضـا[4] :

كأنّمـا غانَهُ[5] لى من غِـنًى ... فعـدّ عن مَعْـدِنِ أسـوانِ

---

(١) فى الدمية : «ومحاذاة السور والآيات» . (٢) كذا ورد اسمه مختصرا منسوبا إلى جده الأعلى سليمان . وانظر نسبه كاملا فى نص ياقوت ص ٧٢ . (٣) البيتان مما لم يرو فى الديوانين . (٤) الأبيات مما لم يرو فى الديوانين . (٥) فى الأصل : «كأنما غاية من ساعنى» . وانظر ما سبق فى ص ٩٩ .

سِرتُ بِرَغْمى عن زمانِ الصِّبا يُعجِلنى وقتِى وأكوانِى
صَدَّ أبى الطيِّبِ لمّا غدَا منصرِفاً عن شِعبْ بَوّانِ

قال : وقرأت بخطّ أبى اليسر المعرّىّ، فى ذكره : وكان رضى الله عنه يُرْمَى من أهل الحسد له [بالتعطيل](١)؛ ويعمّل تلامذتُه وغيرهم على لسانه الأشعار، يضمّنونها أقاويل المُلْحدة ، قصدًا لهلاكه ، وإيثارًا لإتلاف نفسه . فقال رضى الله عنه :

حاول إهوانِىَ قومٌ فما واجَهتُهمْ إلّا بإهوانِ
يحرِّشُونى بسعاياتِهم فغَيَّرُوا نِيّةَ إخوانِى
لو آستطاعوا لوشَوْا بى إلى الـ ـمرِّيخ فى الشُّهب وكِيوانِ

وقال أيضا(٢) :

غَرِيتْ بذَمِّى أُمةٌ وبحمدِ خالقِها غَرِيتُ
وعبدْتُ ربِّى ما آستطعـ ـتُ ومِن بريّتِه بَرِيتُ
وفَرَتْنِىَ الجُهّالُ حا شدةً(٣) علىَّ وما فَرِيتُ
سَعَرُوا علىَّ فلم أُحِسّ وعندهمْ أنّى هرِيتُ
وجميعُ ما فاهُوا به كِذبٌ لَعَمْرُكَ حَنْبرِيتُ

انتهى

قلت : أمّا الموضوع على لسانه فلعلّه لا يخفى على من له لُبّ . وأمّا الأشياء التى دوّنها وقالِ بها فى "لزوم ما لا يلزم"، وفى "استغفر واستغفرى" فما فيه حيلة . وهو كثير، فيه ما فيه من القول بالتعطيل ، والآستخفاف بالنُّبوءات . ويحتمل أنّه آرعوى وتاب بعد ذلك كلّه .

(١) التكملة من النكت . (٢) الأبيات التالية مما لم يرد فى الديوانين .
(٣) فى الأصل : «حاسدة» .

وحُكى لى عن الشيخ كمال الدين بن الزَّمْلكانى[1] ، رحمه الله، أنه قال فى حقّه : هو جوهرة جاءت إلى الوجود وذهبت .

وسألت الشيخ فتح الدين بن سيّد الناس[2]، فقلت له : ما كان رأى الشيخ تقىّ الدين ابن دقيق العيد[3] فى أبى العلاء ؟ فقال : كان يقول : هو فى حيرة !

قلت : وهذا أحسن ما يقال فى أمره؛ لأنه قال فى داليّته التى فى سقط الزند :

خُلِــق النّـاس للبقاءِ فضَلَّتْ ... أمّــةٌ يحسَــبونهــم للنَّفَـادِ

إنّمـا يُنقلون من دارِ أعمـا ... لٍ إلى دارِ شِــقوةٍ أو رَشـادِ

ثم قال فى لزوم مالا يلزم[4] :

ضَحِكنا وكان[5] الضِّحْك منّا سفاهةً ... وحُقّ لسُكّانِ البَسيطةِ أن يَبْكُوا

تحطَّمنا الأيّامُ حتّى كأنّنـا ... زجاجٌ ولكنْ لا يُعَادُ لَهُ السَّبْكُ

وهذه الأشياء كثيرةٌ فى كلامه، وهو تناقضٌ منه . وإلى الله تُرجَع الأمور .

---

(١) هو كمال الدين محمد بن على بن عبد الواحد الأنصارى الشافعى ابن خطيب زملكان — وهى قرية بغوطة دمشق — بفتح الزاى واللام والكاف وإسكان الميم . ولد سنة سبع أو ست وستين وستمائة، وانتهت إليه رياسة المذهب، وتوفى فى رمضان ببلبيس سنة سبع وعشر بن وسبعمائة، وحمل إلى القاهرة، ودفن بجوار قبة الشافعى . شذرات الذهب (٦ : ٧٨) .

(٢) هو أبو الفتح محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن يحيى بن سيد الناس، الحافظ الأديب . ولده سنة ٦٧١ . وولى مشيخة الحديث بالظاهرية بالقاهرة، واستمر بها إلى أن مات سنة ٧٣٤ . انظر طبقات الشافعية (٦ : ٢٩) .

(٣) هو أبو الفتح محمد بن على بن وهب بن مطيع القشيرى، ولد سنة ٦٢٥، وكان من كبار الفقهاء والمحدّثين، كاتبا شاعرا . ولى التدريس بالفاضلية والكاملية والصالحية بالقاهرة، وولى القضاء أيضا بمصر، وتوفى سنة ٧٠٢ . انظر الطالع السعيد (٣١٧ — ٣٢٨) وطبقات الشافعية (٦ : ٢٢ — ٢٢) .

(٤) انظر اللزوم (٢ : ١٤٣) . (٥) فى الأصل : « وكل » .

ومكث مدّةَ خمسٍ وأربعين سنة لا يأكل اللحم تديُّنا منه ، ولا ما تولّد من الحيوان، رحمةً للحيوان، وخوفًا من إزهاق النفوس .

قال ٱبن الجوزىّ : ولقيه رجلٌ فقال له : لِمَ لَمْ تأكل اللحم ؟ فقال : رحمةً للحيوان . فقال له : فما تقول فى السِّباع التى لا طعام لها إلّا لحوم الحيوان ؟ فإن كان لذلك خالق فما أنت بأرأف منه . وإن كانت الطباع المُحدِثَة لذلك فما أنت بأحذَقَ منها ولا أتقن ! فسكت .

ولمّا مات رثاه علىّ بن همّام، فقال من قصيدةٍ طويلة :

إنْ كنتَ لم تُرِق الدِّماءَ زهادة ... فلقد أرقْتَ اليومَ من عَينى دَمَا
سيَّرتَ ذِكرك فى البلادِ كأنّه ... مِسكٌ فسامَعُهُ يُضمِّخُ أو فَمَا
وأرى المجيجَ إذا أرادُوا ليلةً ... ذِكراك أوجَبَ فِديةً من أحْرَمَا

ولمّا وقف داعى الدعاة أبو نصر هبة الله بن موسى بن [أبى] عمران بمصر، على قوله :

غدوتَ مريضَ العقلِ والرأى فٱلتقِى ... لتُخبِرَ أنباءَ العقولِ الصحائحِ[1]
فلا تأكلَنْ ما أخرجَ الماءُ ظالمًا ... ولا تبغِ قُوتا من غريض الذَّبائح
ولا تَفجَعَنَّ الطيرَ وهى غوافلٌ ... بما وَضَعتْ فالظُّلم شرُّ القبائح
ودَعْ ضَرْبَ النَّحلِ الذى بكرتْ له ... كواسِبَ من أزهارِ نبتٍ فوائح

كتب إليه يقول : أنا ذلك المريض عقلًا ورأيا، وقد أتيتُك مستشفيًا فٱشفنى . وجرت بينهما [مخاطبات][2] كثيرة من أسئلة وأجوبة ، وٱنقطع الخطاب بينهما على المساكتة . وقد سردها ملخّصةَ الغرض منها ياقوتٌ فى معجم الأدباء .

---

(١) يروى : « الأمور » . (٢) ليست فى الأصل .

وقال أبو غالب بن مهذّب المعرّى، فى تاريخه فى سنة سبعَ عشرةَ وأربعمائة : صاحت آمرأةٌ فى جامع المعرّة، وذكرت أنّ صاحب الماخور أراد (١) أن يغتصبها نفسها، فنفَر كلُّ من فى الجامع، وهدَموا الماخور، وأخذوا خشبَه ونهبوه . وكان أسد الدّولة فى نواحى صَيْدا، بخاء وآعتقل مِن أعيانها سبعين رجلا، وذلك برأى وزيره بادرُس (٢) بن الحسن الأستاذ، وأوهمه أنّ فى ذلك إقامةَ الهيبة. قال: ولقد بلغنى أنّه دُعى (٣) لهؤلاء المعتقلين بآمِدو مَيّافارِقين على المنابر، وقطع عليهم بادرُس (٢) ألف دينار. وخرج الشّيخ أبو العلاء المعرّىّ إلى أسد الدولة صالح ، وهو بظاهر المعرّة ، فقال له : مولانا السيّد الأجلّ، أسد الدولة ومقدّمها وناصحها ، كالنهار الماتع آشتدّ هجيره وطاب أبرداه (٤)، وكالسّيف القاطع، لان صُفْحه وخشُن حدّاه ﴿ خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِين ﴾ . فقال صالح : قد وهبتهم لك أيُّها الشيخ . ولم يعلم أبو العلاء أنّ المال قد قُطِع عليهم (٥)؛ وإلّا كان قد سأله فيه .

ثم قال أبياتًا (٦) منها :

بُعِثتُ شفيعًا إلى صالِح ... وذاك من القوم رَأىٌ فَسَدْ

فيسمَعُ مِنّى سَجْعَ الحمامِ ... ويَسمَعُ منه زئيرَ الأسَد

ورَوَى عن أبى العلاء المعرّى، أبو القاسم التّنوخى، وهو من أقرانه، والخطيب التّبريزىّ ، والإمام أبو المكارم عبد الوارث بن محمد الأَبْهَرىّ، والفقيه أبو تمّام

---

(١) فى الأصل : «الماخور إذا أراد» والخبر فى ياقوت .

(٢) فى معجم الأدباء وابن العديم : «تادرس» بالتاء المثناة . (٣) فى الأصل : «دعا» .

(٤) فى الأصل : «برده» تحريف . (٥) فى الأصل : «عنهم» .

(٦) فى لزوم ما لا يلزم (١ : ٢٠٢) .

غالب بن عيسى الأنصارى" ، والخليلُ بن عبد الجبّار القزوينى" ، وأبو طاهر محمد ابن أحمد بن أبى الصَّقر الأنبارى"، وغير واحد .

وكان أكلُه العدَس ، وحلاوتُه التِّين ، ولباسُه القطن ، وفراشه اللُّباد ، وحَصيره بَرْدِيّة .

وشعره كثيرٌ إلى الغاية ، وأحسنُه سقط الزَّند .

فَهرســة[1] كتبه :

" الفصول والغايات " . " السادن[2] " [فى] غريب هذا الكتاب . " إقليد الغايات "، فى اللغة[3] . " الأيك والغصون "، وهو ألف ومائتا كراس[4] . " مختلف الفصول " ، أربعمائة كراس . الخطب : " خطب الخيل " . " خطبة الفصيح " . "رسيل الراموز" . "تاج الحرّة"، فى وعظ النساء ، أربعمائة كراس . "لزوم مالا يلزم" . "زجر النابح"[5] . "بحر الزجر"[6] . "راحة اللزوم"، شرح [لزوم] ما لا يلزم . " ملقى السبيل " . " خماسية الرّاح"[7]، فى ذم الخمر . مواعظ : "وقفة الواعظ"[8] . " الحلى والحلى"[9] . "سجع الحمائم" . "جامع الأوزان والقوافى" . "غريب ما فى هذا الكتاب" . " سقط الزند " . "استغفر واستغفرى" . "الصاهل والشاحج" ، على لسان فرس وبغل . " القائف"[10]، فى معنى كليلة ودمنة . "منار القائف"، تفسير ما فيه من اللغز

---

(١) كذا وردت فى الأصل بالهاء . فيكون مصدرا سمى به ، من فهرس يفهرس .

(٢) فى الأصل : «الشادن» وانظر ما سبق ص ٣٩

(٣) كذا . وفى القفطى وياقوت : «فى اللغز» .

(٤) كذا ورد بحذف التاء فى جميع المواضع من النص . والمعروف أن الكراس جمع لكراسة .

(٥) فى الأصل : «رجز التاريخ» .

(٦) فى الأصل : « بحر الرجز » . وانظر القفطى ٤٢ .

(٧) فى الأصل : « حماسة الراح » . والصواب ما أثبتنا . وانظر القفطى ص ٤٣ .

(٨) فى الأصل : «فقه الواعظ» .

(٩) كذا بإهمال الكلمتين من النقط . وانظر القفطى والذهبى .

(١٠) فى الأصل : «القائل» .

والغريب[1] . "السَّجع السلطانى" . "سجع الفقيه" . "سجع المضطرّين" . "رسالة المعونة" . "ذكرى حبيب" ، شرح شعر أبى تمام . "معجز أحمد"[2] ، شرح شعر أبى الطيّب . "قاضى الحقّ" . "الحقير النافع" ، فى النحو . "المختصر الفتحىّ" . "اللامع العزيزىّ" ، فى شرح شعر المتنبى . "ديوان [الرسائل][3] " . "رسالة العصفورين" . "السجعات العشر" . "عون الجمل" . "شرف السيف" . "شرح بعض سيبويه" ، خمسون كراسا . "الأمالى" . "رسالة الغفران" . "رسالة الملائكة" . "تضمين الآى" . "تفسير الهمزة والردف"[4] . "نشر شواهد الجمهرة"[5] ، ولم يتمّ . ثلاثة أجزاء . "مجد الأنصار" ، فى القوافى . "دعاء ساعة" . "الرياشىّ"[6] . "إسعاف الصديق" . "الظل الظاهرى" . "ضوء السقط" . "دعاء الأيّام السبعة" . "رسالة على لسان ملك الموت" عليه السلام . "ظهير العضُدىّ" ، نحو . "تظلُّم السُّوَر" . "عظات السُّوَر" . و"الرسالة الحظية"[7] . "مثقال النظم" ، عروض .

ومن نظم أبى العلاء المعرّىّ فى رجلٍ اسمه أبو القاسم[8] :

هـذا أبو القاسِم أُعجوبة ... لِكلِّ من يَدْرِى ولا يَدرِى

لا يَنظِم الشِّعر ولا يحفظ الـ ... ـقرآنَ وهو الشّاعر المُقْرِى

---

(١) فى الأصل : «ما فى اللغة من الغريب» وأثبتنا بدله عبارة القفطى .

(٢) انظر ابن خلكان فى الكلام على «معجز أحمد» و «اللامع العزيزى» وفرقه بينهما . وقد ذكر ابن العديم كتاب اللامع العزيزى وعرف به ، ثم ذكر كتابا آخر فى معانى شعر المتنبى مقداره ست كراريس ولم يذكر اسمه . وواضح أن هذا الأخير هو «معجز أحمد» .

(٣) التكملة من القفطى و ياقوت .

(٤) لم يعرف هذا الكتاب بغير هذا الاسم .

(٥) سبق ذكر هذا الكتاب عند ياقوت .

(٦) سبق برسم : «الرياشى المصطفى» .

(٧) سبقت فى ياقوت برسم : «الرسالة الحضية» وعند ابن العديم : «الحصنية» .

(٨) البيتان مما لم يرو فى الديوانين .

ومنه فى الغزل[1] :

يا ظبيـةً عَلِقتْـنى فى تَصَـيُّدها ... أشراكُها وهى لم تَعْلَقْ بأشراكِى
رَعَيتِ قلـبى وما رَاعيتِ حُرمتَه ... فـلِمْ رعَيتِ وما راعيتِ مَرعاكِ
أتُحرِقين فـؤادًا قـد حَلَلتِ بـه ... بنـار حُبِّـك عمدًا وهـو مأواكِ
أسْكِنتِه حِينَ لم يَسْكُن به سَكَنٌ ... وليس يَحسُنُ أن تَسخَى بسُكناكِ
ما بالُ داعِى غَرامِى حينَ يأمرُنى ... بأنْ أُكابِدَ حَـرَّ الوجدِ يَنْهـاكِ[2]
ولِمْ غدا القلبُ ذا يأسٍ وذا طمعٍ ... يَرجوكِ أنْ ترحمِيه ثمّ يَخشاكِ

ومنـــه[3] :

منكِ الصدَود ومِنّى بالصُّدودِ رِضا ... مَن ذا علىَّ بِهـذا فى هواكِ قَضَى
بَينِكِ مالو غَدا بالشّمس ماطَلَعتْ ... مِن الكآبةِ أو بالبرقِ ما وَمَضَا
جرّبتُ دهرِى وأهليه فما تَركتْ ... لى التّجارِبُ فى ودِّ آمرئٍ غَرَضَا
إذا الفـتَى ذَمّ عيشًا فى شـبيبته ... فما يقولُ إذا عَصْرُ الشّبابِ مضَى
وقـد تَعوّضْتُ عن كلٍّ بمُشبِهِـه ... فمـا[4] وجدت لأيّامِ الصِّبا عِوضَا

ومنـــه[5] :

لم يكن الدّنُّ غَـير نُكْرٍ ... سُـلافَةُ الـرّاح عَـرّفَتْهُ
كآدمٍ صِـيغَ من تُرابٍ ... ونَفخـةُ الـرُّوح شَـرّفَتْهُ

---

(١) الأبيات مما لم يرو فى الديوانين .
(٢) فى الأصل : « بان الكابد حر الوجه » . صوابه فى معجم الأدباء ومعاهد التنصيص
(٣) فى سقط الزند (١ : ١٣٧) .
(٤) فى الأصل : « لما » . صوابه فى سقط الزند .
(٥) البيتان مما لم يرو فى الديوانين .

ومنـــه[1] :

قد أورقَتْ عُمُد الخيام وأعشَبتْ ... قُلَلُ الجبـال ولـونُ رأسِىَ أغبرُ
ولقد سَلوتُ عن الشَّباب كما سَلاَ ... غيرى ولكنْ للحـزينِ تَذَكُّرُ

ومنه من قصيدته التى أوّلها :

ألا فى سـبيلِ المجـدِ ما أنا فاعلُ ... عَفافٌ وإقـدامٌ وجـودٌ ونائِلُ[2]

منهـا :

تُعَـدُّ ذنوبِى عنـد قـومٍ كثيرةً ... ولا ذنبَ لى إلا العُلاَ والفَواضِلُ
كأنِّى إذا طُلْتُ الزَّمانَ وأهلَه ... رجَعتُ وعنـدى للأنامِ طوائلُ
وقد سارَ ذِكرِى فى البلاد فَمَنْ لهمْ ... بإخفاءِ شمسٍ ضَـوْءُها يَتكامَلُ
يُهِـمُّ الليـالى بعضُ ما أنا مضمِرٌ ... ويُثقِلُ رَضْوَى بعضُ ما أنا حاملُ
وإنِّى وإنْ كنتُ الأخير زمانُه ... لآتٍ بمـا لم يَستطِعْهُ الأوائِلُ
وإن كانَ فى لُبْسِ الفتى شرفٌ له ... فمـا السَّيف إلاّ غمـدُه والحمائلُ
ولمّـا رأيتُ الجهلَ فى النّاس فاشيًا ... تجاهلْتُ حتّى ظُنَّ أنِّىَ جاهلُ
فواعجبًا كم يَدّعِى الفَضْلَ ناقصٌ ... ووا أَسَفًا كمْ يُظْهِر النّقصَ فاضلُ
وكيفَ تنـامُ الطَّـيرُ فى وُكُناتِهـا ... وقـد نُصِبت للفرقَدَينِ الحبائلُ
ينـافسُ يومِى فِىَّ أمْسِى تَشَرُّفًا ... وتحسُـدُ أسحارى علىَّ الأصائلُ
وطالَ آعترافى للزَّمانِ وأهـلِه[3] ... فلستُ أُبالى من تَغـولُ الغوائلُ
فلو بانَ عَضْدِى ما تأسَّفَ مَنْكِبِى ... ولو ماتَ زندى ما رثَتْهُ الأنامِلُ

---

(١) البيتان مما لم يرو فى الديوانين .
(٢) رواية السقط (١ : ١٠٩) : « وحزم » .
(٣) فى السقط : « وصرفه » .

إذا وصَفَ الطائىّ بالبخل مادِرٌ وعَيّرَ قُسًّا بالفهاهة باقِلُ
وقال السَّها للشَّمس أنتِ خَفِيَّةٌ وقال الدُّجَى يا صُبحُ لونُكَ حائلُ
وطاولت الأرضُ السّماءَ سفاهةً وفاخرت الشُّهبَ الحصى والجنادلُ
فيا موتُ زُرْ إنّ الحياةَ ذميمةٌ ويا نفسُ جِدّى إنّ دهرَكِ هازلُ

منها :

إذا أنت أُعطِيت السعادةَ لم تُبَلْ ولو نظَرتْ شَزْرًا إليكَ القبائلُ
تَقَتكَ على أكتاف أبطالها القَنا وهابتكَ فى أغمادهنَّ المناصلُ

منها :

وإن كنتَ تهوى العَيْشَ[1] فابغِ توسُّطًا فمند التّناهى يَقصُرُ المتطاوِلُ
تُوَقِّى البدورُ النَّقصَ وهى أهِلَّةٌ ويدركُها النُّقصانُ وهى كواملُ

ومنه[2] :

لاقاكِ فى العام الذى ولّى ولَمْ يَسألْكِ إلّا قُبلةً فى القابِلِ
إنّ البخيل إذا تَمُدُّ له المَدى فى الوَعد هانَ عليه بذلُ النائلِ

منها[3] :

وسألتُ كم بين العقيق إلى الغَضَى فخَزِعتُ من أمد النَّوى المتطاولِ
وعذرتُ طيفَكِ فى الجفاءِ لأنّه يسرى فيُصبِح دونَنا بمراحِلِ

ومنه قوله :

فياوطنى إنْ فاتنى بك سابقٌ من الدَّهر فلينعم لِساكنك البالُ[4]
وإن أستطِعْ فى الحشرِ آتِك زائرًا وهيهاتَ! لى يوم القيامةِ أشغالُ

---

(١) فى السقط : « تبغى العز » . (٢) فى السقط (١ : ١٥٦) .
(٣) كذا . والبيت التالى متصل بالذى قبله فى السقط .
(٤) فى الأصل : « بساكنك » . وتصحيحه من السقط (٢ : ١٥٦) .

ومنـــه قوله :

إلى اللهِ أشـكو أننى كلَّ ليـــلةٍ إذا نِمتُ لم أعْدَمْ[1] خواطرَ أوهامِى

فإنْ كان شرًّا فهـــو لابدّ واقـعٌ و إن كان خيرًا فهو أضغاثُ أحلامِ

ومنـــه :

اضْرِب وليدك تأديبًا على رَشَـدٍ[2] ولا تَقُـلْ هـو طفلٌ غير محتـلِم[3]

ومن شعره فى الاستخدام، وهو أشرف من التورية، يصف درعا :

نَثْرةٌ من ضَمـانها للقنا الخَـ ـطّـ ـىّ عِنـد اللقـاء نَثْرُ الكُعوبِ

مثلُ وَشْى الوليـدِ لانتْ و إن كا نت من الصُّنع مثل وشيِ حَبيبِ

تلك ماذيَّةٌ وما لِذُبابِ الـ ـسَّـيفِ والصَّيف عندها من نصيبِ

قلت : استِخدام لفظ الذباب فى معنيه : الأوّل طرف السيف، والثانى الذُّباب، الطائر المعروف، وهو الذَّبّان .

وقوله أيضًا[4] :

وفقيهًا أفكاره شِذْن للنُّعـ ـمَانِ ما لم يشِـذْهُ شِـعرُ زيادِ

استخدم لفظ النعمان هنا فى معنيين : الأوّل النعمان هو الإمام أبو حنيفة رضى الله عنه، والثانى النعمان بن المنذر . يعنى أنّ النابغة كان يمدحه، فأورثه ذكرًا حميدا .

ومن شعره [فى] البديع[5] :

هزّتْ إليك من القدّ ابنَ ذى يزنٍ ولَاحظتْكَ بهـاروتٍ على عَجَلِ

أرتْكَ عمَّ رسـولِ الله منتقبًا أبا حُذَيفة يَحكِى أو أبا حَمَـل

---

(١) فى الأصل : « نعدم » . وتصحيحه من السقط (٢ : ٢٢٤) .

(٢) رواية اللزوم (٢ : ٣٠٥) : « فاضرب وليدك وادلله على رشد » .

(٣) فى سقط الزند (٢ : ١٨٤) .

(٤) فى سقط الزند (١ : ٢٠٨) .

(٥) البيتان مما لم يرو فى الديوانين .

قلت : ابن ذى يزن هو سَيف، وهاروت، معروف بالسحر، وعمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم هو العباس رضى الله عنه، وأبو حذيفة هو بدر[1] .

ومثــله أيضا قوله[2] :

نَهارُهُمُ ٱبْنُ يَعْفُــرَ فى ضُحَــاهُ ولَيــلَةُ جارِهم بنتُ المُحَــلَّقْ

أراد بقوله آبن يعفر الأسود؛ لأنّ الأسود آسم آبن يعفر . وأراد ببنت المحلق ليلى؛ لأنها إحدى بنات المحلق . يعنى مظلمة . يقول : ليلة ليلاء[3] .

قال فى المرآة سِبْطُ آبن الجوزىّ : قال الغزالىّ : حدّثنى يوسف بن علىّ، بأرض الهركار، قال : دخلت معرّة النعمان وقــد وشى وزير محمود بن صالح صاحب حلب إليه، بأنّ المعرّىّ زنديق، لا يرى إفساد الصُّوَر، ويزعم أنّ الرّسالة تحصل بصفاء العقل . فأمر محمود بحمله إليــه من المعرّة ، وبعث خمسين فارسًا ليحملوه . فأنزلهم أبو العلاء دارَ الضّيافة . فدخل عليه عمُّه مسلم بن سليمان، وقال : يآبن أخى ! قد نزلَتْ بنــا الحادثة ! الملك محمود يطلبك . فإن منعناك عجزنا ، وإن أسلمناك كان عارًا علينا عند ذوى الذّمام، ويركب تنوخًا الذُّلُّ والعار . فقال : هَوِّن عليك ياعمّ ! فلا بأس علينا، فلى سلطان يذبُّ عنى ! ثمّ قام فآغتسل، وصلّى إلى نصف الليل، ثم قال لغلامه : آنظر إلى المِرّيخ أين هو[4] ؟ فقال : فى منزلة كذا وكذا . فقال : زِنْه وآضرب تحته وَتِدًا ، وشُدَّ فى رجلى خيطا وآربطه إلى الوتِد ، ففعل غلامه ذلك . فسمعناه وهو يقول : يا قــديم الأزل ، يا علّة العِلل، يا صانع المخلوقات، وموجِد المــوجودات ! أنا فى عزِّك الذى لا يرام ، وكنَفِك الذى لا يضام . الضُّــيوفَ

---

(١) حذيفة وحمل، أخوان، أبوهما بدر .
(٢) البيت مما لم يرو فى الديوانين .
(٣) فى الأصل : « ليلى » .
(٤) فى الأصل : « أين هذا » .

الضيوف ! الوزيرَ الوزير ! ثم ذكر كلماتٍ لا تُفهَم ، وإذا بهزّة[1] عظيمة ، فسأل[2] عنها، فقيل : وقعت الدّار على الضيوف الذين[3] كانوا بها، فقتلت الخمسين . وعند طلوع الشمس وقعت بطاقةٌ من حلب على جناح طائر : لا تُزعجوا الشيخ ؛ فقد وقع الحمّام على الوزير .

قال يوسف بن علىّ : فلمّا شاهدت ذلك دخلت على المعرّى ، فقال : من أين أتيت ؟ فقلت : من أرض الهركار . فقال : زعموا أنّى زنديق ! ثمّ قال : اكتب . وأملى علىّ، وذكر أبياتا من قصيدةٍ ذكرتها أنا، أوّلها[4] :

أستغفر اللهَ فى أمْنِى وأوجَالى ... مِن غَفْلتِى وتوالى سُوءِ أعمالِى
قالوا هَرِمْتَ ولم تطرُق تِهامةَ فى ... مُشاةِ وفدٍ ولا رُكبان أجمالِ
فقلتُ إنّى ضريرٌ والذين لهم ... رأىٌ رأوا غيرَ فرضِ حجّ أمثالِى[5]
ما حجّ جَدّى ولم يحجُجْ أبى وأخى ... ولا ابنُ عمّى ولم يَعرِفْ منّى خالِى
وحجّ عنهمْ قضاءً بعد ما ارتحلوا ... قومٌ سيقضون عنّى بعد ترحالِى
فإنْ يفوزوا بغُفرانٍ أفُزْ معهمْ ... أولاَ فإنّى بنارٍ مثلهمْ صالِى
ولا أروم نعيمًا لا يكونُ لهم ... فيه نصيبٌ وهم رهطى وأشكالِى
فهل أُسَرُّ إذا حُمّتْ محاسبتِى ... أم يقتضى الحكمُ تعذابِى وتسآلِى
مَن لى برِضوانَ أدعُوهُ فيرحمنِى ... ولا أُنادِى مع الكُفّارِ أمثالِى[6]
باتُوا وحتفى أمانِيهمْ مصوّرةٌ ... وبِتُّ لم يخطُروا منّى على بالِ

(١) فى نص مرآة الزمان وكذا فى النكت : « بهدة » بالدال المهملة .
(٢) وكذا فى مرآة الزمان . لكن فى النكت : « فسئل » .
(٣) فى الأصل : « التى » .
(٤) الأبيات التالية مما لم يرو فى الديوانين .
(٥) فى الأصل : « غير فرض الحج » .
(٦) كذا فى الأصل . وانظر رواية البيت فى نص القفطى .

وفوّقُوا لِي سِهامًا من سِهامِهِمُ فأصبحَتْ وُقّعًا منّى بأميالِ
فما ظُنونك إذْ جُندِى ملائكةٌ وجُنْدُهمْ بينَ طَوّافٍ وبقّالِ
لقيتُهم بعصا موسى التى منَعَتْ فِرعونَ مُلْكًا ونجّت آل إسرائِلِ
أُقِيمُ خَمسِى وصَومُ الدّهرِ آلَفُه وأُدمِنُ الذِّكر أبكارًا بآصالِ
عيدين أفطر مِن عامى إذا حضرا عيدُ الأضاحىّ يقفُو عيدَ شَوّالِ
إذا تنافست الجُهّال فى حُلَل رأيتنى من خسيس القطن سربالى (١)
لا آكل الحيوانَ الدّهرَ مأثُرةً أخاف من سوءِ أعمالِى وآمالِى (٢)
وأعبدُ الله لا أرجو مثوبتَه لكنْ تَعبُّدَ إكرامٍ وإجلالِ
أصون دينىَ عن جُعْلٍ أُؤمّله إذا تعبّدَ أقوامٌ بأجمالِ

ومن شعره : (٣)

ردَدتُ إلى مليك الخلقِ أمرِى فلم أسأَلْ متَى يقع الكسوفُ
وكم سَلِم الجهولُ من المنايا وعُوجِلَ بالحِمامِ الفيلسوفُ

أخذه من قول المتنبّى، وهو أحسن :

يموتُ راعِى الضّانِ فى جهلِه مِيتةَ جالِينوس فى طِبِّهِ
وربّما زادَ على عمرِه وزاد فى الأمن على سِرْبِهِ

وقال المعرّى (٤) :

إذا ما ذكرنا آدمًا وفعالَه وتزويجه لابنَيه بنتيهِ فى الخَنَا
عَلِمنا بأنّ الخلقَ من نسلِ فاجرٍ وأنّ جميع الخَلْقِ من عُنصرِ الزّنَا

(١) فى الأصل : « فى » .
(٢) جاء فى سر العالمين ص ٣٩ بعد هذا البيت :

وكيف أقرب طعم الشهد وهو كذا غصب لمكسب نحل ذات أطفال
نهيتهم عن حرم الشرع كلهم ويأمرونى بترك المنزل العالى

(٣) فى اللزوم (٢ : ١٠٢) .
(٤) البيتان مما لم يرو فى الديوانين .

فأجابه القاضى أبو محمد الحسن بن أبى عُقامة، من اليمن :

لعمركَ أمّا فيـكَ فالقولُ صادقٌ وتكذِب فى الباقين مَنْ شَطَّ أودَنَا
كذلك إقرارُ الفـتى لازِمٌ لـــه وفى غيرِه لغوٌ، كذا جاء شَرْعُنَا

ومن شعر المعرّى[1] أيضًا :

صَـرْفُ الزَّمانِ مُفـرِّقُ الإلْفينِ فآحـكُمْ إلهى بين ذاكَ وبيـنِى
أنهيتَ عن قتـلِ النُّفوس تعمُّدًا وبَعثتَ تقبِضُها مَـعَ الملَكَينِ
وزعمتَ أنّ لهـا معادًا ثانيًـا ما كان أغنـاها عن الحالَينِ

ومن شعر المعرّى[2] أيضًا :

يدٌ بخمس مِئٍ من عَسْجدٍ فُديت ما بالُهـا قُطِعَتْ فى رُبع دِينـارِ
تحكُّمٌ مالنـا إلّا السُّكوت له وأنْ نعـوذَ بمولانا من النّـارِ

قال ياقوت[3] : لأنّ المعرّى حمار لا يفقه شيئا، وإلّا فالمراد بهذا بيّن . لو كانت اليـد لا تقطع إلّا فى سرقة خمسمائة دينار، لكثُر سرقةُ ما دونها طمعًا فى النجاة . ولو كانت اليد تفدى بربع دينار، لكثر من يقطعُها ويؤدّى ربع دينار دية . نعوذ بالله من الضلال . انتهى .

قلت : وقال الشيخ علم الدين السَّخاوى[4]، مجيبًا المعرّى ردًّا عليه :

صِيانةُ العِرْضِ أغلاها وأرخَصُها صيانةُ المـالِ فآفهَمْ حكمةَ البارِى

---

(١) الأبيات التالية مما لم يرو فى الديوانين .
(٢) فى لزوم ما لا يلزم (١ : ٣٨٦) .
(٣) فى معجم الأدباء : « كأن » .
(٤) هو أبو الحسن على بن محمد بن عبد الصمد بن عيـد الأحد بن عبد الغالب المصرى ثم الدمشق، شيخ القرّاء بدمشق . له تصانيف وتفاسير كثيرة . ولد سـنة ٥٥٨ وتوفى سنة ٦٤٣ . انظر طبقات الشافعية (٥ : ١٢٦) وابن خلكان .

وله بيتان فى ترجمة أحمد بن محمد بن القاسم[1] بن خذبوا[2]، أجابه عنهما صاحب الترجمة المذكورة، فيؤخذ من هناك[3].

ومن شعره[4] :

إذا هى غَنّتْ لم يَشُقْنى غِناؤها فبُعدًا لها مِن قَينةٍ لم تُكَرَّم

تُجَمِّش[5] من لا يبتغى اللهوَ عندها وتَطْرُدُ نومَ النّاسكِ المتأثِّم

وأحلِفُ لا عانقتُها ولقد غدا لها أثرٌ ما بين كفّى ومِعْصَمِى

وقال أبو الرِّضَا عبد الواحد بن نُوت المعرّى[6] يرثى أبا العلاء :

سُمْرُ الرِّماحِ وبِيضُ الهندِ تَشْتَوِرُ فى أخذِ ثأرِكَ والأقدارُ تَعتذِرُ

والدَّهرُ فاقد أهلِ العلم قاطبةً كأنّهم بك فى ذا القبر قد قُبِرُوا

فهل تُرَى بك دارُ العلم عالمةً أنْ قد تزعزعَ منها الرُّكنُ والحَجَرُ

العِلمُ بعدك غِمدٌ فات مُنصلُه والفهمُ بعدك قوسٌ مالها وترُ

---

(١) هو أحمد بن محمد بن القاسم (وفى الأصل هنا : أبى القاسم) بن أحمد الأخسيكثى (يقال بالثاء والتاء) منسوب إلى أخسيكث، بفتح الهمزة وسكون الخاء، وكسر السين المهملة وياء ساكنة وكاف مفتوحة، وهى مدينة من فرغانة. كان شاعرا أديبا كاتبا مترسلا، وله مصنفات، منها شرح سقط الزند. وذكره السمعانى فى مشيخته. ولد سنة ٤٢٦. وتوفى بمرو سنة ٥٢٨. انظر معجم الأدباء (٢ : ١١٠ — ١١١) والأنساب الورقة ٢١.

(٢) كذا فى الأصل. وفى معجم الأدباء: «خذيو»، والأنساب : «حذنو»، والبغية «خديو».

(٣) البيتان وردا فى النكت ١٠٧ ومعجم الأدباء (٢ : ١١١) وهما :

الدين آخذه وتاركه لم يخف رشدهما وغيهما

رجلان أهل الأرض قلت فقل يا شيخ سوء أنت أيهما

(٤) يصف بعوضة. والأبيات مما لم يرو فى الديوانين.

(٥) التجميش : المغازلة والملاعبة. وفى الأصل : «تمخش».

(٦) هو عبد الواحد بن الفرج بن نوت المعرى. توفى فى حدود سنة ٤٨٠. و«الرضى» كنيت فى ترجمته من الخريدة بالألف، وفى الوافى، بالألف أيضا، مع ضبطها بكسر الراء وفتح الضاد، ضبط قلم. انظر الوافى القسم الثانى من الجزء السادس ص ٤٢٧ من النسخة المصورة بدار الكتب، وخريدة القصر ص ١٣٢ من الجزء الأول من القسم الثالث.

نَكْت الهِمْيان (*)

للصــفَدىّ

٦٩٦ — ٧٦٤

أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهَّر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن أرقم بن أنور بن أسحم بن النُّعمان (١) (٢) — ويقال له ساطع الجمال — بن عدىّ بن عبد غطفان بن عمرو بن بريح بن جذيمة بن تيم الله بن أســد بن وبُرة بن تغلِب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، المعرىّ التنوخى أبو العلاء ، من أهل معرَّة النعمان ، المشهور ، صاحب التصانيف المشهــورة .

كان آيةً فى الذّكاءِ المفرِط ، عَجَبًا فى الحافظة .

قال أبو سـعد السّمعانى فى كتاب النَّسب : ذكر تلميذه أبو زكريّاء التبريزى أنّه كان قاعدًا فى مسجده بمعرّة النعمان ، بين يدى أبى العلاء ، يقرأ عليه شـيئا من تصانيفه . قال : وكنت قد أقمت عنده سنين ولم أر أحدًا من أهل بلدى . فدخل المسجد مغافَصَةً بعضُ جيرانِنا للصـلاة ، فرأيتُه وعرفته ، فتغيّرت من الفـرح . فقال لى أبو العلاء : أَيْش أصابك ؟ فحكيتُ له أنّى رأيتُ جارًا لى بعـد أن لم ألْقَ أحدًا من أهـلِ بلدى سِنين . فقال لى : قُمْ فكلِّمه . فقلت : حتّى أُتمم السَّبَق . فقال لى : قم أنا أنتظرك . فقمتُ وكلّمته بلسان الأذربية شـيئا كثيرا، إلى أن

(*) نكت الهميان فى نكت العميان : ذكر فيه مؤلفه تراجم العميان، ورتبه على حروف المعجم . والنص فى النسخة المطبوعة فى المطبعة الجمالية سنة ١٣٢٩ التى قام بإخراجها المغفور له أحمد زكى

(١) فى الأصل : « سريح » . تحرف .

(٢) فى الأصل : « خزيمة » . تحريف . وانظر ما سبق ص ١٢ .

سألت عن كلّ ما أردت . فلمّا رجعت وقعدتُ بين يديه قال لى : أىّ لسان هذا؟ قلت : هذا لسان أذربيجان . فقال لى : ما عرفتُ اللسان ولا فهمتُه ، غير أنّى حفظتُ ما قلتما . ثم أعاد علىّ اللّفظَ بعينه من غير أن ينقُص منه أو يزيد عليه ، جميعَ ما قلتُ وقال جارى . فتعجّبت غايةَ التّعجب كيف حفظ ما لم يفهمه !

قلت : وهذا أمر معجز ؛ فإنّه بلغنا عن جماعةٍ من الحفّاظ ، وما يحكى عن البديع الهمذانى وابن الأنبارى وغيرهما ، ما هو أمر قريب من الإمكان ؛ لأنّ حفظ ما يفهمه الإنسانُ ويعرف تراكيبَه أو مفرداته سهلٌ ، وأما أنّه يحفظ ما لم يسمعه ولا يعلم مفرداته ولا مركّباته ، وهو أقل ما يكون أربعمائة سطر ، من سؤالِ غائبٍ عن أهل بلده سنين وجوابه[1] .

وكان اطّلاعه على اللغة وشواهدها أمرًا باهرا .

قال الحافظ السِّلَفى : أخبرنى أبو محمد عبد الله بن الوليد بن غَريب الإيادى ، أنّه دخل مع عمّه على أبى العلاء يزوره ، فرآه قاعدًا على سَجّادة لِبد ، وهو شيخٌ فانٍ ، فدعا لى ومسح على رأسى . قال : وكأنّى أنظر إليه الساعةَ ، وإلى عينيه إحداهما نادرة ، والأخرى غائرة جدّا ، وهو مجدور الوجه نحيفه .

وقال أبو منصور الثعالبىّ : وكان حدّثنى أبو الحسن[2] الدُّلَفى المصيصى الشاعر ، وهو ممّن لقيته قديمًا وحديثا فى مدّة ثلاثين سنة ، قال : لقِيت بمعرّة النّعمان عجبًا من العجب ، رأيت أعمى شاعرًا ظريفا ، يلعب بالشّطرنج والنّرد ، ويدخلُ فى كلّ فنّ من الجدّ والهزل ، يكنى أبا العلاء . وسمعته يقول : أنا أحمد الله على العمَى كما يحمده غيرى على البصَر . انتهى .

---

(١) كذا وقع جواب «أما» محذوفا ، وتقديره : «فبعيد» أو نحو ذلك . وانظر ما سبق فى الوافى .

(٢) فى الأصل : «أبو الحسين» وأثبتنا ما فى تتمة اليتيمة والوافى ومعجم الأدباء .

وقال المعرّىُ الشّعرَ وهو ابنُ إحْدى عشرةَ سنة أَو آثنتى عشرة سنة .

ورحل إلى بغـداد ثمّ رجع إلى المعرّة . وكان رحيلُه إليها سـنة ثمانٍ وتسعين وثلاثمائة ، وأقام ببغداد سـنةً وسبعةَ أشهر .

وقصد أبا الحسن علىّ بن عيسى الرَّبَعى النحوى ليقرأ عليه ، فلمّا دخل عليـه قال : ليصعد الإسـطبل — والإسطبل فى لغـة أهل الشام : الأعمى — فخرج مُغضَبًا ، ولم يعُدْ إليه .

ودخل على المرتضَى أبى القاسم ، فعَثَر برجُل ؛ فقال : من هذا الكلب ؟ فقال أبو العـلاء : الكلبُ من لا يعرف للكلب سبعين آسمًـا . فقرّبَه المرتضَى وأدناه وآختبره ، فوجده عالمًـا مُشْبَعًا بالفطنة والذكاء ، فأقبل عليه إقبالًا كثيرا .

وكانا لمعرّىّ يتعصّب لأبى الطيّب كثيرا ، ويفضّله على بشّـار وأبى نُوَاس وأبى تمّام ، والمرتضى يُبغضه[1] ويتعصّب عليه . فجرى يومًا ذكْره ، فتنقّصه المرتضَى وجعل يتتبّع عيوبه . فقال المعرّىّ : لو لم يكن للمتنبّى من الشِّعر إلّا قوله :

* لك يا منازلُ فى القلوب منازلُ *

لكفاه فضـلًا وشرفا ! فغضب المـرتضَى ، وأمر به فسُحب برجْله ، وأُخرج من مجلسه ؛ وقال لمن بحضرته : أتدرون أىَّ شىءٍ أرادَ الأعمى بذكر هذه القصيدة ، فإنّ لأبى الطيّب ما هو أجودُ منها لم يذكرها ؟ فقيـل : السيد النقيب أعرف . فقال : أراد قوله :

وإذا أتتـكَ مذمّتى من ناقص فهى الشّهادةُ لى بأنّى كاملُ

ولمّا رجع المعرّىُّ لزم بيتَه ، وسمّى نفسه "رَهين المحبسين" ، يعنى حبس نفسه فى المنزل ، وحبس عينيه بالعمى .

(١) فى الوافى : « ينقصه » .

وكان قد رحل أوّلًا إلى طرابُلُس، وكانت بها خزائنُ كتب موقوفة، فأخذ منها ما أخذ من العلم . وآجتاز باللاذقيّة ، ونزل دَيرًا كان به راهبٌ له علمٌ بأقوال الفلاسفة، وسمع كلامَه ، فحصل له بذلك شكوك .

والنّاس مختلفون فى أمره، والأكثرون على إكفاره وإلحاده .

أورد له الإمام فخر الدين الرازى فى كتاب الأربعين قوله :[1]

قُلتمْ لنا صانعٌ قديمٌ قلنا صدقتمْ كذا نقولُ
ثمّ زعمتُمْ بلا زمانٍ ولا مكانٍ ألا فقولوا
هذا كلامٌ له خبيءٌ معناه ليست لنا عقولُ

ثم قال الإمام بعد ذلك : وقد هذَى هذا فى شعره .[2]

وأمّا ياقوت فقال : وكان متّهما فى دينه ، يرى رأى البراهمة، لا يرى إفساد الصُّورة ، ولا يأكل لحما ، ولا يؤمن بالرسل ولا بالبعث والنُّشور .

قال القاضى أبو يوسف عبد السلام القزوينى : قال المعرّىّ[3] : لم أَفْجُ أحدًا قطّ . فقلت له : صدقت ، إلّا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ! فتغيّر لونه ، أو ــ قال ــ : وجهه .

ودخل عليه القاضى المَنَازىُّ ، فذكر له ما يسمعه عن النّاس من الطّعن عليه، فقال : مالى وللناس ، وقد تركتُ دنياهم ! فقال له القاضى : وأخراهم ! فقال : ياقاضى، وأخراهم! وجعل يكرّرها .

---

(١) انظر الحاشية رقم ٢ من الوافى ص ٢٦٧ .

(٢) انظر لهذه العبارة ما كتبنا فى الحاشية رقم ١ ص ٢٦٨ ، من نص الوافى .

(٣) فى الوافى : « قال لى المعرى » .

قال ابن الجوزىّ : وحُدِّثنا عن أبى زكرياء أنّه قال : قال لى المعزّىّ : ما الذى تعتقد ؟ فقلت فى نفسى : اليوم يتبيّن لى اعتقاده . فقلت له : ما أنا إلاّ شاكّ ! فقال : وهكذا شيخك !

وأمّا الشّيخ شمس الدين الذهبىّ ، فحكم بزندقته فى ترجمة له طوّلها فى تاريخ الإسلام له ، وذكر فيها عنه قبائح . وأظنّ الحافظ السِّلَفىّ قال : إنه تاب وأناب .

وأمّا الباخَرزىّ فقال فى حقّه : ضرير ، ما له فى أنواع الأدب ضريب ؛ ومكفوف ، فى قميص الفضل ملفوف ؛ ومحجوب ، خصمه الألَدُّ محجوج ؛ قد طال فى ظلال الإسلام آناؤه ، ولكن ربّما رشَحَ بالإلحاد إناؤه ؛ وعندنا خبر بصره ، والله العالم ببصيرته ، والمطلع على سريرته . وإنّما تحدثت الألسن بإساءته ، لكتابه الذى زعم[1] أنه عارض به القرآن ، وعنونه بـ"الفصول والغايات"[2] ، محاذاةً للسور والآيات ؛ وأظهر من نفسه تلك الجناية[3] ، وجذّ تلك الهوسات كما يجذُّ العَير الصُّلَّيانَة ؛ حتّى قال فيه القاضى أبو جعفر محمد بن إسحاق[4] البحّائىّ الزّوزنىّ قصيدةً أوّلُها :

كلبٌ عـوَى بمعـرّة النُّعمان ... لمّـا خلا عَنْ رِبقـة الإيمان

أمَعـرّةَ النُّعمانِ ما أنجبتِ إذْ ... أخرجْتِ منك مَعرّةَ العُميان

وأمّا ابن العديم فقال فى كتابه الذى سماه : "التحرّى ، فى دفع التجرّى ، على أبى العلاء المعرّى"[5] : قرأت بخطّ أبى اليسر شاكر بن عبد الله بن سليمان المعرى ، أنّ المستنصر

---

(١) فى الدمية والوافى : « زعموا » .

(٢) فى الدمية : « ومحاذاة السور والآيات » .

(٣) فى الوافى والدمية : « الخيانة » بالخاء المعجمة . وقد ورد بلفظ : « الجناية » فى القفطى .

(٤) فى الأصل : « محمد بن إسماعيل » صوابه ما أثبتنا من الوافى وقد سبقت ترجمته فى ص ٨ .

(٥) انظر الحاشية رقم ٢ ص ٢٦٩ من نص الوافى .

صاحب مصر بذل لأبى العلاء المعرّىّ ما بيت المـال بالمعرّة من الحلال ، فلم يقبل منه شيئا ، وقال[1] :

لا أطلُب الأرزاقَ والـ ... ـمَولَى يُفيـض عـلىَّ رِزقِى
إن أُعْطَ بعضَ القُـوتِ أعْـ ... ـلَمْ أنّ ذلك فـوقَ حَـقِّى

قال : وقرأت بخط أبى اليسر المعرّىّ فى ذكره : وكان رضى الله عنه يُرمَى من أهل الحسد له بالتعطيل ، ويعمل تلامذتُه وغيرُهم على لسانه الأشعار ، يضمّنونها أقاويل المُلحِدة ، قصدًا لهلاكه ، وإيثارًا لإتلاف نفسه . فقال رضى الله عنه[2] :

حاول إهـوانىَ قـومٌ فمـا ... واجهتُهُـم إلّا بإهـوانِى
يحـرشـونى بسـعاياتِهِـمْ ... فغـيّرُوا نيّـةَ إخـوانِى
لو آستطاعُوا لوشَـوا بى إلى الـ ... ـمرّيخ فى الشُّهْبِ وكيوانِ

وقال أيضا[3] :

غَـرِيبَتْ بـذمّى أُمّـةٌ ... وبحمـد خالقها غَـرِيتُ
وعَبـدْتُ ربّى ما آسـتطعـ ... ـتُ ومِن بَرِيّتِـه بَرِيتُ
وفَـرَتنى الجُهّـالُ حا ... شـدةً علىّ وما فَـرِيتُ
سَـعَروا عـلَىّ فـلم أُحِسّ وعنـدَهُـمْ أنّى هرِيتُ
وجميـعُ ما فاهُـوا بـه ... كذبٌ لعمـرى حنبرِيتُ

قلت : أما الموضوع على لسانه فلعله لا يخفى على من له لُبّ ، وأمّا الأشياء التى دوّنها وقالها فى لزوم ما لا يلزم ، وفى استغفر واستغفرى ، فما فيه حيلة ، وهو كثير ، فيه ما فيه من القول بالتعطيل ، والآستخفاف بالنبوّات . ويحتمل أنّه آرعوى وتاب بعد ذلك .

---

(١) البيتان مما لم يرو فى الديوانين .
(٢) الأبيات التالية مما لم يرو فى الديوانين .
(٣) الأبيات التالية مما لم يرو فى الديوانين .

وحُكى لى عن الشيخ كمال الدين بن الزَّمْلَكانى ، رحمه الله تعالى ، أنَّه قال فى حقه : هو جوهرة جاءت إلى الوجود وذهبت .

وسألت الحافظ فتح الدين محمد بن سيِّد النَّاس ، فقلت له : ما كان رأىُ الشَّيخ تقىّ الدين بن دقيق العيد فى أبى العلاء؟ فقال : كان يقول : هو فى حيرة .

قلت : وهذا أحسن ما يقال فى أمره ؛ لأنَّه قال فى داليَّته التى فى سقط الزَّند (١) :

خُلق النَّاسُ للبقاء فضلّت ... أُمّةٌ يحسبونهم للنَّفادِ

إنّما يُنقلون من دارِ أعما ... لٍ إلى دارِ شِقوةٍ أو رشادِ

ثم قال فى لزوم ما لا يلزم (٢) :

ضحكنا وكانَ الضِّحكُ منّا سفاهةً ... وحُقَّ لسُكّان البسيطةِ أن يبكُوا

تُحطِّمُنا الأيّام حتّى كأنّنا ... زجاجٌ ولكن لا يعاد لنا سَبكُ

فالأوّل آعتراف بالمعاد ، والثانى إنكارٌ له .

وهذه الأشياء فى كلامه كثيرة ، وهو متناقض منه . وإلى الله ترجع الأمور .

ومن شعره (٣) :

رددتُ إلى مليك الخلقِ أمْرِى ... فلم أسأَلْ متَى يقعُ الكسوفُ

وكم سَلِمَ الجهولُ من المنايا ... وعُوجل بالحِمام الفيلسوفُ

ومنه (٤) :

صَرفُ الزَّمانِ مُفَرِّقُ الإلْفينِ ... فآحكُمْ إلهى بين ذاكَ وبَيْنِي

أنهيْتَ عن قتل النُّفوس تعمدًا ... وبعثتَ تأخذُها مع الملكينِ

وزعمتَ أنّ لها معادًا ثانيًا ... ماكان أغناها عن الحالَينِ

---

(١) انظر سقط الزند (١ : ٢٠٨ — ٢١٨) .
(٢) اللزوم (٢ : ١٤٣) .
(٣) الأبيات فى اللزوم (٢ : ١٠٢) .
(٤) الأبيات مما لم يرو فى الديوانين .

ومنه[1] :

إذا ما ذكرنا آدمًا وفعالَه وتزويجَه ابْنيه بنتيهِ فى الحنَا
عَلِمنا بأنّ الخلقَ من نسلِ فاجرٍ وأنّ جميعَ الخلقِ من عُنصرِ الزِّنَا

فأجابه القاضى أبو محمد الحسن بن أبى عُقامة اليمنىّ :

لعمركَ أنا فيكَ فالقولُ صادقٌ وتكذبُ فى الباقين مَنْ شَطَّ أو دنَا
كذلك إقرارُ الفتى لا زمٌ له وفى غيره لغوٌ، كذا جاء شرعنَا

ومن شعر المعرّى[2] :

يدٌ بخمس مئينٍ عسجدٍ وُديت[3] ما بالُها قُطعتْ فى رُبع دينارِ
تحَكّم مالنا إلّا السكوتُ له وأن نعوذَ بمولانا من النارِ

قال ياقوت : لأن[4] المعرّى حمار لا يفقه شيئا! وإلّا فالمراد بهذا بَيِّن . لو كانت اليد لا تقطع إلّا فى سرقة خمسمائة دينارٍ، لكثر سرقةُ ما دونها طمعًا فى النجاة . ولو كانت اليد تُفدَى بربع دينار، لكثر من يقطعها[5] ويؤدّى فيها ربع دينار، ديةً عنها . نعوذ بالله من الضلال . انتهى

قلت : وقال الشيخ علم الدين السخاوىّ يُجيب المعرّى رادًا عليه :

صيانةُ العِرْض أغلاها وأرخصَها صيانةُ المالِ، فافهَمْ حكمةَ البارِى[6]

---

(١) البيتان مما لم يرو فى الديوانين .
(٢) فى اللزوم (١ : ٣٨٦) .
(٣) فى الوافى : « بخمس مئين من » .
(٤) وكذا فى الوافى . لكن فى معجم الأدباء : « كان » .
(٥) فى الأصل : « لكثر قطعها » . وأثبتنا ما فى معجم الأدباء والوافى .
(٦) رواية معاهد التنصيص :

عز الأمانة أغلاها وأرخصها ذل الخيانة فافهم حكمة البارى

ومن شعر المعرّى[1] :

هَفَتِ الحنيفةُ والنصارى ما اهتدَتْ ومجوسُ حارَتْ واليهـودُ مُضَلَّلَهْ
اِثنانِ أهلُ الأرضِ ذُو عقلٍ بلا دينٍ وآخرُ دينُّ لا عقـلَ لهْ

فقال أبو رشاد ذو الفضائل أحمد بن محمد الأخسيكتى يردُّ عليه :

الدِّينُ آخِـذُه وتارِكُه لم يَخْفَ رُشْـدُهما وغَيُّهمَـا
رجلانِ أهلُ الأرض قلتَ فقُلْ يا شـيخَ سَـوءٍ أنت أيُّهـمَا

قال سبط ابن الجوزى[2] فى المرآة : قال الغزالى : حدّثنى يوسف بن على بأرض الهركار، قال : دخلت معرّة النعمان، وقد وشى وزير محمود بن صالح، صاحب حلب، إليه بأنّ المعرّى زنديق لا يرى إفساد الصُّوَر، ويزعم أنّ الرسالة تحصل بصفاءِ العقل. فأمر محمود بحمله إليه، وبعث خمسينَ فارساً ليحملوه، فأنزلهم أبو العلاء دار الضِّيافة. فدخل عليه عمُّه مسـلم بن سليمان وقال : يابن أخى ، قد نزلتْ بنا هذه الحادثة، الملك محمود يطلبك ؛ فإنْ منعناك عجزنا ، وإن أسلمناك كان عاراً علينا عنـد ذوى الذِّمام، ويركب تنوخًا الذلُّ والعار . فقـال له : هوِّنْ عليك ياعمّ! فلا بأسَ علينا؛ فلى سلطانٌ يذبُّ عنى . ثمّ قام فاغتسل وصلّى إلى نصف الليـل، ثم قال لغلامه : انظر إلى المِزيخ أين هو؟ قال : فى منزلةِ كذا وكذا . قال: زِنْه واضرب تحته وتدا، وشدّ فى رجلى خيطا واربطه إلى الوتد . ففعل غلامه ذلك . فسمعناه وهو يقول: يا قديمَ الأزل، ياعلّة العلل، ياصانع المخلوقات، ومُوجِد الموجودات، أنا فى عزِّك الذى لا يُرام، وكَنَفك الذى لا يُضام! الضيوفَ الضيوف! الوزيرَ الوزير! ثمّ ذكر

---

(١) فى اللزوم (٢ : ٢٠١) .
(٢) فى الأصل : « ابن سبط الجوزى » تحريف ، وقد سبقت ترجمته .

كلمـاتٍ لا تُفهم ، وإذا بهـدَّة[1] عظيمة . فسئل عنها[2]، فقيـل : وقعت الدار على الضيوف الذين كانوا بها فقتلت الخمسين . وعنـد طلوع الشمس وقعت بطاقةٌ من حلب على جَناح طائر : لا تُزعجوا الشَّيخ؛ فقد وقع الحمّام على الوزير .

قال يوسف بن علىّ : فلمّـا شاهدت ذلك، دخلتُ على المعزّى[3]، فقال : من أنت؟ قلت : أنا من أرض الهركار . فقال : زعموا أنى زنديق! ثم قال : آكتب . وأملى علىّ، وذكر أبياتا من قصيدةٍ ذكرتُها أنا، وأوّلهـا :

أســتغفر اللهَ فى أمْنِى وأوجالى ... مِن غَفلتى وتَوالِى سُــوءِ أعمالِى
قالوا هَرِمتَ ولم تطرُق تِهامةَ فى ... مُشاةٍ وفــدٍ ولا رُكبان أجمـالِ
فقلت إنّى ضريرٌ والذين لهــم ... رأىٌ رأوا غير فرضِ حجّ[4] أمثـالِى
ماحجّ جَدّى ولم يَحجُجْ أبى وأخى ... ولا ٱبنُ عمّى ولم يعرف مِنّى خالِى
وحجّ عنهــم قضاءً بعد ما ٱرتحلوا ... قومٌ سـيقضون عنّى بعد تَرحالِى
فإنْ يفوزوا بغُفْرانٍ أفُزْ معهــمْ ... أولا فإنّى بنـارٍ مثلَهــم صالِى
ولا أرومُ نعيمًا لا يكون لهـمْ ... فيه نصيبٌ وهم رهطى وأشكالِى
فهــل أُسَرُّ إذا حُثّتْ محاسبتى ... أم يقتضى الحكمُ تَعتابى وتسآلى
من لى برضــوانَ أدعوه فيرحمنى ... ولا أنادى مـع الكفـار أمثالى[5]
باتُوا وحتفى أمانيهــم مصــوّرةٌ ... وبتُّ لم يخطُـروا مــنّى على بالِ
وفوّقوا لى سهامًا من سهامهــمُ ... فأصــبحَتْ وُقّعًا عــنّى بأمْيالِ

---

(١) فى الوافى « بهزة عظيمة » . (٢) فى الوافى : « فسأل » .
(٣) فى مرآة الزمان : « من أين أنت » وفى الوافى : « من أين أتيت » .
(٤) فى الأصل : « غير فرض الحج » .
(٥) كذا فى الأصل . وانظر رواية البيت فى نص القفطى .

فما ظُنونك إذْ جُندى ملائكةٌ ... وجُندُهُمْ بين طَوّافٍ وبقّال
لَقيتُهُم بعصا موسى التى منعت ... فرعونَ مُلْكًا ونَجّت آل إسرالِ
أُقيم خمسى وصَومُ الدّهر آلَفُه ... وأُدْمِن الذِّكر أبكارا بآصالِ
عيدَين أُفطر فى عامى إذا حضَرا ... عيد الأضاحىّ يقفُو عيدَ شوّال

إذا تنافَستِ الجهّالُ فى حُلَلٍ ... رأيتَنى وخَسيسُ القطن سِربالى (١)
لا آكلُ الحيوانَ الدهر مأثُرةً ... أخاف من سوءِ أعمالى وآمالى
وأعبُدُ الله لا أرجو مثوبتَه (٢) ... لكنْ تعبُّدُ إكرامٍ وإجلالِ
أصونُ دِينى عن جُعْلٍ أُؤمّله ... إذا تعبّدَ أقوامٌ بأجعالِ

وكان المعرّىّ من بيتِ علمٍ وفضل ورياسة، له جماعةٌ من أقاربه قضاةٌ وعلماءُ وشعراء، مثل سليمان بن أحمد بن سليمان، جده، قاضى المعرّة، وولى القضاء بحمص. ووالده عبد الله بن سليمان، كان شاعرًا. وأخيه محمد بن عبد الله، وهو أسنّ من أبى العلاء، وله شعر. وأبى الهيثم أخى أبى العلاء، وله شعر. وجاء من بعده جماعةٌ من أهل بيته وَلُوا القضاء، وقالوا الشعر، ورأَسوا، ساقهم الصاحب كمال الدين بن العديم على الترتيب، وذكر أشعارهم وأخبارهم فى مصنفه: "دَفْع التجزى".

وقال الشِّعر وهو ابن إحدى عشرةَ سنة.

وُلد يوم الجمعة عند مغيب الشمس لثلاثٍ بقين من شهر ربيع الأوّل، سنة ثلاثٍ وستّين وثلاثمائة بالمعرّة.

وتوفّى ليلةَ الجمعة ثالث، وقيل ثانى شهر ربيع الأوّل، وقيل ثالث عَشَرِه، سنة تسعٍ وأربعين وأربعمائة.

---

(١) انظر الحاشية رقم ٢ ص ٢٨٢ من الوافى.
(٢) فى الأصل: «مثابته».

وجُدر فى السنة الثالثة من عمره، فعمى . وكان يقول : لا أعرف من الألوان إلّا الأحمر، لأنّى أُلبست فى الجدرى ثوبا مصبوغا بالعصفر، لا أعقل غير ذلك .

ولمّا مات رثاه علىّ بن همام، فقال من قصيدةٍ طويلة :

إن كنتَ لم تُرِق الدِّماء زهادَةً فلقد أرقتَ اليومَ مِن عينى دَما
سيّرتَ ذِكرك فى البلاد كأنّه مسكٌ فسامعه يضمّخ أو فَما[1]
وأرى الجميعَ إذا أرادوا ليلةً ذكراكَ أوجبَ فِديةً مَنْ أحرَما

وقال أبو الرِّضَا عبد الواحد بن نوت[2] المعرّى يرثيه :

سُمر الرماح وبِيضُ الهند تَشْتَوِرُ فى أخذ ثارك والأقدارُ تعتذرُ
والدَّهرُ فاقد أهل العلم قاطبةً[3] كأنّهم بك فى ذا القبرِ قد قُبِروا
فهل تُرى بك دارُ العلمِ عالمةً أنْ قد تزعزع منها الرُّكنُ والحجَرُ
والعلمُ بعدَك غِمْدٌ فات مُنصلُه والفهمُ بعدَك قوسٌ ماله وترُ[4]

وقد ذكرت تصانيفه ، وقطعةً صالحة من شعره ، فى التاريخ الكبير الذى لى . فليُكْشَف ذلك من هناك .

---

(١) فى الأصل : « تضمخ » .

(٢) فى الأصل : «عبد الوهاب» وتصحيحه من الوافى (فى ترجمة أبى العلاء، وترجمة عبد الواحد نفسه) والخريدة . وانظر ترجمته فى ص ٢٨٤ .

(٣) فى إحدى أصول نسخ النكت : «ناقد» بالنون .

(٤) القوس مؤنثة ، وقد تذكر .

مرآة الجَنان (*)

لليافعيّ (**)

قبل ٧٠٠ — ٧٦٨

فيها (١) :

توفّي أبو العلاء أحمد بن عبد الله التنوخيّ المعـرىّ اللغوىّ الشاعر المشهور، صاحب التصانيف الكثيرة المشهورة، والرسائل البليغـة المنشورة، والزُّهد والذكاء المفـرط .

كان متضلّعا من فنون الأدب ، قرأ النحو واللغة على أبيه بالمعَرّة، وعلى محمد آبن عبد الله بن سعدٍ النحوى بحلب .

وله من النظم " لزوم مالا يلزم "، وهو كبير يقع فى خمسة أجزاء أو ما يقاربها . وله "سقط الزند" أيضًا، وشرحه بنفسه، وسماه "ضوء السقط". وله الكتاب المعروف "بالهمزة والردف" ، يقارب المـائة جزء، فى الأدب أيضا . وحكى من وقف على المجلد الأوّل بعد المـائة من كتاب الهمزة والردف، قال : لا أعلم ما كان يعوزه بعد هذا (٢) .

وكان عَلّامة عصره فى فنون . وأخذ عنه أبو القاسم التَّنوخى ، والخطيب أبو زكريّا التبريزى ، وغيرهما .

(*) مرآة الجنان ، وعبرة اليقظان ، فى معرفة مايعتبر من حوادث الزمان ، وتقلب أحوال الإنسان : تاريخ مرتّب على السنين ، انتهى فيه مؤلفه إلى سـنة ٧٥٠ ، واعتمد فيه على الشمائل للترمذى وجامعه ، والصحيحين ، وتاريخ الذهبي ، وابن خلكان ، وكتاب ابن سمرة فى قدماء علماء اليمن .

والنص فى حوادث سنة ٤٤٩ من النسخة المطبوعة فى حيدرأباد ١٣٣٩ .

(**) هو أبو محمد عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان ، الملقب بعفيف الدين ، اليافعى اليمنى ثم المكى . له عدة تصانيف ، كثير منها منظوم . توفى بمكة . واليافعى نسبة إلى يافع (باليـاء والفاء والعين المهملة) قبيلة من قبائل اليمن من حمير . انظر شذرات الذهب وطبقات الشافعية (٦ : ١٠٣) .

(١) أى فى سنة ٤٤٩ . (٢) فى الأصل : « يعوده » تحريف .

ومن لطيف نظمه قوله[1] :

لَو اختصرتم مِن الإحسانِ زُرتكُم والعَذْبُ يُهجَرُ للإفراطِ فى الخَصَرِ

بالخاء المعجمة ، والصاد المهملة ، مفتوحتين ، و بالراء : البَرْد .

ومن نظمه المشيرِ به إلى فضله[2] :

وأنّى وإنْ كنتُ الأخيرَ زمانُه لآتٍ بما لم يستطِعهُ الأوائلُ

وكانت وفاته ليلةَ الجمعة ، ثالث ، وقيل ثانى عشر ربيع الأوّل من السنة المذكورة .

وكانت أيضا ولادته يوم الجمعة عند مغيب الشمس ، لثلاثٍ بقين من شهر ربيع الأوّل سنة ثلاثٍ وستّين وثلاثمائة ، بالمعرّة . وعَمِى من الجدرىّ أوّل سنة سبعٍ وستّين ، وغشى يمنى عينيه بياض ، وذهبت اليسرى جملة .

وشرح ديوان المتنبى ، وسماه كتاب "اللامع العزيزى"[3] ، فى شرح ديوان المتنبى. ولمّا فرغ من تصنيفه ، وقُرِئَ عليه ، أخذ الجماعة فى وصفِه . فقال أبو العلاء : كأنّما نظر إلىّ المتنبّى بلحظِ الغيب ، حيث يقول :

أنا الذى نَظَر الأعمَى إلى أدبى وأسْمَعَتْ كلماتِى مَن بِهِ صَمَمُ

وٱختصر ديوان أبى تمام ، وشرحه ، وكذلك ديوان البحترى ، وتولّى الٱنتصار لهم ، وتنقّد[4] عليهم فى مواضع . ودخل بغداد مرتين .

قلت : وقد ذكرت[5] فى كتابِ "منهل المفهوم ، فى شرح السنة المعلوم" فى قسم الإيماء : حكى أنّه حَضَر مجلس الشريف المرتضَى ، وكان الشريف يتنقّص[6] من

---

(١) فى سقط الزند (١ : ٣٠) .
(٢) فى سقط الزند (١ : ١١٠) .
(٣) فى الأصل : « لامع الغزنوى » .
(٤) النقد : كالنقد والانتقاد .
(٥) فى الأصل : « ذكر » والكتاب التالى لليافعى نفسه ، كما فى كشف الظنون .
(٦) فى الأصل : « نقص » .

شعر المتنبي، والمعرّىٌ يمدحه ، حتى قال : لو لم يكن فى شعره إلّا قصيدته التى يقول فيها :

* لك يا منازل فى القلوب منازلُ *

لكفى . فأمر الشريف بإخراجه من المجلس مسحوبا ، ثم قال : أتدرون ما عنى هذا الأعمى فى القصيدة المذكورة ؟ إنما أومأ فيها إلى قولِ المتنبّى :

وإذا أتتك مَذَمَّتِي من ناقصٍ فهى الشّهادةُ لِي بأنّىَ كامِلُ

قلت : و[هذا](١) ممّا يدلّك على فرطِ ذكاءِ أبى العلاءِ المعرّى، وفرطِ ذكاء الشريف، وفهمه ذلك فى الحال .

ثمّ رجع إلى المعرّة ، وشرع فى التّصنيف ، وسار إليه الطّلبةُ من الآفاق ، وكاتبهُ العلماء والوزراء وأهل الأقدار

وقيل : إنّه مكث مدّة خمسٍ وأربعين سنةً لا يأكل اللحم ، يرى رأى الحكماءِ المتقدّمين، إذ لا يأكلونه لكيلا يذبحوا الحيوان؛ إذ لا يرون إيلام الحيواناتِ مطلقًا .

قلت : وهو خلاف ما جاءت بهِ الأنبياء والشرائع ، ودلّ على حِلّهِ(٢) الإجماع ، ونصوصُ الآياتِ القواطع .

ونَظَم الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة .

ومن نظمه(٣) :

لا تطابنَّ بغير حظٍّ رتبةً قلم البليغ بغير حَظٍّ مِغزلُ
سكّن السّماكانِ السماءَ كِلاهُما هذا له رمحٌ وهذا أعزلُ

ويروى : " بغير جَدّ " .

---

(١) تكملة يقتضيها السياق .
(٢) فى الأصل : « جعله »
(٣) هذان البيتان مما لم يرو فى الديوانين .

قلت : وقد نظمتُ ثلاثة أبياتٍ أوضحْتُ فيها ما أشار إليه بمثالٍ أولى من مثاله ؛ فإنّه أشرك بين السّماكين فى نيل المرتبة ، مع كون أحدهما ذا آلةٍ يكتسب بها المراتب وهى الرمح ، وأنا خصصت بالمرتبةِ الخالىَ منهما عن الآلة ، حيث قلت :

لو كان بالآلاتِ حَظٌّ يحصلُ والسّعدُ يأتى والعطايا تُجْزَلُ
ما كان فى عالِى المنازلِ رائحٌ أو لم يَحُزْها دون ذلك أعزلُ
لكنّه مِنْ دونه قد حازها فى بُرجِهِ البَدْرُ المتمّمُ يَسْتَزِلُ (١)

وكلا النظمين فى قوافيهما آلتزام ما لا يلزم .

ولما توفّى رثاه تلميذه أبو الحسن بن همام بقوله :

إنْ كنتَ لم تُرق الدّماءَ زهادةً فلقد أرقْتَ اليومَ من جفنى الدّمَا
سَيّرتَ ذكرك فى البلاد كأنّه مسكٌ فسامِعُه يعطّرُ أو فَمَا

قلت : يعنى أنّ طيب ثنائه يعطّر سامعه ، أو المتكلّم به المثنِىَ عليه . وآقتصر على الفم ، لِضيق المقام فى مساعدة الوزن ، على عموم المتكلّم ، دون تخصيص فمه . ويحتمل أنه أراد بالتعطير تعميم السامع والمتكلّم ، وتكون «أو» هنا بمعنى الواو فحسب . ومثل ذلك قد يجىء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ ، على رأى بعض المفسّرين ؛ فإنه وإنْ لم يكن مجمعًا عليه ، فإنّ القائل يقول بذلك ، ما احْتَجّ إلّا بما يصحّ الاحتجاج به ، وهو وقوع أو موقع الواو . وإذا تُتُبّع ذلك وجد فى الكلام الفصيح منه ما يكثر عدّه فيما نبّهت عليه .

فائدة : وهى أنّهُ لا يلزم من ردّ قولِ من آحتجّ على علمٍ بطلانُ حجّته ، بل يردّ قولَهُ لقيام دليلٍ آخر على خلاف قوله ، وإن كان آحتجاجُه صحيحًا فى نفسه .

وأشار فى البيت الأوّل إلى ما كان يعتقده ويدين به ، من عدم الذّبح للحيوانات .

(١) أى حسب السماك الأعزل شرفا أن ينزل البدر فى برجه . وفى الأصل : « فى شرحه » .

البداية والنهاية (*)

لابن كثير (**)

٧٠١ — ٧٧٤

ومن توفّى فيها من الأعيان (١) :

أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهّر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن أنور بن أسحم بن أرقم بن النُّعمان بن عدىّ بن غطفان بن عمرو بن بَرِيح بن جَذيمة (٢) بن تيم الله بن أسد بن وَبْرة بن تَغْلِب بن حُلوان بن عِمران بن الحاف بن قُضاعة، أبو العلاء المعرّىّ التنوخى الشاعر، المشهور بالزّندقة، اللغوىّ، صاحب الدواوين والمصنّفات فى الشّعر واللغة .

وُلد يوم الجمعة عند غروب الشّمس لثلاثٍ بقين من ربيع الأوّل سنة ثلاثٍ وستّين وثلاثمائة . وأصابه جدرىّ وله أربع سنين أو سبع، فذهب بصره .

وقال الشّعر وله إحدى عشرة أو ثِنتا عشرة سنة .

ودخل بغداد سنة تسعٍ وتسعين وثلاثمائة، فأقام بها سنة وسبعة أشهر، ثم خرج منها طريدًا منهزما (٣)؛ لأنه سأل سؤالا بشعرٍ، يدلّ على قلة دينه وعلمه وعقله، فقال :

(*) البداية والنهاية : تاريخ كبير، ذكر فيه مؤلفه الحوادث إلى زمنه، مرتبا ما بعد الهجرة على السنين، وانتهى فيه إلى آخر سنة ٧٦٨ لا سنة ٧٣٨ كما ذكر صاحب كشف الظنون .

والنص فى حوادث سنة ٤٤٩ من النسخة المطبوعة فى مطبعة السعادة بالقاهرة .

(**) هو الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير البصرى ثم الدمشقى، الفقيه الشافعى . أخذ عن الحافظ المزى وابن تيمية . وقد انتهت إليه رياسة العلم فى التاريخ والحديث والتفسير . ومن تصانيفه غير هذا الكتاب : تفسيره للقرآن الكريم . وقد ولد سنة ٧٠١ كما نص هو على ذلك فى البداية والنهاية (١٤ : ٢١) لا سنة ٧٠٠ كما ذكر صاحب شذرات الذهب .

(١) أى فى سنة ٤٤٩ .

(٢) فى الأصل : « خزيمة » .

(٣) فى اللزوم (١ : ٣٨٦) .

تَنَاقُصُ ما لنـا إلّا السكوتُ له وأن نعـــوذَ بمولانا من النّـارِ
يدٌ بخمسِ مئينٍ عســجدٍ وُديت ما بالُهـا قُطعتْ فى رُبع دينـارِ

وهذا من إفكه . يقول : اليد ديتها خمسمائة دينار، فما لكم تقطعونها إذا سرَقت ربع دينار ! وهذا من قلّة عقله وعلمه ، وعمى بصيرته . وذلك أنّه إذا جُنِي عليها يناسب أن يكون ديتها كثيرة ؛ ليتزجر النـاس عن العـدوان . وأما إذا جَنَتْ هى بالسرقة فيناسب أن تقلّ قيمتها وديتها ؛ ليتزجر الناس عن أموال الناس ، وتصان أموالهم . ولهذا قال بعضهم[1] : « كانت ثمينة، لمـا كانت أمينة، فلما خانت، هانت » .

ولمـا عزم الفقهاء على أخذه بهذا وأمثاله هرب ورجع إلى بلده، ولزم منزله ، فكان لا يخرج منه .

وكان يومًا عند الخليفة[2]، وكان الخليفة يكره المتنبي ويضع منه، وكان أبو العلاء يحبُّ المتنبي، ويرفع من قدره ويمدحه . فجرى ذكر المتنبّي فى ذلك المجلس ، فذمّه الخليفة . فقال أبو العلاء : لو لم يكن للمتنبي إلّا قصيدته التى أوّلها :

* لكِ يا مَنازِلُ فى القلوب مَنازِلُ *

لكفاه ذلك . فغضب الخليفة، وأمر به فسُحِب برجله على وجهه، وقال : أخرجوا عنّى هذا الكلب ! وقال الخليفة : أتدرون ما أراد هذا الكلب من هذه القصيدة، وذِكره لهـا ؟ أراد قول المتنبّي فيها :

وإذا أتتْـكَ مذمّتى من ناقـصٍ فهى الشهـادةُ لى بأنّى كامـلُ[3]

وإلا فالمتنبّي له قصائد أحسن من هذه ، وإنّمـا أراد هذا . وهذا من فرط ذكاء الخليفة ، حيث تنبّه لهذا . وقد كان المعرّى أيضا من الأذكياء .

---

(١) هو القاضى عبد الوهاب المـالكى . انظر تفسير ابن كثير (٣ : ١٥١) .
(٢) كذا . وإنمـا هو الشريف المرتضى .
(٣) الرواية المعروفة : « فهى الشهادة لى بأنى كامل » .

ومكث المعرّى خمسًا وأربعين سنةً من عمره، لا يأكل اللحم ولا اللبن ولا البيض، ولا شيئًا من حيوان، على طريقة البراهمة الفلاسفة.

ويقال إنه اجتمع براهبٍ فى بعض الصوامع، فى مجيئه من بعض السواحل، آواه الليل عِنده، فشكّكه فى دين الإسلام.

وكان يتقوّت بالنّباتِ وغيره، وأكثر ما كان يأكل العدس، ويتحلّى[1] بالدبس وبالتّين. وكان لا يأكل بحضرة أحد، ويقول: أكل الأعمى عورة.

وكان فى غايةِ الذّكاء المفرِط، على ما ذكروه.

وأمّا ما ينقلونه عنه من الأشياء المكذوبة المختلَقة، من أنّه وُضِع تحتَ سريره درهم فقال: إمّا أن تكون السماء قد انخفضت مقدار درهم، أو الأرض قد ارتفعت مقدار درهم — أى أنّه شعر بارتفاع سريره عن الأرض مقدار ذلك الدرهم الذى وضع تحته — فهذا لا أصلَ له.

وكذلك يذكرون عنه، أنّه مرّ فى بعض أسفاره بمكانٍ فطأطأ رأسه، فقيل له فى ذلك، فقال: أمَا هنا شجرة؟ قالوا لا. فنظروا فإذا أصل شجرةٍ كانت هناك فى الموضع الذى طأطأ رأسه فيه، وقد قُطعت، وكان قد اجتاز بها قديمًا مرّة، فأمره من كان معه بطأطأة[2] رأسه لمّا جازوا تحتها، فلمّا مرّ بها المرّةَ الثانية طأطأ رأسه، خوفا من أن يصيبه شيءٌ منها. فهذا لا يصح.

وقد كان ذكيًّا، ولم يكن زكيًّا.

---

(١) يريد أنه يتخذه حلوى. ولم يرد هذا الفعل بهذا المعنى فيما بين أيدينا من المعاجم.

(٢) فى الأصل: «بطأطاة».

وله مصنّفات كثيرة، أكثرها فى الشعر. وفى بعض أشعاره ما يدلُّ على زندقته وانحلاله من الدين. ومن النّاس من يعتذر عنه ويقول: إنّه إنّما كان يقول ذلك مجونًا ولعبا، ويقول بلسانه ما ليس فى قلبه، وقد كان باطنه مسلما.

قال ابن عقيل[1] لما بلغه [ذلك]: وما الذى ألجأه أن يقول فى دار الإسلام ما يكفّره به الناس؟ قال: والمنافقون مع قلّة عقلهم وعلمهم أجودُ سياسةً منه؛ لأنّهم حافظوا على قبائحهم فى الدنيا وستروها، وهذا أظهر الكفر الذى تسلّط عليه النّاس وزندقوه. والله يعلم أن ظاهره كباطنه.

قال ابن الجوزىّ: وقد رأيتُ لأبى العلاء المعرّىّ كتابا سماه "الفصول والغايات"[2]، فى معارضة السُّور والآيات، على حروف المعجم فى آخر كلماته. وهو فى غاية الرّكاكة والبرودة. فسبحان من أعمى بصره وبصيرته!

قال: وقد نظرت فى كتابه المسمى "لزوم ما لا يلزم".

ثم أورد ابن الجوزى من أشعاره الدالة على استهتاره بدين الإسلام أشياء كثيرة.

فمن ذلك قوله[3]:

إذا كان لا يحظى برزقك عاقلٌ ... وترزُقُ مجنونًا وترزُقُ أحمقا

فلا ذنبَ يا ربَّ السّماءِ على امرئٍ ... رأى منك ما لا يشتهى فترزقا

وقوله[4]:

ألا إنّ البريّة فى ضلالٍ ... وقد نظرَ اللّبيبُ لما اعتراها

تقدّمَ صاحبُ التّوراةِ موسى ... وأوقع فى الخسارِ من اقتراها

---

(١) هو أبو الوفاء بن عقيل، وقد تقدمت ترجمته فى ص ٢٠ (٢) فى المنتظم: «يعارض به».

(٣) البيتان مما لم يرو فى الديوانين. (٤) فى لزوم ما لا يلزم (٢ : ٤١٥).

فقال رجالُه وحيٌّ أتاه وقال النّاظرون بل آفْتراهَا
وما حجّى إلى أحجارِ بيتٍ كُؤُوس الخَمْر تُشْرَبُ فى ذَراهَا
إذا رجعَ الحليمُ إلى حِجاهُ تَهاوَنَ بالمذاهبِ وازدراهَا

وقوله[1] :

هفتِ الحنيفةُ والنّصارى ما اهتدتْ ويهود حارت والمجوسُ مُضلَّلَهْ
اثنانِ أهلُ الأرضِ ذو عقلٍ بلا دِينٍ وآخر دَيِّنٌ لا عقلَ له

وقوله[2] :

فلا تَحسَبْ مقالَ الرُّسْلِ حَقًّا ولكنْ قولُ زُورٍ سطروهُ
وكانَ النّاسُ فى عيشٍ رغيدٍ فجاءوا بالمحالِ فكدّروهُ

وقلتُ أنا معارضةً عليه :

فلا تحسَبْ مَقالَ الرُّسلِ زُورًا ولكن قولُ حقٍّ بلّغوهُ
وكان النّاس فى جهلٍ عظيمٍ فجاءوا بالبيانِ فأوضَحُوهُ

وقوله[3] :

إنّ الشرائعَ ألقَتْ بيننا إحَنًا وأورثَتْنا أفانينَ العَداواتِ
وهل أُبيحَ نساءُ الرومِ عن عُرُضٍ للعُربِ إلّا بأحكامِ النبوّاتِ

وقوله[4] :

وما حَمْدِى لآدمَ أو بنيه وأشهدُ أنّ كلَّهمُ خسيسُ

وقوله[5] :

أفيقوا أفيقُوا يا غواة فإنما دياناتكم مَكرٌ من القدماءِ

(١) فى لزوم ما لا يلزم (٢ : ٢٠١) .
(٢) البيتان مما لم يرو فى الديوانين .
(٣) فى اللزوم : (١ : ١٨٥) .
(٤) فى اللزوم : (٢ : ١٨) .
(٥) فى اللزوم : (١ : ٦٣) .

وقوله[1] :

صَرفُ الزَّمانِ مفرّقُ الإلفين فاحكُم إلهى بينَ ذاكَ و بيني
أنهيتَ عن قتل النُّفوسِ تعمُّدا وبَعثت تقبِضُها مع الملَكينِ
وزعمتَ أنّ لها معادًا ثانيًا ما كان أغناها عن الحالينِ

وقوله[2] :

ضحِكنا وكان الضَّحكُ منا سفاهةً وحُقَّ لسكّان البسيطةِ أن يَبكُوا
تحطّمنا الأيّامُ حتّى كأنّنا زجاجٌ ولكن لا يعُود له سبكُ

وقوله[3] :

أمورٌ تستخفُّ بها حلومٌ وما يدرِى الفَتى لمن الثُّبورُ
كتابُ محمّدٍ وكتابُ مُوسَى وإنجيلُ ابنِ مريمَ والزَّبورُ

وقوله[4] :

قالتْ معاشِرُ لم يَبعَثْ إلهكُمُ إلى البريّةَ عيساها ولا مُوسَى
وإنّما جَعلُوا الرحمنَ مأكُلةً وصيَّروا دِينَهم فى الناسِ نامُوسَا

وذكر ابنُ الجوزى وغيره أشياءَ كثيرةً من شعره ، تدلّ على كفره ، بل كلُّ واحدةٍ من هذهِ الأشياء تدلُّ على كفره وزندقته وانحلاله .

ويقال إنّه أوصى أن يُكتب على قبره :

هذا جناهُ أبى عَلَىَّ وما جنيتُ على أحَدْ

معناه : أنّ أباه بتزوُّجه لأمّه أوقعه فى هذه الدار ، حتّى صار بسبب ذلك إلى ما إليه صار ، وهو لم يجنِ على أحد بهذه الجناية .

وهذا كلُّه كفر وإلحاد ، قبّحه الله .

---

(١) الأبيات مما لم يرو فى الديوانين .
(٢) فى اللزوم : (٢ : ١٤٣) .
(٣) فى اللزوم : (١ : ٣٢٤) .
(٤) فى اللزوم : (٢ : ٢٢) .

وقد زعَم بعضهم أنّه أقلع عن هذا كله وتاب منه ، وأنّه قال قصيدةً يعتذر فيها من ذلك كلّه ، ويتنصّل منه ، وهى القصيدة التى يقول فيها (١) :

يا مَن يرى مَدَّ البعوضِ جَناحَها ... فى ظلمةِ اللَّيلِ البهيم الأليلِ
ويَرَى مَناطَ عُروقها فى نَحْرِها ... والمخَّ فى تلك العظام النُّحَّلِ
أُمْنُنْ علىَّ بتوبةٍ تمحُو بها ... ما كان منِّى فى الزَّمان الأوّلِ

توفّى فى ربيع الأوّل من هذه السنة، بمعرة النعمان ، عن ستٍّ وثمانين سنة، إلّا أربعة عشر يوما .

وقد رثاه جماعةٌ من أصحابه وتلامذته ، وأُنشدتْ عند قبره ثمانون مَرثاة ، حتّى قال بعضهم فى مرثاةٍ له (٢) :

إنْ كنتَ لم تُرِق الدِّماء زهادةً ... فلقد أرقْتَ اليومَ من جَفنِى دَمَا

قال ابن الجوزى : وهؤلاء الذين رثَوه والذين اعتقدوه ، إمّا جهّال بأمره ، وإمّا ضُلّالٌ على مذهبِه وطريقِه .

وقد رأى بعضُهم فى النوم رجلًا ضريرا على عاتقه حيّتان متدلّيتان على صدره، رافعتان رءُوسهما إليه ، وهما تَنْهشان من لحمه ، وهو يستغيث ، وقائل يقول : هذا المعرّىّ الملحد .

وقد ذكره ابن خلّكان فرفع فى نسبه على عادته فى الشعراء ، كما ذكرنا . وقد ذكر له من المصنّفات كتباً كثيرة ، وذكر أنّ بعضهم وقف على المجلد الأوّل بعد المائة من كتابه المسمى بـ"الأيك والغصون"، وهو المعروف بـ"الهمز والردف"،

---

(١) الأبيات مما لم يرو فى الديوانين . وقد أنشد الزمخشرى هذه الأبيات فى تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة ﴾ بعد أن قال : « وأنشدت لبعضهم » . وذكر ابن خلكان فى ترجمة الزمخشرى أنه أوصى أن تكتب هذه الأبيات على قبره .

(٢) هو تلميذه على بن همام .

وأنه أخذ العربية عن أبيه، واشتغل بحلب على محمد بن عبد الله بن سعد النحوى، وأخذ عنه أبو القاسم علىّ بن المحسّن التنوخى، والخطيب أبو زكريّا يحيى بن علىّ التّبريزى . وذكر أنّه مكث خمسا وأربعين سنةً لا يأكل اللحم على طريقة الحكماء، وأنّه أوصى أن يكتب على قبره :

هـذا جنـاه أبى علىٌّ وما جنيتُ عـلى أحَـدْ

قال ابن خلّكان[1] : وهذا أيضًا متعلق باعتقاد الحكماء ؛ فإنّهم يقولون : إيجاد الولد و إخراجه إلى الوجود جنايةٌ عليه ؛ لأنّه يتعرّض للحوادث والآفات .

قلت : وهذا يدلّ على أنّه لم يتغيّر عن اعتقاده — وهو ما يعتقده الحكماء — إلى آخر وقت ، وأنّه لم يُقلِع عن ذلك ، كما ذكره بعضهم . والله أعلم بظواهر الأمور و بواطنها .

وذكر ابنُ خلّكان[2] أن عينه اليمنى كانت ناتئة ، وعليها بياض ، وعينه اليسرى غائرة . وكان نحيفًا .

ثمّ أورد من أشعاره الجيّدة أبياتاً[3] . فمنها قوله :

لا تطلبنَّ بآلةٍ لك رتبـةً قـلمُ البليغ بغـير جَدٍّ مِغزلُ
سَكَنَ السَّماكانِ السَّماءَ كِلاهُمـا هـذا له رمحٌ وهـذا أعزلُ

---

(١) فى الأصل : « اتخاذ » . والوجه ما أثبتنا من ابن خلكان .

(٢) فى الوفيات : « نادرة » .

(٣) هذان البيتان مما لم يرو فى الديوانين .

روضة المناظر(*)

لابن الشحنة(**)

٧٤٩ — ٨١٥

وفى سنة تسع وأربعين وأربعمائة تُوفِّى أبو العلاء أحمد بن سليمان(١) المعرّى الأعمى.

ومولده سنة ثلاث وستين وثلاثمائة . عمى فى صغره من الجُدرى، وهو ابن ثلاث سنين، وقيل : ولد أعمى .

وكان عالمًا لغويًا شاعرًا .

دخل بغداد، فاستفاد من علمائها ، وأقام بها سنةً ونصفًا . ولم يُتلمذ لأحد أصلا . ثمّ عاد إلى المعرّة ، ولزم بيته ، وترك أكل اللحم خمسًا وأربعين سنة ، على مذهب الهنود، وترك البيض واللبن، وحَرَّمَ إتلاف الحيوان .

وله مصنّفات . وكان فاسد العقيدة ، يُظهر الكفر ، ويزعُم أنّ له باطناً ، وأنّه مسلم فى الباطن .

(*) روضة المناظر فى أخبار الأوائل والأواخر . وفى كشف الظنون : « روض المناظر » ، هو تاريخ مختصر رتّب فيه مؤلفه ما بعد الهجرة على السنين ، وانتهى فيه إلى سنة ٨٠٦ . قال صاحب شذرات الذهب : « وفيه أوهام عديدة » . وانظر كشف الظنون .

والنص الذى أثبتناه من النسخة التى على هامش الجزء الثامن من كامل ابن الأثير ص ١٦١ من طبع بولاق سنة ١٢٩٠ .

(**) هو أبو الوليد محمد بن محمد الشهير بابن الشحنة التركى الحلبى الحنفى . تولى قضاء الحنفية بحلب ثم بدمشق ثم بالقاهرة ثم عاد إلى حلب . وله تآليف أخرى فى الفقه والأصول والتفسير ، وألفية رجز تشتمل على عشرة علوم . والشحنة ، بكسر الشين : هو من فيه الكفاية لضبط البلد من جهة السلطان ، كما فى القاموس . وانظر شذرات الذهب وكشف الظنون .

(١) كذا ، بإدراج اسم والده «عبد الله» .

وأشعاره الدالّة على كفره كثيرة ، منها :[1]

أتى عِيسَى فبطَّلَ شرعَ مُوسَى وجاء محمّــدٌ بصـلاةِ خَمْسِ
وقالُــوا لا نبيَّ بعــدَ هــذا فضَلَّ القـومُ بينَ غدٍ وأمسِ
ومهما عِشْتَ فى دنيـاكَ هـذى فما تُخلِيكَ من قمــرٍ وشمسِ
إذا قلتُ المحالَ رفعتُ صـوتى وإن قلتُ الصّحيحَ أطلتُ همْسِى

ومنهـا :[2]

تاهَ النّصارَى والحنيفةُ ما اهتدَتْ وبهـودُ حَيْرَى والمجوسُ مُضَلَّهْ
قُسِم الوَرَى قِسمَينِ هــذا عاقلٌ لا دِينَ فيــه ودينٌ لا عقـلَ لَهْ

---

(١) فى لزوم ما يلزم (٢ : ٣٦) .
(٢) فى لزوم ما يلزم (٢ : ٢٠١) .

لسان الميزان (*)

(**) لابن حَجَـر

٧٧٣ — ٨٥٢

أحمد بن عبد الله بن سليمان، أبو العلاء المعرى، اللغوىّ الشاعر .

روى جزءا عن يحيي بن مِسْعَر، عن أبى عَرُوبة الحَرَّانى .

له شعر يدلّ على الزندقة . سقتُ أخباره فى تاريخى الكبير. انتهى (١) .

هو أحمـد بن عبد الله بن سليمان بن محمـد بن سليمان [بن أحمـد بن سليمان (٢)] بن داود بن المطهّر بن زيادبن ربيعة، أبو العلاء المعرّىّ اللغوىّ، الشاعر المشهور. كان عجبًا (٣) فى الذكاءِ المفرط، والاطلاع على اللغة .

وُلد سنة ثلاث وستّين وثلاثمائة. وجُدر فى السّنة الثالثةِ من عمره، فعمى منه، فكان يقول : لا أعرف من الألوان إلّا الأحمر .

(*) لسان الميزان : اختصر فيه مؤلفه كتاب : «ميزان الاعتدال فى نقد الرجال» للذهبي، وزاد عليه من استدركه أبو الفضل بن الحسين فى تذييله للميزان .

والنص يقع منه فى الجزء الأول ص ٢٠٣ — ٢٠٨ طبع حيدر أباد سنة ١٣٢٩ .

(**) هو أبو الفضل أحمد بن على بن محمد المعروف بابن حجـر، العسقلانى الأصل، المصرى المولد والمنشأ والدار والوفاة، الشافعى . انتهت إليه معرفة الحديث ورجاله فى عصره، وولى قضاء القضاة الشافعية بمصر . وله مصنفات كثيرة نافعة، منها فتح البارى . انظر شذرات الذهب .

(١) يشير إلى أن النص الذى نقله عن الذهبي فى ميزان الاعتدال انتهى إلى هذا الحد . وهذه العبارة هى عبارة الذهبي فى الميزان . فما ساقه ابن حجر بعد ذلك هو تلخيص لما كتبه الذهبى فى تاريخه الكبير ، (تاريخ الإسلام) مع إضافة بعض أخبار من كتب أخرى .

(٢) التكملة من تاريخ الإسلام للذهبي

(٣) فى الأصل : « من » . وما أثبتناه من نص الذهبي .

وأخذ العربيّة عن أصحابِ ابن خالَوَيْه[1]، وعن والده، ومحمد بن عبد الله ابن سعد النحوى .

وكان قانعًا باليسير . كان له وقفٌ يحصل منه فى العام نحو ثلاثين دينارا، قرّر منها لمن يخدُمه النّصف . وكان غذاؤه العدَس، وحلاوته التِّين، ولباسه القطن، وفراشه لُبّادا .

وكان لا يمدح أحدًا[2] . ولو تكسّب بالمدحِ والشعرِ لنال دُنيا ورياسة .

وسافر إلى بغداد سنة تسعٍ وتسعين وثلاثمائة، فسمعوا منه ديوانه المسمى بـ"سقط الزند"، وعاد إلى المعرّة سنة أربعمائة، فلزم منزلَه، وسمى نفسه "رَهْن المحبِسين". يعنى منزله وبصره؛ وقُصِد من النواحى .

ويقال إنّه كان يحفظ ما يمرُّ بسمعه .

وسمِع من يحيى بن مِسْعَر التَّنوخىّ صاحب أبى عَروبة، جزءا، [و] من أبى الفتح محمد بن الحسين صاحب خَيثمة، وصار على تصانيفه . ومكث بضعا وأربعين سنة[3] لا يأكل اللحم .

ويُروى أن صالح بن مِرداس قصد المعرّة وحاصرها، فعصى أهلها عليه، ثمّ فتحها . فخرج إليه أبو العلاء ومدحَه بأبياتٍ، فوهبها له .

وكان لا يأكل إلّا فى مغارةٍ وحدَه منفردا . وكان يعتذر إلى من يرحل إليه من الطلبة؛ فإنه[4] كان ليس له سعة . وأهل اليسارِ بالمعرّة يعرفون بالبخل .

---

(١) فى الأصل : «وأخذ العربية من أصحاب ابن خالويه» وعلى والده» .

(٢) فى الأصل : «لا يحمد» .

(٣) فى الأصل : «ومكث بصنعاء سنة» وهو تحريف أوقع بعض من كتبوا على أبى العلاء فى الخطأ . وتصحيحه من نص الذهبى .

(٤) فى الأصل : «بأنه» . وأثبتنا ما فى الذهبى .

وقال غرس النِّعمةِ ابن الصّابى : حدّثنى الوزير أبو نصر بن جَهير، حدّثنا أبو نصر المنازىُّ الشّاعر، قال : اجتمعتُ بأبى العلاء المعرّى، فقلت له : ما هذا الذى يروى عنك ويحكى ؟ قال : حسدونى وكذبوا علىَّ! فقلت : على ماذا حسدوك وقد تركتَ لهم الدنيا والآخرة! فقال : الآخرة أيضا! وتألّم .

قال السِّلفىّ : من عجيب رأيِ أبى العلاء، تركُه تناوُلَ كلِّ مأكولٍ لا تنبته الأرض، شفقةً على الحيوانات، حتّى نُسِب إلى التبرهُم، وأنّه يرى رأى البراهمة فى إثبات الصانع وإنكار الرُّسُل . وفى شعره ما يدلّ على هذا المذهب، وفيه ما يدلّ على غيره . وكان لا يثبت على نِحلة[1]، ولا يبقَى على قانونٍ واحد، بل يجرى مع القافية إذا حصلت، كما يجىء .

قال : فأنشدنى رئيس أبهر أبو المكارم الأسدى، أنشدنى أبو العلاء لنفسه[2] :

أقَــرُّوا بالإلٰهِ وأثبتــوه ... وقالــوا لا نَبىَّ ولا كتابُ
ووطءُ بناتِنا حِــلٌّ مباحٌ ... رُوَيدَكُمُ فقــد بطل العِتابُ
تمادَوا فى الضَّــلالِ فلم يتوبوا ... فمُذْ سَمِعُوا صَليل السيفِ تابُوا

قال السِّلَفىّ : وممّا يدلّ على صحّة عقيدته ما سمعتُ الخطيب حامد بن بَخْتيار النُّميرى : سمعت القاضى أبا المهذب عبد المنعم بن أحمد السَّروجىّ، سمعت أخى أبا الفتح [يقول][3] : دخلت على أبى العلاء بالمعرّة، فى وقت خلوةٍ بغير علمٍ منه، فسمعتُهُ ينشِد شيئًا، ثم تأوّه مرّاتٍ وتلا آياتٍ، ثمّ صاح وبكى، وطرح وجهَه على الأرض، ثم رفع رأسَه ومسح وجهَه، وقال : سبحان من تكلّم بهذا فى القدَم! فصبرتُ ساعةً[4]، ثم سلّمت عليه، فردّ وقال : متى أتيت؟ فقلت : الساعة . فقلت :

---

(١) فى الأصل : «نحله» .
(٢) فى لزوم ما لا يلزم (١ : ٨٩) .
(٣) التكملة من الذهبى .
(٤) فى الذهبى : «ثم قلت» .

أرى فى وجهك أثر غيظ . فقال : يا أبا الفتح ، تلوتُ شيئا من كلامِ الخالق ، وأنشَدتُ شيئا من كلامِ المخلوق ، فلحقنى ما ترى . فتحقّقت صحّة دينه ، وقوّة يقينه .

وقال السِّلفىّ : وسمعت أبا المكارم بأبهر — وكان من أفراد الزمان ، ثقةً ، مالكىّ المذهب — قال : لمّا توفّى أبو العلاء اجتمع على قبره ثمانون شاعرا ، وختم فى أسبوع واحد عند القبر مائتا ختمة .

قال السِّلفىّ : سمعتُ أبا زكريّاء التبريزى يقول : لمّا قرأت على أبى العلاء بالمعرّة قوله[1] :

يد بخمس مِئٍ من عسجدٍ فُديت ... ما بالُها قُطِعتْ فى ربع دينارِ

تناقضٌ ما لنا إلّا السّكوت له ... وأن نعوذَ بمولانا من النّارِ

سألته عن معناه ، فقال : هذا مثل قول الفقهاء : "عِبادة[2] لا يُعقَل معناها" .

وقال السِّلَفىّ : إنْ كان قال هذا الشعر معتقِدا معناه ، فالنار مأواه ، وليس له فى الإسلام نصيب . هذا إلى ما يحكى عنه فى كتاب "الفصول والغايات" ، وكأنّه معارضةٌ منه للسُّور والآيات[3] . فقيل له : ليس هذا مثل القرآن . فقال : لم تصقله المحاريب أربعمائة سنة .

قال السِّلفىّ : وفى الجملة كان من أهل الفضل الوافر[4] ، والأدب الباهر ، والمعرفةِ بالنَّسب ، وأيام العرب .

قرأ القرآن بروايات ، وسمع الحديثَ بالشّام على ثقات ، وله فى التوحيد وإثباتِ النبوّة وما يحضّ على الزُّهد شعر كثير ، والمشكِل منه ، على زعمه ، له تفسير .

---

(١) فى لزوم ما لا يلزم (١ : ٣٨٦) .
(٢) فى الأصل : «عبارة» بالراء ، تحريف .
(٣) نص الذهبى : «أين هذا من القرآن» .
(٤) فى الأصل : «الوافى» وأثبتنا ما فى الذهبى .

روى عنه أبو القاسم التّنوخىّ ، وهو من أقرانه ، والخطيب أبو زكرياء التّبريزى ، وغالب بن عيسى الأنصارى ، والخليل بن عبد الجبّار القزوينى ، وأبو طاهر بن أبى الصقر، وآخرون .

وقال ابن الجوزىّ : حُدّث[1] عن أبى زكرياء التّبريزى، قال : قال لى المعرّى مرّةً : ما الذى تعتقد ؟ — قال : فقلت اليوم يظهر ما يخفيه — فقلت له : ما أنا إلا شاكّ ! قال : وهكذا شيخك !

وقال أبو يوسف عبد السّلام القزوينى : اجتمعت به مرّةً فقال لى : لم أفرَحْ أحدًا قطّ ! قال : فقلت له : صدقت ، إلّا الأنبياء ! فتغيّر وجهه .

وقال التّبريزى : لمّا مات أنشد على قبره أربعةً وثمانون شاعرًا مراثى[2] فيه ، من جملتها لعلىّ بن همام :

إنْ كنتَ لم تُرِق الدِّماءَ زهادةً فلقد أرَقْتَ اليومَ من جَفنى دَمَا

وقال [محمد بن][3] هلال الصّابى فى تاريخه : بقى خمسًا وأربعين سنةً لا يأكل اللحم ولا البيض ولا اللبن ، ويَقتصر على ما تُنبِتُ الأرض ، ويلبس خشِن الثياب ، ويُديم الصوم .

قال : ولقيه رجل[4] فقال : مالك لا تأكل اللحم ؟ قال أرحمُ الحيوان ! قال : فما تقول فى السّباع ، لا غذاء[5] لها إلّا الحيوان؟ فإن كان ذلك من جهة الخالق[6] فما أنت بأرأف منه . وإن كان من جهة الطبيعة فما أنت بأحذق منها ، ولا أتقن عمَلا .

---

(١) لم نجد هذا الخبر فى نص الذهبى ، وقد سبق الخبر فى المنتظم ومعجم الأدباء والنكت . واللفظ فى الأوّل : «وقد حكى لنا» ، وفى الثانى والثالث : « وقد حدّثنا » .

(٢) فى الأصل : «بمراثى» . (٣) تكملة يقتضيها النص . وفى مرآة الزمان : «ابن الصابى» .

(٤) هو أبو نصر المنازى الشاعر . انظر القفطى ٦٣ ومرآة الزمان .

(٥) فى الأصل : «لا غنى» تصحيحه من القفطى ومرآة الزمان . وفى معجم الأدباء : «لا طعام» .

(٦) فى الأصل : «قال ذلك من جهة الخالق قال» . وهى عبارة محرفة مبتورة ، وانظر القفطى .

قلت : ومعنى هـذا الكلامِ دار بين المعـرّى و بين أبى نصر بن أبى عمران الإمامىّ، وكان الدّاعىَ إلى مذهب الفاطميين ، فَراسَلَ المعـرّى يسأله عن سبب تَرْكه اللحم، فأجابه بما ذكر من الرأفة، فردّ عليه بنحو ذلك .

وقد طالعت ما دار بينهما، واستفدت منـه[1] فيما يتعلّق بترجمة المعرّى أنّه ذكر عن نفسه قال : "قُضِى علىَّ وأنا ابنُ أربع، لا أفرُق بين البازل والرُّبَع[2]" . قال : "ومُنيت فى آخر عمرى بالإقعاد[3]، وحكم الله علىَّ بالإزهاد، فصرت من العُدْم فى جهاد".

وقال فى جوابه عن تركه أكل اللحم : قالوا[4] : إن كان ربُّنا لا يريد إلاّ الخير فالشّر لا يخلو من أمرين : إما أن يكون عَلِمَهُ أوْ لَا . وعلى الأوّل فإنْ كان يريده، فيجب أن يُنسَب الفعل إليه، وإن كان بغير إرادته جازَ عليه ما لا يجوزُ على أصغر الأمراء؛ لأنه لا يرضى[5] أن يفعل فى ولايته ما لا يريد .

وهذه عقدةٌ قد اجتهد المتكلّمون [فى] حلّها فأعوزَهم .

وقال فى هـذه الرسالة : إنّه لمّـا بلغ ثلاثين عاماً سأل ربّه أن يرزُقه صـومَ الدهر، ففعل، وظنّ أنّ اقتناعه بالنّبات يُثبت له جميلَ العاقبة .

ثم قال : "والذى حثّنى على ذلك أنّ لى فى السـنة نيّفًا وعشرين دينـاراً، فإذا أخذ خادمى نصفه بقى لى ما لا يفى[6]" ... إلى أن قال : "ولستُ أريد فى رزقى زيادة، ولا أُوثر لسُقْمى عيادة" .

ومات فى ربيع الأوّل سنة تسع وأربعين وأربعمائة .

---

(١) فى الأصل : «استندت» بالنون .

(٢) فى الأصل : «ومسست فى آخر عمرى بالإبعاد» صوابه من ياقوت

(٣) فى الأصل «من العوا» .

(٤) عند ياقوت : «وللسائل أن يقول»

(٥) فى الأصل : «أصغر الأمر إلا أنه لا يرضى» .

(٦) عند ياقوت : «فإذا أخذ خادمى ما يجب، بقى لى ما لا يعجب» .

ومن شعره المُؤْذن بانحلاله، فى كتابه لزوم ما لا يلزم[1] :

قِـرانُ المشترِى زُحَـلًّا يرجَّى ... لإيقـاظِ النّواظرِ مِنْ كراهَا
فيمضِى النّـاسُ جِيلًا بعد جيلٍ ... وخُلِّفتِ النجـومُ كما تَـراهَا
تقـدَّم صاحبُ التَّـوراةِ مُوسَى ... وأوقَعَ بالخسارِ مَن ٱقْـتراهَا
فقـال رجالُـه : وحىٌ أتـاهُ ... وقال الآخرونَ : بل ٱفتراهَا
وما حجّى إلى أحجـارِ بيتٍ ... كُؤوس الخمْـرِ تُشرَبُ فى ذَراهَا
إذا رجَـع الحكِيمُ إلى حِجـاهُ ... تَهـاوَنَ بالشّرائِـع وٱزدراهَا

أبيـات أخر[2] :

وإنّمـا حَمَّـلَ التـوراةَ قارِئَهـا ... كَسْبُ الفَوائِدِ لا حُبُّ التِّلاواتِ
وهل أُبِيحَتْ نساءُ الرُّومِ عن عُرُضٍ[3] ... للعُـرْبِ إلا بأحكام النبُـوّاتِ

أبيـات أخر[4] :

أتى عِيسى فأبْطَـلَ شَرْعَ مُوسى ... وجاءَ محمّـدٌ بصـلاةِ خَمْسِ
وقالوا لا نبىٌّ بعـدَ هـذَا ... فضَـلَّ القومُ بينَ غـدٍ وأمْسِ
ومهما عِشتَ فى دنيـاكَ هَذِى ... فمـا تُخْلِـكَ من قَمَـرٍ وشَمْسِ
إذا قلتُ المحالَ رفعتُ صـوتِى ... وإن قلتُ الصّحيحَ أطلت همسِى[5]

أبيـات أخر[6] :

هَفَتِ الحنيفةُ والنصارى ما ٱهتدَتْ ... ويَهودُ حَيْرَى والمجـوسُ مُضَلَّلَهْ
ٱثنان أهلُ الأرضِ ذو عقلٍ بـلا ... دِينٍ وآخر دَيِّنٌ لا عَقْـلَ لهْ

---

(١) انظر اللزوم (٢ : ٤١٥) .
(٢) فى لزوم ما لا يلزم (١ : ١٨٥) .
(٣) فى الأصل : «من عرض» .
(٤) فى لزوم ما لا يلزم (٢ : ٣٦) .
(٥) فى الأصل : «دخلت رمسى» صوابه من اللزوم .
(٦) فى اللزوم (٢ : ٢٠١) .

أبيات أخر[1]:

دينٌ وكفرٌ وأنباء تُقالُ وفُرْ قانٌ يُنَصّ وتوراةٌ وإنجيلُ

فى كلِّ جيلٍ أباطيلٌ يُدانُ بها فهل تَفَرَّدَ يوماً بالهُدى جيلُ

وأشعاره فى المدح والغزل والرِّثاء، التى فى "سقط الزَّند" فى نهاية الجودة . وأمّا فى "لزوم ما لا يلزم" ، وفى "استغفر واستغفرى" فمتوسِّط .

وتصانيفه فى اللُّغة والأدب أكثر من مائتى مجلد .

---

(١) فى اللزوم (٢ : ١٧٧)

عِقد الجُمان (*)

للعَيْنى (**)

٧٦٢ — ٨٥٥

أبو العلاء المعرّى

أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان [بن] داود بن المطهّر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن أنور بن أسحم بن أرقم بن النعمان بن عدى بن غطفان بن عمرو بن بَرِيح بن جذيمة (١) بن تيم الله بن أسد آبن وبْرة بن تغلب بن حُلوان بن عِمران بن الحاف بن قضاعة التنوخى، المعرّى، الشاعر اللغوىّ، صاحب الدواوين والمصنّفات فى الشعر واللغة .

وتنوخ قبيلة من اليمن، ولا تشدّد النون .

رُمى بالزّندقة والإلحاد

(*) عقد الجمان، فى تاريخ أهل الزمان، ويعرف بـ "تاريخ العينى" : تاريخ كبير، رتب فيه مؤلفه مابعد الهجرة على السنين، وانتهى فيه إلى سنة ٨٥٠ .

والنص يقع من مصوّرة دارالكتب المصرية — المنقولة عن نسخة بمكتبة ولى الدين أفندى بالآستانة — فى القسم الأوّل من الجزء المتمم العشرين ص ١٤٠ — ١٤٨ .

(**) هو محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين، الحلبى الأصل، العينتابى المولد، ثم القاهرى، الحنفى، ويعرف بالبدر العينى — نسبة إلى عينتاب، وهى قلعة حصينة بين حلب وأنطاكية — رحل إلى حلب ثم القدس ثم القاهرة وأقام بها، وولى الحسبة بها، وعزل عنها غير مرة، إلى أن ولى نظر الأحباس ثم قضاء قضاة الحنفية . وقرأ وسمع ما لا يحصى من الكتب . ومن مصنفاته شرح البخارى، وشرح التسهيل لابن مالك، وشرح شواهد ألفية ابن مالك . وممن أخذ عنه ابن تغرى بردى صاحب النجوم الزاهرة . انظر الضوء اللامع (١٠ : ١٣١ — ١٣٥) وشذرات الذهب، وكشف الظنون (٢ : ١٢٣)، وبغية الوعاة ٣٨٦ .

(١) ورد هذا النسب — كسائر النص — مفعما بالتحريف والتصحيف، فصححناه اعتمادا على النصوص التى استق منها . وما لم ينبه على زيادته مما وضع بين معقفين فهو من معارضة هذه النصوص .

وقال ابن خلّكان : كان متضلّعا من فنون الأدب . قرأ النحو واللغة، على أبيه بالمعرّة ، وعلى محمد بن عبد الله بحلب . وله تصانيف مشهورة كثيرة جدا ، ورسائل مأثورة . وله من النظم : "[لزوم] ما لا يلزم"، وهو كبير يقع فى خمسة أجزاء [أ] وما يقاربها . وله "سقط الزند"، وشرحه بنفسه وسماه "ضوء السقط". وبلغنى أنّ له كتابًا سماه "الأيك والغصون"، وهو المعروف بـ"الهمزة والردف". يقارب مائة جزء.

وكان علّامة دهره[1] . وأخذ عنه أبو القاسم علىّ بن المحسِّن التنوخى، والخطيب أبو زكريّاء التّبريزى، وغيرهما .

وكانت ولادته يومَ الجمعة عند مغيب الشّمس لثلاثٍ بقين من ربيع الأوّل سنة ثلاثٍ وستّين وثلاثمائة بالمعرّة . وعمى من الجدرىّ سنة تسعٍ وستّين، غشّى يمنى عينيه بياض، وذهبت اليسرى جملة .

وقال الحافظ السِّلفىّ، أخبرنى أبو محمد عبد الله بن الوليد بن غريب الإيادى، أنّه دخل مع عمّه على أبى العلاء يزوره ، فرآه قاعدًا على سَجّادة لِبد ، وهو شيخ . قال[2] : فدعا لى ومسح على رأسى، وكنت صبيًّا . قال : وكأنّى أنظر إليه الساعة وإلى عينيه ، إحداهما نادرة، والأخرى غائرة جدا، وهو مجدّر الوجه، نحيف الجسم .

وقال ابن كثير : وأصابه جدرى وله أربع أو ستٌّ أو سبع[3] ، فذهب بصره . وقال الشعر وله إحدى عشرة أو اثنتا عشرة سنة . ودخل بغداد سنة تسعٍ وتسعين وثلاثمائة، فأقام بها [سنة و] سبعة أشهر، ثم خرج منها طريدًا منهزما؛ لأنّه سأل سؤالا بشعر[4]، يدلّ على قلّة دينه وعلمه وعقله، قال[5] :

---

(١) فى الأصل : «هره» وفى الوفيات : «عصره» . (٢) فى الأصل : «فدعانى» .

(٣) فى البداية والنهاية : «وله أربع سنين أو سبع» . (٤) فى الأصل : «ولكن شعر» .

(٥) فى اللزوم (١ : ٣٨٦) .

تناقضُ ما لنـا إلّا السكوت له وأن نعـوذَ بمولانا من النّـار
يدُّ بخمسِ مِئٍ من عَسجَدٍ وُديت ما بالهُـا قُطِعت فى رُبع دينـار

وهذا من قلّة علمه، وعَمَى بصيرته .

ولمـا عزم الفقهاءُ على أخذِه بهذا الكلام هرب، ورجع إلى بلده، ولزم منزله، فكان لا يخرج منـه . ومكث خمسًا وأربعين سـنة من عمره لا يأكل لحماً ولا لبنا ولا بيضا ولا شيئاً[1] من حيوان، على طريقة البراهمة من الفلاسفة .

ويقال : إنّ راهبًا آجتمع به فى بعض الصوامع، آواه اللّيلَ إليـه، فشكّكه فى دينـــه .

وكان يتقوّت بالنباتات، وأكثر ما كان [يأكل] العدس، ويتحلّى[2] بالدبس وبالتّين، ولا يأكل بحضرة أحد، [و] يقول : أكل الأعمى عورة .

وكان فى غاية الذّكاء المفرط، على ما ذكروا .

وأمّا ما ينقل [عنه] من الأشياء المكذوبة والخرافات المختلقة، من أنّه وُضِع تحت سريره درهم، فقال : إمّا أن تكون السماء قد آنخفضت بقدر درهم، [أ] و آرتفعت الأرض مثلَ ذلك، فهذا ما لا أصل له، وهو كذب .

وكذلك يذكرون أنّه مرّ [فى] بعض أسفاره بمكانٍ، فطأطأ رأسه. فقيل له فى ذلك . فقال : أمَا هنا شجرة[3] ؟ قالوا : لا توجد. ثم نظروا فإذا أصل سَمُرة[4] كانت هناك قديما[5] [فى موضع كان][6] قد آجتازهُ مرّةً، فأمره من معه بطأطأة[7] رأسه هناك،

(١) فى الأصل : «شربا» . صوابه فى البداية .
(٢) انظر الحاشية رقم ١ من ص ٣٠٣ .
(٣) فى الأصل : « أما كان هنا شجرة فلم يوجد » . وفى البداية : « أما هنا شجرة ؟ قالوا لا » .
(٤) فى البداية والنهاية : « شجرة » .
(٥) فى الأصل : « فدعا » .
(٦) تكملة يقتضيها السياق . وانظر نص ابن كثير ص ٣٠٣ س ١٥
(٧) فى الأصل : « بمطأطأة » .

فآستحضره فى ذهنه. فهذا أيضًا لا يصحّ ، وهو كذب. وكذلك ما شابه ذلك من الكذب البحت .

[ولم يكن زكيا](١) ولكن ذكيا . وله مصنّفات كثيرة ، أكثرها فى الشّعر. وفى بعض شعره ما يدلّ على زندقة وآنحلال .

ومن الناس من يعتذر عنه ويقول : كان فى الباطن مسلما ، وإنّما يقول ذلك بلسانه .

وقال آبن عقيل : وما الذى كان يُلجئه إلى أن يقول [فى دار] الإسلام ما يكفِّرُه به النّاس ، والمنافقون مع قلّة عقلهم وعلمهم ودينهم أجود سياسةً منه ، حافظوا ، على قبائحهم فى الدنيا ، وهو أظهر الكفرَ الذى تسلّط عليه [به] النّاس. والله يعلم أن باطنه كظاهره .

وقال آبن الجوزى(٢) : وقد رأيت للمعرّى كتابا سماه "الفصول والغايات"، يعارض به السُّور [والآيات] ، وهو كلامٌ فى نهاية الرِّكة والبرودة . فسبحان من أعمى بصره وبصيرته !

وقد حدّثنى آبن ناصر(٣) ، عن أبى زكريّاء عنه(٤) ، بأشعارٍ كثيرة. فمن أشعاره :

إذا كان لا يحظَى برزقِكَ عاقلٌ وتَرزُقُ مجنونًا وترزقُ أحمقَا

فلا ذنبَ يا ربَّ السماءِ على آمرئٍ رأى مِنك مالا يشتهِى فتزندقَا

وله(٥) :

وهيهاتَ ! البريّةُ فى ضَلالٍ وقد نظر اللبيبُ لِمَا اعتراهَ

تقدّمَ صاحبُ التّوراةِ مُوسَى وأوقَعَ فى الخسار من آفْتراهَا

---

(١) تكملة يقتضيها السياق . وفى البداية : « وقد كان ذكيا ولم يكن زكيا » .

(٢) انتقل المصنف إلى النقل عن المنتظم لابن الجوزى . (٣) تقدّمت ترجمته فى ص ٢٢ .

(٤) البيتان مما لم يرو فى الديوانين . (٥) فى لزوم ما لا يلزم (٢ : ٤١٥) .

فقال رجاله وحيٌ أتاه وقال النّاظرون بل آفتَرَاهَا
وما حجّى إلى أحجارِ بيتٍ كُؤوس الخمر تُشرَب فى ذَرَاهَا
إذا رجَعَ الحليمُ إلى حِجاهُ تَهاوَن بالمذاهِبِ وآزدراهَا

ولـه[1] :

هفتِ الحنيفةُ والنّصارى ماآهتدَتْ ويَهودُ حارتْ والمجوس مُضلَّلَهْ
اثنانِ أهلُ الأرضِ ذو عقلٍ بلا دِينٍ وآخر دَيِّنٌ لا عقلَ لَهْ

ولـه[2] :

فلا تَحسَبْ مَقالَ الرُّسلِ حَقًّا ولكنْ قولُ زُورٍ سَطَّروهُ
وكان النّاسُ فى عيشٍ رغيدٍ فجاءوا بالمُحال فكدَّرُوهُ

ولـه[3] :

إنّ الشّرائعَ ألقَتْ بيننا إحَنًا وأورَثَتْنا أفانينَ العَداواتِ
وهل أُبيحَ نساءُ الرُّوم عن عُرُضٍ للعُرْبِ إلّا بأحكام النُّبوّات

[وله][4] :

أفيقُوا أفيقُوا يا غُواةُ فإنّما دياناتُكمْ مَكرٌ من القُدَماءِ

ولـه[5] :

لا يَكْذِبِ النّاسُ على ربِّهِمْ ما حُرِّك العرشُ ولا زُلزِلا

[وله][6] :

ضحِكْنا وكان الضِّحْكُ منّا سفاهةً وحُقَّ لسُكّان البسيطةِ أن يَبْكُوا
تحطّمنا الأيّامُ حتّى كأنّنا زجاجٌ [ولكنْ] لا يعاد لنا السَّبكُ

---

(١) فى لزوم ما لا يلزم (٢ : ٢٠١) .
(٢) البيتان مما لم يرو فى الديوانين .
(٣) فى اللزوم (١ : ١٨٥) .
(٤) فى اللزوم (١ : ٦٣) .
(٥) فى اللزوم (٢ : ٢٠٣) .
(٦) فى اللزوم (٢ : ١٤٣) .

ولـــه[1] :

كَـونٌ يُرَى وفَسادٌ جاء يُتبعه تَبـارَكَ الله ما فى خلقِـه عَبَثُ

وإنْ يؤذِّنْ بلالٌ لابنِ آمنـةٍ فبَعــدَهُ لِسَـجاحٍ مادعا شَبَثُ[2]

أراد بالبيت الأول: هل هذا إلا عبث . وبالثانى: شبَث بن رِبْعِىّ؛ فإنه أذّن لسجاح التى ٱدّعت النبوّة .

وذكر نبيًّا عليه الســلام بٱسم أمّه، وأراد إنْ كان جرى هــذا له ، فقد جرى مثلُه لٱمرأة .

وله فى هذا المعنى[3] :

فسادٌ وكونٌ حادثانِ كلاهُمـا شهيدٌ بأنَّ الخَلْقَ صُنعُ حكيمِ

وله مثل الذى قبله[4] :

فربُّنـا، جلَّ، موصوفٌ برأفتِهِ فكيف يُمْحَنُ أطفالٌ بإيلامِ

ولــه[5] :

أمورٌ يستخفُّ بهـا حُــلومٌ وما يَدْرى الفتى لِمَنِ الثُّبـورُ

كتابُ محمّــدٍ وكتابُ موسى وإنجيــلُ ٱبنِ مريم والزَّبورُ

---

(١) البيتان مما لم يرو فى الديوانين .

(٢) شبث بن ربعى : جعله ابن حجر — فى الإصابة — فيمن له إدراك ورواية . وكان مؤذن سجاح ، ثم راجع الإسلام ، ثم كان ممن أعان على عثمان ، ثم صحب عليا ، ثم صار من الخوارج عليه ، ثم تاب ، ثم كان فيمن قاتل الحسين ، ثم كان ممن طلب بدم الحسين مع المختار ، ثم ولى شرطة الكوفة ، ثم حضر مقتل المختار . ومات بالكوفة فى حدود السبعين أو الثمانين . انظر الإصابة ٣٩٥٠ وتهذيب التهذيب (٤ : ٣٠٣) .

(٣) فى لزوم ما لا يلزم (٢ : ٢٩٩) .

(٤) البيت مما لم يرو فى الديوانين .

(٥) فى لزوم ما لا يلزم (١ : ٣٢٤) .

ولــه[1] :

قُلتُمْ لنا خالقٌ قديمٌ ... قلنا صدقتمْ كذا نقولُ
زعمتمُوهُ بلا زمانٍ ... ولا مكانٍ ألا فقُولُوا
هذا كلامٌ له خبيءٌ ... معناه ليستْ لنا عُقولُ

أُنظر إلى حماقة هذا الرَّجل الجاهل، أنكرَ أنْ يكون الخالقُ موجودًا لا فى زمان ولا فى مكان ، ونَسِى أنّه أوجدهما .

ثمّ قال آبن الجوزىّ : وإنّما دوّنْتُ هذا من أشعاره، ليُستدَلّ على كفره .

وذكر أبو الحسن محمّد بن هلال بن المحسِّن الصابى فى تاريخه ، قال : ومن أشعار[2] المعرى :

صَرْفُ الزَّمانِ مُفَرِّقُ الإلْفَينِ ... فاحكُمْ إلٰهى بينَ ذاكَ و بينِى
أنهيْتَ عن قَتلِ النُّفوسِ تعمُّدا ... وَبعثْتَ أنتَ لقَبْضِها مَلَكينِ
وزعمتَ أنّ لها معادا ثانيًا ... ما كان أغناها عنِ الحالينِ

وقال آبن كثير : وكلُّ قطعةٍ منها تدلّ على كفره وآنحلاله ، وزندقته وضلاله .

ويقال: إنّه أوصى أن يُكْتبَ على قبره :

هــذا جناهُ أبى علىّ ... وما جنيتُ على أحَــدْ

يعنى [أنّ] أباه بتزوُّجه أُمَّه أوقعه فى هذه الدار، حتّى صار إلى ماصار إليه، وهو لم يَجْنِ على أحد بهذه الجناية. وهذا كلُّه كفر وإلحاد . قبحه الله .

وعن[3] الخطيب التّبريزى أنه قال: [قال] لى المعرّى : ما الذى تعتقد؟ [فقلت] فى نفسى: اليوم أعرف آعتقاده ، فقلت: ما أنا إلّا شاك ! فقال : وكذا شيخك!

---

(١) فى لزوم ما لا يلزم (٢ : ١٧٩) .
(٢) الأبيات مما لم يرو فى الديوانين .
(٣) فى الأصل : «دعى» .

وكان ظاهر أمره أنّه يميل إلى مذهب البراهمة؛ فانّهم لا يرون ذبح الحيوان، ويجحدون الرسل . وقد رماه جماعة بالزندقة والإلحاد . وذاك أمرٌ ظاهر فى كلامه وأشعاره .

وقال ابن الجوزى : وقد كان علّته فى ذبح الحيوان ألّا يذبح بنفسه رحمةً، فأمّا ما ذبحه غيره فأىُّ رحمةٍ بَقِيتْ فى ترك أكله ! (١)

وذكر الغزالىّ فى كتابٍ له سمّاه : "سرّ العالمَين وكشف ما فى الدارين" (٢) قال : حدّثنى يوسف بن علىّ بأرض الهركار قال : دخلت معرّة النعمان وقد وشى وزير محمود بن صالح صاحب حلب إليه، بأن المعرّىّ زنديق لا يرى إفساد الصُّوَر، ويزعم أنّ الرسالة تحصل بصفاء العقل . فأمر محمود بن صالح صاحب حلب بحمله إليه من المعرة إلى حلب، وبعث خمسين فارسا إليه ليحملوه، فأنزلهم أبو العلاء دار الضيافة، فدخل على المعرّىّ عمُّه مسلم بن سليمان، فقال له : يابن أخى ! قد نزلت هذه الحادثة، والملك محمودٌ يطلبك، فإن منعناك لا يقدر عليه، وإن سلّمناك كان عارا علينا عند ذوى الذِّمام، ويركبُ تنوخَ العارُ والذّلة . فقال له : هَوِّنْ عليك يا عمّ! فلا بأس علينا، ولى سلطان يذبُّ عنّى . ثمّ قام فاغتسل وصلّى [إلى] نصف الليل، ثم قال لغلامه : انظر أين المِزْيخ؟ فقال : فى منزلة كذا وكذا . فقال : زِنْه واضرب تحته وتدا، ففعل غلامُه ذلك . فسمعناه وهو يقول ذلك : يا قديم الأزَل، يا علّة العلل، يا صانع المخلوقات، وموجد الموجودات، أنا فى عزِّك الذى لا يرام، وسلطانك (٣) الذى لا يضام! الضيوفَ الضيوفَ! الوزيرَ الوزير! ثمّ ذكر كلماتٍ لا تفهم، وإذا بهدّة عظيمة . فسئل عنها، فقيل : وقعت الدّار على الضيوف الذين كانوا بها، فقتلت

(١) انظر المنتظم ص ١٩ .
(٢) انظر سر العالمين ص ٣٨ .
(٣) فى المرآة والنكت : «وكنفك» .

الخمسين . وعند طلوع الشمس وقعتْ بطاقةٌ من حلب على جناح طائر ، فيها : لا تُزعجوا الشَّيخ؛ فقد وقع الحمام على الوزير .

قال يوسف [بن] علىّ : أنا شاهدت ذلك . قال : فدخلت على المعرّى[1]، فقال : من أين أنت ؟ قلت : من أرض الهركار . فقال : زعمـوا أنى زنديق !

ثم قال : اكتُبْ ، وأملى علىَّ أبياتا من شعره .[2]

قال السبط فى المرآة : هذا حاصل ما ذكره مَنْ سمّيناه من أرباب السير فى ترجمة أبى العلاء ، غير أنّهم ذكروا أوصافه الدالّة على فضائله، فأقول :

لا خلاف فى سـعة علم الرجل وغزارة فضـله ، وصحة نسبه وأصـله . وله المصنّفات الحسان ، التى فاق بها على أبناء الزمان .

ثمّ قال : [قال] جدّى : مات أبو العلاء المعرّى فى ربيع الأوّل بمعرّة النعمان عن ستٍّ وثمانين سنة إلّا أربعةً وعشرين يوما . ذُكِر لنا أنّه أُنشد على قبره ثمانون مرثية ، رثاه بها أصحابُه ومَن قرأ عليه ،[3] حتّى قال بعضهم :

إن كنتَ لم تُرِقِ الدِّماء زهادةً فلقـد أرَقْتَ اليومَ من عَيني دَمَا

وذكر ابن الهبّارية فى "فلك المعانى" قال : بلغ أبا نصر بن أبى عمران داعى الدعاة بمصر حديثه، فاستدعاه، وكان داعى [الدعاة][4] بحلب، فسمّ أبو العلاء نفسه، فمات .

ثم قال السِّبط : [ولم][5] يوافق ابن الهبّارية على هـذا أحد . وقد أجمعوا على أنّه مات على فراشه الموت الطبيعىّ .

---

(١) فى المرآة والنكت : « فلما شاهدت ذلك دخلت على المعرى » .

(٢) انظر الأبيات فى المرآة ص ١٥٣ والنكت والمسالك .

(٣) هو تلميذه على بن همام .

(٤) ليست فى الأصل .

(٥) فى الأصل : «هذا الرجل» .

وقد زعم بعضُهم أنّه أقلع عن هـذا كلّه وتاب منه ، وأنه قال :[1]

يا مَنْ يرى مَدَّ البعوضِ جناحَهـا ... فى ظُلمـــة الأَيل البهيم الأَلْيَـــلِ
ويرى مَناطَ عروقها فى نحـرها ... والمخَّ فى تلك العِظام النُّحَّـــلِ
ويرى غريضَ دمائها[2] فى لحمها ... مستخرجا من مَفصِل فى مَفصِلِ
إنّى سألتـــك بالنـــبىّ محمـــدٍ ... خيرِ البرايا والكتابِ المـنزلِ
أُمْنُنْ علىّ بتَـــوبةٍ تمحُـــو بهـا ... ما كان مـــنّى فى الزّمانِ الأوّلِ

وقال ابن الجوزىّ[3] : وهؤلاء إمّا جُهّال بأمره، أوْ ضُلّال على مذهبه وطريقته.

وقد رأى بعضُهم فى المنام رجلًا ضريرا، على عاتقيه حيّتان متدليّتان إلى صدره، رافعتان رءوسهما، وهما تنهشان لحمه، وهو يستغيث، وقائل يقول : هذا المعرّىّ الملحد!

قلت : اسم هـذا الرائى هذا المنـام أبو غالب بن نبهان ، كان من أهل الخير والسلامة ، والثّقة والديانة .

قال محمّد بن الصّابى : لمّـا ورد خبر موت المعرّىّ تذاكرنا أمره وكُفره، ومعنا غلامٌ يعرف بأبى غالب بن نبهان[4] من أهل الخير والسلامة، والعفّة والديانة. فلما كان من غدِ ذلك اليوم قال : رأيتُ البارحة فى منامى . وحكى هذا المنام .

وفى روايتِه : رأيتُ رجلا شيخًا ضريرا، وعلى كتفيه أفعيان، وقد تدلّيا إلى فخذيه، وكلُّ واحدٍ منهما قد رفع فمه إلى وجهه ، فيقطع قطعة لحم و يزدردها، وهو يصيح و يستغيث . فقلت : من هذا؟ وقد أفزعنى ما رأيته، وروّعنى ما شاهدته، فقيل لى : هذا المعرّىّ الملحد ! فعجبنا من ذلك واستطرفناه ، حيثُ وقعَ عقِبَ ما تفاوضناه من أمره وتجاذبناه .

---

(١) انظر نص ابن كثير ص ٣٠٧ . (٢) فى الأصل : « جريد دمائها » .
(٣) أى الذين رثوه من أصحابه وممن قرءوا عليه . (٤) بدل العبارة من مبدأ «ومعنا غلام» إلى هنا : « وحزنا هذا الرأى » . وأصلحنا العبارة وأكملناها من مرآة الزمان ص ١٥٢ .

النجوم الزاهرة (*)

لابن تَغْرِى بَرْدِى (**)

٨١٣ — ٨٧٤

وفيها (١) :

تُوفِّى أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود ابن المطهَّر بن زياد بن ربيعة [بن الحارث] بن أنور بن أسحم بن أرقم بن النُّعمان ابن عدىّ بن غطفان بن عمرو بن بَرِيح بن جَذيمة (٢) بن تيم الله بن أسد بن وَبْرة ابن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة ، أبو العلاء المعرّى التّنوخىّ ، اللغوىّ ، الأعمى ، الشّاعر المشهور ، صاحب التصانيف المشهورة . قال الذهبىّ : وصاحب الزندقة المأثورة .

وقال أبو المظفر فى مرآة الزمان : وتنوخ قبيلة من اليمن .

(*) النجوم الزاهرة ، فى ملوك مصر والقاهرة . تاريخ كبير مرتب على السنين ؛ بدأ فيه مؤلفه بولاية عمرو بن العاص إلى الدولة الأشرفية ، وذكر فيه وفيات الأعيان والعلماء والملوك ، وأشار إلى زيادة النيل ونقصانه بعبارة مبسوطة . وقد لخص المصنف كتابه ، وسماه «الكواكب الباهرة ، من النجوم الزاهرة» وذكر أنه اختصره حذرا من أن يختصره غيره على تبويبه وفصوله . واقتدى فى ذلك بجماعة من العلماء كالذهبى ، فإنه اختصر تاريخ الإسلام بسير النبلاء ، ثم اختصر سير النبلاء بالعبر ، ثم اختصر العبر بالإشارة إلى وفيات الأعيان . والنص فى الجزء الخامس ص ٦١ — ٦٢ من طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٥٣ .

(**) هو يوسف بن الأمير سيف الدين تغرى بردى ، المصرى المولد الحنفى . حبب إليه علم التاريخ ، فلازم مؤرخى عصره ، مثل ابن حجر ، والعينى ، والمقريزى ؛ وانتهت إليه رياسة هذا الفن فى عصره . ومن مصنفاته كتاب " المنهل الصافى ، والمستوفى بعد الوافى " . ودفن فى تربته بالقرب من تربة الأشرف إينال بالقاهرة . انظر الضوء اللامع (١٠ : ٣٠٨) وشذرات الذهب (٧ : ٣١٧) . والمنهل الصافى لابن تغرى بردى ، مخطوط دار الكتب ، حيث ترجم له تلميذه أحمد بن حسين المربى .

(١) أى فى سنة ٤٤٩ .

(٢) فى الأصل « خزيمة » .

وتُوفِّى أبو العلاء بمعرّة النعمان فى يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الأوّل . ومولده يومَ الجمعة لثلاثٍ بقين من ربيع الأوّل سنةَ ثلاثٍ وستّين وثلاثمائة . وأصابه جُدرىّ بعد ثلاثِ سنين من عمره، فعمِى منه .

وقال الشِّعر وهو ابن إحدى عشرة سنة .

قلت : وقد اختلف الناسُ فى أبى العلاء المذكور ، فمن الناس مَن جعله زنديقًا، وهم الأكثر . ومن النّاس مَن أوّلَ كلامه ودفع عنه .

ومِمّا يستشهد عليه من المقالة الأولى قوله (١) :

عقولٌ تستخفُّ بها سطورُ ولا يدرى الفتى لِمَنِ الثُّبورُ

كتابُ محمّدٍ وكتابُ موسَى وإنجيلُ ابنِ مريمَ والزَّبورُ

وله فى غير هذا المعنى أشياءُ كثيرة، وتصانيفُ مشهورة، منها "سقط الزند"، وشرحه بنفسه وسماه "ضوء السقط" ، وله غير ذلك .

---

(١) فى لزوم ما لا يلزم (١ : ٣٢٤) .

بُغْيَة الوُعَاة (*)

للسيوطى (**)

٨٤٩ — ٩١١

أحمد بن عبد الله بن سليمان [بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان] بن داود آبن المطّهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث التنوخىّ، الإمام أبو العلاء المعرّىّ، من معرّة النعمان من الشّام .

[كان] غزير الفضل، شائع الذكر، وافر العلم، غايةً فى الفهم، عالمًا باللُّغة، حاذقًا بالنّحو، جيّد الشعر، جزل الكلام، شهرته تغنى عن صفته .

وأمّا حافظته، فحكى التّبريزى أنّه كان بين يديه، يقرأ عليه شيئا من مصنّفاته . قال : وكنت أقمت عنده سنين ، ولم أر أحدا من أهلِ بلدى . فدخل المسجدَ بعضُ جيراننا فعرفتُه ، فتغيّرتُ من الفرح . فقال لى أبو العلاء : أَيْشَ(١) أصابك ؟ قلت : إنى رأيت جارا لنا بعد أن لم ألق أحدًا من أهل بلدى سنين . فقال لى : قُمْ فكلِّمه . فقمت وكلّمتُه بلسان الأذربيّة شيئا كثيرا ، إلى أنْ سألتُ عن كلّ ما أردت ، ثمّ عدت . فقال : أىُّ لسان هذا ؟ فقلت : لسان أذربيجان .

(*) بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة : ذكر مؤلفه فى أوّله ما يفيد أنه عمد إلى جمع ما فى كتب الأقدمين من نحاة ولغويين ، فى سبعة مجلدات ، وهى الطبقات الكبرى ، ثم لخصها فى مجلدين ، وهى الطبقات الوسطى ، ثم اختصرها ثانية وسماها : « بغية الوعاة » ، وهى الطبقات الصغرى . ورتبها على حروف المعجم ، مبتدئا بالمحمدين ثم بالأحمدين .

والنص فيه من ص ١٣٦ — ١٣٧ طبع مطبعة السعادة سنة ١٣٢٦ .

(**) هو الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد السيوطى الشافعى . كان صاحب مشاركة فى العلوم ، وله مصنفات كثيرة نافعة ، طارت فى حياته فى أقطار الأرض شرقا وغربا . شذرات الذهب (٨ : ٥١ — ٥٣) وكشف الظنون (٢ : ٩٦) .

(١) فى الأصل : « أنس » .

فقال لى : ما عرفتُ اللسانَ ولا فهِمته ، غير أنّى حفظتُ ما قلتما . ثم أعاد علىّ اللفظ بعينه ، من غير أن ينقص أو يزيد . فعجبت من حفظه ما لم يفهمه .

ولد يوم الجمعة عند الغروب ، لثلاثٍ بقين من ربيع الأوّل سنة ثلاثٍ وستين وثلاثمائة .

وجدر من السنة الثالثة ، فعمِى منه . وكان يقول : لا أعرف من الألوان إلّا الأحمر ، لأنّى أُلبست فى الجدرىّ ثوبا مصبوغا بالعصفر ، لا أعقل غير ذلك .

وقال الشعر وهو ابن إحدى أو ثِنْتى عشرة سنة .

وأخذ النّحو واللغة عن أبيه ومحمد بن عبدالله بن سعد النحوى بحلب ، وحدّث عن أبيه وجدّه . وهو من بيت علمٍ ورياسة .

ورحَل إلى بغداد ، فسمع من عبد السلامِ بن الحسين البصرى ، وقرأ عليه بها التبريزىُّ ، وابن فُورَّجه[1] ، وأبو القاسم التّنوخى ، وخَلْق .

ودخل على أبى القاسم المرتضَى ، فعثَر برجُلٍ فقال : من هذا الكلب ؟ فقال أبو العلاء : الكلبُ من لا يعرف للكلبِ سَبعين اسمًا ! فسمِعه المرتضَى فأدناه واختبره ، فوجده عالمًا مُشبَعا بالفطنة والذكاء ، فأقبل عليه إقبالًا كثيرا .

وكان يتعصَّب للمتنبى ويفضِّله ، وكان المرتضَى يتعصَّب عليه . فجرى ذكره يوما ، فتنقّصه المرتضَى ، فقال المعرّى : لو لم يكن للمتنبى من الشِّعر إلّا قوله :

* لكِ يا منازلُ فى القلوب منازلُ *

---

(١) هو محمد بن حمد بن محمد بن عبد الله بن محمود بن فورجه البروجردى . وفورجه ، بضم الفاء وسكون الواو بعدها راء مشددة مفتوحة وجيم . أديب فاضل مصنف ، له : كتاب "الفتح على أبى الفتح" ، "والتجنى على ابن جنى" ، يرد فيه على أبى الفتح بن جنى فى شرح شعر المتنبى . ولد سنة ٣٣٠ . وفى وفاته خلاف . وكان حيا سنة ٤٢٧ . انظر ياقوت (٧ : ٤) وبغية الوعاة ٣٩ والفوات (٢ : ٢٤٧) وكشف الظنون (٢ : ١٧٢) .

لكفاه فضلا ! فغضب المرتضَى، وأمر به فسحب برجله وأُخرج . وقال : أتدرون ما قصَد بهـذه القصيدة ؛ فإنّ للمتنبِّى ما هو أجودُ منهـا ؟ فقـالوا لا . قال : أراد قولَه فيها :

وإذا أتتْـكَ مَذمّتِي من ناقِصٍ فهى الشَّهـادةُ لِى بأنِّىَ كامـلُ

ولمّـا رجع أبو العلاء إلى المعرّة لزِم بيته، وسمى نفسه "رهين الحَبْسين" . يعنى حَبْس نفسه فى المنزل، وحَبْس بصره بالعَمى .

قال يا قوت : وكان متّهما فى دينه ، يرى رأى البراهمة ، لا يرى أكل اللحم، ولا يؤمِن بالبعث والنُّشور، وبعثِ الرسل .

وقال الصَّفدىّ : كان قد رحل إلى طرابلس،وكان لها خزانةُ كتبٍ موقوفة، فأخذ منهـا ما أخَذَ من العلم . واجتاز باللاذِقيّة ، ونزل دَيرًا كان به راهبٌ له علمٌ بأقاويلِ الفلاسفة ، فسمِـع كلامَه ، فحصـل له بذلك شكوك . وشعره فى هـذا المعنى المتضمِّن للإلحادِ كثير .

وقد اختلف العلمـاءُ فى شأنه : فأمّا الذّهبىّ فحكم بزندقته . وقال السِّـلفىّ : أظنّه تاب وأناب . وقال ابنُ العـديم فى كتابه "دفع التجرِّى على أبى العلاء المعرّى": كان يرميه أهـل الحسد بالتعطيل ، ويَعملون على لسانه الأشـعار ، ويضمِّنونها أقاويل الملحِدة ، قصـدًا لهلاكه . وقد نُقِل عنـه أشعارٌ تتضمّن صحة عقيدته ، وأنّ ما ينسب إليه كذب، كقولِه[1] :

لا أطلبُ الأرزاقَ والـ حَوْلى يُفيضُ عـلىّ رزْقِى
إنْ أعطَ بعضَ القُـوت أعْـ لَمْ أنَّ ذلك فـوق حـقِّى

(١) البيتان مما لم يرد فى الديوانين .

وله من التصانيف : "شرح شعر المتنبى". "شرح شعر البحترى" . شرح شعر أبى تمام، سماه "ذكرى حبيب" . "شرح شواهد الجمل"، لم يتم . "ظهير العضدى" فى النحو . "شرح بعض كتاب سيبويه" . "مثقال النظم" فى العروض . "سقط الزند"، من نظمه . "ضوء السقط" . "الحقير النافع" فى النحو . "لزوم ما لا يلزم". وأشياء كثيرة .

مات ليلةَ الجمعة ثالث، وقيل ثانى، وقيل ثالثَ عشر ربيع الأول، سنة تسعٍ وأربعين وأربعمائة . وأوصى أنْ يكتَب على قبره :

هـذا جناه[1] أبى علىَّ وما جنيت على أحدْ

وله فى اللزوم[2] :

كُلْ واشرَبِ النَّاس على خِبرةٍ فهُمْ يُمَرُّونَ ولا يَعْذُبونْ
ولا تُصَدِّقْهُمْ إذا حدّثوا فإنّنى أعهَدُهُمْ يكذِبونْ
وإنْ أرَوْكَ الوُدَّ عن حاجةٍ ففى حبالٍ لهُمُ يجذبونْ

أسنَدْنا حديثه فى الطَّبقات الكبرى[3] . وله ذكر فى جمع الجوامع[4] .

---

(١) فى الأصل : « جنات » .

(٢) فى لزوم مالا يلزم (٢ : ٣٩٣) . (٣) انظر بغية الوعاة ص ٤٥١ .

(٤) فى الأصل : « جوامع الجوامع » . والكتاب شرحه السيوطى نفسه بشرح سماه "همع الهوامع". وطبع المتن والشرح معا فى القاهرة . والموضع الذى يشير إليه هو فى الكلام على حذف خبر المبتدأ وجوبا . واستشهد فيه ببيت أبى العلاء المعرى :

يذيب الرعب منه كل عضب فلولا الغمد يمسكه لسالا

انظر جمع الجوامع وشرحه همع الهوامع (١ : ١٠٤ — ١٠٥).

معاهد التنصيص (*)

للعباسىّ (**)

٨٦٧ — ٩٦٣

وأبو العلاء ، هو أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرّىّ التنوخىّ ، من أهل معرّة النّعمان ، العالم المشهور ، صاحب التصانيف المشهورة .

ولد يومَ الجمعة عند مغيب الشمس ، لثلاثٍ بقين من شهر ربيع الأوّل سنة ثلاثٍ وستّين وثلاثمائة بالمعرّة . وجدر فى السنة الثالثة من عمره ، فعمى منه . وكان يقول : لا أعرف من الألوان إلّا الأحمر ، لأنى ألبست فى الجدرىّ ثوبًا مصبوغا بالعصفر ، لا أعقل غير ذلك .

وعن ابن غريب الإيادىّ أنه دخل مع عمّه على أبى العلاء يزوره ، فوجده قاعدًا على سَجّادة لِبد ، وهو شيخ فانٍ . قال : فدعا لى ومسح على رأسى . قال : وكأنّى أنظر إليه الساعةَ وإلى عينيه ، إحداهما نادرة ، والأخرى غائرة جدا ، وهو مجدور الوجه ، نحيف الجسم .

(*) معاهد التنصيص على شرح شواهد التلخيص . جعله كالشرح لأبيات "تلخيص المفتاح" للقزوينى ، وتكلم فيه على معانى أبيات الشواهد وتراجم قائليها . فرغ منه سنة ٩٣٤ .

والنص فى ص ٦٥ — ٧٠ من طبع بولاق سنة ١٢٧٤ فى جزء واحد .

(**) هو أبو الفتح عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسى الشافعى القاهرى الإسلامبولى . ولد بالقاهرة . كان عارفا بالحديث ، عالما بالتاريخ ، وصاحب إنشاء بليغ . ووفد إلى القسطنطينية زمن السلطان بايزيد ، ومعه شرح له على البخارى ، فأجازه بجائزة سنية . وعرض عليه قراءة الحديث فى مدرسته فلم يقبل ، وعاد إلى القاهرة . ولما انقرضت دولة الغورى رجع إلى القسطنطينية وأقام بها . وله مصنفات كثيرة ، منها شرح مقامات ابن الحريرى . انظر شذرات الذهب ، وكشف الظنون ، والشقائق النعمانية (١ : ٤٥٩) .

وعن المصيصى[1] الشّاعر قال : لقيتُ بمعرّة النُّعمان عجبًا من العجب : رأيت أعمى شاعرا ظريفا يلعب بالشّطرنج والنَّرد، ويدخل فى كلِّ فنٍّ من الهزل والجِدّ، يكنى أبا العلاء . وسمعته يقول : أنا أحمد الله على العمى، كما يحمده غيرى على البصر.

وهو من بيت علمٍ وفضلٍ ورياسة . له جماعةٌ من أقاربه قضاة وعلماء وشعراء .

قال الشعر وهو آبن إحدى عشرة سنة، أو آثنتى عشرة سنة .

ورحل إلى بغداد ثم رجع إلى المعرّة . وكان رحيله إليها سنةَ ثمانٍ وتسعين وثلاثمائة، وأقام بها سنة وسبعة أشهر .

ودخل على المرتضى أبى القاسم، فعثر برجُلٍ فقال : من هذا الكلب ؟ فقال أبو العلاء : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين آسما ! وسمعه المرتضى وأدناه وآختبره، فوجده عالما مشبعا بالفطنة والذكاء، فأقبل عليه إقبالا كثيرا . وله معه نكتة تأتى فى التلميح إن شاء الله تعالى[2] .

ولمّا رجع المعرّىُّ إلى بلده لزِم بيته ، وسمى نفسه "رهين الحبْسَين" . يعنى حبس نفسه فى منزله ، وحبس بصره بالعمى .

وكان عجيباً فى الذّكاء المفرِط والحافظة . ذكر تلميذه أبو زكريا التّبريزى أنّه كان قاعدا فى مسجده بمعرّة النعمان ، بين يدى أبى العلاء ، يقرأ شيئا من تصانيفه . قال : وكنت قد أقمت عنده سنين ، ولم أر أحدًا من أهل بلدى . فدخل المسجدَ بعضُ جيراننا للصّلاة ، فرأيتُه فعرفته ، وتغيّرت من الفرح . فقال لى أبو العلاء : أىُّ شىءٍ أصابك ؟ فحكيت له أنّى رأيتُ جارًا لى بعد أن لم ألق

(١) هو أبو الحسن الدلفى المصيصى . وانظر ص ٣ .

(٢) يشير إلى المجلس الآخر الذى تنقص فيه المرتضى المتنبى ، وما جرى بينه وبين أبى العلاء فى ذلك من تلميح بالشعر . انظر ياقوت ص ٧٦ والمعاهد ص ٦٠٣ .

أحدًا من أهل بلدى سِنِين . فقال لى : قُمْ فكلِّمه . فقلت : حتى أُتمم السَّبق[1] . فقال لى : قم وأنا أنتظر لك . فقمت وكلّمته بلسان (الأذربيجانية) شيئًا كثيرا ، إلى أن سألتُ عن كلِّ ما أردت . فلما رجَعت وقعدتُ بين يديه قال لى : أىُّ لسان هذا ؟ قلت : هذا لسان أذربيجان . فقال لى : ما عرفتُ اللسان ولا فهمتُه ، غير أنّى حفظتُ ما قلتما . ثمّ أعاد علىّ اللفظَ بعينِه من غير أن ينقص منه أو يزيد عليه ، بل جميع ما قلت وما قال جارى . فتعجّبت غايةَ العجَب من كونه حَفِظ ما لم يفهمْه .

وللنّاس حكاياتٌ يضعونها فى عجائب ذكائه ، وهى مشهورة ، وغالبها مستحيل .

وكان قد رحل أوّلا إلى طرابلس ، وكان بها خزائن كتب موقوفة ، فأخذ منها ما أخذ من العلم .

وآجتاز باللاذقيّة ، ونزل دَيرًا كان به راهب له عِلم بأقاويل الفلاسفة ، فسمع كلامَه فحصل له شكوك .

وكان آطّلاعه على اللُّغة وشواهدها أمرًا باهرا . والناس مختلفون فى أمره ، والأكثرون على إلحاده وإكفاره .

وأورد له الرازىُّ "فى الأربعين" قولَه :

قلتم لنا صانع قديم ... قلنا صدقتمْ كذا نقولُ
ثم زعمتم بلا مكانٍ ... ولا زمانٍ ألا فقولوا
هذا كلامٌ له خبيء ... معناه ليست لنا عُقولُ

ثم قال الرازىّ : وقد هذى هذا فى شعره .[2]

---

(١) السبق : الدرس . انظر الحاشية رقم ٢ ص ١٤ . وفى الأصل : « السق » .

(٢) انظر الوافى بالوفيات ص ٢٩٨ الحاشية رقم ١ .

وقال ياقوت : كان متهما فى دينه، يرى رأى البراهمة : لا يرى إفساد الصُّورة، ولا يأكل لحمًا، ولا يؤمِنُ بالرسل ولا البعث ولا النشور . انتهى .

ومكث مدّة خمسٍ وأربعين سنة لا يأكل اللحم تديُّنا ، ولا ما تولّد من الحيوان رحمةً له ، وخوفاً من إزهاق النفوس . و إلى ذلك أشار علىُّ بن همّام حين رثاه ، فقال من قصيدة طويلة :

إنْ كنتَ لم تُرِقِ الدِّماءَ زهادةً فلقد أرقْتَ اليوم من عينى دما
سيّرتَ ذكرك فى البلاد كأنّه مسكٌ فسامِعُهُ يُضَمِّخُ أوفما
وأرى الحجيجَ إذا أرادوا ليلةً ذِكراك أوجَبَ فديةً مَنْ أحرما

ولقيه رجل[1] فقال له : لِمَ لم تأكل اللحم؟ فقال : أرحم الحيوان. قال : فما تقول فى السباع التى لا طعام لها إلّا لحوم الحيوان؟ فإن كان لذلك خالقٌ، فما أنت بأرأف منه، و إن كانت الطبائعُ المحدثةَ لذلك، فما أنت بأحذقَ منها ولا أتقن . فسكت .

وقال القاضى أبو يوسف عبدالسلام القزوينىّ : قال لى المعرّىّ : لم أفْجُ أحدًا قطّ . قلت له : صدقت ! إلّا الأنبياء عليهم السلام . فتغيّر لونه أو — قال — وجهه .

ودخل عليه القاضى المنازِئُ، فذكر له ما يسمعه من الناس من الطّعن عليه ، ثم قال : ما لى وللناس وقد تركتُ دنياهم . فقال له القاضى : وأخراهم ! فقال : يا قاضى، وأخراهم ! وجعل يكررها .

وعن أبى زكريا التِّبريزى[2] قال : قال لى المعرّىّ : ما الذى تعتقد ؟ فقلت فى نفسى : اليوم يتبيّن لى اعتقاده ، فقلت له : ما أنا إلّا شاكٌّ . فقال لى : وهكذا شيخُك .

---

(١) هو أبو نصر المنازى الشاعر. انظر ص ٦٣ من نص القفطى. (٢) فى الأصل : «الرازى».

وحكى عن الشيخ كمال الدين [بن] الزَّمْلَكانى[1] أنّه قال فى حقه : هو جوهرة جاءت إلى الوجودِ وذهبت .

وعن الشيخ فتح الدين بن سيِّد النـاس، أنّ الشيخ تقى الدين بن دقيق العِيد كان يقول فى حقّه : هو فى حيرة .

قال الصّلاح الصفدىّ : وهذا أحسنُ ما يُقال فى أمره؛ لأنّه قال[2] :

خُلِق النّاسُ للبقاء فضَلّتْ أُمّـةٌ يحسبونَهُمْ للنّفادِ
إنّما يُنقلون من دارِ أعمـا لٍ إلى دارِ شقوةٍ أو رشادِ

ثم قال[3] :

ضحِكْنا وكانَ الضّحكُ منّا سفاهةً وحُقّ لسُكانِ البسيطةِ أن يبكُوا
تحطّمُنا الأيّامُ حتّى كأنّنـا زجاجٌ ولكن لا يعـاد لنا سبْكُ

وهذه الأشياء كثيرةٌ فى كلامه . وهو تناقضٌ منه . وإلى الله تُرجَع الأمور .

قال السَّلَفىّ : ومّما يدلّ على صحّة عقيدته ما سمعتُ الحافظ الخطيب حامد بن بَختيارَ النُّيرى يحدّث بالشَّمْسانيّة[4] (مدينةٍ بالخابور)، قال : سمعت القاضى أبا المهذّب عبد المنعم بن أحمد السَّروجى يقول : سمعت أخى القاضى أبا الفتح يقول : دخلت على أبى العـلاء التّنوخى بالمعرّة ذاتَ يومٍ، فى وقت خلوةٍ، بغير علمٍ منه، وكنتُ أتردّد إليه وأقرأ عليه، فسمعته يُنشد من قِبَلِه[5] :

كم بُودِرتْ غادةٌ كَعابٌ[6] وعُمِّـرتْ أمُّهـا العجـوزُ

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٢٧١ .
(٢) فى سقط الزند (١ : ٢٠٨) .
(٣) فى اللزوم (٢ : ١٤٣) .
(٤) فى الأصل : «بالسمسانية» والصواب ما أثبتنا . وانظر نص الذهبى ص ١٣٩ الحاشية رقم ٣ .
(٥) الأبيات من ملق السبيل .
(٦) فى الأصل : «كعوب» وأثبتنا رواية الذهبى . وفى ملق السبيل : «كم هلكت» .

أحرزَها الوالدان خَـوفًا والقـبرُ حِـرزٌ لها حَرِيزُ
يجـوزُ أن تبطئ المنـايا والخُـلد فى الدّهر لا يجوزُ

ثم ناؤه مرّات وتلا : ﴿ إنّ فى ذلك لآيةً لمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذٰلِكَ يَـوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّـاسُ وَذٰلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ . وَمَا نُؤَخِّرُهُ إلاّ لِأَجَلٍ مَعْـدُودٍ . يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ . ثمّ صاح وبكى بكاء شديدا ، وطرح وجهه على الأرض زمانًا ، ثمّ رفع رأسـه ومسح وجهه ، وقال : سبحان مَن تكلّم بهذا فى القدم ! سبحان من هذا كلامُه ! فصبَرْت ساعةً ، ثمّ سلّمت عليه ، فردّ علىّ وقال : متى أتيت ؟ فقلت : الساعة . ثمّ قلت : يا سيّدى ، أرى فى وجهك أثر غيظ ! فقال : لا يا أبا الفتح ! بل أنشدتُ شيئًا من كلام المخلوق ، وتلوتُ شيئًا من كلام الخالق ، فليحقنى ما ترى . فتحقّقت صحّةَ دينه ، وقوّة يقينه .

وقال السّلفىّ أيضًا : سمعت أبا المكارم بأبهر ، وكان من أفراد الزمان ، ثقة ، مالكىّ المذهب ، قال : لمّا توفى أبو العلاء آجتمع على قبره ثمانون شاعرًا ، وختم عند قبره فى أسبوع واحد مائتا ختمة .

وعن أبى اليسر المعرّى ، أنّ أبا العلاء كان يُرمَى من أهل الحسد له بالتعطيل ، ويعمل تلامذتُه وغيرهم على لسانه الأشـعار ، يضمّنونها أفاويل المُلحدة ، قصدًا لهلاكه ، وإيثارا لإتلاف نفسه . وفى ذلك[1] يقول :

حاول إهـوانِىَ قـومٌ فما واجهتُهـم إلّا بإهـوانِى
يحزشـونى بسـعاياتهـم فغـيّروا نيّـة إخـوانِى
لو آستطاعوا لوشَـوا بى إلى الـ ـمرّيخ والشّهب وكيوانِ

(١) الأبيات مما لم يرو فى الديوانين .

قال الصلاح الصفدىّ: أمّا الموضوع على لسانه، فلعلّه لا يخفى على ذى لُب. وأمّا الأشياء التى دوّنها وقالها فى "لزوم ما لا يلزم" وفى "استغفر واستغفرى"، فمَا فيه حيلة، وهو كثير [فيه ما فيه](١) من القول بالتعطيل، واستخفافه بالنبوّات. ويحتمل أنّه ارعوى وتاب بعد ذلك كلّه.

وكان أكله العدَس، وحلاوته التِّين، ولباسه القطن، وفراشه اللُّباد، وحصيرُه بَرْدِيّة.

وتصانيفه كثيرة جدّا، وشعره كثيرٌ إلى الغاية، وأحسنه "سقط الزّند".

ومن نظمه فى الغزل(٢):

يا ظبيـــةً عَلِقتْنى فى تصـــيُّدها ... أشراكُها وهى لم تَعْلَقْ بأشراكى

رَعَيتِ قلبِى وما راعيتِ حُرمَتَـهُ ... فـلِمْ رعَيتِ وما راعيتِ مَرْعاكِ

أتُحـرِقينَ فؤاداً قـد حللتِ به ... بنار حُبِّك عمـدًا وهو مأواكِ

أسكنتِه حيثُ لم يسكُنْ به سَكَنٌ ... وليس يحسُن أن تَسخَىْ بسُكناكِ

ما بالُ داعِى غَرامى حينَ يأمُرنى ... بأنْ أُكابِدَ حَرَّ الوجـــد يَنهاكِ

وكم غدا القلبُ ذا يأسٍ وذا طمعٍ ... يرجُوكِ أن ترحيـه وهو يخشاكِ

ومن شعره قوله(٣):

إلى الله أشـكو أنّنى كلَّ ليـــلةٍ ... إذا نمتُ لم أعْدَم خواطرَ أوهامِ

فإنْ كان شرًّا فهو لا شـكَّ واقعٌ ... و إن كان خيرًا فهو أضغاثُ أحلامِ

ومنه قوله(٤):

اِضرِبْ ولِيدَك تأديبًا على رَشَـدٍ ... ولا تَقُلْ هو طفـلٌ غيرُ محتـــلِمِ

فربَّ شَـقٍّ برأسٍ جرّ منفعـــةً ... وقِسْ على شَقِّ رأسِ السَّهمِ والقلَمِ

---

(١) التكملة من الوافى والنكت.

(٢) الأبيات مما لم يرد فى الديوانين.

(٣) فى سقط الزند (٢ : ٢٢٤).

(٤) فى لزوم ما لا يلزم (٢ : ٣٠٥).

ومن شعره وقد أهدى كتاباً من تصانيفه (١) :

قَبولُ الهـدايا سُنّةٌ مُسْتَحَبّةٌ إذا هى لم تَسلُكْ طريقَ تَحابِى

وما أنَا إلّا قطرةٌ من سحابِهِ (٢) ولو أنّنى صنّفتُ ألفَ كتاب

ومن شعره المؤاخَذ به قولُه (٣) :

إذا ما ذكَرْنا آدمًا وفِعالَه وتزويجَه بنتيه لابْنَيهِ فى الحَنَا

علِمْنا بأن الخلْقَ من نَسْلِ فاجرِ وأنّ جميعَ الخلق من عُنصرِ الزّنَا

فأجابه القاضى أبو محمد الحسن اليمنىّ بقوله :

لعمرِىَ أمّا فيك فالقولُ صادقٌ وتكذيبُ فى الباقين مَن شَطَّ أو دنَا

كذلك إقرارُ الفتى لازمٌ له وفى غيره لغوٌ، كذا جاء شَرْعُنَا

ومنه قولُه (٤) :

يدٌ بخمس مئينٍ عسجدٍ وُدِيَتْ ما بالُها قُطِعت فى ربع دينارِ

تَحكّمٌ مالنا إلّا السكوتُ له وأن نعوذَ بمولانا من النّارِ

فأجابه علَم الدين السّخاوىّ بقوله :

عِزُّ الأمانة أغلاها وأرخَصَها ذُلُّ الخيانةِ فافهَمْ حكمةَ البارِى

ومنه قولُه (٥) :

هفت الحنيفةُ والنّصارى ما اهتدَتْ وبَجوسُ حارتْ واليهودُ مُضلَّلَهْ

اِثنانِ أهلُ الأرض ذو عقلٍ بِلا دينٍ وآخر دَيِّنٌ لا عقلَ لَهْ

---

(١) من قصيدة فى سقط الزند (٢ : ١٣٨) .

(٢) الضمير عائد إلى « ابن نصر » فى بيت سابق لهذا البيت، وهو :

إذا أسكت المحتج كل مناظر فعند ابن نصر نجدة بجواب

(٣) البيتان مما لم يرو فى الديوانين .

(٤) فى لزوم ما لا يلزم (١ : ٣٨٦) .

(٥) فى لزوم ما لا يلزم (٢ : ٢٠١) .

فقال ذو الفضائل الأخسيكتى رادًّا عليه :

الـدِّينُ آخِـذُه وتاركُه لم يَخْـفَ رُشْـدُهما وغَيُّهما
اِثنانِ أهلُ الأرض قلتَ فقُـلْ ياشَـيخ سَـوءٍ أنتَ أيُّهُـما

ومنه أيضا قوله[1] :

دِينٌ وكُفـرٌ وأنبـاء تُقال وفُـرْ ـقانٌ يُنَـصُّ وتوراةٌ وإنجيـل
فى كلِّ جيلٍ أباطيـلٌ يُدانُ بهـا فهل تفرَّد يومًا بالهُـدى جِيلُ

فأجابه شيخ الإسلام الحافظ الذهبى[2] بقوله :

نعم أبو القاسم الهادى وأُمَّتُه فـزادكَ اللهُ ذُلًّا يا دُجَيجِيـلُ

ومنه أيضا قولُه، وهو الطامّة الكبرى[3] :

قِرانُ المُشْتَرِى زُحَلًا يُرَجَّى لإيقاظِ النّواظِرِ مِنْ كَرَاها
تقضَّى النّاسُ جِيلًا بعد جيلٍ وخُلِّفت النّجومُ كما تـراها
تقـدّم صاحبُ التـوراةِ موسى وأوقَعَ فى الخسار من آقْتَراها
فقـال رجالُه وحىٌ أتـاهُ وقال الآخَرون بل آفـتراها
وما حجِّى إلى أحجـار بيتٍ كُؤوس الخمرِ تُشْرَبُ فى ذَراها
إذا رجـعَ الحكِيمُ إلى حِجـاهُ تَهاوَنَ بالشّرائِـع وآزدراها

لا حول ولا قوة إلّا بالله العلى العظيم. اللهم أستغفرك من نظير هذه الأباطيل، التى تشمئز منها القلوب، وتنفر عنها الخواطر، وأسألك التوفيق لى ولسائر المسلمين.

ومن جيّد شعره قوله[4] :

---

(١) فى لزوم ما لا يلزم (٢ : ١٧٧).
(٢) كذا. وانظر الحاشية رقم ٤ ص ١٩٤ من نص الذهبى.
(٣) فى اللزوم : (٢ : ٤١٥). (٤) فى اللزوم : (٢ : ١٠٢).

رددتُ إلى مليـك الخلقِ أمْرى فـلم أسأَلْ متى يقـعُ الكسوفُ
وكم سلِم الجهولُ مِن المنـايا وعُوجِـل بالحِمـام الفيلسـوفُ

وهو أخذه من قول أبى الطيّب المتنبّى :

يموتُ راعِى الضّأنِ فى جهـلِه ميتـةَ جالينـوسَ فى طِبّـهِ
وربّمـا زاد عـلى عُمـرِهِ وزاد فى الأمْن على سِـربهِ

وقد تلاعب الشُّعراءُ بهجائه . وممن هجاه أبو[1] جعفـر البَحاثىّ الزَّوزَنىّ بقصيدة أوّلها :

كلبٌ عَوَى بمعـرّة النُّعمانِ لمّا خـلا عن رِبْقَـة الإيمـانِ
أمعـرّةَ النُّعمان ما أنجبْتِ إذْ أخرجتِ منـك مَعَـرّةَ العُميانِ

وقصّته مع وزير محمود بن صالح صاحب حلب شهيرة[2]، فلا حاجة إلى التطويل بذكرها .

وكانت وفاته ليلةَ الجمعة ثالث، وقيل ثانىَ شهر ربيع الأوّل، وقيل ثالث عشرِه، سنة تسع وأربعين وأربعمائة .

قال غرس النعمة[3] : وأذكر عنـد ورود الخبر بموته ، وقد تذاكرْنا إلحادَه ، ومعنا غلامٌ يعرف بأبى غالب بن نبهان ، من أهل الخير والعِفّة ، فلمّا كان من الغد حَكى لنا قال : رأيتُ فى منامى البارحة شيخًا ضريرا ، وعلى عاتقه أفعيانِ متـدلّيان إلى فخذيه ، وكلٌّ منهما يرفع فمَه إلى وجهه ، فيقطع منه لحماً يزدرِدُه ، وهو يستغيث ؛ فقلت وقد هالنى : من هذا ؟ فقيل لى : هذا المعرّىّ الملحد .

---

(١) فى الأصل : « البجائى » .

(٢) انظر ص ١٥٣ .

(٣) فى الأصل : « ابن غرس النعمة » تحريف . وقد سبقت ترجمته فى ص ٢٥ .

وقال القفطيّ : أتيتُ قبره سنة خمس وستّمائة[1] ، فإذا هو فى ساحةٍ من دُور أهلِه ، وعليه بابٌ ، فدخلتُ فإذا القبر لا آحتفال به ، ورأيت عليه خُبّازى يابسة ، والموضع على غايةِ ما يكون من الشَّعَث والإهمال .

قال الذهبيّ : وقد رأيت أنا قبره بعد مائة سنة من رُؤية القِفطيّ ، فرأيت نحوًا ممّا حكى . انتهى .

ويقال إنّه أوصى أن يكتب على قبره :

هـذا جناه أبى علىّ وما جنيتُ على أحَدْ

وهو أيضًا متعلّق باعتقاد الحكماء ؛ فإنهم يقولون : إيجاد الولد وإخراجه إلى العالم جنايةٌ عليه ؛ لأنّه يعرَّض للحوادث والآفات . والله تعالى أعلم بأمره .

---

(١) فى الأصل : « خمسين وستمائة » ، وهو محال ؛ فإن القفطى توفى سنة ٦٤٦ ، والصواب ما أثبتنا من نص القفطى وما نقل عنه الذهبى .

شـــذرات الذهب (*)

لابن العماد الحنبلى (**)

وفيها (١) : ١٠٣٢ — ١٠٨٩

توفى أبو العلاء المعرى، أحمد بن عبد الله بن سليمان التَّنوخىّ اللغوىّ الشاعر، صاحب التصانيف المشهورة، والزندقة المأثورة، والذكاء المفرط، والزهد الفلسفىّ، وله ستٌّ وثمانون سنة .

جُدر وهو ابن ثلاثِ سنين، فذهب بصره .

ولعلّه مات على الإسلام، وتاب من كُفريّاته، وزال عنه الشّك، قاله فى العبر (٢) .

وقال ابن خلّكان : الشاعر اللغوى، كان متضلّعاً من فنون الأدب، قرأ النحو واللغة على أبيه بالمعرّة، وعلى محمد بن عبد الله بن سعد النَّحوى بحلب .

وله التّصانيف الكثيرة المشهورة، والرسائل المأثورة .

(*) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب : تاريخ ابتدأ فيه مؤلفه من الهجرة إلى سنة ألف . وذكر فيه ماوقع من الحوادث وتراجم الأعيان من العلماء والملوك وغيرهم .

والنص فى الجزء الثالث ص ٢٨٠ — ٢٨٢ من طبع القدسى سنة ١٣٥٠ .

(**) هو عبد الحى بن أحمد بن محمد، المعروف بابن العماد العكرى الدمشق الصالحى الحنبلى . كان من آدب الناس وأعرفهم بالفنون الكثيرة ، ومن أكثرهم حظا فى التمتع بالخزائن العلمية . ولد بدمشق، ثم رحل إلى القاهرة، وأقام بها مدة طويلة، ثم رجع إلى دمشق ولزم الإفادة والتدريس . وكان قد حج فمات بمكة، ودفن بالمعلاة . انظر خلاصة الأثر (٢ : ٣٤٠ — ٣٤١) .

(١) أى فى سنة ٤٤٩ .

(٢) العبر، فى أخبار من عبر، للذهبى، وهو مختصر لسير النبلاء له، وسير النبلاء مختصر له لكتابه تاريخ الإسلام . وقد صرح ابن العماد فى مقدمة الشذرات بأنه اعتمد فى أكثر ما اعتمد على كتب الذهبى .

وله من النّظم "لزوم مالا يلزم" وهو كبيرٌ يقع فى خمس مجلّدات، أو ما يقاربها. وله "سقط الزند" أيضًا، وشرحه بنفسه وسماه "ضوء السقط". وله كتاب "الهمزة والردف"، أكثر من مائة مجلّد. وله غير ذلك.

وأخذ عنه أبو القاسم بن المحسِّن التنوخى، والخطيب أبو زكريّا التبريزى وغيرهما.

وكانت ولادته يومَ الجمعة عند مغيب الشمس سابع [و]عِشْرِى[1] شهر ربيع الأوّل سنة ثلاثٍ وستّين وثلاثمائة بالمعرة.

وعمى من الجدرىّ أوّل سنة سبعٍ وستّين، غشّى يمنى عينيه بياض، وذهبت اليسرى جملة.

قال الحافظ السِّلَفى: أخبرنى أبو محمد عبد الله بن الوليد بن غريب الإيادى، أنه دخل مع عمّه على أبى العلاء يزوره، فرآه قاعدًا على سَجّادة لِبد، وهو شيخٌ. قال: فدعالى ومسح على رأسى. وكان صبيا[2]. قال: وكأنّى أنظر اليه الآن و إلى عينيه إحداهما نادرة، والأخرى غائرة جدّا، وهو مجدّر الوجه، نحيف الجسم.

وكان يقول: كأنّما نظر المتنبّى إلىّ بلحظ الغيب حيثُ يقول:

أنا الذى نظرَ الأعمى إلى أدبى وأسمعَتْ كلماتى مَن به صَمَمُ

وشَرَحَ ديوان أبى تمّام، وسماه "ذكرى حبيب"، وديوان البحترى وسمّاه "عبث الوليد"، وديوان المتنبى وسماه "معجز أحمد"، وتكلّم على غريب أشعارهم ومعانيها، ومآخِذهم من غيرهم، وما أُخذ عليهم، وتولّى الانتصار لهم، والنقد فى بعض المواضع عليهم، والتوجيه فى أماكن غلطهم.

---

(١) أى السابع والعشرين. أضاف العدد إلى الشهر.

(٢) وكان، أى أبو محمد عبد الله بن الوليد، فالقول للسلفى. وفى الوفيات: «وكنت صبيا»، فالقول لابن غريب.

ودخل بغداد سنة ثمانٍ وتسعين وثلاثمائة ، ودخلها ثانياً سنة تسعٍ وتسعين ، وأقام بها سنة وسبعة أشهر، ثمّ رجع إلى المعرة، ولزم منزله ، وشرع فى التصنيف، وأخذ عنه الناس، وسار اليه الطلبةُ من الآفاق ، وكاتبه العلماء والوزراء وأهل الأقدار، وسمّى نفسه "رهن الحَبْسَين"؛ للزومه منزله ، ولذهاب عينيه .

ومكث مدّة خمسٍ وأربعين سنة لا يأكل اللحم تديُّنا ؛ لأنّه كان يرى رأى الحكماء المتقدمين، وهم لا يأكلونه كى لا يذبحوا الحيوان؛ ففيه تعذيبٌ له ، وهم لا يرون إيلام جميع الحيوانات .

وعمل الشِّعر وهو ابن إحدى عشرة سنة . ومن شعره فى اللزوم :[1]

لا تَطْلُبَنَّ بآلةٍ لك رِفعةً[2] قلَمُ البليغ بغير جَدٍّ مِغزلُ
سَكَنَ السِّماكانِ السماءَ كلاهُما هذا له رمحٌ وهذا أعزلُ

وتُوفِّى ليلة الجمعة ثالث، وقيل ثانى شهر ربيع الأوّل ، وقيل ثالث عشره ، وبلغنى أنّه أوصى أن يُكتب على قبره :

هذا جناهُ أبى علىَّ وما جنيتُ على أحَدْ

وهو أيضًا متعلّق باعتقاد الحكماء ؛ فإنّهم يقولون : إيجاد الولد و إخراجه إلى هذا العالم جناية عليه ؛ لأنه يتعرّض للحوادث والآفات .

وكان مرضه ثلاثة أيام، ومات فى اليوم الرابع، ولم يكن عنده غير بنى عمّه ، فقال لهم فى اليوم الثالث : اكتبوا عنّى . فتناولوا الدّواة والأقلام ، فأملى عليهم غيرَ الصواب . فقال القاضى أبو محمد التّنوخى : أحسن الله عزاءكم فى الشيخ ؛ فانّه ميّت ! فمات ثانى يوم .

---

(١) ليست فى مرويات لزوم ما لا يلزم وانظر الحاشية رقم (١) ص ١٨٤ .

(٢) فى الوفيات : «رتبة» .

والمعرّى نسبة الى معرّة النعمان : بلدة صغيرة بالشام، بالقرب من حَماة وشَيزر، وهى منسوبة إلى النعمان بن بشير الأنصارى رضى الله عنه .

انتهى ما أورده ابن خلّكان ملخّصا .

(١)
وقال ابن الأهدل : حضَر مرّةً مجلس الشريف المرتضى ببغداد، وكان الشّريف يغضّ من المتنبّى، والمعرّى يُثنى عليه، فقال المعرّى : لو لم يكن من شعره إلّا قوله :

* لك يا منازلُ فى القلوب منازلُ *

لكفاه . فأمر الشريف بإخراجه ، وقال : ما أراد القصيدة ، فإنّها ليست من غرر قصائده، وإنما أراد البيت الذى فيها، وهو قوله :

وإذا أتتْكَ مَذَمّتى من ناقصٍ فهى الشّهادةُ لى بأنّى كاملُ

انتهى

وقال غيره : قيل وُلد أعمى، وترك أكل البيض واللبن واللحم، وحرّم إتلاف الحيوان . وكان فاسد العقيدة ، يُظهر الكفر، ويزعم أنّ له باطنًا ، وأنّه مسلم فى الباطن .

(٢)
وأشعاره الدّالّة على كفره كثيرة، منها :

أتَى عيسَى فأبْطَلَ شَرْعَ موسى وجاء محمّدٌ بصلاةِ خَمْسِ

وقالوا لا نَبِيٌّ بعدَ هذا فضَلَّ القوم بينَ غدٍ وأمْسِ

---

(١) هو حسين بن عبدالرحمن بن محمد بن على بن أبى بكر بن على الأهدل بن عمر، الشافعى الأشعرى، ولد سنة ٧٧٩ وحدث ودرس وأفتى ، حتى أصبح شيخ اليمن غير مدافع . وله كتب كثيرة منها "مختصر تاريخ اليافعى" ، وهو مظلة نقل ابن العماد عنه . وتوفى فى سنة ٨٥٥ . انظر الضوء اللامع (٣ : ١٤٥ — ١٤٧) .

(٢) فى اللزوم (٢ : ٣٦) .

ومهما عِشْتَ فى دنياكَ هـذى فما تُخْليـك[1] من قَمَـرٍ وشَمْسِ
إذا قلتُ المحـال رفعتُ صـوتى وإن قلت الصّحيحَ أطَلْتُ همسِى

وقال[2] :

تاهَ النّصارَى والحنيفةُ ما اهتدَتْ ويهود حيرى والمجـوسُ مُضَلّله[3]
قُسِم الوَرى قِسمَين هـذا عاقلٌ لا دينَ فيـه ودَيِّنٌ لا عقْـلَ لَهْ

انتهى

---

(١) فى الأصل : « يخليك » .
(٢) فى اللزوم (٢ : ٢٠١) .
(٣) فى الأصل : « بطرى » .

نزهـــة الجليس (*)

للعباس المكّىّ (**)

من علماء القرن الثانى عشر

ترجمـة أبى العلاء أحمـد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمـد ابن سليمان التنوخى المعرّى ، اللغوىّ الشّاعر المـاهر ، أحد فحول الفضلاء العاملين ، الصُّلحاء الزاهدين .

فاضـلٌ سار ذكر فضـله فى البرارى والبحور ، وأجمع على تقدمته الجمهور ، بأنّه فارس المنظوم والمنثور . أقرّ له بالبـلاغة والأدب كلُّ بليغ وأديب ، ويشهد له قولُه من لاميّتـه التى هى أحلى من لام عِذار الحبيب ، وأغلى من اللـؤلؤ النّفيس الرَّطيب :

وإنّى وإنْ كنتُ الأخـيرَ زمانُه ... لآتٍ بمـا لم تستطعه الأوائلُ

ولادته عند مغيب شمس يوم الجمعة سابع [و]عشرى ربيع الأوّل ، بمعـرّة النعمان سنة ثلاثمائة وثلاثٍ وستّين . وكانت قد عميت عيناه من الجدرىّ .

(*) نزهة الجليس ، ومنية الأديب الأنيس : كتاب من كتب الرحلات ، ضمّنه مؤلفه تراجم وتواريخ لمن اجتمع بهم فى رحلته ، أو اقتضت الرحلة التنويه بترجمته من متقدّمى العلماء والأدباء والشعراء . وذكر فى (١ : ١٥) أنه اجتمع بمن يدعى الحائرى فى سنة ١١٣٠ . وقال فى آخرها : « وكان الفراغ من تأليفه بتندر المحا ، فى رابع شوّال سنة ألف ومائة وثمان وأربعين .

ويقع نص ترجمة أبى العلاء منها فى الجزء الأول ص ٢٧٨ — ٢٨٤ من النسخة المطبوعة فى المطبعة الوهبية بمصر سنة ١٢٩٣ .

(**) هو العباس بن على بن نور الدين بن أبى الحسن المكى الحسينى الموسوى ، كما يتضح من ترجمته لوالده فى بدء الكتاب ، وذكره أن والده توفى سنة ١١١٩ .

قيل : إنه لمـا فرغ من شرح ديوان المتنبّى المسمى باللامع [العزيزىّ](١) وقرئ عليه، شرع التلامذةُ يصفونه ويُثنونَ عليه. فقال لهم أبو العلاء : كأنّما نظر إلىّ المتنبّى بظهر الغيب حيث قال :

أنا الذى نظـر الأعمى إلى أدبى ... وأسمعَتْ كلمـاتى مَنْ به صَمَـمُ

وقال القاضى الأديب المؤرخ أحمد بن خَلّكان، فى تاريخه "وفيات الأعيان" : وكان أبوه فاضـلًا، وعليه قرأ ولده أبو العلاء علم النّحو واللُّغة بالمعرّة ، وقـرأ أيضًا على محمد بن عبد الله بحلب . وله مصنفات كثيرة، مفيدة شهيرة، ومن أفضلها : كتاب "الهمزة والردف"(٢)، ويسمى أيضا "الأيك والقصون". يقارب مائة جزء . قال : وحكى لى مَن وقف على المجلّد الأوّل بعـد المـائة منه ، وقال : لا أعلم ما كان يُعوِزه بعد هذا المجلّد .

وله ديوان فريد، مُحْتَوٍ على دُرٍّ نضيد، سمّاه "سقط الزند" وشرحه شرحا مفيدًا سمّاه "ضوء السقط" . وسمى أيضا شرح ديوان أبى الطيِّب "معجز أحمد" . وله مختصر ديوان أبى تمّام وسمّاه "ذكرى حبيب". وله أيضا شرح ديوان البحترى وسماه "عبث الوليد" .

وأخذ عليـه القاضى أبو القـاسم علىّ بن المحسّن(٣) التنوخى، والخطيب أبو زكريّا التّبريزى(٤)، ذكره ابن خلكان، وقال فى ترجمته : إنّه قصد أبا العلاء من النّهروان، إلى معرّة النعمان، وجعل كُتُبَه فى مخلاةٍ علّقها على ظهره، فابتلّت بالعرق حتّى أثّر فى كتبها.

---

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) فى الأصل : « الهمزية ويسمى الزدف » محرف .

(٣) فى الأصل : « عبد المحسن » تحريف .

(٤) بعد هذه الكلمة فى الأصل : « الحريرى » وهى مقحمة .

قال ابن خلّكان: ومن لزوميّات[1] أبى العلاء المعرّى قوله :

لقد عجِبوا لأهل البيت لمّا ... أتاهم علمهم فى مَسْكِ جَفْرِ[2]
ومرآةُ المنجّم وهى صُغْرَى ... أرتْهُ كلَّ عامرةٍ وقَفْرِ

قلت هذان البيتان، على تشيُّع أبى العلاء يدلّان . ومما يدلُّ على تشيُّعه أيضًا قوله من قطعة[3] :

أمَرِ الواحدُ فافعَلْ ما أمَرْ ... واشكرِ اللهَ إنِ الفِعْلُ أمَرّْ
أظهِرِ الخيفة[4] وأضمِرْ قلّما ... أدرَكَ الطَّرْفُ المَدَى حتّى ظَهَرْ
أيُّها المُلْحِدُ لا تعصِ النُّهَى ... فلقد صَحَّ قياسٌ واشتَهَرْ
إن تَعُدْ فى الجسم يومًا روحُه ... فهو كالرَّبْعِ خَلَا ثمّ عَمَرْ
وهى الدُّنيا أذاها أبدًا ... زُمَرٌ واردةٌ إثْرَ زُمَرْ
يا أبا السِّبطَينِ لا تَحفِلْ بها ... أعَتِيقٌ سادَ فيها أم عُمَرْ

وكان أبو العلاء يقول : لا أعرف من الألوان إلّا الأحمر ؛ لأنّى لَبست فى الجدرىّ ثوبا مصبوغا بالعصفر . وكان يقول: أنا أحمد الله تعالى على العمَى كما يحمده غيرى على البصر. قلت : وشاهدُ[5] قوله :

قالوا العَمَى منظرٌ قبيحٌ ... قلتُ بِفَقْدانكُمْ يَهُونُ
واللهِ ما فى الوجود شىءٌ ... تأسَى على فقده العيونُ

---

(١) هذه ليست عبارة ابن خلكان . وكلمة : «اللزوميات» لم ترد فى نص قبل هذا .

(٢) البيتان من أبيات فى اللزوم (١ : ٣٩٠) وهذا الاختيار لم يرد فى ابن خلكان ، فلعله مما فتش المصنف .

(٣) هذه الأبيات مما لم يرو فى الديوانين ، ولم نعثر عليها فى غير هذا الموضع .

(٤) فى الأصل : « الخفية » .

(٥) البيتان التاليان مما لم يرو فى الديوانين .

وكان إماما فى اللغة، فما صاحب المجمل! وفى الفلك ورَصْد الكواكب، فما أفلاطون ! وفى المنطق ، فما المعلّم الأوّل !

وكان من بيت علمٍ ورياسة وفضل . وله جماعةٌ من أقاربه قضاةٌ وعلماء وشعراء .

وقال الشّعر وهو ابن إحدى عشرة أو آثنتى عشرة سنة . ورحل إلى بغداد سنة ثمانٍ وتسعين وثلاثمائة ، وأقام بها سنةً وسبعةَ أشهر، واجتمع فيها بالشّريف المرتضَى، فآختبره فوجده عالمًا نِحْريرا ، وجِهبِذا كبيرا .

قلت : ومن الآتفاقات العجيبة أنّ أبا العلاء المعرّى كان يتعصّب للمتنبى ، والشّريف المرتضَى كان ينقص المتنبّى. بحضاراه يوما وعندهما جماعةٌ من أهل الأدب مختلفين فيه، فقال أبوالعلاء : لو لم يكن للمتنبى إلا قوله : (١)

* لك يا منازلُ فى القلوب منازلُ *

[لكفاه فضلا] (٢) . فغضب الشّريف المرتضَى ، وأمر بإخراجه . ثم التفت إلى جلسائه وقال : أتدرون ما أراد الأعمى ؟ إنّما أراد قوله فيها :

وإذا أتتك مذمّتى من ناقصٍ فهى الشّهادةُ لى بأنّى كاملُ

وآرتحل أبوالعلاء إلى طراباس قبل رحلته إلى بغداد، وكان بها خزائن علم موقوفة، فأخَذ منها ما أخذ من العلم. وآجتاز باللاذقيّة، ونزل ديرا كان به راهبٌ عالم بأقاويل الفلاسفة، فأخذ عليه؛ فلهذا أُنكِر عليه بعضُ قوله .

---

(١) كذا بالنصب على الحالية من المبتدأ .

(٢) التكملة مما سبق من النصوص .

قلت : بل الأظهر أنَّ تلامذته وغيرهم كانوا يعملون على لسانه الأشعار، ويضمّنونها أقاويل المُلْحِدة، قصدًا لإتلاف نفسه . ويشهد على هذا قوله :[1]

حاول إهـوانَ قـومٌ فما واجهتُهـم إلاّ بإهوانِ
لو آستطاعوا لوشّوا بى إلى الـ ـمِرّيخ فى الشُّهب وكيوانِ

ومما يدلُّ على صحة عقيدته ماروَاه الحافظ السِّلفىّ مُسنِدًا إلى القاضى أبى المهذّب[2] عبد المنعم بن [أحمد][3] السّروجىّ قال : سمعت أخى القاضى أبا الفتح يقول : دخلت على أبى العلاء المعرّى ذاتَ يومٍ بالمعرّة ، فى وقت خَلْوة[4] بغير علم منه ، وكنت أتردّد إليه وأقرأ عليه، فسمعته يُنْشد من قوله :

كم بُودرت[5] غادةٌ كعابٌ وعُمِّرَتْ أمُّها العجوزُ
أحرَزَها الوالدانِ خوفًا والقبرُ حِرزٌ لها حريزُ
يَجُوز أنْ تُبطِئَ المنايا والخُلْدُ فى الدَّهرِ لا يَجُوزُ

ثم تأوّه مرات وتلا : ﴿ إنّ فِى ذٰلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذٰلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ . وما نُؤَخِّرُه إلّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ . يوم يأتِ[6] لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلّا بإذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴾. ثمّ صاح وبكى بكاءً شديدا، وطرح وجهه على الأرض زمانًا، ثمّ رفع رأسه ومسح وجهه وقال : سبحان مَن تكلّم بهذا فى القدم!

---

(١) البيتان مما لم يرو فى الديوانين .
(٢) فى الأصل : « أبى المهلب » تحريف .
(٣) التكملة من نص تاريخ الإسلام للذهبى فيما سبق ص ١٩٩ .
(٤) فى الأصل : « صلاة » ، والوجه ما أثبتنا من الذهبى .
(٥) فى الأصل : « غودرت » بالغين المعجمة ، تحريف .
(٦) وردت فى الأصل مكتوبة « يأتى » . وصواب كتابتها بحذف الياء . انظر المقنع للدانى ٣٢ س ١٧ ، ٣٥ س ١٢ . وكذلك التيسير للدانى ٧٠ س ١٠ ، ١٢٧ س ٦ .

فقلت له : يا سيِّدى، مالِى أرى فى وجهـك أثَر غيظ ؟ فقال : لا يا أبا الفتح ، ولكن [أنشدت شيئا من كلام المخلوق، و][1] قرأتُ شيئًا من كلام الخالق، فلحقنى ما رأيتَ . فتحقَّقت صحّة دينـه ، وقوّة يقينه .

ولمّا عاد من بغداد لزم بيته ، وسمّى نفسه "رَهين المحبِسين" . يعنى البيت والعمى .

وكان أبو العـلاء فى الذكاء والحفظ غايةً لا ندرك . ذكر تلميـذُه أبو زكريّا التِّبريزى أنّه كان قاعدًا فى مسجده بمعرّة النعمان، بين يدَى أبى العـلاء يقرأُ شيئا من تصانيفه . قال : وكنت قد أقمتُ عِدّةَ سِنين لم أر أحدًا من أهل بلدى . فدخل المسجدَ بعضُ جيراننا للصـلاة ، فرأيته وعرفتـه ، فتغيّرت من الفرح . فقال لى أبو العلاء : أىّ شىءٍ أصابك ؟ فحكيت له ، فقال لى : قم فكلِّمْه . فقلت : حتّى أُتمّ المسألة . فقال لى : قم وأنا أنتظرك . فقمت وكلّمتـه بلسان أذربيجان شـيئا كثيرا، إلى أن سألتُ عن كلّ ما أردت . فلمّا رجعت وقفتُ بين يديه، فقال لى : أىّ لسان هذا ؟ فقلت : هذا لسان أذربيجان . فقال لى : ما عرفتُ اللسان ولا فهمته، غير أنّى حفظتُ ما قلتما جميعا . ثمّ أعاده علىّ بعينه من غير أن ينقُص من اللّفظ أو يزيد عليه . فتعجّبت غايةَ العجب، من كونه حفظ من مرّةٍ ما لم يعلمه .

ومِمّا يدلُّ على تمكُّنه من علم الفلك وأسرار الكواكب، ما حكاه ابن أبى أُصيبعة فى كتاب الأنباء فى تاريخ الأطبّاء[2]، أن وزير محمود بن صالح الكلابىّ صاحب حلب، وُشِى إليه بأنّ المعرّىّ زنديق، وأنّه لا يرى إفساد الصور، ويزعم أنّ الرسالة تحصل بصفاء العقل . فبعث على طلبه خمسينَ فارسا ليحملوه إليه . فلمّا وصلوا إليه أنزلهم وأكرمهم بدار الضِّيافة . فدخل عليه عمُّه مسلم بن سليمان وقال : يابن أخى ، رأيتَ

(١) التكملة من نص الذهبي ص ٢٠١ . (٢) لم نجد هذا الخبر فى كتاب ابن أبى أصيبعة .

هذه الحادثة التى نَزلتْ بنـا من الملك محمود ! فإنّه طلبك . فإن منعناك عجزنا عن القيام ، وإن سلّمناك كان عارًا علينا عند ذوى الذِّمام . فقال له أبو العلاء : هوّنْ عليك يا عمّ ، فلا بأس علينا ولا غمّ . ثمّ إنه قام فاغتسل وصلّى إلى نصف الليل، ثم قال لغـلامه : انظر إلى المرِّيخ أين هـو ؟ قال : فى موضع كذا . فقال : زِنْه واضرِب تحته وتِدًا ، واجعلْ فى رجلى خيطًا وار بِطه على الوتد ، ففعل . قال : فسمعناه يقول : يا قـديم الأزل ، يا علّة العلل ! يا صانع المخلوقات ، يا موجد الموجـودات ! أنا فى عِزِّك الذى لا يرام ، وكنفك الذى لا يضام ! الضـيوفَ الضيوف، الوزيرَ الوزير. ثمّ ذكر كلماتٍ لا تُفهم، وإذا بهدّة، فسألنا عنها فقيل: الدار وقعَتْ على الضيوف ، فقتلت الخمسين فارسا .

وعند طلوع الشمس وقعت بطاقةٌ من حلب على جناح طائر، مكتوبٌ فيها : لا تُزعجوا الشّيخ ؛ فقد وقع الحمّام على الوزير بحلب .

قال ولده[1]: فلمّا شاهدت ذلك دخلتُ عليه، فقال: ممّن أنت؟ قلت[2]: أنا ولدك. فقال زعموا أنّى زنديق . ثم قال : اكتُبْ[3] . فكتبت :

باتُوا وحَنْـفى أمانيهم مُصَـوّرةً ... وبتُّ لم يخـطُروا مِـنّى على بالِ
وفوّقُوا لى سهامًا من سِهامهـمُ ... فأصـبحت وُقْعا مـنّى بأميالِ[4]
فـا ظنونُك إذْ جنـدى ملائكةٌ ... وجنـدُهم بين طَـوّافٍ وبَقّـالِ[5]

---

(١) كذا فى الأصـل . والذى فى النصوص السالفة أن القائل هـو يوسف بن على . انظر المرآة والوافى والكت وعقد الجمان .

(٢) الذى فى النصوص السابقة : « قلت من أرض الهركار » .

(٣) الأبيات مما لم يرو فى الديوانين .

(٤) فى الأصل : « فأصبحوا زلقا منى بأنبال » .

(٥) فى الأصل : « وتقال » .

لا آكلُ الحيـوانَ الدَّهرَ مأثُرَةً أخافُ من سوء أفعـالى وأقوالِى
وأعبُـد الله لا أرجـو مَثُوبتَـه لكنْ تَعبُّدَ إكرامٍ وإجـلالِ
أصـونُ دينَ عن جُعْـلٍ أُؤمِّلُه إذا تعبَّـد أقـوامٌ بأجعـالِ

وكان لا يأكل اللحم البتّة، وإنّما طعامه العدَس، وحلاوته التِّين، ولِبْسه الكرابيس الغليظة، وفراشه سَجّادته. وشاهده قوله: (١)

بِنْتُ عن الدُّنيـا ولا بِنْتَ لى فيهـا ولا عِرْسٌ ولا أُخـتُ

قلت: هذا لعمرى هو الزُّهد الصحيح، والتقشُّف المحبوب المليح. وما أصدق قولَ أبى العتاهية: (٢)

رغيـفُ خـبزٍ يابِسٍ تأكلُهُ فى زاويـهْ
وكوزُ ماءٍ باردٍ تَشْرَبُه مِن ساقيـهْ (٣)
وغُرفـةٌ ضـيّقةٌ نفسُـك فيها خاليـهْ
أو مسـجدٌ بمَعْـزِلٍ عن الوَرَى فى ناحِيـهْ
تدرسُ فيـه دَفْـتَرًا مسـتندًا بالسَّاريهْ (٤)
مُعتـبِرًا بمن مَضَى من القُـرون الخاليـهْ
خيرٌ من السَّاحات فى (٥) قَفْرٍ قُصـورٍ عاليـهْ
تَعقُبها عقـوبـةٌ تُصْـلِى بنارٍ حاميـهْ
فهـذه وصـيَّتى مُخْـبِرةٌ بحاليـهْ
طُـوبَى لمن يسمَعُها تلك لعَمرى كافيـهْ
فاسمَـعْ نُصْحَ مُشْفِقٍ يُدعَى أبـا العَتَـاهِيـهْ

(١) من مقطوعة فى اللزوم (١ : ١٧٣).
(٢) انظر ديوان أبى العتاهية ٣٠٤ — ٣٠٥
(٣) فى الديوان: «من صافيه».
(٤) فى الديوان: «بسارية».
(٥) فى الديوان: «الساءات».

(رجع) :

ومّما يدلُّ على عجائب ذكاء المعرّى، ماذكره صاحب "نسمة السحر" فى ترجمته، قال :

وكان الشُّعراء يَعرِضون أشعارَهم على أبى العلاء المعرّى . فوفَد عليه مرّةً أبو نصر أحمد بن يوسف المَنازىّ ومعه جماعة فأنشدوه ، وأنشده المنازىُّ أبياتَه فى وصف وادى بُزاغة ، وهى :

وقانا لَفْحَةَ الرَّمضاءِ واد ... وَقَاهُ مُضَاعَفُ النَّبتِ العميمِ (١)

نَزلْنَا دَوْحَهُ فحنَا علينا ... حُنُوَّ المُرضعاتِ على الفَطيمِ

وأرشَفَنا على ظمأٍ زُلالاً ... ألَذَّ من المُدَامة للنَّديمِ

يَصُدُّ الشَّمسَ أنّى واجَهَتْنَا ... فيحجُبها ويأذَنُ للنَّسيمِ

تَروعُ حصاهُ حاليةَ العَذارَى ... فتلمِسُ جانبَ العِقدِ النَّظيمِ

فقال له أبو العلاء : « أنت أشعَرُ مَنْ بالشّام » .

قلت : ووادى بزُاغة هذا، بضمّ الباء : قريةٌ كبيرة بين حلب ومَنْبِج ، كثيرة البساتين والأشجار ، غزيرة المياه مختلفة الثمار .

ثمّ إنّ المنازىَّ غاب بالعراق والجزيرة مدّة ، واستوزره أبو نصر الكردىّ صاحب مَيّافارقين (٢)، بفتح الميم وتشديد الياء : مدينة عظيمةٌ مشهورة، من تعلُّقاتِ ديار بكر ، وينسب إليها الخطيب ابن نُباتة (٣) الفارقىّ المشهور .

ثم إنّ المنازىّ عاد إلى الشّام بعد عشرة أعوام ، فدخل على أبى العلاء مع جماعةٍ من الشعراء ، فأنشدوه وأنشده المنازىُّ :

---

(١) الرواية : « سقاه مضاعف الغيث العميم » . (٢) فى الأصل : « السراه » .

(٣) هو أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة الخطيب . و « نباتة » هذا بضم النون . ولد سنة ٣٣٥ وتوفى بميافارقين سنة ٣٧٤ . انظر الوفيات .

لقد عَرَض الحمامُ لنا بسَلْعٍ[1] إذا أصغَى له ركبٌ تلاحَى[2]
شَجَا قلبَ الخليِّ فقال غَنِّى وبَرّحَ بالشَّجِى فقال ناحَا

فقال له أبو العلاء : « ومن بالعراق » . فعجب النّاس من عطفه بعد هذه المدّة الطويلة ، وحفظه لما قاله .

ولأبى العلاء أيضا :

أرى وَلَد الفتى عِبئًا[4] عليه لقد سَعِد الذى أضحَى عقيما
فإمّا أن يُربّيه عدُوًّا وإمّا أن يخلّفه يتيما
وإمّا أن يُصادِفه حِمامٌ فيبقَى حُزنُه أبدًا مُقيما

وله من قصيدةٍ طويلةٍ رثى بها فقيهًا حنفيًّا :

غيرُ مُجْدٍ فى ملّتى واعتقادى نَوحُ باكٍ ولا تَرنُّم شادِ[5]
أبَكَتْ تِلكُمُ الحمامةُ أمْ غنّتْ على فَرع غُصنِها الميّاد

قلت : هذا البيتُ مأخوذٌ معناه من قول المنازىّ المذكور :

" شجَا قلبَ الخليِّ فقال غَنّى ... الخ "

وشبيهٌ صَوْت النَعِىِّ إذا قِسْـ تَ بصوتِ البَشيرِ فى كُلِّ نادِ[6]
إنّ حزنًا فى ساعة الموتِ أضعا فُ سرورٍ فى ساعةِ الميلادِ
رُحَلٌ أشرفُ الكواكبِ قدْرًا مِن لقاء الرَّدَى على ميعادِ
والثُّريّا رهينةٌ بافتراق الشَّمْل حَتّى تُعَدَّ فى الأفرادِ[7]

---

(١) فى معظم الروايات ، « بسجع » .

(٢) تلاحى القوم : تنازعوا . وفى الأصل : « ألاحا » صوابه مما سيأتى فى ثمرات الأوراق .

(٣) البيتان الأول والثانى من مقطوعة فى اللزوم (٢ : ٢٨٩) . وقد التزم فيها الميم المفتوحة مع الياء .

(٤) فى الأصل : « تعبا » صوابه فى اللزوم .

(٥) فى الأصل : « حادى » .

(٦) فى الأصل : « وقريب » .

(٧) فى الأصل : « الأضداد » .

صاح هـذى قبورنا تملأ الأر ض فأينَ القبـورُ من عَهـدِ عادِ
خفِّف الوطءَ ما أظنُّ أديم الـ ـأرضِ إلّا من هذه الأجسادِ
وقبيـحٌ بنا وإنْ قـدُم العهـ ـدُ هـوانُ الآباءِ والأجـدادِ

ومنها :

وفقيهًا[1] ألفاظُـهُ شِـدْنَ للنُّعـ ـمانِ ما لم يَشِـدْهُ شـعرُ زيادِ

يعنى زيادا الأعجم فى المهلَّب بن أبى صُفْرة[2]، وقد تقدّم ذكره فى ترجمة الشيخ عبد الرحمن الوزير[3].

وأخذ قوله : "خفِّف الوطْء" من قول أبى الطيب المتنبِّى :

ويَدفِنُ بعضُـنا بعضًـا ويمشِى أواخـرُنا عـلى هـامِ الأوالِى[4]

وأخذه مهيارُ فقال من قصيدة :

رُوَيدًا بأخفـاف المطىِّ فإنَّمـا تُداسُ جِبـاهٌ فى الثَّرَى وخُدودُ

وذكر صاحب نسمة السحر، عن الزمخشرى عند قوله تعالى : ﴿إنّها تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ [أنه] ذَكَر بيت أبى العلاء فى صـفة نار القِرى من القصيدة الفائية التى رثى بها النقيب أبا أحمد الموسوىّ والد الشريف الرضىّ والمرتضَى، وهو :

حَمراءَ ساطعةَ الذَّوائبِ فى الدُّجَى تَرْمِى بكلِّ شَرارةٍ كطِرافِ

وحَمِى عليـه وقال : إنَّه أراد وقصـدَ الزِّيادة على تشبيه القـرآن العظيم بالقصر. قال : ولا أدرى من أين له أنَّه قصـد الزِّيادة على تشبيه القرآن؛ فمن المعـلوم أنَّ

(١) فى الأصل : « وفقيه » .
(٢) كذا . وإنما زياد هنا اسم النابغة الذبيانى، والنعمان هو ابن المنذر ممدوحه .
(٣) انظر نزهة الجليس (١ : ١٩٤) .
(٤) فى الأصل : « الأوائل »، تحريف . صوابه من الديوان بشرح العكبرى (٢ : ٢٧) .
والأوالى : الأوائل . أنشد سيبويه :
تكاد أواليـا تفـرى جلودها * ويكتحل البالى بعود وحاصب

القصر أعظَمُ من الطِّراف، وهى خَيمةٌ من الأَدَم الأحمر، يتخذها الأتراك البادون ومَياسيرُ العرب . ولكنّ الزمخشرىّ مع فَضْله كان حديد المِزاج كثيرا . وما أحسن استعارة الذَّوائب للنار !

ويعجبنى قولُ أبى إسحاق إبراهيم بن خفاجة الأندلسىّ فى صفة النار :

حمـــراءُ نازعتِ الرّياحَ رداءَها ... وَهْنًـا وزاحمتِ السَّماءَ بمَنكِبِ
ضُرِبَتْ سمـاءٌ من دخانٍ فوقهـا ... لم تُدْرِ (١) فيـه شـــعلةٌ من كوكبِ
وتبسّمتْ عن كلِّ لفحةِ جمـــرةٍ (٢) ... باتت لهـا ريحُ الشمال بمَـــرقبِ (٣)
قـــد أُهِبَتْ فتذهّبت فكأنّهـا ... [لسكون شَرِّ شرارها لَمْ تُلْهَبِ (٤)]
[تذْكُو وراءَ رَمادِها فكأنّهـا (٤)] ... شـقراءُ تمرَحُ (٥) فى عَجاجِ أكْهَبِ

الكُهبة بالضم : الغُبرة المشوبةُ بالسّواد، والفعل ككرم (٦) .

وما أحسن وأبدعَ هـذا البيت من قصيدة له يصف بها النّاقة، وفيه صناعةُ التّوجيه ومراعاة النظير (٧)، وهو :

وحرفٍ كدالٍ تحتَ مـيمٍ ولم يكُنْ ... براءٍ (٨) يـــؤمُّ الرسمَ غَـيَّرهُ النَّقْـطُ

الحرف : الناقة . والدال : تشبيه لها . والميم : الراكب المنحنى (٩) . والرائى : ضارِب الرئة، مِنْ رآه إذا أصاب رئته . والرسم : أثر الدِّيار . والنَّقْط : المَطَر .

---

(١) فى الأصل : « لم تذر » وفى ديوان ابن خفاجة ص ١٨ : « لم يدر فيها » .
(٢) فى الأصل : « من » وتصحيحه من الديوان .
(٣) فى الديوان : « ريح الجنوب » . (٤) التكملة من الديوان .
(٥) فى الأصل : « تمزج » محرف . (٦) فى القاموس : الفعل ككرم وفرح .
(٧) البيت من قصيدة له فى سقط الزند (٢ : ١٢١) يخاطب بها خازن دار العلم ببغداد .
(٨) رواية السقط : « كنون تحت راء ولم يكن بدال » . وفسر الخوبى الدالى بالرفيق ، من دلا يدلو إذا رفق .
(٩) كذا . وهذا التفسير ليس تفسيرا لغويا . وإنما أخذه من التشبيه برسمها .

ومن إلزامه للنصارى قوله[1] :

عجبًا للمسيح بين النصارى ... وإلى أىّ والد نسبوهُ
أسلموه إلى اليهود وقالوا ... إنهم بعد قتله صلبوهُ
فإذا كانَ ما يقولون حقًّا ... فاسألوهُمْ فى أين كان أبوهُ
وإذا كان راضياً بقضاهُمْ ... فاشكروهُم لأجل ما عذبوه[2]
فإذا كان ساخطًا بأذاهم ... فاعبدُوهُمْ لأنّهم غلبوهُ

ومما يدلُّ على حسن مذهبه و إلزامه لأهل الكَسْب والجَهْميّة قوله[3] :

زعم الجهولُ ومن يقولُ بقولِهِ ... أنّ المعاصىَ من قضاءِ الخالقِ
إنْ كان حَقًّا ما زعمتَ فلِمْ قَضَى ... حدَّ الزِّناء وقَطْعَ كفِّ السارقِ

ومن تغزُّلاته قولُه من قصيدة[4] :

يا ظبيةً عَلِقتْنِي فى تصيُّدها ... أشراكُها وهى لم تعلَق بأشراكى
رَعيتِ قلبي وما راعيتِ حُرمتَه ... فلِمْ رعَيتِ وما راعيتِ مَرْعاكِ
أتُحرِقين فؤاداً قد حللْتِ به ... بنار حُبِّك عَمْداً وهو مأواكِ
سَكَنْتِه حيثُ لم يعلَقْ به سَكَنٌ ... وليس يحسُنُ أن تسخى بسُكناكِ

وأمّا لاميته التى هى أحلى من لام العِذار، ولو تجسّمت لتحلىّ بها الملاح الأبكار ، فهى هذه[5] :

ألا فى سبيلِ المجدِ ما أنا فاعلُ ... عَفافٌ و إقدامٌ وحزمٌ ونائلُ
أعندى وقد مارستُ كلَّ فضيلةٍ[6] ... يُصدَّقُ واشٍ أو يُخيَّبُ سائلُ

---

(١) انظر اللزوم (٢ : ٤٠٩) .
(٢) رواية هذا البيت وتاليه هنا مخالفة لما فى اللزوم .
(٣) البيتان مما لم يرو فى الديوانين .
(٤) الأبيات مما لم يرو فى الديوانين .
(٥) انظر سقط الزند (١ : ١٠٩) .
٦) رواية السقط : « خفية » .

أقَلُّ صُدودِى أنّنى لكَ مبغضٌ وأيَسرُ هجرِى أنّنى عنكَ راحلُ
إذا هبّت النَّكباءُ بينى و بينكم فأهْوَنُ شىءٍ ما تقول العواذلُ
تُعَدُّ ذنوبى عندَ قومٍ كثيرةً ولا ذنبَ لى إلّا العُلا والفواضلُ
كأنّى إذا طُلْتُ الزّمانَ وأهلَه رجَعتُ وعندى للأنامِ طوائلُ
وقد سارَ ذِكرى فى البلاد فَمَنْ لهم بإخفاءِ شمسٍ ضوءُها متكاملُ
يهُمُّ[1] الليالى بعضُ ما أنا مضمرٌ ويُثقِلُ رَضوَى بعضُ ما أنا حاملُ

رَضوى : جبل بينبع النخل، [يبعد][3] عن المدينة المنوّرة ثلاثة أيام[2] .

وإنّى وإنْ كنتُ الأخيرَ زمانُه لآتٍ بما لم تَستطعهُ الأوائلُ
وأغدو ولو أنَّ الصّباحَ صوارمٌ وأسرِى ولو أنَّ الظلام جحافلُ
وقد أغتدِى والليلُ يبكى تأسُّفًا على نفسه والنَّجمُ فى الغَرب مائلُ
بريحٍ أُعِيرَتْ حافرًا من زبرجدٍ لها التِّبرُ جسمٌ والثُّجينُ خلاخلُ

هذا التشبيه ملوكىّ، يعنى الفرس الأشقر المحجّل .

وإنّى جوادٌ لم يُحَلَّ بحامَه ونِضْوٌ يمانٍ أغفلتْهُ الصّياقلُ
وإنْ كان فى لِبس الفتى شَرَفٌ له فما السَّيف إلا غِمدُه والحمائلُ
ولى منطقٌ لم يرض لى كُنْهَ منزلى على أنّنى فوق السِّماكين نازلُ
لدى منزلٍ يشتاقُه كلُّ سيِّدٍ ويَقْصُرعن إدراكه المتناولُ
ولما رأيْتُ الجهلَ فى النّاس فاشيًا تجاهلْتُ حتّى ظُنَّ أنّىَ جاهلُ
فواعجبًا كم يدّعى الفضلَ ناقصٌ ووا أسفًا كم يُظهِرُ النَّقصَ فاضلُ

---

(١) فى الأصل : « تنم » .
(٢) فى معجم البلدان : « ينبع : حصن به نخيل وماء وزرع » .
(٣) ليست فى الأصل .

وكيفَ مَنامُ الطَّيرُ فى وُكُناتِها[1] وقد نُصِبَتْ للفرقدَين الحبائلُ
يُنافِسُ يومى فىَّ أمسِى تشرُّفًا ويحسُدُ أسحارِى علىّ الأصائلُ
وطالَ اعترافى بالزَّمان وأهلِه فلستُ أُبالى مَنْ تغُول الغَوائلُ
فلو بانَ عَضْدِى ما تأسَّف مَنكِبِى ولو ماتَ زَنْدِى ما بكتْهُ الأنامِلُ
إذا وصفَ الطائىَّ بالبُخلِ مادرٌ وعَيَّرَ قُسًّا بالفَهاهةِ باقِلُ
وقال السُّها للشَّمسِ أنت خفيَّةٌ وقال الدُّجَى للصُّبح لونُكَ حائلُ
وطاولتِ الأرضُ السَّماءَ سفاهةً وفاخَرتِ الشُّهبَ الحَصَى والجنادلُ
فياموتُ زُرْ إنَّ الحياةَ ذميمةٌ ويانفسُ جِدِّى إنَّ دهرك هازلُ

وهى طويلةٌ مشهورة .

---

(١) فى الأصل : « وكراتها » صوابه من السقط .

الشَّذَرَاتُ

سر الفصاحة (*)

للخفاجى (**)

٤٦٦ — ٠٠٠

فى ص ٦٧ :

وجرى بين أصحابنا فى بعض الأيّام ذكرُ شيخنا أبى العلاء بن سليمان، فوصَفَه واصفٌ من الجماعة بالفصاحة، واستدلّ على ذلك بأنّ كلامه غير مفهوم لكثير من الأدباء . فعجِبنا من دليله، وإنْ كنّا لم نخالفْه فى المذهب . وقلتُ له : إن كانت الفصاحة عندَك بالألفاظ التى يتعذّر فهمُها، فقد عدلتَ عن الأصل أوّلاً فى المقصود بالفصاحة التى هى البيان والظهور، ووجب عندك أن يكون الأخرسُ أفصَحَ من المتكلّم؛ لأنّ الفهْم من إشاراته بعيدٌ عسير، وأنت تقول كلّما كان أغمض وأخفى كان أبلغَ وأفصح . وعارضه أبو العلاء صاعد بن عيسى الكاتب وقال : صدقتَ، إنّنا لا نفهم عنه كثيراً ممّا يقول، إلاّ أنه على قياس قولك يجب أن يكون ميمونٌ الزّنجىّ الذى نعرفه، أفصَحَ من أبى العلاء؛ لأنّه يقول مالا نفهمه نحن ولا أبو العلاء أيضا . فأمسك .

وفى ص ٩٠ :

وكنت حاضرًا عند شيخنا أبى العلاء، وقد قُرئتْ عليه قصيدةٌ لأبى الطيّب، فلمّا وصل القارئ إلى هذا البيت (١) :

(*) سر الفصاحة : كتاب فى الكلام على الفصاحة، بدأه المؤلف بالكلام على أحكام الأصوات، والتنبيه على حقيقتها . وقد طبع هذا الكتاب بالمطبعة الرحمانية سنة ١٣٥٠ .

(**) سبقت ترجمته فى ص ٩٨ .

(١) انظر ديوان المتنبى بشرح العكبرى (١ : ٤١٩) .

ولا الضَّعفَ حتَّى يبلغ الضَّعفُ ضعفَه ولا ضعفَ ضِعفِ الضَّعف بل مثلَه ألفُ

قال : هذا والله شعر مُدْبِر . وكان من العصبيّة لأبى الطيّب على الصّفة التى اشتهرتْ عنـــه .

وفى ص ٩٥ :

وجارانا فى بعض الأيّام شيخُنا أبو العلاء بن سليمان قولَ الشاعر[1] :

أَلَا طرقَتْنَا بعـــدَ ما هجعوا هِنْدُ وقد سِرْنَ خَمْساً واتلأَبَّ بنا نجدُ

أَلَا حَبَّذَا هندٌ وأرضٌ بهـا هندُ وهندٌ أتى من دونها النَّأْىُ والبُعدُ

وقال : من حُبّه لهذه المرأة لم يَرَ تكرير اسمها عَيبا ، ولأنّه يجد للتلفُّظ باسمها حلاوة . فلم ير من الاعتذار للتكرير إلّا هذا العُذر .

وفى ص ١٦٠ :

وقوله أيضا فى بعض رسائله[2] :

« فَرَسَ الله عِزّ[3] سيّدنا حتَّى تُدغَم الطاء فى الهاء ، فتلك حِراسةٌ بغير انتهاء » .

وكثيراً ما يسلك هذه الطريقةَ فى كلامه ، وهى لائقةٌ به ؛ لأنّه لم تكن له يدٌ فى صناعة الكتابة ، ولا طريقةٌ محمودة ، وإنّما رسائله معدودةٌ فى كتب اللغة ودساتير الأدب ؛ فاستعمال هذا وما يجرى مَجراه فيها لائق .

وفى ص ١٧١ — ١٧٢ :

وقد التزم بعضُ الشُّعراء فى القوافى إعادةَ ما لا يلزمه إعادتُه ؛ طلباً للزيادة فى التناسُق ، والإغراق فى التّماثل ، كقول الحطيئة :

---

(١) المسموع جاراه فى الحديث ، لا يتعدّى . وقائل الشعر هو الحطيئة . انظر ديوانه ص ١٩ .

(٢) هى الرسالة الإغريضية .

(٣) هذه الكلمة لم ترد فى الرسائل .

ألَا مَنْ لقلبٍ عارمِ النَّظـراتِ يُقَطِّعُ طُـولَ اللَّيـلِ بالزَّفَـراتِ
إذا ما الثُّرَيَّا آخرَ الليـل أعنقَتْ كواكبُها كالجَـزْعِ(١) منْحَدِراتِ

فالتزم الراء فى جميعها قبل حرف الروىّ، وهى غير لازمة . وكقول حسان :

بكلِّ كميتٍ جَوْزُهُ نِصْفُ خَلْقِـهِ وقُبٌّ طِـوالٍ مُشرفاتِ الحوارِكِ

فالتزم الراء التى تسمِّيها أصحاب القوافى الدخيل بين ألف التأسيس وحرف الروىّ . ٥

وكان شيخُنا يذهب إلى أنّ قصيدة كُثَيِّر التى أوّلها :

خليلىَّ هـذا رَبْعُ عَزَّةَ فاعقِـلاَ قَلُوصَيكُما ثمَّ ابكيا حيثُ حَلَّت

قد لزم اللام فى جميعها، فلمّا سألناه عن البيت الذى يُروَى فيها، وهو :

أصابَ الرَّدَى مَنْ كانَ يَهْوَى لكِ الرَّدَى وجُنَّ اللواتى قُلْنَ عَزَّةُ جُنَّتِ

قال : هذا البيتُ ليس من القصيدة . وأمّا أبو عُبادة البحترىّ فإنّه التزم الدال ١٠
فى قصيدته التائية التى مدح فيها المهتدى بالله، وفيها يقول :

أسِفْتُ لأقوامٍ مَلَكْتَ بُعَيْـدَهُمْ وكانت دَجَتْ أيّامُهُمْ واسْوأَدَّتِ(٢)
مَضَوْا لم يَرَوا مِن حُسْنِ عَدْلِكَ منظراً ولم يَلبَسُوا نُعماكَ حينَ استَجَدَّتِ
ولم يعلمـوا أنّ المكارِمَ أُبدِيَتْ جِذاعًا ولا أنَّ المظالمَ رُدَّتِ

وكان علىُّ بن العبّاس الرومى يلتزم هذا كثيرا، وهو موجودٌ فى شعره . ١٥

ونظم أبو العلاء أحمـد بن عبد الله بن سليمان شعرَه المعروف بلزوم ما لا يلزم على هذه الطريقة، وكذلك أكثرُ كلامه المنثور، سَلَك فيه هذا المنهج .

---

(١) الجزع ، بالفتح و يكسر : الخرز اليمانى فيه بياض وسواد . وفى الأصل : «الجذع» بالذال، صوابه من ديوان الحطيئة ص ٥٦ .

(٢) اسوأدّ، بالهمزة : لغة فى اسواد . وقد تكلم أبو العلاء على هذا البيت فى عبث الوليد ص ٦٨ . ٢٠
وقد روى البيت ملفقا صدره مع عجز تاليه فى ديوان البحترى (١ : ٩٥) .

وليس يُغتفر للشّاعر إذا نظم على هذا الفنّ ، لأجل ما ألزم نفسه ما لا يلزمه ، شيءٌ من عيوب القوافى ؛ لأنّه إنّما فعل ذلك طوعًا واختيارا ، من غير إلجاء ولا إكراه . ونحن نريد الكلام الحسنَ على أسهل الطُّرق ، وأقرب السُّبُل . وليس بنا حاجةٌ إلى المتكلّف المطَّرَح ، وإن ادّعى علينا قائله أنّ مشقّةً نالته ، وتعبًا حَزَبه[1] فى نظمه .

وفى ص ٢١٥ — ٢١٦ :

وقد كان شيخُنا أبو العلاء يستحسن هذا الفنّ ، ويستعملهُ فى شعره كثيرا . ومنه قوله[2] :

وجُبْتُ سَرَابِيلاً كأنّ إكامَهُ جَوَارٍ ولكنْ ما لهنّ نُهُودُ
تَمَجَّسَ حِرباء الهجيرِ وحولَه رواهبُ خَيْطٍ والنّعامُ يَهُودُ[3]

فألغز بقوله : « جوارٍ » عن الجوارى من النّاس ، وهو يريد كأنّهن يجرين فى السَّراب . وبقوله : « نهود » عن نُهود الجوارى ، وهو يريد بنهود : نهوض ، أى كأنّهنّ يجرين فى السراب ومالهنّ على الحقيقة نهوض . وأراد بقوله : « تمجس الحرباء » ، أى صار لاستقباله الشّمس كالمجوس التى تعبدها وتسجد لها . وجعل الرواهبَ النّعامَ لسوادها . « ويهود » : يرجع ؛ وهو يلغز بذلك عن اليهود ، لمّا ذكر المجوس والرواهب .

وكذلك قوله[4] :

إذا صَدَق الجَدُّ افترى العَمُّ للفتى مكارِمَ لا تُكْرِى وإن كَذَبَ الخالُ

لأنه يريد بالجَدّ الحظّ ، وبالعمّ الجماعة من الناس ، وبالخال المَخِيلة . وقد ألغز بذلك عن العمّ والجدّ والخال من النسب . فهذا وأمثالُه ليس من الفصاحة بشىء ، وإنّما هو مذهبٌ مفرد ، وطريقة أخرى .

---

(١) حزبه الأمر : نابه واشتدّ به . وفى الأصل : «مر به» .
(٢) فى اللزوم (١ : ٢٤٤) .
(٣) فى الأصل : "والنهار" .
(٤) انظر سقط الزند (٢ : ٥٥) .

وفى ص ٢٦٢ — ٢٦٣ :

وذهب غير هـؤلاء من أهل العـلم بالشِّعر فقال : إنّ الطُّرق فى نقـد الشعر ما قدّمناه من نعوت الألفاظ والمعانى . فأمّا قائله وتقدُّم زمانه أو تأخّره ، فلا تأثيرله فى ذلك ؛ لأن القديم كان محدثا ، والمحدث سيصير قديما ، والتأليف على ما هو عليه لا يتغيَّر . وفى المُحْـدَثين من هو أشعر من جماعةٍ من المتقدّمين ، وفى المتقدِّمين من هو أشعرُ من جمـاعة من المحْدَثين . وإلى هـذا كان يذهب أبو عثمان الجاحظ ، وأبو العباس المبرّد ، وأبو عبادة البحترى ، وأبو العلاء بن سليمان آنفا . وهو الصحيح الذى لا يَعترض العاقلَ فيه شكٌّ ولا شبهة .

تهذيب إصلاح المنطق (*)

للتبريزى (**)

٤٢١ — ٥٠٢

قال فى مقدّمته :

« ... فإنى لما رأيت ميل أكثر الناس إلى كتاب إصلاح المنطق لأبى يوسف يعقوب بن إسحاق السِّكِّيت ، دون غيره من كتب اللغة ؛ لقلّة حجمه ، مع كثرة الانتفاع به والاستفادة منه ، ولأن أكثر ما يتضمنه اللغة المستعملة التى لا بدّ من معرفتها والاشتغال بحفظها ، ورأيتُ فيه تكراراً كثيرا فى مواضعَ كثيرة ، طال به الكتاب ، وكان أبو العلاء المعرّىُّ والشُّيوخُ الذين قرأتُ عليهم هذا الكتاب ، يكرهون منه التّكرار الذى فيه » .

(*) إصلاح المنطق : كتاب فى اللغة لابن السكيت أبى يوسف يعقوب بن إسحاق المتوفى سنة ٢٤٤ . هذبه التبريزى ، وسماه : « تهذيب إصلاح المنطق » .

(**) هو أبو زكرياء يحيى بن على بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيبانى التبريزى تلميذ أبى العلاء . قالوا : كان سبب توجهه إلى أبى العلاء أنه حصلت له نسخة من كتاب التهذيب فى اللغة ، تأليف أبى منصور الأزهرى ، فى عدّة مجلدات لطاف ، وأراد تحقيق مافيها ، وأخذها عن رجل عالم باللغة ، فدل على المعرّى . فحمل الكتاب فى مخلاة ، وحملها على كتفه من تبريز إلى المعرّة ، ولم يكن له مايستأجر به مركوبا ، فنفذ العرق من ظهره إليها ، فأثر فيها البلل . قال ابن خلكان : وهى بيعض الوقوف ببغداد ، وإذا رآها من لا يعرف صورة الحال فيها ، ظن أنها غريقة ، وليس بها سوى عرق الخطيب . توفى التبريزى ببغداد .

شرح ديوان أبى تمّام(*)

للتبريزىّ

٤٢١ — ٥٠٢

قال فى مقدّمة هذا الشرح :

« وقال أبو العلاء أحمد بن سليمان التنوخىّ المعرّىّ فى كتابه المعروف بذكرى حبيب : إنما أغلقَ شعر الطائى أنّه لم يُؤثَر عنه ، فتناقلتْه الضَّعَفة من الرُّواة ، والجَهَلة من الناسخين ، فبدَّلوا الحركة بالحركة ، فأوقعوا الناظرَ بما جنَوه فى أُمّ أدراص وتُغلِّس[1] ، وغيَّروا بعض الأحرف بسوء التصحيف ، فغادروا الفَهِم خابطًا فى عَشْواء ؛ لأن تغيير الضمة إلى الفتحة والكسرة يُنْشِب الفَطِن فى الجِبالة . فأمّا نقل الحاء إلى الخاء ، والدال إلى الذال ، فيحدث عنه إلباس ، تُقرَن به بلادةٌ وانتكاس . وهو كما ذكره أبو العلاء ؛ لأن فى شعره صنعةً لا يكاد يخلو منها مواضع مشكلة ، تصعب على كثير من الناس ، لاسيّما على من لا يستأنس بطريقته ، فيقع لذلك فيه خَلَل ؛ لأنّ شعر غيره يقرب مُتناوَلُه ، ويسهل على القارئ التوصُّل إلى معرفة معانيه وأغراضه ... » .

« ... وذكر أبو العلاء فى هذا الكتاب الأبيات المشكلة من شعر أبى تمام متفرّقة . وأنا إن شاء الله أكتب شعره من أوّله إلى آخره ، وأذكر من غريبه

(*) هو شرح مستفيض لديوان أبى تمام ، جمع فيه التبريزى بين شروح أبى العلاء والصولى والمرزوقى وغيرهم من العلماء الذين تكلموا فى شعر أبى تمام . وعلى أبى العلاء المعرّى كان جل اعتماد التبريزى فى هذا الشرح . والنص من النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٥٠ ش أدب .

(١) أم أدراص : الداهية . وتغلس ، بضم التاء والغين وكسر اللام المشدّدة ، بمعنى الباطل والداهية .

وإعرابه ومعانيه وأخباره ما لا بد منه، وأشير إلى ما ذكره أبو العلاء من الأبيات المشكلة فى مواضعها ، وإلى ما ذكر أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوق فى كتابه المعروف بـ " الانتصار من ظلمة أبي تمام "، وإلى ما ذكره أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى فى معانى شعره ، وما ذكره أبو بكر محمد بن يحيى الصولى ، وما وقع إلىّ مما رُوى عن أبى على المعروف بالقالى ، وغيره من شيوخ المغرب » .

شرح ديوان الحماسة (*)

للتبريزىّ

٤٢١ — ٥٠٢

قال فى ص ١٨٠ عند قول موسى بن جابر :

هلالان حمّالان فى كلّ شَتوةٍ من الثّقل مالا تستطيعُ الأباعرُ :

أى هما فى الاشتهار والانتفاع بمكانهما بمنزلة هِلالَين، و يتكلّفان فى كلّ جدب ومَحْل من الأثقال والأعباء ما لو صارت أجراما لعجز عن النهوض بها وتحمُّلِها البُعران. هذا قول المرزوقى . وقال النَّمَرىّ : أى هذان الرجلان يحملان من أعباء المغارم، وأثقال الصنائع، ما لو أنه يوزن لم تستطع حمله الإبل، وهى أثقل الحيوان حِملًا، وأكثره صبرا .

وقال أبو العلاء : قد تأوّل النمرىّ له معنًى قد يجوز مثلُه، ولكنّه بعيد، و إنّما ينبغى أن يُحمَل الشىءُ على ما كثُر ؛ وذلك أنّه ذهب إلى أنّ هذين الممدوحين يحملان من قِرى الأضياف ومن نحر الإبل ، ما لا تستطيعه الأباعر ، أى أنها لا تقوى عليه؛ لأنه يهلكها . وهذا مجانس قولهم : "بنو فلان ظلّامون للجُزُر" ،قال ابن مقبل :

عادَ الأذلّةُ فى دارٍ وكان بها هُرْتُ(١) الشقاشق ظلّامون للجُزُرِ

أى أنهم يعقرونها كثيرا ، فكأنّ ذلك ظلمٌ لها . ونحو ذلك قول الآخر :

قَتيلان لا تَبْكى المَخاضُ عليهما إذا شَبِعَتْ من قَرْمَلٍ وأفانِ

أى كانا يَعْقرانها ، فلما قُتلا لم تَبكِ عليهما .

فلا تَعدِلَنْ عما ذكره أبو العلاء إلى غيره .

(*) هو شرح كبير لديوان الحماسة لأبى تمام .

والنص من النسخة المطبوعة فى مدينة "بن" سنة ١٨٢٨ م .

(١) هرت : جمع أهرت ، وهو الواسع الشدقين . وفى الأصل : "خرص" صوابه من سمط اللآلى ص ٧٣٢ وأمالى القالى (٢ : ١٠١ ، ١٠٣) واللسان (هرت) و (ظلم) .

سرُّ العالَمَيْن (*)

للغزالىّ (**)

٤٥٠ — ٥٠٥

... أنشدنى المعزّى لنفسه وأنا شابّ فى صحبة يوسف بن على شيخ الإسلام : (١)

أنا صائمٌ طُولَ الحياة وإنّما ... فِطرى الحِمامُ و يوم ذاك أُعَيِّدُ

لونان من صُبحٍ وليلٍ لَوَّنا ... شَعرى وأضعفنى الزّمانُ الأيِّدُ (٢)

(*) سر العالمين ، وكشف ما فى الدارين : كتاب رسم فيه سياسة كاملة لما يستقيم به أمر الدنيا والآخرة . قال فى أوّله : «سألنى جماعة من ملوك الأرض أن أصنع لهم كتابا معدوم المثل لنيل مقاصدهم واقتناص الممالك ، وما يعينهم على ذلك» . والنص فى ص ٨٥ من النسخة المطبوعة فى بومباى سنة ١٣١٤ .

(**) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسى الفقيه الشافعى ، تلقى العلم على أستاذه إمام الحرمين أبى المعالى الجوينى ، ولقى الوزير نظام الملك ، فأكرمه وعظمه . وله مؤلفات كثيرة نافعة .

(١) هذه العبارة تؤيد الارتياب فى أن هذا الكتاب (سر العالمين) منحول لأبى حامد الغزالى ؛ فإن أبا العلاء توفى سنة ٤٤٩ والإمام الغزالى ولد سنة ٤٥٠ أى بعد وفاة أبى العلاء ؛ فلا يمكن أن يكون هو الذى سمع أبا العلاء وهو شاب .

وهذا الارتياب فى نسبة هذا الكتاب إليه قد خامر الناس قديما وحديثا ؛ حتى لقد كتب من يدعى الحسين الواعظ حاشية على نسخة من الكتاب ، وهى أصل النسخة المطبوعة ، يثبت أن الكتاب للغزالى ، ويقشع ما عقد حول نسبته إليه من ريب وشكوك . وقد وضعت طبعة الهند حاشية الحسين الواعظ فى سياق الكتاب ، بعد مقدمة المؤلف ، كأنها جزء منه .

ولغة الكتاب وموضوعه مما يصح أن ينسب إلى الإمام أبى حامد الغزالى . ويؤيد هذه النسبة أن العلماء الذين ذكر المؤلف فى الكتاب أنهم مشايخه ، هم جميع مشايخ الغزالى ، وأن الكتب التى ذكر أنها كتبه هى جميعا كتب الغزالى . ويتبين إلينا أن فى العبارة هنا سقطا من الناسخ ، صوابه : «أخبرنى فلان قال أنشدنى المعزّى لنفسه وأنا شاب ... الخ» فيكون الذى روى عن المعزّى وهو شاب هو الذى سقط اسمه من الناسخ .

(٢) روى البيت فى الأصل على الوجه التالى ، وصححناه من اللزوم (١ : ٢٦٢) :

لو فاز من صبح وليل لوانا ... شعرى وأيدنى الزمان الأيد

قالوا فلان جيِّدٌ لصديقه كذبًا أتوا، ما فى البرية جَيِّدُ

فأميرهم نال الإمارةَ بالخَنَا وتَقِيُّهُمْ بصَلاتِهِ(١) يتصيَّدُ

كُنْ مَن تشاءُ مهجَّنًا أو خالِصًا فإذا رُزِقْتَ غِنًى(٢) فأنتَ السَّيِّدُ

والله ما سمعُوا مقالةَ صادق إلّا وظنُّوا أنّه مُتزيِّدُ(٣)

هذا الشِّعر فى بحر لزوم ما لا يلزم(٤) .

---

(١) فى الأصل : « بصلامة » .

(٢) فى الأصل : « حجى » .

(٣) فى اللزوم :

واصمت فاكثر الكلام من امرئ إلا وظن بأنه مستزيد

(٤) كذا فى الأصل .

الاحتجاج (*)

للطبرسيّ (**)

احتجاج السيِّد الأجلّ علم الهدى المرتضَى أبى القاسم علىّ، رضى الله عنه وأرضاه، على أبى العلاء المعرّى الدَّهرىّ، فى جواب ما سئل عنه مرموزا .

دخل أبو العلاء المعرّى على السيِّد المرتضَى، قدّس الله روحه، فقال: أيُّها السيّد ما قولُك فى الكلّ؟ فقال السيّد: ما قولُك فى الجزء؟ فقال: ما قولك فى الشِّعرَى؟ فقال: ما قولك فى التدوير؟ قال: ما قولك فى عدم الانتهاء؟ فقال: ما قولك فى التحيُّز والناعورة؟ (١) فقال: ما قولك فى السَّبْع؟ فقال: ما قولك فى الزائد البرى على السبع؟ فقال: ما قولك فى الأربع؟ فقال: ما قولك فى الواحد والاثنين؟ فقال: ما قولك فى المؤثِّر؟ فقال: ما قولك فى المؤثَّرات؟ فقال: ما قولك فى النَّحسَين؟ فقال: ما قولك فى السَّعدين؟ فبُهت أبو العلاء .

قال: فقال السيِّد المرتضَى، قدّس الله رُوحه، عند ذلك: ألا كلُّ مُلحدٍ مُلْهِد . فقال أبو العلاء: من أين أخذته؟ قال: من كتاب الله عزّ وجل: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ . وقام وخرج . فقال السيِّد رضى الله عنه: قد غاب عنّا الرَّجُل، وبعد هذا لا يرانا .

(*) الاحتجاج: كتاب فى حجاج الشيعة مع مخالفيهم . ويقع هذا النص منه فى ص ٢٥٥ — ٢٥٦ من النسخة المطبوعة فى إيران سنة ١٣٠٢ .

(**) هو أبو منصور أحمد بن على بن أبى طالب الطبرسى، من أعيان المائة الخامسة الذين أدركوا أوائل السادسة . انظر الذريعة (١ : ٢٨١) .

(١) كذا: وسيأتى فى شرح المرتضى لهذا السؤال: «قد صح عندى التحيز والتدوير» .

فسُئل السيد عن شرح هذه الرموز والإشارات ، فقال : سألنى عن الكلّ وعنده الكلُّ قديم . ويشير بذلك إلى عالَم سمّاه العالَم الكبير . فقال لى : ما قولك فيه ؟ أراد أنّه قديم . فأجبته عن ذلك وقلت له : "ما قولك فى الجزء" لأن عندهم الجزء محدَث ، وهو متولّد عن العالَم الكبير ، وهذا الجزء عندهم هو العالم الصغير . وكان مرادى بذلك أنّه إذا صحّ أنّ هذا العالَم مُحدَث ، فذلك الذى أشار إليه إنْ صحّ فهو مُحْدَث أيضا ؛ لأنّ هذا من جنسه على زعمه ، والشىء الواحد والجنس الواحد لا يكون بعضه قديما وبعضه محدثا ؛ فسكتَ لمّا سمِعَ ما قلتُه .

وأما " الشِّعرَى " أراد أنّها ليست من الكواكب السيّارة . فقلت له : "ماقولك فى التدوير؟" ، أردتُ أنّ الفَلَك فى التّدوير والدوران ، والشعرى لا يقدح فى ذلك[1] .

وأما "عدم الانتهاء" أراد بذلك أنّ العالم لا ينتهى ؛ لأنّه قديم . فقلت له : قد صحّ عندى التحيُّز والتدوير ، وكلاهما يدلّان على الانتهاء .

وأمّا " السَّبْع " أراد بذلك النجوم السيّارة التى هى عندهم ذوات الأحكام . فقلت له : هذا باطل بالزائد البرى ، الذى يحكم فيه بحكم لا يكون ذلك الحكمُ مَنوطًا بهذه النّجوم السيّارة ، التى هى الزُّهَرة ، والمشترِى ، والمِرّيخ ، وعُطارد ، والشّمس ، والقمر ، وزُحَل .

وأما "الأربع" أراد بها الطبائع . فقلت له : ما قولك فى الطبيعة الواحدة النارية يتولّد منها دابّة بجلدها تُمَشّ[2] الأيدى ، ثم يطرح ذلك الجلدُ على النّار فتُحرق

---

(١) كذا فى الأصل ! ولعل وجهها : « لا تخرج عن ذلك » .

(٢) تمش ، آخره شين معجمة : تمسح . والمشوش : المنديل وكل ماتمسح به الأيدى . وفى الأصل : «تمس» بالمهملة ، مصحف . والدابة التى يشير إليها ، هى ما يسمونه «السمندل» . انظره فى الدميرى ،

الزُّهومات ، فيبقى الجلد صحيحا ؛ لأن الدابة خلقها الله على طبيعة النار ، والنّار لا تحرق النّار . والثّلج أيضا تتولّد فيه الديدان[1] ، وهو على طبيعةٍ واحدة . والماء فى البحر على طبيعتين يتولّد منه السُّمولك ، والضفادع ، والحيّات ، والسلاحف وغيرها ، وعنده لا يحصل الحيوان إلّا بالأربع . فهذا مُناقَضٌ بهذا .

وأما " المؤثِّر " أراد به الرجل . فقلت له : ما قولك فى المؤثِّرات ؟ أردت بذلك أن المؤثِّرات كلهنّ عنده مؤثِّرات ، فالمؤثر القديم كيف يكون مؤثِّرا .

وأما « النَّحْسَين » أراد بهما أنّهما من النُّجوم السيّارة ، إذا اجتمعا يخرج من بينهما سَعْد . فقلت له : ما قولك فى "السَّعدين" إذا اجتمعا خرج من بينهما نحس . هذا حكم أبطله الله تعالى ؛ ليعلم النّاظر أنّ الأحكام لا تتعلّق بالمسخّرات ؛ لأنّ الشاهد يشهد أنّ العسل والسُّكّر إذا اجتمعا لا يحصل منهما الحنظلُ والعلقم ، والحنظل والعلقم إذا اجتمعا لا يحصل منهما الدِّبس والسّكّر . هذا دليلٌ على بطلان قولهـــم .

وأما قولى " ألا كُلُّ ملحد مُلهد " أردتُ أنّ كلّ مشركٍ ظالم ؛ لأنّ فى اللغة ألحد الرجل : إذا عدل عن الدِّين[2] ؛ وألهد : إذا ظلم .

فعلم أبو العلاء ذلك ، وأخبرنى عن عِلْمه بذلك ، فقرأتُ[3] : ﴿ يا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بالله ﴾ الآية .

وقيل إنّ المعرى لمّا خرج عن العراق سُئل عن السيِّد المرتضى ، فقال[4] :

يا سائلى عنه لمّا جئتُ أسألُه ... ألَا هُو الرَّجُلُ العارِى من العارِ

لو جئتَهُ لرأيْتَ النّاسَ فى رجلٍ ... والدَّهْرَ فى ساعةٍ والأرضَ فى دارِ

---

(١) انظر الكلام على دود الثلج فى الحيوان (٣ : ٣٩٦ ، ٥ : ٦٨) .
(٢) فى الأصل « من » . (٣) فى الأصل : « فقرأ » ، والذى قرأ هو الشريف لا أبو العلاء . (٤) البيتان مما لم يرو فى الديوانين .

الكشاف

للزمخشرى (*)

٤٦٧ — ٥٣٨

ذكر عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُ جِمَالَاتٌ صُفْرٌ (١) ﴾ :

"وقال أبو العلاء :

حَمراءَ ساطعَةَ الذُّوائب فى الدُّجَى تَرْمِى بكُلِّ شَـرارةٍ كَطِـرَافِ (٢)

فشبّهها بالطِّراف ، وهو بيت الأَدَم ، فى العِظَم والحُمْرة . وكأنه قصـد بخُبثه أن يزيدَ على تشبيه القرآن . ولتبجُّحه بمـا سُوّل له من توهُّم الزيادة جاء فى صدر بيته بقوله : "حمـراء"، توطئةً لها ومناداةً عليها ، وتنبيها للسامعين على مكانها . ولقد عمى — جمع الله له عمى الدارين — عن قوله عزّ وجلّ : ﴿ كأنه جِمَالاتٌ صُفْرٌ ﴾ فإنه بمنزلة قوله كبيت أحمـر . وعلى أن فى التشبيه بالقَصْر ، وهو الحِصن ، تشبيهاً من جهتين : من جهة العِظَم ، ومن جهة الطول فى الهواء . وفى التشبيه بالجمالات ، وهى القلوس (٣) ، تشبيه من ثلاث جهات : من جهة العِظَم ، والطُّول ، والصفرة . فأبعد الله إغرابه فى طِرافه ، وما نفخ [به] شدقيه من استطرافه" .

(*) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمى الزمخشرى ، نسبة الى زمخشر ، وهى قرية كبيرة من قرى خوارزم . كان إماما فى التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان . ولد بزمخشر ، وتوفى بجرجانية خوارزم .

(١) قرأ حمزة والكسائى وخلف وحفص : « جمالة » بغير ألف بعد اللام ، على التوحيد ، وقرأ الباقون بالألف على الجمع . واختلفوا فى الجيم منها ، فروى رويس بضم الجيم ، وقرأ الباقون بكسرها . انظر النشر فى القراءات العشر (٢ : ٣٨٠) .

(٢) انظر سقط الزند (٢ : ٦٣) . وقبل البيت :

الموقدى نار القرى الآصال والـ ـأسحار بالأهضام والأشـعاف

(٣) القلوس : جمع قلس بالفتح ، وهو الحبل الضخم .

نقد مقامات ابن الحريرى (*)

لابن الخشاب (**)

٤٩٢ — ٥٦٧

قال فى نقده لقول ابن الحريرى فى المقامة الأولى الصّنعانيّة :

"وقوله : «إحاطة الهالة بالقَمَر، والأكمام بالثّمر» ، هو بعينه [قولُ] أبى العلاء المعرّىّ فى رسالةٍ له ، موجودة فى بعض رسائل حفظها ابنُ الحريرى بعينها" .

(*) هو أبو محمد القاسم بن على بن محمد بن عثمان الحريرى البصرى . ولد سنة ٤٤٦ وتوفى سنة ٥١٦ وقد طبعت رسالة النقد ملحقة بالمقامات . وقد اشتهر اسمه بين كثير من الأدباء باسم : « الحريرى » . والوجه فيه : «ابن الحريرى» ، كما جرى عليه ابن الخشاب فى كتابه ، وكما التزم ذلك ياقوت فى ترجمته له من معجم الأدباء (٥ : ١٦٧ — ١٨٤) ؛ ولم يعرف عنه أنه اشتغل بعمل الحرير أو ببيعه . قال السمعانى فى ترجمته فى الورقة ١٦٥ : « ... ولعمله واحد من أجداده بعمل الحرير أو ببيعه » .

والنص فى نقد المقامات ص ٨ من النسخة المطبوعة بالمطبعة الحسينية سنة ١٣٢٦ .

(**) هو أبو محمد عبدالله بن أحمد النحوى المعروف بابن الخشاب ، كان صاحب مشاركة فى العلوم ، وله مصنفات كثيرة . انظر بغية الوعاة ، والبداية والنهاية ، وشذرات الذهب .

الفَهْرَسَة (*)

لابن خير الإشبيلىّ (**)

٥٠٢ — ٥٧٥

قال فى صفحة ٣٤٣ :

كتاب "خطبة الفصيح" ، من إنشاء أبى العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرّى ، ضمّن جميع ما حواه "الفصيحُ" خطبةً فى تحميد الله سبحانه وما قاربه من العظات . حدّثنى به الشّيخ القاضى أبو بكر بن العربى رحمه الله ، عن أبى زكرياء يحيى بن علىّ التّبريزىّ ، عن أبى العلاء المعرّىّ رحمه الله . وحدّثنى به أيضًا الشيخ أبو محمد بن عتّاب رحمه الله ، عن أبى عمرو السّفاقُسىّ ، عن أبى العلاء المعرّىّ ، رحمه الله .

وقال فى صفحة ٤١١ :

كتاب "سقط الزند" ، و"ضوءُه" ، لأبى العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان التّنوخىّ المعرّىّ ؛ حدّثنى بالسّقط خاصّةً سماعًا عليه ، وبالضّوء إجازة ، شيخُنا القاضى أبو بكر بن العربى رحمه الله . قال : أخبرنا أبو زكرياء يحيى بن علىّ التّبريزىّ ، عن أبى العلاء المعرّىّ . وحدّثنى به أيضا شيخُنا أبو الحسين عبد الملك بن محمد بن هشام رحمه الله ، عن الأستاذ أبى محمد عبد الله بن محمد بن السّيد البَطَلْيَوْسىّ ، عن أبى الفضل البغدادىّ ، عن أبى العلاء المعرّىّ ، وعن أبى محمد بن السّيد أيضا ،

(*) هو فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة فى ضروب العلم وأنواع المعارف . وهذا الكتاب فى ٤٦٣ صفحة ، طبع فى مدينة سرقسطة بمطبع قومش سنة ١٨٩٤ .

(**) هو أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموى الإشبيلى ، الحافظ النحوى المقرئ ؛ أخذ عن أبى بكر بن العربى ، والقاضى عياض ، وغيرهما . وأقرأ بإشبيلية وقرطبة ، وخطب بجامعها الأعظم . انظر بغية الوعاة ص ٤١ .

عن أخيه أبى الحسن علىّ بن محمد ، عن أبى القاسم عبد الدائم بن مرزوق بن خير القَيروانى، عن أبى العلاء المعرّىّ .

كتاب "شرح سقط الزند"، لأبى محمد بن السِّيد رحمه الله؛ حدّثنى به الشّيخان أبو الحسين عبد الملك بن محمد بن هشام القيسىّ، وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن سعيد العبدرىّ، عن مؤلفه أبى محمد بن السِّيد البطليوسىّ رحمه الله .

كتاب "ترسيل أبى العلاء" وسائر شعره فى "لزوم مالا يلزم" وغيره وجميع تواليفه — ومن ترسيله "الرسالة الإغريضية" "وشرحها" له ، و"الرسالة الفلاحية" له ، و"رسالة الصاهل والشاجِ" له ، و"لسان الصاهل والشّاجِ" له ، و"خطبة الفصيح" — حدّثنى بذلك كلِّه القاضى أبو بكر بن العربىّ رحمه الله، عن أبى زكريّاء يحيى بن علىّ التّبريزىّ، عن أبى العلاء المعرّىّ.

وقال فى صفحة ٤١٩ :

جزء فيه ردّ أبى محمد عبد الله بن محمد بن السِّيد البَطَلْيوسىّ على القاضى أبى بكر آبن العربىّ ، فيما ردّه عليه فى شرحه لشعر المعرّىّ؛ حدّثنى بذلك الفقيهُ الحافظ الإمام أبو محمد عبد الله بن أحمد بن سعيد العبدرى، قراءةً منّى عليه، عن مؤلّفه رحمه الله، قراءةً عليه وسماعا .

وقال فى صفحة ٤٥٠ :

تواليف أبى العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التّنوخىّ المعرّىّ رحمه الله ، وجميع ماله من منثورٍ ومنظوم؛ روايتى لذلك كلِّه عن الفقيه القاضى أبى بكر بن العربىّ رحمه الله، عن أبى زكرياء يحيى بن علىّ الخطيب التبّريزى، عنه .

المجالس المؤيّدية (*)

لحاتم بن إبراهيم الحميدىّ (**)

٥٩٦ — ...

قد آنتهى إليكم خبرُ الضرير، الذى نَبَغَ بمعزة النُّعمان، وما كان يُعزَى إليه من الكفر والطُّغيان، على كون الرجل متقشِّفا، وعن كثيرٍ من المآكل التى أحلَّ اللهُ له متعفِّفا. وقد كان خبره يتوصّل إلى كلِّ صُقْع بما يحرِّك النفوس للفَتْك به، حَمِيّةً بزعمهم للدّين، وغَيرةً على الإسلام والمسلمين.

وكان جرى ذكره فى مجلس النّاظر الذى ينظر فى ذلك الوقت، فخطب عليه الحاضرون، وأَغْرَوا بدمه، وقالوا: إنّ الغَيرة على الدين تُبيح قتلَه. فقال أحد الحاضرين: إنّ كلامكم على غير موضوع، وإنْ كان الرَّجُل من العجز والضّعف والإشراف على القبر بالغاية القصوى، وإنه متى بُسطت له اليدُ على هذه السبيل اكتَسَب من الذِّكر الجميل، والثناء بعد الموت، ما لا حاجةَ بنا إليه. بل الواجب

(*) هى مجالس للؤيد فى الدين أبى نصر هبة الله بن موسى بن أبى عمران الشيرازى الملقب «داعى الدعاة»، كان يحاضر بها فى دار العلم بالقاهرة. وهى ثمانمائة مجلس، يتناول الشيرازى فيها موضوعات إسماعيلية شتّى، دينية، وأدبية، وسياسية، وتأويلية. ومما هو جدير بالنظر أن هذه المحاضرات كان ينشئها داعى الدعاة على لسان الخليفة، وينوب هو عنه فى إلقائها.

وقد جمعها ورتبها حسب موضوعاتها الداعى اليمنى، حاتم بن إبراهيم الحميدى، وسماها: «جامع الحقائق فى التأويل».

والنص مأخوذ من نسخة جامعة فؤاد الأوّل، المصوّرة عن مخطوطة بالهند. انظر المجلد الثانى ص٩٣ من المجلس الحادى والعشرين بعد الخمسمائة.

(**) انظر المجلة الأسيوية: (The Journal of the Royal Asiatic Society) سنة ١٩٣٢ ص ١٣٣.

أنْ يُجرِّد له من يهتك بالمناظرة والمحاجَّة سِتره ، ويكشِفُ للنّاس عَوارَه ؛ لينقُص فى عيونهم ، ويحطَّ من درجته ما بين ظَهرانَيْهم . فمكثَ غير بعيدٍ حتّى توجَّه مَنْ وجّهناه من داعينا للقاء التّركمانيّة، فانعقد بينه و بينه من المناظرة مكاتبةً لا مشافهة، ما نُورده بفصِّه، فينفعُ الله به السامعين .(١)

---

(١) وهنا ساق الرسالة الأولى التى أوردها ياقوت ص ١١٩ ، وأشار بعدها إلى الثانية ولم يروها . ثم أورد الثالثة ، وسكت عن الرابعة والخامسة .

كتاب الأذكياء (*)

لابن الجوزى

٥١٠ — ٥٩٧

خرج رجلٌ على سبيل الفُرجة، فقعد على الجسر (١)، فأقبلت امرأةٌ (٢) من جانب الرُّصافة متوجِّهة إلى الجانب الغربىّ، فاستقبلها شابٌّ، فقال: رحم الله علىّ بن الجهم! فقالت المرأة فى الحال: رحم الله أبا العلاء المعرّىّ! وما وقفا، ومَرّا مشرِّقة ومغرِّبا (٣). [قال الرجل] (٤): فتبِعْتُ المرأةَ وقلتُ لها: إنْ لم تقولى ما قلتماه و إلّا فضحتُك وتعلّقتُ بك (٥). فقالت: قال لى الشّابّ: «رحم الله علىّ بن الجَهم»، أراد به قوله:

عيونُ المهايينَ الرُّصافةِ والجِسْرِ جَلَبْنَ الهوَى من حيثُ أدرِى ولا أدرِى

وأردتُ أنا بترحُّمى على المعرّىّ قولَه:

فيا دارَها بالحَزْنِ إنّ مَزَارَها قريبٌ ولكنْ دُونَ ذلكَ أهوالُ

(*) كتاب لطيف، تحدث فيه مؤلفه عن الذكاء والأذكياء، وتناول فيه طوائف الأذكياء من الناس والحيوان، وجعله فى ثلاثة وثلاثين بابا، وقال فى مقدّمته: «وقد ثبت أن رؤية العاقل ومخالطته تفيد ذا اللب، فسماع أخباره يقوم مقام رؤيته».

وقد اعتمدنا النسخه المطبوعة بالمطبعة الميمنية فى سنة ١٣٠٦. والنص فى ص ١٦٥.

(١) يعنى جسر بغداد، كما ورد فى الصبح المنبى (٢ : ١٣٥).

(٢) فى الصبح المنبى: «امرأة بارعة الجمال».

(٣) فى الصبح: «وما وقفا بل سارا مشرقة ومغربا».

(٤) التكملة من الصبح المنبى

(٥) فى الصبح: «لئن لم تخبرنى بما أراد بابن الجهم وأردت بأبى العلاء لأفعلن بك كذا».

تلبيس إبليس (*)

لابن الجوزى

٥١٠ — ٥٩٧

(فصل) :

وكم من زنديقٍ فى قلبه حِقد على الإسلام ، خرج فبالغ واجتهد ، فزخرف دعاوَى يلقى بها من يصحَبُه . وكان غَوْر مقصده فى الاعتقاد الانسلالَ من رِبْقة الدِّين ، وفى العمل نيلَ الملذّات ، واستباحةَ المحظورات .

فمنهم بابَك الخُرّمى ... ...

ومنهم من لم يبرح على تعثيره (١) ، ففاتته الدنيا والآخرة ، مثل ابن الراوندى والمعرّى ... ...

وأما أبو العلاء المعرّى فأشعاره ظاهرةُ الإلحاد . وكان يبالغ فى عداوة الأنبياء. ولم يزل متخبِّطا فى تعثيره (١) ، خائفا من القتل ، إلى أن مات بخسرانه .

(*) تلبيس إبليس : تناول فيه مؤلفه الكلام على إغواء إبليس للطوائف المختلفة من الناس ، وجعله فى ثلاثة عشر بابا .

وهذا النص فى ص ١١١ — ١١٢ من طبع مطبعة النهضة ١٩٢٨ .

(١) كذا فى الأصل . والأوجه : " تعثره " .

ألف باء (*)

البلوىّ (**)

٥٢٧ — ٦٠٤

ويقال إن المعتزىّ كتب إلى ابن حزم بهذا البيت :

كَفٌّ بخمسِ مِيٍ فى الشّرعِ قدْ وُدِيَتْ ... ما بالُهَا قُطِعَتْ فى رُبْعِ دِينارِ

فقال (١) :

صِيانةُ النَّفْس أغْلاَها وأرخَصُها ... خِيانةُ المالِ فانظُرْ حِكمةَ البارِى

بلغَ البيتُ غيرَه فقال :

بذاكَ سُنَّةُ خيرِ النّاسِ قد وَرَدَتْ ... فلا سبيلَ إلى تعليلِ الآثارِ

(*) ألف باء : مؤلف كبير فى المحاضرات ، ذكر فيه مصنفه أنه جمع فوائد بدائع العلوم لابنه عبد الرحيم ؛ ليقرأه بعد موته ، إذ لم يلحق بعد لصغره درجة النبلاء . جعله شرحا لقصيدة صنعها على عدد حروف المعجم ، وشرحها كلمة كلمة ، مع مقلوبها ومعكوسها . وهو من غرائب التصانيف .

وهذا النص فى (٢ : ٣٨٢) من النسخة المطبوعة فى المطبعة الوهبية ١٢٨٧ .

(**) هو أبو الحجاج يوسف بن محمد البلوى الأندلسى ، المعروف بابن الشيخ ، من أهل مالقة وذوى بيوتاتها الدينية . روى فى رحلته بالمشرق عن الحافظ السلفى . وكانت له مشاركة فى العربية والفقه والأصول . وبنى ببلده مالقة خمسة وعشرين مسجدا من صميم ماله ، وخدم فيها وعمل بيده ، وغزا عدّة غزوات مع المنصور بالمغرب ، ومع صلاح الدين بالشام . وله شعر كثير . وكان من أشد الشعراء ولوعا باللزوم . انظر صلة الصلة لأبى جعفر أحمد بن الزبير (٧ : ٢١٧) والتكملة لابن الأبار (٢ : ٧٣٧ — ٧٣٨) طبع مجريط سنة ١٨٨٧ .

(١) سبقت نسبة هذا البيت إلى علم الدين السخاوى . انظر ص ٢٨٣ .

إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب(*)

لياقوت

٥٧٤ — ٦٢٦

قال فى ترجمة أحمد بن الصنديد العراقى(١) :

"كان من أهل الأدب والشعر، روى شعر المعرّى عنه، له فيه شرح، وله مع الحُصْرىّ مناقضات . دخل الأندلس وكان عند بنى طاهر ، ومدح الرؤساء والأكابر" .

وقال فى ترجمة داود بن أحمد بن يحيى(٢) :

"... وكان مُولعًا بشعر أبى العلاء المعرّى، يحفظ منه جملةً صالحة، ولذلك كان الناس يرمونه بسوء العقيدة" .

وقال فى ترجمة علىّ بن الحسن بن عنتر، المعروف بشميم الحلىّ(٣) :

"... ثمّ سألته عمّن تقدم من العلماء، فلم يُحسِن الثّناء على أحدٍ منهم . فلمّا ذكرت له المعرّىَ نهرنى وقال لى : ويلك ! كم تسىء الأدبَ بين يدىّ ! مَنْ ذلك الكلبُ الأعمَى حتّى يُذكر بين يدىّ فى مجلسى ! فقلت : يامولانا ما أراك ترضَى عن أحدٍ ممّن تقدم . فقال : كيف أرضى عنهم وليس لهم ما يُرضينى . قلت : فما فيهم قطُّ أحد جاءَ بما يرضيك ؟ فقال : لا أعلمه ، إلّا أنْ يكون المتنبّىّ فى مديحه خاصّة، وابن نُباتة فى خطبه، وابن الحريرىّ فى مقاماته، فهؤلاء لم يقصّروا ...".

وذكر ياقوت أيضا فى مؤلفات هـذا المترجم ص ١٣٨ من الجـزء الخامس "كتاب الإشارات المعرّية، مجلّد" .

(*) سبق التعريف بالكتاب ومؤلفه فى ص ٦٧ .

(١) انظر معجم الأدباء (١ : ١٥٢) .

(٢) انظر معجم الأدباء (٤ : ١٩١) .

(٣) انظر معجم الأدباء (٥ : ١٣٢) .

معجم البلدان(*)

لياقوت

٥٧٤ — ٦٢٦

في الكلام على (جَبَّل) :

وأبو الخطاب محمد بن علىّ بن محمد بن إبراهيم الجَبَّلى الشّاعر، كان من المجيدين، وكان بينه وبين أبى العلاء المعرّىّ مشاعرة . وفيه قال أبو العلاء قصيدته :

غيرُ مُجْدٍ فى مِلّتى واعتقادى نوحُ باكٍ ولا ترنُّم شادِ

وفى الكلام على (حُرْدُفْنة)(١) :

"بها كان مولد أبى عُبادة الوليد بن عُبيد البحترىّ الشّاعر فى سنة ٢٠٠، فى أوّل أيّام المأمون وهو بخراسان. ذكر ذلك أبو غالب همّام بن الفضل بن المهذّب المعرّىّ فى تاريخ له، قال فيه : "وحدّثنى أبو العلاء المعرّىّ عمّن حدّثه أنّ البحترىّ كان يركب بِرذونًا له، وأبوه يمشى قُدّامه، فإذا دخل البحترىُّ على بعض مَن يقصده وقف أبوه على بابه قابضًا عِنان دابّته، إلى أن يخرج فيركبَ ويمضى".

وفى الكلام على (الضُّراح) :

والضُّراح : "بيت فى السّماء حيال الكعبة، وهو البيت المعمور"، والضَّريح لغةٌ فيه، ومَن قاله بالصاد غير المعجمة فقد أخطأ. ألا ترى إلى أبى العلاء أحمد بن سليمان المعرّىّ، كيف جمع بين الضُّراح والضريح، إرادةً للتجنيس والطِّباق، بقوله(٢) :

لقد بَلَغَ الضُّراحَ وساكنِيه ثَناكَ(٣) وزارَ مَنْ سَكَنَ الضَّريحا

(*) معجم البلدان : مؤلف كبير، تناول فيه مؤلفه التعريف ببلدان العالم، مع ذكر من خرج منها من العلماء والأدباء والأعيان، وقد سبقت ترجمة المؤلف فى ص ٦٧ .

(١) سماها ابن خلكان فى ترجمة البحترى : « زردفنة » وضبطها بفتح الزاى وسكون الراء وفتح الدال المهملة وسكون الفاء وفتح النون .

(٢) من قصيدة له فى سقط الزند (١ : ٥٦) .

(٣) الثنا، بتقديم النون والقصر : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيّ . وفى الأصل : « ثناك » صواب روايته من السقط .

المثل السائر (*)

لابن الأثير (**)

٥٥٨ — ٦٣٧

قال فى (ص ١٨٤) بعد أن ذكر قول المتنبى :

فلا يُبْرَمُ الأمرَ الذى هو حالُّ ولا يُحْلَلُ الأمرُ الذى هو يُبْرِمُ (١) :

فلفظة «حالل» نافرة عن موضعها ، وكانت له مندوحة عنها ؛ لأنه لو استعمل عوضا عنها لفظة «ناقض» فقال :

فلا يـبرم الامر الذى هـو ناقض ولا ينقض الأمر الذى هو يبرم

لجاءت الكلمة قارّة فى مكانها ، غير قلقةٍ ولا نافرة .

وبلغنى عن أبى العلاء بن سليمان المعرّىّ أنّه كان يتعصّب لأبى الطيب ، حتّى إنّه كان يسـمّيه الشاعر ، ويسمّى غيره من الشـعراء بآسمه . وكان يقول : ليس فى شعره لفظة يمكن أن يقـوم عنها ما هو فى معناها فيجىء حسنا مثلها . فيا ليت شعرى : أما وقف على هذا البيت المشار إليه؟ لكن الهوى ، كما يقال ، أعمى . وكان أبو العلاء أعمى العين خِلقة ، وأعماها عصبيّة ؛ فآجتمع له العمى من جهتين .

وهذه اللفظة التى هى «حالل» ومايجرى مجراها قبيحة الاستعمال ، وهى فك الإدغام فى الفعل الثلاثى ونقلُه إلى اسم الفاعل . وعلى هذا فلايحسن أن يقال : بَلّ الثّوب فهو بالل ، ولا سَلّ السيف فهو سالِل ؛ ولا أن يقال : هَمّ بالأمر فهوهامم ، ولا خطّ الكتاب فهو خاطط ، ولا حنّ إلى كذا فهو حانِن . وهذا لو عُرِض على من لا ذوق له لأدركه وفهمه ، فكيف من له ذوق صحيح كأبى الطيب ! لكن لا بدّ لكلّ جوادٍ من كبوة .

(*) المثل السائر ، فى أدب الكاتب والشاعر : من الكتب الكبيرة التى تكلمت فى علوم البلاغة والنقد الأدبى . والنص من النسخة المطبوعة فى مطبعة بولاق سنة ١٢٨٢ .

(**) هو نصر الله بن محمـد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى ، المعروف بابن الأثير الجزرى ، الملقب ضياء الدين . ولد بجزيرة ابن عمر ، وانتقل مع والده إلى الموصل ، ووصله القاضى الفاضل بخدمة صلاح الدين فى سنة ٥٨٧ ، ثم اتصل بخدمة ولده الأفضل ، ثم الظاهر غازى . وهو أحد إخوة ثلاثة ، عرف كل منهم بابن الأثير . وكانت وفاته ببغداد .

(١) من قصيدة له فى ديوانه بشرح العكبرى (٢ : ٣٣٣) . والرواية فيه : « مبرم » .

شرح نهج البلاغة (*)

لابن أبى الحديد (**)

٥٨٦ — ٦٥٥

قال فى (١ : ٤٤) :

وقد صنع أبو العلاء المعرّى كتابا فى اللزوم من نظمه، فأتى فيه بالجيّد والردىء، وأكثره متكلَّف . ومن جيّده قوله (١) :

لا تَطلُبَنَّ بآلةٍ لك حالةً ... قلمُ البليغ بغير حظٍّ مِغزلُ

سكن السَّماكانِ السماءَ كلاهُما ... هذا له رمحٌ وهذا أعزلُ

(*) هو شرح كبير، فى أربع مجلدات كبيرة، وهو شرح أدبى وتاريخى مبسوط، صنفه لخزانة الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمى .

والنص من النسخة المطبوعة فى المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٢٩ .

(**) هو عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبى الحديد، عز الدين المدائنى المعتزلى، الفقيه الشاعر . انظر فوات الوفيات (١ : ٣١٧) .

(١) البيتان لم يردا فى اللزوم وانظر ما سبق فى ص ١٨٤ .

التـــكملة (*)

لابن الأبّار (**)

٥٩٥ — ٦٥٨

قال فى (٢ : ٥٣٩) فى ترجمة عبيد الله بن علىّ بن عبيد الله بن غَلِنْدة الأموىّ :

وأنشدنى له بعض أصحابنا من لزوميّاته :

إذا كان إصلاحى لجسمىَ واجبًا فإصلاح نفسى لا محالةَ أوْجبُ

وإنْ كان مايَفْنَى إلىالنفس مُعجِبًا فإنّ الذى يَبقَى إلى العقل أعجبُ

وتوفِّى بمرّاكُش سنة ٥٨١ ، وحدّثنى الثقة أنّه بلغ سبعًا وتسعين سنة .

(*) التكملة : تكملة لكتاب الصلة لابن بشكوال المتوفى سنة ٥٧٨ ، وهو فى تراجم رجال الأندلس . والنص من النسخة المطبوعة فى مجريط ١٨٨٧ .

(**) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى البلنسى ، المعروف بابن الأبار . انظر فوات الوفيات (٢ : ٢٨٣) .

عيون الأنباء فى طبقات الأطباء(*)

لابن أبى أصيبعة(**)

٦٦٨ — ...

قال فى (١ : ٨٨) :

وقد مدح أبو العلاء بن سليمان المعرّى فى "كتاب الاستغفار"(٢) كُتُبَ جالينوس(١) ومدوِّنى الطبّ فقال :

سَقْيًا ورَعْيًا لجالينوسَ مِنْ رجُلٍ ... ورَهْط بقراطَ غاضُوا بعدُ أو زادُوا
فكُلُّ ما أصّلوه غير مُنتقِض ... به استغاثَ أولو سُقْمٍ وعُوّادُ
كُتُبٌ لِطافٌ عليهم خَفَّ محمَلها ... لكنَّها فى شفاء الدّاء أطوادُ

وفى (١ : ٢٤٢ — ٢٤٣) :

ونقلت أيضًا من خطّ ابن بُطْلان ، فيما ذكره من الأوباء العظيمة العارضة للعلم بفقد العلماء فى زمانه، قال : ما عرضَ فى مدّة بضعَ عشرةَ سنةً بوفاة الأجلّ المرتضَى، والشيخ أبى الحسن البصرى، والفقيه أبى الحسن القدورى، وأقضى القضاة الماوَردى، وابن الطَّيِّب(٣) الطبرىّ، على جماعتهم رضوان الله .

(*) عيون الأنباء : كتاب فى تراجم الأطباء، جعله مؤلفه فى خمس عشرة طبقة تتناول أطباء اليونان والعرب والسريانيين والعراقيين والهنود والعجم والمغاربة والمصريين والشاميين وغيرهم . وقد أغفل ترتيبه على الحروف .

والنصان المثبتان من النسخة المطبوعة فى المطبعة الوهبية سنة ١٢٩٩ بعناية أمرئ القيس بن الطحان .

(**) هو أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجى . كان عالما بالأدب والطب والتاريخ ، له مصنفات عدة . انظر شذرات الذهب .

(١) أدرج اسم والده «عبد الله» .

(٢) هو المعروف بكتاب «استغفر واستغفرى» .

(٣) لعله «أبو الطيب الطبرى» الذى سبقت ترجمته فى ص ٢١٢ .

ومن أصحاب علوم القدماء : أبو علىّ بن الهيثم ، وأبو سعيد اليمامىّ ، وأبو علىّ ابن السَّمح ، وصَاعد الطبيب ، وأبو الفرج عبد الله بن الطيّب[1] .

ومن متقدمى علوم الأدب والكتابة : على بن عيسى الرَّبعى ، وأبو الفتح النَّيسابورى ، ومهيار الشاعر ، وأبو العلاء بن نزيك ، وأبو علىّ بن مُوصلايا[2] ، والرئيس أبو الحسن الصَّابى ، وأبو العلاء المعرّىّ .

فانطفأت سُرُج العلم ، وبقيت العقولُ بعدهم فى الظُّلمة .

---

(١) ترجم له ابن أبى أصيبعة فى (١ : ٢٣٩) .

(٢) ضبط السمعانى فى الورقة ٥٤٥ هذا الاسم بضم الميم وفتح الصاد .

وفيات الأعيان (*)
لابن خلكان

٦٨١ — ...

قال فى ترجمة ابن عُنَين الشاعر (١) :

وكتب من بلاد الهند إلى أخيه وهو بدمشق هذين البيتين، والثانى منهما لأبى العلاء المعرّى، استعمله مضمّنا، فكان أحقّ به، وهما :

سَامَحْتُ كُتْبَكَ فى القطيعة عالمًا أنّ الصحيفة لم تَجِدْ مِن حامِلِ
وعذرتُ طَيْفَكَ فى الجفاءِ لأنّه يَسْرِى فيُصبِحُ دونَنَا بمراحِلِ (٢)

فلله درُّه ! ما أحسن ما وقع له هذا التضمين !

وقد كرّر هذا المعنى فى مواضع من شعره ؛ فمن ذلك قولُه من جملةِ قصيدةٍ طويلة :

ألا يانَسيمَ الرِّيح مِن تَلِّ راهِطٍ ورَوْضِ الحِمَى كيفَ اهتدَيْتَ إلى الهندِ

وقوله من أبيات وهو فى عدن اليمن :

أأحبابَنا لا أسأل الطَّيف زَورةً وهيهاتَ ! أينَ الدَّيلميَّاتُ من عَدَنْ

الدَّيلميات، وتل راهط، والحِمى : أسماء مواضع من ضواحى دِمشق .

(*) سبق التعريف بالكتاب ومؤلفه فى ص ١٨٢ .

(١) هو أبو المحاسن محمد بن نصر الدين بن نصر بن الحسين بن عنين الأنصارى، الكوفى الأصل، الدمشقى المولد . كان غزير المادة من الأدب، ويروون أنه كان يستحضر كتاب الجمهرة لابن دريد، وكان مولعا بالهجاء، وله قصيدة طويلة جمع فيها خلقا كثيرا من رؤساء دمشق، سماها "مقراض الأعراض". ولد بدمشق سنة ٥٤٩ وتوفى بها سنة ٦٣٠ . وعنين، بضم العين وفتح النون .

(٢) البيت من قصيدة فى سقط الزند (١ : ١٥٦ — ١٥٧) . والخطاب فى سقط الزند للمؤنث .

والبيت الذى للمعرّى قبله هو :

وسألتُ كم بين العَقيقِ إلى الحِمى (١) فعَجِبْتُ من بُعد المدَى المتطاوِلِ

والمعرّى أخذ هـذا المعنى من دِعبل بن علىّ الخُزاعى الشّاعر المقدَّم ذكره؛ فإنّهُ كان قد هجا الخليفةَ المعتصم بالله بن هرون الرشيد ، فطلبه، فهرب من العراق إلى الدّيار المصريّة، وسكن فى آخر بلادها، وقال فى ذلك :

وإنّ آمرأً أضحَتْ مَطارِحُ سَهْمِهِ بأُسوانَ لم يَتْرُكْ من الحَزْمِ مَعْلَمَـا (٢)

حَلَلْتُ مَحَـلًّا يقصر الطَّرفُ دُونَه ويَعجزُ عنـه الطَّيفُ أن يتجشَّما

وقال فى ترجمة محمد بن هانئ الأندلسى :

"ويقال إنّ أبا العلاء المعرّى كان إذا سمِـع شِعر آبن هانئٍ يقول: ما أشبّهه إلّا بِرَحًى تطحن قُرونًا ؛ لأجل القعقعة التى فى ألفـاظه . ويزعم أنّه لا طائل تحت تلك الألفاظ" .

قال آبن خلّكان بعد هذا :

"ولعمرى ما أنصفه فى هذا المقال. وما حمله على هذا إلّا فرط تعصبه للمتنبّى".

---

(١) رواية السقط : « إلى الغضى » .

(٢) يريد أنه أخذ بكل وسائل الحزم ، فلم يترك منه معلما إلا سلكه ، وأنه حل فى مأمن من الطلب.

المُغْرب فى حِلَى المَغْرب، والمُشْرق فى حِلَى المَشْرق(*)

أنشد لأبى الحسين الجزّار قوله من قصيدة فى مدح برهان الدين بن الفقيه نصر :

قَطَعْتُ شَبِيبتى وأضَعْتُ عُمـرِى ... وقـد أتعبْتُ فى الهذَيانِ فِكرِى
ومالى أُجـرةٌ فيـه ولا لى ... إذا ما متُّ يوماً بعضُ أجـرِ
قرأتُ النَّـحوَ تِبيـاناً وفَهْمًا ... إلى أن كِعْتُ عنه وضاقَ صدرِى
فما آستنبطْتُ منه سِوى مُحالٍ ... يُحَـال به على زَيـدٍ وعمرِو
وفى عِلم العَروض دخلْتُ جهلاً ... وعُمْتُ بخفّـتى فى كلِّ بحـرِ
فأذكَرَنى به التّفعيلُ بيـتاً ... تضمّن نصفه الشـيخ المعرّى
مفاعلتن مفاعلتن فعـولُ ... " حديث خُرافةٍ يا أُم عمرِو "(١)

(*) المغرب فى حلى المغرب، والمشرق فى حلى المشرق : كتاب ألف بالمواربة فى ١١٥ سنة، توارث تأليفه ستة من الأدباء : آخرهم أبو الحسن على بن موسى بن حمد بن عبد الملك بن سعيد . المتوفى ٦٧٣ وقيل سنة ٦٨٥ .

وقد طبعت منه عدة قطع فى أوربة . والنص فى ص ١٣٤ من القطعة المطبوعة فى ليدن سنة ١٨٩٨ . وهى الجزء الرابع فى أخبار بنى طفج، وسماه : « العيون الدعج، فى حلى دولة بنى طفج » .

(١) الشطر من بيت لعبد الله بن الزبعرى، كما ذكره المولى المحبى فى كتاب ما يعول عليه . وهو بتمامه :

حياة ثم مـوت ثم نشـر ... حديث خرافـة يا أم عمـرو

غرر الخصائص (*)

للوطواط (**)

٦٣٢ — ٧١٨

ومنهم (١) أبو العلاء أحمد بن سليمان المعـرىّ . ومن عجيب حكاياته أن أبا زكريا التبريزىّ كان يقرأ عليه، فأتاه رسول من عند أهله من تبريز، فجاء حلقة أبى العلاء، فسأل عنه، فأُخبِرأنّه غائب فى بعض شأنه، فقال له أبو العلاء : ما تريد به ؟ قال : جئتُ برسالةٍ من عند أهله . فقال: هاتها حتّى نوصلها إليه . قال : إنّها مشافهة . قال : فأسمِعْناها حتّى نوصِّلها إليـه . قال : إنّهـا بالفارسيّة . قال : لا عليكَ أن تُسمِعَناها ولا تسقط منهـا حرفا، فأوردها عليه . فلما جاء التبريزىّ أُخبِر أن رجلا جاء من تبريز، ومعـه رسالة من أهلك . فقال : ليتكم أخذتموها منه، فإنى مَشُوق لمـا يَرِد من أخبارهم . فقيل له : إنّه قال إنّها مشافهة ، فتأسّف لذلك. فلما رأى أبو العلاء تأسُّفه قال له : لا عليك ، إنى سمعتها منـه وحفظتها . ثم أملاها عليه ، فجعـل التبريزى يضحك مرة ويبكى مرة . فسأله أبو العـلاء عن ضحكه وبكائه ، فقال : تارة تخبرنى بما يسرُّنى فأضحك، وتارة تخبرنى بما يحزننى فأبكى .

وعمى أبو العلاء وله من العمر ثلاث سنين، من جدرىٍّ أصابه . وقال الشعر وله إحدى عشرة سنة .

(*) غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائص الفاضحة : كتاب فى الأدب يشتمل على التنويه بمحاسن الأخلاق، والتنبيه على مساويها، فى ستة عشر بابا .

والنص فى ص ١٨٧ من النسخة المطبوعة فى مطبعة بولاق سنة ١٢٨٤ .

(**) هو محمد بن إبراهيم بن يحيى بن على الأنصارى، جمـال الدين الكتبى، المعروف بالوطواط، كان أديبا ماهرا عارفا بالكتب ، وهو صاحب الرسائل المشهورة، وكتاب مباهج الفكر ومناهج العبر . وقـد كتب على صدر آبه المطبوع أنه « إبراهيم بن يحيى بن على » وهو خطأ . انظر ترجمته فى الدرر الكامنة (٣ : ٢٩٨ — ٢٩٩)، وكشف الظنون .

(١) يعنى من أذكياء العميان .

تتمـة المختصر (*)

لابن الـــوردىّ

٠٠٠ — ٧٤٩

قال فى حوادث ســنة ٥٤٨ فى ترجمــة الشيخ أبى عبــد الله محمد بن نصر بن صفير بن داغر، المعروف بابن القَيسَرانىّ (١):

وآجتاز بالمعرّة فكتب عند قبر أبى العلاء :

نَزَلْتُ فزرتُ قـبرَ أبى العـــلاءِ فـلم أر مِنْ قِرًى غَـيرَ البُكاءِ

ألا يا قَـبْرَ أحمَدَ كَمْ جـــلالٍ تضمّنه ثَراكَ وكم ذكاءِ

(*) سبق التعريف بالكتاب ومؤلفه فى ص ٢٠٦ .

(١) نسبة إلى قيسارية الشأم . ولد بعكا ســنة ٤٨٧ ، وكان من الشعراء الأدباء المجيدين ، وسمع منه الحافظان أبو القاسم بن عساكر ، وأبو سعد بن السمعانى . قال صاحب شذرات الذهب : «تولى إدارة الساعات التى بدمشق مدة . . . وكان عارفا بالهيئة والنجوم والهندسة والحساب » .

فوات الوفيات (*)

لابن شاكر (**)

٧٦٤ — ...

قال فى ترجمة محمد بن عتيق بن أبى نصر اليمنى القيروانى الأشعرى المتكلم ،

المعروف بابن أبى كدية ... المتوفى ببغداد سنة اثنتى عشرة وخمسمائة :

سمع يوماً قائلاً (١) ينشد أبيات أبى العلاء المعرّى :

ضَحِكْنا وكان الضَّحْكُ منّا سفاهةً ... وحُقَّ لسُكّانِ البَسيطةِ أن يَبْكُوا

وتَحْطِمُنا الأيّامُ حتّى كأنّنا ... زُجاجٌ ولكنْ لا يعاد له سَبْكُ

فقال رحمه الله يردّ عليه :

كَذَبْتَ وبيتِ الله حِلْفَةَ صادقٍ ... سيسبِكُنا بعد الثّوى (٢) من له الملكُ

ونرجع أجساماً صِحاحًا سليمةً ... تَعارَفُ فى الفردوس ما عندنا شَكُّ

(*) فوات الوفيات : كتاب فى التراجم مرتب على الحروف ، استدرك فيه مؤلفه على ابن خلكان ما فاته من ذكر الخلفاء ، وما أخل به من تراجم الفضلاء ، وذيل عليه إلى عصره . وفرغ من تأليفه سنة ٧٥٤ . والنص فى (٢ : ٢٩٨) ، من النسخة المطبوعة فى مطبعة بولاق سنة ١٢٨٣ .

(**) هو صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر الكتبى ، الدارانى ثم الدمشقى ، المؤرخ . سمع من ابن الشحنة والمزى وغيرهما . وكان فقيرا جدا ، ثم عانى التجارة فى الكتب فنال منها مالا طائلا . انظر الدرر الكامنة (٣ : ٤٤٩ — ٤٥٠) وشذرات الذهب .

(١) انظر اللزوم (٢ : ١٤٣) .

(٢) الثوى ، بفتح التاء المثناة : الهلاك . وفى الأصل : « الثوى » .

الغيث المُسجَّم (*)

للصفدىّ

٦٩٦ — ٧٦٤

قال فى (١ : ٢٢) :

ومَن وقَف على كلام أبى العلاء المعرّى فى رسالة الغُفران[1] ، فى ذينك البيتين اللذين للنَّمر بن تولب، وهما :

أَلَمَّ بصُحبتى وهمُ هجوعُ ... خَيالٌ طارقٌ من أُمِّ حصنِ

لها ما تَشْتَهِى عَسَلٌ مصفىً ... مَتَى شاءَتْ وحُوّارَى بسَمْنِ

وكيف غيَّر القوافى منها، ونَزّلها على سائر حروف المعجم خلا حرف الطاء — علم تمكُّن أبى العلاء من الأدب ، واطّلاعَه على اللُّغة .

وقال فى (١ : ٧٢) عند الكلام على الإلزام :

وقال أبو العلاء المعرّى[2] :

زعم المنجِّم والطّبيبُ كلاهما ... أنْ لا معادَ فقلت ذاكَ إليكما

إنْ صحَّ قولكما فلستُ بخاسرٍ ... أو صحَّ قولى فالوبالُ عليكما

وقال أيضا[3] :

عَجَبًا للمسيح بين النَّصارى ... وإلى أىِّ والدٍ نسبوهُ

أسلموهُ إلى اليهودِ وقالوا ... إنّهم بعد قتلِه صَلَبُوهُ

(*) الغيث المسجم : شرح لامية العجم لمؤيد الدين إسماعيل بن الحسين بن على الطغرائى المتوفى سنة ٥١٤ ، وصف بها حاله ، وشكا زمنه . وشرح الصفدى جامع غزير المادة ، كثير الاستطراد . وقد اعتمدنا النسخة المطبوعة فى المطبعة الوطنية سنة ١٢٩٠ .

(١) انظر رسالة الغفران ص ١٢ — ١٣ .

(٢) فى اللزوم (٢ : ٢٩٠) . مع خلاف فى الإنشاد .

(٣) فى اللزوم (٢ : ٤٠٩) مع خلاف ظاهر فى الرواية .

فإذا كان ما يقولونَ حَقًّا فآسألوهم فى أينَ كان أبوهُ[1]
وإذا كان راضيًا بقَضاهُم فآشكروهُمْ لأجل ما عذّبوهُ
وإذا كان ساخطًا بأذاهم فآعبدوهُمْ لأنّهُمْ غلبوهُ

ووجدت منسوباً إلى أبى العلاء المعرّى[2] أيضا :

زَعَمَ الجهولُ ومن يقولُ بقوله أنّ المعاصِىَ من قَضاءِ الخالقِ
إن كانَ حَقًّا ما يقول فلِمْ قَضَى حَدَّ الزّناء وقَطْع كفِّ السّارِقِ

وهذه من مسائل الاعتزال . والجواب عنها مذكورٌ فى مسألة خَلْق الأفعال .

وقال أيضا[3] :

يدٌ بخمس مئينٍ عَسْجَدٍ وُدِيت ما بالُها قُطِعتْ فى رُبع دِينارِ
تَحكّمٌ ما لنا إلّا السُّكوتُ له وأن نعوذَ بمولانا من النّار

فأجابَ علمُ الدّين السّخاوىّ :

عِزُّ الأمانةِ أغلاها وأرخَصَها ذُلُّ الخيانة فآفهَمْ حكمةَ البارِى

وقال فى (١ : ٧٩) عند الكلام على قول الطُّغرائىّ :

بَجْدِى أخيرًا وبَجْدِى أوّلًا شَرَعُ والشّمسُ رأدُ الضُّحَى كالشّمسِ بالطّفلِ

وقد أخذ الطُّغرائى هذا المعنى من قول أبى العلاء المعرّى[4] حيث قال :

وافقتَهم فى اختلافٍ من زمانكُمُ والبدْرُ فى الوَهْن مثلُ البَدرِ فى السَّحَرِ

---

(١) رواية اللزوم :

وإذا كان ما يقولون فى عيـ ـسى صحيحا فأين كان أبوه

(٢) البيتان مما لم يرو فى الديوانين .

(٣) فى اللزوم (١ : ٣٨٦) .

(٤) انظر سقط الزند (١ : ٣٥) .

فهذا هذا، خلا أنّ ذاك فى الشمس، وهـذا فى القمر . ولكنّ قول المعرّى ألطَفُ عبـارةً ، وأحسن إشـارة ؛ لأنّ الطُّغرائىّ أغرَبَ فى لفظتى « رأْد » ، و« الطَّفَل » . وعذوبة الألفاظ أمرٌ مهـمٌّ فى البَلاغة . وكلا المعنيين يشـبه قول [ابن] الحريرىّ :

وطالمـا أُصْلِىَ الياقوت جَمْرَ غضًى ثم انطفا الجمر والياقوت ياقوتُ

وقال فى (٢ : ١٩٣) :

وقال أيضا — يعنى التهامىّ — :

يُخْفِى الزّمانُ فضائلى فكأنّنى وكأنّهـا فى قلبـه إضمـارُ
لم أَخْـفَ إلّا للعُـلُوِّ وإنّمـا تُخْطِى السُّهَـا لعـلوّه الأبصارُ

وهو مأخوذ من قول أبى العلاء المعرّىّ :

والنّجمُ تستصغِرُ الأبصارُ رؤيتَه والذّنبُ للطَّرْف لا للنّجم فى الصغرِ[1]

وقال فى (٢ : ٢٨٤) :

وأما أبو العلاء المعرّىّ فقد سلّى نفسه عن عماه بقوله :

قالـوا العـمى منـظرٌ قبيـحٌ قلت بفقـدانكم يهونُ
والله ما فى الوجـود شىءٌ تأسَى على فقـدِه العيونُ

وما هذه إلّا نفسٌ قويّة، وهمّة عن أدناس الوجود عليّة . على أنّ عدم رؤية الناس، ممايخفّف بعض الباس ؛ لأن وقوعَ الناظر على مايكره، مما يجعل الجفن أمرَه[2] .

واحـتمال الأذى ورؤية جانيـ ـه غـذاءٌ تضـوَى به الأجسامُ[3]

---

(١) انظر سقط الزند (١ : ٣٩) . والرواية فيه : «صورته» موضع : «رؤيته» .

(٢) مرهت العين : مرضت ، أو فسدت من ترك الكحل ، فهى مرهاء .

(٣) البيت للنبى من قصيدة له فى ديوانه بشرح العكبرى (٢ : ٣٣٨ — ٣٤٤) .

نَكْت الهِميان (*)

للصــفدىّ

٦٩٦ — ٧٦٤

قال فى مقدمة كتابه ص ٧٥ :

ومن المنحول لأبى العلاء المعرّى :

أبا العــلا يا بن ســليمانا ... إنّ العَمَى أولاكَ إحسانَا

لو عاينتْ عيناك هـذا الورى ... لم يَــرَ إنسانُــك إنسـانَـا

ومنه أيضا : (١)

قالــوا العَمَى منــظرٌ قبــيحٌ ... قلتُ بفِــقدانكم يهــون (٢)

والله ما فى الوجــود شىء (٣) ... تأسى عــلى فقــده العيونُ

وقال فى ترجمة (مكى بن ريان بن شبة المـاكسينى) (٤) :

« وكان يتعصَّب لأبى العلاء المعرّى ، ويطرب إذا قرئ شعره ، للجامع بينهما من الأدب والعمَى ؛ لأنّه أَضَرَّ بأَخَرَة » .

(*) سبق التعريف بالكتاب ومؤلفه ص ٢٦٣ . وهذا النص فى (٢ : ٢٩٦) .

(١) نسب الوطواط فى غرر الخصائص ص ١٦١ هذين البيتين التاليين إلى أبى العيناء .

(٢) رواية الغرر : «بفقدى لكم» . (٣) فى الغرر : « والله مافى الأنام حر » .

(٤) ماكسين : بليدة على نهر الخابور من أعمال الجزيرة . وقد قدم مكى إلى بغداد وقرأ على أبى محمد ابن الخشاب ، وعلى أبى البركات ابن الأنبارى ، وقرأ عليه أهل الموصل . وكان من أحفظ الناس للقرآن ، ناقلا للسبع . وفى البغية ٣٩٧ : «مكى بن زيان» بالزاى . توفى بالموصل سنة ٦٠٣ .

طبقات الشافعيـــة (*)

لابن السـبكى (**)

٧٢٧ — ٧٧١

قال فى ترجمة إبراهيم بن علىّ بن يوسف الفيروزابادى (١) :

قال : أنشدنا الإمام أبو إسحاق الشّيرازى ببغداد، ولم يسمّ قائلا :

صَبَرْتُ على بعضِ الأذى خوفَ كُلِّه ... وألزمْتُ نفسى صَبْرَها فاستقرّتِ

... ...

تبـارك رَزّاق البريّـــةِ كُلِّهـا ... على ما أرادَ لا على ما استحقّتِ

فكم عاقـلٍ لا يستبيتُ (٢) وجاهـل ... ترقّتْ بـــه أحـــوالُه وتَعَلّتِ

قلت : قوله : « تبارك رزّاق البريّة» ... البيتين، أصدقُ من قول أبى العلاء المعرّى (٣) :

كَم عاقـلٍ عاقلٍ أعيَتْ مذاهبُـه ... وجاهـلٍ جاهلٍ تَلقـاهُ مرزوقَا

هـذا الذى تركَ الأوهامَ حائرةً ... وصَـيّرَ العـالمَ النّحـريرَ زِنديقَا

(*) طبقات الشافعية : كتاب فى تراجم الشافعية . وللمؤلف ثلاث طبقات : كبرى، ووسطى، وصغرى . وهذه المطبوعة هى الكبرى . وقد طبعت فى المطبعة الحسينية سنة ١٣٢٤ .

(**) هو قاضى القضاة عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى . قرأ على المزى، ولازم الذهبى، ومهر فى الحديث والفقه . وانتهت إليه رياسة القضاء بالشام، وحصل له بسبب ذلك محنة، وعزل أكثر من مرة. انظر الدرر الكامنة (٢ : ٤٢٥ — ٤٢٨) .

(١) انظر طبقات الشافعية (٣ : ٩٧) .

(٢) فى اللسان : «فلان لايستبيت ليلة أى ليس له بيت ليلة من القوت» . و بيت ليلة، بكسر الباء : قوت ليلة . وفى الأصل : «يستنيب» .

(٣) البيتان ينسبان إلى ابن الراوندى، كما فى معاهد التنصيص ص ٧١ .

فَقَبَّحَه الله ! ما أجْرَأه على الله عزّ وجلّ ! وقـد أحسن الذى قال نَقْضًا عليه :

كم عاقـلٍ عاقلٍ أعيَتْ مذاهبُـه ... وجاهـلٍ جاهـلٍ شـبعانَ ريّانَا

هذا الذى زادَ أهلَ الكُفر لاسَلِمُوا ... كُفرًا و زاد أُولِى[1] الإيمـان إيمـانَا

وقال فى ترجمة أبى حيّان التوحيدى[2] :

" وقال أبو الفرج بن الجوزىّ فى تاريخه :

زنادقة الإسـلام ثلاثة : ابن الراوندىّ، وأبوحيّان التوحيدىّ ، وأبو العلاء.

قال : وأشدُّهم على الإسلام أبو حيّان، لأنه مجمج[3] ولم يُصَرِّحْ " .

---

(١) فى الأصل : « أهل » .

(٢) انظر طبقات الشافعية (٤ : ٣) .

(٣) مجمج : لم يبين، ومثله جمجم، وغمغم .

المقـــدّمـــة (*)

لابن خلدون (**)

٧٣٢ — ٨٠٨

(١) قال ابن خلدون فى مقدّمة تاريخه، من (فصل فى صناعة الشعر ووجه تعلُّمه) صفحة ٦٢٠ :

وقولنا : "الجارى على الأساليب المخصوصة به" فصْلٌ له عمّا لم يَجْرِ منه على أساليب الشّعر المعروفة؛ فإنّه حينئـذ لا يكون شـعرا، إنّما هو كلام منظوم؛ لأنّ الشّعر له أساليب تخصّـه لا تكون للمنثـور، وكذا للمنثور أساليبُ لا تكون للشّعر. فما كان من الكلام منظومًا وليس على تلك الأساليب، فلا يسمّى شعرا.

وبهذا الاعتبار كان الكثيرُ ممّن لقيناه من شيوخنا فى هـذه الصناعة الأدبية، يَرَون أنّ نظم المتنبّى و(المعرّى) ليس من الشعر فى شىء؛ لأنّهما لم يجريا على أساليب العرب فيـــه.

(٢) وذكر مثـل هذا القـول مرة أخرى فى صـفحتى ٦٢١، ٦٢٢ من المخطوطة نفسها، فقال :

(*) هى مقدّمة تاريخه الكبير المعروف « بكتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر، فى أيام العـرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوى السـلطان الأكبر ». والنص من النسخة المخطوطـة المحفوظة بالمكتبة الزكية برقم ١٦.

(**) هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، المعروف بابن خلدون، الحضرمى الإشبيلى المالكى. برع فى الأدب والكتابة، وكانت له مغامرات سياسية مع ملوك المغرب، وولى قضاء المالكية بمصر مرارا. ولد بتونس وتوفى بالقاهرة، ودفن بمقابر الصوفيـة خارج باب النصر. انظر الضوء اللامع (٤ : ١٤٥) وشذرات الذهب.

"وليجتنب أيضا المعقّد من التراكيب جُهدَه، وإنّما يقصِد منها ما كانت معانيه تسابق ألفاظَه إلى الفهـم . وكذلك كثرةَ المعانى فى البيت الواحد ؛ فإنّ فيـه نوعَ تعقيدٍ على الفهم . وإنمـا المختار منه ما كانت ألفاظُه طَبَقًا على معانيه، أو أوفى منها . فإن كانت المعانى كثيرة كان حشوًا، واشتغل الذِّهن بالغَوْص عليها، فمنع الذَّوقَ عن استيفاء مُدرَكه من البـلاغة . ولا يكون الشـعر سهلا إلّا إذا كانت معانيه تسابق ألفاظه إلى الذهن .

وبهذا كان شيوخُنا، رحمهم الله، يعيبون شعر ابن خفاجة شاعر شرق الأندلس، لكثرة معانيه، وازدحامها فى البيت الواحد، كما كانوا يعيبون شعر المتنبّى (والمعرّى) بعدم النَّسج على الأساليب العربيّة كما مرّ، فكأنَّ شعرهما كلامٌ منظوم، نازلٌ عن طبقة الشعر . والحاكم فى ذلك هو الذوق" .

ثمـرات الأوراق(*)

لابن حِجَّـة(**)

٧٧٧ — ٨٣٧

قال فى ص ١٩ :

"نقل الحافظ اليعمرى" أن أبا نصر المنازى"، واسمه أحمد بن يوسف ، دخل على أبى العـلاء المعرّى"، فى جماعة من أهل الأدب ، فانشـدَ كلُّ واحدٍ منهم من شعره ما تيسَّر، فأنشده أبو نصر :(١)

وقانَا لَفْحَـةَ الرَّمضـاءِ وادٍ سـقاه مُضاعَفُ الغيثِ العَـميمِ
نزلْنَـا دَوْحَـهُ فحنـا علينـا حُنُـوَّ الوالداتِ عـلى الفَطيمِ
وأرشَـفَنَا عَـلَى ظـمإٍ زُلالًا ألذَّ من المُـدامة للنَّـديمِ
يصُـدّ الشّـمسَ أنّى واجهتنا فيحجبهـا ويأذن للنّسـيمِ
تَرُوع حصاهُ حاليـةَ العذارَى فتـلمِسُ جانبَ العِقْـدِ النَّظيمِ

(*) ثمرات الأوراق، فى المحاضرات . طبع مرارا . وقد اعتمدنا النسخة المطبوعة فى المطبعة الوهبية سنة ١٣٠٠ .

(**) هو أبو بكر تقى الدين بن على بن عبد الله، الحموى الحنفى، شاعر الشام، المعروف بابن حجة، بالكسر باسم الشهر، كما نص على ذلك السخاوى فى الضوء اللامع (١١ : ٥٣). ولد بحماة ونشأ بها، وعانى عمل الحرير وعقد الأزرار، ثم اشتغل فى العلم، وتقرب من أولى الأمر، فكان من خواص الأمير "شيخ" المحمودى بالقاهرة، وبعد وفاة المحمودى هجاه شعراء مصر؛ لأنه كان يزرى بهم، حتى اضطر إلى الخروج منها . وتوفى بحماة . وهو صاحب البديعية المشهورة التى شرحها فى كتابه : «خزانة الأدب» . انظر الضوء اللامع، وشذرات الذهب .

(١) ذكر المقرى فى نفـح الطيب (٢ : ٦٣٠) أن بعضهم نسب الأبيات إلى حمـدة بنت زياد الأندلسية . قال : « وممن جزم بذلك الرعينى، وقال : إن مؤرخى بلادنا نسبوها لحمدة من قبل أن يوجد المنازى » .

فقال أبو العلاء : «أنت أشعر من بالشام» . ثمَّ رحل أبو العلاء إلى بغداد، فدخل المنازى عليه فى جماعة من أهل الأدب ببغداد ، وأبو العلاء لا يعرف منهم أحدًا ، فأنشد كلُّ واحدٍ ما حضره من شعره، حتى جاءت نوبة المنازى فأنشد :

لقد عَرَض الحمامُ لنا بسَجْع إذا أصْغَى له رَكْبٌ تَلاحَى
شجا قلبَ الخَلىِّ فقيل غنّى وبَرَّح بالشَّجِىِّ فقيل ناحَا
وكم للشَّوق فى أحشاءِ صَبٍّ إذا اندَملَتْ أجَدّ لها جِراحَا
ضعيف الصَّبر عنك وإن تقاوَى وسكران الفؤادِ وإن تَصاحَى
بذاك بَنُو الهوَى سَكْرَى صُحاةٌ كأحداق المهَا مَرْضَى صِحَاحَا

فقال أبو العلاء : «ومن بالعراق» عطفا على قوله : «ومن بالشام»" اهـ .

وقال فى ص ٣٢ — ٤٣ :

ومن غرائب الطُّرف ماحكاه ابنُ خلِّكان فى تاريخه قال :

حدّثنى من أثق به أن شخصًا قال له : رأيتُ فى تأليف أبى العلاء المعرى ما صورتُه :

" أصلحك الله وأبقاك ! لقدْ كان من الواجب أنْ تأتينَا اليومَ إلى منزلنا الخالى، لكى يَحدُثَ لى أُنسك يا زينَ الأخلاّء، فما مِثلك مَنْ غيَّر عهدًا أو غفل ".

وسأله : من أىّ الأبُحر؟ وهل هو بيتٌ واحد أو أكثر؟ فإن كان أكثَرَ، فهل أبياتُه على روِىّ واحد أو مختلفة الروىّ؟ قال : فأفكّرَ فيه، ثم أجابه بجوابٍ حسن .

قال ابن خلكان : فقلت للقائل : اصبر حتى أنظر فيه ، ولا تقل ما قاله .

فأجاب القاضى شمس الدين بن خلِّكان ، بعد حسن النظر، بما أجاب به عنه الرجل .

وهــذه الكلمات تخرج من بحر الرجز، وتشتمل على أربعة أبيات فى روىّ اللام، وهى على صورةٍ يسوغ استعمالُها عند العروضيين. ومن لا يكون له بهذا الفنّ معرفةٌ ينكرها؛ لأجل قطع الموصول منها . ولا بدّ من الإتيان بهـا ، لتظهر صورة ذلك، وهى :

أصــلحَكَ الله وأبـ ـقـاك لقدْ كان من الْ
واجِبِ أنْ تأتينـا الـ ـيــوم إلى منزِلنـا الْ
خالِي لِـكى يحــدُثَ لِي أنسك يازين الأخِلْ
لاءِ فما مثلُك مَنْ غَــيَّر عهدًا أو غَفَلْ

النجوم الزاهرة (*)

لابن تَغْرِى بَرْدى

٨١٣ — ٨٧٤

وفيها (١) تُوفِّى محمد بن عتيق بن محمد التميمىّ القَيروانىّ ، قدِم الشّام مجتازاً إلى العراق ، وكان يُقرئ علم الكلام بالنِّظَامية ، وكان يحفظ كتابَ سيبوَيه .

وسمع يوماً قائلاً (٢) ينشد أبيات أبى العلاء المعرّىّ :

ضحِكْنا وكان الضَّحْكُ منا سَفاهةً وحُقّ لسُكّانِ البسيطةِ أن يَبْكُوا
وتحطِمُنا الأيّامُ حَتّى كأنّنا زُجاجٌ ولكن لا يعاد لنا سَبْكُ

فقال مجيباً :

كذبتَ وبيتِ الله حلْفةَ صادقٍ سَيسبكُنا بَعْدَ التَّوى (٣) من له المُلكُ
ونَرْجعُ أجساماً صحاحاً سليمةً تَعَارَفُ فى الفردَوس ما عندنا شَكُّ

(*) سبق التعريف بالكتاب ومؤلفه فى ص ٣٢٩ .

(١) أى فى سنة ٥١٢ .

(٢) انظر اللزوم (٢ : ١٤٣) .

(٣) التوى ، بالتاء المثناة : الهلاك . وفى الأصل : « النوى » بالنون ، محرف .

بُغْيــة الوعاة (*)

للسُّــيوطىّ

٨٤٩ — ٩١١

قال فى ص ٢٨٢ :

عبد الله بن سعيد بن مهدىّ الخَوَافِىّ، أبو منصور الكاتب . صنّف : "خلق الإنسان"(١) على حروف المعجم ، و "رجمة العفريت" ، ردَّ فيه على المعرّىّ .

وقال فى ص ٤٠٣ :

نصر بن صدقة القابسىّ، أبو عبد الله النحوىّ؛ كان يتعانَى الأدب، فقَـدِم مصر، وأخذ عن علمائها، ثم توجّه إلى المَعَرّة، فلازم أبا العلاء، وأخذ عنه ديوانه « سقط الزند »، وكتب منه نسخة جيدة، ورجع إلى مصر، فقدّمها للحاكم، فقرأ عليه، فأعجبه نظمُه، وأرسل إلى عزيز الدولة(٢)، الوالى بحلب أن يحمـله إلى مصر، فاعتذر، فكفّ عنه .

(*) سبق التعريف بالكتاب ومؤلفه فى ص ٣٣١ .

(١) فى الأصل : « الأسنان » .

(٢) يفهم من هذا، ومن تعقيب ابن العديم على رسالة أبى العلاء إلى الوزير الفلاحى، وهو قوله : « والوزير هو على بن جعفر بن فلاح، وزير الحاكم المستولى على مصر، وليس بأبى نصر صدقة بن يوسف الفـلاحى » — أن استدعاء أبى العـلاء إلى مصر كان فى زمن الحاكم بأمر الله ووزيره على بن جعفـر الفـلاحى، وأن الرسالة كتبها أبو العلاء إلى على بن جعفر الفـلاحى . وأما القول بأن الرسالة كتبها إلى الوزير صدقة بن يوسف الفلاحى، كما سبق فى نص مسالك الأبصار ص ٢٥٢ وكما فى رسائل أبى العـلاء ص ٥٩ مرجليوث، و ٩٢ بيروت، فالظاهر أنه خلاف الصواب؛ إذ أن صدقة بن يوسف الفلاحى، لم يل الوزارة إلا سنة ٤٣٦، فى عهد المستنصر، كما فى كتاب الإشارة لابن الصيرفى ص ٣٧؛ وذلك بعد وفاة الحاكم بخمس وعشرين سنة . ومما هو جدير بالذكر هنا أن عزيز الدولة المذكور فى رسالة أبى العلاء قتل سنة ٤١٣، كما ذكره ابن العديم فى الإنصاف والتحرى، عند كلامه على كتاب القائف لأبى العلاء .

النُّـــور السافـــر (*)

للعيـــدروسىّ (**)

٩٧٨ — ١٠٣٨

وحكى بعض الفقراء الصالحين قال : سمعت الشـيخ أبا السعادات الفاكهىّ رحمه الله يقول : لمـا سمع العلّامة القاضى ابن أبى عُقامة اليمنىّ قولَ المعرّى، قابله الله بعدله :

إذا ما ذكَرْنَا آدَمًا وفعـالَه ... وتزويجَـه بِنتَيه بأبنيـه فى الدُّنَا (١)

علِمْنا بأنَّ الخلقَ من أصل زِنْيـةٍ ... وأنّ جميعَ النّـاسِ من عُنصُرِ الزِّنَا

قال مجيباً له ورادًّا عليه :

لعمرُكَ إنّ القولَ فيـك لَصادقٌ ... وتكذِبُ فى الباقين مَنْ شَطَّ أو دَنا

كذلك إقرارُ الفـتى لازمٌ له ... وفى غيره لغْـوٌ بذا جاءَ شـرعُنا

قلت : وللمعرّى أيضًا :

يـــدٌ بخمسِ مئينٍ عَسْجدٍ وُدِيَتْ ... ما بالُهـا قُطِعَتْ فى رُبعِ دينـارِ

فقال الشريف الرَّضىُّ رادًّا عليه (٢) :

صـيانةُ النَّفس أغلَتْهَـا وأرخَصَها ... خيانةُ المـال فانظُرْ حكمةَ البارِى

(*) النور السافر عن أخبار القرن العاشر . ترجم فيه مؤلفه أعيان هـذا القرن ورتبهم على السنين . والنص فى ص ٤١٠ — ٤١٢ . من نسخة مطبوعة فى مطبعة الفرات ببغداد سنة ١٣٥٣ .

(**) هو محيي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبدالله بن شيخ بن عبدالله العيدروسى اليمنى الحضرموتى الهندى . كان من مشايخ الصوفية ، وله مؤلفات كثيرة . وتوفى بمدينة أحمدأباد ، وقبره بها مشهور معروف يزار . انظر خلاصة الأثر للمحبى (٢ : ٤٤٠ — ٤٤٢) .

(١) البيتان مما لم يرو فى الديوانين .

(٢) كذا . والمعروف أن البيت لعلم الدين السخاوى . انظر ص ٢٨٣ .

وله أيضًا، وهو ممّا يدلُّ على عدم إيمانه بالبعث والنشور، قبّحه الله :

ضحِكْنا وكانَ الضِّحكُ منا سفاهةً وحُقّ لسُكّانِ البَسيطةِ أن يَبْكُوا[1]
تُحطِّمُنا الأيّامُ حتّى كأنّنا زجاجٌ ولكن لا يُعاد له سَبكُ

ورد عليه الإمام محمد بن عتيق التميميّ[2] فقال :

كذبت و بيتِ الله حِلْفَةَ صادقٍ سيَسْبِكنا بعد الثّوى[3] من له الملكُ
ونرجع أجساماً صحاحاً سليمةً تعَارَفُ فى الفِردوس ماعندنا شَكُّ

وفى عجائب البلدان للقزوينى، قال : وذُكر أنّه فى آخر عمره تابَ عن أمثال هذه واستغفر، وحسن إسلامه .

قال المجد الفيروزابادى صاحب القاموس، فى كتابه "البلغة فى تاريخ أئمة اللغة": والناس فيه فرقتان، فمنهم من يكفّره و يزعم أنّه كان زنديقا، ومنهم من هو بضدّ ذلك . وفى ظاهر أشعاره زندقةٌ كثيرة . على أن فى شعره ما يدلُّ على التوحيد الصريح، والاعتقاد الصحيح، كقوله :

خُلقَ النّاسُ للبقاءِ فضَلّتْ أمّةٌ يحسبونهم للنّفادِ
إنّما يُنقَلُون من دار أعما لٍ إلى دارِ شِقْوةٍ أو رَشادِ

وذُكر عنه أنه أملى المُحكَم والمخصَّص من صدره .

وفى عجائب البلدان : أنه كان له سريرٌ يجلس عليه ، فجعلوا فى غيبته تحت قوائمه أربعة دراهم، تحت كلّ قائمة درهما ، فقال : إنّ الأرض قد ارتفعت عن مكانها شيئا يسيرا، أو السماءَ نزلت .

---

(١) انظر اللزوم (٢ : ١٤٣) .

(٢) انظر ماسبق قريبا فى نص النجوم الزاهرة .

(٣) فى الأصل : « الثوى » بالمثلثة، صوابه بالمثناة الفوقية .

قال : ومن العجب أنّه مع ذكائه اختفت عليه الموجودات التى ليست مجسمة كالجواهر الروحانية ، فآعتقد أنّ كلّ موجود يكون مجسّما . قلت : ولا عجب ؛ لأنّ الهداية والضّلال ليسا إلّا بتوفيق الله وهدايته، أو خذلانه وعدم رعايته، وأنّ غير العاقل قد يُلهَم كثيرًا ممّا يُحرَمه العاقل. قال الله تعالى: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ . من يهد الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادى له .

ولعَمرى إنّ العقول التى لم تستضئْ بنور الشرع هى عقول أضَلّها باريها ، وقضى عليها بالشّقاء قاضيها. رزقنا الله تعالى متابعةَ النبي صلى الله عليه وسلم، وتعظيم شريعته، وجعلنا من خيار أُمّته، وأنصار ملّته، بمنّه وكرمه . آمين .

نفـح الطيب (*)
للمقـرى (**)

١٠٤١ — ٠٠٠

قال فى (١ : ١١٧) :

والحكاية هى ماحكاه أبوالحسن بن سعيد، فى الطالع السعيد، إذ قال حكاية عن أبيـه فيما أظن : قدم المذكور — يعنى المخزومى — على غرناطة أيام ولاية أبى بكر بن سعيد، ونزل قريبا منى، وكنت أسمع به أنّه نارٌ صاعقة، يرسلها الله على من يشاء من عبـاده ، ثم رأيت أن أبدأه بالتأنيس والإحسان ، فاستدعيته بهذه الأبيات :

يا ثانيًا للمعـرّى فى حسن نظـمٍ ونثرِ
وفرط ظَرْفٍ ونُبْلٍ وغوص فهم وفكرِ
صِلْ ثم واصِلْ حفيًّا بكل شُكر وبِرّ

(*) نفح الطيب ، من غصن الأندلس الرطيب . وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب : كتاب كبير فى الأدب الأندلسى والمغربى ، ترجم فيه مؤلفه لسان الدين ، ورتبه على قسمين : تكلم فى أوّلها على وصف جزيرة الأندلس وفتحها ، ومن رحل من رجالها إلى المشرق ، وبعض الوافدين عليها من المشرق ، وتغلب العدوّ على الجزيرة ؛ وفى الثانى منهما التعريف بلسان الدين وترجمتـه . فرغ من تأليفه فى القاهرة سنة ١٠٣٨ . وقد طبع الكتاب مرارا فى مصر وليدن .

والنصوص المقتبسة هنا من طبعة ليدن سنة ١٨٥٨ — ١٨٦١

(**) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى أبو العباس المقرى التلمسانى ، نزيل فاس ثم القاهرة ، كان آية باهرة فى علم الكلام والتفسير والحديث والمحاضرات ، وله مؤلفات كثيرة . والمقرى ، بفتح الميم وتشديد القاف وآخرها راء مهملة ، وقيل بفتح الميم وسكون القاف ، لغتان ، أشهرهما الأولى : هذه النسبة إلى قرية من قرى تلمسان . انظر خلاصة الأثر (١ : ٣٠٢ — ٣١١) .

وقال فى (٢ : ٧٧) :

ومنهم الوزير أبو الفضل محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد بن الليث بن سليمان بن الأسود بن سفيان التميمى الدارمى البغدادى ، سمع من أبى طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلّص وغيره .

وخرج من بغداد رسولا عن أمير المؤمنين القائم بأمر الله العباسى ، رضى الله عنه ، إلى صاحب إفريقية المعزّ بن باديس ؛ واجتمع مع أبى العلاء المعرّى بالمعرة ، وأنشده قصيدة لامية ، يمدح بها صاحب حلب ، فقبّل عينيه ، وقال : لله أنت من ناظم !

وقال فى (٢ : ٣٧٢) :

وصنع ابن عبد الغفور رسالة سماها بـ "السّاجعة" ، حذا بها حذو أبى العلاء المعرّى فى " الصاهل والشاجع " ، وبعث بها إليه ، يعرضها عليه ، فأقامت عنده أياما ، ثم استدعاها منه ، فصرفها إليه ، وكتب معها :

بِكْر زففتُها — أعزك الله — نحوك ، وهززت بمقدمها سناك وسَروك ؛ فلم ألفظها عن شبع ، ولا جهات ارتفاعها عما يُجتَلَى من نوعها ويُستَمَع ، ولكن لمّا أنسته من أُنسك بانتجاعها ، وحرصك على ارتجاعها ، دفعتُ فى صدر الوَاوع ، ونَزلتُ[1] بينها وبين مجاثمها بتلك الربوع ، حيث الأدبُ غضّ ، وماء البلاغة مُرْفَضّ . فاسْعَدْ — أعزك الله — بكّرتها ، وسَلْها عن أفانين مَعَرّتها ، بما تقطفه من ثمارك ، وتغرفه من بحارك ، وترتاح له ولإخوانه من نتائج أفكارك . وإنها لشِنْشِنة تُعرَف فيكم من أخزم ، وموهبة حزتموها وأحرزتم السَّبَق فيها منذ كم . انتهى .

(١) فى الأصل : « زكت » .

الصبح المنبى (*)

للبديعى (**)

١٠٧٣ — ٠٠٠٠

قال فى ص ٧ — ١٢ من الجزء الأول :

ومثله (١) فى قوة الحافظة ما حكاه الأمير أُسامة بن منقذ (٢)، عن أبى العلاء المعرّى قال : كان بأنطاكية خِزانة كتب ، وكان الخازن بها رجلا عَلَويًّا . فجلستُ يومًا عنده، فقال لى : قد خبأت خبيئة غريبةً ظريفة لم تَسمَعْ بمثلها فى تاريخ ، ولا فى كتاب منسوخ . قلت: وما هى؟ قال: صبىّ دون البلوغ ضرير يتردّد إلىّ ، وقد حفظته فى أيام قلائل عدّة كتب، وذلك أنّى أقرأ عليه الكرّاسة والكرّاستين مرةً واحدةً، فلا يستعيد إلّا ما شكَّ فيه ، ثم يتلو علىّ ما قد سمعه كأنّه كان محفوظًا له . قلت : فلعلّه قد يكون محفوظًا له . قال : سبحان الله ! كلُّ كتاب فى الدنيا يكون محفوظا له ! ولئن كان ذلك كذلك فهو أعظم . ثم حضر المشار إليه، وهو صبىّ دميم الخلقة، مجدّر الوجه، على عينيه [بياض من أثر الجدرى، كأنه ينظر بإحدى عينيه] (٣) قليلا ، وهو يتوقّد ذكاء، يقوده رجل طويلٌ من الرّجال أحسبه يقرُب من نسبه.

(*) الصبح المنبى، عن حيثية المتنبى : جعله مؤلفه تبيانا لمكانة المتنبى فى الشعراء ، وساق فيه غررا من أخباره . والنص من النسخة المطبوعة على هامش شرح العكبرى لديوان المتنبى . وقد طبعت فى المطبعة الشرفية ١٣٠٨ .

(**) هو يوسف المعروف باليديعى الدمشقى . خرج من دمشق إلى حلب ، و بها تألق نجمه . وطارت شهرته فى الفضل والأدب . ثم ولى قضاء الموصل . وتوفى ببلاد الروم . انظر خلاصة الأثر (٤ : ٥١٠ — ٥١١) .

(١) أى مثل المتنبى .

(٢) انظر الإنصاف والتحرّى .

(٣) التكملة من الإنصاف .

فقال له الخازن : ياولدى، هذا السّيّد رجلٌ كبير القدر، وقد وصفتُك عنده، وهو يحب أن تحفظ اليوم ما يختاره لك . فقال : سمعا له وطاعة، فيختار[1] ما يريد .

قال ابن منقذ : فاخترتُ شيئًا وقرأته على الصبيّ، وهو يموج ويستزيد، فإذا مرّ بشيء يحتاج إلى تقريره فى خاطره يقول : أعِدْ هذا، فأردّده عليه مرّةً أخرى، حتّى انتهيت إلى ما يزيد على كرّاسة . ثمّ قلتُ له : يُقْنع هذا من قبل نفسى. قال : أجَلْ، حرسك الله! قلتَ كذا [وكذا]، وتلا علىّ ما أمليته عليه، وأنا أُعارضه بالكتاب حرفًا حرفا، حتّى انتهيت إلى حيث وقفت عليه؛ فكاد عقلى يذهب لِمَا رأيت منه، وعلمتُ أنْ ليس فى العالم من يقدر على ذلك إلّا إن شاء الله. وسألت عنه فقيل لى : هذا أبو العلاء المعرّى من بيت العلم والقضاء، والثروة والغنى .

وأعجبُ من هذه ما حكى بعضُ طلبته عنه قال : كان لأبى العلاء جار أعجمىٌّ. فاتفق أنّه غاب عن المعرة، فحضر رجلٌ يطلبه، قد قدم من بلده، فوجده غائبا، فلم يمكنْه المُقام . فأشار اليه أبو العلاء أن يذكر حاجتَه إليه، ففعل ذلك الرجلُ يتكلّم بالفارسيّة، وأبو العلاء يُصغى إليه، إلى أن فرغ من كلامه، ولم يكنْ أبو العلاء يعرف بالفارسية . ومضى الرّجلُ وقدم جارُه الغائب، وحضر عند أبى العلاء، فذكر له حالَ الرجل، وجعل يذكر له بالفارسيّة ما قال، والرجل يبكى ويستغيث ويلطم، إلى أن فرغ من حديثه . وسئل عن حاله، فأخبر أنّه أخبر بموت أبيه وإخوته وجماعةٍ من أهله .

ومثل هذه ما ذكره تلميذُه أبو زكريا التبريزىّ : أنّه كان قاعدا فى مجلسه بمعرة النعمان، بين يدى أبى العلاء المعرىّ، يقرأ شيئا من تصانيفه . قال : فأقمت عنده

(١) فى الإنصاف : « فليختر » .

سنين ولم أر أحدًا من أهل بلدى، فدخل المسجدَ بعضُ جيراننا للصَّلاة، فرأيتُه وعرفته وتغيّرت من الفرح، فقال لى أبو العلاء : أى شىء أصابك؟ فحكيت له أنّى رأيت جارا لى، بعد أن لم ألقَ أحدًا من أهل بلدى سنين. فقال : قمْ فكلِّمْه، فقلت حتّى أُتمم السَّبَق، فقال : قم وأنا أنتظرك. فقمت وكلّمته بلسان الأذْرَبِيّة شيئا كثيرا، إلى أن سألت عن كل ما بدا لى. فلما رجعت ووقفت بين يديه قال لى : أى لسان هذا؟ قلت : هذا لسان أذْرَبيجان. فقال : ما عرفت اللسان ولا فهمته، غير أنى حفظتُ ما قلتما، ثم أعاد اللفظ بعينه، من غير أن ينقص منه أو يزيد. وهذا من أعجب العجائب، لأنه حفظ مالم يفهمه.

وحَكَى عنه أيضا بعضُ أصحابه أنّ جاراً له سمّاناً كان بينه وبين رجلٍ من أهل المعرّة معاملة؛ فجاء ذلك الرّجلُ وحاسبَه برقاعٍ يستدعى فيها مايأخُذه منها عند حاجته إليه. وكان أبو العلاء فى غرفةٍ يسمع محاسبتهما. قال : فسمع أبو العلاء السّمّان المذكور بعد مدّة يتأوّه ويتململ. فسأل عن حاله، فقال : كنتُ حاسبتُ فلاناً برقاعٍ كانت له عندى، وقد عدِمتُها، ولا يحضرنى حسابه. فقال : ما عليك من بأس! أنا أُملى عليك حسابَه، وجعل يُملى معاملته رقعةً برقعة، والسّمّان يكتبها، إلى أن فرغ وقام. فما مضت إلّا أيّام يسيرة ووجد السّمانُ الرقاع، فقابل بها ما أملاه عليه أبو العلاء، فطابق إملاؤه الرّقاع.

وقال فى ص ٣٢ من الجزء الأوّل :

وعلى ذكر قرآن المتنبّى[1]، نذكر ما قيل أنّ أبا العلاء المعرّى عارض القرآن [بكتاب]، وعنونه "بالفصول والغايات، فى محاذاة السُّور والآيات". فقيل له :

(١) أورد البديعى فقرا من هذا القرآن المنسوب إلى المتنبى، قبل هذا الكلام.

(٢) فى الأصل : « مجازاة ».

ما هذا إلّا جيّد، إلا أنّه ليس عليه طلاوة القرآن . فقال : حتّى تصقله الألسن في المحاريب أربعمائة سنة، وعند ذلك انظُروا كيف يكون .

قال الباخَرزيُّ : "أحمد بن سليمان المعرّى، ضرير، ما له في أنواع الأدب ضريب؛ ومكفوف، في قميص الفضل ملفوف؛ ومحجوب، خصمه الألد محجوج؛ وقد طال في ظلال الإسلام آناؤه، ولكن ربّما يرشح[1] بالإلحاد إناؤه؛ وعندنا خبر بصره، والله أعلم ببصيرته، والمطّلع على سريرته .

وإنّما تحدّثت الألسُن بإساءته لكتابه الذى زعموا أنّه عارض به القرآن، وعنونه بما تقدّم، وأظهر من نفسه [تلك الخيانة، وجذّ][2] تلك الهوسات، كما يجُذّ العَير الصِّيانَة، حتّى قال القاضى أبو جعفر البَحّائىّ :

كلبٌ عوى بمعرّة النُّعمان لما خلا عن ربقة الإيمان

أمعرّةَ النُّعمان ما أنجبت إذْ أخرجت منك معرّة العُميان".

وممّا ظهَر من قرآن أبى العلاء :

"أُقسمُ بخالِق الخَيل، والرِّيح الهابّة بليل، بين الشَّرَط ومطلع سُهيل، إنّ الكافر لطويل الويل، وإن العمر لمكفوف الذَّيل .

اتَّقِ مدارجَ السَّيل، وطالع التَّوبةَ من قُبيل، تنجُ وما إخالُك بناج[3]" .

قال ابن سنان : وهذا الكتابُ إذا تأمّله العاقل علِم أنّه بعيدٌ عن المعارضة، وهو بمعزل عن التشبيه بنظم القرآن العزيز والمناقضة . وقد وضعه على حروف المعجم، ففى كلّ حرفٍ فصولٌ وغايات. فالغاية مثل قوله : "بناج"، والفصل ما يتقدّم الغاية؛ فيذكر فصلًا يتضمّن التمجيد والمواعظ، ويختمه بالغاية على حروف المعجم، مثل "تاج، وراج، حاج"، كالمخمسات والموشّحات .

(١) في الأصل : «يترشح» . (٢) في الأصل : «تجد» . (٣) انظر ما سبق ص ٩٨ .

التَّبَرِّي مِنْ مَعَرَّةِ المَعَرِّي

لِلسُّيُوطِي

التبرِّى، من مَعَرَّة المعرّى (*)

للسُّـــيُوطى

٨٤٩—٩١١

بِسْـــــمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمـد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبـه أجمعين

قال سيدنا ومولانا العبد الفقير إلى الله تعالى ، الشيخ الإمام العالم المحقق المفتى ، صدر المدرسين ، لسان المتكلمين ، حجة المناظرين ، قامع المبتـدعين ، حافظ العصر ، خادم سنة سيد المرسلين ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطى الشافعىّ ، فسح الله فى أجله ، ورحم سلفه ومشايخه وجميع المسلمين .

ذكر أسماء الكلب : الكلب معروف ، والأنثى كلبة ؛ وجمعه أكلب ، وكلاب وكليب ، وأكالب ، وكلابات ؛ وجمعها كلبات (١) .

دخل يوما أبو العلاء المعرّىّ على الشريف المرتضى ، فعثر برجل ، فقال الرجل : مَن هذا الكلب؟ فقال أبو العلاء : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسما .

قلت : وقد تتبّعت كتب اللغـة ، فحصّلتها ونظمتهـا فى أرجوزة ، وسمّيتهـا "التبرّى ، من معرّة المعرّى" . وهى هذه (٢) :

(*) التبرى من معرّة المعرّى : أرجوزة ذكر فيها السيوطى أسماء الكلب ، وذكر فى أولها ما حمله على تأليفها . وقد اعتمدنا فى إخراج هذا الكتاب على نسختين مخطوطتين بدار الكتب المصرية : إحداهما فى مجموعة برقم ١٦٥٧ أدب ، وقد رمزنا إليها بحرف (ا) وهى نسخة جيدة ، كتب عليها : « اعلم أيها الواقف على هذه المنظومة ، أنها نقلت من خط مؤلفها ، ثم وجدنا نسخة بخط تلميذه العلامة الداوودى المالكى مضبوطة ، فضبطت هذه المنظومة بجميع ما ضبطه هو بخطه ، فصحت . والسلام . فادع لكاتبه ببلوغه دار السلام . الفقير أحمد السجاعى الشافعى » .

والأخرى فى مجموعة برقم ٣٢ معارف عامة ، وقد رمزنا إليها بالحرف (ب) وهى نسـخة سقيمة . وتقع الرسالة فى نهاية كل من المجموعتين .

(١) فى اللسان : « الكلبة أنثى الكلاب ، وجمعهما كلبات ولا تكسر . وفى المصباح : « وجمع الكلبة كلاب أيضا وكلبات بفتحها » .

(٢) هذا التحميد والكلام بعده إلى هنا ، لم يرد فى صلب (ا) بل ورد ما بعد كلمة : « المسلمين » إلى هنا بصورة تعليق فى صفحة العنوان منها ، مقتبسا من كلام للسيوطى فى كتابه : « ديوان الحيوان » ، الذى اختصر فيه : « حياة الحيوان للدميرى » .

لله حمدٌ دائمُ الوَلِىِّ ثمّ صلاتُه على النبىِّ (١)

قد نقل الثِّقاتُ عن أبى العَلَا لمّا أتى للمرتضَى ودخَلَا

قال له شخصٌ به قد عَثَرا مَنْ ذلك الكلبُ الذى ما أبْصَرا (٢)

فقال فى جوابه قولاً جَلِى مُعَبِّرًا لذلك المجهَّلِ

الكلبُ مَنْ لم يدْرِ من أسمائه سبعين، مُومِيًا إلى عَلائه

وقد تتبَّعتُ دواوين اللُّغَهْ لَعَلِّنى أجمع مِنْ ذا مَبْلَغَهْ

فجئت منها عددًا كثيرَا وأرتجى فيما بقِى تَيسيرا

وقد نظمتُ ذاك فى هذا الرَّجَزْ ليستفيدَها الذى عنها عَجَزْ

فسمِّه — هُدِيتَ — بالتبرِّى يا صاحِ من معرّة المعرّى

مِنْ ذلك الباقع ثم الوازعُ (٤) (٣) والكلب والأبقع ثم الزارعُ (٦) (٥)

---

(١) الولى : أصله الإمطار بعد الإمطار . والمراد هنا الدوام والتتابع . وهذا البيت ساقط من ب .

(٢) فى ب : « من ذا » ولا يستقيم به الوزن .

(٣) البقع فى الطير والكلاب ، بمنزلة البلق فى الدواب . وقالوا فى قول الأخطل :

كلوا الضب وابن العير والباقع الذى يبيت يعس الليل بين المقابر

الباقع : الضبع ، وقيل الغراب ، وقيل كلب أبقع . انظر اللسان .

(٤) وازع وابن وازع ، كلاهما : الكلب ؛ لأنه يزع الذئب عن الغنم ، أى يكفه . انظر اللسان والمخصص (٨ : ٨٠) .

(٥) الأبقع من البقع ، وهو بياض فى صدر الكلب الأسود ، هى البقعة ، وكلب أبقع ، والجمع بقعان . انظر المخصص (٨ : ٨٠) .

(٦) زارع وابن زارع جميعا : الكلب . ويقال أيضا ابن ذارع ، بالذال المعجمة . انظر اللسان والمخصص .

والخَيْطَلُ[1] السُّخَام[2] ثم الأَسَـدُ والعُـرْبُج[3] العجـوز[4] ثم الأعقـدُ[5]
والأعنـق[6] الدِّرباس[7] والعَمَلَّـس[8] والقُطْرُب[9] الفُـرْنى[10] ثم الفَلْحَسُ[11]

(١) الخيطل ، كصيقل : الكلب والسنور ، كالخنطل . وهذه الكلمة الأخيرة مما يستدرك به على السيوطى . وفى ب : « الحيطل » بالحاء المهملة ، تحريف .

(٢) كذا فى أ ومثله فى رواية المعلقات ، أى بالخاء المعجمة . وعند الجوهرى : «سحام» بالحاء المهملة ، واستشهد فيه بقول لبيد :

فتقصدت منها كساب فضرجت بدم وغودر فى المكر سحامها

انظر اللسان والصحاح والمخصص (٨ : ٨٣) والدميرى . ووهم صاحب القاموس الجوهرى وقال : إنه بالمعجمة . وفى ب : « المسحام » تحريف .

(٣) العربج ، بضم العين وسكون الراء وضم الباء وآخره جيم : كلب الصيد . انظر اللسان (عربج) والدميرى ، وعزاه إلى المداخل لغلام ثعلب . وفى القاموس أنه الكلب الضخم . وفى أ : «العرنج» وفى ب : « القربح » تحريف .

(٤) العجوز : الأرنب ، والأسد ، والبقر ، والثور ، والذئب ، والذئبة ، والرخم ، والرمكة ، والضبع ، وعانة الوحش ، والعقرب ، والفرس ، والكلب . قاله الدميرى . ولم يعرض له صاحبا اللسان والقاموس .

(٥) الأعقد : الكلب ، سمى بذلك لالتواء ذنبه .

(٦) الأعنـق : الكلب فى عنقه بياض ، كذا فى القاموس والمخصص . وفى ب : « الأعبق » بالباء ، محرف .

(٧) الدرباس ، بالكسر : الأسـد والكلب العقور . ومما يستدرك به : « درواس » وهو علم من أعلام الكلاب ، والكبير الرأس من الكلاب .

(٨) العملس ، بفتح العين والميم وتشـديد اللام المفتوحة : الذئب الخبيث والكلب الخبيث ، كما فى اللسان والدميرى . وقال صاحب القاموس : « الذئب الخبيث وكلب الصيد » .

(٩) القطرب ، بضم القاف والراء بينهما طاء مهملة ساكنة : دويبة يزعمون أن ليس لها قرار البتة ، والذكر من السعالى ، والصغير من الكلاب . انظر المخصص (٨ : ٨١) .

(١٠) الفرنى ، بضم الفاء ، كالمنسوب إلى الفرن : وهو الرجل الغليظ ، والكلب الضخم . وفى ب : « الفربى » .

(١١) الفلحس ، كجعفـر : الدب المسن والكلب ، كما فى اللسان . وعنـد الدميرى : الدب والكلب المسن .

والثَّغِم[1] الطَّلْقُ[2] مع العوَّاءِ بالمدِّ والقصر على استِواءِ
وعُدَّ من أسمائه البَصيرُ[3] وفيه لغزٌ قاله خبيرُ[4]
والعُربُ قد سمَّوهُ قِدْمًا فى النَّفيرْ داعى الضمير ثم هانئ الضميرْ[5]
وهكذا سمَّوه داعىَ الكرمْ[6] مشيِّد الذِّكر متمِّم النِّعمْ[7]
وثَمْثَمٌ[8] وكالب وهِبْلَعُ[9][10] ومنذِرٌ[11] وهَجْرَعٌ وهِجْرَعُ[12]
ثم كُسَيْبٌ[13] عَلَمُ المذكَّرِ منه من الهمزة واللام عَرِى

---

(١) الثغم ، بفتح الثاء وكسر الغين المعجمة : الضارى من الكلاب .

(٢) الطلق ، بالفتح : كلب الصيد ، كما فى القاموس . ولم يذكره صاحب اللسان .

(٣) سمى بذلك لأنه من أحد العيون بصرا . وبه فسر ابن سيده قول توبة بن الحمير :

وأشرف بالقوز اليفاع لعلنى أرى نار ليلى أو يرانى بصيرها

انظر اللسان (بصر) .

(٤) يشير إلى ما قاله ابن الحريرى فى المقامة الثانية والثلاثين (الطيبية) ، وهو : « قال : أيستباح ماء الضرير . قال : نعم ، ويجتنب ماء البصير » . وقد فسره ابن الحريرى بقوله : « الضرير : حرف الوادى . والبصير : الكلب » .

(٥) الضمير : الذى أضمرته البلاد إما بموت وإما بسفر . يراد به هنا الضيف الغريب . فكأن الكلب يدعو الضيف إلى القوم بنباحه . والهانئ : المطعم ، من هأه : أطعمه . فهو حيث دل الضيف على موضع القرى فكأنه أطعمه .

(٦) فى ب : « فهكذا حمرة » محرف .

(٧) فى ب : « سيد الذكر مهم النعم » تحريف .

(٨) ثمثم ، كقمقم وثاءبن : كلب الصيد ، أو الكلب . وفى ب : « تمم » محرف .

(٩) كذا فى الأصلين . والمعروف أن « كالب » اسم لجماعة الكلاب ، كالجامل والباقر للجمال والبقر . ولعلها : « كاسب » . والكواسب : الجوارح . ومن كنى الذئب : « أبو كاسب » كما فى القاموس .

(١٠) الهبلع ، كدرهم وثانيه باء موحدة : الكلب السلوقى ، وقيل اسم كلب . فى أ : « هيلع » ، وفى ب : « فيلع » محرفان .

(١١) منذر ، من الإنذار . ولم نجد هذا الاسم فى المعاجم . وفى ب : « مندر » بالدال المهملة ، تحريف .

(١٢) كجعفر ودرهم : الكلب السلوقى الخفيف . وفى ب : « وأهوع » ولم نجد لها وجها .

(١٣) كسيب ، بهيئة التصغير كزبير : علم لذكور الكلاب . وفى ب : « كسبت » محرف .

والقَـلَطى[1] والسَّلُوقِ[2] نِسْـبَهْ كذلك الصِّينِي[3] بذاك أشْـبَهْ[4]

والمُسْـتَطِيرُ هـائِجُ الكِلابِ[5] كذا رواه صاحبُ العُبَـابِ

والدِّرصُ[6] والجـرو[7] مثلّث الفـا لولد الكلب أسـامٍ تُفَى

والسِّـمْع[8] فيما قاله الصُّـولِيُّ[9] وهـو أبو خالـدٍ[10] المكنيُّ

---

(١) القلطى، بفتحتين : القصـير جدا من الناس والسنانير والكلاب . ومثله القلاط، كغراب، والقليط، بكسر القاف واللام . قال ابن منظور : « وأرى الأخيرة سوادية » .

(٢) السـلوق، بفتح السين : الكلب منسوب إلى سـلوق، قرية باليمن، وقيـل مدينة اللان، وفى ب : « السكوتى » محرف » .

(٣) الصينى، بصيغة المنسوب إلى الصين : من الكلاب القصيرة القوائم، كالقلطى . انظر الدميرى فى رسم (كلب) والحيوان للجاحظ (٢ : ١٧٩) . وهو الكلب « الزئى » بكسر الزاى وسكون الهمزة . قال ابن منظور فى مادة (زأن) : « كلب زئى بالهمز قصير . ولا تقل صينى » . وانظر المخصص (٨ : ٨١) . وفى الأصلين : « كذا النصيبى » . ولم نجد هذه النسبة فى الكلاب .

(٤) فى ب : « قسته » تحريف .

(٥) المستطير : الهائج من الكلاب ومن الإبل . وفى ب : « والمسيطر هالج » .

(٦) الدرص، بالفتح ويكسر : ولد الفأر واليربوع والقنفذ والأرنب والهرة والكلبة ونحوها .

(٧) الجرو، مثلث الجيم : ولد الكلب والأسد، وصغير كل شىء .

(٨) السمع، بالكسر : ولد الذئب من الضـبع . وإطلاقه على الكلب لم تنص عليـه المعاجم . وقد أسنده السيوطى هنا إلى الصولى .

(٩) ب : « المولى » .

(١٠) أبو خالد : كنية الكلب، وكنية البحر؛ وفى الحديث : « أن موسى عليه الصـلاة والسلام ضرب البحر بعصاه فلم ينفلق، فأوحى الله عزوجل إليه : كَنِّهِ . فقال موسى عليه السلام : انفرق أباخالد، وضربه بالعصا فانفرق » . وأبو خالد أيضا كنية قرد كان لزبيدة . انظر ما يعول عليه للجبى . ولم يذكر صاحبا اللسان والقاموس هذه الكنية .

ونقلوا الزُّهْدُونَ[1] للكلاب ... وكلبةٌ قيل لها كَساب[2]
مثلُ قَطام علما مَبْنِيًّا ... وكَسْبةٌ[3] كذاك نقلًا رُوِيا[4]
وخُذْ لَهَا العَوْلَقَ[5] والمُعاوِيه[6] ... ولَعْوة[7] وكُنْ لذاكَ راوِيه
وولد الكلب من الذِّيبَة سمْ ... عُسْبورةٌ[8] وإنْ تُزِلْها[9] لم تُلَمْ
وألحقوا بذلك الخَيْهَفَى[10] ... وإن تمدَّ فهو جاء سَمْعَا

(١) الزهدون ، وزان عصفور : طائر ، والكذاب . وانظر المخصص (٨ : ١٦٦) . ولم تنص المعاجم على تسمية الكلب به . وفى ب : « الزاهدون » محرف .

(٢) ب : « والكلب قيل له كساب » . وإنما « كساب » علم للأنثى من الكلاب .

(٣) كسبة ، بالفتح : من أسماء إناث الكلاب .

(٤) الضمير لكساب وكسبة . وفى الأصلين : « ربا » محرف .

(٥) العولق : الكلبة الحريصة . قال الطرماح :

عولق الحرص إذا أبثرت ... ساورت فيه سؤور المسام

انظر ديوانه ص ١٠٦ واللسان مادة (علق) .

(٦) المعاوية : الكلبة المستحرمة تعوى إلى الكلاب إذا صرفت وبعوين .

(٧) اللعوة ، بالفتح : الكلبة الحريصة التى تقاتل على ما يؤكل . وقيل اللعوة واللعاة الكلبة ، من غير أن يخصوا بها الشرهة الحريصة .

(٨) العسبور والعسبورة ، بضم العين فيهما : ولد الكلب من الذئبة . وأما العسبار والعسبارة ، بالكسر : فولد الضبع من الذئب . وفى ب : « عسورة » .

(٩) ب : « تزلها » تحريف .

(١٠) الخيهفى ، بفتح الخاء والهاء والعين ، مقصورة وتمد : ولد الكلب من الذئبة . وحكى الأزهرى عن أبى تراب قال : سمعت أعرابيا من بنى تميم يكنى أبا الخيهفى ، وسألته عن تفسير كنيته فقال : إذا وقع الذئب على الكلبة جاءت بالسمع ، وإذا وقع الكلب على الذئبة جاءت بالخيهفى . وحكى ابن برى فى أماليه قال : قال ابن خالويه : أبو الخيهفى كنية رجل أعرابى يقال له حنزاب بن الأقرع . فقيل له لم تكنيت بهذا ؟ فقال : الخيهفى دابة يخرج بين النمر والضبع ، يكون باليمن ، أغضف الأذنين ، غائر العينين ، مشرف الحاجبين ، أعصل الأنياب ، ضخم البراثن ، يفترس الأباعر . انظر اللسان (٩ : ٤٣٥) . وجعله المحبى فى كتاب ما يعول عليه : « الخيهقى » بالياء الموحدة وبالقاف . وفى أ : « الخيهقى » بالياء التحتية المثناة والقاف . وأثبتنا ما فى اللسان والقاموس . وفى ب : « الجيهفى » وجاء أيضا فى معجم المرزبانى ص ٥١٢ : « أبو الخيهفى » فى عداد الشعراء الذين عرفوا بكناهم . كلاهما محرف .

وولدُ الكلبة من ذيب سُمِى (١) أوْ ثعلبٍ فيما رَوَوْا بالدِّيْسَمِ

ثم كلاب الماء بالهَراكِلَهْ (٢) تُدْعَى وقِسْ فردًا على ما شاكلهْ

كذاك كلبُ الماء يُدْعَى القُنْدُسَا (٣) فيما له آبن دَحيةٍ قد ائتسى

وكلبة الماءِ هِىَ القُضَاعَهْ (٤) جميع ذاك أثبتوا سماعَه

وعدَّدوا من جِنْسه ابن آوَى (٥) ومِنْ سُمَاه دَأَلٌ (٦) قد ساوى

ودُئِلٌ ودُؤَل (٧) والذُّأْلانْ (٨) وافتح وضُمَّ مُعْجمًا للذَّألانْ

---

(١) الديسم ، بالفتح . وجاء البيت فى ب محرفا على الوجه التالى :

وولد الكلب من ذيب سمى وثعلب فيما رووا بالرسيم

(٢) الهراكلة : ضخام السمك ، أو كلاب الماء ، أو جماله ، والضخام الأعجاز من دواب البحر . وفى ب : « بالهمراكلة » محرف .

(٣) القندس : كلب الماء . وهو مما عربه المتأخرون . انظر شفاء الغليل . وفى ب : « القيدما » . وانظر الإشارة إلى ابن دحية فى الدميرى وتاج العروس .

(٤) القضاعة : بالضم .

(٥) اسم الشى ، بالكسر والضم ، وسمه وسماه مثلثتين ، لغات فيه .

(٦) كذا وردت فى أ مضبوطة بفتحتين . والذى فى القاموس : « الدأل » بالفتح . وفسره بأنه ابن آوى والذئب ودويبة كابن عرس . ولم يذكر صاحب اللسان هذا الاسم . ووردت فى ب : « الوأل » بالواو ، محرفة .

(٧) الدئل ، بضم فكسر ، والدؤل ، بضم ففتح ، وبضمتين : ابن آوى .

(٨) ورد البيت فى ب محرفا هكذا :

ووبل ودولل والدالان وافتح وضم معجما للدلان

كذلك العِلَّوْصُ[1] ثم النَّوفَلُ[2] واللَّعْوَصُ[3] السرحوب[4] فيما نقلوا
والوَعْ[5] والعِلَّوشُ[6] ثم الوَعْوَعُ[7] والشَّغْبَرُ[8] الوأواء[9] فيها يُسْمَعُ
هذا الذى من كتبٍ جمعتُهُ وما بدا من بَعْدِ ذا ألحقتُهُ[10]
والحمدُ لله هنا تمامُ ثُمَّ على نبيِّهِ السَّلامُ

(١) العلوص ، بكسر العين وتشديد اللام المفتوحة وآخره ضاد معجمة : ابن آوى بلغة حمير ، كما فى اللسان . وفى ب : « العلوص » بالصاد المهملة ، محرّف ؛ إذ أن الأخيرة بمعنى الذئب ، كما فى اللسان .

(٢) النوفل ، بكوهر : البحر ، والعطية ، وبعض أولاد السباع ، وذكر الضباع ، وابن آوى .

(٣) اللعوص ، بكرول وآخره ضاد معجمة : ابن آوى ، وهى لغة يمانية . وفى ب : «اللعوص» بالمهملة ، محرّف .

(٤) السرحوب ، بالضم : ابن آوى ، كما فى القاموس . ولم يذكره صاحب اللسان . وفى ب : « السرجوب » بالجيم ، تحريف .

(٥) الوع ، بواو مفتوحة وعين مهملة مشددة : ابن آوى والثعلب . ولم يذكره صاحب اللسان . وفى ب : « الوغ » بالمعجمة محرف .

(٦) العلوش ، بكسر العين وتشديد اللام المفتوحة وآخره شين معجمة : ابن آوى والذئب . وقال صاحب اللسان : « العلوش الذئب ، حميرية ، وقيل ابن آوى . قال الخليل : ليس فى كلام العرب شين بعد لام . ولكن كلها قبل اللام » .

(٧) الوعوع : ابن آوى .

(٨) الشغبر ، بجعفر : ابن آوى .

(٩) فى القاموس : « الوأواء : صياح ابن آوى » فى باب الهمزة فصل الواو . وفى اللسان فى باب الياء ، فصل الهمزة : « الواوا : صياح العلوص ، وهو ابن آوى ، إذا جاع » .

(١٠) بعد هذا البيت فى أ : « انتهى ما نظمه الإمام السيوطى من أسماء الكلب ، والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبى بعده » . وبجوار هذه العبارة عبارة للناسخ ، وهى : «من خطه نقلت . وكان الفراغ ثانى ليلة من رجب الفرد سنة ١١٧٨ » . وفى ب : « تمت ولله الحمد والمنة ، ونسأله دخول الجنة لنا ولوالدينا ومشايخنا وأهلينا ، ولجميع المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا » .

أبو العلاء في الأدب المغربي

أبو العلاء المعرّىّ فى الأدب المغربىّ (*)

ما جاء عن أبى العلاء المعرّىّ فى كتاب « إحكام صنعة الكلام » تأليف محمد آبن عبد الغفور الكلاعىّ (١)، مخطوطة محفوظة بمكتبة حسن عبد الوهاب الصّمادحى، بمدينة تونس . والمخطوطة تخرج فى ١٥٦ صفحة، بخط مغربى .

أوّله : الحمد لله الذى إذا أراد أمرًا انفرج بابُه، واتّفقت أسبابه . والصّلاة والسلام على محمد خِيرته، وعلى الأبرار عترته، وسَلَّمَ تسليما .

حضرتُ — أبقاك الله للعلم تنظِم جواهرَه، وللفهم تُطلِع أزاهرَه — مجلسًا بينى وبين من رفَعتُه عن الذِّكر، لأنّا نعلمه بالضمير والفكر؛ وسمعتُ إنكاره علىّ، وتزييفَه ما كنت تحسبه من الإحسان لدىّ، وما كان إنكاره مرّة ولا مرّتين ولكن مِراراً .

(*) جمع هذا الباب ورتّبه حضرة صاحب السعادة الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب باشا وزير القلم بالدولة التونسية ، وعضو مجمع فؤاد الأوّل للغة العربية . وقد تفضل بإهدائه للجنة ، مع طائفة من مراجع البحث التى استق منها نصوصه . ولسعادته فى هذا الباب بعض تحقيقات، أشرنا إليها فى مواضعها مقرونة باسمه الجليل "حسن" .

(١) المؤلف هو أبو القاسم محمد بن عبد الغفور بن محمد بن عبد الغفور الكلاعى ، أحد وزراء الأندلس على عهد ملوك الطوائف بها . قال ابن الأبار فى التعريف به : « من أهل غرب الأندلس، أخذ الآداب عن أبيه أبى محمد، والعربية عن ابن أبى العافية، وتفقه بأبى القاسم الزنجانى، وصحب أبا الحسن بن بسام وطبقته من الأدباء ، وحدّث فى بعض تواليفه عن أبى بكر بن العربى بواسطة، وقد جرت بينهما مخاطبات . وكان من جلة الكتاب، وأبوه عبد الغفور وجدّه أبو القاسم كذلك . وألف كتاب " الانتصار "، وله رسالة " إحكام صنعة الكلام " فى سفر ، ورسالة " الساجعة والغريب " وغير ذلك، مع تصرّفه فى النكلم، والآداب كانت بضاعته، رحمه الله » . (التكملة ج ١ : ١٨٧ ط مجريط) .

كما ترجمه الفتح بن خاقان فى « قلائد العقيان » ، وأورد شيئا من نظمه ، وقد وقع فيه ، لتحاسد قديم بينهما . (قلائد العقيان ص ١٦٧ من ط مصر ١٣٢٠) .

وكان المؤلف يعيش أواسط القرن السادس للهجرة (منتصف الثانى عشر للميلاد) — ولم يترجمه المقرى فى نفح الطيب . (حسن) .

(فصل) : جمعنى و إيّاه — أدام الله عَلياه — مجلسٌ واحد، فأخذنا فى ضروب الفصاحة ، وجُلنا فى طرق البلاغة . فقال لى : ما أنت إلّا كاتب ، ولكنّك اتخذت الغريب ديدنا، واعتقدته دِينا ؛ حتّى إنّك فى صدور رسائلك خارجٌ عن الطّريق، غيرُ آخذٍ مع الفريق، فلو أردتَ[المستعمل](1) لألفيتَ عِنانه قصيرا، وطلقَه ضَنْكا، ومركبه صعبا . فقلت له : إنّ القادر — أدام الله عزّك — على الغريب، يقدر على المستعمل، وهذا يعضُده القياس ... ...

ص ٣ — ٨ (فصل) : وجمعنى و إيّاه — أدام الله عَلْياه — مجلسٌ ثانٍ، فرتَعْنا فى رياض الآداب، وهَصَرنا أغصانَ الألباب . فقال : إنّك تكتب الإخوانيّات، ولكنّك لا تنفذ فى السُّلطانيات . فقلت له : اختبر إن شئت . فقال : إنه توفِّى بحضرتنا طفل ... الخ .

... ... ثمّ حملنى — أعزّك الله — ما جرى فى هذا المجلس من الكَلام ، وما وجدت له فى نفسى من الكِلام، على تأليف كتاب على مثال "السَّجع السلطانى" لأبى العلاء المعرى، استفتاحه :

بحكم البيان رَجح القلمُ القناة وإنْ كانت أطولَ باعا، وفضَلت السَّاجعة[غيرها](2) وربّما أبصرت أجملَ قناعا؛ ولكنْ وجدنا من الفضل للسِّان، مالا [يستطيع](3) قَدْرَه كلُّ إنسان . والحمد لله الذى رزَقنى منه ما إنْ لم أتَّشِ به(4)، فإنّى أتميّز به من الأمَةِ الوكعاء، وإن لم أجْرِ به فى حَلْبة الضُّمّر الأعوجيّة، فإنى أسبق به فى جملة الأهليّة. ولا عَتب فى هذا المقدار، من الافتخار؛ فلو استُهجِن مسمار السُّنبك لزعم أنّه قُطّ من

---

(١) التكملة مما يقتضيه السياق . (٢) بمثل هذه الكلمة تستقيم العبارة .

(٣) موضع هذه الكلمة بياض فى الأصل . (٤) الانشاء : افتعال من الوشى ، وهو التحسين .

وفى الأصل : «أتشبه» . ولعل الوجه فيما أثبتنا . كما أنه يبدو أن تمام السجعة : «بين الأدباء» ليزاوج مابعده .

سِنان، ولو استُوجِن[1] ماء السِّكَك لأقسَمَ أنّه سقط من عِنان[2]؛ بل لو ازدُرِى سَمِىُّ الدّياجير، لانْحَلَّ سَنَى القمرِ المنير. ما كلُّ الانقباض، يصحّ عليه الاعتراض، ولا كل السُّكون، يصلح إليه الرُّكون. ولكن لا حرج، فإنما هو سعد واحد[3]، أما الجَدُّ[4] فيقلب النَّغْبة لُحَّاً، وأما الحقُّ فيترك السِّنانَ زُجّاً[5]. وقد قَرَعْت من السجع السلطانى ما أُبهم دُونِى — فيما زَعَم — رِتاجُه، وسُلِب من فوْدَىّ — فيما ذكر — تاجُه، لا لأحقّ دعوى لمآرب أخرى. وقبل الرَّمْىِ تُملأ الكنائن، وكُلُّ ما قدِّر فهو لامحالة كائن. وبالله التوفيق.

(فصل) وجمعنى وإيّاه — أدام الله عَلياه — مجلسٌ ثالث، فأخذنا فى ذكر الشُّعراء العلماء، حتّى جاء ذكر أبى العلاء، فتذاكرنا ما له من التواليف، البديعة التصنيف، التى اغترفها من بحره، واعتمد فيها على فكرِه، فذكر أنّه لا يُضاهَى فيها ولا يجارى، ولا يُعارَض فى واحدٍ منها ولا يبارَى. فسوّلت لى نفسى مناهضتَه، وزَيَّنَتْ[6] لى نفسى مضاهاتَه ومعارضتَه. وقديماً عهدتُها — أعزّك الله — نفساً أبيّة، تكلّفنى نيلَ العظائم، وتجشّمنى مطاردة الأمانىّ بين السُّهَا والنَّعائم، فعارضْتُه فى رسالة "الصاهل والشاجح" برسالةٍ عرّفتها برسالة "الساجعة والغربيب". أوّلها:

"أُهدِى إلى حضرة الأمير الأجلّ أبى زكرياء سر الدُّنيا، وفخر العَلْيا، تحيّةً لا تعادِل إيماءه وإنْ طالَ طَلَقُها، ولا تشاكل إماءَه وإن طابَ عَبَقها، لكنها

---

(١) استوجن: أراد عد آجنا. والآجن: الماء المتغير.

(٢) العنان، بالفتح: السحاب. (٣) كذا بالأصل.

(٤) الجد، بالفتح: الحظ. النغبة، بالفتح والضم: مقدار حسوة الطائر من الماء.

(٥) فى الأصل: «اللسان» والسياق يقتضى ما أثبتنا. ويريد أن الحق يحيل حجة الخصم إلى ضعف كما يستحيل السنان، وهو رأس الرمح، إلى الزج، وهو سافلته. (٦) كذا وردت مع سبق نظيرتها.

إن سجح فى مَيدان التّحيّات إرقالُها ، فقد رَجَح فى مِيزان(١) المودّات مثقالها . والمدار — أيّده الله — على قُطب النيّة ، لا على اتساع الرّوِيّة ، وعلى أُسّ الوِداد ، لا على نِقْس المداد " .

ولمّا أكملت هـذه الرسالة جفاءت من رسالة الصّاهل والشاجح ، بمنزلة النّغبة من البحر المائج ، لم تقدُرنى نفسى ، ولا رضِى يومى فيها عن أمسى ، حتّى عارضته فى كتاب " سقط الزند " بكتاب سميته بـ" شمرة الأدب " . أوله :

أما بعد التبرُّك باسم الله العظيم ، والتيّامن(٢) بالصلاة على رسوله محمد الكريم ، فإنّ البلاغة تنقسم قسمين : منظومًا ومنثورا . والترجيح بينهما يمّ قد خاض فيه الخائضون ، وميدانٌ(٣) قد ركض فيه الرّاكضون . ورأيى ... قد يرى من الوزن والقافية ، بحلّة سابغة ضافية ، صار بها أبدع مطالع ، وأصنع مقاطع ، وأبهر مياسم ، وأنور مباسم . وقد كنتُ(٤) مولعًا بترصيفه وتصنيفه ، مائلا فى تقريطه وتَشْنيفه ، إلى مرتبة كنت أعدُّها أعلى المراتب ، ومنقبة كنتُ أعتقدها أسنَى المناقب ، إلى أن رَفضْتُه رَفْضَ الشُّعلةِ للزِّناد ، ونفضْتُه نفضَ القادم الغانم جافَّ الزّاد ، فنزعت مَنْزَعًا كريما من علم الدِّيانة ، واقتصرت من قِسمَيِ البلاغة على قسم الكتابة ، لأنّها أنجح عاملا ، وأرجَحُ حاملا ، وأكرم طالبًا ، وأسلم جانبا . وأنا ذاكر — إن شاء الله تعالى — من هذين الفنّين ما يُعلَم به أنى ما تركتُ الشّعر عجزاً عنه ، ولاتّخذْتُ النّثر بدلاً يأسا(٥) منه ، بحول الله .

---

(١) فى الأصل : «ميدان» وأظن الصواب : «ميزان» . هذا التعليق لسعادة المهدى . ورأينا الصواب فيما ظنه . (٢) كذا . وإنما هو : «التيمن» . وأما التيامن فهو أن يذهب ذات اليمين .

(٣) قال جامع هذا الباب : « بياض فى الأصل ، وصواب الجملة هكذا : ورأيى أن القريض قد تزين من الوزن والقافية » . (٤) القرط : المعلق فى شحمة الأذن . والشنف بالفتح : ما علق فى أعلى الأذن . (٥) رسمت فى الأصل : « يئسا » .

ولمّا ملت — أعزّك الله بالطّالع — إلى التّفقُّه فى الشّرع كرهتُ أن يخلق بُرْد الشّباب ، قبل أنْ أُطرِّره[1] بعَلَم المَتَاب ، فعمَدْت إلى خطبة الفصيح ، فعارضته الإصلاح[2] . وأولها :

"الشباب بحرٌ سَفِينُهُ التّقوى ، لا الفُسحة بالبَقْوى[3] ، فقد يُثمر الصّغر ، ما يجتنيه الكِبَر ، كالقتادة أولها خضرة نَضرة ، فاذا أخذت فى الجُفوف ، قابلتْكَ بالذَّعَ من السُّيوف . ولمّا غَمَرنى بضَوْجه[4] ، مُزْبِدُ مَوْجه ، وناديتُ بعض الأناسىّ ، فأسلمنى كالحوت المنسىّ ، تذكّرت قوله سبحانه : ﴿ فلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ . لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِ إلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ . فنزّهت كَلِمى عن تقريض[5] المخلوق ، وطيّبْته من تمجيد الخالق بِأَرَجِ خُلُوق ، وجعلته فى أوفى خَفارة ، ورجوتُه لِمَا درج كَفّارة .

فأنشأتُ هذه الخطبةَ مشتملةً على كتاب "المنخّل" وهو مجرّد "إصلاح المنطق" المُحيط بجميع فوائده ، دونَ تكراره وشواهده . وإنما خصصته لأشياء ، منها ما سأله مؤلفه فى صدره من التقييض ، والثانى ما شهدت به رسالة الإغريض ، والثالث تعرّيه من أبيات القريض ؛ لتكون هذه الخطبة تخُطب الجمهور ، عاريةً عن المكروه والمحجور . وهذا المسلك الذى دَحَونا[6] حصاه ، ونجَوْنا[7] أعْصاه ، لم تخْفَ شقّة ساحته ، ولا جهاتُ مشقّة مساحته . أسأل الله أن يجعل مقتضاه ، موجب عفوه ورضاه ، وألّا يجعلنا ممن يُضاهِى الجارية بِسواكِ سيره[8] ، ويرى السُّحُق أشاءً بأرض غيره[9] . وما توفيقى إلّا بالله ، عليه توكّلت وإليه أنيب .

---

(١) الطرة ، بالضم : علم الثوب . (٢) كذا فى الأصل . وانظر السطر ١٠ من هذه الصفحة .
(٣) البقوى ، بالفتح ويضم : البقاء . (٤) الضوج ، بالفتح : منعطف الوادى . (٥) التقريض : المدح والثناء كالتقريظ . (٦) فى اللسان «دحا المطر الحصى عن وجه الأرض دحوا نزعه» . والدحو أيضا : البسط . والمراد تمهيد السبيل . وفى الأصل : «عصاه» بالعين . (٧) النجو : الكشط . وفى الأصل : «لجونا» . (٨) السواك ، بالكسر : رداءة المشى والبطء فيه . ومثله التساوك .
(٩) السحق : جمع سحوق ، وهى النخلة الطويلة . والأشاء ، كسحاب : صغار النخل ، الواحدة أشاءة .

الحمد لله الذى بحكمته استأسدت أسد واستسلّت[1] سَلُول، وكلتا [هُمَا] تجرى بها إلى الناقبة[2] ذَلول . يا ذاول، ياذلول، إن ظَهْرَ [كِ لَمْلول][3]. ألأنفِك عِران[4]، أم لظهرك أُونان[5] ؟ هيهات مالك فَودان، ولا ظَهرٌ ولا يدان؛ لكن لكِ بقدرة الله اضطلاع، ما ملكتهُ رعَيْن وكَلاع[6]. يا أُمَّ دَفْرٍ أَوْنَ ثديكِ بَطْنى[7]، وما قلت حَسْبى ولا قَطْنِى. يا حارِ احفل بحفلك، لأخيك وطفلك، ولا يكنْ سحابك سيفا[8]، ولا معروفك هيفا، يعيى الطَّالبين . ليس الجَمال فى شعرٍ جَثْل[9]، لكنّه فى إطعامِ يوم مَحْل . ليس الحُسْن فى شعر وحْفٍ[10]، لكن فى بِدارٍ إلى الخيرات وزَحْف . رُبَّ مَعِرٍ زعِرٍ[11]، رفَق بمسكين معترّ[12]، فأعطاه الله فى الآخرة شَعَرًا أحجن[13] مِسكيًّا، طَيِّبَ العَرْف ذكيًّا،

---

(١) أسد وسلول : قبيلتان . وفى الأصل : «استكابت» وأثبتنا ما تقتضيه المقابلة . وفى الاشتقاق ١٧٦ : «وسلول فعول إما من السلة وهى السرقة، وإما من قولهم سللت الشىء من الشىء أسله سلا» .

(٢) الناقبة : الحلكة والنكبة .

(٣) ملول : يمل من راكبه . وموضع هذه الكلمة بياض فى الأصل . ولعل تمام العبارة فيما أثبتنا .

(٤) العران، بالكسر : خشبة توضع فى ترة أنف البعير، وهى ما بين المنخرين .

(٥) الأونان : مثنى أون، بالفتح، وهما العدلان على ظهر الدابة . وفى الأصل : «أوتان» بالتاء المثناة .

(٦) رعين، بهيئة التصغير، وكلاع، بالفتح : قبيلتان من قبائل حمير .

(٧) الذى فى المعاجم أن التأوين لازم؛ يقال أون الحمار إذا أكل وشرب وامتلأ بطنه وامتدت خاصرتاه .

(٨) الهيف، بالفتح : ريح حارة تأتى من نحو اليمن تكباء بين الجنوب والدبور، تيبس النبات وتعطش الحيوان، وتنشف المياه .

(٩) الجثل، بالفتح : الشعر الكثير الملتف .

(١٠) الوحف، بفتح الواو : الشعر الكثير الأسود، ويحزك .

(١١) المعر : الذى قل شعره . والزعر : الذى قل شعره وتفرّق .

(١٢) المعتر : الفقير، والمعترض للمعروف من غير أن يسأل .

(١٣) الأحجن : المسترسل الذى فى أطرافه شىء من تحجن، أى تكسر وتعوج . وفى الأصل : «أحص»، وإنما الأحص القليل المتفرق .

جلّ عن ربّات الخدور . يا جُفَينة[1] ما فعل حفناكَ : جفن العين ، وجفن خَبيئة[2] "القين" ؟ أعندكَ لها[3] خبر ، أو غَبَرا[4] فيما غبر؟ يَفْنَى كلُّ شَىّ ، ولا يبقى سِوى الواحِدِ الحَىّ .

قد ذكرتُ لك — أعزّك الله — مما جاريت[5] فيه أبا العلاء نُتَفا ، وناولتُك ممّا ضاهيته به طُرَفا . وكأنّى بالنّاظر فى هذه الرسالة يقول، إذا قرأ هذه الفصول : أىُّ فتى لو ميّز حدَّه ، فوقف عندَه ، وعرف قدر نفسه ، فلم يزد على همسه ، ورأى بونَ ما بين الأرض والسّماء[6] ، فلم يَتطاوَلْ إلى مناهضة أبى العلاء . وتالله إنّى لأعلَمُ قَدرى ، ومساحةَ صدرى ، ومِثقالَ فهمى ، وغَلوة سَهْمى ، وقصورى عن أقصَرِ إشاراته ، وعَجْزى عن أدنى عباراتِه ، ولكن نُوزِعْتُ الظّلّ فادّعيت الجدار ، وأُبعدت عن العُقْر فاقتعدت الدّار . وهيهات ! ما ناهضْتُه فى سقط الزّند ، إلّا بما لففت به رأسى حياءً من المجد . وما أنا فى مضاهاته فى رسالة الصاهل والشاجِ ، إلا كمَن ضاهى بالثُّغبة عُباب البحر المائج ، وما أنا فى معارضته فى خطبة الفصيح ، إلا كمَنْ عارضَ بالنَّفس هبوبَ الريح . فليجِفَّ قلمُ المعترِض ، وليخبْ سهمُ المتعقِّب المُمْرِض[7] ، إن شاء الله .

---

(١) جفينة ، هو الذى يضرب به المثل فيقال : « عند جفينة الخبر اليقين » ويروى : «حفينة» بالحاء المهملة ، ويروى : «جهينة» . وهو اسم حمار فى الجاهلية . انظر خبره فى كتب الأمثال واللسان (جفن) . وفى الأصل : « جفنة » محرّف .

(٢) خبيئة القين : لعله أراد مايخبأه الحدّاد من جياد السيوف .

(٣) فى الأصل : « لها » . (٤) فى الأصل : « فيمن » .

(٥) فى الأصل : « جريت » .

(٦) فى الأصل : «ما بين السماء والأرض» وأثبتنا ما يقتضيه السجع .

(٧) أمرض : قارب الإصابة فى رأيه ، أو صار مريضا . وفى الأصل : « سم المتعقب » .

من فصل فى الترجيح بين المنثور والمنظوم

ص ١٣ وما أعدَلَ قولَ أبى العلاء فى خطبة الفصيح : الشِّعر إذا جُعل مكسبا، لم يترك للشَّاعر حسبا ؛ وإن كان لغير مكسَب ، حسُن فى الصفات والنَّسب[(١)]، ما لم تُسَبَّ المحصَنة ، وتعد للعار المصنة[(٢)] ؛ فاتّقِ ربك . وإذا رأيتَ الشَّاعر فلا تقل : ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ﴾ فإنّ الآية وُصِلت بالاستثنا ، وجنَى السَّيئة شرّ الجَنَى[(٣)]. لا تجهلوا فضيلة الشعر؛ فإنّه يذكّر الناسى ، ويحلُّ عزمة الفاتك، ويعطف مودّة الكاشح ، ويشجّع الجبان .

وإنِّى أشْعَرُ بيتٍ أنتَ قائلُه بيتٌ يقال إذا أنشدْتَهُ صَدَقا[(٤)]

صَدَق أبو العلاء وأنصف ، إنّ جَنَى السيِّئة شرُّ الجَنَى[(٥)] كما وصف ؛ ما كذَب فى قوله ولا فَرَط ، لكن مَنْ لنا بما شَرَط ...

... ... وقد قال المعرّى[(٦)] :

والشَّىءُ لا يكثُر مُذاحُهُ إلّا إذا قِيسَ إلى ضِدِّهِ

هذا ممّا وهَم فيه أبو العلاء. وقد بيّنت ذلك فى كتابنا الموسوم بـ" الانتصار لأبى الطيّب[(٧)] " .

ص ٧٣ (فصل فى المرصَّع) : وسمّينا هذا النوع المرصَّع لأنّه رُصِّع بالأخبار والأمثال ، والأشعار ، وآيات القرآن ، وأحاديث النبى عليه السلام ،

---

(١) نسب بالمرأة نسبا ونسيبا ومنسبة : شبب بها فى الشعر . وفى الأصل : «النساب» محرف .
(٢) كذا وردت فى الأصل .
(٣) الجنى، بفتحتين : مايجنى من الشجر. وفى الأصل : «وصلت بالاستثناء، وجنى السيئة شر الجناء» .
(٤) البيت لحسان بن ثابت من قصيدة له فى ديوانه ص ٢٩٢ .
(٥) فى الأصل : « الجناء » تحريف . وانظر الحاشية رقم ٣ .
(٦) من قصيدة فى سقط الزند (٢ : ٢ — ١٠) .
(٧) فى الأصل : « المرسوم » بالراء .

إلى غير ذلك من النَّحو والعَروض، وجُلّ أبيات القريض. وممَّن ناز فى هذا الباب، بالمتخيَّر اللباب، أبو العلاء المعرّى. وكان — عفا الله عنه — شهابَ فَهْم، وعَلَم عِلْم؛ احتوى من المعارف على فنون. وأعرَسَ بأبكارٍ من العلوم وعُون؛ إن شئتَ الفقه فمما لديه[1]، أواللغة فموقوفة عليه، أوالأدب فمنسوب إليه، أو النَّحو فمن سيبويه؛ أو العروض فرحم الله ابن أحمد[2]، أو الفلسفة فلم يفُقْه فيها أحد؛ أو النَّظم والنثر فغَمْر سمائه؛ أو الحفظ والذِّكر فهما من أسمائه. إلّا أنّه — عفا الله عنه — أضاءَ حتَّى أظلم، وأعرَب حتَّى أعجم؛ وغاص فى بحر هذه الفنون، حتَّى تجاوز الدرّ إلى الحمأ المسنون؛ فحار فى أمره، وبرِم بذات صدْره، فلم يَحْلَ بطائلٍ من دينه، ولا انتفع بظنِّه ولا بيقينه. وكان قد رحل إلى العراق للقاء زُعمائها، والأخذ من علمائها؛ فغصَّت به أوديتُها، وضاقت عنه أنديتها؛ وكان شمسًا طمس أنوارَها، وسيلاً عفَّى آثارَها؛ فتظافَروا[3] على طلبه، وأعانهم بما كان يُشِيعه مِن سَيِّئ مذهبه؛ فرجع إلى المعرّة نخفِى عن العين، وتسمَّى "رهن المحبِسين"؛ وطفق يشير ولا يرمى، ويَكِفُّ ولا يَهْمِى. وشأن أبى العلاء عظيم، وحكم نَقَدة الكلام فيه أنّه لم يكُنْ فى صنعة النَّثر والنظم مثلُه لا قبله ولا بعده، إلّا ما كان من أبى الطيِّب فى الشِّعر وحده.

وقد أثبَتُّ فى هذا الفصل من كلامه:

(فصل من رسالة الإغريض): السَّلام عليك أيَّتُها الحِكَم المغربيّة، والألفاظُ العربيّة، أىُّ هواءٍ رقاكِ، وأىُّ غيثٍ سقاكِ؛ بَرْقُهُ كالإحريض[4]، [ووَدْقه مثل

---

(١) فى الأصل: «إن سنته الفقه ماويه».

(٢) يعنى الخليل بن أحمد. (حسن).

(٣) فى اللسان (٦ : ١٩٢): «وتظافر القوم وتظاهروا عليه بمعنى».

(٤) الإحريض، بالحاء المهملة: العصفر. وفى الأصل: «الإجريض» بالجيم، محرف.

الإغريض[(١)]؛ حللتِ الرَّبوة ، وجَلَلْتِ عن الهَبْوة . وأقول لك ما قال أخو نُمَيْر، لفتاة بنى عُمَيْر :

زكَاك صالحُ وخلاكِ ذمٌّ وصَبَّحكِ الأيامنُ والسُّعودُ

(فصل) فرَس الله سيِّدنَا حتَّى يُدغَم الطَّاء فى الهاء، فتلك حِراسة[(٢)] بغيرانتهاء؛ وذلك أنَّ هذين ضِدّان، وعلى التضادّ مُتباعِدان، رِخْو وشَديد، وهاوٍ وذو تصعيد؛ وهما فى الجهر والهمس، بمنزلة غد وأمس، [وجعل الله رتبتَه التى كالفاعل والمبتدا، نظير الفعل فى أنهـا لا تنخفض أبدا][(٣)]؛ فقد جعلنى[(٤)] إن حضَرت عُرِف شانى، و إن غبتُ لم يُجهَل مكانى، كيا فى النِداء، والمحذوف من الابتداء، إذا قلت زيد أقبلْ، والإبل الإبل ؛ بعـد ما كنتُ كهاء الوقف، إن أُغِيتْ فبواجب ، و إنْ ذكرت فغير لازب . [إنى و إن غدوتُ فى زمنٍ كثير الدَّد ، كهاء العدد ؛ لزمَتِ المذكّر ، فأتت بالمنكر؛ مع إلْف يرانى فى الأصل ، كألف الوصل ؛ يذكرنى بغير الثنـاء ، و يطّرحنى عند الاستغناء، وحال][(٥)] كالهمزة تبدل العَين ، وتُجعَل بين بين؛ وتكون تارةً حرفَ لِين، وتارةً مثلَ الصَّامت الرصين؛ فهى لا تثبُت على طريقة، ولا تُدرَك لها صورةٌ فى الحقيقة .

ص ٧٤ — ٧٥

(فصل) ووقفتُ على مختصر إصـلاح المنطق الذى كاد يسِمات الأبواب ، يُغنى عن سائر الكتاب ، فعجِبت كلَّ العجب من قلب البَحْر ، إلى قَلْت[(٦)] النحر ؛

---

(١) التكملة من الرسائل ص ١٤ مرجليوث ٣٥ بيروت .

(٢) فى الأصل : «حراسية» محرف . (٣) هذه التكملة الضرورية من الرسائل .

(٤) فى الأصل « جعلنى الله » ، و إنما الضمير للسيد . (٥) التكملة من الرسائل .

(٦) القلت ، فى اللسان : « كل نقرة فى أرض أو بدن » . وفى الأصل : « قلة » محرف .

وإجراء الفُرات ، فى مثل الأنحرات؛ دلّ على جوامع اللُّغة بالإيماء، كما دلّ المضمَر على ماطال من الأسماء؛ وناب فى كلام العرب الصَّميم ، مناب مرآة المنجّم فى علم التنجيم ؛ شخصُها ضئيلٌ ملموم ، وفيه القمرانِ والنُّجوم (١) .

وليس لإبداع أبى العلاء، غاية ولا انتهاء . وقد ذكرت فى هذه الرسالة ما لعلّها ستسعَد بفضيلته ، وتحظَى بمزيّته ، إن شاء الله .

ص ١٠٦ — ١٠٧ (من فصل فى الخطبة) : ومن أظرف الخُطب معنى ، وأعذبها منحًى ومبنى، " خطبة الفصيح " لأبى العلاء المعرّى، وهى خطبة شريفة تشتمل على عِلْم جَمّ وأدب ، تضمَّن لغات الفصيح لثعلب . أوّلها :

« الحمد لله الذى بفضله تَمَّى المال، وسَمَت الآمال، ما كان للصمد (٢) أرج يمى، وما كان لغيره قَمَنٌ يذمِى (٣) . ماذوى عُود شجرةٍ مؤمنة، وإنّما يذوى عُود المفتنة . وإنْ ظننتَ عُود المؤمن ذوَى، فإنّما ظنُّك رمى فأشْوى (٤) . إنّ شجرة الإيمان، لا تنقرض بُطول الزمان . وإذا غَوَى الرجل فوحدَه يَغْوِى، وإن آستغوى النَّفَر فذلك غوىٌّ مُغْوِى . والله عَرّفَ ميّتا وحيًّا، وعلَّم رُشدًا من البشَر وغَيًّا .

فمن يَلْقَ خيرًا يَحْمَدِ الناسُ أمرَهُ ومن يَغْوِ لا يَعْدَمْ على الغىّ لائمًا (٥)

وهذه الخطبة طويلة، وفيما ذُكر منها دليلٌ على كيفيّتها، وتنبيهٌ على فضيلتها ومزيّتها، إن شاء الله .

---

(١) تصرف الكلاعى هنا ببعض الاختصار . (٢) كذا فى الأصل .

(٣) القمن، بالتحريك : نتن الرائحة . يذمى، يقال ذمِسه ريحه : آذته . وفى الأصل : « يذمى » محرفة .

(٤) أشوى : رمى فأصاب الأطراف ولم يصب المقتل . وفى الأصل : « فاشتوى » محرف .

(٥) البيت للرقش الأصغر من قصيدة فى المفضليات (٢ : ٤٤ — ٤٦ طبع المعارف) .

ص ١١١ (من فصل المورَّى) — وسمَّينا هذا النوعَ من الكلام المورَّى ؛ لأنّ باطنه على غير ظاهره ... ...

وقد سلك أبو العلاء أيضًا هـذا المسلك ، وجرى فيـه مِلء عِنانه فأدرك ، فقال فى رسالة " الصَّاهل والشاحج" : العلم يدلّ على أن الحسَن[1] لم ير الحسين قطُّ ، وأن فاطمة — رضى الله عنها — لم تَرَ فِى بيتها عليًّا[2] ، وقد يجوز أن تكون أبصرته على باب البيت . وكان علىّ — رحمه الله — يرحم الأرملة ، و يبرّ اليتيم ، و يضرب بحدّ سيفه أمّ الصبيين[3] ، وقطع يد الفِيل[4] على السَّرَق ، وجَلَدَه على شُرب الخمر ، وكان يأمر بقتل الأعرج والأعيرج[5] وهما فى الحرم ، و يكره دخول الأعمى[6] المسجد ، وكان يُنصِف الخسيس[7] من أهل الأقدار[8] ، و يُوطِّئ الجليلَ فِى زمانه بالقدم .

---

(١) الحسن والحسين : كثيبان معروفان فى بلاد ضبة ؛ قال عبد الله بن عنمة فى الحسن :

لأم الأرض ويل ما أجنت بحيث أضر بالحسن السـبيل

وقال آخر فى الحسين :

تركنا بالنواصف من حسين نساء الحى يلقطن الجمانا

انظر ياقوت فى رسم (الحسنان) وجنى الجنتين ص ١٢٢ .

(٢) العلى : الفرس الشديد .

(٣) أم الصبيين : هامة الرأس . والصبيان : اللحيان وهما العظمان اللذان تنبت عليهما اللحية . انظر ما يعوّل عليه لنحي مخطوطة دار الكتب ، وكذا جنى الجنتين له ص ٦٩ .

(٤) الفيل بالكسر : الضعيف الرأى ، والثقيل الخسيس .

(٥) الأعرج : الغراب . والأعيرج : حية صماء لا تقبل الرقية وتطفر كالأفعى . وهما من الفواسق الخمسة التى أمر بقتلها : الغراب ، والحدأة ، والفأر ، والحية ، والكلب العقور .

(٦) الأعمى : الكافر . وفى الكتاب : «وما يستوى الأعمى والبصير» أى المؤمن والكافر .

(٧) كلمة « من » ليست بيانية . و إنما هى متعلقة بالفعل . والمراد أنه يأخذ للخسيس حقه من أهل الأقدار .

(٨) الجليل : نبت ، وهو الثمام ، والجليل أيضا : اسم جبل فى بلاد الشام .

وقد رميتُ أنا على فرضهم[1]، و رميت إلى غَرَضهم، فقلت فى رسالة "السَّاجعة والغريب": وكان بمصرنا فقيهٌ مالكىّ[2]، لا يرى أنْ يصلِّى على النبىّ ... ...

ص ١٢٤ (من فصل المقامات والحكايات):

ومن الحكايات المختلقة[3]، والأخبار المزوّرة[4] المنمَّقة، كتاب "كليلة ودمنة"، وكتاب "القائف" لأبى العلاء المعرّى[5]، وقد تكلموا فيه على ألسنة الحيوان وغير الحيوان[6].

فمن كلام أبى العلاء على لسان الحيوان الناطق قوله: «ومَنْ أجْرَى إلى غير مـدًى كان مَثَلُه مثل الشَّيخ الجاهِل، لمّا سمع قول القائل:

* أصبحَ عنّى الشَّباب قد حسرا[7] *

قال: ما أرى الشـباب إلّا قـد ظعَن مع الظَّاعنين، لأخرجنّ فى طلبه. فسار حتّى لقيه رجلٌ، فقال له: أعندك خَبَرٌ للشباب؟ فقال: شبابك أو شباب غيرك؟ قال: بل شبابى. قال: إنّه ذهب مع أمس، وأمس خَلْفَك، فارجِعْ وراءك وأَسرِعْ؛ فلعلَّك تُدركه. فرجَع الشَّيخُ يعدو وراءَه، فكلّما عدا ازداد من أمسِ الشَّبيبة بُعدا[8].

(فصل): «حضرتِ النملةَ الوفاة فاجتمع حواليها النمل، فقالت نادبتها[9]: يرحَمُك الله! أمِنْ شعيرةٍ مجرورة، وبُرّة مَمْطورة، وآثار سُـفْرة منشورة؟ قالت لهنّ:

(١) رمى وأرمى على الشىء: زاد عليه. والفرض: التقدير. (٢) النبى هنا: ما ارتفع من الأرض. قال صاحب اللسان: «ومنه الحديث: لاتصلوا على النبى، أى على الأرض المرتفعة المحدودبة».

(٣) فى الأصل: «المختلفة» بالفاء، و إنما هى بالقاف - بمعنى المكذوبة. (٤) المزورة: المحسنة، والتزوير: التحسين والإصلاح. وفى الأصل: «المدورة». (٥) كذا وردت العبارة.

(٦) فى الأصل: «ومنه غير الحيوان». بإقحام «من».

(٧) هذا صدر بيت للربيع بن ضبع الفزارى، من أبيات فى كتاب المعمرين ص ٦، وعجزه: «إن يأتنى فقد ثوى عصرا» وفى الأصل: «أصبح عنى الشباب منكرا».

(٨) فى الأصل: «عاد». (٩) فى الأصل: «ناديتها».

لا تَجْزَعَنْ(١)، فقد ذَخَرت عند الله ذَخيرةً من ذَخَر مِثلَها جديرٌ بالرحمة(٢)، وذلك أنّى لم أسفِكْ دمًا قطُّ » .

(فصل) : « زَعَموا أن وَصعا(٣) كان يجاوِرُ حيّةً رَقْشاء ، فكان ذلك الوصع(٤) إذا فرّخ سَرَت الحيّةُ لأكل فراخه فى الظلام، فى عامٍ بعد عام، والله يجازى على الحيف والإنعام، فقضى بتلك الحية أنّ كُفَّتْ فى آخر عمرها، فلزمت اليِجار، لا تَذْعَر(٥) النائى ولا الجار. فقال أحباؤه : ألا تأتى الظّالمةَ مُظهراً للشّمات(٦)! قال : لو كنتُ ، وهى المبصرة ، أقدِرُ على ضَير، لكنت إليها وشيكَ السّير؛ فأمّا إذْ كَفَتْنِيها الأقضية(٧) ، فإن عينى عنها مغضية » .

(فصل): عمِى أسد من عوامِّ الأُسْدِ، فأضرّ ذلك به. فقيل له : لو جئتَ ملِك الأُسْد فسألتَه أن يصلك ، لكان ذلك رأياً لك . فذهب إليه ، وسرد قصّته عليه ، فقال لخازنه يُجرِى له فى كلّ [يومٍ](٨) عضوا مُورَّباً(٩) . فقال الأسد الذى التمس الجراية : أصلح الله الملك! إنّى كنتُ أصطاد الوَعِلَ والبقرة الأهليّة(١٠) فلا أكاد أُدرك بها الشِّبع ، فأين منّى هذا العضوُ يقع ؟ فقال الملك : من اتّكل على كَسْب غيره ، وجب أن

---

(١) فى الأصل : « لا يجزعن » . (٢) ذخر ، بالدال المهملة ، مثل ذخر بالمعجمة .

(٣) الوصع ، بالفتح وبالتحريك : الصغير من العصافير ، وقيل هو طائر كالعصفور . وفى الأصل : «وضعا» بالضاد المعجمة ، محرف .

(٤) فى الأصل : «الوضع» .

(٥) النائى : البعيد . وفى الأصل : «النأى» .

(٦) فى الأصل : « مظهر للشمات » .

(٧) فى الأصل : « إذا كفيتنيها » محرف . (٨) تكلة يفتقر إليها القول .

(٩) فى اللسان : "يقال عضو مورب أى موفر" . والموفر : التام الكامل . انظر اللسان مادة (ورب).

(١٠) فى الأصل : "والبقر" .

يقتنِع بقليل خيرِه[1] . قال الأسد : صدق الملك ، ولا حاجة لى بهذا العضو . قال الملك : فما تصنع؟ قال : أجتزِى[2] بنَبت السَّحاب ، ولا أفتقر إلى الملك والأصحاب .

ولأبى العلاء المعرّى فى كتاب "القائف" إحسان مشهور ، و إبداع كثير موفور ، وهو أكثر من كتاب كليلة ودمنة وَرَقاً ، وأفسحُ طَلَقاً ، وأطيب شميماً وعَبَقا .

ص ١٣٨ — ١٣٩ (من فصل فى التأليف) :

ومن هذا الفن شرحُ معانى الأشعار . وقلّما يخلو قارع هذا الباب من متعقِّب[3] ؛ لأنّ كُلًّا يشرح البيتَ بما يميل إليه طبعه ، وتحتمله قريحته . ولهذه العلّة يعمِد الجلّة إلى شرح لغات أشعارها دون معانيها . ومنها ما يعتمد فيها المؤلّف على فكره ، ويغترِفه من بحره ، كمؤلّفات أبى العلاء ، التى تميز بها فى طبقات العلماء . فمن كتبه فى النثر كتاب " القائف " ، وكتاب " الصاهل والشاحج " ، وكتاب شرح فيه لغته سماه بـ " لسان الصاهل " ، وكتاب " الفصول والغايات فى تمجيد الله والمِظات " ، وكتاب " السجع السلطانى " ، وكتاب " خطبة الفصيح لثعلب " ، وكتابٌ شرحَ فيه لغته .

وله من الرسائل التى لها بال " رسالة الفلاحة[4] " ، و " رسالة الغفران " ، و " رسالة الجنّ " ، و " رسالة النِّكاح " ، و " رسالة الإغريض " ، و " رسالة المَنيح " .

وله من التواليف فى النظم كتاب " سَقْط الزَّند " . وله كتاب شرح فيه لغته وسمّاه بـ " ضوء السقط " . وهذه التسمية لطيفة شريفة ، و إنّما شرح اللغة وترك المعنى ،

(١) بالأصل : «غيره» وهو تحريف واضح .
(٢) فى الأصل : « اجتزيت » تحريف . (حسن) .
(٣) فى الأصل : « من متعقبا » .
(٤) كذا فى الأصل . وفى نص فهرسة ابن الخير : " الرسالة الفلاحية " .

للعلّة التى قدّمنا ذكرها . وله كتاب "لزوم ما لا يلزم" . وله كتاب "الاستغفار"، وكتاب "جامع الأوزان" .

ومّما لم يغترفه من بحره، ولا أعتمد فيه على نظمه ولا على نثره، كتاب "ذكرى حبيب" ، وكتاب فى شعر أبى الطيّب لم يبلُغنى ولا رأيته . إلى غير ذلك من التواليف التى لم تصل إلينا، ولا ورد ذكرها علينا .

ص ١٤٦ (من فصل فى المستجلَب) :

وكان أبو العلاء يلتزم فى أسجاعه مالا يلزم كثيرًا، ولكنّه كان لا يراعى الإعراب، ولإتقان الإعراب فى السّجع تأثير عظيم ... ...

ومّما يجب أن يُتَجَنَّبَ فى هذا الباب التّضمين ، وهو افتقار السّجع الأوّل إلى الثانى . وكان أبو العلاء على سعة صدره، وجلالة قدره، يأتى به فى نثره . والأحسن ما ذكرنا، إن شاء الله .

ص ١٥٤ (من فصل فى قوانين الكتابة وآدابها) :

ومّما يستحب للكاتب أن يكونَ كثير الاحتفاظ، من تكرير المعانى والألفاظ .

قال أبو العلاء : فتكرير الكلمة فى الكتاب مرّتين، كالجمع فى النكاح بين أختين، الأوّل حرام يذام[(١)]، والثانى بَسْلٌ[(٢)] حرام[(٣)] .

---

(١) كذا وردت هذه الكلمة ولعلها محرّفة عن كلمة بمعنى العيب .

(٢) يذام : يعاب ويذم . وفى الأصل : "يدام" بالمهملة .

(٣) بسل : حرام . وفى الأصل : "نسل" بالنون، تحريف .

معارضات المغاربة "لملق السبيل"

(ا) معارضة ذى الوزارتين محمد بن مسعود بن أبى الخصال الغافقى[1] الأندلسى، وزير يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين، لملق السبيل[2].

ومطلع المعارضه :

الإنسان مسىء[3]، يعجبهُ الأجل النَّسىء[4]، يُذنِب ولا يَفِىء[5]، ولا يبالى [إلّا][6] ما يفىء.

نظمـــه :

ويريد أن يُجزَى بإحـ ـسانٍ على النَّفس المسيئه
ويحبُّ تعجيـــلَ الثَّوا ب، وعقد توبتـه نسيئه[7]
ليســت تَـفِىءُ وهمُّهـا فى كلِّ غُنمٍ أن تفيئــه

وقد كتب الشَّيخ محمد محمود الشنقيطى فى فهرسته لما اختار من مخطوطات الأسكوريال، العبارة الآتية، عقب ما تقدّم : « ولعمرى إن معارضة أبى عبد الله آبن أبى الخصال لملق السبيل، إن لم تَفُقْه فليستْ بدونه ».

(ب) كما عارض حافظ الأندلس ومحدّثُها فى وقته، أبو الرَّبيع سليمان بن موسى ابن سالم الكَلاعىّ (المتوفَّى فى الجهاد أمام بلنسية سنة ٦٣٤) ملق السبيل، وسمَّى

(١) مولد ابن أبى الخصال سنة ٤٦٥ ووفاته بشقورة سنة ٥٤٠. (حسن).
(٢) هذه المعارضة موجودة بالمخطوط رقم ٥١٩ بمكتبة الأسكوريال. (حسن).
(٣) فى الأصل : «نسىء» ولا وجه له، وأثبتنا ما يقتضيه الشعر التالى.
(٤) النسىء : المؤخر.
(٥) يفىء : يرجع. والفعل من باب ضرب.
(٦) تكملة ضرورية. أى لا يهتم إلا بما يغتنمه ويحصل عليه. يقال فئت الغنيمة وأفأتها واستفأتها وأفاءها الله على.
(٧) فى الأصل : « وغفر » ولا وجه له.

معارضــته : "مفاوضة[1] القلب العليل ، ومنابذة الأمل الطويل، بطريقــة المعزى فى ملق السبيل" ــ أورد منها محمد العبدرى[2] القطعة الآتية : وهو ممّــا رواه بمدينة تونس عند حلوله بها سنة ٦٨٨ عن القاضى أحمد بن الغمّاز، تلميذ المؤلّف :

نظم حرف الكاف :

يا راكبًا فى نَيْــل لَذّاتِــه ... مَســالِكًا يَعْيَــا بهــا الــسالكُ
غرّتْكَ دُنْيَــا مُنْقَضٍ شأنُهــا ... وأنتَ لا بــدّ لهــا تاركُ
خــلّابةٌ سَــلّابةٌ للتُّهَى ... أصــدَقُ ما غَرّتْ به آفِكُ
ما أمكنَتْ من وَصلِهــا طالبًا ... إلّا انثَنَتْ وهى له قارِكُ
حَذارِ أن تُلفَى[3] غــدا باكيا ... مِن طُــول ما أنتَ بها ضــاحكُ
شــاقَك وجــهٌ فى الدّياجى [لها][4] ... أَسْــوَدُ فى عينِ الدجا حالكُ
مَلّكتَــهُ رِقّــكَ لم تَــدْرِ أنْ ... قــد خسِر المملوك والمالكُ

(ح) قطعة شعريّة من نظم أبى الحسن علىّ بن محمد بن أبى القاسم ابن رَزين التُّجيبىّ المُرْسىّ، المهاجرُ من الأندلس إلى تونس ، وبها توفّى ، ومولده بمُرسِــيَة سنة ٦٢٦، نقلها العبدَرىّ بروايته عن المؤلّف، وقد لقيه بمدينة تونس سنة ٦٨٩، وهى :

(١) فى الأصل : « مقاوضة » بالقاف، وأثبتنا ما فى نفح الطيب (٢ : ٧٦٦) .

(٢) محمــد بن محمد بن على بن أحمــد بن مسعود العبدرى الحاحى (نسبة إلى حاحة قبيله بالمغــرب الأقصى) خرج حاجا فى سنة ٦٨٨ فسلك بلاد المغرب فبــلاد الجزائر الآن فإفريقية التونسية فبرقة فمصر فالحجــاز ففلسطين، ثم عاد من طريقه برا إلى بلاده سنة ٦٩١ ــ وتقييد رحلته المعروف برحلة العبدرى مفيد جدا ــ منه نسخ كثيرة خطية بتونس فى جامع الزيتونة وفى مكتبتى الخصوصية . (حسن) .

(٣) فى الأصل : « تاق » بالقاف .

(٤) بمثل هذه الكلمة يستقيم الوزن .

نصيبُك مِن دُنيـاكَ أيسَرُ بُلغَـةٍ قليـلٌ لديهـا صحَّـة وفـراغُ
فـا بالُنـا نلهـو ونغترُّ بالمُنَى كأنْ ليسَ للأُخرى الغداةَ بلاغُ
وكيفَ وقد ولَّى الشَّباب ولاح الْـ ـمَشيبُ يرى (١) فى عارضيك صباغ
يُساغ لنـا سَعْيُ الحيـاةِ لغـايةٍ ولكنْ خلودُ المـرءِ ليس يُساغُ (٢)
فشمِّرْ وبادِرْ منك فضـلَ إنابةٍ لفادِى المنـايا ليس عنـه مَراغُ

قال العبدرىّ : « وقيَّـد لى — يعنى ابن رَزين المتقدّم — إجازته العـامّة فى رُقعةٍ قيّـد فى آخرها أبياتاً من نظمه عارض بها مثلَها ، ممـا سلسل فيـه القولَ والإسناد إلى أبى العلاء المعرّىّ ، وأنشدنيها من لفظه » ... وأورد الأبيات المتقدّمة. (ص ٣٠٧ من الرحلة — خط بمكتبتى) .

---

(١) فى الأصل : « يعود » .
(٢) فى الأصل : « مى » .

أبو العلاء في الأدب الفارسي

سفر نامه (*)

لناصرِ خسرو (**)

٣٩٤ — ٤٥٣

(النص الفارسى)

در آن (در معرّة النعمان) مردی بودکه ابو العلا معری میکفتند ، نابینا بود ورئیس شهر او بود ، نعمتی بسیار داشت و بندکان وکارکران فراوان ، وخود همه شهر او راچون بندکان بودند ، وخود طریق زهد پیش کرفته بود ، کلیمی پوشیده ، ودر خانه نشسته ، نیم من نان جوین راتبه کرده ، که جزآن هیچ نخورد . ومن این معنی شنیدم که در سرای باز نهاده است ونواب وملازمان أوکار شهر میسا زند مکر بکایات که رجوعی باو کنند ، ووی نعمت خویش از هیچ کس دریغ ندارد ، وخود صائم الدهر قائم اللیل باشد وبهیچ شغل دنیا مشغول نشود .

(*) سفرنامه : وصف فيه المؤلف رحلته إلى مكة ، وتكلم فيه على أحوال الممالك الإسلامية . والنص فى ص ١٠ — ١١ من طبع باريس ١٨٨١ .

(**) هو أبو معين ناصر بن خسرو بن حارث ، شاعر فارسى ولد سنة ٣٩٤ بمدينة قباذيان من أعمال بلخ ، ويلقبه المؤرخون بالعلوى ، يمنون أنه شيعى . وكان أبوه من ذوى اليسار ، فتعلم العلوم ، وكان أول أمره لاهيا ، ثم ترك اللهو إلى الجد ، وعزم على الرحلة إلى مكة ومصر وغيرهما ، وتكلم فى رحلته على أحوال الممالك الإسلامية التى زارها . وكان يعمل على نشر المذهب الشيعى فى بلاده ، ولكن السلاجقة اضطهدوه فترك بلخ إلى يوماجان ، وأخذ يعمل على نشر مذهبه . وله ديوان طبع فى طهران سنة ١٩٢٨ . وأهم كتبه "سفرنامه" . ومن المحتمل أنه وقع فى أيدى أهل السنة فحرفوا فيه . انظر دائرة المعارف الإسلامية (النسخة الإنجليزية) .

واین مرد در شعر وادب بدرجهٔ است که افاضـل شام ومغرب وعراق مقراندکه دراین عصر کسی به‌پایهٔ او نبوده است ونیست . وکتابی ساخته آنرا "الفصول والغایات" نام نهاده، وسخنها آورده است مرموز ، ومثلها بألفاظ فصیح وعجیب که مردم برآن واقف نمیشوند مگر بر بعضی اندك وآنکسی نیز که بروی خـواند، چنانکه اورا تهمت کردند که تو این کتاب را بمعارضهٔ قرآن کردهٔ !

وپیوسـته زیادت از دویست کس ازاطراف آمده باشند وپیش او ادب وشعر خوانند . وشنیدم که اورا زیادت از صد هزار بیت شعر باشد . کسی از وی پرسـید که ایزد تبارك وتعالی این همه مال ونعمت ترا داده است چه سبب است که مردم را میدهی وخویشتن نمیخوری؟ جواب داد که : مرا پیش ازاین نیست که میخورم . وچون من آنجا رسیدم این مرد هنوز در حیات بود .

(الترجمـــة العربيـــة)

كان فيها (أى فى معرة النعمان) رجل اسمه أبوالعلاء المعرّى ، أعمى ؛ وهو رئيسها ، وكان واسع الثراء ، وعنده كثيرمن العبيد والخدم ، وكأنّ أهل البلد كلّه خدم له . أما هو فقـد تزهّد ، فلبس الخشن ، واعتكف فى البيت ، وكان قوته نصفَ مَنٍّ من خبز الشعير ، لا يأكل غيره . وقد سمعت أنّ باب قصره مفتوح دائما ، وأنّ نوابه وملازميه يدبّرون أمر المدينـة ، ولا يرجعون إليه إلاّ فى الأمور الهائمة . وهو لا يمنع نعمته أحدا ، يصوم الدهر ويقوم الليل ، ولا يشغل نفسه مطلقًا بأمر دنيوىّ .

وقد سما فى الشّعر والأدب، حتى إنّ أفاضل الشّام والمغرب والعراق يقرّون بأنّه لم يكن فى عصره مَنْ يدانيه ولا يكون .

وقد وضع كتابا سماه "الفصول والغايات" ، ذكر به كلمات مرموزة وأمثالا ، فى لفظ فصيح عجيب ، بحيث لا يقف النّاس إلاّ على قليل منه ، و يفهمه من يقرؤه عليه . وقد اتّهموه بقولهم : «إنك وضعتَ هذا الكتاب معارضة للقرآن» .

ويجلس حوله دائمًا أكثر من مائتى رجل ، يحضرون إليه من الآفاق ، يقرءون عليه الأدب والشعر . وسمعت أنّ له أكثر من مائة ألف بيت شعر . سأله رجلٌ : «لم تعطى الناس ما أفاء الله تعالى عليك من وافر النعم ولا تقوت نفسك ؟» .

فأجاب : « إنى لا أملك أكثر مما آكل » . وكان هذا الرجل حيا وأنا هناك .

تذكرة الشعراء (*)

لدولت شاه (**)

(النص الفارسى)

ذكر ابو العلاء بن سليمان المعرّى

معرّه از جملهٔ بلاد شامست، در جوار حمص وابوالعلا از آنجاست، فضلی کامل و بلاغتی شامل داشته ، واورا در علم معانی و بیان تصانیف است ، واورا امیر المؤمنین القائم بأمر الله العباسی اعزاز نمودی ، ومربّیٔ او بودی ، ودر مدائح خاندان عباس ابو العلا را قصائد ست، حکایت کنند که ابو سعید رستمی شاکرد ابو العلا بود، وأبو سعید از أکابر وأعیان شعراء وفضلا ست ، ودر نهایت حال

(*) تذكرة الشعراء : كتاب فى طبقات شعراء الفرس ؛ وقد نوّه مؤلفه فى مقدّمته بفضل العرب على الشعر الفارسى وعظيم أثرهم فيه ، فقال ماترجمته : « لاريب أن الفصاحة والبلاغة من سمات العرب ، والعجم فى ذلك أتباع لهم ، وبخاصة الشعر البديعى الذى مهر فيه العرب » . ودفعه ذلك أن يصدّر طبقاته بجماعة من شعراء العرب ، هم : لبيد ، والفرزدق ، ودعبل ، وابن الزومى ، والمتنبى ، وأبو العلاء المعرى ، والحريرى ، وأبو الفتح البستى والطغرائى وزهير بن أبى سلمى .

وقد طبع الكتاب بعناية المستشرق براون فى ليدن سنة ١٩٠١ ، والنص فى ص ٢٤ — ٢٥ .

(**) هو دولت شاه بن علاء الدولة بختيشاه ، أديب فارسى ، ينتمى إلى أسرة عريقة فى خراسان . وكان أبوه أحد رجال القصر المقربين إلى الشاه رخ بن تيمور . وقد بدأ فى تأليف كتابه هذا حينما أشرف على الخمسين ، وأتمه فى سنة ٨٩٢ ، انظر النسخة الإنجليزية من دائرة المعارف الإسلامية ، ومقدّمة طبع تذكرة الشعراء للمستشرق براون ، وخاتمة التذكرة للمؤلف نفسه .

ابو العلا نابينا شد ، واورا أبو العلای ضرير بدان سبب كويند ، هركاه أبو العلا مدحی جهت خليفه انشا كردی، أبو سعيد رستمی قائد اوشده أورا بمجلس خليفه آوردی، كويند دار الخلافه را در وازه ها چنان بلند بودی، كه علمداران علم را در آنجا خم نا كرده در آوردندی ، كه درخم شدن علم تفأل بد می‌نمود ، هركاه ابو سعيد رستمی ابو العلا را بدروازه رسانيدی، كفتی يا أيها الأستاذ دوتا شو ، ابو العلا پشت خم كردی وخليفه وارکان دولت خندان شدندی ، وأبو العلا كفتی أحسنت زهی شا كرد خلف ، ومعرّی اين قطعه در نابينائی خود ونكوهش أهل روز كار خودكويد .

وقال المعرّی هذه المقطوعة فی عماه، وهجاء أهل زمانه :

أبا العلاء ابن سليمانا (١) عماك قد أولاكَ إحسانا (٢)

إنّك لو أبصرتَ هذا الورى (٣) لم ير إنسانُك إنسانا

وقال أيضا (٤) :

ألا إنّما الأيّام أبناءُ واحدٍ وهذی الليالی كلُّها أخواتُ

فلا تطلُبَنْ من عند يومٍ وليلةٍ خلافَ الذی مَرَّتْ به السّنواتُ

(١) رواية الصفدی فی مقدّمة نكت الهميان ص ٥ : «أبا العلا يا ابن سليمانا» . والبيتان مما لم يرو فی الديوانين .

(٢) رواية النكت وتكملة ابن الأبار (٢ : ٦٩٩) : « إن العمى أولاك إحسانا » .

(٣) فی النكت : «لو عاينت عيناك» . وفی التكملة : «لو أبصرت عيناك» .

(٤) انظر سقط الزند (٢ : ١٤) .

وقال أيضًا[1] :

من راعه سببٌ أو هاله عجبٌ فلى ثمانونَ حولًا لا أرى عجبا
الدَّهر كالدّهرِ والأيامُ واحدةٌ والنّاس كالناس والدُّنيا لمن غلبا

(الترجمة العربية)

المعرّة من جملة بلاد الشام، فى جوار حمص، ومنها أبو العلاء، وكان ذا فضل كامل، وعلم شامل، وله تصانيف فى علمى المعانى والبيان . وكان أمير المؤمنين القائم بأمر الله العباسى يعزّه، وكان ولى نعمته. ولأبى العلاء قصائد فى مدح البيت العباسى . ويحكى أن أبا سعيد الرستمى كان تلميذا لأبى العلاء . وأبو سعيد هذا من أكابر الشعراء والفضلاء وأعيانهم . وفى نهاية الحال عمى أبو العلاء ، ويسمّى لذلك السبب أبا العلاء الضرير .

وكان أبو العلاء كلّما نظم قصيدة فى مدح الخليفة ، قاده أبو سعيد الرستمى ، وأحضره مجلس الخليفة .

ويحكون أنه كان لدار الخلافة أبواب عالية ، بحيث يمكن حاملو الأعلام أن يمرّوا تحتها دون أن ينكسوا أعلامهم؛ إذ كانوا يتشاءمون بخفض العلم . وكان أبو سعيد الرستمى كلما بلغ بأبى العلاء الباب ، يقول : أيها الأستاذ، انْحَن ، فينحنى أبو العلاء، فيضحك الخليفة وأركان الدولة . فيقول أبو العلاء : أحسنت كثيرا ، نعم التلميذ البار أنت[2] !

---

(١) البيتان مما يرد فى الديوانين .

(٢) ثم أورد بعد ذلك الشعر المذكور فى ص ٤٦٥ — ٤٦٦ .

النحاة وأبو العلاء

النحاة وأبو العـــلاء

" يُذيب الرُّعبُ منه كلَّ عَضْبٍ فلولا الغِمْـدُ يُمسِكُهُ لسـالا "

هذا البيت لأبى العلاء المعرّى فى وصف سيف، من قصيدة له فى سقط الزند (١ : ١٤ — ٣٠)، وقد مثّل به بعض النُّحاة لذِكْر خبر المبتدأ الواقع بعـد لولا الامتناعية، إذا كان كونا مقيّدا؛ إذ أجازه قوم، ومنعه آخرون، ولحنّوا البيت .

ورأينا ألّا نخلى التعريف بأبى العلاء من هذه الدِّراسة النحويّة؛ لأنّها لم تخلُ من نقدٍ أدبىّ ولغوىّ ، ولأنّ أبا العلاء نفسَه يعدّ نحوياً من الطّراز الأوّل . وسنعرضُ أقوال بعض حُذّاق النحويين ، لأنّ استقصاء ذلك يطول . وإنّما تخيّرنا منها ما رأينا عليـه مَسحةً من الاستقلال فى الرأى والتعبير، ورتّبناها على حسب أزمان أصحابهـا .

١ — ابن هشام

٧٠٨ — ٧٦١

قال ابن هشـام الأنصارى فى كتاب " مغـنى اللبيب عن كتب الأعاريب " عند الكلام على " لـولا " (١ : ٢١٥ — ٢١٦) طبعة محمـد مصطفى سنة ١٣٠٢ هـ :

"لولا" على أربعة أوجه .

أحدها : أن تدخل على جملتين : اسمية ففعلية ، لربط امتناع الثّـانية بوجود الأولى ، نحو لولا زيد لأكرمتك ، أى لولا زيد موجود . فأما قوله عليه الصلاة والسلام : «لولا أنْ أشُقَّ على أمّتِى لأمرتُهم بالسِّواك عند كلِّ صلاة» ، فالتقدير :

لولا مخافة أن أشق على أمتي لأمرتهم ، أى أمر إيجاب ، و إلا لانعكس معناها؛ إذ الممتنع المشقّة ، والموجود الأمر .

وليس المرفوع بعـد لولا فاعلا بفعل محذوف ، ولا بلولا لنيابتها عنه، ولا بها أصالة، خلافا لزاعمى ذلك، بل رفعه بالابتداء .

ثم قال أكثرهم : يجب كون الخبر كونا مطلقا محذوفا، فإذا أريد الكون المقيّد لم يجز أن تقول : لولا زيد قائم، ولا أن تحـذف، بل تجعل مصدره هو المبتدأ، فتقول : لولا قيام زيد لأتيتك ، أو تدخل «أنَّ» على المبتدأ ، فتقول : لولا أنّ زيدا قائم، وتصـير أنّ وصلتها مبتدأ محذوف الخبر وجوبا، أو مبتـدأ لا خبر له، أو فاعلا بثَبَتَ محذوفا، على الخلاف السابق فى فصل لو .

وذهب الرُّمانى وابنُ الشّجرىّ والشَّـلَوبين وابن مالك ، إلى أنه يكون كونا مطلقا كالوجوب والحصول، فيجب حذفه، وكونا مقيدا كالقيام والقعود، فيجب ذكره إن لم يعلم، نحو "لولا قومُك حديثو عهدٍ بالإسلام لهَدَمْت الكعبة"، ويجوز الأمران إن علم . وزعم ابنُ الشجرىّ أنّ مِن ذكرِه : ﴿ وَلَوْلَا فَضْـلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ ؛ وهذا غير متعيّن؛ لجواز تعلُّق الظرف بالفضل .

ولحّن جماعةٌ ممن أطلق وجوبَ حذف الخبر، المعرّىَ فى قوله فى وصف سيف :

يُذيب الرُّعبُ منه كلَّ عضب فـلولا الغِمد يمسـكُه لسالا

وليس بجيد، لاحتمال تقدير : « يمسكه » بدل اشتمال ، على أنّ الأصـل : « أن يمسكه »، ثم حذفت «أن» وارتفع الفعل ؛ أو تقدير : « يمسكه » جملة معترضة . وقيـل : يحتمل أنّه حال من الخبر المحذوف . وهـذا مردود بنقل الأخفش أنهم لا يذكرون الحال بعدها؛ لأنّه خبر فى المعنى .

وعلى الإبدال والاعتراض والحال عند من قال به ، يتخرج أيضا قولُ تلك المرأة :

فوالله لولا اللهُ تُخشَى عواقبُـهْ لزُعزِع من هذا السّريرِ جوَانبُهْ

* * *

وقال ابن هشام أيضا فى كتابه « أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك » عنـد الكلام على حذف خبر المبتدأ ، (ص ٢٤ من طبعـة المطبعة العلمية بالقاهرة سنة ١٣٢٦هـ) :

وأما حذفه وجوبا ففى مسائل :

إحداها : أن يكون كونا مطلقا والمبتدأ بعد لولا ، نحو لولا زيد لأكرمتك ، أى لولا زيد موجود . فلو كان كونًا مقيدا وجب ذكره إن فُقد دليله ، كقوله : لولا زيد سالمنا ما سـلم ، وفى الحديث : « لولا قومُك حديثُو عهدٍ بكفر لبنَيتُ الكعبةَ على قواعد إبراهـيم » . وجاز الوجهان إنْ وجد الدليـل ، نحو لولا أنصار زيد حَموه ما سلم ؛ ومنه قول أبى العلاء المعرّى :

« فلولا الغِمد يمسكُه لسالا »

وقال الجمهور : لا يُذكر الخبر بعد لولا ، وأوجبوا جعلَ الكون الخاصّ مبتدأ ، فيقال : لولا مسالمة زيد إيانا ، أى موجودة ، ولحنوا المعرّى ، وقالوا : الحديث مروى بالمعنى .

٢ — الصَّـفَدى

٦٩٦ — ٧٦٤

قال فى كتاب الغيث المسجَّم ، فى شرح لامية العجم ، عند شرحه قول الطغرائىّ :

أُعَلِّلُ النفسَ بالآمال أرقبهـا ماأضيقَ العيشَ لولا فُسْحةُ الأملِ

«لولا» : حرف يمتنع به الشىء لامتناع غيره ، وهى هنا امتناعية ، وقد تكون تحضيضية ، كقوله تعـالى : ﴿ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ . وحكى أبو جعفر

النحّاس[1] أنّها تكون نافية فى مثل قوله تعـالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَـانُهَا ﴾ أى فـما كانت ؛ وهى عنـد الناس هنا للتحضيض . وقيل إنّها مركبة من «لو» و «لا» .

« فسحة الأمل» ، فسحة : مبتدأ . ومنهم من قال : يرتفع ما بعد لولا بفعل مضمر، تقديره لولا حضر أو وُجد، وليس بشىء . ومنهم من قال : ارتفع بلولا، وليس بشىء أيضا؛ لأنّ لولا غير مختصّة . والخبر هنا محذوف؛ لأنّ المبتدأ إذا وقع بعد لولا حذف خبره، وتقديره : لولا فسحة الأمل موجودة . وإنما يحذف الخبر بعد لولا للعلم به، لأنك تقول : لولا زيد لزرتك، أى لولا زيد مانع أوموجود . قال الشيخ بهاء الدين بن النحّاس[2] رحمه الله : فعلى ما قاله الجماعة يكون بيت المعرّى لحنا؛ وعلى ما قاله الرّمّانى، وهو الصحيح، لا لحن فيه . اهـ

قلت : أمّا بيت المعرّى فهو قوله :

يُذيب الرُّعبُ منه كلّ عضبٍ فـــلولا الغمدُ يُمسكه لسالا

قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس :

قالوا : حَذْف خبر المبتدأ بعد لولا واجب؛ لأنّ ما فى «لولا» من معنى الوجود دَلّ عليه . وقال : إن كان الخبر معـلوما وجب حذفه ، كما قال النحاة ؛ و إن كان مجهولا وجب ذكره ؛ فإنا إذا قلنا : لولا زيد لأكرمتك ، إن أردنا : لـولا زيد حاضر أو موجود أو غير ذلك مما يدّل عليه قوّة الكلام، وجب الحذف كما ذكرتم ،

---

(١) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يوسف المرادى ، النحوى المصرى ، المعروف بالنحاس . أخذ عن الأخفش الأصغر ونفطويه والزجاج ، وتوفى سنة ٣٣٨ . انظر بغية الوعاة وابن خلكان .

(٢) هو بهاء الدين محمد بن إبراهيم بن محمد ، أبو عبدالله النحوى الحلبى المعروف بابن النحاس . ولد سنة ٦٢٧ ، وكان شيخ الديار المصرية فى علم اللسان . وتوفى سنة ٦٩٨ . انظر بغية الوعاة .

للدلالة عليه وطول الكلام . وإن أردنا به : لولا زيد يلبس كذا، أو يركب كذا ، أو يفعل فعلا ليس فى اللفظ دلالة عليه — وجب ذكره حينئذ، وإلّا كان فى حذفه تكليف السامع علم الغيب . وأنشد على ظهور الخبر قول الشاعر :

* فوالله لولا الله لا شىء غيره *

وقوله أيضا :

* فوالله لولا الله تُخشَى عواقبه *

وأبياتا غير ذلك . اهـ ما حكاه ابن النحاس .

وقال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك فى "شرح التسهيل" :

وجب حذف خبر لولا الامتناعية ؛ لأنه معلوم بمقتضى لولا ، إذ هى دالّة على امتناع لثبوت، والمدلول على امتناعه هو الجواب، والمدلول على ثبوته هو المبتدأ .

ثم قال فيما بعد :

والمراد بالثبوت هنا الكون المطلق؛ فلو أريد كونٌ مقيد لا دليل عليه، لم يجز الحذف ، نحـو لولا زيد سالمنا ما سـلم ، ولولا عمرو عندنا لهلك ؛ ومنه قـوله صلى الله عليه وسـلم : « لولا قومُك حديثُ عهدٍ بكفرٍ لأسّست البيتَ على قواعد إبراهيم » . فلو أريد كون مقيّد مدلول عليـه؛ جاز الإثبات والحـذف، نحو لولا أنصار زيد حَموه لم ينج . فحموه : خبر مفهوم المعنى، فيجوز إثباته وحذفه. ومن هذا القبيل قول المعرّى"، وأنشد البيت . ثم قال :

وهذا الذى ذهب إليـه الرّمانى وابنُ الشجرى" والشَّلَوْبين، ونُقل عنه أكثر الناس . ومن ذِكر الخبر بعد لولا قول أبى عطاء السِّنْدى :

لـولا أبوك ولـولا قبلَه عمـرٌ ألقتْ إليـك مَعَدٌّ بالمقاليـد

اهـ كلامه .

وفى حذف خبر لولا قال السَّراج الورَّاق ، ومن خطّه نقلت :

كم أناديـكَ مفـــردًا علمـا أر فعـــه عالِمًا بشرط المنـادَى
وجـوابى يُلغَى يحـاكى لـولا خـبرًا لـــو أتَـوا به ما أفـادا

وذكرت ببيت أبى العلاء المعرىّ قول ابن المعتزّ :

يكاد يجـرى من القميص من الـ ـنّ عمـةِ لـــولا القميص يمسكه

وقوله أيضا يصف فرسـا :

يكاد أن يخرج من إهابِه إذا تدلَّى أسـوط لولا اللبـبُ

وقول أبى الشِّيص فى مثل هذا :

لـولا التَّمنطقُ والسـوار معًـا والحجْلُ والدُّملوج فى العَضُـدِ
لتزايلتْ من كلِّ ناحيـــة لكن جُعِلن لهـا على عَمَـــدِ

وأخذ أبو الطيِّب هذا ديباجا منقوشا، وأعاده ساجا مخدوشا، فقال : (١)

تُرَفِّـعُ ثوبَهـا الأردافُ عنهـا فيَبقى من وِشـاحَيها شَـوعا
إذا ماسَتْ رأيت لهـا ارتجاجًا له لولا ســـواعدُها نَزوعا

وأخذه أيضا كمال الدين علىّ بن النبيه تبرا، وأعاده دُرّا، فقال :

لهـا مِعصَمٌ لولا السِّوارُ يصدُّه إذا حَسَرت أكمامَها، لجرى نَهْرَا

ومثله قول الآخر :

لهـا من الليـل البهيم طُرَّةٌ عـــلى جبينٍ واضح نَهـارُهْ
ومِعصَمٌ يكاد يجـــرى رقّـةً وإنمـا يعصِـــمه سِـــوارُهْ

(١) انظر ديوانه بشرح العكبرى (١ : ٣٩٤) .

وأنشدنى من لفظه الشّيخ الإمام الحافظ العلامة أثيرالدين أبوحيّان محمد بن يوسف ، قال : أنشدنى شمس الدين محـمد بن المحدّث ، لوالده عزّ الدين بن عبد الرزّاق :

قالت وقد صرتُ كطيف الخيالْ كيفَ ترى فِعلَ الدُّمَى بالرِّجالْ
وسـدّدت سهمًا إلى مَقْتَـلى تقول : هل فيـكَ لدفع النصالْ
رقيقـةُ الجسم فـلولا الذى يمسكه من قَسـوةِ القلب زالْ

٣ — ابن عقيـل

٧٠٠ — ٧٦٩

وقال ابن عقيل فى شرح ألفية ابن مالك (طبعة الحلبى ، ومعه حاشية الخضرى ج ١ ص ١٠٦) عند قول ابن مالك :

وبعـد لولا غالبا حذف الخبر حـتم وفى نص يمين ذا استقر

حاصل ما فى هذه الأبيات أنّ الخبر يجب حذفه فى أربعة مواضع :

الأول : أن يكون خبر المبتدأ بعد لولا ، نحو لولا زيد لأتيتك . التقدير: لولا زيد موجود لأتيتك . واحترز بقوله "غالبا" عما ورد ذكره فيه شذوذًا ، كقول الشاعر :

لـــولا أبوك ولولا قبـــله عمرٌ ألقت إليـــك مَعَـدٌّ بالمقـاليد

فعمر مبتدأ ، وقبله خبر . وهـذا الذى ذكره المصنف فى هذا الكتاب من أنّ الحذف بعد لولا واجب إلّا قليلا ، هى طريقةٌ لبعض النحويّين .

والطريقة الثانية : أنّ الحذف واجبٌ دائما ، وأنّ ما ورد من ذلك بغير حذف فى الظاهر مؤوّل .

والطريقة الثالثة : أن الخـبر إمّا أن يكون كونًا مطلقا أو كونا مقيّدا . فـإن كان كونا مطلقا وجب حذفه ، نحو لولا زيد لكان كذا ، أى لولا زيد موجود .

وإن كان كونا مقيدا، فإما أن يدل عليه دليل أولا، فإن لم يدلّ عليه دليل وجب ذكره، نحو لولا زيد محسن إلىّ ما أتيت. وإن دلّ عليه دليل جاز إثباته وحذفه، نحو أن يقال : هـل زيد محسن إليـك ؟ فتقول : لولا زيد لهلكت ، أى لولا زيد محسن إلىّ . فإن شـئت حذفت الخبر، وإن شئت أثبته . ومنـه قول أبى العلاء المعرىّ :

يذيب الرُّعب منـه كلّ عضبٍ فـلولا الغمدُ يمسكه لسـالا

وقد اختار المصنّف هذه الطريقة فى غير هذا الكتاب .

٤ — محمـود العينـى

٧٦٢ — ٨٥٥

وقال بدر الدين محمود العينى فى كتابه : «المقاصد النحوية، فى شرح شواهد شروح الألفية » وهـو المعروف بالشواهد الكبرى ، المطبوع ببولاق ، على هامش خزانة الأدب الكبرى للبغدادى، فى إعراب بيت المعرّى (ج ١ ص ٥٤٠) :

يذيبُ الرُّعب منـه كلَّ عضب فـلولا الغِـمد يمسـكه لسالا

أقول : قائله هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد ابن سليمان بن داود بن المطهَّر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعـة بن أنور ابن أسحم بن أرقم بن النـعمان بن عدىّ بن غطفان بن عمـرو بن بريح بن جذيمـة (١) ابن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، التنوخى المعرىّ، الشاعر اللغوىّ، المتضلع بالفنون من الأدب، صاحب التصانيف الكثيرة. ولكن تكلّم فيه العلماء من جهة اعتقاده. وكان أعمى، قد عمى من الجدرىّ.

(١) فى الأصل : « خزيمة » .

ولد يوم الجمعة لثلاثٍ بقين من ربيع الأوّل سنة ثلاث وستّين وثلاثمائة بالمعرّة، وعمـل الشِّعر وهو ابن إحدى عشرة سـنة ، وتوفى يوم الجمعة ثالث ربيع الأوّل سنة تسع وأربعين وأربعمائة بالمعرّة، ومكث مدّة خمس وأربعين سنة لا يأكل اللحم تديُّنـا ؛ لأنه كان يرى رأى الحكماء المتقدّمـين ، وهم لا يأكلونه كى لا يذبحـوا الحيوان؛ ففيه تعذيب له ، وهم لا يرون الإيلام مطلقًا فى جميع الحيوانات .

والبيت المذكور من أوّل قصيدة لاميّة، وهى طويلة من الوافر، وهى أوّل قصائد كتابه المسمى بـ"سقط الزند"، وأوّلها هو قوله :

أعن وخد القِلاص كشفتِ حالَا ومِنْ عِنـدِ الظَّلام طلبتِ مالا

ثمّ أورد أبياتا من القصيدة ، وشرح غريبها ، وقال فى إعراب محل الشاهد :

«الغمد» مبتدأ، وقوله «يمسكه» : خبره .

وقـد يقال إن الخبر محذوف ، ويمسكه بدل اشتمال، على أن الأصـل : أن يمسكه، ثم حذفت "أن"، وارتفع الفعل .

ويقال : «يمسكه» : جملة معترضة ، ويقال : جملـة وقعت حالا من الخبر المحذوف . وفيه نظر؛ لأنهم لا يذكرون الحال بعد لولا . فافهم .

ثم اعلم أنّ البيت إنّمـا ذكروه للتمثيل لا للاستشهاد ؛ لأن المعرّىَ لا يحتـجّ بشـعره ، كما ذكر أبو علىّ الفارسى فى "الإيضاح" من أشـعار حبيب على وجه التمثيل، ومع هذا لا يُحتج بشعره . فإذا كان حبيب لا يحتجّ بشعره وهو أعلى طبقة من المعرّى، فأحرى ألّا يحتج بشعر المعرّى .

وجه التمثيل أنه ذكر الخبر بعد لولا ؛ فإنه فى مثل هذا الموضع يجوز ذكر الخبر وتركه ، فانه لو قال : "لولا الغمد لسالا" على تقدير : "لولا الغمد يمسكه" صحّ الكلام

والمعنى، ولكنه اختـار ذكر الخبر، دفعاً لإيهـام تعليق الامتناع على نفس الفعل بطريق المجاز .

وقد خطّأ بعضهم أبا العلاء المعرّى فى هـذا ، حيث أثبت الخبر بعـد لولا ، والمخطِّئ مخطئ، لمـا ذكرنا .

٥ — السـيوطى

٨٤٩ — ٩١١

وقال السيوطى فى " همع الهوامع شرح جمع الجوامع " طبعـة مطبعة السعادة سنة ١٣٢٧ فى حذف خبر المبتدأ (١ : ١٠٤ ، ١٠٥) :

يجب حذف الخبر فى مواضع :

أحدها : إذا وقع الخبر بعد لو لا الامتناعية ؛ لأنه معلوم بمقتضاها ، إذ هى دالة على امتناع لوجود ، فالمدلول على امتناعه هو الجواب ، والمدلول على وجوده هو المبتدأ . فإذا قيل : لو لا زيد لأكرمت عمرا ، لم يُشَكّ فى أنّ المراد : وجود زيد منع من إكرام عمرو ، وجاز الحذف لتعيّن المحذوف ، ووجب لسدّ الجواب وحلوله محله .

ثم أطلق الجمهور وجوبَ الحذف ، ولحّنوا المعـرّى فى قوله :

* فلو لا الغمد يمسكه لسالا *

وقيـده الرمانىّ وابن الشّجرى والشّلوبين ، وتبعهم ابنُ مالك ، بمـا إذا كان الخـبر الكونَ المطلق ، فلو أريد كونٌ بعينه لا دليل عليه ، لم يجز الحـذف ، فضلاً عن أن يجب ، نحـو لو لا زيد سالمنا ما سـلِم ؛ ومنه قوله صلى الله عليه وسـلم : « لو لا قومُك حديثُو عهدٍ بكُفر لأسّستُ البيتَ على قواعد إبراهيم » .

فإن كان عليه دليل جاز الحذف والإثبات ، نحو لولا أنصار زيد حَموه لم ينج ، ومنه بيت المعرىّ السابق .

والجمهور أطلقوا فيـه وجوب الحذف، بناءً على أنه لا يكون بعدها إلّا كونا مطلقـا .

قال ابن أبى الربيـع : أجاز قوم : لو لا زيد قائم لأكرمتـك ، ولولا زيد جالس أكرمتك. وهـذا لم يثبت بالسماع، والمنقول : لو لا جلوس عمرو، ولو لا قيام زيد . انتهى .

قلت : والظاهر أن الحديث حرفته الرواة ، بدليـل أن فى بعض رواياته : «لولا حِدْثان قومك» ، وهذا جارٍ على القاعدة . وقد بيّنت فى كتاب أصول النحو من كلام ابن الضائع وأبى حيّـان أنّه لا يستدلّ بالحديث على ما خالف القواعد النحـويّة ؛ لأنّه مروىّ بالمعنى لا بلفـظ الرسول ، والأحاديثُ رواها العجم والمولّدون، لا مَنْ يُحسن العربية، فأدّوها على قدر ألسنتهم .

٦ — الخُضَـــرى

١٢١٣ — ١٢٨٧

وقال الخُضَرىُّ تعليقا على ما قاله ابن عقيل :

« وكيف يلحنون المعرّى مع ورود مثله فى الشعر الموثوق به، كبيت الشارح.

وقـــوله :

* لولا زهير جفانى كنت معتذرا *

* ولولا الشعر بالعلمـاء يزرى *

وكان يغنيهم عن تلحينه بجعل يمسكه بدل اشتمال من الضمير، على أنّ الأصل أن يمسكه، فحذفت "أن" وارتفع الفعل . والخبر محذوف، أى موجود

ولا يجوز جعل يمسكه حالا من الخبر المحذوف، لامتناع ذكر الحال أنت عنه هؤلاء، لكونه خبرا فى المعنى ، كما تقدّم فى الفعل من الأخفش .

كتاب

الأنصاف والتحرّي

في دفع الظلم والتجرّي عن أبي العلاء المعرّي

لابن العديم

كتاب الإنصاف والتحرّى

فى دفع الظلم والتجرّى، عن أبى العلاء المعرّى

(*)

(**)

لابن العديم

٥٨٨ — ٦٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العلامة أوحد الفضلاء، سيد العلماء، الصاحب كمال الدين، جمال الإسلام، بهاء الأنام، بقية السلف الكرام، أوحد عصره، وفريد دهره، عمر بن الصاحب السعيد الإمام العلامة قاضى القضاة نجم الدين أبى الحسن أحمد، بن الصاحب السعيد قاضى القضاة جمال الدين أبى غانم هبة الله، ابن قاضى القضاة مجد الدين أبى عبد الله محمد، بن قاضى القضاة جمال الدين أبى الفضل هبة الله، بن قاضى القضاة نجم الدين أبى الحسن أحمد بن يحيى بن زهير بن أبى جرادة، سقاه الله برحمته ورضوانه:

الحمد لله الكريم العادل، ذى الفضل الشامل، والإحسان الكامل، مُحِقّ الحقّ، ومُبطل الباطل. أحمده على ما منحنا من التّوفيق، وهدانا به إلى سواء الطريق. وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، شهادة من خلص له يقينُه، وصحّ بالوحدانية مذهبه ودينُه. وأشهد أنّ محمدًا عبده الأوّاب، ورسوله المبيِّن

(*) الأصل الذى نشرنا عنه هذه النسخة مخطوط، منقول عن نسخة قديمة فى خزانة محمد مرعى باشا الملاح بحلب. وقد أهديت هذه النسخة المنقولة إلى خزانة المجمع العلمى بدمشق، وحفظت فيه برقم ٤١ وعليها عبارة الإهداء من الملاح باشا بتاريخ ٢٧ ربيع الآخر سنة ١٣٤٠. والنسخة فى ٨٥ صفحة بخط الرقعة الحديث، فى قطع متوسط. وكتب فى صدرها: «نقل عن كتاب عليه خطوط أحدها مؤرّخ سنة ٨٤٧». وقد تفضل المجمع العلمى العربى بدمشق بإعارتنا هذه النسخة. وهى على ما بها من التحريف الكثير ينقصها كثير من فصول الكتاب. ولكننا آثرنا نشرها، لما فيها من نصوص ذات قيمة تلقى ضوءا على ما غمض من حياة أبى العلاء.

(**) كان ابن العديم من أسرة كريمة وليت القضاء، وعرفت بالعلم والفضل. وقد درس وأفتى وصنف، وجمع تاريخا لحلب فى نحو ثلاثين مجلدا. وقد ناب فى سلطنة دمشق عن الملك الناصر. توفى بمصر، ودفن بسفح المقطم. انظر ياقوت (٦: ١٨ — ٤٦). والبداية والنهاية، والشذرات فى وفيات ٦٦٠. وانظر أيضا الفوائد البهية فى تراجم الحنفية ص ١٤٧ حيث ترجم لابن العديم وأسرته.

للصواب، أرسله بالآيات الباهرة ، والحجج الزاهرة ، والدلائل الظاهرة؛ ففرق بين الصحيح والسقيم ، والمعوّج والقـويم ، وهـدى أمّته إلى الصراط المستقيم . صلى الله عليـه وعلى آله الأكرمين ، وأصحابه الهـداة المنتخَبين ، وعلى التابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

وبعد، فإنّى وقفت على جملةٍ من مصنّفاتِ عالم معرّة النعمان ، أبى العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان، فوجدتُها مشحونةً بالفصاحة والبيان ، مُودَعةً فنونا من الفوائد الحِسان ، محتـويةً على أنواع الآداب ، مشتملةً من علوم العـرب على الخالص واللُّبـاب؛ لا يجـد الطامح فيها سَقْطة، ولا يدرك الكاشح فيها غلطة . ولمّا كانت مختصّةً بهذه الأوصاف ، مميَّزة على غيرها عند أهل الإنصاف، قصده جماعةٌ لم يعُوا وعيَـه ، وحسدوه إذْ لم ينالوا سعيَه ، فتتبّعوا كتبه على وجه الانتقاد ، ووجدوها خاليةً من الزيغ والفساد ؛ فحين علِموا سلامتَها من العيب والشّين، سلكوا فيها معه مسلك الكذب والمَيْن ، ورمَوه بالإلحاد والتعطيل ، والعدولِ عن سـواء السّبيل. فمنهم من وضع على لسانه أقوالَ المُلحِدة، ومنهم من حمل كلامه على غير المعنى الذى قَصَده ، فجعلوا محاسِنَه عيوبا ، وحسناتِه ذنوبا ، وعَقله حُمقا ، وزُهـده فِسقا ؛ ورشَقوه بأليم السهام، وأخرجوه عن الدِّين والإسلام؛ وحرَّفوا كلِمه عن مواضعه، وأوقعوه فى غير مواقعه .

ولو نظر الطاعن كلامَه بعين الرضا ، وأغمد سيفَ الحسد مَنْ عليـه انتضى ؛ لأوسع له صدراً وشرح، وآستحسن ما ذمّ ومدح . لكنْ جرى الزّمن على عاداته، فى مطالبته أهلَ الفضل بتِراتِه ، وقصدِهم بإساءاته، فسلط عليهم أبناءه ، وجعلهم أعداءه ، فقصدوه بالطعنِ والإساءة. واللبيب مقصود، والأديب عن بلوغ الغرض مصدود ، وكلُّ ذى نعمة محسود . ومن سلك فى الفصاحة مسلكَه ، وأدرك من

أنواع العلوم ما أدركه ، وقَصد فى كتبه الغريب ، وأودعها كلَّ معنًى غريب — كان للطاعن سبيلٌ إلى عكس معانيها وقَلبها ، وتحريفها عن وجوهها المقصودة وسَلْبها . ألا ترى إلى كتاب الله العزيز ، المحتوى على المنع والتجويز ، الذى لا يقبل التبديل فى شىء من صحفه ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، كيف أحال جماعةٌ من أرباب باطل الأقاويل ، تأويلَه على غير وجوهِ التأويل ، فصرفوا تأويلَه إلى ما أرادوا ، فما أحسنوا فى ذلك ولا أجادوا ! حتّى إنّ جماعةً من الكفّار ، وأرباب الزّلل والعِثار ، تمسّكوا منه بآيات ، جعلوها دليلا على ما ذهبوا إليه من الضلالات . فما ظنُّك بكلامِ رجلٍ من البشر ، ليس بمعصومٍ إنْ زَلّ أوْ عثَر ، وقد تعمّق فى فصيح الكلام ، وأتى من اللغات بما لا يتيسّر لغيره ولا يرام ، وأودعها فى كلامه أحسنَ إبداع ، وأبرزها فى النظم البديع والأسجاع ، إذا قصده بعضُ الحسّاد ، فحمل كلامَه على غير المراد !

وقد وضع أبو العلاء كتابا وسَمّه بـ"زجر النابح" ، أبطل فيه طعنَ المزْرى عليه والقادح ، وبيّن فيه عذره الصحيح ، وإيمانَه الصّريح ، ووجهَ كلامه الفصيح ، ثم أتبع ذلك بكتابٍ وسمه بـ"منجَرْ الزجر" ، بيّن فيه مواضِعَ طعنوا بها عليه بيانَ الفجر . فلم يمنعهم زجرُه ، ولا اتضّح لهم عذرُه ، بل تحقّق عندهم كفره ، واجترءوا على ذلك وداموا ، وعنّفوا من انتصر له ولاموا ، وقعدوا فى أمره وقاموا ؛ فلم يرعَوا له حرمة ، ولا أكرموا عِلمه ، ولا راقبوا إلًّا ولا ذِمّة ؛ حتى حكوا كفره بالأسانيد ، وشدّدوا فى ذلك غاية التشديد ، وكفّره من جاء بعدهم بالتقليد .

فابتدرتُ دونه مُناضِلا ، وانتصبتُ عنه مجادِلا ، وانتدَبتُ لمحاسنه ناقلا .

وذكرت فى هذا الكتاب مولِده ونسبَه ، وتحصيله للعلم وطلبه ، ودينه الصحيح

ومذهَبه ، وورعه الشديد وزُهده ، واجتهاده القوى وجِدّه ، وطعن القادح فيه وردّه ، ودفع الظلم عنه وصدّه .

وسميته " كتاب الإنصاف والتحرّى ، فى دفع الظلم والتجرّى ، عن أبى العلاء المعرّى ". وبالله التوفيق والعصمة ، وإليه المرجع فى كلّ وصمة ، وهو حسبى ونعم الوكيل.

ذكر نسبه

هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد ابن سليمان بن داود بن المطهّر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن أنور بن أرقَم بن أسحَم بن النعمان — وهو الساطع — بن عَدِىّ بن عبد غَطَفان ابن عمرو بن بَرِيح بن جَذيمة بن تَيم اللات — وقيل تيم الله ، وهو مجتمَع تَنُوخ — ابن أَسَد بن وَبْرة بن تغلِب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة — وهو لقب ، واسمه : عمرو — بن مالك بن عمرو بن مُرّة بن زيد بن مالك بن حِمْير ؛ وهو ابن سبَأ بن يشجُب بن يَعرُب بن قَحْطان — وهو مجتمَع قبائل اليمن — ابن عابِر وقيل هو هُودٌ عليه السلام ، بن شالَخ (وقيل : شالخ وقيل : سابخ) بن أَرْفَخْشَذ (وقيل رافد) بن سام (وقيل سائم) بن نوح عليه السلام بن لمك (وقيل لامك ، وقيل لامخ ، وقيل ملكان) بن مَتُّوشَلَخ (وقيل مَتُّوشَلَح ، وقيل متّوب) بن أَخْنوخ (وهو إدريس عليه السلام . وقيل حَنُوح ، وقيل حَنوخ) بن يارد (وقيل يِرْد ، وقيل الزايد وقيل اليادر) بن مَهلائيل (وقيل ماهللأل ، وقيل مهلهل) بن قينان (وقيل قنان) بن طاهر (وهو أنوش) بن هِبة (وهو شيث) بن آدم عليه السلام .

---

(١) فى الأصل : «يازد» بالزاى المعجمة تصحيحه من الطبرى والروض الأنف .

(٢) فى الأصل : «يزد» بالزاى المعجمة تصحيحه من الطبرى والروض الأنف

(٣) كذا . وفى الروض الأنف : «أنوش ومعناه الصادق» .

(٤) فى الروض الأنف : «شيث وتفسيره هبة الله» .

وقَحطان هو مجتمع قبائل اليمن بأسرها. وتيم اللات مجتمع تَنوخَ بأسرها. وإنما سُمُّوا تنوخ لأنّهم تَنَخوا بالشام، وقيل بالحِيرة، أى أقاموا. والتَّنوخ[1] هو المُقام فى الموضع. يقال تنخ فى الأمر أى رسخ فيه، فهو تانخ. وكانوا أقاموا على مالك بن زُهير بن عمرو بن فهم بن تيم اللات، ونزلوا معه الحِيرة، فاختطُّوها، وبنوا فيها الأبنية وعَمَروها، وهم أوّل من عَمَر الحِيرة ونزلها. وكان لهم قوّة وبأس، وغَناء وكثرة، فغزاهم سابور الأكبر ملك فارس، فى جيوش عظيمة، فقاتلوه قتالا شديدا. ولم تزل الحربُ بينهم أيّاما، فلحقت بسابور جيوشُه وأُمراؤه، فضعفت تَنوخ عن مقاومته وانكشفت، فسار معظمهم ومن فيه نهوضٌ منهم إلى الضَّيزن بن معاوية التَّنُوخىّ، إلى الحضْر[2]، فأقاموا به، وملكوا ما جاورهم من البلاد، وأَجْلَوا سائر الأمم عنها، إلّا من أدّى إليهم الجزية. فاشتدّت شوكة تَنوخ، وعظُم بأسهم، فملّكوا عليهم الساطع، وهو النعمان بن عدى — وإنما سمى الساطع لجماله وبهائه، وكان طويلا وسيما جسيما، جوادا شجاعا — فملك عليهم بُرْهة، وكانت له حروبٌ ووقائع مع ملوك الفرس، وشنّ الغارات على السواد، فسمّيت تنوخ يومئذ الدوايس، لما ظهر من شدتهم وبأسهم.

وبعض الجهّال يقول: إنّ معرّة النعمان تنسب إليه. وليس بصحيح، بل تنسب إلى النُّعمان بن بَشير الأنصارىّ، وكان واليا على حِمص وقِنّسرين، فى ولاية معاوية وابنه يزيد؛ ومات للنعمان بها ولد، وجَدّد عِمارتها، فنُسبت إليه، وكانت تسمّى أوّلًا "ذات القصور". وقيل إنّ سياث كانت المدينة وهى آهلة، فخرَج ابنٌ للنُّعمان ابن بشير يتصيّد، وكان موضع المعرة أجمة، فافترسه السبع، فجزع عليه، وبنى له موضعا عند قبره، فبنى الناس لبنائه، فنُسبت معرّة النعمان إليه لذلك.

---

(١) فى الأصل: «التنخ» والصواب ما أثبتنا.

(٢) الحضر، بالفتح: مدينة بإزاء تكريت فى البرية، بينها وبين الموصل والفرات.

وإنّما نَسبتِ الجهال المعرّة إلى النعمان بن عدىّ المعروف بالساطع ؛ لأنّ أهلها كلّهم أو بعضهم من بنى الساطع ، فظنّوا أنّها منسوبة إليه .

ولمّا هلك الساطع تفرّقت كلمة تنوخ، وتشتّت أمرهم ، وتنازعوا الرياسة بعده .

ثم إنّ ملك الفرس غزا الروم، فأذرع(1) فيهم القتل، وسَبَى الذّرارىّ، وخرّب العمائر. فأنفذ ملك الروم إلى تنوخ — وكانت أقرب القبائل إليه فى ذلك العصر — فاستنجدهم على ملك الفرس، فأنجدوه، وقاتلوا معه قتالا شديدا . ثمّ سألوا ملك الروم أن يتولّوا حرب الفرس منفرِدين عن جُنـد الرُّوم ؛ لتظهر له طاعتُهم وغَناؤهم ، فأجابهم إلى ذلك . فقاتلوا الفرس، وظفروا بهم، وقتلوهم قتلا ذريعا ، وأبلوا بلاء عظيما ، فأُعْجِب بهم ملك الروم ، وفرّق فيهم الدنانير والثياب ، وقرّبهم وأدناهم ، وأقطعهم سُورِيَة وما جاورها من البلاد إلى الجزيرة ، وهى مدينة بقرب الأحَص على جانب البرّيّة، وإليها ينسب اللسان السُّورِيانىّ .

هذا منتهى أمرهم فى الجاهلية .

فلما جاء الإسلام قدموا مع أبى عُبيدة بن الجرّاح رضى الله عنه، وكانوا أشدّ من معه من العرب شوكة، وأكثرهم عَدَدا، فانتجعوا(2) البلاد، واختطّوا الخِطَط ، ونزلوا قِنّسرين ومَنبِج وسُورِية وحماة ومعَرّة النعمان وكَفْرَطابَ وغيرها من بلاد الإسلام ، وتغلّبوا عليها . وكانوا على دين النصرانيّة ، فامتنعوا من أداء الجزية ، وقالوا : ما نؤدّى ما يقع عليه اسم الجزية ، وكانوا أهل قوّة وبأس . فلما سار عمر رضى الله عنه إلى الشام قدموا عليه، فقال : ما أقنَعُ منكم إلّا بالدُّخول فى الإسلام

---

(1) هى من القتل الذريع، أى الواسع . ولم يرد هـذا اللفظ فى المعاجم . وفى أساس البلاغة واللسان : أذرع فى كلامه أى أكثر

(2) فى الأصل : «فانتجوا» .

أو السيف ، وأمهلهم سنتين . ثم إنه ألزمهم ما يلزم أهلَ الذّمة من الجزية، فأبوا عليه، وقالوا : خذ المـال منّا على اسم الصدقة ، دون اسم الجزية . فأبى عمر، ثم أجابهم إلى أن يأخذها على اسم الخراج، فاستجاب له قوم منهم، وأقاموا بديارهم. وكان منهم أجداد أبى العلاء، وأجداد بنى القُصَيص[1] وُلاة قِنّسرين ؛ وأسلم بعضهم فى أيام أبى عبيدة ، وبعضهم فى أيام المهـدىّ بن المنصور ، ودخل منهم قوم إلى بلاد الروم مع جَبَلَة [بن][2] الأيْهَم فى النّصرانية .

وتَنوخ من أكثر العرب مناقبَ وحسبا ، ومن أعظمها مفاخر وأدبا ، وفيهم الخطباء والفصحاء، والبلغاء والشعراء . وهم يرجعون إلى بطنين: الساطع، والحُرّ . وبنـو الساطع هم المشهورون بالشرف والسؤدُد ، والرياسـة والشجاعة، والجود والفضـل . وبيوت المعرّة منهـم . وهم يرجعون إلى أسحم بن الساطع ، وعَدِىّ ابن الساطع، وغَنم بن الساطع . فبنو سليمان، وبنـو أبى حُصين، وبنـو عمرو، ينتسبون إلى أسحم بن الساطع؛ وبنو المهذب، وبنو زريق ، ينتسبون إلى عَدِىّ ابن الساطع؛ وبنو حوارى، وبنـو جَهير ينتسبون إلى غَنْم بن السّاطع . وجَهـير ابن محمّد التنوخى ولِى معرّة النعمان .

وأكثر قضاة المعرّة وفضلائها وعلمائها وشعرائها وأدبائها من بنى سليمان ، وهو سليمان بن داود بن المطهّر .

* * *

وحيث انتهى بنا القول إلى التنبيه على كثرة القضاة والفضلاء من بنى سليمان، فلنذكر الآن من اشتهر منهم بذلك بمعرّة النعمان :

---

(١) كذا وردت بهذا الضبط فى الكلام على «قنسرين» من تاريخ حلب لابن العديم ص ١٢٩ من الجزء الأوّل، مصورة دار الكتب . (٢) تكملة ضرورية . وجبـلة بن الأيهم : آخر ملوك غسان، تنصر فى أيام عمر بن الخطاب . انظر العمدة (٢ : ١٧٨) .

فمنهم أبو الحسن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهّر ، هو أوّل من تولّى منهم قضاء معرّة النُّعمان . وقال بعضُ الناس : إنّه ولى قضاءها فى سنة تسعين ومائتين إلى أن مات . و بعضهم يقول : إن الذى تولى القضاء سنة تسعين ومائتين هو ابنه، وهذا هو جدّ جدّ الشيخ أبى العلاء .

ومنهم ولد المذكور، وهو جدّ أبى الشيخ أبى العلاء، أبو بكر محمد بن سليمان بن أحمد، ولى القضاء بمعرّة النعمان بعد موت أبيه فى حدود الثلاثمائة . وقيل هوالذى تولّى سنة ٢٩٠ . وكان فاضلا أديبا ممدوحا ، وفيه يقول أبو بكر أحمد بن محمد الصَّنَوْبَرِىّ :

بأبى يا ابنَ سَلِيما نَ لقد سُدْتَ تنوخا
وهُمُ السادة شُبَّا نًا لَعَمرِى وشُيوخا
أَدرَكَ البُغيةَ من أضْـ ـحى بنَاديك مُنِيخا
وارِدًا عندك نِيلا وفُراتا وبَلِيخا
واجدًا منك متى استصـ ـرَخَ للمجد صَرِيخا
فى زمانٍ غادر الهِمَّ اتِ فى النَّاس مُسُوخا

ومدحَه بغير هذه الأبيات أيضا .

ومن شعر القاضى أبى بكر بن سليمان قولُه فى الشمعة :

وصفراءَ كالتِّبر مقدودةٍ تَسُرُّ وتُؤنِسُ جُلَّاسَها
تكونُ لطالِبِ مِقيايسها فُويقَ الذِّراع إذا قاسَها
تموتُ إذا أهملوا أمْرَها وتحيا إذا قطعوا راسَها
ويَفنَى الدُّجى بسَنَى نورها إذا شهد القبض أنفاسَها
وتَبْكِى فيقطُر من رأسها نجوم تُرصِّع لَبّاسَها

يَرَى الشَّرْبُ نجما بها طالعا وشمسا إذا جُلِيتْ[1]، كاسَها
أنِسنا بها ورأينا السُّرور فَلا عَدِمِ الشَّربُ إيناسَها

وتُوفِّىَ أبو بكر محمد بن سليمان سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة .

ومنهم : ولده جدّ أبى العلاء، وهو أبو الحسن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد . تولّى قضاء معرّة النعمان فى سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، بعد موت أبيه أبى بكر، ثم تولى بعد ذلك قضاء حمص أيضا، وكان فاضلا فصيحا، شاعرا محدّثا .

ومن شعره قوله فى الناعورة :

وباكيةٍ على النَّهرِ تئنُّ ودمعُها يجرِى
تُذكِّرُنى بأحبابِى وحالِى ليلةَ النَّفرِ
وأُذرِى مثل ما تُذرِى وأُسعِدها وما تَدرِى
على فقدِى لأحبابى وما قد فاتَ من عُمرِى
فما هى فيه مشهور وما أنا فيه فى السِّترِ
كأنى فى بسيط الأر ض بين النَّاس فى قَبرِ

وروى الحديثَ عن القاضى أبى القاسم علىّ بن محمد بن كاس النَّخَعى الحَنَفى، قاضى معرّة النعمان ؛ وعن الصَّقر بن أحمد البلدىّ ؛ وأبى بكر محمد بن بركة الحلبى ، المعروف ببرداعس[2] الحافظ ؛ وعن محمد بن همّام وجماعة سواهم . روى عنه ابنه أبو محمد عبد الله، وحفيداه الشيخ أبو العلاء أحمد بن عبد الله، وابن بنته أبو صالح

(١) فى الأصل : «إذا أكلت» .

(٢) ذكره الذهبى فى تذكرة الحفاظ (٣ : ٤٦) . وقال : «توفى سنة سبع وعشرين وثلاثمائة» . وقال ابن عساكر فى تاريخ دمشق : « محمد بن بركة بن الحكم بن إبراهيم، أبو بكر الحافظ الحيرى اليحصبى القنسرينى المعروف ببرداعس ، سكن حلب ثم قدم دمشق وحدث بها » . وذكر وفاته كما ذكر الذهبى . وانظر شذرات الذهب .

محمد بن المهذَّب ، وأبو الحسن المهذب وجعفر ابنا علىّ بن المهـذب ، وأبو النصر عبد الكريم بن جعفر بن علىّ بن المهذَّب المعزيُّون ، وأبو عَمْرو عثمان بن عبـد الله الطَّرَسُوسىّ قاضى معرّة النعمان بعده .

ووُلد بالمعرّة سنة خمس وثلاثمـائة ، وتُوُفّى بحمص وهو على قضائها فى جمادى الأولى سنة سبع وسبعين وثلاثمـائة ، ودفن ظاهر باب الرُّستن[1] .

ومنهم ولده أبو محمد عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان ، والد الشيخ أبى العـلاء . روى عن أبى بكر محمد بن الحـسين السَّبِيعى الحافظ نزيل حلب ، وأبى عبد الله الحسـين بن خالويه[2] ، وأبيه أبى الحسن سليمان بن محمد بن سليمان ، وأبى القاسم الحسن بن منصور بن محمد الكندىّ ، وأبى سعيد الحسن بن إسحـاق بن بُابل المعـرّىّ[3] القاضى بها ، ومحمد بن عثمان بن أبى شيبة ، وعبد الله بن محمد البغوىّ ، وغيرهم . روى عنه ابنه الشيخ أبو العلاء أحمد .

وكان أبو محمد فاضلا أديبا ، لغويا شاعرا . ومولده سنة ثلاثين وثلاثمـائة .

ومن شعره قوله يرثى جارية له :

مـولاكِ يا مـولاةَ مـولاها على ... حالٍ تَسُـرُّ عـدوّه وتَضُرُّه

وبُودّه لو كنتِ أنتِ مكانه ... فى الزائرينَ وأنّ قـبرَكِ قـبرُه

وقـوله :

سَمِـعتُمْ بأجْـوَرَ مِنْ ظالِم ... أعَـلَّ الفُـؤادَ وما عادَهُ

وقـد كان واعَدَنِى زَورةً ... فأخلَفَ يا قـومُ مِيعـادَهُ

---

(١) الرستن ، بفتح أوله وسكون ثانيه وتاء مثناة من فوق وآخره نون : بليدة قديمة كانت على نهر العاصى . انظر معجم البلدان (٤ : ٢٤٩) .

(٢) هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه النحوى اللغوى توفى بحلب سنة ٣٧٠ .

(٣) ذكره ابن عساكر فى تاريخ دمشق . وقال : رحل فى طلب الحديث إلى دمشق و بيت المقدس والكوفة ، وسمع فى كل منها عن جماعة . انظر مختصر تاريخ دمشق (٤ : ١٥٤) .

وتُوفى أبو محمد عبد الله بن سليمان والد أبى العلاء بمعرّة النُّعمان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة[1] . وقال فيه أبو العلاء ابنُه يرثيه، من أبيات أجازها لنا أبو اليُمن زيد بن الحسن الكِندى ، قال : أنشدنا موهوب بن الخَضِر بن الجواليقى[2] ، قال : أنشدنا يحيى بن على التَّبريزى[3] ، قال : أنشدنا أبو العلاء المعرّى يرثى أباه :

أبى حَكمتْ فيـهِ اللّيالى ولم تَزَلْ ... رماحُ المنـايا قَادراتٍ على الطَّعنِ
فيا ليتَ شِعرى هل يَخِفُّ وقارُه ... إذا صارَ أُحْدُوثًا فى القيامةِ كالعِهْنِ
وهل يرِدُ الحوضَ الرَّوِىَّ مُبادِرًا ... مع النَّاس أو يأبَى الزِّحام فيَسْتأْنِى

وخلّف أبو محمد عبد الله بنين ثلاثة : أبا المجد محمد بن عبد الله، وهو الأكبر، والموجود الآن من بنى سـليمان كلُّهم من عقبه ، وأبا العـلاء أحمد بن عبـد الله ابن سليمان، وهو يلى أبا المجد فى السنّ ، وأبا الهيثم عبد الواحد بن عبد الله ، وهو أصغر الإخوة الثلاثة .

فأما أبو الهيثم عبدالواحد بن عبدالله بن سليمان فكان شاعرا مُجيداً، روى عنه أبو العلاء شيئا من شعره، وجمع شِعره لولده زيد بن عبد الواحد . ذكر أبو غالب همام بن المهذب فى تاريخه، أنّ أبا الهيثم وُلِد فى سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة .

وقرأت بخط أبى اليسر شاكر بن عبد الله بن سليمان : وُلِد الشـيخ أبو الهيثم عبد الواحد بن عبد الله بن سليمان، سنة سبعين وثلاثمائة ، وله شعر مدوّن جمعه أخوه أبو العـلاء لابنه زيد ، منه ما أنشـدنا أبو إسحاق إبراهيم بن أبى اليسر بدمشق،

---

(١) كذا . وإنما توفى سنة ٣٧٧ بحمص، كما نص ياقوت ص ٦٩ .

(٢) هو أبو منصور موهوب بن أحمد بن الخضر بن الحسن الجواليقى البغدادى، له تصانيف كثيرة، منها " المعرّب "، وشرح أدب الكاتب . ولد سنة ٤٦٦ وتوفى سنة ٥٣٩ .

(٣) من قصيدة فى سقط الزند (١ : ١٩٣) .

قال: أنشدنى أبى شاكرُ بنُ عبد الله ، قال: أنشدنى جَدّى أبو المجد محمدبن عبد الله ابن محمد، قال : أنشدنى الشيخ أبو العلاء أحمد بن عبد الله، قال : أنشدنى أخى أبو الهيثم لنفسه يخاطب بعض الشعراء :

زِدنِى من الشِّعـر الذى استنبطتَه ... من فِكرِكَ المتصرِّف المستجلِس[1]

فدَنِيّةُ الأشـعارِ تصقُل خاطِرِى ... مثـلُ الحُسامِ جَلوته بالمِـدْوِس

وتُوفى أبو الهيثم سنة خمس وأربعمائة ؛ وخلّف ولدا واحدا ذكرا، وهو أبو نصر زيد بن عبد الواحد بن عبد الله . قرأ على عمّه أبى العلاء، وجمع له أبو العلاء شعرَ والده أبى الهيثم .

أنشـدنى أبو إسحاق إبراهيم بن شاكر بن عبد الله، قال : أنشـدنى أبى شاكرٌ قال : أنشدنى جدّى أبو المجد قال : سمعت أبا العـلاء يُنشِد زيد بن عبد الواحد ابن عبد الله بن سليمان، من شعر والده أخيه أبى الهيثم، وكان جمع له شـعرَ والده أخيه، وكان أخوه قدم على « سِياث »، فوجد بها رجلا يقلع حِجارة، وكتب على حائط من حيطانها بِمعول[2] :

مررتُ بربعٍ من سِياثَ فراعَنى ... به زَجَلُ الأحجار تحتَ المَعاوِلِ

تَناوَلَهـا عَبْـلُ[3] الذِّراع كأنّمـا ... جَنى[4] الدَّهْرُ فيما بينهم حربَ وائِلِ

أُمتيلِفُهـا[5] شَلَّتْ يمينُك، خَلِّهـا ... لمعتـبرٍ أو زائـرٍ أو مُسائِـلِ

منـازل قومٍ حدّثتنـا حديثَهم ... فلم[6] أرَ أحلَى مِنْ حديث المنـازل

---

(١) كذا فى الأصل . (٢) قال ياقوت فى رسم (سياث) : «اجتاز بها القاضى أبو يعلى عبد الباقى ابن أبى حصين المعرّى والناس ينقضون بنيانها ليعمروا به موضعا آخر فقال » ، وأنشد الأبيات التالية .

(٣) عبل : ضخم . وفى الأصل : «عبد» . (٤) فى معجم البلدان : « رمى » .

(٥) فى معجم البلدان : « أتلفها » . (٦) رواية ياقوت : « ولم » .

قرأت بخطّ بعض المعرّين على ظهر كتاب : وُلد الشيخ أبو نصر زيد بن عبد الواحد بن عبد الله بن سليمان سنة ثمانٍ وتسعين وثلاثمائة . وتوفى سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة، فقد كان عمره أربعا وأربعين سنة .

وله ولد اسمه مُنافر، وقف بخطّه كتبا من تصانيف عم أبيه أبى العلاء، تدلُّ على فضله وحُسن نقله . وليس له عقبٌ بالمعرة ولا غيرها .

وأمّا أبو العلاء فهو الذى وُضع هذا الكتاب فى ذكره، وسنذكر مولِدَه وأحواله، وشيوخَه، ووفاته، إن شاء الله تعالى .

وأمّا الولد الأكبر فهو أخو أبى العلاء، أبو المجد محمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان . والعقِب الموجود إلى الآن من ولده . وكان فاضلا أديبا شاعرا، وله ديوانُ شعر مجموع . سمع بمعرّة النعمان أبا أحمد عُبيد الله بن محمد بن أحمد، ابنَ الحريص البزّار[1]، وأبا زكريا يحيى بن مسعر بن محمد . روى عنه أخوه أبو العلاء، وولده عبد الله بن محمد القاضى، وأبو سعد السمّان . ووُلد ليلةَ الجمعة لاثنتى عشرة ليلةً خلت من شوّال سنة خمس وخمسين وثلاثمائة .

ومن شعره ما أنشدنى أبو إسحاق إبراهيم بن شاكر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله [بن محمد بن عبد الله[2]] بن سليمان، قال أنشدنى أبى أبو اليسر شاكر، قال أنشدنى جدّى أبو المجد محمد بن عبد الله، قال أنشدنى أبى عبدُ الله، قال أنشدنى أبى أبو المجد محمد بن عبد الله بن سليمان لنفسه، وقد اجتاز بقبر صديقٍ له :

---

(١) ذكره السمعانى فى الورقة ١٦٥ . وقال : «يعرف بابن الحريص» وقال أيضا : «الحريصى نسبة إلى الحريص، وهو لقب لبعض أجداد أبى أحمد عبيد الله بن محمد أحمد» . وفى الأصل : «ابن الحريصى» ، محرف .

(٢) تكملة ضرورية .

سَقَى قبرَكَ المهجورَ صَوبُ تَجاوُزٍ عميمُ الرِّضا جَمُّ اللُّها والمكارمِ
إذا طَلعتْ يومَ الحِسابِ سَحابةٌ مَحَتْ بقضاءِ الله صُحُفَ الجرائمِ

وتوفى أبو المجد محمد بن عبد الله بن سليمان سنة ثلاثين وأربعمائة، وعمره خمس وسبعون سنة . وله ولدان ، وليا قضاءَ معرّة النُّعمان : أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمان، وأبو الحسن علىّ بن محمد بن عبد الله بن سليمان . ولكلٍّ منهما عقبٌ مذكور .

فأمّا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمان بن أحمد بن سليمان التنوخى، ابن أخى أبى العلاء قاضى معرّة النعمان، فإنه روى عن أبيه أبى المجد محمد ، وعمه أبى العلاء أحمد ، وتولّى خدمة عمِّه بنفسه ، وكان برًّا به ، وكان يكتب لعمِّه أبى العلاء تصانيفَه، ويكتب عنه بإذنه السماع والإجازة، لمن يطلب ذلك من عمِّه. روى عنه ابنه أبو المجد محمد بن عبدالله بن محمد، وولى قضاء معرّة النعمان بعد عزل ابن أبى حُصين عنه ، لأمر أُنكر على ابن أبى حُصين . وكانت ولايته القضاء فى سنة ثلاثٍ وأربعين وأربعمائة ، على كرهٍ من عمِّه أبى العلاء . وكان مولدُه بمعرّة النعمان سنة سبع وتسعين وثلاثمائة . وله ديوان شعرٍ ورسائل حسنة . وتولّى القضاء بمعرّة النعمان، وخطابتها، والوقوف[1] بها . وكان يخدم عمَّه أبا العلاء، ويعلّله فى مرضه. فقال فيه أبو العلاء :

وقاضٍ لا ينامُ اللَّيلَ عنّى وطُولَ نَهارِه بينَ الخُصومِ
يكونُ أبرَّ بى مِن فَرْخِ نَسْرٍ بوالِدِهِ وألطَفَ من حَميمِ
سأشكُرُ شُكْرَهُ فى يومِ حَشْرٍ أجَلْ، وعلى الصِّراط المستقيمِ

(١) الوقوف : جمع وقف . عنى النظر فى أمر الأحباس والأعيان الموقوفة .

ودفع إلىَّ أبُو الحسن محمد بن أبى جعفر أحمد بن علىّ، إمام الكَلَّاسة بدمشق، جزءا بخط أبيه أبى جعفر إمام الكَلَّاسة، فقرأتُ فيه بخطّه أنّ الشيخ أبا اليسر شاكر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمان قال له : إنّ أبا العلاء قال فى ابن أخيه أبى محمد عبد الله :

أعبدَ الله، ما أسْدَى جميلا ... نَظيرَ جميلِ فعلك غيرُ أُمِّى
سقَتْنِى دَرّها ودَعَتْ وباتتْ ... تُعوِّذُنى وتَقْرأُ أو تسمِّى
همْتَ بأنْ تُجَنِّبَنى الرزايا ... فرُمْتَ وِقايتى مِن كُلِّ همِّى
كأنّ الله يُلهِمُكَ اختيارِى ... فتفعلُهُ ولم يَخْطُرْ بوَهْمِى
حَمِدْتُكَ فى الحياة أتمّ حمدٍ ... وأيّامِى ذمَمْتُ أتمّ ذَمِّ
أجِدَّكَ ما تركتَ وأنتَ قاضٍ ... تَعَهُّدَ مُقْعَدٍ أعْمَى أصَمِّ
جزاكَ البارئُ ابنَ أخٍ كريما ... أبرَّ بمُعْجِزٍ فى بِرِّ عَمِّ

قرأت بخط القاضى أبى القاسم المحسِّن بن عمرو التَّنوخى فى كتابه "النائب عن الإخوان" : حضرتُ بعضَ أهل الأدب وقد أنشد هذه الأبيات :

لمّا خَبَتْ ريح الفِرا ... قِ ولاحَ لى نجمُ التَّلاقِ
وظننْتُ أنِّى لا محا ... لَةَ قد نجوتُ من الخِناقِ
حَدَثَتْ عَلىّ حوادِثٌ ... للبَين محكمةُ الوَثاقِ
فنفَيْنَ عَنْ عينِى الكَرَى ... وأذقْنَنِى مُرَّ المَذاقِ
وتَرَكْنَنى متلدِّدا[1] ... فى طُولِ هَمٍّ واشتياقِ
أبكى الدِّماء على فرا ... قِ الباكياتِ على فِراقِ
إن اصطبارَ العاشقي ... ن على الفِراقِ من النِّفاقِ

(١) التلدد، بدالين مهملتين : التحير . وفى الأصل : « متلذذا » بمعجمتين، محرف .

لجماعةٍ من أصحابنا المعرّين ، وسألهم إجازتَها والزيادةَ . فزاد فيها أبو محمد عبد الله بن سليمان القاضى مازحا للوقت :

فإذا وَصلْتَ إلى الوَدا ع بلحْظِ عَينٍ أو عِناقِ
ورأيتَ مُنْهَلَّ الدُّمو ع كأنّها خَيْلُ السِّباقِ
وعَلَا البكاءُ من الجمي ع وخِفْتَ من فَرْط اشتياقِ
فذَرِ الرُّجُوعَ وسِرْ على رَغْم الفِراق مع الرِّفاقِ
واحلِفْ بأنّك لا تعو دُ إلى المعَرَّةِ بالطَّلاقِ

تُوفّىَ القاضى أبو محمد عبدُ الله فى شعبان سنة خمسٍ وستّين وأربعمائة .

وأمّا أبو الحسن علىّ[1] بن محمد بن عبدالله بن سليمان ابن أخى الشيخ أبى العلاء، فهو الأصغر منهما . سمع عمّه أبا العلاء ، وتولّى قضاءَ معرّة النُّعمان ، وقضاء حَمَاة . وسَيّر إلىّ شهابُ الدين أبو المعالى أحمد بن مُدرك بن سليمان جزءا فى أخبار سَلَفه، ذكر فيه عليًّا هذا، وقال : إنّه كان فاضلًا ، سمع على عمّه الشيخ أبى العَلاء جميعَ أماليه، ونسَخَها بخطّه، وولى قضاء حماة، رحمه الله . وكانت ولايته قضاءها فى سنة إحدى وخمسين وأربعمائة .

وذكر أبو غالب بن المهذّب فى تاريخه، أنّ مولد القاضى أبى الحسن علىّ[1] [بن محمد][2] بن عبد الله فى سنة خمس وأربعمائة .

وقرأتُ فى بعض تعاليق للقاضى أبى المرشد سليمان بن علىّ بن محمد فى أبيه يرثيه حين مات :

شَهِدتُ لقد أبقَتْ بدِين محمّدٍ وَفاةُ علىٍّ ثُلمَةً ما لها سَدُّ
وفى المجدِ صَدْعاً ليس يُجبَرُ كَسرُهُ وفى الدِّينِ وَهْناً باقيا ماله شَدُّ

(١) فى الأصل : «أبو الحسن بن على» . وكلمة : «بن» مقحمة. (٢) تكملة تقتضيها صحة النسب.

فلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ يابنَ محمّدٍ ... ومَن يَكُ مِنّا اليوم حيًّا هو البعد
ولا رقأَتْ عينُ امرئٍ ليسَ باكِيًا ... عليكَ ولا أضحى له عالِيًا جَدُّ
فإن أشمَتَ الحُسّادَ موتُكَ عاجِلاً ... فليس لحيّ من لقاءِ الرَّدَى بُدُّ
يَعِزُّ علينا أن نَرَاكَ مُجَنْدَلاً[1] ... صريعاً وأن تُمسِي يُخَدُّ لك الخَدُّ

والعقبُ الموجود الآن من بنى سليمان فى ولد أبى محمّد عبد الله ، وأبى الحسن علىّ[2] ابنى أبى المجد محمّد، أخى أبى العلاء .

فأمّا القاضى أبو محمّد عبد الله فله ولدان : أبو مسلم واذع[3]، وأبو المجد محمد ، ابنا أبى محمد عبد الله بن محمد القاضى المقدّم ذكره .

فأمّا أبو مسلم فهو الأكبر منهما، وهو القاضى الرئيس شرف القضاة، أبو مسلم واذع بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمان القاضى . وُلد بالمعرّة سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، وسمّاه عمّ أبيه أبو العلاء واذعا، وكنّاه بأبى مسلم . وكان رئيس المعرّة وكبيرَها والمقدَّم بها ، وولى القضاء بها بعد أبيه . وكان مشهورا بالجود والكرم والعطاء، عالما أديبا فاضلا . وله رسائل حسنة ، وشعر جيّد . وديوان شعره موجود بأيدى الناس . روى عنه أخوه القاضى أبو المجد محمد بن عبد الله ابن محمد .

أنشدنا زين الأمناء أبو البركات الحسن بن محمد بن الحسن الدمشقىّ بها ، أنشدنا أبو اليسر شاكر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمان ، أنشدنا جدّى

---

(١) كذا فى الأصل . والوجه : « مجدلا » أى صريعا على الجدالة ، وهى الأرض .

(٢) كتب هنا فى الأصل : « بياض بالأصل » .

(٣) ورد هذا الاسم فى جميع المواضع من هذا النص بالذال المعجمة . لكن فيما سبق من النصوص وكذا فى الخريدة : «وادع» بالدال المهملة . والواذع ، بالذال المعجمة ، هو معين الماء .

القاضى أبو المجد محمد بن عبد الله بن سليمان[1] ، أنشدنى القاضى أبو مسلم واذع بن عبد الله بن سليمان[2] لنفسه :

وقَفْنا وقد غاب المُراقِبُ وقفةً ... أمِنَّا بها أن يفتِك السُّخْطُ بالرِّضا
عَلَى خَلوةٍ لم يَجْرِ فيها تنغُّصٌ ... بها عادَ وجهُ اللّيل عِندِى أبيضَا
نُعِيد حديثًا لا يُمَلُّ كأنّهُ ... حَياةٌ أُعِيدَتْ فى امرئٍ بعدَما قضَى

تُوفِّىَ أبو مسلم واذع سنةَ تسعٍ وثمانين وأربعمائة .

ولا أعلم لأبى مسلم غيرَ ولد واحد، وهو أبو عَدِىّ النعمان بن واذع بن عبد الله ابن سليمان[3] . شاعر محسن . مولده بمعرّة النعمان . وروى عنه ابنُ ابنِ عمّه شاكر ابن عبد الله بن محمد بن عبد الله، وأبوالفضل هبة الله بن ذَكْوان بن محمد الكَلاعىّ .

ومن شعره ما أخبرنا به أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن الدِّمشقىّ بها، عن أبى الخطاب عمر بن محمد العُلَيمى[4]، ونقلته من خط العليمىّ، قال: أنشدنى أبوالفضل هبة الله بن ذكوان بن محمد الكَلاعىّ بخُوارَزم، قال : أنشدنى أبوعدىّ النُّعمان بن واذع بن سليمان لنفسه بحماة :

عَبِث النّسيمُ بعِطْفِه فتَرَنَّحَا ... نَشْوانَ من ماء الشَّبيبةِ ما صَحَا
أخذتْ لواحِظُه القِصاصَ لخدِّه ... منّا فجُرِّح باللِّحاظ وجَرَّحا
لَبِس السَّوادَ فلن تَرَى عينُ امرئٍ ... فى الخَلْق أحسَنَ منه فيه وأمْلَحا

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمان . لكن جرى ابن العديم على النسبة الى الجد الأكبر سليمان فى معظم أفراد هذا البيت .

(٢) هو واذع بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمان . وانظر الحاشية السابقة .

(٣) انظر الحاشية الأولى .

(٤) نسبة إلى عليم، بهيئة التصغير، وهو بطن من عذرة . وقد ذكره السمعانى فى الورقة ٣٩٧ . قال : « وصاحبنا أبو جعفر عمر بن محمد العليمى الدمشقى »

غارتْ عليــه إذ رأتهُ قــلوبُنا بِسَــوَى سُــوَيداواتِها مُتَــوَشِّحَا
مَلَكَ القــلوبَ مُمَــلَّكٌ لو أنّه لَمَسَ الحَصَى بالكفِّ منه لسَبَّحا

تُوفِّى أبو عدىّ سنة نيِّف وخمسين وخمسمائة . ولا أعلم له عقِبا .

وأما أبو المجد محمّد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان، المعروف بمجد القضاة، فهو ابن ولدِ[1] أخى أبى العلاء، الأصغرُ منهما . وهو أيضا تولّى القضاء بمعرّة النعمان نيابةً عن أخيه واذع بن عبد الله، ثم تولّى القضاء بها بعدهُ استقلالا. ومولده بمعرّة النُّعمان ليلة الجمعة ، بين المغرب والعشاء، فى خامس شهر ربيع الآخر من سنة أربعين وأربعمائة ، وقيل سنة إحدى وأربعين وأربعمائة . وكان فاضلا أديبا، شاعرا ناثرا، راويا للحديث، فقيها مُتْقنًا على مذهب الشّافعى . رحمه الله .

روى عن أبيــه عبد الله ، وعم أبيه أبى العــلاء ، وأخيه أبى مسلم واذع ، وأبى الحسن علىّ بن أحمد بن الدُّوَيدة[2]، وأبى يعلى عبد الباقى بن أبى حُصين[3]. روى عنه حفيدُه أبو اليسر شاكر بن عبد الله بن محمد ، ومؤيّد الدّولة أُسامة بن مُرشِــد ابن مُنْقِذ الشَّيزرىّ[4] .

أنشدنى زين الأمناء أبو البركات الحسن بن محمد بن الحسن، أنشدنى أبو اليُسْر شاكر بن عبد الله المعرّىّ، أنشدنى جدّى أبو المجد محمّد بن عبد الله لنفسه :

أَلَا أيُّها البرقُ الذى لاحَ مَوْهِنًا لقَدْ زِدتَنى سُقْمًا وهيّجتَ لى وَجْدَا

---

(١) فى الأصل : « أب » تحريف، صوابه ما أثبتناه .

(٢) ذكره العماد فى الخريدة فى ص ١٢٩ من الجزء الأوّل .

(٣) ذكره العماد فى الخريدة فى ص ١٣٠ من الجزء الأوّل .

(٤) هو أسامة بن مرشد بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ صاحب لباب الآداب، من أكابر بنى منقذ، أصحاب قلعة شيزر بالشام، بالقرب من حماة . نبت به دمشق، فانتقل إلى مصر مؤخرا إلى أيام رزيك، ثم عاد إلى الشام . ولد سنة ٤٨٨ وتوفى سنة ٥٨٤ . انظر الخريدة (١ : ٩٩) وابن خلكان .

وأزقْتَ عنِي والخَلِيُّونَ هُجَّـعٌ كأنْ لم تَجِدْ دونَ اعتراضِك لى بُدَّا
وأذكَرْتَنى ثَغْـرَ الحبيبِ ولَثْمَـه على عَجَلٍ لو كُنتَ تُشْبِهُه بَرْدَا

ولمّـا هجم الفرنج على معرّة النعمان، سنة اثنتين وتسعين وأر بعمائة، وكان أبو المجد هذا قاضيًا بها، انتقل إلى شيزر، وأقام بها مدّة، ثمّ انتقل إلى حَماة، وأقام بها إلى أن مات، فى محرّم سنة ثلاثٍ وعشرين وخمسمائة.

وله ولدٌ واحد، وهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن سليمان، أبو محمـد بن أبى المجد بن أبى محمـد، والد أبى اليسر شاكر. سافر إلى مصر، ولقى الأفضلَ أميرَ الجيوش[1] فلزمه. وولد بمعرّة النعمان يوم الأر بعاء التاسع عشر من جمادى الآخرة سنة سبع وسبعين وأر بعمائة.

ومن شعره ما أخبرنا به أبو نصر محمد بن هبة الله ابن الشِّيرازى[2] القاضى إذنا، وقد لقيته بدمشق وسمعت منه، قال أخبرنا الحافظ أبو القاسم على بن الحسن الشّافعى[3]، قال أنشدنى أبو اليسر، قال: كتب إلىّ والدِى من مصر:

يا غائبًا مَسْكَنُهُ مهجتى وحاضـرًا وليس بالحاضـرِ

---

(١) هو أمير الجيوش أبو القاسم شاهنشاه، الملقب الملك الأفضل بن بدر الجمالى. قتل سنة ٥١٥. انظر الوفيات (١ : ٢٢١) والكامل لابن الأثير.

(٢) هو أبو نصر محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن يحيى بن بنـدار بن ميل، ابن الشيرازى. ولد سنة ٥٤٩ وولى قضاء القدس ثم الشام. وتوفى سنة ٦٣٥. انظر طبقات الشافعية (٥ : ٤٤).

(٣) هو أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله بن الحسين الحافظ. ولد سنة ٤٩٩ ورحل إلى بلاد كثيرة فى طلب الحديث ورواياته. وتوفى سنة ٥٧١ بدمشق. انظر طبقات الشافعية (٤ : ٢٧٣ — ٢٧٧) وتذكرة الحفاظ (٤ : ١٢٢ — ١٢٨).

صَــوّرهُ شَــوقِى إليــه فمـا يَرِيمُ مِنْ قلبى ومِنْ ناظِرِى
جَفَـا رُقادِى بعــدَهُ مُقْلَـتى واستُودِعتْ وحْشَـتُهُ خاطِرِى

تُوفى أبو محمد عبدالله هذا فى حياة أبيه بمصر، يوم الجمعة للنصف من شهر ربيع الآخر سنة ستّ عشرة وخمسمائة، ودفن بالقَرافة، بقرب روضة الشافعى رضى الله عنه .

وله ولدان، أبو اليسر شاكر، وأبو الفضائل عبد الكريم ابنا عبد الله بن محمد . فأما أبو الفضائل عبد الكريم بن عبد الله بن محمد بن عبــد الله بن محمد بن عبد الله ابن سليمان، فهو الأصغر . وكان شاعرا فاضلا ممدحا، روى عنه أخوه أبو اليسر شيئا من شعره . وكان مولده فى الثامن من شوّال سنة ثمانى عشرة وخمسمائة[1] بحماة، ونشأ بهـا، وربّاه جدُّه القاضى أبو المجد محمد بن عبد الله وأخوه أبو اليسر، وكان والده أبو محمد قد سافر إلى مصر كما ذكرناه، وتركه طفلا، ومات بمصر، فاشتمل عليــه جدُّه وأخوه، ونشأ نشأة حسنة، وكان زاهــدًا كريما ورعا، كثير الصدقة والمعروف، كثير التّلاوة للقرآن . كتب إلينا غيرُ واحدٍ من شيوخنا بالإجازة عن أبى اليسر شاكر بن عبد الله بن محمد بن سليمان، قال : أنشدنى أخى، يعنى عبدالكريم، لنفسه أبياتا عملها وقد اجتاز بجسر ابن شَوّاش[2] فى زمن الرّبيع ... ... يعنى بدمشق ... ... :[3]

مَرَرْتُ بالجِسْرِ وقــدْ أينَعَتْ رِياضُــهُ بالحُــرّدِ العِــينِ
ظِبـاءُ أُنسٍ كالدُّمَى قَادَنِى حَنَــنى إليهِنّ وتَحْــنِينِى
جسرُ ابنِ شَــوّاش[2] الذى لم تَزَلْ فيــه العُيونُ النُّجْلُ تَسْبِينِى

(١) كذا فى الأصــل . ولعلها : « ثمان وخمسمائة » أو « عشر وخمسمائة » ؛ لأن والده توفى سنة ٥١٦ كما سبق فى السطر ٤ من هذه الصفحة .

(٢) شواش : بفتح أوله وتشديد الواو المفتوحة وآخره شين . وابن شواش رجل نسب إليه موضع من منتزهات دمشق، كما نص عليه ياقوت .

(٣) بياض بالأصــل .

ونشـــرُ عِطْـــرٍ فاغِـيمٍ لم أزَلْ أَمُـــوتُ مِنْ شَـــوقٍ فيُحْيينى[1]
وكانَ قلبِي فى الهـوى طائِعى وعاصِـيًا مَنْ كانَ يُغْـوِينى
ولم يُجِبْـــهُ لِلَّـــذِى سَامَـــهُ من انَحْـــنا قلـبى فيُصْبِينى
فسِرتُ عنهنَّ سُـــرَى مُسْرِعٍ مخافـــةً منهـا عـــلى دِينى
فالحمـــدُ لِلَّـــه الذى لم يزَلْ إلى سَـــبيل الرُّشْـــد يَهـدِينى

أخبرنا أبو نصر [ابن] الشيرازىّ كتابة، قال: أخبرنا أبو القاسم[2] الحافظ، قال: قال لى أخوه أبو اليسر: كان مرضُه عشرة أيام بالسُّعال، ونَفَث الدَّم العَبيط، ومات ميتةً سَهلة. قال لى: قد وجدتُ السّاعةَ راحةً عظيمة، ولذّةً تشبه لذة النوم، ولم يبق عندى ألمٌ من شىء. فقلت له: فعن إذنك أمضى إلى المسجد الجامع، فأُصلّىَ الجمعـة وأعودَ أليـك، قال نعم. فمضيت، فأدركتْنى امرأة فقالت: أدرِك أخاك، فقد شَخَص[3]، فعُدْت إليه، فقضى نحبَه وقتَ صلاةِ الظُّهر من يوم الجمعة، للسابع والعشرين من شهر ربيـع الآخِر سنة خمس وخمسين وخمسمائة، ودفن بجبل قاسِيون. وكان قال لأخيه فى مرضه: قد حضرنى قومٌ حِسان الوجوه والزِّىّ، نِظاف اللباس، طيِّبو الرائحة، مستبشرين. فقال له أخوه: هذه أوصاف الملائكة.

وأما أبو اليسر، فهو شاكر بن عبـد الله بن محمد بن عبـد الله بن محمـد بن عبد الله بن سليمان المعرّىّ، أبو اليسر بن أبى محمد بن أبى المجـد ابن أبى محمد ابن أبى المجد ابن أبى محمد.

---

(١) فى الأصل: «فنحيينى»؛ بالتاء المثناة الفوقية.

(٢) سبقت ترجمته فى ص ٥٠٢.

(٣) شخص، فى اللسان: «وفى حديث ذكر الميت إذا شخص بصره. شخوص البصر: ارتفاع الأجفان إلى فوق، وتحديد النظر، وانزعاجه». وفى الأصل: «أشخص» محرف.

كان كاتبا شاعرا أديبا فاضلا ، كتب الإنشاء لأتابك الشّهيد زنكى بن آق سُنقر، ثمّ لولده نورالدين محمود بعده، ثم استعفى وقعد فى بيته . وولد بشَيزَر سنة ستّ وتسعين وأربعمائة ، ونقله والده أبو محمد عبد الله إلى عند جدّه أبى المجد محمد بن عبد الله إلى حماة، فرُبّى فى حجر جدّه وأبيه، وقرأ على جدّه الأدب، وسمع منه الحديث، واشتغل عليه بغير ذلك من العلوم .

روى عنه الحافظ أبو القاسم بن عساكر ، وذكره فى تاريخ دمشق وهو حىّ ، ولم يذكر مَنْ كان حيًّا فى زمنه غير أربعة هو أحدهم. وروى عنه العماد أبو عبدالله محمد بن محمد الكاتب، وأبو المواهب بن صَصْرَى[1]، وروى لنا عنه ابنه أبو إسحاق إبراهيم، وأبو القاسم الحسين بن هبة الله بن صَصْرَى ، وأبو الحسن محمد بن أحمد ابن على القرطبىّ وغيرهم .

وتوفى يوم الجمعة الثالث والعشرين من المحرّم سنة إحدى وثمانين وخمسمائة بدمشق، ودفن بسفح جبل قاسيون، أخبرنى بوفاته ولده إبراهيم .

ومن شعره فى الناعورة :

وباكيةٍ حَنَّتْ ففاضَتْ دموعُها ... تُراها بكَتْ مِنْ خَوفِ بَيْنٍ يروعُها
لها أعينٌ تجرِى بأدمُعٍ عاشقٍ ... وما عرَفَتْ عِشقًا فمِمَّ دُموعُها

وكان لشاكر أولادٌ جماعة .

منهم ولده أبو البركات محمد بن شاكر بن عبد الله ، سمع الحديث من الحافظ أبى القاسم الدِّمشقى، وكان مولده بحلب فى ذى الحجّة، سنة خمس وأربعين وخمسمائة.

(١) هو الحافظ أبو المواهب، الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن حسن ، المعروف بابن صصرى . ولد سنة ٥٣٧، ورحل فى طلب الحديث، وصحب الحافظ ابن عساكر وتخرج به، وأكثر عنه، وتوفى ٥٨٦. انظر تذكرة الحفاظ (٤ : ١٥٢) .

ومن شعره :

نَظَـر الحبيبُ إلى المحبِّ فتَـاقا ودَنَا إلى ذِى وَجْـدِهِ فأفَاقا
سُـبحانَ مَنْ جَمَـعَ المحاسنَ كلَّها فيـــه فضَاهَى خَلْقُـه الأخلَاقا

ومنهم ولده الآخر سليمان بن شاكر ، شاعرٌ حسن الشِّعر ، مولده بدمشق سنة خمسين[1] وخمسمائة . من شعره ما كتبه إلى أبيه شاكر :

تَهَنَّ بالصَّـــومِ و بالفطـــرِ وعِشْ ســـعيدًا آخِرَ الدَّهْـــرِ
يا سَـــيِّدًا فاقَ جميـــعَ الورَى بالعِـــلم والزُّهـــدِ و بالذِّكْرِ
إنِّى جـــدير أنْ أنالَ الذى آمُـــلُ مِن نُعْماكَ يا ذُخرِى
إنِّى إذا نافسْـــتُ لا أرعـــوِى لأنَّـــنى نجـــلُ أبى اليُسْـــرِ

ومنهم ولده أبو العلاء أحمـد بن شاكر شيخُنا ، روَى عن والده أبى اليسر ، وعن الحافظ أبى القاسم الدِّمشقى . كتبتُ عنه ، وسألته عن مولده ، فقال : سنة أربع أو خمس وخمسين وخمسمائة . وتوفى بمعرّة النُّعمان سنة ثمانٍ وثلاثين وستّمائة ، فى شهر ربيع الأوّل .

ومنهم ولده الأصغر، شيخنا أبو إسحاق إبراهيم بن شاكر بن عبد الله، المعروف بالبهاء، درس الفقهَ على مذهب الشافعى ، وتولَّى الخطابة بالمصلَّى ، وسـيَّره الملك العـادل أبو بكر بن أيُّوب رسولا إلى حلب والموصل وغيرها، وكان فاضـلا أديبا محدِّثا، سمع شيخنا أبا اليُمن الكِندِىّ ، وأباحفص بن طبرزد[2]، وأباه شاكر بن عبدالله،

---

(١) فى الأصـل : «خمس» والصواب ما أثبتنا من الخريدة (١ : ١٢٦) . ومما يذكر هنا أن والده ولد سنة ٤٩٦ .

(٢) هو أبو حفص عمر بن محمـد بن معمر بن يحيى ، المعروف بأبى حفص بن طبرزد البغـدادى . ولد سنة ٥١٥ وسمع الكثير وأسمع . وكان خليعا ظريفا ماجنا . وكان يؤدب الصبيان بدار القز ، وقدم إلى دمشق ، وحصل له أموال . وتوفى سنة ٦٠٧ . انظر البداية والنهاية .

وأسامة بن مرشد، وغيرهم، وحدّث بشيء يَسير من مسموعه، وكُتِب عنه . وأخبرنى أنّ مولده سنة خمس وستّين وخمسمائة . وأنشدنى بدمشق، قال أنشدنى أبى، قال أنشدنى جدّى أبو المجد لنفسه :

وعَذْبِ المُقَبَّلِ رخْصِ البنانِ إذا لَمَسَ العُودَ أشْجَى القُلوبا
ويَنشَقُّ منه فُؤادُ المحبِّ إذا ما المحبُّون شَقُّوا الجُيُوبا

تُوفِّى شيخُنا أبو إسحاق إبراهيم بدمشق ، منتصف محرّم سنة ثلاثين وستّمائة ، يوم الأحد، ودفن يوم الاثنين بسفح جبل قاسيون .

فهؤلاء ولد أبى محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمان .

وأمّا أبو الحسن علىّ بن محمد بن عبد الله بن سليمان ابن أخى أبى العلاء، فله من الولد أبو المرشد سليمان، وأبو سهل مدرك، وقيل أبو المرشد كنيته .

فأمّا سليمان ، فهو أبو المرشد سليمان بن علىّ بن محمد بن عبد الله بن سليمان ابن محمد بن سليمان بن أحمد القاضى ، ابن ابن أخى أبى العلاء . ولى قضاء المعرّة ، وانتقل إلى شيزر بعد أخذ الفرنج المعرّة، وتوفّى بشيزر . وكان أديبًا فاضلا، فصيحًا شاعرا مُجيدا . وقفت له على كتاب بخطّه وتأليفه، فى تفسير أبيات المعانى من شعر المتنبّى، وهو كتابٌ حسنٌ فى فنّه، ووقفت له على رسائل حسنة من كلامه .

ومن شعره قوله :

نَزِّهْ لِسانَكَ عن نِفاقٍ منافقٍ وانْصَحْ فإنّ الدِّينَ نُصْحُ المؤمنِ
وتجنَّبِ المَنَّ المنكِّدَ للنَّدَى وأَعِنْ بنَيلِكَ مَنْ أعانَكَ وامْنُنِ
وتَنَاهَ عن غَبَنٍ وغَبِّنْ واغتنم حُسْنَ الثَّناءِ من الأنام وأَحْسِنِ

وأمّا أخوه مدرك، فهو أبو سهل، وقيل أبو المرشد مدرك بن علىّ بن محمد بن عبد الله ابن سليمان، وكان أديبًا شاعرا . من شعره قوله :

إذا لم تَستطِعْ سُكْنَى بــلادٍ نَشَأتَ بها فكُنْ منها قريبا
بحيثُ تَشُــمُّ نَشْــرَ الرِّيح منها وتَسألُ مُخْــبِرًا عنها مُجيبا
فإنّ أشــدَّ أحـداثِ اللّيـالى عـلى الإنسـان أن يُمسِى غَريبا
بأرض لا يَرى فيها صــديقًا يُسَــرُّ بــه ولا يَلْـقَى حَبيبا

وله وقد ورد إلى مصر :

ظَلَمَتْ مِصْــرُ وجَارَتْ لا جَـرَى النِّيــلُ عليهـا
فَلحَــى اللهُ زمانًــا أحْــوَجَ النّـاسَ إليهـا

وكان لمدرك من الأولاد أبو المعالى صاعد، وأبو سهل عبد الرّحمن، ومَرْضىّ، وأحمد، وسعيد.

فأمّا أبو المعالى صاعد بن مدرك بن علىّ بن محمد بن عبد الله بن سليمان، فمولده ومنشؤه بشَيزر وحماة، وتوفى بمعرّة النعمان؛ وكان شاعرًا أديبا. من شعره قوله :

ألَا أيُّهـا الوادى المنينىّ(١) هـل لَنَا تَلاقٍ فنَشْكُو فيـه صُـنْعَ التفرُّقِ
أبُثُّـكَ ما بى من غَرامٍ ولَوعـةٍ وفرطِ جوًى يُفْنِي وطُولِ تَشَوُّقِ
عَسَى أنْ تَرِقَّ حينَ مُلِّكْتِ رِقَّـهُ وتَرْثِى له ممّـا بهجرِك قَـدْ لـقِى
بوصلٍ يُرَوِّى غُلَّةَ الوجدِ والأَسى ويُطفَا به حرُّ الجـوَى والتحرُّقِ

وأمّا عبد الرحمن، فهو أبو سهل عبد الرحمن بن مدرك بن علىّ بن محمد بن عبد الله ابن سليمان، وهو ابن أبى المرشد المذكور، ابن أبى الحسن.

وُلد ونشأ بشيزر وحماة، وتوفى فى الزلزلة التى كانت بحماة سـنة ثلاث وخمسين وخمسمائة. وكان أديبًا شاعرا، روى عنه أبو اليسر شاكر شيئًا من شعره.

كتب إلىّ بعضُ شيوخى عن أبى اليسر شاكر بن عبد الله بن محمد بن سليمان، قال : أنشدنى عبد الرحمن بن مدرك لنفسه :

(١) لعله نسبة إلى «منين» قرية من أعمال دمشق، ورواية الخريدة : «المنيبى» وفى ياقوت : «المبنى».

بالله يا صاحبَ الوجهِ الذى اجتمعتْ فيــه المحاسنُ فاستَوْلَى على المُهَجِ
خُذْنى إليكَ فإن لم تَرْضَنى صَلَفًا فاطْرُدْ بِىَ العينَ عن ذا المنظرِ البهِجِ
كيف السَّلامةُ مِن جَفْنَيك إنَّهما حَتْفٌ لكلِّ محبٍّ فى الهوى وَشَجِ

ومن شعره قوله :

سارقْتُه نظـرةً أطالَ بهـا عذابَ قلبى وما لَهُ ذَنْبُ
يا جَوْرَ حُكْمِ الهَوَى و يا عجباً تَسرِقُ عينى ويُقْطَعُ القَلْبُ

وأمّا مرضىّ فله ولد، وهو أبو الحسن علىّ بن مرضىّ بن مُدرِك بن علىّ بن محمد بن عبد الله بن سليمان ، وُلد بمعـرّة النعمان ، وقيل بشَيزر ، ونشأ بحماة ، وكان فاضلا شاعرا مُجيدا مكثِرا . روى عنه أبو اليسر شاكر بن عبد الله بن محمد شيئا من شعره . أنشدنى أبو إسحاق إبراهيم بن شاكر بن عبد الله بن محمد بن سليمان بدمشق، قال : أنشدنى أبى شاكر، قال : أنشدنى جدّى أبو المجد محمد بن عبد الله لنفسه :

وَقَفْتُ بالدَّار وقد غُيِّرتْ مَعـالمٌ منهـا وآثارُ
فقلتُ والقلبُ بِه لوعـةٌ تُحـرِقُه والدَّمـعُ مِدرارُ
أينَ زمانٌ فيـك خلّفتُـه وأينَ سُكّانُك يا دارُ

قال لى أبو اسحاق إبراهيم بن أبى اليُسر، قال لى أبى : فوصلتِ الأبيات إلى القاضى علىّ بن مرضىّ بن مدرك بن سليمان، فقال على وزنها جوابا لها، وأنشدنيها علىٌّ لنفسه :

أجابَتِ الدَّارُ على عِيِّهـا إنَّ سُكوتى عنكَ إقـرارُ
أخنَى على مَنْ كان بى ساكِنًا صُروفُ أيّامٍ وأقـدارُ
فارتَجَـعَ الدَّهرُ ولذّاته مُعَـارَةٌ والدَّهرُ غَـدّارُ
وها أنا اليـوم كما قد تَرَى مُقْفِـرة ما فِىّ دَيّـارُ

(١) فى الأصل : «سميرة» .

تُوفّى علىّ بن مرضىّ بحماة فى الزلزلة التى أخربتها، يوم الاثنين رابع رجب سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة .

وأمّا أحمد بن مدرك فله ولد، وهو أبو المشكور صالح بن أحمد بن مدرك آبن علىّ بن محمد بن عبد الله بن سليمان القاضى، وكان ولى القضاء بمعرّة النعمان ، وروى الحديث عن أبى الحسن علىّ بن الحسين [بن][1] عمر الفزاء، وأبى العلاء صاعد ابن سيّار بن محمد، وكان سمع منهما بمصر .

روى عنه أبو البركات محمد بن علىّ بن محمد الأنصارىّ، وأبو محمد عبد القاهر آبن علوى قاضى معرّة مصرين . وكان أبو المشكور قد عمّر وغلب الكبر عليه . وقرأت بخط بعض المعرّيين : حدّثنى الفقيه المؤمّل بن عنبسة ، أنّ القاضى أبا مشكور صالح بن سليمان ، رأى فى منامه كأنّ قائلا يقول له : لم لا تعمد إلى شرب ماء الورد بعد سَفّ بزر قَطُونا[2]؛ فإنه أقلّ فضولًا من الماء ورطوبة ! والله لتُعمّرن ثمانين سنة، و بعدها يقضى الله ما هو قاض، إمّا سلامة و إمّا غيرها، وأنشد :

سَفَرٌ جَلَا عن مقلتى طعمَ الكرى ... سَفَرٌ وجَدْتُ الزّاد فيه سَفَرْجَلا
فشممت أطْيَبَ نفحةٍ من عَرْفِهِ ... وجِدْتُ طَعْمَ المرّ منهُ وما حَلا

وأمّا سعيد بن مدرك بن علىّ فله ولد ، وهو أبو الراضى مدرك بن سعيد بن مدرك بن علىّ . سمع أبا طاهر إسماعيل بن حميد، وروى عنه شعرا .

روى عنه أبو الخطاب عمر بن محمد العُلَيمىّ . أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد آبن محمد بن الحسن الدمشقى، عن أبى الخطاب عمر بن محمد العليمىّ، قال: أنشدنى

---

(١) ليست فى الأصل .

(٢) بزرقطونا : نبات يبرد الحرارة و يلين الخشونة و يطفئ العطش ، و إذا ضرب فى الماء حتى يرخف لعابه وشرب أطلق الطبيعة ، ورطب الأمعاء . انظر مفردات ابن البيطار (١ : ٩٠) . وفى الأصل : « بزرقطنه » محرّف .

أبو الراضى مدرك بن سعيد بن مدرك بن سليمان التنوخى إملاء من حفظه، قال : أنشدنى أبو طاهر إسماعيل بن حُميد، أنشدنى القاضى أبو المجد محمد بن عبد الله ابن سليمان لنفسه :

لئن عظُمَ اشتياقٌ منكَ نحوِى ففى قلبى من الأشواقِ نارُ
وعَلَّ اللهُ يجمعُ [بَعدَ] بينٍ لنا شملاً ويقتربُ المزارُ
وليس بضائرٍ والوُدُّ باقٍ إذا نَزَحَتْ بأهليها الدِّيارُ

فهذه نُبذةٌ من ذكر فضلاء بنى سليمان وقُضاتهم وعلمائهم .

ومن أراد استقصاء أخبارهم وفضائلهم وأشعارهم فعليه بكتابى المطوّل فى تاريخ حلب ، ففيه مقنع لمن قصد شيئاً من ذلك وطلب .

وقد أخبرنى أبو القاسم بن الحسين الأنصارىّ عن الحافظ أبى طاهر السِّلَفىّ قال : قال لى الرئيس أبو المكارم، وكان من أفراد الزّمان، ثقةً مالكىّ المذهب : وكانت الفتاوى فى بيتهم — يعنى بنى سليمان — على مذهب الشافعى رحمه الله تعالى، فى أكثر من مائتى سنة بالمعرّة .

فصـــل

فى ذكر مولد أبى العلاء ومنشئه وعماه وصفة خلقه

أمّا مولده فبمعرّة النُّعمان . وأمّه هى بنت محمد بن سَبيكة، وأظنّ أنّ أباها من أهل حلب . وخاله علىّ بن محمد بن سبيكة، الذى يقول فيه[1] :

كأنّ بنى سَبيكةَ فوق طَيرٍ يجوبون الغَوائرَ والنِّجادا

وتوفّيت والدتُه وهو غائبٌ عنها، حين رحل إلى بغداد فى سنة أربعمائة، وقد رثاها بأبيات[2]، هى فى سقط الزند .

(١) البيت من قصيدة له فى سقط الزند (١ : ١٦٥ — ١٧٢) . (٢) كذا . ولأبى العلاء قصيدة تامة فى رثائها فى سقط الزند (١ : ٨٧ — ٩٨) وأخرى فى (٢ : ١٣٧ — ١٣٨) . وعرض لذلك أيضا فى القصيدة التى فى (٢ : ١١٢ — ١٢١) . انظر ما جاء فى ص ١١٩ من هذه القصيدة .

وقرأت بخط أحمد بن علىّ بن عبد اللطيف المعرّىّ[1]، وهو أحد من قرأ على أبى العلاء وروى عنه، ويعرف بابن زُرَيق، قال: وولد (يعنى أبا العلاء) يوم الجمعة عند غروب الشمس، لثلاثة أيّام مضت من شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث وستّين وثلاثمائة.

ونقلت من خط الأديب الأستاذ أبى عبد الله محمد بن علىّ العظيمى[2] الحلبىّ فى تاريخه، وأنبأنى به عنه المؤيّد بن محمد النيسابورى وغيره، قال: وفيها (يعنى سنة ثلاث وستّين وثلاثمائة) وُلد الشيخ أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التّنوخىّ، بمعرة النُّعمان من رُقعة الشّام.

قال العميد: وُلد أبو العلاء فى سنة ستّ وستين.

وهذا العميد الذى نقل عنه العظيمى[3] ذلك، هو العميد أبو يسر، خير بن محمد ابن على التنوخىّ المعرىّ. وهذا ليس بصحيح.

وذكر الوزير أبو غالب عبد الواحد بن مسعود بن الحصين الشّيبانى، فى كتابه الذى جمعه فى المختار من أشعار الشعراء، وذكرهم على حروف المعجم، وأخبرنا بذلك إجازة عنه الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود بن النّجار، قال: وُلد (يعنى أبا العلاء) لثلاث بقين من ربيع الأول سنة ستّ وستين وثلاثمائة، ومرِضَتْ عيناه فى سن الطفوليّة وذهَبتا. والصحيح فى مولده ما أخبرنا به أبو اليُمن[3]، زيد بن الحسن بن زيد الكندىّ كتابة، وقراءةً عليه، قال: أخبرنا أبو منصور القزّاز، قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن علىّ بن ثابت الخطيب، حدّثنى أبو الخطاب العلاءُ بن حَزْم الأندلسىّ،

(١) وكذا ورد اسمه فى الخريدة (١ : ١٢٩) بإدراج اسم جدّه الأول: «محمد بن عبد اللطيف».

(٢) وردت هذه الكلمة فى الأصل مهملة هكذا: «العظمى».

(٣) فى الأصل: «يزيد» محرف. وقد سبقت ترجمة أبى اليمن فى ص ٢٧. وانظر البداية والنهاية والشذرات فى وفيات سنة ٦١٣.

قال : ذكر لى أبو العلاء المعرّىّ أنه ولد فى يوم الجمعة ، لثلاثٍ بقين من شهر ربيع الأوّل، سنة ثلاثٍ وستّين وثلاثمائة .

ونقلت من تاريخ جمعه أبو غالب همّام بن الفضل بن جعفر بن علىّ بن المهذّب المعرّىّ التّنوخىّ، وسيره(١) إلى بعض الأشراف بحلب : سنة ثلاثٍ وستّين وثلاثمائة، فيها وُلد الشيخ أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرّىّ التّنوخى ، يوم الجمعة لثلاثٍ بقين من شهر ربيع الأوّل .

وأخبرنى القاضى شهاب الدين أبو المعالى أحمد بن مدرك بن سليمان قاضى معرّة النّعمان، أنه نَقَل من جزءٍ فى أخبار سلفه بنى سليمان ، وسيَّر إلىَّ نسختَه بخطّه ، وفيه فى ذكر أبى العلاء بن سليمان : ولد يوم الجمعة قبل مغيب الشّمس، لسبعٍ وعشرين ليلةً خلت من ربيع الأوّل، سنة ثلاثٍ وستّين وثلاثمائة، واعتلّ علّة الجدرىّ، التى ذهب بصرُه فيها، فى جمادى الأولى سنة سبع وستّين وثلاثمائة .

ونقلتُ بخطّ أبى محمد الحسن بن الفرج الجندىّ الأديب، فى آخر سقط الزند، بروايته عن الخطيب أبى زكريا يحيى بن علىّ التّبريزىّ ، وخطُّ التبريزىّ عليه : ومولده (يعنى أبا العلاء) مغيبَ الشّمس لثلاثٍ بقين من شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث وستّين وثلاثمائة . وعَمِى من الجدَرىّ ، وجُدر فى أوّل سنة سبعٍ، أو آخر سنة ستٍّ وستين وثلاثمائة، فغشّى يمنى حدقتيه بياضٌ، وأذهب اليسرى جملة .

أخبرنى أبو الحسن محمد بن أحمد بن علىّ الإمام، عن أبى جعفر محمد بن مؤيد ابن حوارى، قال : أخبرنى جدّى أبو اليقظان(٢)، قال : كان مولد الشيخ أبى العلاء ابن سليمان بمعرّة النعمان يوم الجمعة ، مغيبَ الشمس ، لثلاثٍ بقين من شهر ربيع

(١) فى الأصل : « وسيرة » .

(٢) نص صاحب الخريدة (١ : ١٣٦) أنه عمه لا جدّه .

الأوّل سنة ثلاث وستّين وثلاثمائة ، وجُدر فى أوّل سنة سبع وستّين وثلاثمائة ، فعمى من الجُدرىّ ، وغشّى يمنى حدقتيه بياضٌ ، وأذهب اليسرى جملة .

أخبرنا أبو القاسم الحسين بن عبدالله بن رواحة الحموىّ ، قال : أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد الحافظ ، إجازةً إن لم يكن سماعا ، قال : سمعته (يعنى أبا محمد عبد الله ابن الوليد بن غريب(١) الإيادىّ المعرّىّ) يقول : دخلت على أبى العلاء وأنا صبىٌّ مع عمى أبى طاهر نزوره ، فرأيته قاعدًا على سجّادة لبد ، وهو يسبح(٢) ، فدعا ومسح على رأسى . وكأنّى أنظر إليه الساعة وإلى عينيه ، إحداهما نادرة ، والأخرى غائرة جدًّا ، وهو مجدّر الوجه ، نحيف الجسم .

وقد نقل بعضُ أهل الأدب فى حكاية ذكرها عن ابن منقذ ، أنّه رأى أبا العلاء وهو صبىٌّ دون البلوغ ، وأنه وصفه فقال : وهو صبى دميم الخلقة ، مجدور الوجه ، على عينيه بياض من أثر الجُدَرىّ ، كأنه ينظُر بإحدى عينيه قليلا . وإن صحّت هذه الحكاية ، فإنّ منقذا هذا ، والله أعلم ، هو أبو المتوج مقلد بن نصر بن منقذ ، وكان صاحب كَفْرَ طابَ .

فصل

فى ذكر اشتغاله بالعلم وذكر شيوخه الذين أخذ عنهم

قرأ القرآنَ العظيم بالرِّوايات على جماعةٍ من الشيوخ . وقد ذكر الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفى ، فيما أخبرنا به أبو القاسم عبد الله بن الحسين الأنصارى عنه ، قال : وقد قرأ القرآن بكثيرٍ من الرِّوايات ، على شيوخ يسار(٣) إليهم فى القراءات .

---

(١) فى الأصل : «عريب» بالعين المهملة ، مصحف .

(٢) كذا . وفى سائر النصوص : « وهو شيخ » .

(٣) كذا فى الأصل بالسين المهملة . ولها وجه ، أى إنهم ممن يرحل إليهم .

ذكر الحافظ ذلك بعد أن ذكر أنّ جماعة أدركهم من أصحابه . وقرأ اللغة والنحو بمعرّة النعمان على والده أبى محمد عبد الله بن سليمان بن محمد ، وأبى بكر محمد بن مسعود ابن محمد بن يحيى بن الفرج النحوى . ودخل وهو صبىٌّ إلى حلب ، فقرأ بها على محمد ابن عبد الله بن سعد النحوىّ(١) ، راوية أبى الطيِّب المتنبى .

وقرأت بخطّ بعض أهل الأدب وأظنه محمد بن الخضر، ابن أبى مهزول المعروف بالسابق(٢) . قال : وكان ابن سعد يروى فى ديوانه ، يعنى ديوان المتنبى، فى قصيدته التى مطلعها(٣) :

* أزائرٌ ياخيالُ أمْ عائدْ *

وذلك أنّها لم تكن مما قرأه على المتنبى، وهى مما أنفذه إليه :

أو مَوْضِعاً فى فناء ناحيةٍ تحمل فى التّاج هامةَ العاقِدْ

فردّه عليه أبو العلاء ، وقد اجتمع معه بحلب وهو صبىّ :

* أو مُوضِعاً فى فِتان ناجِية *(٤)

فلم يَقبَل ذلك ٱبنُ سعدٍ، ومضى إلى نُسخةٍ عراقيّة صعدت مع أبى علىّ بن أريس من العراق، فوجد القولَ ما قاله أبو العلاء .

وسافر أبو العلاء إلى بغداد فى سنة تسع وتسعين، للاستكثار من العلم، فأخذ بها عن أبى الحسن علىّ بن عيسى الرَّبَعىّ ، وأبى أحمد عبد السلام بن الحسين

---

(١) فى الأصل : « رواية » .

(٢) ذكره فى الخريدة (١ : ١٤٤) باسم : « السابق المعرى أبو اليمن ابن أبى مهزول » . وانظر ما يأتى ص ٥١٨ س ٤ . (٣) انظر الديوان بشرح العكبرى (١ : ٢٨١) .

(٤) الموضع : المسرع فى السير . أوضع : أسرع . الفتان، بكسر الفاء بعدها تاء مثناة : غشاء من أدم يغشى به الرحل . والناجية : الناقة السريعة .

البصرىّ المعروف بالواجكا، وأبى علىّ عبد الكريم بن الحسن بن حكيم السكرىّ النحوى اللغوىّ .

وذكر أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن [عبيد الله بن] أبى سعيد الأنبارى[1] فى طبقات الأدباء[2] له قال : وذكر أنّه (يعنى أبا العلاء) لمّا قدم بغداد دخل على علىّ بن عيسى الرَّبَعى ؛ ليقرأ عليه شيئًا من النحو ، فقال له الرَّبَعى : ليصعد الإصطبل . فخَرَج من عنده مُغْضَبًا[3]، فلم يَعُدْ إليه .

وأخبرنا أبو الحسن أحمد بن علىّ، عن محمد بن مؤيَّد المعرى، قال : أخبرنى جدّى أبو المفضال أحمد بن حوارى ، قال : ورحل (يعنى أبا العلاء) إلى بغداد سنة ثمانٍ وتسعين ، ودخلها سنة تسعٍ وتسعين، وأقام بها سنةً وسبعة أشهر . وبلغنى أنّه إنّما دخل إلى بغداد لتُعرض عليه الكتب التى فى خزائن بغداد ، لِمَا وُصِف له من كثرتها ، ولم تكن رحلتُه لطلبِ دُنيا .

وقد ذَكَرَ فى بعض كلامه، وسنورده بتمامه :

" وأحلف ما سافرتُ أستكثر من النَّسَب ، ولا أتكثَّر بلقاء الرِّجال ، ولكنْ آثرتُ الإقامةَ بدار العلم، فشاهدتُ أنفَسَ ما كانَ لم يُسعِف الزَّمن بإقامتى فيه" .

وأخذ الحديث عن أبيه أبى محمد المذكور، وجدّه سليمان بن محمد، وأخيه أبى المجد محمد بن عبد الله بن سليمان ، وجدّته أم سلمة بنت الحسن بن إسحاق ابن بلبل، وأبى زكريا يحيى بن مسعر بن محمد بن يحيى بن الفرج، وأبى الفتح محمد

---

(١) فى الأصل : «أبو البركات على بن أحمد بن محمد بن أبى سعيد الأنبارى» والصواب ما أثبتنا . وأبو البركات هذا هو صاحب النص الذى سبق من كتابنا هذا فى ص ١٦ .

(٢) فى الأصل : «فى طبقات له أدبا» تحريف .

(٣) فى طبقات الأدبا : « فخرج مغضبا ولم يعد إليه » .

ابن الحسن[1] بن روح، المعرّيين، وأبى الفرج عبد الصمد بن أحمد [بن] عبدالرحمن الضرير الحمصيّ، وأبى بكر محمد بن عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الرحمن الرحبي[2]، وأبى عبد الله محمد بن يوسف بن كراكير الدقى، والقاضى أبى عمرو عثمان بن عبد الله الطَّرَسُوسى قاضى معرّة النعمان . وروى عن هؤلاء وعن أخيه أبى الهيثم عبد الواحد ابن عبدالله بن سليمان شيئا من شعره . وخرّج من حديثه سبعة أجزاء رُويت عنه، وهى عندى بخطّ أبى الحسن على بن عبد الله بن محمد بن أبى جرادة، رواها عن أحمد ابن علىّ بن عبداللطيف بن زُريق المعرّى ، عنه .

فصـــل

فى ذكر من قرأ على أبى العلاء ، وروى عنه من العلماء والأدباء والمحدّثين من أهل المعرّة وغيرهم من الغرباء

فممّن قرأ عليه من أهل بلده ومن الشاميّين وروى عنه ابنا أخيه القاضيان أبو محمد عبد الله وأبو الحسن علىّ ابنا أبى المجد محمد بن عبد الله — وقد ذكرناهما فى بنى سليمان — وابنُ ابنِ أخيه أبو المجد محمد بن عبد الله بن محمد، والشيخ أبو صالح محمد بن المهذّب بن علىّ بن المهذّب، وأبو غالب همّام بن الفضل بن جعفر بن المهذّب ، والشيخ أبو الحسين على بن محمد بن عبد اللطيف المعروف بابن زريق، وابناه أبو الفضل أحمد ، وأبو الحسن يحيى ابنا علىّ بن محمد، والقاضى أبو القاسم المحسّن بن عمرو ، والقاضيان أبو سعد[3] عبد الغالب وأبو يعلى عبد الباقى[4] ابنا أبى حصين عبد الله بن أبى القاسم المحسن[5] بن عمرو بن سعيد بن عبد المحسن

(١) سيأتى فى ص ٥٢٢ باسم : « الحسين » .
(٢) فى الأصل : « الربحى » .
(٣) فى الخريدة (١ : ١٣١) : «أبو سعيد» .
(٤) ذكره فى الخريدة (١ : ١٣٠) .
(٥) بقية نسبته فى الخريدة (١ : ١٣٠) هكذا : « المحسن بن عبد الله بن محمد بن عمرو بن سعيد ابن محمد بن داود بن المطهر » .

ابن سعيد بن عمرو، التنوخيّون. وأبو الفضل بن صالح، وجعفر بن أحمد بن صالح، وأبو الحسن على بن عبد الله بن أبى هاشم ، و إبراهيم بن علىّ بن إبراهيم الخطيب، وأبو العباس أحمد بن خلف الممتع ، وابن أُخت الممتع إبراهيم بن الحسن البليغ ، وأبو اليمن محمد بن الخضر ، ابن أبى مهزول الملقب بالسّابق ، وأبو اليقظان أحمد ابن محمد بن حوارى المعرّيون .

وجدّ جدّى أبو الفضل هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير بن أبى جرادة القاضى، والشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجىّ، وأبو القاسم علىّ بن أحمد المقرى، الحلبيّون .

وأبو الحسن رشأ بن لطيف بن ماشا الله المقرى ، وأبو الحسن علىّ بن غنائم الرخيمى الكفرطابى المقرى ، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن حسنون بن بازل .

ومن الأندلسيين أبو تمّام[1] غالب بن عيسى بن أبى يوسف الأنصارى ، وأبو الخطاب العلاء بن حزم، وأبو الخطاب أحمد بن أبى المغيرة، وعثمان بن أبى بكر السفاقُسىّ، وأبو القاسم نصر بن صدقة القابسى النحوىّ، الأندلسيّون .

والشيخ أبو زكريا يحيى بن علىّ الخطيب، وأبو الفرج محمد بن أحمد بن الحسن التّبريزيان .

وأبو المكارم عبد الوارث بن محمد بن عبد المنعم الأبهرىّ ، وأبو نصر محمد بن محمد بن هميماه السالار ، ومحمد بن محمد بن عبدالله الأصبهانى أبو عبد الله، وأبو محمد الحسن بن علىّ بن عمر، المعروف بقحف العلم، والقاضى أبو القاسم علىّ بن المحسّن ابن علىّ التنوخى، والقاضى أبو الفتح بن أحمد بن أبى الروس السّروجىّ، والخليل

(١) فى الأصل : « أبو الحسام » . وقد ترجم له ابن الأبار فى التكملة ١٩٥٧ .

ابن عبد الجبار بن عبد الله التميمىّ القُرَّائىّ[(١)]، وأبو القاسم عبيد الله بن علىّ بن عبدالله الرَّقّىّ الأديب[(٢)]، وأبو المظفَّر إبراهيم بن أحمد بن الليث الأذرىّ[(٣)]، وأبو الفرج محمد بن أحمد بن الحسن الكاتب الوزير، وشيخ الإسلام أبو الحسن علىّ بن أحمد ابن يوسف المكّارى الزاهد، وأبو المنصور عبد المحسن بن محمد بن علىّ الصُّورى البغدادىّ، وأبو عبد الله الحسن بن إبراهيم بن محمد الحاجىّ[(٤)]، وأبو الحسن الدُّلَفىّ الشاعر المصِّيصىّ[(٥)]، والحافظ أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصَّابونى النيسابورى، والشيخ الزاهد أبو سعد إسماعيل بن علىّ بن الحسين السَّمّان[(٦)]، وأبو طاهر محمد بن أحمد بن أبى الصقر الخطيب الأنبارى[(٧)].

---

(١) ذكره السمعانى فى الأنساب الورقة ٤٤٥، وقال : « توفى سنة ٥١٠ » . وفى الأصل : «القراى» محرف . وانظر ما سيأتى ص ٥٢١ س ٢ — ٣ .

(٢) ذكره السمعانى فى الأنساب الورقة ٢٥٧، وقال : « توفى سنة ٤٥٠ » .

(٣) كذا بالذال المعجمة بعدها راء مهملة . فان صح كانت نسبته إلى أذربيجان . قال ياقوت : «قال النحويون : النسبة إليه — يعنى إلى أذربيجان — أذرى بالتحريك، وقيل أذرى بسكون الذال » .

(٤) ذكر الذهبى هذه النسبة فى المشتبه ص ١٨٣ .

(٥) أبو عثمان : حافظ واعظ مفسر، قدم دمشق وهو ذاهب إلى الحج، فسمع بها وذكّر الناس . انظر البداية والنهاية فى وفيات ٤٤٩ وابن عساكر (٥ : ٥٥٠) النسخة التيمورية .

(٦) هو أبوسعد إسماعيل بن على بن الحسين بن زنجويه الرازى السمان الحافظ، من أهل الرى . كان حافظا رحالا، سافر إلى العراق والحجاز والشام ومصر، وكان شيخ المعتزلة بالرى . توفى سنة ٤٠٥ أوقريبا منها . انظر السمعانى الورقة ٣٠٦، وتذكرة الحفاظ (٤ : ٣١٨) . وفى الأصل : «أبو سعد بن إسماعيل» وكلمة « بن » مقحمة .

(٧) هو أبو طاهر محمد بن أحمد بن إسماعيل، ويعرف بابن أبى الصقر، طاف بالبلاد وسمع الكثير، وكان ثقة صالحا فاضلا عابدا، وقد سمع منه الخطيب البغدادى، وروى عنه مصنفاته . وتوفى بالأنبار سنة ٤٧٦ . انظر البداية والنهاية .

فهؤلاء كُلُّهم أئمّــة وقضاة وعُلماء أثبات، وأدباء رواة وحُفّاظ ثِقات، روَوا عن أبى العــلاء وكَتبوا عنه، وأخذوا العلم واستفادوا منــه، لم يذكره أحدٌ منهم بطعن، ولم يَنسُبْ حديثَه إلى ضَعف ولا وَهْنٍ.

وقد أنبأنا علىّ بن الفضل بن علىّ المقدسىّ قال: أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد ابن محمد، قال: قال لى مَزْيد بن نَبْهان ابن أخيه(١) — يعنِى أخا أبا المكارم الأَبْهرى — : بقى عمِّى — يعنى الرئيس أبا المكارم الأبهرى — عند أبى العلاء أربع سنين يقرأ عليه. وكان الحافظ يُثنِى على أبى المكارم الأبهرىّ كثيرا. وقال: سألتُ مهدىَّ ابن محمــد بن هادى الزَّيدىّ، نقيب العلويّة بأبهر، أن يُنشِدنى شيئًا من الشِّــعر، فأنشدنى من شعر أبى المكارم الأبهرىّ أبياتا. فقلت له: أبو المكارم فى الأحياء، فأنشِدْنى مِمّا كتبته(٢) عن المتقدّمين أو من شعرك. فقال(٣): كيف أُنشِد شعرى وقد بقى فى أيّامنا شمسُ المشرق والمغرِب فى اللُّغــة والشِّعر (يعنى أبا المكارم). ثمّ أنشدنى أبياتا من شعر نفسِه: نسبوا إلى(٤).

وكتب إلينا أبو القاسم عيسى بن عبد العزيز من الإسكندرية، أنّه سمع أحمد بن محمد الأصبهانىّ الحافظ يقول: و[أمّا](٥) هذان الإمامان (يعنى أبا زكريا التبريزىّ وأبا المكارم الأبهرىّ) فمن أجلاء(٦) من رأيته من أهل الأدب، والمتبحّرين فى علوم العرب، وإلى أبى العلاء انتماؤهما، وفى العربية اعتزاؤهما. وقد أقاما عنده برهةً من الزّمن للقراءة، والأخذ عنه والاستفادة.

---

(١) فى الأصل: «ابن ابن أخيه».
(٢) فى الأصل: «كتبه».
(٣) فى الأصــل: «فقلت».
(٤) كذا فى الأصل. ولعل هاتين الكلمتين أوّل الأبيات، وسقط بعدهما الشعر.
(٥) تكملة يقتضيها السياق.
(٦) فى الأصل: «أجلاً».

وقد أدركتُ سواهما جماعةً من أصحابه النّاقلين عنه بمكّة والعراق والجبل والشّام وديار مصر، وأنشدونى عنه ما أنشدهم وحدّثهم . ومن جملتهم : أبو إبراهيم الخليل ابن عبد الجبار القُرائىّ، رأيته بقزوين، وروى لى عنه حديثًا واحدًا مُسنَدًا، يرويه عن أصحاب خَيثمة بن سليمان القرشىّ الطرابلسىّ .

وأقام أبو زكريّا التّبريزىّ أكثر من سنتين يقرأ عليه .

فصـــل

فى ذكر شىءٍ ممّا وقع إلينا من حديث أبى العلاء المعرّى رحمه الله مُسنَدًا

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أبى المعالى بن البنّا بدمشق ، وأبو سعد ثابت بن مشرف بن أبى السعد البنا بحلب ، البغداديّان ، قالا : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبيد الله ابن نصر الزّاغُونى[1] حدّثنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن أبى الصّقر الخطيب الأنبارىّ من لفظه ، أخبرنا أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التّنوخىّ بقراءتى عليه فى داره بمعرّة النعمان ، حدّثنى أبو زكريا يحيى بن مسعر التّنوخىّ المعرّىّ ، حدّثنا أبو عَروبة بن أبى مَعْشر[2] الحَرّانى ، حدّثنا هوبر[3] ، حدّثنا مَخْلَد بن عيسى الخياط ، عن أبى الزّناد[4] ، عن أنس بن مالك ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه كان يقول : " إن الحسد ليأكل الحسنات كما تأكل النّارُ الحطب ، وإنّ الصّدقةَ تُطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ؛ فالصلاة نور المؤمن ، والصّيام جُنّة من النّار " .

(١) نسبة إلى (زاغونى) بمقصور الآخر . قال ياقوت : « ما أظنها إلا من قرى بغداد » وقد ترجم لأبى بكر هـذا . وقال : « ومات أبو بكر وكان مجلد الكتب ، أستاذا حاذقا فى سنة ٥٥١ ومولده فى سنة ٤٦٨ روى الحديث » . وفى الأصل هنا « بن نضر — بالمعجمة — بن الزاغونى » بالحام « بن » .

(٢) تقدمت ترجمته فى ص ١٩١ . وأبو معشر كنية جده « مودود » . وفى الأصل : « أبو مشعر » تحريف . وانظر السمعانى ١٦١ س ٢٢

(٣) فى الأصل : « هوير » بالياء المثناة التحتية .

(٤) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن ذكوان القرشى المدنى ، توفى سنة ١٣٠ . انظر تهذيب التهذيب (٥ : ٢٠٤) .

أخبرنا أبو اليُمْن زيد بن الحسن بن زيد الكندى إذنًا ، قال : أخبرنا علىّ بن عبد الله بن محمد بن أبى جرادة كتابةً ، حدّثنى أحمد بن علىّ بن عبد اللطيف[1]، حدّثنى أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان، حدّثنا جدّى أبو الحسن، حدّثنا أبو سعيد الصقر بن أحمد، حدّثنا أبو يعقوب يوسف بن إسحاق القاضى، حدّثنا عمرو بن مرزوق، حدّثنا شعبة، عن العلاء، عن أبيه، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اليمينُ الفاجِرةُ تُنْفِقُ السِّلْعة وتَمْحَقُ البَرَكة » .

أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن الحسين بن عبد الله الأنصارىّ، قال : أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السِّلَفىّ إجازة إن لم يكنْ سماعا، وأخبرنا أبو القاسم عيسى بن عبد العزيز اللخمى فى كتابة إلينا، قال : أخبرنا الحافظ أبو طاهر، قال : أخبرنا أبو إبراهيم الخليل بن عبد الجبّار بن عبد الله القرّائىّ[2] بقزوين — وكان ثقة — حدّثنا أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان اللغوىّ بالمعرّة ، حدّثنا أبو الفتح محمد ابن الحسين [بن][3] روح، حدّثنا خيثمة بن سليمان القرشىّ، حدّثنا أبو عتبة الحمصىّ، حدّثنا بشير بن زاذان[4]، عن أبى علقمة[5] عن أبى هريرة، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو علم النّاس رحمةَ الله بالمسافر لأصبَحَ النّاسُ وهم على سفَر ؛ إنّ المسافر ورَحْلَه على قَلَتٍ إلّا ما وَقَى اللهُ تعالى » .

قال الخليل : لم أسمع من أبى العلاء غير هذا الحديث .

قال السلفى : ولم يروِ لى أنا عنه حديثا سوى الخليل . والقلات : الهلاك .

---

(١) أنظر الحاشية رقم ١ ص ٥١٢ (٢) فى الأصل : « القرى » وقد سبقت ترجمته فى ص ٥١٩ . (٣) التكملة مما سبق ص ٥١٧ . (٤) زاذان ، أوله زاى وثالثه ذال معجمة، كما فى ترجمته من لسان الميزان (١ : ٣٧) . وفى الأصل : «زادان» ثانيه دال مهملة .

(٥) ذكره ابن حجر فى تهذيب التهذيب (١٢ : ١٧٣) . وقال : «روى عن عثمان بن عفان، وابن مسعود، وأبى سعيد، وأبى هريرة» وسماه : «أبو علقمة المصرى» وهو مصرى تابعى، ولى قضاء إفريقية .

أنبأنا المؤيد بن محمد النيسابورىّ عن أبى الحسن بن أبى المجد بن محمد الحلبى ، حدّثنى أبو الفضل[1] بن أبى الحسين بن محمد المعرّىّ ، حدّثنى أبو العلاء أحمد بن عبد الله ابن سليمان ، قال : حدّثنا أبى أبو محمد عبد الله بن سليمان بن محمد ، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يوسف بن الحجاج بن حبيبة الأنطاكىّ ، حدّثنا عثمان ابن خُرَّزَاذ[2] ، حدّثنا عبد الله بن عمر بن [محمد بن][3] أبان بن صالح ، حدّثنا النضر ابن منصور[4] عن أبى الجنوب[5] ، قال : رأيت علىّ بن أبى طالب عليه السلام يستقى ماء لوضوئه ، فبادرتُه لأستَقى له ، فقال : مَهْ يا أبا الجَنُوب ؛ فإنّى رأيتُ عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستقى ماء لوضوئه ، فبادرته أَستقى له ، فقال : مَهْ يا أبا الحسن فإنّى رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقى ماء لوضوئه من زَمزم فى رَكوة ، فبادرته أستقى له ، فقال : "يا ابن الخطاب ، مَهْ فإنّى لا أُريد أن يُعِينَنى على صلاتى أحد".

أخبرتنا الحرّة زَينب بنت عبد الرحمن الشعرية فى كتابها ، قالت : كتب إلينا الإمام أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشرى ، أنّ الأستاذ أبا الحسن علىّ بن الحسين بن مَرْدَك حدّثه ، قال : أنبأنا الشيخ الزاهد الحافظ أبو سعد إسماعيل بن علىّ ابن الحسين بن محمد بن الحسن الرازىّ السمّان إجازة ، قال : حدّثنا أبو العلاء أحمد ابن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان التنوخى الأديب الضرير بقراءتى عليه

---

(١) فى الأصل : « أبى الفضل » .

(٢) هو عثمان بن عبد الله بن محمد بن خرزاذ البصرى ، أبو عمرو الحافظ نزيل أنطاكية ، وتوفى بها فى ذى الحجة سنة ٢٨١ . وفى الأصل : «خرزاد» بالدال المهملة فى آخره . وانظر تهذيب التهذيب (٧ : ١٣١) وشذرات الذهب .

(٣) التكملة من تهذيب التهذيب (٥ : ٣٣٢) حيث ترجم له .

(٤) النضر بن منصور الباهلى أبو عبد الرحمن الكوفى . وفى الأصل : «النصر» بالصاد المهملة ، تحريف .

(٥) هو عقبة بن علقمة اليشكرى ، أبو الجنوب الكوفى ، روى عن على ، وشهد معه الجمل . انظر تهذيب التهذيب (٧ : ٢٤٧) .

بمعرّة النعمان، قال : حدّثنا أبو زكريا يحيى بن مِسْعَر بن محمد بن يحيى بن أبى الفرج التّنوخىّ قال : أخبرنا أبو بدر أحمد بن خالد بن عبد الملك الحَرّانى ، حدّثنا عمّى أبو وهب الوليد بن عبد الملك، حدّثنا أبو يوسف عن الكَلْبىّ[1] عن أبى صالح[2] عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَأَن يمتلئ جوفُ أحدكم كذا، خيرٌ له من أن يمتلئ شِعْرًا » . فقالت عائشة : لَمْ يحفظ الحديث ؛ إنّما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَأن يمتلئ جوفُ أحدِكم قَيْحًا ودَمًا خيرٌ له من أن يمتلئ شعرًا هُجِيتُ به » .

فصل

فى ذكر كُتّاب أبى العلاء الذين كانوا يكتبون له ما ينشئه من الرسائل[3] والنظم والتّصنيف والإملاء

بلغنى أنّ أبا العلاء رحمه الله كان له أربعةُ رجالٍ، من الكتّاب الموجودين فى جِرايتــه وجارِيهِ ، يكتبون عنه ما يكتب إلى الناس، وما يمليه من النّظم والنثر والتصانيف . وقد كتب له جماعةٌ من أهل معرّة النُّعمان؛ فأخص كُتّابه به منهم : ابن أخيه أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمان؛ فإنه كان ملازمًا لخدمته، ويكتب له تصانيفَه ، ويكتب عنه الإجازة والسّماع لمن يسمع منه ومُستجيزِه . وكتب تصانيفه بخطّه ، ويقع بخطه من المصنَّف الواحد نسختان وأكثر . وكان

---

(١) هو محمــد بن السائب بن بشر الكلبى الكوفى النسابة المفسر . وتوفى سنة ١٤٦ . انظــر تهذيب التهذيب (٩ : ١٧٨) ووفيات الأعيان (١ : ٤٩٤) .

(٢) هو باذام أو باذان، أبو صالح ، مولى أم هانئ بنت أبى طالب، روى عن على وابن عباس وأبى هريرة؛ وروى عنه الأعمش والكلبى والثورى . تهذيب التهذيب (١ : ٤١٦) . وفى الأصل : « ابن صالح » تحريف .

(٣) فى الأصل : «الرثايد» .

بَرَّأ بعمّه مشفقًا عليه ، وتولّى قضاء المعرّة . وقد ذكرنا ترجمته فيما قبل ، وذكرنا لأبى العلاء فيه شعرا يمدحه ويشكره على ما فعله .[1]

ومنهم ابنُ أخيه الآخر[2] أخو المقدم ذكره، تولّى قضاء المعرّة أيضا، ونسخ كتبه بخطه، جميع أمالى عمّه، وسمع منه . وقد تقدّم ذكره أيضا .

ومن كُتّابه أيضا جعفر بن أحمد بن صالح بن جعفر بن سليمان بن داود بن المطهّر، ويجتمع نسبُه مع أبى العلاء فى سليمان بن داود ، وكان من أعيان كُتّابه ، وكتب الكثيرَ عنه، وقرأ عليه كثيرا من كتب الأدب، وروى عنه ؛ وخطُّه على غايةٍ من الصحّة والضبط .

ومن كُتّابه أيضا أبو الحسن علىّ بن عبد الله[3] بن أبى هاشم المعرّىّ، وكان يتولى أوقافَ الجامع بمعرّة النُّعمان، وكانَ من العُدول الأمناء الفضلاء، ولزم الشّيخَ أبا العلاء، وكَتَب كُتبَه بأسرها، وكتب من المصنَّف الواحد عدّة نسخ ، وكان خطُّهُ مورّقا حسن الضَّبط والإتقان .

ووقفت على فصلٍ فى ذكره للشيخ أبى العلاء ، قال فيه : لزِمت مسكنى منذ سنة أربعمائة، واجتهدت أن أتوفّر على تسبيح الله وتمجيده، إلّا أنْ أُضطَرَّ إلى غير ذلك، فأمليتُ أشياء، وتولّى نسخها الشيخ أبو الحسن علىّ بن عبد الله[3] بن أبى هاشم ، أحسن الله معونته، فالزَمنى بذلك حقوقًا جمّة، وأيادىَ بيضًا ؛ لأنّه أفنى فىّ زمنَه، ولم يأخذْ عمّا صنع ثمنَه . والله يُحسنُ له الجزاء، ويكفيه حوادثَ الزّمن والأرزاء .

---

(١) انظر ما سبق ص ٤٩٦ .
(٢) هو أبو الحسن على بن محمد .
(٣) فى الأصل : « عبيد الله » .

ومن كُتَّابه أيضًا ولد المتقدِّم ذكره ، أبو الفتح محمد بن علىّ بن عبد الله ابن أبى هاشم ؛ كتب له أيضًا من تصنيفه ، ووضع له الشّيخُ أبو العلاء كتاباً لقبُه "المختصر الفتحى" ، وكتابا يعرف "بعون الجمل" فى شرح شىءٍ من كتاب الجُمَل .

وكان أبو الفتح هذا فاضلًا ، وقفتُ له على رسالة كتبها إلى الوزير أبى نصر بن النحاس يتضوّر إليه ، قال فيها : وإنّما حمل ملوكها على الإقدام ، واتهجُّم بخطاب وكلام ، تمسُّكه بحبل الولاء ، وما يرجوه من عَفْوها عند[1] الشّدّة ووقوع البلاء . فالحمد لله الذى جعلها غياثًا لمن استغاث بها ، والتجأ إليها ، وعوّل فى دفع النُّوَب عليها . وملوكها من قوم أحرار ، ليسوا بالسّالكين طرق الأشرار ؛ يكتبون العلم وينقلونه ، ويكرهون المأثم[2] ويستثقلونه .

وكان هو ووالده خادمَين للشيخ أبى العلاء ، الذى اشتهر فضله بين الأملاء[3] يكتبان ما يُلقيه إليهما ، ويعوّل فى نسخ ما يؤلّف من العلم عليهما ، فغبرا معه مدّةً تُحْسَب من أهنأ الأعمار ، يجنيان منه أعذب الثّمار ، ويقطعان الوقت من العيش بُغَّةً[4] ، ويُلمّان بأهل الورع والعِفّة . فلما نُقِل إلى دار الرَّحمة قلَّ الطالب ، وزهد فى العلم الراغب ؛ وكسدت سُوقُه ، وأظلمت بعد الإشراق بروقُه ، ووهَتْ بعد الإحكام عقودُه ، ومال عما يُعهَد عَمودُه . وذكر الرسالة إلى آخرها[5] .

ومن كُتَّابه جماعةٌ من بنى [أبى] هاشم لا أتحقّق أسماءهم ؛ فإنّى وقفتُ على رسالةٍ لأبى العلاء ، تعرف بـ"رسالة الضَّبعين" ، كتبها إلى معزّ الدولة ثمال بن صالح ، يشكو إليه رجلين ، أحدهما الشريف بن المحبرة الحلبىّ ، كانا يؤلّبان عليه ، وينسُبانه إلى

---

(١) فى الأصل : « عن » .
(٢) فى الأصل : « المآثم » .
(٣) الأملاء : جمع ملأ ، وهم الجماعة ، وأشراف القوم وعليتهم .
(٤) الغفة ، بالضم : البلغة من العيش .
(٥) كذا وردت هذه الجملة فى هذا الموضع .

الكفر والإلحاد ، وقد حرّفا بيتا من لزوم ما لا يلزم عن موضعه ، ليثبتا عليه الكفر بذلك . قال فيها : "وفى حلب — حماها الله — نُسَخٌ من هذا الكتاب بخطوط قوم ثِقات ، يعرفون ببنى أبى هاشم ، أحرار نَسَكة ، أيديهم بحبل الورع متمسكة ، جرت عادتهم أن ينسخوا ما أُمليه ، وإن أُحضِرَتْ ظهرت الحُجّة بما قلتُ فيه" .

ومن كُتّابه إبراهيم بن علىّ بن إبراهيم الخطيب ، وهـو كاتب حسن صحيح الخطّ ، مُتقِن فى الضّبط ، كتب معظم كتبه وتصانيفه بخطّه ، وكتَب عنه فى السماع عليه والإجازة منه ، وقرأ عليه .

فصـــل

فى ذكر تصانيفه ، ومجموعاته وتآليفه ، وأشعاره المدوّنة ، ورسائله المفنَّنة

فأوّل ما ألّف بعد انقطاعه فى منزله ، بعد رجوعه من بغداد ، الكتاب المعروف بـ"الفصول والغايات" فى تمجيد الله تعالى والعظات . وهو موضوع على حروف المعجم . وأراد بالغايات القوافى ؛ لأن القافية غاية البيت . وفيه قواف تجىء على نسق واحد ، وليست الملقّبة بالغايات . وهو الكتاب الذى افتُرِى عليه بسببه ، وقيل إنّه عارض به السّور والآيات ، تعـدّيا عليه وظلمًا ، وإفكًا به أقدَمُوا عليه وإثمـا ؛ فإنّ الكتاب ليس من باب المعارضة فى شىء . ومقداره مائة كراسة .

وكتاب "السادن"[1] ، وضعه فى ذكر غريب هـذا الكتاب وما فيه من اللّغة . ومقداره عشرون كراسة .

وكتاب "إقليـد الغايات" ، وهـو مشتمل على تفسير اللُّغـز . ومقداره عشر كراريس .

---

(١) فى الأصل : «الشادن» بالشين المعجمة . وانظر التحقيق فى ص ٣٩ .

ثمّ ألّف الكتاب المعروف بـ"الأيك والغصون"، وهو كتاب كبير، ويعرف بكتاب "الهمز والردف"[1]، بُنِي على إحدى عشرة حالة من الحالات : الهمزة فى حال انفرادها وإضافتها ، ومثل ذلك السماءُ بالرفع ، والسماءَ بالنصب ، والسماءِ بالخفض ، سماءٌ يتبع الهمزة التنوين، سماؤه مرفوع مضاف، سماءَه منصوب مضاف، سمائِه مخفوض مضاف . ثم يجىء سماؤها وسماءَها وسمائها ، على التأنيث . ثمّ همزة بعدها هاء ساكنة مثل عباءهْ ومُلاءهْ ، فإذا ضربت أحد عشر فى حروف المعجم الثمانية والعشرين، خرج من ذلك ثلاثمائة فصل وثمانية فصول ، وهى مستوفاة فى كتاب الهمزة والردف . وذكرت فيه الأرداف الأربعة بعد ذكر الألف ، وهى الواو المضموم ما قبلها، والواو التى قبلها فتحة، والياء[2] المكسور ما قبلها، والياء التى قبلها فتحة . ويذكر لكلّ جنس من هذه أحد عشر وجها كما ذكر للألف . ومقدار هذا الكتاب ألف ومائتا كراسة. وهذا الكتاب قليل الوجود لكِبَره، ولم أقف إلا على جزء واحد منه، وبعضه موقوف فى خزانة كتب النِّظَاميّة ببغداد. وبالديار المصرية منه نسخة كانت فى خزائن المصريّين[3]، صارت إلى القاضى الفاضل عبد الرحيم بن علىّ البَيْسانىّ[4]، وانتقلت إلى ولده القاضى الأشرف بعده، ثمّ صارت فى جملة كتبه إلى خزانة الملك الصالح أيوب بن محمد بن أبى بكر بن أيوب، وأظنُّها فى ستّين مجلدا .

و"كتاب فى تفسير الهمزة والردف" جزء واحد .

---

(١) سيعيد ذكر هذا الكتاب مرتين باسم : الهمزة والردف .

(٢) فى الأصل : «وأما»، صوابه ما أثبتنا .

(٣) كان القاضى الفاضل وزيرا للملك الناصر صلاح الدين، وكان علما فى صناعة الإنشاء . ولد فى مدينة عسقلان سنة ٥٢٩، ونشأ فى مصر، وتولى أبوه القضاء بمدينة بيسان، فلهذا نسبوا إليها، وتوفى سنة ٥٩٦ . انظر وفيات الأعيان .

(٤) هو القاضى الأشرف بهاء الدين أبو العباس أحمد، كان كبير المنزلة عند الملوك . ومولده سنة ٥٧٣ بالقاهرة . وتوفى بها سنة ٦٤٣ ودفن بسفح المقطم إلى جانب قبر أبيه . ترجم له ابن خلكان فى نهاية ترجمة والده القاضى الفاضل .

والكتاب المعروف بـ"تضمين الآى"، يتضمّن العظات، والحثّ على تقوى الله تعالى . ألّف هذا الكتاب لبعض الأمراء وقد سأله أن يؤلّف كتاباً برسمه ، فعمل هذا الكتاب يعظُه فيه، ويحثّه على تقوى الله . وأتى فيه عند انقضاء كلّ فصلٍ بآية من القرآن، وربّما اقتصر على بعض الآية، أوجاء بآيتين وأكثر، إذا كانت من ذوات القِصر، كآيات عَبَس ونحوها . فمنه ماهو على حروف المعجم وقبل الحرف المعتمد ألف، مثل أن يقال فى الهمز يساء ويباء ، وفى الباء يباب وعباب، هكذا إلى آخر الحروف . ويضمّنه فى آخر الفصل بآية . ومنه فصول على فاعلين، مثل باسطين وقاسطين، وعلى فاعلون، مثل حامدون وعابدون . ومنه ماهو على غير هذا الفنّ . ومقدار هذا الكتاب أربعمائة كراسة .

والكتاب المعروف بـ"تاج الحرّة"، وهو فى عظات النساء خاصة . وتختلف فصوله ، فمنها ما يجىء بعد حرفه الذى يثبت ثبات الروىّ ياءُ التأنيث ، كقولك شائى ونُسائى، وهابى وتُرابى . ومنها ما هو مبنى على الكاف نحو غلامك وكلامك،(١) ومنها ما يجىء على تفعلين ، مثل ترغبين وتذهبين، ونحو ذلك، وأنواعه كثيرة .(٢) وهو كتابٌ لبعض الجليلات من(٣) النِّساء، ويغلب على ظَنّى أنها "طَرُود" زوج ابن مِرْداس . ومقداره أربعمائة كراسة .

والكتاب المعروف بـ"سيف الخطبة"، يشتمل على خطب السنة ، فيه خطب الجمع ، والعيدين، والخسوف، والكسوف، والاستسقاء، وعقد النكاح . وهو مؤلّف على حروف المعجم، فيها خطب عمادها الهمزة ، وخُطب بنيت على الباء ، وخطب على التاء ، وعلى الدال ، وعلى الراء ، وعلى اللام ، والميم ، والنون ،

(١) فى الأصل : « ومنه » . (٢) فى الأصل : « وفيها » .
(٣) فى الأصل : «الخليلات» بالخاء المعجمة .

وتركت الجيم والحاء وما جرى مجراهما ؛ لأنّ الكلام المقول فى الجماعات، ينبغى أن يكون سَجِيحا سهلا . ومقداره أربعون كرّاسة . وذكر أنّه كان سأله فى هذا الكتاب رجلٌ من المتظاهرين بالدِّيانة .

وظفرت له بـ"جزءٍ فيه خطب لختم القرآن العزيز"، فيه عدّة خطب لذلك . مقداره خمس كراريس .

والكتاب المعروف بـ"خطب الخيل" ، يتكلّم فيها على ألسنة الخيل، ويذكر على لسان كلّ فرسٍ خطبةً يحمّد الله تعالى فيها ويعظمه. ويقول فى أوّل كل خطبة: إن الله قادر على أن يُنطِق فرسًا صورته كذا وكذا ، فيقول : الحمد لله الذى خلقنى كذا وكذا . ومقداره عشر كراريس .

والكتاب المعروف بـ"خطْبة الفصيح" . يذكر فيه الألفاظَ التى تُرْوَى عن ثَعلب فى كتاب الفصيح ، فى ضمن كلامٍ فصيح منثـور ، فى كلّ باب من أبواب الفصيح . ومقداره خمس عشرة كراسة .

وكتاب شرح فيه ما جاء فى هذا الكتاب من الغريب يعرف بـ"تفسير خطبة الفصيح" ، لا أعلم مقداره ، ولم أقف عليه .

وكتاب يعرف بـ"رسيل الراموز" ، مقداره ثلاثون كرّاسة .

ومن الكتب الصغار كتاب يُعرَف بـ"خُماسيّة الراح" ، فى ذمّ الخمر خاصّة، على حروف المعجم . ومعنى هذا الاسم أنّ كلّ حرف من حروف المعجم ما خلا الألف يُذْكَر فيه خمسُ سجعاتٍ مضمومة ، وخمسٌ مفتوحة ، وخمسٌ مكسـورة ، وخمسٌ موقوفة . ومقداره عشر كراريس .

وكتاب يعرف بـ"المواعظ السّت" سألهُ فيـه بعضُ الوُعاظ . ومعنى هـذا اللقب أنّ الفصل الأوّل منه فى خطاب رجل ، والثانى فى خطاب اثنين ، والثالث

فى خطاب جماعة، والرابع فى خطاب امرأة موحَّدة، والخامس فى خطاب امرأتين، والسادس فى خطاب نسوة . ومقداره خمسَ عشرةَ كرّاسة .

وكتاب يعرف بـ"وقفة الواعظ" .

وكتاب يعرف بـ"دعاء ساعة" . وهما مختصران ، ولا أعلم مقدار حجمهما .

وكتاب "دعاء الأيّام السبعة"، لا أعلم مقداره .

وكتاب "حِرز الخيل"، لا أعلم مقداره . و"جزء فيه حِرز وتعويذ" لا أعلم مقداره . وكتاب يعرف بـ"سجع الحمائم"، يتكلم فيه على ألسن حمائم أربع . وكان بعضُ الرُّؤساء سأله أن يصنِّف له تصنيفًا يذكّره فيه، فأنشأ هذا الكتاب، وجعل ما يقوله على لسان الحمامة فى العظة والحثّ على الزُّهد . ومقداره ثلاثون كراسة .

وكتاب يعرف بـ"نتظلُّم السُّوَر"، يتكلَّم فيه على لسان سُور القرآن، وتتظلَّم كلّ سورة ممّن قرأها بالشّواذ، ويتعرّض لوجه الشاذّ . مقداره ست كراريس .

وكتاب يعرف بـ"عظات السُّوَر"، يشتمل على مواعظ . لا أعلم مقداره .

وكتاب يعرف بـ"الحلىّ والحلىّ" . سأله فيه رجلٌ من أكابر الحلبيِّين يقال له أبو الفتح عبد الله بن إسماعيل بن الجِلّىّ الحلبى، وهو رجلٌ فاضل من أكابر الحلبيِّين وأعيانهم، وأرباب النّعمة منهم، له مصنَّفات ورواية الأحاديث النبوية . سمع منه الخطيب أبو بكر أحمد بن علىّ بن ثابت البغدادىّ، وأبو الحسن علىّ بن عبد الله بن أبى جرادة الحلبىّ، وغيرهما . مقدار هذا الكتاب عشرون كراسة .

وكتاب يعرف بـ"رسالة الصاهل والشاحج"، يتكلّم فيه على لسان فرس وبغل، وهو كتاب حسن، صنّفه للأمير عزيز الدولة أبى شجاع فاتك بن عبد الله الرومىّ[1] ،

(١) هذا غير أبى شجاع فاتك الرومى ، ممدوح المتنبى المتوفى سنة ٣٥٠ . وسماه ابن القلانسى ٤٠ : « عزيز الدولة فاتك » ، وابن تغرى بردى نقلا عن ابن الصابى : « عزيز الدولة فاتك الوحيدى » .

مولى منجوتكين العزيزى[1]. وكان أبو شجاع هذا والى حلب من قبل المصريين فى أيام الحاكم وبعض أيام الظاهر . وكان سبب تصنيفه أنه رُفع إلى فاتك أنّ حقًّا يجب له على بعض أقرباء أبى العلاء، وجب على أبى العلاء سؤالهُ فيه ، مقداره أربعون كراسة .

وكتاب لطيف فى تفسير الصاهل والشاجح، يعرف بـ"لسان الصاهل والشّاجح"، عمله أيضا لعزيز الدولة المذكور . ومقداره ثمانى عشرة كراسة . وبعض الجُهّال يقول : إنه عمله لأبى الدوام ثابت بن ثمال[2] بن نصر بن صالح ، وكان يلقب عزيز الدولة ، وهو غير صحيح ، بل الذى عمله لأبى الدوام ، اللامع العزيزى، وسيأتى ذكره .

والكتاب المعروف بـ"القائف"، يُذكر فيه أمثالٌ على معنى كليلة ودمنة . عمله لعزيز الدولة أبى شجاع المذكور أيضا، ألّف منه أربعة أجزاء، ثمّ قطع تأليفه لموت الذى أمر بإنشائه، وهو أبو شجاع فاتك؛ فإنه قُتل بالمركز بقلعة حلب، قتله مملوك له هندى يقال له توذون[3]، سنة ثلاث عشرة وأربعمائة . ومقداره ستّون كراسة .

وكتاب يعرف بـ"مختار القائف" ، فى تفسير ما جاء فى القائف من اللغز والغريب . مقداره عشر كراريس .

---

(١) فى الأصل : « بجكوتكين » ، صوابه بالميم، كما أثبتنا من تاريخ ابن القلانسى ٤٠ والنجوم الزاهرة (٤ : ١١٧ — ١٢٠) . والعزيزى : نسبة إلى العزيز بالله الفاطمى المتوفى سنة ٣٨٦ . قال ابن تغرى بردى : « وكان للعزيز غلامان، أحدهما يسمى منجكوتكين، والآخر بازتكين » .

(٢) فى الأصل : « محمود بن نصر » . وانظر ما سبق ص ٤٧ وص ١١١ وما سيأتى فى هذا النص ص ٥٤٠

(٣) كذا بالذال المعجمة .

وكتاب يعرف بـ"شرف السيف"، عمله لأمير الجيوش أنوشتكين[1] الدِّزبرى، والى دمشق وحلب. وكان بلَغه عنه كلامٌ جميل، و يوجِّه إليه بالسلام، ويُحفِي[2] المسألة عنه، فأراد جزاءه على ما فعل.

وكتاب يعرف بـ"السَّجع السلطانى"، يشتمل على مخاطبات الجنود والوزراء والولاة وغيرهم. عمله لبعض الكتّاب القليلى الصِّناعة، ليستعين به على الكتابة. مقداره ثمانون كراسة.

وكتاب يعرف بـ"سجع الفقيه". مقداره ثلاثون كراسة.

وكتاب يعرف بـ"سجع المضطرّين". وهو كتاب لطيف عمله لرجلٍ مسافر يستعين به على شؤون دنياه. لا أعلم مقداره.

و"ديوان الرسائل". وهو ثلاثة أقسام: [الأول] منها طوالٌ، كـ"رسالة الملائكة"، و"رسالة الغفران"، وكتبها إلى علىّ بن منصور الحلبى، المعروف بدَوخلة[3]، جواباً عن رسالة كتبها إليه: يعتب عليه علىّ بن منصور فى أنّه بلغه عنه أنّه ذُكِر له فقال: «هو الذى هجا أبا القاسم ابن المغربى[4]». فكتب إليه رسالة الغفران جواباً عنها.

---

(١) انظر ما سبق ص ٤٨. ويسميه ابن القلانسى أحيانا «التزبرى» نسبة إلى مولاه القائد تزبر بن أونيم الديلمى. انظر ابن القلانسى ص ٧١ (٢) يحفى المسألة: يبالغ فيها ويردّدها. وفى الأصل: «يخفى» بالخاء المعجمة، تحريف، وانظر ما سبق ص ١٠٨.

(٣) هو على بن منصور بن طالب الحلبى، المعروف بابن القارح، كان راوية للأخبار واللغة والشعر، عارفا بالنحو، وكان ممن خدم أبا على الفارسى فى داره وهو صبى، ثم لازمه وقرأ عليه جميع كتبه وسماعاته. ويروى أنه كان مؤدّبا للوزير المغربى، وله فيه هجو كثير. قال ياقوت: «وكان آخر عهدى به فى تكريت سنة ٤٦١». والدوخلة بفتح الدال وسكون الواو وفتح الخاء وتشديد اللام، وتخفف: سفيفة من خوص يوضع فيها التمر.

(٤) وفى ذلك يقول ابن القارح مخاطبا أبا العلاء تعليقا على هذه العبارة: «فذلك منه أدام الله عزه رائع لى، خوفا أن يستشر طبعى، وأن يتصوّر لى بصورة من يضع الكفر موضع الشكر».

و " الرسالة السَّنَدية " كتبها إلى سُنَد الدولة ابن ثعبان[1] الكُتَامى، والى حلب من قِبَل المصريِّين، فى معنى خراج على ملكه بمعرّة النعمان . و " رسالة المرض " ، ونحو ذلك .

والثانى : دون هذه فى الطول، مثل " رسالة المَنيح " و" رسالة الإغْريض ".

والثالث[2] : رسائل قِصار، كنحو ما يجرى به العادة[3] فى المكاتبات . ومقداره ثمانمائة كراسة .

وكتاب يعرف بـ" مخادم الرَّسائل "، فيه تفسير بعض ما جاء فى رسائله هذه من الغريب . لا أعلم مقداره .

وكتاب " تفسير رسالة الغفران " . لا أعلم مقداره .

وكتاب " تفسير رسالة الإغريض "، وهى التى كتبها إلى أبى القاسم الحسين بن علىّ المغربىّ، وقد سيَّر إليه كتابه الذى اختصر فيه إصلاح المنطق، فكتب إليه برسالة الإغريض جواباً، يقرّظه و يصف اختصاره للإصلاح. ومقداره خمس كراريس .

وكتاب يعرف بـ " رسائل المعونة "، وهى ما كتبت عن ألسُن قوم . لا أعلم مقداره .

والرسالة المعروفة بـ" الحضية " . لا أعلم مقدارها .

ورسالة عملها على لسان ملك الموت عليه السلام . مقدارها عشر كراريس .

والرسالة المعروفة بـ " أدب العصفورين " . لا أعلم مقدارها .

وكتاب لطيف يعرف بـ " السَّجعات العشر "، موضوع على كلِّ حرف من حروف المعجم عشر سجعات فى الوعظ . لا أعلم مقداره .

---

(١) كذا فى الأصل بالثاء المثلثة، وهو يطابق ما ورد فى الكامل (٩ : ٨٦) وما ورد أيضا فى تاريخ أبى الفداء (٢ : ١٤٨) . (٢) فى الأصل : « والثلاث » .

(٣) فى الأصل : « العالم » . وانظر القفطى ص ٤٨ وياقوت ص ١١١ .

ومن الأشعار التى نظمها : ديوانه المعروف بـ"سقط الزند" ، وهو ما قاله فى أيام الصبا فى أوّل عمره ، وهو من أحسن أشعاره ، وقد اعتنى به العلماء وشرحوه . مقداره خمس عشرة كراسة، تزيد أبياته المنظومة على ثلاثة آلاف بيت، شَرحه الخطيب التبريزى، وشرحه ابن السِّيد البطليوسىّ ، وأحسن فى شرحه .

وكتاب يعرف بـ"ضوء السقط"، يشتمل على تفسير ما جاء فى سقط الزند من الغريب، مقداره عشرون كراسة. وضَع هذا الكتابَ لتلميذه أبى عبدالله محمد بن محمد ابن عبد الله الأصبهانىّ، وكان رجلًا فاضلًا ، قصده إلى معرّة النعمان، ولازمه مدّة حياته يقرأ عليه، بعد أن استعفى من ذلك، ثم أجابه، فقرأ عليه الكتب إلى أن مات. وقد أشار إلى ذلك فى مقدّمة ضوء السقط . وأقام أبو عبد الله الأصبهانى بحلب ، وروى عن أبى العلاء كتبا متعددة من تصانيفه ، وهو الذى سأل أبا العلاء[1] أن يشرح له سقط الزند، فشرحه ووسمه بـ"ضوء السقط". وقد روى أبو عبدالله عنه وعن أبى صالح محمد بن المهذّب المعرّى[2]، وكان من الأعيان العلماء، روى عنه أبو الحسن علىّ بن عبد الله بن أبى جرادة ، والشريف الزاهد سعيد بن عبد الله بن محاسن الهاشمىّ ، وأبو الفرج عبد القاهر النحوى المعروف بالوأواء[3]، وأبو المجد عبد الرحمن بن محمد بن الخضر الحلبيّون ، وتوفّى سنة ستّ وتسعين وأربعمائة .

وقد أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن الحسن الدمشقى بها، عن أبى عبد الله محمد بن حمزة بن أبى الصقر، قال: أنشدنى الشريف الزاهد سعيد بن عبد الله بن

(١) فى الأصل : « سأله أبو العلاء » .

(٢) المعرى : نسبة إلى المعرة . وأبو صالح هـذا هو ابن عمة أبى العلاء ، كما سبق فى ص ٤٩١، وكما سيأتى فى ص ٥٥٠ وفى الأصل : « المغربى » تحريف .

(٣) هو عبد القاهر بن عبد الله بن الحسين الحلبى النحوى الشاعر أبو الفرج المعروف بالوأواء . نشأ بحلب، وتردد إلى دمشق، ومات بحلب سنة ٥٥١ . انظر بغية الوعاة .

محاسن الهاشمى أبو منصور بحلب ، قال : أنشدنى أبو عبد الله محمد الأصبهانى ، قال : أنشدنى أبو العلاء — يعنى يخاطبه — :

يا أصبهانىُّ وما غيرُه ماذا ترجِّى من دخولٍ إلىْ
لا مالَ عندى تَرتجِى نَفْعَه أذهَبْ حميدًا وتفضَّلْ علىْ

وكتاب يعرف بـ"لزوم ما لا يلزم". وهو فى المنظوم، بنى على حروف المعجم، ويذكر فيه كلَّ حرف سوى الألف بوجوهه الأربعة ، وهو الضم والفتح والكسر والوقف منظوما . ومعنى لزوم ما لا يلزم أنَّ القافية يرِدُ فيها حرفٌ لو غُيِّر لم يكن ذلك مُخِلًّا بالنّظم ، لكنه ألتزمه فى كلِّ بيت ، كما قال كُثَيِّر :

خليلىَّ هذا رَبْعُ عَزَّةَ فاعْقِلَا قِلُوَصَيْكُما ثمّ ٱنزِلا حيثُ حَلَّتِ

فالتزم اللام قبل التاء فى أبياته ، ولم يفعل كما فعل الشَّنفَرَى فى قصيدته التى على التاء، حيث خالف بين الحروف التى قبل الرَّوِىّ، فقال :

أرى أُمَّ عَمْرٍو أزْمعَتْ فاستقلَّت وما وَدَّعَتْ جيرانَها يومَ وَلَّتِ

وقال فيها :

بِرَيحانةٍ من نَبْتِ حَلْيَةَ نَوَّرَتْ لَها أَرَجٌ ما حولَهَا غيرُ مُسنِتِ (١)

وقال فيها :

لها وَفْضَةٌ فيها ثلاثُونَ سَيحفًا (٢) إذا آنستْ أُولَى العَدِىِّ ٱقشعَرَّتِ

ومقدار هذا الكتاب أربعة أجزاء، مائة وعشرون كراسة .

(١) فى الأصل : « من بيت حلية » . وانظر القفطى ٤٢ .

(٢) فى الأصل : « لها رقعة منها ثلاثون سيخفا » تحريف . وانظر تحقيق البيت فى حواشى ص ٤٣ .

وكتاب يتعلّق بهذا الكتاب يقال "له زجر النابح"، يردّ فيه على من طعن عليه فى أبياتٍ من هـذا الكتاب ونسبه إلى الكفر فيها ؛ فبيّن وجوهها ومعانيها . مقداره أربعون كراسة .

وكتاب يتعلق بلزوم مالا يلزم أيضا، سماه "نجر الزجر"، يعنى أصل الزجر . وضعه بعد هـذا الكتاب الأوّل، يرد فيه أيضا على من طعن عليه فى أبيات غير الأبيات المذكورة فى زجر النابح ، وبعضها محرّفة عن مواضعها؛ فبيّنَ التحريف وبيّن وجوه تلك الأبيات ومعانيها . مقداره ثلاثون كرّاسة .

وكتاب يعرف بـ"راحة اللزوم" ، شرح فيه ما فى كتاب لزوم ما لا يلزم من الغريب . مقداره مائة كراسة .

وكتاب يعرف بـ"جامع الأوزان"، فيه شعر منظوم على معنى اللُّغز، يعمّ به الأوزان الخمسة عشر، التى ذكرها الخليلُ، بجميع ضروبها، ويذكر قوافىَ كلِّ ضرب، مثال ذلك أن يُقال : للضرب الأوّل من الطويل أربع قوافٍ : المطلقة المجرّدة، مثل قول القائل[1] :

ألا يا اسْلَمى يا هِنْدُ هِندَ بنى بدرِ وإن كانَ حيَّانا عدًى آخرَ الدَّهرِ

والقافية المُرْدفة[2]، مثل قول امرئ القيس :

* ألا انعم صباحا أيُّها الطَّلَلُ البالى *

والمقيّدة المجردة، وذلك مفقود فى الشِّعر القديم والمُحْدَث، وربّما جاء به المحدثون على النحو الذى يسمى مقصورا، كما قال بعض الناس وهو فى السجن، وهو صالح ابن عبد القدّوس[3] :

(١) هو الأخطل . وانظر ما سبق ص ٤٤ . (٢) المردفة : ذات الردف، وهو حرف ساكن من حروف المد واللين، يقع قبل حرف الروى، ليس بينهما شىء . وفى الأصل : «المرادفة» تحريف .
(٣) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٤٤ .

نَحرْجنا من الدُّنيا ونحنُ مِنَ آهلها فما نحنُ بالأحياءِ فيها ولا الموتَى
إذا ما أتانَا مُخْبِرٌ عن حديثِها فَرِحْنا وقُلْنا جاءَ هذا من الدُّنيا

والقافية المقيَّدة المؤسَّسة ، مثل أن يكون العاذلْ والقائلْ ، وذلك مرفوض متروك . ثمّ على هذا النحو، إلى آخر الكتاب، على حروف المعجم. ومقداره ستُّون كراسة . وعدد أبياته نحوٌ من تسعة آلاف بيتٍ من الشِّعر .

وكتاب "استغفر واستغفرى"، فى العِظَة والزُّهد والاستغفار . أوّلُ كلّ أبياتٍ فيه : "استغفر الله" . ومقداره مائة وعشرون كراسة ، يشتمل على نحوٍ من عشرة آلاف بيت .

وكتاب "ملقَى السَّبيل" . وهو كتاب وعظٍ يشتمل على نثر ونظم على حروف المعجم، على كلّ قافية فصل نثر، وأبياتُ شعر. مقداره كُرّاستان. أخبرنا به أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان الكامرى[1]، قال : أخبرنا قفف العلم[2]، قال : أخبرنا أبو العلاء .

وما عمله فى النَّحو والغريب ككتاب "الحقير النافع"، وهو مختصر فى النحو . مقداره خمس كراريس .

وكتاب يتّصل بالحقير النافع، يعرف بـ"الظّل الظّاهرى". عمله لرجل من أهل حلب يكنى أبا طاهر ، وهو أبو طاهر المسَلَّم بن علىّ بن تغلب، الملقب مؤتمن الدولة، وكان من أكابر الحلبيّين وعلمائهم، وكان وجيها عند معزّ الدولة ثِمال بن صالح،

(١) كذا . ولعله «الكاشغرى» . وقد ترجم ابن حجر فى تهذيب التهذيب (١ : ٧٩) لمن سماه إبراهيم ابن عثمان أبو إسحاق الكاشغرى المتوفى سنة ٦٤٥ .

(٢) هو أبو محمد الحسن بن على بن عمر، كما سبق فى ص ٥١٨ .

وسيّره رسولا إلى مصر إلى المستنصر، سنة ثلاثٍ وستّين وأربعمائة ، فمات بها، وأودَعَ تركَته عند المؤيّد فى الدّين ، ليوصّلها إلى ورثته . وهذا الذى عناه أبو محمد الخفاجىُّ بقوله فى قصيدته الرّائية :

إنّ فى جانب المقطّم مهجو رًا ومن أجْلِهِ تُزارُ القُبورُ

ورثاه أبو محمد بما أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الواحد بن هاشم خطيب حلب، قال : أنشدنا أبى ، قال : أنشدنى أبى هاشم ،[1] قال : أنشدنا أبو محمد الخفاجىُّ لنفسه :

أتانى وعُرْضُ الرَّمْلِ بَينى وبينَه حديثٌ لأسرار الدُّموع مُذِيعُ
تَصامَمْتُ عنْ راوِيهِ حَتَّى أُرِيتُه وإنّى على ما غالنى لَسَمِيعُ
وقال ربيعٌ ماتَ فيه مُسَلَّمٌ فقلت له بل مات فيه رَبِيعُ

وهذا الكتاب قريبٌ من الأوّل فى الحجم، وقد يُخلَط بالكتاب الأوّل، ويُجعَل كتابا واحدا .

وكتاب يعرف بـ"المختصر الفتحى"، يتّصل بمختصر محمد [بن][2] سعدان، عمله لولد كاتبه أبى الفتح محمّد بن الشيخ أبى الحسن علىّ بن عبد الله بن [أبى][3] هاشم .

وكتاب يعرف بـ"عَون الجُمَل". عمله لأبى الفتح، ابن أبى هاشم المذكور، شرح فيه شيئا من كتاب الجمل ، لا أعلم مقدارهما[4] ، وهو آخر كتاب أملاه . وكان أبوه يتولّى إثباتَ ما ألّفه من هذه الكتب، فألزمه حقوقا جمة، وأيادى بيضا ، فوضع هذين الكتابين لابنه .

(١) فى الأصل : « أنشدنا أبى هاشم قال أنشدنا أبى » والوجه فيما أثبتنا .
(٢) ساقطة من الأصل . وقد سبقت ترجمة ابن سعدان فى ص ٤٧ .
(٣) ليست فى الأصل . وانظر هذا النص ص ٥٢٧ س ٣ وما سبق فى ص ٤٧ .
(٤) لعله يريد هذا الكتاب والذى قبله .

وكتاب يعرف بـ"تعليق الحُلَس" ، ممّا يتصل بكتاب أبى القاسم عبد الرحمن ابن إسحاق الزّجّاجى، المعروف بالجُمَل. لا أعلم مقداره .

وكتاب يتعلق بهذا الكتاب أيضا، يعرف بـ"إسعاف الصديق". لا أعلم مقداره.

وكتاب يتعلّق بالكافى، الذى ألفه أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس ، لقبه "قاضى الحق" . لا أعلم مقداره .

وإملاءٌ فى النّحو، يتّصل بالكتاب المعروف بالعَضُدى، لقبه "ظهير العضُدى" . لا أعلم مقداره .

وكتاب شرح فيه كتاب سيبويه، لم يتمّه. مقداره خمسون كرّاسة .

وكتاب "تفسير أمثلة سيبويه وغريبها"، عرّبت[1] من الكتاب . لا أعلم مقداره وهو فى مجلد .

وكتاب شرح فيه خطبة أدب الكاتب ، عمله لأبى الرضى سالم بن الحسن ابن علىّ الحلبىّ ، وهو ابن أخت الوزير أبى نصر محمد بن النحاس الحلبىّ، وكان من الفضلاء الأدباء الشُّعراء . لا أعلم مقداره .

وكتاب فى العروض يعرف بـ"مثقال النظم" . لا أعرف مقداره، وهو فى مجلّد.

وكتاب فى القوافى . مجلد .

وكتاب "اللامع العزيزى"، فى تفسير شعر المتنبى، ويقال: "الثابتىّ[2] العزيزى". عمله للأمير عزيز الدولة أبى الدوام ثابت بن ثمال بن صالح بن مرداس بن إدريس ابن نصر بن حُميد الكلابىّ. وبعض الناس يغلَط ويقول : إنه وضعه لعزيز الدولة أبى شجاع فاتك العزيزى؛ وليس الأمر كذلك . ومقداره مائة وعشرون كراسة .

وكتاب فى معانى شعر المتنبى . ومقداره ستّ كراريس .

---

(١) كذا فى الأصل . (٢) نسبة إلى ثابت بن ثمال . وفى الأصل : « الثابت » .

وكتاب يعرف بـ"تذكرى حبيب"، فى تفسير شعر أبى تمّام حبيب بن أوس الطائىّ . مقداره ستّون كراسة .

وكتاب يتعلّق بشعر أبى عبادة البحترى، يعرف بـ"بَعث الوليد". وكان سبب وَضْعه أنّ بعض الرُّؤساء، وهو أبو اليمن المسلَّم بن الحسن بن غِياث الكاتب الحلبىّ النّصرانى، وكان صاحب الديوان بحلب، أنفذ إليه نسخة من شعر أبى عُبادة البُحترىّ، ليقابل له بها، فأثبتَ ما جرى من الغلط، ليُعرَض ذلك عليه . وبعض الغلط من الناسخ، وبعضه من البحترى . ومقداره عشرون كراسة .

وكتاب يعرف بـ"الرياشىّ المصطنعىّ"، فى شرح مواضع من الحماسة الرِّياشية، عمِله لرجلٍ من الأمراء، يلقب مصطَنِع الدولة، وهو أبو غالب كُليب بن علىّ . فسَّر فيه ما لم يفسِّره أبو رياش . وكان قد أنفذ إليه نسخة من الحماسة، وسأله أن يخرِّج فى حواشيها ما لم يفسِّره أبو رياش، فجعله كتابا مفردا، لخوفه من أن تضيق الحواشى عنه . مقداره أربعون كراسة .

وكتاب جمع فيه "فضائل أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام" . لا أعلم مقداره .

وكتاب فيه أمالى من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن شيوخه . وهى سبعة أجزاء، سبع كراريس .

ومن الأمالى التى لم تتمّ ولم يُفرِد لها اسما، ما مقداره مائة كراسة . منها: "تفسير شواهد الجمهرة" .

وجمع شعرَ أخيه أبى الهيثم عبد الواحد، لولده زيد .

وجمع شعر الأمير أبى الفتح ابن أبى حصينة السُّلَمى، وشرح مواضعَ منه، فى ثلاثِ مجلّدات .

فذلك جميعه سبعٌ وستُّون مصنَّفا .

فصـــل

فى ذكر رحلته إلى بغداد، وعوده إلى معرّة النعمان، وٱنقطاعه فى منزله عن الناس، وتسمية نفسه "رهْن المحبسين" رحمه الله

رحل إلى بغداد، لطلب العلم والٱستكثار منه، والٱطلاع على الكتب ببغداد، ولم يرحَلْ لطلب دنيـا ولا رِفد . وقد ذكر ذلك فى قصيدته التى قرأتها على شيخنا أبى على الحسن بن عمرو الموصلى بحلب، قال: أنشدنا الخطيب أبو الفضل عبدالله ابن أحمد الموصلى، قال: أخبرنا الخطيب أبوزكريا يحيى بن على التبريزى إجازة، قال: أنشدنا أبو العلاء أحمـد بن عبد الله بن سليمان لنفسه، وكتبها من بغداد إلى أهله[1] — يريد بالمعرّة — :

أإخوانَنـا بين الفُـراتِ وجِلّقٍ ... يَـمِـينَ اللهِ لا خَبَّرتُـكُمْ بمُحـالِ
أُنَبِّئـكمْ أنّى على العَهـدِ سـالمٌ ... ووَجْهِى لمَـّا يُبْتَـذَلْ بسُـؤالِ
وأنّى تيمَّمْتُ العـراقَ لغـيرِ ما ... تَيَمَّمَـهُ غَيلانُ عنـد بِلال
فأصبحتُ محسودًا بفضلِى وَحدَهُ ... على بُعْـدِ أنصارى وقِـلّةِ مالى

وغيلان هـو ذو الرُّمّة، قصد بِلال بن أبى بردة بن أبى موسى . يريد أنّه لم يَسْتَجِدْ أحداً[2] . اهـ

وكان تَرَك والدتَه بمعرّة النعمان، ولمـّا عاد إلى المعرّة وجدها قد ماتت .

أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن على، عن أبى جعفر محمد بن مؤيّد بن حوارى، أخبرنى جدّى أبو اليقظان، قال: ولزم (يعنى أبا العلاء) منزلَه عند منصرفه من بغداد، منذ سنة أربعمائة، وسمّى [نفسه] "رهن المحبسين"؛ للزومه منزله، وذهاب عينيه .

---

(١) من قصيدة فى سقط الزند (٢ : ٣٨ — ٤٦) . (٢) فى الأصل : « يستجد » .

وقرأت بخط أبى محمد الحسن بن الفَرَج البحترى الأديب، فى آخر سقط الزند بروايته عن الخطيب التبريزى — وخطُّ التبريزى عليه — : ورحل (يعنى أبا العلاء) إلى بغداد سنة ثمانٍ وتسعين ، ودخلها سنة تسعٍ وتسعين ، وأقام بها سنةً وستّة أشهر ، ولزم منزلَه عند مُنصَرَفه من بغداد، منذ سنة أربعمائة ، وسمّى نفسه " رهن المحبسين " لهذا، ولذهاب عينيه .

أنبأنا أبو عبد الله محمد بن محمود النجار ، قال كتب إلينا الوزير أبو غالب عبد الواحد بن مسعود بن الحُصَين، قال: ورحل إلى بغداد فى سنة ثمانٍ وتسعين، فدخلها فى سنة تسعٍ وتسعين وأقام بها سنة ونصفا ، ثم عاد إلى المعرّة فى سنة أربعمائة ، ولزم منزله بها ، وأمسك عن أكل اللحم خمسا وأربعين سنة .

سمعت والدى أبا الحسن أحمد بن هبة الله بن أبى جرادة، فيما يأثره[1] عن أسلافه، قال : رحل أبو العلاء المعرّى من المعرّة إلى بغداد . واتّفق يوم وصوله إليها موت الشريف الطّاهر، يعنى أبا أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهم، وهو والد الشريفين الرَّضِىّ والمُرتَضَى ؛ فدخل أبو العلاء لتعزيته[2] ، والناس مجتمعون، والمجلس غاصٌّ بأهله ، فتخطّى بعضَ الناس، فقال له بعضهم ولم يعرفه : إلى أين يا كلب ؟ ! فقال : الكلب من لا يعرف للكلب كذا وكذا اسما . ثمّ جلس فى أخريات المجلس ، إلى أن قام الشعراء وأنشدوا ، فقام أبو العلاء وأنشد قصيدته[3] الفائيّة التى أوّلها :

أودَى فَلَيْتَ الحادثاتِ كَفَافِ مالُ المُسِيفِ وعَثْـرُ المستاف

---

(١) أثر الحديث يأثره ويأثره (من بابى ضرب ونصر) : نقله ورواه . وفى الأصل : «تأثره» .

(٢) فى الأصل : «إلى عزيته» . (٣) من قصيدة فى سقط الزند (٢ : ٥٥) .

يرثى بها الشَّريف المذكور . فلمّا سمعه الرضىّ والمرتضَى قاما إليه و رفعا مجلسه ، وقالا له : لعلّك أبو العلاء المعرّى ؟ قال نعم ، فأكرماه وآحترماه . ثمّ إنّه بعد ذلك طلب أن تُعرض عليه الكتبُ التى فى خزائن بغداد ، فأُدخل إليها ، وجعل لا يُقرأ عليه كتابٌ إلّا حفظ جميعَ ما يقرأ عليه .

سَيَّرَ إلىّ قاضى المعرّة شهابُ الدين أبو المعالى أحمد بن مُدرك بن سليمان جزءا فيه أخبارُ سلفه من بنى سليمان ، وكتبه لى بخطّه ، قال فيه — وذكر أبا العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان — : ورحل إلى بغداد سنة ثمانٍ وتسعين وثلاثمائة ، ودخلها سنة تسعٍ وتسعين ، وأقام بها سنة وسبعة أشهر ، ولقى بها أبا أحمد عبد السلام آبن الحسين البصرى ، المعروف بالواجكا ، صاحب الرواية رحمه الله . وكتب إليه أخوه أبو الهيثم عبد الواحد بن عبد الله بن سليمان يستعطفه على مخلّفيه بالشام ، ويسأله العَود :

يارَبِّ قد جَنَحَ الوميضُ وغارَا ... فآسْقِ المواطرَ زَيْنَبًا ونَوارَا
أُختَينِ صاغهما الشَّبابُ وعَصْرُه ... ماءٌ يصفِّقه النَّعيمُ ونَارَا
مِن نسوةٍ بالبُخْل أصبحَ نفرُها ... ومَعَاشِرٍ كَرُمُوا ندًى ونِجَارَا
أَسَدِيتين ترى الفليلَ عليهما ... شرفا وصُمّ السمهريةِ زارَا (١)
يَضَعُون أوزار الوغَى وتراهمُ ... متلفِّعين مَهابةً ووَقارَا
مُستبشرين إلى الطِّراد وإنّما ... يلقَون منه أسِنّةً وشِفارَا
لا يفهمُ النَّجوَى لسانُ وليدِهم ... حَتَّى يَشُقَّ على العَدُوّ مُغَارَا
نحروا العِشار فما تَمَلُّ (٢) مُدامُهم ... يومًا وإنْ غدَتِ الرِّمالُ عِشَارَا (٣)

(١) كذا ورد هذا البيت فى الأصل .
(٢) فى الأصل : «تمد» .
(٣) أى صار عدد هذه العشار عدد الرمال .

لا يألفون محلّةً ويسوءهم ... يُصفى الوِدادَ مآلفًا وديارَا
بغدادُ لا سُقِيَتْ رُبوعُك ديمةٌ ... وغَدَتْ رياضُك حَنظلًا ومُرارَا
أنتِ العَروسُ يروقُ ظاهرُ أمرِها ... وتكونُ شَينًا فى اليقين وعارَا
أضرمتِ قلبي باجتذابك ماجدًا ... كالسَّيف أعجَبَ رونقًا وغِرارَا
منيتِه محضًا فلمّا شفّه ... ظمأٌ أتاك به سَقيتِ سَمارَا (١)
وجلَبتِه فنَحاك يَعتسِفُ الرَّدَى ... ويخوضُ منه لجُّةً وغِمارَا
شغفًا بدار العلم فيك وقلبُه ... ما زال رَبْعًا للعلوم ودَارَا
ما زِدتِ عمًّا عنده، فسقاكِ مَنْ ... رَفَعَ السَّماءَ نقيصةً وعِثارَا
وأجارَ أهلَكِ فى المَعاد فإنّهم ... أوفَى الخلائق ذِمّةً وجِوارَا
لولاك ما خَطَتِ البِدِيَّةَ (٢) عِيسُه (٣) ... وأثَرْنَ من ذاك الحِزيزِ (٤) غُبارَا
متلفِّعات بالحَميم (٥) كأنّما ... يبدو على وَضَح الرِّكائبِ قَارَا
فلئن أقَمْنَ بسيف دِجلةَ رُنّعًا ... فبها قَطَعْنَ مَفاوِزا وحِرَارَا
قُيِّدْنَ فى أسرِ الكَلالِ وطالَمَا ... أحيَيْنَ ليلًا بالسُّرَى ونَهارَا
أأبا العلاءِ نِداءَ عبدٍ أدرَكَتْ ... منه النَّوى لما نأتْ بك ثارَا
تحوى (٦) بأربعِها النَّجاءَ كأنّما ... يُعْجِلنَ نَهْبًا أو يطأن جِمارَا

---

(١) السمار، بالفتح : اللبن الكثير الماء .

(٢) البدية ، بالباء بعدها دال مهملة وياء مشدّدة : ماء على مرحلتين من حلب .

(٣) العيس : الإبل الخالصة البياض ، جمع أعيس وعيساء . وفى الأصل : «عنسه» تحريف .

(٤) الحزيز ، بالحاء المهملة وزايين بينهما ياء : ماغلظ من الأرض ، واسم لعدّة مواضع معينة . وفى الأصل : « الجزير » .

(٥) الحميم : العرق . وفى الأصل : «الجميم» بالجيم ، محرف .

(٦) كذا فى الأصل . ولعلها : «تهوى» بمعنى تنقض ، أو «تخدى» بمعنى تسرع .

وتُعَلُّ بعد الظِّمْءِ غَمْرةَ آجِنٍ (١) أبدًا يرشح نفسه الأطمارا (٢)
يزوى الوجوهَ فإنْ تروّى شاربٌ منه تأوّدَ سَكْرةً وخُمارا
ولعلَّ فَضْلَكَ ينثنى بك طالبًا بِرًّا تَبُذُّ بفعله الأبرارا
وأتَتْ صُروفُ الدهرِ قبل ندامةٍ تُذكى الفليل وتنجز الأقدارا (٣)
حاشاكَ أن تُبْدِى الجفاءَ لخُلّةٍ وتُعِيدَ أقرانَ الوفاء قِصارا
أدْرِكْ بإدراك المَعَرّةِ مُهجةً تَفْنَى عليك مخافةً وحذارا
أغْرَتْ نَواكَ بها الحِمامَ مُناجزًا ونجا بها حُسْنُ الرّجاءِ مِرارا (٤)
بَلَغَتْ بك الهِممُ المرادَ فأيأست منكَ الحَسُودَ ولم تَنُطْ بك عارا
فاقْتَ فى الزّوراءِ ثمَّ غدوتَ فى أُفق المفاخر كوكبًا سَيّارا
فاجْنَحْ على مرضاةِ رَبِّك طالبًا منه الجزاءَ وجانِبِ الإصْرارا
وأسْلِمْ لقومك إذْ غدوتَ لمجدهمْ تاجًا تُشَرِّفُ فَضْلَه وسِوارا

* * *

ولمّا قدِم بغداد عزَم على العُزلة والانقضاب من العالم، فكتب إلى أهل المعرّة:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتابٌ إلى السُّكْن المقيم بالمعرّة، شَمِلَهم اللهُ بالسعادة، من أحمدَ بنِ عبدالله ابن سليمان، خَصَّ به من عرَفَه وداناه، سَلَّمَ الله الجماعةَ ولا أسلمَها، ولمّ شَعَثها ولا آلمها. أمّا الآن فهذه مناجاتى بعد مُنصَرَفى عن العراق، مجتمع أهل الجدل، وموطِن بقيّة السّلَف، بعد أن قضَّيت الحداثةَ فانقضت، ووذعت الشبيبة فمضَتْ،

---

(١) تعل: من العلل، وهو الشرب بعد الشرب. والظمء، بالكسر: ما بين الشربتين والوردين. وفى الأصل: «وتعد بعد الظمئ» تحريف. (٢) كذا ورد هذا العجز فى الأصل.
(٣) فى الأصل: «تزكى الفليل وتاجز الأقدار». (٤) فى الأصل: «ونحا» بالحاء المهملة.

وحلبتُ الدَّهرَ أشْطُرَه، وجرّبت خيره وشرّه؛ فوجدتُ أقوى ما أصنعه أيّامَ الحياة، أن اخترت عزلةً تجعلنى من النّاس كبارح الأرْوَى من سانح النّعام. وما ألوت نصيحة لنفسى، ولا قصّرت فى اجتذاب المنفعة إلى حَيّزى؛ فأجمعتُ على ذلك، واستخَرتُ الله فيه، بعد جَلائه على نَفرٍ يُوثَق بحَصائلهم؛ فكلُّهم رآه حزْما، وعدّه إذا تَمّ رُشدا. وهو أمرٌ سُرِى عليه بَليل، قُضِى بِبقّة، وخَبّت به النعامة؛ ليس بنتيج الساعة، ولا ربيبِ الشّهر والسّنة، ولكنّه غَذِىّ الحِقب المتقادمة، وسليل الفكر الطويل. وبادرتُ إعلامَهم ذلك مخافةَ أن يتفضّل منهم متفضّل بالنهوض إلى المنزل الجارية عادتى سُكناه، ليلقانى فيه فيتعذّر ذلك عليه، فأكونَ قد جمعتُ بين سَمْجين: سوء الأدب، وسوء القطيعة. ورُبَّ ملومٍ لا ذنبَ له. والمثل السائر: "خَلِّ امرأً وما اختار". وما أسمحت القَرونُ بالإياب حتّى وعدتها أشياء ثلاثة: نَبْذة كنَبْذة فتيق النُّجوم، وانقضابا من العالم كانقضاب القائبة من القوب، وثباتا فى البلد إنْ جلا أهلُه من خوف الروم. فإن أبَى مَن يُشفق عَلَىّ أو يظهر الشَّفَق، إلّا النَّفرة مع السّواد، كانت نَفْرة الأعفر أو الأدماء.

وأحلف ما سافرْتُ أستكثِرُ من النَّشب، ولا أتكثّرُ بلقاء الرِّجال، ولكنْ آثرتُ الإقامةَ بدار العلم، فشاهدتُ أنفسَ ما كان لم يُسعف الزّمَن بإقامتى فيه. والجاهلُ مُغالِب القَدَر. فلَهِيتُ عمّا استأثر به الزّمان. والله يجعلُهم أحلاسَ الأوطان

---

(١) فى الأصل: «عن».
(٢) حصائلهم: ما حصلوه من علم وتجربة، الواحدة حصيلة.
وفى الأصل: «خصائلهم» بالخاء المعجمة، تحريف.
(٣) فى الأصل: «قضى سنة».
(٤) فى الأصل: «رحيب النعامة».
(٥) فى الأصل: «يسيح».
(٦) فى الأصل: «ولا ريب».
(٧) فى الأصل: «القابية».
(٨) فى الرسائل: «حال».
(٩) فى الأصل: «للشفق».
(١٠) فى الأصل: «الأعصب» وتصحيحه من الرسائل.

لا أحلاس المَخيل والرِّكاب، ويُسبِغُ عليهم النِّعمة سُبوغَ القَمْراء الطَّلْقة على الظَّبْي الغرير، ويُحسِنُ جزاءَ البغداديِّين؛ فلقد وصفونى بما لا أستحقّ، وشهدوا لى بالفضيلة على غير علم، وعرَضُوا علىَّ أموالهم عرض الجِدّ، فصادفونى غير جَذِلٍ بالصِّفات، ولاهشٍّ إلى معروف الأقوام. ورحلتُ وهم لرِحلتى كارهون، وحسبى الله، وعليه فليتوكل المتوكِّلون. اهـ.

وإنما قيل له "رهن المحبسين" للزومه منزلَه، وكفِّ بصره. فأقام مدّةً طويلة فى منزله مختفيا، لايدخل عليه أحدٌ. ثمّ [إنّ] الناس تسبَّبوا إليه، حتّى دخلوا عليه. فكتب الشيخ أبو صالح محمد بن المهذَّب إلى أخيه أبى الهيثم عبد الواحد بن عبد الله ابن سليمان — رحمهما الله — فى ذلك:

بشَمْسٍ زَرُود لا بِبَدْرِ مَعَانِ ... أَلِمَّا وإن كانَ الجميعَ شِعَابِي
أُراها أَبَتْ إلّا النَّوى بِى مَغْرَمًا ... ولو رَضِيَتْ هِجرانَها لكَفانِي
تَمُنُّ بإهداء السّلامِ تَجاهُلًا ... ولو عَلِمتْ أنَّ الرُّقادَ جَفانِي
هَبِي هَجْعَةً كيما أرى الطَّيْفَ مَرَّةً ... بها تحتَ أرواق الدُّجَى ويَرانِي
لعلَّ أَشْفِي عِنّى بِلِقائه ... فكم من خَلِيلٍ زارنى فشَفَانِي
لقد أُولِع الدّهرُ المشتَّتُ بيننا ... ليالَ لا يعبثْن بالرشقان[1]
وفَكُّ قيودِ اليَمْلَاتِ مُقيّدًا ... مَدَى الدَّهرِ لا يُغنى من الرشفانِ[1]
فما رجَّعت إلّا النَّحيبَ حمامةٌ ... ولا خَيَّمتْ إلّا بأيكة بانِ
أُمُسْعِفةً لم تَشْفِ ما بى من الجَوَى ... تُعانى[2] الهَوَى من أربُعٍ ومغانِ
لَيَهْنِكِ لو أسمَعْتِنى رَجْعَ الوَغَى ... بِقَضْبِ قُيونٍ لا بِقُضْبِ قِيانِ

(١) كذا ورد البيت فى الأصل.
(٢) فى الأصل: «نعانى».

تَخَيَّرَ حَتَّى كل نَجْـــمٍ بدا لهـا (١) سُهيل بحكم الوَخْـــد والذَّمَلانِ
نُصافِنُهـا (٢) دون الصَّـوافِنِ وِرْدَنا وما هـو إلّا من نِطافٍ شِـــنانِ
أبَرْقٌ كليلٌ لاحَ من جانبِ الحِمَى أم السَّـيفُ هَزَّتْهُ يَمِينُ جَبَـانِ
بجهلكَ شِمْتَ السَّيفَ والسَّيفُ مُغمَدٌ وكلُّ رقيـق الشَّـفرتينِ يَمَـانِ
أبى ذاك لى إلّا الأُوامَ وإنَّ ذا لِيُرْدِى الرَّدَى من غُـلَّةِ الشُّـنآنِ
وبُرْدِ حِـدادٍ قـد طويتُ مُنَمْنِمٍ (٣) وهـل بُردةٌ تُطوَى بغـير بَنَـانِ
تَلَفَّعتُـــه حتى إذا ما أَلِفتُـــه رمى الصُّبحُ (٤) فى أثنـائه بسِـنَانِ
وسابِغـةٍ نِضْـوِ المعالى وَقَفْتُها (٥) ليـــومِ جِراءٍ لا ليـــومِ طعانِ
تقـــول إذا ما جُبْتُهـا ألِغـارةٍ أتيتَ وإلّا جُبْتَنى لِرِهـانِ
فكم صاحبٍ لى جئتُه من مُرادِه بأُمنيَّـــة أو مـن أذًى بأمانِ
أَشِـــيم حُسامى دونَه إنْ أرابَهُ مُرِيبٌ وإنْ لم يَرْضَـهُ فلسـانِى
ووُدٌّ كريمٌ لـو ينـال خلائقًـا هى النَّـجمُ زادتْهُ علُوًّ مكانِ
تخـــيَّرَ قلـــبى والحَشَـا ثمّ إنّه ثَوَى بمحـلٍّ عن سـواهُ (٦) مُصَـانِ

---

(١) الضمير للعلات . وفى الأصل : « تخليت عنى » . ولعل الصواب فيما أثبتنا .

(٢) المصافنة : اقتسام الماء بالحصى ، يلقون حصاة فى إناء و يضعون فيه من الماء بقدر ما يغمرها ، فيكون ذلك نصيب أحدهم ، كانوا يفعلون ذلك إذا قل ماؤهم فى الفلاة . وفى الأصل : « نصافيها » ، تحريف .

(٣) عنى ببرد الحداد : الليل لسواده . ومُنمنمه : ما يبدو فيه من النجوم .

(٤) فى الأصل : « دمى » بالدال المهملة .

(٥) الجراء : مصدر جاراه . أريد به السباق والرهان .

(٦) فى اللسان : « ولا تقل مصان » .

أبا الهيثم اسمَعْ ما أقولُ فإنّما تُعِينُ على ما رُمْتُ خيرَ مُعَانِ
فريضى هجاءٌ إنْ حُرِمْتُ مديحَه لأرْوَعَ وَضّاحِ الجَبينِ هِجانِ
أطَلَّ على بغدادَ كالغيثِ جاءها به سعدُ نَجْمٍ فى أجَلِّ أوانِ
نضاها ثيابَ المَجْدِ وهْى لِباسُها وبَذَّلَها مِن شِدّة بِلَيَانِ
فيا طيبَ بغدادٍ وقد أرِجَتْ به على بُعْدِها الأطرافُ مِنْ أرَجَانِ
غدا بكمُ المَجْدُ المضيءُ وإنّه لَيُقْمِرُ من أضْوائه القَمَرانِ
مُيسِّرُ المَعَالِى دُونَنَا، هَلْ تُسِرُّها بطونُ وِهادٍ أو ظهورُ رِعَانِ
نأى ما نأى والموتُ دونَ فِراقِه فما عُذْرُه فى النّأى إذْ هُوَ دانِ
فكُنْ حامِلًا منّى إليه رسالةً تَبِينُ إليه (١) فى هضابٍ أبانِ
فإن قال أخشى من فلانٍ تَشَبُّهًا فقل ما فلانٌ عندنا كفُلانِ
هو الحِلُّ ما فيه اختلالُ مودّةٍ فلا تخشَ منه زَلّةً بضَمانِ
فإن خُنْتُ عهدًا أو أسأتُ خليقةً ولم يكُ شانى فى المودّة شانِى
فلا أحسَنَتْ فى الحرب إمساكَ مَقبِضى يمينى ولا يُسراى حِفْظَ عِنانِى
لعلّ حياتى أن تعود نضيرةً لديه كما كانت، وطيبَ زَمانِى

وهذا أبو صالح قائل هذا الشعر، هو أبو صالح محمد بن المهذّب بن علىّ بن المهذّب بن أبى حامد بن محمد بن همّام التّنوخى المعرّى؛ كان كبيرَ القدر، جليل الأمر، فاضلا عالما، زاهدا، محدّثا، شاعرا، حدّث بالكثير عن أبى العلاء المعرّى، وجدّه علىّ بن المهذّب بن محمد، والقاضى أبى عمرو عثمانَ بنِ عبد الله بن إبراهيم قاضى معرّة النعمان، وجماعةٍ سواهم. وكان ابن عمّةِ أبى العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان.

(١) فى الأصل: «لينا».

فصـــل

فى ذكر ذكاء أبى العلاء وفِطنته ، وسرعة حفظه وألمعيّته ، وتوقُّد خاطره وبصيرته

أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن علىّ القرطبىّ ، أخبرنا أبو جعفر محمد بن مؤيّد بن حوارى كتابةً قال : أخبرنى جدّى أبو اليقظان قال : كان مولد الشّيخ أبى العلاء بن سليمان بمعرّة النعمان ، وقال الشّعرو هو ابن إحدى عشرة سنة أو اثنتى عشرة سنة ، رحمه الله . اهـ

وقرأت بخط أبى محمد الحسن بن القاسم البُخْتُرِى(١) فى آخر سقط الزند ، وقرأه على التبريزىّ وعليه خطُّه ، وذكر أبا العلاء فقال : وقال الشعرو هو ابن إحدى عشرة سنة أو اثنتى عشرة سنة . اهـ

وسمعت والدى أبا الحسن أحمد بن هبة الله بن أبى جرادة يقول ، فيما يأثره عن أسلافه ، قال : كان أبو العلاء على غايةٍ من الذّكاء والحفظ . وقيل له : بم بلغت هذه الرُّتبة فى العلم؟ فقال : ما سمعتُ شيئًا إلّا وحفظته ، وما حفظت شيئا فنسيتهُ . اهـ

أخبرنا أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل بن عبد المطلب مشافهةً ، عن أبى سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السّمعانى ، قال فى ذكر أبى العلاء بن سليمان :

وحكى تلميذه أبو زكريا التّبريزىّ ، أنّه كان قاعدًا فى مسجده بمعرة النُّعمان بين يديه ، يقرأ عليه شيئا من تصانيفه . قال : وكنت قد أتممتُ عنده سنتين ولم أرَ أحدا من بلدى ، فدخل مُغافَصةً المسجدَ بعضُ جيراننا للصّلاة ، فرأيتُه وعرفتُه ، وتغيّرتُ من الفرح . فقال لى أبو العلاء : ما أصابك؟ فحكيت له أنّى رأيتُ جارا لى بعد أن

---

(١) سبق فى ص ٥٤٣ س ١ باسم : «أبى محمد الحسن بن الفرج البحترى» .

لم ألق أحدا من بلدى منذ سنين، فقال لى: قُمْ وكلّمه . فقلت : حتى أتمّم السَّبَق . فقال : قم أنا أنتظرك . فقمت وكلّمته بالأذربيجيّة شيئا كثيرا، إلى أنْ سألت عن كلّ ماأردت فلمّا عُدت وقعدتُ بين يديه قال لى : أىُّ لسانٍ هـذا ؟ قلت : هذا لسان أهل أذربيجان . فقال : ما عرفتُ اللسان ولا فهمته، غير أنّى حفظتُ ما قلتما . ثم أعاد لفظنا بلفظ ما قلنا، بفعل جارى يتعجّب غاية العجب، ويقول : كيف حفظ شيئا لم يفهمه ! اهـ .

قرأت فى كتاب "جنان الجنان، ورياضة الأذهان" لابن الزُّبير المصرى (هو القاضى الرشيد أبو الحسن أحمد بن علىّ بن إبراهيم بن محمد بن الحسين بن الزُّبير) قال : حدّثنى القاضى أبو الفتح محمود بن القاضى إسماعيل بن حُميد الدّمياطى، قال : حدّثنى أبى، قال : حدثنى هبة الله بن موسى المؤيَّد فى الدين، وكانت بينه وبين أبى العلاء صداقةٌ ومراسلة، قال : كنت أسمع من أخبار أبى العلاء وما أوتيَه من البَسطة فى علم اللسان، ما[1] يكثُرُ تعجّبى منه . فلما وصلت المعزّ قاصدًا الدّيار المصريّة، لم أُقدّمْ شيئا على لقائه، فحضرت إليه، واتّفق حضور أخى معى، وكنتُ بصدد أشغالٍ يحتاجُ إليها المسافر، فلم أسمَحْ بمفارقته والاشتغال بها، فتحدّثتُ مع أخى حديثا باللسان الفارسىّ، فأرشدته إلى ما يعمله فيها، ثم عدتُ إلى مذاكرة أبى العلاء، فتجارَيْنا الحديث[2]، إلى أن ذكرتُ ماوُصف به من سُرعة الحفظ، وسألتُه أن يُرِيَنى من ذلك ما أحكيه عنه . فقال : خُذْ كتاباً من هذه الخزانة قريبة منك[3]، واذكُرْ أوّلَه فإنّى أوردُه عليك حفظا . فقلت : كتابُك ليس بغريب إنْ حفظتَه ؛

---

(١) فى الأصل : «رما» . (٢) المنصوص عليه فى اللسان : «وجاراه فى الحديث وتجاررا فيه» . لكننا نجدها فى لسان ابن العديم والخفاجى وأضرابهما متعدية بنفسها .

(٣) كذا وردت فى الأصل .

قال : قد دار بينك و بين أخيك كلامٌ بالفارسيّة ، إن شئتَ أعدتُه . قُلتُ : أعِدْه . فأعادَه ما أخَلَّ واللهِ بحرف منه ، ولم يكن يعرف اللُّغة الفارسية . اهـ

وأخبرنى عنه بمثل هذه الحكاية والدى رحمه الله تعالى ، فيما يأثره (١) عن الشُّيوخ الحلبيين ، قال : كان لأبى العلاء جارٌ أعجمىّ بمعرّة النعمان ، فغاب فى بعض حوائجه عن معرّة النعمان . فحضر رجلٌ غريبٌ أعجمىٌّ قد قدِم من بلاد العجم يطلبه ، فوَجَده غائبا ، وهو مجتازٌ لم يمكنْه المُقام ، وذلك القادمُ لا يعرفُ اللِّسانَ العربىّ . فأشار إليه أبو العلاء أنْ يذكُرَ حاجتَه إليه . فجعل يتكلّم بالفارسية ، وأبو العلاء يُصغى إليه ، إلى أن فرغ من كلامه ، وهو لا يَفْهم ما يقول . ومضى الرَّجُل ، وقدِم جارُ أبى العلاء العجمىُّ الغائب ، وحضر عند أبى العلاء . فذكر له حالَ الرجل ، وطلَبَهُ له ، وجعل يُعيد عليه بالفارسيّة ما قال ، والرجل يبكى ويستغيث ويلطِم على رأسه ، إلى أن فرَغ أبو العلاء . وسُئل عن حاله ، فأخبرهم أنّه أُخبر بموتِ أبيه وإخوته و جماعةٍ من أهله . أو كما قال .

قال لى والدى : وبلَغنى من ذكاء أبى العلاء وحُسن حفظه ، أنّ جارًا له سَمّانا كان بينه و بين رجلٍ من أهل المعرّة معاملة . فجاءه ذلك الرَّجلُ ، فدفع إليه السّمّان رِقاعا كتبها إليه ، يستدعى فيها حوائجَ له ، وكان أبو العلاء فى غُرفةٍ مشرفةٍ عليهما يسمع محاسبةَ السَّمّان له ، وأعاد الرجل الرِّقاع إلى السّمّان . ومضى على ذلك أيّامٌ ، فسمع أبو العلاء ذلك السّمّانَ وهو يتأوّه ويتململ . فسأله (٢) على حاله ، فقال : كنت حاسبتُ

---

(١) يأثره : يرويه ويحكيه . وفى الأصل : « يؤثره » وانظر ما سبق ص ٥٤٣ .

(٢) ترد «على» للجارزة ، مثل «عن» كقول القائل :

إذا رضيت على بنو قشير ... لعمر الله أعجبنى رضاها

وقوله :

فى لبلة لا نرى بها أحدا ... يحكى علينا إلا كواكبها

فلاناً برقاع كانتْ له عِندى، وقد عدِمتها، ولا يحضُرنى حسابه . فقال : لا عليك! تعال إلىّ؛ فأنا أحفَظُ حسابَكما . وجعل يملى عليه معاملتَه جميعَها وهو يكتبُها، إلى أنْ فرغ وقام . فلم يمضِ إلا أيامٌ يسيرة، فوجد السمّان الرقاعَ وقد جذبتها الفأرُ إلى زاويةٍ فى الحانوت، فقابل بها ما أملاه عليه أبو العلاء، فلم يُخْطِ فى حرفٍ واحد .

وأخبرنى قاضى معرّة النعمان شهاب الدين أبو المعالى أحمد بن مدرك بن سليمان، فيما يأثره[1] عن المعرّيين، أنّ الشيخ أبا العلاء لمّا دخل بغدادَ لم يعرَضْ عليه شىءٌ من الكتب إلاّ وحفظها، وأخبرهم أنه يحفظ كلّ شىء سمعه . وطلبوا كتابا لا يعرفه ليمتحنوه به، فأحضَروا دُستور الخراج الذى فى الديوان، وجعلوا يُوردون ذلك عليه مُيَاومةً وهو يسمع، إلى أن فرغوا من ذلك، فابتدأ أبو العلاء وسَرَد عليهم كلَّ ما أوردوه عليه .

وقفت على كتابٍ سَيَّرَه [إلىّ][2] بعض الرؤساء بحلب، وضَعه الشريف أبو على المظفّر ابن الفضل بن يحيى العلوى الإسحاق الحُسينى، نزيل بغداد، وهو من ولد الشريف أبى إبراهيم العلوىّ الحزانىّ، وأصله من حلب، وكان أبوه حاجبَ الباب ببغداد، وَرَد هذا الشريف علينا حلبَ زائرا أهله بها، فذكر فيه، قال : حدّثنى والدى رضى الله عنه وأرضاه، يرفعه إلى ابن منقذ، قال : كان بأنطاكية خِزانةُ كتب، وكان الخازن بها رجلاً علَوياً . فجلست يوما إليه فقال : قد خبأتُ لك غريبةً ظريفة، لَمْ يُسمَع بمثلها فى تاريخٍ، ولا كتاب منسوخ . قلت : وما هى ؟ قال : صبىٌّ دونَ البلوغ ضريرٌ، يتردّد إلىّ، وقد حفّظته فى أيام قلائل عِدّة كتب؛ وذلك لأنى أقرأ عليه الكرّاسة والكرّاستين مرة واحدة، فلا يستعيد إلاّ ما يشكُّ فيه، ثمّ يتلو علىّ ما قد سمعه كأنه قد كان محفوظَه . قلت : فلعله يكون يحفظ ذلك .

(١) فى الأصل : «تأثره» وانظر الحاشية رقم (١) ص ٥٤٣ (٢) انظر مثل هذه العبارة فيما سيأتى ص ٥٦٧

قال : سبحان الله ! كلُّ كتابٍ فى الدنيا يكون محفوظا له ! وإن كان ذلك كذلك فهو أعظم.
ثمّ حضر المشار إليه ، وهو صبيٌّ دميم الخلقة، مجدورُ الوجه ، على عينيه بياض من أثر الجُدَرى، كأنّه ينظر بإحدى عينيه قليلا، وهو يتوقّد ذكاء، يقودُه رجلٌ طُوالٌ من الرّجال، أحسبه يقرب من نسبه . فقال له الخازن : ياولدى، هذا السيِّد رجلٌ شريف القدر ، وقد وصفتُكَ عنده[1]، وهو يحبُّ أن تحفظ اليوم ما يختاره لك . فقال : سمعاً له وطاعة، فليختر ما يريد .

قال ابن منقذ : فاخترتُ شيئا وقرأتُه على الصبى، وهو يموج ويستزيد ، فإذا مرَّ به شىء يحتاج إلى تقريره فى خاطره يقول : أعِدْ هذا ، فأُردِّده عليه مرة واحدة ، حتّى انتهيت إلى ما يزيد على كراسة ، ثم قلت له : يُقنِع هذا من قِبَل نفسى . قال : أجَلْ حرسك الله ، قلتَ كذا وكذا ، وتلا علىّ ما أمليتُه عليه ، وأنا أُعارضُه بالكتاب حرفًا حرفًا، حتّى انتهى إلى حيثُ وقفتُ دليه، فكاد عقلى يذهب لِمَا رأيت منه، وعلمتُ أنْ ليس فى العالم من يَقدِر على ذلك إلا أنْ يشاء الله . وسألت عنه، فقيل لى : هذا أبو العلاء التنوخى، من بيت العلم والقضاء، والثروة والغَناء .

وهذه الحكاية فيها من الوهم ما لا يخفى . وذلك أنه قال : كان بأنطاكيةَ خزانة كتب إلى آخر ماذكره . وهذا شىءٌ لا يصح؛ فإن أنطاكيةَ أخذها الرُّوم من أيدى المسلمين فى ذى الحجة من سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة ، وولد أبو العلاء بعد ذلك بأربع سنين وثلاثة أشهر، فى شهر ربيع الأوّل من سنة ثلاث وستّين وثلاثمائة ، وبقيت أنطاكية فى أيدى الروم إلى أن فتحها سليمان بن قطلمش ، فى سنة سبع وسبعين وأربعمائة، وكان أبو العلاء قد مات قبل ذلك فى سنة تسع وأربعين وأربعمائة . وأخلاها الرُّوم من المسلمين حينَ استولوا عليها ، فلا يُتصوَّر أن يكون بها خزانةُ كتب وخازن، وتقصد للاشتغال بالعلم .

(١) فى الأصل : « وضعتك عنه » .

ويحتمل عندى أن يكون هذا بكَفْرطَاب(١)، فقد كانت كَفْرطاب مشحونةً بأهل العلم، وكان بها مَن يقرأ الأدب ويشتغل به قبل أن يهجُمها الفرنج. وهجمها الفرنج فى سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة. وكانت لأبى المتوّج مقلّد بن نصر بن مُنقِذ فى أيام أبى العلاء. فلعلّه تصحّف كفرطاب بأنطاكية، وتصحيفها بها غير مستبعد. فإن كان كذلك فابنُ منقِذ الحاكى لهذه الحكاية هو أبو المتوّج مقلّد بن نصر بن مُنقذ، وأبوه نصر. وكفرطاب قريبة من معرّة النعمان. ويحتمل أنّ ذلك كان بحلب؛ فإنّ أبا العلاء دخل حلب وهو صبىٌّ، واجتمع بمحمد بن عبد الله بن سعد النحوىّ، وردّ عليه خطأه فى شعر المتنبّى، على ماذكرناه فى ذكر شيوخه الذين أخذ عنهم. فيحتمل أنّ هذه الحكاية التى حكاها ابن مُنقِذ كانت(٢) بحلب، وأبو المتوّج بن منقذ كان بحلب، وله بها دارٌ ومنزل، وكان بها خزانة كتب فى الشَّرَفية(٣) التى بجامع حلب، فى موضع خزانة الكتب اليوم. واتّفقتْ فتنةٌ فى بعض أيّام عاشوراء بينَ أهل السنّة والشيعة، ونُهبت خزانة الكتب، وكان ذلك فى زمن أبى العلاء، ولم يبق فى خزانة الكتب إلّا القليل، وجدّدَ الكتبَ فيها بعد ذلك الوزيرُ أبو النَّجم هبة الله بن بَديع، وزير الملك رضوان. ثمّ وقف غيرُه كتبا أُخَر بها.

---

(١) كفرطاب، بفتح الكاف والفاء، وسكون الراء، وفتح الطاء المهملة، كما نص على ضبطها السمعانى وأبو الفداء، وكما ضبطت بالقلم فى معجم البلدان، وهى بلدة بين المعرّة وحلب. وأنشد:

ولا كفرطاب عندى بالحمى عوضا نعم سقى الله سكان الحمى ورعى

ويضبط كذلك بفتح الكاف وسكون الفاء. ومنه قول الخفاجىّ:

عرج على أرض كفرطاب وحيها أحسن التحايا

(٢) فى الأصل «كان».

(٣) الشرفية: يرادبها المدرسة الشرفية، نسبة إلى بانيها شرف الدين عبد الرحمن بن الحسن بن عبد الرحمن الحلبى، المعروف بابن العجمى، المولود بحلب سنة ٤٨٠ والمتوفى بها فى شعبان سنة ٥٦١. انظر الشذرات وطبقات الشافعية (٤: ٢٤٤) وإعلام النبلاء (٤: ٢٥٠). وفى الأصل: «الشرقية» بالقاف، محرف.

وقد ذكر أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سِنان الخفاجىّ هذه الخزانة فى قصيدته التائية التى كتبها من القسطنطينية، يداعبُ أحدَ أصدقائه بها، قال فيها:

أبلِغْ أبا الحسَنِ السَّلامَ وقُلْ له هـذا الجفـاءُ عَـداوةُ الشّيعيّةِ
فَلَأُطْرِفَنَّ بما صَنَعْتَ مُكابِرًا وأَبُثُّ ما لاقيتُ مِنـك لِبُنْكَةَ (١)
ولأُجْلِسَنَّكَ للقضيّة بيننا فى يـوم عاشـوراءَ بالشَّرَفيّةِ
حَتّى أُثيرَ عليكَ فيها فِتنـةً تُنسيك يـومَ خزانة الصوفيّةِ

وهذا أبو الحسن سالم بن علىّ بن تميم الفقيه ابن الكفرطابى، المعروف بالحمّامى، وكان من فضلاء حلب، وكان سُنّىّ المذهب، وأبو محمد الخفاجىّ شيعىّ، وكان بينهما مودّة. ومُكابر وبُنْكة من غوغاء الشيعة. فيحتمل أنّ أبا العلاء لمّا دخل حلبَ وهو صبىٌّ، اتفق له بخزانة الكتب ما ذكره ابن منقذ.

وقد ذكر بعضُ المصنّفين أنّ أبا العلاء رحل إلى دار العلم بطرابلس، للنظر فى كتبها، واشتبه عليه ذلك بدار العلم ببغداد. ولم يكن بطرابلس دار علم فى أيّام أبى العلاء، وإنما جدّد دارَ العلم بها القاضى جلال الملك أبو الحسن علىّ بن محمد ابن أحمد بن عمّار، فى سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة، وكان أبو العلاء قد مات قبل [جلال] الملك فى سنة تسع وأربعين وأربعمائة. ووقف ابن عمّار بها من تصانيف أبى العلاء "الصاهل والشاحج" و"السّجع السلطانى" و"الفصول والغايات" و"السادن" و"إقليد الغايات" و"رسالة الإغريض".

قرأت فى كتاب تتمّة اليتيمة لأبى منصور الثعالبىّ، وذكر أبا العلاء المعرّىّ، فقال: وكان حدّثنى أبو الحسن الدلفىّ (٢) المصّيصى الشّاعر، وهو ممّن لقيته قديما

(١) فى الأصل: «بالشرفية» صوابه ما أثبتنا. وانظر الحاشية رقم ٣ ص ٥٥٦
(٢) فى الأصل: «المدلفى» تحريف.

وحدثنا[1] فى مدّة ثلاثين سنة ، قال : لقيت بمعرّة النعمان عجبا من العجب : رأيت أعمى شاعرا ظريفا ، يلعب بالشّطرنج والنّرد ، ويدخلُ [فى][2] كل فن من الجدّ والهزل ، يكنى أبا العلاء . وسمعته يقول : أنا أحمد الله على العمى ، كما يحمده غيرى على البصر ، وقد صنع لى وأحسن بى ؛ إذْ كفانى رُؤية الثّقلاء والبغضاء[3] .

وهذا إنْ صحّ عن أبى العلاء فقد كان ذلك فى حال حَدَاثته ؛ فإنّ أبا العلاء رحمه الله كان بعيدا من اللّعب والهَزْل .

أخبرنا قاضى المعرّة شهاب الدين أبو المعالى أحمد بن مدرك بن سليمان ، قال : سمعتُ جماعة من أهلِنا تقول : كان أبو العلاء متوقّد الخاطر ، على غايةٍ من الذّكاء من صغره ، وتحدّث النّاسُ بذلك ، وهو إذ ذاك صبىٌّ صغير ، يلعبُ مع الصّبيان ، فكان الناس يأتون إليه ، ليشاهدوا منه ذلك . فخرج جماعةٌ من أهل حلب إلى ناحية معرّة النُّعمان ، وقصدوا أنْ يشاهدوا أبا العلاء ، وينظُروا ما يُحكَى عنه من الفِطنة والذّكاء ، فوصلوا إلى المعرّة وسألوا عنه ، فقيل لهم : هو يلعب مع الصّبيان . فجاءوا إليه وسلّموا عليه ، فردّ عليهم السلام . فقيل له : إنّ هؤلاءِ جماعة من أكابر حلب جاءوا لينظُروك ويمتحنوك . فقال لهم : هل لكم فى المقافاة[4] بالشّعر ؟ فقالوا نعم . فجعَل كلُّ واحدٍ منهم يُنشِد بيتا وهو يُنْشِدهُ على قافيته ، حتّى فرغ محفوظهم بأجمعهم ، وقهَرهم . فقال لهم : أعجزتم أنْ يعمل كلُّ واحدٍ منكم بيتا عند الحاجة إليه على القافية التى يريد ؟ فقالوا له : فافعَلْ أنت ذلك .

---

(١) فى الأصل : « وحدثنا » . وانظر ما سبق فى صفحة ٣ .

(٢) التكملة من نص تتمة اليتيمة .

(٣) فى تتمة اليتيمة : « الثقلاء البغضاء » .

(٤) المقافاة : يراد بها مطارحة الشعر على قافية واحدة . ولم ترد الكلمة فى المعاجم .

قال : فجعل كلّما أنشده واحدٌ منهم بيتا أجابه من نظمه على قافيته ، حتّى قطعهم كلّهم ، فعجبوا منه وانصرفوا .

ومن أعجب ما بلغنى عن فطنته وذكائه ، ما سمعتُ (١) والدى رحمه الله يحكيه عنه ، فيما يأثره عن مشايخ أهل حلب ، أنّ أبا العلاء لمـا عبر (٢) إلى بغداد ، اجتاز فى طريقه وهو راكبٌ على جمل بشجرة ، فقيل له : طأطئ رأسك ، فتفعل . وأقام ببغداد مدّة إقامته بهـا . فلمّا عاد من بغداد إلى معرّة النعمان ، اجتاز بذلك الموضع وقد قطعت تلك الشجرة ، فطأطأ رأسه . فسئل عن ذلك ، فقال : هاهنا شجرة . فقيل له : ما هاهنا شىء . فقال : بلى ، قد كان هاهنا شجرةٌ حين عبرتُ هذا المنحدرا إلى بغداد . فحفروا فى ذلك الموضع ، فوجدوا أصلها ا ه .

وأخبرنى بعضُ آل المهذّب المعرّيّين أنّ أهـل المعرّة يذكرون فيما ينقلونه عن سلفهم ، أنّ أبا العلاء بن سليمان لمّـا سافر إلى بغداد ، دفع بعضُ أهله (٣) إلى خادمه ، الذى كان سافر معه لخدمته ، ماءً من بئر بالمعرّة ، يقال لها بئر القراميد ، وقال له : إذا أراد العَوْدَ من بغداد ، فاسقه من هذا المـاء . قال : فلمّا خرج من بغداد متوجّهاً إلى معرّة النعمان سقاه ذلك المـاء . فقال أبو العلاء : ما أشـبه هذا المـاء بماء بئر القراميد ! ا ه

أخبرنا القاضى شهاب الدين أحمد بن مدرك بن سليمان قاضى المعرّة ، قال : أخبرنى جماعةٌ من سـلفنا أنّ بعض أمراء حلب قيل له : إنّ اللّغة التى ينقلها أبو العلاء إنّمـا هى من الجمهرة ، وعنده من الجمهرة نسخة ليس فى الدنيـا مثلها ؛

---

(١) فى الأصل : « نظر » .
(٢) فى الأصل : « واجتاز » .
(٣) فى الأصل : « له » والبئر مؤنثة .

وأشاروا عليه بطلبها منـه ، قَصْدا لأذاه . فسيّر أمير حلب رسـولا إلى أبى العلاء يطلُبها منه . فأجابه بالسّمع والطاعة ، وقال : تقيم عندنا أياما ، حتّى تَقْضِىَ شغلَك . ثم أمر من يقرأ عليه كتاب الجمهرة ، فقرئت عليه حتّى فرغوا من قراءتها ، ثم دفعها إلى الرسـول وقال له : ما قصدتُ بتعويقك إلّا أن أُعيدها على خاطرى ، خوفا من أن يكون قد شَذَّ منها شىء عن خاطرى . فعاد الرسول ، وأخبر أمير حلب بذلك ، فقال : مَن يكون هذا حالَه لا يجوزُ أن يُؤخَذَ منه هذا الكتاب . وأمر بردّه إليه . اهـ

وقرأت فى بعض مطالعاتى فى الكتب ، ووجدته معلّقا عنـدى بخطّى : أنّ رجلا من طلبة العلم باليمن ، وقَع إليه كتاب فى اللُّغة سَقط أوّله ، وأعجبه جمعه وترتيبه ، فاتّفق أنّه حجّ ، فحمله معه . وكان إذا اجتمع بأديبٍ أراه ذلك الكتاب ، وسأله عنه : هل يعرفه أو يعرف مصنّفه ؟ فلم يجد أحدًا يخبره بذلك . فأراه فى بعض الأحيان لبعض الأدباء ، وكان ممّن يعلم حال أبى العلاء ابن سليمان ، وتبحُّره فى العلم ، فدلّه عليه . فخرج ذلك الرجل إلى الشّام ووصل إلى معـرّة النعمان ، واجتمع بأبى العـلاء بن سليمان ، وعرّفه ما حمله على الرحلة إليه ، وأحضر إليه ذلك الكتاب ، وهو مقطوع الأوّل . فقال له أبو العلاء : اقرأ منه شيئا ، فقرأه عليه . فقال له أبو العلاء : هذا الكتاب اسمـه كذا ، ومصنفه فلان بن فلان . ثم ابتدأ أبو العلاء فقـرأ له أوّل الكتاب ، إلى أن انتهى إلى ما هو عند ذلك الرجل . فنقل ذلك الرّجلُ ما نقص من الكتاب عن أبى العلاء ، وأكمل النُّسخة ، وانفصل إلى اليمن ، وأخبر أهل العلم بذلك .

وقيل : إنّ هذا الكتاب المذكور هو ديوان الأدب للفارابى . والله أعلم .

وذكر القاضى الرشيد أبو الحسين أحمد بن علىّ بن إبراهيم بن الزُّبير المصرىّ ، فى كتاب "جنان الجنان" قال : حدّثنى القاضى أبو عبدالله محمد بن سندىّ القِنّسرىّ ، بمصر ، قال : حدّثنى أبى قال : بتنا عند أبى العلاء المعرّىّ ، فى الوقت الذى كان

يملى فيه شعره المعروف بلزوم ما لا يلزم ، فأملى فى ليلةٍ واحدة ألفَىْ بيتٍ ، كان يسكت زمانا ثم يُملى قريبا من خمسمائة بيت ، ثمّ يعود إلى الفكرة والعمل ، إلى أن كملت العدّة المذكورة

أخبرنى ناصر بن موفق بن فرج السُّلمىّ المزاكُشى بالقاهرة ، وكان من أهل الأدب، قال : نقلت من طُرّةٍ على كتاب الأغانى للرقيق : قال محمد بن أبى بكر، ويعرف بالحاتمىّ ، ارتحلت أريد المعرّة ، لألقى أبا العلاء ابن سليمان . فبينا أنا فى بعض طريق، وإذا بشاب حسَن الصُّورة ، وسيم الوجه ، وهو أعور ، وهو راكب على عَيْر ، ومعه شخص وضىء الوجه، حسن الصورة ، يعتبه عتابا لطيفا، فلما انتهى إلى آخر عتابه، قال له الشاب الأعور[1] منشدا :

إنْ كنتُ خنتُك فى الهوَى فخُشِرتُ أقبحَ من فضيحَهْ

قال الحاتمى : فُرمت أن أزيد على هذا البيت شيئا فلم أستطع لكثرة طربى به، إلى أن انتهيت إلى المعرّة، ودخلت على أبى العلاء بن سليمان . وكان أوّل حديثى معه ، أن تذاكرنا فى أبياتٍ من الشعر، ذُكر منها بيت جُهِل قائلُه ، وهو :

إنّما تَسْرَحُ آسادُ الشَّرَى حَيثُ لا تُنصَبُ أشراكُ الحدَقْ

فقال : لقد أضاء بصيرة وإن عمى بصرا . فقلنا له : أتعرف لمن الشعر ؟ فقال لا . فبحثنا عنه، فوجدناه لبشّار بن بُرْد. ثمّ خلوت معه، فسألنى: من أنت؟ فقلت : أنا فلان . فقال : أنشدنى شيئا من شعرك، فأنشدته . ثم انتهى حديثى معه إلى أن حكَيتُ له حكاية الشّابّ الذى لقيتُه فى طريق ، وأُنسيت أن أقول له : إنه كان أعور . قال : فلما أنشدته[2] :

(١) فى الأصل : « للأعور » . وانظر نص مسالك الأبصار ص ٢٥٠ .

(٢) فى الأصل : « فقال فلما أنشده » .

إن كنتُ خنتــك فى الهــوَى فخُبِّرتُ أقبَـحَ من فضيحه

قلت له[1] : لم أستطع أن أزيد على هذا البيت شيئا . فأسرع أن قال لى : فألَّا زِدْتَ عليــه :

وجَحــدتُ نعمــةَ خالــق وفقــدتُ مُقلــتَىَ الصَّحيحهْ[2]

قال : فقلت : والله ما كان إلّا أعور ، فمن أين لك هـذا ؟ قال : شِمْت إحدى عينيه على بيته .

أخبرنا أبو يوسف يعقوب بن محمود بن الحسين الساوىّ ، بالدِّيار المصرية ، عن الحافظ أبى طاهر أحمد بن [محمد بن][3] أحمد بن محمد الأصبهانى ، قال : سمعت أبا الحسن علىّ بن بركات بن منصور التاجر الرَّحَبى بالذنبة[4] من مضافات دمشق يقول : سمعت أبا عمــران المغربىّ[5] يقول : عُرِض على أبى العلاء التنوخىّ الكفيف كفٌّ من اللوبياء ، فأخذَ منها واحدة ولمسها بيده ، ثم قال : ما أدرى ما هى ، إلّا أنّى أُشبِّهها[6] بالكُلْية ؛ فتعجَّبوا من فطنته وإصابة حدْسه .

سمعت القاضى بهاء الدين أبا محمد الحسن بن إبراهيم بن سعيد بن الخشّاب الحلبىّ رحمــه الله يقول : بلَغنى أنّ أبا العلاء بن سليمان قال لجماعةٍ حضروا عنده : عُدُّوا علىَّ الألوان . فقالوا : أبيض ، وأخضر ، وأسود ، وأحمر . فقال : هذا هو ملكها . يعنى الأحمر .

---

(١) فى الأصل : « فقلت له » .

(٢) هو من قولهم شام البرق اذا نظر اليه أين يقصد وأين يمطر . وفى الأصل ، وكذا فى نقل المسالك عن الأصل : « شممت » محرف .

(٣) تكملة يقتضيها صحة الاسم . وانظر ترجمته فيما سبق ص ٣٣ .

(٤) الذنبة (بالتحريك ، وتقــديم النون على الباء) : موضع بعينه من أعمال دمشق ، كما فى معجم البلدان . وفى الأصل : « بالذبنة » محرف . وانظر القفطى ص ٥٥٪ (٥) كذا فى الأصل !

(٦) فى الأصل : « أشبهه » ، والوجه ما أثبتنا من نقل المسالك عن ابن العديم .

وسمعت والدى رحمه الله وغيره ، قال : بلغنى أنّ أبا العلاء قال : أذكر من الألوان الحمرة وأعرفه ؛ وذلك أنّى لمّا جُدِرت أُلبِستُ ثوباً أحمر ؛ فأنا أعرف لونَ الحمرة من ذلك الثوب . وهذا من فرط ذكائه ؛ فإنه لمّا جُدر كان عمره أربع سنين وشهرا .

وحكى أنّ أبا محمد الخفاجىّ الحلبىّ ، لمّا دخل على أبى العلاء بن سليمان بالمعرة ، سلّم عليه ، ولم يكن يعرفه أبو العلاء ، فردّ عليه السلام وقال : هذا رجلٌ طُوال . ثمّ سأله عن صناعته ، فقال : أقرأ القرآن . فقال : اقرأْ علىّ شيئاً منه . فقرأ عليه عَشْرا . فقال له : أنت أبو محمد الخفاجىّ الحلبىّ ؟ فقال نعم . فسئل عن ذلك فقال : أمّا طوله فعرفته بالسلّام . وأمّا كونُه أبا محمد فعرفته بصحة قراءته وأدائه بنغمة أهل حلب ؛ فإننى سمعت بحديثه .

وقد ذكر ابن بَسّام المغربىّ فى كتابه المعروف بالذخيرة ، أنّ أبا الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادىّ ، نفذ من بغداد رسولًا عن الخليفة القائم بأمر الله ، إلى المعزّ بن باديس الصَّنهاجىّ ملك القَيروان ، حين رام الخطبة لبنى العباس ، ومخالفة ملوك مصر العُبيديّين . فلمّا اجتاز بالمعرّة اجتمع بأبى العلاء المعرّىّ ، فاستنشده فأنشده قصيدةً لاميّة يمدح بها صاحب حلب ، فقبّل المعرّىُّ بين عينيه[1] ، وقال له : بأبى أنتَ من ناظم ! وما أراك إلّا رسولَ أمير المؤمنين القائم إلى المعزّ ملك القيروان ؛ فاطوِ خَبَرك ، فالعيون لم تَرَك . فلحِق بالمعزّ .

---

(١) فى الأصل : « بين يديه » ، واستضأنا فى تصحيحها بما ورد فى نفح الطيب (٢ : ٧٧) .

سمعتُ والدى رحمه الله يقول : بلغنى أنّ أبا العلاء[1] بن سليمان كان يُعجبه قصيدةُ التّهامىّ، التى يرثى بها ولده، وأوّلُها :

حُكْمُ المنيَّةِ فى البَرِيَّةِ جارِى ما هذِهِ الدُّنْيا بدارِ قَرارِ

قال : فكان لايَرِدُ عليه أحدٌ من أهل العلم إلّا ويَستنشده إيّاها، لإعجابه بها.

فقدم التّهامىُّ معرّة النّعمان، ودخل على أبى العلاء، فاستنشده إيّاها فأنشدها. فقال له: أنت التّهامىّ؟ فقال : نعم، وكيف عرفتنى ؟ فقال : لأنّنى سمعتُها منك ومن غيرك، فأدركتُ من حالك أنّكَ تُنشِدها من قلبٍ قريح، فعلمتُ أنّك قائلها.

هذا معنى ما ذكره لى والدى رحمه الله . اهـ

نقلتُ من خط أبى الحسن علىّ بن مهنّد بن علىّ بن مقلّد بن منقذ، فى كتابه الموسوم بـ"البداية والنهاية"، قال : وحدّثنى أبى قال: حدّثنى جدّ أبى رحمه الله، قال: وصل إنسانٌ عراقىٌّ إلى المعرّة، فأنفذ يختبر الشّيخ أبا العلاء مع بعض تلاميذه، فقال : قل للشيخ : مافى هذه الأبيات الرَّجز من المعانى واللغة :

صُلْبُ العَصَا بالضَّرْبِ قد دَمّاها إذا أرادَتْ رَشَدًا أغواها

يودّ أنّ[1] الله قد أفناها

فلما طُرحت على الشيخ فكّر فيها ساعةً، ثم قال : غريبة والله ! هذا يصفُ راعيًا بصلابة عصاه، أنّه يضرب الإبل ليتخيَّر لها المرعى. "فقد دمّاها" أى يجعلها مثل الدُّمَى. "إذا أرادت رَشَدا" وهو حبُّ الرَّشاد. وهو "أغواها" رعاها فى حب[2]. "يودّ أن الله قد أفناها" أى أطعمها حَبَّ الفَنَا، وهو عِنَبُ الثعلب.

فمضى تلميذُه فعرَّف الرَّجل العراقى، فلم يَبِتِ الرّجلُ فى المعرة.

---

(١) ورد البيت الأوّل والأخير فى اللسان (٢٠ : ٢٥). وكذا أنشدهما مرويين عن أبى العلاء (١٨ : ٢٩٧).

(٢) كذا وردت هذه العبارة فى الأصل.

فصـــل

فى ذكر حرمته عند الملوك والخلفاء والأمراء والوزراء

وما زالت حرمةُ أبى العـلاء فى علاء ، وبحرُ فضله موردًا للوزراء والأمراء . وما علمت أن وزيراً مذكورا ، وفاضـلا مشهورا ، مر بمعرة النعمان فى ذلك العصر والزّمان ، إلاّ وقصده واستفاد منه ، أو طلب شيئاً من تصنيفه ، أو كتب عنه .

وسيأتى فى أثناء فصول هذا التّصنيف ، ما يدلُّ على علوّ مرتبته وقدره المنيف .

وقد كان المستنصر المستولى على مصر ، أحد العُبيديين الذين ادّعوا الخلافة ، بذل لأبى العلاء ما ببيت المـال بمعرّة النُّعمان من الحلال ، فلم يقبَلْ منه شيئا — وسنذكر ذلك فى موضعه — وكذلك داعى دعاتهم بمصر أبو نصر هبة الله بن موسى المؤيَّد فى الدين ، حين بلغه أنّ الذى يدخل لأبى العـلاء فى السّـنة من مِلكه نيِّفٌ وعشرون دينارًا ، كَتَب إلى تاج الأمراء ثِمـال بن صالح ، وكان إذ ذاك نائبا عن العُبيديِّين بحلب وبمعرّة النعمان ، بأن يُجـرِى له ما تدعو إليـه حاجتُه بجميع مهامّه وأسـبابه ، وما يحتاج إليه ممّـا هو بُلغةٌ له من ألذّ الطعام ، وأن يُضاعف حرمتَه ، ويرفع منزلته عند الخاصّ والعامّ . فامتنع من قبول ذلك .

وسنذكره أيضًا فى موضعه عند الحاجة إلى ذكره .

وكان الأمير عزيز الدولة أبو شجاع فاتك بن عبـد الله أمير حلب ، يطلب منه أن يصنِّفَ له تصانيف ، ويحترمُه ، ويرفَعُ رتبتـه ، ويقبلُ شفاعته ، وقدم إليه إلى معرة النعمان . وقد أشرنا فى الفصـل المتضمِّن ذكرَ مصنّفاته إلى شىء من ذلك .

وكذلك أمير الجيوش أنوشتكين الدِّزبرى أمير حلب ودمشق ، كان يُثنى على أبى العلاء ، ويُخْفى المسألة عنه ، ويوجِّه إليه بالسلام . فعمل له كتاب "شرف السَّيف" .

وأخبرنى بهاء الدين أبو إسحاق إبراهيم بن شاكر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن محمد قال : أخبرنى أبى قال : أخبرنى جدِّى أبو المجد محمد بن عبد الله بن محمد ابن عبد الله، قال : كان ظهر بمعرّة النعمان مُنْكَرٌ فى زمان صالح بن مرداس . فعمَد شيوخُ البلد إلى إنكار ذلك المنكَر، فأفضى إلى أن قتَلوا الضَّامن بها، وأهرقوا الخمر وحافُوا[1]، بجمعهم إلى حلب، واعتقلهم بها، وكان فيهم بعض بنى سليمان . فجاء الجماعة إلى الشَّيخ أبى العلاء وقالوا له : إنّ الأمر قد عظُم، وليس له غيرُك . فسار إلى حلبَ ليشفعَ فيهم، فدخل إلى ابن يدى صالح، ولم يَعرِفْه صالح، ثم قال له : السلام عليك أيّها الأمير . الأمير أبقاه الله كالسيف القاطع[2] ، لان وسطه وخشن جانباه ، وكالنَّهار المائع ، قاظ وسطه وطاب جانباه[3]، ﴿ خُذِ العفوَ وأْمُرْ بالعُرْفِ وأعرِضْ عنِ الجاهلينَ ﴾ . فقال له : أنت أبو العلاء ؟ فقال : أنا ذاك . فرفعه إلى جانبه، وقضى شغله، وأطلق له من كان من المحبَّسين من أهل المعرّة . فعمل فيه — قال : قال لى أبى : قال لى جدّى : وأنشدها[4] أبو العلاء لنفسه — :

ولمَّا مَضَى العُمْرُ إلا الأقلَّ ... وحَانَ لرُوحِى فِراقُ الجَسَدْ

بُعِثْتُ رَسولًا إلى صالحٍ ... وذاكَ من القومِ رأىٌ فَسَدْ

---

(١) الحيف : الجور والظلم . وفى الأصل : «خافوا» .

(٢) فى معظم النصوص : «حداد» .

(٣) فى معظم النصوص : «أبرد» .

(٤) فى اللزوم (١ : ٣٠٢) .

فيسمعُ مِنِّى هَـدِيلَ الحَمَامِ وأَسْمَعُ منـهُ زَئِيرَ الأَسَـدْ
فـلا يُعجِبَنَّى هـذا النِّفـاقُ فَكَمْ مِحْنَـةٍ نَفَّقَتْ ما كَسَـدْ

كذا ذكر لى بهاءُ الدين أبو إسحاق أنّه سار إلى حلب . وما أظنّ أنّ أبا العلاء بعد رجوعه إلى معـرّة النعمان من بغـداد خرج عن المعرّة . ولهـذا سمى نفسَه " رهن المحبسين " .

وقد قرأتُ هـذه الحكايةَ فى تاريخ سيَّره إلىّ بعضُ الهاشميِّين بحلب ، لأبى غالب همّام بن الفضل بن جعفر بن المهذَّب ، قال :

سنة سبع عشرة وأربعمائة : فيهـا صاحت امرأةٌ فى الجامع يومَ الجمعة — يعنى بمعرّةالنعمان — وذكرتْ أنّ صاحب المـاخور أراد أن يغصبها نفسَها ، فنفَر كلُّ من فى الجامع إلّا القـاضىَ والمشايخ ، وهدموا المـاخور ، وأخذوا خشَـبه ونهبوه . وكان أسـد الدّولة صالح فى نواحى صَيدا .

ثم قال . فى هذا التاريخ :

سنة ثمان عشرة وأربعمائة : فيها وصل الأمير أسد الدولة صالح بن مرداس ، إلى حلب ، وأمر باعتقال مشايخ المعرّة وأماثلها ، فاعتُقل سبعون رجلاً فى محبِس الحصن سبعين يوماً ، وذلك بعـد عِيد الفطر بأيّام ، وكان أسـد الدولة غير مُؤْثِر لذلك ، وإنّمـا غلب تاذرس على رأيه ، وكان يوهمه أنّه يقيم عليهم الهيبة . ولقد بلغنا أنّه خاطبه فى ذلك ، فقال له : أقتلُ المهذّب وأبا المجد — يعنى أخا أبى العلاء — بسبب ماخُورٍ ! ما أفعل ! .

وقد بلغنى أنّه دُعى لهم فى آمد ومَيّافارقين ، وقطع عليهم ألف دينار ، واستدعَى الشيخَ أبا العلاء [بن][1] عبد الله بن سليمان رحمه الله بظاهر معرّة النعمان . فلمّا حصل

(١) ساقطة من الأصل .

عنده فى المجلس قال له الشّيخ أبو العلاء : مولانا الأمير السّيد الأجل أسد الدولة ومقدّمها وناصحها، كالنهار الماتع، اشتدّ هجيره وطاب أبرداه[1]، وكالسّيف القاطع، لان صُفْحهُ وخَشُن حَدّاه، ﴿ خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ ﴾. فقال صالح: قد وهبتُهم لك أيُّها الشيخ . ولم يعلم الشّيخُ أبو العلاء أنّ المال قد قُطِع عليهم، وإلّا كان قد سأل فيه . ثمّ قال الشيخ أبو العلاء بعد ذلك شعراً[2] :

تغيَّبتُ فى مَنزِلى بُرهةً ... سَتِيرَ العيُوبِ فَقِيدَ الحَسَدْ
فلمّا مَضَى العُمْرُ إلّا الأقلَّ ... وحُمَّ لرُوحى فراقُ الجَسَدْ
بُعِثْتُ شفيعًا إلى صالحٍ ... وذاك من القوم رأىٌ فسَدْ
فيسمَعُ منّى سجعَ الحمامِ ... وأسمَعُ منهُ زئيرَ الأسدْ
فلا يُعْجِبَنّى هذا النّفاقُ ... فكَم نفّقَتْ مِحنةٌ ما كسَدْ

وقد ذكر بعضُ الرُّواة أنّ صالحا قال له عند ما أنشده هذا الشّعر : نحن الذين تسمع منا سَجْعَ الحمام، وأنت الذى نسمع منك زئير الأسد .

وهذا تاذرس المشار إليه فى هذه الحكاية هو تاذرس بن الحسن النصرانى، وكان وزير صالح بن مرداس، وصاحبَ السّيف والقلم، وكان متمكّنًا عنده . وكان فى نفسه من أهل المعرّة شىء ؛ لأنهم قتلوا حَمَاه الحورى وكان يؤذيهم، فتتبّع قَتَلَتَهَ وصلَبهم وقتلهم . فلما أُنزلوا عن الخشب ليصلّى عليهم ويُدفَنوا، قال النّاس حينئذ يكايدون النصارى : قد رأينا عليهم طيوراً بيضاً، وما هى إلّا الملائكة ! فبلغت هذه الكلمةُ تاذرس، فنقَمها على أهل المعرّة، واعتدّها ذنبًا لهم . فلما اتّفقت هذه الواقعةُ من نهب المناخور، شدّد تاذرس عليهم لذلك .

---

(١) فى الأصل : « أبرده » تحريف .

(٢) فى اللزوم (١ : ٣٠٢) .

والمهذب المذكور هو الشيخ أبو الحسن المهذب بن ... ...
... ... (١) فى أكل الطيبات ، وقهراً للنفس . وقال له فى آخر كلامه : (٢)
ومما حثنى على ترك أكل الحيوان أنّ الذى لى فى السنة نيّفٌ وعشرون دينارا ، فإذا أخذ خادمى بعضَ ما يجب ، بقى لى ما لا يُعجب ، واقتصرتُ على فولٍ وبُلْسُن ، وما لا يعذُب على الألسن .

فأجابه بجواب يطلب فيه تحقيق القول ، ويقول فى آخر رسالته :

وقد كاتبتُ مولاى تاج الأمراء — يعنى ثمال بن صالح — أن يتقدّم بإزالة العلّة فيما هو بُلغة مثله من ألذّ الطعام ، ومراعاتِه به [على] الإدرار والدّوام ؛ ليُكشف عنه غاشيةُ هذه الضّرورة ، ويجرى فى أمر معيشته على أحسنِ ما يكونُ من الصُّورة .

فامتنع أبو العلاء من قَبول ذلك ، وأجابه بجوابٍ دفع ذلك عنه .

وسنذكر المراسلاتِ بينهما ، إن شاء الله تعالى ، فيما يجىء من فصول هذا الكتاب ، والله الموفّق للصّواب .

فصـــل

فى ذكر اضطلاعه بالعلم والأدب ، ومعرفته باللغة ولسان العرب

أخبرنا أبو اليُمن زيد بن الحسن الكِندىّ ، فيما أذِن لنا فيه ، وقد قرأتُ عليه غير ذلك ، فقال : أخبرنا أبو السعادات هبة الله بن العلوىّ ، المعروف بابن الشَّجَرى ، قال حدّثنى أبو زكريّا التّبريزى قال : ما أعرف أنّ العرب نَطقتْ بكلمةٍ ولم يعرفْها المعرّىّ . ولقد اتّفق قومٌ ممّن يَقرأ عليه ، ووضعوا حروفاً ، وألّفوها كلمات ،

---

(١) هنا بياض فى الأصل .

(٢) هذا من كلام له مع داعى الدعاة ، كما يفهم من السياق .

وأضافوا إليها من غريب اللغة ووحشيِّها كلماتٍ أخرى ، وسألوه عن الجميع على سبيل الامتحان ، فكان كلَّما وصلوا إلى كلمةٍ ممَّا ألِّفوه يتزعجُ لها و يُنكرها ، و يستعيدها مرارًا ، ثمَّ يقول : دعوا هذه . والألفاظ اللغويّة يشرحها و يستشهد عليها ، حتّى انتهت الكلمات . ثمّ أطرق ساعةً مفكراً ، ورفع رأسه وقال : كأنّى بِكُمْ وقد وضعتم هذه الكلماتِ ؛ لتمتحنوا بها معرفتى ، وثقتى فى روايتى . ووالله لئن لم تَكشِفُوا لى الحال ، وتَدَعُوا المِحال ، و إلّا فهذا فِراقُ ما بينى و بينكم . فقالوا له : والله الأمرُ كما قلت ، وما عدوتَ ما قصدناه . فقال : سبحان الله ! والله ما أقول إلّا ما قالته العرب ، وما أظنُّ أنّها نطقت[1] ... ...

والرائد لا يكذب أهله . وأما العبد إذا كذَب [سيِّده][2] فبعِد ولا سَعِد . والجاهلُ من لا يعرفُ نفسه ، والذّاهل من لا يذكُر أمسه . ولنفسى الجانية أقول : أعيَيْتِنى بأُشُرٍ . فَكَيف[3] بدُرْدُر . أعيَتْ رياضة الهَرِم ، وعَصْرُ الماء من الجمر المضطرم . إن كذبتُ ، فعن الخير أعذَبت . ما اعتزلتُ ، حتى جَدَدْت وهزَلت ، فوجدتُنى لا أصلُح لِجدّ ولا هَزْل ، فعندها قنعت بالأزْل . وما حمامةٌ ذاتُ طَوق ، يُضرَب بها المثلُ فى الشَّوق ، كانت فى وكْر[4] مَصُون ، بين الشَّجر والغصون ؛ تألف من أبناء جنسها رِيدا ، فيتراسلانِ تغريدا ؛ مسكنها[5] نُعمان الأراك ، تأمنُ به

(١) هنا سقط لم ينبه عليه فى نسخة الأصل ؛ فإن الكلام التالى من رسالة له فى مجموع رسائله كتب بها إلى الوزير الفلاحى . انظر الرسائل ٥٩ — ٦٢ مرجليوث و ٩٢ — ٩٩ بيروت . وقد سبقت فى نص مسالك الأبصار ٢٥٢ — ٢٥٦ .

(٢) التكملة من الرسائل ص ٥٩ مرجليوث .

(٣) فى الأصل : « وكيف » وتصحيحه من الرسائل .

(٤) فى الأصل : « ذكر » .

(٥) فى الأصل : « أسكنها » .

غوائل الأشراك ، تُمـرُّ فى بُكْرتها بالبيت الحرام ، لا تَفْرَق لطريق[1] صائدٍ ولا رام ؛ فغرّها القدَر فخرجت من الأرض المحـرّمة ، فأصبحت وهى جِدُّ مغرمة ؛ صادها وليدٌ فى الحِلّ ، ما حفِظ لها من إلّ ؛ فأودَعَها سجناً للطير ، ومنَعها من كلِّ مَيْر ؛ فإذا رأتْ من خَصاص[2] القفَص بَواكِر الحمام ، ظلّت تُمـارِسُ[3] من جُرَع الحِمـام ، تسأل بطَرْفها أخاها ، ما فعل بعدها فرخاها ؛ فيقول : أصبحا ضائعين ، قد سترهما الورقُ عن كلِّ عين .

فُريخانِ يَنْضَاعانِ فى الفَجْر كُلَّمـا ... أحَسّا دَوِىَّ الرِّيح أو صوتَ ناعِبِ

— بأشوَقَ إلى العيشة النَّضْرة ، منِّى إلى تلك الحَضْرة . لكنْ صنَع الزّمانُ ما هو صانِـع ، واعترض دونَ الخير مانع ؛ حال الغَصَص ، دون القَصَص ؛ والجَريض ، دون القريض . المورد نمير أزرق[4] ، ولكن المدنَف بالشَّراب يَشْرَق[5] .

لمّـا رأى لُبَـدُ النُّسـورَ تطايَرَتْ ... رَفَـعَ القـوادِمَ كالفقيرِ الأعْزَلِ[6]

انهَضْ لُبد ، هيهات ! صَدَّكَ الأبد .

ولمّـا كان اليوم الذى ورد فيه الكتابُ المشتمل من حسن الظنّ بوليّـهِ على ما لا يستوجبه[7] ، عكفتْ به علىّ الغِربانُ مبشِّرات ، مثلّثات بالنعيب ومعشِّرات . لو أنِس إلىَّ ابنُ دأية لم أُخْلِهِ إنْ رغِب فى الحَـلْى من حِجْل ، فى الرِّجل ، أو تقليد ،

---

(١) فى الرسائل : « لمكان » .

(٢) فى الأصل : « حصاص » .

(٣) هذا الحرف ليس فى الرسائل .

(٤) فى الأصل « غير أزرق » .

(٥) فى الأصل : « ولكن المدنف بالشراب أشرق » .

(٦) قائله لبيد . وانظر اللسان مادة (فقر) .

(٧) فى الأصل : « ولما ورد الكتاب المشتمل أوليه على ما لا يستوجبه من حسن الظن » . وقد أصلحنا العبارة وأتممناها من الرسائل .

يقع بالجيد، ولضمّختُ جناحَه مسكًا وعنبرا، وكسوتُه وشيًا وحِبَرا . على أنّه يختالُ من لون الشَّبيبة، فى أحسن سَبيبة . يا غرابُ، لغيرك بعدها التُّراب، إنْ قضى الله نبذْتُ لك ما تُؤثره من الطَّعام، إتاوةٌ فى كلِّ يومٍ لا فى كلِّ عام . كأنّ كتابه الكريمَ قَسيمةٌ من الطِّيب، تَضَوَّعُ بالأَنابِ القَطيب، وكأنّما طرقتْنِى منه روضةٌ نجديّة، سقتْها الأنواء الأسَدية، فعمِد ثَراها، وأرِجَت رُباها (١)، وأبدى بهارُها (٢) للأبصار . كدنانير ضُرِبتْ قصار، وازدانتْ من الشَّقيق، بمُشبهِ العقيق، ولعب فيها المـاء، وهى أرضٌ وكأنّها سماء، ولهـا من النَّجم نجوم، ومن ظلِّ (٣) الشجر دمعٌ مسجوم . ولقـد سألت الوارِدَ أن يؤْنِسَنى بتَرْكه [لدىّ]، لكى أستمتع (٤) فى ناجِر، بمُشابه خَبِيئة الحاجر، ولأن أكون جليسَ الرَّوضة بينا يَرَى لها منظرًا مبهجا (٥)، ساف منها عَرْفا متأرّجا . وإنّ العامّة عهدتنى فى صدر الأُمور أستصحبُ شيئًا من أساطير الأوّلين، فقالت عالم، والناطق بذلك [هو] (٦) الظَّالم، ورأتنى مضطرًّا إلى القناعة، فقالت هـذا زاهد، وأنا فى طلب الدُّنيا جاهد . وزادَ تَقوُّلُ القـومِ علىَّ، حتَّى خشيتُ أن أكون كأحد (٧) الجهّال، الذين ورد فيهم الخبر المأثور عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : «إن الله لا يَقبِضُ العلم انتزاعًا [ينتزعه] من صُدور الناس، ولكنْ يقبِض العلمَ بموت العلماء، حتّى إذا لم يبقَ عالمٌ اتّخذ الناس رءوسًا جُهّالا، فسُئلوا فأفتَوا بغير علم، فضَلُّوا وأضلّوا» . فغدوتُ جِلْسَ رَبْع، كالميتِ بعد ثلاثٍ أو سَبْع . ثمّ حدثَتْ عِلّة، كُنِى عنها فى المستمع، وعاقَتْ عن الحضور فى الجُمع . وفى الكتاب العزيز ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ . وإنّما ذكرت

(١) فى الأصل : « وأرجت دباها » . (٢) فى الأصل : « نهارها الأبصار » .
(٣) فى الأصل : « ظل الشجر » محرف . وفى المسالك : « طل السحر » .
(٤) فى الأصل : « أستمع » . (٥) فى الرسائل : « إن لم يرلها منظرا مبهجا » .
(٦) التكملة من الرسائل . (٧) فى الرسائل : « أحد الجهال » .

ذلك لينتهى إلى الموقف الأشرف أن تخلُّفى لمرض[1]، عاق عن أداء المفترض . والإرماء، لا توجبه للشىء الأسماء[2] . وإنّ الذَّكر ليَطير، للرَّجُلِ وغيرُه الخطير . رُبَّ شجرةٍ شائكةٍ ظلُّها غير رَحْب ، وماؤُها غير عذْب ، اسمُها السَّمُرة وكنيتها أُمُّ غَيلان ، تذكر فى آفاق البلاد، وغيرها من أشجار الثَّمر إنْ ذُكِر نُكِر . ربَّ أسودَ كريه الرائحة يُدْعَى كافورًا وعنبرا، وقبيح الصُّورة [من البشر] يدعى هلالًا وقمرا. وكيف يتأدّى العلم إلىّ وأنا رجلٌ ضرير، نشأت فى بلدٍ لا عالِم فيه . وإنّما تَشَبَّثُ النامية[3]، بالجوازع السَّامية[4] .

وكيف الحُداء بغير بعير، والإنباض مع فَقْد التوتير[5] . فإن بلغ سيِّدى الشَّيخ أنّ سارىَ الليل[6]، قبضَ على سهيل، وأنّ الأرض أنبتت وشْيًا وحريرا، والسحابَ أمطر مُداما وعبيرا[7]، فهو أعرف برِدّه على المُبْطلين . حَسْبُ الأرض، أن تعنُوَ بخُلّةٍ وحَمْض[8]، وعادةُ السَّحابِ المرتفع فى الهواء، أن يأتى برِىِّ الظِّماء . والدُّلجة، بلَّغت إلى البُلجة . ومَنْ للورقاء، بكوكب الحرقاء[9]؛ وللفرقد، أن يضحىَ مجاورًا للفرقد ! لهفى على فواتِ هذه المنزلة، ولمثلها سهر من أهل العلم السَّاهرون . أعرضَ النَّوْفل[10] وغاب العائم، وأومض البارق فأين الشائم[11] . ﴿ يَالَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فأفُوزَ فوزًا عَظِيمًا ﴾ . أَآمُل من الله ثوابا، وأنا كقتلى بدر أسمَعُ ولا أملك جوابا .

(١) فى الرسائل : « وإنما ذكرت ذلك لينتهى إلى حضرة عزيز الدولة أعز الله نصره أنى تخلفت عن خدمته لمرض » . (٢) فى الأصل : «والارتغاء ولا توجبه للشىء الأسماء» ، وقد وردت هذه الجملة هنا متقدّمة ، وموضعها فى الرسائل بعد قوله التالى : « إذ ذكر نكر » .

(٣) فى الأصل : « نشبت الرامية » . (٤) فى الأصل : « بالجوارح » .

(٥) فى الأصل : «وكيف الهداية بغير دوس والانباض مع قصر القوس» . والصواب ما أثبتنا من الرسائل .

(٦) فى الأصل : « فان بلغ سيرنا الورى لينزلن سارى الليل » محرف . (٧) فى الأصل : « وعصيرا » . (٨) فى الأصل : « أن تخلو بخله وحمض » . (٩) فى الأصل : « بمنازل الخرقاء» . (١٠) فى الأصل : «توفل» . (١١) فى الأصل : « وغاب العايم ورقد الشايم» .

لقـــد أسمعتَ لو ناديتَ حَيًّا ولكنْ لا حياةَ لمن تُنادِى

وعزيز الدولة يُعين الكبير بالخُبر، فكيف يأمرُ بإخراج ميِّت من قَبر! لوكنتُ بارئًا من هذه العلّة[1]، لشرّفتُ نفسى بزيارة تلك الحضرة؛ غيرأنّى عنها راض[2]، وما أقربنى إلى انقراض، وأنا حليف التَّمراض[3]. وقد غدوتُ فى قوم قيل فيهم: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾. فإن سَعِدتُ أو شقيت، فإنَّ دعائى متّصل بها ما بقيت.

وتمثّل[4] بقوله:

ماذا أُؤَمِّلُ بعـــدَ آلِ مُحَرِّقٍ تَرَكُوا مَنازِلَهُمْ وبَعْـــدَ إياد

أهـلِ الخَوَرْنَقِ والسَّديرِ وبَارِقٍ والقَصْرِ ذى الشُّرفاتِ من سَنْداد

جَرَتِ الرِّياحُ على محـــلِّ دِيارِهم فكأنَّمـا كانُـوا عـــلى مِيعـادِ

والوزير الفلاحىّ هو علىّ بن جعفر بن فلاح، وزير الحاكم المستولى على مصر، وليس بأبى نصر صدقة بن يوسف الفَلّاحىّ[6]؛ فإنّه أيضًا تولّى الوزارة. والأوّل منسوب إلى جدِّه، والثانى منسوب إلى الأوّل.

---

(١) الكلام بعد هذه اللفظة لم يرد فى رسائل أبى العلاء بطبعتيها. فلعله من رسالة أخرى.

(٢) فى الأصل: «غير راض». (٣) التمراض: تفعال من المرض. وفى الأصل: «التمراد» بالدال، محرف.

(٤) هو الأسود بن يعفر، من قصيدة فى المفضليات (٢: ١٥—٢٠)

(٥) ترجم له ابن الصيرفى المصرى فى كتاب الإشارة إلى من نال الوزارة ص ٣٠ وقال إنه «من أوفى الكتّابين بيتا وأجلهم قدرا. وكان أبوه من الأجـواد» ثم قال: «وكان أوجه الأمراء فى الدولة الحاكمية، وقاد الجيوش السائرة إلى الشام، ومرض فى سنة ست وأربعمائة، فركب الإمام الحاكم إلى داره لعيادته، وحمل إليه مرتبة ديباج وخمسة آلاف دينار. وكانت هذه عادته إذا عاد أحدا. وفى رجب سنة ثمان وأربعمائة بعث بما تقدّم ذكره».

(٦) ترجم له ابن الصيرفى فى الإشارة ص ٣٧ وقال: «وحكى عنه أنه أملى سجل تقليده ليلة اليوم الذى خلع عليه فيه، وذلك فى سنة ست وثلاثين وأربعمائة» ثم قال: «وقبض عليه فى سنة تسع وثلاثين وأربعمائة، واعتقل وقتل». وسماه: «أبو منصور صدقة بن يوسف». وقال ابن الأثير فى حوادث سنة ٤٤٠: «وفيها قبض بمصر على الوزير ثقة الملك صدقة بن يوسف وقتل». وقد ذكر ابن الصيرفى وابن الأثير أنه كان يهوديا وأسلم. فيبدو أن نسبته إلى الأوّل نسبة ولاء.

فصـــل

فى ذكر كرم أبى العلاء وجوده، على قلّة ماله ونزارة موجـــوده

قد ذكرنا فى الفصل المتقدّم أنّه لمـا بلغ أبا نصر هبة الله بن موسى داعى الدعاة، أنّ الذى لأبى العلاء فى السّنة نيّفٌ وعشرون دينارًا، كتب إلى ثِمال بن صالح بأن يُجرى عليه ما يُزيح به علّتَه، وأنّه امتنع من قبول ذلك. وهذا كان مقدار ما يدخل له من مِلكه [فى] معرّة النعمان.

وقد كان مع هـذا يُجرى منه على جماعةٍ من الكُتّاب، يكتبون عنـه ما يمليه، وما ينظِمه ويُنشيه، وكان يعطى منه لخادمٍ يخـدمه. ولا يقنع بالدّفع إلى هؤلاء، حتّى إنّه كان يدفع منه شيئًا لأولى الحاجة ممّن يتردّد إليه؛ فقد أخبرنا عمر بن محمد ابن معمر المؤدّب فى كتابه، وقد سمعتُ منه بحلب، عن أبى الفضل محمد بن ناصر الحافظ، قال: حدّثنا أبو زكريّا التّبريزى قال: كان المعرّىّ يُجرى رزقًا على جماعة ممّن كان يقرأ عليه، ويتردّد لأجل الأدب إليه.

وقرأت بخط أبى الفرج محمد بن أحمد بن الحسن الكاتب الوزير، روزنامجا[1] أنشأه لولده الحسن، يذكر فيه رحلتَه فى سنة ثمانٍ وعشرين وأربعمائة إلى الحجّ من أذربيجان، وعبورَه بمعرّة النعمان، ويذكر اجتماعَه بأبى العلاء، وذكر فصلاً فى تقريظه والثّناء. وسنُورده بكماله فى بعض الفصول التى تَرِدُ فى هذا الكتاب.

---

(١) روزنامج: معرب «روزنامه» الفارسية. ومعناه كتاب الأخبار اليومية، أو الصحيفة اليومية. انظر استينجاس ٥٩٤. و«روز» يوم. و«نامه» مكتوب. وفى الأصل: «روزنامج».

ومن جملة ذلك قوله : وقصر همّه على أدبٍ يفيدُه، وتصنيف يُجيده، ومتعلّم يُفضل عليه ، ومُسترفِد صُعلوك يُحسن إليه .

قال : وله دار حسنةٌ يأويها، ومعاشٌ يكفيه ويمُونه ، وأولادُ أخٍ باق يخدمونه ، ويقرءون بين يديه ، ويدرسُون عليه ، ويكتبون له ، ووراّق برسمه مستأجَر . ثمّ ينفق على نفسه من دَخْل معاشه نفقةً طفيفة، وما يفضُل عنه يفرّقه على أخيه وأولاده واللائذين به، وللفقراء والقاصدين له من الغُرباء .

وأخبرنا القاضى شهاب الدين أبو المعالى أحمد بن مدرك بن سعيد بن مدرك ابن سليمان، يأثره عن المعمرين، أنّ الخطيب أبا زكريا التبريزى قدم على الشّيخ أبى العلاء، وأقام عنده مدّة يقرأ عليه، وأعطاه الخطيبُ صُرّةً فيها ذهب، وقال له : أوثر من الشّيخ أن يدفعها إلى بعض مَنْ يراه؛ ليشترى لى بها خُبزًا ولحما، وما تدعو حاجتى إليه، ويُجرى ذلك علىّ فى كل يوم، لأتناوله مدّة مُقامى عنده للقراءة، وأتوفّر بذلك على الاشتغال، ويتفرّغ بالى للاستفادة، ويترفّه خاطرى، ولا يكونَ لى شغلٌ غير ما أنا بصدده . فأخذ الشيخ أبو العلاء الصرّة منه، ووضعها عنده، وتقدّم إلى وكيله، وأجرى للخطيب ما تدعو إليه حاجتُه ، فتناول ذلك مدّةَ مُقامه بمعرّة النعمان ، وهو يظنُّ أنه مِنْ ذهبه الذى دفعه إلى الشّيخ . فلمّا أراد الانصراف ودّع الشّيخَ أبا العلاء، فدفع إليه صُرّتَه بعينها . فقال الخطيبُ للشّيخ : ما ظننتُ أنّك تفعل هذا ، ولا أردت التثقيل عليك بغير الاستفادةِ من علمك، وعَرّض له بأخذه . فقال الشّيخ : قد كان ذلك، ولا سبيل إلى ردّ هذه الصُّرة علىّ ، وهذا ذهبُك بعينه . فأخذه الخطيب وانصرف ، رحمهما الله تعالى . وكان الخطيب فقيرا محتاجًا .

فصـــل

فى ذكر قناعة نفسه وشرفها، وعفّتها عن أخذ صلاتِ الناس وظَلَفها

قد ذكر أبو العلاء فى مقدّمة سقط الزّند، أنّه لم يكن من طُلّاب الرِّفْد والصِّلة.

ولم يمدَحْ أبو العلاء إلّا اليسيرَ من الناس فى صَدْر عمره، قبل انقطاعه عن النّاس، وكان ذلك فى مقارضةٍ[1] تقع بينه وبين رجلٍ كبير فاضل، مثل الشّريف أبى إبراهيم؛ أو أن يكون ذلك الرَّجل من أهله من تنوخ، مثل أبى الرِّضا الفُصَيصى التَّنوخىّ، أو لملكٍ مطاع، أو وزير معظّم؛ ولم يمدحهم لعطاءٍ ولا نائل، ولم يقبل هديّةً ولا صلةً من شريف ولا وضيع.

وقد ذكر فى رسالته التى ذكرناها فيما قبل، وكتبها إلى أهل معرّة النعمان حين عزم على الانقطاع فى منزله، والاحتجاب عن الناس:

"وأحلفُ ما سافرتُ أستكثِرُ من النَّشَب، ولا أتكثّر بلقاء الرِّجال".

ثم قال بعد ذلك فيها[2]: "ويُحْسِنُ جزاء البغداديين؛ فلقد وصفونى بما لا أستحقّ، وشهدوا لى بالفضيلة على غير علم، وعَرَضوا علىّ أموالهم عرض الجِدّ، فصادفونى غيرَ جَذِلٍ بالصفات، ولا هشٍّ إلى معروف الأقوام". اهـ

وقد ذكرنا فى الفصل المتقدّم[3] أنّ الوزير الفَلَاحىّ كتَب إلى عزيز الدولة أبى شجاع فاتك متولّى حلب وأعمالها، يحمل هذا العالِم إلى مصر، ليُبْنَى له دارُ علمٍ، يكون متقدّما فيها، وسمح بخراج مَعرّة النعمان له فى حياته وبعده، وأن عزيز الدّولة

(١) فى الأصل: «معارضة». (٢) قبلها فى الرسائل: «والله يجعلهم أحلاس الأوطان، لا أحلاس الخيل والركاب، ويسبغ عليهم النعمة سبوغ القمراء الطلقة على الظبى الغرير».

(٣) يريد الفصل الذى سبق الفصل السالف وهو (فصل فى ذكر اضطلاعه بالعلم).

نهض للوقت، وسار إلى معرّة النعمان، واجتمع بأبى العلاء، وقرأ السجلّ عليه. فاستمهلَهُ، وكتب إلى الوزير الفلّاحىّ يستعفيه من ذلك، فأعفاه، وسمح بترك ذلك كلِّه.

وقرأت بخطّ أبى اليسر شاكر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمان التنوخىّ، فى ذكر أبى العلاء بن سليمان رحمه الله، قال: ولم يكن من شأنه أن يلتمس من أحدٍ من خلق الله شيئًا، وكان كثير الأمراض، فقال:[1]

لا أطلب السَّيْبَ[2] من الناس بل ... أطلبه من خالق السَّيْب

ويشهد الأوّلُ أنى امرؤٌ ... لى جَسَدٌ يفرق فى عيبى[3]

تضرب أضراسى وظَنِّى بها ... عطيس بالكُندُس[4] فى جيبى

ويلىَ مما أنا فيه وجَلَّ الـ ... ـأمرُ عن ويحٍ وعن وَيْب

لو أنّ أعمالىَ محمودةٌ ... لقلتُ حُوطى بِىَ واعْنَ[5] بى

ونقلتُ أيضًا من خط أبى اليسر فى ذكره، قال:

وذُكر أنّ المستنصر بالله صاحبَ مصر بذل له ما ببيت[6] المال بمعرّة النُّعمان من الحلال، فلم يقبل منه شيئا، وقال:

كأنّما غانةُ لى من غِنًى ... فعَدَّ عن مَعْدِن أسوان[7]

سِرتُ برَغْمى عن زمان الصِّبا ... يُعجِلُنى وَقْتِى وأكوانى

---

(١) الأبيات مما لم يرو فى الديوانين. وقد وردت فى الأصل مكتوبة بصورة النثر.

(٢) السيب: العطاء. وفى الأصل: «السبب» فى المرتين.

(٣) كذا. ولعلها: «يفرق فى عيبى» أو: «يفرق من عيبى».

(٤) كذا!

(٥) الكندس: عروق نبات داخله أصفر وخارجه أسود، إذا سحق ونفخ فى الأنف عطس.

(٦) فى القاموس: «عنى بالضم عناية وكرضى، قليل» وقد جرى أبو العلاء هنا على هذه اللغة القليلة.

(٧) فى الأصل: «بالبيت».

(٨) غانة، جاء فى كتاب البلدان لابن الفقيه ص ٨٧: «وبلاد غانة ينبت فيها الذهب نباتا فى الرمل، كما ينبت الجزر». وفى الأصل: «غانه» تحريف. وبأسوان أيضا معادن للذهب.

مَعَرَّةُ النُّعْمَانِ

سفرنامه (*)

لناصرِ خسرو

٣٩٤ — ٤٥٣

(النص الفارسى)

ودیکر روز چون شش فرسنك شدیم بشهر سرمین رسیدیم باروندائشت، شش فرسنك دیکر شدیم معرة النعمان بود بارهٔ سنکین داشت شهری آبادان و بردر شهر اسطوانهٔ سنکین دیدم چیزی برآن نوشته بود بخطی دیکر از تازی از یکی پرسیدم که این چه چیز است کفت طلسم کژدمی است که هرکز عقرب دراین شهر نباشد ونیاید واکر از بیرون آورند ورها کنند بکریزد ودر شهر نیاید بالای آن ستون ده ارش قیاس کردم وبازار های او بسیار معمور دیدم ومسجد آدینه شهر بربلندی نهاده است در میان شهرکه از هرجانب که خواهند بمسجد در شوند سیزده درجه بربالا باید شد وکشاورزی ایشان همه کندمست وبسیاراست ودرخت انجیر وزیتون وپسته وبادام وانکور فراوان است وآب شهر از باران وچاه باشد .

(الترجمة العربية)

وفى يوم آخر، حينما سرنا ستة فراسخ، وصلنا إلى مدينة "سرمين" ، وليس لها سور . وسرنا ستة فراسخ أخرى، فكانت "معرة النعمان"، ولها سور حجرى . وهى مدينة مكتظّة بالسكان، وعلى بابها رأيت أسطوانة من الحجر، كتب عليها بخط غير عربى، فسألت شخصا : ما هذا الشىء؟ فقال : طِلَّسمٌ للعقارب، فلا تعيش

(*) سبق التعريف بالكتاب ومؤلفه فى ص ٤٦٠ من هذا الكتاب . وهذا النص فى ص ١٠ من سفرنامه .

فيها عقرب أو تأوى إليها ، و إذا جلبت من مكان آخر إليها وأطلقت فيها فإنها تهرب . وارتفاع هذه الأسطوانة عشر أذرع . ورأيت أسواقها كثيرة معمورة . والمسجد الجامع بها أقيم على مرتفع فى وسط المدينة، يُرقى إليه بثلاث عشرة درجة . والقمح أكثر غلّات المعرة . وأشجار التين والزيتون والفستق والعنب كثيرة وفيرة . وماء المدينة من الأمطار، ومن بئر فيها .

رحلة ابن جُبير (*)

٥٤٠ — ٦١٤

ثم أَنْحَرنا (١) منه يومَ السبت التاسعَ عشر لربيع الأوّل المذكور ، وهو آخر يومٍ من يونيه ، ورأينا عن يمين طريقنا بمقدار فرسخين ، يوم الجمعة المذكور ، بلاد المعرة ؛ وهى سوادٌ كلها بشجر الزيتون والتّين والفستق وأنواع الفواكه . ويتّصل التفاف بساتينها ، وانتظام قراها مسيرة يومين . وهى من أخصب بلاد الله وأكثرها أرزاقا ، ووراءها جبل لُبنان .

(*) هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكنانى ، أندلسى شاطبى بلنسى ، مولده ببلنسية ، وكان فقيها محدّثا صاحب مشاركة . وقد ابتدأ رحلته هذه فى الساعة الأولى من يوم الخميس الثامن لشوّال سنة ٥٧٨ . انظر نفح الطيب (١ : ٧١٤ — ٧٩٦) .

وهذا النص يقع من الرحلة فى ص ٢٥٤ — ٢٥٥ طبع ليدن سنة ١٩٠٧ .

(١) أى من « تمنى » ، وهو موضع بالقرب من قنسرين .

معجم البُلدان

لياقوت

٥٧٤ — ٦٢٦

معرّة مصرين

بفتح أوّله وثانيه وتشديد الراء . قال ابن الأعرابيّ : المعرّة : الشدّة ، والمعرّة : كوكب فى السماء دون المجرة ، والمعرة : الدية ، والمعرّة : قتال الجيش دون إذن الأمير ، والمعرّة : تلوّن الوجه من الغضب . وقال ابن هانئ : المعرّة فى الآية[1] أى جناية بكناية العُرّ ، وهو الجرب . وقال محمد بن إسحاق : المعرّة الغرم .

وأما مَصرين ، فهو بفتح الميم وسكون الصاد المهملة وراء مكسورة ، وياء تحتها نقطتان ساكنة ، ونون ، كأنه جمع مصر ، كما قلنا فى أندرين . والمصر ، بالفتح : حَلَبٌ بأطراف الأصابع .

وهى بليدة وكورة بنواحى حلب ومن أعمالها ، بينهما نحو خمسة فراسخ . وقال حمدان بن عبد الرحيم يذكرها[2] :

جادت مَعرَّةَ مَصْرينٍ من الدِّيَمِ ... مثلُ الذى جادَ من دمعى لبينهم

وسالمتْها اللّيالى فى تغيُّرها ... وصافحتْها يُدُ الآلاءِ والنِّعمِ

ولا تناوحتِ الإعصار عاصفةً ... بعَرْصتيها كما هَبّتْ على إرَمِ

حاكتْ يُدُ القَطرِ فى أفنائها حُلَلاً ... من كُلِّ نَوْرٍ شنيب الثَّغر مبتسمِ

إذا الصَّبا حرّكتْ أنوارَها اعتنقت ... وقبّلتْ بعضُها بعضًا فَمًا بفَمِ

فطالما نشرَتْ كفُّ الربيع بها ... بَهارَ كِسرَى مَليكِ العُربِ والعجمِ

---

(١) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ فتصيبكم منهم معرة بغير علم ﴾ من الآية ٢٥ فى سورة الفتح .

(٢) انظر ما سيأتى من نص بغية الطلب لابن العديم ص ٥٩٤ .

معـــرّة النعمان

ذُكِر اشتقاق المعرّة فى الذى قبله . والنعمان هو النعمان بن بشير ، صحابىٌّ اجتاز بها ، فمات له بها ولد ، فدفنه وأقام عليه ، فسمِّيت به . وفى جانب سورها من قِبَل البلد قبر يُوشَعَ بنِ نونَ عليه السلام ، فى برّيّة ، فيما قيل . والصحيح أن يوشع بأرض نابلس . وبالمعرّة أيضا قبر عبد الله بن عمّار بن ياسر الصحابىّ . ذكر ذلك البَلَاذُرى(١) فى كتاب فتوح البُلدان(٢) له .

وهذا فى رأيى سبب ضعيف ، لاتّسمّى بمثله مدينة . والذى أظنّه أنّها مسمّاة بالنُّعمان(٣) ، وهو الملقّب بالساطع بن عدىّ بن غطفان بن عمرو بن بريح بن جذيمة بن تيم الله — وهو تنوخ — بن أسد بنَ وبْرة بن تغلب بن حُلوان بن عِمران بن الحاف بن قضاعة .

وهى مدينة كبيرة قديمة مشهورة ، من أعمال حمص ، بين حلب وحماة ، ماؤهم من الآبار ، وعندهم الزيتون الكثير والتِّين .

ومنها كان أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرىّ(٤) القائل :

فيا برقُ ليسَ الكرخُ دارى وإنّما ... رمانى إليه(٥) الدهرُ منذ ليالِ

فهل فيكَ من ماء المعرّة قطرةٌ ... تُغيث بها ظمآنَ ليس بسالِ

---

(١) الذى فى بغية الطلب لابن العديم : « قبر محمد بن عبد الله بن عمار بن ياسر » . ولم نجد أحد هذين الرجلين فى المراجع التى بين أيدينا . وفى تهذيب التهذيب (٦ : ٣٥٩) : « محمد بن عمار بن ياسر العنسى » ، وقال : « ذكره البخارى فى الأوسط ، فى فصل من مات بين سنين إلى سبعين » . وذكر فى لسان الميزان (٥ : ٣١٨) محمد بن عمار بن محمد بن عمار بن ياسر ، وقال : « روى عن أبيه عن جدّه عن عمار بن ياسر » . وياسر صحابى ، وولده عمار وعبد الله صحابيان . وقد توفى ياسر وابنه عبد الله بمكة . وأما عمار فقتل بصفين ودفن بها . انظر المعارف لابن قتيبة ١٣١ — ١٣٢ جوتنجن .

(٢) لم نجد لذلك ذكرا فى فتوح البلدان المطبوع فى ليدن .

(٣) فى الأصل : « خزيمة » . (٤) انظر سقط الزند (٢ : ٤٣) .

(٥) فى الأصل : « إليك » والوجه ما أثبتنا من الديوان . والضمير للكرخ .

ومن المعزّيين أيضا القاضى أبو القاسم الحسن بن عبد الله بن محمد بن عمرو آبن سعيد بن محمد بن داود بن المطهّر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن أنور بن أرقم بن أسحم بن الساطع ، وهو النُّعمان — وباقى النسب قد تقدم — التنوخىّ المعزّىّ الحنفىّ العاجى، وُلد لثمانٍ وعشرين ليلةً خلت من شهر ربيع الأول سنة ٣٤٩، وحدّث ورُوِى عنه، وحجّ فى سنة ٤١٩ على طريق دمشق، فمات بوادى مرّ، لعشرين ليلةً خلت من ذى القعدة من السنة، وحمل إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، ودفن بالبقيع . وله مصنّفات ووصايا وأشعار . فمن شعره قوله :

اِسْعَ إلى مَنْ لم يمُتْ نفسَه فإنّه عمّا قليلٍ يموتْ
ولا تقل فات فلانٌ فما فى سائر العالم من لا يفوتْ
ألَا تَرى الأجداثَ مملوّةً لمّا خَلَتْ من ساكنيها البيوتْ
فاقنَعْ بقُوتٍ ، حَسْبُ مَنْ لم يكن مخلّدا فى هذه الدّار قوتْ
ولا يكنْ نُطْقُك إلّا بما بَعنِيك فى الذِّكْرِ أو فى السُّكوتْ

وله أيضا :

وكلُّ أُداوِيهِ على حَسْب دائه سوى حاسدٍ فهى التى لا أنالُها
وكيف يُداوِى المرءُ حاسدَ نعمةٍ إذا كان لا يُرضيه إلّا زوالُها

بغيـــة الطلب (*)

لابن العـــديم

٥٨٨ — ٦٦٠

باب فى ذكر معرّة النعمان

هى مدينة حسنة ، وكان لهـا سور من الحجارة ، وأبنيتها أبنية حسنة بالحجر ، وهى كثيرة الأشجـار والفواكه ، لاسيّما التّين والفستق والزيتـون . ويغلب على أهلها الذكاء المفرط . وخرج منها جماعة من العلماء والشعراء ، منهم أبو العلاء بن سليمان . وكان الفرنج قد هجموها ، وتشتت أهلها فى البلاد ، فى سنة ستّ وسبعين وأربعمائة ، ثمّ فتحها من أيديهم أَتابِك زِنكى بن آقْسُنْقُر ، وردّ على أهلها أملاكهم ، فعادوا إليها وسكنوها ، وعَمِرتِ المدينة عِمارةً حسنة ، لكنّ سورها خرِب . وبنى بهـا الملك المظفر محمود بن ناصر الدين محمد بن تقىّ الدين عمر بن شاهنشاه ، حين كانت فى يده ، قلعةً حسنة حصينة ، ونقل حجارتَها من سِياث — مدينة خرِبة كانت قريبا منها — ومن أبنية الروم التى فى الكنائس المتهدّمة فى بلدها ، وانتزعها من يده أبو المظفـر الملك النـاصر صـلاح الدين يوسف (١) [بن الملك] العـزيز (٢) بن الملك

(*) بغيـة الطلب فى تاريخ حلب : تاريخ كبير لابن العـديم . بدأه بالكلام على حلب ، وأسهب فى ذلك ، ثم ثنى بذكر أعيانها وفضلائها ، وانتهى فيه إلى سـنة ٦٥٠ . ومنه نسخة مصوّرة بدار الكتب رقم ١٥٦٦ فى ثلاثة مجلدات ، تنتهى إلى الجزء الرابع من تقسيم المؤلف . وفى هذا الجزء انتهى المؤلف إلى ذكر فتح الصحابة مدينة حلب وحمص وبعلبك وغيرها .

والنص فى المجلد الأوّل منها ص ١٧٥ — ١٨٠ .

(١) هو الملك أبو المظفر صلاح الدين يوسف . ولد سـنة ٦٢٧ بحلب ، وقتل سـنة ٦٥٨ بالقرب من المراغة ، من أعمال أذربيجان . انظر الوفيات (١ : ٤٠٤) فى ترجمة غازى بن صلاح الدين . ومما هو جدير بالذكر أن كنيته ولقبه واسمه تتفق مع نظائرها من جده صلاح الدين الأيوبى .

(٢) هو الملك العزيز غياث أبو المظفر محمد بن الملك الظاهر . ولد سنة ٦١٠ بحلب ، وتوفى بهـا سنة ٦٣٤ . انظر الوفيات فى الموضع المتقدم . والتكملة التى أثبتناها تقتضيها صحة النص .

الظاهر[1] أعز الله أنصاره، فزاد فى عمارتها وتقويتها، فقويت قلوب أهلها بالقلعة، ورغبوا فى عمارة البلد وسكناه . وهى اليوم من أعمر البلاد، وقد صار أكثر عبور القوافل عليها .

أنبأنا أبو محمد وأبو العباس ابنا عبد الله بن علوان الأسَدِيّان، عن أبى عبد الله محمد بن أبى السعادات عبد الرحمن بن محمد بن أبى الحسن المسعودىّ، قال : معرّة النُّعمان هى منسوبة إلى النُّعمان بن بشير من الصحابة ، رضوان الله عليهم ، كان والىَ حمص والعواصم وتلك النواحى . وكانت المعرّة قديما تسمى "ذات القصور"، فلما مات للنعمان ابن هناك، قيل لها " معرّة النعمان " .

وأخبرنى أبو الحسن علىّ بن أبى بكر الهَرَوِىّ، قال : كان اسمها — يعنى المعرّة — قديمًا "ذات القصور"، فنسبت إلى النعمان بن بشير من الصحابة، رضى الله عنهم؛ لأنّ ابنه مات بها . وبلغنى من غيره أنّ التى تعرف بذات القصور هى "معرّة مصرين" . والأوّل أصحّ .

وأخبرنى القاضى شهاب الدين أبو العباس، أحمد بن مدرك بن سليمان[2] المعرّىّ قاضيها بها ، فيما يأثره عن أهل معرّة النعمان، أنّ معرّة النعمان إنّما نسبت إلى النعمان ابن بشير؛ لأنّ موضعها كان أجَمة قصَب ، وكان سكنى أهل المعرّة بسِياث ، وهى كانت المدينةَ إذ ذاك، وآثارها تدلّ على ذلك ، فخرج من سِياث ولدُ النُّعمان يتصيّد، فافترسه الأسد عند الأجمة، فدفنه فى ذلك الموضع، وبنى منزلا عند قبره، وقال لأهل سياث : مَن كان يودُّنى ويحب مرافقتى، فليبنِ له موضعا عند الموضع الذى ابتنيتُه، فبنى الناسُ معرّة النعمان، وسميت بذلك لما لحق النعمان من معرة الحزن على ولده .

---

(١) هو الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف بن أيوب . ولد بالقاهرة سنة ٥٦٨ ، وهى السنة الثانية من استقلال أبيه بمملكة الديار المصرية ، وتوفى بقلعة حلب سنة ٦١٣ . انظر الوفيات .

(٢) نسبه إلى جدّه الأعلى . وهو أحمد بن مدرك بن على بن عبد الله بن سليمان .

قلت : والصحيح أن النُّعمان بن بشير جدّد بناءها وزاد فيه، واختارها للمُقام أيّام ولايته ، فنسبت إليه، وقد كانت مدينةً معروفة قبل ذلك، فتحها أبو عبيدة رضى الله عنه، وأكثرُ أهلها من تنوخ .

وقال البلاذرىّ (١) فى كتاب البلدان له : هى منسوبة إلى النعمان بن بشير .

وقال ابن حَوْقَل (٢) النصيبىّ فى جغرافيا معرّة النعمان (٣) : مدينة هى وما حولها من القرى أعذاء (٤)، ليس بنواحيها ماء جارٍ ولا عين . كذا قال .

وقد شاهدت عين ماءٍ من قِبلىّ المعرّة، على الطريق، بالقرب منها .

وقال الجدلى (٥)ّ : هى منسوبة إلى النعمان بن بشير الأنصارىّ ، كان معاوية بن أبى سفيان أقطعه إياها، فنسبت إليه .

أخبرنا أبو علىّ الأوفى إذناً ، عن أبى طاهر السلفى، قال : حدثنى أبو محمد ابن أحمد بن إبراهيم الرازىّ، قال : هذه نسخة كتاب الشيخ أبى الفتح عبد العزيز ابن الحسين بن علىّ بن زبيد المصرىّ، وقد رأيته بمصر ، ولم أسمعها منه ، وذكر فيها : « ثم سافرت منها — يعنى طرابلس — فوصلت معرّة النعمان ، فوجدتها واسعة الأسواق ، كثيرة الأرفاق ، صحيحة الهواء، واسعة الفضاء، مياهها غزيرة،

---

(١) يعنى فتوح البلدان . والنص فيه ص ١٣١ طبع ليدن : « ومر أبو عبيدة بمعرّة حمص ، وهى التى تنسب إلى النعمان بن بشير، فخرجوا يقلسون بين يديه » .

(٢) هو محمد بن حوقل ، أحد علماء تقويم البلدان، ومن رجال القرن الرابع الهجرى . والنصيبى نسبة إلى نصيبين من بلاد الجزيرة . وممن نسبه هذه النسبة المقرى فى نفح الطيب، فى عدّة مواضع .

(٣) من كتابه المسالك والممالك ص ١١٨ طبع ليدن .

(٤) الأعذاء : جمع عذى بالكسر ويفتح، وهو الزرع لا يسقيه إلا المطر .

(٥) كذا وردت الكلمة بهذا الضبط فى الأصل . ولم نعثر على تعيينه .

وفواكهها كثيرة، وأهلها يميلون إلى الخير والتعفُّف، ويعيشون بالقناعة والتغفُّف[1]؛ وفيهم بعض الحميّة، وشيء من العصبية؛ ولهم [مع][2] هذا معرفة بالشرّ والخصومة، وعادة السعاية والنميمة؛ غير أنّ ذلك فيما بينهم لا يتعدّاهم، ولا يتجاوزهم إلى أحد سواهم».

وذكر صاحبنا يا قوت بن عبد الله الحموىّ فى كتابه، وقال: بمعرّة النعمان قبر محمد بن عبد الله بن عمار بن ياسر[3]. وقرأت بخط محمد بن أحمد بن الحسن الكاتب فى روزنامج[4] أنشأه، وذكر فيه رحلته من بلاد أذربيجان إلى الحجّ، وعوده منه، وجعله كالتذكرة لولده، قال فيه — بعد أن ذكر خروجه من حلب حرسها الله —: ونزلنا سَرْمين[5]، فاستقبلنى القائد بها بالإكرام والإنعام، وركب فى صحبتى إلى معرّة النعمان، بل مقر الرَّوح والرَّيحان، بل زهرةِ العين والجَنان، بل مَعْدِنِ البيان واللسان والرجحان، فى الأدب والشِّعر والإتقان، بل محلّ كلّ كريم وهِجان؛ وهى مدينة تُبَلُّ غُلّة الظمآن، وتفثأ عَلَه[6] العَرثان السَّغبان.

قال ابن واضح الكاتب: ومعرّة النعمان مدينة قديمة خراب. وأهلها تنوخ.

---

(١) التعفف: أن ينال العفة، والعفة، بضم العين وتشديد الفاء: القليل من العيش. وفى اللسان: «واعتفت الفرس والخيل وتعففت: نالت عفة من الربيع». وفى الأصل: «النكا» بهذا الإهمال والنقص.

(٢) هذه الكلمة ذاهبة من الأصل لبلى موضعها.

(٣) انظر ما سبق فى التحقيق فى ص ٥٨٥

(٤) روزنامج: معرب «روزنامه» الفارسية، ومعناه كتاب الأخبار اليومية، أو الصحيفة اليومية. انظر استينجاس ص ٥٩٤

(٥) سرمين، بفتح أوله وسكون ثانيه وكسر ميمه: بلدة مشهورة من أعمال حلب. وذكر الميدانى فى كتاب الأمثال، أن سرمين هى مدينة سدوم التى يضرب بقاضيها المثل. انظر معجم البلدان.

(٦) العلة (بالتحريك): أشد الغرث والحرص على الأكل، والتردد من الجوع. انظر المخصص (٥: ٣٣). وفى اللسان: «والعله: الجوع؛ والعلهان: الجائع؛ والمرأة علهى مثل غرثان وعرثى، أى شديد الجوع». وفيه أيضا: «والعله الشره». وفى الأصل: «أكلة» ولا وجه لها هنا.

أنبأنا أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل الهاشمىّ، عن تاج الإسلام أبى سعد السمعانىّ ، قال : وذكر أبو نصر بن هميماه الرامُشىّ[1] أنّ النسبة الصحيحة إليها معرّنمىّ ؛ لأنّ ثَمّ معرّتين : معرّةَ النعمان ، ومعرّةَ مَصرين ؛ فالنّسبة إلى الأولى معرّنمىّ، وإلى الثانية معرّمَصىّ ، غير أنّ أكثر أهل العلم لا يعرف ذلك . والمعرّىّ المطلق منسوب إلى معرّة النعمان . قال أبو سعد السمعانىّ : خرج منها جماعةٌ من العلماء فى كلّ فنّ ، وقبر عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه فى سوادها ، بموضع يقال له دَيْر سِمعان .

ومن أحسن ما وقع إلىّ فى وصفها ، أبياتٌ قالها الوزير أبو القاسم الحسين بن علىّ بن الحسين بن المغرِبى[2]، وقد أخبرنا ببعض قوله أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل بن عبد المطلب الهاشمىّ، قال : أخبرنا أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور، قال : أنشدنى أبو صالح قراطاش بن طَنطاش الظفرىّ، إملاءً، قال : أنشدنى أبو العزّ أحمد بن عبيد الله بن كادش الكُبْرىّ، وقد أنبأنا أبو حفص بن طَبَرْزَد، عن ابن كادش، قال : أنشدنى أبو عبد الله محمد بن حردة، قال : أنشدنى الوزير أبو قاسم المغربىّ لنفسه . والأبيات :

ما على ساكنِي المعرّة لو أنّ ... ديارًا نبتْ بهمْ أو طُلولاَ
يسكنون العُلاَ مَعاقِلَ شُمًّا ... ويَرون الآداب ظِلًّا ظليلاَ
منزلٌ شاقنى أنيسٌ وما كا ... نَ رسومًا نواحلًا وطلولاَ

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ١٤ الحاشية رقم ٣ .

(٢) هو الوزير أبو القاسم الحسين بن على بن الحسين بن على ، من ولد بهرام جور ملك فارس ، ويعرف بالوزير المغربى . أديب كاتب شاعر . ولد سنة ٣٧٠ وكان صاحب مغامرات سياسية . وتوفى سنة ٤١٨ . انظر الوفيات . وفى معجم الأدباء (٤ : ٦٠) أنه : «الحسين بن على بن الحسن» ؛ والصواب : « الحسين بن على بن الحسين » .

حيثُ يُدعَى النَّسيم فَظًّا ويُلْفَى سَبَلُ الغادياتِ شَكْساً بخيلا (١)
أينما تَلتفِتْ تجِدْ ظِلَّ طُوبَى وتَجِدْ كوثراً أغرَّ صَقيلا
تُرْبها طيِّبَ الشَّبابَ فما يَصْـ ـحَبُ إلّا السُّرورَ فيها خليلا
فترى اللهوَ إنْ أردتَ طليقاً والتُّقى إن أردته مغلولا
وإذا ما اعترى بها الأدبُ العُذْ رِيُّ جاءوا عِمارةً وقَبيلا
ليتَ لا يعنُف السحابُ عليها ليلةً جادها عليلاً كليلا
وسلامٌ على بَنِيها ولا زا لَ نعيمُ الحياةِ فيهم نزيلا

أنشدنا الحسن بن عمرو بن دُهن الحَصَى(٢)، قال: أنشدنا الخطيب أبو الفضل عبد الله بن محمد الطوسيّ قال: أنشدنا الخطيب أبو زكريا التِّبريزى، إجازةً. وأنشدنا أبو المحامد إسماعيل بن حامد القُوصيّ، قال: أنشدنى أبو جعفر محمد بن المؤيّد بن أحمد التنوخى، قال: أنشدنى جدّى أبو اليقظان أحمد بن محمد بن حوارى قالا:

أنشدنا أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان المعرّى لنفسه، مما قاله ببغداد يتشوّق بلده:(٣)

متى سألتْ بغدادُ عنّى وأهلُها فإنّى عن أهل العواصم سائلُ
إذا جَنَّ ليلى جُنَّ لُبّى وزائدٌ خفوقُ فؤادى كلّما خفق الآلُ
وماءُ بلادى كان أنجعَ مشرباً ولو أنّ ماءَ الكرخ صهباءُ جِريالُ
فياوطنى إنْ فاتنى بك سابقٌ من الدّهر فلينعَمْ لساكنِك البالُ
فإنْ أستطِعْ فى الحشر آتِك زائرا وهيهاتَ! لى يومَ القيامة أشغالُ

(١) فى الأصل: «تلفى». السبل، بالتحريك: المطر. والشكس، ككتف: البخيل، وسكنه للشعر. يريد أنها أرق من النسيم، فهو حين يوازن بها فظ غليظ، وأنها فيما تحوى من جود وكرم يتضاءل عندها جود السحب الغاديات.

(٢) هو شيخ من شيوخ ابن العديم قرأ عليه كتاب اللمع، كما نص عليه ياقوت فى معجم الأدباء (٦: ٣٨). وفى الأصل: «الحصا» بالحاء المعجمة، تحريف، وإنما هو بالمهملة، كما فى معجم الأدباء. وقال المولى الغبى فى كتاب ما يعول عليه: "دهن الحصا — رسمت هكذا بالحاء المهملة والألف، وصواب كتابتها بالياء — هو كناية عن البخيل، من كنايات العامة".

(٣) من قصيدة فى سقط الزند (٢: ٤٦ — ٥٥).

باب

فى ذكر مَعرّة مَصرين

وهى من الجَزَر[1]، من عمل حلب، ويقال فيها مَعَازّة مَصرين أيضا، وهى مدينة مذكورة، وبلدة مشهورة؛ لها ذكر فى الفتوح، وبابُ الرِّزق فيها لطالبه مفتوح؛ باطنُها حسن، وظاهرها أغنّ؛ محفوفة بالأشجار، وشرب أهلها من ماء الأمطار؛ ولها سور قديم مبنى بالحجر، وقد تهدّم وكاد ألا يبقى منه إلّا الأثر. وكان الفرنج قد استولوا عليها حين استولوا على الأثارِب[2] وزَرْدنا[3] — وزردنا: قرية قريبة منها، كان لها قلعة خربت — ففتح إيلغازى بن أُرتُق[4] مدينة معرّة مصرين، وزردنا، والأثارب، فى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، بعد أن كسر الفرنج، على ما نشرحه إن شاء الله فى ترجمته.

وأهلها ذوو يسارٍ وأموالٍ وأملاك. ولمّا هجمها الفرنج دفن أهلها فيها أموالا، فظهر بعدهم منها شىء. ويقال إنّها هى التى تعرف بذات القصور. وكان أكابر حلب وأعيانها يرغبون فى اقتناء الأملاك بها، واتخاذ الدُّور والمنازل، وكان فيها لسلفنا أملاكٌ وافرة، خرج عنا بعضها وبقى البعض. ويُجلب منها الزَّيت الكثير. وأرضها عِذْى، يزرع فيها البصل، والثُّوم، والكسفرة، والحبّة، فتأتى على أكمل ما يكون من غير سقى.

(١) الجزر، بفتح الجيم وسكون الزاى بعدها راء، قال ياقوت: «كورة من كور حلب».

(٢) الأثارب: قلعة معروفة بين حلب وأنطاكية، بينها وبين حلب نحو ثلاثة فراسخ. انظر معجم البلدان.

(٣) زردنا، كذا ضبطت فى معجم البلدان ضبط قلم، بفتح فسكون ففتح. قال: بليدة من نواحى حلب الغربية.

(٤) إيلغازى، بألف بعدها ياء مثناة تحتيه فلام فعين معجمة فزاى. وفى الأصل: «ابلغارى» محرف، انظر ابن القلانسى فى غير ما موضع، والوفيات (١: ٦١) حيث ترجم لأبيه «أرتق». وضبط أرتق بضم الهمزة والتاء بينهما راء ساكنة، كما قيده ابن خلكان.

وذكر أحمد بن يحيى البلاذُرى فى كتاب البُلدان[1]، ما ذكره عن مشايخه فى ذكر الفتوح، قالوا : وبلغ أبا عبيدة أنّ جمعا الروم بين معازّة[2] مصرين وحلب ، فلقيهم وقتل عِدّة بطارقة، وفضّ ذلك الجيش، وسبى وغنِم، وفتح معازّة مصرين، على مثل صلح حلب .

وقد عدّ ابن واضح الكاتب لجند قِنّسرين والعواصم كُوَرا ، فقال : وكورة مرتحوان[3]، وكورة معزّة مصرين .

قلت : وكلتاهما من الجزر متلاصقتان. ومرتحوان: قرية من معرة مَصرين.

وقال الحسن بن أحمد المهلبىّ فى كتابه : أنشدنى بهاء الدين أبو محمد الحسن ابن إبراهيم بن سعيد بن الخشاب، قال : أنشدنى بعض أهل معرّة مَصرين لحمدان ابن عبد الرحيم :

جادتْ معرةَ مَصرينِ من الدِّيمِ ... مثلُ الذى جادَ من دمعى لبينهم
وسالمتها الليالى فى تغيُّرها ... وصافحتْها يدُ الآلاءِ والنِّعَمِ
ولا تناوحَتِ الإعصارُ عاصفةً ... بعَرْصَتيها كما هبَّتْ على إرَمِ
حاكتْ يدُ القَطْرِ فى أفنائها حُلَلًا ... مِن كل نَوْرٍ شَنِيبِ الثَّغرِ مبتسمِ

وكان بلد معرة مَصرين إلى جبل السُّمّاق، بلد التِّين والزَّبيب والفستُق والسُّمّاق والحبّة الخضراء[4]، تخرج عن الحدّ فى الرُّخص ، وتجلب إلى مدن العراق، وتجهز إلى كلّ بلد .

(١) انظر فتوح البلدان للبلاذرى ص ١٤٩ س ١ — ٣ .

(٢) فى صلب فتوح البلدان : « معزة » ، وقد أشار ناشرها فى الحاشية إلى أنها رسمت فى إحدى النسخ : « معارة » .

(٣) ذكرها ياقوت فى رسمها من معجم البلدان .

(٤) فى الأصل : « وحبة الخضراء » .

آثار البلاد، وأخبار العباد (*)

للقـــزوينى (**)

٦٨٢ — ٠٠٠

معرّة النعمان : بليـدة بين حلب وحمـاة ، كثيرة التّين والزيتون ؛ ينسب إليها أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعرّى الضرير، المشهور بالذكاء .

ومن عجيب ما ذكر عنه أنه أخذ حِصّـة وقال : هـذا يشبه رأس البازى . وهذا تشبيه عجيب من أولى الإبصار ، فضلا عن الأكمَه .

وقد ذُكر البعير عنده ، أنه حيوانٌ يحمل حملا ثقيلا فينهض به . فقال : ينبغى أن تكون رقبته طويلة ، ليمتدّ نفسه ، فتقدر على النهوض به .

وكان له سرير يجلس عليه ، فجعلوا فى غيبته تحت قوائمه (١) أربعة دراهم ، تحت كلّ قائمة درهما ، فقـال : إن الأرض قد ارتفعت عن مكانها شيئا يسـيرا ، أو السماء (٢) نزلت .

(*) آثار البلاد وأخبار العباد : هو الكتاب المعروف بعجائب البلدان . وهو صنو كتابه الآخر : « عجائب المخلوقات » .

والنص فى ص ١٨١ ، من النسخة المطبوعة فى جوتنجن سنة ١٨٤٨ .

(**) هو زكريا بن محمد بن محمود ، أبو يحيى الأنصارى القزوينى ، كان قاضى واسط والحلة . انظر المنهل الصافى لابن تغرى بردى (٢ : ٢٠١) مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ١١٣ : تاريخ .

(١) فى الأصل : « قوائمها » محرف .

(٢) فى الأصل : « والسماء » .

ومن العجائب أنّه مع ذكائه اختفى عليه الموجودات التى ليست بمجسّمة ؛ كالجواهر الرّوحانية ، فاعتقد أنّ كل موجودٍ يكون مجسّما، حتّى قال (١) :

قالوا إلهٌ لنا قديمٌ قلتُ لهم هكذا نقولُ (٢)
قالوا قديمٌ بلا مكانٍ قلت أين هو فقولوا (٣)
هذا كلام له خبيءٌ (٤) معناه ليست لنا عقول

وقال أيضا :

يد بخمسِ مِئٍ من عسجدٍ فُديت (٥) ما بالها قُطعت فى ربع دينارِ

وقال الرضى الموسوىّ (٦) :

صيانة النّفس أغلتها وأرخصها صيانةُ المالِ فانظُرْ حكمة البارى

وذُكر أنّه فى آخر عمره تاب عن أمثال هذه ، واستغفر ، وحسُن إسلامه .

---

(١) انظر اللزوم (٢ : ١٧٩) .
(٢) فى الأصل : « يقول » والرواية تخالف ما فى اللزوم .
(٣) كذا ورد فى الأصل .
(٤) فى الأصل : « هذا الكلام لنا خفاء » .
(٥) فى الأصل : « قرنت » .
(٦) كذا فى الأصل . وإنما هو علم الدين السخاوى . انظر نص الوافى ص ٢٨٣ .

تحفة النظار (*)

لابن بطوطة (**)

٧٠٣ وكان حيا إلى سنة ٧٧٠

(رجع) :

ثمّ سافرت إلى مدينة المعرّة التى ينسب إليها الشاعر أبو العلاء المعرّىّ، وكثير سواه من الشعراء. قال ابن جُزَىّ : وإنّما سميت بمعرّة النعمان، لأنّ النعمان بن بشير الأنصارىّ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، تُوفِّى له ولدٌ أيام إمارته على حمص، فدفنه بالمعرّة، فعُرفت به، وكانت قبل ذلك تسمَّى "ذات القصور". وقيل إنّ النُّعمان جبل مطلٌّ عليها سمِّيت به.

(رجع) :

والمعرّة مدينة صغيرة حسنة، أكثر شجرها التِّين والفستق، ومنها يحمل إلى مصر والشّام، وبخارجها على فرسخ منها قبر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، ولا زاوية عليه ولا خَديم (١) له. وسبب ذلك أنّه وقع فى بلاد صنف من الرافضة أرجاس، يُبغضون العَشَرة من الصحابة، رضى الله عنهم، ولعن مُبغِضهم، ويُبغضون كلَّ من اسمه عمر، وخصوصا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه؛ لِما كان من فعله فى تعظيم علىّ رضى الله عنه.

(*) تحفة النظار، فى غرائب الأمصار، وعجائب الأسفار : هو المعروف برحلة ابن بطوطة. والنص فى ص ٣٧ — ٣٨ من الجزء الأوّل من طبع مطبعة وادى النيل ١٢٨٧.

(**) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتى الطنجى، المعروف بابن بطوطة، وبطوطة، بفتح الباء وضم الطاء الأولى المشدّدة، كما فى تاج العروس. وله بطنجة وبدأ رحلته سنة ٧٢٥ واستغرقت أكثر من ٢٥ سنة، وأملى بعدها خبر رحلته على تلميذه محمد بن جزى الكلبى. انظر مقدّمة الرحلة لابن جزى، والدرر الكامنة (٣ : ٤٨٠ — ٤٨١)، وكشف الظنون.

(١) كذا فى الأصل. وإنما يقال خادم وجمعه خدم، بالتحريك.

تاج العـــــروس (*)

للزَّبيـــــدى (**)

١١٤٥ — ١١٨٩

(ومعرة) بفتح وتشديد الراء (د بين حماة وحلب) وهى بلد الفستق (وتضاف إلى النعمان) بن بشير الأنصارى ، اجتاز بها فمات له بها ولد ، فأقام أياما حزينا ، فنسبت إليه . كذا ذكره البَلاذُرى فى كتاب البلدان . نقله القَرَضى نقله الحافظ . (وذكر) ذلك (فى ن ع م) وسيأتى إن شاء الله تعالى .

قلت : وقد نسب إلى هذه المدينة أبو العلاء أحمد بن سليمان الأديب التنوخى ، الذى استشهد بقوله المصنف فى خطبة هـذا الكتاب[1] ، وأقاربه ، ومسيون بن أحمد المعرى ، [يروى] عن يوسف بن سعيد بن مسلم ، وآخرون .

(*) تاج العروس ، من جواهر القاموس : شرح مستفيض لقاموس الفيروزابادى . والنص من مادة (عرد) من النسخة المطبوعة فى المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٥ .

(**) هو أبو الفيض محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرازق ، المعروف بمرتضى الحسينى الحنفى الواسطى البلجرامى الزبيدى نزيل مصر . ولد فى بلجرام على خمسة فراسخ من قنوج . ونشأ ببلاده واشتغل بطلب العلم على علماء الهند ، ثم ورد إلى مصر فى سنة ١١٦٧ وشرع فى تأليف كتابه تاج العروس وذلك فى أربعة عشر عاما وشهرين . وعند إتمامه أولم وليمة حافلة جمع فيها طلبة العلم وأشياخ الوقت . واشتهر أمر هذا الكتاب ، واستكتبه الملوك ، ومنهم أمير اللواء محمد بك أبو الذهب ، بذل فى نسخة منه ألف ريال . وكان الزبيدى عارفا باللغة التركية والفارسية . انظر نور الأبصار للشبلنجى وترجمته فى آخر الجزء تاج العروس

(١) لم يستشهد صاحب القاموس فى خطبته بقول لأبى العلاء ، وإنما أشار إليه ؛ إذ يقول : «ولو لم أخش ما يلحق المزكى نفسه من المعرة والدمان ، لتمثلت بقول أحمد بن سليمان ، أديب معرة النعمان» .

والبيت الذى يشير إليه صاحب القاموس هو قوله :

وإنى وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل

(ومعرة علياء محلة بها و) معرة (كورة على مرحلة من حلب) وهى معرة مَصرين، (و) معرة (ة قرب كفر طاب، و) معرة (ة قرب أفامية، ومعر بلاهاء) وضبطه الحافظ فى التبصير[1] بالتخفيف: (إحدى عشرة قرية كلها بالشام). وقال الحافظ: كلّها بأعمال حماة، ما علمت أحدا ينسب إليها. (ومعرين، بزيادة ياء ونون د بنواحى نصيبين، و) معرين (ة بشيزر، و ة) أخرى (بحماة، وبجبلها مشهد يزار، و) معرين أيضا (ة شمالى عزاز) بالقرب من الرَّقَّة.

---

(١) «تبصير المنتبه، فى تحرير المشتبه»، للحافظ شهاب الدين أحمد بن على بن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢.

فهرس الكتاب

(١) أبواب الكتاب ٦٠٣

(٢) أبو العلاء ٦٠٧

(٣) تصانيف أبي العلاء ٦١٥

(٤) الأعلام ٦٢٠

(٥) القبائل والطوائف ٦٥١

(٦) البلدان والأماكن ٦٥٥

(٧) القوافي ٦٦٥

(٨) الكتب ٦٨٦

فهـــرس الأبواب

١ — التراجـــم

	صفحة	
تتمـة اليتيمة ، للثعالبي	٣	— ٤
تاريخ مدينة السلام ، للبغدادى	٥	— ٧
دميـة القصر ، للباخرزى	٨	— ١١
الأنساب ، للسمعانى	١٢	— ١٥
نزهة الألبا ، لابن الأنبارى	١٦	— ١٧
المنتظم ، لابن الجوزى	١٨	— ٢٦
إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للقفطى	٢٧	— ٦٦
إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، لياقوت الحموىّ	٦٧	— ١٤١
الكامل ، لابن الأثير	١٤٢	
مرآة الزمان ، لسبط ابن الجوزى	١٤٣	— ١٨١
وفيات الأعيان ، لابن خلكان	١٨٢	— ١٨٥
المختصر فى أخبار البشر ، لأبى الفدا	١٨٦	— ١٨٨
تاريخ الإســلام ، للذهبى	١٨٩	— ٢٠٥
تتمة المختصر فى أخبار البشر ، لابن الوردى	٢٠٦	— ٢١٦
مسالك الأبصار ، لابن فضــل الله العمرى	٢١٧	— ٢٦٢
الوافى بالوفيات ، للصفدى	٢٦٣	— ٢٨٤
نكت الهميان ، للصفدى	٢٨٥	— ٢٩٦
مرآة الجنان ، لليافعى	٢٩٧	— ٣٠٠
البداية والنهاية ، لابن كثير	٣٠١	— ٣٠٨
روضــة المناظر ، لابن الشحنة	٣٠٩	— ٣١٠
لسان الميزان ، لابن حجر	٣١١	— ٣١٨
عقد الجمان ، للعينى	٣١٩	— ٣٢٨
النجوم الزاهرة ، لابن تغــرى بردى	٣٢٩	— ٣٣٠

صـفحة

بغية الوعاة ، للسيوطى ... ... ٣٣١ — ٣٣٤
معاهد التنصيص ، للعباسى ... ... ٣٣٥ — ٣٤٥
شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلى ... ... ٣٤٦ — ٣٥٠
نزهـة الجليس ، للعباسى المكى ... ... ٣٥١ — ٣٦٥

٢ — الشـــذرات

سر الفصاحة ، للخفاجى ... ... ٣٦٩ — ٣٧٣
تهذيب إصلاح المنطق ، للتبريزى ٣٧٤
شرح ديوان أبى تمام ، للتبريزى ... ... ٣٧٥ — ٣٧٦
شرح ديوان الحماسة ، للتبريزى ٣٧٧
سر العالمين ، للغزالى ... ... ٣٧٨ — ٣٧٩
الاحتجاج ، للطبرسى ... ... ٣٨٠ — ٣٨٢
الكشاف ، للزمخشرى ٣٨٣
نقد مقامات ابن الحريرى ، لابن الخشاب ٣٨٤
الفهرسة ، لابن خير الإشبيلى ... ... ٣٨٥ — ٣٨٦
المجالس المؤيدية ، لحاتم بن إبراهيم الحميدى ... ... ٣٨٧ — ٣٨٨
كتاب الأذكياء ، لابن الجوزى ٣٨٩
تلبيس إبليس ، لابن الجوزى ٣٩٠
ألف باء ، للبلوى ٣٩١
إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، لياقوت ٣٩٢
معجم البلدان ، لياقوت ٣٩٣
المثل السائر ، لابن الأثير ٣٩٤
شرح نهج البلاغة ، لابن أبى الحديد ٣٩٥
التكملة ، لابن الأبار ٣٩٦
عيون الأنباء ، فى طبقات الأطباء ، لابن أبى أصيبعة ... ... ٣٩٧ — ٣٩٨
وفيات الأعيان ، لابن خلكان ... ... ٣٩٩ — ٤٠٠
المغرب فى حلى المغرب ، والمشرق فى حلى المشرق ٤٠١
غرر الخصائص ، للوطواط ٤٠٢

صـفحة

تتمة المختصر ، لابن الوردى ٤٠٣

فوات الوفيـات ، لابن شاكر ٤٠٤

الغيث المسجم ، للصفدى ... ... ٤٠٥ — ٤٠٧

نكت الهميان ، للصفدى ٤٠٨

طبقات الشافعية ، لابن السبكى ... ... ٤٠٩ — ٤١٠

المقدّمة ، لابن خلدون... ... ... ٤١١ — ٤١٢

ثمرات الأوراق ، لابن حجة ... ... ٤١٣ — ٤١٥

النجوم الزاهرة ، لابن تغرى بردى ٤١٦

بغية الوعاة ، للسيوطى ٤١٧

النور السافر ، للعيدروسى ... ... ٤١٨ — ٤٢٠

نفح الطيب ، للمقرى ... ... ٤٢١ — ٤٢٢

الصبح المنبى ، للبديعى ... ... ٤٢٣ — ٤٢٦

٣ — التبرى من معرة المعرى، للسيوطى ٤٢٩ — ٤٣٦

٤ — أبو العلاء فى الأدب المغربى

ما جاء عنه فى كتاب إحكام صنعة الكلام ، لمحمد بن عبد الغفور الكلاعى... ... ٤٣٩ — ٤٥٤

معارضة المغاربة لملق السبيل ... ... ٤٥٥ — ٤٥٧

٥ — أبو العلاء فى الأدب الفارسى

سفرنامه ، لناصر خسرو... ... ... ٤٦١ — ٤٦٢

تذكرة الشعراء، لدولت شاه ... ... ٤٦٤ — ٤٦٦

٦ — النحاة وأبو العلاء

ابن هشـام ... ... ٤٦٩ — ٤٧١

الصفـــدى ... ... ٤٧١ — ٤٧٥

ابن عقيـــل ... ... ٤٧٥ — ٤٧٦

محمود العينى ... ... ٤٧٦ — ٤٧٨

السيوطى ... ... ٤٧٨ — ٤٧٩

الخضرى ٤٧٩

صـفحة

٧ — كتاب الإنصاف والتحرى، لابن العديم

المقـــدمة ... ... ٤٨٣ — ٤٨٦
فصل فى ذكر نسبه ... ... ٤٨٦ — ٥١١
فصل فى ذكر مولد أبى العلاء ومنشئه وعماه وصفة خلقه ... ... ٥١١ — ٥١٤
فصل فى ذكر اشتغاله بالعلم وذكر شيوخه الذين أخذ عنهم... ... ... ٥١٤ — ٥١٧
فصل فى ذكر من قرأ على أبى العـلاء وروى عنه من العلماء والأدباء والمحدثين من أهل المعرة وغيرهم من الغرباء ٥١٧ — ٥٢١
فصل فى ذكر شىء مما وقع إلينا من حديث أبى العلاء المعرى رحمه الله مسندا ... ٥٢١ — ٥٢٤
فصل فى ذكر كتاب أبى العـلاء الذين كانوا يكتبون له ما ينشئه من الرسائل والنظم والتصنيف والإملاء ٥٢٤ — ٥٢٧
فصل فى ذكر تصانيفه ومجموعاته وتآليفه وأشـعاره المدونة، ورسائله المفننة ... ٥٢٧ — ٥٤١
فصل فى ذكر رحلته إلى بغداد وعوده إلى معرة النعمان وانقطاعه فى منزله عن الناس وتسمية نفسه رهن المحبسين ٥٤٢ — ٥٥٠
فصل فى ذكر ذكاء أبى العلاء وفطنته وسرعة حفظه وألمعيته وتوقد خاطره وبصيرته ٥٥١ — ٥٦٤
فصل فى ذكر حرمته عند الملوك والخلفاء والأمراء والوزراء ... ... ٥٦٥ — ٥٦٩
فصل فى ذكر اضطلاعه بالعلم والأدب ومعرفته باللغة ولسان العرب ... . ٥٦٩ — ٥٧٤
فصل فى ذكر كرم أبى العلاء وجوده، على قلة ماله وزارة موجوده... ... ... ٥٧٥ — ٥٧٦
فصل فى ذكر قناعة نفسه وشرفها وعفتها عن أخذ صلات الناس وظلفها ... ... ٥٧٧ — ٥٧٨

٨ — معـــرة النعمـان

سفرنامة، لناصر خسرو ... ... ٥٨١ — ٥٨٢
رحلة ابن جبير ٥٨٣
معجم البلدان، لياقوت ... ... ٥٨٤ — ٥٨٦
نهية الطلب، لابن العديم ... ... ٥٨٧ — ٥٩٤
آثار البلاد وأخبار العباد، للقزوينى ... ... ٥٩٥ — ٥٩٦
تحفة النظار، لابن بطوطة ٥٩٧
تاج العروس، للزبيدى... ... ... ٥٩٨ — ٥٩٩

فهـــرس أبى العـــلاء

نسـبه

اسمه ولقبه ١٨ — ٥/٢٧ : ٤ — ٧/٢١٧ : ٤/٣١١ : ٤/٣٢٥ : ٤ — ٥

آباؤه ٥١١ : ١٦ — ٢٠

أجداده ٥ : ٩ — ٦/٢ : ١٢ : ١٢ — ١٣ : ٢/٢٨ : ٥ — ٨/٦٧ : ٥ — ١٠/١٤٣ : ٤ — ٨/١٨٢ : ٤ — ٨/٢٠٦ : ٥ — ٩/٢٦٣ : ٤ — ٨/٢٨٥ : ٤ — ٨/٣٠١ : ٥ — ٩/٣١١ : ٧ — ٨/٣١٩ : ٥ — ٩/٣٢٩ : ٥ — ٩/٣٣١ : ٤ — ٥/٤٨٦ : ٦ — ١٣/٤٨٧ : ٣ — ٤٨٨/١٤ : ٤٨٩

عشيرته ٦٨ : ٤ — ٧٥ : ١٥ / ٢٢٢ : ١ — ٦/٢٦٦ : ١ — ٧/٢٩٥ : ٩ — ١٤/٤٨٩ : ١٧ — ٥١١ : ١٣

ميـــلاده ووفاته

تاريخ ميلاده ٧ : ٧ — ٨/١٧ : ٤ — ٥/١٨ : ٦ — ٧/٢٩ : ١١ — ١٣/٦٧ : ١٤/١٤٣ : ١٠ — ١١/١٨٣ : ٣ — ٤/١٨٦ : ٥ — ٦/١٩٠ : ٢/٢٠٧ : ٧ — ٨/٢٦٥ : ٣ — ٦/٢٩٥ : ١٦ — ١٩/٢٩٨ : ٦ — ٩/٣٠١ : ١٠ — ١١/٣٠٩ : ٤ — ٦/٣١١ : ١٠/٣٢٠ : ٨ — ٩/٣٣٠ : ١ — ٢/٣٣٢ : ٣ — ٤/٣٣٥ : ٦ — ٧/٣٤٧ : ٥ — ٦/٣٥١ : ١٢ — ١٣/٥١٢ : ٢ — ٥١٤ : ١

تاريخ وفاته ٧ : ١٤ — ١٥/١٥ : ٦/١٧ : ١٦ — ١٧/٢٥ : ١٠ — ١٢/٣٠ : ٢ — ٣/٥٠ : ٥ — ٦/١٤٢ : ٤ — ٥/١٥٢ : ١٠ — ١١/١٨٤ : ١٠ — ١١/١٨٦ : ٥ — ٦/٢٠٨ : ٧ — ٨/٢١٧ : ٤ — ٥/٢٦٥ : ٢ — ٣/٢٩٥ : ١٦ — ١٩/٢٩٨ : ٦ — ٩/٣٠٧ : ٦ — ٧/٣٠٩ : ٤ — ٦/٣١٦ : ١٧/٣٣٠ : ١ — ٢/٣٣٤ : ٦ — ٧/٣٤٤ : ١٢ — ١٣/٣٤٨ : ١١ عمره ١٧ : ١٢/٢٥ : ١١ — ١٢/١٤٢ : ٥/١٥٢ : ١٠ — ١١/٣٠٧ : ٦ — ٧

مرض وفاته ٦٤ : ١١ — ٦٥ : ١١/١٨٤ : ١٦ — ١٩/٢٠٥ : ٥ — ٦/٣٤٨ : ١٦ — ١٩

الخلاف فى سبب موته ١٥٦ : ٤ — ٧/٣٢٧ : ١٥ — ١٧

بـــلده

التعريف به ٢٢١ : ١٦ — ١٨/٤٨٧ : ١٤ — ٤٨٨ : ٢/٥٨١ : ١٦ — ٥٨٢ : ٥/٥٨٣ : ٣ — ٧/٥٨٤ : ٥ — ٥٨٦ : ١٥/٥٨٧ : ٥ — ٥٩٤ : ١٧/٥٩٥ : ٤ — ٥٩٦ : ١٠ — ٥٩٧ : ٥ — ١٦/٥٩٨ : ٤ — ١٠

ذهـــاب بصره

صيته وتاريخه ٧ : ٩/١٣ : ٥/١٦ : ٦/١٧ : ٧ — ١٨ : ٨/٢٩ : ١٤/٣٠ : ٥ — ٨/٦٧ : ١٤/١٢٤ : ١ — ٢/١٨٣ : ٥ — ٦/١٨٦ : ٧ — ٨/١٩٠ : ٢ — ٤/٢٠٧ : ٨ — ٩/٢٩٨ : ٩ — ١٠/٣٠١ : ١/ ٢٢ : ٩ — ١٠/١٥٦/ ١٠ : ٢ — ٣/٣٤٦ : ٨/٣٤٧ : ٧ — ٨/٣٤٩ : ١١/٣٥١ : ١٣/٤٢ : ١٥/٥١٣ : ١٥ — ١٩/٥١٤ : ١ — ٢

معرفته الألوان ٢٥١ : ٤ — ٧/٢٦٥ : ٧ — ٩/٢٩٦ : ١ — ٢/٣١١ : ١ — ١١/٣٣٢ : ٥ — ٧/ : ٣٢٥ : ٧ — ٩/٣٥٣ : ١٢ — ١٣/٥٦٢ : ٤ — ٥٦٣ : ١٣

حفظـــه

قوة حافظته ٣٣ : ٩ — ١١/٢٢٤ : ١ — ٤٠٢ — ٥/
٣١٢ : ١٠/٥٥١ : ١١ — ١٣

حفظه حديثا بالأذربية بين التبريزى وضيفه ١٣ : ١٣ —
١٤ : ٧/ ٨٠ : ٥ — ٨١ : ٥/٢٢٤ : ٦ — ١٥/
٢٦٣ : ١٠ — ٢٦٤ : ١١/٢٨٥ : ١٠ — ٢٨٦ :
٤/٣٣١ : ٩ — ٣٣٢ : ٢/٣٣٦ : ١٤ — ٣٣٧ :
٧/٢٥٦ : ٦ — ١٥/٤٢٤ : ١٨ — ٤٢٥ : ٩/
٥٥١ : ١١ — ٥٥٢ : ٦

حفظه حديثا بالفارسية بين داعى الدعاة وأخيه ٢٢٤ :
١٦ — ٢٢٥ : ٧/٥٥٢ : ٧/٥٥٣ : ٢

حفظه كلاما بالفارسية نضيف أعجمى قدم على جار له ٢٢٥ :
١٥/٤٠٢ : ٤ — ١٤/٤٢٤ : ١٠ — ١٧/٥٥٣ :
٣ — ١٢

حفظه ما فى رفاع السمان ٢٢٥ : ١٦ — ٢٢٦ : ٥/٤٢٥ :
٩ — ١٦/٥٥٣ : ١٣ — ٥٥٤ : ٤

إملاؤه بعض ديوان الأدب للفارابى من حفظه ٣٣ : ١٢ —
٣٤ : ٨/٢٤٩ : ٦ — ١٥/٥٦٠ : ٧ — ٨

إملاؤه من حفظه ١٣ : ٥/٢٤٩ : ٣ — ٥

حفظه كتاب الجهرة ٢٢٧ : ٣ — ١٠/٥٥٩ : ١٦ — ٥٦٠ :
٦

حفظه دستور الخراج ٢٢٦ : ٦ — ٨/٥٥٤ : ٥ — ١٠

حفظه المحكم والمخصص ٤١٩ : ١٥

ما أملاه فى ليلة واحدة من اللزوم ٥٦٠ : ١٩ — ٥٦١ : ٣

هو والبغدادى رسول القائم ٥٦٣ : ١١ — ١٧

هو وجماعة من حلب وفدوا لاختباره ٢٢٦ : ٩ — ١٦/
٥٥٨ : ٧ — ٥٥٩ : ٢

حفظه ما اختاره من مقلده ٤٢٣ : ٥ — ٤٢٤ : ٩/٥٥٤ :
١١ — ٥٥٦ : ١

ذكاؤه

تعصبه للنبى وفصته مع المرتضى ٧٦ : ٩ — ١٣/٢٦٧ :
١ — ٩/٢٨٧ : ١٠ — ١٨/٢٩٨ : ١٧ —
٢٩٩ : ٦/٣٠٢ : ١٠ — ١٩/٣٣٢ : ١٥ —
٣٣٣ : ٤/٣٤٩ : ٤ — ٩/٣٥٤ : ٨ — ١٤

إحساسه بمكان شجرة مر بها ٢٢٦ : ١٧ — ٢٢٧ : ٣/
٣٠٣ : ١٢ — ١٦/٣٢١ : ١٥ — ٣٢٢ : ٢/
٥٥٩ : ٣ — ٩

تشبيهه حبة من اللوبيا ٥٥ : ١١ — ١٥/٢٥١ : ١ —
٣/٥٦٢ : ٧ — ١٢

إحساسه بسقوط دبس على صدره ٣٧ : ٤ — ٧/١٩٢ :
١ — ٥

إحساسه بارتفاع سريره ٣٠٣ : ٧ — ١١/٣٢١ : ١٢ —
١٤/٤١٩ : ١٧ — ١٨

معرفته ماء القراميد ٢٤٨ : ١٤ — ١٧/٥٥٩ : ١٠ —
١٥

معرفته التهامى من إنشاده ٢٥١ : ١٣ — ١٩/٥٦٤ /
١ — ٨

معرفته أبا محمد الخفاجى وحديث ذلك ٢٥١ : ٨ — ١٢/
٥٦٣ : ٥ — ١٠

هو والحاتمى وشاب أعور عرفه من شعره ٢٥٠ : ١ —
١٧/٥٦١ : ٤ — ٥٦٢ : ٦

قصته مع المنازى حين أنشده شعره فى فترتين متباعدتين
٣٥٩ : ٢ — ٣٦٠ : ٤/٤١٣ : ٤ — ٤١٤ : ٩

شيوخه

فى النحو واللغة ١٨٢ : ٩ — ١٠/١٩٠ : ٥ — ٦/
١٩٠ : ١٠ — ١١/٢٠٦ : ١٠ — ١١/٢٩٧ :
٨ — ٩/٣١٢ : ١ — ٢/٥١٥/١ — ١٤ ، ١٦ —
٥١٦ : ٢

فى الحديث ١٩١ : ١ — ٢/٣١٢ : ١١ — ١٢/٥١٦ :
١٥ — ٥١٧ : ٧

منهم ٣٠ : ٩ — ١١/٣٠٨ : ١/٣١١ : ٥/٣٣٢ :
٨ — ١٠/٣٥٢ : ٥ — ٧

رحلاته

إلى طرابلس ونزوله دير الفاروس ٣٠ : ١١ — ١٣/١٩٠ : ٥ — ٩/٢٦٧ : ١٢ — ١٥/٢٨٨ : ١ — ٣/٣٣٣ : ٩ — ١٢/٣٣٧ : ٩ — ١٢/٣٥٤ : ١٥ — ١٧

إلى طرابلس وتحقيق لابن العديم ٥٥٧ : ١١ — ١٧

إلى بغداد وعودته منها ١٧ : ٩ — ١١/١٩ : ١ — ٢/٢٨ : ٣/٦٨ : ١ — ٣/١٤٤ : ٥ — ٦/١٨٣ : ١٩ — ١٨٤ : ٢/١٨٦ : ١٠ — ١٢/١٩٠ : ١٨ — ٢٠/٢٠٧ : ١٨ — ٢٠/٢٨٧ : ٢ — ٣/١٩٦ — ٢٠/٣٠٩ : ٨ — ٩/٣١٢ : ٧ — ٩/٣٣٦ : ٦ — ٧ ، ١٢ — ١٣/٣٤٨ : ١ — ٤/٥١٥ : ١٥/٥١٦ : ٧ — ١٤/٥٤٢ : ٤ — ٥٤٦ : ١١

نو فى بغداد ٣٢ : ١٣ — ١٤

هو والربعى فى بغداد ١٦ : ١٠ — ١١/٧٥ : ١٦ — ١٩/٢٦٦ : ١٠ — ١٣/٢٨٧ : ٤ — ٦/٥١٦ : ٣ — ٦

اجتماعه بالرضى والمرتضى ببغداد ٣١ : ١١ — ١٤

بينه وبين رجل سبه فى مجلس المرتضى ببغداد ١٧ : ١ — ٢/٧٦ : ١ — ٣/٢٢٣ : ٨ — ١٦/٢٦٦ : ١٤ — ١٦/٢٨٧ : ٧ — ٩/٣٣٢ : ١٢ — ١٤/٣٣٦ : ٨ — ١١/٤٢٩ : ١١ — ٤٣٦ : ٤/٥٤٣ : ١٠ — ١٦

رحيله عن بغداد وسبب ذلك ٧ : ٩ — ١٠/٢٩ : ١٤ — ١٥/٢٦٧ : ١٠ — ١١/٣٠١ : ١٣ — ٣٠٢ : ٩/٣٢٠ : ١٦ — ٣٢١ : ٥/٣٣٣ : ٥ — ٦/٣٥٦ : ٤ — ٥

عوده إلى المعرة ونسيانه ديوان تيم اللات وشعره إلى البصرى ٣١ : ١٥ — ٣٢

علمه

بدء قوله الشعر : ١ : ٨/١٨ : ٩/١٤٤ : ٣ — ٤/١٨٤ : ٦/١٩١ : ٦/٢٠٨ : ٤/٢٢٤ : ٣/٢٦٦ : ٨ — ٩/٢٨٧ : ١/٢٩٥ : ١٥/٢٩٩ : ١٥/٣٠١ : ١٢/٣٢٠ : ١٦/٣٣٠ : ٤/٣٣٦ : ٥/٣٤٨ : ٨/٣٥٤ : ٥/٤٠٢ : ١٥ — ١٦/٥٥١ : ٦ — ١٠

حذقه باللغة ١٨ : ١٠

علمه بالحديث ١٣ : ١٠/٥١ : ١٦ — ٥٢ : ٥/٥٢١ : ٩ — ٥٢٤ : ٧

دراسته ٢٢٢ : ٧ — ١٢/٣١٤ : ١٧ — ١٨/٣٧٧ : ٤ — ١٨/٣٩٣ : ٤ — ١٨

رأى أبى الفداء فيه ١٨٦ : ٩

بينه وبين التبريزى حين طالبه بسند كتاب ٥١ : ٨ — ١٥

شهادة التبريزى له ٢٠٠ — ٦ — ٧/٥٦٩ : ١٧ — ١٨

إجازته للكردانى على كتاب ذكرى حبيب ٣٧ : ١١ — ٣٨ : ٧

تعليله غموض شعر أبى تمام ٣٧٥ : ٤ — ٣٧٦ : ٦

بينه وبين المرتضى فى أسئلة مرموزة ٣٨٠ : ٣ — ٣٨٢ : ١٦

تعصبه للمتنبى ورد ابن الأثير عليه ٣٩٤ : ٤ — ١٩

رأيه فى شعر ابن هانئ ورد ابن خلكان عليه ٤٠٠ : ٨ — ١٣

من طرائف علمه ٤١٤ : ١١ — ٤١٥ : ٨

النحاة وقوله : (يذيب الرعب منه كل عضب) ٤٦٩ : ٢ — ٤٧٨ : ٢١

هو وعراقى اختبره ٥٦٤ : ٩ — ١٩

بينه وبين قوم ألفوا كلمات لاختباره ٥٦٩ : ١٨ — ٥٧٠ : ٨

تمكنه من الفلك وقصته مع محمود بن صالح ١٥٢ : ١٦ — ١٥٤ — ٧/٢١٢ : ٥ — ١٠/٢٨٠ : ٧ — ٢٨٢ : ٩/٢٩٣ : ٧ — ٢٩٥ : ٨/٣٢٦ : ٦ — ٣٢٧ : ٥/٣٥٦ : ١٦ — ٣٥٨ : ٣

شعره

منه ٩ : ٥ — ١١ : ٥/٢٢ : ١ — ٢٥ : ٩/٥٠ : ٧ — ٥١ : ٧/٨١ : ٣ — ٨٣ : ٤/٩٧ : ١٦ — ٩٨ : ٦/١٥٦ : ٨ — ١٥٩ : ١٤/١٦١ : ١٥/١٦٤ : ٨/١٦٥ : ١ — ١٨١ : ١٥/١٨٤ : ٧ — ٩/١٩٦ : ١٢ — ١٩٨ : ٧/٢٠٨ : ٤ — ٢٧٩ : ٦ — ١/١٥ — ٢٨٢ : ١٠ — ١٢ ، ١٧ — ١٨/٢٨٤ : ٣ — ٢٩٠ : ٥ — ١٦/٢٩٨ : ١ — ٢٩٩ : ٥/١٦ — ١٩/٣٠٨ : ١٣ — ١٥/٣٠٩ : ١٣ — ١٥/٣٢٥ : ٣

٨ — ١٢/ ٣٣٤ : ٩ — ١٢/ ٣٤١ : ١٤ — ١٩/ ٣٤٣ : ١٨ — ٣٤٤ : ٢ / ٣٤٨ : ٨ — ١٠ / ٣٦٠ : ٥ — ١٨/ ٣٦٣ : ٧ — ٩/ ٣٧٨ : ٤ — ٣٧٩ : ٥/ ٣٩٥ : ٤ — ٨/ ٤٠٥ : ١١ — ٤٠٦ : ٧

من شعره فى إلحاده وسوء عقيدته ٥٦ : ١٥ — ٦٣ : ٢ / ١١٢ : ٦ — ١١٨ : ٢ / ١٤٥ : ٩ — ١٥١ : ٩ / ١٨٧ : ٣ — ١٨٨ : ٥/ ١٩٣ : ١ — ١٩٥ : ٣ / ٢٩١ : ٨ — ١٨ / ٣١٧ : ١ — ٣١٨ : ٣ / ٣٤٣ : ٩ — ١٧ / ٣٤٩ : ١٤ — ٣٥٠ : ٥

من شعره فى إنكار البعث ورد ابن عنبق عليه ٤١٩ : ١ — ٦

ما يؤخذ عليه فى شعره ورد الأحيكثى عليه ٢٩٣ : ٩ — ٦ / ٣٤٢ : ١٦ — ٣٤٣ : ٣

من شعره فى صحة عقيدته ٢١٥ : ٥ — ٢١٦ : ١٩/ ٢٩ : ٥ — ٧

من شعره فى التعريض بآدم ورد ابن أبى عقامة اليمنى ٢٨٢ : ١٦ — ٢٨٣ : ٣ / ٢٩٢ : ١ — ٦ / ٣٤٢ : ٤ — ٤١٨ : ٤ — ١١

منه فى إنكار الأديان ورد الذهبى عليه ٣٤٣ : ٤ — ٨

بينه وبين أبى الطيب الطبرى ٢١٢ : ١١ — ٢١٤ : ١٧

بعض ما رواه المصيصى عنه ٧٩ : ١٢ — ٨٠ : ٤

له فى قطع اليد ورد السخاوى عليه ٢٨٣ : ٥ — ١٦ / ٢٩٢ : ٧ — ١٥ / ٣٤٢ : ١٠ — ١٤ / ٤٠٦ : ٨ — ١٢

له فى قطع اليد ورد الرضى عليه ٤١١ : ١٣ — ١٥

من شعره وقد أهدى كتابا ٣٤٢ : ١ — ٣

من شعره فى مدح جالينوس ٣٩٧ : ٤ — ٩

بيت له ردت به امرأة على شاب ٩٧ : ٥ — ١٣ / ٣٨٩ : ٤ — ١٢

منه فى ذهاب بصره ٣٥٣ : ١٤ — ١٦

له فى أبى القاسم ٩٧ : ٢ — ٤ / ٢٧٥ : ١٢ — ١٤

منه فى النصارى ٣٦٣ : ١ — ٦

من شعره فى الرثاء ٢٣٤ : ٨ — ٢٣٧ : ١٦

له فى رثاء أبيه ٢٣٣ : ٤ — ٢٣٤ : ٣

له فى رثاء أمه ٢٣٤ : ٥ — ٧

له فى رثاء أبى حمزة الفقيه ٦ : ٣ — ٧ : ٦/ ٢٨ : ٩ — ٢٩ : ٩/ ١٥٩ : ١٦ — ١٦١ : ١٤/ ٣٦٠ : ٩ — ٣٦١ : ٥

له عند احتضاره ١٥٦ : ٢ — ٣

له فى بنى شيبة ١٦٤ : ٩ — ١٥

له فى القاضى التنوخى ٦٥ : ١٢ — ٦٦ — ٢

من المنحول له ٤٠٨ : ٥ — ١٠

بيت له ضمنه ابن عنبن شعره ٣٩٩ : ٤ — ١٥

تضمين التهامى معنى بيت له فى شعره ٤٠٧ : ١٤ — ١٩

بيتان له ورد ابن أبى كدية عليهما ٤٠٤ : ٤ — ١١

معنى له أخذه من دعبل ٤٠٠ — ١ — ٧

بيتان فى مدح الشريف ٣٨٢ : ١٧ — ١٩

بيت كتب به إلى ابن حزم ورد ابن حزم عليه ٣٩١ : ٤ — ٩

بيتان له ورد التيمى عليهما ٤١٦ : ٤ — ١١

معنى بيت له أخذه الطغرائى ٤٠٦ : ١٣ — ١٦

موازنة السبكى بين شعر له وآخر للشيرازى ٤٠٨ : ٤ — ٤١٠ : ٣

رأى ابن خلدون فى شعره ٤١١ : ٤ — ٤١٢ : ١٠

رأى الذهبى فى شعر سقط الزند واللزوم ٣١٨ : ٤ — ٦

بيت أوصى أن يكتب على قبره ١٨٤ : ١٢ — ١٣ / ٢٠٠ : ١٧ — ١٨ / ٢٠٨ : ٨ — ٩ / ٣٠٨ : ٤ — ٧ / ٣٣٤ : ٧ — ٨ / ٣٤٥ : ٦ — ٧ / ٣٤٨ : ١٢ — ١٣

نقد الزمخشرى بيتا له جاء فى معنى آية ٣٨٣ : ٤ — ١٥

من شعره فى المدح والفخر ٢٢٩ : ١ — ٢٣٣ : ٣ / ٢٧٧ : ٤ — ٢٧٨ : ١٩ / ٣٦٣ : ١٠ — ٣٦٥ : ٩

من شعره فى الغزل ٩٦ : ١٢ — ٩٧ : ١ / ٢٢٧ : ١٤ — ٢٢٨ : ١٩ / ٢٧٦ : ١ — ٢٧٧ : ٣ / ٣٤١ : ٧ — ١٣ / ٣٦٣ : ١٠ — ١٤

موازنة الصفدى بين شعر له وآخر للطغرائى ٤٠٧ : ١ — ٦

من شعره فى الوصف ٢٤٠ : ١٦ — ٢٤٨ : ١٣

من شعره فى وصف الناقة ٣٦٢ : ١١ — ١٣

من شعره فى البديع ٢٨٩ : ١٦ ـ ٢٨٠ : ٦
من شعره فى الحكم ٢٣٧ : ١٧ ـ ٢٤٠ : ١٥
من شعره فى الزهد ٧٨ : ٥ ـ ١٢
من شعره الدال على تشيعه ٣٥٣ : ١ ـ ١١

نـــثره

كتابه إلى أهل المعرة ٩١ : ١٣ ـ ٩٢ : ٢٠
كتابه إلى خاله على بن سبيكة ٨٣ : ٥ ـ ٩١ : ١٢
كتابه إلى المشرف بن سبيكة ٩٣ : ١ ـ ٤ ٩ : ١٧
كتابه إلى أبي عمرو الإستراباذى ٩٥ : ١ ـ ٩٦ : ١١
بينه و بين ابن أبي عمران ١١٨ : ٧ ـ ١٣٩ : ٥
من نثره ١٥٥ : ٣ ـ ١٥٦ : ٢/٥٧٠ : ٩ ـ ٥٧٤ : ١٣
رسالته إلى أبي نصر صدقة ٢٥٢ : ١ ـ ٢٥٦ : ٣
من رسالة المنيح ٢٥٦ : ٥ ـ ٢٦٢ : ٦
تأثر ابن الحريرى له واقتباسه منه فى إحدى مقاماته ٣٨٤ : ٤ ـ ٦
كتابه إلى البغداديين من المعرة ٥٤٦ : ١٣ ـ ٥٤٨ : ٥

مؤلفـاته

فهرست كتبه ٣٨ : ٦ ـ ٥٠ : ٤/١٠١ : ٢ ـ ١١٢ : ٣/
٢٠١ : ٤ ـ ٢٠٤ : ١٠/٢٧٤ : ٥ ـ ٢٧٥ : ١١/
٥٢٧ : ١٠ ـ ٥٤١ : ٢٢
بعض كتبه ٧ : ١٢/١٣ : ٩٦/١٦ : ٧ ـ ٨/٢١ :
٥ ـ ١٣/٢٩ : ١٧/١٥١ : ١٠/١٥٤ : ١٢ ـ ١٥/
١٨٢ : ١٢ ـ ١٦/١٨٣ : ١١ ـ ١٨ ١٨٩ : ٧ ـ
١١ ٢٠٦ : ١٢ ـ ٢٠٧ : ٤ ١٠ ـ ١٧ /
٢٢٣ : ٣ ـ ٧/٢٩٧ : ١٠ ـ ١٣/٢٩٨ : ١١ ـ
١٦/٣٠٧ : ١٦ ـ ١٨/٣٢٠ : ٢ ـ ٥/٣٣٠ : ١٠ ـ
١١ ٣٣٤ : ١ ـ ٥/٣٤٦ : ١٢ ـ ٣٤٧ : ٣ ،
٥ ـ ١٨/٣٥٢ : ١ ـ ٤ ٧ ـ ١٤ ٣١٨ : ٦/
٤٢٥ : ١٨ ـ ٤٢٦ : ٢ ٤٥٣ : ٣ ـ ٤٥٤ : ٥
لابن سنان فى الفصول والغايات ٤٢٦ : ١٢ ـ ٢٠
رأى ناصر خسرو فى الفصول والغايات ٤٦٣ : ٣ ـ ٥
رأى الباخرزى فى سقط الزند ٩ : ١ ـ ٣
رأى ابن الجوزى فى كتبه ٢١ : ٥ ـ ١٢/٣٠٤ : ٨ ـ ١٠/
٣٢٢ : ١١ ـ ٣٢٥ : ٧
رأى أبي الفداء فى كتبه ١٨٧ : ١
كلام ابن كثير فى كتبه ٣٠٤ : ١
تعريف ابن خير ببعض كتبه ٣٨٥ : ٤ ـ ٣٨٦ : ١٩

كتابه

تقرمنهم ٣٢ : ٨ ـ ١٢/١٥٥ : ٢١/٥٢٤ : ١١/
٥٢٧ : ٧

تلامـــذته

التنوخى ٥ : ٧ ـ ٨/١٦ : ٩/٢٨ : ٣ ـ ٤
التبريزى ١٧ ـ ٣/٣٥٢ : ١٥ ـ ١٧
أبو سعيد الرستمى وقيادته المعرى إلى مجلس الخليفة ٤٦٦ :
٨ ـ ١٧
تقرمنهم ١٣ : ١٠ ـ ١٢/١٨٣ : ١ ـ ٢/٢٠٥ : ١ ـ ٤/
٢٠٧ : ٥ ـ ٢٧٣٦ : ١٦ ـ ٢٧٤ : ٢/٢٩٧ :
١٤ ـ ١٥/٣٠٨ : ٢ ـ ٣/٣١٥ : ١ ـ ٣/٣٢٠ :
٦ ـ ٧/٢٣٢ : ١٠ ـ ١١/٣٤٧ : ٤
نصر بن صدقة القابسى ٤١٧ : ٨ ـ ١٢
ثبت بأسماء الذين رحلوا إليه وأخذوا عنه ٥١٧ : ١١ ـ
٥٢١ : ٤
شيوخهم ٤٦٣ : ٦ ـ ٩

زهـــده

مأكله وملبسه ٧ : ١١، ١٣ ١٣ : ٦، ٨/١٩ : ٣ ـ ٥/٢٩ :
١٦/٣١ : ٤ ـ ١٠/٣٦ : ١٣ ـ ٣٧/٣ : ٧٦ ـ ١٨ ـ
٧٧ : ٤/١٤٤ : ٧ ـ ٩ ١٨٦ : ١٢ ـ ١٤/١٩٠ :
١٢ ـ ١٧/١٩٢ : ١٧، ١٨/٢٠٨ : ٢/٢٧٤ :
٣ ـ ٤/٣٠٤ : ١ ـ ٢/٣١٢ : ٣ ـ ٥/٣١٥ : ١٢ ـ
١٤/٣٢١ : ٤ ـ ١٠/٣٤١ : ٥/٣٤٩ : ١١ ـ ١٢/
٣٥٨ : ٤ ـ ٦

امتناعه من الطعم وسببه ١٧ : ١٢ ــ ١٥/١٩ : ٦ ــ
١٢/٦٣ : ٥ــ٦٤ : ٢/٧٧ : ٥ ــ ٨، ٩ــ١٠/
١٥١ : ١١ــ١٥٢ : ٢/١٨٤ : ٢ــ٥/١٩١ : ٤ــ
٥/٢٧٢ : ٦١/٢٩٩ : ١١ ــ ١٤/٣٠٨ : ٣ /
٣٠٩ : ٩ــ١٠/٣١٢ : ١٢ــ١٣/٣١٥ : ١٥ــ
١٧/٣١٦ : ١ــ١٦/٣٢٦ : ٤ــ٥/٣٣٨ : ٣ــ
٩٦٤ : ١١/٣٤٨ : ٥ــ٧/٥٦٩ : ١ــ١٢

اعتقاده

بينه و بين التبريزى فى معتقده ١٩ : ١٣ــ١٤/٧٧ : ١١ــ
١٣/١٤٤ : ١٠ــ ١١/٢٦٨ : ١٢ــ١٤/٢٨٩ :
١ ــ ٣/٣٢٥ : ١٨ ــ ١٩/٣٣٨ : ١٧ ــ ١٩
بينه و بين التبريزى فى معنى شعر له ١٩٥ : ٤ ــ ٩/٣١٤ :
٦ ــ ١٠
رميه بالإلحاد وسببه ٣٠ : ١
رأى ابن الجوزى فيه ١٩ : ١٥ ــ ١٨/١٤٤ : ١٢ ــ
١٥/٣٠٤ : ١٢/٩٣٠ : ٥ــ ١٢/٤١٠ : ٤ ــ٧
رأى أبى الوفاء بن عقيل فيه ٢٠ : ١ ــ ٢١ : ٤/١٤٤ :
١٦ ــ ١٤٥ : ٥/٣٠٤ : ٤ــ ٧/٣٢٢ : ٧ــ١٠
قصة عمارة جامع دمشق ٥٣ : ١٦ ــ ٥٤ : ١٦
رؤيا ابن نبهان ٢٦ : ٣ ــ ٥/٦٤ : ٣ ــ ١٠/١٥٢ :
٣ ــ ٩/١٩٦ : ٧ ــ ١١/٣٠٧ : ١٣ ــ ١٥/
٣٢٨ : ٨ ــ ١٩/٣٤٤ : ١٤ ــ ١٨
رؤيا القفطى ٥٢ : ٦ ــ ٥٣ : ٨
رأى السلفى فيه ١٩٥ : ١٢ــ ١٣/١٩٨ : ٨/٢٠٠ : ٥/
٢٦٨ : ١٦/٢٨٩ : ٥/٣١٣ : ٥ ــ ٣١٤ : ٢/
٣١٤ : ١١ ــ ١٤/٣٣٣ : ١٣ ــ ١٤/٣٣٩ :
١٢ ــ ٣٤٠ : ١١/٣٥٥ : ٥ــ٣٥٦ : ٣
هو وراهب دير الفاروس ٣٠ : ١٣ ــ ٣١ ــ ٣/٣٠٣ :
٣ ــ ٤
بين عبد السلام القزوينى و بينه فى تركه الهجاء ٧٧ : ١٤ــ
١٥/١٤٢ : ٨ــ٩/٢٦٨ : ٦ ــ ٨/٢٨٨ : ١٢ــ
١٤/٣١٥ : ٧ ــ ٨/٣٣٨ : ١٢ ــ ١٣

رأى أبى اليسر المعرى فيه ١٠٠ : ٦ ــ ١٦/٢٧٠ : ٣ ــ
١٤/٣٤٠ : ١٤ ــ ١٩
رأى ابن الأثير فيه ١٤٢ : ٦ ــ ٧
رأى ابن الصابى فيه ١٤٥ : ٦ ــ ٨/١٩٢ : ١٥ ــ ١٦
رأى أبى الفداء فيه ١٨٧ : ٢
بينه و بين السروجى ١٩٩ : ٦ــ٢٠٠ : ٥/٣١٣ : ١٤ــ
٣١٤ : ٢/٣٣٩ : ١٢ــ٣٤٠ : ١١/٣٥٥ : ٥ــ
٣٥٦ : ٣
رأى ابن الوردى فيه ٢١١ : ١ــ٢١٢ : ٤/٢١٥ : ٤ــ
٢١٦ : ٩
رأى الذهبى فيه ١٨٩ : ٤ــ٦/٢٦٨ : ١٥/٢٨٩ : ٤ ــ
٥/٣١١ : ٦/٣٢٩ : ٩ــ١٠/٣٣٣ : ١٣
رأى الرازى فيه ٢٦٧ : ١٧ــ٢٦٨ : ٣/٣٣٧ : ١٥ــ١٩
رأى ياقوت فيه ٢٦٨ : ٤ــ٥/٢٨٨ : ١٠ــ١١/٣٣٣ :
٧ــ٨/٣٣٨ : ١ــ٢
رأى الصفدى فيه ٢٧٠ : ١٥ــ١٨/٢٧١ : ٥ــ١١/
٢٩٠ : ١٧ ــ ٢٠/٢٩١ : ٥ــ١٢/٣٣٩ : ٥ــ
١١/٣٤١ : ١ــ٤
رأى ابن الزملكانى فيه ٢٧١ : ١ــ٢/٢٩١ : ١ــ٢/
٣٣٩ : ١ــ٢
رأى ابن دقيق العيد فيه ٢٧١ : ٣ ــ ٤/٢٩١ : ٣ ــ ٤/
٣٣٩ : ٣ــ٤
رأى الباخرزى فيه ٨ : ٧ ــ ١٢/٥٥ : ٤ــ١٠/١٩٢ :
١٠ــ١٣/١٦٩ : ٣ ــ ١٠/٢٨٩ : ٩ ــ ١٤/
٤٢٦ : ٥ــ١١
رأى ابن كثير فيه ٣٠٤ : ١ ــ ٣/٣٠٨ : ٨ ــ ١٠/
٣٢٥ : ١٣ــ١٧
رأى ابن الشحنة فيه ٣٠٩ : ١١ــ١٢
رأى العينى فيه ٣١٩ : ١١/٣٢٢ : ٣ــ٦
رأى بعضهم فيه ٣٢٨ : ١ ــ ٦/٣٣٠ : ٥ ــ ٩/
٣٣٧ : ١٣ــ١٤
رأى العباس المكى فيه ٣٥٥ : ١ــ٤
هو وداعى الدعاة ٣٨٧ : ٤ــ٣٨٨ : ٤
رأى زكريا القزوينى فيه ٤١٩ : ٧ــ٨/٤٢٠ : ١ــ٦
رأى الفيروزابادى فيه ٤١٩ : ٩ــ١٤

عموم أوصافه وفضائله

الخطيب البغدادى ٥ : ٤–٦/٢٨ : ١–٢
الباخرزى ٨ : ٤–٦/٥٥ : ١– ١٠/١٩٢ : ٨–١٠
٤–١ : ٢٦٩
ياقوت ٦٧ : ١١–١٣
المصيصى ٣ : ٧–٤ : ٨/٧٩ : ٧–١١/٢٦٥ : ١٤–
١٨/٢٨٦ : ١٥–١٩/٣٣٦ : ١–٣
ابن غريب الإيادى ٣٣ : ١ – ٨/١٨٣ : ٧ – ١٠ /
٢٦٥ : ١٠ – ١٣/٢٨٦ : ١١–١٤/٣٢٠ :
١١–١٤//٣٣٥ : ١٠–١٣/٣٤٧ : ٩–١٢
الذهبي ١٨٩ : ٤–٦/١٩٠ : ١/٣١١ : ٩/٣٢٩ : ١٠
السمعانى ١٣ : ٣–٤/١٥ : ٣–٥
ابن الأنبارى ١٦ : ٤–٦
غرس النعمة ٢٩٢ : ١٤–١٦
العمرى ٢١٧ : ٤–٢١٩ : ٥
العينى ٣٢١ : ١١
ابن خلكان ٣٠٨ : ١١–١٢/٣٢٠ : ١–٧/٣٤٦ :
٩–١٠
اليافعى ٢٩٧ : ٤–٧
ابن الشحنة ٣٠٩ : ٧
السلفى ٢٠٠ : ٨–١١/٣١٤ : ١٥–١٦
سبط ابن الجوزى ٣٢٧ : ٦–٩
السيوطى ٣٣١ : ٧–٨
ابن العماد ٣٤٦ : ٥–٧
العباس المكى ٣٥١ : ٤–١١/٣٥٤ : ١–٤
ابن العديم ٢١٩ : ١٠–٢٢١ : ١٣/٣٣٣ : ١٤–١٩/
٤٨٤ : ٥–٤٨٦ : ٤

منزلتـــه

بعض ما ألف فيه ٢١٠ : ١٤–١٩
بعض ما وصف به ٢٠٨ : ١–٢/٢٢٢ : ١٣–٢٢٣ :
٢/٢٢٧ : ١١–١٣/٢٩٩ : ٩–١٠/٣٣٦ : ٤/

٣٩٧ : ١١–٣٩٨ : ٦/٤٠١ : ١–٩/٤٠٨ :
١٢–١٣/٤١٧ : ٥–٦/٤٢١ : ٥–١٢/٥٤٨ :
٦–٥٥٠ : ٢٠
شفاعته لأهل المعرة عند صالح بن مرداس ٣٥ : ١–٣٦ :
٨/١٤٠ : ٦–١٤١ : ١٨/١٩١ : ٧–١٤/
٢٧٣ : ٨–١٥/٣١٢ : ١٤–١٥/٥٦٦ : ٤–
٥٦٨ : ١٩
ثناء الدارمى عليه ٤٢٢ : ٢–٨
تبجيل أبى شجاع له ٥٦٥ : ١٦–١٩
تبجيل أنوشتكين له ٥٦٦ : ١–٣
ثناء أبى الفرج الكاتب عليه ٥٧٥ : ١٤–٥٧٦ : ٦
معارضة ابن غلندة له فى لزومياته ٣٩٦ : ٤–٨
معارضة المغاربة له ومختارات من كلامه ٤٣٩ : ٢–٤٥٣ :
٢/٤٥٤ : ٦–٤٥٧ : ٩
معارضة الكلاعى له ٤٢٤ : ٩–١٩

ما قيل فى هجائه

أبو جعفر البجائى ٨ : ١٠–١٢/٥٥ : ٧–١٠/٢٦٩ :
٧–١٠/٢٨٩ : ١٢–١٤/٣٤٤ : ٦–٩/٤٢٦ :
٩–١١

رثاؤه

ما قيل فى رثائه ٧٧ : ١٦–١٧ / ١٥٢ : ١١–١٢ /
٢٠٠–١٠/٣١٤ : ٣–٥/٣٤٠ : ١١–١٣
رثاء ابن همام له ٢٥ : ١٣ / ٢٦ : ٢/٧٧ : ٧٧–٧٨ :
٤/١٥٢ : ١٢–١٣/١٨٥ : ١–٦ / ٢٠٥ : ٧–
١٠/٢٠٨ : ١٠–١٤/٢٧٢ : ٧–١٠ / ٢٩٦ :
٣–٦/٣٠٠ : ٨–١٠/٣٠٧ : ٨–١٠ /٣١٥ :
٩–١١/٣٢٧ : ١٠–١٣/٣٣٨ : ٤–٨
رثاء ابن نوت له ٢٨٤ : ٧–١١/٢٩٦ : ٧–١١
رثاء ابن أبى حصينة له ٢٠٩ : ٨–٢١٠ : ١٣
شعر لابن القيسرانى حين مرّ على قبره ٤٠٣ : ٤–٨

(قناعتـــه)

زهده فيما عرض عليه المستنصر ٢٦٩ : ١١ ــ ٢٧٠ : ٢/ ٢٨٩ : ١٥ــ٢٩٠ : ٤/٥٦٥ : ٧ــ١٤/٥٧٨ : ١١ : ١٥

رفضه الذهاب إلى مصر ٥٧٧ : ١٦ــ٥٧٨ : ٢

لأبى اليسر فى ذلك ٥٧٨ : ٣ــ١٠

تعففه عن المديح ٣١٢ : ٦/٥٧٧ : ٤ــ١٥

(جوده)

دخله وما كان يجريه على المتصلين به ٥٧٥ : ٤ــ١٣

رده وديعة التبريزى وقصة ذلك ٥٧٦ : ٧ــ٢٠

حاله مع تلامذته ١٩٢ : ٦ــ٧

(عاداته)

استتاره فى أكله ٣٠٣ : ٥ــ٦/٣١٢ : ١٦/٣٢١ : ١٠

(قـــبره)

وصف القفطى له ٥٣ : ٩ ــ ١٥/٢٠٤ : ١١ ــ ١٦/ ٣٤٥ : ١ــ٣

وصف الذهبى له ٣٤٥ : ٤ــ٥

كلمة عن قبره ١٨٥ : ٧ــ٨

فهرس تصانيف أبى العلاء

(ا)

أدب العصفورين ٤٨ : ٨/١١٠ : ١٢/٥٣٤ : ١٧
الاستغفار ٣٩٧ : ٥/٤٥٤ : ١ (وانظر : استغفروا استغفرى)
استغفروا استغفرى ٤٧ : ١٠/٥٠ : ١/٥٤ : ١٤/١١١ :
١٢/١٥٤ : ١٢/٢٠٣ : ١٧/٢١١ : ١/٢٧٠ :
١٧/٢٧٤ : ١٣/٢٩٠ : ١٨/٣١٨ : ٥/٣٤١ :
٢/٣٩٧ : ٢٢/٥٣٨ : ٦ (وانظر الاستغفار) .
إسعاف الصديق ٤٦ : ١٣/٤٩ : ٨/٤٩ : ١٧/١٠٨ :
١٢/٢٠٣ : ١٢/٢٧٥ : ٨/٥٤٠ : ٣
الإقليد ٥٠ : ٤ (وانظر إقليد الغايات)
إقليد الغايات ٣٩ : ١٠/١٠٢ : ٦/٢٠١ : ١٤/
٢٧٤ : ٦/٥٢٧ : ١٨/٥٥٧ : ١٧ (وانظر الإقليد)
الأمالى ٢٠٤ : ٩/٢٧٥ : ٦
أمالى من حديث الرسول ٥٤١ : ١٥
الأيك والغصون ٣٩ : ١٢/٤٩ : ٥/٧٠٢ : ٨/
١٥٤ : ١٥/١٨٢ : ١٤/١٦/٢٠١ : ١٥/
٢٠٤ : ١٨/٢٠٧ : ١/٤٠٤/٢٧٤ : ٧/٢٩٧ :
١٢/١٣/٣٠٧ : ١٨/٣٢٠ : ٥/٣٤٧ : ٣/
٣٥٢ : ٨/٥٢٧ : ١٩/٥٢٨ : ٢/٧٠٢

(ب)

بحر الزجر = نجر الزجر .
بعض فضائل أمير المؤمنين ٤٨ : ٧/١١٠ : ١١ (وانظر
فضائل أمير المؤمنين)

(ت)

تفسير شعر أبى تمام ٢٠٣ : ٨
تاج الحرة ٤٠ : ١٠/١٠٤ : ٣٠/٢٠١ : ١٧/٢٧٤ :
٩/٥٢٩ : ١٠
ترسيل أبى العلاء ٣٨٦ : ٦
تضمين الآى ١٠٣ : ١/٢٧٥ : ٧/٥٢٩ : ١
تظام السور ٤٣ : ١١/١١١ : ٩/٢٧٥ : ١٠/٥٣١ : ١٠
تعليق الجليس ١٠٨ : ١٠ (وانظر تعليق الخلس)
تعليق الخلس ٢٠٣ : ١١ (وانظر تغليق الخلس)
تغليق الخلس ٤٦ : ١١/٥٤٠ : ١
تفسير أمثلة سيبويه وغريبه ٥٤٠ : ٩
تفسير خطبة الفصيح ٤١ : ٩ — ١٠/١٠٩ : ٨/٥٣٠ : ١٣
تفسير رسالة الإغريض ٥٢٤ : ١٠
تفسير رسالة الغفران ٥٣٤ : ٩
تفسير شواهد الجمهرة ٥٤١ : ١٧
تفسير الهمزة والردف ١٠٣ : ١١/٢٧٥ : ٧/٥٢٨ : ١٦

(ج)

جامع الأوزان ٥٣٧ : ١٠ (وانظر جامع الأوزان الخمسة)
جامع الأوزان الخمسة ٤٤ : ٢/٤٩ : ١٤ (وانظر جامع
الأوزان والقوافى)
جامع الأوزان والقوافى ٤٤ : ١٩/١٠٦ : ٥/٢٠٢ :
١٣/٢٧٤ : ١٢/٤٥٤ : ٢
الجلى والجلى ١٠٦ : ١/٥٣١ : ١٣ (وانظر الجلى والحلى)
الجلى والحلى ٤٣ : ١٢
الجمل ٥٣٩ : ١٦/٥٤٠ : ٢

(ح)

حرز الخيل ٥٣١ : ٦ (وانظر دعاء وحرز الخيل)
حرز وتعويذ ٥٣١ : ٦
الحقير النافع ٤٧ : ١/٥٠ : ١/١٠٨ : ١٥/٢٠٣ :
١٤/٢٧٥ : ٣/٣٣٤ : ٤/٥٣٨ : ١٢
الحلى والحلى ٢٠٢ : ١١/٢٧٤ : ١١ (وانظر الجلى)
حماسة الراح = خماسة الراح

(خ)

خادم الرسائل ٣٩ : ٢١/٤٨ : ٣/١١١ : ٧/٢٠٤ : ١/٥٣٤ : ٧

الخطب ١٠٣ : ٢٠/٢٠١ : ١٨

خطب ختم القرآن العزيز ٥٣٠ : ٤

خطب الخيل ٤١ : ٥/١٠٩ : ٥/٢٠١ : ١٩/٢٧٤ : ٨/٥٣٠ : ٦

خطبة الفصيح ٤١ : ٧/١٠٩ : ٦/٢٠١ : ٢٠/٢٧٤ : ٨/٣٨٥ : ٥/٣١٦ : ٨/٤٤٣ : ٢/٤٤٥ : ١٢/٤٤٦ : ٢/٤٤٩ : ٧/٤٥٣ : ١٢/٥٣٠ : ١٠

خماسية الراح ٤٣ : ٢/٤٩ : ١٣ ، ١٤/١٠٩ : ١٣/٢٠٢ : ٨/٢٧٤ : ١١/٥٣٠ : ١٦

(د)

دعاء الأيام السبعة ٤٨ : ٥/١١٠ : ٩/٢٧٥ : ٩/٥٣١ : ٥

دعاء ساعة ٤٨ : ٤/١٠٤ : ٨/٢٧٥ : ٨/٥٣١ : ٤

دعاء وحرز الخيل ١٠٤ : ١ (انظر حرز الخيل)

ديوان الرسائل ٤٧ : ١٢/١٠٩ : ١٩/١١١ : ١/٢٠٣ : ١٩/٢٧٥ : ٤/٥٣٣ : ١٠

(ذ)

ذكرى حبيب ٣٧ : ١٢ ، ١٥/٤٦ : ٤/٤٩ : ١٧/١٠٧ : ١٣/١٨٣ : ١٥/٢٠٣ : ٧/٢٠٧ : ١٤/٢٧٥ : ٢/٣٣٤ : ٢/٣٤٧ : ١٥/٣٥٢ : ١٣/٣٧٥ : ٥/٤٥٤ : ٣/٥٤١ : ١

(ر)

الراحلة ١١١ : ١١ (وانظر راحة اللزوم).

راحة اللزوم ٤٢ : ١٢/١٠٩ : ١١/٢٠٢ : ٥/٢٧٤ : ١٠/٥٣٧ : ٨

رسالة الإغريض ٤٨ : ١/٥٠ : ٤/١١١ : ٤/٤٤٣ : ١٢/٤٤٧ : ١٦/٤٥٣ : ١٥/٥٣٤ : ٤/٥٥٧ : ١٧ (وانظر الرسالة الإغريضية)

الرسالة الإغريضية ٣٧٠ : ١٠ ، ١٩/٣٨٦ : ٧

رسالة تعزية إلى بعض الحلبيين ٥٠ : ٣

رسالة الجن ٤٥٣ : ١٤

الرسالة الحضية ١١١ : ١٤/٢٧٥ : ٢١/٥٣٤ : ١٥ (وانظر الرسالة الحظية)

الرسالة الحظية = ٢٧٥ : ١١

الرسالة السندية ٥٠ : ٣/١١١ : ٢/٥٣٤ : ١

الرسالة السنية ٤٧ : ١٣

رسالة الصاهل والشاحج ٤٥ : ٥/٢٠٢ : ١٦/٣٨٦ : ٨/٥٣١ : ١٨

رسالة الضبعين ٢٢٣ : ٣

رسالة الطير ١٨٩ : ٩

رسالة على لسان ملك الموت ٤٨ : ٦/١١٠ : ١٠/٢٧٥ : ١٠/٥٣٤ : ١٦

رسالة العصفورين ٤٨ : ٨/٢٠٤ : ٣/٢٧٥ : ٤

رسالة العرض ٥٣٤ : ٢ (وانظر رسالة الغرض)

رسالة الغرض ٤٧ : ١٤ (وانظر رسالة الفرض)

رسالة الفرض ٤٧ : ٢٣/١١١ : ٣

رسالة الغفران ٤٧ : ١٣/٥٠ : ٢/١٠٩ : ٤/١١١ : ٣/١١٣ : ٩/١٥٤ : ١٣/١٨٩ : ٧/٢٧٥ : ٦/٤٠٥ : ٥/٤٥٣ : ١٤/٥٣٣ : ١٠

الرسالة الفلاحية ٤٨٦ : ٧

رسالة المعونة ٤٦ : ٣/٢٠٣ : ٦/٢٧٥ : ٢ (وانظر رسائل المعونة).

رسالة الملائكة ٤٧ : ١٣/٥٠ : ٤/١١١ : ٢/١٥٤ : ١٣/١٨٩ : ٩/٢٧٥ : ٦/٥٣٣ : ١٠

رسالة المنبح ٤٧ : ١٤/٥٠ : ٤/١١١ : ٤/٢٥٦ : ٥/٤٥٣ : ١٥/٥٣٤ : ٤

رسالة النكاح ٣ : ٤٥ : ١٥
الرسائل الطوال ٩ : ١٠ : ٤/١١١ : ١
رسائل قصار ١١١ : ٥/٥٣٤ : ٥
رسائل المعونة ١١١ : ١٥/٥٣٤ : ١٣ (وانظر رسائل المعونه)
رسيل الراموز ٤١ : ١١/١٠٩ : ١٠/٢٠٢ : ١/٢٧٤
: ٩/٥٣٠ : ١ :
الرياشى = الرياشى المصطنعى .
الرياش المصطنعى = الرياشى المصطنعى .
الرياشى المصطنعى ٤٦ : ٩/٤٩ : ١٧/١٠٨ : ١/
٢٠٣ : ١٠/٢٧٥ ، ٨ : ٢١/٥٤١ : ٨

(ز)

زجر النابح ٤٢ : ١٠/٤٩ : ١٣/١٠٥ : ١١ ، ١٥/
١٥٤ : ١٣/٢٠٢ : ٣/٢٢١ : ١/ ٢٧٤ : ١٠/
٤٨٥ : ١٢/٥٣٧ : ١

(س)

السادن ٣٩ : ٩/٥٠ : ٤/١٠٢ : ٤/٢٠١ : ١٢/
٢٧٤ : ٦/٥٢٧ : ١٦/٥٥٧ : ١٧
سجع الحمائم ٤٤ : ١/١٠٤ : ١٠/٢٠٢ : ١٢/٢٧٤ :
١٢/٥٣١ : ٧
السجع السلطانى ٤٥ : ١٤/٤٩ : ١٦/٥٠ : ٢/١٠٧ :
٦/١٥٤ : ١٤/٢٠٣ : ٣/٢٧٥ : ١/٤٤٠ :
١٢/ ٤٤١ : ٤/٤٥٣ : ١٢/٥٣٣ : ٤/٥٥٧ :
١٦
سجع الفقيه ٤٥ : ١٦/٤٩ : ١٧/١٠٧ : ١٠/٢٠٣ :
٤/٢٧٥ : ١/٥٣٣ : ٧
سجع المضطرين ٤٦ : ١/١٠٧ : ١١/٢٠٣ : ٥/٢٧٥ :
١/٥٣٣ : ٨
السجعات العشر ٤٨ : ٩/١١٠ : ١٣/٢٠٤ : ٤/٢٧٥ :
٥/٥٣٤ : ١٨
سقط الزند ٩ : ١/١٣ : ٩/١٦ : ٧/٤٥ : ١/٤٩ :
١٥/١٠٦ : ٤/١٠١ : ٣/١٥٤ : ١٤/١٨٢ :
١٣/ ١٨٩ : ١٠/ ١٩٠ : ١٩/ ٢٠٢ : ١٥/
٢٠٦ : ١٣/٢٧١ : ٥/٢٧٤ : ٤ ، ١٣/٢٩١ :
٥/٢٩٧ : ١١/٣١٢ : ٧/٣١٨ : ٤/٣٢٠ : ٤/
٣٣٠ : ٩ ، ١٠/٣٣٤ : ٣/٣٤١ : ٣/٣٤٧ : ٦ :
٢/٣٥٢ : ١١/٣٨٥ : ١٢ ، ١٣/٤١٧ : ١٠/
٤٤٢ : ٦/٤٤٥ : ١٠/٤٥٣ : ١٦/٤٧٧ : ٧/
٥١٣ : ١٢ ، ٥٤٣ : ١/٥٣٥ : ١ ، ٥ ، ١١/
٥٥١ : ٨ ، ٥٧٧ : ٥ .
سيف الخطب ٤٠ : ١٢/١٠٣ : ٠ ٢ (وانظر سيف الخطبة)
سيف الخطبة ٤٠ : ٢١/١٠٣ : ١٢/٥٢٩ : ١٦ (وانظر
سيف الخطب) .
سيف الخطيب ٤٠ : ٢٢

(ش)

شرح بعض كتاب سيبويه ٤٨ : ١٥/١١٠ : ١٥/٢٠٤ :
٧/٢٧٥ : ٥/٣٣٤ : ٣/٥٤٠ : ٨
شرح خطبة أدب الكاتب ٥٤٠ : ١١
شرح الرسالة الإغريضية : ٣٨٦ : ٧
شرح السيرافى ٩٣ : ٢/٩٥ : ١ ، ١٥
شرح سيبويه = شرح بعض كتاب سيبويه .
شرح شعر الأمير أبى الفتح بن أبى حصينة السلمى ٥٤١ : ٢٠
شرح شعر البحترى ٣٣٤ : ١ .
شرح شعر المتنبي ٣٣٤ : ١ (وانظر اللامع العزيزى) .
شرح شواهد الجمل ٣٣٤ : ٢
شرح كتاب سيبويه = شرح بعض كتاب سيبويه .
شرح اللزوم ١٠٥ : ١٤ (وانظر راحة اللزوم) .
شرف السيف ٤٨ : ١٣/١٠٨ : ٧/٢٠٤ : ٦/٢٧٥ :
٥/٥٣٣ : ١/٥٦٦ : ٣

(ص)

الصاهل والشاحج ٤٥ : ١٩٦٧/٤٩ : ١٥/١١٠ : ٤/
٢٧٤ : ١٣/٤٢٢ : ١١/ ٤٤٢ : ٤/٤٤٥ : ١١/
٤٥٠ : ٤/٤٥٣ : ١٠/٥٣٢ : ٥/٥٥٧ : ١٦
(وانظر رسالة الصاهل والشاحج)

(ض)

ضوء السقط ٤٥ : ٣/ ١١٠ : ٣/ ١٨٢ : ١٣/ ٢٠٦ : ١٣/ ٢١١ : ٨/ ٢٧٥ : ٩/ ٢٩٧ : ١١/ ٣٢٠ : ٤/ ٣٣٠ : ١١/ ٣٣٤ : ٤/ ٣٤٧ : ٢/ ٣٥٢ : ١٢/ ٣٨٥ : ١٢/ ٤٥٣ : ١٧/ ٥٣٥ : ٥، ٩، ١١

الطل الطاهرى ١٠٨ : ١٦ (وانظر: الظل الطاهرى)

(ظ)

الظل الطاهرى ٤٧ : ٢/ ٥٠ : ١/ ٢٧٥ : ٩/ ٥٣٨ : ١٤ (وانظر الطل الطاهرى)

ظهير العضدى ١١٠ : ١٨/ ٢٧٥ : ١٠/ ٣٣٤ : ٢/ ٥٤٠ : ٦

(ع)

عبث الوليد ٤٦ : ٦/ ٤٩ : ١٧/ ١٠٧ : ١٧/ ١٨٣ : ١٦/ ٢٠٣ : ٩/ ٢٠٧ : ١٥/ ٣٤٧ : ١٦/ ٣٥٢ : ١٤/ ٥٤١ : ٣

عظات السور ١١١ : ١٠/ ٢٧٥ : ١٠/ ٥٣١ : ١٢

عون الجمل ٤٨ : ١١/ ١١٠ : ١٦/ ٢٠٤ : ٥/ ٢٧٥ : ٥/ ٥٣٩ : ١٥

(غ)

غريب ما فى جامع الأوزان والقوافى ٢٠٢ : ١٤/ ٢٧٤ : ١٢

(ف)

الفصول ٤٠ : ٨/ ٥٥٧ : ١٦

الفصول والغايات ٨ : ٨/ ٢١ : ٥/ ٣٨ : ١٧/ ٥٥ : ٦/ ٦٣ : ٣/ ١٠١ : ١٣/ ١٥١ : ١٠/ ١٩٢ : ١٢/ ١٩٥ : ١٤/ ٢٠١ : ١٠/ ٢٦٩ : ٥/ ٢٧٤ : ٦/ ٢٨٩ : ١٠/ ٣٠٤ : ٨/ ٣١٤ : ١٢/ ٤٢٥ : ١٩/ ٤٥٣ : ١١/ ٤٦٢ : ٣/ ٤٦٣ : ٣/ ٥٢٧ : ١١

فضائل أمير المؤمنين ٥٤١ : ١٣ (وانظر بعض فضائل أمير المؤمنين، مناقب على).

(ق)

قاضى الحق ٤٦ : ١٥/ ٤٩ : ٨، ٩/ ٥٠ : ١/ ١٠٨ : ١٣/ ٢٠٣ : ١٣/ ٢٧٥ : ٣/ ٥٤٠ : ٥

القـائف ٤٥ : ٩/ ٤٩ : ١٦/ ١١٠ : ٢٠/ ٢٠٣ : ١/ ٢٧٤ : ١٤/ ٤١٧ : ٢٣/ ٤٥١ : ٥/ ٤٥٣ : ٣، ١٤، ١٠/ ٥٣٢ : ١٠

(ك)

كتاب فى القوافى ٥٤٠ : ١٥

كتاب يتصل بشعر البحترى = عبث الوليد

(ل)

اللامع العزيزى ٣٦ : ٩/ ٤٧ : ٦، ١٩، ٥٠ : ١/ ١١١ : ١٧/ ١١٢ : ١٦/ ١٥٤ : ١٤/ ١٨٣ : ١١/ ٢٠٣ : ١٦/ ٢٠٧ : ١٠/ ٢٧٥ : ٤، ١٦، ١٧/ ٢٩٨ : ١١/ ٣٥٢ : ١/ ٥٣٢ : ٨/ ٥٤٠ : ١٦

لزوم ما لا يلزم ١٦ : ٧/ ٢١ : ١٣/ ٤١ : ١٢/ ٤٢ : ١٢/ ٤٩ : ١٣/ ٨٢ : ٣، ١٠٤ : ١٤/ ١٠٥ : ١١، ١٢/ ١٠٩ : ١١/ ١١١ : ١١/ ١١٢ : ٦/ ١١٤ : ٥/ ١٢٨ : ٩/ ١٥٤ : ١٢/ ١٨٢ : ١٢/ ١٨٤ : ٨/ ١٨٩ : ١١/ ٢٠٢ : ٢/ ٢٠٦ : ١٢/ ٢١١ : ٢/ ٢٢٣ : ٤/ ٢٤٩ : ٣/ ٢٧٠ : ١٧/ ٢٧١ : ٨/ ٢٧٤ : ١٠، ٩/ ٢٩٠ : ١٨/ ٢٩١ : ٨/ ٢٩٧ : ١٠/ ٣٠٤ : ١١/ ٣١٨ : ٥/ ٣٢٠ : ٣/ ٣٣٤ : ٤، ٩/ ٣٤١ : ٢/ ٣٤٧ : ١/ ٣٤٨ : ٨/ ٣٨٦ : ٦/ ٤٥٤ : ١/ ٥٣٦ : ٥/ ٥٣٧ : ٨

لسان الصاهل والشاجح ٤٥ : ٧/ ٤٩ : ١٥/ ٣٨٦ : ٨/ ٤٥٣ : ١١/ ٥٣٢ : ٥

(م)

مثقال النظم ١١١ : ١٦/ ٢١٥ : ١١/ ٣٣٤ : ٣/ ٥٤٠ : ١٤

مجد الأنصار ١٠٤ : ٢/ ٢٧٥ : ٨

المختصر الفتحى ٤٧ : ٤/ ١٠٩ : ١/ ٢٠٣ : ١٥/ ٢٧٥ : ٣/ ٥٣٩ : ١٣

مختصر محمد بن سعدان ٣٩ : ٥ : ١٣
مختلف الفصول ٤٠ : ١٩ ، ٢٠ / ٢٧٤ : ٧
معانى شعر المتنبي ٤٠ : ٥ : ٢٠
معجز أحمد ١٨٣ : ١٦ / ٢٠٧ : ١٥ / ٢٧٥ : ٢ ، ١٦ ،
١٨ / ٣٤٧ : ١٦ / ٣٥٢ : ١٢
ملق السبيل ٤٣ : ١ / ٤٩ : ١٣ / ١٠٥ : ١٦ / ١٩٩ :
٢٠ ، ٢١ / ٢٠٢ : ٦ / ٢٧٤ : ١٠ / ٣٣٩ : ٢١ ،
٢٢ / ٤٥٥ : ١ ، ٣ ، ١٢ ، ١٤ / ٥٣٨ : ٩
منار القائف ٤٥ : ١٢ / ١١٠ : ٧ / ٢٠٣ : ٢ / ٢٧٤ :
١٤ / ٥٣٢ : ١٤
مناقب على ٢٠٤ : ٢ (وانظر: بعض فضائل أمير المؤمنين
وفضائل أمير المؤمنين) .
مواعظ ٢٠٢ : ٩
مواعظ الست = المواعظ الست .
المواعظ الست ٤٣ : ٦ / ١٠٩ : ١٧ / ٢٠٢ : ٢١ /
٥٣٠ : ٢٠

(ن)

نجم الزجر ٤٢ : ١١ / ١٠٥ : ١٥ / ١٥٤ : ١٣ / ٢٢١ :
٣ / ٢٧٤ : ١٠ / ٤٨٥ : ١٤ / ٥٣٧ : ٤
نشر شواهد الجمهرة ١٠٣ : ١٩ / ٢٧٥ : ٧

نظام السور = نظم السور .

(هـ)

الهمز والردف = الأيك والغصون .

(و)

وقفة الواعظ ٤٣ : ١٠ / ١٠٤ : ٩ / ٢٠٢ : ١٠ / ٢٧٤ :
١١ / ٥٣١ : ٣

فهـــرس الأعـــلام

(أ)

آدم (عليه السلام) ١١٣ : ٧/١٣٠ : ١٥/١٦٥ : ٦/
١٧٩ : ١٠/٢٣٣ : ١٥/٢٧٦ : ١٦/٢٨٢ : ١٩/
٢٩٢ : ٢/٣٤٢ : ٥/٤١٨ : ٧

آلك ١٧١ : ١٠

الآمدى = الحسن بن بشر الآمدى .

ابن آمنة = محمد صلى الله عليه وسلم

ابن الأبار = محمد بن عبد الله القضاعى البلنسى .

إبراهيم (عليه السلام) ٤٩ : ١١/٢٣٤ : ١٤/٢٦٠ : ١/
٤٧٣ : ١٥/٤٧٨ : ١٩

إبراهيم بن أحمد بن الليث الأذرى أبو المظفر ٥١٩ : ٢

إبراهيم بن الحسن البليغ ، ابن أخت الممتع ٥١٨ : ٣

إبراهيم بن خفاجة الأندلسى ٣٦٢ : ٤ ، ١٦/٤١٢ : ٧

إبراهيم بن شاكر بن عبد الله بن محمد المعرّى ٤٩٣ : ١٧/
٤٩٤ : ٩/٤٩٥ : ١٤/٥٠٥ : ٨ ، ١٢/٥٠٦ :
١٤/٥٠٧ : ٧/٥٠٩ : ١٠ ، ١٥/٥٦٦ : ٤/
٥٦٧ : ٣

إبراهيم بن عثمان الكامرى (لقبه الكاشغرى) ٥٣٨ : ١٠ ،
(١٧ـ١٨)

أبو إبراهيم العلوى الحرانى ٥٥٤ : ١٣ ، ١٤/٥٥٧ : ٦

أبو إبراهيم العلوى الموسوى = محمد بن أحمد العلوى .

إبراهيم بن على بن إبراهيم الخطيب ٥١٨ : ٢/٥٢٧ : ٥

إبراهيم بن على بن يوسف الفيروزابادى ٤٠٩ : ٤

إبراهيم بن محمد بن يوسف بن الحجاج بن حبيبة أبو إسحاق
٥٢٣ : ٤

إبراهيم بن أبى اليسر = إبراهيم بن شاكر .

إبليس ١٧٧ : ١٣/٢٢٨ : ٧

أتابك زنكى = زنكى بن آق سنقر .

ابن الأثير (المؤرخ) = على بن محمد بن محمد الجزرى .

ابن الأثير (الوزير) = نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزرى

أثير الدين أبو حيان = محمد بن يوسف .

ابن أحمد = الخليل بن أحمد .

ابن أحمد = محمد بن أحمد العلوى .

أحمد بن الحسين المتنبى ٣٦ : ٩ ، ١٠/٤٧ : ٦/٧٦ : ٤ ،
٥ـ١٠ ، ٧/١٠٠ : ٢/١١١ : ١٧/١٢٥ :
١٣٢ : ١/١٥٤ : ١٤ ، ٢١/١٨٣ : ١١ ، ١٢ ،
١٦/٢٠٣ : ١٦/٢٠٧ : ١٠ ، ١١ ، ١٥/٢٦٧ :
٣ ، ١/٢٧٠ : ٢/٢٧٥ : ٢ـ٤ ، ١٦ـ١٨ /
٢٨٢ : ١٣/٢٨٧ : ١٠ ، ١٢ ، ١٦/٢٩٨ : ١١ ،
١٣/٢٩٩ : ١ ، ٥/٣٠٢ : ١٠ـ١٢ ، ١٦ ،
١٨/٣٣٢ : ١٥ ، ١٦ ، ٢٠/٣٣٣ : ٢/٣٣٤ :
١/٣٣٦ : ٢٠ / ٣٤٤ : ٣/٣٤٧ : ١٣ ، ١٦/
٣٤٩ : ٥/٣٥٢ : ١ ، ٢ ، ١٢/٣٥٤ : ٨ـ١٠/
٣٦١ : ٨/٣٦٩ : ١٦ ، ٢١/٣٧٠ : ٢/٣٩٢ :
١٦/٣٩٤ : ٤ ، ١٠ ، ١٩/٤٠٧ : ٢١/١ ، ٤ :
١١/٤١٢ : ٨/٤٢٣ : ١٥ ، ١٦ ، ٢٠/٤٢٥ :
١٨ ، ٢٠/٤٤٦ : ١٣ / ٤٤٧ : ١٤/٤٥٤ : ٤ /
٤٦٤ : ١٤/ ٤٧٤ : ١٠/٥٠٧ : ١٥/٥١٥ : ٤ ،
٩ ، ٦/٥٣١ : ٢٠/٥٤٠ : ١٦ ، ٢٠/٥٥٦ : ٨

أحمد بن حسين المرجى ٣٢٩ : ٢٢

أحمد بن حوارى أبو المفضال ٥١٦ : ٨

أحمد بن خالد بن عبد الملك الحرانى أبو بدر ٢٤٥ : ٢
أحمد بن خلف الممتع ٥١٨ : ٣
أحمد بن الزبير أبو جعفر ٣٩١ : ١٨
أحمد زكى ٢٨٥ : ١٩
أحمد السجاعى ٤٢٩ : ١٩
أحمد بن شاكر بن عبدالله بن محمد بن عبدالله ٥٠٦ : ١٠
أحمد بن الصنديد العراقى ٣٩٢ : ٤
أحمد بن عبد الرحيم البيسانى ٥٢٨ : ١٤، (٢١—٢٣)
أحمد بن عبدوس الوفراوندى ٥٥ : ١٦
أحمد بن عبيدالله بن كادش العكبرى ٥٩١ : ١٢، ١٣
أحمد بن على بن إبراهيم بن الزبير المصرى ٢٤٩ : ١، (١٦—٢١)/٥٥٢ : ٧، ٨/٥٦٠ : ١٩
أحمد بن على بن أحمد ٥٣ : ١
أحمد بن على أبو جعفر إمام الكلاسة ٤٩٧ : ٢
أحمد بن على بن ثابت البغدادى ٥ : ٢، (١٥—١٨)، ٢٠٠/٧ : ١٧ — ١٨/١٣ : ٢١/٢٧ : ٦، ٢١، ٢٣/٣٠ : ٤/٦٧ : ٢٠/٨٢ : ١٩/٥١٢ : ١٨/٥١٩ : ٢٢/٥٣١ : ١٦
أحمد بن على بن أبى طالب ٣٨٠ : ٢، (١٨—١٩)
أحمد بن على بن محمد بن عبد اللطيف المعرّى ٥١٢ : ١، ٢/٥١٧ : ٦، ١٦/٥٢٢ : ٢
أحمد بن على بن محمد العسقلانى ابن حجر ٣١١ : ٢، (١٥—١٧)/٣٢٤ : ١٦/٣٢٩ : ١٩/٥٢٢ : ٢١/٥٥٩ : ٣، ٧—٨
أحمد بن الغماز ٤٥٦ : ٣
أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجى ٦٥ : ١٧/٣٥٦ : ١٦، ٢١/٣٩٧ : ٢، (١٩—٢٠)/٣٩٨ : ٧
أحمد بن المبارك بن عبد العزيز الأربى ٥٠ : ٩
أحمد بن محمد بن إبراهيم، ابن خلكان ٦ : ٢٠/٢٠ : ٢١، ٢٣/٦٣ : ١٩/٨٣ : ١٦/١٣٩ : ٢٠/١٨٢ : ٢، (٢٠—٢١)/٢٠٦ : ١٠، ٢٣/٢٠٧ : ٣/٢٠٨ : ١٥/٢٤٩ : ٢٠/٢٧٥ : ١٦/٢٨٣ : ٢١/٢٩٧ : ١٨/٣٠٧ : ١٦، ٢٠/٣٠٨ : ٦، ١١، ١٦/٣٢٠ : ١/٣٤٦ : ١٠/٣٤٩ : ٣/٣٥٢ : ٥، ١٦/٣٥٣ : ١، ١٧، ١٨/٣٧٤ : ١٧/٣٩٣ : ٢٠/٤٠٠ : ١٢/٤٠٤ : ١٢/٤١٤ : ١١، ١٨، ١٩/٤٧٢ : ١٩/٥٢٨ : ٢٢/٥٩٣ : ٢٣
أحمد بن محمد بن أحمد المقرى ٧ : ١٧/٤١٣ : ٢١/٤٢١ : ٢، (١٩—٢٢)/٤٣٩ : ٢١/٥٨٩ : ١٨
أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادى ٤٦ : ١٤/١٠٨ : ١٤/٤٧١ : ٢١/٤٧٢ : (١٨—١٩)/٥٤٠ : ٤
أحمد بن محمد الأصبهانى السلفى أبو طاهر ٣٣ : ١، ٦، (١٦ — ١٨)/٥٥ : ١١/١٨٣ : ٧/١٩٣ : ١٦/١٩٥ : ٥/١٩٨ : ١، ٨/١٩٩ : ٦، ١٨/٢٠٠ : ٦/١١، ٥/٢ : ١٣/٢١٢ : ١١/٢٤٩ : ١٧، ١٨/٢٦٥ : ١٠/٢٦٨ : ١٦/٢٨٦ : ١١/٢٨٩ : ٥/٣١٣ : ٥، ١٤/٣١٤ : ٣، ٦، ١١، ١٥/٣٢٠ : ١١/٣٣٣ : ١٣/٣٣٩ : ١٢/٣٤٠ : ١١/٣٤٧ : ٩، ٢٠/٣٥٥ : ٥/٣٩١ : ١٥/٥١١ : ١٠/٥١٤ : ٤، ١٦/٥١٥ : ١/٥٢٠ : ٤، ٧، ١٣/٥٢٢ : ٧، ٩، ١٧/٥٦٢ : ٨/٥٨٩ : ١٠
أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى ٢٧٥ : ١٧/٣٧٦ : ٢/٣٧٧ : ٨
أحمد بن محمد بن حوارى أبو اليقظان ٥١٣ : ١٨/٥١٨ : ٤/٥٥١ : ٥/٥٩٢ : ١١
أحمد بن محمد الصنوبرى ٦٨ : ١٠، ١٧، (٢٠—٢٢)/٤٩٠ : ٧
أحمد بن محمد بن القاسم الأخسيكتى ٢٨٤ : ١، (١٢—١٥)/٢٩٣ : ٤/٣٤٣ : ١
أحمد بن مدرك بن سعيد بن مدرك ٤٩٨ : ١١/٥١٣ : ٧/٥٥٤ : ٥/٥٥٨ : ٧/٥٧٦ : ٧/٥٨٨ : ١٣

أحمد بن مدرك بن سليمان = أحمد بن مدرك بن سعيد بن مدرك
أحمد بن مدرك بن على ٥٠٨ : ٩/٥١٠ : ٣/٥٥٩ : ١٦
أحمد بن المعرى أبو الحسين ٣ : ١٧
أحمد بن أبى المغيرة ٥١٨ : ١٢
أبو أحمد الموسوى (والد الشريفين) = الحسين بن موسى
أحمد بن هبة الله بن أبى جرادة أبو الحسن ٥٤٣ : ١٠/٥٥١ : ١١
أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندى ٢٠ : ١٠، (١٨—٢٣)/١٤٥ : ٣/٣٩٠ : ٩/٤٠٩ : ٢١/٤١٠ : ٦
أحمد بن يحيى البلاذرى ٥٨٩ : ٤/٥٩٤ : ١، ١٨، ٢١/٥٩٨ : ٦
أحمد بن يحيى بن فضل الله العمرى ٢١٧ : ٢، (١٨—٢١)/٢٥٦ : ١٨
أحمد بن يوسف المنازى أبو نصر ٦٣ : ٥، (١٨ — ١٩)/٧٧ : ١٨/١٥١ : ١١/١٩٦ : ٣/٢٦٨ : ٩/٢٨٨ : ١٥، ١٦/٣١٣ : ٢/٣١٥ : ١٥، ٢١/٣٣٨ : ٩، ١٤، ٢٠/٣٥٩ : ٣، ١٤، ١٧، ١٨/٣٦٠ : ١٢/٤١٣ : ٥، ٧، ٢٣/٤١٤ : ٢، ٣
ابن أحمر ٧٦ : ١٩
الأحيمر السعدى ٨٥ : ١٩
أخزم ٨٨ : ٥
الأخسيكتى = أحمد بن محمد بن القاسم الأخسيكتى
الأخطل ٤٤ : ٢٠/١٠٦ : ٢٠/٤٣٠ : ١٣/٥٣٧ : ٢٠
الأخفش الأصغر ٤٧٢ : ١٩
الأخفش الأوسط ٤٧٩ : ٢١
الأخنس بن شهاب التغلبى ٨٦ : ٢٠
أرتق ٥٩٣ : ٢٢
أرسطاليس ١٣٣ : ٣
ابن أريس = أبو على بن أريس
الأزهرى ٣٧٤ : ١٥/٤٣٤ : ٢٠
أسامة بن مرشد بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ ٧١ : ٥، ٩/٧٢ : ١/٤٢٣ : ٥/٤٢٤ : ٣/٥٠١ : ١٢، ٢٠ — ٢٢)/٥٠٧ : ١
أسامة بن منقذ = أسامة بن مرشد
استينجاس (Steingass) ١٤ : ٧/٧٥ : ٢٠/٢١٥ : ١٩/٢٢٤ : ٢١/٥٧٥ : ١٩/٥٩٠ : ١٨
إسحاق (عليه السلام) ١٥٧ : ١٣
أبو إسحاق بن خفاجة = إبراهيم بن خفاجة الأندلسى
أبو إسحاق الشيرازى ٤٠٩ : ٥
أسحم بن الساطع ٤٨٩ : ١٠، ١٢
أسد الدولة = صالح بن مرداس
إسماعيل بن حامد القوصى ٥٩٢ : ١٠
إسماعيل بن الحسين بن على الطغرائى ٤٠٥ : ١٨/٤٠٦ : ١٣، ١٥/٤٠٧ : ٩/٤٧١ : ١٨
إسماعيل بن حميد ٥١٠ : ١٦/٥١١ : ٢
إسماعيل الصابونى = إسماعيل بن عبد الرحمن
إسماعيل بن عبد الرحمن الصابونى ٩ : ٣، (١٥ — ١٨)/٥١٩ : ٦، (١٥ — ١٦)
إسماعيل بن على بن الأفضل أبو الفدا ٣٠ : ١٥/١٨٦ : ٢، (٢١ — ٢٤)/٢٠٦ : ١٤ — ١٦/٢١٦ : ١٢/٥٣٤ : ٢١/٥٥٦ : ١٦
إسماعيل بن على بن الحسين السمان ٤٩٥ : ١٢/٥١٩ : ٦، ٧، (١٧ — ٢٠)/٥٢٣ : ١٣
إسماعيل بن عمر بن كثير ١٩٤ : ٢٤/٣٠١ : ٢، (١٨ — ٢١)/٣٠٢ : ٢٠/٣٢٠ : ١٥/٣٢١ : ٢١/٣٢٥ : ١٣/٣٢٨ : ٢٠
الأسود بن يعفر ٢٨٠ : ٥٤٤/٥٧٤ : ١٦
الإصطخرى ٥٢ : ١٨
ابن أبى أصيبعة = أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجى
ابن الأعرابى ٥٨٤ : ٥
الأعشى ٣٥ : ١/٨٩ : ١٨/١٤٠ : ٢/١٩١ : ٢٠
الأعمش ٥١٤ : ٢٠
الأفضل أمير الجيوش = الأفضل بن بدر الجمالى
الأفضل بن بدر الجمالى ٥٠٢ : ٨، (١٤ — ١٥)
الأفضل بن صلاح الدين الأيوبى ٣٩٤ : ٢٤

أفلاطون ١٣٣ : ٣/٣٥٤ : ٢
آمرؤ القيس ٤٤ : ٦/١٠٦ : ١٠ / ١٦٣ : ١٠ / ٥٣٧ : ١٥
آمرؤ القيس بن الطحان ٣٩٧ : ١٨
أمير الجيوش = نشتكين الدزبرى
أمير الجيوش = الأفضل بن بدر الجمالى
ابن الأنبارىّ = عبد الرحمن بن محمد
ابن الأنبارىّ = محمد بن القاسم بن محمد بن بشار
أنس بن مالك ٥٢١ : ١٥
أنستاس مارى الكرملى ٣٠ : ١٩
أنكين = نشتكين
أنوشتكين = نشتكين
أنوشروان بن قباذ ١٨٩ : ٢٣
ابن الأهدل = الحسين بن عبد الرحمن بن محمد بن الأهدل
إلفارى بن أرتق ٥٩٣ : ٨، (٢٠–٢٣)
إينال ٣٢٩ : ٢١
أيوب بن محمد بن أبى بكر بن أيوب ٥٢٨ : ١٠، ١٦

(ب)

بابك الخرمى ٣٩٠ : ٨
الباخرزى = على بن الحسن بن على الباخرزى
بادرس ٢٧٣ : ٥، ٧
باذام أبو صالح ٥٢٤ : ٣، ١٩
باذان = باذام أبو صالح
بازنكين ٥٣٢ : ١٨
باقل ٢٣١ : ١٧/٢٧٨ : ١/٣٦٥ : ٥
بايزيد (السلطان) ٣٢٥ : ١٩
البحائى = محمد بن إسحاق
البحترىّ = الوليد بن عبيد
البخارى (صاحب الصحيح) ٣١٩ : ١٩/٣٣٥ : ١٩/٥٨٥ : ١٧
ابن بختيار = خالد بن بختيار النميرى
بدر الدين العينى = محمود بن أحمد بن موسى
البدر العينى = محمود بن أحمد بن موسى
بدر الفزارى ٢٧٩ : ١٨/٢٨٠ : ٢، ١٩
البديع الهمذانى ٢٦٤ : ١٢/٢٨٦ : ٦
البديعى = يوسف البديعى .
براون (Brown) ٤٧٤ : ١٦، ٢٠
برداعس = محمد بن بركة الحلبى .
أبو البركات بن الأنبارى = عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله ابن سعيد الأنبارى .
أبو البركات الأنصارى = محمد بن على بن محمد الأنصارى .
أبو البركات الدمشقى = الحسن بن محمد بن الحسن الدمشقى .
أبو بركة الحلبى = محمد بن بركة الحلبى .
برهان الدين بن نصر ٤٠١ : ٢
ابن برى ٤٣٤ : ٢١
ابن بسام المغربى ٤٣٩ : ١٧/٥٦٢ : ١١
بسطام بن قيس ٢٤٨ : ٢
بشار بن برد ٧٦ : ٤/ ٢٥ : ١٠/٢٦٧ : ١/٢٨٧ : ١٠/٥٦١ : ١٦
بشر المريسى ٩٨ : ١١
بشير بن زاذان ٥٢٢ : ١٣، (١٩ — ٢٠).
ابن بشكوال ٣٩٦ : ٩
ابن بطلان = المختار بن الحسن بن عبدون .
البطليوسى = عبد الله بن محمد بن السيد .
ابن بطوطة = محمد بن عبد الله .
البغوى = عبد الله بن محمد البغوى .
بقراط ٣٩٧ : ٧
أبو بكر = شداد بن الأوس .
أبو بكر الخطيب البغدادى = أحمد بن على بن ثابت .
أبو بكر (الخليفة) ٦١ : ١٠/٢٥٣ : ١١
أم بكر (فى شعر) ١٢٤ : ١٢٦٩/١٢٧ : ١٨
أبو بكر بن الأنبارى = محمد بن القاسم بن محمد بن بشار .
أبو بكر بن أيوب ٥٠٦ : ١٦

أبو بكر الرحبي = محمد بن عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الرحمن .
أبو بكر السبيعي = محمد بن الحسين السبيعي .
أبو بكر بن سعيد ٤٢١ : ٧
أبو بكر الصنوبري = أحمد بن محمد الصنوبري .
أبو بكر الصولي = محمد بن يحيى الصولي .
أبو بكر بن العربي = ابن العربي .
أبو بكر المعري = محمد بن سليمان بن أحمد المعري .
بلال (المؤذن) ٢٤ : ٣/١٥١ : ٩/٣٢٤ : ٣
بلال بن أبي بردة بن أبي موسى ٥٤٢ : ١٢ ، ١٤
البلاذري = أحمد بن يحيى البلاذري .
البلوي = يوسف بن محمد البلوي .
البهاء = إبراهيم بن شاكر بن عبد الله .
بهاء الدين أبو العباس = أحمد بن عبد الرحيم البيساني
بهاء الدين بن النحاس = محمد بن إبراهيم بن محمد بن النحاس
بهرام جور ٥٩١ : ١٩

(ت)

تابط شرا ٨٥ : ٢٠
تاج الأمراء = ثمال بن صالح .
تادرس بن الحسن ١٤١ : ٥ ، ٧/٥٦٧ : ١٦/٥٦٨ : ١٣ ، ١٨ ، ١٩ (وانظر بادرس)
أبو تراب ٤٣٤ : ٢٠
الترمذي ٢٩٧ : ١٧
تزبر بن أونيم الديلمي ٦٣٣ : ١٦
التزبري = نشتكين الدزبري .
ابن تغري بردي = يوسف بن تغري بردي .
تقي الدين بن دقيق العيد = محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري .
تقي الدين بن علي بن عبد الله الحموي ٤١٣ : ٢ ، (١٥ — ٢٠)
أبو تمام = حبيب بن أوس .
أبو تمام الأنصاري = غالب بن عبسى الأنصاري .
التنوخي = علي بن المحسن التنوخي .
التهامي ٢٥١ : ١٣ ، ١٦ ، ١٧/٤٠٧ : ١٤/٥٦٤ : ٢ ، ٦
ابن تيمية ٣٠١ : ١٩

(ث)

ثابت بن ثمال بن نصر بن صالح = ٤٧ : ٧/١١١ : ١٧/٦٢٢ : ٧ ، ٨/٥٤٠ : ١٧ ، ٢١
ثابت بن سنان ٢٥ : ١٧
ثابت بن مشرف بن أبي السعد البنا أبو سعد ٥٢١ : ٩
الثعالبي = عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري أبو منصور .
ثعلب ٤٤٩ : ٨/٥٥٣ : ١٢
ثعلبة بن صعير ١٣٢ : ١٨
ثمال بن صالح ١٢٨ : ٦/١٣٢ : ٩ ، ١١ ، ١٤/٢٢٣ : ٣/٥٢٦ : ١٧/٥٦٥ : ١١/٥٦٩ : ٧/٥٧٥ : ٥
الثوري ٥٢٤ : ٢٠

(ج)

جابر بن زيد بن عبد الواحد ٣٨ : ٣ — ٤
جابر (بن السمين الحنفي) ٨٩ : ٦
الجاحظ = عمرو بن بحر .
جالينوس ١١٩ : ٤/١٢٤ : ٢/٢٨٢ : ١٤/٣٤٤ : ٤/٣٩٧ : ٥ ، ٧
جبريا (عليه السلام) ١٤٨ : ٦
جبلة بن الأيهم ٤٨٩ : ٦ ، ٢٠
الجبلي = محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم الجبلي .
ابن جبير = محمد بن أحمد بن جبير الكناني .
الجدلي ٥٨٩ : ٨
ابن جرير الطبري ١٨ : ١١/٢٥ : ١٧/٤٨٦ : ١٩ ، ٢٠
جرير بن عبد المسيح ٨٦ : ١٧/١٦٨ : ٧
جعفر ١٩٣ : ١٦/١٩٨ : ١
جعفر بن أحمد بن صالح ٥١٨ : ١/٥٢٥ : ٥

أبو جعفر البحاثى = محمد بن إسحاق البحاثى .
جعفر بن على بن المهذب ٤٩٢ : ١
أبو جعفر بن المسلمة ٢٧ : ٢٠ — ٢١
أبو جعفر النحاس = أحمد بن محمد إسماعيل بن يوسف المرادى .
جفية ٤٤٥ : ١ ، ١٥ (وانظر جهينة)
ابن الجلى = عبد الله بن إسماعيل الحلبى الحلى .
جمال الدين القفطى = على بن يوسف بن إبراهيم القفطى .
جمال الدين الوطواط = محمد بن إبراهيم بن يحيى بن على الأنصارى .
أبو الجنوب = عقبة بن علقمة اليشكرى .
أبو جهل ٩٣ : ١٣
ابن الجهم = على بن الجهم .
جهير بن محمد التنوخى ٤٨٩ : ١٣
جهينة ٢١١ : ٦/٤٤٥ : ١٦ . (وانظر جفية) .
ابن الجوالبق = موهوب بن الخضر .
ابن الجوزى = عبد الرحمن بن على بن الجوزى .
الجوهرى ٣٤ : ٨ ، ٧/٢٣١ : ٨ ، ٥
الجوينى ٣٧٨ : ١١

(ح)

حاتم بن إبراهيم الحميدى ٣٨٧ : ٢ ، ١٧
حاتم الطائى ٨٩ : ٢٠ ، ٢٣١ : ١٧/٢٧٨ : ١/٣٦٥ : ٥
الحاتمى = محمد بن أبى بكر .
الحارث (صاحب النعامة) ٩٣ : ١٤
الحافظ الذهبى = محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى .
الحافظ الكلاعى = سليمان بن موسى .
الحاكم بأمر الله الفاطمى ٤٥ : ٢٠/٤١٧ : ١٠ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٢/٥٣٢ : ٢/٥٧٤ : ١١ ، ١٩
حام ١٣٢ : ١٠
حامد بن بختيار النميرى ١٩٩ : ٦ ، (١٧ — ١٨)/٣١٣ : ١٤/٣٣٩ : ١٢
الحائرى ٣٥١ : ١٦

حبيب بن أوس ٣٧ : ١٢ ، ١٥/٤٦ : ٤ ، ١٩/٤٩ : ١٧/٧٦ : ٥/٨٥ : ٢٠/١٠٧ : ١٣/١٨٣ : ١٥/٢٠٣ : ٧ ، ٨/٢٠٧ : ١٤/٢٤٧ : ١٠/٢٦٧ : ١/٢٧٥ : ٢/٢٧٩ : ٨/٢٨٧ : ١١/٢٩٨ : ١٥/٣٣٤ : ٢/٣٤٧ : ١٥/٣٥٢ : ١٣/٣٧٥ : ١ ، ٦ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨/٣٧٦ : ٣/٣٧٧ : ١٩/٤٥٤ : ٤/٤٧٧ : ١٦ ، ١٧/٥٤١ : ١
أبو الحجاج (أخو أبى زكرياء بن أيوب) ٢٠٥ : ١٣
أبو الحجاج البلوى = يوسف بن محمد البلوى .
ابن حجر = أحمد بن على بن محمد .
ابن حجة = تقى الدين بن على بن عبد الله الحموى .
أبو حذيفة = بدر الفزارى .
ابن أبى الحديد = عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبى الحديد
الحرة = زينب بنت عبد الرحمن الشعرية .
ابن الحريرى = القاسم بن على بن محمد الحريرى البصرى .
ابن الحريص = عبيد الله بن محمد بن أحمد .
ابن حزم ٣٩١ : ٤
حسان بن ثابت ٣٧١ : ٣
الحسن بن إبراهيم بن سعيد بن الخشاب ٥٦٢ : ١٣/٥٩٤ : ٨
الحسن بن إبراهيم بن محمد الحاجى ٥١٩ : ٥
أبو الحسن بن الأثير = على بن محمد بن محمد الجزرى .
الحسن بن أحمد المهلبى ٥٩٤ : ٨
الحسن بن إسحاق بن بلبل المعرى ٤٩٢ : ٩
الحسن بن إسحاق الطوسى ٤٩ : ٦/٨٣ : ١٥/٣٧٨ : ١١
أبو الحسن الباخرزى = على بن الحسن بن على الباخرزى
أبو الحسن بن بسام = ابن بسام المغربى
الحسن بن بشر الآمدى ٣٧٦ : ٤
أبو الحسن البصرى ٣٩٧ : ١٣
الحسن بن جعفر المسالق ٢٠٥ : ١٢
حسن حسنى عبد الوهاب الصمادحى ٤٣٩ : ٣ ، ١٠ ، ١٣/٤٤٧ : ٢٤/٤٥٥ : ٢٠/٤٥٦ : ١٦ ، ١٥/٤٥٦ : ٢٠
أبو الحسن الدلفى المصيصى = على بن مأمون

أبو الحسن الربعى = على بن عيسى الربعى
أبو الحسن الرحبى = على بن بركات بن منصور
أبو الحسن بن الزبير المصرى = أحمد بن على بن إبراهيم ابن على بن الزبير
أبو الحسن بن سعيد ٤٢١ : ٥
أبو الحسن الصابى = محمد بن هلال المحسن
الحسن بن عبد الله التنوخى أبو حمزة ٦ : (٢١ — ٢٢) / ١٥٩ : ١٥ / ١٧١ : ٢ / ٢٣٦ : ١
الحسن بن عبد الله بن أبى حصينة المصرى ٢٠٩ : ٨ ، (٢١ — ٢٤) / ٥٤١ : ٢٠
الحسن بن عبد الله بن محمد بن عمرو المعرى ٥٨٦ : ١
أبو الحسن بن عدلان = على بن عدلان
الحسن بن أبى عقامة اليمنى ١٧٩ : ١٢ / ٢٨٣ : ١ / ٢٩٢ : ٤ / ٣٤٢ : ٧ / ٤١٨ : ٥
أبو الحسن على باشا ٢٦٣ : ١٣
الحسن بن على بن أبى طالب ١٣٥ : ١٠
الحسن بن على بن عمر، لحف العسلم ٥١٨ : ١٨ / ٥٣٨ : ١١ ، ١٩
الحسن بن عمرو بن دهن الحصى ٥٩٢ : ٨ ، (٢٠ — ٢٣)
الحسن بن عمرو الموصلى أبو على ٥٤٢ : ٦
الحسن بن الفرج الجندى البحترى ٥١٣ : ١٢ / ٥٤٣ : ١
الحسن بن القاسم البحترى ٥٥١ : ٨ (وانظر الحسن بن الفرج الجندى البحترى) .
أبو الحسن القدورى ٣٩٧ : ١٣
أبو الحسن القرطبى = محمد بن أحمد بن على القرطبى .
أبو الحسن بن أبى المجد بن محمد الحلى ٥٢٣ : ١
الحسن بن محمد بن أحمد بن الحسن ٥٧٥ : ١٥
الحسن بن محمد بن الحسن الدمشقى ٩٩ : ١٦ / ٥٠١ : ١٤
الحسن بن محمد بن على بن محمد الدربندى ٨٢ : ٩ ، (١٨ — ٢٠) .
الحسن بن منصور بن محمد الكندى ٤٩٢ : ٩
أبو الحسن المهذب = المهذب بن على بن المهذب .
الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن حسن ٥٠٥ : ٨ ، (١٩ — ٢١) .
أبو الحسن الهكارى = على بن أحمد بن يوسف .
أبو الحسن بن همام = على بن همام .
أبو الحسين ١٩٨ : ١
الحسين بن أحمد بن خالويه ٣٠ : ١٠ ، ١١ / ١٩٠ : ٥ / ٣١٢ : ١ ، ١٨ / ٤٣٤ : ٢٢ / ٤٩٢ : ٨ ، (٢١) .
أبو الحسين الجزار ٤٠١ : ٢
الحسين بن عبد الرحمن بن محمد ، ابن الأهدل ٣٤٩ : ٤ ، (١٧ — ٢٠) .
الحسين بن عبد الله بن رواحة الحموى ٣١٤ : ٣
الحسين بن على بن أبى طالب ٧٨ : ١٣ / ٧٩ : ١ / ١٣٥ : ١٠ / ١٤٢ : ١٠ ، ١٢ / ٣٢٤ : ١٨
الحسين بن على بن المغربى ٥٣٣ : ١٢ ، ٢٠ / ٥٣٤ : ١٠ / ٥٩١ : ٨ ، ١٤ ، (١٩ — ٢٢) .
أبو الحسين القفطى = على بن يوسف القفطى .
الحسين بن محمد بن مودود السلمى الحرانى أبو عروبة ١٩١ : ١٦٤٢ ، (١٨ — ١٩) / ٣١١ : ٥ / ٣١٢ : ١١ / ٥٢١ : ١٣
أبو الحسين المعرى = أحمد بن المعرى .
الحسين بن موسى (والد الشريفين) ٣١ : ١٤ / ٢٢٣ : ٨ ، ١٥ / ٢٣٧ : ٨ / ٣٦١ : ١٤ / ٥٤٣ : ١٢ / ٥٤٤ : ١
الحسين بن هبة الله بن محفوظ بن حسن ٥٠٥ : ٩
الحصرى ٣٩٢ : ٦
أم حصن (فى شعر) ٤٠٥ : ٧
ابن أبى حصين ٤٩٦ : ١٢
أبو حصين التنوخى = عبد الله بن المحسن بن عمرو التنوخى .
ابن أبى حصينة = الحسن بن عبد الله بن أبى حصينة .
الحطيئة ٣٧٠ : ٤ ، ١٧ ، ١٨ / ٣٧١ : ١٩
أبو حفص = عمر بن الخطاب .
أبو حفص بن طبرزد = عمر بن محمد بن معمر بن يحيى .
حفص (القارئ) ٣٨٣ : ١٩
حفيظة ٤٤٥ : ١٥ (وانظر جفيظة) .
الحامى = سالم بن على بن تميم الفقيه .

حمدان بن عبد الرحيم ٥٨٤ : ١٣/٥٩٤ : ٩
حمدة بنت زياد الأندلسية ٤١٣ : ٢١، ٢٢
أبو حمزة الفقيه = الحسن بن عبد الله النتوخى
حمزة (القارئ) ٣٨٣ : ١٩
أبو حمل = بدر الفزارى
حمزاب بن الأفرع ٤٣٤ : ٢٢
أبو حنيفة النعمان ٢٧٩ : ١٣، ١٤
ابن حوقل = محمد بن حوقل النصيبي
أبو حيان الأندلسى = محمد بن يوسف
أبو حيان التوحيدى ٢٠ : ١٠/١٤٥ : ٣/٤١٠ : ٤، ٧، ٦
حيان (بن السمين الحنفى) ٨٩ : ٦
حيدر = على بن أبى طالب

(خ)

أبو خالد (قرد) ٤٣٣ : ٢٢
ابن خالويه = الحسين بن أحمد بن خالويه
خان ١٧١ : ١٠
خرافة (رجل من عذرة) ٤٠١ : ٩، ١٦
ابن الخشاب = عبد الله بن أحمد بن الخشاب
ابن أبى الخصال = محمد بن مسعود بن أبى الخصال
الخضرى ٤٧٩ : ١١
أبو الخطاب = العلاء بن عبد الوهاب بن أحمد بن حزم الأندلسى
أبو الخطاب الجبلى = محمد بن على بن محمد بن إبراهيم الجبلى
أبو الخطاب العليمى = عمر بن محمد العليمى
الخطيب البغدادى = أحمد بن على بن ثابت
الخطيب التبريزى = يحيى بن على
ابن خفاجة الأندلسى = إبراهيم بن خفاجة الأندلسى
الخفاجى = عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان
خفاف (بن ندبة) ٢٣٧ : ٧
ابن خلدون = عبد الرحمن بن محمد بن خلدون
خلف (القارئ) ٣٨٣ : ١٩
ابن خلكان = أحمد بن محمد بن إبراهيم
الخليل = إبراهيم عليه السلام
الخليل بن أحمد ٤٤ : ٢/١٠٦ : ٦/٤٣٦ : ١٦/٤٤٧ : ١١ : ٥٣٧/٢٠٦٥
خليل بن أيبك الصفدى ٨ : ١٨/٢٦٣ : ٢، (١٨ — ٢٢)/٢٨٥ : ٢/٣٣٣ : ٩/٣٣٩ : ٥/٣٤١ : ١/٤٠٥ : ١٦ : ٤٧١/٢ : ٤٠٨/١٩٦٢
الخليل بن عبد الجبار بن عبد الله التميمى القرائى ٥١٨ : ١٩/٥٢١ : ٢/٥٢٢ : ١٠، ١٦، ١٧
الخليل بن عبد الجبار القزوينى ١٩٥ : ١٦/٢٠٥ : ٣/٢٧٤ : ١/٣١٥ : ٢
خميس بن على الحوزى النحوى ٧٨ : ١٣
خيثمة بن سليمان بن حيدر الطرابلسى ١٩٦ : ١، (١٧ — ١٨)/٣١٢ : ١٢
خيثمة بن سليمان القرشى ٥٢١ : ٤/٢ ٥٢ : ١٢
أبو الخير = المفضل بن سعيد بن عمرو المعرى
ابن خير الإشبيلى = محمد بن خير بن عمر الإشبيلى
خير بن محمد بن على التنوخى العميد ٥١٢ : ٩، ١٠
أبو الخيهفعى ٤٣٤ : ٢، ٢٢، ٢٧

(د)

داعى الدعاة = هبة الله بن موسى بن أبى عمران
الدانى ٣٥٥ : ٢٠، ٢١
داهر (غلام الوزير المغربى) ٧١ : ١٤، ١٥/٧٢ : ٤
داود بن أحمد بن يحيى ٣٩٢ : ٨
الداوودى ٤٢٩ : ١٨
ابن دحية ٤٣٥ : ٣، ١٢
درواس (كلب) ٤٣١ : ١٨
ابن دريد ٣٩٩ : ١٨/٤٣٥ : ١٢
دعبل بن على الخزاعى ١٧٣ : ٨/٤٠٠ : ٣/٤٦٤ : ١٤
ابن دقيق العيد = محمد بن على بن وهب بن مطيع القشيرى

الدميرى ٣٨١ : ٢١/٤٣٣ : ٩
أبو الدوام = ثابت بن ثمال بن نصر بن صالح
دوخلة = على بن منصور بن طالب الحلى
دولت شاه بن علاء الدولة ٤٦٤ : ٢ ، (١٧ — ٢٠)
ابن الدويدة = على بن أحمد بن الدويدة
ديك الجن = عبد السلام بن رغبان

(ذ)

أبو ذر الخشنى ٦ : ١٦
الذهبى = محمد بن أحمد بن عثمان
ذو الرمة = غيلان بن عقبة
ذو السنين ٥٤ : ٦
ذو الفضائل الأخسيكتى = أحمد بن محمد بن القاسم الأخسيكتى .
ذو الحجين ٥٤ : ٦
ذو الوزارتين = محمد بن مسعود بن أبى الخصال الغافق .
أبو ذؤيب الهذلى ١٣٠ : ١٥ ، ٢١/٢٥٣ : ١٩
ابن ذى يزن = سيف بن ذى يزن .

(ر)

الرازى = فخر الدين .
أبو الراضى = مدرك بن سعيد بن مدرك بن على .
الرامشى = محمد بن أحمد .
ابن الراوندى = أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندى .
الربعى = على بن عيسى الربعى .
ابن أبى الربيع ٤٧٩ : ٣
الربيع بن ضبع الفزارى ٤٥١ : ٢٢
أبو الربيع الكلاعى = سليمان بن موسى بن سالم الكلاعى .
رخ بن تيمور (الشاه) ٤٦٤ : ١٨
رزيك ٥٠١ : ٢٢
ابن رزين = على بن محمد بن أبى القاسم ابن رزين .
رشأ بن لطيف بن ما شاء الله المقرى ٥١٨ : ٩
أبو رشاد الأخسيكثى = أحمد بن محمد بن القاسم الأخسيكثى .
الرشيد بن الزبير المصرى = أحمد بن على بن إبراهيم بن الزبير .
أبو الرضا الحلبى = سالم بن الحسن بن على الحلبى .
أبو الرضا = عبد الواحد بن الفرج بن نوت المعرى .
أبو الرضا الفصيصى ٥٧٧ : ٧
رضوان (عليه السلام) ٥٩ : ١٠/١٤٨ : ٣/٢٨١ : ١٦/٢٩٤ : ١٥
رضوان (الملك) ٥٥٦ : ١٤
الرضى (الشريف) ٣١ : ١٤/٢٢٣ : ٩ ، ١٥/٣٦١ : ١٤/٤١٨ : ١٤/٥٤٣ : ١٤/٥٤٤ : ١/٥٩٦ : ٨
الرعينى ٤١٣ : ٢٢
ابن رغبان = عبد السلام بن رغبان .
الرفيق ٥٦١ : ٥
الرمانى ٤٦٩ : ١٠/٤٧٢ : ١٠/٤٧٣ : ١٨/٤٧٨ : ١٥
الرومى = على بن العباس الرومى .
ابن الرومى = على بن العباس الرومى .
أبو رياش ٤٦ : ١٩/١٠٨ : ٤/٥٠٤ : ٥/٥٤١ : ١٠ ، ١١
الريوندى = أحمد بن يحى بن إسحاق الراوندى .
ابن الريوندى = أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندى .

(ز)

أبو الزاكى = حامد بن بختيار .
زبيدة ٤٢٣ : ٢٢
الزبيدى = محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرازق .
ابن الزبير المصرى = أحمد بن على بن إبراهيم بن الزبير .
الزجاج ٤٧٢ : ١٩
الزجاجى = عبد الرحمن بن إسحاق .
ابن زريق أبو الحسين = على بن محمد بن عبد اللطيف المعرى
ابن زريق أبو الفضل = أحمد بن على بن محمد بن عبد اللطيف المعرى .
أبو زكريا بن أيوب ٢٠٥ : ١٢
أبو زكريا التبريزى = يحيى بن على .
أبو زكريا التنوخى = يحيى بن مسعر بن محمد بن يحيى بن الفرج
زكريا بن محمد بن محمود القزوينى ٥٩٥ : ٢ ، (١٥ — ١٦)
الزمخشرى = محمود بن عمر بن محمد .

ابن الزملكانى = محمد بن على بن عبد الواحد .
أبو الزناد = عبد الله بن ذكوان .
زنكى بن آق سنقر ١٨٥ : ١٧/٥٠٥ : ١/٥٨٧ : ٩
زهير (فى شعر) ٤٧٩ : ١٦
زهير بن أبى سلمى ٨٨ : ٩/٤٦٤ : ١٥
زياد الأعجم ٣٦١ : ٦
زياد = النابغة الذبيانى .
زيد (فى شعر) ٤٠١ : ٦
زيد (المذكور فى النحـو) ٤٤٨ : ٨/٤٧٢ : ٨ / ٤٧٣ : ١٣، ١٦ / ٤٧٥ : ١٢، ٢٠ / ٤٧٦ : ٢ — ٤ / ٤٧٨ : ١١، ١٨، ٢٠ / ٤٧٩ : ٣، ٥
زيد بن الحسن بن زيد الكندى أبو اليمن ٢٧ : ٥/٤٩٣ : ٢ / ٥٠٦ : ١٧ / ٥١٢ : ١٦، ٢١ / ٥٢٢ : ١ / ٥٦٩ : ١٥
زيد بن عبد الواحد بن عبد الله بن سليمان ٤٩٣ : ١٣، ١٧ / ٤٩٤ : ٧، ١٠ / ٤٩٥ : ١ / ٥٤١ : ١٩
زين الأمناء = الحسن بن محمد بن الحسن الدمشقى .
زينب بنت عبد الرحمن الشعرية ٥٢٣ : ١١
زينب (فى شعر) ٥٤٤ : ١٢

(س)

السابق المعرى = محمد بن الخضر بن أبى مهزول .
سابور الأكبر ٤٨٧ : ٥، ٧
ساطع ٥٣ : ١٠
الساطع = النعمان بن عدى .
السالار = محمد بن أحمد بن محمد بن هميام .
سالم بن الحسن بن على الحلبى أبو الرضا ٥٤٠ : ١١
سالم بن على بن تميم الفقيه أبو الحسن ٥٥٧ : ٣، ٧
سام ١٣٢ : ١٠
سبط ابن الجوزى = يوسف بن قزأوغلى .
أبو السبطين = على بن أبى طالب .
ابن السبكى = عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى .
ابن سبيكة = على بن سبيكة .
سجاح ٢٤ : ٣، ٥/١٥١ : ٩/٣٢٤ : ٣، ٥، ١٧
سحام (كلب) ٤٣١ : ٥، ٧
سحيم الأسدى ٢٣٧ : ٧
السخاوى شمس الدين = محمد بن عبد الرحمن السخاوى .
السخاوى علم الدين = على بن محمد بن عبد الصمد .
السخام (كلب) ٤٣١ : ١
السراج الوراق ٤٧٤ : ١
أبو السعادات الفاكهى ٤١٨ : ٤
ابن سعد = محمد بن عبد الله بن سعد .
أبو سعد = عبد الغالب بن عبد الله .
أبو سعد السمان = إسماعيل بن على بن الحسين السمان .
أبو سعد السمعانى = عبد الكريم بن محمد السمعانى .
أبو سعد بن السمعانى = عبد الكريم بن محمد السمعانى .
ابن سعيد = على بن موسى بن محمد بن عبد الملك .
سعيد (الأمير) ٢٣٠ : ٥
أبو سعيد ٥٢٢ : ٢٢
أبو سعيد الحميرى = نشوان بن سعيد الحميرى .
أبو سعيد الرستمى ٤٦٤ : ٩، ١٠/٤٦٥ : ٢، ٥/٤٦٦ : ٨، ١١، ١٤
أبو سعيد السمعانى = عبد الكريم بن محمد السمعانى .
أبو سعيد السيرافى = السيرافى .
أبو سعيد = عبد الغالب بن عبد الله .
سعيد بن عبد الله بن محاسن الهاشمى أبو منصور ٥٣٥ : ١٣، ١٧
سعيد بن مدرك بن على ٥٠٨ : ٩/٥١٠ : ١٥
أبو سعيد اليمامى ٣٩٨ : ١
السفاقسى = أبو عمرو
ابن السكيت = يعقوب بن إسحاق
السلفى = أحمد بن محمد الأصبهانى السلفى
أم سلمة بنت الحسن بن إسحاق بن بلبل ٥١٦ : ١٦
ابن سلمان = محمد بن سلمان
سليمان بن أحمد بن سليمان المعرى ٦٨ : ٧، (١٦ — ١٧)/ ٢٦٦ : ٢/٢٩٥ : ١٠/٤٩٠ : ١

سليمان بن داود بن المطهر ٤٨٩ : ١٦ / ٥٢٥ : ٦
سليمان بن شاكر ٥٠٦ : ٤
سليمان بن على بن محمد بن عبد الله بن سليمان أبو المرشد ٧٤ :
٩ / ٤٩٨ : ١٧ / ٥٠٧ : ١٠ ، ١١ / ٥٠٨ : ١٧
سليمان بن قطلمش ٥٥٥ : ١٨
سليمان بن محمد بن سليمان المعرى أبو الحسن ٢٦٩ : ٢٠ /
٤٩١ : ٤ / ٤٩٢ : ٨ / ٥٠٠ : ١٨ / ٥١٦ : ١٥ /
٥٢٢ : ٣
سليمان بن موسى بن سالم الكلاعى أبو الربيع ٤١ : ١٩ /
٤٣ : ١٤ / ٤٥٥ : ١٣
السمان = إسماعيل بن على بن الحسين السمان
ابن السمح = أبو على بن السمح
ابن سمرة ٢٩٧ : ١٨
السمعانى = عبد الكريم بن محمد السمعانى
سمير بن أدكن اليهودى ١١٣ : ١٠
ابن سنان الخفاجى = عبد الله بن محمد بن سعيد
أبو سهل = عبد الرحمن بن مدرك
أبو سهل = مدرك بن على بن محمد بن عبد الله بن سليمان
سيبويه ٤٨ : ١٥ / ١١٠ : ١٥ / ١٤٥ : ٢٢ / ٢٧٥ :
٦ / ٣٣٤ : ٣ / ٣٦١ : ٢٢ / ٤١٦ : ٥ / ٤٤٧ : ٤ /
٥٤٠ : ٩ ، ٨ /
ابن السيد البطليوسى = عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى
ابن سيد الناس = محمد بن محمد بن محمد بن أحمد
السيرافى ١٦ : ٢١ / ٩٣ : ٢ / ٩٥ : ١ / ٩٦ : ٥
سيف بن ذى يزن ٢٧٩ : ١٧ / ٢٨٠ : ١
السيوطى = عبد الرحمن بن محمد .

(ش)

شاعر آل محمد = المفضل بن مواهب بن أسد .
الشافعى = محمد بن إدريس .
ابن شاكر = محمد بن شاكر بن أحمد الكتبى .
شاكر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمان المعرى ٧٠ :
٦ ، (٢٠) / ٧٢ : ١٠ / ٩٩ : ١٣ / ١٠٠ : ٦ / ٢٦٩ :
١٢ / ٢٧٠ : ٣ / ٢٨٩ : ١٦ / ٢٩٠ : ٥ / ٣٤٠ : ١٤ /
٤٩٣ : ١٥ / ٤٩٤ : ١ ، ٩ / ٤٩٥ : ١٥ / ٤٩٧ : ٣ /
٤٩٩ : ١٧ / ٥٠٠ : ٨ / ٥٠١ : ١٢ ، ١٤ / ٥٠٢ :
٧ ، ١٢ / ٥٠٣ : ٥ ، ٧ ، ٩ ، ١٣ / ٥٠٤ : ٧ ، ١٥ ،
١٦ / ٥٠٥ : ١٦ / ٥٠٦ : ٥ ، ٩ ، ١٠ ، ١٧ / ٥٠٨ :
١٩ ، ٢٠ / ٥٠٩ : ١١ ، ٩ / ٥٧٨ : ٣ ، ١١
شبث بن ربعى ٢٤ : ٣ ، ٤ — ٥ / ١٥١ : ٩ / ٣٢٤ : ٤ ،
(١٦ — ٢٠) /
الشبلنجى ٥٩٨ : ١٨
شبيب ١٥٧ : ١٧
أبو شجاع = فاتك الرومى (ممدوح المتنبى) .
أبو شجاع = فاتك ابن عبد الله الرومى (والى حلب) .
ابن الشجرى هبة الله بن العلوى ٤٦٩ : ١٠ ، ١٣ / ٤٧٣ :
١٨ / ٤٧٨ : ١٥ / ٥٦٩ : ١٦
ابن الشحنة (أحمد بن أبى طالب المتوفى سنة ٧٣٠) ٤٠٤ :
١٦
ابن الشحنة = محمد بن محمد بن الشحنة .
شداد بن الأوس ١٢٤ : ٢٠
شرح ٩٥ : ١٤
الشريف الرضى = الرضى .
الشريف بن المحبرة الحلبى ٥٢٦ : ١٨
الشريف المرتضى = على بن الحسين بن موسى .
شعبة ٥٢٢ : ٥
شعبا (غلام أبى المجد) ٧١ : ١٠ ، ١٢ / ٧٢ : ٤
الشلوبين ٤٦٩ : ١٠ / ٤٧٣ : ١٨ / ٤٧٨ : ١٥
شمس الدين = يوسف قزأوغلى .
شمس الدين الدمشقى ٣٠ : ٢٢
شمس الدين الذهبى = محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى .
شمس الدين السخاوى = محمد بن عبد الرحمن السخاوى .

شمس الدين بن المحدّث = محمد بن المحدّث .
شميم الحلى = على بن الحسن بن عنتر .
الشنفرى ٢ : ٤٢/٢ : ١٠٥/١ : ٥٣٦ : ١٠
الشنقيطى = محمد محمود الشنقيطى .
شهاب بن محمد بن منصور المروزى الشيبانى أبو الضياء ٥٠ :
٧/٥١ : ١ ، ١٩٦
الشهاب محمود = محمود الشهاب .
ابن شواش ٣ : ٥٠٢ : ١٤ ، (٢١ـ٢٢)
الشيبانى = شهاب بن محمد بن منصور .
ابن أبى شيبة = محمد بن عثمان بن أبى شيبة .
ابن الشيخ = يوسف بن محمد البلوى .
شيخ المحمودى ٤١٣ : ١٧
الشيرازى = هبة الله بن موسى بن أبى عمران .
ابن الشيرازى = محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن يحيى
ابن بندار .
أبو الشيص ٤٧٤ : ٨

(ص)

الصابونى = إسماعيل بن عبد الرحمن الصابونى .
ابن الصابى = محمد بن هلال بن المحسن الصابى .
صاعد بن سيار بن محمد ٥١٠ ، ٥ :
صاعد (بن عبدوس) الطبيب ٣٩٨ : ٢
صاعد بن عيسى الأندلسى ٣٦٩ : ١١
صاعد بن مدرك بن على بن محمد بن عبد الله بن سليمان ٧٥ :
٨/٥٠٨ : ٨ ، ١٠
الصالح = أيوب بن محمد بن أبى بكر بن أيوب .
صالح بن أحمد بن مدرك بن على ٥١٠ : ٣ ، ٨ ، ١٠
صالح بن سليمان = صالح بن أحمد بن مدرك بن على .
صالح بن عبد القدوس ٤٤ : ٩ ، ٢١ ، ٢٢/١٠٦ : ١٣ ،
٢١/١٣٢ : ٢٠/٥٣٧ : ١٨
صالح بن مرداس ٣٥ : ٢ ، ٥ ، ٦ ، ١١ ، ١٢/٣٦ : ١ ،
٤ ، ٧/١٤٠ : ٦ ، ١١ ، ١٤ ، ١٧/١٤١ : ٤ ،
٨ ، ١٢ ، ١٦/١٩١ : ٧ ، ١٠ ، ١٣ ، ١٤/
٢٧٣ : ٤ ، ٨ ، ٩ ، ١١ ، ١٤/٣١٢ : ١٤/
٥٦٦ : ٦ ، ١٠ ، ٨٧/٥٦٧ : ١١ ، ١٣ ، ١٥/
٥٦٨ : ١ ، ٣ ، ٨ ، ١١ ، ١٤/
أبو صالح بن المهذب المعرى = محمد بن المهذب المعرى .
صدقة بن يوسف الفلاحى ٢٥٢ : ١/٤١٧ : ١٥ ، ١٦ ،
١٩/٥٧٤ : ١٢ ، ٢٣ ، ٢٤
ابن صصرى = الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن حسن .
الصفدى = خليل بن أيبك .
الصقر بن أحمد البلدى أبو سعيد ٤٩١ : ١٥/٥٢٢ : ٣
صلاح الدين الأيوبى = يوسف بن أيوب .
صلاح الدين الأيوبى = يوسف بن العزيز .
صلاح الدين الصفدى = خليل بن أيبك
صلاح الدين الكتبى = محمد بن شاكر بن أحمد الكتبى .
الصنوبرى = أحمد بن محمد الصنوبرى .
الصورى ٥ : ٢٠
الصولى = محمد بن يحيى الصولى .
ابن الصيرفى ٤١٧ : ٢١/٥٧٤ : ١٧ : ٢١ ، ٢٥

(ض)

ابن الضائع ٤٧٩ : ٨
أبو الضياء = شهاب بن محمد منصور المروزى الشيبانى .
ضياء الدين الجزرى = نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم
الجـــزرى .
الضيزن بن معاوية التنوخى ٤٨٧ : ٨

(ط)

أبو طالب المكى = محمد بن على بن عطية الحارثى .
أبو الطاهر = محمد بن أحمد بن أبى الصقر الأنبارى .
أبو طاهر = المشرف بن على بن سبيكة .
أبو طاهر الحلبى ٤٧ : ٢/١٠٨ : ١٦
أبو طاهر بن حميد = إسماعيل بن حميد .
أبو طاهر بن سلفة = أحمد بن محمد الأصبهانى .

أبو طاهر السلفى = أحمد بن محمد الأصبهانى .
طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبرى ٢١٢ : ١٢ ، (١٩ — ٢١) / ٢١٣ : ٨/٢١٤ : ١٦/٢١٥ : ١ ، ٢/ ٢٣ : ٣٩٧
أبو طاهر (عم عبدالله بن الوليد الإيادى) ٥١٤ : ٦
الطائى = حاتم الطائى .
الطائى = حبيب بن أوس .
ابن طبرزد = عمر بن محمد بن معمر بن يحيى .
الطبرسى = أحمد بن على بن أبى طالب .
الطبرى = ابن جرير .
الطبرى = أبو الطيب الطبرى .
الطرماح ٤٣٤ : ١١
الطغرائى = إسماعيل بن الحسين بن على .
الطنطرانى ٤٦٤ : ١٥
ابن الطيب الطبرى ٣٩٧ : ١٤
أبو الطيب الطبرى القاضى = طاهر عبدالله بن طاهر الطبرى .
أبو الطيب المتنبى = أحمد بن الحسين .

(ظ)

الظاهر الأيوبى = غازى بن يوسف بن أيوب .
الظاهر بيبرس ١٨٢ : ٢١
الظاهر (شاعر) ٨٣ : ١٨
الظاهر الفاطمى ٤٥ : ٢١ / ٤٨ : ٢١ / ٥٣٢ : ٢

(ع)

العادل = أبو بكر بن أيوب
ابن أبى العافية ٤٣٩ : ١٦
عامر بن الطفيل ٢٤٨ : ٢
عائشة (أم المؤمنين) ٥٢٤ : ٥
ابن عباس = عبد الله بن عباس
أبو العباس بن خلكان = أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان
أبو العباس عبد الله بن علوان الأسدى ٥٨٨ : ٤
العباس بن عبد المطلب ٢٨٠ : ٢
العباس بن على بن نور الدين المكى ٣٥١ : ٢ ، (٢٠ — ٢١)
أبو العباس العمرى = أحمد بن يحيى بن فضل الله العمرى
أبو العباس المبرد = محمد بن يزيد المبرد
العباس المكى = العباس بن على بن نور الدين المكى
العباسى = عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد
عبد الباقى بن أبى حصين المعرى = عبد الباقى بن عبد الله ابن المحسن بن عمرو
عبد الباقى بن عبد الله بن المحسن بن عمرو التنوخى ٤٩٤ : ١٨ / ٥٠١ : ١١ / ٥١٧ : ١٧
عبد الكريم محمد بن منصور المروزى ٥٠ : ٨/ ٥١ : ١
عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبى الحديد ٣٩٥ : ٢ ، (١٢ — ١٣)
عبد الحى بن أحمد بن محمد الحنبلى ، ابن العماد ٣٤٦ : ٢ ، (١٦ — ١٩) ، ٢٢ / ٣٤٩ : ١٩
عبد الدائم بن مرزوق أبو القاسم ٣٨٦ : ١
عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى ٤٦ : ١١ / ١٠٨ : ١٠ / ١١٠ : ١٦ / ٥٤٠ : ١
عبدالرحمن بن الحسن بن عبد الرحمن الحلبى ٥٥٦ : ١٩ ، ٢١
عبد الرحمن بن على بن الجوزى ١٨ : ٢ ، (١٨ — ٢١) / ٢٠ : ١٩ ، ٢٢ / ٢٢ : ١٧ / ٧٧ : ٩ / ١٥٢ : ١٠ / ٢٦٨ : ١٢ / ٢٧٢ : ٣ / ٢٨٩ : ١ / ٣٠٤ : ٨ ، ١٢ / ٣٠٦ : ١٤ / ٣٠٧ : ١١ / ٣١٥ : ٤ / ٣٢٢ : ١١ ، ٢١ / ٣٢٥ : ٧ — ٣٢٦ : ٤ / ٣٢٨ : ٧ / ٣٨٩ : ٢ / ٣٩٠ : ٢ / ٤١٠ : ٥
عبد الرحمن بن محمد بن الخضر أبو المجد ٥٣٥ : ١٤
عبدالرحمن بن محمد بن خلدون ٤١١ : ٢ ، ٤ ، ١٨ — ٢١
عبد الرحمن بن محمد السيوطى ١٧ : ١٨ / ٢٢٣ : ٢١ / ٣٣٠ : ٢ ، (٢٠ — ٢٢) / ٣٣٤ : ١٦ / ٤١٧ : ٢ / ٤٢٩ : ٢ ، ١٥ ، ٢٥ / ٤٣٣ : ١٨ / ٤٣٦ : ٢٢ / ٤٧٨ : ٥ ، ٧
عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد الشيبانى ٢٧ : ٦ ، (٢٠ — ٢٢)
عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبى سعيد الأنبارى ١٦ : ٢ ، (١٤ — ١٦) / ٤٠٨ : ١٦ / ٥١٦ : ٣ ، ١٩

عبدالرحمن بن مدرك بن على بن محمد بن عبدالله بن سليمان ٧٤ : ١٤/٥٠٨ : ٨، ١٦، ٢١
عبد الرحمن الوزير ٣٦١ : ٧
عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسى ٣٣٥ : ٢، (١٧ — ٢١)
عبد الرحيم بن على البيسانى ٧٠ : ١٨/٣٩٤ : ٢٣/٥٢٨ : ١٢، (١٩ — ٢١)، ٢٣
عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة ٣٥٩ : ١٦، (٢٠ — ٢١)/٣٩٢ : ١٧
عبد الرحيم بن يوسف البلوى ٣٩١ : ١٠
عبدالسلام بن الحسين البصرى ٣١ : ١٥، (١٩ — ٢١)/ ٣٢ : ٥، ١٧، ١٩/٣٣٢ : ١٠/٥١٥ : ١٦/ ٥١٦ : ١/٥٤٤ : ٨ : ٩
عبد السلام بن رغبان ١٢٥ : ٦، (٢٠ — ٢١)
عبدالسلام بن محمد بن يوسف القزوينى ٧٧ : ١٤، (٢٠ — ٢٢)/ ٧٨ : ١٣/١٤٢ : ٨، ١٠، ١١/٢٦٨ : ٦/٢٨٨ : ١٢/٣١٥ : ٧/٣٣٨ : ١٢
عبدالصمد بن أحمد بن عبد الرحمن الضرير الحمصى ٥١٧ : ١
عبد العزيز بن الحسين بن على بن زبيد المصرى ٥٨٩ : ١١
عبد الغالب بن عبد الله بن المحسن بن عمرو التنوخى ٥١٧ : ١٧، ٢٠
ابن عبد الغفور = محمد بن عبد الغفور الكلاعى .
عبدالغفور بن محمد بن عبدالغفور الكلاعى ٤٣٩ : ١٦، ١٨
عبدالقادر بن شيخ بن عبدالله العيدروسى ٤١٨ : ٢، (١٨ — ٢٠)
عبد القادر بن عبد الرحمن السلوى ٢٦٣ : ١٣
عبد القاهر بن عبد الله بن الحسين الوأواء ٥٣٥ : ١٤، (٢١ — ٢٢)
عبد القاهر بن علوى أبو محمد ٥١٠ : ٧
ابن عبد القدوس = صالح بن عبد القدوس
عبد الكريم بن جعفر بن على بن المهذب ٤٩٢ : ٢
عبد الكريم بن الحسن بن حكيم السكرى ٥١٦ : ١
عبدالكريم بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن سليمان ٥٠٣ : ٥، ٦، ١٣
عبد الكريم بن محمد السمعانى ٣ : ٢٢/١٢ : ٢، (١٨ — ٢٠)/ ١٤ : ١١/٦٨ : ٢٠/٨٠ : ٥، ١٨، ٢١/ ٨١ : ١٦/٨٢ : ٨، ١٧/ ٨٣ : ١٦/ ٩٧ : ٥/ ٢٠٠ : ٢٠/٢٦٤ : ١/٢٨٤ : ١٥/٢٨٥ : ١١/ ٣٨٤ : ١٠/٣٩٨ : ٨/٤٠٣ : ١١/٤٩٥ : ١٨/ ٥٠٠ : ٢١/٥١٩ : ٩، ١١، ١٩/٥٢١ : ٢٢/ ٥٥١ : ١٤/٥٥٦ : ١٦/٥٩١ : ١، ٥، ١٠
عبد الله بن أحمد بن إسحاق العباسى أبو جعفر ١٧ : (٢٢ — ٢٣)/ ٦٣ : ١٧/ ٤٢٢ : ٥/٤٦٤ : ٧/٤٦٦ : ٧/٤٦٣ : ١٢، ٦
عبد الله بن أحمد بن الخشاب ٣٨٤ : ٢، ٩، (١٣ — ١٤)/٤٠٨ : ١٥
عبدالله بن أحمد بن سعيد العبدرى أبو محمد ٣٨٦ : ٤، ١٤
عبد الله بن أحمد الموصلى أبو الفضل ٥٤٢ : ٦
عبدالله بن أسعد بن على بن سليمان اليافعى ٢٩٧ : ٢، (٢٠ — ٢٢)/٢٩٨ : ٢١/٣٤٩ : ١٩
عبدالله بن إسماعيل الحلبى الجلى ٤٣ : ١٢، (٢٢ — ٢٣)/ ١٠٦ : ١/٥٣١ : ١٤
عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله الوكيل أبو محمد ٨٢ : ٨، (١٦ — ١٧)
أبو عبد الله الأصبهانى = محمد بن محمد بن عبدالله .
عبدالله بن الحسين بن عبدالله الأنصارى أبو القاسم ٥١٤ : ١٧/ ٥٢٢ : ٧
أبو عبد الله بن خالويه = الحسين بن أحمد بن خالويه .
أبو عبدالله بن أبى الخصال = محمد بن مسعود بن أبى الخصال .
عبدالله بن ذكوان ٥٢١ : ١٤، (٢٣)
عبدالله بن الزبعرى ٤٠١ : ١٥
عبدالله بن سعيد بن مهدى الخوافى ٤١٧ : ٥

عبد الله بن سـليمان بن محمد المعـرّى ١٦ ، ١٧ / ٦٨ :
١٩/٦٩ : ٦٣، ٢٦٦/٣ : ٢٩٥ : ١١/٣٠٩
٢٢/٣٩٧ : ٢١/٤٩١ : ١٧/٤٩٢ : ٦، ١٢/
٤٩٣ : ٦، ١/٤٩٨ : ٨، ١/٥١٥ : ٢/٥١٦ :
١٥/٥٢٣ : ٣
عبدالله بن الطيب ٣٩٨ : ٢
عبدالله بن عباس ٥٢٤ : ١٩
عبدالله بن عمار بن ياسر ٥٨٥ : ٥
عبدالله بن عمر بن محمد بن أبان بن صالح ٥٢٣ : ٥
عبدالله بن عنمة ٤٥٠ : ١٠
أبو عبدالله القنسرى = محمد بن سندى القنسرى .
أبو عبدالله بن كاكير = محمد بن يوسف بن كاكير الدقى .
عبدالله بن أبى المجد = عبدالله بن محمد بن عبدالله بن سليمان .
عبدالله بن المحسن بن عمرو التنوخى ٥١٧ : ١٨
عبدالله بن محمد البغوى ٤٩٢ : ١٠
عبدالله بن محمد بن حسنون بن بازل ٥١٨ : ١٠
عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجى ٩٨ : ٧، (١٩
٢٠)، ٢٢/٣٦٩ : ٢/٤٢٦ : ١٦/٥١٨ : ٧/
٥٣٩ : ٢، ٦/٥٥٢ : ٢٠/٥٥٦ : ١٨/٥٥٧ : ١، ٨
عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى أبو محمد ٣٥٨ : ١٦،
١٧/٣٨٦ : ٣، ٥، ١٢/٥٣٥ : ٤
عبدالله بن محمد بن عبدالله بن سليمان التنوخى أبو محمد ٦٤ :
١٣، (٢٠–٢٣)/٦٥ : ١، ٥، ٦، ١٢/٧٠ :
٢٠/١٨٤ : ١٨/١٤٨ : ١٨/٥٠١ : ١٠ :
١٢ : ٥١٧
عبدالله بن محمد الطوسى ٥٩٢ : ٩
عبدالله بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن سليمان ٥٠٢ :
٦، ٧/٥٠٣ : ٣، ٥، ١٠/٥٠٥ : ٣
عبد الله بن مسعود ٥٢٢ : ٢١
عبد الله بن الممتز ٤٧٤ : ٤
أبو عبد الله بن مقلة ٣٥ : ٢
أبو عبد الله النحوى = نصر بن صدقة القابسى .
أبو عبد الله الهروى ١٩١ : ١٥
عبد الله بن الوليد بن غريب الإيادى أبو محمد ٣٣ : ٢/
١٨٣ : ٧/٢٦٥ : ١٠/٢٨٦ : ١١/٣٢٠ : ١
٣٣٥ : ١٠/٣٤٧ : ٩، ٢٠، ٢١/٥١٤ : ٤
عبدالله بن ياسر ٥٨٥ : ١٩
عبد المحسن بن محمد بن على الصورى أبو المنصور ٥١٩ :
٤/٥٥١ : ١٤
عبد المطلب بن الفضل بن عبد المطلب الهاشمى ٥٩١ : ١، ٩
عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى أبو منصور ٣ : ٢،
(١٣ – ١٦)، ١٧، ١٩/٧٩ : ٧/٨٠ : ١٤/
٢٦٥ : ١٤/٢٨٦ : ١٥/٥٥٧ : ١٨
عبد الملك بن محمد بن هشام القيسى أبو الحسين ٣٨٥ : ١٥/
٣٨٦ : ٤
عبد المنعم بن أحمد بن أبى الروس السروجى ١٩٩ : ٧
٣١٣ : ١٥/ ٣٣٩ : ١٣/٣٥٥ : ٣٨٦٥ : ٤
عبد الواحد بن عبد الله بن سليمان المعرى أبو الهيثم ٦٩ : ١٣/
٢٦٦ : ٤/٢٩٥ : ١٢/٤٩٣ : ١٠، ١٢، ١٤،
١٥/٤٩٤ : ٣، ٦، ١١/٤٩٥ : ١٢، ١٦/
٤٩٦ : ٤، ٧/٤٩٩ : ٥، ٧، ٨/٥١٧ : ٤/
٥٤١ : ١٩/٥٤٤ : ١٠/٥٤٨ : ٨/٥٥٠ : ١
عبد الواحد بن الفرج بن نوث المعرى ٢٨٤ : ٧، ٢٢–
٢٥/٢٩٦ : ٧، ١٥
عبد الواحد بن مسعود بن الحصين الشيبانى أبو غالب ٥١٢ :
١٢ – ٥٤٣ : ٦
عبد الواحد بن نوث المعرى = عبد الواحد بن الفرج بن نوث
عبد الوارث بن محمد بن عبد المنعم الأسدى الأبهرى ١٩٣ :
١٧/١٩٨ : ١، ١٤/٢٠٠ : ٨، (١٩–٢١)/
٢٠٤ : ٢/٢٧٣ : ١٧/٣١٣ : ١٠/٣١٤ : ٣/
٤٣٠ : ١١/٥١١ : ١١/٥١٨ : ١٦/٥٢٠ : ٥،
٦، ٧، ٩، ١١، ١٤
عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى ٤٠٩ : ٢، (١٥–١٧)
عبد الوهاب المالكى ٣٠٢ : ٢٠
العبدرى = محمد بن محمد بن على بن أحمد بن مسعود العبدرى .
عبدل (فى شعر) ١٢٥ : ٢

عبس بن عيسى بن علوان العليمى ١٢٥ : ١
أبو عبيد ٥١ : ١٨/٥٢ : ٥
عبيد الله بن على بن عبيد الله بن غلندة الأموى ٩٣٦ : ٤
عبيد الله القشيرى ٨٢ : ٨
أبو عبيدة ٥٨٩ : ٢/٥٩٤ : ٢
أبو عبيدة بن الجراح ٤٨٨ : ١٤/٤٨٩ : ٥
عبيد الله بن على بن عبد الله الرقى أبو القاسم ٥١٩ : ١
عبيد الله بن محمد بن أحمد بن الحريص البزار ٤٩٥ : ١٠، (١٨ — ٢٠)
أبو العتاهية ٣٥٨ : ١٩٦٨، ٢٠
أبو عتبة الحمصى ٥٢٢ : ١٢
عتبة بن أبى سفيان ٥٦ : ١٧
عتيق = أبو بكر
عقبة بن علقمة اليشكرى أبو الجنوب ٥٢٣ : ٦، ٧ (٢١ — ٢٣)
أبو العثمان = المبارك بن أحمد بن عبد العزيز الأنصارى
أبو عثمان الأنصارى = المبارك بن أحمد بن عبد الأنصارى
عثمان بن أبى بكر السفاقسى ٥١٨ : ١٢
أبو عثمان الجاحظ = عمرو بن بحر الجاحظ
عثمان بن جنى ٣٣٢ : ١٩، ٢٠
عثمان بن خرزاذ ٥٢٣ : ٤، (١٧ — ١٩)
عثمان بن عبد الله بن إبراهيم الطرسوسى ٤٩٢ : ٢/٥١٧ : ٣/٥٥٠ : ١٨
عثمان بن عبد الله الكرجى ٥٢ : ٣
عثمان بن عفان ٣٢٤ : ١٧/٥٢٢ : ٢١
ابن العجمى = عبد الرحمن بن الحسن بن عبد الرحمن الحلبى
ابن العديم = عمر بن أحمد بن محمد بن أبى جرادة
أبو عدى = النعمان بن وادع
عدى بن الساطع ٤٨٩ : ١٠، ١٢
عدى بن عبد الباقى ٥٢ : ٤، ٥
أم العرب = فاطمة بنت على
ابن العربى ٣٨٥ : ٧، ١٤، ٢١/٣٨٦ : ٩، ١٢، ١٨/٤٣٩ : ١٧
أبو عروبة الحرانى = الحسين بن محمد بن مودود السلمى الحرانى
عز الدين الجزرى = على بن محمد بن محمد الجزرى
عز الدين بن عبد الرزاق ٤٧٥ : ٢
عزرائيل ١٤٨ : ٧
عزة (صاحبة كثير) ٤٢ : ١/٩٠ : ١/٢٠٤ : ١٨/٣٧١ : ٩٦٧/٥٣٦ : ٩
العزى (صنم) ٢٦١ : ١٨
العزيز بالله الفاطمى ٥٣٢ : ١٧
عزيز الدولة = ثابت بن ثمال بن نصير بن صالح .
عزيز الدولة = فاتك بن عبد الله الرومى .
ابن عساكر ١٩١ : ١٦/٤٠٣ : ١١/٤٩١ : ٢٠/٤٩٢ : ٢٢/٥٠٥ : ٢٠٦٦
عصا قصير (فرس) ١٥٥ : ١١
ابن العصار ٩٧ : ٢
أبو عطاء السندى ٤٧٣ : ١٩
عفيف الدين اليافعى = عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان .
ابن أبى عقامة = الحسن بن أبى عقامة .
ابن عقبل = على بن عقبل .
ابن عقيل (النحوى) ٤٧٥ : ٦، ٨/٤٧٩ : ١٣
العكبرى ٣٦١ : ٢١/٥١٥ : ١٩
العلاء ٥٢٢ : ٥
أبو العلاء الأندلسى = صاعد بن عيسى .
العلاء بن حزم الأندلسى = العلاء بن عبد الوهاب بن أحمد .
العلاء بن عبد الوهاب بن أحمد بن حزم الأندلسى ٧ : ٧، (١٦ — ٢٠)/١٣ : ١١/٢٩ : ١١/٥١٢ : ١٠/٥١٨ : ١٢
أبو العلاء بن زيك ٣٩٨ : ٤
أبو علقمة المصرى ٥٢٢ : ١٣، (٢١ — ٢٢) .
ابن العلقمى = محمد بن العلقمى .
علم الدين السخاوى = على بن محمد بن عبد الصمد السخاوى .
أبو العلوان = ثمال بن صالح .
العلوى = ناصر بن خسرو .
ابن علوى = عبد القاهر بن علوى .

العليمى = عمر بن محمد العليمى
على (الملك) ١٧١ : ١٠
على بن أحمد بن الدويدة ٥٠١ : ١١
على بن أحمد المقرى الحلبي ٥١٨ : ٨
على بن أحمد بن يوسف الحكارى ٥٥ : ١٧/٥٦ : (١٧ — ٢١)/٥١٩ : ٣
أبو على بن أريس ٥١٥ : ١٣
أبو على الأوفى ٥٨٩ : ١٠
على بن بركات بن منصور الزحي أبو الحسن ٥٥ : ١١ / ٥٦٢ : ٩
على بن أبي بكر الهروى ٥٨٨ : ٩
على بن جعفر بن فلاح ٤١٧ : ١٥ — ١٨/٥٧٠ : ١٧/٥٧٤ : ١١/٥٧٧ : ١٦
على بن الجهم ٩٧ : ٧، ١٠/٣٨٩ : ٥، ٨، ٢١
على بن الحسن بن على الباخرزى ٨ : ٢، (١٥ — ١٦)/٥٥ : ١/١٩٢ : ٨/٢٦٩ : ١/٢٨٩ : ٦/٤٢٦ : ٣
على بن الحسن بن عنتر ٣٩٢ : ١١
على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الشافعى الدمشقى ٥٠٢ : ١١، (١٨ — ٢٠)/٥٠٤ : ٦/٥٠٥ : ١٧
على بن الحسين بن عمر الفراء ٥١٠ : ٥
على بن الحسين بن مردك أبو الحسن ٥٢٣ : ١٢
على بن الحسين بن موسى ، المرتضى ١٧ : ١/٣١ : ١٤/٧٦ : ١، ٢، ٥، ٦، ٩٨/١١ : ٢٢٣ : ٩، ١٥/٢٦٦ : ١٤، ١٥/٢٦٧ : ١، ٥/٢٨٧ : ٧، ٨، ١١، ١٤/٢٩٨ : ١٨/٢٩٩ : ٨/٣٠٢ : ٢١/٣٣٢ : ١٢، ١٥، ١٦/٣٣٣ : ١/٣٣٦ : ٨، ٩، ٢٠/٣٤٩ : ٤، ٧/٣٥٤ : ٧، ٩، ١٢/٣٦١ : ١٤/٣٨٠ : ٣، ٥، ١٢، ٢٠/٣٨٢ : ١٧، ٢١/٣٩٧ : ١٣/٤٢٩ : ٢١/٤٣٠ : ٢/٤٤٣ : ١٤/٥٤٤ : ١
أبو على بن الحلال ١٩٣ : ١٦
على بن سبيكة = على بن محمد بن سبيكة
أبو على السكرى = عبد الكريم بن الحسن بن حكيم السكرى .
أبو على بن السمح ٣٩٨ : ١
على بن أبي طالب ٤٨ : ٧، ١٩/٦١ : ١١/١١٠ : ١١/١٣١ : ١، ٢/١٣٨ : ٣/١٧٩ : ٨/٢٠٤ : ٢/٣٢٤ : ١٧/٣٥٣ : ١١/٤٥٠ : ٦/٥٢٣ : ٦، ٨، ٢١/٥٢٤ : ١٩/٥٤١ : ١٣
على بن العباس الرومى ١٧٣ : ٨/٣٧١ : ١٥/٤٦٤ : ١٤
على بن عبد العزيز ٥٢ : ٥
على بن عبد الله بن محمد بن أبي جرادة ٥١٧ : ٦/٥٢٢ : ٢/٥٣١ : ١٦/٥٣٥ : ١٣
على بن عبد الله بن أبي هاشم أبو الحسن ٣٢ : ٩، ١٩/٣٨ : ١٣/٤٩ : ١٤/٥٤ : ١٤/١٠١ : ٨/٢٠١ : ٦/٢٢٣ : ١٧/٥١٨ : ٢/٥٢٥ : ٩، ١٥
على بن عدلان ١٣٩ : ٨، (١٨)
على بن عقيل ٢٠ : ١، ١٢، (١٥ — ١٦)/١٤٤ : ١٦/٣٠٤ : ٤، ١٩/٣٢٢ : ٧
على بن عيسى الربعى ١٦ : ١٠، (٢٠ — ٢٣)/٧٥ : ١٦، ١٧/٩٤ : ٥/٢٦٦ : ١١/٢٨٧ : ٤/٣٩٨ : ٣/٥١٥ : ١٦/٥١٦ : ٥
على بن غنائم الرخيمى الكفرطابى ٥١٨ : ٩
أبو على الفارسى ١٦ : ٢١/٤٧٧ : ١٦
على بن الفضل بن على المقدسى ٥٢٠ : ٤
أبو على القالى = القالى
على بن مأمون الدلفى المصيصى أبو الحسن ٣ : ٧، (١٧ — ١٨)/٧٩ : ٧/٢٦٥ : ١٤/٢٨٦ : ١٥/٣٣٦ : ١، ١٩/٥١٩ : ٥/٥٥٧ : ١٩
على بن المحسن التنوخى ٥ : ٧، (١٩ — ٢٢)/٦ : ٣/١٣ : ٣/١٦ : ١٠/٢٨ : ٩/٣ : ٥، ٩/١٨٣ : ١/٢٠٥ : ١/٢٠٧ : ٥/٢٧٣ : ١٦/٢٩٧ : ١٤/٣٠٨ : ٢/٣١٥ : ١/٣٢٠ : ٦/٣٢٢ : ١١/٣٤٧ : ٤/٣٥٢ : ١٥/٥١٨ : ١٥
على بن محمد بن أحمد بن عمار ٥٥٧ : ١٣، ١٥
على بن محمد بن سبيكة ٨٣ : ٥/٥١١ : ١٧

على بن محمد بن السيد البطليوسى ١ : ٣٨٦
على بن محمد بن عبد الصمد السخاوى ٢٨٣ : ١٥ ، (١٩ — ٢١) / ٢٩٢ : ١٤ / ٣٤٢ : ١٣ / ٣٩١ : ٢٠ / ٤٠٦ : ١١ / ٤١٨ : ٢٢ / ٥٩٦ : ١٦
على بن محمد بن عبد اللطيف أبو الحسن ٥١٧ : ١٥ ، ١٦ ١
على بن محمد بن عبد الله بن سليمان ٤٩٦ : ٥ / ٤٩٨ : ٩ ، ١٢ ، ١٥ / ٤٩٩ : ١ ، ٥ / ٥٠٧ : ٩ / ٥٠٨ : ١٧ / ٥١٧ : ١٢ / ٥٢٥ : ٣ ، ١٦
على بن محمد بن أبي القاسم ابن رزين ٤٥٦ : ١٢ / ٤٥٧ : ٦
على بن محمد بن كامل النخعى الحنفى ٤٩١ : ١٤
على بن محمد بن محمد الجزرى ٤٨ : ٢٣ / ١٤٢ : ٢ ، (٢٠ — ٢٢) / ٣٠٩ : ١٦ / ٥٧٤ : ٢٤ ، ٢٥
أبو على المرزوقى = أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى
على بن مرضى بن مدرك ٥٠٩ : ٧ ، ١٦ / ٥١٠ : ١
على بن منصور بن طالب الحلبى ٨٣ : ١٧ / ٥٣٣ : ١١ ، ١٢ ، (١٨ — ٢٢) ، ٢٣
على بن المهذب بن محمد المعرى ٥٥٠ : ١٨
على بن مهند بن على بن مقلد بن منقذ ٥٦٤ : ٩
على بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد ٤٠١ : ١١
أبو على بن موصلايا ٩٩٨ : ٤
على بن النبيه ٤٧٤ : ١٤
على بن همام ٢٥ : ٢١ / ٧٧ : ١٧ / ١٥٢ : ١٨ / ١٨٥ : ١ / ٢٠٥ : ٧ / ٢٠٨ : ١١ / ٢٧٢ : ٧ / ٢٩٦ : ٣ / ٣٠٠ : ٨ / ٣٠٧ : ٩ ، ٢١ / ٣١٥ : ١٠ / ٣٢٧ : ١٢ ، ٢٠ / ٣٣٨ : ٥
على بن الهمام = على بن همام
أبو على بن الهيثم ٣٩٨ : ١
على بن يوسف بن إبراهيم القفطى الشيبانى ٦ : ٢٣ / ٨ : ١٨ / ٢٧ : ٢ ، (١٢ — ١٧) / ٣٥ : ١٨ / ٣٨ : ١٩ / ٥٢ : ١٨ / ٥٤ : ١٨ / ٥٦ : ٢٠ / ٦٠ : ٢١ / ٦١ : ٢٠ / ٦٥ : ٧٦ ، ١٨ / ٦٧ : ٢٠ / ٧٧ : ١٩ / ١٠١ : ٢١ / ١٠٢ : ٢٠ / ١٠٣ : ٢٠ ، ٢١ / ١٠٥ : ٢٠ / ١٠٦ : ٢٢ / ١٠٧ : ٢١ / ١٠٨ : ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ / ١٠٩ : ٢٠ / ١١٦ : ٢٠ / ١٣٩ : ٢٠ / ١٤٠ : ١ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ / ١٤٨ : ١٦ / ١٥٢ : ١٨ / ١٩١ : ٧ ، ٢٠ ، ٢٢ / ١٩٢ : ١٤ / ٢٠١ : ١٤ ، ٢١ / ٢٠٢ : ١٩ — ٢٢ / ٢٠٣ : ٢٠ / ٢٠٤ : ١١ ، ١٩ / ٢٢٣ : ١٧ / ٢٧٤ : ١٧ ، ١٩ — ٢١ / ٢٧٥ : ١٥ ، ١٩ / ٢٨١ : ٢٢ / ٢٨٩ : ١٩ / ٢٩٤ : ٢١ / ٣١٥ : ٢١ — ٢٣ / ٣٣٨ : ٢٠ / ٣٤٥ : ١ ، ٤ ، ١٠ ، ١١ / ٥٣٤ : ٢٢ / ٥٣٦ : ١٨ / ٥٦٢ : ٢٢
العماد الأصفهانى = محمد بن محمد بن حامد الأصبهانى أبو عبد الله .
ابن العماد الحنبلى = عبد الحى بن أحمد بن محمد .
عماد الدين = زنكى بن آق سنقر .
ابن عمار = على بن محمد بن أحمد بن عمار .
عمار بن ياسر ٥٨٥ : ١٩ ، ٢٠
عمر (فى شعر) ٤٧٣ : ٢٠ / ٤٧٥ : ١٤ ، ١٥
عمر بن أحمد بن محمد بن أبى جرادة ١٤ : ٢٢ / ٤٢ : ٢٠ ، ٢٣ / ٤٣ : ١٩ ، ٢٠ ، ٢٣ / ٤٤ : ٢٣ / ٤٥ : ٢١ / ٤٧ : ٢٠ / ٦٤ : ١٩ ، ٢١ / ٩٩ : ١٣ / ١٤١ : ٢٠ / ١٩٦ : ١٩ / ٢٠٠ : ١٩ / ٢١٠ : ١٩ / ٢١٩ : ١٤ ، ٦ / ٢٢٠ : ١٩ ، ٢٠ / ٢٢١ : ١٢ ، ٢٠ / ٢٢٦ : ٢٠ / ٢٢٧ : ٢٠ / ٢٤٩ : ١٨ / ٢٥٠ : ٢٢ / ٢٦٦ : ٦ / ٢٦٩ : ١١ / ٢٧٣ : ٨ / ٢٧٥ : ١٧ ، ١٨ ، ١٩ / ٢٨٩ : ٢١ / ٢٩٥ : ١٥ / ٣٣٣ : ١٣ / ٤١٧ : ١٤ / ٤٨٣ : ٣ ، ٦ ، ٧ ، ١٥ ، ٢٣ / ٤٨٩ : (٢٢ — ٥٢) / ٥٠٠ : ١٩ / ٥٥٢ : ١٧ / ٥٦٢ : ٢٠ / ٥٨٤ : ٢٣ / ٥٨٥ : ٢١ / ٥٨٧ : ١٥ / ٥٩٢ : ٢ / ٢٠
عمر بن أبى جرادة = عمر بن أحمد بن محمد بن أبى جرادة .
عمر بن الخطاب ٦١ : ١٠ / ١١٣ : ٥ ، ١٢ / ١٧٩ : ٨ / ٢٠٩ : ٤ / ٣٥٣ : ١١ / ٤٨٨ : ١٨ / ٤٨٩ : ٢ ، ٢١ / ٥٢٣ : ٧ ، ١٠
عمر بن عبد العزيز ٥٩١ : ٦ / ٥٩٧ : ١٢ ، ١٥
عمر بن محمد العليمى ٥٠٠ : ١١ : ٢٢ / ٥١٠ : ١٧ ، ١٨
عمر بن محمد بن معمر بن يحيى أبو حفص بن طبرزد ٥٠٦ : ١٧ ، (٢٠ — ٢٢) / ٥٧٥ : ١٠ / ٥٩١ : ١٢

عمر بن المظفر بن عمر بن الوردى ١٤١ : ١٩/١٨٦ : ١٦/ ٢٠٦ : ٢، (١٨—٢٢)/٢٠٩ : ١٧، ٢٢/٢١٦ : ١٢/٢١٧ : ٢١/٤٠٣ : ٢
أبو عمران المغربى ٥٥ : ١٢/٥٦٢ : ١٠
ابن أبى عمران = هبة الله بن موسى .
عمرو (المذكور فى النحو) ٤٧٣ : ١٣/٤٧٧ : ١٣/ ٤ : ٤٧٩
عمرو (فى شعر) ٨٣ : ١٣/١٠٤ : ٦
أم عمرو (فى شعر ابن الزعرى) ٤٠١ : ٩، ١٦
أم عمرو (فى شعر الشنفرى) ٤٢ : ٤/٥ - ١٠ : ٤/٥٣٦ : ١٢
عمرو بن بحر الجاحظ ٣٧٣ : ٦/٤٢٣ : ١١
أبو عمرو السفاقسى ٣٨٥ : ٩
أبو عمرو الطرسوسى = عثمان بن عبد الله الطرسومى .
عمرو بن العاص ٣٢٩ : ١٣
أبو عمرو الكرجى = عثمان عبد الله الكرجى .
عمرو بن كلثوم ١٢٢ : ٢٢
عمرو بن لأى (فى شعر) ٩٠ : ١٨
عمرو بن مرزوق ٥٢٢ : ٤
عمرو بن معدى كرب ٨٧ : ١٨
العمرى = أحمد بن يحيى بن فضل الله العمرى .
العميد = خير بن محمد بن على التنوخى .
أبو عمير = عدى بن عبد الباقى .
ابن عنين = محمد بن نصر الدين بن نصر بن الحسين بن عنين الأنصارى .
عياض القاضى ٣٨٥ : ٢١
العيدروسى = عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروسى .
عيسى (عليه السلام) ٢٤ : ١٣/٣٠ : ٢١، ٥٧ : ١٦/ ٦٠ : ٤/٦١ : ١٤/١١٢ : ١٣/١١٥ : ١٦/ ١١٧ : ٦/١٤٦ : ١١/١٤٩ : ١، ١٧/١٨٧ : ١١/١٩٣ : ١٤/١٩٦ : ١٥/٢١٥ : ١٣/ ٣٠٦ : ١٠، ١٢/٣١٠ : ٢/٣١٧ : ١٢/ ٣٢٤ : ١٤/٣٣٠ : ٩/٣٤٩ : ١٥/٣٦٣ : ٢/ ٤٠٥ : ١٦/٤٠٦ : ١٨
عيسى بن عبد العزيز اللخمى أبو القاسم ٥٢٠ : ١٣/ ٥٢٢ : ٨
عيسى بن محمد بن أيوب ١٣٩ : ٩، (٢١—٢٢)
أبو العيناء ٤٠٨ : ١٨
العينى = محمود بن أحمد بن موسى العينى .

(غ)

غازى بن أيوب ٣٩٤ : ٢٤/٥٨٨ : ١، (٢٠ — ٢١)
أبو غالب = كليب بن على
غالب بن عيسى بن أبى يوسف الأنصارى ١٩٩ : ١/٢٠٥ : ٣، (١١ — ١٣)/٢٧٣ : ١٧/٣١٥ : ٢/٥١٨ : ١١
أبو غالب بن مهذب المعرى = همام بن الفضل بن مهذب المعرى
أبو غالب بن نهان ٢٦ : ٦/٦٤ : ٤/١٥٢ : ٤/١٩٦ : ٨/٣٢٨ : ١٠، ١٣/٣٤٤ : ١٥
غرس النعمة = محمد بن هلال الصابى
ابن غريب الإيادى = عبد الله بن الوليد بن غريب
الغزالى = محمد بن محمد بن محمد بن أحمد
أبو غسان ٨٦ : ٥
غلام ثعلب ٤٣١ : ١١
ابن غلندة = عبيد الله بن على بن عبيد الله
غنم بن الساطع ٤٨٩ : ١١، ١٣
الغورى (السلطان) ٣٣٥ : ٢٠
غياث أبو المظفر = محمد بن الظاهر
غيلان بن عقبة ذو الرمة ٨٦ : ١٦/٥٤٢ : ١٢، ١٤

(ف)

فاتك الرومى أبو شجاع (ممدوح المتنبى) ٥٣١ : ٢٠
فاتك بن عبد الله الرومى أبو شجاع ٤٥ : ٨، ١٠، (٢٠— ٢١)/١١٠ : ٥/٢٥٢ : ٢/٢٥٤ : ١٠/٢٥٥ : ٩، ٢١٧ : ١١، ٢٢/٥٣١ : ١٩، ٢١/٥٣٢ : ١، ٢، ٦، ١١، ١٢/٥٤٠ : ١٨/٥٦٥ : ١٦/ ٥٧٣ : ١٦/٥٧٤ : ٢/٥٧٧ : ١٦، ١٨

فاتك الوحيدى = فاتك بن عبد الله الرومى
الفارابى ٣٤ : ٦ ، ١٠ ، ١٩/٢٤٩ : ١٥/٥٦٠ : ١٨
الفارمى = أبو على
فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ٤٥٠ : ٥
فاطمة بنت على أم العـرب ١٩٥ : ٤ ، (١٩ ـ ٢١)/
١٩٨ : ٨ ، ٢٠
أبو الفتح = الظاهر بيبرس
أبو الفتح (أخو عبد المنعم السروجى) = أبو الفتح بن أحـمد
ابن أبى الروس السروجى
أبو الفتح = محمد بن الحسين
أبو الفتح = محمد بن على بن عبد الله بن أبى هاشم
أبو الفتح بن أحمد بن أبى الروس السروجى ١٩٩ : ٨/٢٠٠ :
٤/٣١٣ : ١٦/٣٣٩ : ١٤/٢٤٠ : ٩/٣٥٥ :
٦/٣٥٦ : ١/٥١٨ : ١٩
أبو الفتح البستى ٤٦٤ : ١٥
أبو الفتح بن الجلى = عبد الله بن إسماعيل بن الجلى
أبو الفتح بن جنى = عثمان بن جنى
أبو الفتح بن أبى حصينة = الحسن بن عبدالله بن أبى حصينة
المعـرى
الفتح بن خاقان ٤٣٩ : ٢١
أبو الفتح بن دقيق العيد = محمد بن على بن وهب بن مطيع
القشيرى
أبو الفتح بن سـيد الناس = محمد بن محمد بن محمد بن أحمد
بن سيد الناس
أبو الفتح النيسابورى ٣٩٨ : ٣
فتح الدين بن سيد الناس = محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن
سيد الناس
فخر الدين الرازى ٢٦٧ : ١٧ ، ٢٠/٢٦٨ : ٣/٢٨٨ :
٩ ، ٥
أبو الفداء = إسماعيل بن على بن الأفضل
أبو الفرج = فرقد بن ظافر
أبو الفرج بن الجوزى = عبد الرحمن بن على بن الجوزى
أبو الفرج الضرير = عبد الصمد بن أحمد بن عبد الرحمن
أبو الفرج بن الطيب = عبد الله بن الطيب
أبو الفرج الوأواء = عبدالقاهر بن عبدالله بن الحسين الوأواء
الفرزدق ٤٦٤ : ١٤
الفرضى ٥٩٨ : ٦
فرعون ١٥٤ : ١/٢٢٨ : ٦/٢٨٢ : ٣/٢٩٥ : ٢
فرقد بن ظافر الكانى ١٩٥ : ٤/١٩٨ : ٨
أبو الفضائل المعرى = عبد الكريم بن عبد الله بن محمد
ابن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمان
أبو الفضل البغدادى ٣٨٥ : ١٧
أبو الفضل بن الحسين ٣١١ : ١٣
أبو الفضل بن أبى الحسين بن محمد المعرى ٥٢٣ : ٢٢
أبو الفضل بن صاخ ٥١٨ : ١
أبو الفضل العسقلانى = أحمد بن على بن محمد العسقلانى
أبو الفضل الكلاعى = هبة الله بن ذكوان بن محمد الكلاعى
ابن فضل الله العمرى = أحمد بن يحيى بن فضل الله العمرى
ابن الفقيه ٩٩ : ٢١
فناخسرو ١٦٤ : ٦
ابن فورجه = محمد بن محمد بن محمد
الفيروز أبادى = المجد الفيروزأبادى

(ق)

قابوس ١٦٤ : ٦
أبو قابوس = النعمان بن المنذر بن امرئ القيس .
ابن القارح = على بن منصور بن طالب الحلبى .
أبو القاسم (مهجو أبى العلاء) ٩٢ : ٣ ، ٢/٢٧٥ : ١٢ ، ١٣
أبو القاسم الآمدى = الحسن بن بشر الآمدى .
أبو القاسم التنوخى = على بن المحسن التنوخى .
أبو القاسم التنوخى = المحسن بن عمرو التنوخى .
أبو القاسم بن أبى جرادة = عمر بن أحمد بن محمد بن أبى جرادة .
أبو القاسم الحافظ الشافعى = على بن الحسن بن هبة الله بن
عبد الله بن الحسين الشافعى .

أبو القاسم بن الحسين الأنصارى ١١ : ٥ : ١٠
أبو القاسم الدمشق = ابن عساكر .
أبو القاسم الزجاجى = عبد الرحمن بن إسحاق .
أبو القاسم الزمخشرى = محمود بن عمر بن محمد .
أبو القاسم الزنجانى ٤٣٩ : ١٦
أبو القاسم بن زنكى = محمود بن زنكى .
أبو القاسم بن سبيكة = على بن سبيكة .
أبو القاسم شاهنشاه = الأفضل بن بدر الجمالى .
أبو القاسم بن صصرى = الحسين بن هبة الله بن محفوظ ابن حسن .
أبو القاسم بن عبد الغفور ٤٥ : ١٨
أبو القاسم بن عساكر = ابن عساكر .
القاسم بن على بن محمد الحريرى البصرى ٣٣٥ : ٢١/ ٣٨٤ : ٤٠١ (٧ — ١١)/٣٩٢ : ١٧/٤٠٧ : ١١/٤٣٢ : ١٠، ١١/٤٦٤ : ١٥
أبو القاسم الكلاعى = محمد بن عبد الغفور بن محمد بن عبد الغفور الكلاعى .
أبو القاسم الكندى = الحسن بن منصور بن محمد الكندى .
أبو القاسم المرتضى = المرتضى .
أبو القاسم بن المعلى = المحسن بن عمرو بن المعلى .
أبو القاسم بن المغربى = الحسين بن على المغربى .
أبو القاسم الهادى = محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
القاضى الأشرف = بهاء الدين أبو العباس أحمد .
القاضى الأكرم = على بن يوسف بن إبراهيم القفطى .
القاضى الفاضل = عبد الرحيم بن على البيسانى
القاضى أبو محمد التنوخى = عبد الله بن محمد بن عبد الله
القالى ٩٠ : ٢٠، ٢١/٣٧٦ : ٥/٣٧٧ : ٢٢
القائم بأمر الله العباسى = عبد الله بن أحمد بن إسحاق العباسى
قباذ ١٨٩ : ٢٣
قتيلة العلم = الحسن بن على بن عمر
القدورى = أبو الحسن القدورى .
قراقوش بن طلقاش ٥٩١ : ١١
القزاز = عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد الشيبانى .
القزوينى = زكريا بن محمد بن محمود .
القزوينى = عبد السلام بن محمد بن يوسف القزوينى .
القزوينى (صاحب تلخيص المفتاح) = محمد بن عبد الرحمن القزوينى .
قس بن ساعدة الإيادى ٢٣١ : ١٧/٢٧٨ : ١/٣٦٥ : ٥
قصير بن سعد اللخمى ١٥٥ : ١١، ٢٢
قطرى ١٥٧ : ١٧
القفطى = على بن يوسف بن إبراهيم الشيبانى .
ابن القلانسى ٥٣١ : ٢٠/٥٣٣ : ١٥، ١٦/٥٩٣ : ٢٢
قيس بن ذريح ١٧٠ : ١٩
ابن القيسرانى = محمد بن نصر بن صغير .
قيصر ١٦٤ : ٤/٢٥٩ : ٥

(ك)

ابن كادش = أحمد بن عبيد الله بن كادش العكبرى .
ابن كبشة = محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ابن كثير = إسماعيل بن عمر بن كثير .
كثير عزة ٩٠ : ٢١/١٠٤ : ١٧/٣٧١ : ٦/٥٣٦ : ٨
ابن أبى كدية = محمد بن عتيق بن أبى نصر التميمى .
الكردانى ٣٧ : ١١
أبو الكرم = نميس بن على الجوزى النحوى .
كساب (كلبة) ٤٣١ : ٧/٤٣٣ : ٨، ١
الكسائى ٣٨٣ : ١٩
كسرى ١٦٤ : ٤/١٧٦ : ٦/١٨٧ : ٤/٢٤٣ : ٤/ ٢٥٩ : ٤/١٥٨٤ : ١٩
كسيب (كلب) ٤٣٢ : ٦، ١٣
كعب بن مامة ٨٣ : ٨
ابن الكفرطابى = سالم بن على بن تميم .
الكلاعى = سليمان بن موسى .
الكلبى = محمد بن السائب بن بشر الكلبى
كليب بن على ، مصطفع الدولة ٤٦ : ١٠، ٢١/١٠٨ : ٣، ٢/٥٤١ : ٩

الكليم = موسى (عليه السلام) .
كمال الدين = عمر بن أحمد بن محمد بن أبي جرادة .
كمال الدين بن الأنبارى = عبد الرحمن بن محمد الأنبارى .
كمال الدين بن الزملكانى = محمد بن على بن عبد الواحد .
كمال الدين بن النبيه = على بن النبيه .
ابن كهبار الفارسى ٥١ : ١٦

(ل)

اللات (صنم) ٢٦١ : ١٨
لبد (نسر لقمان) ٢٥٣ : ٥ ، ٦/٥٧١ : ١١ ، ١٢
ليـد ٢٥٣ : ٢٠/٤٣١ : ٦/٤٦٤ : ١٤/٥٧١ : ٢٠
لسان الدين بن الخطيب ٤٢١ : ١٣ ، ١٤ ، ١٦
لميس ٨٧ : ١٠
ليلى بنت المحلق ٢٨٠ : ٤ — ٦

(م)

مادر (البخيل) ٢٣١ : ١٧/٢٧٨ : ١/٣٦٥ : ٥
ماروت ٢٢٨ : ٥
مالك (عليه السلام) ٥٩ : ١٠ ، ٢٠
مالك بن أنس ١٧١ : ١٣
مالك بن زهير ٨٧
الماوردى ٣٩٧ : ١٤
المبارك بن أحمد بن الأخوث ٩٧ : ٥
المبارك بن أحمد بن عبد العزيز الأنصارى ٥١ : ١
المبرد = محمد بن يزيد المبرد
المتلمس = جرير بن عبد المسيح
المتنبي = أحمد بن الحسين المتنبي
أبو المنوح بن منقذ = مقلد بن نصر بن منقذ
أبو المجد = محمد بن عبد الله بن سليمان
أبو المجد = محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله المعرى
المجد الفيروزابادى ٤١٩ : ٩/٥٩٨ : ١١
أبو المحاسن = محمد بن نصر الدين بن نصر بن الحسين بن عنين المحبي ٤٠١ : ١٥/٢١٨ : ٢٠/٤٣٣ : ٢٢/٤٣٤ : ٢٥/٤٥٠ : ١٧/٥٩٢ : ٢٢
المحسن بن على بن محمد التنوخى ٦ : ٢٠
المحسن بن عمرو التنوخى ٤٩٧ : ١٢/٥١٧ : ١٦
المحسن بن عمرو بن المعلى ٨٠ : ١٤ ، ١٦
المحلق ٢٨٠ : ٦
بنت المحلق = ليلى
محمد صلى الله عليه وسلم ٢٤ : ٣ ، ٥ ، ١٣/٥٧ : ١٦/٦٠ : ٤/٨٣ : ١٠/٩٣ : ٤/٩٨ : ٨/١١٢ : ١٣/١١٥ : ١٦/١٢٤ : ١٦/١٣٠ : ٤ ، ٥/١٣٥ : ٩/١٣٧ : ١٥/١٣٨ : ١ ، ٤ ، ٥/١٤٦ : ١١/١٤٩ : ١/١٥١ : ٩/١٥٧ : ١٥/١٨٧ : ١٤/١٩٣ : ١٥/١٩٤ : ١٢/١٩٦ : ١٣/٢٠٩ : ٢ ، ٥ ، ١٩/٢١١ : ١٤/٢١٦ : ٣/٢٦٠ : ٢/٢٦١ : ١٨/٢٧٩ : ١٨/٢٨٠ : ١/٢٨٢ : ٣/٣٠٦ : ١٠/٣١٠ : ٢/٣١٧ : ١٢/٣٢٤ : ٣ ، ٦ ، ١٤/٣٢٨ : ٥/٣٣٠ : ٩/٣٤٣ : ٨/٣٤٩ : ١٥/٤٣٠ : ١/٤٣٦ : ٢٥/٤٣٩ : ٦/٤٤٢ : ٧/٤٤٦ : ١٦/٤٧٣ : ١٤/٤٧٨ : ١٨/٤٧٩ : ٩/٤٩٨ : ١٩/٥٢١ : ١٥/٥٢٢ : ٥ ، ١٣/٥٢٤ : ٤ ، ٦/٥٤١ : ١٥/٥٧٢ : ١٣/٥٨٦ : ٦/٥٩٧ : ٧
ابن بنت محمد = الحسين بن على .
محمد بن إبراهيم بن محمد بن النحاس ٤٧٢ : ٩ ، ١٣ ، (٢٠ — ٢١)/٤٧٣ : ٧
محمد بن إبراهيم بن يحيى بن على الأنصارى الوطواط ٤٠٢ : ٢ ، (٢٠ — ٢٢)/٤٠٨ : ١٣
أبو محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازى ٥٨٩ : ١٠
محمد بن أحمد بن جبير الكنانى ٥٨٣ : ٨ — ١١
محمد بن أحمد بن الحسن التبريزى ٥١٨ : ١٤
محمد بن أحمد بن الحسن الدمشقى أبو الحسن ٥٣٥ : ١٦
محمد بن أحمد بن الحسن أبو الفرج الكاتب ٥١٩ : ٢/٥٧٥ : ٥/٥٩٠ : ٦

محمد بن أحمد بن أبي الصقر الأنباري ١٣ : ١١ — ١٢ ، (٢٠—٢٢)/٢٢ : ١٧/٥ : ٢٠٥ : ٤ ، (١٤—١٥) ٢٧٤ : ١/٣١٥ : ٣/٥١٩ : ٧ ، (٢١—٢٣)/٥٢١ : ١١

محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ١٨ : ١٩/٢٠ : ٢٢/٣٥ : ١٨ ، ١٩٦ /٣٨ : ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢/٣٩ : ٢١/٤٠ : ١٩ ، ٢١/٤٢ : ٢١/٤٣ : ٢٣/٤٤ : ١٨/٤٦ : ١٩/٤٨ : ١٩ ، ٢٠/٤٩ : ١٨/٥٢ : ١٨/١٠٣ : ٢٠/١٨٧ : ٢٢/١٨٩ : ٢ ، (١٧—٢١)/١٩٤ : ١٧/١٩٥ : ٢٠/٢٠٢ : ١٩/٢٢٣ : ١٨/٢٦٨ : ١٥ ، ٢١/٢٧٤ : ٢١/٢٨٩ : ٤/٢٩٧ : ١٨/٣١١ : ١٢ ، ١٨—٢٢/٣١٢ : ٢٠ ، ٢١/٣١٣ : ٢١/٣١٤ : ٢٠/٣١٥ : ١٨/٣٢٩ : ٩ ، ١٦/٣٣٣ : ١٣/٣٣٩ : ٢٠ ، ٢٢/٣٤٣ : ٧ ، ٢٦/٣٤٥ : ٤ ، ١١/٣٤٦ : ٢١ ، ٢٢/٣٥٥ : ١٧ ، ١٨/٤٠٩ : ١٥/٤٩١ : ١٩ ، ٢١/٥١٩ : ١٤

محمد بن أحمد بن علي ، إمام الكلاسة ٤٩٧ : ١

محمد بن أحمد بن علي أبو الحسن الإمام القرطبي ٤٩٧ : ١/٥١٣ : ١٧/٥١٦ : ٧/٥٠٥ : ٩/٥٤٢ : ١٧/٥٥١ : ٤

محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن الدمشقي ٥٠٠ : ١٠/٥١٠ : ١٧

محمد بن أحمد بن محمد الرامشي ابن همياه ١٤ : ١٣ ، (١٨—٢٠)/٥١٨ : ١٦/٥٩١ : ٢

محمد بن أحمد العلوي أبو إبراهيم ٢١٥ : ١٦/٢١٦ : ٣ ، ٤/٢٣٤ : ٩

محمد بن إدريس الشافعي ٧٠ : ٦/١٠٥ : ٩/١٧١ : ١٣/٢١٤ : ٧/٢٧١ : ١٥/٥٠٣ : ٤/٥٠٦ : ١٥/٥١١ : ١٢

محمد بن إسحاق البحائي الزوزني أبو جعفر ٨ : ١٠ ، (٢٢—٢٤)/٥٥ : ٨/٢٦٩ : ٧/٢٨٩ : ١٢/٣٤٤ : ٦/٤٢٦ : ٩/٥٨٤ : ٨

أبو محمد الإيادي = عبد الله بن الوليد بن غريب الإيادي

محمد بن بركة الحاتمي ٢٥٠ : ١ ، ٥/٥٦١ : ٥ ، ٦ ، ١١

محمد بن أبي بكر الحلبي ٤٩١ : ١٥ ، ١٦ ، (١٩ — ٢٢)

أبو محمد التنوخي = عبد الله بن محمد بن عبد الله التنوخي

محمد بن جزي الكلبي ٥٩٧ : ٢١ ، ٢٢

محمد بن حردة أبو عبد الله ٥٩١ : ١٣

محمد بن الحسن بن روح المعري = محمد بن الحسين بن روح

أبو محمد الحسن اليمني = الحسن بن أبي عقامة

محمد بن الحسين بن روح أبو الفتح ١٩٦ : ١/٣١٢ : ١٢/٥١٦ : ١٧/٥٢٢ : ١١

محمد بن الحسين السبيعي ٤٩٢ : ٧

محمد بن حمد بن محمد بن فورجة ٣٣٢ : ١١ ، (١٨ — ٢٢)

محمد بن حمزة بن أبي الصقر أبو عبد الله ٥٣٥ : ١٦

محمد بن حوقل النصيبي ٥٨٩ : ٥ ، (١٧ — ١٨

أبو محمد بن الخشاب = عبد الله بن أحمد بن الخشاب

محمد بن الخضر بن أبي مهزول ٥١٥ : ٥ ، ٦ ، (١٨)/٥١٨ : ٤

أبو محمد الخفاجي القاري ٢٥٠ : ٨ ، ١٠ ، ١١/٥٦٣ : ٤ ، ٨

أبو محمد الخفاجي الشاعر = عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان

محمد بن خير بن عمر الإشبيلي ٣٨٥ : ٢ ، (٢٠ — ٢٢)/٤٥٣ : ٢١

محمد بك أبو الذهب ٥٩٨ : ١٧

محمد بن السائب بن بشر الكلبي ٥٢٤ : ٣ ، (١٧ — ١٨) ، ٢٠

بنت محمد بن سبيكة ٥١١ : ١٦

محمد بن سعدان الكوفي النحوي ٤٧ : ٤ ، (١٥ — ١٦)/١٠٩ : ١/٥٣٩ : ١٣

محمد بن سليمان بن أحمد المعري ٦٨ : ٩ ، ١١ ، ١٧/٤٩٠ : ٥ ، ٩ ، ١٦/٤٩١ : ٣ ، ٦

محمد بن سنادى القنسري ٢٤٩ : ٢/٥٦٠ : ٢٠

أبو محمد بن السيد = عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى
محمد بن سـيد الناس = محمد بن محمد بن محمـد بن أحمد بن سيد الناس
محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي ٤٠٤ : ٢ ، (١٥ـ١٧)
محمد بن شاكر بن عبد الله ٥٠٥ : ١٧
محمد بن الصابى = محمد بن هلال بن المحسن الصابى
محمد بن أبي الصقر = محمد بن أحمد بن أبي الصقر
محمد بن الطاهر ٥٨٧ : ٢٣
محمد بن طاهر المقدسى ٥٥ : ١٦ ، (٢٣) .
محمد بن عبد الرحمن السخاوى ٤١٣ : ١٦
محمد بن عبد الرحمن أبو طاهر ٤٢٢ ٤٠
محمد بن عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الرحمن الرحبى ٥١٧ : ٢
محمد بن عبد الرحمن القزوينى ٣٣٥ : ١٤
محمد بن عبد الرحمن بن محمد المسعودى ٥٨٨ : ٤
محمد العبدرى = محمد بن محمد بن على بن أحمد بن مسعود العبدرى .
محمد بن عبد الغفور بن محمد بن عبد الغفور الكلاعى ٤٢٢ : ١٠/٤٣٩ : ٢ ، (١٤ — ٢٤)/٤٤٩ : ٧
محمد بن عبد الغفور الكلاعى ٤٣٩ : ١٨
محمد بن عبد اللطيف المعرى ٥١٢ : ١٩
محمد بن عبد الله بن بطوطة ٣٠ : ٢٢/٥٩٧ : ٢ ، ١٧ ، (١٩ـ٢٢)
محمد بن عبد الله بن سعد النحوى ١٨٢ : ٩/١٩٠ : ١٠/٢٠٦ : ١١/٢٩٧ : ٨/٣٠٨ : ١/٣١٢ : ١/٣٣٢ : ٨/٢٤٦ : ١١/٣٥٢ : ٧/٥١٥ : ٣ ، ٦ ، ١٣/٥٥٦ : ١٧
محمد بن عبد الله بن سليمان المعرى أبو المجد ٦٩ : ٧/٧٠ : ٤/٢٦٦ : ٣/٢٩٥ : ١١/٤٩٣ : ٨ ، ١٠/٤٩٥ : ٨/٤٩٥ : ٨ ، ١٧/٤٩٦ : ٣ ، ٨/٤٩٩ : ٦/٥١٦ : ١٦/٥١٧ : ١٢/٥٢٤ : ١٤/٥٦٧ : ١٧
أبو محمد بن عبد الله بن علوان الأسدى ٥٨٨ : ٤
محمد بن الله بن عمار بن ياسر ٥٨٥ : ١٥/٥٩٠ : ٦
محمد بن عبد الله القضاعى البلنسى ٤٣ : ١٥/٢٠٥ : ١٣/٣٩١ : ١٨/٣٩٦ : ٢ ، (١٠ـ١٢)/٤٣٩ : ١٥/٤٦٥ : ١٨/٥١٨ : ٢٠
محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمان المعرى أبو المجد ٧٠ : ٤/٧١ : ٥/٧٢ : ٢ ، ٦/٤٩٤ : ١٠ ، ١/٤٩٥ : ١٦/٤٩٦ : ١١/٤٩٧ : ٤ ، ٥/٤٩٩ : ٦/٥٠٠ : ١/٥٠١ : ٤ ، ١٥/٥٠٣ : ٩/٥٠٥ : ٣/٥٠٩ : ١١/٥١١ : ٢/٥١٧ : ١٣/٥٦٦ : ٥
محمد بن عبد المنعم الأبهرى ٢٠٠ : ٢٠
محمد بن عبد الواحد البغدادى ٥٦٣ : ١١
محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز التميمى الدارمى ٤٢٢ : ٢
محمد بن عبد الواحد بن هاشم أبو عبد الرحمن ٥٣٩ : ٥
محمـد بن عبيد الله بن نصر الزاغونى أبو بكر ٥٢١ : ١٠ ، (١٨ـ٢٠)
أبو محمد بن عتاب ٣٨٥ : ٩
محمد بن عتيق بن محمد التميمى القيروانى ٤٠٤ : ٤ ، ٥/٤١٦ ، ٤/٤١٩ : ٤
محمد بن عثمان بن أبي شيبة ٤٩٢ ، ١٠
أبو محمد بن أبي عقامة = الحسن بن أبي عقامة
محمد بن العلقمى ٣٩٥ : ١٠
محمد بن على بن عبد الله بن أبي هاشم ٤٧ : ٥/٤٨ : ١١/١٠٩ : ٢/١١٠ : ١٦/٥٢٦ : ١ ، ٤/٥٣٩ : ١٤ ، ١٥
محمد بن على بن عبد الواحد الزملكانى ٢٧٠ : ١ ، (١٢ـ١٥)/٢٩١ : ١/٣٣٩ : ١
محمد بن على بن عطية الحارثى ٢٠٩ ، ١ ، (١٥ـ١٧)
محمد بن على العظيمى ٥١٢ : ٥ ، ١٠
محمد بن على بن محمد بن إبراهيم الجيلى ٣٩٣ : ٥
محمد بن على بن محمد الأنصارى ٥١٠ : ٧
محمد بن على بن وهب بن مطيع القشـيرى ٢٧١ : ٣ ، (١٩ـ٢١)/٢٩١ : ٤/٣٣٩ : ٣

محمد بن عمار بن محمد بن عمار بن ياسر ٥٨٥ : ١٥
محمد بن عمار بن ياسر العنسى ٥٨٥ : ١٦
محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنبارى ٢٦٤ : ١٣ ، (١٨ — ٢٠)/٢٨٦ : ٦
أبو محمد الكلاعى = عبد الغفور بن محمد بن عبد الغفور الكلاعى
محمد بن مالك الأندلسى ٣١٩ : ٢٠/٤٦٩ : ١٠/٤٧١ : ٣/٤٧٣ : ٨/٤٧٥ : ٨، ٩/٤٧٨ : ١٦
أبو محمد بن أبى الجد بن أبى محمد = عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمان
محمد بن المحدث ٤٧٥ : ٢
محمد بن محمد بن جهير ٥٣ : ٥، (١٧ — ١٩)/١٩٦ : ٣/٣١٣ : ١
محمد بن محمد بن حامد الأصبهانى أبو عبد الله ٦٨ : ١٦/٧٠ : ٥، (١٧ — ١٩)/٧٢ : ١١/٢٤٩ : ١٧/٥٠٥ : ٧
محمد بن محمد بن الشحنة ٣٠٩ : ٢، (١٨ — ٢١)
محمد بن محمد بن صالح البغدادى ابن الهبارية ٨٣ : ١، (١٤ — ١٦)/١١٧ : ٢١/١١٨ : ١٦/١٥٦ : ٦٤، ١٤ : ٣٢٧/٦٤، ١٦
محمد بن محمد بن عبد الله الأصفهانى أبو عبد الله ٦٤ : ١٢، (١٩)/٢١١ : ٨/٥١٨ : ١٧/٥٣٥ : ٦، ٩، ١١/٥٣٦ : ١
محمد بن محمد بن على بن أحمد بن مسعود العبدرى ٤٥٦ : ٢، ١٤، (١٧ — ٢٠)/٤٥٧ : ٦
محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس ٢٧١ : ٣، (١٦ — ١٨)/٢٩١ : ٣/٣٣٩ : ٣
محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالى ١٥٢ : ١٦/٢٨٠ : ٧/٢٩٣ : ٧/٣٢٦ : ٦/٣٧٨ : ٢، (١٠ — ١١)، ١٢، ١٣، ١٦، ١٩، ٢٠
محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرازق ٥٩٨ : ٢، (١٣ — ١٨)
محمد محمود الشنقيطى ٤٥٥ : ١٠
محمد بن محمود بن النجار أبو عبد الله (١) ٥١٢ : ١٤/٥٤٣ : ٦
محمد مرعى الملاح ٤٨٣ : ١٥، ١٧
محمد بن مسعود بن أبى الحصال الغافقى ٤٣ : ١٨/٤٥٥ : ٢، ١١، ١٥
محمد بن مسعود بن محمد بن يحيى بن الفرج النحوى ٥١٥ : ٢
محمد بن أبى المعالى بن البنا أبو عبد الله ٥٢١ : ٩
محمد بن المهذب المعرى ٤٩١ : ١٧/٥٣٥ : ١٢/٥٤٨ : ٨/٥٥٠ : ١٥
محمد بن المهذب بن على بن المهذب أبو صالح ٥١٧ : ١٤
محمد بن مؤيد بن أحمد بن حوارى أبو جعفر ٥١٣ : ١٧/٥١٦ : ٧/٥٤٢ : ١٧/٥٥١ : ٤/٥٩٢ : ١٠
محمد بن ناصر البغدادى ٢٢ : ١، (١٦ — ١٨)/٣٢٠ : ١٢/٥٧٥ : ١١
محمد بن النحاس الحلبى أبو نصر ٥٤٠ : ١٢
محمد بن نصر بن صغير بن داغر ٤٠٣ : ٤، ٥
محمد بن نصر الدين بن نصر بن الحسين بن عنين ١٣٩ : ٩، (١٩ — ٢٠)/٣٩٩ : ٤، (١٧ — ٢٠)
محمد بن هانئ الأندلسى ٤٠٠ : ٨، ٩
محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن يحيى بن بندار ابن الشيرازى ٥٠٢ : ١٠، (١٦ — ١٧)/٥٠٤ : ٦
محمد بن هلال بن المحسن الصابى أبو الحسن ٢٥ : ٦، (١٦ — ١٨)/٢٦ : ٣/٥٦ : ٦/١٤ : ٣/٧٧ : ٢/١١٧ : ١٢/١٤٥ : ٦/١٥١ : ٣/١٩٢ : ١٤/١٩٦ : ٣، ٧/٣١٣ : ١/٣١٥ : ١٢/٣٢٥ : ٨/٣٢٨ : ١٢/٣٤٤ : ١٤/٣٩٨ : ٥/٥٣١ : ٢١
محمد بن همام ٣٩١ : ١٦
أبو محمد الوكيل = عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله الوكيل
أبو محمد اليافعى = عبد الله بن أسعد بن على اليافعى
محمد بن يحيى الصولى ٣٧٥ : ١٧/٣٧٦ : ٤/٤٣٣ : ١٨
محمد بن يزيد المبرد ٣٧٣ : ٧
محمد بن يوسف أبو حيان ٢٦٣ : ١٩/٤٧٥ : ١/٤٧٩ : ٨

(١) ورد فى ص ٥٤٣ : « ... محمود النجار » .

محمد بن يوسف بن كراكير الدقى ٣ : ٥١٧
محمود (الملك) ٩ : ٥/١٧١ : ١٠
محمود بن أحمد بن موسى العينى ١٥٤ : ١٨ / ٣١٩ :
٢ ، (١٦ ـ ٢٢) / ٣٢٩ : ١٩ / ٤٧٦ :
٨ ، ١٠
محمود بن إسماعيل بن حميد الدمياطى أبو الفتح ٩ : ٥٥٢
محمود بن زنكى ١١ : ٧٢ ، (١٩ـ٢٠)/٢ : ٥٠٥
محمود الشهاب ٢٠ : ٢١٧
محمود بن صالح الكلابى ١٥٢ : ١٧/١٥٣ : ١ ، ٤ /
٢٨٠ : ٨ ، ١٠ ، ١٢/٢٩٣ : ٨ ، ١٠ ، ١٢/
٣٢٦ : ٨ ، ٩ ، ١٢
محمود بن عمر بن محمد الزمخشرى ٢٠٧ : ٢١/٣٦١ : ١٢/
٣٦٢ : ٢/٣٨٣ : ٢ ، (١٦ـ١٨)/٥٢٣ : ١٢
محمود بن ناصر الدين محمد ٥٨٧ : ١١
المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون ابن بطلان ٦٥ : ٦
٨ ، (١٥ـ١٩)
المختار (بن أبى عبيد الثقفى) ٣٢٤ : ١٨ ، ١٩
المخزومى ٤٢١ : ٦
مخلد بن عيسى الخياط ٥٢١ : ١٤
مدرك بن سعيد بن مدرك بن على ٥١٠ : ١٥/٥١١ : ١
مدرك بن على بن محمد بن عبد الله بن سليمان ٥٠٧ : ٢٠/
٥٠٨ : ٨
المرتضى أبو القاسم = على بن الحسين بن موسى .
مرجليوث ٦٧ : ١٥/٧٢ : ٢١/٨١ : ١٨/٨٣ :
١٩ / ٨٤ : ٢٠/٨٧ : ١٧/٩١ : ٢٠/٩٣ : ١٩ ،
٢١ / ٩٥ : ١٩/١٩٤ : ١٧ / ٢٢٢ : ٢٠/٢٥٢ :
٢٠/٢٥٦ : ١٨/٤١٧ : ٢/٤٤٨ : ١٨/٥٧٠ :
١٧ ، ١٩
المرزبانى ٤٣٤ : ٢٧
المرزوقى = أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى .
أبو مرشد = سليمان بن على بن محمد بن عبد الله بن سليمان .
أبو المرشد = سليمان بن على بن محمد بن عبد الله بن سليمان .
أبو المرشد = مدرك بن على بن محمد بن عبد الله بن سليمان .
مرضى بن مدرك ٥٠٨ : ٨/٥٠٩ : ٧
المرقش الأصغر ٩١ : ١٩/٤٤٩ : ٢١
المروزى = عبد الكريم بن محمد بن منصور المروزى .
ابن مريم = عيسى عليه السلام .
مزدك ١٨٩ : ٢٢
المزى ٣٠١ : ١٨/٤٠٤ : ١٦/٤٠٩ : ١٥
مزيد بن نبهان ٥٢٠ : ٥
المستنصر صاحب مصر ٩٩ : ١٤/ ٢٦٩ : ١٢ / ٢٨٩ :
١٦/٤١٧ : ٢١/٥٣٩ : ١/٥٦٥ : ٧/٥٧٨ ، ١٢
مسعود (الملك) ٩ : ٥
ابن مسعود = عبد الله بن مسعود .
مسعر بن مهد التنوخى ١٩١ : ١٦
أبو مسلم = وادع بن عبد الله بن محمد .
المسلم بن حسن بن غياث أبو اليمن الكاتب ٤٦ : ١٧/٥٤١ : ٤
مسلم بن سليمان ١٥٣ : ٣/٢٨٠ : ١١ / ٢٩٣ : ١١/
٣٢٦ : ١١/٣٥٦ : ٢٠
المسلم بن على بن تغلب أبو طاهر ٥٣٨ : ١٥/٥٣٩ : ١٠
المسيح = عيسى عليه السلام .
المشرف بن على بن سبكة ٨٨ : ٤/٩١ : ١٠/٩٣ : ١
أبو المشكور = صالح بن أحمد بن مدرك بن على .
مصطنع الدولة = كليب بن على .
المصيصى = على بن مأمون .
أبو المظفر = سبط ابن الجوزى .
أبو المظفر = يوسف بن قزأوغلى .
المظفر بن الفضل بن يحيى العلوى ٥٥٤ : ١١
أبو المعالى الجوينى = الجوينى .
أبو المعالى = صاعد بن مدرك بن على .
أبو المعالى بن مدرك = أحمد بن مدرك بن سليمان .
معاوية بن أبى سفيان ٢٢١ : ١٧ / ٤٨٧ : ١٥ /
٥٨٩ : ٨
ابن المعتز = عبد الله بن المعتز .

المعتصم بن هارون الرشيد ٤٠٠ : ٤
المعز بن باديس الصنهاجى ٤٢٢ : ٦/٥٦٣ : ١٣ ، ١٦٤ ، ١٧
معز الدولة = ثمال بن صالح .
المعظم = عيسى بن محمد بن أيوب .
المعيدى ٢٥٥ : ١٦
أبو المفضال بن . وارى = أحمد بن حوارى .
المفضل بن سعيد بن عمرو المعرى أبو الخير ٣ : ١٧ — ١٨
المفضل بن مواهب بن أسد الحلبي الفارزى ٦٤ : ١١
ابن مقبل ٣٧٧ : ١٣
المقتدى ٦٣ : ١٧
المقرى = أحمد بن محمد المقرى .
المقريزى ٣٢٩ : ١٩
مقلد بن نصر بن منقذ ٥١٤ : ٩ ، ١٢/٥٥٤ : ١٥/٥٥٥ : ٧/٥٥٦ : ٣ ، ٩ ، ٥
أبو المكارم = عبد الوارث بن محمد بن أسد بن دبيس .
ابن أخى أبى المكارم = مزيد بن نبهان .
أبو المكارم الأبهرى = عبد الوارث بن محمد بن عبد المنعم الأسدى
أبو المكارم الأسدى = عبد الوراث بن محمد بن عبد المنعم الأبهرى .
المكى = العباس بن على بن نور الدين .
المكى = محمد بن على بن عطية الحارثى .
مكى بن ريان بن شبة الماكسينى ٤٠٨ : ١١ ، (١٥ — ١٧)
الملك العادل = محمود بن زنكى .
ملكشاه بن نظام الملك ٨٣ : ١٥
ابن أخت الممتع = إبراهيم بن الحسن البليغ .
الممتع = أحمد بن خلف الممتع .
المنازى = أحمد بن يوسف المنازى .
منافر بن زيد ٤٩٥ : ٤
منجوتكين العزيزى ٥٣٢ : ١ ، (١٦ — ١٨)
ابن المنذر = النعمان بن المنذر
المنذر ١٧٤ : ٣
المنذران ١٧٦ : ٧
أبو منصور الأزهرى = الأزهرى .
أبو منصور التركى = نشتكين الدزبرى .
أبو منصور الطبرسى = أحمد بن على بن أبى طالب الطبرسى
المنصور (بن أبى عامر) ٣٩١ : ١٧
أبو منصور القزاز ٥١٢ : ١٧
أبو منصور الكاتب = عبد الله بن سعيد بن مهدى الخوافى .
ابن منظور ٧١ : ١٨/٤٣٤ : ٦
ابن منقذ = أسامة .
ابن منقذ = مقلد بن نصر بن منقذ
المهتدى بالله ٣٧١ : ١١
المهدى بن المنصور ٤٨٩ : ٥
أبو المهذب السروجى = عبد المنعم بن أحمد السروجى .
المهذب بن على بن المهذب ٤٩٢ : ١/٥٦٧ : ١٧/٥٦٩ : ١
ابن أبى مهزول = محمد بن الخضر
المهلب بن أبى صفرة ٣٦١ : ٦
مهيار ٣٤١ : ١٠/٣٩٨ : ٤
أبو المواهب بن مصرى = الحسن بن هبة الله بن محفوظ ابن حسن
مؤتمن الدولة = المسلم بن على بن تغلب
مودود السلمى الحرانى ٥٢١ : ٢١
موسى (عليه السلام) ٢٢ : ٦/٢٤ : ١٣/٥٧ : ١٠ ، ١٦/٦٠ : ٤/٦١ : ١٤/١١٢ : ١٣/١١٣ : ١٤/١١٤ : ٧/١١٥ : ١٦/١١٧ : ٦/١٣٤ : ١٧/١٣٥ : ٢/١٤٦ : ٥ ، ١١/١٤٩ : ١ ، ١٧/١٥٤ : ١/١٨٧ : ١٤/٩١٣ : ٩/١٩٣ : ٩ ، ١٥/١٩٦ : ١٣/٢٣٣ : ١٥/٢٦٠ : ١/٢٩٥ : ٢/٣٠٤ : ١٨/٣٠٦ : ١٠ ، ١٢/٣١٠ : ٢/٣١٧ : ١٢ ، ٤/٣٢٢ : ١٩/٣٢٤ : ١٤/٣٣٠ : ٩/٣٤٣ : ١٢/٤٣٣ : ٢٠ ، ٢١

موسى بن جابر ٣٧٧ : ٤
موصى (عبد للحسين بن على المغربى) ٢٥٩ : ١
ابن موصلايا = أبو على بن موصلايا
المؤمل بن عنبسة ٥١٠ : ٩
موهوب بن الخضر بن الجـواليقى ٨٦ : ١٩/٤٩٣ : ٣،
(١٩ — ٢٠)
المؤيد = إسماعيل بن على بن الأفضل
مؤيد الدين بن العلقمى = محمد بن العلقمى
المؤيد فى الدين = هبة الله بن موسى بن أبى عمران
المؤيد بن محمد النيسابورى ٥١٢ : ٦
مويلك المزموم ٨٤ : ١٨
ميكال = ميكائيل
ميكائيل ١٤٨ ؛ ٦
ميمون بن أحمد المعرى ٥٩٨ : ٩
ميمون الزنجى ٣٦٩ : ١٣
ميّة (فى شعر) ٨٦ : ٧

(ن)

النابغة الذبيانى ١٦١ : ٣/٢٢٧ : ٢٠/٢٣٦ : ٣/٢٧٩ :
١٣، ١٥/٣٦١ : ١٩، ٥
ابن ناصر = محمد بن ناصر البغدادى
الناصر ١٨٦ : ٢٢/٤٨٣ : ٢٣
ناصرخسرو ٤٦١ : ٢، (١٥—٢١)/٥٨١ : ٢
ناصر بن موفق بن فرج ٥٦١ : ٤
ابن نباتة الفارقى = عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة
ابن نباتة (محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن ابن نباتة المصرى،
المتوفى سنة ٧٦٨) ٢٦٣ : ١٩
ابن النبيه = على بن النبيه
نجدة ١٥٧ : ١٧
النحاس = أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يوسف المرادى
ابن النحاس = محمد بن إبراهيم بن محمد
ابن النديم ٣٥ : ١٥/٥٤ : ١٧
ابن نزيك = أبو العلاء بن نزيك
نسر (صنم) ١٦٤ : ٨
نشتكين الذربى ٤٨ : (٢١—٢٣)/١٠٨ : ٧/٥٣٣ : ١،
(١٥—١٦)/٥٦٦ : ١
نشوان بن سعيد الحميرى ٣٤ : ١٦، (٢٠—٢١)
ابن نصر ٣٤٢ : ٢٠
أبو نصر = صدقة بن يوسف
أبو نصر = هبة الله بن موسى
أبو نصر بن جهير = محمد بن محمد بن جهير
أبو النصر الرامشى = محمد بن أحمد بن محمد بن هميام
أبو نصر بن الشيرازى = محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله
ابن يحيى بن بندار
نصر بن صدقة القابسى ٤١٧ : ٨/٥١٨ : ١٣
أبو النصر القامى ٥٠ : ٩
أبو نصر الكردى ٣٥٩ : ١٤
أبو نصر المنازى = أحمد بن يوسف المنازى
نصر بن منقذ ٥٥٦ : ٦
أبو نصر بن النحاس الوزير ٥٢٦ : ٤
أبو نصر بن همياه = محمد بن أحمد بن محمد الرامشى
أبو نصر الوفراوندى = أحمد بن عبدوس الوفراوندى .
نصر الدين بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزرى ٣٩٤ :
٢، (٢٢—٢٥)
النضر بن منصور الباهلى ٥٢٣ : ٥، (٢٠)
نظام الملك = الحسن بن إسحاق الطوسى .
النعامة (فرس الحارث) ٩٢ : ٥/٩٣ : ١٤
النعمان بن بشير الأنصارى ١٨٥ : ١٤/٢٢١ : ١٦، ١٨/
٣٤٩ : ٢/٤٨٧ : ١٥/٥٨٥ : ٢، ٧/٥٨٨ : ٦،
١٠، ١٤، ١٩/٥٨٩ : ١، ٤، ٨، ١٦/٥٩٧ : ٦/
٥٩٨ : ٥
النعمان بن عدى ٢٨٧ : ١٠، ١١، ١٦، ١٧/٤٨٨ :
١ — ٣
النعمان بن المنذر ٨٤ : ٩/١٦١ : ٣/٢٣٦ : ٣/٢٧٩ :
١٣، ١٥/٣٦١ : ١٩، ٥

النعمان بن المنذر بن امرئ القيس أبو قابوس ٩٠ : ٥
النعمان بن وادع بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن سليمان ٧٤ :
٨٤/٥٠٠ : ٧، ١٢
النعمان بن وداع بن الفضل الأسدى القرشى ٣٥ : ١، (١٥)/
١٩١ : ٢٠
النعمان بن أبي مسلم وادع = النعمان بن وادع .
نفطويه ٤٧٢ : ١٩
النمر بن تولب ٤٠٥ : ٦
النمرى ٣٧٧ : ٨، ١٠
أبو النهى = محمد بن أحمد بن روح المعرى .
نوار (فى شعر) ٥٤٤ : ١٢
أبو نواس ٧٦ : ٥/٢٦٧ : ١/٢٨٧، ١٠
نوح (عليه السلام) ٢٣٣ : ١٤
نور الدين بن زنكى = محمود بن زنكى .
النووى = يحيى بن شرف الشافعى النووى .

(هـ)

هاروت ٢٢٨ : ٥/٢٧٩ : ١٧/٢٨٠ : ١
هاشم ٥٣٩ : ٦
ابن أبي هاشم = على بن عبدالله بن أبي هاشم .
أبو هاشم (خطيب حلب) ٤٩ : ١٥
ابن هانئ ٥٨٤ : ٧
ابن هانئ الأندلسى = محمد بن هانى .
أم هانئ بنت أبي طالب ٥٢٤ : ١٩
ابن الهبارية = محمد بن محمد بن صالح البغدادى .
هبع (كلب) ٤٣٢ : ٥، ١٠
هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير بن أبي جرادة ٥١٨ : ٦
هبة الله بن بديع أبو النجم ٥٥٦ : ١٣
هبة الله بن ذكوان بن محمد الكلاعى ٠٠ : ٠ : ٩، ١٢
هبة الله بن العلوى = ابن الشجرى
هبة الله بن أبي عمران = هبة الله بن موسى بن أبي عمران .
هبة الله بن موسى بن أبي عمران ١١٨ : ٧، ١٤/١١٩ : ٢/
١٢١ : ١٥/١٢٥ : ١٤/١٢٨ : ١٢/١٣٢ : ١٨/
١٣٣ : ٦/١٥٦ : ٤/٢٢٤ : ١٦/٢٧٢ : ١١/
٣١٦ : ١/٣٢٧ : ١٤/٣٨٧ : ١٣، ١٤/٥٣٩ :
٢/٥٥٢ : ١٠/٥٦٥ : ٩/٥٧٥ : ٤
أبو هريرة ٥٢٢ : ٥، ١٣، ٢٢/٥٢٤ : ٤، ٢٠
ابن هشام ٤٦٩ : ١١، ١٣/٤٧١ : ٣
هشام (أخو شداد بن الأسرد) ١٢٤ : ١٢
الهكارى = على بن أحمد بن يوسف .
ابن هلال الصابى = محمد بن هلال الصابى .
ابن هلال الكاتب ٢٤٦ : ١١
همام بن الفضل بن مهذب المعرى ١٤١ : ١، (١٩ ـ ٢٠)/
٢٧٣ : ١/٣٩٣ : ١٠/٤٩٣ : ١٣/٤٩٨ : ١٥/
٥١٣ : ٣/٥١٧ : ١٤/٥٦٧ : ٦
ابن هميام = محمد بن أحمد بن محمد الرامشى
هند (فى شعر) ٣٧٠ : ٥، ٦
هند بنى بدر ٤٤ : ٥/١٠٦ : ٩/٥٣٧ : ١٤
هوبر ٥٢١ : ١٤
ابن الهيثم = أبو على بن الهيثم .
أبو الهيثم = عبد الواحد بن عبد الله بن سليمان المعرى .

(و)

الواجقا = عبد السلام بن الحسين البصرى .
الواجكا = عبد السلام بن الحسين البصرى .
وادع بن عبد الله بن محمد ٧٣ : ١٤/٤٩٩ : ٧، ١٠/
٥٠٠ : ١، ٦، ٧، ١٩/٥٠١ : ٦، ١٠
واذع بن عبد الله بن محمد = وادع بن عبد الله بن محمد
الوأواء = عبد القاهر بن عبد الله بن الحسين الوأواء .
ابن واضح ٥٩٠ : ١٣
ابن وداع = النعمان بن وداع .
ابن الوردى = عمر بن المظفر بن عمر ابن الوردى .
الوزير الفلاحى = صدقة بن يوسف .
الوزير الفلاحى = على بن جعفر بن فلاح .
الوزير المغربى = الحسين بن على المغربى .

الوزير المغربى = ٧١ : ١٣/٧٢ : ٢
الوطواط = محمد بن إبراهيم بن يحى بن على الأنصارى .
أبو الوفاء بن عقيل = على بن عقيل .
الوفراوندى = أحمد بن عبدوس .
الوكيل = عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله الوكيل .
أبو الوليد الدربندى = الحسن بن محمد بن على بن محمد الدربندى .
أبو الوليد بن الشحنة = محمد بن محمد بن الشحنة .
الوليد بن عبد الملك الحرانى أبو وهب ٥٢٤ : ٣
الوليد بن عبد الملك بن مروان ٥٣ : ١٦، ١٩٤/٥٤ : ٣
الوليد بن عبيد البحترى ٤٦ : ٤/٤٩ : ١٧/١٠٧ : ١٧/
١٨٣ : ١٥، ١٦/٢٠٣ : ٩/٢٠٧ : ١٥/٢٧٩ :
٨/٢٩٨ : ١٥/٣٣٤ : ١/٣٤٧ : ١٥، ١٦/٣٥٢
١٣ : ١٤/٣٧١ : ١٠، ٢٠، ٢١/٣٧٣ : ٧/٣٩٣
٩، ١١، ١٢، ٢١/٥٤١ : ٢، ٥ — ٧
الوليد بن يزيد بن عبد الملك ١٢٥ : ١
ولى الدين أفندى ٣١٩ : ١٤

(ى)

ياسر ٥٨٥ : ١٩
يافث ١٣٢ : ١٠
اليافعى = عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان .
ياقوت بن عبد الله الرومى أبو عبد الله ٣ : ٢١، ٢٣/٤ :
١٠/٢٧ : ١٦، ١٧/٣٥ : ١٦/٣٨ : ١٩، ٢١،
٢٢/٣٩ : ٢١/٤٠ : ١٥، ١٦، ١٧، ١٩، ٢١/
٤١ : ١٦، ٢٣/٤٢ : ١٩، ٢١، ٢٤/٤٣ :
١٩، ٢٠/٤٤ : ١٨، ٢٢، ٢٣/٤٦ : ١٩،
٢٢/٤٧ : ١٦، ١٩، ٢٣/٦٧ : ٢، (١٨ —
١٩)/٦٨ : ١٨/٨٠ : ٥، ١٦/٨١ : ١٦، ١٧/
١٢٤ : ١٩/١٤٠ : ١٩/١٤١ : ١٩/١٧٠ :
٢٣/١٩٩ : ١٩/٢٠٢ : ٢١، ٢٢/٢٠٣ : ٢٠/
٢٠٩ : ٢٣/٢١٠ : ٢١، ٢٢/٢٢٣ : ١٨/٢٦٦ :
١٣، ٨/٢٦٨ : ٤، ١٨، ١٩/٢٦٩ : ٢٠/
٢٧٢ : ١٩/٢٧٣ : ١٨/٢٧٤ : ١٢/٢٧٥ :
١٨ — ٢٠/٢٨٣ : ١١/٢٨٨ : ١٠/٢٩٢ : ١٠/
٣١٦ : ١٩، ٢٠، ٢٢/٣٣٢ : ٢١/٣٣٣ : ٧/
٣٣٦ : ٢١/٣٣٨ : ١/٣٨٤ : ٩/٣٨٨ : ٥/٣٩٢ :
٢، ١٨/٣٩٣ : ٢/٤٨٣ : ٢٤/٤٩٣ : ١٨/٤٩٤ :
١٨، ٢١/٥٠٣ : ٢٢/٥١٩ : ١٢/٥٢١ : ١٨/
٥٣٣ : ٢٠/٥٣٤ : ٢٢/٥٨٤ : ٢/٥٩٠ :
٥٩٢ : ٢٠/٥٩٣ : ١٧/٥٩٤ : ٢٠، ٢١
يحيى بن شرف الشافعى النووى ١٩٤ : ١١، (١٧ — ١٩)
يحيى بن على التبريزى الشيبانى ١٣ : ١٢، ١٣/١٧ : ٣/
١٩ : ١٣/٢٢ : ١، ١٧/٥٠ : ١٠/٥١ : ٢، ٩،
١٧/٥٢ : ١/٧٧ : ١١، ١٦/٨٠ : ٧/٨٣ : ١/
٩٧ : ١٥/١٤٤ : ١٠/١٥٥ : ١/١٨٣ : ١/١٩٣ :
١٦/١٩٥ : ٥، ١٢، ١٦/٢٠٠ : ٦/٢٠٥ : ١،
١٣/٢٠٧ : ٦/٢٢٤ : ٦/٢٦٤ : ١٠/٢٦٨ : ١٢/
٢٧٣ : ١٦/٢٨٥ : ١١/٢٨٩ : ١/٢٩٧ : ١٤/
٣٠٨ : ٢/٣١٤ : ٦/٣١٥ : ١، ٤، ٩/٣٢٠ :
٧/٣٢٢ : ١٤/٣٢٥ : ١٨/٣٣١ : ٩/٣٣٢ : ١١/
٣٣٦ : ١٤/٣٣٨ : ١٧/٣٤٧ : ٤/٣٥٢ : ١٥/
٣٥٦ : ٦/٣٧٤ : ٢، ١٢، (١٣ — ١٨)/٣٧٥ :
٢، ١٧، ١٨/٣٧٧ : ٢/٣٨٥ : ٧، ١٤/٣٨٦ :
١٩، ٩/٤٠٢ : ٤، ٩، ١٣/٤٢٤ : ١٨/٤٩٣ :
٤/٥١٣ : ١٣/٥١٨ : ١٤/٥٢٠ : ١٤/٥٢١ :
٤/٥٣٥ : ٤/٥٤٢ : ٧/٥٤٣ : ٢/٥٥١ : ٩، ١٦/
٥٦٩ : ١٧/٥٧٥ : ١٢/٥٧٦ : ٨، ٩، ١٦، ١٩/
٥٩٢ : ٩
يحيى بن على بن محمد عبد اللطيف أبو الحسن ٥١٧ : ١٦
يحيى بن محمد الرازى ٣٧ : ١٦
يحيى بن مسعر بن محمد بن يحيى بن الفرج التنوخى ١٩١ : ٢،
(١٥ — ١٧)/٣١١ : ٥/٣١٢ : ١١/٤٩٥ : ١١/
٥١٦ : ١٧/٥٢١ : ١٣/٥٢٤ : ١
يزيد بن معاوية ٢٢١ : ١٧/٤٨٧ : ١٥

أبو يسر = خير بن محمد بن على التنوخى .
أبو اليسر = شاكر بن عبد الله بن محمد المعرى .
ابن يعفر = الأسود .
يعقوب بن إسحاق السكيت ٥١ : ١٣ ، ١٥/٣٧٤ : ٥ ، ١١
يعقوب بن محمود بن الحسن الساوى ٥٦٢ : ٧
أبو يعلى المعرى = عبد الباقى بن عبد الله بن المحسن بن عمرو التنوخى .
أبو يعلى بن الحبارية = محمد بن محمد بن صالح البغدادى
اليمرى (الحافظ) ٤١٣ : ٥
يغوث (صنم) ١٦٤ : ٨
أبو اليقظان = أحمد بن محمد بن حوارى .
أبو اليمن = زيد بن الحسن بن زيد الكندى .
أبو اليمن = محمد بن الخضر بن أبى مهزول .
أبو اليمن الكاتب = المسلم بن الحسن بن غياث .
أبو يوسف ٥٢٤ : ٣
يوسف بن إسحاق أبو يعقوب ٥٢٢ : ٤
يوسف بن أيوب ١٨٦ : ٢١/٣٩١ : ١٧/٣٩٤ : ٢٤/٢٥٨ : ١٨/٥٨٧ : ٢٢
يوسف البديعى ٤٢٣ : ٢ ، (١٨—٢٠)
يوسف بن تاشفين ٤٥٥ : ٣
يوسف بن تغرى بردى ٣١٩ : ٢٠/٣٢٩ : ٢ ، (١٨—٢٢)/٤١٦ : ٢/٥٣١ : ٢١/٥٣٢ : ١٧/٥٩٥ : ١٧
يوسف بن سعيد بن مسلم ٥٩٨ : ١٠
يوسف بن العزيز بن الظاهر ٥٨٧ : ١٤ ، (٢٠—٢٢) .
يوسف بن على شيخ الإسلام ١٥٢ : ١٦/١٥٣ : ١٥/٢٨٠ : ٧/٢٨١ : ٥/٢٩٣ : ٧/٢٩٤ : ٤/٣٢٦ : ٧/٣٢٧ : ٣/٣٥٧ : ١٧/٣٧٨ : ٤
يوسف بن قزأوغلى ٦ : ٢٣/١٤٣ : ٢ ، (١٦—٢٠)/١٥٤ : ١٨/٢٨٠ : ٧/٢٩٣ : ٧/٣٢٧ : ٦ ، ١٦/٣٢٩ : ١١
أبو يوسف القزوينى = عبد السلام بن محمد بن يوسف .
يوسف بن محمد البلوى ٣٩١ ٢ ، (١٤—١٩)/
يوشع بن نون ٥٨٥ : ٤

فهرس القبائل والطوائف

(ا)

آل إسرائيل = يهود
آل قيلة ٢:١٧٤
آل محرق ٨:٥٧٤
آل محمد ١٢:٦٤
آل المهذب ١٠:٥٥٩
أبهر ١٠:٣١٣/١٤٠٢:١٩٨
الأتراك = الترك .
أسد ١:٤٤٤
الأعاجم = الفرس .
الأكراد ١٩:٥٦
الأندلسيون ١١:٥١٨/١٨:٤٥
أهل أذربيجان ١:٨١
أهل الأسطوان ٢١٠٨:٥٤
أهل أصبهان ١٦:٨٢
أهل بغداد ١٧:٩٢/١٥:٦٥
أهل حران ١٩:١٩١
أهل حلب = الحلبيون .
أهل الذمة ١:٤٨٩
أهل الرى ١٧:٥١٩
أهل السنة ٢٠:٤٦١
أهل الشام = الشاميون .
أهل غرب الأندلس ١٥:٤٣٩
أهل قباء ٢:٢٠٩ ١٧٠٢
أهل الكسب ٧:٣٦٣
أهل مالقة ١٤:٣٩١
أهل المعرة = المعريون .

أهل معرة مصرين ٩:٥٩٤
أهل مكة ١٥:٢٠٩
أهل الموصل ١٦:٤٠٨
إياد ٨:٥٧٤/١٦:١٦٠

(ب)

بنو بدر ١٤:٥٣٧/٩:١٠٦/٥:٤٤
البراهمة ١٩ : ١٥/٧٦ : ١٦/١٤٤ : ١٢/١٩٨ :
١٠/٢٨٨ : ١٠/٣٠٣ : ٢/٣١٣ : ٦/٣٢١ :
٦/٣٢٦ : ١/٣٣٣ : ٧/٣٣٨ : ١
البغداديون ١٣:٥٧٧/٢:٥٤٨/١٧:٩٢/٦:٣٨
بنو بقيلة ٣:١٧٤
بهراء ١٧:٥٢ — ٢٢/١٨٥ : ١٢

(ت)

الترك ١٢:٧١
التركمانية ٣:٣٨٨
تغلب ١٢:١٨٥
بنو تميم ٢٠:٤٣٤
تنوخ ١٢ : ١٠٠٦/٥٢ : ٢١/٦٧ : ٩/٦٨ : ١١/
٧٨ : ١٦/١٤٣ : ٩/١٨٥ : ١٠٠١٢/٢٢٢ :
١/٢٨٠ : ١٣/٢٩٣ : ١٣/٣١٩ : ١٠/٣٢٦ :
١٣/٣٢٩ : ١١/٤٨٦ : ٩/٤٨٧ : ١٠٠٢ ،
١٠ ، ١٣/٤٨٨ : ٣ ،٦/٤٨٩ : ٧/٤٩٠ : ٩/
٥٧٧ : ٧/٥٨٩ : ٣/٥٩٠ : ١٧
تيم اللات ١ : ٣١/١٦ : ٣٢ : ٦ ،٧/٦٧ ; ٦/٤٨٧ : ١
تيم الله = تيم اللات .

(ث)

ثمود ١٢٧ : ٨
الثنوية ١٨٩ : ٢٢

(ج)

جديس ٥٤ : ١٣
الجهمية ٣٦٣ : ٧
بنو جهير ٤٨٩ : ١٣

(ح)

حاحة ٤٥٦ : ١٧
بنو الحر ٤٨٩ : ٨
بنو حرب الحليون ٤٩ : ٩
بنو أبي حصين ٤٨٩ : ١١
الحليون ٥٠ : ٣/١٠٦ : ٦/٢٢٦ : ٩/٢٥٠ : ١٢/
٥١١ : ١٧/٥٣١ : ١٣، ١٤/٥٣٨ : ١٤، ١٦/
٥٦٣ : ١
حمير ٢٩٧ : ٢٢/٣٣٤ : ١٦
الحنابلة ٢٠ : ١٥
بنو حوارى ٤٨٩ : ١٣

(خ)

بنو خالد ٩٣ : ١٠

(د)

الدواسر ٤٨٧ : ١٣

(ر)

الرافضة ٩٨ : ١١/٥٩٧ : ١٣
رعين ٤٤٤ : ٤، ١٦
بنو رواحة ٩٠ : ٦
الروم ٢٣ : ٣/٣٠ : ٢٠/٥٢ : ١٩/٦٢ : ١٠/٧١ :
١٢/٩٢ : ١٢/١١٥ : ٣/١٥٠ : ١٢/١٩٥ :
٣/٣١٧ : ١٠/٣٢٣ : ١٢/٤٨٨ : ٥ - ١٠٦٨/
٥٥٥ : ١٥/٥٩٤ : ٢

(ز)

بنو زريق ٤٨٩ : ١٢
الزنادقة ٢٠ : ٨

(س)

بنو الساطع ٤٨٩ : ٤، ٩٦٨
بنو سبيكة ٥١١ : ١٨
السريانيون ٣٩٧ : ١٦
السلاجقة ٤٦١ : ١٨
سنول ٤٤٤ : ١
بنو سليمان ٤٨٩ : ١١، ١٥، ١٧/٤٩٣ : ٩/٤٩٩ :
٥/٥١١ : ٧/٥١٣ : ٨/٥١٧ : ١٣/٥٤٤ : ٦/
٥٦٦ : ٨

(ش)

الشاميون ٧٥ : ١٨/٢٦٦ : ١٣/٢٨٧ : ٥/٣٩٧ :
١٦/٥١٧ : ١١
شيبة = بنو شيبة
بنو شيبة ١٦٤ : ٩، ١١
الشيعة ٩٨ : ٢٠/٣٨٠ : ١٦/٥٥٧ : ٣، ٩

(ص)

الصوفية ٤١٨ : ١٩/٥٥٧ : ٦

(ض)

ضبة ٤٥٠ : ١٠

(ط)

بنو طاهر ٣٩٢ : ٦
طسم ٥٤ : ١٣
بنو طفيج ٤٠١ : ١١

(ع)

عاد ٦ : ٨/٢٨ : ١٤/١٢٧ : ٨/١٦٠ : ١/٢٣٥ :
٧/٣٦١ : ١ ؛
بنو العباس ٥٦٣ : ١٣
العبيديون ٥٦٥ : ١٣٤٧
العجم = الفرس
عذرة ٥٠٠ : ٢١
العراقيون ٣٩٧ : ٦ ؛
العرب ٢٣ : ٣/٥٢ : ١٨/٦٢ : ١٠/١١٥ : ٣/١٢٢ :
١٦/١٥٠ : ١٢/١٨٥ : ١٢/١٩٥ : ٣/٢١٩ :
١٢/٣١٧ : ١٠/٣٢٣ : ١٢/٣٦٢ : ٢/٣٩٧ :
١٦/٤٣٦ : ١٦/٤٤٩ : ٢/٤٦٤ : ١١ — ١٤/
٤٨٤ : ٧/٤٨٨ : ١٥/٤٨٩ : ٧/٥٢٠ : ١٦/
٥٨٤ : ١٩
العلويون ٥٢٠ : ٨
عليم ٥٠٠ : ٢١
بنو عمرو ٤٨٩ : ١١
بنو عمير ٤٤٨ : ٢

(غ)

غسان ٤٨٩ : ٢١
غطفان ٢١٥ : ١٦

(ف)

فارس = الفرس
الفاطميون ٣١٦ : ٢
الفرس ٩٣ : ١٠/١٦٦ : ٦/٣٩٧ : ١٦/٤٦٤ : ١٣/
٤٧٩ : ٩/٤٨٧ : ١٢٦٦/٤٨٨ : ٥٦٧ — ٩/
٥٨٤ : ١٩/٥٩١ : ١٩
الفرنج ٧٠ : ٨/٧٤ : ١٠/١٨٥ : ١٥٦١٦/٥٠٧ :
١٣/٥٥٦ : ٢/٥٨٧ : ٨/٥٩٣ : ٦٩٦١١
بنو الفصيص ٤٨٩ : ٤

(ق)

قحطان ٤٨٧ : ١
قريش ٦١ : ١٠
بنو قشير ٥٥٣ : ٢٠

(ك)

كلاع ٤٤٤ : ١٦٤٤
بنو كوثر ٣٠ : ١٠/١٩٠ : ٥

(ل)

لخم ١٦٧ : ١٤

(م)

المتكلمون ٩٨ : ١١/١٢٣ : ٦
المجبرة ١٧٦ : ٢
المجوس ٢٢ : ١١/٥٩ : ١٤/١١٤ : ١٥/١٤٨ :
١١/١٨٨ : ٤/١٩٤ : ٢/٢٩٣ : ٢/٣٠٥ :
٥/٣١٠ : ٧/٣١٧ : ١٧/٣٢٣ : ٥/٣٤٢ :
١٦/٣٥٠ : ٤/٣٧٢ : ١٣٦١٥
المرابطون ٤٥٥ : ٣
المصريون ٤٥ : ٢٠/١١٠ : ٦/٣٩٧ : ١٦/٥٢٨ :
١٢/٥٣٢ : ١
بنو مطر ٩ : ١٠
المعتزلة ٥١٩ : ١٨
معد ٨٦ : ١٥/٤٧٣ : ٢٠
المعريون ٥٠ : ٥/٥١ : ٩/٥٣ : ١٠/٦٧ : ١٠/٧١ :
١/٩١ : ١٣/٢٢٥ : ١٦/٢٦٣ : ٨/٢٨٥ :
٨/٤٢٥ : ٩/٤٩٢ : ٢/٤٩٨ : ١/٥١٠ : ٩/
٥١٧ : ١٠/٥٢٤ : ١٣/٥٢٨ : ١٣/٥٥٣ : ١٤/
٥٥٤ : ٦/٥٦٦ : ١٤/٥٥٩ : ١٠/٥٦٦ : ١٤/
٥٦٨ : ١٥٦١٨/٥٧٧ : ١٠/٥٨٨ : ١٥
المغاربة ٣٩٧ : ١٦/٤٥٥ : ١
ملوك الطوائف ٤٣٩ : ١٥
بنو منقذ ٥٠١ : ٢٠

(ن)

بنو المهذب ٤٨٩ : ١٢

النحاة ٤٦٩ : ١

النصارى ٢٢ : ١١ / ٥٩ : ١٤ / ١١٤ : ١٥ / ١٤٨ : ١١ / ١٦٤ : ١٣ / ١٨٧ : ٥ / ١٨٨ : ٤ / ١٩٤ : ٢ / ٢٩٣ : ٢ / ٣٠٥ : ٥ / ٣١٠ : ٧ / ٣١٧ : ١٧ / ٣٢٣ : ٥ / ٣٤٢ : ١٦ / ٣٥٠ : ٤ / ٣٦٣ : ٢٦١ / ٤٠٥ : ١٦

نصارى العرب ١٨٥ : ١٢

نمير ١٠ : ٥ / ٤٤٨ : ١

(هـ)

بنو أبي هاشم ٢٢٣ : ٢ ، ٦ / ٥٢٦ : ١٦ / ٥٢٧ : ٣

الهاشميون ٥٦٧ : ٦

الهنود ١٨٦ : ١٣ / ٣٩٧ : ١٢

(ى)

يافع ٢٩٧ : ١٢

اليمن = اليمنيون

اليمنيون ١٤٣ : ٩ / ٢٩٧ : ٢٢ / ٣١٩ : ١٠ / ٤٨٦ : ١٢ / ٤٨٧ : ١

يهود ٢٢ : ١١ / ٥٩ : ١٤ / ١١٤ : ١٥ / ١٤٨ : ١١ / ١٥٤ : ١ / ١٥٧ : ١٢ / ١٦٤ : ١٣ / ١٨٧ : ٦ / ١٨٨ : ٤ / ١٩٤ : ٢ / ٢٨٢ : ٣ / ٢٩٣ : ٢ / ٢٩٥ : ٢ / ٣٠٥ : ٥ / ٣١٠ : ٧ / ٣١٧ : ١٧ / ٣٢٣ : ٥ / ٣٤٢ : ١٦ / ٣٥٠ : ٤ / ٣٦٣ : ٣ / ٣٧٢ : ١٤ / ٤٠٥ : ١٧

يهود خيبر ١١٣ : ١٠

اليونان ٣٩٧ : ١٥

فهـــرس البلدان والأماكن

(ا)

الآستانة = القسطنطينية .

آمد ٩١ : ٥/١٤١ : ٦/٢٧٣ : ٦/٥٦٧ : ١٩

آمل ٢١٢ : ١٢

أبان ٥٥٠ : ١٠

أبهر ١٩٣ : ١٧/٢٠٠ : ٩، ٢٠/٣١٤ : ٣/٣٤٠ : ١١/٥٢٠ : ٨

الأثارب (قلعة) ٥٩٣ : ٧، ٩، ١٨

الأحص ٤٨٨ : ١١

أحمدآباد ٤١٨ : ١٩

أخسيكث ٢٨٤ : ١٢

أذربيجان ١٤ : ٥/٨١ : ١/٢٦٤ : ٨/٢٨٦ : ٢/٣٣١ : ١٤/٣٣٧ : ٤/٣٥٦ : ١٣٠١١/٤٢٥ : ٦/٥١٩ : ١٢، ١٣/٥٧٥ : ١٥/٥٨٧ : ٢١/٥٩٠ : ٧

الأرض المحرمة = مكة .

أرض الهركار ١٥٣ : ١٦/٢٨٠ : ٧/٢٨١ : ٦/٢٩٣ : ٧/٢٩٤ : ٥/٣٢٦ : ٧/٣٢٧ : ٤

إرم ٩٥٤ : ١٣

أرمينية ٦٣ : ١٨/٣٥٧ : ١٩

أريك ١٧٠ : ٢٠

الإسكندرية ٣٣ : ٢، ١٧٦ : ١٨٩/٢٠ : ٢٤٩/١٨ : ٥٢٠ : ١٣

أسوان ٩٩ : ١٦/٢٦٩ : ١٨/٥٧٨ : ١٤، ٢٤

إشبيلية ٣٨٥ : ٢١

أصبهان ٣٣ : ٣/٨٢ : ١٦

أطرابلس = طرابلس .

أفامية ٥٩٩ : ٢

إفريقية ٤٢٢ : ٦/٥٢٢ : ٢٢

إفريقية التونسية ٤٥٦ : ١٨

أكسفورد ٨٣ : ٢٠

الأنبار ١٣ : ٢١، ٢٢/١٦ : ١٥/٥١٩ : ٢٢

أندرين ٥٨٤ : ١٠

الأندلس ٧ : ١٧/٣٩٢ : ٦/٣٩٦ : ٩/٤١٢ : ٧/٤٢١ : ١٥، ١٦/٤٣٩ : ١٥/٤٥٥ : ١٣/٤٥٦ : ١٣

أنطاكية ٦٥ : ١٦/٣١٩ : ١٧/٤٢٣ : ٦/٥٢٣ : ١٧/٥٥٤ : ١٥/٥٥٥ : ١٤، ١٥، ١٨/٥٥٦ : ٤/٥٩٣ : ١٨

أوربة ٤٠١ : ١٣

أياصوفيا ١٨ : ١٣

إيران ٣٨٠ : ١٧

(ب)

باب الرستن ٤٩٢ : ٥، ١٩

باب النصر ٤١١ : ٢٠

باخرز ٨ : ١٥

بارق ٥٧٤ : ٩

باريس ٤٦١ : ١٤

بحر القلزم ٥٢ : ٢٢

البحرين ١٢ : ٧/٨٥ : ٨/١٨٥ : ١٠

بخارى ١٤ : ١٨

بدر ٩٣ : ١٣/١٢٤ : ١٠، ١١/٢١٥ : ١٦

البدية ٥٤٥ : ١٠، ١٧

برقة ٤٥٠ : ١٨

بزاعة ٣٥٩ : ٤، ١٢

البصرة ٥ : ١٩/١٨ : ١٩
بعلبك ٥٤ : ٢١/١٨٩ : ٢٠/١٩٨ : ١/٥٨٧ : ١٨
بغداد ٥ : ٧، ٨، ١١/٧ : ٩، ١٩/١٤ : ٩/١٦ :
٩، ١٠، ١٦/١٧ : ٩، ١٠/١٩ : ١/٢٠ :
١٥/٢٧ : ١٩/٢٨ : ٣، ٤/٢٩ : ١٤/٣١ :
١٣، ٢٠، ٢١/٣٢ : ١/٤٩ : ٧/٦٥ : ١٦/
٦٨ : ١، ٢/٧٥ : ١٦/٨٦ : ٣/٨٧ : ٣/٨٨ :
١٧/٩٠ : ٨/٩١ : ١٣/٩٣ : ١/٩٥ : ١٣/
١٠٢ : ٢/١٤٣ : ١٧/١٤٤ : ٥/١٨٣ : ١٩/
١٨٦ : ١٠/١٩٠ : ١٨، ١٩/٢١٢ : ١٣، ٢٠/
٢٢٢ : ٨/٢٢٣ : ٨/٢٢٤ : ١/٢٢٦ : ٦، ١٧،
١٨/٢٢٨ : ١٠/٢٤٨ : ١٤، ١٦/٢٦٤ : ١٨/
٢٦٦ : ١٠/٢٨٧ : ٢، ٣/٢٩٨ : ١٦/٣٠١ :
١٣/٣٠٩ : ٨/٣١٢ : ٧/٣٢٠ : ١٦/٣٣٢ :
١٠/٣٣٦ : ٦/٣٤٨ : ١/٣٤٩ : ٤/٣٥٤ :
٥، ١٥/٣٥٦ : ٤/٣٦٢ : ٢٠/٣٧٤ : ١٧،
١٨/٣٩٤ : ٢٥/٤٠٤ : ٥/٤٠٨ : ١٥/٤٠٩ :
٥/٤١٤ : ١، ٢/٤١٨ : ١٧/٤٢٢ : ٥/٤٢٩ :
١٩/٥١١ : ١٩/٥١٥ : ١٥/٥١٦ : ٤، ٨،
١٠/٥٢١ : ١٨/٥٢٧ : ١٠/٥٢٨ : ١٢/
٥٤٢ : ٢، ٤، ٨، ١٩/٥٤٣ : ٣، ٤، ٧،
١١/٥٤٤ : ٣، ٧/٥٤٥ : ٢/٥٤٦ : ١٣/٥٥٠ :
٣، ٥/٥٥٤ : ٦، ١٢، ١٣/٥٥٧ : ١٢ /
٥٥٩ : ٤، ٥، ٦، ٨، ١١، ١٣، ١٤/٥٦٣ :
١٢/٥٦٧ : ٤/٥٩٢ : ١٢، ١٣

بغداذ = بغداد
بقة ٩٢ : ٥
البقيع ٥٨٦ : ٧
بلاد الجزائر = الجزائر
بلاد الجزيرة ٥٨٩ : ١٨
بلاد الروم ٥٢ : ١٩/٤٢٣ : ١٩/٤٨٩ : ٦
بلاد ضبة ٤٥٠ : ١٠
بلاد العجم ٥٥٣ : ٥
بلاد المغرب ٧ : ١٩/٣٧٦ : ٦/٣٩١ : ١٧/٤١١ :
١٩/٤٥٦ : ١٨/٤٦٢ : ١/٤٦٣ : ١
بلبيس ١٨٩ : ٢٠
بلجرام ٥٩٨ : ١٤
بلخ ٤٦١ : ١٦، ١٩
بلد الروم = بلاد الروم
بلنسية ٤٥٥ : ١٤/٥٨٣ : ٨
بلخ ٦٨ : ١٤، ٢٣/٤٩٠ : ١٢
بن ٣٧٧ : ٢٠
بومباى ٣٧٨ : ٩
البيت الحرام = الكعبة
البيت المعمور = الضراح
بيت المقدس ١٨٩ : ٢١/٣١٩ : ١٨/٤٩٢ : ٢٢/
٥٠٢ : ١٧
بئر القراميد ٢٤٨ : ١٥، ١٧/٥٥٩ : ١٢، ١٤
بيروت ٨٤ : ١٨، ٢٠/٨٧ : ١٧، ٢٢/ ٩ : ٢٠،
٢٢/٩٥ : ١٩/٣٥٢ : ٢٠/٤١٧ : ٢٠/٤٤٨ :
١٨
بيسان ٥٢٨ : ٢٠

(ت)

تبريز ٣٧٤ : ١٦/٤٠٢ : ٥، ١٠
تربة الأشرف إينال ٣٢٩ : ٢٠
ترمذ ٣٤ : ٩
تكريت ٣٢ : ٣/١٥٩ : ٤/٤٨٧ : ٢١
تل راهط ٣٩٩ : ١٢، ١٥
تلمسان ٤٢١ : ٢٢
تمنى ٥٨٣ : ١٢
تهامة ٤٢ : ١٥/٥٩ : ٣/١٤٧ : ١٤/٢٨١ : ٩/
٢٩٤ : ٨
تونس ٤١ : ٣١/٤١١ : ٢٠/٤٣٩ : ٤، ١١/٤٥٦ :
٣، ١٣، ١٤، ٢٠

(ث)

ثبير (جبل) ٨٣ : ٧

(ج)

الجابرة = المدينة
جامع حلب ٥٥٦ : ١١
جامع دمشق ٥٣ : ١٦
جامع الزيتونة ٤١ : ٢١/٤٥٦ : ٢٠
جامع قرطبة ٣٨٥ : ٢١
جامع المعرة ١٤١ : ٢/٢٧٣ : ٢/٥٠٤ : ٩/٥٦٧ : ٨/
٥٨٢ : ٢
جامعة فؤاد الأول ٣٨٧ : ١٩
جبال الشام ١٣٢ : ١١
جبل ٣٩٣ : ٤
الجبل ٥٢١ : ١
جبل بهراء ٥٢ : ١٧، ٢١
جبل تنوخ ٥٢ : ٢١
جبل السماق ٥٩٤ : ١٥
جبل لبنان ٥٢ : ٢١/٥٨٣ : ٧
جرجانية خوارزم ٣٨٣ : ١٨
الجزائر ٤٥٦ : ١٨
الجزر ٥٩٤ : ٧
الجزع ٩ : ٩
الجزيرة ٦٥ : ١٦/١٤٢ : ٢١/٣٥٩ : ١٤/٨ : ٤/
١٥/٤٨٨ : ١١
جزيرة الأندلس = الأندلس .
جزيرة العرب ١١٣ : ٩
جزيرة ابن عمر ٣٩٤ : ٢٣
الجسر ٩٧ : ٦/١١/٣٨٩ : ٤، ١٠، ١٧
جسر ابن شواش ٥٠٣ : ١٤، ١٦، ١٨
جلق ٥٤٢ : ١٠
الجليل (جبل) ٤٥٠ : ٩، ٢٤
جمرة العقبة ٨٧ : ٣

جوتنجن ١٢٤ : ٢٠/٥٨٥ : ٢٠/٥٩٥ : ١٥
جيحان ٣ : ٢٠
جيرون ٥٣ : ١٨

(ح)

الحجاز ١٣ : ٢٠/١٨٩ : ٢٠/٤٥٠ : ١٩/٥١٩ : ١٨
الحجر (حجر البيت) ٢٣٣ : ١٧
حران ١٩١ : ١٩
حردنة ٣٩٣ : ٨
الحرم = مكة .
الحرمين ٣٧٨ : ١١
الحزن ٩٧ : ١٣/٣٨٩ : ١٢
الحسن (جبل) ٤٥٠ : ٤، ١٠، ١١
الحسنان ٤٥٠ : ١٤
الحسنية ٩١ : ٤
الحسين (جبل) ٤٥٠ : ٤، ١٠، ١٢، ١٣
الحضر ٤٨٧ : ٩، ٢١
حلب ٨ : ١٤/١٤ : ١٣، ٢١/٢٧ : ١٣، ١٤/٣١ :
١١/٣٥ : ٣/٣٦ : ١٣/٤٥ : ٢٠/٤٦ : ١٧/
٤٧ : ٣/٤٨ : ٢٢/٤٩ : ١٦/٥٣ : ١١/٦٥ :
١٦/٦٧ : ١٩/٧٢ : ١٩/٨٥ : ٦/٩٠ : ١١/
٩٨ : ٢٠/١٠٦ : ١/١١٠ : ٥/١٣٢ : ١١/
١٤٠ : ٦/١٥٢ : ١٧/١٥٣ : ٢، ١٣/١٥٦ :
٥/١٨٢ : ١٠/١٨٩ : ٢٠/١٩٠ : ١٠، ١٨/
١٩١ : ٨/٢٠٦ : ١١/٢١١ : ١٠/٢١٢ :
٥/٢٢٣ : ٥/٢٢٦ : ٩/٢٢٧ : ٣، ٥/٢٥١ :
١٢/٢٥٢ : ٢/٢٦٣ : ٢٠/٢٨١ : ٣/٢٩٣ :
٨/٢٩٧ : ٩/٣٠٨ : ١/٣٠٩ : ١٨، ١٩/
٣١٩ : ١٧، ١٨/٣٢٦ : ٨ — ١٠/٣٢٧ :
١٥، ١/٣٣٢ : ٨/٣٤٤ : ١٠/٣٥٢ : ٧/
٣٥٦ : ١٧/٣٥٧ : ١١/٣٥٩ : ١٢/٤١٧ :
١١/٤٢٢ : ٧/٤٢٣ : ١٨/٤٨٣ : ١٦،
٢٣/٤٩١ : ٢١/٤٩٢ : ٨، ٢١/٥٠٥ :

/١١٤٣ : ٥١٥/٤ : ٥١٣/١٦ : ٥٠٦/١٨
٥٢١ : ٥٢٧/١٠ : ٥٣٢/٢ : ٥٣٣/١ ، ١٢/٥٨٣ :
٢/٥٣٤ : ٥٣٥/١ : ٥٣٦/٢٢ ، ٩ : ٥٣٨/١ :
/١٧ : ٥٤٥/٦ : ٥٤٢/٥ : ٥٤١/٦ : ٥٣٩/١٥
/١٠٦٩٧٧٦ : ٥٥٦/١٤ ، ١٣ ، ١١ : ٥٥٤
١٤ ، ١١ : ٥٥٨/١٠٦٨ : ٥٥٧/٢٢ ، ١١ : ٥٥٦
/١٥ ، ١٠ : ٥٦٣/٥ ، ١ : ٥٦٠/١٧ ، ٤ : ٥٥٩
٥٦٧/١٠٦٨ ، ١ : ٥٦٦/١٦ ، ١٢ : ٥٦٥
٣ ، ٦ ، ١٤/٥٧٥ : ١١/٥٨٤ : ١٢/٥٨٥ :
/٢١ : ٥٨٨/٢٣ ، ٢٠ ، ١٨ ، ١٥ : ٥٨٧/١١
٥٩٠ : ٨ ، ١٩/٥٩٣ : ٢ ، ١٢ ، ١٧ ، ٢٠/
١ : ٥٩٩/٤ : ٥٩٨/٤ : ٥٩٥/٤ ، ٢ : ٥٩٤
الحلة ٥٩٥ : ١٦
حلية ٤٢ : ٦ ، ١٥/١٠٥ : ٦/٥٣٦ : ١٤ ، ١٨
حماة ٦٧ : ١٨/٧٠ : ٩/٧٣ : ١٥/٧٤ : ١٥/٧٥ :
٢٠ :/١٨٩/٢٢ ، ٢١ : ١٨٦/١٤ : ١٨٥/٩
/٨ : ٥٠٣/٤ : ٥٠٢/٢١ : ٥٠١/١٠ : ٤٩٨
٥١٠ : ٨/٥٠٩ : ١٨ ، ١١ : ٥٠٨/٤ : ٥٠٥
٥٩٩ : ٤/٩٨٥ : ٤/٥٩٥ : ١١/٥٨٥/١ :
٤ ، ٥
حمص ٥٢ : ٢١/٦٨ : ٧ ، ١٩/٦٩ : ٤ ، ٦/١٢٥ :
٢٩٥ : ٢/٢٦٦ : ١٧/٢٢١ : ٢٠/١٨٩/٢١ :
٤٩١ : ١٥/٤٨٧ : ٥/٤٦٦ : ٥/٤٦٤ : ١٠/
/١١ : ٥٨٥ / ١٨ : ٤٩٣ / ٤ : ٤٩٢ / ٦
٨ : ٥٩٧/٧ : ٥٨٨/ ١٨ : ٥٨٧
الحمى ٣٩٩ : ١٥/٤٠٠ : ٢/٥٤٩ : ٣/٥٥٦ : ١٧
حوران ١٩٤ : ١٨
حوز ٧٨ : ٢٠
حيدرآباد ١٨ : ١٦/٢٩٧ : ١٩/٣١١ : ١٤
الحيرة ٨٤ : ٩/١٧٤ : ٣/١٧٦ : ٦/٤٨٧ : ٢ ، ٤ ، ٥

(خ)

الخابور ١٩٩ : ٧/٣٣٩ : ١٣/٤٠٨ : ١٥
خراسان ٥٠ : ٨/٣٩٣ : ١٠/٤٦٤ : ١٨
خزانة أنطاكية ٥٥٤ : ١٥/٥٥٥ : ١٤ ، ٢٠
الخزانة التيمورية ٢٦٣ : ١٢
خزانة كتب الشرفية بحلب ٥٥٦ : ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣/
١٠ ، ١ : ٥٥٧
خزانة المجمع العلمي بدمشق ٤٨٣ : ١٦
خزانه محمد مرعى الملاح ٤٨٣ : ١٥
خزائن بغداد ٥٤٤ : ٣
خوارزم ٣٨٣ : ١٧/٥٠٠ : ١٢
الخورنق ٥٧٤ : ٩
خيبر ١١٣ : ١٠

(د)

دار العلم ببغداد ٨٩ : ١٤/٩٢ : ١٤/٥١٦ : ١٤/
٢٢٢ : ١٢/٥٤٥ : ٧/٥٤٧ : ١٥/٥٥٧ : ١٢
دار العلم بطرابلس ٥٥٧ : ١١
دار العلم بالقاهرة ٣٨٧ : ١٤
دار القز ٥٠٦ : ٢١
دار الكتب ببغداد = دار العلم ببغداد
دار الكتب المصرية ١٤ : ٢٣/١٨ : ١٣/٢٧ : ٩/١٤٣ : ١٣/
١٨٩ : ١٤/١٩٥ : ٢٠/٢١٧ : ١٦/٢٦٣ :
١٥ ، ١٦/٢٨٤ : ٢٤/٣١٩ : ١٤/٣٢٩ : ١٧ ،
٢٢/٣٧٥ : ١٩/٤٢٩ : ١٦/٤٥٠ : ١٧/٤٨٩ :
٢٠/٥٨٧ : ١٦/٥٩٥ : ١٧
دجلة ٨٩ : ١٦/٢٤٨ : ٣/٥٤٥ : ١٢
دجيل ٢٤٨ : ٣
دربند ٨٢ : ١٩
دمشق ٧ : ١٩ ، (١٥ — ٢٢)/٤٨ : ٢١/٥٤ : ١٨/
٥٥ : ١٢ ، ٢٠/٧٢ : ٢٠/١٠٨ : ٧/١٣٩ :
٦٨ ، ٢٠ ، ٢١/١٤٣ : ١٧/١٨٦ : ٢٢/١٨٩ :
١٩/٢١٧ : ١٩ ، ٢٠/٢٦٣ : ٢٠ ، ٢٢/٣٠٩ :

١٨ ، ٣٤٦ : ١٧ ، ٣٩٩/١٨ : ٥ ، ١٥ ،
١٩ ، ٢٠ ، ٤٠٣ : ٤٠٤/١٢ : ٤٢٣/١٨ : ٤٨٣/١٦ ،
١٩ ، ٢٠ ، ٤٩١/٣ : ٤٩١ : ٤٩٢/٢١ : ٤٩٣/٢٢ :
١٧ ، ٤٩٧/١ : ٥٠١/١ : ٥٠٢/٢١ : ١٩ ، ١١/
٥٠٣ : ١٥ ، ٢٢/٥٠٥ : ٦ ، ١٢/٥٠٦ :
٢٢/٥٠٧ : ٥٠٩/٦ ، ٢ : ٥١٩/١٠ :
١٥ ، ٥٢١/٩ : ٥٣٣/٢ : ٥٣٥/٢٢ : ٥٦٢ :
١٩ ، ٥٦٦/١ : ٥٨٦/٥
الدولة الترنسية = تونس
ديار بكر ٦٥ : ١٦/٣٥٩ : ١٦
الديار المصرية = مصر
ديارات الروم ٣٠ : ٢٠
دير الفاروس ٣٠ : ١٣ ، ٢٨٨/٢ : ٣٣٧/١١ : ٣٥٤ :
١٦
الديلميات ٣٩٩ : ١٤ ، ١٥

(ذ)

ذات القصور ٢٢١ : ١٨/٤٨٧ : ١٧/٥٨٨ : ١٠ ، ٧/
٥٩٧ : ٨
الذنبة ٥٥ : ١٢ ، ٢٠/٥٦٢ : ٩ ، ٢١

(ر)

رأس ٢٠ : ١٨ ، ٢٠ ، ٢١
رصافة ٩٧ : ٦ ، ١١/٣٨٩ : ٥ ، ١٠
رضوى ٢٣١ : ٥/٢٧٧ : ١٠/٣٦٤ : ٦ ، ٧
الرقة ٦٨ : ٢٣/٨٦ : ١/٥٩٩ : ٦
الركن (ركن البيت) ٢٣٣ : ١٧
الرملة ١٨٩ : ٢٠
روض الحمى ٣٩٩ : ١٢
روضة الشافعى ٥٠٣ : ٤
ريوند ٢٠ : ٢١
الرى ٥١٩ : ١٧ ، ١٨

(ز)

زاغونى ٥٢١ : ١٨
زردفة ٣٩٣ : ٢١ . وانظر حردفة
زردنا ٥٩٣ : ٧ ، ٨ ، ١٩
زمخشر ٣٧٨ : ١٦ ، ١٧
زمزم ٥٢٣ : ٩
زنجان ٢٠٠ : ٢١
الزوراء ٣٢ : ٣
زوزن ٥٥ : ١٩

(س)

سدوم ٥٩٠ : ٢٠
السدير ٥٧٤ : ٩
سراوع ١٧٠ : ٢٠
سرجة ٢١٥ : ١٩
سرف ١٧٠ : ١٢ ، ٢٠
سرقسطة ٣٨٥ : ١٩
سرمين ٥٨١ : ١٦/٥٩٠ : ٩ ، ١٩ ، ٢٠
سلع ٣٦٠ : ١
سلوق ٤٣٣ : ٧
السماق = جبل السماق .
السماوة ٢٢٩ : ١٤
سنداد ٥٧٤ : ٩
سنير (جبل) ٢٣٢ : ٩
سورية ٤٨٨ : ١١ ، ١٦
سويقة غالب ٢١٢ : ١٣
سياث ٤٨٧ : ١٧/٤٩٤ : ١٢ ، ١٤ ، ١٨/٥٨٧ :
١٢/٥٨٨ : ١٥

(ش)

الشام ٣ : ٢٠/١٣ : ٢٠/١٤ : ١٣/١٦ : ٢٤/٣٠ :
٢٠/٣٣ : ١٥/٣٨ : ٦/٥٢ : ٢١/٥٦ : ٩/٦٧
١٠/٧٥ : ١٨/١٣٢ : ١١/١٣٤ : ١٢/١٣٩ :
٢١/١٤٣ : ١٠/١٨٢ : ٢١/١٨٥ : ١٤/١٩٤

١٩/١٩٦ : ١٧/٢٠٠ : ١٤/٢٤٩ : ١٠/٢٦٦
١٣/٢٨٧ : ٥/٣١٤ : ١٧/٣٣١ : ٥/٣٤٩ : ١
٣٥٩ : ١١، ١٧/٣٩١ : ١٧/٤٠٩ : ١٦/٤١٣ :
١٥/٤١٤ : ١، ٩/٤١٦ : ٤/٤٥٠ : ٢٤/٤٦٢ :
١/٤٦٣ : ١/٤٦٦ : ٥/٤٨٧ : ٢/٤٨٨ : ١٩/
٥٠١ : ٢١، ٢٢/٥٠٢ : ١٧/٥١٢ : ٨/٥١٩ :
١٨/٥٢١ : ١/٥٦٠ : ٢/٥٧٤ : ١٩/٥٩٧ :
١٢/٥٩٩ : ٣

الشرفية (مدرسة) ٥٥٦ : ١٠، ٢١/٥٥٧ : ٥
شعب بوان ١٠٠ : ٢/٢٧٠ : ٢
شقورة ٤٥٥ : ١٥
الشمسانية ١٩٩ : ٧، ١٨، ١٩/٣٣٩ : ١٣
الشهباء = حلب .
شيزر ٧٠ : ٩/٧٢ : ١٢/٧٤ : ١٠، ١٥/٧٥ : ٩/
١٨٥ : ١٤/٣٤٩ : ١/٥٠١ : ٢١/٥٠٢ :
٤/٥٠٥ : ٢/٥٠٧ : ١٣/٥٠٨ : ١١، ١٨/
٥٠٩ : ٨/٥٩٩ : ٥

(ص)

الصالحية (مدرسة بالقاهرة) ٢٧١ : ٢٠
صعيد مصر ٢٧ : ١٢ — ١٣
صفد ٢٦٣ : ١٨
صفين ٥٨٥ : ٢٠
صيدا ١٤١ : ٤/٢٧٣ : ٤/٥٦٧ : ١١
الصين ٤٣٣ : ٩

(ض)

الضراح ٣٩٣ : ١٤، ١٥، ١٧، ١٨

(ط)

الضريب (جبال) ٨٩ : ٥
الضريح = الضراح .
طبرستان ٢١٢ : ٢٠
الطثرة ٩٠ : ١٢
طرابلس الشام ٣٠ : ١٢/٣١ : ١٦/١٨٩ : ٢٠/
١٩٠ : ٦/٢٦٧ : ١٢/٢٨٨ : ١/٣٣٣ : ٩/
٣٣٧ : ٩/٣٥٤ : ١٥/٥٥٧ : ١١، ١٢/
٥٨٩ : ١٣
طنجة ٥٩٧ : ٢٠
طهران ٣ : ١١/٤٦١ : ١٩
الطور ١٣٤ : ١٧/١٣٥ : ٢/٢٦٠ : ١
طوى بدر = بدر .

(ظ)

الظاهرية (مدرسة بالقاهرة) ٢٧١ : ١٧

(ع)

العاصي ٤٩٢ : ٢٠
عدن اليمن ٣٩٩ : ١٣، ١٤
العذيب ٩٠ : ١٢
العراق ٣١ : ١١/٣٢ : ١٣/٨٣ : ٥/٨٦ : ٩، ٥/
٩١ : ١٧/٣٥٩ : ١٤/٣٦٠ : ٣/٣٨٢ : ١٧/
٤٠٠ : ٤/٤١٤ : ٩/٤١٦ : ٥/٤٦٢ : ٢/
٤٦٣ : ١/٥١٥ : ١٤/٥١٩ : ١٨/٥٢١ : ١/
٥٤٢ : ١٢/٥٤٦ : ١٧/٥٩٤ : ١٦
عزاز (قلعة) ٩٨ : ٢٠/٥٩٩ : ٦
عسقلان ٥٢٨ : ٢٠
العقيق ٢٧٨ : ١٥/٤٠٠ : ٢
عكا ٤٠٣ : ١٠
العواصم ٥٨٨ : ٧/٥٩٢ : ١٣/٥٩٤ : ٥
عينتاب ٣١٩ : ١٧
عين زربة ٥٢ : ٢٠

(غ)

غانة ٩٩ : ١٦، ٢١/٢٦٩ : ١٨/٥٧٨ : ١٤
غرب الأندلس ٤٣٩ : ١٥ . (وانظر : الأندلس)

غرناطة ٤٢١ : ٦
غزنة ٨ : ٢٣
الفضى ٨٩ : ١٥/٢٧٨ : ١٥
غوطة دمشق ٢٧١ : ١٣

(ف)

فاس ٤٢١ : ١٩
الفاروس = دير الفاروس .
الفاضلية (مدرسة بالقاهرة) ٢٧١ : ٢٠
الفرات ١٦ : ١٦/٦٨ : ١٤/٤٨٧ : ٢١/٤٩٠ : ١٢/
٥٤٢ : ١٠
فرغانة ٢٨٤ : ١٣
فلسطين ٤٥٠ : ١٩

(ق)

قاسان ٢٠ : ٨ ، ٢١
قاسيون ٥٠٤ : ٣/٥٠٥ : ١٢
القاهرة ١٦ : ١٣/١٣٩ : ١٨/١٨٢ : ١٨/١٨٦ :
١٩/١٨٩ : ٢٠/٢١٧ : ١٩/٢٧١ : ١٤ ، ١٧ ،
٢٠/٣٠٩ : ١٩/٣١٩ : ١٨/٣٢٩ : ٢١/٣٣٤ :
١٧/٣٣٥ : ١٨ ، ٢٠/٣٤٦ : ١٨/٣٨٧ : ١٤/
٤١١ : ٢٠/٤٢١ : ١٦ ، ١٧ ، ١٩/٤٣٩ : ٢٢/
٤٧١ : ٤/٥٢٨ : ٢٢/٥٦١ : ٤
قباء ٢٠٩ : ٢ ، ١٩
قباذيان ٤٦١ : ١٥
قبر عبد الله بن عمار ٥٨٥ : ٥
قبر أبي العلاء ٥٣ : ٩/٤٠٣ : ٦ ، ٧ ، ٨
قبر عمر بن عبد العزيز ٥٩١ : ٦/٥٩٧ : ١٢
قبر محمد بن عبد الله بن عمار ٥٨٥ : ١٥/٥٩٠ : ٥ — ٦
قبر يوشع ٥٨٥ : ٤
قبة الشافعى ٢٧١ : ١٥
القدس = بيت المقدس .
قرافة الشافعى ٥٠٣ : ٤
قرطبة ٣٨٥ : ٢٩
قزوين ١٩٥ : ١٦/٥٢١ : ٣/٥٢٢ : ١٠
القسطنطينية ١٨ : ١٣/٣١٩ : ١٤/٣٣٥ : ١٨ ، ٢٠/
٥٥٧ : ٢
قفط ٢٧ : ١٢/٣٥ : ٢
قلعة حلب ١٣٢ : ١١
قنا ٢٧ : ١٣
قنسرين ٢٢١ : ١٧ / ٥٨٣ : ١٢ / ٤٨٧ : ١٥ /
٤٨٨ : ١٦ / ٤٨٩ : ٤ ، ١٩/٥٩٤ : ٥
قنوج ٥٩٨ : ١٤
قومس ٣٨٥ : ١٩
القيروان ٥٦٣ : ١٣ ، ١٧
قيسارية الشام ٤٠٣ : ١٠

(ك)

الكاملية (مدرسة بالقاهرة) ٢٧١ : ٢٧
الكرخ ٥٨٥ : ١٣/٥٩٢ : ١٥
كرمان ٨٣ : ١٥
الكعبة ٢٢ : ٨/٥٧ : ١٢/١١٨ : ٩/١٤٦ : ٨/
١٧٨ : ٧/١٩٣ : ١١/٢٥٢ : ١٣/٣٠٥ :
٢/٣١٧ : ٦/٣٢٣ : ٢/٣٤٣ : ١٤/٣٩٣ :
١٥/٤١٩ : ٥/٤٧٠ : ١٢/٤٧١ : ١٠/
٤٧٣ : ١٤/٤٧٨ : ١٩/٥٧١ : ١
كفرطاب ٧٣ : ١٥/٤٨٨ : ١٦/٥١٤ : ١٣/
٥٥٦ : ١ ، ٤ ، ٦ ، ١٥ ، ١٩/٥٩٩ : ٢
كلاسة دمشق ٤٩٧ : ١ ، ٢
كورة مرتحوان ٥٩٤ : ٥ ، ٦ ، ٧
كورة معرة مصرين ٥٩٤ : ٦
الكوفة ٣٣٤ : ١٨ ، ١٩/٤٩٢ : ٢٣

(ل)

اللاذقية ٣٠ : ١٣ ، ١٦ ، ١٧/٥٢ : ٢١/١٩٠ : ٦/
٢٦٧ : ١٤/٢٨٨ : ٢/٣٣٣ : ١٠/٣٣٧ :
١١/٣٥٤ : ١٦

اللان ٤٣٣ : ٧
لبنان ٢٣٢ : ١٠
اللكام ٥٢ : ١٩ ، ٢٠
ليدن ١٢ : ١٧ / ٣٤ : ٢١ / ٤٢١ : ١٣ / ٤٢١ : ١٧ ، ١٨
٤٦٤ : ١٦ / ٥٨٣ : ١١ / ٥٨٥ : ٢١ / ٥٨٩ :
١٥ ، ١٩

(م)

ماكسين ٤٠٨ : ١٥
مالقة ٣٩١ : ١٤ ، ١٦
المتحف البريطانى ١٩٤ : ١٧
المجبورة = المدينة
مجـــريط ٣٩١ : ١٩ / ٣٩٦ : ١٠ / ٤٣٩ : ٢٠
المجمع العلمى العربى ٤٨٣ : ١٩
محلة الجوز ١٨ : ١٩
مخا ٣٥١ : ١٧
المـــدائن ١٧٦ : ٦
المدينـــة ٨٧ : ٣ ، ١٦ / ٣٦٤ : ٧ / ٥٨٦ : ٦
مدينة السلام = بغداد .
المـــراغة ٥٨٧ : ٢١
مراكش ٣٩٦ : ٨
مرســـية ٤٥٦ : ١٣
مرعش ٥٢ : ٢٠
مرو ٢٨٤ : ١٥
المـــرية ٧ : ١٩
المسجد الجامع بالمعرّة = جامع المعرّة .
مصـــر ١٣ : ٢٠ / ٢٧ : ١٣ / ٣٣ : ٤ / ٤٨ : ٢١ /
٦٥ : ١٦ / ٧٧ : ٢٠ / ١١٨ : ٧ / ١٣٤ : ٢ /
١٥٦ : ٤ ، ١٦ / ١٨٢ : ٢١ / ٢١٧ : ٢٠ /
٢٢٤ : ١٧ / ٢٤٩ : ٢٠ / ٢٦٣ : ٢٠ / ٢٦٩ :
١٣ / ٢٧١ : ٢٠ / ٢٧٢ : ١١ / ٢٩٠ : ١ /
٣١١ : ١٧ / ٣٢٧ : ٥ / ٤٠٠ : ٥ / ٤١١ : ١٩ /
٤١٣ : ١٨ / ٤١٧ : ٩ ، ١١ ، ١٦ / ١٧ / ٤٥٠ :
١٨ / ٤٦١ : ١٧ / ٤٧٢ : ٢١ / ٤٨٣ : ٢٤ /
٥٠١ : ٢١ / ٥٠٢ : ٨ ، ١٢ / ٥٠٣ : ٣ ، ١٠ /
٥٠٨ : ٥ / ٥١٠ : ٥ / ٥١٩ : ١٨ / ٥٢١ : ٢ /
٥٢٨ : ١٢ ، ٢٠ / ٥٣٩ : ١ / ٥٥٢ : ١٢ /
٥٦٠ : ٢١ / ٥٦٢ : ٧ / ٥٦٣ : ١٤ / ٥٦٥ : ٧ ،
٩ / ٥٧٤ : ٢٥ / ٥٧٧ : ١٧ / ٥٧٨ : ١٢ / ٥٨٨ :
٢١ / ٥٨٩ : ١٢ / ٥٩٧ : ١١ / ٥٩٨ : ١٤ ، ١٥
مصـــرين ١٤ : (٢١ — ٢٣) / ٥٨٤ : ٩
المصيصـــة ٣ : ٢٠
معارة مصرين = معرّة مصرين .
معـــرّ ٥٩٩ : ٢
معرّة حمص = معرّة النعمان .
معرّة علياء ٥٩٩ : ١
معرّة مصرين ١٤ : ١٤ ، ٢٣ / ٥١٠ : ٨ / ٥٨٤ : ٤ ،
١٤ / ٥٩١ : ٣ / ٥٩٣ : ٢ ، ٣ ، ٨ / ٥٩٤ :
٢ ، ٣ ، ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١١ ، ١٥ / ٥٩٩ : ١
معرة النعمان ٣ : ٥ / ١٧ ، ٥ : ٤ — ٥ / ٧ : ٩ / ٨ : ١١ ،
١٢ / ٩ : ٤ / ١٢ : ١١ / ١٣ : ٢ ، ١٣ / ١٤ : ١٠ ،
١٢ — ١٣ ، ١٤ ، ١٩ / ١٥ : ٢ / ٢٥ : ١١ / ٢٧ :
٧ / ٢٩ : ١٤ / ٣٢ : ١ ، ٨ / ٣٣ : ٣ ، ١٥ / ٣٥ :
٣ / ٣٦ : ٦ ، ٧ / ٣٧ : ٩ ، ١٤ / ٤٩ : ٢ ، ٣ / ٥٠ :
١١ / ٥٣ : ٢ ، ١٠ / ٥٥ : ٩ ، ١٠ / ٥٦ : ٩ / ٦٣ :
٦ / ٦٧ : ١٠ ، ١٤ / ٦٨ : ١٧ / ٧٠ : ٨ / ٧١ : ١ ،
٩ / ٧٣ : ١٥ / ٧٤ : ١٠ / ٧٥ : ٩ / ٧٦ : ١٤ / ٧٩ :
٩ : / ٨٠ : ٧ / ٨٣ : ٧ / ٩١ : ١٣ / ٩٩ :
١٥ / ١٠٢ : ٢ / ١٤٠ : ٦ ، ١١ ، ١٥ ، ١٧ / ١٤١ :
٢ ، ٨ / ١٤٣ : ١٠ / ١٥١ : ١١ / ١٥٢ : ١٠ ،
١٦ / ١٥٣ : ٢ / ١٨٢ : ٩ / ١٨٣ : ٢٠ / ١٨٥ :
١٣ / ١٨٦ : ١١ / ١٩٠ : ١٠ ، ٢٠ / ١٩١ : ١ ،
٨ / ١٩٢ : ٧ / ١٩٥ : ٦ / ١٩٦ : ١ / ١٩٩ :
٩ / ٢٠٤ : ١٢ / ٢٠٦ : ١١ / ٢٠٧ : ١٩ / ٢٠٩ :
١٤ / ٢١١ : ١ / ٢١٢ : ٦ ، ٨ / ٢١٧ : ٨ / ٢٢١ :

١٦/٢٢٤ : ٦/١٧٦٠ : ٢٢٥ : ٨/١٦٠ : ٢٢٦ :
٩/٢٤٨ : ١٥/١٧٦٠ : ٢٤٩ : ١٠/٢٥٠ : ١ ،
٦/٢٥١ : ١٦/٢٦٠ : ٢/٢٦١ : ٨/٢٦٤ :
٢/٢٦٥ : ١٥/٢٦٦ : ٢/١٠٦٠ : ٩/٢٦٩ : ١٠٦٠ ،
١٣/٢٧٣ : ٨/٢٨٠ : ٨/١٠٦٨ : ٢٨٥ : ٨ ،
١٢/٢٨٦ : ١٦/٢٨٧ : ٢/٢٨٩ : ١٣ ، ١٤/
٨/٢٩٠ : ١/٢٩٣ : ٨/٢٩٥ : ١٠/٢٩٧ : ٨/
٩/٢٩٨ : ٩/٢٩٩ : ٩/٣٠٧ : ٦/٣٠٩ : ٩/
٧/٣١٢ : ٨ ، ١٤ ، ١٧/٣١٣ : ١٦/٣٢٦ : ٧/
٥/٣٢٧ : ١٠/٣٣٠ : ١/٣٣١ : ٥/٣٣٣ : ٥/
١٥/٣٣٥ : ٤ ، ٧/٣٣٦ : ١ ، ٦ ، ١٥/٣٣٩ : ١٥/
٢/٣٤٤ : ٨ ، ٩/٣٤٦ : ١١/٣٤٧ : ٦/٣٤٨ :
٢/٣٤٩ : ١/٣٥١ : ١٢/ ٣٥٢ : ٦ ، ١٥/
٧/٣٥٥ : ٧/٣٥٦ : ٧/٣٧٤ : ١٦/٣٨٧ : ٤/
٤/٤٠٣ : ٦/٤١٧ : ٩/٤٢٢ : ٦/٤٢٤ : ١١ ،
١٨ ، ٤٢٥ : ١٠/٤٢٦ : ١٠ ، ١١/٤٤٧ : ١١/
٤٦١ : ٥ ، ١٢/٤٦٢ : ١٢/٤٦٦ : ٥/٤٧٧ :
١ ، ٣/٤٨٤ : ٥/٤٨٧ : ١٥ ، ١٨ ، ١٩/
٤٨٨ : ١/١٦ ، ١٦/٤٨٩ : ١٠ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٨/
٤/٤٩٠ : ٢ ، ٦/٤٩١ : ٥ ، ١٥/٤٩٢ : ٣ ، ٤/
١/٤٩٣ : ٥ ، ١٠/٤٩٦ : ٤ ، ٨ ، ١١ ،
١٣ : ١٤/٤٩٨ : ١٠/٤٩٩ : ١٠ ، ١٢/٥٠٠ :
٨/٥٠١ : ٦ ، ٧/٥٠٢ : ٣ ، ٨/٥٠٦ : ١٢/
٥٠٧ : ١٢ ، ١٣/٥٠٨ : ١١/٥٠٩ : ٨/٥١٠ :
٤/٥١١ : ١٣ ، ١٦/٥١٢ : ٨/٥١٣ : ٧ ، ١٩/
٥١٧ : ٤/٥٢١ : ١٣/٥٢٢ : ١١/٥٢٤ : ١ ،
١٣/٥٢٥ : ١ ، ٣ ، ١٠/٥٣٤ : ٢/٥٣٥ : ٧ ،
١٩/ ٥٤٢ : ٢ ، ٩ ، ١٦/ ٥٤٣ : ٨ ، ١١/
٥٤٤ : ٥/٥٤٦ : ١٣ ، ١٥/٥٥٠ : ١٩/٥٥١ :
١٦ ، ١٦/٥٥٢ : ١٢/٥٥٣ : ٤ ، ٥ ، ١٤/٥٥٤ :
٥/ ٥٥٦ : ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٦/
٥٥٨ : ١ ، ٧ ، ١١ ، ١٢/ ٥٥٩ : ٦ ، ١٠ ، ١٢ ،
١٤ ، ١٦/٥٦٠ : ١٢/٥٦١ : ٦ ، ١٢/٥٦٣ :
١٤/٥٦٤ : ٥ ، ١١ ، ١٩/ ٥٦٥ : ٤ ، ٨ ، ١٢
١٨/ ٥٦٦ : ٦ ، ١٤/ ٥٦٧ : ٤ ، ٩ ، ٢٠ /
٩/٥٧٤ : ٧/٥٧٥ : ١٦ ، ٧/٥٧٧ : ١٠ ، ١٨/٥٧٨ :
١ ، ١٢/ ٥٨١ : ١٧/٥٨٢ : ٤/٥٨٣ : ٤ /
٥٨٥ : ١ ، ٥ ، ١٦/ ٥٨٧ : ٤ ، ٥/٥٨٨ :
٥ — ٩ ، ١٤ ، ١٩/ ٥٨٩ : ٥ ، ٧ ، ١٣ ،
١٥/٥٩٠ ، ٥ ، ١٠ ، ١٣/٥٩١ : ٣ ، ٥ ،
١٥/٥٩٥ : ٤/٥٩٧ : ٥ ، ٦ ، ٨ ، ١١/
٥٩٨ : ٤ ، ٢٠
معرين ٥٩٩ : ٤ ، ٦
المعلاة ٣٤٦ : ١٩
المغرب = بلاد المغرب
المغرب الأقصى ٤٥٦ : ١٧
مقابر الصوفية ٤١١ : ٢٠
مقام إبراهيم (عليه السلام) ٤٩ : ١٠/٢٦٠ : ١
المقطم (جبل) ٤٨٣ : ٢٤/٥٢٨ : ٢٢/٥٣٩ : ٤
مكتبة الأسكوريال ٤٣ : ١٧/٤٥٥ : ١١ ، ١٦
مكتبة جامع الزيتونة ٤١ : ٢١
مكتبة حسن حسني عبد الوهاب ٤٣٩ : ٣/٤٥٦ : ٢٠/
٤٥٧ : ٩
المكتبة الزكية ٤١١ : ١٧
مكة ٥٤ : ١٣/٨٤ : ٩/٩٣ : ١٠/١٣٠ : ٩/١٣٨ :
١/١٩٩ : ١/٢٠٥ : ١١/٢٠٩ : ١٥ ، ١٦/٢٥٢ :
١٤/٢٩٧ : ٢١/٣٤٦ : ١٩/٤٥٠ : ٨/٤٦١ :
١٣ ، ١٧/٥٢١ : ١/٥٨٥ : ٢٠
الموصل ٦٣ : ١٧/٦٥ : ١٦/٩٠ : ١٢/١٤٢ : ٢١/
٣٩٤ : ٢٣/٤٠٨ : ١٦ ، ١٧/٤٢٣ : ١٩/٤٨٧ :
٢١/٥٠٦ : ١٦
منازجرد ٦٣ : ١٨
منبج ٦ : ٢١/٣٥٩ : ١٢/٤٨٨ : ١٦
ميافارقين ٦٣ : ١٩/٨٦ : ١٠/٩٠ : ١٢/١٤١ : ٧/
٢٧٣ : ٦/٣٥٩ : ١٥ ، ٢١/٥٦٧ : ١٩
الميقات ٢٦١ : ٢

(ن)

نابلس ١٨٩ : ٢٠/٥٨٥ : ٥
نجد ٢٢٩ : ٣/٢٣٩ : ٦/٣٧٠ : ٥
نخلة القصوى ٨٦ : ٨ ، ١٨
نصيبين ٥٨٩ : ١٨/٥٩٩ : ٥
نضاد ٨٩ : ٥
النظامية (مدرسة) ٤١٦ : ٥/٥٢٨ : ١٢
النعمان (جبل) ٩٧٥ : ٩
نعمان الأراك ٨٥ : ٧/٥٧٠ : ١٥
النهروان ٣٥٢ : ١٦
نوى ١٩٤ : ١٨
نيسابور ٨ : ١٦/٩ : ١٧/٢٠ : ٢١
النيل ٦٨ : ١٤/٣٢٩ : ١٣/٤٩٠ : ١٢

(هـ)

الهارونية ٥٢ : ٢٠

هجر ٨٥ : ٨
الهند ١٨٩ : ١٩/٢٨٤ : ٨/٢٩٦ : ٨/٢٧٨ : ١٧/
٣٨٧ : ١٩/٣٩٩ : ١٢ ، ٥
هيت ٣٢ : ٣

(و)

وادى مرّ ٥٨٦ : ٥ — ٦
الوادى المنيني ٥٠٨ : ١٢
واسط ٧٨ : ٢١/٥٩٥ : ١٦

(ى)

اليمامة ٨٦ : ١٠/٨٧ : ٤
اليمن ٣٣ : ٩/٣٤ : ٤ ، ١١ ، ١٢ ، ١٥/٢٤٩ : ٦/
٢٨٣ : ١/٢٩٧ : ١٨/٣٤٩ : ١٨/٤٣٣ : ٧/٤٤٤ :
١٩/٥٦٠ : ٨ ، ١٧
ينبع ٣٦٤ : ٧ ، ٢٠
يوماجان ٤٦١ : ١٩

فهـــرس القـــوافى

القافيـة	البحـــر	الشـاعر	الصـــفحة
(الهمزة)			
خبـاءُ	طـويل	أبو العـــلاء	١٥٦
ثنـاء	«	«	٢٢٩
نسـاء	بسـيط	«	١٥٦
المسـيئَه	مجزوء الكامل	ابن أبى الخصال	٤٥٥
القـدماء	طـويل	أبو العـلاء	٢٣ ، ١٥١ ، ٣٠٥ ، ٣٢٣
البكاء	وافـر	ابن القيسرانى	٤٠٣
الفـداء	خفيف	أبو العـلاء	١٥٦
(ب)			
ويرسُبُ	طـويل	أبو العـلاء	١١٣
أوجب	«	ابن غلنـدة	٣٩٦
وجانب	«	الأخنس بن شهاب	٨٦
جوانبـه	«	امرأة	٤٧١
كتاب	وافـر	أبو العلاء	١٩٨ ، ٣١٣
اللبب	رجـــز	ابن المعـــتز	٤٧٤
ذنب	منسرح	أبو اليسر	٧٣ ، ٥٠٩ (منسوب إلى عبد الرحمن بن مدرك)
كواكبها	«	—	٥٥٣
وشيب	خفيف	أبو العـلاء	١٥٧
عجبًا	بسـيط	«	٤٦٦
قـريبـا	وافـر	مدرك بن على	٥٠٨
مصائبـا	كامـل	المتنبى	١٢٦
التقطيبا	خفيف	أبو العـلاء	١٥٨

القافيـــة	البحـــر	الشـاعر	الصـــفحة
القـــلوبا	متقارب	محمد بن عبد الله بن سليمان	٥٠٧
بمنكبِ	طويل	ابن خفاجة	٣٦٢
ناعب	«	أبو ذؤيب	٢٥٣، ٥٧١
وحاصب	«	—	٣٦١
تحـابى	«	أبوالعـلاء	٣٤٢
بجـواب	«	«	٣٤٢
تكتب	كامـل	«	٢٢٨
طحلب	«	«	٢٤٣
البـاب	«	«	١٥٧
غابـــه	«	«	٢٣٨
السـيب	سريـع	«	٥٧٨
طبـــه	«	المتنـبى	٢٨٢، ٣٤٤
باسطرلاب	خفيف	أبوالعـلاء	١٥٨
الكعوب	«	«	٢٤٧، ٢٧٩
عرقوبهـا	منقارب	«	١٥٧

(ت)

يمـوتْ	سريـع	الحسن بن عبدالله المعرى	٥٨٦
عرفه	«	أبو العـلاء	٢٧٦
أخواتُ	طـويل	«	٤٦٥
السكرات	«	«	٢٣٩
ياقـوت	بسـيط	ابن الحـريرى	٤٠٧
ليت	وافـــر	—	٨٣
غريت	مجزوء الكامل	أبو العـلاء	١٠٠، ٢٧٠، ٢٩٠
أخت	سريـع	«	٣٥٨
ماروتَا	بسـيط	«	٢٢٨
بتكزيتـا	«	«	٣٢

القافيـة	البحـــر	الشـاعر	الصـــفحة
فاستقرت	طـويل	—	٤٠٩
حلت	«	كثير	٤٢، ١٠٤، ٣٧١، ٥٣٦
وتحلت	«	«	٩٠
ولت	«	الشـنفرى	٤٢، ١٠٥، ٥٣٦
الوفرات	«	الحطيئـة	٣٧١
العداوات	بسـيط	أبو العلاء	٢٣، ١١٥، ٣٠٥، ٣٢٣ (وانظر التلاوات ، والسماوات) .
التلاوات	«	«	١٩٥، ٣١٧ (وانظر العداوات ، والسماوات)
السماوات	«	«	٦٢، ١٥٠ (وانظر التلاوات ، والعداوات)
بالقـوت	«	«	١٥٨
تكريت	«	«	١٥٩
العـفاة	سريـع	«	١٥٨

(ث)

بعثُ	طـويل	أبو العـلاء	١٥٩، ٣٢٤
عبث	بسـيط	«	٢٤، ٣٢٤

(ج)

المهجِ	بسيط	عبد الرحمن بن مدرك	٥٠٩
الدياجى	وافـر	أبو العـلاء	٢٤٧

(ح)

متزحزحُ	طويل	أبو العـلاء	٧٢
فصاحوا	وافـر	«	١٥٩
مريح	«	«	٦٥
تلاحى	وافـر	المازنى	٣٦٠، ٤١٤
جريحا	«	أبو العـلاء	٢٤٣
الربيحا	«	«	٢٣٠
طليحا	«	«	٢٤٣

القافيـــة	البحـــر	الشـاعر	الصـــفحة
صحا	كامـــل	النعمان بن وادع	٥٠٠
الصحيحه	مجزوء الكامل	أبو العـــلاء	٢٥٠، ٥٦١، ٥٦٢
فضيحه	»	—	٢٥٠، ٥٦١
الصحائح	طويل	أبو العـــلاء	٩٨، ١١٨، ١٢٠، ١٢٩، ١٣٧، ٢٧٢
الصرائح	»	»	١٢٩
فوائح	»	»	١٣٠
القبائح	»	»	١٣٠
بمطرح	»	عبد الله بن سليمان	٦٩

(خ)

تنوخا	مجزوء الرمل	الصنـــوبرى	٦٨، ٤٩٠
الصراخِ	وافـر	أبو العـــلاء	١٩٧
وبالشيوخ	»	»	١٢

(د)

أحـــد	مجزوء الكامل	أبو العـــلاء	١٥٦، ١٨٤، ٢٠٨، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣٢٥، ٣٣٤، ٣٤٥، ٣٤٨
العاقد	منسرح	المتنـــبى	٥١٥
الجسد	متقارب	أبو العـــلاء	٥٦٨ (وانظر : الحسد) .
الحسد	»	»	٣٥، ١٤١ (وانظر : الجسد) .
فسد	»	»	١٤١، ٥٦٧
ســـدُ	طويل	سليمان بن على المعرى	٤٩٨
نجـــد	»	الحطيئـــة	٣٧٠
أمرد	»	—	٨٩
وسود	»	أبو العـــلاء	١٦٢
خدود	»	مهيـار	٣٦١
سعود	»	أبو العـــلاء	١٦٣
فقود	»	»	١٦٢

القـافيـة	البحـــر	الشـاعر	الصـــفحة
نهود	طـويل	أبو العـلاء	٣٧٢
فوعود	»	»	١٦٢
أحد	بسيط	»	١٤٧، ١١٦، ٥٨
العبد	»	»	١٤٧، ١١٦، ٥٨
زادوا	»	»	٣٩٧
مسدود	»	—	٨٦
الجراد	وافـر	أبو العـلاء	٢٤٨
تزاد	»	»	٢٣٠
الرماد	»	»	٢٤٣
والسعود	»	أخو نمـير	٤٤٨
جيد	كامل	أبو العـلاء	٩٩
أعيّد	»	»	٣٧٨
الموعود	خفيف	»	٨٢
وجدّا	طـويل	محمد بن عبد الله بن سليمان	٥٠١
اليدا	بسيط	أبو العـلاء	٢٤٤
العبادا	وافـر	»	٢٣٢
والنجادا	»	»	٥١١
مرادا	»	»	٢٣٢
فعادا	»	»	٢٤٣
فؤادا	»	»	٢٣٩
المنادى	خفيف	السراج الورّاق	٤٧٤، ٤٧١
وما عاده	متقارب	عبد الله بن سليمان المعرى	٤٩٢
الهند	طـويل	ابن عنين	٣٩٩
المتبدد	»	أبو العـلاء	٢٤٤
وجدد	»	»	٣٢٠
إسـناد	بسـيط	»	١٦٣
الـوادى	»	»	١٦٣

القافيـة	البحـــر	الشاعر	الصـــفحة
ومـــعود	بسـيط	أبو العـلاء	٩
بالمقاليـد	»	أبو عطاء السندى	٤٧٣ ، ٤٧٥
تنـادى	وافـــر	—	٢٥٥ ، ٥٧٤
العضـــد	كامـل	أبو العـلاء	٤٧٤
إياد	»	الأسود بن يعفر	٥٧٤
ضـــده	سـريع	أبو العـلاء	٢٣٩ ، ٤٤٦
حاد	منسـرح	»	١٦١
شـاد	خفيف	»	٦ ، ٢٨ ، ١٥٩ ، ٢٣٥ ، ٣٦٠ ، ٣٩٣ (وانظر : للنفاد، وزياد) .
للنفـاد	»	»	٢٧١ ، ٢٩١ ، ٣٣٩ ، ٤١٩ (وانظر: شاد ، وزياد) .
زياد	»	»	٢٧٩ (وانظر : شاد، وللنفاد) .

(ذ)

ولاذا	وافـــر	أبو العـلاء	١٦٣

(ر)

زأر	طـو يل	أبو العـلاء	٦١
اسـتقر	رجـــز	ابن مالك	٤٧٥
أمـــرّ	رمـــل	أبو العـلاء	٣٥٣
لا يعتـبر	متقـارب	»	١٦٥
النفـــر	»	»	٦٢ ، ١٥٠
البقـــر	»	»	١٨٧
الصـــدرُ	طو يـــل	حاتم الطائى	٨٩
الدهـــر	»	—	٨٤
داهـــر	»	أبو العـلاء	٧١
الأباعـــر	»	موسى بن جابر	٣٧٧
أطـير	»	الأحيمر السعدى	٨٥
بصـيرها	»	توبة بن الحمير	٤٣٢

القـافيـة	البحـــر	الشاعـــر	الصـــفحة
تعتـذر	بسـيط	ابن نوت المعرى	٢٨٤، ٢٩٦
اعتبار	وافـــر	أبو العـلاء	٢١٦، ٢٣٣
نار	وافـــر	محمد بن عبدالله بن سليمان	٥١١
الثبـور	«	أبو العـلاء	٢٤، ٥٧، ١١٥، ١٤٦، ١٩٣، ٣٠٦، ٣٢٤، ٣٣٠
أغـبر	كامـل	«	٢٧٧
الأحمـر	«	«	٢٢٩
دار	«	أبو اليسـر	٧٣
الزنار	«	أبو العـلاء	١٦٥
إضمار	«	التهامى	٤٠٧
وتضره	«	عبد الله بن سليمان المعرى	٤٩٢
نهاره	رجـز	—	٤٧٤
وآثار	سـريع	محمد بن عبد الله المعرى	٥٠٩
إقـرار	«	على بن مرضى بن مدرك	٥٠٩
القبـور	خفيف	أبو محمد الخفاجى	٥٣٩
نهـرَا	طـويل	ابن النبيـه	٤٧٤
بأعسرا	«	المتلمس	٨٦
مطـارا	«	أبو العـلاء	٢٣٢
الغيـارى	وافـــر	«	١٦٤
عشـــرا	كامـل	«	٤٤، ٧٩
ونـوارا	«	أبو الهيثم	٥٤٤
والأحجارا	خفيف	أبو العـلاء	١٠
ولا أدرى	طـويل	على بن الجهم	٩٧، ٣٨٩
الدهـر	«	الأخطـل	٤٤، ١٠٦، ٥٣٧
المقـابر	«	«	٤٣٠
الســحر	بسـيط	أبو العـلاء	٤٠٦
بمنحدر	«	«	٢٤٢ (وانظر : الغير)

القافيـة	البحـــر	الشـاعر	الصـــفحة
فـــذر	بسـيط	أبو العـلاء	٢١٥
الجـزر	»	ابن مقبـل	٣٧٧
الخصر	»	أبو العـلاء	٢٣٧، ٢٩٨
الخفر	»	»	١٠، ٢٢٧
الصـغير	»	»	٤٠٧
السهـر	»	»	٩
الغـير	»	»	٢٤٢ (وانظر : بمنحدر)
والسـير	»	»	٢٢٩
البارى	»	علم الدين السخاوى (١)	٢٨٣، ٢٩٢، ٣٤٢، ٣٩١، ٤٠٦، ٤١٨، ٥٩٦
الآثار	»	—	٣٩١
النـار	»	أبو العـلاء	٢٣، ١١٥، ١٤٥، ١٩٥، ٣٠٢، ٣٢١ (وانظر : دينار) .
دينـار	»	»	٥٧، ٢٨٣، ٢٩٢، ٣١٤، ٣٤٢، ٣٩١، ٤٠٦، ٤١٨، ٥٩٦ (راظر : النار) .
بدينـار	»	»	١٦٥
تحدرها	»	»	٦٩
جفـــر	وافـر	»	٣٥٣
فكرى	»	أبو الحسين الجزار	٤٠١
المشـور	»	أبو العـلاء	١١٤
المحشر	كامـل	»	٥٨، ١٤٧
فـرار	»	التهـامى	٢٥١، ٥٦٤
هاتـــر	»	نعلبة بن صُعير	١٣٣
زاخـــر	»	أبو العـلاء	٧٢
يجـرى	هزج	أبو الحسن سليمان المعرى	٤٩١
الإزار	مجزوء الرمل	أبو العـلاء	١٢٥

(١) روى فى الرقين الأخيرين منسوبا إلى الشريف الرضى .

القافيـة	البحـــر	الشـاعر	الصفـــحة
يدرى	سريع	أبو العـلاء	٩٧، ٢٧٥
الدهر	«	أبو البركات بن شاكر	٥٠٦
جابـــر	«	الأعشى	١٨٩
بالحاضر	«	عبد الله بن محمد المعرى	٥٠٢
أســرى	خفيف	أبو العـلاء	١٦٤
ونـــثر	مجتث	سعيد والد أبى الحسن بن سعيد	٤٢١

(ز)

العجـــوزُ	مخلع البسيط	أبو العـلاء	١٩٩، ٣٣٩، ٣٥٥
المجـاز	طـــويل	«	١٦٦
معـــوز	رجـــز	«	٢٤٨

(س)

وحارِسُ	طـــويل	أبو العـلاء	١٦٦
إينـاس	«	«	١٦٦
حـــرس	بسـيط	«	١٦٧
الدنس	«	«	١٦٧
درس	مخلع البسيط	«	١٦٦
منكوس	كامـــل	«	١٦٨
العيـــس	بسـيط	ذو الرمـة	٨٦
حسيس	وافـــر	أبو العلاء	١٦٧
خسيس	«	«	٣٠٥
موسَى	بسـيط	«	٣٠٦ (وانظر : قاموسا)
قاموســا	«	«	٦١، ١١٧، ١٤٩ (وانظر : موسى)
جلاسها	منقـارب	أبو بكر بن سليمان	٤٩٠
لومس	طـــويل	أبو العـلاء	١٦٨
نحس	وافـــر	«	١٨٧، ١٩٦، ٣١٠، ٣١٧، ٣٤٩
بطمس	«	«	٢١٢ (وانظر : بلمس)

القافيـة	البحـــر	الشـاعر	الصـــفحة
بلس	وافر	أبو العلاء	١٤٨ ،٦٠ (وانظر : بطمس)
المستجلس	كامـل	أبو الهيثم	٤٩٤
رمسه	سـريع	أبو العـلاء	١٣٢
الأرماس	خفيف	»	١٨٧

(ص)

فصيصا	طـويل	أبو العـلاء	١٦٨

(ض)

الغـرضْ	متقـارب	أبو العـلاء	١٦٨
ويغيضُ	طـويل	»	١٦٨
بالرضـا	»	أبو مسلم وادع	٥٠٠
قضى	بسـيط	أبو العـلاء	٥٠ ، ٩٧ ، ١٩٧ ، ٢٢٨ ، ٢٧٦ (وانظر : مضى)
بيـاضه	طـويل	أبو اليسر المعرى	٧٣

(ط)

النقطُ	طـويل	أبو العـلاء	٣٦٢
فراط	كامـل	»	١٦٩

(ظ)

يتشظى	خفـيف	أبو العـلاء	١٦٩

(ع)

مشفعْ	طـويل	أبو العـلاء	٢٧٠
مذيع	»	أبو محمد الخفاجى	٥٣٩
يروعها	»	شاكر المعرى	٥٠٥
ينفع	بسـيط	أبو العـلاء	١٦٩
تستطيع	وافـر	عمرو بن معد يكرب	٨٧

القافيـة	البحـــر	الشـاعر	الصـــفحة
يرفع	كامـــل	—	١٤٢،٧٩
بلقع	«	أبو العـلاء	٢٠٩
البلقع	«	—	٨٤
ودعى	بســيط	—	٥٥٦
شـوعا	وافـــر	المتنبى	٤٧٤
دموعا	كامـــل	أبو العـلاء	٨٢
ودْعِ	طـــويل	«	٢٤٤
بديع	وافـــر	«	٧١
بصاعها	كامـــل	«	٢٤٧
بدموعها	«	«	٦٩
بالطامع	سريع	«	٩٩

(غ)

بلغْ	منقـارب	أبو العـلاء	١٧٠
لدغُ	طـــويل	أبو مسلم وادع	٧٣
فراغ	«	ابن رزين	٤٥٧
بلاغ	«	أبو العـلاء	١٨٩
يروغ	«	أبو مهـل	٧٥
صدغ	خفـيف	أبو اليسر المعرى	٧٣

(ف)

الشرفُ	بسـيط	أبو العـلاء	١٧٠،٧٨
الطرف	«	«	١٧٠
الكسوف	وافـــر	«	٣٤٤،٢٩١،٢٨٢،١٧١
الصراف	«	«	١٢٥
المتاف	كامـــل	«	٥٤٣،٢٣٧،٢٢٣
كطراف	«	«	٣٨٣،٣٦١
والاشعاف	«	«	٣٨٣

القافيـة	البحـــر	الشـاعر	الصـــفحة
		(ق)	
المحلقْ	وافـــر	أبو العـــلاء	٢٨٠
الحـدق	رمـــل	—	٢٥٠، ٥٦١
موافقُ	طـــويل	أبو العـــلاء	١٧١
غريق	«	أبو مســلم وادع	٧٤
ونطاق	كامـــل	أبو العـــلاء	٢٢٨
أحقا	طـــويل	«	٢٢، ٥٨، ١١٦، ١٤٦، ٣٠٤، ٣٢٢
صدقا	بســـيط	حسان بن ثابت	٤٤٦
مرزوقا	«	أبو العـــلاء	٤٠٩
فأفاقا	كامـــل	أبو البركات بن شاكر	٥٠٦
التفرقِ	طـــويل	صاعد بن مدرك	٧٥، ٥٠٨
السوقَ	بســـيط	أبو العـــلاء	٢٤٤
خلق	«	«	٢٤٠
الخالق	كامـــل	«	٣٦٣، ٤٠٦
رزق	مجزوء الكامل	«	١٠٠، ٢٦٩، ٢٩٠، ٣٣٣
التلاق	«	—	٤٩٧
عناق	«	عبد الله بن سليمان المعرى	٤٩٨
		(لـ)	
عليكْ	مربع	أبو العـــلاء	١٧١
يبكوا	طـــويل	«	٢٣، ٥٨، ١١٥، ١٤٧، ١٩٣، ٢٧١، ٢٩١، ٣٠٦، ٣٢٣، ٣٣٩، ٤٠٤، ٤١٦، ٤١٩
الملك	«	محمد بن عنيق	٤٠٤، ٤١٦، ٤١٩
تدرك	«	أبو العـــلاء	١٧٢
السالك	مربع	أبو ربيع الكلاعى	٤٥٦
يمسكه	منسرح	عبد الله بن المعتز	٤٧١، ٤٧٤
الملكا	طـــويل	أبو العـــلاء	١٧٢

القافيـة	البحـــر	الشـاعر	الصـــفحة
وآلكا	كامـــل	أبو العـــلاء	١٧١
بالترك	طـــويل	»	٧٠
الضنك	»	»	٢٤٨،١٩٧،٥١،١١
الشوابك	»	تأبط شرا	٨٥
الحوارك	»	حسان بن ثابت	٣٧١
بأشراكى	بســـيط	أبو العـــلاء	٢٦٣،٣٤١،٢٧٦،٩٦

(ل)

من ال	رجز	—	٤١٥
الرجال	سريع	عز الدين بن عبد الرزّاق	٤٧٥
الطفيـــل	»	أبو العـــلاء	٢٤٨
محالُ	طـــويل	أبو الطيب الطبرى	٢١٢
تسلل	»	أبو العـــلاء	٢١٤
مضلل	»	»	٢١٣
مكمل	»	أبو الطيب الطبرى	٢١٣
البـال	»	أبو العـــلاء	٢١٥
الخـال	»	»	٣٧٢
سآل	»	»	٥٩٢
وأفعـال	»	»	٢٤٣
جلال	»	—	٢٤٥
أهـــوال	»	أبو العـــلاء	٣٨٩،٩٧
أذيال	»	»	٢١٥
والفواضل	»	»	٢٣١
متحامل	»	»	٢٤٥
القبـائل	»	»	٢٣٨
ونائل	»	»	٣٦٣،٢٧٧
الأوائل	»	»	٣٥١،٢٩٨
لا أنالها	»	الحسين بن عبد الله المعرى	٥٨٦
لا ينالها	»	—	٨٩

القافيـة	البحـــر	الشـاعر	الصـــفحة
إثقـال	بسـيط	أبو العـلاء	١٧٢
إنجيـل	«	«	٦١، ١١٧، ١٩٤، ٢٧١، ٣١٨، ٣٤٣
دجيجيل	«	النورى أو الذهـبي	١٩٤، ٣٤٣
تقـول	مخلع البسيط	أبو العـلاء	٢٤، ٦١، ١١٦، ١٤٩، ١٩٤، ٢٦٧، ٢٨٨، ٣٢٥، ٣٣٧، ٥٩٦
السبيل	وافـــر	عبد الله بن عنمة	٤٥٠
تجـزل	كامـل	اليـافعى	٣٠٠
مغـزل	«	أبو العـلاء	١٨٤، ٢٠٨، ٢٩٩، ٣٠٨، ٣٤٨، ٣٩٥
كامل	«	المتنـبى	٧٦، ٢٠٦، ٢٢٤، ٢٦٢
المأمول	كامـل	أبو العـلاء	٢٤٠
التـنزيل	«	«	٢١٥
مقبـل	سـريع	«	١٧٣
تعـمل	«	«	١٧٤
لسـالا	وافـر	«	٣٣٤/٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧٢، ٤٧٦
فالا	«	«	٢٣٠
مالا	«	«	٢٤٠، ٤٧٧
قيـله	«	«	١٧٤
سفرجلا	كامـل	صالح بن سليمان المعرّى	٥١٠
مضـلله	«	أبو العـلاء	٢٢، ٥٩، ١١٤، ١٤٨، ١٨٨، ١٩٤، ٢٩٣، ٣٠٥، ٣١٠، ٣١٧، ٣٢٣، ٣٤٢، ٣٥٠
زلزلا	سـريع	«	٢٣، ١٥١، ٣٢٣
طلولا	خفيف	أبو القاسم المغربى	٥٩١
مـلولا	«	أبو العـلاء	١٣٩
الفـاعله	متقارب	أبو سهل عبد الرحمن بن مدرك	٧٥
الرسل	طـويل	أبو العـلاء	١٧٤

القافيـة	البحـــر	الشـاعر	الصـــفحة
بحـال	طـويل	أبو العـلاء	٥٤٢
هـلال	»	»	٢٤٦
لبـال	»	»	٥٨٥
ظليل	»	»	٨١
حابل	»	»	٢٣٢
عواسل	»	أبو ذؤيب	١٣٠
المعاول	»	أبو الهيثم	٤٩٤
عجـل	بسيط	أبو العـلاء	٢٧٩
بالطفل	»	الطغـرائى	٤٠٦
الأمل	»	»	٤٧١
بال	»	أبو العـلاء	٣٥٧،١٥٣
أفعالى	»	»	١٤٩،٥٩ (وانظر : أعمالى)
أعمـالى	بسـيط	»	٢٩٤،٢٨١،١٤٧ (وانظر: أفعالى).
الأوالى	وافـر	المتنبى	٣٦١
بالحلول	»	أبو العـلاء	٨٣
معضـل	كامـل	»	١٤٠،٣٦
عمـلى	»	»	٦٩
الأعزل	»	ليـــد	٥٧١،٢٥٣
الأليـل	»	أبو العـلاء	٣٢٨،٣٠٧
القـابل	»	»	٢٧٨
حامـل	»	ابن عنين	٣٩٩
المتطاول	»	أبو العـلاء	٤٠٠
قابـل	سريع	النعمان بن أبى مسلم	٧٤

(م)

الأقاوم	مجزوء الكامل	المـرقش	٩٠
لا تهم	مشطور الرجز	أبو العـلاء	٨٨
المـام	رمـل	الطرماح	٤٢٤

القافيـة	البحـــر	الشـاعر	الصـــفحة
النـــم	متقارب	أبو العـلاء	١١٢
طمُ	طـــو يل	»	٣٧
يتندم	»	—	٨٤
يـبرم	»	المتنـبي	٣٩٤
لثام	»	أبو العـلاء	٢٤٦
وسـقام	»	»	٢٤٠
متقادم	»	»	١٧٥
صمم	بسـيط	المتنـبي	٣٦، ١٨٣، ٢٠٧، ٢٩٨، ٣٥٢
أعتاكم	كامـل	أبو العـلاء	١٧٤
سحامها	كامـــل	ليـــد	٤٣١
معلما	طـــو يل	دعبل بن على الخزاعى	٤٠٠
لائما		مرقش الأصغر	٤٤٩
سجـــوما	وافـــر	أبو العـــلاء	١٧٤
عقـــيا	»	»	٣٦٠
مقـــيا	»	»	١٧٥
دما	كامـــل	على بن همام	٢٥، ٧٨، ١٨٥، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢٧٢، ٢٩٦، ٣٠٧، ٣١٥، ٣٢٧، ٣٣٨ . وانظر (الدما) .
الـــدما	»	»	٣٠٠
إليـــكما	»	أبو العـــلاء	٤٠٥
وغيهما	»	ذو الفضائل الأخسيكتى	٢٨٤، ٢٩٣، ٣٤٣
جـــرم	طـــو يل	أبو العـــلاء	٢٣٤
اللـــطم	»	»	٢٤٥
تـكرم	»	»	٢٨٤
يســـأم	»	زهـــير	٨٨
وعظـامى	»	أبـــو اليسر	٧٢
أوهامى	»	أبو العـــلاء	٢٧٩، ٣٤١
والمـكارم	»	محمد بن عبد الله بن سليمان	٤٩٦

القافيـــة	البحـــر	الشـاعر	الصـــفحة
أديم	طويـل	—	٨٥
حـــكيم	»	أبو العـــلاء	٣٢٤،٢٤
لعـامه	»	»	٢٣٨
نعـامه	»	»	٢٤٦
لاتهامه	»	»	٢٣٠
بحـامه	»	»	٢٢٩
سهـامه	»	»	٢٤٥
محتـــلم	»	»	٣٤١،٢٧٩
لبيهـــم	بسـيط	حمدان بن عبد الرحيم	٥٩٤،٥٨٤
بابـلام	»	أبو العـــلاء	٣٢٤،٢٤
أمى	وافـــر	»	٤٩٧
الـكرام	»	»	٢٤٦
الـسلام	»	»	٢٣٤
بالسـلام	»	—	١٢٤
سنام	»	—	٩١
صيام	»	»	٢٤٣
الخصـوم	»	»	٤٩٦،٦٠٥
العمـيم	»	المنـازى	٤١٣،٣٥٩
الأدهم	كامـــل	أبوالعـــلاء	٢٤١
الدرهم	»	»	٢٤٤

(نـ)

عدنْ	طويـل	ابن عنين	٣٩٩
يعذبونْ	سريع	أبوالعـلاء	٣٣٤
لعنْ	متقـارب	»	١٧٩
الروادنُ	طويـل	»	١٧٧
آمنْ	»	»	١٧٦
المـدائنْ	»	»	١٧٦

القافيـة	البحـــر	الشـاعر	الصفـــحة
وجونُ	طـويل	أبو العـلاء	١٧٧
مجبن	»	»	١٧٨
دين	»	»	١٧٨
طعين	»	»	١٧٨
دينها	»	»	١٧٧
يهون	مخلع البسيط	»	٢٥٣، ٤٠٧، ٤٠٨
دخان	وافـر	»	٢٣٨
السنان	»	»	٢٤٦
شنان	»	»	٢٤١
نحن	خفيف	»	١٧٨
والأعيان	»	»	١٧٥
الخنَا	طويـل	»	٢٨٢، ٢٩١، ٣٤٢ (وانظر : الدنا)
دنا	»	ابن أبي عقـامة	١٧٩، ٢٨٣، ٢٩٢، ٣٤٢، ٤١٨
الدنا	»	أبو العـلاء	١١٣، ١٧٩، ٤١٨ (وانظر : الخنا)
دنيانا	بسـيط	—	٨٤
ريانا	»	—	٤١٠
تحكونه	»	أبو العـلاء	١٧٨
يذكونه	»	»	١٧٩
الجمانا	وافـر	—	٤٥٠
خاملينا	»	أبو العـلاء	١٧٩
الحنينا	»	عمرو بن كلثـوم	١٢٢
والأسـه	»	أبو العـلاء	١٧٩
إحسانا	سريع	»	٤٠٨، ٤٦٥
الدجن	طـويل	»	٢٣٣
الطعنَ	»	»	٤٩٣
ظن	»	»	٢١١
شجاني	»	أبو صالح بن المهذب	٥٤٨

القافيـة	البحـــر	الشـاعر	الصـــفحة
أفانـ		أبو العـلاء	٣٧٧
عنـان		»	١٩٩
بحرانى	بسيط	»	٧١
حصن	وافـر	النمـر بن تولب	٤٠٥
المؤمن	كامـل	سليمان بن على المعرى	٥٠٧
المؤمن	»	أبو مرشد سليمان	٧٤
ملكين	»	أبو العـلاء	١١٨ (وانظر : وبنى)
وبنى	»	»	٢٥ ، ٥٦ ، ١١٦ ، ١٤٥ ، ١٩٣ ، ٢٨٣ ، ٢٩١ ، ٣٠٦ ، ٣٢٥ (وانظر: ملكين)
الإيمـان	»	البحـائى	٨ ، ٥٥ ، ٢٦٩ ، ٢٨٩ ، ٣٤٤ ، ٤٢٦
أسـوان	»	أبو العـلاء	٩٩ ، ٢٦٩ ، ٥٧٨
بيـان	»	»	١٧٦
بإهـوانى	سـريع	»	١٠٠ ، ٢٧٠ ، ٢٩٠ ، ٣٤٠ ، ٣٥٥
العـين	»	عبد الكريم بن عبد الله	٥٠٣
ختن	منسرح	أبو العـلاء	١٩٧
الطيلسان	خفيف	»	٢٤٦
بالإنسـان	»	المحسن بن عمرو بن المعلى	٨٠
غطفـان	»	أبو العـلاء	٢١٥

(هـ)

سفيه	سـريع	أبو العلاء	١٨١
سطروه	وافـر	»	٢٢ ، ٦٢ ، ١١٧ ، ١٤٩ ، ١٩٤ ، ٣٠٥ ، ٣٢٣
بلغـوه	»	ابن كثير	١٩٤ ، ٣٠٥
عظمه	كامل	أبو العلاء	٦٠ (انظر الحاشية الخاصة بالبيت)
نسبوه	خفيف	»	٣٦٣ ، ٤٠٥
بواديها	بسـيط	—	٨٣

القافيـــة	البحـــر	الشـاعر	الصـــفحة
اعتراها	وافـر	أبو العلاء	٢٢، ١١٤، ٣٠٤، ٣٢٢(وانظر: كراها)
كراها	»	»	٥٧، ١٤٦، ١٩٣، ٣١٧، ٣٤٣ (وانظر: اعتراها)
رضاها	»	—	٥٥٣
دناها	رجـــز	—	٥٦٤
عليا	مجزوء الرمل	مدرك بن على	٥٠٨
دهاها	سـريع	أبو العلاء	١٨٠
تلافيه	بسـيط	»	١٨١
والملاهى	وافـر	»	١٨١
اللاهى	سـريع	»	١٨٠
تهديه	خفيف	»	١٨١

(و)

ودعَوْا	منسرح	أبو العلاء	١٨٠

(ى)

إلىّ	سـريع	أبو العلاء	٥٣٦
الشرعبُى	وافـر	»	١١٣
تلاقيًا	طـويل	—	٩٠
وماثيا	»	—	٩٠
النحايا	مخلع البسيط	الخفاجى	٥٥٦
ورعيا	وافـر	أبو المجد المعرى	٧٠
زاويه	مجزوء الرجز	أبو العتاهية	٣٥٨

(الألف)

والبلوى	طـويل	ابن عبد القدوس	٤٤، ١٠٦
الموتى	»	»	٢٣٨

أنصاف الأبيات

الجـــزء	الشـاعر	الصـــفحة
أزائر ياخيال أم عائد	المتـنبي	٥١٥
ألا انعم صباحا أيها الطلل البالى...	امرؤ القيس	٥٣٧،١٠٦،٤٤
ألمت بالتحية أم بكر...	—	١٢٧
أو موضعا فى فنان ناجية	المتـنبي	٥١٥
تعبّد مالنا إلا السكوت له	أبو العلاء	١٩٥
شجا قلب الخلى فقال غنى	المنـازى	٣٦٠
غدوت مريض العقل والدين فالقنى...	أبو العلاء	١٢٢
فلولا الغمد يمسكه لسالا	»	٤٧١ : ٤٧٨
فوالله لولا الله تخشى عواقبه	امرأة	٤٧٣
فوالله لولا الله لا شىء غيره	—	٤٧٣
لك يا منازل فى القلوب منازل	المتـنبي	٧٦، ٢٦٧، ٢٨٧، ٢٩٩، ٣٠٢، ٣٢٢، ٣٤٩، ٣٥٤
لولا زهير جفانى كنت معتذرا	—	٤٧٩
ولولا الشعر بالعلماء يزرى	—	٤٧٩
وما أحاشى من الأقوام من أحد	النابغـة	٢٢٧

فهـــرس الكـــتب

(ا)

آثار البـلاد وأخبار العباد ٤١٩ : ٩ ، ١٦/٥٩٥ : ١ ، (١٢ — ١٤)

الاحتجاج للطبرسى ٣٨٠ : ١ ، (١٦ — ١٧)

إحكام صنعة الكلام ٤٣٩ : ١٩

أخبار الحكماء ٦٥ : ١٧

أخبار الصحابة ١٤٢ : ٢١

أخبار النحويين = إنباه الرواة .

الأربعين فى أصـول الدين ٢٦٧ : ١٧ ، ٢٠ ، ٢١/٢٦٨ : ١٨/٢٨٨ : ٥

إرشاد الأريب ٥ : ٢١/٨ : ٢٤/١٦ : ١٩ ، ٢٣/٢٧ : ٨ ، ١٥ ، ١٦/٣٤ : ٢١/٣٥ : ١٦/٣٨ : ١٩ ، ٢٠ ، ٢١/٣٩ : ٢١/٤٠ : ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٩/٤١ : ١٦ ، ٢١/٤٢ : ١٩ ، ٢١ ، ٢٣/٤٣ : ٢٤/٤٤ : ١٨ ، ٢٣/٤٦ : ١٩ ، ٢٢/٤٧ : ٢٠ ، ١٩/٦٧ : ٢٣/(١٥ — ١٧) ، ١/٨١ : ١٦ ، ١٦ ، ١٩/٨٣ : ١٩ ، ٢٠/١٧٠ : ٢٣/٢٠٢ : ٢١ ، ٢٢/٢٠٣ : ٢٠/٢١٠ : ٢٠ — ٢٢/٢٢٣ : ١٨/٢٦٦ : ٨ ، ١٩/٢٦٨ : ١٨ ، ١٩/٢٦٩ : ٢٠/٢٧٢ : ١٩/٢٧٣ : ١٨ ، ١٩/٢٧٤ : ١٧/٢٧٥ : ١٩ ، ٢٠ — ٢١/٢٧٦ : ١٨/٢٨٣ : ١٨/٢٨٤ : ١٥ — ١٧/٢٨٦ : ٢١/٢٩٢ : ١٨ ، ١٩/٣١٥ : ١٨ ، ٢٢/٣١٦ : ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢/٣٣٢ : ٢١/٣٣٦ : ٢١/٣٨٤ : ١٠/٣٩٢ : ١ ، ٢١/٤٨٣ : ٢٤/٥٠٨ : ٢٢/٥٣٤ : ٢٢/٥٩١ : ٢١/٥٩٢ : ٢٠ — ٢١

أساس البلاغة ١٣٣ : ١٨/٤٨٨ : ٢٠

الإشارة إلى من نال الوزارة لابن الصيرفى ٤١٧ : ٢١/٥٧٤ : ١٧ ، ٢١

الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٢٩ : ١٦

الإشارات المعزية ٣٩٢ : ١٩

الاشتقاق ٦ : ١٩/٤٤٤ : ١٠

الإصابة ٣٢٤ : ١٦ ، ١٩

إصلاح المنطق ٥١ : ٨ ، ١٣/٣٧٤ : ٥/٤٤٣ : ١٠/٤٤٨ : ١٦/٥٣٤ : ١١

الأصمعيات ٨٧ : ١٨

الأضداد لابن الأنبارى ٢٦٤ : ٢٠

إعلام العلوم وشفاء كلام العرب من الكلوم ٣٤ : ١٧

إعلام النبلاء ٥٥٦ : ٢٣

أعيان العصر ٢٦٣ : ٢١

الأغانى للرقيق ٥٦١ : ٥

الأغانى لأبى الفرج ٩ : ١٥

ألف باء للبلوى ٣٩١ : ١ ، ١٠ — ١٣

أمالى ابن برى ٤٣٤ : ٢٢

أمالى القالى ٤٢ : ١٤/٩٠ : ٢٠ ، ٢١/٣٧٧ : ٢٢

الأنباء فى تاريخ الأطباء = عيون الأنباء فى طبقات الأطباء .

إنباه الرواة ٨ : ١٩/٢٦ : ٦/٢٧ : ١ ، (٨ — ١١) ، ١٥ ، ١٦/٣٥ : ١٨/٣٨ : ١٩/٥٤ : ١٨/٥٦ : ٢٠/٦٠ : ٢١/٦٧ : ٢٠/٧١ : ١٩/١٠١ : ٢١/١٠٢ : ٢١/١٠٣ : ٢٠ ، ٢١/١٠٥ : ٢٠/١٠٦ : ٢٢/١٠٧ : ٢١/١٠٨ : ١٨ ، ٢٠ ، ٢١/١٠٩ : ٢٠/١١٦ : ٢٠/١٣٩ : ١٦/١٤٠ : ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢/١٤٨ : ١٦/١٥٢ : ١٨/١٥٤ : ٢١/١٩١ : ٢٠ — ٢٢/٢٠١ : ٢١/٢٠٢ : ٢٠ — ٢٢/٢٠٣ : ٢٠/٢٠٤ : ١٩/٢٢٣ : ١٧/٢٧٤ : ٢١ — ١٩ ، ١٧/٢٧٥ : ١٥ ، ١٩/٢٨١ : ٢٢/٢٨٩ : ١٩/٢٩٤ : ٢١/٣١٥ : ٢١ ، ٢٢ ، ٣٢٨ : ٢٠/٣٤٥ : ١١/٥٣٤ : ٢٢/٥٣٦ : ١٨/٥٦٢ : ٢٢

الانتصار لأبي الطيب ٤٤٦ : ١٣
الانتصار للكلاعى ٤٣٩ : ١٩
الانتصار من ظلمة أبي تمام للمرزوق ٣٧٦ : ٣
الإنجيـل ٢٤ : ١٣/٥٧ : ١٦/٦١ : ٦/١١٥ : ١٦/١٤٦ : ١١/١٤٩ : ١٣/١٩٣ : ١٥/١٩٤ : ٩/٢١٥ : ١٤/٣٠٦ : ١٠/٣١٨ : ٢/٣٢٤ : ١٤/٣٣٠ : ٩/٣٤٣ : ٥
الأنساب ٨ : ٢٣/٩ : ١٨/١٢ : ١، (١٥ — ١٦)/١٤ : ١٥، ٢٠، ٢٣/٢٠ : ١٩/٨٠ : ٥، ١٩، ٢١، ٢٣/٨١ : ١٦/٨٢ : ١٧/١٤٢ : ٢٢/٢٠٠ : ٢٠/٢٦٤ : ١، ١٧/٢٨٤ : ١٤، ١٥/٢٨٥ : ١١/٥١٩ : ٩، ١١، ١٩
الإنصاف والتحرى ٣ : ٢٤/٤٣ : ٢٠، ٢٣/٤٤ : ٢٣/٤٥ : ٢١/٤٦ : ١٨، ٢٠/٤٧ : ١٩/٥٦ : ٢١/٦٤ : ٢١/٦٥ : ٢١/٦٦ : ٤، ٥/٦٩ : ١٩/٧٢ : ٢١/٩٩ : ٢١/١١١ : ٢١/١١٢ : ١٦/١٩٦ : ١٩/٢١٩ : ٨، ١٩—٢١/٢٢٠ : ١٩، ١٩/٢٢١ : ٢١/٢٢٢ : ٢٠/٢٢٣ : ١٨، ١٩، ٢١/٢٢٦ : ٢٠/٢٦٧ : ١٨، ١٩/٢٤٩ : ٢٢/٢٥٠ : ١٨، ١٩/٢٥٢ : ٢١/٢٦٦ : ٧/٢٧٣ : ١٩/٢٧٥ : ١٧، ٢١/٤١٧ : ٢٣/٤٢٣ : ٢١/٤٢٤ : ٢٠/٤٨٣ : ١، (١٥ — ٢١)/٤٨٦ : ٣
الأوسط ٥٨٥ : ١٧
أوضح المسالك لألفية ابن مالك ٤٧١ : ٣
الإيضاح لأبي على الفارسى ٤٧٧ : ١٦

(ب)

البخارى ... صحيح البخارى .
البداية والنهاية ٥ : ١٧/١٢ : ٢٠/١٣ : ٢٢/١٨ : ٢١/٢٠ : ١٦، ١٩/١٩٦ : ٢١/١٨٢ : ٢١/١٩٤ : ٢٠ : ١٩/٣٠١ : ٢٤/٦١ (١٥ — ١٧)/٣٢٠ : ٢٠/٣٢١ : ١٨ — ٢٠/٣٢٢ : ٢٠/٣٢٨ : ٢٠/٣٤٤ : ١٤/٣٨٤ : ١٤/٤٨٣ : ٢٤/٥٠٦ : ٢٢/٥١٢ : ٢١/٥١٩ : ١٦، ٢٣
البداية والنهاية لابن مهند ٥٦٤ : ١٠
بغية الطلب ١٤ : ٢٢/٦٥ : ١٩/٤٨٩ : ١٩/٥١١ : ٨/٥٨٤ : ٢١/٥٨٥ : ١٥/١٥٨٧ : ١، ٦ (١٥—١٩)
بغية الوعاة ١٦ : ١٦، ٢٣٦/٢٧ : ٩، ١٩٦/٤٧ : ١٠/٧٨ : ٢٠/٢٠٦ : ٢٠/٢٦٤ : ٢٠/٩١٣ : ٣٢/٣٣١ : ١، ٦ (٥ — ١٩)/٣٣٢ : ٢١/٣٨٤ : ١٤/٣٨٥ : ٢٢/٤٠٨ : ١٧/٤١٧ : ١/٤٧٢ : ١٩، ٢١/٥٣٥ : ٢٢
البلدان لابن الفقيه ٩٩ : ٢١/٥٧٨ : ٢٤
البلغة فى تاريخ أئمة اللغة ٤١٩ : ٩

(ت)

تاج العروس ٦ : ١٩/١٢ : ٢٣/٢١٥ : ١٨/٥٩٧ : ٢٠/٥٩٨ : ١، (١١ — ١٢)، ٥
تاريخ بغداد = تاريخ مدينة السلام
تاريخ الإسلام للذهبى ٣٥ : ١٨، ١٩/٣٨ : ١٩، ٢٠، ٢٢/٣٩ : ٢١/٤٠ : ١٩، ٢١/٤٢ : ٢١/٤٤ : ١٨/٤٦ : ١٩/٤٨ : ١٩، ٢٠/٤٩ : ١٨/١٠٣ : ٢٠/١٨٧ : ٢٢/١٨٩ : ١، (١٢ — ١٦)/١٩٤ : ١٧/٢٢٣ : ١٨/٢٦٨ : ٢١/٢٧٤ : ٢١/٢٨٩ : ٤/٢٩٧ : ١٨/٣١١ : ٦، ١٨، ١٩ — ٢٢/٣١٢ : ٢٠، ٢١/٣١٣ : ٢١/٣١٤ : ٢٠/٣١٥ : ١٨/٣٢٩ : ١٦/٣٣٩ : ٢٠، ٢٢/٣٤٣ : ٢٠/٣٤٦ : ٢١/٣٥٥ : ١٧، ١٨
تاريخ ثابت بن سنان ٢٥ : ١٧
تاريخ ابن جرير = تاريخ الطبرى
تاريخ حلب = بغية الطلب
تاريخ ابن خلكان = وفيات الأعيان لابن خلكان
تاريخ دمشق ١٩١ : ١٦/٤٩١ : ٢٠/١٩٢ : ٢٠/٥١٩ : ١٦

تاريخ الصابى ١١٧ : ١٢ / ٣١٥ : ١٢ ، ٣٢٥ : ٨
تاريخ الطبرى ٢٥ : ١٧ / ٤٨٦ : ١٩ ، ٢٠
تاريخ العظيمى ٥١٢ : ٦
تاريخ العينى = عقد الجمان
تاريخ ابن القلانسى ٥٣٢ : ١٦ / ٥٣٣ : ١٦ / ٥٩٣ : ٢٢
تاريخ الكامل = الكامل لابن الأثير
تاريخ مدينة السلام ٥ : ١ ، (١١ — ١٣) / ٢٧ : ٢٣ / ٢٨ : ١٨ / ٦٧ : ٢٠ / ٨٢ / ١٩ :
التاريخ الكبير للصفدى ٢٩٦ : ١٢
تاريخ مصر للقفطى ٢٧ : ١٤
تاريخ النحاة = إنباه الرواة
تاريخ النحويين = إنباه الرواة
تاريخ همام بن المهذب ١٤١ : ١ / ٤٩٣ : ١٤ / ٤٩٨ : ١٥
تاريخ ابن الوردى = تتمة المختصر
تأويل مختلف الحديث ٩١ : ١٩
التبرى من معـرة المعرى ١٧ : ١٨ / ٢٢٣ : ٢١ / ٤٢٩ : ١ ، ١٥ — ٢١
تبصير المنتبه ٥٩٩ : ٣ ، (٧ — ٨)
التبيان ٣٦١ : ٢١ / ٣٦٩ : ٢١ / ٣٩٤ : ٢٦ / ٤٠٧ : ٢١ / ٤٢٣ : ١٦ / ٤٧٤ : ١٩ / ٥١٥ : ١٩
تتمة المختصر ١٨٦ : ١٧ / ٢٤ / ٢٠٦ : ١ ، (١٤ — ١٧) / ٢١٧ : ٢١ / ٤٠٣ : ١
تتمة اليتيمة ٣ : ١ ، [٩ — ١١] ، ٢٣٤ / ٨ ، ١٦ ، ٢٣ / ٧٩ : ٧ ، ١٨ ، ٢٠ / ٨٠ : ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ / ٢٦٥ : ٢٠ / ٢٨٦ : ٢١ / ٥٥٧ : ١٨ / ٥٥٨ : ١٩ ، ٢٠
التجنى على ابن جنى ٣٣٢ : ٢٠
التحرى فى دفع الظلم والتجرى على أبى العلاء المعرى ٢٨٩ : ١٥ (وانظر الانصاف)
تحفة النظار ٣٠ : ٢٢ / ٥٩٧ : ١ ، (١٧ — ٨)
تذكرة الحفاظ ٨٢ : ٢٠ / ١٨٩ : ١٧ / ١٩١ : ١٩ / ٤٩١ : ١٩ / ٥٠٢ : ٢٠ / ٥٠٥ : ٢١ / ٥١٩ : ١٩
تذكرة الشعراء ٤٦٤ : ١ ، (١١ — ١٦)
التسهيل ٤٧٣ : ٨
تفسير ابن كثير ٣٠١ : ٢٠ / ٣٠٢ : ٢٠ / ٣٠٤ : ١٨
تقويم البلدان ٣٠ : ١٥
التكملة لابن الأبار ٢٠٥ : ١٣ / ٣٩١ : ١٨ / ٣٩٦ : ١ ، ٩ — ١٠ / ٤٣٩ : ٢٠ / ٤٦٥ : ١٨ ، ١٩ / ٥١٨ : ٢٠
تلبيس إبليس ٣٩٠ : ١ ، ١٣ — ١٥
تلخيص المفتاح للقزوينى ٣٣٥ : ١٤
تهذيب إصلاح المنطق ٣٧٤ : ١ ، (١١ — ١٢)
تهذيب التهذيب ٣٢٤ : ١٩ / ٥٢١ : ٢٣ ، ٥٢٢ : ٢١ / ٥٢٣ : ١٨ ، ١٩ ، ٢١ / ٥٢٤ : ١٧ ، ٢٠ / ٥٣٨ : ١٧ / ٥٨٥ : ١٦
تهذيب غريب الحديث ٥١ : ١٨
التهذيب فى اللغة ٣٧٤ : ١٤
التوراة ٦١ : ٦ / ٦٢ : ٨ / ١١٤ : ٧ / ١١٥ : ١٦ / ١٤٦ : ٥ ، ١١ / ١٤٩ : ١٣ / ١٥٠ : ١٠ / ١٥٧ : ١٢ / ١٩٣ : ٩ / ١٩٤ : ٩ / ١٩٥ : ٢ / ٢١٥ : ١٤ / ٣١٧ : ٤ ، ٩ / ٣١٨ : ٢ / ٣٢٢ : ١٩ / ٣٤٣ : ٥ ، ١٢
التيسير للدانى ٣٥٥ : ٢١

(ث)

الثابق العزيزى ٤٧ : ٢٠ / ١١٢ : ١
ثمرات الأوراق ٣٦٠ : ١٩ / ٤١٣ : ١ ، (١٣ — ١٤)
ثمرة الأدب ٤٤٢ : ٦

(ج)

جامع الترمذى ٢٩٧ : ١٧
جامع الحقائق فى التأويل = المجالس المؤيدية
جمع الجوامع ٣٣٤ : ١٣ ، ٢٠
الجمل للزجاجى ٤٦ : ١٢ / ١٠٨ : ١١ ، ١٢ / ١١٠ : ١٦
الجمهرة لابن دريد ٢٢٧ : ٣ ، ٦ / ٣٩٩ : ١٨ / ٥٥٩ : ٣ ، ٥ ، ٦ ، ١٨

جمهرة أشعار العرب ٨٦ : ١٧
جنان الجنان ورياض الأذهان ٢٤٩ : ١، ٦(٢٠ — ٢١)/
٥٥٢ : ٧ (بلفظ رياضة الأذهان) ٥٦٠ : ٢٠
جنى الجنتين ٤٥٠ : ١٤، ١٧
جهد النصيح وحظ المنيح من مساجلة أبي العلاء المعرى فى خطبة
الفصيح ٤١ : ١٩ — ٢٠

(ح)

حاشية الخضرى ٤٧٥ : ٨
حماسة أبي تمام ٤٦ : ١٩/٨٥ : ١٩/٥٤١ : ١٠
الحماسة الرياشية ٤٦ : ٩/١٠٨ : ١، ٣/٥٤١ : ٨
حياة الحيوان للدميرى ٣٨١ : ٢١/٤٢٩ : ٢٦/٤٣١ :
٨، ١١، ١٤، ٢١، ٢٦/٤٣٣ : ٩/٤٣٥ : ١٢
الحيوان للجاحظ ٣٦ : ٢٠/٨٧ : ١٨/١٠١ : ١٩/
٣٩٢ : ٢٠/٤٣٣ : ١٠

(خ)

خريدة القصر ٦٨ : ١٦/٦٩ : ١٩، ٢٠/٧٠ : ٥، ١٦، ٢٠،
٢١/٧١ : ١٧، ٢٠، ٢١/٧٢ : ١٦، ١٨،
٢٢، ٢٣/٧٣ : ١٩، ٢١/٧٤ : ١٧ — ٢١/
٧٥ : ٢١/٢٤٩ : ١٧/٢٨٤ : ٢٣/٢٩٦ : ١٦/
٤٩٩ : ٢١/٥٠١ : ١٨، ١٩، ٢٢/٥٠٦ : ١٨
٥٠٨ : ٢٢/٥١٢ : ١٩/٥١٣ : ٢١، ٥١٥ :
١٨/٥١٧ : ٢٠، ٢١
خزانة الأدب لابن حجة ٤١٣ : ١٩
خزانة الأدب الكبرى للبغدادى ٤٧٦ : ١١
خلاصة الأثر ٣٤٦ : ١٩/٤١٨ : ٢٠/٤٢١ : ٢٢/
٤٢٣ : ١٩
خلق الإنسان ٤١٧ : ٥
ابن خلكان = وفيات الأعيان .

(د)

دائرة المعارف الإسلامية ٤٦١ : ٢٠/٤٦٤ : ١٩
الدرر الكامنة ٢٠٦ : ٢٠/٢١٥ : ١٩/٤٠٢ : ٢٢/
٤٠٤ : ١٧/٤٠٩ : ١٧/٥٩٧ : ٢٢
دفع التجرى على أبي العلاء المعرى ٢٦٦ : ٧/٢٩٥ :
١٤/٣٣٣ : ١٤ (واظر الإنصاف)
دفع المعرة عن شيخ المعرة ٢١٠ : ١٨
دمية القصر ٣ : ١٦/٥ : ١٨/٨ : ١، ١٣ — ١٤/
٨ : ٢٣/٥٥ : ١٨/١٩٢ : ١٩، ٢٠/٢٦٩ :
١٩/٢٨٩ : ١٧ — ١٩
دول الإسلام ١٨٩ : ١٩
ديوان الأدب للفارابى ٣٤ : ٦، ١٩/٢٤٩ : ١٥/
٥٦٠ : ١٨
ديوان الأعشى ٣٥ : ١/٨٩ : ١٨/١٤٠ : ٢/١٩١ :
٢٠
ديوان البحترى ١٨٣ : ١٥/٢٠٧ : ١٤/٢٩٨ : ١٥/
٣٤٧ : ١٥/٣٥٢ : ١٣/٣٧١ : ٢١
ديوان أبي تمام ١٨٣ : ١٥/٢٠٧ : ١٤/٢٩٨ : ١٥/
٣٤٧ : ١٥/٣٥٢ : ١٣/٣٧٥ : ١٧
ديوان تيم اللات ٣١ : ١٦/٣٢ : ٦، ٧
ديوان الحطيئة ٣٧٠ : ١٨/٢٧١ : ١٩
ديوان الحيوان للسيوطى ٤٢٩ : ٢٥
ديوان ابن خفاجة ٣٦٢ : ١٦، ١٧، ١٨
ديوان الطرماح ٤٣٤ : ١٣
ديوان أبي العتاهية ٣٥٨ : ٢٠ — ٢٢
ديوان المتنبي ٢٠٧ : ١٥/٣٤٧ : ١٦/٥١٥ : ٦
الديوانان = سقط الزند ولزوم ما لا يلزم

(ذ)

الذريعة الى تصانيف الشيعة ٣٨٠ : ١٩
الذهبي = تاريخ الإسلام للذهبى .

(ر)

رجعة المفريت ٤١٧ : ٦

رحلة ابن بطوطة = تحفة النظار .

رحلة ابن جبير ٥٥٣ : ١١٦١

رحلة العبدرى ٤٥٦ : ١٩

رسالة الغفران ٤٧ : ٢١ / ١٠٦ : ٢١ / ١١٣ : ١٩ ، ٢٠ / ١٢٤ : ٢٠ ، ٢١ / ١٢٥ : ١٩ / ٤٠٥ : ٢٠

رسالة ابن القارح ٨٣ : ١٧

رسائل البلغاء ٨٣ : ١٨

الرسائل الخمس ١١٩ : ١٧ ، ٢٠ / ١٢٠ : ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ / ١٢١ : ٢٠ / ١٢٢ : ٢١ / ١٢٣ : ١٨ ، ٢٠ / ١٢٤ : ١٨ / ١٢٥ : ٢٣ / ١٢٦ : ١٩ / ١٢٧ : ١١ / ١٢٨ : ١٨ / ١٣٠ : ٢٠ / ١٣٣ : ١٦ ، ١٧ ، ٢٢ / ١٣٤ : ٢٠ — ٢٢ / ١٣٥ : ٢٠ ، ٢٢ / ١٣٦ : ٢٠ / ١٢٧ : ٢١

رسائل أبي العلاء ٨٣ : ٢٠ / ٨٤ : ١٨ ، ٢٠ / ٩٠ : ٢٠ / ٩١ : ٢٠ / ٩٣ : ١٩ ، ٢١ / ٩٥ : ١٩ / ٢٠٢ : ١٨ ، ١٩ / ٢٥٢ : ١٩ / ٢٥٣ : ٢١ / ٢٥٦ : ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ / ٢٥٧ : ٢٠ ، ٢١ / ٥٨ : ١٩ ، ٢٠ / ٣٧٠ : ٢٠ / ٤١٧ : ١٩ / ٤٤٨ : ١٨ — ٢٠ / ٥٤٧ : ٢٢ / ٥٧٠ : ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ / ٥٧١ : ١٦ ، ١٨ ، ٢٢ / ٥٧٢ : ٢١ ، ٢٢ / ٥٧٣ : ١٦ ، ١٨ ، ٢٠ / ٥٧٤ : ١٤ / ٥٧٧ : ١٩

الروض الأنف ٤٨٦ : ١٩ — ٢٢

روض المناظر = روضة المناظر .

روضة المناظر فى أخبار الأوائل والأواخر ٣٠٩ : ١ ، ٣ (١٣ — ١٧)

(ز)

الزبور ٢٤ : ١٣ / ٥٧ : ١٦ / ١١٥ : ١٦ / ١٤٦ : ١١ / ١٩٣ : ١٥ / ٣٠٦ : ١٠ / ٣٢٤ : ١٤ / ٣٣٠ : ٩

(س)

الساجعة والغريب ٤٥ : ١٨ / ٤٢٢ : ١٠ / ٤٣٩ : ١٩ / ٤٤١ : ١٤ / ٤٥١ : ١

سر العالمين وكشف ما فى الدارين ١٤٨ : ١٧ / ١٥٢ : ٢٠ / ٢٨٢ : ١٩ / ٣٢٦ : ٢٠ ، ٦ / ٣٧٨ : ١ ، ٦ (٧ — ٩) ، ١٢

سر الفصاحة ٣٦٩ : ١ ، ٦ (١٨ — ١٩)

سفرنامة ٤٦١ : ١ ، ٦ (١٣ — ١٤) / ٤٦١ : ٢٠ / ٥٨ : ١ : ١

سقط الزند ٣ : ٢٢ ، ٢٣ / ٩ — ٢٢ / ١٠ : ١٨ ، ٢٠ / ١١ : ٦ ، ٦ / ٧ / ٢٨ : ٢٠ — ٢٢ / ٢٩ : ١٩ — ٢٠ / ٣١ : ١٣ / ٣٢ : ١٥ ، ١٨ / ٥٠ : ٢٠ / ٥١ ، ٢٠ ، ٢١ / ٨١ : ١٩ / ٨٢ : ١٤ ، ٢١ / ٩٧ : ٢١ ، ٢٢ / ١٥٩ : ٢١ / ١٦٠ : ٢٠ / ١٦١ : ٢٠ ، ٢١ / ٩٨ : ١٨ / ١٧٩ : ٢٥ / ١٩٧ : ٢٠ / ٢١١ : ٢٠ / ٢١٥ : ٢٠ — ٢١ / ٢١٦ : ١١ / ٢٢٣ : ٢٠ / ٢٢٧ : ٢١ / ٢٢٨ : ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ / ٢٢٩ : ٢١ ، ٢٢ / ٢٣٠ : ١٧ — ٢٠ / ٢٣١ : ١٩ — ٢١ / ٢٣٢ : ١٨ — ٢٠ / ٢٣٣ : ١٩ — ٢١ / ٢٣٤ : ١٨ — ٢٠ / ٢٣٥ : ٢٠ / ٢٣٧ : ١٩ ، ٢٠ / ٢٣٩ : ٢١ ، ٢٢ / ٢٤٠ : ٢٠ — ٢٢ / ٢٤١ : ١٨ — ٢٠ / ٢٤٢ : ١٧ — ٢١ / ٢٤٣ : ١٩ — ٢١ / ٢٤٤ : ١٨ — ٢٠ / ٢٤٥ : ١٧ — ١٩ / ٢٤٦ : ١٩ ، ٢١ — ٢٣ / ٢٤٧ : ٢٠ ، ٢١ / ٢٤٨ : ١٨ — ٢٠ / ٢٧٦ : ١٩ ، ٢٠ / ٢٧٧ : ٢٠ ، ٢١ / ٢٧٨ : ٢٠ — ٢٢ / ٢٧٩ : ١٩ ، ٢١ / ٢٩١ : ٢٠ / ٢٩٨ : ١٩ / ٣٣٩ : ١٨ / ٣٤١ : ٢١ / ٣٤٢ : ١٨ / ٣٦٢ : ٢٠ ، ٢١ / ٣٦٥ : ١٠ / ٣٧٢ : ٢٢ / ٣٨٣ : ٢٢ / ٣٩٣ : ٢٢ ، ٢٣ / ٣٩٩ : ٢١ / ٤٠٠ : ١٤ / ٤٠٦ : ٢٠ / ٤٠٧ : ٢٢ / ٤٤٦ : ٢٢ / ٤٦٥ : ٢٠ / ٤٦٩ : ٣ / ٤٩٣ : ٢١ / ٥١١ : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ / ٥٤٢ : ٢٠ / ٥٤٣ : ٢١ / ٥٨٥ : ٢٢ / ٥٩٢ : ٢٣

سمط اللآلى ١٣٢ : ٢٠ / ٣٧٧ : ٢١

السمعانى = الأنساب .

سير النبلاء للذهبى ٣٢٩ : ١٦ / ٣٤٦ : ٣١

السيرة لابن هشام ١٢٤ : ٢٠

(ش)

شذرات الذهب ١٣ : ٢٢/١٨ : ٢١/٢٠ : ٢٣/٢٢ :
١٨/٢٧ : ٢١/٦٨ : ٢٢/٨٢ : ٢٠/٨٣ : ١٦/
١٩٤ : ١٩/٢٠٦ : ١٩ ، ٢٠/٢١٧ : ٢٠/
٢٦٣ : ٢٢/٢٧١ : ١٥/٢٩٧ : ٢٢/٣٠١ :
٢١/٣٠٩/١٥/٣٠٩ : ٢١/٣١١ : ١٧/
٣١٩ : ٢١/٣٢٩ : ٢١/٣٣١ : ٢١/٣٣٥ :
٢١/٣٤٦ : ١ ، (١٣ — ١٥) ، ٣٤٦ : ٢٢/
٣٨٤ : ١٤/٣٩٧ : ٢٠/٤٠٣ : ١١/٤٠٤ :
١٧/٤١١ : ٢٢/٤١٣ : ٢٠/٤٨٣ : ٢٤/
٤٩١ : ٢١/٥١٢ : ٢٢/٥٢٣ : ١٩/٥٥٦ : ٢٢
شرح أدب الكاتب ٤٩٣ : ٢٠
شرح ألفية ابن مالك ٤٧٥ : ٨
شرح البخارى ٣١٩ : ١٩
شرح التسهيل ٣١٩ : ١٩/٤٧٣ : ٨
شرح ديوان أبى تمام ٣٧٥ : ١ ، (١٧ — ١٩)
شرح ديوان الحماسة ٣٧٧ : ١ ، (١٩)
شرح ديوان المتنبي = التبيان
شرح سقط الزند للأعلم ٢٨٤ : ١٤
شرح سقط الزند للتبريزى ٥٣٥ : ٤
شرح سقط الزند لابن السيد ٣٨٦ : ٣/٥٣٥ : ٤
شرح السيرة للخشنى ٦ : ١٦
شرح شعر المتنبي لأبى المرشد سليمان ٥٠٧ : ١٤
شرح شواهد ألفية ابن مالك ٣١٩ : ٢٠
شرح مقامات ابن الحريرى ٣٣٥ : ٢١
شرح نهج البلاغة ٣٩٥ : ١ ، ٩ — ١١
الشعر والشعراء ٨٥ : ١٩
الشعور بالعور ٢٦٣ : ٢٠
شفاء الغليل ١٦ : ٢٤ — ٢٥/٧٥ : ٢٠/٤٣٥ : ١١
الشقائق النعمانية ٣٣٥ : ٢١
شمس العلوم ٣٤ : ٢١
الشواهد الكبرى = المقاصد النحوية

(ص)

الصادح والباغم ٨٣ : ١٥
الصبح المنبي ٣٨٩ : (١٧ — ٢١) ٤٣٣ : ١ ، ١٥ — ١٧
الصحاح للجوهرى ٣٤ : ٨ ٤٣١ : ٨
صحيح البخارى ٣٣٥ : ١٩
الصحيحان ٢٩٧ : ٨ !
الصلة لابن بشكوال ٣٩٦ : ٩
صلة الصلة ٣٩١ : ١٨

(ض)

الضوء اللامع ٣١٩ : ٢١/٣٢٩ : ٢١/٣٤٩ : ١٩/
٤١١ : ٢٠/٤١٣ : ١٦ ، ١٩

(ط)

الطالع السعيد ٢٤٩ : ١٩/٢٧١ : ٢١/٤٢١ : ٥
طبقات الأدباء لابن الأنبارى = نزهة الألبا
طبقات الشافعية ٩ : ١٨/٧٧ : ٢١/١٩٤ : ١٩/
٢٠٢ : ٢١/٢٦٣ : ٢٢/٢٧١ : ١٨ ، ٢١/
٢٨٣ : ٢٠/٢٩٧ : ٢٢/٤٠٩ : ١ ، ١٣ — ١٤ ،
١٨/٤١٠ : ٩/٥٠٢ : ١٧ ، ١٩/٥٥٦ : ٢٣
الطبقات الصغرى للسيوطى = بغية الوعاة للسيوطى
الطبقات الكبرى للسيوطى ٣٣١ : ١٦/٣٣٤ : ١٣
الطبقات الوسطى للسيوطى ٣٣١ : ١٦

(ع)

عبث الوليد ٣٧١ : ٢٠
العبر فى أخبار من غبر للذهبى ٣٢٩ : ١٦/٣٤٦ : ٩ ،
(٢١ — ٢٢)
العبر وديوان المبتدأ والخبر ٤١١ : ١٥
عجائب البلدان = آثار البلاد
عجائب المخلوقات ٥٩٥ : ١٤
العضدى ٥٤٠ : ٦

عقد الجمان ١٥٤ : ١٨/٣١٩ : ١، (١٢—١٥)/
١٨ : ٣٥٧
العمدة لابن رشيق ٤٨٩ : ٢١
عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ٣٥٦ : ١٧، ٢١/٣٩٧ :
١، ١٥—١٨
عيون التواريخ ٤٨ : ٢٣
العيون الدعج فى حل بنى طنج ٤٠١ : ١٤

(غ)

غرر الخصائص الواضحة ٤٠٢ : ١، (١٧—١٩)/٤٠٨ :
١٨، ١٩
غريب الحديث ٥١ : ١٨
الغيث المسجم ٢٦٣ : ٢١/٤٠٥ : ١، (١٨ — ٢٠)/
٤٧١ : ١٨

(ف)

فتح البارى ٣١١ : ١٧
الفتح على أبى الفتح لابن فورجه ٣٣٢ : ١٩
فتوح البلدان للبلاذرى ٥٨٥ : ٢١/٥٨٩ : ٤، ١٥/
٥٩٤ : ١، ١٨، ١٩/٥٩٨ : ٦
الفصول والغايات فى تمجيد الله والمظات ٢١ : ٢٣/١٥٥ :
١٥ — ١٨
الفصيح لثعلب ٣٨٥ : ٦/٤٤٩ : ٨
فقه اللغة ٣ : ١٥
فلك المعانى ١١٧ : ١٥/٣٢٧ : ١٤
الفهرسة لابن خير ٣٨٥ : ١، (١٨ — ١٩)/٤٥٣ : ٢١
فهرسة الشنقيطى ٤٥٥ : ١٠
فهرست ابن النديم ٣٥ : ١٥/٥٤ : ١٧
فوات الوفيات ١٦ : ١٦/٦٨ : ٢٢/٩٨ : ٢٠، ٢٢/
١٨٢ : ٢١/١٨٦ : ٢٣/١٨٩ : ٢١/٢٠٩ : ٢٢/
٣٣٢ : ٢١/٣٩٥ : ١٣/٣٩٦ : ١٢/٤٠٤ : ١،
(١٢ — ١٤)
الفوائد البهية ٤٨٣ :

(ق)

القاموس ٣ : ٢١/٢١ : ١٨/٨٧ : ١٦/١٣٣ : ١٨/
٣٠٩ : ٢١/٣٦٢ : ١٩/٤١٩ : ٩/٤٣١ : ٨،
١١، ١٤، ١٦، ٢١/٤٣٢ : ٨، ٢١/٤٣٣ :
٢٣/٤٣٤ : ٢٦/٤٣٥ : ١٥/٤٣٦ : ١١، ٢٠
٥٧٨ : ٢١/٥٩٨ : ١١، ٢١
القفطى = إنباه الرواة
قلائد العقيان ٤٣٩ : ٢١، ٢٢
قوت القلوب ٢٠٩ : ١، ١٧ — ٢٠

(ك)

الكافى ٤٦ : ١٤/١٠٨ : ١٣/٥٤٠ : ٤
الكامل لابن الأثير ٥ : ١٧/١٨ : ٢١/٢٠ : ١٦/٤٨ :
٢٣/٧٧ : ٢١/١٤٢ : ١، (١٧ — ١٨)/١٨٦ :
١٥، ١٦/٣٠٩ : ١٦/٥٠٢ : ١٥/٥٣٤ : ٢٠
كامل التواريخ = الكامل لابن الأثير
الكامل فى التاريخ = الكامل لابن الأثير
كتاب الأدب للفارابى = ديوان الأدب للفارابى
« الأذكياء لابن الجوزى ٣٨٩ : ١، (١٣ — ١٦)
« الزجاجى = الجمل
« ابن سمرة فى قدماء علماء اليمن ٢٩٧ : ١٨
« سيبويه ٤٨ : ١٥/١١٠ : ١٥/٢٧٥ : ٦/٣٣٤ :
٣/٤١٦ : ٥/٥٤٠ : ٨، ٩
« العدل والتحرى فى دفع الظلم والتجرى عن أبى العلاء
المعرى ٢١٠ : ١٥ (وانظر الإنصاف)
« أبى الفدا = المختصر فى أخبار البشر .
« موسى = التوراة .
« الموضوعات ١٨ : ٢٠
ابن كثير = البداية والنهاية .
الكشاف ٣٨٣ : ١
كشف الظنون ٣٩ : ٢٢/٤٤ : ١٨/٤٧ : ٢٤/
٨٣ : ١٦/١١٧ : ٢١/١٤٣ : ٢٠/١٨٢ :
٢١/١٨٦ : ٢٤/٢٤٩ : ٢٠/٢٩٨ : ٢١/
٣٠١ : ١٦/٣٠٩ : ١٣، ١٥/٣٠٩ : ٢١/
٣١٩ : ٢١/٣٣١ : ٢٢/٣٣٢ : ٢١/٣٣٥ :
٢١/٤٠٢ : ٢٣/٥٩٧ : ٢٢

كليلة ودمنة ٤٥ : ٩ / ٨٣ : ١٥ / ٢٠٣ : ١ / ٢٧٤ : ١٤ / ٤٥١ : ٤ / ٤٥٣ : ٤
كنز الملوك ١٤٣ : ١٧
الكواكب الباهرة من النجوم الزاهرة ٣٢٩ : ١٤

(ل)

لامية العجم ٤٠٥ : ١٨
لزوم مالا يلزم ٩ : ١٩ / ٢١ : ١٣ / ٢٢ : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ : ٢٣ / ٢٤ : ١٤ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢١ — ٢٣ / ٢٤ : ٢١ ، ٢٢ / ٣٥ : ٢١ ، ٢٢ / ٣٦ : ١٧ ، ١٨ / ٤٢ : ٢٤ — ٢٥ / ٥٤ : ٢٢ / ٥٧ : ١٧ — ٢٠ / ٥٨ : ١٧ ، ٢٠ ، ٢١ / ٥٩ : ٢١ / ٦٠ : ١٧ / ٦١ : ١٧ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ / ٦٢ : ١٦ — ٢٠ / ٧٨ : ٢٢ ، ٢١ ، ١٩ — ١٥ / ٨٢ : ١٨ ، ١٩ / ٩٩ : ١٨ ، ١٩ ، ٢٢ / ١٠٦ : ٢١ / ١١٢ : ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ / ١١٣ : ١٥ / ١١٤ : ١٥ — ٢٠ / ١١٥ : ١٧ — ٢٠ / ١١٦ : ١٨ ، ١٩ ، ٢١ / ١١٧ : ١٩ / ١٤٠ : ٢٢ / ١٤١ : ٢٠ — ٢١ / ١٤٥ : ٢٠ — ٢١ ، ٢١ : ١٤٦ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩ / ١٤٧ : ١٩ ، ٢٠ / ١٤٨ : ٢٢ — ٢٤ / ١٤٩ : ١٨ — ٢١ / ١٥٠ : ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ / ١٥١ : ١٨ — ٢٠ / ١٥٦ : ١٨ ، ١٩ ، ٢١ / ١٥٧ : ١٩ ، ٢٣ / ١٥٨ : ١٩ — ٢٢ / ١٥٩ : ١٩ — ٢١ / ١٦٢ : ١٨ — ٢٢ / ١٦٣ : ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٠ — ٢٢ / ١٦٤ : ١٦ — ١٨ ، ١٨ : ١٦٥ / ٢٣ : ١٨ ، ١٩ ، ٢١ — ٢٣ / ١٦٦ : ١٥ — ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ / ١٦٧ : ١٧ — ١٩ ، ٢١ / ١٦٨ : ٢٠ — ٢٣ / ١٦٩ : ١٦ — ١٨ ، ٢٠ — ٢٢ / ١٧٠ : ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ / ١٧١ : ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ / ١٧٢ : ١٥ — ٢٣ / ١٧٣ : ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ / ١٧٤ : ١٩ — ٢٤ / ١٧٥ : ١٨ — ٢٢ / ١٧٦ : ١٨ — ٢٢ / ١٧٧ : ١٥ — ١٨ ، ٢٠ ، ٢٢ / ١٧٨ : ١٨ — ٢٢ / ١٧٩ : ١٨ — ٢٠ / ١٨٠ : ١٧ ، ١٩ — ٢١ / ١٨١ : ١٦ ، ١٨ — ٢٢ / ١٨٤ : ٢٠ / ١٨٧ : ٢١ / ١٨٨ : ٦ ، ٧ / ١٩٣ : ٢١ ، ٢٢ / ١٩٤ : ١٦ / ١٩٥ : ١٧ ، ٢٢ / ١٩٦ : ٢١ / ١٩٧ : ١٨ ، ١٩ / ١٩٨ : ٢١ / ٢٠٨ : ٢٠ / ٢٧١ : ٢٢ / ٢٧٣ : ٢١ / ٢٧٩ : ٢٠ / ٢٨٢ : ٢٢ / ٢٨٣ : ١٧ / ٢٩١ : ٢٠ ، ٢١ / ٢٩٢ : ١٦ / ٢٩٣ : ١٩ / ٣٠١ : ٢٢ / ٣٠٤ : ٢٠ / ٣٠٥ : ٢٠ — ٢٢ / ٣٠٦ : ٢١ ، ٢٢ / ٣١٠ : ٩ ، ١٠ / ٣١٣ : ٢٠ / ٣١٤ : ١٩ / ٣١٧ : ١٩ — ٢١ / ٣١٨ : ٧ / ٣٢٠ : ٢١ / ٣٢٢ : ٢٢ / ٣٢٣ : ٢٠ — ٢٢ / ٣٢٤ : ٢١ / ٣٢٥ : ٢٠ — ٢٢ / ٣٣٠ : ١٢ / ٣٣٤ : ١٥ / ٣٣٩ : ١٩ / ٣٤١ : ٢١ / ٣٤٢ : ٢١ ، ٢٢ / ٣٤٣ : ١٩ ، ٢١ / ٣٤٨ : ٢٠ / ٣٤٩ : ٢١ / ٣٥٠ : ٦ / ٣٥٣ : ١٨ / ٣٥٨ : ٢٠ / ٣٦٠ : ٢٠ ، ٢١ / ٣٦٣ : ١٩ ، ٢١ / ٣٧٢ : ٢١ / ٣٧٨ : ٨ / ٣٧٩ : ١٤ / ٣٩٥ : ٤ / ٤٠٤ : ١٨ / ٤٠٥ : ١٧ ، ١٩ / ٤٠٦ : ٢٢ ، ٢١ / ٤١٦ : ١٤ / ٤١٩ : ١٩ / ٥٦٦ : ٢٢ / ٥٦٨ : ٢١ / ٥٩٦ : ١١ ، ١٢

لسان العرب ٤ : ١١ / ٢١ : ١٨ / ٤٤ : ٢٠ / ٦٤ : ١٨ / ٨٦ : ١٦ / ١٣٣ : ١٨ / ١٤٥ : ٢٢ / ١٨٧ : ١٧ / ٢١٣ : ١٨ / ٢٢٧ : ٧ / ٢٥٣ : ١٩ ، ٢٠ / ٢٧٧ : ٢٢ / ٤٠٩ : ١٩ / ٤٢٩ : ٢٢ / ٤٣٠ : ١٥ ، ١٦ ، ٢٠ / ٤٣١ : ٨ ، ١٠ ، ١٤ ، ٢١ ، ٢٦ / ٤٣٢ : ٨ / ٤٣٣ : ٢٣ / ٤٣٤ : ١٣ ، ٢٤ ، ٢٦ / ٤٣٥ : ١٦ / ٤٣٦ : ٧ ، ١١ ، ١٣ ، ١٦ ، ٢٠ / ٤٤٥ : ١٦ / ٤٤٧ : ٢١ / ٤٥١ : ١٨ / ٤٥٢ : ٢١ / ٤٨٨ : ٢١ / ٥٠٤ : ٢٠ / ٥٤٩ : ٢١ / ٥٥٢ : ١٩ / ٥٦٤ : ٢٠ / ٥٧١ : ٢٠ ، ٢٢

لسان الميزان ١٤٣ : ٢٠ / ١٩٦ : ١٨ / ٣١١ : ١ ، (١٢ — ١٤) / ٥٢٢ : ١٩ / ٥٨٥ : ١٨ / ٥٩٠ : ٢٢

(م)
ما يعول عليه ٤٠١ : ١٥/٤٣٣ : ٢٢/٤٣٤ : ٢٥/
٤٥٠ : ١٧/٥٩٢ : ٢٢
مباهج الفكر ٤٠٢ : ٢١
المثل السائر ٣٩٤ : ١، ٢٠ ـ ٢١
المجالس المؤيدية ١١٩ : ١٨/١٢٠ : ١٩، ٢٠/١٢١ :
١٩/١٢٥ : ٢٣/١٢٦ : ١٩/١٢٨ : ١٨،
٢٠/٣٨٧ : ١، (١٣ ـ ٢٠)
المجلة الأسيوية ٣٨٧ : ٢١
مجموع خمسة دواوين العرب ٨٩ : ٢٠
المجموعة الذهبية ٣٠ : ١٩
المختصر فى أخبار البشر ١٨٦ : ١، (١٥ ـ ٢٠)/٢٠٦ :
١٤، ١٦/٥٣٤ : ٢١
مختصر إصلاح المنطق ٤٤٨ : ١٦
مختصر تاريخ اليافعى ٣٤٩ : ١٩
مختصر ابن سعدان فى النحو ٥٣٩ : ١٣
المخصص ٤٣٠ : ١٦، ١٩، ٢١/٤٣١ : ٨، ١٦، ٢٣/
٤٣٣ : ١١/٤٣٤ : ٦/٥٩٠ : ٢١
المدهش ١٥٧ : ٩، ١٩
مرآة الجنان ٢٩٧ : ١، (١٦ ـ ١١)/
مرآة الزمان ٥٩ : ١٨/٦٠ : ١٩/١١٣ : ١٧/١٤٣ :
١، (١٢ ـ ١٥)/١٥٤ : ١٨/٢٨١ : ١٨، ١٩/
٢٩٤ : ١٩/٣١٥ : ٢٠ ـ ٢٢/٣٢٦ : ٢١/
٣٢٧ : ٦، ١٧، ١٨، ١٩/٣٢٨ : ٢٢/٣٢٩ :
١١/٣٥٧ : ١٧
مسالك الأبصار ٢١٧ : ١، ١٣/٥٧٢ : ٢٠
المسالك والممالك ٥٨٩ : ١٩
المستوفى بعد الوافى ٣٢٩ : ٢٠
المصباح المنير ٤٢٩ : ٢٢
المضاف والمنسوب ٣ : ١٥
المعارف لابن قتيبة ٥٨٥ : ٢٠
معاهد التنصيص ٣ : ١٦/٩٦ : ٢٠، ٢١/٩٧ : ١٨/
١٠٠ : ١٩/١١٣ : ١٨/٢٦٨ : ١٧/٢٧٦ :
١٨/٢٩٢ : ٢٠/٣٣٥ : ١، (١٤ ـ ١٦)/
٣٣٦ : ٢١/٤٠٩ : ٢١
معجم الأدباء = إرشاد الأريب
معجم استينجاس ١٤ : ١٧/٧٥ : ٢٠/٢١٥ : ١٩/
٢٢٤ : ٢١
معجم البلدان ١٤ : ٢٣/٢٠ : ١٩، ٢٠/٣٠ : ١٥/
٥٤ : ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١/٥٥ : ٢٠/٧٨ : ٢١/
٨٢ : ١٩/٨٦ : ١٧، ١٨/٨٧ : ١٦/١٩٩ : ١٨/
٣٦٤ : ٢٠/٣٩٣ : ١، ١٩ ـ ٢٠/٤٥٠ : ١٤/
٤٩٢ : ٢٠/٤٩٤ : ٢٠، ٢١/٥٦٦ : ١٦/
٥٨٤ : ١/٥٩٠ : ٢٠/٥٩٣ : ١٨، ١٩،
٥٩٤ : ٢١، ٢٢
معجم الشعراء للمرزبانى ٤٣٤ : ٢٧
معجم شيوخ الذهبى ١٩٥ : ٢٠
المعرب للجواليقى ٨٦ : ١٩/٤٩٣ : ٢٠/
المعلقات السبع ٤٣١ : ٥
المعمرين ٤٥١ : ٢٢
المغرب فى حلى المغرب ٤٠١ : ١، (١٠ ـ ١٤)
مفاوضة القلب الطيل ومنابذة الأمل الطويل ٤٥٦ : ١
مفردات ابن البيطار ٥١٠ : ٢١
المقاصد النحوية ٤٧٦ : ١٠
مقدمة ابن خلدون ٤١١ : ١، ٤، ١٥ ـ ١٧/٤١١ : ١
مقراض الأعراض (قصيدة) ٣٩٩ : ١٩
المقنع للدانى ٣٥٥ : ٢٠
منتهى السول فى سيرة الرسول ١٤٣ : ١٨
المنخل ٤٤٣ : ١٠
المنهل الصافى ٣٢٩ : ٢٠، ٢١/٥٩٥ : ١٧
ميزان الاعتدال ١٨٩ : ١٨/٣١١ : ١٨

(ن)

الناشب عن الإخوان ٤٩٧ : ١٢
النجوم الزاهرة ٣١٩ : ٢٠ / ٣٢٩ : ١٠، (١٢، ١٧) / ٤١٦ : ١ / ٤١٩ : ٢٠ / ٥٣٢ : ١٧
نخبة الدهر ٣٠ : ٢١
نزهة الألبا ١٦ : ١، (١٢ — ١٣) / ٥١٦ : ٤، ٢١
نزهة الجليس ٣٥١ : ١، (١٤ — ١٩) / ٣٦١ : ٢٠
النسب = الأنساب
نسمة السحر ٣٥٩ : ٢ / ٣٦١ : ١٢
النشر فى القراءات العشر ٣٨٣ : ٢١
نظم الحارى ١٨٦ : ٢٣
نفح الطيب ٧ : ٢٠ / ٤١ : ٢١ — ٢٢ / ٤٣ : ١٥ / ٤٥ : ١٩ / ٤١٣ : ٢١ / ٤٢١ : ١، (١٣ — ١٨) / ٤٣٩ : ٢٤ / ٤٥٦ : ١٦ / ٥٦٣ : ١٨ / ٥٨٣ : ١٠ / ٥٨٩ : ١٨
نقد مقامات ابن الحريرى ٣٨٤ : ١، ١٢
نكت الهميان ٣ : ٢٤ / ٨ : ١٩ : ١٦، ١٩ / ٢٥ / ٥٩ : ١٨ / ١٠٠ : ١٩، ٢١، ٢٢ / ١١٣ : ١٧ / ١٤٨ : ١٧، ١٨٩ / ٢١ : ٢٦٣ / ٢١ : ٢٦٤ : ٢١ — ٢٢ / ٢٦٦ : ١٧، ١٨، ٢١ / ٢٦٧ : ١٩ / ٢٦٨ : ١٧ — ١٩ / ٢٧٠ : ١٩ / ٢٨١ : ١٨، ١٩ / ٢٧٤ : ١٧ / ٢٨٥ : ١، ١٨ — ١٩ / ٢٩٦ : ١٧ / ٣١٥ : ١٨ / ٣٢٦ : ٢١ / ٣٢٧ : ١٨، ١٩ / ٣٤١ : ٢٠ / ٣٥٧ : ١٨ / ٤٠٨ : ١ / ٤٦٥ : ١٦، ١٨، ١٩
نهاية الأرب ٦ : ١٥
نور الأبصار للشبلنجى ٥٩٨ : ١٨
النور السافر ٤١٨ : ١، (١٦ — ١٧)

(هـ)

همع الهوامع ٣٣٤ : ١٦، ٢٠ / ٤٧٨ : ٧

(و)

الوافى بالوفيات ٣ : ٢٤ / ١٤ : ١٥ / ٤٦ : ٢٠ / ٥٩ : ١٨ / ١٠٠ : ١٩، ٢١ / ١١١ : ٢١ / ١١٣ : ١٧ / ١٥٣ : ٢٠ / ٢٦٣ : ١، (١١ — ١٧) / ٢٨٤ : ٢٣، ٢٤ / ٢٨٦ : ٢٠، ٢١ / ٢٨٧ : ٢١ / ٢٨٩ : ١٧، ١٩ — ٢١ / ٢٩٢ : ١٦ — ١٩ / ٢٩٤ : ١٨، ١٩ / ٢٩٥ : ٢٠ / ٢٩٦ : ١٥ / ٣١٤ : ٢٠ / ٣٣٧ : ٢١ / ٣٤١ : ٢٠ / ٣٥٧ : ١٨ / ٥٩٦ : ١٦
وفيات الأعيان ٣ : ١٦ / ٥ : ١٧ / ٦ : ٢١ / ٨ : ١٦ / ١٢ : ٢٠ / ١٦ : ١٦ / ١٨ : ٢١ / ٢٠ : ١٩ / ٥٦ : ٢١ / ٦٣ : ٢٠ / ٩٦ : ٢٠، ٢١ / ١٨٢ : ١، (١٧ — ١٩) / ١٨٦ : ١٥ / ٢٠٦ : ١٠، ٢٣ / ٢٠٨ : ١٥، ٢٠ / ٢٠٩ : ١٦ / ٢١٢ : ٢٠، ٢٢ / ٢١٣ : ١٩ — ٢١ / ٢١٤ : ١٩ / ٢٤٩ : ٢٠ / ٢٧٥ : ١٦ / ٢٨٣ : ٢١ / ٢٨٨ : ١٨ — ٢٠ / ٣٠٨ : ١٦، ١٧ / ٣٢٠ : ١٩ / ٣٤٧ : ٢٠ / ٣٤٨ : ٢١ / ٣٥٢ : ٥ / ٣٥٣ : ١٧، ١٨ / ٣٥٩ : ٢١ / ٣٩٩ : ١ / ٤٠٤ : ١٢ / ٤١٤ : ١١ / ٤٧٢ : ١٩ / ٤٨٣ : ٤ / ٥٠٢ : ١٥ / ٥٢٤ : ١٨ / ٥٢٨ : ٢١ / ٥٨٧ : ٢١، ٢٤ / ٥٨٨ : ٢١ / ٥٩١ : ٢١ / ٥٩٣ : ٢٢

(ى)

ياقوت = إرشاد الأريب .
ياقوت = معجم البلدان .
يتيمة الدهر ٣ : ٩، ١٠، ١٥، ١٩ / ٥ : ١٧ / ٨ : ١٣ / ١٦ : ٢٤ / ٧٩ : ١٨ / ٢٤٩ : ٢١

الجمهورية العربية المتحدة
الثقافة والإرشاد القومى

المكتبة العربية

-٢٥-

تحقيق التراث العربي [١٠]

آثار أبى العلاء المعرى (٢)

الأدب [١٥]

القاهرة

١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

رفع المسهم
غفر الله له ولوالديه
2010-02-05
www.alukah.net

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري

يشتمل على وصف المهرجان الذي اقامه المجمع العلمي العربي
لذكرى مرور الف سنة على مولد ابي العلاء
وما قيل فيه من القصائد والخطب

دار صادر
بيروت

رفع المسهم
غفر الله له ولوالديه

المقدمة

لو لم يوجد ابو العلاء المعري ، او لو وجد ومات صغيراً ، لما قام مقامه احد ، ولبقي مكانه في ديوان الأدب العربي خالياً الى الآن ، والى ما لا يمكن تحديده فيما سيأتي من الزمان . والأدباء من هذا النوع قليل في كل امة ، ينفس الدهر بهم على البشر ، ولا يجود بواحد منهم الا نادراً في مئات السنين .

اجتمع في ابي العلاء من الخصائص ما يعز اجتماعه في اعاظم الرجال: نبوغ فطري ، وذكاء نادر ، وشعور رقيق ، وعقل راجح ، وخلق كريم ، وترفع عن باطل الحياة الدنيا فوهب نفسه بما فيها من هذه المزايا للعلم والادب ، ففاز منهما بأعظم نصيب .

وكانت الثقافة الاسلامية لعصره قد استبحرت وتشعبت فنونها تدويناً وتأليفاً ووضعاً وترجمة واقتباساً ، كما كانت القرائح الأدبية قد جادت بروائع الشعر والنثر . فاطلع على كل ذلك اطلاع تدبر ، واستوعبه واحاط به ، فكان تام الآلة كامل العدة لا ينقصه شيء من ثقافة عصره .

انصرف الرجل عن زخرف الحياة الدنيا الى العلم والادب والتفكير ، فنظم ونثر والّف ودرّس ، مستقلّ الرأي ، حر التفكير ، يجهر بما

رفع المسهم

يعتقد ، ورائده الصدق ، وغايته الحقيقة ، ووسيلته الى ذلك ادبه المتميز بالإتقان والإبداع وبروز الشخصية .

قد يكون في شعراء العرب من هو أشعر من أبي العلاء ، وقد يكون في كتّابهم من هو أكتب منه ، ولكن ليس فيهم من رمى من وراء أدبه إلى غاية أنبل من غاية أبي العلاء الذي لم يكن أدبه أدب المستجدين ، ولا أدب الغواة المستهترين الذين يهيمون بالفن للفن ، بل كان أدب من يعتبر نفسه صاحب رسالة يدعو اليها ، ويناضل عنها ، ويقيم الدليل عليها ، بمختلف الوسائل والأساليب ، شعراً ونثراً .

أدب أبي العلاء أدب إنساني سامٍ شامل ، تخطى حدود الأجناس والأديان والعصور ، فاشترك في اكباره جميع الأجيال ؛ وقد يفهم منه ابن هذا العصر ما لم يفهمه القدماء ، وستفهم منه الأجيال الآتية ، مالم نفهمه نحن في هذا العصر ؛ فكلما تحرر العقل ، وسمت المدارك ، وتهذبت النفس ، ازداد الإعجاب بأدب أبي العلاء .

ليس في ديوان الأدب العربي ، منثوره ومنظومه ، — على عظمته وجلالة قدره — ما يجزيء عن أدب ابي العلاء في نبل المقصد ، وتعدد المناحي ، وقوة الشخصية ، وظهور أثر العلم ، واخضاع الشعر للعقل ، أوالعقل للشعر ، حتى تجاريا منسجمين ، وتباريا مؤتلفين . ولعل الافاضة في التعريف بمزاياه في هذا المكان ، من الزيادات التي يستغنى عنها ، بعد أن جمع هذا السفر بين دفتيه بحوثاً ودراسات قيمة ، لم تدع مقالاً لقائل .

* * *

في شهر ربيع الأول سنة ١٣٦٣ مرَّ على مولد أبي العلاء الف سنة ، فرأى المجمع العلمي العربي في دمشق أن يحيي من هذه الحادثة ذكرى تكون وسيلة للاستقصاء في دراسة أبي العلاء ، والتنقيب عن آثاره . فعزم على إقامة مهرجان أدبي عام يفتتح في دمشق في اليوم الثامن من شوال سنة ١٣٦٣ (٢٥ ايلول سنة ١٩٤٤) ودعا اليه اقطاب العلم والأدب في الأقطار العربية ، وبعض الأقطار الشرقية والغربية ممن يمكن ان تبلغهم الدعوة في هذه الحرب الضروس . ولم يكد يعلن عزمه على ذلك ، حتى تجاوبت بهذا الخبر أقطار العالم ، وبالغت مصر في تأييد المجمع ومؤازرته في هذا العمل ، حتى نزلت له عن هذا المشروع بعد أن كانت عازمة عليه .

ولما أظلَّ الوقت المعين ، وصلت الوفود إلى دمشق فاستقبلهم أعضاء المجمع ، واحتفت بهم دمشق حكومتها وشعبها أبلغ احتفاء ، وكانوا في مجالس اجتماعهم وندوات سمرهم يمثلون المدينة الفاضلة بما بثوه في الجو حولهم من أدب المعري وأخلاقه .

وافتتح المهرجان في دمشق تحت رعاية صاحب الفخامة رئيس الجمهورية السورية السيد شكري القوتلي ، واستمر أسبوعاً أقيمت حفلاته الخطابية في دمشق ومعرة النعمان وحلب واللاذقية ، فشهدت البلاد أعظم حادث أدبي في تاريخ الأدب العربي ، وكان شغل الناس وحديثهم ، وموضوع الصحف وحديث الإذاعات اللاسلكية .

رفع المسيهما

حتى اذا انقضى ذلك الأسبوع البهيج وعادت الوفود إلى بلادهم ، ظلَّ نبأ المهرجان حديث النوادي الأدبية في جميع الأقطار العربية ، وظلت الصحف والمجلات تتناول أخباره ، وتتناقل ما قيل فيه ، وتنشر ما كتب عنه ، مدة لا تقل عن سبعة أشهر . وما نعرف حادثاً في هذه السنين مهما عظم شأنه ، لهج به الناس طول هذه المدة وعنوا به هذه العناية .

أما ما أُلقي فيه وكتب لأجله من الدراسات والبحوث والقصائد والخطب ، فمن خيرة ما جادت به قرائح أقطاب العلم والأدب في هذا العصر ، وهو في جملته أجمع وأمتع كتاب بحث عن ابي العلاء في كل نواحيه وأشاد بذكره ، وهو في الوقت نفسه صورة للأدب العربي المعاصر في نظمه ونثره وأساليب بحثه وبيانه . وكل ذلك مجموع في هذا السفر .

ولئن كان في عقد هذا المهرجان وطبع هذا السفر محمدة ، فالفضل في ذلك لفخامة رئيس الجمهورية السورية ، فهو الذي استحسن الاقتراح ، وأمر بتحقيقه ، ورعاه بعنايته .

خليل مردم بك

الجلسة الاولى

في دمشق

لم يكد المجمع العلمي العربي يعزم على اقامة المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري ، حتى ابتدأ الاستعداد له في كل مكان . فعهد المجمع إلى لجنته الادارية في تنظيم المهرجان وتحديد أمكنته ومواقيته وحفلاته ، فرأت أن يدوم المهرجان اسبوعاً كاملاً من ٢٥ ايلول إلى ١ تشرين الاول ١٩٤٤ ،وأن تشمل حفلاته مدن دمشق وحمص وحماه ومعرة النعمان وحلب واللاذقية . ودعا المجمع أعضاءه العاملين والمراسلين إلى الاشتراك في المهرجان ، وكلف بعضهم اعداد كلمة تلقى في الحفلات الخطابية . ودعت وزارة المعارف السورية وزراء المعارف في الدول العربية . فأرسلت الدعوة إلى وزراء المعارف في مصر ، والعراق ، والمملكة العربية السعودية ، وشرقي الاردن ، ولبنان ، وتونس ، والمغرب الأقصى ، واليمن . ودعي أيضاً مجمع فؤاد الاول للغة العربية ، ورؤساء الجامعات العربية ، وغيرها ، وبعض المستشرقين ، ونقباء الصحف في دمشق وحلب وبيروت والقاهرة ، وممثلو محطات الاذاعة في سورية ولبنان وفلسطين ومصر . فابى كثيرون منهم دعوة المجمع .

ولم يحن موعد المهرجان ، حتى توافد المدعوون إلى دمشق ، وحلوا ضيوفاً على المجمع . والتقى أدباء مصر والعراق وفلسطين وشرقي الاردن وأدباء سورية ولبنان في مكان واحد . وكان هذا الاجتماع أعظم سوق أدبية شهدتها دمشق في تاريخها .

وكان وفد مصر مؤلفاً من السادة الدكتور طه حسين ، والاستاذ أحمد أمين ، والاستاذ عبد الحميد العبادي ، والاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني ، والدكتور عبد الوهاب عزام ، والاستاذ أحمد الشايب . فقدموا إلى المجمع فور وصولهم هدية وزارة المعارف المصرية ، وهي « كتاب تعريف القدماء بأبي العلاء » الذي طبعته مصر تخليداً لذكرى المهرجان .

رفع المسهم

وكان وفد العراق مؤلفاً من السادة الاستاذ طه الراوي ، والاستاذ مهدي الجواهري ، والدكتور مهدي البصير .

وحضر من فلسطين الاستاذ اسعاف النشاشيبي. ومن لبنان السادة فؤاد افرام البستاني ، والدكتور عارف العارف ، والاستاذ أنيس النصولي ، والاستاذ أنيس الخوري المقدسي ، ورئيس جامعة القديس يوسف ، والاستاذ رئيف خوري . ومن شرق الاردن الاستاذان أديب وهبه ومحمد الشريقي . ومن ايران الاستاذ عباس اقبال . ومن المستشرقين الاستاذان الفريد غليوم ، وهنري لاووست . ومن القدس السيد عزمي النشاشيبي ممثلاً للاذاعة والمطبوعات ، فضلا عن الوفود الأخرى التي مثلت الاوساط العلمية في العاصمة والمدن السورية ، ممن سيأتي ذكر اكثرهم في الخطباء .

ولقد زارت الوفود في اليوم الاول من أيام المهرجان فخامة رئيس الجمهورية ، ومجلس النواب ، ودار الحكومة . والقى الدكتور طه حسين في مجلس النواب كلمة بأسم الوفد المصري ، أعرب بها عن اعتراف مصر بفضل سورية ، لاحتفائها بذكرى أبي العلاء . قال : « وكان طبيعياً أن تقوم سورية بهذا المهرجان الالفي ، فتدعو اليه سائر بلدان العالم العربي . فهي قد أعطت الأدب العربي أكبر شعرائه ، ولكن أعظم شاعر انساني انتجته سورية ، وحق لها أن تفخر به على العالم كله، هو أبوالعلاء . فلا غرو إذا سبقت العالم كله إلى الاحتفاء بذكره » . فرد عليه رئيس مجلس النواب السيد فارس الخوري بكلمة أشار بها إلى فضل مصر على العالم العربي بأدبائها المعاصرين ومفكريها ، الذين كان لهم أعظم الأثر في احياء تراثنا الأدبي وتوجيهنا الفكري .

ثم أقام المجمع مأدبة غداء في فندق (أوريان بالاس) أطلق عليها اسم « المائدة العلائية » طبخ بها الطعام وعولج على شرط أبي العلاء ، لم يكن فيه لحم ولا سمن ولا بيض ولا لبن .

وكان موعد الحفلة الخطابية الاولى في الساعة الخامسة بعد الظهر في الجامعة السورية ، دعا اليها رئيس المجمع العلمي الاستاذ محمد كرد علي وزراء دمشق ، وعلماءها ، وأدباءها ، وأدبياتها ، ووجهاءها ، وكبار موظفيها ،

رفع المسيهما

واساتذتها . واعد في بهو الجامعة للوفود واعضاء المجمع سدة خاصة حول منبر الخطابة . وربط المنبر بمحطة الاذاعة بدمشق . واتخذت جميع الوسائل الفنية لتسجيل الخطب وإذاعتها من محطة الشرق الأدنى . ونصبت علامة المهرجان في صدر البهو بين الاعلام السورية وأعلام الدول العربية . وعرضت آثار ابي العلاء وما كتب عنه في خزائن خاصة عند مدخل البهو ، كما عرضت بعض تماثيل وصور لأبي العلاء صنعها عدد من الفنانين . وكانت صدور اعضاء الوفود وأعضاء المجمع مزينة بعلامة المهرجان ؛ وكانت موسيقى الدرك السوري تستقبل كبار المدعوين بأنغامها .

ولما حان موعد الحفلة أقبل فخامة رئيس الجمهورية بحاشيته الرسمية ، فجلس على سدة المهرجان بين وفود البلاد العربية وأعضاء المجمع . وبدئت الحفلة بالنشيد السوري . وكان برنامجها على الوجه الآتي :

١ ـ كلمة الافتتاح لحضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية
٢ ـ كلمة وزير المعارف
٣ ـ كلمة رئيس المجمع العلمي العربي
٤ ـ كلمة الدكتور طه حسين رئيس وفد وزارة المعارف المصرية
٥ ـ قصيدة الاستاذ مهدي الجواهري ممثل وزارة المعارف العراقية
٦ ـ كلمة الاستاذ أحمد الشايب مندوب جامعة فؤاد الأول

وكان الناس يستمعون الى الخطباء والشعراء بصمت عميق دلّ على تذوقهم للأدب وميلهم إلى رجاله . وفيما يلي نص الخطب والقصائد التي القيت في الحفلة الاولى .

جميل صليبا

رفع المسيهما

كلمة حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية

السيد شكري القوتلي

أيها السادة :

لقد أتيح لي في الشهر الفائت أن أفتتح المؤتمر الاول للمحامين العرب ، وقد شعرت يومئذ باغتباط عظيم لعقد مثل هذه المؤتمرات العامة التي ينتظم فيها عقد الجماعات المختارة من الاقطار العربية ، فتتذاكر شؤونها ، وتتداول أمورها ، وتحمل إلى ربوعها الدانية والقاصية ما شهدته من منافع لها وما حملته من ذكرياتها وآمالها .

ويسرني الآن أن أفتتح هذا الحفل الكريم ، وأرحب فيه بفريق جليل من أعلام الأمة العربية ، وقادة فكرها ، وحملة أقلامها ، وأقطاب بيانها ، وكبار شعرائها ، ورجال من غير هذه الأمة أولعوا بأدبها ، ودرسوا تاريخها ، وكشفوا القناع عن آثارها ومفاخرها ، فانضم بعضهم إلى بعض لاحياء ذكرى عبقرية من العبقريات العربية مضى عليها الف سنة ، ولكنها عاشت أجيالاً طوالاً ، وستبقى أجيالاً طوالاً . هذه العبقرية هي عبقرية شاعر حكيم لغوي أخلى ذرعه للفكر ، وحبس نفسه للعلم ، فكان يجد ويدأب في استجلاء أسرار الانسان ، وإدراك كنه المجتمع ، ويستنبط من حوادث الدهر الفلسفة والسياسة والأخلاق ، حتى طارت نفسه في فضاء بعيد من سلطان العقل المطلق من قيود الالفة والتقليد ، وردد شعره فلسفة جديدة أنكرها فريق وأجلها فريق . ولكن مهما قيل فيها فلا شك في أن صاحبها أحب الحقيقة ، وجعلها شعاره ودثاره .

لقد كان يدعوا إلى الزهد وينكر حب المال وحب الشهوات واستيلاء المطامع ، ويتبرم بالدنيا تبرم الكاره لها المبغض لشرورها ، ويعجب لاستئثار

رفع المسهم

الحاكمين الذين هم اجراء المحكومين ، ويصور في شعره خطرات النفس ودقائق الشعور ، ويجاري الخاطر في سيره ، حتى يكاد يلامسه ، ويسبح مع الكواكب في أفلاكها ، والأطيار في أجوائها ، والاسماك في مسابحها ، والهوام والحشرات في مساربها ومدارجها .

هذا هو أبو العلاء المعري الذي غاض ضياء عينيه ولكن ضياء بصيرته كان يشق حجب الأستار، ويكشف جوانب الظلمات ، ويبلغ ما تحار فيه العقول من صحيح الرأي وعجيب الظن ، والذي هو اليوم ومن قبل ومن بعد لواء من الألوية الخفاقة ، التي تتفيأ الأمة العربية ظلالها ، وتوحي اليها ما توحيه من عناصر بعثها وتوحيد قلوب ابنائها . وفي هذا اليوم الذي نجتمع فيه لتخليد هذه الذكرى العظيمة ، ذكرى أبي العلاء ، الذي تفخر أرض الشام بأن يكون فيها منبته ، وان يشرق منها الهامه ، تجتمع في مصر العزيزة وفود البلاد العربية للعمل على توثيق العرى بينها . وانها لمصادفة سعيدة أن نجتمع في يوم واحد تهتف بنا غاية واحدة، وتحدونا دعوة واحدة ، وهي اجلال التراث العربي واعلاء شأنه ورفع مناره .

رفع المسهم

كلمة وزير المعارف

منذ عشرة قرون خلت شهدت معرة النعمان مولد ابنها البار أبي العلاء فما كانت لتعلمَ أو لتحلم أن هذا المولود سيكون له شأن كبير في عالم الشعر والحكمة وفي دنيا الأدب وان قصائده سيرتلها كل لسان ينطق بلغة القرآن ولم يخطر لها على بال أن ضريحه سيصبح في مستقبل الأيام مزاراً لأعاظم الأدباء وكبار الكتاب والبلغاء وفحول الفصحاء والشعراء يؤمونه ليضعوا على مرقده أكاليل من أزاهر الشعر وفنون الأدب جادت بها عقولهم وطبائعهم وصاغتها قرائحهم الفياضة .

سادتي : ودعت دمشق عيداً لتستقبل عيداً جديداً نثرت عليه روعتها الف عام . دمشق التي عرفت أمجاد بني أمية الأعظمين فاستمعت ربوعها الى شعرائهم الميامين . دمشق التي رددت جنباتها أصداء مجالس الخلفاء وحفلت مغانيها بحلقات الأدباء ستزحف بمن اجتمع من أعاظم رجالات الأدب والعلم من كل قُطر عربي الى مرقد أبي العلاء لتؤدي فروض التكريم والاجلال لروح هذا الفيلسوف الكبير اعترافاً بجميل الصنع وبيض الأيادي .

ان تكريم العظماء في حياتهم والاحتفال بذكراهم واقامة مهرجانات لهم بعد مماتهم سنة حسنة سنها السلف من أهل العقول الراجحة .

ان دمشق لترحب بجمهرة رجالات الأدب من الطراز الأول وتفخر لمرور هذه النجوم في سمائها ومن رأى في هذا اليوم البهيج بردى ونهيرات النيربين تصفق بالرحيق ومن رأى حوْر دمر والغوطتين تمايل بالقد الرشيق عرف أيّ تحية اكبار واعجاب ترسلها دمشق الى هؤلاء الضيوف الأخيار وعرف أيّ عاطفة زهو وغبطة وخيلاء يبعثها هذا الحدث العظيم .

شرفتم يا سادتي لتشاطرونا الاحتفال بهذه الذكرى فأهلاً ومرحباً بالزوار الأكارم والضيوف الأعاظم الوافدين من وادي النيل العزيز وأرض الكنانة

والقادمين من بلاد الرافدين وعاصمة الرشيد أهلاً بأعلام المشرق والمغرب ثم أهلاً فشكراً لكم وللقائمين على هـذا المهرجان التاريخي في ظل حضرة صاحب الفخامة الرئيس الأول وفي عهده الميمون تخفق له الأفئدة وترنو اليه العيون .

سادتي الأكارم : ها هي ذي الف عام تنقضي على رسالة شيخ المعرة وهي عامرة في نفوس الناطقين بالضـاد باقية لتضيء سبل الأدب والحكمة خالدة على وجه الدهر . فهي خير ذخيرة لرواد الأدب تنير قرائحهم وتلهب شعورهم وتصقل عقولهم غذاها أبو العلاء من روحه وقلبه ونور بصيرته ستحملون يا سادتي هذا المشعل العظيم الذي خلفه المعري — ومن أحرى منكم بهذا الشرف — من عاصمة بني أمية إلى مرقد ابن الوليد ومن مدينة أبي الفداء الى مرقد المعري فحاضرة سيف الدولة ثم الى الشاطيء السوري . وستشخص اليكم العروبة بأبصارها وتصيخ إلى كلمكم بأسماعها .

سادتي : ما كان المعري يحفل بالتكريم في حياته ولكنه واجب في أعناقنا نؤديه نحو الأجداد ودرس يفيد منه الأحفـاد نحتفل بذكراه اليوم فالذكرى تنفع المؤمنين وأيّ نفع عميم توحيه ذكرى الشيخ الحكيم .

ان ذكرى المعري توحي الينا أموراً كثيرة من سياسية واجتماعية وثقافية وترشدنا إلى نقائص عديدة نحن بحاجة ماسة الى المبادرة لاستكمالها . أما السياسة فلها أربابها يعالجونها بقدر ما تسمح لهم الظروف وحسبما تقتضيه المصلحة . وأما الناحية الثقافية فمن أجدر بها منكم فمعالجتها موكولة اليكم وفي ذمتكم وإيجاد الحلول الموفقة لها من خصائصكم . تنتظر الأمة منكم تعيين المناهج لوحدة الثقافة في الأقطار العربية ووضع المصطلحات العلمية والفنية وإيجاد معاجم لها على اختلاف أنواعها ورسم خطة رشيدة للأدب يمكن معها لجيلنا الحاضر أن يشق طريقه على نور هديها وغير ذلك .

كان الأدب ولا يزال القائد الأعلى المطاع في معارك الحرية ووثبات الشعوب .

فيا أمراء البيان وأئمة لغة القرآن عليكم المعول في سد هذه الثلمات

واليكم المرجع في تدارك هذه الحاجات فالشباب متعطش إلى مآثركم الحميدة ومتشوق إلى نتائج مواهبكم المجيدة .

سادتي : لم يكن للمعري في حياته شغف في السياسة ولم يلتفت اليها بل كان منصرفاً بمجموعه إلى الأدب والشعر والفلسفة ولكن الأحداث والوقائع التي كانت تجري حوله لم يغب عنه أثرها ولم يكن مرتاحاً إلى نتائجها وعواقبها . كان يشعر بتفكك في عرى الوحدة العربية وبضعف في سلطان الخلافة والملك . فمن ذلك الضعف والتفكك نشأت دويلات عديدة كانت إلباً على بعضها . هذا ما أثار نفس أبي العلاء الحساسة وألهب شعوره فأرسل صيحته ندوي في الآفاق مردداً هذه الأبيات :

ولو أني حييت الخلد فرداً لما أحييت بالخلد انفرادا

فلا هطلت علي ولا بأرضي سحائب ليس تنتظم البلادا

هذه دروس ومواعظ القاها المعري على الناس وخلدها للأجيال القادمة فاستحق منها كل اجلال وتكريم واستحقت ذكراه التخليد والتأييد . إن عيدنا الأكبر يا سادة : هو اليوم الذي تحقق فيه أمنية هذا الشيخ الحكيم ألا وهي الوحدة العربية الشاملة . فيرحمك الله يا أبا العلاء رحمة واسعة ويجعل مقرك الجنان وسلام الله على روحك الابية وسلام عليكم أجمعين .

نصوحي البخاري

كلمة رئيس المجمع العلمي العربي

سادتي ، سيداتي :

الاحتفاء بأبي العلاء ، والاشادة بذكراه ، دعوة إلى الأدب في أنبل غاياته ، وأعف مقاصده ، وإلى الأخلاق الكريمة ، والانسانية في مثلها العليا . فلقد كان أبو العلاء داعية رشد وسلام ، دعا إلى عالم يستملي نظمه من عقل الحكيم ، وقلب الشاعر ، وورع الزاهد ، وتقوى العابد ، ونزاهة المخلص ، يظله الاخاء والسلام ، وينكر التظالم والخصام .

لقد مثل أبو العلاء الأدب العربي أشرف تمثيل في حياته وسيرته وآثاره ، وكانت ذكراه بعد الف سنة من مولده مظهراً من أشرف مظاهر الأدب العربي ، اشتركت بها الدول العربية وسعى اليها وساهم فيها الصفوة من أعلام العلم والأدب في الأقطار العربية ، وشاركهم في هذا العمل نخبة من كبار المستشرقين. فسيخطب الخطباء، وينشد الشعراء ، ويتلو الباحثون العلماء في حفلات هذا المهرجان بدمشق والمعرة وحلب واللاذقية ما لا يدع مقالاً لقائل ولا مجالاً لجائل في أبي العلاء وما اليه ، فضلاً عن البحوث والفصول والقصائد التي بعث بها من لم يتيسر لهم الحضور ، فلهم جميعهم جزيل الشكر ، من سعى بنفسه وتجشم مشاق السفر ، ومن بعث بالبحوث الممتعة .

لم يكد المجمع العلمي يقترح على الحكومة عقد هذا المهرجان حتى رحب به فخامة رئيس الجمهورية وشمله برعايته وعطفه وافتتحه بنفسه ، وشاء أن تساهم بشرف الحفاوة به جميع البلاد الشامية ، لما في ذلك من تكريم الفضيلة والأدب ، وشد عرى التعارف بين مفكري العرب ، فأضاف إلى مآثره العديدة هذه المأثرة الجليلة .

كانت تباشير اجتماع كلمة العرب وجمع شملهم تلك الأسواق الأدبية التي

رفع المسهم

كانوا يعقدونها قبيل الاسلام ، يتبارى فيها الشعراء والخطباء . وهذا المهرجان بما سطع فيه من مصابيح العلم والأدب في الأقطار العربية ، مجتمعين في صعيد واحد ، لغاية واحدة ، رمز لاجتماع الكلمة وجمع الشمل . « والتاريخ يعيد نفسه » كما يقولون ، « وما أشبه الليلة بالبارحة » كما نقول .

وانه لمن يمن هذا المهرجان وسعد طالعه أن يتفق عقده في دمشق وعقد مؤتمر الوحدة العربية في الاسكندرية في يوم واحد ، وقد بدت تباشير السلام تكشف دياجير الحرب ، وتطلعت النفوس الى عالم كعالم أبي العلاء مبني على الحق والرأفة والموآخاة الانسانية .

قال كارلايل في كتاب الابطال : (لو خيرنا بين أن نترك شكسبير أو بلاد الهند ، لقلنا سواء أحكمنا الهند أم لم نحكمها فلا غنى لنا عن شكسبير . فسيجيء يوم يصبح فيه أبناء بريطانيا مبعثرين في نواحي الكرة وحينئذ يكون شكسبير الملك الذي يضمنا جميعاً) .

وهذا يوم نرى فيه أدب أبي العلاء من شعر ونثر ، وسيلة لاجتماع مفكري العرب ما بين المغرب الأقصى واليمن ، ورمزاً لتوحيد كلمتهم وانتظام عقدهم ، وآية لجمع الشمل ووصل الحبل ان شاء الله .

محمد كرد علي

رفع المسهم

الفصول والغايات

سيدي صاحب الفخامة الرئيس

سيداتي وسادتي

لو استشير ابو العلاء في هـذا المهرجان الذي نقيمه الآن احتفالا بعيده الالفي لما حفل بالعيد ولا أقر المهرجان فقد كان ازهد الناس في هذه المظاهر وأشدهم انصرافاً عنها ونفوراً منها . ولكنه من غير شك كان يرضى بعض الرضى عن هذا الحفل الذي يقام لاحياء الأدب في ظل الدولة التي كان يتمناها ويدعو اليها ولكنه لا يظفر بها ولا ينتظر أن يكون الظفر بها قريبا . في ظل الدولة التي لا يظلم زعماؤها الرعية ولا يستجيزون كيدها ولايعدون مصالحها وهم اجراؤها .

أظن ان هذه الصفة من صفات المهرجان هي التي كانت ترضي ابا العلاء وتملأ قلبه الحزين البائس غبطة وسروراً . فقد كان أبو العلاء ابعد الناس عن الاثرة وأقربهم الى الايثار وأشدهم نقداً للناس وأعظمهم رحمة للناس ايضا . ورحمته للناس وشوقه الى أن يراهم ناعمين في ظل العدل والامن والسلم هي التي كانت ترضيه عن هذا المهرجان الذي تقيمه سورية في ظل حكومتكم العادلة الكريمة الطامحة الى المجد الموفقة من الخير الى ما تريد سورية والى ما يريد العرب لهذا الوطن الكريم .

والواقع أن من حق سورية أن تقيم هذا المهرجان وان تحتفل بذكرى ابي العلاء وتحيي عيده الالفي . فأبو العلاء نابغة الادب العربي غير مدافع وهو فذ في هذا الادب لم يسبقه مثله ولم يلحقه مثله ، وانما كان منحة فريدة اتيح له أن يمتاز بشعره وعلمه وفنه وفلسفته وسيرته من جميع الذين سبقوه أو جاؤا بعده من الادباء .

رفع المسهم

هو نابغة الأدب العربي غير مدافع وهو في الوقت نفسه سوري خالص تستطيع سورية أن تفاخر به لا ينازعها فيه قطر من أقطار البلاد العربية ولا يخاصمها فيه مصر من أمصار البلاد العربية .

فقد كان لسورية قبل ابي العلاء حظ عظيم من المجد الادبي وفضل عظيم على الادب العربي . وكان لها شعراء يمتازون في تاريخنا الادبي المجيد ولكنهم لم يخلصوا لها كما خلص لها أبو العلاء . فلسورية أبو تمام والبحتري بل يمكن ان يضاف اليها المتنبي ايضا . ولكن هؤلاء الشعراء وغيرهم قد نازعت فيهم أقطار أخرى فابو تمام قد ذهب إلى مصر وإلى العراق والبحتري قد ذهب إلى العراق والمتنبي قد جاء من العراق وعاد اليه وكلهم تأثر بهذه البيئات البعيدة من سورية وأثر فيها بحيث استطاعت هذه البيئات ان تضيفه الى نفسها وان تفاخر به .

أما ابو العلاء فهو الشاعر السوري الخالص ولد في سورية ونشأ فيها وتوفي فيها ولم يغب عنها الا وقتا قصيراً ذهب فيه الى العراق ولكن دون ان يكون محتاجاً الى هذه الرحلة لتكوين شخصيته او إتمام نضجه أو تحقيق شهرته . وأبو العلاء يحدثنا وهو صادق اذا تحدث بأنه لم يحتج الى استاذ ولا معلم منذ بلغ العشرين ونحن نعلم انه رحل إلى العراق حين قارب الاربعين وان شهرته كانت قد سبقته الى بغداد قبل أن يصل اليها بزمن طويل .

فمن حق سورية اذن أن تستأثر بابي العلاء وأن تفخر بأنها قد منحت الادب العربي نابغته الفذ . ولكن سورية كشاعرها الفيلسوف تكره الاثرة أشد الكره وتحب الايثار اعظم الحب وهي من أجل ذلك لاتفاخر ولا تكاثر وانما تدعو الاقطار العربية وغير الاقطار العربية لمشاركتها في أحياء عيد أبي العلاء لا لأنه مجد سورية بل لانه مجد العروبة ومجد الانسانية كلها .

وقد أقبلت وفود هذه البلاد العربية تكرم أبا العلاء في سورية وتكرم سورية في أبي العلاء وإني ياصاحب الفخامة لعظيم الحظ من السعادة والغبطة حين أحمل اليكم وإلى سورية وإلى اخواننا الذين يشاركون في هذا المهرجان تحية مصر صادقة خالصة يملؤها الوفاء والاخاء . وحين أعلن ان مصر قد

رفع المسهم

قدرت من سورية هذه العاطفة الكريمة وهذا الوفاء النبيل للمجد العربي وهذا الحرص الكريم على احياء هذا المجد باقامة هذا المهرجان . وقد رأت مصر أن تشارك سورية في احياء هذا المجد العربي القديم مشاركة متواضعة فقررت حكومتها ان تنشر آثار ابي العلاء أو بعبارة ادق كل ما يمكن الحصول عليه من آثار أبي العلاء نشرا علميا صحيحاً وبدأت في ذلك بالفعل وحرصت على أن يأتي وفدها الى هذا المهرجان ومعه باكورة هذا العمل الذي لن يتم في عام أو أعوام قليلة ولكنه سيحتاج الى الجهد المتصل والوقت الطويل . . ويسر مصر ان تقدم الى المهرجان أول جهدها في هذا الموضوع وهو هذا المجلد الذي يشتمل على ما أمكن جمعه مما كتب القدماء حول أبي العلاء .

فقد رأت مصر ان يكون هذا المجلد مقدمة صالحة لآثار ابي العلاء يستطيع العلماء ان يعتمدوا عليه إذا أرادوا أن يدرسوا حياة شيخ المعرة ويعرفوا آثار القدماء فيه . ثم رأت مصر ان تكون مشاركتها في احياء ذكرى ابي العلاء متصلة بشخصه وبلده وقد علمت ان سورية قد جددت قبر الشيخ وأقامت الى جانبه مكتبة فقررت أن تشارك في هذه المكتبة وكلفني وزير المعارف ان أعلن ان الحكومة المصرية تتبرع بألفين من الجنيهات لتشتري بها الحكومة السورية بعض ما تحتاج اليه هذه المكتبة من الكتب .

والآن أريد أن أحدثكم عن كتاب الفصول والغايات وآسف أشد الاسف لأن الوقت لن يسمح لي بأن أحدثكم عنه فيما أحب من تفصيل بل فيما يستحق من تفصيل . فكتاب الفصول والغايات من أعظم آثار ابي العلاء خطرا في تاريخ الادب العربي ولعله أن يكون اعظم هذه الآثار خطرا في تاريخ الحياة العلائية نفسها . وأول ما أحققه من ذلك هو أن كتاب الفصول والغايات ، يؤرخ لنا فلسفة أبي العلاء تأريخا دقيقاً وليس هذا بالشيء القليل .

فابو العلاء ينبئنا بانه قد كان ينتظر الخير ويرقبه دون أن يظفر به حتى اذا بلغ الثلاثين ولم يبلغ ما كان يريد وجّه حياته وجهة جديدة (١)

(١) الفصول والغايات صفحة ٢٧٩

وإذن فلم يطلب أبو العلاء فلسفته في بغداد ولم يجدها فيها وإنه ارتحل بها الى بغداد وعاد بها الى المعرة لم يضف اليها إلاهذه السيرة العملية الشديدة التي الزمته داره . فاما ما عدا ذلك من فلسفته النظرية والعملية فاكبر الظن انه قد دفع اليها شيئاً فشيئاً ثم التزمها منذ بلغ الثلاثين اي قبل رحلته الى بغداد ببضع سنين .

وهذه الفلسفة العلائية نفسها معروضة في كتاب الفصول والغايات عرضاً واضحا اشد الوضوح غامضاً أشد الغموض ان صح هذا التعبير فأبو العلاء كما تعرفون رجل اتعب نفسه واتعب معاصريه واتعب الناس بعده وسيظل يتعبهم الى آخر الدهر لأنه على صرامته وصراحته واستقامته في حياته العملية لا يسلك الطريق الواضحة المستقيمة في عرض آرائه وانما يلتوي بها أشد الالتواء يصرح حينا ويومئ أحياناً وهو معلم بطبعه وهو شديد على نفسه وعلى الناس وكل هذا يجعل عباراته غامضة ملتوية ويشغلنا بالفاظه عن معانيه وبأساليبه عن آرائه وبفنه عن دخيلة نفسه ومع هذا كله فان فلسفته معروضة في الفصول والغايات عرضا حسنا للذين يستطيعون ان يصابروه ويحتملوا صحبته الحلوة المرة اليسيرة الشاقة . وليست هذه الفلسفة الا فلسفة ابيقور قد لاءم بينها وبين بيئته الاسلامية ملاءمة رائعة حقا حتى خدع عنها كثيرا من الناس فظنوها اسلامية خالصة ورأوا فيها مذهباً موروثاً من مذاهب الزهد والنسك .

وأكبر الظن ان فلسفة ابيقور قد وصلت الى ابي العلاء من طريق الطب اليوناني ومن طريق طب جالينوس بنوع خاص فقد كان ابو العلاء معجبا أشد الاعجاب بجالينوس قرأ طبه مترجماً الى اللغة العربية ومفصلا في كتب الطب العربي وهذه الفلسفة العلائية الأبيقورية تقوم قبل كل شيء على انكار العلة الغائية التي يؤمن بها كثير من الفلاسفة وأصحاب الديانات جميعاً . فالأشياء لم تخلق بهذه الغايات التي نرى انها خلقت لها . وكان من الممكن ان تخلق على غير صورها المعروفة ، وكان من الممكن أن ينظر الانسان بقدميه ويتم بمنكبيه

ويبكي باسابعه . واذن فالعالم لم يخلق لنا والطبيعة لم تسخر لحاجاتنا واذن فلا ينبغي ان نستحل منها كل ما نستحل ولا أن نستأثر بخيراتها لانفسنا ولاأن نؤلم الحيوان للذتنا ولا أن نظامه لمنفعتنا . فليس حقنا في الحياة باكثر من حقه وليس لنا عليه هذا السلطان الذي ننتحله لانفسنا .

انما هذا كله غرور جاءنا من هذه الاثرة التي خيلت الينا ان العالم خلق من اجلنا وسخر لمنفعتنا هذا هو الاصل الاول من أصول الفلسفة العلائية التي نجدها في كتاب الفصول والغايات . والاصل الثاني هو أن من حقنا ان نستمتع باللذات الى أقصى حد ممكن ولكن هذا الاستمتاع لا سبيل اليه لأنه لا يصح ولا يستقيم الا اذا خلا من الالم والظلم والعدوان . وليس الى هذا سبيل . واذن فالانصراف عن هذا الاستمتاع هو الخير كل الخير وهو الحق على الرجل الذي يعرف ما يأتي وما يدع . والاصل الثالث ان هذا العالم لم يخلق نفسه ولم يخلق عبثاً وانما خلقه إلهٌ ليس في وجوده شك وخلقه لحكمة ليس فيها شك ولكن عقولنا لا تعرفها ولا تستطيع ان تعرفها لأنها لم تمنح وسائل هذه المعرفة كما ان اجسامنا لم تمنح السلم الذي يوصلها الى الثريا .

هذه هي الاصول الاساسية لفلسفة ابي العلاء وهي كلها معروضة عرضاً دقيقا في الفصول والغايات ولكن الوصول اليها شيء دونه أهوال . اهوال تأتي من اللغة ومن الاسلوب ومن حرص ابي العلاء على ان يكون معلما وبراعته في هذا التعليم . فليس الفصول والغايات كتاب فلسفة فحسب ولكنه كتاب لغة قبل كل شيء أو كتاب تعليم للغة . هو مذهب من مذاهب الأمالي والمقامات التي يقصد بها اصحابها الى استعمال الالفاظ في معانيها اللغوية المختلفة بحيث يكون استظهار الطلاب لها يسيراً . ثم هو بعد هذا كله أو قبل هذا كله ان شئتم كتاب وعظ وارشاد وتمجيد لله وإشادة بقدرته وحكمته فليس فيه فصل الا وفيه كل هذه المعاني وليس فيه فصل الا وهو يقصد به الى كل هذه الاغراض والكتاب على هذا كله كتاب ادب بالمعنى الرفيع لهذه الكلمة . فيه فن رائع لا نجده عند غير ابي العلاء من الكتاب ، فيه تصوير للطبيعة على نحو ما صورها شعراء

رفع المسهم

الطبيعة من الجاهليين والاسلاميين ، وفيه تصوير للسماء على نحو ما صورها شعراء القدماء من جهة وأصحاب النجوم والفلك من جهة أخرى . وفيه تصوير للضمير ودخيلة النفس وما يثور في القلب من عاطفة وما يضطرب فيه من أماني وما يؤذيه من حرمان وما يخطر للعقل من خاطر وما يؤلمه من اليأس حين يعجز عن الوصول الى الحق وما يرضيه من هذه المتعة التي يجدها حينما يظفر ببعض الحق .

كل هذا في كتاب الفصول والغايات ، وفيه اكثر من هذا ، فيه التزام ما لا يلزم فتأليف الكتاب على حروف المعجم لم تدع اليه ضرورة وانما هو شيء فرضه أبو العلاء على نفسه لينستقصي ما يستطيع استقصاءه من الفاظ اللغة وليأخذ نفسه بهذه اللذة المؤلمة والمشقة الحلوة التي يجدها الانسان حين يكلف نفسه مالايطيق الناس ثم يرى انه ينهض بهذا التكليف في قوة وأيد وقهر للمصاعب واقتحام للعقاب .

وقولوا مثل ذلك فيما يلتزمه في السجع والغايات من القيود المحرجة ، بل فيما يلتزمه حين يلائم بين الكلمات في أثناء الفصل الواحد من القيود التي لا تكاد تخطر لأحد منا على بال . ثم نسأل أنفسنا بعد ذلك عن شيئين أما أولهما فقد تساءل عنه القدماء واختلفوا فيه اختلافاً مصدره الحب والبغض وهو هل أراد أبو العلاء في كتاب الفصول والغايات إلى معارضة القرآن ! فأما أنا فأجيب على هذا السؤال في غير تكلف ولا تعمل فقد كان أبو العلاء أذكى قلباً وأرجح عقلاً وأنفذ بصيرة وأشد تواضعاً وأحسن علماً بطاقته من أن يحاول هذه المعارضة أو يقصد اليها . ولكنه كان كغيره من أدباء المسلمين معجباً بالقرآن مكبراً له مقدراً لروعته الفنية فليس من شك في أنه كان يتمثل أو يستحضر بعض أساليب القرآن حين كان يفكر في كثير من الفصول والغايات . يذهب في ذلك مذهب كثير من أدباء المسلمين لا لا يجد فيه ولا نجد فيه نحن حرجاً ولا جناحاً .

أما السؤال الثاني فلا أعلم أنه خطر لأحد من القدماء وهو مع ذلك سؤال له خطره في تاريخ أبي العلاء . فأي الكتابين سبق صاحبه الى الوجود ، وكان أصلاً له ومؤثراً فيه . الفصول والغايات ام اللزوميات . اما انا فأكاد

اقطع بأن الفصول والغايات هو الذي سبق إلى الوجود ، وهو الذي أنشأ اللزوميات انشاء وما بين أيدينا من كتاب الفصول والغايات كله يدل على ذلك دلالة قاطعة . فأبو العلاء يلتزم ما لا يلزم على نحو من الانحاء في الكتاب كله وفي قوافيه بنوع خاص . واكبر الظن أن ابا العلاء قد حاول التزام ما لا يلزم في كل شيء من حياته وفي انتاجه الأدبي حتى أصبح هذا الفن له ملكة كأنه طبع عليها فكان يؤدي في هذا الفن ما يريد أن يؤديه من المعاني شعراً أو نثراً ولكنه بدأ بالتزام هذا الفن في النثر رغبة في التعليم وتيسيراً على الطلاب .

أترون أن أبا العلاء على كثرة ما اختلف الناس فيه قد كان فيلسوف الرأي والحياة وكان مع هذا كله أديباً عالماً شاعراً كاتباً طرق من فنون الأدب والعلم العربي الاسلامي ما لم يتح لأديب غيره أن يطرقه فجنى بذلك على نفسه وجنى على الناس . جنى على نفسه حين حير الناس في أمره فزعم له بعضهم الفلسفة ونفى عنه الشعر وزعم له بعضهم الشعر ونفى عنه الفلسفة ويوشك قوم من الناس أن ينفوا عنه الشعر والفلسفة جميعاً وجنى على الناس بهذه الحيرة التي اضطرهم اليها وورطهم فيها فاختلفوا وما يزالون يختلفون وسيظلون يختلفون في أمره . أشاعر هو أم فيلسوف ! أكاتب هو أم عالم أم معلم !

والواقع أنه قد جمع هذه الخصال كلها وجمعها على أحسن شكل وأجمل انسجام وأروعه فأخذ من الشعر خلاصته ومن الفلسفة الانسانية صفوتها ومن علوم اللغة وآدابها ما لم يجتمع لأحد غيره من العلماء والأدباء وجنى على نفسه وجنى على الناس ، ولكن أي نابغة لم يجن على نفسه ولم يجن على الناس . أليس الخير كل الخير أن يوجد النابغة ويشق بنبوغه ليسعد الناس أليس الخير كل الخير أن يوجد النابغة ويشق على الناس ويكلفهم من أمره وأمرهم شططاً ليتعبوا ويجدوا ويظفروا وينتجوا ويستمتعوا . وهل تظنون أننا كنا نستطيع أن نجتمع لهذا المهرجان لو لم يشق أبو العلاء على نفسه وعلى الناس .

طه حسين

رفع المسهم

الفيلسوف الحر

قف بالمعرة وامسح خدها التربا ... واستوح من طوّق الدنيا بما وهبا
واستوح من طبب الدنيا بحكمته ... ومن على جرحها من روحه سكبا
وسائل الحفرة المرموق جانبها ... هل تبتغي مطمحاً أو ترتجي طلبا
يا برج مفخرة الأجداث لا تهني ... ان لم تكوني لأبراج السما قطبا
فكل نجم تمنى في قرارته ... لو انه بشعاع منك قد جذبا
والملهم الحائر الجبار هل وصلت ... كف الردى بحياة بعده سببا
وهل تبدلت روحاً غير لاغبة ... أم لا تزال كأمس تشتكي اللغبا
وهل تخبرت ان لم يأل منطلق ... من حر رأيك يطوي بعدك الحقبا
أم أنت لا حقباً تدري ولا مقة ... ولا اجتواء ولا برءاً ولا وصبا
وهل تصحح في عقباك مقترح ... مما تفكرت أو حدثت او كتبا
نور لنا ، اننا في أي مدلج ... مما تشككت ان صدقاً وان كذبا

* * *

أبا العلاء ، وحتى اليوم ما برحت ... صناجة الشعر تهدي المترف الطربا
يستنزل الفكر من عليا منازله ... رأس ليمسح من ذي نعمة ذنبا
وزمرة الأدب الكابي بزمرته ... تفرقت في ضلالات الهوى عصبا
تصيد الجاه والألقاب ناسية ... بأن في فكرة قدسية لقبا
من قبل الف لو انا نبتغي عظة ... وعظتنا أن نصون العلم والأدبا

* * *

على الحصير وكوز الماء يرفده ... وذهنه ورفوف تحمل الكتبا
أقام بالضجة الدنيا وأقعدها ... شيخ أطل عليها مشفقاً حدبا

بكى لأوجاع ماضيها وحاضرهـا ... وشام مستقبلاً منها ومرتقبـا
وللكآبة ألوان وأفجعهـا ... أن تبصر الفيلسوف الحر مكتئبا
تناول الرث من طبع ومصطلح ... بالنقد لا يتأبى أية شجبا
وألهم الناس كي يرضوا مغبتهم ... أن يوسعوا العقل ميداناً ومضطربا
وان يمدوا به في كل مطرح ... وان سقوا من جناه الويل والحربا
لثورة الفكر تاريخ يحدثنـا ... بأن الف مسيح دونهـا صلبـا
ان الذي ألهب الأفلاك مقوله ... والدهر لا رغبـاً يرجو ولا رهبا
لم ينس ان تشمل الأنعام رحمته ... ولا الطيور ولا أفراخهـا الزغبـا
حنا على كل مغصوب فضمده ... وشج من كان ، ايا كان ، مغتصبا

* * *

سل المقادير هل لا زلت سادرة ... أم أنت خجلى لمـا أرهقته نصبا
وهل تعمدت ان أعطيت سائبة ... هذا الذي من عظيم مثله سلبا
هـذا الضيـاء الذي يهدي لمكمنه ... لصاً ويرشد أعمى تنفث العطبا
فان فخرت بما عوضت من هبة ... فقد جنيت بمـا حملته العصبـا

* * *

تلمس الحسن لم يمدد بمبصرة ... ولا امترى درة منهـا ولا حلبـا
ولا تناول من ألوانهـا صوراً ... يصد مبتعد منهن مقتربا
لكن بأوسع من آفاقهـا أمداً ... رحباً ، وأرهف منها جانباً وشبا
بعاطف يتبنى كل معتلج ... خفاقـه ويزكيه إذا انتسبا
وحاضن فزع الأطياف أنزلهـا ... شعافه وحباهـا معقلاً أشبا
أهوى على كوة في وجهـه قدر ... فسد بالظلمـة الثقبين فاحتجبا
وقال للعاطفات العاصفات به ... الآن فالتمسي من حكمـه هربا
الآن يشرب ما عتقت لا طفحاً ... يخشى على خاطر منه ولا حببا
الآن قولي اذا استوحشت خافقة ... هذا البصير يرينا آية عجبا
هـذا البصير يرينا بين مندرس ... رث المعالم ، هذا المرتع الخصبا
زنجية الليل تروي كيف قلدهـا ... في عرسها غرر الأشعار لا الشهبا

لعل بين العمى في ليل غربته ... وبين فحمتها من الفة نسبا
وساهر البرق والسمار يوقظهم ... بالجزع يخفق من ذكراه مضطربا
والفجر لو لم يلذ بالصبح يشربه ... من المطايا ظماء شرعاً شربا
والصبح ما زال مصفراً لمقرنه ... في الحسن بالليل يزجي نحوه العتبا

* * *

يا عاريا من نتاج الحب تكرمة ... وناسجاً عفة ابراده القشبا
نعوا عليك ، وأنت النور ، فلسفة ... سوداء لا لذة تبغي ولا طربا
وحملوك ، وأنت النار ، لاهبة ... وزر الذي لا يحس الحب ملتهبا
لا موجة الصدر بالنهدين تدفعه ... ولا يشق طريقاً في الهوى سربا
ولا تدغدغ منه لذة حلماً ... بل لا يطيق حديث اللذة العذبا
حاشاك ، انك اذكى في الهوى نفساً ... سمحاً وأسلس منهم جانباً رطبا
لا اكذبنك ان الحب متهم ... بالجور يأخذ منا فوق ما وهبا
كم شيع الأدب المفجوع محتضراً ... لدى العيون وعند الصدر محتسبا
صرعى نشاوى بأن الخود لعبتهم ... حتى اذا استيقظوا كانوا هم اللعبا
ارتهم خير مافي السحر من بدء ... واضمرت شر ما قد أضمرت عقبا
عانى لظى الحب بشار وعصبته ... فهل سوى أنهم كانوا لها حطبا
وهل سوى أنهم راحوا وقد نذروا ... للحب ما لم يجب منهم وما وجبا
هل كنت تخلد اذ ذابوا واذ غبروا ... لو لم ترض من جماح النفس ما صعبا
تأبى انحلالاً رسالات مقدسة ... جاءت تقوّم هذا العالم الخربا

* * *

يا حافر النبع مزهواً بقوته ... وناصراً في مجالي ضعفه الغربا
وشاجب الموت من هذا باسهمه ... ومستمداً لهذا ظله الرحبا
ومحرج الموسر الطاغي بنعمته ... ان يشرك المعسر الخاوي بما نهبا
والتاج اذ تحدى رأس حامله ... بأي حق واجماع به اعتصبا
وهؤلاء الدعاة العاكفون على ... أوهامهم ، صنم يهدونه القربا

رفع المسيهما

الخابطون حياة الناس قد مسخوا ما سن شرع وما بالفطرة اكتسبا
والحاكمون بما توحي مطامعهم مؤولين عليها الجد واللعبا
ما كان أي ضلال جالباً أبداً هذا الشقاء الذي باسم الهدى جلبا
على الجلود من التدليس مدرعة وفي العيون بريق يخطف الذهبا
اجللت فيك من الميزات خالدة حرية الفكر والحرمان والغضبا
مجموعة قد وجدناهن مفردة لدى سواك فما أغنيننا اربا
فرب ثاقب رأي حط فكرته غم فسف وغطى نورها فخبا
وأثقلت متع الدنيا قوادمه فما ارتقى صعداً حتى دنى صببا
بدا له الحق عرياناً فلم يره ولاح مقتل ذي بغي فما ضربا
وان صدقت فما في الناس مرتكب مثل الأديب أعان الجور فارتكبا
هذا اليراع شواظ الحق ارهفه سيفاً وخانع رأي رده خشبا
ورب راض من الحرمان قسمته فبرر الصبر والحرمان والسغبا
أرضى ، وان لم يشأ ، أطماع طاغية وحال دون سواد الشعب ان يثبا
وعوض الناس عن ذل ومتربة من القناعة كنزاً مائجاً ذهبا
جيش من المثل الدنيا يمد به ذوو المواهب جيش القوة اللجبا
آمنت بالله والنور الذي رسمت به الشرائع غراً منهجاً لحبا
وصنت كل دعاة الحق عن زيغ والمصلحين الهداة العجم والعربا
وقد حمدت شفيعاً لي على رشدي أماً وجدت على الاسلام لي وأبا
لكن بي جنفاً عن وعي فلسفة تقضي بأن البرايا صنفت رتبا
وأن من حكمة أن يجتني الرطبا فرد بجهد الوف تعلك الكربا (١)

محمد مهدي الجواهري

(١) نقلت هذه القصيدة عن بعض الصحف لأن صاحبها لم يبعث بها الى المجمع

أبو العلاء المعري

شاعر أم فيلسوف ؟

— ١ —

بين الشعر والفلسفة صلة وثيقة . فكلاهما يعتمد على الحقيقة . ويحاول ادراك الاشياء ادراكا حراً صحيحاً عميقاً . ثم يعرضه باسلوبه الخاص .

فإذا كان الفيلسوف يجعل همه درس الاشياء ليعرف ماهيتها وما بينها من صلات بحيث يؤثر هذا الدرس في سلوكه ويكسبه براعة في فهم الامور ومعالجتها فإن هم الشاعر أيضاً أن يظفر بهذا الدرس نفسه ثم يؤدي ثمرته فكراً صائباً وشعوراً صادقا .

— ٢ —

هذا هو الاصل العام الذي يجمع بين الشاعر والفيلسوف . ومنه يظهر أن موضوعهما واحد : الله ، والانسان ، والطبيعة .

وإذا كان هناك ما يميز بينهما فذلك يكون في الطريقة . طريقة التناول والاداء . فالفيلسوف يؤدي الحقيقة عارية خالصة . والشاعر يؤديها مغمورة في الشعور .

والفيلسوف يتناول الاشياء مؤثراً باحثاً مقرراً والشاعر يتناولها متأثرا ناقدا مصورا . كل منها يعالج الشعور الانساني . إلا ان الفيلسوف يدرسه مستقلا عن عقله كأنه مادة حسية خاضعة للتحليل الكيمياوي ولكن الشاعر يعالجه ممزوجا بعقله ويضفيه على فكره ليذيبه فيه . فالشعور عند الاول شيء خارجي بخلافه عند الثاني .

كذلك الخيال فإن كان فروضاً علمية فهو اداة الفيلسوف وإن كان مُصوّراً مبدعا كان لغة الشعور وميزة الشاعر ،

رفع المسهم

بقيت لغة الرجلين . فاللغة عامة رموز مبهمة قاصرة لا ضبط لمدلولاتها إلا في الأعلام وأسماء الأماكن . أما المدلولات المعنوية فلا تستطيع اللغة ضبطها ضبطا دقيقاً بهذه الألفاظ . ومع ذلك فلغة الفيلسوف أدق دلالة وأضيق تحديداً واكثر اصطلاحا لاعتمادها على معانيها الوضعية أو القاموسية ، ولكن لغة الشاعر دونها في هذه الاوصاف لأنها تؤدي معاني ثانوية لازمة يحملها عليها الشاعر بما يتصوره في الاشياء ، لذلك كان من حق الشعراء أن يحوروا في مدلولات الألفاظ تحويرا واسعاً لتستوعب المعاني الفنية التي تدور في نفوسهم . ومن هنا كان الخطر الكامن في تفسير الشعر بهذه اللغة العادية التي ترد في المعاجم .

كل من لغتي الشاعر والفيلسوف أدنى إلى القصد والايجاز إلا أن إيجاز الشاعر من باب الرمز والاكتفاء وايجاز الفيلسوف من باب المطابقة والتحديد الدقيق . لغة الفيلسوف مقيدة لأنها وسيلة ولغة الشاعر أكثر حرية إذ هي عناية لابد ان يتوافر لها قسط من الجمال الموسيقي الذي يلائم ماتؤديه من شعور صادق وحقيقة ناصعة . وأخيراً لاغنى للشعر عن الفلسفة ليكون قيم المعاني خالدا بجانب جماله الفني الأصيل وعلى الشاعر أن يكون فيلسوفا أولا ليقيم فنه على أساس من الصواب والعمق ، فاذا ما دخلت الفلسفة مجال الشعر وخضعت لصياغته الفنية صارت سهلة مستساغة . وامتزاجها معا هو المثال الكامل في الآداب .

وهنا نذكر ماقاله ابن رشيق : « والفلسفة وجر الأخبار باب آخر غير الشعر فان وقع فيه شيء منها فيقدر . ولا يجب أن يجعلا نصب العين فيكونا متئكا واستراحة . وإنما الشعر ما أطرب وهز النفوس وحرك الطباع . فهذا هو باب الشعر الذي وضع له لا ما سواه » . (١)

وهذا النص يوحي الينا بأمور :

منها أن مقياس الشعر الاول هو الانفعال وأما الثقافة او الافادة فليست من باب الشعر على حد تعبير ابن رشيق .

(١) العمدة ، ج ١ ، ص٨٣ مطبعة السعادة سنة ١٩٠٧

ومنها أن الفلسفة لذلك أدب آخر غير أدب الشعر لقيامها على النفعية العقلية . وخير لها الا تتصل بالشعر إلا لماماً ما دامت غير مؤثرة ولا مطربة .

ومنها ان النقاد السابقين فهموا الشعر على انه ضرب من التصوير غايته التأثير واتخذوا البحتري مثال ذلك بخلاف الحكيمين ابي تمام والمتنبي . ولعل الجاحظ من شيوخ هذا الرأي .

وعندنا أن هذا الرأي يذكر للشعر صفة أساسية هي أظهر صفاته ولكنها ليست وحدها أهم ما فيه فان جانب الفكرة خطير في الشعر لا يستقيم له تأثير بدونه . . والواقع أن الشعر ضرب من التفكير والتصوير والتعبير .

فإن أراد ابن رشيق بالفلسفة هذه الحكمة العارية والتقرير العلمي فله عذره ولاأدري إذا كان قد وضع نصب عينيه هو هذه الصور الثلاث في الشعر العربي

(١) صورة البحتري بجمال تصويره وحسن تعبيره .
(٢) وصورة المتنبي بحكمته الشائعة وعبارته القوية .
(٣) وصورة المعري بفلسفته الخالصة وأسلوبه التقريري .

— ٣ —

وإذا رجعنا الى تاريخ الشعر العربي لم نجده يخلو من النظرات الفلسفية في كل خطواته لأن التفكير الشعري هو تفكير فلسفي أيضاً . ولكنا نقصد الآن إلى الاشارة الخاطفة إلى بعض المعالم الواضحة التي عالج فيها الشعر العربي رأيا واضحاً أو مذهباً مستوياً من جانب الفلسفة .

(١) ومن أقدم ما عرفنا من ذلك ما قال طرفة بن العبد في معلقته إذ تناول باسلوبه الشعري مذهبه في الالحاد والشك في الآخرة والسخرية بالمتحرجين حوله . والحرص على اللذة متهالكاً عليها . ولقد كان طرفة في عرضه هذا مثال الشاعر الذي جمع بين وضوح المذهب وقوة العقيدة وصدق الشعور ، وكان لذلك صداه في أسلوبه الموسيقي الرائع . وكان امتزاج الفلسفة بالشعر عنده مثالا كاملاً عرفناه فيما بعد عند أبي نواس من المستهترين .

رفع المسهم

ومن المناسب ان نذكر هنا زهير بن أبي سلمى حين دعا إلى السلم أيام الجاهلية الحمراء ثم طائفة الصعاليك من الشعراء الذين ثاروا على اثرة الأغنياء في الجاهلية وصوروا نزعتهم هذه بشعر قوي جميل .

(٢) وفي القرن الثالث الهجري لما أخذ الشعر في سبيل الحضارة ظهر أبو تمام وأخذ يفلسف الشعر وإن لم يكن هو فيلسوفاً وبذلك صار رأس أصحاب المعاني في الشعر .

ظفر أبو تمام بثقافة ممتازة من فلسفة ولغة ودين ونحو وأدب وتاريخ وعقائد وقد ظهرت معالم ذلك في شعره .

ثم وهب ذكاء نادراً ، وحساً دقيقاً ، وإخلاصاً لفن الشعر عميقاً يتكيء فيه على نفسه ويذيب له مخه في سبيل تنميقه وتجويده وتوليد معانيه ليكون فناً جميلاً نافعاً يجمع بين جمال التصوير وعمق التفكير .

لذلك شاعت في نظمه معان غريبة وحكم منثورة في ثنايا قصيده فعد بذلك أحد الحكيمين وصاحب مذهب التجديد لما عد البحتري شاعر المحافظة أو عمود الشعر .

ولكن أبا تمام أصيب بعد ذلك بالغلو في البديع فاعتمد على الجناس والطباق ، والاستعارة فوق الغريب من اللفظ والطريف من المعاني فأفسد بتكلفه هذا قسماً من شعره غير قليل ، ولعل هذا التكلف كان خطوة أولى للزوميات أبي العلاء وإن اختلف التكلف بينهما فمرده عند أبي تمام الترقيش الفني وعند أبي العلاء الرصف اللغوي .

وبذلك اجتمع في شعر أبي تمام خواص كونت شخصيته الفنية من معان جديدة ، وصور بديعة . وألفاظ غريبة ونقل للشعر من فن للتصور إلى فن للتصوير والتفكير . والذي يعنينا هنا أنه كان خطوة جريئة في استحالة الشعر العربي — أو الاسلامي — لما زاوج بين الفكرة الفلسفية وبين الصياغة الفنية ولقي عناء ذلك لأخذه المسألة بقوة صارمة ، فهذا شيء . . وشيء آخر هو أن حكمته قليلة منثورة في قصائده وأن الفلسفة عاشت عنده على هامش الشعر لم تغمره ، وان ذكاءه كان العامل المباشر في معانيه التي

سماها الناس فلسفة ، وأنه لم يحفظ للشعر مكانته فتكسب به ، وإن حفظ له صنعته الدقيقة كما قال : —

خذها مثقفة القوافي ، ربها لسوابغ النعماء غير كنود
حذاء تملأ كل أذن حكمة وبلاغة وتدر كل وريد
كالدر والمرجان ألف نظمه بالشذر في عنق الكعاب الرود
كشقيقة البرد المنمنم وشيه في أرض مهرة أو بلاد تزيد

(٣) وجاء القرن الرابع ومعه المتنبي تلميذ أبي تمام فظفر كذلك بثقافة عريضة لغوية ، ودينية وصوفية وفلسفية فوق ما أفاد من تجارب وألم من حكم أرسطو .

وقد تمثل هذه الثقافة في ديوانه وصارت الحكمة أو المعاني الفلسفية جزءاً من كيان فنه الشعري تحيا داخله وتقومه وبذلك نجد الفلسفة عنده أدخل في الشعر منها عند أبي تمام كما نجدها محافظة على قوالبها إلى درجة ملحوظة . فالتناسخ والحلول والمجوسية والمانوية وغيرها صريحة عنده يوردها مرتبطة بمعاني الشعر على أنها أقيسة فنية أو براهين منطقية .

وكذلك الشأن في حكمته التي اكتسبها من تجاربه أو اقتبسها من المعلم الأول ، فانها ترد في ثنايا قصيده ذات اعتبارين : مستقلة أو كأنها مستقلة في صياغتها الفلسفية فهذا وجه ، ثم هي خاضعة لتيار القصيدة العام ولجوها ، وهذا من شأنه أن يكسبها إلفاً ويخفف من طبيعتها الأصلية .

وأسلوب المتنبي لم يسلم هو أيضاً من الغريب البدوي ، والاصطلاح العلمي ، والشذوذ في العبارة حتى غاظ النحاة وأعنت اللغويين ، وصار له نحو خاص . . ، ذلك لانحراف عبارته عن الصياغة المألوفة حتى قال أنصاره إن صناعته كوفية . . ولعل أبا الطيب كان يتعمد ذلك جرأة منه وتحدياً للنحويين .

وناحية هامة نشير اليها دون تفصيل أيضاً هي أن المتنبي كان أستاذ أبي العلاء الأول المحبوب سواء في ناحيته الفنية والفكرية أي أنه كان أستاذه في الشعر والحكمة جميعاً ، فكان أبو الطيب مثال المعري في نظم

الشعر أيام صباه وشبابه . وإن كثيراً من المعاني التي احتفل بها أبو العلاء موجودة عند أبي الطيب .

إلا أن أبا العلاء كثيراً ما كان يأخذ المعنى وينحرف به عن طريق استاذه لما كان بين المزاجين من فروق . . فالمعري مثالي والمتنبي واقعي .

وخلاصة ما نذكره هنا عن المتنبي أنه لم يكن فيلسوفاً وان تفلسف في شعره ، وقد وردت حكمته في مواطنها المناسبة دون أن تنظم فصولاً ومقطوعات ، وأن ذلك مع قوة صياغته جعلها مقبولة وكسا من عريها الفلسفي الأصيل .

المتنبي ضاعف ما سبقه إليه أبو تمام واجتمع في شعره أشياء كانت مقدمة التحول النهائي الحاسم الذي نهض به ابو العلاء في هذا المضمار .

— ٤ —

فماذا فعل المعري ؟ وبم امتاز ؟

(١) حظي أبو العلاء بثقافة هي خلاصة الثقافة الإسلامية في القرن الخامس ، فكانت لغوية نادرة ، ودينية إسلامية ومسيحية ويهودية ومجوسية وأدبية وفلسفية وتاريخية ، فيها التنجيم والتصوف ، وفيها من كل شيء ، فكانت يونانية وفارسية وهندية مما فاض به شعره ونثره .

(٢) بدأ حياته الشاعرة بتقليد المتنبي أستاذه المفضل فأخذ يحذو حذوه منذ صباه وفي شبابه أيضاً ، وبدت علامات هذا التقليد باستعمال الغريب وفي الأخذ بالبديع ، وفي المبالغة وتناول المصطلحات العلمية والفلسفية والدينية . أنشأ أكثر سقط الزند في شبابه وبلغ في بعض قصائده درجة الشاعر المثالي وبخاصة في مرثيته الدالية المشهورة في أبي حمزة الفقيه لأنه زاوج فيها بين الشعر والفلسفة مزاوجة خالصة دون أن تشوبها شائبة تفسدها من غريب أو بديع أو التزام مالا يلزم فكانت هذه القصيدة من بين شعره

تاجاً على رأسه متألق الجواهر استوت بها عنده صنعة الشعر الأصيل ، فيها جمال الأسلوب الذي استهوى النقاد من البحتري وجعلوه من أجله الشاعر الفذ ، ثم تمتاز بعد ذلك بهذه المعاني الرائعة الدقيقة العميقة ، وبهذا الشعور السامي والأفق الواسع . وعندي أن أبا العلاء كان بهذه القصيدة يرثي الدنيا جميعاً ويقف على هذا البرزخ بين الحياة والموت ، يبكي عدوان الآخرة على الأولى ويعجب لسلطان الموت وسطوته .

ولو أن أبا العلاء اطرد شعره كله أو أكثره على نسق هذه القصيدة ما قُرن به شاعر عربي آخر . وإذاً ، كان يكون أبو العلاء سيد شعراء العربية غير مدافع وأولاهم جميعاً بالمكانة الأولى في هذا الفن الرفيع .

(٣) ولكن أبا العلاء حين اكتملت له شخصية الشاعر الكامل أخريات شبابه ، وانتهى عهد التقليد الفني نجده يتحول عن هذه السبيل تحولاً يكاد يكون عقوقاً لهذه الموهبة الرائعة كما يتحول عن حياته الاجتماعية ويعتز لها رهين المحبسين أو الثلاث ويصبح فى حياتيه الحسية والأدبية إنساناً آخر .

خضعت حياته الحسية لأوضاع قاسية صارمة من الحرمان والزهد في الطعام واللباس وبغض الزواج والنسل ولزوم البيت وتحامي الناس إلا أن يكونوا طلاب علم ، أو زواراً معجبين يلمون به لحظات ، أو يكاتبونه مجادلين . . . حياة أساسها التشاؤم والسخط واحتقار الحياة وإذلالها .

وأما حياته الأدبية فكانت عكس ذلك تماماً ، حرية في التفكير لا حد لها ، وغنى نفسي عزيز صان به نفسه وأدبه ، وتأمل عميق قد يفضي به إلى الحيرة والشك حين يعجز العقل أمام المعضلات ، وهو شك يمس الدين والعقل والحس والخير ، وكانت مناقشاته للديانات تنطوي على سخرية بها وبالأوضاع الاجتماعية وبهذا النفاق الانساني العام .

(٤) وفي هذه السجون الثلاثة نظم أبو العلاء « اللزوميات » في تمجيد الله وتنبيه الناس وقد برأها من الكذب وتوخى فيها الصدق كما قال في

رفع المسهم

مقدمتها . ومع ذلك فقد ألم فيها بمسائل شتى من الفلسفة الطبعية والرياضية والالهية ثم العملية فوق ما فيها من عظات .

وتأليف هذه اللزوميات — من ناحية الشكل فقط — خاضع لخطة مرسومة ذات أبواب وفصول ولكنها أبواب وفصول شكلية تقوم على حروف الهجاء ، فكل حرف باب من أبواب القافية ، فصوله حركات تلحق هذا الحرف رفعاً ونصباً وجراً ثم سكوناً .

وقد تكلف ابو العلاء في لزومياته أشيـاء أخرى منها اللغوي فلم نجد ديواناً جمع من غريب اللغة ما جمعت اللزوميات ، ومنها العروضي بالتزام حرف أو أكثر قبل القافية فهذه قسوة أدبية وسجن للمعاني والآراء .

ثم استخدم الجناس بين آخر الأبيات وحشوها في مواضع شتى ، وبذلك فاق جميع من سبقوه من أهل هذه الصنعة النظمية والنثرية أيضاً .

(٥) والأمر الخطير أن هذا التعقيد اللفظي لم يكن في صالح الفلسفة ولا الشعر ، إذا جاز لنا أن نعد اللزوميات ديوان شعر — ولعله لا يجوز — فقد كان أحرى بأبي العلاء الفيلسوف أو المتفلسف أن يؤدي آراءه أو مذهبه في عبارات منثورة واضحة قائمة على التقرير العلمي المنظم ليستطيع الشرح والتدليل ثم ليسهل على الناس الأخذ عنه بدلاً من هذا الاغراب اللغوي والتعقيد اللفظي الشاذ .

ولكن أبا العلاء شاعر منذ حين فهل أبت عليه طبيعته ان يترك فنه الأول ؟ وإذا صح ذلك وكان لا بد من وصله بالفلسفة . . فما معنى هذا الترصيف اللغوي والبديعي ؟ ! هذا التعقيد إنما يعجب به الكلفون بحل المعميات اللغوية والذين يعطفون على ابي العلاء ولكنه إعجاب إلى حين يجد الجد وتطلب المعاني لدرسهـا ونقدها فاذا بهم يضيقون به ويعدون حائلا صفيقاً بينهم وبين ما يبغون وأبسط قوانين البلاغة ألا يحول اللفظ دون المعنى وان يوفر جهد القارئ لدرس الافكار وإدراك الصور لا غير ، فاللغة في

باب الفلسفة وسيلة خالصة وهي في الشعر جزء من الغاية على شرط ان تكون غاية من ناحية الوضوح والجمال لا من ناحية الاغراب والتعقيد .

وإذا كان قد سلم لأبي العلاء في لزومياته قطع تحققت فيها المزاوجة بين المعاني الفلسفية والصياغة الفنية فإنها قليلة في هذا الديوان الضخم ، بحيث لا تضفي على صاحبه صفة الشاعر ، إذ غلب عليها التقرير والسرد ، والتكرار والوعظ حتى عاد ديوان نظم . . . وليته ديوان نظم فلسفي خلا من هذه الكلف الكثيرة .

(٦) والذي فات أبا العلاء ، فلم يُعن به ، أن الفلسفة بقيت في ديوانه هذا عارية في الغالب لم يلبسها ثوباً فنياً من أسلوب الشعر كما حاول هو في بعض سقط الزند وكما حاول من سبقه إلى حد كبير . . إذاً ، لبقيت للأسلوب روعته وقوته وذهب عنه الابتذال . والغريب ، أو الطبعي ، أن هذه الكلف نجدها في اللزوميات ولا سيما التكرار المنظومة كما نجدها في اللزوميات المنثورة — أعني الفصول والغايات — وفي اللزوميات المنظومة والمنثورة معاً (ملقى السبيل) فالأفكار معادة فيها جميعاً .

وقد أربى ابو العلاء على سابقيه في استخدام المصطلحات العلمية واتخاذها أقيسة وبراهين ليس فيها جمال الشعر وإن كان فيها تظرف النحويين والفقهاء .

لم أنس أن هناك نوعاً من الشعور يحسه قارئ اللزوميات دائماً ولكنه شعور مصدره العطف على المعري ، وجانب الحياة الحزين الذي سيطر عليه فغشى به آثاره ، وهذه المعاني الحكمية السليمة . .ولكن متى كان الحزن واليأس والفشل غاية الأديب ؟ ومتى كانت الفلسفة سلبية دائماً هدامة ؟

— ٥ —

أمامنا الآن — في باب النظم العلائي — سقط الزند الذي يعد ديوان شعر ابي العلاء ثم اللزوميات ديوان فلسفته ، فأيهما يعد نصه الأصيل ؟ وبعبارة أخرى هل أبو العلاء شاعر او فيلسوف ؟

يذكره فريق من المستشرقين شاعراً فيلسوفاً وان اختلفوا بعد ذلك في تقدير مكانته ولا سيما في الناحية الفلسفية .

يرى نيكلسون Nicholson أنه شاعر فيلسوف سجل في آثاره ميول التشاؤم والحيرة لعصر الانحلال الاجتماعي والفوضى السياسية .

وفون همر Von Hammer يعده شاعراً كأبي تمام والبحتري والمتنبي ويميزه بالفلسفة . وأما فون كريمر Von Kremer الذي عني بدرس اللزوميات فإنه يعد أبا العلاء من أعظم الأخلاقيين « فلاسفة الأخلاق Moralists » وان رأى فيه مرجليوث رجلا شاكا حيران . اراؤه سلبية . وليست أخلاقياته شيئاً بجانب ما أصيب به من شك ويأس ثم يعود نيكلسون Nicholson فيلاحظ ان آثاره خالية من المنهج الفلسفي وان أفكاره شتيت غير منسق . احتواها نظم معقد . لا تخلو من تناقض (١)

أما طه حسين فيرى أنه قد كان فيلسوفاً حقا (٢) وقد أوضح هذا الجانب وبين آراء المعري في كثير من المسائل الفلسفية بناء على مااستخرجه من اللزوميات وهي مسائل تدخل في أبواب الفلسفة الطبيعية أو العلم الادنى والفلسفة الرياضية أو العلم الاوسط والفلسفة الالهية أو العلم الاعلى ثم الفلسفة العملية . وبين مصادر هذه الفلسفة وردها الى الحياة والفلسفة اليونانية والهندية والفارسية ثم إلى الكتب الدينية على اختلافها . . . وهكذا دخل أبو العلاء مجال الدراسات الفلسفية على أنه فيلسوف نظم فلسفته في اللزوميات ونثرها في الفصول والغايات وفي بعض الرسائل ومع ذلك فهناك مآخذ على أبي العلاء الفيلسوف :

(١) أول ذلك أن أبا العلاء لم يبتكر شيئاً في الفلسفة يعد رأيه أو مذهبه أثر به في مجراها العام فان فلسفته إما مأخوذة من أصول قديمة اختارها وآمن بها وإما تأملات في الحياة مردها مالقي من تجارب وأحداث انتهت به إلى مثل

(١) راجع Nicholson · Literary History of the Arabs pp - 315 - 320 .

(٢) ذكرى أبي العلاء ص ٣٣٠ ط ١٩١٥ م

ما انتهت اليه عند الناس فكانت أفكاراً عامة . . ومهما يكن له من تسجيل لها وخضوع في حياته لسلطانها . . فهذه أقل درجات الفيلسوف .

(٢) ثاني ذلك حيرة أبي العلاء وتردده بين الآراء دون أن يقطع برأي في بعض المسائل أوفي رءوسها لذلك دعي عند بعض الأقدمين والمحدثين شاكا ، يؤمن بالعقل وينكره . ويقول بالجبر ثم بالاختيار ، ويتمنى الموت ويفزع منه ، وينتظر البعث ويسخر به .. ولايرد على ذلك اصطناعه التقية والتعمية على الناس ، فهذا ليس شأن الفيلسوف على أن التردد إنما ينتاب الانسان أول الامر ولا يلازمه . . والاصار لا أدريا .

(٣) ثالث ذلك طريقة الاداء وهذه لم تكن فلسفية بحال فقد رأينا أنه نظم فلسفة أو أختار النظم ليقيد بها آراءه والاصل أن تنثر الفلسفة إذ كان النثر لغتها الطبعية ولا يقال إنه نثرها في الفصول والغايات فإن هذا الكتاب أيضاً ليس إلا لزوميات نثرية أصابه من ضروب الإغراب والتعقيد والصنعة ما أصاب زميله . ومهما يعتذر أنصار المعري لهذه الكلف وذاك الغموض فإنها يقللان من قراء المعري وتلاميذه .

وهناك أمر آخر يتصل بطريقة الاداء هو تشتت الافكار وانتثارها هناوهناك بحيث لا تجتمع الافكار المترابطة في باب . هي آراء قد تتفق وقد تتخالف مع ذلك مما يشبه للناس ان آراء المعري خطرات طارئة . بصرف النظر عن قيمتها الذاتية .

هذه الاعتراضات معناها ان الناس ينقمون من أبي العلاء انحرافه عن السبيل الطبعية وتعقيده حياته وأدبه وخضوعه لنوع من الانتكاس في عزلته .

ولكن هذا في الحقيقة أسف غير نافع . وخير لنا أن ننظر الى ابي العلاء كما وجد وان ننتفع به في حدود ما هيء له دون أن نرجو منه مثالا لم تحققه الأيام .

ونتيجة ماسبق ان ابا العلاء متفلسف . وأن إطلاق لفظ الفيلسوف عليه يجب أن يفهم على وضع خاص هو انه درس الفلسفة واصطنعها في حياته لا انه ابتكر في الفلسفة أو أخضعها لسلطانه .

رفع المسيهما

— ٦ —

وفي الجانب الشعري يرى كثير انه شاعر ممتاز وربما عده بعضهم خير شعراء العربية مؤيدين دعواهم ببراهين :

منها انه الشاعر العربي الفذ الذي استطاع أن ينظم الشعر الفلسفي أو يزاوج بين الشعر والفلسفة مزاوجة نادرة . في قسم من شعره حفظت للشعر قيمته وللفلسفة شيوعها وسلطانها ذلك في شبابه وأما شيخوخته فقد أثمرت لنا اللزوميات . وفيها مقطوعات هي مثل في معانيها وعبارتها على الرغم مما قيدت به من لوازم .

ومنها صدق شعره الذي يصور حياته العقلية والعاطفية تصويراً صحيحاً لارياء فيه . وصار الدارس غير محتاج إلى مصدر آخر يصحح به هذا المصدر الأصيل لفهم ابي العلاء ومنها انه نزه شعره عن الاتجار به في سوق المديح فحفظ لفنه مكانته . وهذه المسألة وان كانت شكلية ولكن لها قيمتها في فن الشعر أيضا متى حفظت له حريته وصدق شعوره وفتح بابه للفلسفة ليكون فنا نافعا جميلا .

ومع ذلك فهناك من ينكر على أبي العلاء شاعريته :

يقول ابن خلدون في معرض التعريف بالشعر ووجوب جريه على أساليب العرب المعروفة للشعر : « كان الكثير ممن لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الادبية يرون أن نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر في شيء لأنها لم يجريا على أساليب العرب . (١)

ويقول : « ولا يكون الشعر سهلا الا إذا كانت معانيه تسابق ألفاظه إلى الذهن ولهذا كان شيوخنا رحمهم الله يعيبون شعر أبي بكر بن خفاجه شاعر شرقي الاندلس لكثرة معانيه وازدحامها في البيت الواحد كما كانوا يعيبون شعر المتنبي والمعري بعدم النسج على الاساليب العربية كما مر فكان شعرهما كلاما منظوما نازلا عن طبقة الشعر والحاكم بذلك هو الذوق (٢) »

(١) المقدمة ص ٦٥٠ ط التقدم (٢) نفس المصدر ص ٦٥٦

وقبل ذلك قال ابن رشيق إن الفلسفة باب آخر غير الشعر لأنه يقوم على التصوير والتأثير ومرد هذا كله ، هنا ، ان المعري في اللزوميات ناظم لا شاعر لخروجه على الأساليب العربية لفن الشعر وإقحامه الفلسفة والحكمة فيه بدرجة جاوزت المألوف بل بدرجة أحالته نظماً ليس من الشعر في شيء .

ومعنى الأساليب العربية عند ابن خلدون هو الطبيعة التي جرى عليها الشعر العربي منذ نشأته إلى عهد أبي تمام ثم المتنبي والمعري . وهي طبيعة غلب عليها جمال التصوير وحسن التعبير المفضيان بالشعر إلى أن يهز النفوس ويحرك الطباع ومثال ذلك عند هؤلاء النقاد هو البحتري وأما المتنبي والمعري فقد خرجا على هذه الاساليب بما أكثرا من الحكمة في الشعر أولا . ثم بما ادخلاها عارية أوتكاد محافظة على قوالبها العلمية التقريرية ثانيا فعاد بها قولهما نظما ليس من الشعر في شيء .

هذا المقياس كما قلنا ليس بخاطيء إلا من ناحية ضيقة وقصوره عن الشمول ولا سيما حين مثلوه بالبحتري تاركين سلسلة أبي تمام وصاحبه . فالشعر مقبول لحسن تصويره وجمال تعبيره كما هو الشأن عند البحتري . ولكنه مقبول أيضاً لسلامة تفكيره وقوة أسلوبه كما هو الشأن عند الآخرين . . فهذا وجه . وأما ناحية التأثير التي جعلوها مقياسا لجودة الشعر فلا شك أنها تتوافر في شعر أبي تمام والمتنبي وقسم من شعر أبي العلاء .

المسألة ، إذاً ، مسألة هذه الفلسفة العلائية واحتلالها ميدان الشعر فأما إلى حدّ اتصالها بالشعر فهذا شيء طبعي بل هو الاصل وإنما الكلام بعد ذلك في مسألة الكم والكيف . أي إلى أي مدى يتسع لهاهذا الفن الرفيع ؟ وكيف يستسيغها أو كيف يعرضها على القراء ؟

لا شك أن كثرتها تؤثر في جمال الشعر وقوة تأثيره وخير أن يأخذ منها هذا الفن باعتدال ، لا يقل حتى يعود الشعر صوراً وعبارات فقط كما قال الأقدمون ولا يكثر حتى يعود الشعر نظماً ثقيلاً مملولا . . على أن المسألة في الحقيقة مسألة الكيف وهي طريقة العرض فان كانت الفلسفة عارية خالصة

تقريرية كانت النتيجة ذلك النظم الذي يضيق به الناس جميعاً ويتجاوز دائرة الشعر ، وإن كانت معروضة في صياغة فنية ، بحيث تذوب الآراء في أساليب الفن فانها تكسبه قوة ولا تفقده الجمال .

ولا شك أن الأقدمين كانوا على صواب حين وجهوا نقدهم الى اللزوميات أو الى كثرتها على أساس المقياس الشعري فوجدوا فيها رسما فلسفيا وقيوداً لغوية عروضية بديعية يمقتها الشعر ويمجها الذوق . . ولكنهم لم يضعوها على مقياس النظم الفلسفي ، ولعلهم ـ لو فعلوا ـ كانوا يرون فيها رأياً آخر أدنى إلى الانصاف وأقرب الى مزاج أبي العلاء وما أحاط به من مؤثرات . وعلى كل فهذا رأي القدماء في شعر أبي العلاء ، وهذا ما نراه نحن بحيال ما رأوا ، فهل هذا كل ما يؤخذ على أبي العلاء في لزومياته ؟

هناك مآخذ أخرى متصلة بأبي العلاء الشاعر . فاذا أخذنا اللزوميات جملة لاحظنا هذا التكرار الكثير الذي يصرف القارئ ويخيل إليه ان المعري ضيق المادة الفكرية ، وقد يكون من دواعي هذا التكرار اضطرار أبي العلاء أن يملأ فصول ديوانه التي أدارها على حروف الهجاء وحركاتها الاربع . ولكن متى كان التعقيد مبرراً للتكرار ؟ ومتى كان عيب يسيغ عيبا ؟ وهناك التشاؤم الذي يطبع هذا الديوان طابعاً أسود ويشوه الحياة أمام الناس : أيصلح أن يكون مادة لديوان كامل ، أم أن وظيفة الشعر تهذيب النفوس وحملها على الرضا واحتمال الحياة وإشاعة البهجة والسرور ، أم أن شيئاً من البكاء لازم لتصفية النفوس وتحقيق الاتزان في الحياة وبخاصة اذا كان ذلك عن طريق هذا الفن الرفيع ؟ مهما نقل من ذلك أو نبرره بأن وظيفة الشعر هي التعبير لاغير ، فان أبا العلاء ساخط حزين نخشى أن يبعث اليأس في النفوس ، ويسلط عليها الأمل الضائع ، والألم المقيم. وقد ذكرنا هذا التعقيد اللغوي والعروضي والبديعي . وما قد يجوز على المعنى فيقصر أو يبتر في سبيل هذه اللوازم ، وانما نلاحظ مع ذلك أن معاني أبي العلاء المتناثرة التي حشدها في لزومياته أحالت قصائده مجموعات من الأبيات المتناثره أيضاً ، بحيث لا نجمعها ، في الغالب ، إلا وحدة البحر والقافية . وبحيث أثر ذلك على وحدة القصيدة وتنسيقها العام .

رفع المسيهما

هذه المآخذ تؤثر حتماً في مكانة المعري الشاعر . وتجعلنا نسأل أنفسنا : هل تكفي بعض قصائد في سقط الزند لتضع أبا العلاء في صف الشعراء الممتازين ؟ هل نستطيع أن نعد اللزوميات ديوان شعر وبها يكون أبو العلاء من رجال هذا الفن الرفيع ؟ وهناك مستشرق آخر هو الاستاذ — دي بور De Bœr — تناول أبا العلاء الشاعر الفيلسوف فقال : « غلا البعض في رفع شأن أبي العلاء المعري (٩٧٣ — ١٠٥٨ م) فعدوه شاعراً فيلسوفاً وجعلوه في مكانة لايستحقها . نعم لأبي العلاء في بعض الاحيان آراء معقولة وعواطف خليقة بكل احترام ولكنها ليست فلسفة . وليس القالب الذي صيغت فيه ، بما فيه من تكلف وبما يغلب عليه من ابتذال ، بالذي يسمو إلى منزلة الشعر ، ولو أن أبا العلاء عاش في ظروف خير من التي عاش فيها [كان ضريراً ولم يكن غنياً] لكان من المحتمل أن يقدر على الاجادة في شيء من النقد الاولي الذي يقوم على نقد الألفاظ ، وهو ، بدلاً من أن يدعو إلى محبة الحياة ، دعا إلى الزهد في ملذاتها ، وكان متبرماً بالأحوال السياسية بوجه عام ،وبآراء العامة في الدين، وبمزاعم الخاصة في العلم . غير انه لم يستطع أن يأتي في ذلك بجديد . ويكاد ابو العلاء يكون خلواً من كل مقدرة على ربط الاشياء بعضها ببعض . لقد كانت له مقدرة على التحليل ، أما التركيب ، فليس له منه نصيب . وتعاليم ابي العلاء عقيمة ، وعلمه كشجرة أصلها في الهواء كما قال هو في بعض رسائله وان لم يقصد أن يقول ذلك عن نفسه (١) »

لاشك ان دي بور وقف عند اللزوميات وأخذها جملة على أنها ديوان شعر ، ثم كان مثالياً في نقد أبي العلاء الفيلسوف الشاعر .

— ٧ —

والآن نجد أبا العلاء حيران بين الشعر والفلسفة ، فأين نضعه ؟

قد يكون من السهل أن نجمع له بين الوصفين . فنعده فيلسوفاً لهذه الآراء التي أشرنا إليها ، ونعده شاعراً لقصائد في سقط الزند ومقطوعات من اللزوميات.

(١) تاريخ الفلسفة في الاسلام ص ٧٧ من الترجمة العربية .

رفع المسيهما

وقد يكون من الجائز أن ننفي عنه الوصفين ، لقلة روائعه الشعرية مع كثرة آثاره النظمية فلا يكون من الشعراء المعدودين ، وان نقف عند تردده وعدم ابتداعه، فلا نعده من الفلاسفة الأولين .

ولكننا نعود فنسأل : لم يقرأ المعري ؟ ألأسلوبه الفني الرائع أم لأفكاره وتأملاته ؟

لاشك أن الناس يقرأون أبا العلاء في الاصل والاكثر لجانبه الفكري ، وحكمه الخالدة وشكوكه الرائعة . فهذا هو السبب الأساسي لإقبال الناس عليه وصبرهم على لزومياته .

ونتيجة ذلك :

أننا إذا قسنا أبا العلاء بمقياس مثالي كان أبو العلاء متفلسفاً .

وأما إذا حكمنا عليه بمقياس مقتصد فإنه يكون فيلسوفاً .

القاهرة في { أول شوال سنة ١٣٦٣ هـ / ١٨ من سبتمبر سنة ١٩٤٤ م

أحمد الشايب

رفع المسهم

الحفلة الثانية

في دمشق

لما انتهت الحفلة الخطابية الاولى عاد أعضاء المهرجان إلى فندق (اوريان بالاس)، حيث اقام المجمع العلمي لهم مأدبة عشاء دعا اليها أعضاء الحكومة والوزراء السابقين وعلماء دمشق وأدباءها ووجهاءها .

وفي اليوم الثاني أعد المجمع برنامجاً لزيارة الأماكن الأثرية في دمشق ؛ فبكر أعضاؤه إلى الفندق ، وصحبوا الوفود الى متحف دمشق ، والجامع الأموي ، ودار المجمع العلمي العربي ، ودار الكتب الظاهرية ، وقبر صلاح الدين الأيوبي ، وجامع الشيخ محي الدين بن العربي ، والبيمارستان القيمري .

ولما انتهت الزيارة عاد أعضاء المهرجان الى فندق (اوريان بالاس) لحضور وليمة الغداء التي أقامها وزير المعارف تكريماً لهم .

وما ان حان موعد الحفلة الخطابية الثانية في الساعة الخامسة بعد الظهر حتى توافد المدعوون إلى الجامعة السورية . وكان اقبال الناس على هذه الحفلة لا يقل عن اقبالهم على الحفلة الاولى. و كانت الخطب تذاع من محطة دمشق ، وتنقل بمكبرات الصوت الى الاماكن البعيدة . أما برنامج الحفلة الثانية فقد كان على الوجه الآتي :

١ — الأستاذ أحمد أمين : سلطان العقل في نظر المعري
ممثل كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول
ومجمع فؤاد الأول

٢ — الأستاذ محمد اسعاف النشاشيبي : التفاؤل والأثرية عند المعري
عضو المجمع العلمي العربي

رفع المسهم

٣ – الاستاذ محمد البزم : ابو العلاء « قصيدة »
عضو المجمع العلمي العربي

٤ – الأستاذ ألفريد غليوم : المعري في نظر المستشرقين
من جامعة اكسفورد

٥ – الاستاذ عارف النكدي : المعري من الوجهة الاصلاحية
عضو المجمع العلمي العربي

وقد تخلل هذه الحفلة دور موسيقى غنت فيه فرقة الاذاعة بدمشق قطعة من شعر أبي العلاء . وهي :

يا ساهر البرق أيقظ راقد السمرِ لعل بالجزع أعواناً على السهرِ
وان بخلت عن الأحياء كلهم فاسق المواطر حياً من بني مطر
ويا أسيرة حجليها أرى سفهاً حمل الحلي لمن أعيا عن النظر
ما سرت الا وطيف منك يصحبني سرى أمامي وتأويباً على أثري
لو حط رحلي فوق النجم رافعه وجدت ثم خيالاً منك منتظري
يود أن ظلام الليل دام له وزيد فيه سواد القلب والبصر

ولما انتهت الحفلة الخطابية دعي أعضاء المهرجان الى حفلة عشاء أقامها المجمع العلمي في حديقة المتحف حضرها الوزراء ورؤساء المعاهد العلمية ورؤساء المحاكم وكبار الأساتذة والموظفين .

وفيما يلي نص الخطب التي القيت في هذه الحفلة :

جميل صليبا

رفع المسهم

سلطان العقل عند ابي العلاء

يرى القارئ لتراث أبي العلاء — وخاصة اللزوميات — اشادة بالعقل واعترافاً بقوة سلطانه فهو أعز ما وهب الانسان .

والعقل أنفس ما حبيتَ وان يُضَع يوماً يَضَعْ، فغوى الشراب وما حلب

وهو الهادي الوحيد لمعرفة الخير والشر والحق والباطل فلا حاجة الى انتظار امام معصوم يرشد الناس الى ما يعمل وما يترك فالعقل كفيل ببيان ذلك كله .

يرتجي الناسُ أن يقوم امام ناطق في الكتيبة الخرساء

كذبَ الظنُّ لا امام سوى العقـــل مشيراً في صبحه والمساء

ولكن الناس في كل زمان ما قدروا العقل قدره ولا وفوه حقه ولا عرفوا كيف ينتفعون به .

ما كان في هذه الدنيا بنو زمن الا وعندي من أخبارهم طرف

يخبر العقل أن القوم ما كرُموا ولا أفادوا ولا طابوا ولا عرفوا

عاشوا طويلاً وماجوا في ضلالتهم ولا يفوزون ان جوزوا بما اقترفوا

بالعقل والتفكير الصحيح تنقشع الغيوم وتنجاب الظلماء وتهون الصعاب وتنكشف الحقائق .

اذا تفكرت فكراً لا يمازجه فساد عقل صحيح هان ما صعبا

خذوا في سبيل العقل تُهدَوْا بهديه ولا يَرْجوَنْ غيرَ المهيمن راج

ولا تطفئوا نور المليك فانه ممتعُ كلِّ من حجىَ بسراج

فكروا في الأمور يكشف لكم بعـــضُ الذي تجهلون بالتفكير

والدنيا مملوءة بالتجارب ولكن التجارب طير اختبأ في عشه انما يستطيع أن يصيده من منح العقل والعمر

ان التجارب طير تألف الخرا يصيدها من أفاد اللب والعمرا

والعقل هو المرآة الصادقة ترى فيها الحقائق ، لا كلام الناس والاخوان

أرى اللب مرآة اللبيب ومن يكن مرائيه الاخوانُ يُصدَقْ وُيكذبِ

وانما يقيد العقل ويمنعه عن ادراك الحق والعمل به ما ركب فيه من طبع وشهوات فالعقل مغلولاً بالشهوات كالشمس يحجبها الغمام .

تحارب الطبعُ الذي مزجت به مهجُ الأنام ، وعقلهم ، فيغله

ويظل ينظر ، مـــا سناه بنافع كالشمس يسترهـا الغمام وظله

حتى اذا حضر الحِمام تبينوا ان الذي فعلوه جهل كله

واللب حارب فينا طبعاً يكابد حرْبه

* * *

والعقل أحسن هاد لفعل الخير وترك الشر وخير الخير ما أتاه صاحبه لأنه جميل لا رغبة في مثوبة ولا خوفاً من عقوبة

عليك العقلَ وافعل ما رآه جميلاً فهو مُشتارُ الشوار

ولا تقبل من التوراة حكماً فان الحق عنهـا في توَارِ

فلتفعل النفس الجميل لأنه خير وأحسن لا لأجل ثوابها

وأخيراً فالعقل نبي صادق من اتبعه رشد ومن صد عنه غوى

أيها الغر ان خُصصت بعقل فاسألنه فكل عقل نبيُّ

وهكذا وهكذا ملئت اللزوميات بهذه المعاني وكررت على أشكال مختلفة نكتفي منها بهذا المثل لندل به على قيمة العقل في نظره وسلطانه والاعتداد به ولننظر بعد كيف استخدمه

لقد حمل على نضج عقل أبي العلاء ذكاؤه الفطري واطلاعه على الفلسفة اليونانية وصداها في الفلسفة الاسلامية وطول تفكيره وتأمله الذي اعانه عليـه وحدته وعزلته وتجرده من شواغل الدنيا ما استطاع .

وفي الفلسفة اليونانية لون زاه من ألوان العقلية والعقليين الذين يرون للعقل الحق المطلق في الحكم على الاشياء والبرهنة على صحتها أو بطلانها ولا يؤمنون بشيء ، ولا عقيدة ولا تقاليد ولا مواضعات الا اذا قام البرهان العقلي

على صحتها ومالم يقم البرهان العقلي عليه لايسلمون به مهما كانت السلطة التي تجيء به — وبذلك أخضع هؤلاء اليونانيون كل شيء للعقل وسلطانه ، فكما خلقوا العلوم الرياضية بعقولهم كذلك خلقوا الفضائل والرذائل بعقولهم وقرروا النظم الاجتماعية وأشكال الحكم السياسية بعقولهم من غير ان تمليها عليهم أية سلطة خارجية فالعالم عندهم عالم عقلي والانسان ضال مالم يكتشف قوانين نفسه وقوانين الطبيعة حوله يفعله ويسر على القوانين التي توائم بين نفسه والعالم الخارجي كما يرشد اليه عقله . قرأ أبو العلاء هذا وتأثر به تأثراً عميقاً يدل عليه ماأشرنا اليه قبل من تمجيد للعقل وسلطانه ولكنه من ناحية أخرى نشأ في الاوساط الدينية وقرأ تعاليمها وتعمق مبادئها وهي تقضي بأن وراء العالم المادي المنظور عالماً روحانياً غير منظور ، وإن كان السلطان في عالم المادة للقانون الطبيعي يدركه العقل فالسلطان في عالم الروح حق وان كانت آلة العالم المنظور وادراك قوانينه هو العقل فآلة العالم الروحي وادراك قوانينه هو الوحي وفي هذا العالم الروحاني الله لا العقل هو مصدر التشريع وهو المرشد الى الفضائل والرذائل وهو واضع الشعائر الدينية وهو الذي ربط بها الثواب والعقاب وعلى الانسان ان يطيع أوامر الدين ولو لم يهتد الى بعضها العقل لأن قوة العقل في الانسان محدودة ووراء قوة العقل قوة الوحي

هاتان الصورتان — الصغيرتان جداً — اذا انعكستا في النفس سببتا الحيرة والاضطراب والقلق وقلما يسلم من قلقها الا من ألحد جداً فلم يخضع الا لحكم العقل أو آمن جداً فأسلم عقله لأيمانه وهناك أصناف من المذاهب الدينية والفلسفية أرادت التوفيق بين هاتين الصورتين بأشكال مختلفة مما ليس مقصدنا الآن .

فلننظر الى ابي العلاء المعري كيف وقف من هاتين الصورتين ، كيف كان موقفه من سلطان العقل وسلطان الدين

لقد أعلى شأن العقل كما رأينا وأراد ان يستخدمه على طول الطريق فبدأ ينقد به العادات والتقاليد ونظام الحياة الاجتماعية في عصره فكان في ذلك موفقاً كل التوفيق .

لقد نقد الملوك والأمراء لأنهم بوضعهم العقلي خدام الأمة .

رفع المسهم

إذا ما تبينا الأمور تكشفت لنا وأمير القوم للقوم خادم

فما بال هؤلاء الخدام يعدون عليها ويظلمونها

مل المقام فكم أعاشر امة أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها وعدوا مصالحها وهم اجراؤها

وهم يصدرون من الاوامر مالا يتفق والعقل والعدل ثم ينفذون ما يأمرون بقوتهم وسلطانهم لا باقناعهم فاذا نفذ أمرهم قيل ما اسوسهم

يسوسون الامور بغير عقل فينفذ امرهم ويقال ساسه
فأف من الحياة وأف مني ومن زمن رياسته خساسه

وهؤلاء المسلطون على الناس لاعقل لهم ولاعدل عندهم شياطين في ثياب ولاة لا يهمهم جوع الناس اذا ملئت بطونهم وخمرت رءوسهم

ساس الانام شياطين مسلطة في كل مصر من الوالين شيطان
من ليس يحفل خمص الناس كلهم ان بات يشرب خمراً وهو مبطان

وحول هؤلاء الولاة بطانة قد جمدت عواطفهم كأنها الحجارة أو اشد قسوة لايرحمون دمعة مظلوم ولاصرخة مستغيث

يجور فينفي الملك عن مستحقه فتسكب أسراب العيون الدوامع
ومن حوله قوم كأن وجوههم صفاً لم يلين بالغيوث الهوامع

والقضاة لا عقل ولاعدل

وأي امريء في الناس ألفي قاضياً فلم يمض أحكاما كحكم سدوم

وفقهاء صناعتهم الكلام ولا روح ولا أحلام

كأن نفوس الناس والله شاهد نفوس فراش مالهن حلوم
وقالوا فقيه والفقيه عموه وحلف جدال والكلام كلوم

ووعاظ يقولون مالا يفعلون ويأتون ما ينكرون

رويدك قد غررت وأنت حر بصاحب حيلة يعظ النساء
يحرم فيكم الصهباء صبحاً ويشربها على عمد مساء

وشعراء ليسوا الا لصوصاً يعدون على من قبلهم في سرقة أقوالهم ويعدون على الا غنياء بمديحهم لسلب أموالهم

رفع المسيهما

وما شعراؤكم الا ذئاب تلصص في المدائح والشباب
اضر لمن تود من الأعادي وأسرق للمقال من الزباب (١)

وقوم تسودهم الخرافة فيلجئون الى المنجمين والعرافين والمعزّمين وما لهؤلاء بذلك من علم ولكن شباك تنصب لاستدرار الأموال من المغفلات والمغفلين

متكهن ومنجم ومعزّم وجميع ذاك تحيل لمعاش

لقد بكرت في خفها وازارها لتسأل بالأمر الضرير المنجما
وما عنده علم فيخبرها به ولا هو من أهل الحجا فيرجما
ويوهم جهال المحلة أنه يظل لأسرار الغيوب مترجما
ولو سألوه بالذي فوق صدره لجاء بعين أو أرَمَّ وجمجما

سألت منجمها عن الطفل الذي في المهد كم هو عائش من دهره
فأجابها مائة ليأخذ درهماً وأتى الحمامُ وليدها في شهره

وبعد أن تقدم طبقات، من الملوك الى القضاة الى الوعاظ الى التجار الى النساء نقدم جملة، فكل الناس في كل زمان ومكان لا يصلحون الا للفناء

وهكذا كان أهل الأرض مذ فطروا فلا يظن جهول أنهم فسدوا

لو غربل الناس كيما يُعدَموا سقطاً لما تحصل شيء في الغرابيل
أو قيل للنار خصي من جنى، أكلت أجسادهم وأبت أكل السرابيل

يحسن مرأى لبني آدم وكلهم في الذوق لا يَعذُب
ما فيهمُ بر ولا ناسك الا الى نفع له يَجذِب
أفضل من أفضلهم صخرة لا تظلم الناس ولا تكذب

وسبب فسادهم أنهم منحوا العقل فلم يصغوا اليه ولم يلتفتوا له وتجاذبهم عقل يرشد وطبع يُغوي فجروا وراء طبعهم وبصقوا على عقلهم

فأوسع بني حواء هجراً فانهم يسيرون في نهج من الغدر لاحبِ

---

(١) الزباب : الفأر العظيم

وان غير الأثم الوجوه فما ترى لدى الحشر الا كل أسودَ شاحب
إذا ما أشار العقل بالرشد جرهم الى الغي طبع أخذه أخذ ساحب

واللب حاول أن يهذب اهله فاذا البرية مالها تهذيب
من رام إنقاء الغراب لكي يرى وضح الجناح اصابه تعذيب

الى الله اشكو مهجةً لا تطيعني وعالم سوء ليس فيه رشيد
حجىً مثل مهجور المنازل دائر وجهل كمسكون الديار مشيد

العقل ان يضعف يكن مع هذه الدنـ يا كعاشق مومس تغويه
أو يقو فهي له كحرة عاقل حسناء يهواها ولا تهويه

فطبعك سلطان لعقلك غالب تداوله أهواؤه بالتشصص
سقيت شرابا لم تهنأ ببرده فعنيت من بعد الصدى بالتغصص

وهكذا أفاض في نقد المجتمع ومظاهره ونظمه وأخلاقه وكان في ذلك موفقاً كل التوفيق ومظهر توفيقه أنه استطاع في مهارة أن يدرك عيوب المجتمع في جملته وتفصيله ويعالج ظواهرها ويعمق في النفس الانسانية في دقة وتحليل ومظهر توفيقه أيضاً أنه لم يتناقض في هذا الباب ولم يضطرب ولم يمجمج وجرى على وتيرة واحدة في صراحة ووضوح وانسجام

وسبب نجاحه في هذا أمران ـ الاول ـ ان الامور الاجتماعية والاخلاقية التي نقدها هي في صميم اختصاص العقل فالعقل أداة صالحة لربط الاسباب بالمسببات والأمور الاجتماعية والاخلاقية تجارب تحدث فتحدث نتائجها تظلم الملوك والحكومات فتسوء حال الأمة وتعدل فيصلح حالها وللوعاظ غاية هي ارشاد الناس من طريق اعطائهم المثل بانفسهم والدعوة الى الخير بألسنتهم فاذا لم تتحقق هذه الامور فالوعاظ شر وهكذا فكل ما نقده أبو العلاء من هذا القبيل داخل في دائرة العقل والتجارب ، والاخلاق العقلية التي قررتها الفلسفة اليونانية هي بعينها تقريباً الاخلاق الدينية لأنها أيضاً نتيجة تجارب لصالح المجتمع وقد نقدت مظاهر المجتمع والاخلاق من قبل أبي العلاء كما فعل

ابن المقفع مثلا ولكن مهارته كانت في ابرازها ابرازاً فنياً رائعاً — والسبب الثاني في نجاحه في هذا الباب أن ناقد هذه الامور متمتع بكثير من الحرية فلا لوم على أحد اذا نقد المجتمع و نقد الاخلاق بل ان الناس يصفقون للناقد ويعلون شأنه لأنه يدعوهم إلى الكمال المحبب إليهم من أعماق نفوسهم لذلك صرّح بكل مايريد في هذا الباب وهو آمن مطمئن فنجح .

بعد هذا انتقل خطوة أخرى في النقد أدق وهي تحكيم عقله في المسائل الدينية الشرعية الفرعية مثل اليد كيف تودى بخمسمائة دينار وتقطع في ربع دينار.

تناقض مالنا إلا السكوت له وأن نعوذ بمولانا من النار

يدٌ بخمس مئين عسجد وُديت مابالها قطعت في ربع دينار

ومثل ان الاسلام جاء لمحو الأوثان والانصاب فكيف عظمت بعض شعائر الحج كاستلام الحجر الأسود وتقبيله ونحو ذلك .

ما الركن في قول ناس لست أذكرهم الا بقية أوثان وأنصاب

إلى نحو ذلك وهذا النوع قد عرض له أناس من أول عهد الاسلام أرادوا أن يحكموا العقل في التعاليم الاسلامية فصدوا كالتي سألت عائشة مابال المرأة تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة فقالت لها عائشة أحرورية أنت ؟ وكالذي روى أن ربيعة الرأى سأل سعيد بن المسيب عن عقل أصابع المرأة ماعقل الاصبع الواحدة قال عشرة من الابل قال فاصبعان قال عشرون قال فثلاث قال ثلاثون قال فأربع قال عشرون قال ربيعة فعندما عظم جرحها نقص عقلها ؟ فقال له سعيد أعراقي أنت ؟ انما هي السنة .

ومن أجل هذا روي عن عليّ أنه قال لو كان الدين بالعقل لكان المسح على باطن الخفين خيراً من المسح على ظاهرهما فجاء أبو العلاء ينقد على هذا النحو فلم يُرتحْ لقوله وردّ عليه الشعراء المتدينون فيما قال .

ثم خطوة أخرى أجرأ وهي عرض الحديث والاخبار الدينية على عقله وصرخته بأن كثيراً منها لايرتضيها العقل سواء في ذلك ما أتى به اليهود أو النصارى أو المسلمون .

رفع المسهم

وجاءتنا شرائع كل قوم على آثار شيء رتبوه
وغير بعضهم أقوال بعض وأبطلت النهى ما أوجبوه

جاءت أحاديث ان صحت فان لها شأناً ولكنّ فيها ضعف اسناد
فشاور العقل واترك غيره هدرا فالعقل خير مشير ضمه النادي

هل صح قول من الحاكي فنقبله ام كل ذاك أباطيل وأسمـــار
أما العقول فآلت أنه كذب والعقل غرس له بالصدق إثمار

ضلت يهود وانما توراتها كذب من العلماء والاحبار
قد أسندوا عن مثلهم ثم اعتلوا فنموا باسناد إلى الجبـــار
وإذا غلبت مناضلاً عن دينه ألقى مقالده إلى الاخبار

مسيحية من قبلها موسوية حكت لك أخباراً بعيداً ثبوتهـا
وفارسٌ قد شبت لها النار وادعت لنيرانها ألا يجوز خبوتهـا
فما هذه الأيام الا نظائر تساوت بها آحادها وسبوتها

تفوّهَ دهركم عجباً فأصغوا إلى ماظل يُخبر ، ياسهود
إذا افتكر الذين لهم عقول رأوا نبأ يُحق له السهود
غدا أهل الشرائع في اختلاف يُنقض به المضاجع والمهود
فقد كذبت على عيسى النصارى كما كذبت على موسى اليهود
ولم تستحدث الايام خلفا ولا حالت عن الزمن العهود

دين وكفر وأنباء تُقص وفر قان ينص وتوراة وانجيل
في كل جيل أباطيل يدان بها فهل تفرد يوماً بالهدى جيل

اذا رجع الحصيف الى حجاه تهاون بالمذاهب وازدراها
فخذ منها بما أداه لب ولا يغمسك جهل في صراها

والناس لا يحكمون عقلهم في دينهم وانما هي تقاليد يتبعونها وعادات يجرون عليها.

وينشأ ناشيء الفتيان منا على ما كان عوده أبوه
وما دان الفتى بحجى ولكن يعلمه التدين أقربوه
وطفلُ الفارسي له وُلاة بأفعال التمجس دربوه

في كل أمرك تقليد رضيتَ به حتى مقالك ربي واحد أحد
وقد أمرنا بفكر في بدائعه وأن تفكر فيه معشر لحدوا
وأهل كل جدال يمسكون به اذا رأوا نور حق ظاهر جحدوا

وقد سبقه المعتزلة إلى تحكيم العقل في الأحاديث وأنكروا منها مالا يتفق والعقل وخاصة « النظام » فقد كان ينكر الحديث في صراحة اذا كان عقله لا يقرُّه ، لا يكتفي في الحكم على الحديث بالوضع اذا ضعف اسناده ولكن أهم من ذلك اذا لم يصبر أمام العقل ولكن أبا العلاء جرؤ على مالم يجرؤ عليه النظام وأمثاله وأراد أن يعرض الأخبار الدينية كلها أحاديث أو غيرها على محك العقل وختم هذه المرحلة بقوله الشديد الجرىء

تقدم صاحب التوراة موسى وأوقع في الخسار من افتراها
فقال رجاله وحي أتاه وقال الآخرون بل افتراها
وما حجي الى أحجار بيت كؤوس الخمر تشرب في ذراها
اذا رجع الحكيم الى حجاه تهاون بالشرائع وازدراها

وقد كذب الذي يغدو بعقل لتصحيح الشروع وقد مَرِضنه

وقد قوبلت أقواله في هذا الباب ببعض السخط ولكنه سار فيه أيضاً بخطى ثابتة غير مضطربة وانما قلت ببعض السخط لأنه صاغها صياغة عامة يحتمل كثير منها التأويل في جانبه

بعد ذلك نأتي الى المرحلة الثالثة في نقده العقلي ، وهي أخطر المراحل واشدها وأوعرها وهي التي تعرض فيها لصميم الدين هل الله موجود أو لا وهل هناك وحي أو لا وهل هناك حياة اخرى أو لا وهل الانسان في هذا العالم مجبور أو مختار — ما الحق في ذلك كله وأين أجده وكيف أجده ؟

هنا كانت تتراءى له الصورتان السابقتان المتعارضتان صورة الفلسفة

اليونانية ومن نحا منحاها وهي التي تصوّر أن العقل وحده أداة المعرفة وهو وحده الذي يستطيع الوصول إلى الحقائق في ذاتها والمعارف التي تصلنا عن طريقه هي وحدها الحق ولا حق غيرها والصورة الدينية التي تصور أن الحق يأتي من الله على لسان أنبيائه وأن مرد الحقّ إلى الوحي لا إلى الفلسفة وأن مركز الحق في القلب لا في الرأس — لم يستطع أبو العلاء التوفيق بين الصورتين ولا أن يكوّن صورة واحدة مؤلفة منهما ولا أن يضع لهذه دائرة اختصاص ولتلك دائرة انما تركهما كما هما يعتركان وكل مافعل أنه كان ينظر أحياناً إلى هذه الصورة فتعجبه ويستلهمها فتلهمه وينظر أحياناً إلى الأخرى فتعجبه ويستلهمها فتلهمه ، ان نظر إلى الأولى ألهمته الحاداً وان نظر إلى الأخرى ألهمته إيماناً ينظر إلى الأولى فيتوقد ذهنه فلا يرى إلا أسباباً ومسببات ومنطقاً ونتائج ومقدمات لاتسلم إلا إيمـــان فينكر وينظر إلى الأخرى فيخفق قلبه ويرهفُ شعوره فيترنح من نشوة الايمان وهو في كلتا الحالتين صادق معبر عن نفسه أصدق تعبير وهذا الموقف ليس بعيداً عن حال كثير من المثقفين في كل عصر فكم منهم يحار ويصدّق ، ويلحد ويؤمن كالنفس تشدو لها أنغاماً حزينة فتحزن وأنغاماً سارة فتسر ، « إن الانسان يطغى أن رآه استغنى » وإذا أدركه الغرق قال آمنت أن لا إله إلا هو وأكثر مؤرخي أبي العلاء يخطئون لأنهم يتصورون في أبي العلاء وحدة الزمان والمكان والفكرة بل يتصورون نفسه الانسانية حجراً لاتعتريه حالات فمن اعتقد ايمانه تأول له أبيات الكفر ومن اعتقد كفره لم يأبه بآيات الايمان والحق أن من أكفره صادق ومن جعله مؤمناً صادق كلاهما يصوّر حالة من حالات نفسه وما أكثر حالات التغير في النفس اليقظة المتوثبة ، ثم هو في حال إيمانه صريح لايحتاج إلى كناية أو مجـاز فهو يتفق وآراء الجمهور وفي حال الحاده مضطر إلى الكناية والمجاز خشية من السوء ومع هذا فقد تستغويه الفكرة فلا يعبأ بالناس ولا يعبأ بموته أو حياته .

لاتقيد لفظي عليَّ فإني مثل غيري تكلمي بالمجاز

وليس على الحقائق كل لفظي ولكن فيه أصناف المجـــاز

اصدق إلى أن تظن الصدق مهلكة وعند ذلك فاقعد كاذباً وقم

لاتخبرن بكنه دينك معشراً شطراً وان تفعل فأنت مغرر

لنعد إلى موقف أبي العلاء من هذه المسائل الاساسية في الدين في ضوء هذا الرأي هل الله موجود ؟ اللزوميات مليئة بالاجابة بنعم .

إذا كنتَ من فرْطِ النسفاه معطلا فياجاحد اشهد أنني غير جاحد
أخاف من الله العقوبة آجلا وأزعم أن الأمر في يد واحد
فأني رأيت الملحدين تعودهم ندامتهم عند الأكف اللواحد

تعالى الله كم ملك مهيب تبدل بعد قصرٍ ضيق لحد
أقر بأن لي رَباً قديراً ولا ألقى بدائعه بجحد

للمليك المذكرات عبيدٌ وكذاك المؤنثات اماء
فالهلال المنيفُ والبدر والفر قدُ والصبح والثرى والماء
والثريا والشمسُ والنار والنثـ ـرَةُ والأرض والضحى والسماء
هذه كلهـا لربك ماعا بك في قول ذلك الحكماء
خلني يا أخيّ أستغفر اللـه فلم يبق فيّ الا الذّماء

ليفعل الدهر مايهمُّ به ان ظنوني بخالقي حسنه
لاتيأسُ النفس من تفضله ولو أقامت في النار ألف سنه

هو الفلك الدوار أجراه ربه على ما ترى من قبل أن تجري الفلك
له العز لم يشركه في الملك غيرهُ فياجهلَ انسان يقول لي الملك
الخ الخ

وأحياناً أخرى تجد له مايجمح به في الانكار كقوله :

أما الاله فامر لستُ مدركه فاحذر لجيلك فوق الارض إسخاطا

متى عرض الحجا لله ضاقت مذاهبه عليه وقد عرضته

هل الكون قديم أزلي كما قال أرسطو أو هو مخلوق فانٍ كما يقول الدين ؟ أحياناً هذا وأحياناً ذاك فمن ناحية يقول :

وليس اعتقادي خلودَ النجوم ولا مذهبي قدمَ العالم

ومن ناحية أخرى يقول :

إذا صح ما قال الحكيم فما خلا زماني مني منذ كان ولا يخلو
أفرّق طورا ثم أجمع تارة ومثلي في حالاته السدْر والنخل

خالق لايشك فيه قديم وزمان على الأنام تقادم
جائز أن يكون آدمُ هذا قبله آدم على إثر آدم

هل الانسان في هذا العالم مجبر أو مختار ؟

أما أكثر شعره فالقول بالجبر

وما فسدت أخلاقنا باختيارنا ولكن بأمر سببته المقادر

جبلة بالفساد واشجة ان لامها المرء لام جابلها

وأحياناً يميل إلى الاختيار ومسئولية الانسان

لا ذنب للدنيا فكيف نلومها واللوم يلحقني وأهل نحاسي
عنب وخمر في الاناء وشارب فمن الملوم أعاصر أم حاسي

وأحياناً يرى التوسط بين الجبر والاختيار

لا تعش مجبراً ولا قدريا واجتهد في توسط بين بينا

هل هناك بعث وحياة أخرى ؟

أحياناً نعم وأحياناً لا

فنعم كقوله

وما انا يائس من عفو ربّي على ما كان من عمد وسهو

أما الحياة فلا أرجو نوافلها لكنني لإلهي خائف راجي

أأصبح في الدنيا كما هو عالم وأدخل ناراً مثل قيصر او كسرى

واني لأرجو منه يوم تجاوزٍ فيأمر بي ذات اليمين الى اليسرى

خلق الناس للبقاء فضلت أمة يحسبونهم للنفاد
انما ينقلون من دار اعما ل الى دار شقوة او رشاد

قال المنجم والطبيب كلاهما لا تحشر الأجساد قلت اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر او صح قولي فالخسار عليكما

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحق لسكان البسيطة ان يبكوا
تحطمنا الأيام حتى كأننا زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

و « لا » كقوله

خذ المرآة واستخبر نجوما تمر بمطعم الأري المشور
تدل على الحمام بلا ارتياب ولكن لاتدل على النشور

مالي بما بعد الردى مخبره قد ادمت الآنف هذى البره
الليل والاصباح والقيظ والـ إبراد والمنزل والمقبره
كم رام سبر الامر من قبلنا فنادت القدرة لن تسبره

دفناهم في الارض دفن تيقن ولا علم بالارواح غير ظنون .

واخيراً هل هناك وحي وانبياء او لا

الجواب ايضاً نعم ولا

فنعم في مثل قوله

ام الكتاب اذا قومت محكمها وجدتها لاداء الفرض تكفيكا
لم يشف قلبك فرقان ولا عظة وآية لو اطعت الله تشفيكا

املة الاسلام ينكر منكر وقضاء ربك صاغها واتى بها

و « لا » في مثل قوله

افيقوا افيقوا ياغواة فانما دياناتكم مكر من القدماء
ارادوا بهاجمع الحطام فأدركوا وبادوا وماتت سنة اللؤماء

قالت معاشر لم يبعث الهكم ... الي البرية عيساها ولا موسى
وانما جعلوا للقوم مأكلة ... وصيروا لجميع الناس ناموسا
ولو قدرت لعاقبت الذين طغوا ... حتى يعود حليف النمي مرموسا

ان الشرائع القت بيننا احناً ... واودعتنا افانين العداوات
وهل ابحت نساء القوم عن عرض ... للعرب الا باحكام النبوات

هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدت ... ويهود حارت والمجوس مضلله
اثنان اهل الارض ذو عقل بلا ... دين وآخر دين لاعقل له
وهكذا وهكذا

لقد فكر ابو العلاء طويلا بعد هذه المرحلة الطويلة واستعرض مافكر وما قال فماذا رأى ؟ رأى تناقضاً في الفكر ، وفي القول ، يسلمه التفكير يوما الى الشيء انه أبيض فيعلنه ثم يسلمه يوما آخر الى انه اسود فيعلنه فاذا هو آخر الامر يعلنه أنه اسود وابيض معاً ومحال ذلك ، أيها الحق اهو اسود ام ابيض ، لابد ان يكون اسود فقط او ابيض فقط أما اسود وابيض معاً فضلال ، وما هذا العقل الذي يسلمني الى الشيء ونقيضه ؟ عند ذلك صرخ من اعماق نفسه بأنه حائر لم يوفق ، ضال لم يهتد وان ليس في الناس من يستطيع هدايته فكلهم اما عاقل لادين له او دين لاعقل له وهو يريد ان يكون ديناً عاقلا ، والمطمئنون الذين استطاعوا ان ينجوا من الحيرة مقلدون لم يؤمنوا عن فكر وعقل فهؤلاء ضالون لتقليدهم وهؤلاء ضالون لحيرتهم فلا امل في هؤلاء ولا هؤلاء ان تجد عندهم هاديا والعقل وما ادراك ماالعقل؟ اسلمت له قيادي فلم يسلم لي قياده ، وآمنت به كل الأيمان وفضلته على كل الاديان وجعلته نبياً من الأنبياء ونوراً يلمع في الظلماء فلم يؤد رسالته ولم ينقع غلته فلا أكفر به كما كفرت بغيره ولا أنكر سلطانه كما انكرت كل سلطة ولا أكسر قيثارتي التي غنيت عليها في مدحه ولا أضع اناشيد اخرى في ذمه فهذا هو الجزاء الوفاق لمن وفيت له فلم يف لي واكبرت شأنه فأصغر شأني وركنت اليه فحيرني جربت النقل فلم اطمئن اليه وجربت العقل فلم اطمئن اليه فلا أرفع علم الشك واعلن ان لايقين .

رفع المسيهما

سألت عقلي فلم يخبر وقلت له سل الرجال فما أفتو ولا عرفوا
قالوا فمانوا فلما ان حدوتهم الى القياس أبانوا العجز واعترفوا

أرواحنا معنا وليس لنا بها علم فكيف اذا حوتها الاقبر

سألتموني فأعيتني اجابتكم من ادعى انه دارٍ فقد كذبا

أصبحت في يومي أسائل عن غدي متحيراً عن حاله متندسا
أما اليقين فلا يقين وانما أقصى اجتهادي ان اظن وأحدسا

وقد عدم التيقن في زمان حصلنا من حجاه على التظني

نفارق العيش لم نظفر بمعرفة أي المعاني باهل الارض مقصود
لم تعطنا العلم أخبار يجيء بها نقل ولا كوكب في الارض مرصود

انما نحن في ضلال وتعليـــــل فان كنت ذا يقين فهاته
ولحب الصحيح آثرت الرو م انتساب الفتى الى امهاته
جهلوا من ابوه الا ظنونا وطلا الوحش لاحق بمهاته

وبصير الاقوام مثلي أعمى فهلموا في حندس نتصادم

لقد تركت الدنيا للدين والنقل للعقل ولذة المادة للذة الروح فلا افدت هذا ولا ذاك واخيراً

رحلت فلادنيا ولادين نلته وما اوبتي الا السفاهة والخرق

عقدة ابى العلاء اتت من عظمته وضعفه نبع من قوته ـ قد منح عقلا قويا دائب النشاط يريد ان يطحن كل شيء يصل اليه ليعرف كنهه وشعوراً قويا رحيما بالانسان راثيا لبؤسه رحيما بالحيوان معذبا نفسه في سبيل الرحمة به ، ومثل هذا الشعور القوي يريد ان يؤمن ومثل هذا العقل يريد ان يواصل هذا البحث حتى يصل الى الحقيقة ، ولكن ـ وهنا موضع العقدة ـ انه يريد ان يؤمن

بعقله كما آمن بشعوره والعقل ليس اداة صالحة لادراك الغيب ـ ادراك الله والحياة الاخرى والوحي والملائكة وما الى ذلك انما خلق ليكون اداة للحياة الدنيا ووسيلة لحفظها وبقائها ورقيها وهو عاجز كل العجز ان يرسم بريشته عالم الغيب المجهول الذي لايخضع لقانون سبب ومسبب ومقدمة ونتيجة وزمان ومكان وحيز وحدود .

لقد شغلت الفلسفة القديمة بالبحث وراء المادة فدارت حول نفسها ولم تصل الى نتيجة حتى جاءت الفلسفة الحديثة وعلى رأسها « كانت » فتحول بعض فلاسفتها من البحث فيما وراء المادة الى البحث في العقل نفسه ومقدرته على المعرفة وحدود مايمكن ان يعرف وما لايمكن ان يعرف ، ان العقل انما يستمد معلوماته من الحواس وكل البحوث في سائر العلوم حتى ادق العمليات الرياضية والهندسية منشؤها الحواس أعمل فيها العقل بالمقارنات وما الى ذلك والحواس لاتدرك من العالم الا بقدر فاذا انخفض الصوت عن قدر معين أو ارتفع عن قدر معين لم تسمع وهكذا العين والشم واللمس فكم في العالم من اشياء لم تدركها عقولنا لانها لم تدركها حواسنا ـ والعقل لايستطيع أن يسير الا مستنداً على حواسه ولا يمكن أن يدرك من العالم الا مظهره هل يستطيع أن يدرك ما الضوء وما الكهرباء وما الجاذبية انما يدرك آثارها ومظاهرها هل يستطيع أن يدرك مركز نفسه وحقيقة شعوره كلا انما يدرك آثار ذلك في الحياة الخارجية — من أين أتينا أين كانت حياتنا قبل أن نحيا ماذا تكون حياتنا بعد ان نموت ما حقيقة علاقتنا بالعالم الخارجي حولنا كل هذه الأسئلة ومئات نحوها لا نعرفها ولا يستطيع العقل أن يعرفها ولم يتقدم العقل في ادراكها كما تقدم في العلم بقوانين المادة — كم في العالم من حجر مغلقة لم نعط مفاتيحها .

انما نشعر بالله وبالحياة الأخرى وبالملكة الروحانية من غير أن نعقلها وتطمئن نفوسنا اذا آمنت وتقلق وتضطرب اذا ألحدت ، « لقد ارتفع برجسون » (الفيلسوف المعاصر) الى أوج الشهرة في أعوام قلائل لأنه دافع عن الأماني الانسانية وآمالها فكم اغتبط الناس واطمأنوا اذ رأوا فيلسوفاً يصون لهم مايرجون من خلود وما يعتقدون في إله وقال وليم جيمس « لقد بحثت في نفسي ولم أعلم ماهي وما شبهها وأين تسكن وكيف تتغير وكيف تكون مجبورة وكيف تكون

مختارة ، وتتغير نظرياتي في ذلك من وقت الى وقت ولكن مع هذا أؤمن بنفسي وأؤمن أنها مركز لكل ما أعرف عن العالم حولي » كذلك الشأن في ادراك المبدأ والمنتهى والله والخلود ، انها عقيدة وإيمان لا قضايا منطق .

اعتبر الاديان كلها ، مبعثها ومظهرها ، تجدها تختلف باختلاف الامم ورقيها وطبيعتها وتتغلب عليها صفة من الصفات تكاد تكون كالمحور : كالتضحية ومعنى الابوة والرحمة والغفران واطاعة الاوامر والفن والجمال وانكار الذات والاحسان الى الجميع والشفقة على الحيوان والشجاعة والجهاد في سبيل نشر الدعوة ولكن كل هذه الصفات على اختلافها من قبيل العواطف والمشاعر ولم نر دينا أتى بفلسفة عقلية ـ لماذا هذا وقع في الحب وهام بمن يحب ولماذا هذا جمدت عواطفه ولم يحب ؟ لاادري ولست تستطيع أن تقنع المحب بالحجج العقلية حتى يسلو ولا ان تقنع من جمدت عواطفه حتى يحب ـ ان عقله قد يقيم البرهان على خطأ الحب وقد يمنعه من الزواج ولكن لايستطيع ان يمنعه من الحب وهكذا الشأن في كل المشاعر وهكذا الشأن في الدين الذي في القلب لافي العقل ـ اذا بحث الدين بالعقل المجرد لم تكن النتيجة دينا ولا فلسفة وانما شيء تافه اسمه « علم الكلام »

وقد اراد ابو العلاء ان يضم الى ايمانه بقلبه ايمانه بعقله فلم يستطع ، وكانت العقدة . ولو نام شعوره وانتبه عقله لألحد مستريحا ولو نام عقله وانتبه شعوره لآمن مستريحا ولو صحا عقله وشعوره ورسم لكل حدوده وعرف لكل دائرة اختصاصه لاستراح أيضاً ولكنه اراد ان يصل الى الفاكهة المحرمة على العقل فلم يفلح وقلق واضطرب كما يقلق ويضطرب ـ كل من خرج على قوانين الطبيعة وحاول الخروج على طبائع الاشياء لأن الدين يغذي حاجة من حاجات النفس لاغنى لها عنه الا اذا مرضت هذا هو السبب في انه نقد المجتمع فنجح ونقد الاخلاق فنجح ونقد الاخبار فنجح ونقد الدين في صميمه فلم ينجح يعجبني وصف بعضهم لهيجل وصفا ينطبق على أبي العلاء انطباقا تاما اذ قال « انه رجل كفر عقله وآمن قلبه » كما يصدق عليه ايضا قول جوته عن « فاوست » « انه عقل طغى على القلب فاشقى صاحبه »

وايا ما كان فهذه الشخصية الفذة الشخصية المؤمنة الكافرة لشخصية الفلسفة الحائرة اخرجت كل ذلك وكل ما كان يتناوبها من نبضات قلب وخطرات عقل في صور فنية رائعة امتعت الناس وان اشقت صاحبها فرحمه الله ورحمه الله .

احمد امين

ابو العلاء المعري

المتشائمون

التفاؤل والأثرة في كلام الشيخ

١

كان النبي محمد ، وكان هذا القرآن ، هذا الكتاب المعجز ، فكانت تلك الدنيا العجيبة العربية ، وكان مع الهدى والخير ذلك العلم وذلك الأدب وتلك الفنون ، وكان أولئك الأئمة وأولئك النابغون وأولئك العبقريون ، وكانت تلك المؤلفات الفائقات المحققات ، وكان أولئك المؤلفون الراسخون في العلم المستبحرون . وكان هذا العبقري أبو العلاء المعري (أحمد بن عبد الله ابن سليمان) رب هذا المهرجان . كانت الحضارة العربية وكانت هذه المدنية الغربية ولن يقدر أن يكفر إفضال المفضلين كافرون . فمحمد والقرآن هما شائدا هذا المجد ، وهما القائدان ، وهما الهاديان ، وهما الشمسان الباهرتان ذواتا الضياء السرمدي في العالمين [كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ، ويزكيكم ، ويعلمكم الكتابَ والحكمة ، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون — فاذكروني أذكركم واشكروا لي ، ولا تكفرون] . [سورة البقرة آ ١٥١]

* * *

« دمشق عروس الشام الموموقة ، وواسطة عقدها المرموقة »

في دمشق هذه التي قلت فيها — يا أبا العلاء — قولك هذا في رسالتك الى (أبي منصور محمد) قد مهرج العربيون لك اليوم هذا المهرجان بعد الف سنة من سعادتك بكونك وسعادة العربية بك . وإن أمة أقامت من بعدك هذا الدهر الأطول تصارع الكروب والخطوب ، وتقارع تلك الهمجيات الشرقية

رفع المسهم

والوحشيات الغربية ثم لم تبد بل لم تهن ولم تستكن ، إن أمة وقاها كتابها ووقت لغتها ولسان كتابها ، وعرفت قدرها في الأقدار ، وفضلها من قبل ، ومسعاها اليوم ، وأرادت ألاّ تزول وأن تكون فكانت ، أنّ هذه الأمة لقوية وعزيزة وسائدة وخالدة في الخالدين .

* * *

بلاد الشام جلها ، ولا أقول كلها ، و « أن مع اليوم غداً يامسعدة [1] » لاتردد كثيراً في هذا الوقت قول الشيخ :

ألفنا بلاد الشام إلف ولادة نلاقي بها سود الخطوب وحمرها
فطوراً نداري من سبيعة ليثها وحيناً نصادي من ربيعة نمرها

فالحال اليوم ـ ياأبا العلاء ـ متهادن، والدهر مهادن ، وفي الدار من قبيلك صالحون وصادقون ومخلصون و « ما الخلاص إلا في الاخلاص [2] » كما يقول أبو منصور الثعالبي ورئيس القوم [3] ملآن من الفضائل الاسلامية ومن العربية والوطنية ، وهو كما أحببت وكما أردت وكما قلت :

اذا ماتبينا الأمور تكشفت لنا وأمير القوم للقوم خادم .

لايتركن قليل الخير يفعله من نال في الأرض تأييداً وتمكينا .

وقد أتى بكثير الخير وأكثره ، ومهرجانك هذا هو حسنة من حسناته .

* * *

كونت العربية في اللغات تكوين الألماس [4] والراديوم في المعدنيات .

[صنع الله الذي اتقن كل شيء]

ولله أن يفضل لساناً على لسان ، وأن يحظي انساناً على انسان [5]

[ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات]

---

(١) من امثالهم

(٢) في كتابه (المبهج) ورواه في كتابه (الايجاز والاعجاز) .

(٣) صاحب الفخامة السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية .

(٤) هو الألماس والهمزة واللام فيه اصليتان ، ولم يصب المجد في قوله : « ولا تقل الماس فانه من لحن العامة » وقد وجدتَ (الألماس) في الفائق ج١ ص ٣٣٤ وفي النهاية لابن الاثير .

(٥) أحظيت فلاناً على فلان من الحظوة والتفضيل (المخصص) .

رفع المسهم

والشيخ يقول في (الفصول والغايات) : « وربك خص بالفضيلة من اختار » واذا قال العبقري ابن جني : « انني اذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة والدقة والإرهاف والرقة مايملك على جانب الفكر حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر » فما غالى بما قال ولا بالغ بل كان من المقتصدين وهذا شيخ العربانيين العلامة الكبير (نلينو) الذي حذق لغات متقدمين ومتأخرين من الغربيين والشرقيين يعالن في خطبة غير متسمح في الكلام ولا مصاد بأن « العربية تفوق سائر اللغات رونقاً وغنى ، ويعجز اللسان عن وصف محاسنها » و « لغة العرب » أفصح اللغات وبلاغتها أتم البلاغات (١) » ولو تمثلت لغة غادة لأنشد المنشدون :

فدقت وجلت واسبكرت وأكملت فلو جن انسان من الحسن جنت (٢) .

* * *

فتنت هذه العربية (أبا العلاء) فتوناً وسحرته فنونها ، فأقبل رجلاً مسحوراً . شغف بكتابها (قرآنها) ذاك الشغف ، وكلف بقريضها أي كلف ، وهام بألفاظها هيامه بأقوالها .

« ان هذا الكتاب الذي جاء به محمد كتاب بهر بالاعجاز . . . ماحذي على مثال ، ولا أشبه غريب الأمثال . . . جاء كالشمس اللائحة . . . لو فهمه الهضب الراكد لتصدع (٣) [وتلك الأمثالُ نضربها للناس لعلهم يتفكرون] وإن الآية منه أو بعض الآية ليعترض في أفصح كلام يقدر عليه المخلوقون فيكون فيه كالشهاب المتلألئ في جنح غسق [فتبارك الله احسن الخالقين] (٤) » .

« أجدني ركيكاً في الدين ركاكة أشعار المولدين (٥) »

ومن علق بأقوال العرب الأقدمين من الجاهليين أو المخضرمين أو الاسلاميين استنزل كلام المحدثين ، وقضى قضاء أبي العلاء . وللكلام العربي القديم سلطان قاهر

(١) الزمخشري .

(٢) الشنفرى الازدي في مفضليته (اسبكرت) طالت وامتدت ، والمعنى ـ كما يقول الانباري شارح المفضليات ـ : دقت في حسنها ، وجلت في خلقها .

(٣) الكتاب يقول : لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله . . .

(٤) أبو العلاء في (رسالة الغفران) .

(٥) أبو العلاء في (الفصول والغايات) .

اذا استمكن من نفس خليطه سحره عما سواه [١] ، فلا يتقبل الا إياه . ولولا أن عبقرية أبي تمام وعبقرية المتنبي جهرتا الشيخ وبهرتاه ما كان فخم حبيباً في (رسالة الغفران) ذاك التفخيم مشيراً الى مقصداته فاتقات ثم قال : « إني لأضن بتلك الأوصال أن يظل جسدها وهو بالموقدة صال ، لأنه كان صاحب طريقة مبتدعة ، ومعان كاللؤلؤ متتبعة ، يستخرجها من غامض بحار ، ويفض عنها المستغلق من المحار [٢] وما كان افتتن بأبي الطيب تلك الفتنة . وسبك حبيب ـ وان كان محدثا ـ عجيب . ولغته قد ضارعت أو قاربت في القوة قديمة مطبوعة .

* * *

ذكر صاحب (الغيث المسجم في شرح لامية العجم) جماعة من « الذين رزقوا السعادة في أشياء لم يأت بعدهم من نالها » فلما جاء الى الشيخ قال : « أبو العلاء المعري في الاطلاع على اللغة » .

يقول الأمام الشافعي في (رسالته في أصول الفقه) :

« لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً ، واكثرها الفاظاً ، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه انسان غير نبي » . ولو أحاط انسان غير نبي بجميع هذا العلم لكان الشيخ أبا العلاء ، وان لم يحط به كله فقد أحاط ـ كما يخال ـ بجله وتلميذه أبو زكريا التبريزي يقول كما ذكر ابن العديم في كتابه (الأنصاف والتحري) : « ماأعرف أن العرب نطقت بكلمة لم يعرفها المعري » .

* * *

عبقرية عربية نثرت فبهرت ، ونظمت فعجبت ، وفكرت فحيرت ، وأبدعت وتفننت إذ قالت وألفت فأدهشت . وعلمها في كل فن من فنون اللغة في وقتها علم إحاطة [٣] علم الحفي [٤] المحيط لا العالم النتفة [٥] . واذا لم نر (الايك والغصون)

---

(١) سحره عن الشيء : صرفه عنه .

(٢) المحار جمع المحارة : الصدفة .

(٣) علمه علم احاطة اذا علمه من جميع وجوهه لم يفته منه شيء

(٤) الحفي : الذي يتعلم الشيء باستقصاء

(٥) النتفة : الذي يلتقف من العلم شيئاً ولا يستقصيه . وكان أبو عبيدة يقول فى الاصمعى ذاك رجل نتفة .

رفع المسهم

— وهو نحو من مئة جزء — وغير الايك والغصون ، ومؤلفات الشيخ كثير(١) فقد رأينا المطبوعات المعروفات ، واستدللنا بما حضر على ماغاب ، ولم نستبعد ماروى ابن القارح في رسالته : « الشيخ بالنحو أعلم من سيبويه وباللغة والعروض من الخليل » ووجدنا ابن القارح هذا من المقتصدين حين يقول : « ... لقد سمعت من رسائله عقائل لفظ ، ان نعتها فقد عبتها ، وإن وصفتها فما أنصفتها . وأطربتني (يشهد الله) إطراب السماع . وبالله لو صدرت عن صدر من خزانته وكتبه حوله يقلب طرفه في هذا ، ويرجع الى هذا ... لكان عجيباً صَعباً شديداً . ووالله لقد رأيت علماء ، منهم ابن خالويه اذا قرئت عليهم الكتب ولا سيما الكبار رجعوا الى أصولهم كالمقابلين . يتحفظون من سهو وتصحيف وغلط . والعجب العجيب والنادر الغريب حفظه لأسماء الرجال (٢) ، والمنثور كحفظ غيره من الاذكياء المبرزين المنظوم . وهذا سهل بالقول ، صعب بالفعل ، من سمعه طمع فيه ؛ ومن رامه امتنعت عليه معانيه ومبانيه . »

واني لأقول : انه لمن النادر الغريب أن يحتاز الأديب عبقرية نثرية ، وعبقرية شعرية كما احتاز هذا الشيخ وإذا كانت الاجادة لاتتفق في فني المنظوم والمنثور معاً الا للأقل — كما قال ابن خلدون — فكيف حال العبقرية ؟ وهذان الشاعران العبقريان أبو تمام والمتنبي لم ترو لنا كتب الادب والسير من نثرهما إلا رسالة قصيرة للاول سطرها البديعي في (هبة الأيام) ورسالة أقصر منها للثاني أوردها ابن خلكان في (وفيات الأعيان) وأما البحتري المسكين فكان لا يستطيع أن يخط في النثر سطراً ، واذا خاطب احداً في شأنه وجه اليه شعراً . قال الشيخ في احدى رسائله : « روي ان البحتري كان لايقدر على كتب رقعة ، فيجعل المنظوم عوضاً عن المنثور » .

وأليةٌ محلوفة بالقرآن وإعجازه لو أن هؤلاء الشعراء الثلاثة ، وهم عند ابن الأثير وغير ابن الأثير أشعر العرب « هؤلاء لات الشعر وعزاه ومناته الذين ظهرت على ايديهم حسناته ومستحسناته » مشوا في عرض (العروض)

(١) قالوا : انها مئتا مجلد .

(٢) رسالة ابي العلاء الى ابي القاسم بن سبيكة يعزيه بأخيه ـ تؤيد قول ابن القارح

المتشعبة ومناحي (النحو) المتفرقة المتصعبة كما مشى الشيخ ، ونقبوا مثلما نقب واستظهروا من مقالات الفلاسفة والمتكلمين ومصنفات الفقهاء وأهل النحل بعض ما استظهر — لأجبلوا اجبالاً (١) أو غث كلامهم وجاؤا في القريض قرازيم(٢) . لكن عبقرية الشيخ قوية جنية قد تسيطرت على كل فن ، ولم يسيطر عليها فن ، ولم ينزل نظيمها ونثيرهـا من عليائها في وقت ، ولم تتبدل لها ديباجة أو بهجـة

* * *

اذا قال ابو الطيب :

مابه قتل اعاديه ولكن يتقي اخلاف ما ترجو الذئاب

فنطّ وشطّ وبدت (فاعلن) في العروض (فاعلاتن) في حين أن المتنبي — كما قال الشيخ — : « كان شديد التفقد لما ينطق به من الكلام . يغير الكلمة بعد أن تروى عنه . ويفر من الضرورة وان جذبه اليها الوزن (٣) » . واذا قال (الوليد) البحتري :

وكأن الأيام أوثر بالحسن عليها يوم المهرجان الكبير (٤)

فكسر وجاء نقص من الزيادة . واذا قال حبيب بن أوس :

بالقائم الثامن المستخلف اتطأدت قواعد الملك ممتداً لها الطول (٥)

---

(١) أجبل الشاعر : أقحم .

(٢) القرازم . الشاعر الدون ، وهو يقرزم شعره يجيء به رديئاً .

(٣) رسالة أبي العلاء الى ابي الحسين أحمد بن عثمان النكتي البصري .

(٤) يراجع (الموشح) للمرزباني ، وذكر الشيخ في رسالة الى النكتي أن البحتري كسر في قوله :

ولماذا تتبع النفس منه شيئا جعل الله الفردوس منه جزاء

(قلت) : رواية البيت في ديوانه المطبوع في بيروت هي :

ولماذا تتبع النفس منه شيئاً يجعل الله الفردوس منه بواء

(٥) يراجع (المثل السائر) : النوع الأول معرفة علم العربية من النحو والتصريف .
(قلت) في الديوان المطبوع في بيروت : (اعتدلت) مكان (اتطأدت) واليقين ان ناسخاً قديماً أراد اصلاح الكلمة ولو اطلع حبيب على ما جاء به هذا الوراق أو الناسخ لسج وضج ، وآثر خطأه على هذا الاصلاح وأين كلمة من كلمة ؟...

فتهور [١] البيت في اللغة بـ (اتطأدت) ولم يتطد .

اذا جازف في اللغة المجازفون وطفف المطففون « ويل للمطففين » فعندالشيخ الموازين القسط ، عنده القسطاس المستقيم ، وميزان الصيدلاني [٢] الحكيم . « موازين صدقٍ ، كلها غير عائل [٣] » .

نثر أبو العلاء مترسلاً ومسجعاً فبذ النـاثرين في وقته والذين من بعده كلهم أجمعين ، وشعر فتبدى في سماء القريض شمساً علائية لاتأفل ما كان القرآن ، وكان هذا اللسان المبين .

ولقد أصاب الشيخ وأطاب [٤] حين حاش في رسائله ودواوينه وكتبه الكلمات الغريبات ،فجمع نادّات شاردات لم تر كثيراً منهن فيمعجم منالمعجمات. وان عربيات قديمات نشأن في (الجزيرة) مع أخوات لهن ـ لحريات أن يظهرن وأن يعرفن . وقد برع أبو العلاء اذ نص تلك الغرائب في حلل عدنيات [٥] من العبارات كأنهن عرائس قعدن فوق منصات . ولأن تجتاف لفظة غريبة جملة أو بيتاً خير من توحد [٦] . ولكل لغوي في التصنيف نمط . واذا احسن المعري فقد أجاد ابن سيده ، وأجاد الجوهري وابن دريد .

* * *

لم يكن الشيخ من العبقريين الملهمين بل كان من العبقريين الدارين المدركين ، تعلم واستعلم فعلم ، وسأل واستفهم ففهم . وللقائل الملهم حال ، وللدارس حال ، ولذاك وحي ، ولهذا مقال ، والوحي لايحصل ، ولا يؤازيه مؤاز.

وقد استهام الشيخ بلغة العرب ، وكان متمناه في دنياه أو مرجاه [٧] الأسمى

---

(١) تهور : انهدم

(٢) الصيدلاني والصيدناني منسوبان الى الصيدل والصيدن وهما أصول الاشياء وجواهرها والنون للمبالغة (الفائق) .

(٣) عائل : مائل .

(٤) أطاب : جاء بشيء طيب .

(٥) عليه عدنيات أي ثياب كريمة ، وأصلها النسبة الى عدن ، تقول : مرت جوار مدنيات علينا رياط عدنيات (الاساس)

(٦) وحد الشيء : صار على حدته .

(٧) استعمل اللفظة أبو الطيب المتنبي وقال سمعتها من العرب .

رفع المسهم

أو مثله الأعلى أن ينبغ فيها وفي علومها فنبغ ، وبلغ حيث بلغ . فهويه [١] هو هذه اللغة ، وفنون زمانه التي شاء عرفانها هن للهوي تبع .

واذا تمادى الشيخ في اعجابه بالعرب الأقدمين ، وتطربه سجع محدثين مسجعين فقلد فقد افتن في تقليده واجتهد ، فعد في الشعراء والكاتبين من المبدعين . وتذرع أبو العلاء بالله وتحاميده وتماجيده فنظم (اللزوميات) وصاغ أوحاك (الفصول والغايات) والمقاصد لغوية لاألهانية [٢] ، لادينية ، وان اشتملت على أشياء منوعات مهولات [٣] ملونات قد بدت مثل (صندوق العجب) . وما كان يغرب حين يغرب حتى يعمي مقالة ولكن ليعلن قدرة وبراعة. وكيف يكفر معنى قصده وقد أصحبه شرح الغريب من ألفاظه .

ومؤلفات الشيخ العبقرية هن بنات القصد والتكلف وبنات الأرية .

« . . . وقد تكلفت في هذا التأليف ـ يعني اللزوميات ـ ثلاث كلف ، الأولى أن ينتظم حروف المعجم عن آخرها . والثانية أن يجيء رويه بالحركات الثلاث وبالسكون بعد ذلك . والثالثة أنه لزم مع كل روي فيه شيء لايلزم من ياء أو ثاء أو غير ذلك من الحروف » .

ولو لم يجب الشيخ داعي اثريته ، ويحقق قوله في (لاميته) ويقصد ويتكلف ما كانت امثال (اللزوميات، والفصول والغايات ، والأيك والغصون) مما عرفناه وحرمنا إياه جهل الجاهلين . وضلال الصليبيين وتترية التتر وحوادث الأيام ، وما كانت العربية ازدادت ثروة بباهرات عبقريات تباهت بها ، وباهت غيرها من اللغات ، واذا هجّن في العلم والأدب تكلف الضعفاء العاجزين حين يتكلفون فتكلف العباقرة القادرين يجل عن كل تعييب او تهجين .

* * *

حرث ابو العلاء القرآن حرثاً [٤] عجباً ، وسيط هواه بلحمه ودمه ،

(١) هويه : محبوبه ، معشوقه .

(٢) هذه نسبة الى اسم الله عز وعلا إلا أنه وقع فيها تغيير من تغييرات النسب واقتضاب صيغة ، ونظيرها الرجولية في النسبة الى الرجل والقياس الهية ورجليه (الفائق) .

(٣) ورد المهول في شعر قديم رواه الخصص وفي أمثال العرب .

(٤) في حديث ابن مسعود : احرثوا هذا القرآن . وفي [الاساس] : وحرثت القرآن أطلت دراسته وتدبره .

واستهداه فهداه وذهن او ادرك من الهية (الكتاب) وسماويته ومن عربيته الناصعة الصافية ذات الاعجاز ، وبلاغته الخارقة العادة ماادركه الفصحاء البلغاء من العرب في عهد النبي او كاد يدرك ذلك . ولا تستقلن هذه الكبدودة . ومصنف الشيخ (تضمين الآي) « وهو إن لم نره فقد سمعنا خبره (١) » يبين أنه بلغ في علم (الكتاب) المبالغ ـ كما يقول الزمخشري ـ ولا يضمن مثل ذلك التضمين الفائق البديع الا من خرجه (القرآن) هذا التخريج العظيم البليغ . [ومن يهد الله فهو المهتدي] .

بصر الكتاب الالهي المحمدي (أحمد بن عبد الله بن سليمان) بعجائبه وآياته فاستيقن واستبصر ، وارتوى الشيخ من كوثر البلاغة القرآنية فأزهر الكلام العلائي ونور .

نوّر القرآن قولاً فعلاً وسما صاحبه في القائلين . انما القرآن هدي الناطقين ، انما القرآن نور العالمين . غثّ قول لم يهذبه (الكتاب) .

والقرآن ، القرآن ذلكم الكتاب العجيب المبين ؛ إنه يراه نابغة الأوربيين الأديب العبقري العظيم (جان ولفغنغ غوت) قد أعطى فيه كل مقام حقه ، وأخذ كل معنى من مقاصده لفظه كما يراه قوياً ، عظيما ، سامياً ، متعالياً ، رائعاً مهيباً قد خرق العادة ، فلا غرو أن يبلغ أثره في العالم — كما قال — حيث بلغ.

ألا إن القرآن في الكلام مثل محمد في الأنام . فان وجدت لمحمد خطيراً (٢) ألفيت للقرآن نظيرا .

[قل : لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا] .

دعاكم الى خير الأمور محمد ... وليس العوالي في القنا كالسوافل
حداكم على تعظيم من خلق الضحى ... وشهب الدجى من طالعات وآفل

(١) مقتبسة من البديع الهمذاني ولشبل الدولة في الزمخشري :
زمخشري فاضل أنجبه زمخشره
كالبحر إن لم أره فقد أتاني خبره

(٢) خطير الشيء مثله [المخصص] وفي اللسان : فلان ليس له خطير أي ليس له نظير ، وهذا خطير لهذا أي مثل له في القدر ، ولا يقال للدون الا للشيء الخري .

وألزمكم ماليس يعجز حمله أخا الضعف من فرض له ونوافل
وحث على تطهير جسم وملبس وعاقب في قذف النساء الغوافل
وحرم خمراً خلت ألباب شربها من الطيش ألباب النيام الجوافل
فصلى عليه الله ما ذر شارق وما فت مسكاً ذكره في المحافل[1]

* * *

ابو العلاء « هو جوهرة جاءت الى الدنيا وذهبت[2] » .

٢

لما شاء الله أن يثب قبيل من نامية[3] الله تلك الوثبة ، أن يطفر تلك الطفرة ، وليست الطفرة على ذي القدرة والحول بمحال ، واعتدلت القامات [ولقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم] وتحركت الألسنة بعد حين من الدهر طويل بتلك اللهجات البينات ، وكرّم لله اناسيّ كثيراً على سائر المخلوقات بالذي دعته اللغات (العقل) وهو نعمة الله الكبرى ، وفضيلة الانسان على غيره العظمى .

[ولقد كرمنا بني آدم ، وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا] .

« اللباب أهل الألباب ، ولكل حيوان حس ولكن الله فضل الناطقين[4] ».

لما كان الذي سمته الافرنجيه (Évolution) وصرنا الى أفق الانسانية الذي ذكره ابن خلدون ووضحه وفصله النشوئيون تفصيلاً [وقد خلقكم أطواراً] ونجم في الأدمغة ذلك (الفكر) المضيء ، وهو خير مافي الدنيا بل هو كل مافي

[١] ابو العلاء .

[٢] قال الصفدي في [نكت الهميان في نكت العميان] :« حكي لي عن الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني انه قال في حقه هو جوهرة الخ » .

[٣] خلقه لأنهم ينمون .

[٤] في (الامتاع والمؤانسة) لأبي حيان التوحيدي : فأما أنفس أصناف الحيوان كالفرس والحمار فأنها أنفس ناقصة غير كاملة ، وهي ضعيفة لأنها لم تجد إلا الاحساس والحركات ، ولم يشم فيهـا نور النفس الشريفة ، ولم ينبث فيها شعاع العقل الكريم فوجب من هذا الوجه أن تكون تابعة لأبدانها جارية على فسادها وبطلانها لأن الحكمة انتهت الى ذلك الحد في كونها حشواً لهذا العالم وزينة ومنافع ومبالغ الى غايات وأغراض .

الدنيا — كما يقول العلامة بوانكريه — ومحل العقل (الدماغ) كما ذهب الى ذلك أبو حنيفة وأرنست هيكل لا القلب كما ظن الشافعي . واستنبط الحجى معاني للأشياء كانت خافية قبل ذلك (الارتقاء) وهشت النفوس وبشت بما ترى العيون ، وأقبل (الادراك) وأتى (الفهم) فأدرك المحسوس أو المحس ، وفهم المنظور ، والحس البحت والنظر الصرف كما يشعر غير الناطق ويلمح من دون فكر وفهامة هما كلا شيء ، كونهما مثل العدم ، إن الهناءة والسعادة في البصيرة لا البصر .

لما ارتقينا وعقلنا وعلمنا وبنينا وحضرنا وغرسنا وتلونا :

[هوَ أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها] .

[هو الذي خلق لكم مافي الأرض جميعاً] .

وقال الشيخ أبو العلاء :

« إن شاء الملك قرب النازح وطواه حتى يطوف الرجل في الليلة الدانية بياض الشفق من حمرة الفجر — طوفه بالكعبة — حول قاف (١) ثم يؤوب الى فراشه والليلة ما همت بالأسحار ، ويسلم بمكة فيسمعه أخوه بالشام ، ويأخذ الجمرة من تهامة (٢) فيوقد بها ناره في يبرين (٣) وقاصية الرمال (٤) » فحققنا قوله ، وطار في الجو أو في السمهى (٥) مثل الطيور الطائرون ، وسمعنا في دمشق سرار القوم بله الطنطنة (٦) في برلين وفي لندن وفي باريس وواشنطن وبله العطعطة (٧) في ميادين القتال. وأورى (مركوني) ما أورى وهو في سفينته في بحر الروم فأضاءت (سدني) في أقصى الأرض [ويخلق مالا تعلمون] .

---

(١) قاف : جبل محيط بالارض . . . وقاف في سلم الذي هو جبل في المدينة : يثرب .

(٢) تهامة : مكة ، وبلاد شمالي الحجاز .

(٣) يبرين : من أصقاع البحرين ، ويبرين قرية من قرى حلب .

(٤) رويت هذه الشذرة في أحدى مقالاتي في [الرسالة] ٢٥٠ س ٦ في ١٧ صفر ١٣٥٧ ، وعنوان المقالة [المخترعات وكتاب الفصول والغايات] .

(٥) السمهى : الهواء ، الجو .

(٦) الطنطنة : كثرة الكلام والتصويت به .

[٧] العطعطة : تتابع الأصوات في الحرب وغيرها .

لما قطعنا ماقطعنا ، وبلغنا مابلغنا ، ومشينا اليقدمية [١] وحمدنا وشكرنا و [الحمد لله رب العالمين] طلعت علينا أجواق تذم الوجود ، وتهجو الحياة ، وتطري العدم ، وتلعن الدنيا ، وتكنيها بأم دفر وأم درز ، وتصفها بأنها دار قلعة [٢] ، منزل قلعة [٣] ، وتسمي خيراتها حطاماً . وجاء فوج أنكر كونها . ولم يجد لها مثلاً ؛ « قيل لبعضهم : كيف ترى الدنيا ؟ قال : وما الدنيا ؟ لا أعرف لها وجوداً » « وقيل لآخر : مامثل الدنيا ؟ قال : هي أقل من أن يكون لها مثل » وتمادى محمد بن واسع في استحقارها بل جاز المدى « قيل له : فلان زاهد ، قال : وما قدر الدنيا حتى يحمد من يزهد فيها » وأقبل الحجاج بن يوسف متقرئاً متحنثاً [٤] فقال في احدى الخطب : « والله ما أحب أن مامضى من الدنيا بعامتي هذه . ولما بقي منها أشبه بما مضى من الماء بالماء » وتالله لو أن هذا الكهاكه ـ وكان الحجاج قصيراً أصفر كهاكها [٥] ـ ابدى الى العربية تلك اليد ، وتقرب الى (الكتاب) ذاك التقرب الكريم المشتهر ، وولع بالقرآن ولعاً كبيراً حتى قال عمر ابن عبد العزيز :« ماحسدت الحجاج على شيء حسدي اياه على حبه القرآن وإعطائه اهله » لولا كل ذلك لسخطنا واطلنا القول فيه . وبدا (الوليد) متحذلقاً متفلسفاً في هذه المقطوعة التي اخرجته من بغداد :

اخيّ ، متى خاصمت نفسك فاحتشد لها ، ومتى حدثت نفسك فاصدق
ارى علل الأشياء شتى ولا ارى التجمع الا علة للتفرق
ارى الدهر غولاً للنفوس وإنما يقي الله في بعض المواطن من يقي
فلا تتبع الماضي سؤالك لم مضى ؟ وعرج على الباقي وسائله لم بقي ؟
ولم ار كالدنيا حليلة صاحب محب متى تحسن بعينيه تطلق

[١] اليقدمية : التقدم بالهمة والأفعال . وفي [الفائق] في حديث ابن عباس ان ابن أبي العاص مشى اليقدمية وأن ابن الزبير مشى القهقرى . أي المشية اليقدمية التي يقدم بها الناس أي يتقدمهم وروي بالناء غلطاً .

[٢] قلعة : إقتلاع ، تحول وارتحال .

[٣] منزل قلعة : المنزل الذي لاتملكه والقلعة من المال مالا يدوم .

[٤] [المتقرئ] المتنسك [المتحنث] المتعبد .

[٥] [الكهاكه] هو الذي اذا نظرت إليه كأنه يضحك وليس بضاحك من الكهكهة [الفائق]

تراها عياناً (وهي صنعة واحد) فتحسبها صنعي لطيف وأخرق [١]

ومن قوله له :

ان الزمان زمان سو وجميع هذا الناس بو .

وأطل علينا أحمد بن الحسين الكندي مجهوراً هذا الكلام [٢] :

إذا كان الشباب السكر والشيـ ـب هماً فالحيـــاة هي الحمام

هل الولد المحبوب إلا تعلة وهل خلوة الحسناء إلا أذى البعل
وما تسع الأزمان علمي بأمرها وما تحسن الأيام تكتب ما أملي
وما الدهر أهل أن تؤمل عنده حياة وأن يشتاق فيه إلى النسل

يقول ابن الأثير في كتابه (الوشي المرقوم في حل المنظوم) : « كنت سافرت إلى مصر سنة (٥٩٦) ورأيت الناس مكبين على شعر أبي الطيب المتنبي دون غيره ، فسألت جماعة من أدبائها عن سبب ذلك ، فلم يذكروا لي في هذا شيئاً ، ثم إني فاوضت عبد الرحمن بن علي البيساني في هذا فقال لي : (ان أبا الطيب ينطق عن خواطر الناس) ولقد صدق فيما قال ، فهل نطق المتنبي بتلكم الأبيات عن خواطر الاناسين أم لغا بها عن سوانح الشياطين ، انهم الشعراء يفتلتون [٣] [ألم تر انهم في كل واد يهيمون] و « الشعر للخلد [٤] مثل الصورة لليد ، يمثل الصانع ما لا حقيقة له ، ويقول الخاطر ما لو طولب به لأنكره [٥] » . « وإذا رُجع

---

(١) في أمالي المرتضى : قيل : ان السبب في خروج البحتري من بغداد هذه الأبيات ، فان بعض أعدائه شنع عليه بأنه ثنوي حيث قال (صنعي لطيف وأخرق) وكانت العامة حينئذ غالبة على البلدة ، فخاف على نفسه ، وقال لابنه أبي الغوث : قم يابني حتى نطفئ هذه النائرة بخرجة نلم بها شعثنا ونعود ، فخرج ولم يعد .

(٢) جهور الكلام : فخمه .

(٣) الفلتة الكلام يقع من غير إحكام وقد افتلته وفي الأساس : افتلت الكلام : ارتجل . وكل شيء فعلته فلتة فقد افتلت .

(٤) (الخلد) القلب ، النفس .

(٥) أبو العلاء في مقدمة (سقط الزند) .

إلى الحقائق فنطق اللسان لاينبئ عن اعتقاد الانسان [١] » .

ودهمنا ابن الشبل البغدادي هتاتاً [٢] جداقاً [٣] يردد هذا الشعر :

صحة المرء للسقام طريق وطريق الفناء هذا البقاء
بالذي نغتذي نموت ونحيا أقتل الداء للنفوس الدواء
قبح الله لذة لأذانا نالها الامهات والآباء
نحن لولا الوجود لم نألم الفقـــد فايجادنا علينا بلاء
ليت شعري وللبلى كل ذا الخلـــق بماذا تميز الأنبياء
موت ذا العالم المفضل بالنطـــق وذا السارح البهيم سواء
لاغوي لفقده تبسم الأر ض ولا للتقي تبكي السماء
انما الناس قادم إثر ماض بدء قوم للآخرين انتهاء

بربك أيها الفلك المدار أقصد ذا المسير أم اضطرار
مدارك قل لنا في أي شيء ففي أفهامنا منك انبهار
وعندك ترفع الأرواح أم هل مع الأجساد يدرسها البوار
ودنيا كلما وضعت جنيناً غذاه من نوائبها ظؤار
هي العشواء ماخبطت هشيم هي العجماء ماجرحت جبار
نعاقب في الظهور وما ولدنا ويذبح في حشا الأم الحوار
وننتظر الرزايا والبلايا وبعد فبالوعيد لنا ائتظار
ونخرج كارهين كما دخلنا خروج الضب أحرجه الوجار
فماذا الامتنان على وجود لغير الموجدين به الخيار ؟
وكانت أنعماً لو أن كوناً نخير قبله أو نستشار

لقد استأسد ابن الشبل على الحق وبالغ في العفلطة والمسلطة [٤] ، ولقد

---

(١) أبو العلاء في (رسالة الغفران) في أثناء حديث عن المتلمي .
(٢) (هتات) مهذار كثير الكلام .
(٣) جدف بنعمة الله : كفرها واستقلها . وفي حديث : لاتجدفوا بنعم الله .
(٤) (العفلطة) تخليط الخبر (والمسلطة) الكلام على غير نظام .

عجبنا اذ سمعنا المقترح ، وأطلنا الكركرة والقهقهة . إنّ على مبدعنا أن يستشير تلكم الذريرات (أعني الأناسية) في الكون أو في العدم ، ويقول لها : « أنت على المتخير ، أنت بالمختار ، أنت بالخيار . ولها أن تنعم أو تلالي (١) .

[وربك يخلق مايشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة ، سبحان الله وتعالى عما يشركون] .

« ذريةَ الانس ، لا تُزهوا فانكم ذرا تعدون أو نملاً تضاهونا (٢) »

ان الاناسيّ لم يتمثلوا بشراً أو أبشاراً أسوياء إلا من بعد آلاف من الحقب ومن بعد أطوار مختلفات كثيرات لايعلم عددهـا إلا الله . ومثل ابن الشبل انما نشأ ذريرة لاتكاد ترى بالمجهر [ثم أنشأناه خلقاً آخر] درّجته سنة الله إلى حيث انتهى أو ارتقى . وكان لايحس في وقت ولا يسمع وما عقل ان عقل — إلا بالأمس ، ففي أي طورٍ وفي أي حين يخير أو يستشار ؟ .

[ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى] او رآه قد احتسى من بحر علم الله حسوة . !

***

ان قوماً لم يريدوا ان يكونوا ، وما احبوا ان يكون غيرهم ، فذموا الدنيا ذاك الذم ، وصبغوها للناظرين بأردإ صبغ بأبشع صبغ « غرارة ضرارة ، حائلة زائلة ، نافذة بائدة ، أكالة غوالة (٣) » كما يقول قطري ، ان كان قال هذا . وهجوا قطين الأرض ، أهل الدنيا شر هجاء .

---

(١) تلالي : تقول : لا ، لا .

(٢) أبو العلاء .

(٣) من خطبة أوردها الجاحظ في (البيان والتبيين) وابن عبد ربه في (العقد) وروى بعضها ابن قتيبة في (عيون الأخبار) وعزاها هؤلاء الى قطري بن الفجاءة . ورواها الرضي في مجموعة (النهج) وقال شارحه ابن أبي الحديد : « قد رأيتها في كتاب (الموتق) لأبي عبدالله المرزباني مروية لأمير المؤمنين (عليه السلام) وليس ببعيد عندي أن يكون قطري قد خطب بها بعد أن أخذها عن بعض أصحاب أمير المؤمنين ، فان الخوارج كانوا أصحابه وأنصاره وقد لقي قطري أكثرهم » قلت : صائنها عندي مجهول .

رفع المسهم

خذ جملة البلوى ودع تفصيلها ما في البرية كلها إنسان (١)

أتمنى على الزمان محالاً أن ترى مقلتاي طلعة حر (٢)

زمان يمر وعيش يمر ودهر يكر بما لايسر
وحال يذوب ، وهم ينوب ودنيا تناديك أن ليس حر (٣)

واذا سمعوا المتفائلين الخلص يقولون : (ليس في الامكان أبدع مما كان) تحدوهم صائحين : (ليس في الامكان أقبح مما كان) وما النجاة عندهم لمرتجي خلاصه مما يقاسي ويرى الا في الانتحار .

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكن أمانيا (٤)

ولهم في قتل الناس نفوسهم وتزيينه أقاويل ، شرحها طويل . وهؤلاء القوم الذين سماهم المصطلح العربي بالمتشائمين واسمهم بالفرنجي (بسيمسم) إما أن يكونوا الهيين ومؤمنين ، وإما ان يكونوا دهريين طبيعيين .

[وقالوا : ماهي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ، وما يهلكنا الا الدهر ، وما لهم بذلك من علم ، ان هم الا يظنون] .

ودان أناس بالجزاء وكونه وقال رجال : انما أنتم بقل (٥)

« ضل الذي قال : البلاد قديمة بالطبع كانت والأنام كنبتها
وأمامنا يوم تقوم هجوده من بعد إبلاء العظام ورفتها (٦)

(١) ابن الهبارية .
(٢) البديعي من شعراء اليتيمة .
(٣) ابن مقلة .
(٤) المتنبي .
(٥) و (٦) ابو العلاء ، قال شارح (سقط الزند) : « هذا رد على الدهريين الذين يقولون : أن العالم قديم بالطبع لم يزل كذلك ولم يحدث باحداث محدث والناس كالنبات ينبتون ويعودون بالموت هشيماً ، وهذا كفر صريح وضلال بعيد بل الحق أن العالم محدث مخلوق أحدثه الواحد الحق بقدرته » . وفي « شرح النهج » لابن أبي الحديد :
« قال قاضي القضاة : ان أحداً من العقلاء لم يذهب الى نفي الصانع للعالم ، ولكن قوماً من الوراقين اجتمعوا ووضعوا بينهم مقالة لم يذهب أحد إليها وهي أن العالم قديم لم يزل على هيئته هذه ، ولا إلٰه للعالم ولا صانع أصلا ، وانما هو هكذا مازال ولا يزال من غير صانع ولا مؤثر . وأخذ ابن—

فان كانوا من الأولين فهل يحق الا الإيقان كل الإيقان بأن ليس ثمة الا الحكمة التامة والاتقان .

[ماترى في خلق الرحمن من تفاوت] .
[صنع الله الذي اتقن كل شيء] .
[الذي أحسن كل شيء خلقه] .
[صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ؟] .

والله أعلم من كل عليم وأحكم من كل حكيم [أفحسبتم انما خلقناكم عبثا] وان كانت برهمية وبوذية تريان الكون شراً ، فليست البرهمية والبوذية على شيء . ولا يحتسب بمثلها . وان عدها (أرثر شوبنهور) أكمل الاديان طراً من أجل هذا المعتقد .

نعم « ما الدنيا إلا عُمرى [1] ولا خلود إلا في الأخرى [2] » و « الدنيا قنطرة الآخرة » لكن هل علينا أن نقعد في القنطرة نشهق ونزعق ، ونخمش الوجوه ، ونلطم الخدود ، ونلدم الصدور حتى يجيء الأجل ، حتى يجي وقت النقلة و (الكتاب) يقول :

[ولا تنس نصيبك من الدنيا] .

ونطقُ (الكتاب) فصلُ الخطاب .

وان كان القوم المتشائمون من الآخرين فسوف يسألون : هل علمتم كيف كنتم ؟ هل علمتم كيف كانت داركم ؟ إنها كانت داراً تستعر استعاراً ولم تزل بقايا خبايا في الزوايا تضطرم . فاقرءوا تأريخها واقرءوا تأريخكم ، وفتشوا صحائف الأنساب .

—الراوندي هذه المقالة فنصرها في كتابه المعروف بكتاب «التاج» . قلت : ذكر الشيخ ابن الراوندي وتاجه هذا في (رسالة الفرقان) ومما قاله : وأما ابن الراوندي فلم يكن الى المصلحة بهدي ، وأما تاجه فلا يصلح أن يكون نعلاً . . . وهل تاجه الا كما قالت الكاهنة : اف وتف ، وجورب وخف . . .

(١) العمرى ماتجعله للرجل طول عمرك أو عمره . قال ثعلب أن يدفع الرجل الى أخيه داراً فيقول : هذه لك عمرك أو عمري ، أينا مات دفعت الدار الى أهله ، وكذلك كان فعلهم في الجاهلية (اللسان) .

(٢) الزمخشري .

[هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا] .

وانظروا كيف عادت (١) (محلة) (٢) كيف عادت هذه (الغبراء) ، وانظروا كيف عدتم بشراً ، وكيف سدتم أقربين وأبعدين . وان تأخر من عترتكم متأخرون اذ نقدم متقدمون فتعلموا أن السابقين والمتوقفين المتمكثين لم يبرحوا في البدء ، لم يبرحوا في أول الطريق ، لم يبرحوا في الطور الشنبنزي كما قال توماس أديسون :

تشبه بعض فما تزال الشمائل قرديه (٣)

فأجدر بالدهريين الطبيعيين الذين ينشدون :

خذ من الدنيا بحظ قبل أن ترحل عنها

فهي دار لاترى من بعدها أحسن منها (٤)

فلا يرون أن هناك دارين ، وأن هناك معنيين : معنى هذي ، ومعنى تلك بل يقولون : كل شيء معناه ومنتهاه فيه — أجدر بهؤلاء ألا يكونوا من المتشائمين في حين . ومقالهم هذا المقال .

* * *

ان الفتى بكونه سعيد ، بكونه حسبُ قد سعد بما وجد — كما يقول الانكليز — فذروا التشاؤم في الحياة يا أيها الناس ؛ وأبهجوا أنفسكم واجتذلوا لعلكم لاتحزنون . كونوا من المتفائلين ، من أهل الفؤول (٥) ، ولا تشاءموا ولا تطيروا وتمثلوا بهذا البيت وقد تمثل به رسول الله كما ذكر الشيخ في رسالة الغفران :

تفاءل بما تهوى يكن فلقلما يقال لشيء كان إلا تحققا

---

(١) العود بمعنى الصيرورة ، وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لاتكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ، ماعدت أراه ، عاد لايكلمني ، ماعاد لفلان مال (الكشاف) .

(٢) محلة : الأرض ، وكعلة السماء .

(٣) أبو العلاء .

(٤) رواها صاحب (نفح الطيب) ولم يسم قائلها .

(٥) جمع الفأل .

وكان (صلى الله عليه وسلم) كما روت أحاديث — يتفاءل ولا يتطير .

وكونوا إيثاريين أثريين في هذا الوجود كيما تقوا أنفسكم ، وكي تصونوا جنسكم ، وتسعدو وترتقوا . إن الأثرية والايثارية هما القضيلتان العظيمتان متحدتين لامفترقتين ، وأولى لأثري كفر بالايثارية ثم أولى ! وأولى لايثاري لم يؤمن بالأثرية ثم أولى ! ان الأول شرير شيطان من الشريرين ، وان الثاني — إما كان — لذو جنة في المجانين .

واستمعوا لما يقول شيخنا أبو العلاء فقد أعلنت أقواله الحقيقة ، وهدت إلى الطريقة ، وعززت شريعة المتفائلين ، وفندت مذهب المتشائمين ، وبينت للناس كيف يحيون ، وكيف يقوون ، وكيف يسيرون في هذا الوجود .

ولو اطلعنا على أكثر مما اطلعنا عليه مما أملاه الشيخ لروينا من هذه المعاني كتباً كبيرات لاصفحات معدودات ولكن قد حال بيننا وبين المراد جهل الجاهلين وجرم التتر والصليبيين — كما ذكر ذلك من قبل — فاجتزأنا برواية نتفة من الأقل الباقي .

٣

الأمل :

لي أمل ، فرقانهُ محكم اقرؤه غضاً كما أنزلا

أجرى من الخيل آمال أصرفها لها بحثيٌّ تقريب وإخباب(١)

لاتقنطن أيها الانسان ، فان بلغتك (٢) عند الله الكريم ، والرزق يطلبك وأنت تبصر الأحلام ، لو أن للرزق لساناً هتف بمن رقد ، أو يداً لجذب المضطجع باليد ، أو قدما لوطيء على الجسد . لايزال الرزق مرتقاً على الهامة ترنيق (٣) الطير الظآء على الماء المطمع (٤) .

(١) التقريب والخبب : ضربان من سير الفرس في الأصل .

(٢) البلغة مايتبلغ به من العيش ولا فضل فيه ، وتبلغ بكذا اكتفى به .

(٣) رنق الطائر خفق بجناحيه في الهواء ورفرف ولم يطر .

(٤) المطمع الذي أطمعها في النزول عليه (أبو العلاء) .

سمّ الهلال إذا عاينته قمراً إن الأهلة عن وشك لأقمار

وقد يخمل الانسان في عنفوانه وينبه من بعد النهى فيسود

أحسبت الخير ليس بمثمر؟ بلى. ان للخير ثمرة لذت في المطعم، وتضوعت لمن تنسم، وحسنت في المنظر والمتوسم، وجاوزت الحد في العظم، فما ظنك بثمرة هذه صفتها؟.

هوّن عليك:

الأمر أيسر مما أنت مضمره فاطرح أذاك وهوّن كل ماصعبا

إذا تفكرت فكراً لايمازجه فساد عقل صحيح هان ماصعبا

العلم كالقفل، ان ألفيته عسراً فخله ثم عاوده لينفتحا

دع ماضر وصعب، إلى مانفع وهان. واترك المضلة إلى المرشدة فان طرقات الخير كثير.

لاطيرة

الأيام كلها لله، وربما ساءتك عروبة[1]، وسرك الخميس. وإذا نزل بك نازل في يوم فلا تمقته لذاك.

بركات الله ورحمته

يبث الله في نهار وليل بركات من رزقه مدروره[2]

غشيت رحمة الله كل الحيوان، وتكفل بالرزق لكل المتغذيات.

---

(١) الجمعة، في «النهاية»: هو اسم قديم لها وكأنه ليس بعربي، يقال: يوم عروبة والعروبة والأفصح ألا يدخلها الألف واللام.

(٢) «مدرورة» كثيرة، في الاساس: ومن المجاز: درت الدنيا على أهلها إذا كثر خيرها.

فرح الملأ بالكلأ (١) وحق لهم أن يبتهجوا برزق الله الكريم . جاء اللبأ (٢) وذهب الوبأ (٣) ، فسبحان الله العظيم ! ياخصب ، ثب لتراق الكثب (٤) على الكثب (٥) وعلى الله رزق العالمين .

والشمس تغمر أهل الأرض مصلحة ربت جسوماً وفيها للعيون سنا

طهت لك الشمس مايغني اخادعة عن أن يكون له في الأرض طاهونا

الاقدام، الجسارة :

واني رأيت الصعب يركب دائماً من الناس من لم يركب الغرض الصعبا

والعيش جسر ، نال من هو جاسر أو كاد فيه وخاب من لم يجسر

ويحمد الصابر الموفي على غرض لا عاجز بعرى التقصير معقود

ينبغي للمسبوق ألا يؤثر بصبوح ولا غبوق (٦) ، فليستحي المتأخر أن يفتخر

الخيف من رأي السخيف ، فاجر على معارتك في تقوى الله ؛ والخيل بفوارسها متمطرات (٧) .

انما نحن في أحلام نائم لاأحلام ذوي العزائم ، وقد يرى الراقد نفسه مع

---

(١) الكلأ : العشب ج أكلاء .
(٢) اللبأ : اللبن ، أوله .
(٣) بالقصر والمد .
(٤) الكثبة الطائفة من طعام او غيره ، القليل من اللبن .
(٥) الكثيب : التل من الرمل .
(٦) الصبوح كل ما أكل وشرب غدوة وهو خلاف الغبوق : شرب العشي « اللسان » .
(٧) (الخيف : جمع خيفة ، (المطرة) العادة « متمطرات » جمع متمطرة وهي المجتهدة في العدو) . والتفسير للشيخ .

الفراقد ، فاذا استيقظ رآها بالجدد (١) .

وكن في كل نائبة جريئاً تصب في الرأي ان خطيء الهدان (٢)
وسائل من تنطس في التوقي لأية علة مات الجبان (٣)

اشجع فان أقدار الله لاتعجل الى الشجاع . صل على الظالم بالمنصل (٤) .

الدنيا ، الحياة :

خلقت من الدنيا وعشت كأهلها أجد كما جدوا وألهو كما لهوا

أمور دنياك سطر خطه قدر وحبها في السجايا أول السطر

ولا تظهرن الزهد فيها فكلنا شهيد بأن القلب يضمر عشقها

نفسي بها ونفوس القوم ملهجة ونحن نخبر أنا لانبالیها (٥)
أمرتني بسلو عن خوادعها فانظر هل أنت مع السالين ساليها؟
ولا ترى الدهرَ إلا من يهيم بها طبعاً ، ولكنه باللفظ قاليها

فترو من هذي الحيا ة لكي تموت النفس ريا

* * *

الموت ، كرهه

والنفس آلفة الحياة فدمعها يجري لذكر فراقها منهلُ !

ولم أرد المنية باختياري ولكن أوشك الفتيان سحبي (٦)

(١) « الجدد » : الارض .
(٢) الهدان الضعيف الجبان الذي لايهتدي لأموره (شرح السقط) والهدان الاحمق الثقيل .
(٣) تنطس في كل شيء اذا ادق فيه النظر (الأساس) .
(٤) المنصل ـ بضم الميم والصاد ، وبضم الميم وفتح الصاد ـ السيف . في التاج : قال ابن سيده : لانعرف في الكلام اسماً على مفعل ومفعل الا هذا وقولهم منخل ومنخل .
(٥) ملهجة : مولعة .
(٦) الفتيان الليل والنهار .

ولو خيرت لم أترك محلي فأسكن في مضيق بعد رحب !

فليت الفتى كالبدر جدد عمره يعود هلالاً كلما فني الشهر !

أحسن بدنيا القوم لو ان الفتى لايقتضى ، وأديمه لايحلم (١) !

تضاعف همي أن أتتني منيتي ولم تقض حاجي بالمطايا الرواقص (٢) !

فواهاً لأشباح لكم غير أنها تبدلُ من أوطانها برموس !

أنبأنا اللب بلقيا الردى فالغوث من صحة ذاك النبأ ! ! !

موت البطولة

هناك ضرب من الموت لايكره ولا يذم بل يحب ويعظم ، وهو موت البطولة في الوغى . وقد حرض الشيخ عليه ، والحرب شرعة العربي :

إذا المرء لم يغش الكريهة أوشكت حبال الهوينى بالفتى أن تقطعا (٣)

والجهاد من دين المسلم :

[كتبَ عليكم القتالُ وهو كرْهٌ لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ، والله يعلم ، وأنتم لاتعلمون] .

[وجاهدوا في الله حقّ جهاده] .

[وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون] .

[انفروا خفافاً وثقالاً (٤) ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون] .

(١) يقتضي : يطالب كأن الحياة دين عنده فأذا جاء الأجل انتضاه المقتضي .

(٢) رقص البعير يرقص رقصاً ـ محرك القاف ـ اذا اسرع في سيره . ولا يقال يرقص الا للاعب والابل وما سوى ذلك فانه يقال : يقفز وينقز . (اللسان) .

(٣) الكلمة العربي في مفضلية .

(٤) خفافاً من السلاح وثقالاً منه أو ركباناً ومشاة أو شباباً وشيوخاً أو صحاحاً ومراضا (الكشاف) القصد بالآية الحث على النفر على كل حال تصعب أو تسهل (مفردات الراغب) .

وإذا كان الحال كما قال الشيخ :

وما سلّ المهند للتوقي كسل المشرفية للتشفي

فالموت يومئذ خير من ألف حياة ، خير من الخلود .

* * *

من السعد في دنياك أن يهلك الفتى بهيجاء يغشى أهلها الطعن والضربا
فان قبيحاً بالمسوّد ضجعة على فرشه يشكو إلى النفر الكربا

كل يحاذر حتفاً وليس يعدم شربه
ويتقى الصارم العضـــب أن يباشر غربه
والنزع فوق فراش أشدّ من ألف ضربه

لقد ركزوا الأرماح غير حميدة فبعداً لخيل في الوغي لم تطارد !
وما يجمع الأشتات إلا مهذب من القوم يحمي بارداً فوق بارد (١)

لضربة فارس في يوم حربٍ تطير الروح منك مع الفراش (٢)
أخف عليك من سقم طويلٍ وموت بعد ذاك على الفراش

ألا تنهض للحرب وتدعو للوغى شوسك (٣) ؟

وقد علمتُ وغيري عن مشاهدة أن الملا الفقوم في الوغي ليسٍ (٤)

وجدتك اعطيت الشجاعة حقها غداة لقيت الموت غير هيوب

من السعادة أن يموت القوم كراماً .

---

(١) (البارد) السيف ، البوارد السيوف القواتل (اللسان) يحمي السيف فوق الدرع أو السيف فوق السيف .
(٢) فراش الرأس : عظام رقاق تلي القحف .
(٣) الأشوس : الجريء على القتال الشديد (اللسان) .
(٤) رجل أليس من رجال ليس وهو الذي لا يبالي هولاً ، ولا يروعه شيء (الاساس) .

للحديد العلا على سائر الجوهـــر ذلّ العدى وعزّ الضيوف

فوارس خيلكم تعطي مناها إذا دمّى نواجذها الشكيم (١)
وفي بيض السيوف بياض عيش بذلك — فاعلموا — نطق الحكيم

* * *

القوة :

يخضع الظبي الأخضع (٢) ، وينتصر الليث المهتصر .

* * *

المال ، تشميره :

والمال خدن النفس غير مدافع والفقر موت جاء بالاهمال
أو ما ترى حكم النجوم مصوراً بيت الحياة يليه بيت المال

ماأيسر كالعدم في الاحكام بل شحظت حال المياسير عن حال المحاويج

أنفق لترزق فالثراء الظفر ، ان يُترك يَشن ويعود حين يُقلم

ينبغي لمن يرث أن يحترث ، وإلا ففي التراث .

جل من سخره لقضاء الحاج

أعتمد على ذي وجهين ، ما عُرف قط بالمين . لو كان رجلاً لكان ناصح الجيب . . . سبح ربه مذ خلق ، اذا انطلق به فهو منطلق . ومتى بُعث في المآرب قضاها ، والله بلطفه أمضاها . ثم يُحبس ولا ذنب له ، سجن فهو طول الدهر مستريح ، لاتلج عليه الشمس ولا الريح . لايأكل ولا يشرب . . . له منزل

(١) الشكيمة في اللجام الحديدة المعترضة في فم الفرس التي فيها الفاس . وفأس اللجام الحديدة القائمة في الحنك .

(٢) الأخضع الذي في عنقه خضوع خلقة (أبو العلاء) . رجل اخضع : راض بالذل (الاساس)

مادخله الهم . . . اذا غاب الحافظ عنه فله الختم ، وليس ذلك من القضاء الحتم . . . خص بالعمر الطويل ، وتناسخه جيل بعد جيل ، فظهر في الأكاليل ، والاسورة والخلاخيل ، والكأس الدائرة بشراب الكرم والنخيل ، ماشاب ولا هرم ، ولا درَم (١) للكبر ولا درِم (٢) ملكه قوم فدفنوه ، فتطاولت في الأرض سنوه ، ثم ظهر ما نُسي اسمه ، ولا تغير جسمه . . . به صفرة من غير الضرب ، ظهر بها في الشرق والغرب . . . تلقاه معلماً بالتوحيد ، وليس بالعالم ولا البليد ، ولكن الله أنطق بعظمته كل جماد . . . جلّ من سخره لقضاء الحاج .

* * *

العمل :

تروم رزقاً بأن سموك متكلاً وأدين الناس من يسعى ويحترف

لاتقومن في المساجد ترجو بها الزلف
معملا بسط راحتيك الى نائلٍ يلف
ورم الرزق في البلاد فان رمته ازدلف

يعرى الفقير وبالدينار كسوته وفي صوانك ماإعداده خرف

أملكُ من شداد بن عاد ساعة تفتقر الأملاك رجل اشترى كرّاً (٣) ، وقصد منابت الشجر محتطباً ، فرجع بالعضد (٤) متكسباً ، فأحل في المكسب وأطاب .

لايصبرن فقير تحت فاقته ان السباريت جابتها السباريت (٥)

(١) درم من الدرمان وهو تقارب الخطو .
(٢) درم من الدرم وهو سقوط الاسنان ، ومن ذلك قيل : كعب ادرم ، والمعنى ان نقشه لم يزل وخشونته لم تملس (أبو العلاء) .
(٣) الكر : الحمل ج كرور .
(٤) العضد : ماعضد من الشجر ، وعضده قطعه بالمعضد وهو كل ماعضد به الشجر (اللسان) .
(٥) (السباريت) القلوات [جابتها] قطعتها [السباريت] المساكين والمحتاجون ، جمع سبروت وسبريت . وفي نقائض [جرير والأخطل] لأبي تمام : صعلك الرجل وسبرت اذا افتقر . وفي [التاج] سبرت الرجل قتم وتمسكن .

رفع المسهم

من في اللجة يغبط السائر على المحجة، والمسافر يغبط المقيم، والغنيمة مع الظاعنين.

العمل ـ وان قل ـ يُستكثر اذا اتصل ودام .

من سهر في الليالي السود فأحر به أن يسود .

بُلغ أمل بعمل ، وأهل التقصير بلا عون ولا نصير .

أجد عملك وجِدّ فيه .

طدْ بناءك على أس .

* * *

الثمر ، النبات :

فاذا ملكت الأرض فاحم ترابها من غرسه شجراً بغير ثمار

اذا رملة لم تجيء بالنبات فقد جهلت إن سقتها السواني (١)

* * *

النسل ، الزواج

والنسل أفضل مافعلت بها فاذا سعيت له فعن عقل

إذا شئت يوماً ان تقارن حرة من الناس فاختر قومها ولجارها

اذا خطب الحسناء كهل وناشيء فان الصبا فيها شفيع مشفع
ولا يزهدنها عدمه ، إن مُده لأبرك من صاع الكبير وأنفع
وما لأخي الستين قدرة سائر اليها ولكن عجزه ليس يُدفع
ويخفض في كل المواطن ذمه وان كان يُدنى في المحل ويرفع

اذا ما ابن ستين ضم الكعاب اليه فقد حلت البهلة (٢)

---

(١) السانية : الساقية ، عنى بالسواني السحب .

(٢) البهلة ـ بالفتح ويضم ـ اللعنة ، ومنه حديث أبي بكر : من ولي من أمر الناس شيئاً فلم يعطهم كتاب الله فعليه بهلة الله .

رفع المسهم

هو الشيخ لم يرضه أهله ولم يرض في فعله أهله (١)
فلا يتزوج أخو الأربعين الا مجربة كهله
رأى الشيب في عارضيه المسن فنعم القرين له الشهله (٢)

اذا كانت لك أمرأة عجوز فلا تأخذ بها أبداً كعابا
فان كانت أقل بهاء وجه فأجدر أن تكون أقل عابا
وحسن الشمس في الأيام باق وان مجّت من الكبر اللعابا
ومن جمع الضرات يطلب لذة ، فقد بات بالأضرار غير سديد

* * *

معاملة الصغار

ورفقاً بالأصاغر كي يقولوا غدونا بالجميل معاملينا
فأطفال الاكابر إن يوقوا يروا يوماً رجالاً كاملينا

لا تزدرن صغاراً في ملاعبهم فجائز أن يروا سادات أقوام
وأكرموا الطفل عن نكر يقال له فان يعش يدع كهلاً بعد أعوام

* * *

... وبالوالدين احسانا

العيش ماض فأكرم والديك به والأم أولى بأكرام وإحسان
وحسبها الحمل والارضاع تدمنه أمران بالفضل نالا كل انسان

---

(١) وللشيخ :

وواحدة كفتك فلا تجاوز الى اخرى تجيء بمؤلمات
ولا يتأهلن شيخ مقل بمصرة من المتنعمات
فان الفقر عيب إن أضيفت اليه السن جاء بمؤلمات

(٢) الشهلة : النصف العاقلة ، العجوز وذلك اسمها خاصة ، وامرأة شهلة كهلة ، ولا يقال : رجل شهل كهل ولا يوصف بذلك إلا أن ابن دريد حكى : رجل شهل كهل .
وللشيخ :

اذا خطب الزهراء شيخ له غنى وناشيء عدم آثرت من تعانق

تحمل عن أبيك الثقل يوماً فان الشيخ قد ضعفت قواه
أتى بك عن قضاء لم ترده وآثر أن تفوز بما حواه

* * *

حفظ الصحة

دار نفسك وان بلغت سن الهرم كما يدارى الوليد .
إفراط الشبع آفة على كل حيوان .

سمنك خير لك من درة زهراء تعشي أعين الناظرين
عجبت للضارب في غمرة لم يطع الناهين والآمرين
يكسر باللؤلؤ من جهله خشباً عفت عن أنمل الكاسرين

تجزأ ولا تجعل لحتفك علة باكثار طعم ، ان ذلك لوم (١)

لاتربلنّ وكن رئبال مأسدة ان الرشاد ينافي البادن الربلا (٢)

* * *

الشبيبة

اذا ما خبت نار الشبيبة ساءني ولو نُص لي بين النجوم خباء

ان الشبيبة نار ان أردت بها امرأ فبادره ، ان الدهر مطفئها

* * *

السفر

لو ملكت الرحيل جولت في الآفاق حتى يملني التجويل .

* * *

---

(١) تجزأ بالشئ : قنع بالشئ واكتفى به . اكتف بجزء من أكلك .
(٢) الربالة : كثرة اللحم وهو ربيل وربل .

رفع المسهم

أدب السلوك

الكتاب المختوم يشتمل على سر مكتوم ، فان فضضته ولم يأذن من أمنك عليه فقد أوضعت (١) في سبيل الخائنين .

لا يبصر القوم في مغناك غسل يد ... على الطعام الى أن يرفع السور (٢)
ولا يكن ذاك الا بعد كفهم ... أكفهم ، ويسيرُ الفعل ميسور
فان تقريب خدام الفتى حرضاً ... والضيف يأكل رأي منه مخسور (٣)

* * *

لكل زمان ما يشاكله

أعددْ لكل زمان مايشاكله ... ان البراقع يُستثبتن بالشبم (٤)
فان ضربت بسيف الهند في ومد ... فسيف افرنجة المخبوء للشبم (٥)

* * *

المرء شبه زمانه

وإن الفتى فيما أرى بزمانه ... لأشبه منه شيمة بأبيه (٦)

* * *

النـاس

والناس بالناس من حضر وبادية ... بعض لبعض ـ وان لم يشعروا ـ خدم (٧)

---

(١) مشيت .

(٢) سور بمعنى عرس ووليمة (شفاء الغليل) وفي النهاية) في حديث جابر أن رسول الله (ص) قال لأصحابه : قوموا فقد صنع جابر سوراً أي طعاماً يدعو الناس اليه ، واللفظة فارسية .

(٣) الحرض : الأشنان تغسل به الثياب والأيدي على أثر الطعام .

(٤) الشبامان خيطان في البرقع تشده المرأة بهما في قفاها .

(٥) (ومد) حر (المخبوء) المعد المدخر الشبم (البرد) .

(٦) في (امالي القالي) : هشام بن عروة : الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم وروى ابن هندو في كتابه (الكلم الروحانية في الحكم اليونانية) لأفلاطون : لا تقسروا أولادكم على آدابكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم .

(٧) قالوا : الحضر ، محركة فهل سكنت ضرورة ؟

ان خالفوك ولم يجرر خلافهم شراً فلا بأس ،ان الناس أخياف (١)

قال الخليفة العظيم عمر : « أعقل الناس أعذرهم للناس »

ومن عرف الناس وتاريخهم ووراثتهم القريبة والبعيدة (L'atvisme) ومنشأ مايسمى (رذائل) وأسبابها عذر ولم يستعجب مما يشاهد . يقول الشيخ :

يلقاك بالماء النمير الفتى وفي ضمير النفس نار تقد

يعطيك لفظاً ليناً مسه ومثل حد السيف ما يعتقد

وهذان البيتان ان دل ظاهرهما على معايب في الناس ففيهما ماينبئ بارتقاء لهم عجيب ، فقد أمسى هذا الفتى الذئب الجشع الحاسد المحتقد سافك دم أخيه من أجل ثعلب ظفر به أو يربوع ومن أجل مستنقع يرده أو مطيطة (٢) ـ قد أمسى هذا الفتى وارث الغرائز يلقاك أحسن لقاء ويخاطبك خطاباً جميلاً وفي الضمير والمعتقد ماأبان الشيخ . فاذا طال تكلفه مايتكلفه ، واستمر اعتياده مايعتاده « وعادة المرء تدعى طبعه الثاني » كما يقول شيخنا حكى بعد أدهار باطنه ظاهره ، اشبه جوانيه برانيه ، وحسبك منه اليوم ذاك اللقاء وذاك العطاء وان كان في ضمير النفس نار تقد ، وساء مايعتقد .

... كذلك سخرناها لكم :

قال الامام ابن قيم الجوزية في كتابه (طريق الهجرتين وباب السعادتين) :

«... ولما انتهى أبو عيسى الوراق الى حيث انتهت اليه أرباب المقالات طاش عقله ، ولم يتسع لحكمة إيلامٍ وذبحه صنف كتاباً سماه (النوح على البهائم) فأقام عليها المآتم ، وناح وباح بالزندقة الصراح » .

وقال العلامة الفيومي في المصباح :

ويحرمون ـ يعني البراهمة ـ لحوم الحيوان ، ويستدلون بدليل عقلي فيقولون : حيوان بريءٌ من الذنب والعدوان فايلامه ظلم ، خارج عن الحكمة . وأجيب بظهور الحكمة ، وهو أنه استسخر للأنسان تشريفاً له عليه ، واكراماً له كما استسخر النبات للحيوان تشريفاً للحيوان عليه . وأيضاً فلو ترك حتى يموت حتف أنفه مع

(١) من المجاز : هؤلاء أخياف أي مختلفون .

(٢) المطيطة : الماء المختلط بالطين الذي يتمطط أي يتمدد لكثورته [الفائق] .

كثرة تناسله أدى الى امتلاء الأفنية والرحاب وغالب المواضع ، فيتغير منه الهواء ، ويكثر به الفناء ، فيجوز ذبحه تحصيلاً للمصلحة وهي تقوية بدن الأنسان ، ودفع لهذه المفسدة العظيمة . واذا ظهرت الحكمة انتفى القول بالظلم والعبث » .

وشيخنا المعري يقول داعياً الى الارتفاق به :

يأكل أطايب الأعفاء من سمح بالرسل في أيام السفاء (١) ، ويلج الغمار باذل السمار (٢) ، وتثني الضيفان على الجائد بمثنى الجفان . لايثني عليك فصيل بالأصيل . ومن اخضرت شربته (٣) بالواد اكمات مربده بالتمر الجلاد (٤) . ومن ركب العامة (٥) في طلب الصيد كانت بطون عياله قبوراً للحيتان . ومن تتبع بقوسه موارد الوحش كثر في منزله الوشيق (٦) .

وقال (الوليد) : النبع ليس بمثمر وأخطأ سربُ الوحش من ثمر النبع (٧)

---

(١) [الأعفاء] جمع عفو وهو الجحش [السفاء] قلة اللبن ، يقال : ناقة سفي وهي ضد الصفي ، والمعنى أن من سقى فرسه اللبن في أيام قلته طرد عليه الوحش فصادها [أبو العلاء] . العفو : الجحش سمي به لأنه يعفي عن الركوب والأعمال [الفائق]

(٢) [الغمار] جمع غمرة وهي الشدة [السمار] اللبن المذيق ، والمعنى أن من سقى فرسه سماراً وثق بجريه فولج غمار الحرب [أبو العلاء] .

(٣) اخضرت شربته أي صار عليها طحلب من كثرة الماء وادمان السقي (أبو العلاء) الشربة مثل الحويض يحفر حول النخلة والشجرة ، يملأ ماء يسع ريها فتتروى منه ، والجمع شرب وشربات (التاج) .

(٤) اكمات المربد أي صار فيه ثمر يوصف بالكمتة ، والعرب تصف الثمرة بالكميت ، والجلاد جمع جلدة وهي التمرة الشديدة التي لاتتوسف أي تتفتر (أبو العلاء) .

(٥) العامة ضرب من السفن (أبو العلاء) وفي الاساس : وركبوا العام أي الارماث الواحد عامة لأنها تعوم في الماء وفيه : وركبوا الرمث في البحر وهو الطوف : وهو من قرب منفوخ فيها .

(٦) الوشيق اللحم المقدد طولا ، والقطعة وشيقة (أبو العلاء) .

(٧) (في شرح سقط الزند) :

« أراد الوليد بن عبيد البحتري وذلك أنه قال في شعره :

وعيرتني خلال العدم آونة والنبع عريان ، مافي عوده ثمر

يعني بالنبع الشجر الذي يعمل منه القسي ، قال البحتري : (ان النبع لاثمر له) وقد أخطأ في قوله فان قطيع الوحش التي تصاد من الظباء والحمر والبقر الوحشية ـ من ثمار النبع ، وذلك أن القسي انما تبرى من النبع ، ويرمى الى الوحش عنها ، وتصاد بها ، فالوحشي اذن من ثمر النبع ... » و (عريان) مصروف ، وقد ترك البحتري صرفه ضرورة .

جلة ابلك وعشارها (١) أروت ضيفك غزارها ، وملأت جفانك وذارها (٢) لن تبكيك بكارها اذا السنة كثر قطارها ، وذُبح في الروضة فارها (٣) ، واعتم بالروضة بهارها (٤) . سائم إبلك شرارها .

* * *

الاثرية ، الايثارية .

ان ترد أن تخص حراً من الناس بخير فخص نفسك قبله .

اذا لم يكن لي بالشقيقة منزل فلا ظهرت عزاؤها والشقائق (٥)

اذا كان إكرامي صديقي واجباً فاكرام نفسي ـ لامحالة ـ أوجب

ومن أطال خلاجاً في مودته فهجره لك خير من تلافيه (٦)

اذا ولى صديقك فول عنه ، فانما يُنزل بالوادي ذي الشجر والروض العميم (٧) ويقدح بزند العفار (٨) مادام واري النار ، فاذا خبت ناره بطل اختياره ، واذا السقاء لم يمسك الماء فهو زيادة في مشقة المسافر .

---

(١) « الجلة » المسان ـ الكبار ـ من الأبل يكون واحداً وجمعاً ويقع على الذكر والأنثى « اللسان » عشراء أتى على حملها عشرة أشهر والجمع عشار ومثله نفساء ونفاس ، ولا ثالث لهما « المصباح »

(٢) وذارها جمع وذرة وهي القطعة من اللحم « أبو العلاء » .

(٣) ذبح الفار المسك وهو ههنا استعارة للروض « أبو العلاء »

(٤) اعتم النبت اذا طال وكثر [أبو العلاء] . [البهار] : نبت طيب الريح : النرار .

(٥) [الشقيقة] الفرجة بين الرمال [الغزاء] المطر الشديد الوابل [الشقائق] سحائب تبجت بالامطار الغدقة ، والشقائق هو هذا الزهر الاحمر المعروف .

(٦) [خلاجاً] نزاعاً : جذباً .

(٧) كل ما اجتمع وكثر عميم والجمع عمم ، والعميم الطويل من الرجال والنبات [اللسان] .

(٨) العفار شجر يتخذ منه الزناد ، المرخ والعفار شجرتان فيهما نار ليس في غيرهما من الشجر [اللسان] وفي أمثالهم : (في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار) وقد رواه الميداني وشرحه .

لاتاو (١) لمفسد تاو (٢) ، فان الذيب جدير بالتعذيب .

آخ في الله الاخوان ، ولا تقل لبعيرك : إخّ في دار الهوان (٣) .

ادفع الشر اذا جاء بشر وتواضع انما أنت بشر

بأي لسان ذامني متجاهل عليّ ، وخفق الريح فيّ ثناء
تكلم بالقول المضلل حاسد وكل كلام الحاسدين هراء

اذا ماقلت نثراً أو نظيماً تتبع سارقو الألفاظ لفظي

كأني اذا طلت الزمان وأهله رجعت وعندي للأنام طوائل (٤)
وقد سار ذكري في البلاد فمن لهم باخفاء شمس ضوءها متكامل
واني وان كنت الأخير زمانه لآتٍ بما لم تستطعه الأوائل
وطال اعترافي بالزمان وصرفه فلست أبالي من تغول الغوائل
فلو بان عضدي ما تأسف منكبي ولو مات زندي مابكته الأنامل

وكم من طالب امدي سيلقى دوين مكانيَ السبع الشدادا
ويطعن في علايَ وإن شمسي ليأنف أن يكون له نجاداً
ويظهر لي مودته مقالاً ويبغضني ضميراً واعتقادا
لي الشرف الذي يطأ الثريا ، مع الفضل الذي بهر العبادا
وأحسب ان قلبي لو عصاني فعاود ماوجدت له افتقادا

تعاطوا مكاني وقد فتهم فما أدركوا غير لمح البصر
وقد نبحوني وما هجتهم كما ينبح الكلب ضوء القمر

* * *

(١) أوى له : رق ورثى له ، وأشفق عليه ، يأوي مأوية ومأواة .
(٢) تاو : هلك ، توي كرضي يتوى وطي تقول : توى كسعى .
(٣) إخ ـ بسكون الخاء وفتحها ـ صوت اناخة الجمل ، ولا فعل له .
(٤) طلت : فقت (الطوائل) ج طائلة : الترات الذحول .

وافعل بغيرك ماتهواه يفعله وأسمع الناس ماتختار مسمعه(١)

ولو أني حبيت الخلد فرداً لما أحببت بالخلد انفرادا

فلا هطلت عليَّ ولا بأرضي سحائب ليس تنتظم البلادا

فياوطني ، ان فاتني بك سابق من الدهر فلينعم لسا كنك البال

وما سرني أني أصبت معاشرا بظلم واني في النعيم مخلد

فانفع اخاك على ضعف تحس به ان النسيم بنفع الروح هباب

كيف لايشرك المضيقين في النعمة قوم عليهم النعماء

أنجد أخاك على خير يهم به فالمؤمنون لدى الخيرات أنجاد

فجد بعرف ولو بالنزر محتسباً ان القناطير تحوى بالقراريط

---

(١) هذا البيت يشمل الاثرية والايثارية معاً . ولحكماء الافرنج قبل التاريخ الميلادي بخمس مئة سنة وفي الانجيل ولحكيم الصين مايشبه قول الشيخ . وروى البخاري في جامعه : « لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه » والحديث الكريم - كما ترى - هو أثري ايثاري . ولأبي العتاهية .

ولا خير فيمن ظل يبغي لنفسه من الخير مالا يبتغي لأخيه

وروى البحتري في حماسته لعبد الله بن معاوية الجعفري .

ارض للناس مارضيت من النا س والا فقد ظلمت وجرتا

وروى السبكي في طبقات الشافعية الكبرى لأبي سليمان الخطابي :

ارض للناس جميعاً مثل مارضى لنفسك

انما الناس جميعاً كلهم أبناء جنسك

فلهم نفس كنفسك ولهم حس كحسك

وفي (كامل) المبرد هذا القول : «خير الناس للناس خيرهم لنفسه » قال أبو العباس : وذلك أنه اذا كان كذلك اتقى على نفسه من السرق لئلا يقطع ومن القتل لئلا يقاد ، فسلم الناس منه باتقاء على نفسه .

فدار خصمك ان حق أنار له ولا تنازع بتمويه واجلاب

اذا ماتبينا الأمور تكشفت لنا وأمير القوم للقوم خادم

لايتركن قليل الخير يفعله من نال في الأرض تأييداً وتمكينا

أضيء بالمعروف وأتلق ، وأطلق يمناك فغداً تنطلق .

انظر بين يديك ، واجعل الشر تحت قدميك ، واذا دعا السائل فقل لبيك ، واذا الجأ عدوك الدهر إليك فانس حقودك الغبرات(١)، أطعم سائلك أطيب طعاميك ، واكس العاري أجد ثوبيك ، وامسح دموع الباكية بأرفق كفيك .

الرجل كل الرجل من آتى الزكاة ، ورحم المسكين ، وتبرع بما لايجب عليه ، وكره الحنث ، وكفر عن اليمين .

لتكن سماؤك ثرة (٢) ، وثرى (٣) أرضك قريباً ، فنعم الشيء الثراء لمن كسا العاري وأطعم السغبان .

ذرّت (٤) البركة في طعام أكل منه الضعيف ، ونزعت البركة من طعام خص به الغني دون الفقير ، والله مطعم المطعمين . وزر حرام يوقع المحقة في قميص انتسج من حل ، وقطرة الدم تقع في المزادة (٥) فلا يحل منه الطهور .

أرِّ نارك لطارقك (٦) ، ولا تؤرها لاحراق الجار ، والله جار (٧) من

(١) الغبرات : القديمات ، ومنه غبر الجرح اذا انتقض لفساد فيه قديم (أبو العلاء) .
(٢) عين ثرة غزيرة الماء ، وكذلك السحابة ومطر ثرواسع القطر (اللسان)
(٣) الثري: التراب الندي، والثرى الندى (اللسان) وفي الاساس: وبلغت ثرى فلان اذا أدركت ماتطلب منه .
(٤) ذرت نثرت ، بذرت .
(٥) المزادة ظرف من جلد يحمل فيه الماء .
(٦) أرى ناره تأرية : أشعلها ورضها .
(٧) جاره : مجيره .

رفع المسيهما

لا جار له من المستضعفين . وبرّ في قلبك خير من برّة [١] في يدك ، فاتق الله ، وكن من الأبرار الطاهرين .

قد نفسك إلى الواجب ولو بجرير ، وكد معاديك بأن تجتنب أفعال الكائدين ، ودل السائل لتكون نعم الدليل ، ودم على ماقربك من الأبرار الطيبين ، ودن من فعل خيراً معك فانك مدين .

بابغاة الآثام ، وولاة أمور الأنام ، مرتعُ الجور وخيم ، وغبه ليس بحميد ، والتواضع أحسن رداء ، والكبر ذريعة المقت ، والمفاخرة شر كلام . كلنا عبيد لله .

من بخل بطعام ، فقد بخل بقليل الانعام .

بعدت رائحة قتار ، تظهر تارة بعد تار [٢] . ثم لاينال خيرها الفقير .

النفاق يلبسك ثوب الاشفاق ، والافتقاد يذهب الأحقاد ، والأشر يهلك البشر ، لا كتبنا الله مع الأثرين .

مارّيا قطر [٣] ورائحة حبيب عطر بأطيب من ثناء مستطر [٤] يثني به بر على مبر [٥] .

* * *

تلكم طائفة من أقوال الشيخ ، وفيها التفاؤل كله في الحياة ، وفيها الاثرية — كما أن فيها الايثارية — وكان شيخنا « يلعب بالشطرنج والنرد ويدخل في كل فن من الجد والهزل » كما روى الصفدي في (نكت الهميان) وكان خفيف الروح يدْعب ويفاكه ، ومن فكاهته في احدى رسائله إلى

---

(١) البرة حلقة من سوار وقرط ، وخلخال من فضة أو ذهب .

(٢) في (الصحاح) : وربما قالوه بحذف الهاء قال الراجز : بالويل تارا والثبور تارا .

(٣) القطر — بضم الطاء وسكونها — العود الذي يتبخر به ، وقد قطر ثوبه ، وتقطرت المرأة ، والعود في المقاطر : المجامر .

(٤) مكتوب .

(٥) أبر الأمور : طلب بها البر والاحسان الى الناس والتحرب الى الله تعالى .

أبي الحسين أحمد بن عثمان النكتي البصري وقد غير هذا اسمه ، وقصر كنيته — هذه النبذة :

« . . . وأهل البصرة (١) (سلمهم الله) ينسبون إلى قلة الحنين ، أليس قد مرت به هذه الحكاية وهي انه وجد على حجر مكتوب :

ما من غريب وان أبدى تجلده إلا سيذكر عند العلة الوطنا

فكتب تحته إلا أهل البصرة . فاذا كانت تلك سجيتهم مع أهلهم وأوطانهم فكيف بالذين عرفوهم من اخوانهم ؟ والدليل على ماقلت أنه — ادام الله عزه — لم يثبت (٢) اسمي ، جعلني محمداً واسمي أحمد . . . وله أن يقول انه تشبث بالكنية فاستغنى بها عن الاسم . فأما أنا فحفظت اسمه وكنيته ونسبه ، ولم أنس أيامه ولا مذاكرته ، وقد جعلت جواب كتابه نائباً مناب الاجتماع معه . . . وما عبت على أهل البصرة قلة التفاتهم إلى الأوطان وانما وصفتهم بقوة القلوب والأكباد لأن العرب تصف نفوسها بذلك ، أليس قد بلغه قول قتادة ابن مسلمة الحنفي :

يبكى علينا ولا نبكي على أحد لنحن أغلظ أكباداً من الابل

فكيف استجاز أن يقصر كنية صديقه ؟ أما السمة فغيرها ، وأما الكنية فقصرها ، فانا لله وانا إليه راجعون ! هذا أمر من الله ليس هو من ضعف الشاعر ولا وهن القائل ولكنه من سوء الحظ لمن خوطب والاتفاق الرديء لمن سمي وذكر . . . وانما تغوثت من ذلك لأني قصير الهمة قصير اليد مقصور النظر أي مكفوف ، مقصور في البيت أي لازم له فكأني محبوس فيه . فما كفاني ذلك مع قصر الجسم حتى يضاف إليه قصر الاسم ، لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . لو كنت أطول من ظل الرمح لصرت أقصر من سالفة الذباب (٣) ، قد كدت أمصح في الارض كما تمصح الظلال (٤) . . وقد مدحني بما ليس في ، ولكنه في ذلك على مذهب الخطباء والشعراء ،

(١) البصرة : مثلثة والفتح والسكون الفتة العالية والنسبة اليها بكسر الباء وفتحها .
(٢) أثبت الشيء : عرفه حق المعرفة . وفي الأساس : أثبت الشيء معرفة اذا قتله علماً .
(٣) السالفة : جانب العنق .
(٤) مصح الظل : ذهب .

وزعم صاحب المنطق في كتابه الثاني من الكتب الأربعة أن الكذب ليس بقبيح في صناعة الشعر والخطابة ، ولذلك استجازت العرب أن تقول فتفرط . . . »

وما (رسالة الغفران) العبقرية إلا كتاب أماليح وأفاكيه وأهاكيم (١) .

وكان الشيخ كلفاً بالحمد والمجد « والثناء على الرجل أحسن الملبوسات (٢) » « وغير ملوم من عشق الثناء لأنه أحسن حبيب مزور وأبقى منفس مذخور (٣) » وقد أعلن ذلك ابن القارح في رسالته المشهورة إلى أبي العلاء :

« . . . ويعلم الله الكريم (تقدست أسماؤه) أني لو حننت إليه (أدام الله تأييده) حنين الواله إلى بكرها ، أو الحمامة إلى إلفها ، أو الغزالة إلى خشفها — لكان ذلك مما تغيره الليالي والأيام والعصور والأعوام لكنه حنين الظمآن إلى الماء ، والخائف الى الأمن ، والسليم (٤) إلى السلامة ، والغريق إلى النجاة ، والقلق إلى السكون بل حنين نفسه النفيسة إلى الحمد والمجد ، فاني رأيت نزاعها إليهما نزاع الاسطقسات (٥) إلى عناصرها ، والأركان إلى جواهرها . . . »

* * *

وإذا أقام أبو العلاء في عرينه مضرباً فيه (٦) ، فقد كان مطلاً على الدنيا — وان خيل أنه تخلى منها — وما كان أخا زهد (٧) فيها ، لافكر له في شيء . وكانت شؤون أمته تعنيه أيما عناية ، والمتشائم لاتهمه حالة ، ولا يبالي بأمر بالة . كتب إلى أبي الحسين بن سنان ، وقد أوذم على نفسه الحج (٨) ، والعدو يزأر في الثغور :

---

(١) جمع أهكومة والأهكومة كالأعجوبة من التعجب .

(٢) أبو العلاء في « الفصول والغايات » .

(٣) أبو العلاء في رسالته الى بعض أولياء السلطان يشفع في صديق له كان عاملاً يعرف بالحسين ابن عنبسة . والمنفس كالنفيس ، نفس نفاسة وأنفس انفاساً .

(٤) السليم : اللديغ ، وانما سمي اللديغ سليماً لأنهم تطيروا من اللديغ فقلبوا المعنى كما قالوا للحبشي أبو البيضاء وكما قالوا للفلاة مفازة تفاءلوا بالفوز وهي مهلكة (اللسان) .

(٥) العناصر الأربعة في مذهب القدماء وهي الماء والنار والأرض والهواء . . .

(٦) أضرب في بيت : لم يبرح .

(٧) كل من نسب الى شيء فهو أخوه كقولهم اخو سفر واخو عزمات واخو قفار واخو خمر واخو لذة (المخصص) .

(٨) اوذم على نفسه حجاً اوجبه وعم به ابو عبيد : واوذم على نفسه سفراً اوجبه (المخصص)

« . . . وسفر مولاي إلى الحج في هذه السنة حرام بسل . . . وهل سمع في أخبار الصحابة (رحمهم الله) أو التابعين أن رجلاً خرج من مصافة [١] العدو يريد بيت الله الحرام . . . وهو (أدام الله تمكينه) أمين من أمناء المسلمين ، رهف الشوكة [٢] ، ويستجيد اللأمة [٣] ، ويحصن ماوهى من سور . . . البيت العتيق منذ عصر آدم يزار ويحج ، ماخيف عليه انتقال ولا تحول ، ولا غيره عن العهد مغير . . . أما يعلم أن لأهل البلد أنساً برؤية شخصه واستماع قوله . وما ينبغي أن يكون كما قيل في المثل : (لج فحج) ولو قال وليد لوليد في ليل داج وهو محادث محاج : من يؤجر في مقامه في الديار أضعاف أجره في حج واعتمار ؟ فقال الوليد الآخر : (محمد بن سعيد) لوقع سهمه غير بعيد . وحماية الذمار [٤] أولى من حج واعتمار . . . »

ولما صبأ الفتى طارق (خلده الله في جهنم) .

وفارق دين الوالدين بزائل ولولا ضلال بالفتى لم يفارق [٥]

أرسلها (لزومية) صاعقة مجلجلة أحرقت ذاك المضلل . وهذه اللزومية — وهي واحد وعشرون بيتاً [٦] — توضح فرط عنايته بأمته واستمساكه بنحلته ، وتنبىء بأنه كان يداخل القوم في أحوالهم وان كان جليس نفسه [٧] .

* * *

اقرأ كلامي إذا ضم الثرى جسدي [٨] فانه لك ممن قاله — خلف [٩]

محمد اسعاف النشاشيبي

---

(١) صافه فهو مصاف اذا رتب صفوفه في مقابل صفوف العدو ، والمصاف — بالفتح وتشديد الفاء — جمع مصف وهو موضع الحرب الذي تكون فيه الصفوف (اللسان) .

(٢) الشوكة : السلاح . رهف السيف وأرهفه : رقق حده ، شحذه .

(٣) اللأمة : الدرع المحكمة الملتئمة .

(٤) الذمار كل مايلزمك حمايته والذود عنه . في الاساس : هو حامي الذمار اذا حمى مالو لم يحمه لم وهف من حماه وحريمه كقولهم حامي الحقيقة .

(٥) أبو العلاء .

(٦) ذكر الشيخ طارقاً هذا في لزومية اخرى وفيها التوبيخ الشديد والذم البليغ .

(٧) فلان جليس نفسه اذا كان من أهل العزلة .

(٨) أبو العلاء .

(٩) شاء صاحب هذه الكلمة ان يتلو في الحفلة قسماً منها لأن الوقت لا يتسع لتلاوتها كلها .

ابو العلاء

١ — مهرجانه

أجل هو يوم الشعر تطغى عباقره ... وتملأ أسماع الخلود منابره
مشي مهرجان الدهر فيه مباهراً ... فخفت له الأفلاك نشوى تباهره
وقام جلال الحق يسعى وأقبلت ... وفود النهى من كل صوب تسايره
وودت دهاقين القرون لو انها ... ميامنه في جيشه ومياسره
ولولا حياء الليل نُصت مواكباً ... عذارى الدجي في حشده وحرائره
ثوى ربه من سدرة الخلد سدة ... يلوذ بها ناهي الزمان وآمره
شهاب تحاماه الرجوم وساطع ... من الفجر مغمور به من يناكره
وسيف جلاه الدهر دهراً فلم يجد ... له دولة تسطو به وتشاوره
أذاب اختيال الدهر في كبريائه ... فدانت له أسراره ومجاهره

٢ — ذكاؤه وقوة طبعه

هو الشاعر الأعلى فمن ذا يكابره ... وقد طبق الدنيا فمن ذا ينافره[١]
وماذا يقول اليوم فيه مفوّه ... وقد أثقلت ظهر الزمان مفاخره
ولو نُشرت آي النوابغ جملة ... لأربت عليها آيه ومآثره
له يقظات توقظ الوقد في الصفا ... وتبعث ميت الروض يهتز ناضره
وجذوة طبع تترك البحر مارجاً ... ويبصر فيها الليل أين مخاطره[٢]
وطبع علا السبع الطباق فأسلست ... له رهبة أو رغبة لا تماكره
يطأطئ من تيه الكواكب وادعاً ... فتعنو له طوع الهوى لا تعاسره[٣]

(١) في المروي أن شعر أبي العلاء بلغ مائة الف بيت وإن كان المدون منه دون ذلك بكثير.
(٢) المارج : الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد او النار بلا دخان . ومخاطره : مسالكه وطرقه.
(٣) أكثر أبو العلاء ، من ذكر النجوم ومظاهر الفلك والشمس والقمر وألوان الطبيعة ووصف الكواكب ومصيرها ، فرادى وجماعات ، إكثاراً أبر به على كل شاعر . —

رفع المسهم

تتيه بذكراه الليالي وتنتشي حنادسها ما طرَّبَ الحفل ذاكره(١)
فلا تدعوا في الوسع طوقاً فكلنا رعيته في حفله وعساكره

٣ — ثورته على الملوك

تأنق في إكليل مجدك ضافره فرفت على هام العصور ضفائره
ولو ملكت زهر النجوم قيادها لأهوت اليه النيرات تصاهره
تهاداك أعناق القرون ، فتارةً نهوضاً وأخرى يدرك الجدّ عاثره
وما كنت الا الشمس إن غال عارض سناها فعن وشك يبدد غامره
ترفعت عن صوغ المحال وأكبرت لها ُتك ميناً فانقتك جرائره
وأسمعتهم سجع الحمام فردّدوا زئير الضواري العاديات هزابره(٢)
فأصليتهم نار القوافي ورعتهم بكل حديد الطرف ُقبٍّ خواصره(٣)

— قال : سبحان من برأ النجوم كأنها در طفا من فوق بحر ماتج
وقال : وفي كل شهر تصرع الدهرجنة فتفقد فيه بالهلال التمائم
وقال : زحل أشرف الكواكب داراً من لقاء الردى على ميعاد
(١) قال : ينافس يومي فيّ أمسي تشرفاً وتحسد أسحاري عليّ الأصائل

(٢) قال أبو العلاء وقد استشفع به أهل المعرة إلى صالح حين نزوله بجيشه عليها فشفعه بهم ورحل عنها بعد أن وهبهم له :

ولما مضى العمر إلا الأقل وآن لروحي فراق الجسد
بعثت شفيعاً إلى صالح وذاك من القوم رأي فسد
فيسمع مني سجع الحمام وأسمع منه زئير الأسد

(٣) القب : جمع أقب وهو الضامر من الخيل ومؤنثه قباء ، والمعنى أن كل بيت من شعر أبي العلاء يصير بيوب الملوك يكشفها للناس سريع إلى هتك فضائحهم سرعة الخيول الضامرة . فمن ذلك قوله :

وأرى ملوكاً لا تسوس رعية فعلام تؤخذ جزية ومكوس

وقوله :

ساس الأنام شياطين مسلطة في كل مصر من الوالين شيطان

وقوله :

رئس الناس بالدهاء فما ينفـــك عصر ينقاد طوع دهاته

اذا زار مختال الملوك تضاءلت ... عليه ثياب الملك وارتاع طائره[1]
وهمت به أجناده وتنكرت ... ببشاشتها أبهاؤه ومقاصره
فما في بني حواء غيرَك شاعر ... يهاب وتخشى وهو عفٌ بوادره

٤ — هو والناس

ولو كنت ذا زيغ لآن لذي الحجا ... فيعلمُ أن الزيغ يمحوه قادره[2]
ولكنه ظلم الورى ليس للورى ... عن الظلم مرتاد تقيهم محاجره
هم الناس ما أعطوا أخا الحق ذرةً ... من الحق الا مصلتات حناجره
فكم ضاع فجر في ظلام نفوسهم ... وغاب أصيل مشرقات زعافره
وكم ضلّ في دهمائهم رائد الضحى ... وأخطأ نجماً قصده ومسايره
ولولا الحقود المستكنات لارتووا ... سراب الفلا أجتْ لهيباً هواجره
فما أبعد القطب المدى في سموه ... عن الأرض لولا الشر منهم يحاذره

٥ — بيانه وغفرانه

طلعت على الدنيا ظلاماً فشقه ... بيانك حتى أسلمته دياجره
ضربت على الجنّان جزية قاهر ... فجاءت بأخبار السماء تواتره
وأفضت اليك الحالكات بغيبها ... مكشفة أحناؤه وضمائره
فهلهلت جلباب الحقائق فانبرى ... أخوها بياديها الهوى وتجاهره
كأن البيان الحر قبلك ما ضفت ... على أحد ، حتى أتيت ، مآزره
ولو كان وحي بعد وحي محمد ... لما كان إلا وحيك السحر هامره
جلوت به الاخرى نعيماً وجاحماً ... وصورته حتى كأنك عامره[3]
وخلدت من «غفرانك» الفذ للورى ... مناهل وحي مفحم من يناظره

---

(١) وقال :

مل المقام فكم أعاشر أمة ... أمرت بغير صلاحها امراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها ... وعدوا مصالحها وهم أجراؤها

(٢) قدر الله الشيء كقدره تقديراً أي قضاه .
(٣) في رسالة الغفران .

رفع المسهم

٦ — أنفته وشموخه

لكل عظيم جنده ومعاشره ... تعزّ به طوراً وآناً تضافره
ونحن بني الآداب جندك لم يكن ... لذي صولجان مثله إذ نكاثره
جلالك في كل القلوب موطد ... مكين إلى أن يبعث الخلق ناشره
وتاجك معقود على الدهر خالد ... يزان به تاج الدجى ويؤاصره
وما زال ركب الدهر حيران تائهاً ... يحرك لا تلوي ملاذاً مواخره
تجاوزت طوق الحاسدين فأقلعوا ... وأنى لمجتاز الخضمّ قناطره
وأثّلت للأحرار عرشاً على السهى ... تعاوره في كل عصر أخايره
وأنهضت للأخلاق مجداً وعزة ... يحنّ لها من محور الزهر دائره
تركت المنى للساهرين مع المنى ... وصعدت للهم البعيد تساهره
وأعرضت عن دنيا الأنام محلقا ... الى الملأ الأعلى يناجيك كابره
فما صحت في أعقاب ماض ولاهفا ... بلبك للأوطار سؤلٌ تداوره

٧ — اشفاقه على الانسان والحيوان

وسمت الورى نوراً وطرفك موصد ... على النور فياض الجوانب ناثره
فلو جمحت خيل الصباح جذبتها ... أعنتها كي ينقذ الكون باكره
وطفت على الدنيا تواسي حريبها ... وتأسو جراح البؤس تدمى معاقره (١)

(١) قال : أسأت بعبدك في عسفه ... وحملت عبرك مالم يطق
وسوف يجازيك رب السماء ... فشمر لأحكامه وانتطق
وقال : إذا كسر العبد الأناء ضدّه ... أذاة له إن الإناء إلى كسر
وقال : وابك على طائر رماه فتى ... لاه فأوهى بفوه الكتفا
أو صادفته حبالة نصبت ... فظل فيها كأنما كتفا
بكر يبغي المعاش مجتهداً ... فقص عند الشروق او نتفا
كأنه في الحياة مافرع الـ ... ـحسن فنفى عليه أو حتفا
وقال : ياضارب الدود البطيء وظهره ... لاوزر يحمله كوزر الضارب
ارفق به فشهدت أنك ظالم ... في ظالمين أباعد وأقارب

ألمتَ لديدان الثرى في حشا الثرى ... يململها وقد الظما وتجاوره (١)
ولم تنس عيراً يقرع الضيم ظهره ... واشفقت للبرغوث يعقر طامره (٢)
وقمت بعذر الليث يقتات طائعاً ... جبلّته في فرسه مايساوره (٣)
وسامحت ذئب القفر بالشاة ساغباً ... يمزعه ناب الطوى وأظافره (٤)

٨ — خلوده

صحا الدهر الا بعض مس يخامره ... لذكراك وارتاد المحجة سادره
فليس على الغبراء أو في سمائها ... كمجدك مجد لاتبين مفاقره

---

(١) قال في الفصول والغايات : لتكن أفعالك لوجه الله مااستطعت وعزيز ذلك على سكان الأرض ، ولكن توجد من وراء اجتهاد . وإذا فتشتك الشدائد إلى المفازة ومعك خيط من الأبق — أي القنب — ومسك ماء وفرت لك البيداء فم جفر — بئر — فأصبت منه بغيتك ، فاصنع حوضاً ولو قيد فتر فألق فيه من تزيم ذلك الجفر فما أصابه من وحش أو إنس أو ذي جناح فلك من الله الثواب وإن كنت على أوفاض — عجلة — فاسق الأرض لينتفع به ولو بنات السوق — الدود — ولا ترض جزاء على الحسنة بثلاث .

(٢) العير : الحمار . قال في اللزوم :

لقد رابني مغدى الفقير بجهله ... على العير ضرباً ساء مايتقلد
يحمله مالا يطيق فلون ونى ... أحال على ذي فترة يتجلد

وقال : تسريح كفي برغوثاً ظفرت به ... أبر من درهم تحظيه محتاجاً
كلاهما يتوق والحياة له ... حبيبة ويروم العيش مبتاجاً

(٣) قال في اللزوم :

وماذنب الضراغم حين صيغت ... وصيّر قوتها مما تدمي
لقد جبلت على فرس وضرس ... كما جبل الوقود على التسمي

(٤) قال في عذر الذئب ، وذؤالة علم له :

ولولا حاجة في الذئب تدعو ... لصيد الوحش ماافتنص الغزال
وما لذؤالة المسكين صبر ... فيصرفه عن الحمل الهزال

وقال : ولو علمتم بما في الذئب من سغب ... إذن لساحتم بالشاة للذيب

وقال : كم غال طاهيك من عفراء فاردة ... وذات لونين صارت قوت مكسال
وقد ضننت بشاة وهي مرضعة ... على أزل فقيد القوت عسال
بخلت أن يتغذى طفله دمها ... وأنت شارب لذ الطعم سلسال

ودنياك دنيا لايحيط بكنهها بيان وكون لاتناهى عباقره
صليب قناة النفس ما أضمرت وى لذي لجب مهوى المنايا بواتره
عدوت مدى الاملاك ذكراً وسؤدداً وجزت فما يسطيع مجدك كافره
فما ألف نعمان وكسرى وقيصر يضاهيك مهما عز في الارض ناصره
وأي لظى في ساطع الشمس ساطع له لهب مهما تعالت مساعره
وقد عز ابليساً على الفخر آدم بمجدك واستعلى على الجن فاخره
كما عزت العرباء اذ قام أحمد بني الارض واجتاحت دناها ضوامره
فلا زال مجد الاحمدين مرفرفاً على الضاد نهاضاً بها لا تدابره

٩ — شعره لله والخير والحق والاخلاق

مضى بالقريض الناس في كل مهيع وسخرته للحق يسطع باهره
سموت به عن كل سؤل سوى العلى يساقطها بث الجوى وتشاطره
فلله والاخلاق والبؤس بعضه وللخير والآلام والنبل سائره
لأوشك أن تنسى به الاسد بطشها ويسعى الى الموتور بالثأر واتره (١)
ورد على المحروب مابز غاصب وأصبح عاني الطير عفاً مناسره
وآبت خطى الاقدار يقظى رفيقة وراجع تياه القضاء بصائره
وقوّم من زيغ الزمان فلم تدُر بشرٍّ على أهل الزمان دوائره

١٠ — الدنيا وحقائق الكون في شعره

قريضك تيار الحياة أبيةٌ يموج به منها على الدهر زاخره
وبيت يحج العقل في كل ساعة اليه نبيل نُسكه ومشاعره
طويت به الدنيا فضاقت ولم يضق فيممت شطر الغيب تجلى سرائره (٢)

(١) قال :
أيكون رغم الشرور فيلتمي غاو ويقنع بالبنات الضيغم

(٢) قال :
ان لم يكن في سماء فوقنا بشر فليس في الأرض أو ماتحتها ملك
وقال: يجوز أن تطفأ الشمس التي وقدت من عهد عاد واذكى نارها الملك
فإن خبت في طوال الدهر جمرتها فلا محالة من أن ينقض الفلك

فلم يَتْرِك برأً ولا قاع لُجةٍ ... ولا سابحاً في الجو ينقض كاسره (١)
ولو كان مابعد النجوم مسافرٌ ... لسارٍ لما أعيت عليه مَسافرُه
فما اضطربت في خاطرٍ سانحيةٍ ... من الفكر الا في قريضك ساحره (٢)
ولا قذفت كف القرائح معجباً ... من العلم الا في لزومك سافره (٣)
وما في حشا الاحقاب منحى يروده ... خيال ولم تُهتك لديك ستائره (٤)

(١) قال في سقط الزند :

بخرق يطيل الجنح فيه سجوده ... وللأرض زي الراهب المتعبد
ولو نشدت نشأ هناك بذاته ... لماتت ولم تسمع له صوت منشد
وتكتم فيه العاصفات نفوسها ... فلو عصفت بالنبت لم يتأود

(٢) قال في بقاء المادة وأن لافناء في الكون :

جسد ثوى إن تفترق اجزاؤه ... لم ينأ عن فلك عليه مُدار
ولرب أجساد جديرات الثرى ... بالصون عادت في طلاء جدار

وقال : مضى الأنام فلو لا علم حالهم ... لقلت قول زهير أينة سلكوا
في الملك لم يخرجوا عنه ولا انتقلوا ... منه فكيف اعتقادي أنهم هلكوا؟!

(٣) قال في أن الاجسام ليس في طوقها الخروج من الفلك :

ولو طار جبريل بقية عمره ... من الدهر ما استطاع الخروج من الدهر

وقال في وحدة مادة العالم :

وبعض ذا العالم من بعضه ... لولا أياة لم يكن فخت

وقال في ان السكون والظلمة سابقان الحركة والنور في الوجود :

سكون خلت أقدم من حراكٍ ... فكيف يقولنا حدث السكونُ
والنور في حكم الخواطر محدث ... والأولى هو الزمان المظلم

(٤) لم يعرض الباحثون عن ناحية في عظيم إعراضهم عن الخيال في شعر أبي العلاء ونثره ، ولا انقادت الطبيعة لخيال شاعر في قديم ولا حديث ، عربي أو غير عربي انقيادها لخيال أبي العلاء الجبار وإن من البلاء أن يذهل الباحثون في شأنه عن هذه الناحية فيه على كثرتها واستفاضتها في شعره بله نثره . قال في سقط الزند :

وكم بين ريف الشام والكرخ منهلاً ... موارده ممزوجة بسمامه
كأن الصبا فيه تراقب كامناً ... يثور إليها من خلال إكامه
يمر به رأد الضحى متسكراً ... مخافة ان يغتاله بقتامه
نهاراً كان البدر قاسى هجيره ... فعاد بلون شاحب من سهامه —

فان نهلت منه العقول وأنهلت وأخصب ماضي الشعر منه وحاضره
فما في سوى العرباء شعر على الثرى أوائله طوع لهن أواخره

١١ – شعره دهقان العقول وعلم القوة

وشعرك دهقان العقول وأنها يعاقرها خمر النهى وتعاقره
يثير بها كبراً ويبعث نخوةً عن الهون وثاباً بها لاتحاوره
تذوب به الشكوى وينفى به الكرى ويصحو الهوى من بعدما اشتد جائره
حبائك من صافي اللظى حاكها على بريق الدراري أحوذي تياسره
سرابيل أعيت كف داود فانبرى لها هبرزي لاتجارى خواطره
صواعق تنتاب الطغاة وتنتوي الى سدة الجبار جهراً تثاوره
وما فتئت جياشة مزبئرة على الظالم المزهو سطواً تناقره(١)

١٢ – سقط الزند

و سقطك مياس المعاطف حالياً تجلجل في سمع الزمان أساوره
ترق حواشي الليل منه وتنثني برود الدجى شفافة لاتساتره (٢)

بلاد يضل النجم فيها سبيله وتثني دجاها طيفها عن لمامه
حنادس تمشي الموت لولا انجيابها عن المرء ماهم الردى باختزامه
رجا الليل فيها ان يدوم شبابه فلما رآها شاب قبل احتلامه

وفي اللزوم :

ودل مجير في زمانك انه سخائم في احشائه وحقود

(١) قال :

فشأن ملوككم عزف ورقص واصحاب الأمور جباة خرج
وهم زعيمهم انتهاب مال حرام النهب او إحلال فرج

وقال : يسوسون الأمور بغير لب فينفذ امرهم ويقال ساسه
فأف للحياة واف مني ومن زمن رياسته خساسه

(٢) قال :

وليل طلى قاراً بقار وأكمه مرافقة من شهبه حدقاً زرقاً
إذا نشأت فيه الغماسة خلتها بأيماضها زنجية ضمدت عرقا

وقال يصف البرق :

إذا مااهتاج احمر مستطيراً حسبت الليل زنجياً بريحاً —

أغار على الأفلاك لم ينس شارقاً ولا آفلا لم تنتظمه مغاوره (١)
تعانقه العنقاء شوقاً وتتقي معارجه أنى ترامت مطافره
اذا مرّ طيار العنان تلفتت نجومُ وعزّى عاثر البرق زاجره
مشى بالقرون القهقرى فتسابقتْ خُطاها الى حيث استقرت مصادره
وناسم عصر الجاهلية فانبرتْ يجاذبها اطواقها وتخاصره
كأن ربى نجد غذَته ولاحه هجير الصحارى مائجات ظهائره
اذا قنّع الشيب الجديدين وارتدى م السها هرماً مجت شباباً مهاصره

١٣ — العروبة

ملأت خياشيم العروبة نعرة تنوخية يزهى بها من تخامره
وسعرت في احشائها الوقد للذي يرد لها عرباءها لا تناظره
على أنها العرباء ما كان ضارعاً أخوها ولا لانت لغمز مكاسره
اذا هز من عطفيه زهواً تلفتت اليه ظلى الاقدار طوعاً تؤامره
وان سلّ سيفاً في علىّ العرب أسرعت اليه المنايا باسمات تباصره
لعمرك ما العرباء الا بقيةٌ من المجد طاحَ الذوائب غابره
وذروة صرح من اباءٍ ونهلةٌ من العز لا يسطيعه من يكابره

— وقال: فكأني ماقلت والليل طفل وشباب الظلماء في عنفوان
ليلقي هذه عروس من الزنـ ـج عليها قلائد من جمان
وقال: ومنهل ترد الجوزاء غمرته إذا السما كان شطر المغرب اعترضا
وردته ونجوم الليل وانية تشكو إلى الصبح أن لم تطعم الغمضا

(١) قال:

وسيل كوجنة الحب في اللو ن وقلب المحب في الخفقان
مستبد كأنه الفارس المعـ ـلم يبدو معارض الفرسان
قدماه ورأسه وهو في العجـ ـز كساع ليست له قدمان
يسرع اللمح في احمرار كما تسـ ـرع في اللمح مقلة الغضبان
ضرجته دماً سيوف الأعادي فبكت رحمة له الشعريان

م (٨)

١٤ — وفاء الشام للعروبة

ليهنئك أن الشام يقظى مساعره ... وفيٌّ بعهد الضاد رَيّا أواصره (١)
حفي بما يرضي العروبة ناهض ... بأمجادها باديه عفواً وحاضره
منيع الذرى الأعلى من يؤاصره ... ويأسوه في لأوائه ويؤازره
يكفكف من طغو الطغاة فان عتوا ... نزا فاستقلت بالطغاة مقابره
يمير نفوس العرب في كل مربض ... اباء ويعروري المهالك حاسره
وكانت له في دولة الشعر دولةٌ ... حمى سرحها في الشرق والغرب شاعره (٢)
تلاقت على عربائها فهي نُزّعٌ ... الى عزها امصاره وعشائره
وهبَّ به من عبد شمس وهاشم ... وغسانَ ارثٌ واقدات مشاعره
ثرىً مائج باليعربية لم تَلذْ ... بغير حماها منذ كانت معاشره
قضى حقها طلق الخطى جاهلية ... وعزّت بآي الذكر منها مناثره
ولم ينس للانجيل حقاً ورُحبتْ ... بتوراتها عطفاً عليه حظائره

١٥ ترفعه عن اللحن

أنفت لذات الضاد لحناً وركّةً ... فجنبتهُ والمرء ماشاء هاجره (٣)

---

(١) قال :

إذا الشعري اليمانية استنارت ... فجدد للتآمية الودادا
فللشام الوفاء وإن سواه ... توافى منطقاً غدر اعتقادا

(٢) المراد الشعراء الثلاثة : أبو تمام والبحتري والمتنبي الشامي بمنشئه وثقافته وأدبه وحياته إلا مولده في الكوفة فكل واحد من هؤلاء كان شاعر عصره :

(٣) قال :

كلمت باللحن أهل اللحن أونسهم ... إذ كان عيبي عند القوم إعرابي

وقال :

أين امرؤ القيس والمذارى ... إذ مال من تحته النبيط
استنبط العرب في الموامي ... بعدك واستعرب النبيط

وقال :

تشابه النجر فالرومي منطقه ... كمنطق العرب والطائي مرطان
فسد الأمر كله فاتركوا الاعـــــراب إن الفصاحة اليوم لحن

فهجنت حوك البحتري واحمد وهجت حبيباً لاتقيه معاذره (١)
فلو نهضت قحطان غضبى لفصحها لكنت فتاها الاحوذي تظاهره

١٦ - ثورته على النحاة

تلاعب بالنحو النحاة فصرفت قضاياه في اغراضهم وعناصره
تواصوا بالا تستباح سرائره وأن يتوارى لبه وجواهره
أقاموا له منهم شداداً تحوطه وتسهر في ارهاقه وتباكره
عنت لهم الدنيا ملوكاً وسوقة به وزهت بالنابهين محاضره
وسيقت الى داراتهم مطمئنة زبارج تبر رائعات محاسره
وأصبح نحو العرب في حوز عصبة شعوبية أرباحه ومتاجره
فكشفت من احوالهم كل فاضح وأحللت كلا حيث تبدو مناحره (٢)
وسلطت أقحاح البداة عليهم لدى موقف ينسى به الوزر وازره
وفقهت أقيال الملائك بالذي أناءت حيازيم النحاة محابره (٣)
وبصرتهم بالقول نقداً وحكمة وفلسفة حتى استمرت مرائره
وأوسعت سكان النعيم مآدباً يحقق شعر العرب فيها أكابره (٤)
هززت جنوب النائمين فابصرت عقول وكانت في دجى عز حاسره

١٧ - أنا والنحاة بعده

وأسهرت من جفني عشرين حجة بهم ولهم أحيي الدجى واحاضره
وأظفرتني منهم بما لاتسرني به متع الابريز تزجى غرائره

(١) إشارة الى [ذكرى حبيب] و [عبث الوليد] و [معجز أحمد] ثلاثة كتب للمعري في النقد على دواوين الشعراء الثلاثة المذكورين أبي تمام والبحتري والمتنبي .
(٢) أكثر هذا — غير ما في اللزوميات وما يمكن أن يكون في كتابه [الحقير النافع] — في رسالتي الغفران والملائكة فما قاله في اللزوم :

أرى ابن أبي اسحق أسحقه الردى وأدرك عمر الدهر نفس أبي عمر
تباهوا بأمر صيروه مكاسباً فعاد عليهم بالخسيس من الأمر
بكسوة برد أو بإعطاء بلغة من العيش لا جم العطاء ولا غمر
ولم يصنعوا شيئاً ولكن تنازعوا أباطيل تضحي مثل هامدة الجمر

(٣) في رسالة الملائكة .
(٤) في رسالة الغفران .

فذللت منه كل أصيد شامس ... ودمثته حتى تألف نافره
وعقلته بعد الجنون كأنني ... ولم ابتدع فيه الرجاحة فاطره
وأعطى يداً بعد الجماح فاذعنتْ ... شوامخه واسترجع البشر زائره
على أنه مازال من اجرائهم ... عباديد تخشى ان يجدد دائره
سجية شرٍ بارحيٍّ يثيرها ... على الضاد ثأرٌ لا تتوارى فوائره

١٨ - الختام

اليك إمام القارضين تساوقت ... تجاوز طوق المدعي وتصابره
فلو أبصرتْ عيناك حالي وقد بدا ... سهيل وشاب الليل الا غدائره
أصادي منَ أسراب القوافي كتائباً ... يبادرني أبّاؤها وأبادره
لأيقنت أني قد سريت وخلفت ... فحول عن الاوج الذي انا سامره
وأن لشعري في الصفا متفجراً ... يهب له من راقد الترب ناخره
وما صدقت رب القريض قريحة ... تجشمه شم الذرى وتغادره
على أنه والدهر لاتنقضي له ... عجائبه قد يكسر الشعر جابره

تناهبت الادواء ذهني فلا تلمْ ... يراعي فقد نذت عليه ضرائره
وأخمدنَ طبعاً كان مرتاد قابس ... ونجعة مغوارٍ تلظي مخامره
وما كان شيطاني بليداً ولا هوى ... الى وطرٍ تنمى عليه معايره
أبح ماوراء الغيب وهمي لعله ... يعاود طبعي وقده وبواكره
وحكّم بناني بالشموس فرائداً ... وبالفلك الدوار ترغو هوادره
فما في قريض الارض أوفي لغاتها ... معاذٌ لمن يوفيك ماهو ناذره
وما أنا الا صوبُ مزنك هامراً ... وروض توالت بعد عد مواطره (١)
نقعت غليلي من خضمك حقبة ... أتت بالربيع الفخم تزهو حبائره
فان جئت سباقاً فشكر زججته ... وقدماعرفنا اكرم الروض شاكره
وعلمتني أن أصحب اليأس راضياً ... سعيداً وبعض اليأس ينعم ذاخره
يمزق جلد الصبر صبري على الاسى ... كأن الاسى في مهجتي شب عاصره
فواهاً لاحرار القريض وحسرة ... على الشعر عفاً لاتصان مخادره

محمد البزم

(١) العد بكسر العين الماء الجاري الذى له مادة لا تنقطع ومثله العدان غير أن العامة تنطقه على وزن فدان .

المعري في نظر المستشرقين

أيها المحفل الكريم

ان المجمعَ العلميَّ العربيَّ قد اكسبني شرفا عظيما بدعوته الكريمة لأخاطب هذا الجمعَ الراقيَ في دمشق او هذا المجمعَ العلميَّ الكبير لان هذه المدينة القديمةَ هي مجمعُ العلم العربي حقيقةً كما كانت بأيام الشاعر الكبير الذي نُحيي ذكرَه اليوم . واذا لم يكن لي أملٌ في أن أزيدَ على علم العلماء أو أضيف الى معرفة العارفين فاني أرجو ان يكون باستطاعتي ان أجيء بما يساعدُ على فهم هذه الشخصيةِ المعقدة .

أبو العلاء بنظر مستشرق

وكان يجوز أن أتناولَ هذا الموضوعَ من جهتين أولاً من وجهة نظرِ المستشرقين كمرجليوث ونيكلسون وفون كريمر وآخرين من الدارسين والباحثين في الغرب . أو ثانيا من وجهة نظري الخاص . أما المسلك الأول فالأدباء في الشرق مُنذُ سنين كثيرةٍ قد عرفوا دروس هؤلاء المستشرقين والاستاذ طه حسين تكلم فيها بكتابه المشهور . لذلك أستغني عن ذكرها هنا . اما المسلك الثاني فله فائدةٌ واحدةٌ وواحدة فقط وهي أن تكونَ هذه الكلمةُ محاولةً مخلصةً لتقدير عبقريةِ أبي العلاء وأهميته لهذا القرن ولا مناص للمستشرق حين يدرس كُتبَ المعري من أن يتعرض للعناءِ والجهدِ لبعده عن اسلوب هذا الأديب الغريب وتعمقه الشديد : لأنه رمز الى كل فنون العلم من عادات الجاهلية وأخلاقها الى مجادلات الفلاسفة في عصرهِ ويجب على الباحثين ان يكونَ لهم علم بالفقه والتوحيد والفرائض والنحو والعروض والتأريخ . فاني بعد ما اجتهدتُ غاية الاجتهاد شعرتُ بقصوري الذي أعتذر عنه : ومع ذلك فمن حُسن الحظ انَّ كلَّ شاعر كبير لم يكن يَقصر شعرَه على امتهِ وجيله فقط بل كان يكتب شعره لكل الناس بكل الأزمان . وإن يكن أبو العلاء شاعراً عربياً فهو شاعرٌ عالميٌّ ايضاً واسمه وصيته

رفع المسهم

مشهوران في الغرب لذلك رغماً عن الصعوبات المشار اليها فباستطاعة المستشرق ان يكوّنَ نظرةً عنه إنْ لم تكن شاملةً فهي عامة على الأقل وباستطاعته ان يقدرَ عبقريته وحقه ومكانته بين الشعراء الذين كان شعرهم ورسالتهم الى كل العصور وكل الامم . والمستشرق لايزعجه جحدُ ابي العلاء لصحة النبوات والديانات عامةً لانه يعرف سوءَ حالة الحياة الدينية والخلقية في عصره . ومن يدرس شعرَ المعري لا غنيَ له عن الشعور بهمومه وأحزانه اذا كان يريدُ ان يستفيدَ من فكره العميق ، ويجب ان يتعمقَ هذا الشعورُ بالباحث حتى يصلَ الى شخصية الشاعر ونفسه : فيرى كمن لم يرضَ بدنياه ولم يجد عُذراً للتناسل ولا سلوى بديانات عصره . وليس على القارئ شرقياً كان اممستشرقاً الذي ليس له عطف على عبقري غارقٍ في بحر الظلمة والشك إلا ان يطوحَ باللزوميات فهي مُضرّةٌ له لانافعة . والعالمُ الذي يدرس هذا العبقريَّ بروح العطف يقوم قائلاً إنّ هذا الرجلَ ليس من القرن الرابع للهجرة بل من الرابع عشر . يذكر ذلك العالمُ ان هذا الشاعرَ لم يَرَ ولم يقرأ كتب ادباء زمانه مثلَ أبي علي بن سينا والبيروني وبديع الزمان الهمذاني والثعالبي وابن حزم والباقلاني وآخرين . ولكن على هذا فما اكثر أدبهُ وما أعلمه فانه بكل حياته ماستغنى عن قارئٍ ولا فاته حفظُ ماسمع ؛ بينما لنا نحن في هذا الزمان كتب ومكاتبُ ودائراتُ معارف وقواميس . ولكن لاينبغي أن اطيل الكلامَ بعمى الشاعر لان زماننا كرم بكاتب (ويبقى الدهر ما كتبت يداه) تكلم من سجن أبي العلاء كلماتٍ تستحق إعجابنا واحترامنا .

اما أبو العلاء فإنّ احوالَ عصره قد بغضته الحياةَ . سفكُ الدماءَ سَغبٌ رُعبٌ كانت حوله دائما . قال التغري بردي: «عمّ الوباء والقحطُ بغداد والشام ومصر والدنيا وكان الناس يأكلون الميتة (١) ولكن بعد سنين قليلةٍ مات رجل وترك وصيةً على الفَ الف دينار غير المتاع والقماش والجوهر (٢) هذا مما كان سبباً لتشاؤم أبي العلاء ويمكن ان الزلازل التي هدمت ابنية الشام وقتلت سكانها أتمت تشاؤمه وقال :

لم يقدُر اللهُ تهذيباً لعالمنا ... فلا ترومنّ للاقوام تهذيبا
ولا تصدق بما البرهان يُبطله ... فتستفيد من التصديق تكذيبا

(١) النجوم الزاهرة ٢٦٢١٩
(٢) » » ٢٦١٠٦

إنْ عذب اللهُ قوما باجترامهم فما يريد لأهل العدل تعذيبا

تُظهرُ هذه الابيات تمرداً على قدر الله او على الاقل نقدَ تصرُّفه تعالى في عالمه . فإن لم يقدر الله تهذيبا للعباد فلماذا ارسل انبياءَه ورسله (عليهم السلام) وإن لم يعذب قوما باجترامهم فيلزم ان يقال هلكت عاد وثمود بأسباب طبيعية وقد سلك المعري مسلك من نفى ان سببَ الألم هو الإثم والمعصية لان العادلَ يُعذب مع الظالم بلا فرق . ويكون هنا مُشكلة قديمة وجدت بأسفارِ البابليين اعني لماذا يعذبُ العادلُ في الدنيا ولماذا أفلحَ الظالم . وتكون هذه المشكلة موضوع كتاب أيوب باللغة العبرانية ويقول :

« انَّ الكاملَ والشريرَ هو يُفنيها »

وكلاهما راما ان لم يولدا

وليت وليداً مات ساعة وضعه ولم يرتضع من امه النفساء

وأيضاً

والحال ضاقت عن ضمها جسدي فكيف لي ان يضمه الشجب

ماأوسعَ الموتَ يستريح به الجسـ ـمُ المعنى ويخفتُ اللجبُ

وقال أيوب :

« لِمَ لم أمت من الرَحم عندما خرجتُ من البطن لِمَ لم اسلم الروح . لماذا اعانتني الركبُ ولِمَ الثديُ حتى أرضعَ لاني قد كنت الآن مُضطجعاً ساكنا . حينئذ نمتُ مستريحا . »

إنَّ روحَ المعري لم تكن روح مؤمنٍ بالنبوات : وروح النبي أيوب لم تكن روح مؤمنٍ بان الألمَ نتجَ عن الخطيئة ضرورةً . وبلغ كلاهما غاية واحدة وهي الله تعالى وتبارك . ولقد قال النبي أيوب بعد الرؤيا « بسمع الأذن قد سمعتُ عنك والآن رأتك عيني . لذلك أرفض وأندم في التراب والرماد » .

وقال المعري : أزول وليس في الخلاق شك .

ولأختصر فان أسوأ القول الافراط إذ لايمكنني بحديث قصير ان أذكر الا مسائل قليلة من أدب المعري وهـذه المسائلُ تتضمن بكلمة واحدة كان المعري محدثاً . وكل عبقري يولد قبل زمانه وما كان المعري شاذاً . فيلوح انه كان شاعر المستقبل باعتبارنا تعليمه العقلي والاخلاقي والسياسي والديني .

العقل

مدح العقل وكرمه بقوله :

اذا تفكرت فكرا لايمازجه فسادُ عقلٍ صحيح هانماصعبا

ويقول :

نهاني عقلي عن امور كثيرة وطبعي اليها بالغريزة جاذبي
ومما أدام الرزءَ تكذيبصادق على خبرةٍ منا وتصديق كاذب

وأيضاً :

ولا تطفئوا نور المليك فانه مُمتعُ كلٍ من حجىً بسراجِ

ومع ذلك ما كان المعري مصلحاً فقد منعه من ذلك عماهُ فزاد تشاؤمه :

واللب حاول ان يهذب أهله فاذا البريةُ مالها تهذيبُ
من رام إنقاءَالغراب لكي يرى وضح الجناح أصابه تعذيب

الأخلاق

ان الأحوال الاجتماعية في عصره قد بغضت أبا العلاء في الدنياولكن لم تبغضه في الانسان بل بالعكس زيد رفقه به . اما نفسه فقد كان ألمه ضروريا من طبيعته ورجا مكافأة في الآخرة .

أأخشى عذابَ الله والله عادل وقدعشتعيشالمستضام المعذب

واما الناس عامةً فله نظران متناقضان في أمرهم اوّلا أنه أصلح لهم أن لم يولدوا وثانياً أن السعادةَ في الدنيا ممكنةٌ لهم إن اصلحت أحوال الحياة وترتبتْ أخلاقهم على اصول العدل واللطف والحقيقة . فعذابُ أبي العلاء الضروريُ بغض اليه عذاب الناس اللا ضروريّ وهجم على كل من أضر الناس على أي وجه من الوجوه. مثلاً هجم على المفتري والواشي والنمام والفتان الذين اثاروا عداوةً بين الناس بألسنتهم المسمومة .

لسان الفتى يدعى سناناً وتارةً حساماً وكممن لفظةضربت عنقا

وقال ايضاً :

يقول لك انعم مصبحاً متوددُ اليك وخير منه أغلبُ أصبحُ

فيظهر من البيت التالي أنه لو كان للمعري استطاعة لكان مصلحاً فعالاً لا ناقداً محضاً .

لو كان لي امر يطاوع لم يعش ظهر الطريق يد الحياة منجم

فوصفه لهذه النسور من خاصية سخريته مع بغضه للخدعة والكذب .

سألت منجمها عن الطفل الذي في المهد كم هو عائش من دهره
فاجابها مائة ليأخذ درهماً وأتى الحمامُ وليدها في شهره

وسخر من التجار في الاسواق الذين ضايقوا الفقراء واعتذروا عن غلاء بضائعهم وقال :

يا تاجر المصر ما انصفت سائمةً كذبتها في حديث منك منسوق
إن تشك قطع طريقٍ بالفلاة فكم قطعت من قبلُ طرق الناس في السوق

السياسة

وما من شك ان أبا العلاء كان ديمقراطيا عصرياً وبيانُ ذلك بما قال في الملوك واولي الامر وهو أن يجلسوا على كراسيهم ليهديَ رعيتهم ويحق عليهم إصلاح الرعية فليسوا الا نوابها . وليس من المستحيل ان هذه الروحَ كانت احياءَ الديمقراطية القديمة العربية ولكن على كل حال تجسمت هذه الروح بصورةٍ حادثة في قوله :

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم اجراؤها

واما البيت التالي فلو كان كتب باللغة الانكليزية لقال القارىء هذا من شعر شاعرنا ملتون وتاريخه القرن السابع عشر .

وأرى ملوكاً لاتحوط رعيةً فعلامَ تُؤخذُ جزية ومكوسُ

أو

اذا ماتبينا الأمور تكشفت لنا وأميرُ القوم للقوم خادمُ

وقد تكلم كثيرٌ من الكتاب في حقوق الملك على رعيته وحقوق الرعية على ملكها ولا أعرف من يشارك المعري في هذه الجزأة . فمن الواضح انه إنْ يدفع القومُ اجرةً للملكهم فبمقدورهم ان يحرموه منها ويخلعوه . وهذه ديمقراطيةٌ محضةٌ ولكن أبا العلاء ما كان فوضوياً بمعنى انه كان عدوَّ الحكومة ذاتها فذكرَ الناس أن اولى الامر كانوا نافعين رغما عن معايبهم .

واخشَ الملوك وياسرها بطاعتها فالملك للارض مثل الماطرِ الساني
ان يظلموا فلهمْ نفعٌ يعاش به وكم حموكَ برجلٍ أو بفرسان

فللمعري نظرٌ سليم بالهيئة الاجتماعية وعلم الناسَ ان الهيئةَ الاجتماعيةَ يجب

عليها أن تكون جسما واحداً لانَّ الجسمَ مركبٌ من أعضائه المختلفة وان بعضاً واجبٌ لبعض وإن لم يشعرْ بتعلقه او ملازمته المتبادلة والمشتركة وتراه يقول :

والناسُ بالناس من حضر وبادية ... بعضٌ لبعضٍ وإن لم يشعروا خدمُ
وكلُ عضوٍ لامرٍ ما يُمارسهُ ... لامشيَ للكفِّ بل تمشي بك القدم

الدين

كان أبو العلاء مُحدثا في فكره. وفائدتهُ وخدمته للحياة الدينية هما بتشديده على التسامح والتعقل فكراً وعلى الإخلاص عملا . لذلك نظر الفرقَ بين الفرق والاختلافات بين الديانات نظرةَ عاقلٍ وانسانيٍّ وفي رأيه ان الاختلافات بين المذاهب المختلفة والفرق كالاشاعرة والمعتزلة والجبرية والمرجئة تدلُّ على وجوب تردد العاقل في قبول اخبارها ، فليست الاختلافاتُ بين الديانات مهمةً حذاءَ الأصول الأساسية وهي الاعتقادُ بالله والعمل بالعدل والمعروف . ويظهر احياناً انه شكٌّ في حقيقة الديانات كلها .

حَنفُ الحنيفةُ والنصارى ما اهتدت ... ويهودُ حارتْ والمجوسُ مُضلله
اثنانِ اهل الارض ذو عقلٍ بلا ... دينٍ وآخرُ دينٌ لاعقل له

وقبل أن نذمهُ يجب علينا ذكرُ ماقال الامام الغزالي : الشكوك هي الموصلةُ الى الحق فمن لم يشك لم ينظر ومن لم يُنظر لم يبصر ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال . ومع ذلك مابقي المعري في عمى وضلال فقال بنفسه .

ازول وليس في الخلاق شكٌّ ... فلا تبكوا عليَّ ولا تبكوا
خذوا سيري فهن لكم صلاح ... وصلوا في حياتكم وزكوا
ولا تُصغوا الى اخبار قومٍ ... يصدقُ مينها العقلُ الاركُّ

ويظهر لي ان المعرّي كان بموضع كثيرين من المثقفين اليومَ بانه مدح دينهُ خاصةً وفضله على الاديان عامةً ومع ذلك اعتبر ان ليس في الدنيا دينٌ بقي على ماتركه نبيهُ . وكل الاديان نمتْ وتغيرت بتاثير الاخبار والعادات والنواميس وهي اثارت الحروبَ والعداوة : واما الانبياء فهم أنذروا الناسَ بها . لذلك المعري هاجم أخبار الأولين من جهتين (اولا) نفى صحيحها تأريخياً وعقلياً (وثانياً) قال بانها اسبابُ الحروب بين أممٍ يجب عليها احترامُ بعضها لدين البعض الاخر واما الاول فقال :

جاءت احاديثُ إن صحت فان لها شأناً ولكنَّ فيها ضعفَ إسناد
فشاور العقل واترك غيره هدراً فالعقل خيرُ مشيرٍ ضمه النادي

وأيضاً .

هل صحَّ قولٌ من الحاكي فنقبله ام كلُّ ذاك اباطيلٌ وأسمارُ
اما العقولُ فآلت أنه كذبٌ والعقلُ غرسٌ له بالصدق إثمار

واما الثاني فقال :

إن الشرائع ألقت بيننا إحناً وأورثتنا أفانينَ العداواتِ

وايضاً

غدا اهلُ الشرائع في اختلافٍ تقض به المضاجعُ والمهودُ
فقد كذبت على عيسى النصارى كما كذبت على موسى اليهودُ
ولم يستحدثِ الأيامُ خلقاً ولا حالت من الزمنِ العهود

وما كان نظر المعري في الدين الصحيح ؟ وما كان أمله للمستقبل ؟ وبكلمة لقد كان رأيه الاعتقاد بالله تعالى هذا الاعتقادُ الذي يُظهر بالإنصاف والعدل والمعروف

الدينُ إنصافك الاقوام كلهمُ وأي دينٍ لابي الحقَّ إن وجبا

وما هذا الا معنى الامام الغزالي بقوله ومن ظن ان سعادةَ الاخرة تُنال بمجرد قوله لااله الا الله دون تحقيقه بالمعاملة كان كمن ظن ان الطبخ يحلو بقوله طرحتُ السكرَ فيه دون أن يطرحه . فسخر المعري المتمسك بظاهر الدين دون حقيقته وقال :

توهمت يامغرور أنك دين علىَّ يمين الله مالك دين
تسيرُ الى البيت الحرام تنسكاً ويشكوك جارٌ بائسٌ وخدينُ

وأخيراً تسمعُ اشتياقه لهيئةٍ اجتماعيةٍ صالحةٍ مطهرةٍ من الظلم والعداوة .

متى يقوم امامٌ يستقيدُ لنا فتعرفَ العدلَ أجبالٌ وغيطانُ

وأيضاً .

مرآةُ عقلك إن رأيت بها سوى مافي حجاك أرته وهو قبيح
أسنى فعالك ماأردتَ بفعله رشداً وخيرُ كلامك التسبيحُ

فلتكن كلمةُ التسبيح آخر كلمةٍ أقولها والسلام .

الفريد غلبوم

ابو العلاء المعري

وآراؤه في الاصلاح الاجتماعي

في الحق من الذهب ثلاث خلال ، حسنه ، وثقله، وبقاؤه على الأبد بغير تغيير، الا ان الذهب كثير الراغب ، والحق قليل الراغبين .

لقد صدق شيخنا المعري ـ رحمه الله ـ فان الحق على حسنه ، ثقيل على النفوس، قليل الراغبون فيه من الناس ، لذلك كان المصلحون قليلاً عديدهم ، لأنهم يدعون الى الحق فتثقل دعوتهم على النفوس، وينصرف عنهم الناس، ويكثر الطاعنون فيهم، المفتأتون عليهم. فيجبن عن قول الحق والدعوة الى الاصلاح، الامن أوتي الايمان الصدق، والعقيدة الحق . وهؤلاء قليل ماهم ، في كل قرن وعند كل جيل .

والزمن يدور دورته ، ويسير الناس قدما في قافلة الأيام ، لايملكون لأنفسهم تفكيراً مستقلاً ، ولا وعياً صحيحاً ، وتغلب عليهم العادات الموروثة ، والتقاليد الجارية ، على مافيها من ضرر وسوء، وعوج وامت؛ حتى يصبح الناس وكأنهم قطع الآلة الصماء ، لايعون ولا يعقلون ينيخ الظلم بكلكله على الصدور ، فتستكين له صابرة، وتتحكم المادة في العقول، فيؤمن بها الناس متعبدين، ويفسد رجال الدين والامارة والسياسة ، فيستسلم لهم الجمهور مذعنين ، ويكون للهوى الغلب على العقل ، فيتبع الناس أهواءهم ، ويتنكرون لعقولهم . وتسير هذه القافلة سيرها الحثيث الى الهوة السحيقة لايقفها واقف ، ولا يعترضها معترض .

ومن ذا الذي يجرؤ في زمن الضعف والخمول ، وغلبة الهوى على العقل ، أن يقف في وجه الظالم المستبد، أو السياسي المشعوذ ، أو المتدين المتلبس ، أو المتمول المتلاعب ، فيقول له : لا ؟ !

انه ان فعل سحقه الظالم بظلمه ، وغلب عليه المشعوذ بشعوذته، ورماه المتلبس بالدين ، بالكفر والزندقة ، وملك عليه صاحب المال قوته ، ففل عزمه، وشل عمله.

وأشق مايلقاه المصلح في اصلاحه ، ان الأمة التي تحتاج الى المصلحين ،

رفع المسهم

يقفون دونها وقفة المدافع الجبار ، يثيرون سبيلها ، ويرشدون عقولها ، ليسيروها في الطريق السوي ، تكون هي نفسها حرباً عليهم ، يعملون على حياتها ، فتعمل على القضاء عليهم . تقبل على المضلّ ، فتستمع له ، وتعرض عن المرشد وتصم أذنها عنه .

غير أن المصلح المؤمن، يمضي في اصلاحه ، ويستعر على دعوته ، لا يدفعه عما وطن عليه نفسه دافع ، ولا تقفه قوة من قوى الظلم والشعوذة والمال . تسمو نفسه فوق مافي هذه الحياة من مغريات ، فيأنف أن يلتفت اليها .

من هذه الطبقة المصلحة كان شيخنا المعري .

ومن الحق ، ان لانتعرض لمباديء المعري الاصلاحية ، ولا لآرائه الفلسفية ، قبل أن نلقي نظرة عجلى على العصر الذي عاش فيه .

عصر أبي العلاء :

أسس العرب ملكهم في الاسلام على العدل : العدل المطلق، الذي لم تعرفه امة من الأمم عرفها التاريخ في غابره وفي حاضره . وكانت الولاية عملاً دينياً يراد به وجه الله وخدمة الأمة ، لاالزعامة الدنيوية واختزان الدرهم والدينار . ثم جعلت هذه المباديء الدينية الاخلاقية تضعف مع الايام ، وزاد في ضعفها ، انتقال الحكم الفعلي من العرب الى غيرهم من الشعوب والجماعات ، التي دخلت في الأسلام ولم يدخل الأسلام في قلبها فتعرف حقيقته وروحه ، معرفة العرب لها .

فلما كان القرن الرابع الهجري ، كان الأمر قد ساء من جملة نواحيه . وغلب على الخلفاء ، الملوك والأمراء والرؤساء ، فاستبدوا بالأمر دونهم ، واكثروا من الظلم والعدوان ، حتى كان منهم من يعمل السيف في الناس فيقتل الألوف الكثيرة ارضاء لنزعة الشر في نفسه . فاذا رفع له رافع المصحف وقال له : اتق الله وارفع السيف عن هؤلاء الذين لادنب لهم ولا جناية يستحقون بها مانزل بهم . كان جزاءه : ان يؤخذ منه المصحف فيضرب به وجهه ، ثم يؤمرَ به فيذبح .

وقد بلغ الظلم ببعض هؤلاء الامراء ، ان كان يحط السروج عن الدواب ، ويجعلها على ظهور الناس ، يقادون بالارسان كما تقاد البهائم .

اما انتهاب هؤلاء الملوك والامراء والعمال والرؤساء للاموال ، وانهابها جماعاتهم وبطاناتهم ، فقد جروا عليها على ما يجري عليه الحاكم الغريب ، في البلد الغريب . أو المتحكم في قومه لادين له ولا وطن .

وكان من جراء الاسراف في الظلم ، والرغبة في كسب المال من أي وجه كان . واستبداد كل قائد أو أمير بالناحية التي هو فيها ، أن تجزأت المملكة فصارت دولاً بعد أن كانت دولة واحدة ، وانتهى الامر بهذه الدويلات الهزيلة أن طمع فيها الاعداء ، فارتدوا إليها ، واستولوا على كثير من أجزائها ومدنها وأمصارها ، جاعلين من هذه الدول المنفصل بعضها عن بعض مستقراً لهم ، وممراً منها إلى ماوراءها من البقاع . وهل تجزأ وطن من الاوطان أو تمزق قطر من الاقطار إلا ليكون للاستعمار مقراً ، وللمستعمر ممراً ؟..

ويصف المسعودي (ضعف الاسلام في هذا الوقت وذهابه ، وظهور الروم على المسلمين ، وفساد الحج ، وعدم الجهاد ، وانقطاع السبيل ، وفساد الطريق ، وانفراد كل رئيس ، وتغلبه على الصقع الذي هو فيه ، كفعل ملوك الطوائف بعد مضي الاسكندر ... ولم يزل الاسلام مستظهراً إلى هذا الوقت ، فتداعت دعائمه ، ووهى أسسه ، وهي سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مئة . . . والله المستعان على مانحن فيه .)

الوجهة السياسية :

بعيد هذه الفترة ، وفي مثل هذه الحال السيئة التي وصفها المسعودي ولد أبو العلاء المعري .

رأى الظلم يحيق بقومه فثار عليه وعلى الظالمين :

وما سرني اني أصبت معاشراً بظلم واني في النعيم مخلد

ونعى على الظالم ظلمه ، وفضل عليه المظلوم :

خير من الظالم الجبار شيمته ظلم وحيف ظليم يرتمي الذبحا

ورأى الأثرة وحب الاستعلاء قد ملكا على الناس نفوسهم فراح يدعو إلى المساواة الحق . يسوي بين الهاشمي — وهم بيت النبوة ، والخليفة القائم منهم — وبين الرجل من نسل البربر : الحق واحد ، والناس أمام الحق سواء :

لا يفخرن الهاشمي على امرئ من آل بربر

فالحق يحلف ما علي عنده الا كقنبر

ويؤكد هذه المساواة بان يكشف عن حقيقة الناس ، وانهم خدم بعضهم لبعض ، وان الاعمال موزعة بينهم توزيعاً لايستغني معه واحد منهم عن أخيه وهم أعضاء جسم واحد لايشرف احد منهم احدا .

الناس بالناس من حضر وبادية بعض لبعض وان لم يشعروا خدم
وكل عضو لأمر ما يمارسه لامشي للكف بل تمشي بك القدم

ولا يخرج الملك عنده ، عن أن يكون عملاً من جملة الاعمال الموزعة التي يشير إليها ، ويجعل الملك خادماً للقوم وأجيراً ، لاسيداً وأميراً .

إذا ما تبينا الامور تكشفت لنا وأمير القوم للقوم خادم

ويعود فيؤكد هذا مرة اخرى بقوله :

مُلِّ المقامُ فكم أعاشر أمة امرت بغير صلاحها امراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم اجراؤها

ولا يقف عند هذا ، بل يحاول أن يدخل اليأس في قلوب الملوك ، ليخفف من هذا الصلف في نفوسهم ، ويضعف من هذا الصيد في رؤسهم :

وكم نزل القَيْل عن منبر فعاد إلى عنصر في الثرى
واخرج من ملكه عاريا وخلف مملكة بالعرا

ويقول فيهم :

افضل من أفضلهم صخرة لايظلم الناس ولا يكذب

ويتحداهم بالدهر :

وارى الملوك ذوي المراتب غالبوا ايامهم فانظر بنفسك من غلب

ثم هو يهون ما هم فيه من ملك، تهويناً يقيم دعائمه على الآباء المحض فيقول :

لكون خلك في رمس اعز له من أن يكون مليكا عاقد التاج
الملك يحتاج الافاً لتنصرَهُ والميت ليس إلى خلق بمحتاج

ويزيد على ذلك في تهوين شأنهم فيساوي بين الملك والحطاب :

ما عاقد الحبل يبغي بالضحى عضدا إلا كصاحب ملك عاقد التاج

ويذهب به الغلو في حب المساواة، حتى يقابل بين الملك واضعف الحشرات « البرغوث » ويجعلها سواء في حب الحياة ، وطلب العيش :

لافرق بين الأسك الجون اطلقه وجونِ كندة امسى يعقد التاجا
كلاهما يتوق والحياة له حبيبة ويروم العيش مهتاجا

ويقرع الامم على تقديسهم الملوك ، وهم قد نكبوا الشعب بما نكبوه به من ظلم وعدوان ، وابتزاز أموال وتمزيق سلطان .

ما أجهل الامم الذين عرفتهم ولعل سالفهم أضل واتبر
يدعون في جمعاتهم بسفاهة لأميرهم فيكاد يبكي المنبر

ويقول :

كذب يقال على المنابر دائماً أفلا يميد لما يقال المنبر

ويهيج الشعب عليهم ، بما يتزونه من أمواله في سبيل لهوهم وشهواتهم :

فشأن ملوكهم عزف ونزف وأصحاب الامور جباة خرج

وينادي بفضل الاخلاق وشرفها على الملك ، وانها خير منه وأبقى على الدهر .

أسر ان كنت محموداً على خلق ولا أسر باني الملك محمود
ما يفعل الراس بالتيجان يعقدها وانما هو بعد الموت جلمود

هذا إلى كثير من مثل هذه الآراء التي كشف فيها عن حقيقة أصحاب التيجان، وانهم من الشعب لايختلفون عنه في شيء ، الا في هذا الحكم الذي يتولونه، ومن حقه عليهم أن يكونوا لشعوبهم خداماً مخلصين ، فيشرفوا بعملهم ، لا بملكهم .

وهذه الآراء ، قد سبق المعري فيها غيره من رجال القرون المتأخرة وفلاسفتها ، الذين قاموا بالثورات على العروش العاتية، فدكوها وأقاموا على انقاضها اسس الحرية والاخاء والمساواة .

وأبو العلاء في كل مايقرره من آرائه الفلسفية الاصلاحية ، يبني قوله فيه على الحق والعقل والمنطق ، لا على النزعة الصاخبة ، والهوى الجامح .

الوجهة الدينية :

واذا كان أبو العلاء ، يرى في الملوك الذين وصفهم ، هذا الشر المستطير الذي اذل نفس الامة ، ومزق وحدتها وسلبها مالها وثروتها ، فهو يرى ان رجال الدين — الا اقلهم — قد خرجوا عن الدين السوي المستقيم بما ابتدعوا من آراء ، وبما احدثوا من مذاهب وطرق ، لاعهد للدين بها ، ولا يرجى صلاح ولا خير معها ، بل هي فيها كل البلاء والشر .

انما هذه المذاهب أسبا ب لجذب الدنيا إلى الرؤساء
غرض القوم متعة لا يرقو ن لدمع الشماء والخنساء

وهو يرجع أصل الخلافات الدينية ، والانقسامات المذهبية إلى التنافس في الدنيا وإلى حب الرئاسة :

لولا التنافس في الدنيا لما وضعت كتب التناظر لا المغنى ولا العمد
قد بالغوا في كلام بان زخرفه يوهي العيون ولم تثبت له عمد
وما يزالون في شام وفي يمن يستنبطون قياساً ماله أمد
فذرهم ودناياهم فقد شغلوا بها ويكفيك منها القادر الصمد

ويحذر الناس من المتلبسين بالدين أن يقعوا في شباكهم :

فلا يغرنك من قرائنا زمر يتلون في الظلم الفرقان والزمرا
يقامرون بما أوتوه من حكم وصاحب الظلم مقمور إذا قمرا
يبدي التدين محتالاً ضمائره غير الجميل إذا ما جسمه ضمرا
يشدو مزامير داوود ويفضله في النسك نافخ مزمار له زمرا

وهو يحمل حملة منكرة على من يجعل من دينه تجارة يتكسب بها :

ولا تطيعن قوماً مادياتهم الا احتيال على اخذ الاتاوات
وانما حمل التوراة قارئها كسبُ الفوائد لاحبُ التلاوات

ويدعو الناس الى الهرب بدينهم منهم :

فاهرب بدينك من اولئك انهم حربوك واحتربوا على الدنيا به

ويهاجم الذين يخادعون الناس ، يعظونهم مكراً ورثاء. وينهونهم عما هم أنقسم فاعلوه :

رويدك قد غُررت وانت حر بصاحب حيلة يعظ النساء
يحرم فيكم الصهباء صبحاً ويشربها على عمد مساء
يقول لكم غدوت بلا كساء وفي لذاتها رهن الكساء
اذا فعل الفتى ماعنه ينهى فمن جهتين لاجهة أساء

ويرى في الدين وسيلة لاغاية ، يراه طريقاً الى تهذيب النفوس ،وتنقية الضمائر، ويرى ان العبادة شيء لايطلب لنفسه، بل هو مالاخير فيه اذا لم يرافقه العمل الصالح:

(اذا صمت عن المآثم ،فعند ذلك صم عن الطعام) .

وعنده : (طهارة الخلد ـ اي القلب ـ ابلغ من طهارة الجسد) .

(احجج ـ كف ـ كلوم جرائمك، فاذا برئت فاحجج)

ويرى الصوم، في صون اللسان عن المحال، وعن التعرض للناس بالأذى .

اذا القوم صاموا فعافوا الطعام وقالوا المحال فقد افطروا

ويقول :

ان صمت عن مأكل العادي ومشربه فلا تحاول على الاعراض افطاراً

وتارك الصلاة عنده خير ممن يرائي فيها :

اذا رام كيداً بالصلاة مقيمها فتاركها عمداً الى الله اقرب

ورأيه في الدين يلخص بقوله :

ماالدين صوم يذوب الصائمون له ولا صلاة ولا صوف على جسد

وانما هو ترك الشر مطرحاً ونفضك الصدر من غل ومن حسد

وان :

اخو الدين من عادى القبيح واصبحت له حجزة من عفةٍ وإزارُ

وان :

الدين انصافك الأقوام كلهم واي دين لآبي الحق ان وجبا

هذا هو الأصلاح الديني الذي دعا اليه أبو العلاء المعري، بعد ان رأى كثيراً من رجاله قد فهموا الدين على غـــير حقيقته ، وجعلوه شركاً يتصيدون به منافعهم في هذه الحياة . رمى به الى تفهيم الجمهور روح الدين وسره ، وان الدين جوهر يقوم بما يدعو اليه من خير وصلاح، لا بما يتلبس به منتحلوه من حلة ووشاح.

الوجهة المالية :

ورأى المعري ان الناس قد غالوا في حب المال ، حتى بلغوا من حبهم له مبلغ العبادة .وليس من شك في ان حب المال هو العامل الأكبر الذي قامت عليه الرغبة في الزعامة والشهرة والمتاجرة في الدين ،واصطناع المذاهب والطرق وخلق الرئاسات وتحطيم الدول وتمزيقها ، لذلك أراد أن يكون المال وسيلة أيضاً لا غاية ؛ فدعا الناس الى الزهد فيه والتخفيف من تقديسه :

وأفضل من عيش الغني عيش فاقة ومن زي ملك رائق زي راهب

وهو يقول لهم :

أغنى الأنام تقي في ذُرى جبل يرضى القليل ويأبى العيش والتاجا

وأفقر الناس في دنياهم ملك يُضحي الى اللجب الجرار محتاجا

وفي رأيه :

يكون أخو الدنيا ذليلاً موطئاً وان قيل في الدهر الاميرُ المؤيد

ويريد للناس أن يكون كسبهم حلالاً :

اذا فاتك الاثراء من غير وجهه فان قليل الخل أولى وأبرك

ويزهد في المال فيقول :

اذا كان جسمي من تراب مآله إليه فما حظي بأني مترب

ولا يرى العزة بالمال ، والذلة بالفقر . لذلك ينصح الفقير أن لا يهون لفقره ، والغني أن لا يتجبر ليسره :

واذا افتقرت فلا تهن واذا غنيت فلا تجبر

وفضيلة الرجل، وقيمة آرائه ، أنه اذا دعا الناس الى أمر من أمور الاصلاح، بدأ بنفسه أولاً . فهو اذ يدعو الناس إلى نبذ المال ، يعيش عيش الكفاف (ينفق على نفسه من دخل معاشه نفقة طفيفة ، وما يفضل عنه يفرقه على أخيه وأولاده واللائذين به وعلى الفقراء والقاصدين له من الغرباء) .

قدم عليه الخطيب التبريزي وأقام عنده مدة يقرأ عليه ، وأعطاه صرة فيها ذهب وقال له : أوثر من الشيخ أن يدفعها الى بعض من يراه ، ليشتري بها خبزاً ولحماً ، وما تدعو حاجتي اليه ، ويجري ذلك علي في كل يوم ، لا تناوله مدة مقامي عنده للقراءة ، وأتوفر بذلك على الاشتغال ، ويتفرغ لي للاستفادة فلا يكون لي شغل غير ما أنا بصدده .

فأخذ أبو العلاء الصرة منه ، ووضعها عنده ، وأجرى للخطيب ما تدعو اليه حاجته مدة مقامه بمعرة النعمان ، والخطيب يظن أنه ذهبه الذي دفعه إلى الشيخ فلما أراد الانصراف دفع اليه ابو العلاء صرته بعينها .

ولم يقبل هدية ولا صلة من شريف ولا وضيع ، وبذل له الوزير الفلاحي خراج معرة النعمان وكتب له سجلاً بذلك ، فأبى أبو العلاء واستعفى من ذلك كله .

قلت : يستمد أبو العلاء آراءه الفلسفية من العقل فيجعله المشير الهادي .

عليك العقل وافعل ما رآه جميلاً فهو مُشتار الشوار

ويقول فيه :

يرتجي الناس ان يقوم امام ناطق في الكتيبة الخرساء
كذب الظن لا امام سوى العقل مشيراً في صبحه والمساء
فاذا ما أطعته جلب الرحمة عند المسير والارساء

ويقول :

اذا الانسان فض العقل منه فما فضل الأنيس على النهال

ويريد الناس على أن يحكموا في أمورهم عقولهم :

فلا تقبلن ما يخبرونك ضلة اذا لم يؤيد ما أتوك به العقل

ويقول لهم :

لا يدينون بالعقول ولكن بأباطيل زخرف كذبوه

وخلاصة ما يقال في آراء شيخنا المعري ، انه أراد للانسان أن يكون حراً كل الحر ،لا عبداً لملك ، ولا لمال ، حتى ولا للدين ؛ بل عبداً لله وحده :

« كلنا عبيد الله ، فما بال الرجل يقول : عبدي فلان ، والعبودية في عنقه الزم له من طوق الحمامة ؟ »

نحن عبيد الله في أرضه وأعوز المستعبد الحر

الانسانية وعمل الخير :

وهو يدعو الى انسانية مخلصة ، وغيرية صادقة،بعيدة عن الاثرة وحب الذات، قائمة على الايثار ، وعمل الخير .

أسمعه يقول :

« أطعم سائلك اطيب طعاميك ، واكس العاري أجد ثوبيك ، وامسح دمعه الباكية بارفق كفيك » .

ولا يرى الكرم ولا الخير،في هذه المآدب تقام للأغنياء بطراً وسمعةً ،بل يراها في اطعام الفقير .

« واعلم ان الفقراء بطعامك احق من الأغنياء »

ويقول :

« انظر بين يديك ، واجعل الشر تحت قدميك ، واذا دعا السائل فقل لبيك ، واذا الجأ عدوك الدهرُ اليك ، فانس حقودك الغبرات »

ويحض الناس على عمل الخير جهدهم :

فانفع أخاك على ضعف تحس به ان النسيم بنفع الروح هباب

ويكرر ذلك فيقول :

فجد بعرف ولو بالنذر محتسباً ان القناطير تحوى بالقراريط

ويريد للانسان أن يفعل الجميل لأنه حسن في نفسه ، لا لأجل ما وراءه من ثواب . وهذا أسمى مايكون من فعل الخير .

فلتفعل النفس الجميل لأنه خير وأحسن لا لأجل ثوابها

وان يخفي احسانه :

« الزكاة ، تذهب عن المال الشكاة . فاذا زكيت أموالك فاخفها كل الاخفاء . »

ويزيد على هذا فيريد للمحسن أن ينسى احسانه :

إذا مافعلت الخير فانسَ فعاله فانك ما تنساه احيي له ذكرا

واذا كان يريد المحسن على أن ينسى احسانه ، فهو يريد المحسن إليه أن لايكون كفوراً ، فيذكر الخير لصاحبه :

عندي لخلي اعظام لمنته وانني للذي اوليه محتقر

حضه على العمل :

ويحض الناس على السعي والاحتراف ، ولا يريد لهم الكسل والتوكل باسم الدين :

تروم رزقاً بان سموك متكلاً وادين الناس من يسعى ويحترف

ترغيبه في الفلاحة :

وينكر على الناس أن يترفعوا عن الفلاحة والعمل في الأرض ، فيؤنبهم بقوله :

اكرهت ان يدعى وليدك حارثاً ياحارث بن الحارث بن الحارث

تلك الصفات لكل من وطيء الحصا مابين موروث وآخر وارث

بل يرفع العامل في الملك ،على العامل في الملك[1]: (حارث الارض عند ربه اوجه من الحارث الخراب[2] .)

(١) الملك (بالضم) السلطان (وبالكسر) مايملكه الانسان .

(٢) هو ملك من ملوك كندة .

ويحتقر الصناعة واهلها ، ان يجعلوا منها عدة للحرب :
(فما فضيلة الصَنَع ، اتخذ قميصاً للحرب ، كبارد الحَبَب أو برد الحُباب.(١))

تواضعه وأدبه :

ويزين هذا الشيخ في دروس الاصلاح التي يلقيها ، هذا التواضع في النفس ، وفي العلم ، يكثر عليه الدليل في شعره وفي نثره . والتواضع الحق صفة من صفات المصلحين . فمنها قوله في ذلك:

«ان معايبي لكثير، فجاز مولاي بالاحسان رجلاً اعلمني بعيب في: اما غيرته، واما سترته ، او عرفت مكانه فاضمرته . لقد منّ عليّ ذا كره منة الاضبط على الرباب»

وقوله :

من لي ان لااقيم في بلدٍ ... اذكر فيه بغير مايجب
يظنّ لي اليسر والديانة والعلم ... وبيني وبينها حجب
اقررت بالجهل وادعى فهمي ... قوم فامري وامرهم عجب
والحق اني وأنهم هدر ... لست نجيباً ولا هم نجبُ

ويقول :

او كان كل بني حوآء يشبهني ... فبئس ماولدت في الحضن حوآء

هذه لمحات موجزات عن آراء شيخنا المعري في الاصلاح الاجتماعي من نواحيه السياسية والدينية ، والاقتصادية ، لم يتسع الوقت المضروب ، للاكثار منها ولا التبسط فيها. وهي آراء لاتزال الى يومنا هذا ، على جدتها وطرافتها . ولانزال نحن في أشد الحاجة اليها والى من يبعثها فينا ويعمل بها صادقاً مخلصاً . فيكبح من جماح المستبد، ويأخذ على يده ـ فرداً كان هذا المستبد ام جماعة ـ ويحد من سلطان القوي على الضعيف، ومن تحكمه فيه ، ويدفع الضالين المضلين من رجال الدين والسياسة عن ضلالهم وتضليلهم ، ويقف عباد المال من عبادة المال عند حد لا يتجاوزنه ، وينبه الشعوب الى حقوقها والى حرياتها .

ان آراء المعري حق . والحق ـ على ماقال ـ كالذهب حسن ، وثقليل ، ولكنه خالد على الدهر .

عارف النكدي

(١) الحبب ، طرائق الماء ، الحباب جلد الحية .

الحفلة الثالثة في معرة النعمان

على ضريح أبي العلاء

في اليوم الثالث من اسبوع المهرجان (يوم الاربعاء في ٢٧ ايلول ١٩٤٤) أخذ اعضاء المجمع اهبتهم للسفر الى معرة النعمان ، فبكروا الى فندق (اوريان بالاس) حيث اعد المجمع لهم عشر سيارات . فلما تم عددهم وانتظم أمرهم غادروا دمشق مع اعضاء المهرجان في الساعة العاشرة صباحاً .ومضت قافلة السيارات تصعد جبال (القلمون) ، وتقطع أوديتها ، وتتلوى في معاطفها ، حتى بلغت بلدة (النبك) ، فأحب الركب أن يستريح من عناء السفر ، فجلس المسافرون حول عين الماء في حديقة البلدية ، وشربوا القهوة في ظلال الاشجار . ثم انهم لما أخذوا قسطهم من الراحة غادروا(النبك) وانحدروا الى حمص ، فمروا بها — على نية العودة اليها — ، ووصلوا الى حماة في الساعة الثانية بعد الظهر .

وكان السيد خالد الداغستاني محافظ مدينة حماة قد خرج لاستقبالهم ، فاجتمع بهم عند مدخل المدينة، ودعاهم الى زيارة دار العلم والتربية،فساروا اليها على الاقدام بين الجماهير المحتشدة في الشوارع ، واستمعوا هناك كلمة الترحيب التي القاها المحافظ باسم مدينة حماة . ثم عادوا الى فندق ابي الفداء حيث اعدت لهم مدينة حماة مأدبة غداء فاخرة القيت فيها كلمة باسم بلدية حماة ، وتكلم فيها الدكتور طه حسين، والاستاذأحمد أمين ، والدكتور عبد الوهاب عزام، والاستاذ طه الراوي، والاستاذ اديب وهبي ، عن مدينة حماه ومهرجان ابي العلاء والجامعة العربية والصلات الروحية والمادية التي تجمع اقطار العالم العربي بعضها الى بعض .

ولما انتهت مأدبة الغداء غادر اعضاء المهرجان في الأصيل مدينة حماة ، فوصلوا الى معرة النعمان في الساعة السادسة قبيل غروب الشمس . وكان نائب المعرة السيد حكمة الحراكي قد أعد لهم احتفالاً شعبياً رائعاً . فاستراحوا قليلاً في دار السيد طالب الحراكي عند مدخل المدينة . ثم ساروا الى ضريح أبي العلاء مشياً على الإقدام والجماهير تصفق لهم وتحييهم . وبلغوا القبر في العشية يحيط بهم اهل المدينة

رفع المسهم

كبارهم وصغارهم في موكب مهيب لم تشهد معرة النعمان مثله ، وترمقهم اعين النساء من شرفات المنازل بنظرات ملؤها الفرح . ثم انهم جلسوا على المقاعد التي اعدت لهم حول الضريح ، وبدئت الحفلة بعشر من القرآن الكريم اوله : « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير » . ثم القى الدكتور طه حسين كلمة بدأها بتلاوة ابيات من قصيدة ابي العلاء الخالدة .

غير مجد في ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شاد

واشار فيها الى مذهب ابي العلاء في اعتزال الناس ، وابتغائه الوحدة وحرصه عليها . قال : لقد وجد ابو العلاء ان خير مايصنعه لنفسه في الحياة عزلة تبعده عن الناس . ولكنه لم يكد يبدأ سيرته في الاعتزال حتى اخذ الناس يسعون اليه ويلتفون حوله . فشقي في حياته بالناس . وها هو يشقى بهم بعد موته ، ويخفق في طلب العزلة . لقد سجن نفسه في بيته حباً بالزهد واعراضاً عن المجد ، فهل يرضيه ان يجتمع الناس حول قبره ويقيموا له هذه الاحتفالات لا لعمري لو ترك الأمر لابي العلاء لما اراد شيئاً من هذا .

ولما انتهى الدكتور طه حسين من مناجاة ابي العلاء تلا السيد محمد الشربقي قصيدة الاستاذ معروف الرصافي وعنوانها « شاعر البشر » ، وكان شاعر العراق قد أرسلها الى المجمع ، وقد حال المرض بينه وبين حضور المهرجان لتلاوتها بنفسه . ثم القى الدكتور مهدي البصير كلمة عنوانها : على قبر ابي العلاء . ولما انتهت الحفلة الخطابية دعي اعضاء المهرجان الى مأدبة عشاء أعدها لهم السيد حكمة الحراكي فساروا في العتمة الى بيته وشهدوا عنده من صنوف الكرم العربي مايعجز القلم عن وصفه .

ثم ان اعضاء المهرجان سروا بعد ذلك الى حلب في ليلة قمراء ساكنة ، فوصلوها بعد منتصف الليل . وكان محافظ المدينة لايزال واقفاً بانتظارهم ، امام فندق (بارون) ، مع لجنة الاستقبال . فاستقبلهم بحفاوة بالغة ، ثم أوى كل واحد منهم بعد فترة قصيرة من الزمان الى الغرفة المعدة له في الفندق ، فتوسد الراحة بعد عناء السفر الطويل .

وفيما يلي قصيدة الاستاذ معروف الرصافي وكلمة الدكتور مهدي البصير .

جميل صليبا

رفع المسيهما

شاعر البشر

حيّ هل يا أخا مضرْ ندّكر خير مدّكرْ
ندّكر شاعر البشرْ خير من قال وافتكرْ

حي هل ايها الملا نحيي ذكرى ابي العلا
شاعر شعره اجتلى صوراً كلها غُررْ

فكره يملأ الفضا نفسه صعبة الرضا
دونه كل من مضى دونه كل من غَبرْ

هو بالفكر مذ سما كان من نوره العمى
طاول الأرض والسما شارف الشمس والقمرْ

حلّ في ذروة الادبْ آتياً منه بالعجبْ
لا تقل شاعر العربْ انه شاعر البشرْ

جعل الشعر وحيهُ موقظاً فيه وعيهُ
ما ورى فيه وريهُ قبله كل من شعرْ

حكم العقل واجتهدْ وتعالى عن الفندْ
هو في القول ما اعتمدْ غير ما ذاق واختبرْ

شعره شف عن كَدها ما له فيه منتهى
ذو معان هي النهى وحروف هي الدررْ

جعل الصدق ديدنا تاركاً هذه الدُنى
ان تناءى او ادّنى فهو للحق ينتصرْ

عيشه عيش زاهد نفسه نفس واجد

فكره فكر ناقدٍ مُبعد الفكر والنظرْ

صير الحق ذوقهُ باذلاً فيه طوقهُ
شاعر ليس فوقهُ شاعر من بني البشرْ

خطّ سِفراً به ابتغى غنية الروح بالرغى
جامعاً افصح اللغى حاوياً اكبر العبرْ

شاعر الارض والسما هو بالفكر مذ سما
ابصر الحق بالعمى لم يضره عمى البصرْ

هو بالشعر ان شدا يتجلى لك الهدى
مُدركاً أبعد المدى بالمعاني التي ابتكرْ

جانب الناس واعتزلْ قائلا انهم هَملْ
شرهم غير محتملّ خيرهم غير منتظرْ

ما بهم غير حاسدٍ دائب في المكائد
مبتغى كل واحدٍ منهم الجور ان قدرْ

ليس للموت عندهُ من تفاريع بعدهُ
ان عرا الحيّ ردّهُ فاقد الحس كالحجرْ

شعره شعر متقنٍ فيه شك لموقنِ
فيه كفر لمؤمنٍ فيه ايمان من كفرْ

نحن اسرى ذواتنا خشية من مماتنا
كم وكم في حياتنا مبتدا ما له خبرْ

معروف الرصافي

رفع المسهم

على قبر ابى العلاء

سيدي حكيم المعرة بل حكيم العرب قاطبةً .

ألا ليأذن لي السادة المحترمون الذين حملهم الأعجاب بك والاكبار لك على أن يحجوا إلى قبرك في هذا الموكب الحافل بمناسبة مرور الف سنة على ميلادك ، أن أفرغ لمناجاتك ، وأتجرد لمخاطبتك ، وما أظن بأن الدقائق القليلة التي يسمح لي بها حجاج قبرك الكرام والتي أستطيع فيها أن أناجيك وأن أخاطبك تكفي للاعراب عما توحيه إلي في هذه الساعة ذكراك الخالدة ويثيره هذا المشهد الرائع على قبرك في نفسي من شتى الخواطر والافكار وضروب الأحاسيس والانفعالات .

سيدي أبا العلاء

إن العراق الذي تجشمت اليه الأخطار وركبت له متون الأهوال وقضيت في ربوعه زمناً غير قليل وعاشرت علماءه وأدباءه وشعراءه معاشرة طويلة فعرفتهم وعرفوك وأحبتهم وأحبوك يرفع لك على لسان هذا العاجز خالص ولائه وصادق إعجابه راجياً جميل صفحك إن كان قد وقع له معك في اثناء زيارتك له ما لا يرضيك عنه أو ما لا يرضيه هو عن نفسه شاكراً كريم إحساسك ورقيق شعورك نحوه في قولك مودعاً أبناء عاصمته :

أودعكم يا أهل بغداد والحشا ... على زفرات ما ينين عن اللذع
وكان مرادي أن أموت لديكم ... حميداً فما الفيت ذلك في الوسع

وقولك متشوقاً إلى أصدقائك الأوفياء فيه واليه :

سلام هو الاسلام زار بلادكم ... ففاض على السني والمتشيع
كشمس الضحى أولاه في النور عندكم ... وأخراه نار في فؤادي واضلعي

يفوح إذا ما الريح هب نسيمها شآمية كالعنبر المتضوع
نعم حبذا قيظ العراق وإن غدا يؤجج ناراً في مقيل ومضجع
فكم حله من أصمع القلب آيس يطول ابن أوس فضله وابن أصمعي
أحن لذكراه وأحفظ غيبه وانهض فعل الناسك المتخشع

إنه لفخر للعراق يا سيدي الحكيم ما بعده فخر أن يترك هذا الانطباع الحميد في نفسك وأن يحتل هذه المكانة الرفيعة من قلبك وأن يظفر بهذا النصيب من ثنائك وتقريظك.

ايها الفيلسوف الكبير

إن الشرق العربي الذي أقمت نفسك مصباحاً له تنير أمامه السبيل وأنت تحترق فجهل فضلك وأنكر فلسفتك واتهمك في دينك وطاردك في أيام حياتك وبعد مماتك ما وجد إلى مطاردتك سبيلاً، قد أدرك اليوم خطأه وتبين إسرافه على نفسه فاستعاض عن خطأه بصوابه وعن ضلالته بهداه وعن غيه برشده وهو اليوم يؤمن بمبادئك ويصدق بتعاليمك ويشعر من أعماق نفسه أنك رسول أمين من رسل المحبة والحنان والرحمة. على أنه إن آمن بمبادئك وصدق بتعاليمك فانما يؤمن بما فيه خيره ويصدق بما فيه صلاحه وفلاحه. وقد يدهشك يا سيدي الحكيم أنه لم يصحح رأيه فيك إلا بعد مرور الف سنة وقد تقلقك منه هذه الأناة في تصحيح الاخطاء فأطمئنك بأن ثقافته قد تقدمت وأن معارفه قد اتسعت وإنه سيقضي من الآن فصاعداً في تصحيح الخطأ الواحد أقل من الف سنة.

ايها الفيلسوف الكبير

إن القرون العديدة التي مرت منذ وفاتك لم تزد مبادئك إلا سمواً وتعاليمك إلا قوة ورسوخاً، «فديكارت» لم يزد على أن كرر للعالم مادعوته إليه مائة مرة من تقديس العقل وتمجيده وتحكيمه في كل صغيرة وكبيرة من شؤون الدنيا والدين على السواء، وكلمته الشهيرة (أنا أفكر، إذن أنا موجود) ليست إلا تكراراً غير مقصود لكثير من أمثال قولك:

سأتبع من يدعو إلى الخير جاهداً وارحل عنهاما إمامي سوى عقلي

«وروسو» لم يزد في دعوته الى الاصلاح السياسي على أن أيد آراءك

وكرر أقوالك ودعا الناس إلى اعتناق تعاليمك ، إذ كل ما دعا اليه في هذا الباب أو جله هو أن يتمتع الناس جميعاً بحرية الفكر والقول والعمل وأن يكونوا متساوين في الحقوق والواجبات وأن يكون الشعب مصدر السلطات جميعاً اليه يرجع الحكام فيما يدبرون من شؤونه ويصرفون من أموره. لأمره يخضعون وبرأيه يهتدون ، وقد سبقته إلى تقرير هذا كله في لزوم ما لا يلزم . فما أعرف كلمة أبلغ في انكار التحكم في الحريات من قولك :

إذا قلت المحال رفعت صوتي وإن قلت اليقين اطلت همسي

ولا اعرف كلمة أبلغ في تقرير المساواة من قولك :

لا يفخرن الهاشمي على امريء من آل بربر
فالحق يحلف مـا علي عنـــده إلاّ كقنبر

ولا أعرف كلمة أبلغ في تحديد علاقة الحاكمين بالمحكومين من بيتك الجاري على كل شفة ولسان ألا وهو :

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها وعدوا مصالحها وهم أجراؤها

وسبقك الى ما جاء به ديكارت ورسو يعني انك تمثـل بعبقريتك التي لا حد لها مدرستين هما من اعظم المدارس الادبية في العالم ان لم نقل أعظمها ، هاتان المدرستان هما اللتان تدعيان « الاتباعية والابتداعية » وأخيراً أفعل تولستوي في تنازله عن املاكه ومشاركته العمال والفلاحين في حياتهم الخشنة الاّ ما فعلته في تنازلك عن مال المعرة عندما آل أمرها اليك وانفاقه على الفقراء وذوي الحاجة من أبنائها وانت تقول :

سولت لي نفسي أموراً وهيبا ت لقد خاب ذلك التسويل
ويقول الغواة خولك اللـــــــه كذبتم لغيري التخويل
ان حباك القدير كالنيل تبراً فليفضه العطاء والتنويل
لا تعول على أختزان فما للبـــــــدر الصفر أثر ميت عويل

أما رأيك في الناس فلا يمر عصر أو جيل — أستغفر الله — بل لا يمر يوم حتى يقوم البرهان تلو البرهان على انه صحيح كل الصحة مصيب كل الاصابة فليس من شك في أنهم اليوم كما كانوا على عهدك وكما كانوا منذ

وجدوا على ظهر هذه البسيطة أهل لما سددت اليهم في سقط الزند ولزوم مالا يلزم من سهام نقدك الجارح خلقاء بما وصفتهم به من حرص على المال وتهافت على الجاه وتكالب على المطامع والشهوات . لم يعصمهم علمهم من رذيلة ولم يطبعهم على فضيلة ، قد كبرت عقولهم وصغرت نفوسهم واتسعت مدارکهم وضاقت افئدتهم ، وحسنت مظاهرهم وساءت سرائرهم ، وقد جرفتهم مطامعهم الأشعبية فزجت بهم في حرب قضت على جانب كبير من عمران مجتمعهم وذهبت بحياة الملايين من رجالهم وسببت الثكل واليتم لملايين كثيرة من نسائهم واطفالهم وحرمت المجتمع ملايين عديدة من الأيدي العاملة وأثخنت جسم المدنية بجروح قد لايشفى منها الا بعد عشرات الأعوام . وقد كانوا على عهدك يكتفون بالنشابة سلاحاً وبالحربة اداة فتك وبطش ، اما اليوم فهم يترامون بالقذائف المحرقة في اعماق البحار ويتراشقون بها في جوف السحاب ، ماذا أقول لك ، بل أنهم يقصفون المدن الآمنة ويضربون النساء والشيوخ والأطفال بقنابل زنة الواحده منها اربعة اطنان حيناً وستة اطنان حيناً آخر ، اي أن قنبلة واحدة من هذه القنابل لو سقطت على المعرة لاسمح الله لتركتها أثراً بعد عين .

وما احدثك به عن الناس من بعدك احدثك به عن الحياة وهي على كل حال حياتهم وثمرة جهادهم ، وتفكيرهم ونتاج أخلاقهم وعاداتهم واعمالهم واحوالهم فما عسى أن تكون بعد ذلك ومع كل ذلك ورغم كل ذلك يمكنني أن اروي لك خبراً مفرحاً جداً ، خبرا يملأ قلبك سروراً ونفسك حبوراً ، هذا الخبر ياسيدي الحكيم هو خبر اجتماع مندوبي الأمم العربية في الأسكندرية للتشاور في اعاده تنظيم الوحدة العربية ، وانه لمن بدائع الصدف ومحاسن الاتفاق ان تفتتح هذه المفاوضات في نفس الوقت الذي يحتفل فيه العرب بمرور الف سنة على ميلادك كانهم بذلك يقيمون البراهين المختلفة على حيويتهم وفاعليتهم في وقت واحد . أجل ياسيدي الحكيم ان العرب الذين ساءك تواكلهم وتخاذلهم والحلال ملكهم وسطوتهم فندبت سوء حظهم في العراق والشام لملاقتك المباشرة بهذين القطرين بقولك :

ان العراق وان الشام مذ زمن صفران مافيها للملك سلطان

قد شعروا اليوم بدم الحياة يجري في عروقهم مرة اخرى فانتفضوا من مراقد

الخمول ونهضوا من كبوتهم البعيدة المدى وراحوا يعملون بكل ماأوتو من قوة على لم شعثهم ورأب صدعهم واصلاح بلادهم وتنظيم شؤون مجتمعهم وهم مقتنعون في قرارة نفوسهم بأن توحيد بلادهم بشكل من الأشكال هو الطريق الوحيد لتحقيق كل هذه الأغراض وبلوغ كل تلك الغايات لذلك يجتمع مندوبوهم ورؤساء حكوماتهم اليوم في ارض الكنانة ليعملوا على تحقيق هذه الرغبة الشاملة التي مضت عليها الأعوام الكثيرة دون أن تخرج من حيز الأماني والأحلام . هذاهو احسن خبر يمكنني ان ارويه لك عن هذه الدنيا الفانية ، فان سرك واطمأنت اليه نفسك وهذا مالا اشك فيه فسل ربك ان يشد ازر القائمين بالدعوة الى الوحدة العربية وان يثبت اقدامهم ويكلل جهودهم بالتوفيق الكامل والنجاح التام ، فان في ذلك فوائد لاتحصى ومنافع لاتحصر لعشرات الملايين ممن يتكلمون لغة اللزوميات ورسالة الغفران .

الا لتعش ذكراك ايها الفيلسوف الأكبر ، ولتعش الوحدة العربية .

مهدي البصير

رفع المسهم

الحفلة الرابعة

في حلب

في الساعة العاشرة من يوم الخميس في ٢٨ ايلول ١٩٤٥ زار أعضاء المهرجان قلعة حلب ، ومتحفها ، ومكتبتها الوطنية ، وغير ذلك من الأماكن . ثم زاروا دار الحكومة في الساعة الثانية عشرة ، فحيتهم موسيقى الدرك عند وصولهم ، واستقبلهم محافظ حلب السيد احسان الشريف استقبالاً رسمياً ، ثم عادوا بعد ذلك الى فندق (بارون) ، حيث تناولوا طعام الغداء على الانغام الموسيقية التي عزفتها فرقة دار الايتام .

وكانت لجنة المهرجان قد أعدت العدة لاقامة الحفلة الخطابية الرابعة في باحة مدرسة التجهيز . فلما دنا موعد الحفلة ، زار أعضاء المهرجان ضريح المغفور له الزعيم ابراهيم هنانو ، وانتقلوا منه الى مكان الحفلة . وكانت باحة مدرسة التجهيز مزينة بالاعلام السورية ، وأعلام الدول العربية ، والأنوار الكهربائية على أشكال هندسية مختلفة ، فلما دخلها أعضاء المهرجان استقبلهم المدعوون بالتصفيق ، فجلسوا على المقاعد الخاصة المعدة لهم حول منبر الخطابة ، وكانت اللجنة قد نصبت حوله مكبرات الصوت لإذاعة الخطب على الجماهير ، وعرضت امامه تمثالاً كبيراً لأبي العلاء صنعه احد الفنانين في حلب . وكانت باحة المدرسة غاصة بالمدعوين ، وكلهم من علية القوم ، جلسوا على صفوف دائرية متوازية تلتقي اقطارها في المحل الذي اقيم عليه المنبر . واحاطت الجماهير بمدرسة التجهيز من كل جانب لاستماع الخطب حتى زاد عدد الشهود على ثلاثة آلاف .

وبدئت الحفلة بالنشيد السوري في جو ملؤه الروعة والجلال ، فألقى محافظ حلب كلمة ترحيبية أشار فيها الى حق مدينة حلب في الاحتفال بذكرى أبي العلاء لقربها من معرة النعمان ، ولصلة صاحبها صالح بن مرداس بابي العلاء وما كان من شفاعة ابي العلاء عنده . قال : وان الشهباء عاصمة سيف الدولة التي كانت تظل المعرة بظل وارف ، وتكلؤها بعين رؤوم ، لتفخر اليوم بشاعرها الحكيم ، وفيلسوفها العميق ، كما انها ترحب باعلام الفكر الذين وطئت اقدامهم ارضها لمشاركتها في الاحتفال بذكرى شاعرها .

وتتابع الخطباء بعده على الوجه الآتي :

١ — الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني أبو العلاء شاعر انساني

رفع المسيهما

٢ الأستاذ طه الراوي — سرُّ الخلود في شعر المعري
ممثل وزارة المعارف العراقية

٣ - الأستاذ عمر ابو ريشه — الفيلسوف (قصيدة)

٤ — الأستاذ سامي الكيالي — الاضطراب السياسي في عصر أبي العلاء واثره في بيئته وشعره

وطلبت لجنة المهرجان في نهاية الحفلة الى الدكتور طه حسين أن يتكلم فألقى كلمة بليغة عن فن أبي العلاء أشار فيها الى قدرة أبي العلاء على استعارة المعاني والاصطلاحات من علماء الشعر والصرف والعروض والفقه والفلسفة ، وحذقه في قلب هذه الاصطلاحات المستعارة الى تشبيهات شعرية جيدة مع انها في نفسها ابعد ماتكون من ظرف الشعراء . كقوله :

مالي غدوت كقاف رؤبة قيدت — في الدهر لم يقدر لها اجراؤها

وقوله : اعللت علة قال وهي قديمة — اعيا الاطبة كلهم ابراؤها

قال : لقد ظلم الناس ابا العلاء في حياته ، وظلمه الأدباء بعد موته ، فمن قائل انه فيلسوف لاشاعر ، ومن قائل انه شاعر لافيلسوف ، ومن قائل انه لاشاعر ولا فيلسوف ، وعندي ان ابا العلاء يسمو على كل هذا لأنه جمع من صفات العبقرية مالم يتح لغيره ان يجمعه فتعذر بذلك تحليل شعره ورده الى اصول معروفة وقوالب موصوفة .

وتخلل الحفلة قطعة موسيقية رمزية للاستاذ سامي الشوا استمع اليها الجمهور بصمت عميق . وكانت حفلة حلب من أجمل الحفلات التي تجلى فيها الذوق والشعر والموسيقى في أجلى مظاهر السحر والجمال .

ولما انتهت الحفلة الخطابية ، دعي الأعضاء الى حفلة عشاء ، اقامتها لهم مدينة حلب في فندق (بارون) ، حضرها وجهاء حلب ، وعلماؤها ،وأدباؤها . ثم اجتمع الاعضاء بعد حفلة العشاء على سطح الفندق ، وشهدوا العرض الكشفي الذي اقامته فرق الكشافة في حلب ، بموسيقاها الكشفية ، ومشاعلها النارية ، في نظام حسن وترتيب مهيب . واحتشدت الجماهير بعد ذلك امام الفندق ، فتلا العرض الكشفي مهرجان شعبي دل على مشاركة مدينة حلب كلها في مهرجان ابي العلاء ، وفرحها به وحبها للعلم والأدب ، وميلها الى تكريم رجاله وايناسهم .

وفيما يلي نص الخطب التي القيت في الحفلة الرابعة . **جميل صليبا**

أبو العلاء شاعر انساني

اسمحوا لي — قبل أن أدخل في الموضوع — أن أتوجه بالشكر الى المجمع العلمي العربي الموقر على تفضله بدعوتي ودعوة نقابة الصحفيين المصرية التى أولتني شرفا عظيما بندبي لتمثيلها في هذا المهرجان التاريخي . وكنت لما تلقيت دعوة المجمع الكريمة منذ شهور لا أرى أن الحال تسعف بتلبيتها ، ثم رأى مجلس النقابة أن ينيبني عنه ففاجأني مفاجأة سارة فله مني الشكر على ما أعان ويسر . ولعل مما يسركم أن أبلغكم أن رجال الصحافة المصرية مجتمعون اليوم . وفي هذه الساعة بناديهم بمصر وان كلمتي تتلى عليهم الآن لا لقيمتها بل على سبيل التأكيد لمشاركتهم لكم في الاحتفال بذكرى هذا الشاعر الجليل .

والشكر أولا وآخراً . لحكومة سورية الشقيقة على ما الطفتني به وخصتني من التسهيل والتذليل . وما نفعتني لا مسئولة ولا مكلفة . ولو لا حسن صنيعها لكان الارجح أن لا أدرك الاحتفال في حينه .

وأرى بعد ذلك واجباً أن أصحح خطأ غير مقصود . مرجعه الى آفة لا برء لي منها على ما يظهر . فقد كنت كتبت قبل حضوري الى الاستاذ الجليل محمد كرد علي بك رئيس المجمع الموقر أقول له أن عنوان موضوعي هو « أبو العلاء شاعر انساني » والواقع انى كنت الى ذلك الوقت حائرا لا أهتدي . ولا أدري أية ناحية من أبي العلاء يحسن بي أن أتناولها . وزاد حيرتي علمي أن معظم أعلام الادب قد وفدوا على دمشق ليقولوا في المعري . ويقيني انهم لم يتركوا لي بابا أدخل منه أو كوة صغيرة أنفلت منها . وكان الوقت قد ضاق . والمراجعة الواجبة طويلة . والمشاغل لا هينة و لا قليلة . والعنوان آخر ما أكتب . وهو على كل حال شيء لا أحسنه . ولقد أخرت كتابا لي في المطبعة سنة كاملة حتى وفقني الله فاهتديت الى اسم له . وأصارحكم اني ماتسنى لي أن أكتب كلمتي هذه الا قبل مقدمي بيوم

رفع المسهم

واحد فأنا لهذا أخشى أن يكون عنوان كلتي مضللا أو اسماً على غير مسمى ولهذا وجب التنبية وابراء الذمة ـ أما الموضوع الذي سأتلوه فلا أدري ماذا أدعوه وكل ماأدريه اني أحوم فيه وألوب حول أبي العلاء .

يرجع عهدي بأبي العلاء الى أيام الطلب والتحصيل ـ أي الى نحو خمسة وثلاثين عاماً أو تزيد ـ ولعل الاصح أن أقول الى بداية أيام الطلب فما اعرفها تنتهي أو تنتهي الحياة نفسها . وما زالت الدنيا مدرسة لايتخرج فيها المرء ولكن يخرج منها . وما فتئت أرجع اليه حيناً بعد حين . حتى تقضى من العمر فيه شطراه وأطيبها. وأطولها فيما أخشى . فما يتكافأ شطران من عمر تكافؤ شطرى بيت منظوم . ولا يلتزم ربنا معنا مايلتزم شعراؤنا من الوزن والقافية . فلا تنفك أوزاننا تتغير وتتنوع وتتفاوت . ولولا ذلك لضقنا بانفسنا وسئمنا أن تجري حياتنا على استواء . وعسى أن تكون هذه حجة لمن يضجره استواء البحور العربية .

وأذكر أننا كنا في الفرقة النهائية للتعليم الثانوي . وكنا ذات يوم نعرب أبياتاً للمعري في الفخر ـ ماأقل ماكان يفخر ـ فدخل علينا المرحوم عاطف بركات باشا ـ وكان يومئذ مفتشاً للغة العربية . وكانت فيه صراحة تلتبس بالفظاظة والجفوة ـ وقال : « اسمعوا . هذا الشعر يصلح للإعراب ككل شعر آخر . ولكنه من أردإ ماقال المعري وسأحدثكم عنه حديثاً وجيزاً أوجهكم به اليه . فانه شاعر جليل القدر . مني في حداثته بذهاب بصره فحيل بينه وبين السعي والتصرف وعكف على الدرس لايشغله عنه شاغل وتوفر على ماكان في زمانه من علوم وآداب وفنون . حتى الرياضيات والموسيقى والفلك . فلم يكد يفوته شيء . ولزم بيته وسمى نفسه رهين المحبسين . محبس الدار التي لايفارقها . والعمى الذي لايفارقه. وراح يتفكر ويتدبر . ويملي مايدور في خاطره ويضطرب به فؤاده . فله شأن غير شأن من سبقوه وتلوه من الشعراء الذين يتكسبون بالشعر ويتخذونه أداة للرزق . وقد جارى غيره قليلاً في البداية ثم كف وأقصر . وستحتاجون وأنتم تقرأونه الى المعجم فان الشيخ كان يتكلف الإغراب . على أن المعجم لاغنى عنه لقارىء الأدب العربي وستجدون أبا العلاء فيما عدا ذلك أصفى من الجدول الرقراق »

فكان أن اقتنيت سقط الزند واللزوميات وعكفت عليها . وما أظن به الا أنه قوى في نفسي ميلي في أيام الشباب الى التشاؤم . وأعداني بخواطره السود .

ولكنه علمني أن أنظر بعيني . وأفكر بعقلي . وصدني عن التقليد والمحاكاة . وحبب الي الخير والرحمة والانصاف . وبغض الي الظلم والبغي وأن كان لم يهدني . وله العذر فما كان اهتدى حتى يهتدي سواه .

ولم يتغير رأيي فيه بعد أن زدت خبرة بالحياة وتجربة للدنيا . واطلاعا على الأدب . فما زال عندي في المحل الأول بين الشعراء . وان كان لايعجبني يأسه من الخير والصلاح . وعزوفه عن الدنيا . ونكوصه عن الضرب في زحمة الحياة . ولكني أفهم دواعي ذلك وأعذره . ولا شك في أن الزهد والاعتزال ينافيان الطباع حتى في الحيوان . ولكنه لم يكن زاهداً وانما كان يتزهد . ويشيح بوجهه عامداً . ويروض نفسه على الحرمان . أو كما يقول الميمني فيه « روض نفسه وقنعها على الكفاف فعاد شماسها انقياداً . وألقت اليه مقادا . » ولا بد أن تطلع نفسه وفيه بقية من حب الدنيا» وليس هذا بصحيح كل الصحة أعني أن نفسه لم تلق اليه مقاداً ولم يعد شماسها انقياداً . كما سنرى .

وقد عرف عنه أنه في صباه كان يلهو ويعبث . ويلعب الشطرنج والنرد . وهو القائل بعد أن تقضى الشباب :

ألم ترني حميت بنات صدري فما زوجتهن وقد عنسنه
ولا أبرزتهن الى أنيس اذا نور الوحوش به أنسنه
وقال الفارسون حليف زهد واخطأت الظنون بما فرسنه
ورضت صعاب آمالي فكانت خيولاً في مراتعها شمسنه
ولم أعرض عن اللذات الا لان خيارها عني خلسنه
ولم أر في جلاس الناس خيراً فمن لي بالنوافر ان كنسنه

فهو كما ترون يخطيء أهل الفراسة الذين يزعمونه حليف زهده . ويقول إنه راض صعاب آماله فظلت كالفرس الشموس الذي يمنع الراكب ظهره . وما أعرض عن اللذات الا لأن خيارها تفوته . وهو يشتهي أن يأنس بالناس ولكنهم كالظباء النافرة التي تدخل كناسها . وكان واسع المطامع ففاته أن يكون بحيث يحب فنفر وآثر العزلة .

وقد صاح مرة :

أيأتي نبي يجعل الخمر طلقة فتحمل ثقلاً من همومي وأحزاني ؟

ثم آثر الاحتشام والتجمل وكره لنفسه أن يسكر ويخف عقله فقال :

وهيهات لو حلت لما كنت شارباً مخففة في الحلم كفة ميزاني

وهو كثير التحديث لنفسه بالخمر . يأسف مرة على حرمانها فيقول :

تمنيت أن الخمر حلت لنشوة تجهاني كيف اطمأنت بي الحال

وتارة يكرر بغير داع أنها لو كانت حلالا لما شربها . فيقول :

لو كانت الخمر حلا ما سمحت بها لنفسي الدهر . لا سراً ولا علنا

فليغفر الله . كم تطغى مآربنا وربنا قد أحل الطيبات لنا

وهو في رسالة الغفران يصف مجالس الخمر والمنادمة عليها ويقول انما لذة الشرب فيما يعرض لهم من السكر . ولو لا ذلك لكان غيرها أعذب .

وهو القائل أيضاً :

ولولا أنها باللب تودي لكنت أخا الندامة والنديم

وقال في ذمها والتحذير منها :

البابلية باب كل بلية فتوقين هجوم ذاك البـاب

جرّت ملاحاة الصديق وهجره وأذى النديم وفرقة الأحباب

أم الحباب . وان أميت لهيبها بمزاجها وافت كأم حبـاب

هتكت حجاب المحصنات وجشمت مهن العبيد تهضم الأرباب

وتوهم الشيب المدالف أنهم لبسوا على كبر برود شباب

واذا تأملت الحوادث الفيت صهب الدنان أعادى الألباب

وقال أيضاً في هذا المعنى :

هي الراح . أهلا لطول الهجاء وان حصها معشر بالمدح

فلا تعجبنك عروس المدام ولا يطربنك من صدح

ومن يفتقد لبه ساعة فقد بات فيها بخطب فدح

قبيح بمن عدّ بعض البحار تغريقه نفسه في قدح

وقال في الدنيا التي عالج الانصراف عنها

أيها الدنيا لحاك الـ ـله من ربة دل

ما تسلي خلدي عن ـك وان ظن التسلي

وقال أيضاً :

طال صبري فقيل أكثم شبعا ن وإني لمنطو طيان

أي جائع متعمد للجوع .

وقال يصف مجاهدته نفسه

مهجتي ضد يحاربني أنا مني كيف احترس ؟

وقال :

حبستك أقدار ذوتك عن المنى فمضى الصحاب وأنت ثاو جالس

وقال :

وما يترك الانسان دنياه راضيا بعز ولكن مستضاماً على قسر

وقال :

والعز في الثروة . والعيش في ا حبرة . والحرفة في المحبرة

وقال :

تنازعني الى الشهوات نفسي فلا أنا منجح أبداً . ولا هي

وقال :

أريد ليان العيش في دار شقوة وتأبى الليالي غير بخل وليان
ويعجبني شيئان . خفض وصحة ولكن ريب الدهر غير شياني
وما جبل الريان عندي بطائل ولا أنا من حود الحسان بريان

وفي رسالة الغفران . يجعل ابن القارح يلتقي باثنين من الحور من الضرب الذي نقله الله من الدار العاجلة لما عمل من الأعمال الصالحة . فيقبل على كل واحدة منها يترشف رضابها فيهيجه ذلك الى ما به ويصيح « ان امرأ القيس لمسكين . مسكين . تحترق عظامه في السعير وأنا أتمثل بقوله :

كأن المدام وصوب الغمام وريح الخزامى وصوب القطر
يعل به برد أنيابها اذا غرد الطائر المستحر

ولا يزال المعري في هذه الرسالة يلتفت لى مواضع معينة في جسد المرأة ولا يخلو هذا من دلالة .

وفي « الفصول والغايات » تقرأ له كثيراً من أمثال هذه الكلمات .

« يا أرض ، لا قرض عندك ولا فرض . أودعت المال فرددته سالماً . والخليل

فأكلته راغماً . ليتك أكلت المال ورددت الخليل . انما أنا كرجل يلي بالصدى (العطش) لا يجد ورداً ولا مورداً . فهوظمآن أبداً »

أي لا يجد نصيبه من الماء ولا موضعاً يرده فيطفيء ظمأه .

وان الله خلقني لأمر حاولت سواه فألفيت المبهم بغير انفراج . وفطام ابن العامين أيسر من فطام ابن الأعوام . وأعيا تأديب الهرم على الأدباء . وقد صرفت نفسي في الشبيبة فألفيتها صاحبة جماح . فالآن وقد اسمألت الظلال (قصرت) ان تركتها أسفت . وان زجرتها فلا انزجار . كأن كلامي سفير الريح (ماتكنسه من الورق) مالها اليه التفات . وقد سئمت الحياة . وأخاف أن أنقل فأقدم على ماحزن وساء . وأنا أغفلت الحزم ملت عن الجدد ومشيت في الخبار . وقد خلصت من الحبالة فكيف عدت . وعلى علم وضعت القدم في النار . أحلف يانفس . ولك الحلف . لقد ضيعت آخرتك ودنياك . ماوفق رجل امن الله وخشي الناس . اسعى للنفس فيما تكره كأني لها غاشّ . أنا وهي شيء لاينماز . نتراد الملامة كأننا اثنان . تلك محارة في حور . ان جنت عليّ . أو جنيت كيف يقع القصاص ؟ أفنيت الشبيبة سوى سواد قد آن له أن يبدل ببياض » . . الخ

ولا داعي للاكثار من الشواهد . فان أبا العلاء انسان . وليس بانسان من لايشتهي الحياة الرضية . والمتعة المرضية . والسلامة من اليأساء والضراء وأن أبا العلاء لانسان عريق في الأنسانية . يحب الحياة كما يحبها جميعاً . ويفزعه المصير الذى لامعدي عنه ولا مهرب منه . تأمل قوله :

وكلكم يبدي لدنياه بغضه على أنه يخفي بها كمد الصب

وقوله :

تبغي الثراء فتعطاه وتحرمه وكل قلب على حب الغنى جبلا
لو أن عشقك للدنيا له شبح ابديته لملأت السهل والجبلا

وقوله :

اشربت حبك لاينفيه عن حسدي سوى ثرى لدماء الانس شرّاب

وقوله :

وصدقت هذا العيش في حي له واغترني بخداعه وكذابه

وقوله :

شقينا بدنيانا على طول ودنا فدونك مارسها حياتك راشقها
ولا تظهرن الزهد فيها فكلنا شهيد بأن القلب يضمر عشقها

وقوله في « الفصول والغايات » ايها الدنيا البالية . ماأحسن ما حلتك الحالية. اين امك الخالية . ان نوبك لمتوالية . والنفس عنك غير سالية .

« كسيت الحداثة فأبليتها . واعطيت الصحة فتمليتها . ماخلوت من الجرائم ولا خليتها . قلتني دنياي فما قليتها . اكتلأتها فما اكتليتها (راقبتها فما اصبت شيئاً)

« اسب نفسي وتسبني . واريد الخير لايجبني . احب الدنيا كأنها تحبني . والحرص يوضعني ويخبني . والعزيزة عن الرشد تذبني »

« ويحي كل الويح . أحب الدنيا وآلتها ليست فيّ . وقد يئست من بلوغها واليأس مريح . فالام التشوف الى الضلال »

* * *

ومن فرط حبه للحياة وتعلقه بها وحرصه عليها وأسفه على مافاته فيها وحرمه . كان جزعه من الموت . واستهواله له . وطول تفكيره فيه وفيما يليه . وحيرته بين الجبر والاختيار ، وشكه في كل شيء الا أن الموت حق ومصير محتوم :

اذا ما تباشر أهل الغلام به فالتباشر معنى هلك
ألم تريا أن سلك الزمان أفنى السليك وأفنى السلك؟

يمر الحول بعد الحول عني وتلك مصارع الأقوام حولي
كأني بالأولى حفروا لجاري وقد أخذوا المحافر وانتحوا لي

سيسأل ناس ما قريش ومكة كما قال ناس ماجديس وما طسم
أرى الوقت يفني أنفسا بفنائه فيمحو . فمايبقى الحديث ولا الرسم

تبكّي على الميت الحديث لأنه حديث وينسى ميتك المتقادم

لو كان ينطق ميت لسألته ماذا أحس . وما رأى . لما قدم

اذا الحي ألبس أكفانه فقد فنى اللابس واللابس
ويبلى الحيا فلا ضاحك اذا سر دهر . ولا عابس
ويحبس في جدث ضيق وليس بمطلقه الحابس

فما هو في سلف سائر ولا هو في حندس قابس
يجاور قوما أجادوا العظات وما فيهم أحد نابس

أما اليقين فلا يقين وانما أقصى اجتهادي أن أظن وأحدسا

ومدّ وقتي مثل القصر . غايته وفي التراب تساوي الدر والبرد

فني الواتر والموتور . وعند الله علم الذاهبين

ولا آخر لقوله ـ شعراً ونثراً ـ في الموت والفناء . حتى الكواكب لامنجاة لها من هذا المصير .

يجوز أن تطفأ الشمس التي وقدت من عهد عاد وأذكى نارها الملك
فان خبت في طوال الدهر جمرتها فلا محالة من أن ينقض الفلك

زحل أشرف الكواكب دارا من لقاء الردى على ميعاد
ولنار المريخ من حدثان الدهر مطف . وان علت في اتقاد
والثريا رهينة بافتراق الشمل حتى تعد في الأفراد

وقد زعموا الأفلاك يدركها البلى فان كان حقاً . فالنجاسة كالطهر

وما مصير من يفكر على هذا النحو ؟ مصيره ولا ريب الى اليأس . والى أن يستوي عنده الجهل والعلم . والهدى والضلال . وإلى حيرة مضنية لامخرج منها . ولهذا تراه لاينفك ينفي ويثبت . ويقول بالرأي ونقيضه .

وما فسدت أخلاقنا باختيارنا ولكن بأمر سببته المقادر
ومن يظفر بأمر يبتغيه فأقضية المهيمن وفقته

ماباختياري ميلادي ولا هرمي ولاحياتي. فهل لي بعد تخيير ؟

تتخيرين الأمر كي تحظي به هيهات ليس على الزمان تخير

لو ينطق السيف نادى ليس لي عمل اذا قضى ملك الأفلاك أنضاني
وان كهمت فأمر الله اكهمني وان مضيت فأمر الله أمضاني

وهو مغلوب على أمره في كل شيء .

من وسخ صاغ الفتى ربه فلا يقولن توسخت

نهاني عقلي عن أمور كثيرة وطبعي اليها بالغريزة جاذب

قضى الله فينا بالذي هو كائن فتم . وضاعت حكمة الحكماء

وهل يأبق الانسان من ملك ربه فيخرج من أرض له وسماء؟

ولكنه يعود فيقول بالاختيار :

تقلدن المآثم باختيار أوانس بالفريد مقلدات

تخير . فاما وجدة مثل ميتة واما جليس في الحياة منافق

فما أذنب الدهر الذي أنت لائم ولكن بنو حواء جاروا وأذنبوا

ثم يتردد ويضطرب ويحتار فيقول :

تخالفت الأشياع في عقب الردي وتلك بحار ليس يدرك عبرها

وقيل نفوس الناس تطبع فعلها وقال أناس بل تبين جبرها

ارى شواهد جبر لا احققه كأن كلا الى ما ساء مجرور

قالت معاشر . كل عاجز خرع ما للخلائق . لا بطء ولا سرع

مدبرون فلا عتب اذا خطئوا على المسيء . ولا حمد اذا برعوا

وقد وجدت لهذا القول في زمني شواهداً ونهاني دونه الورع

وحار في الثواب والعقاب . ورأى ان من الظلم عقاب المجبر . ولم يطمئن الى الجبر . فطمع في الغفران . وآمن بالعقل وكفر به

جاءت أحاديث ان صحت فان لها شأنا ولكن فيها ضعف اسناد

فشاور العقل واترك غيره هدرا فالعقل خير مشير ضمه النادي

والعقل غرس له بالصدق اثمار

ثم يرجع فيقول :

هي الأفهام قد صدئت وكلت ولم يظفر لها أحد بصقل

وقد أعمل الناس أفكارهم فلم يغنهم طول أعمالها

وبصير الأقوام مثلي أعمى فهلموا في حندس نتصادم

سالتموني فأعيتني اجابتكم من ادعى أنه دار فقد كذبا

انما نحن في ضلال وتعليل فان كنت ذا يقين فهاته

أما الحقيقة فهي اني ذاهب والله يعلم بالذي أنا لاقي

أنا اعمى فكيف اهدى الى المنـ ـهج والناس كلهم عميان

فهم الناس كالجهول وما يظـ ـفر الا بالحسرة العلماء

* * *

وحسبنا هذا القدر من الشواهد

وقد قيل ان علة العلل هي عماه . وان هذه المحنة هي التي حملته على الزهد وايثار العزلة . ورياضة النفس على الكفاف . وان آفته هذه هي مفتاح شخصيته . فلا سبيل الى فهم المعري على حقيقته الا اذا رددنا كل عمل او قول له الى هذه المصيبة التي اصابته في طفولته لغير ذنب جناه .

وغير مردود ولا منكور ان ذهاب البصر محنة . ولا سبيل الى الشك في ان المكفوف لايسعه الا ان يشعر بما حاق به من المكروه . وما حرم من المزية . والا ان يألم ويأسف ويتحسر ويتلهف وان اظهر الجلد وابدى التشدد . ولا يمكن ان تخلو خسارة هذه الجارحة النفيسة من أثر عميق في نفس المرء وتفكيره واتجاه عقله ونوع احساسه بالحياة والناس .

كل هذا مسلم لاخلاف عليه . فما يستوي ان تكون او لاتكون للأنسان هذه الجارحة والا كان خلقها عبثا . وزايداً لاداعي له . ولكني لارى راي القائلين برد كل شيء الى فقدانها . ولا انها هي مفتاح شخصية المعري . فليس من الحتم ان يحدث ذهاب البصر هذا الأثر . وقد عمي بشار جنينا ولم ير ضوء النهار وتحسر وتألم . ونقم وسخط . ولكنه لا تزهد ولا اعتزل . بل نزل الى المعترك . وخاض الغمار . وضرب في الزحمة وكان حيواناً كبيراً . وروى بيرك الأديب الانجليزي المشهور في كتابه « الجليل والجميل » أنه يعرف عالماً أعمى كان أستاذاً

لعلم الضوء في الجامعة . وهو قد ولد مكفوفاً . وقرأت منذ شهور كتاباً اسمه « العالم تحت أنامله » لكاتب امريكي حديث اسمه « كارستن اونستاد » ذهب بصره وهو طالب في مدرسة عالية . أي بعد أن أمتع بنعمة البصر نحو عشرين عاماً . فالخسارة افدح . والحرمان أوجع . وقد ترجم في هذا الكتاب لحياته . ووصف ما كان من أمره بعد هذه المحنة . وكيف غالبها فغلبها . وهو لا يعتمد الا على العصا ولا يحتاج الى من يأخذ بيده ويقوده ولا يرضيه الا أن يعامله الناس كأن ليس بينه وبينهم فرق . فلا هو أعمى ولا هم بصراء دونه . وكيف كان يشارك الطلبة في العابهم ومغامراتهم . حتى الزحلقة على الثلج في الجبال .

وعندي أن ذهاب البصر لا يورث صاحبه ما عزوه في المعري اليه . الا اذا اجتمع أمران على الخصوص : حس مرهف دقيق في المكفوف . ومجتمع لا يزال يشعره انه مكفوف كأن يبدي العطف عليه . أو يعيره . أو يتعجب لما يكون منه مما يعد مستعصياً او مستكثراً على مثله . واحسب ان عامل المجتمع اقوى الاثنين فاذا تلقى الناس الكفيف على نحو طبيعي . وعاملوه كأنه مثلهم بلا فرق . ونزهوه عن العطف والتعيير والتعجب . فان أثر العمى في نفسه على الرغم من دقة الشعور به ، يمكن أن يخف جداً لأن الجماعة تصبح عوناً له وتشجعه على مغالبة رزئه والتغلب على قيده . وتقيه بسلوكها نحوه من التهويل بمصابه على نفسه .

ومن المحقق على كل حال أن ذهاب البصر ليس هو الذي حمل المعري على اعتزال الناس ورفض الحياة . وايثار الوحدة والعزوبة . وكراهة أكل اللحم وذبح الحيوان والطير . ولو شاء المعري لتولى القضاء في المعرة أو حمص كما تولاه أبوه أبو محمد عبد الله . وعمه أبو بكر محمد . وجده سليمان . وابن أخيه أبو اليسر ولو شاء لما حرم نفسه طيبات ما أحل الله . بل لو شاء أن ينهز مع الغواة بدلائهم ويسيم سرح اللهو مثلهم لفعل . فما حال العمى أو الصمم أو الكساح بين أحد وبين ما يشتهي من ذلك . فاذا قيل أنه كان حساساً جداً وانه يستنكف ويكره لنفسه أن يراه أحد خفيف الحلم أو على حال تزري به . وان شعوره بكرامته كان يأبى له أن يطلب فيمنع ويشتهي فيحرم . قلنا أن هذا ليس من العمى . بل من دقة احساسه المرهف وفرط شعوره بنفسه .

ودع هذا واسأل ما ذا حرمه العمى ؟ انه شاعر أديب وعالم متفلسف . وقد عرف له أهل زمانه ومن جاء بعدهم من الأجيال غزارة الفضل ووفرة العلم وحدة الذكاء . وسعة الاحاطة باللغة . والحذق بالنحو . وجودة الشعر . والالمام بكل علم معروف في عصره . وكان تلاميذه يعدون بالمئين . ويزحمون داره . ولما مات أنشد على قبره المراثي أربعة وثمانون شاعراً . فهو قد فاز في حياته بالحظ الأجزل من الشهرة والتوقير . ولا يزال الى يومنا هذا في المحل الأول والأرفع بين شعراء العربية . أما فيما عدا ذلك مما هو من الحياة الخاصة الشخصية . فما حرم شيئاً أو كانت الآلة تعوزه فيه كما يقول وإنما حرم هو نفسه وآثر لنفسه العزوف وأبى عليها كل متعة . فالأمر مرجعه الى ارادته لا الى عماه .

واذا قلنا ارادته فقد قلنا ما ينزع به اليه مزاجه السوداوي الخاص وما بني عليه من الطباع . وهذا عندي هو مفتاح شخصيته والذي أرد اليه ما كان من سيرته . وقد جاءت عوامل أخرى فقوت استعداده الخاص فقد نشأ في بيت علم وفضل وتقوى . وكانت لأسرته مكانة عالية ومنزلة ملحوظة في بلدته الصغيرة . وحسبك من شعوره بكرامته وكرامة بيته في هذا البلد أنه وهو عائد من بغداد بعث الى أهل المعرة بكتاب ينبئهم فيه أنه اعتزم أن يلزم داره ويعتزل الناس . كما يفعل الحاكم أو القائد حين يقدم على بلدة فيدع كتابه أو « منشوره » يسبقه اليها ببلاغ منه . وكان هو إلى ذلك عالماً ضليعاً وأديباً رفيعاً . فاجتمعت له كرامتان : كرامة علمه وأدبه وفضله . وكرامة بيته وآله . وخلق حساساً جداً حتى لكأنما يحس الدنيا بأعصاب عارية لا يسترها لحم ولا يقيها جلد . فهي أبداً مكشوفة معرضة للمؤثرات مباشرة . ولهذا كان يخجل أن يرى وهو يأكل مخافة أن يرى منه ما يعاب . ومثله يحرص على اجتناب ما يعرضه للمهانة أو الزراية أو السخرية . ومن هنا لجاجته في تنقص نفسه وقوله إنه كلب لئيم وإنه جاهل وناقص وإنه أعمى ضال كأنما يريد لفرط شعوره بذاته أن يسبق الناس إلى ذمه . ولا يدع لهم ما يقولون فيه أو يعيبونه به . ومثله ينزع الى العدل والانصاف . لأن الانصاف سبيل النجاة والأمن لمن كان يفطن فطنته الى مواطن ضعفه وقصوره ويحس بها احساسه . حتى لقد عرّف الدين بأنه

إنصاف الناس . ولا عجب بعد ذلك أن يكون رقيق القلب رحيمه . وان كانت رحمته مفرطة حتى ليقشعر بدنه حين يقدمون له فروجاً أوصى له به الطبيب في مرضه . ويقول : « استضعفوك فوصفوك . فهلا وصفوا شبل الأسد ؟ » وقد ثقلت عليه محنة العمى وشقت جداً لا نها ظلم حاق به بغير ذنب . فظل ثائراً على هذا الظلم كثورته على كل مظاهره الأخرى في الحياة . ولم تكن ملازمته داره واقتصاره على أكل البقول ونفوره من اللحم . إلا ضرباً من التحامل على النفس وتعذيبها لا يستغرب . فان تعذيب النفس نوع من إثبات القوة فكأنه لما أنس من نفسه العجز عن أن يكون ذا بأس وصولة بين الناس تحول الى نفسه وحمل عليها وعالج رياضتها لينعم بالشعور بالقوة والاقتدار . وكل امرئ ينزع بطبعه الى تعويض النقص الذي يعرفه أو يحسه ولو احساساً غامضاً . وتلك حقيقة لا تحتاج إلى بيان . وأحسب أن مما يجري هذا المجرى شدة تكلفه في اللزوميات وإلزامه نفسه فيها ما لم يلزم أحداً ، وإكثاره من الغريب فيها وفي نثره . وتحريه الوحشي وغير المأنوس من الألفاظ . حتى كتاب « الفصول والغايات » جعله فصولا غاياته أحرف مرفوعة أو منصوبة إو مجرورة . وذلك كله لاثبات القدرة والرسوخ في العلم والاستبحار فيه . بل التفوق والتميز .

وهنا موضع سؤال : لماذا احب المعري أبا الطيب المتنبي كل هذا الحب ؟ وأعجب به وأكبره الى هذا الحد ؟ حتى تعرض للأذى من أجله ؟ وألف فيه كتاباً سماه « معجز أحمد ؟ » لقد كان يتعصب له تعصباً عجيباً وليس هو بالذي يخفى عليه أن هناك شعراء آخرين لايقلون عنه شأناً . وان معاني المتنبي ليست كلها مما ابتكر وان كثيراً منها يوجد في أشعار غيره . ولقد ألف في أبي تمام كتاباً سماه « ذكرى حبيب » فما هو سر هذا التعصب المفرط ؟

عندي أن السر هو شخصية المتنبي لاشاعريته . فقد كان المتنبي يمثل كل ماينقص المعري . أو مايحس المعري أنه ينقصه : الجرأة . والأقدام . والثقة بالنفس . والأطمئنان الى صواب مايرى . والجزم في الأمور والفحولة التي تخرج المعنى مخرج المثل السائر وتجعل منه عملة . وعلى الخصوص اليقين الجازم . والثقة بالنفس . وانتفاء الحيرة والاقتناع بأن فهمه للناس وللحياة

صحيح لايرتقي اليه الشك . وكل هذا ينقص المعري . فهو أبداً مضطرب لايستقر . وحائر لايهتدي . لايطمئن الى رأي . ولا يثق بصواب . ولا يرضى عن نفسه . ولا يحول عينيه عما يدركه من قصورها وعيوبها . يحس أن في وسعه أن يجتريء ويلقي بنفسه في عباب الحياة ويفرق تياره الى حيث يتطلع ويرجو أو يراه من حقه .

وأحسب أن كل من قعد يفكر ويتدبر على نحو مايفعل المعري . لابد أن يضطرب اضطرابه . ويضل ضلاله . ويقع في مثل حيرته . فان هذه أمور أشكال لاسبيل الى الاهتداء فيها الى مايقنع العقل . وليس المعري يبدع في هذا فان له لأمدادا كثرا في الشرق والغرب .

ولقد كنت منذ ايام أراجع رواية هملت لشكسبير الشاعر الانجليزي. فاذا بي أقرأ لهملت وهو واقف مع حفارى القبور . وفي يده جمجمة

« أتظن أن الاسكندر كان هذا منظره في الأرض ؟ »

فيقول رفيقه هوراشيو « تماماً »

فيقول هملت « وكانت له هذه الرائحة ؟ أف . »

هوراشيو « كذلك ياسيدي »

هملت « إلى أي درك نصير ياهوراشيو . . لماذا لايتعقب الخيال رفات الاسكندر النبيل حتى يجده يسد ثقب برميل ؟ . . . مثلاً : مات الاسكندر. دفن الاسكندر . عاد الاسكندر ترابا . والتراب من الأرض . ومن الأرض نصنع الصلصال . ومن هذا الصلصال الذي تحول إليه ماذا يمنع أن يصنعوا منه مايسد برميل بيرة ؟ »

فأذكرني هذا قول أبي العلاء :

إذا غدوت ببطن الأرض مضطجعا ... ثم أفقد أوصابي وأمراضي

تيمموا بترابي علّ فعلكم ... بعد الهمود يوافيني بأغراضي

وان جعلت بحكم الله في خزف ... يقضي الطهور فاني شاكر راضي

والبيت الأخير هو الشاهد

وتأمل صيحة هملت باوفيليا حبيبته

« إلى الدير .. لماذا تريدين أن تكوني أما لآثمين ؟ اني أنا نفسي رجل شريف إلى حد ما . ومع ذلك أستطيع أن أتهم نفسي بأشياء يبدو معها انه كان خيراً لو لم تلدني أمي . وأنا رجل متكبر جداً وبي من المغريات بالشر فوق ما يحيط به الفكر ويصوره الخيال أو يتسع لارتكابه الزمن . ماذا يصنع أمثالي وهم يزحفون بين الارض والسماء ؟ اننا جميعاً أوغاد أشرار . فلا تصدقي أحداً منا » .

ثم يقول لها « إذا كان لابد لك من الزواج فتزوجي مغفلا . فان العقلاء يعرفون كيف تخلينهم وحوشاً شنيعة . إلى الدير . اذهبي بسرعة . »

وأما أكثر ما أبدا المعري وأعاد في هذه المعاني . وما أشبه رأى هملت في المرأة برأي شاعرنا الذي يعد النساء فوارس فتنة وأعلام غي .

وتأمل مناجاة هملت لنفسه « تكون أو لاتكون ؟ هذه هي المسألة . » وهي مشهورة . يقول فيها أن الموت رقدة تنتهي بها آلام القلب وجراح الجسم وأوجاعه كما يقول المعري « انما الموت رقدة يستريح الجسم فيها والعيش مثل السهاد » ولكن الموت قد تتخلله الأحلام . فأي أحلام نراها ياترى إذا سلبنا الحياة . كما يتساءل المعري « كيف لي بمخبر . يعتام نفائس ما أحذر عليه . يعلمني بعد الموت كيف أكون ؟ » وكما يقول :

وبين الردى والنوم قربى ونسبة وشتان برء للنفوس واعلال
إذا نمت لاقيت الأحبة بعدما طوتهم شهور في التراب وأحوال

وكما يسأل

« سبحانك مؤبد الآباد . هل للمنية نسب الى الرقاد ؟ »

ولا يزال هملت يلهج بمحنة الحياة . وسهام القضاء . وسياط الزمن وظلم الظالمين . وصلف المتكبر . وبطء تحقيق العدل . ووقاحة ذوي الأمر وبغيهم واحناء الظهر تحت أثقال الحياة . واحتمال ذلك الشقاء فزعا مما بعد الحياة ومن بعدها مجاهل لم يعد منها مسافر . وهذا خوف يفل العزم ويغري المرء بالرضى بآلام يعرفها واتقاء مايجهل — وذلك كله ما كان يلهج به المعري .

ويتكرر مثل هذه الآراء في الناس والحياة ومصائر الخلق في روايات أخرى مثل تيمون الأثيني وماكبث والملك لير وغيرها .

وندع شكسبير وما يجريه على السنة أبطاله . وننتقل الى جوتيه الشاعر الألماني وروايته فوست على الخصوص . وهي كما وصفها الشاعر « جولة بين الأرض والسماء » وفوست رمز للأنسان الذي ينشد المعرفة ويبغي أن يحيط علماً بسر الحياة وقد وجد أن المعرفة المستفادة من بطون الكتب التي كان يعكف عليها لاتفيده يقيناً ولا تكشف له عن سر ولاتبيحه مجهولاً أو مغيباً . وقد بلغ من يأسه أن باع الشيطان نفسه . وعاهده أن يسلمه روحه اذا وسع إبليس أن يفيده الدعة والاطمئنان واليقين فبدآ معا رحلة طويلة لاداعي لوصف مراحلها فان القصة مغروفة . وقد ذاق في رحلته مرارة الندم وضاق به الفضاء الرحيب فالتمس ماوراء ذلك لعل الخيال يغني حيث لم تغن الحقيقة . وقد أعياه على الرغم من مقدرة الخيال أن ينحي الأستار المسدلة . ولم يجده رفع طرفه الى السماء ومحاولته أن يطوف في الأبد ويجوبه . ولم يقنعه أن يتقبل الحياة كما تجيء وان كانت لا ترضيه . وأشقاه عقله الذي طغى على نفسه ولم يستفد الا الحيرة اللازبة وادراكه مبلغ جهله . ولم يصل الى شيء من ثالوث افلاطون — ثالوث الحق والجمال والخير — واستعان بالشيطان على ضعفه البشري فآب بالندامة والخسار .

وليست هي إلا قصة أبي العلاء في حيرته ونشدانه الحقيقة واليقين في كل ما يستجليه ويفكر فيه . بل قصة كل مفكر من بني الانسان في هذا العالم .

وقد ترجمت منذ ربع قرن وزيادة قصة روسية اسمها « سانين » وقد سميتها ابن الطبيعة . وهي لها ترب شيق . ومن أشخاصها من يدعى يورى يشهد جنازة منتحر فيستهول أنه لم يعد موجوداً . وانه كان شيئاً فأصبح لا شيء . ذهب كالتراب المكنوس ولم تبق منه إلا القبعة على النعش . ويفتح الانجيل فيقرأ فيه أن من يهبط الى الأرض لا يصعد أبداً فيقول :

« ما أصدق هذا وأحكمه . حلم فظيع . هذا أنا أعيش ويلج بي الظمأ إلى الحياة واللذات . ثم أقرأ هذا القضاء المبرم ولا يسعني حتى أن أحتج عليه » .

ويناجي القوة الخفية فيقول :

« ماذا جنى الانسان عليك حتى تسخري منه هذا السخر ؟ إذا كنت موجودة فلماذا تخفين نفسك عن عينه ؟ لماذا تجعليني إذا آمنت بك لا أؤمن بإيماني ؟ (كأبي العلاء تماماً) وإذا أجبتني فكيف أعرف أأنت المجيبة أم نفسي ؟ وإذا كنت على حق في رغبتي في الحياة وطلبي لها فلماذا تسلبيني هذا الحق الذي منحتني إياه ؟ إذا كانت بك حاجة إلى آلامنا فدعينا نحملها من أجل حبنا لك . ولكنا لانعرف أيهما أعظم قيمة : الشجرة أم الانسان . ان الشجرة دائمة الأمل . إذا قطعت استطاعت أن تقوم مرة أخرى وأن تسترد الخضرة وتفوز بحياة جديدة . أما الانسان فيموت ويزول يرقد فلا ينهض مرة أخرى . ولو أني كنت على يقين من اني سأحيا مرة ثانية بعد ملايين السنين . لرضيت أن أنتظر في صبر كل هذه القرون في الظلام . »

وهذه معان تقرؤها كلها في المعري نثراً وشعرا فقد مزق قلبه بها طول حياته .

ومما يستحق الذكر أن بطل هذه الرواية « سانين » يبدي رأياً في يورى هذا الذي يعذب نفسه بالتساؤل الذي لايجدى . فكأنه يبديه في المعري وذلك حيث يقول :

« ان الانسان لا يمكن أن يكون فوق الحياة لأنه جزء منها وقد يسخط ولكن مرجع السخط الى نفسه . فهو اما لا يستطيع أو لا يجرؤ أن يأخذ من خيرات الحياة ما يسد حاجته . ومن الناس من يقضون حياتهم في السجون . وهناك آخرون يخافون أن يفروا منها كالطائر الأسير يفرق في الطيران إذ يطلق له والجسم والروح يكونان كلا متجاوبا لا يزعجه الا دنو الموت الرهيب . ولكنا نحن نقضي على هذا التلاؤم بسوء فكرتنا عن الحياة . فقد زعمنا أن رغباتنا الطبيعية حيوانية . وصرنا نحس العار والخجل منها ونخفيها في صور وضيعة والضعاف منا لا يفطنون لهذا بل يقضون حياتهم في الأغلال المضروبة عليهم . أما الضحايا فأولئك الذين تقعد بهم آراؤهم المقلوبة . ولا شك أن القوى المحبوسة تتطلب منفذاً . وان الجسم ينشد السرور واللذة . وانه يتعذب

من جراء عجزه وقصوره . فهؤلاء وأمثالهم حياتهم صراع دائم . وشك مستمر يتعلقون بكل ما يقدرون أن يعينهم ويفضي بهم إلى نظرية أخلاقية أحدث وأجد . ولا يزالون كذلك حتى يعودوا وهم يخافون أن يعيشوا ويحسوا » .

هذه حال المعري وصفها أديب روسي على لسان شخص متخيل أصدق وصف . أراد أن يحلق فوق الحياة فعجز . لأن ذلك مستحيل لا يستطيعه إنسان . وتهيب الحياة ففر من ميدانها . وخاف نفسه فألجمها وألزمها القيد فانتقمت منه وثأرت لنفسها القوى التي حبسها وسد عليها كل فج . فتعذب وراح يتساءل لمَ ولمادا ؟ ويبحث عن الحق والخير والعدل . ويحاول أن ينفذ ببصيرته من أستار غيب الله المسدلة وهي كثيفة فما اهتدى الى شيء يستريح اليه العقل وتطمئن به النفس . وصار كما يقول بطل هذه القصة يخاف حتى أن يعيش ويحس .. لأنه يتألم . ولأنه يجهل المصير .

* * *

وبعد فان مجال الكلام ذو سعة . ولكني لست الوحيد الذي قال أو يقول في ابي العلاء . وليس من حقي ولا في مقدوري أن أحاول الاحاطة بكل جانب وأن ألم بكل ناحية . فحسبي ما قلت على القصور فيه والعجز . واني لشاكر لكم صبركم وسعة صدركم . ومعتذر اليكم من التقصير . والسلام عليكم .

ابراهيم عبد القادر المازني

رفع المسهم

سر الخلود في شعر أبي العلاء

ايها الحفل الكريم :

حياكم الله بالحسنى . أرجو أن تسمحوا لي قبل الافاضة في الموضوع أن احيي حاضرة بني حمدان ذات التاريخ اللامع ، والعز الراسخ الشامخ ، أيكة أبي الطيب التي اكثر فيها التغريد وأطال فيها النشيد ، وروضة الحارث بن سعيد التي صدح فيها بالمفاخر وغنى بالجليل من المآثر . وان احيي البهاليل من غطارفتها الصيد الذي وصلوا طارف مجدهم بالتليد .

أما بعد فانني كنت شديد الرغبة في أن اتحدث اليكم عن « أبي العلاء في بغداد » لأني احب أبا العلاء واحب بغداد واحب أن اجمع بينهما ، ولكن سبق لي أن تحدثت بهذا الحديث في عاصمة فيصل الثاني ايده الله وحاطه برعايته وقديماً قيل : المعاد معاد وعلى هذا وقع الاختيار على « سر الخلود في شعر أبي العلاء » وكنت اوثر أن اتبسط في هذا الموضوع واشبعه تحقيقاً وتمحيصاً ولكن حديثاً لايزيد عمره على نصف الساعة لايمكن أن يتسع للتحقيق والتمحيص واستخلاص النتائج من المقدمات ولهذا اجدني مضطراً ان اقتصر على شيء وأترك اشياء فأقول :

مضى على الناس زهاء الف عام وهم يتناقلون شعر أبي العلاء ويتدارسونه ويحرصون على اقتنائه وهم في ذلك فريقان : فريق يرفعه الى اسمى مراتب التعظيم والتكريم ، مؤمن بما يدعو اليه مكبرٌ لكل ما يثني عليه ، وفريق آخر يعتقد أن هذا الشعر خليط من حق وباطل وشك ويقين وأن الكثير منه يدعو الى الانحراف عن الصراط السوي صراط الله العزيز الحميد . وكلا الفريقين مجمع على ان هذا الشعر وليد العبقرية الفذة ونتاج العقلية الجبارة وكلاهما حريص على اقتنائه واستظهاره وجعله موضوعاً للنقاش والاستشهاد

رفع المسهم

في مجالس المسامرة والمذاكرة وفي المساجلات والمطارحات . فما هو السر يا ترى في كل هذه العناية والرعاية مع تباين الانظار فيه وتضارب الأفكار حوله ؟ . . . يمكن الجواب على هذا السؤال بكلمة واحدة فيقال : ان السر في ذلك « جودته » تمشياً مع قانون بقاء الأصلح . ولله اخو خزاعة حيث يقول :

يموت رديء الشعر من قبل اهله وجيده يبقى وإن مات قائله

ولكن هذا الجواب لا يقنع السائل وله أن يسأل ماسر الجودة في الشعر ؟ أفي الفاظه ؟ أم في معانيه ؟ أم في اغراضه ؟ أم في اوزانه وقوافيه ؟...

والجواب على هذا أن شعر أبي العلاء يتحلى بكل هذه المزايا ، فهو جيد في الفاظه جيد في معانيه جيد في اغراضه . فان سعة اطلاع أبي العلاء على اسرار العربية مكنته من ترصيع شعره بالبارع من الألفاظ الناصع منها . وانا زعيم بأنه لو جمع جامع ما جاء في شعر أبي العلاء من فرائد الألفاظ ونوابغ الكلم لاجتمع له معجم طريف في بابه يغني الناظر فيه عن الكثير من معاجم اللغة . أما المعاني التي طرقها أبو العلاء فهي غاية في الدقة والطرافة والابداع والاختراع مع الكثرة في التنوع والتفرع والتوليد والتجديد . وأما الأغراض فقد نهج فيها منهجاً اختطه لنفسه وابتدعه ابتداعاً خالف فيه من قبله ولم يلحقه فيه من بعده .

وهنا يمكن أن نقسم شعر شاعرنا الى قسمين : القسم الأول شعره في الشطر الأول من حياته والثاني شعره في الشطر الثاني منها .

أما القسم الأول فهو فيه متبع اكثر منه مبتدعاً فقد رمى فيه الى الأغراض التي كان يرمي اليها شعراء زمانه ومن سبقهم على انه تنكب بعض الأغراض التي تصم الشعر وتحط من كرامة الشاعر ، مثل المجون والهجاء وغزل المذكر والأعابيث التي كان يتعاطاها الخلعاء من الشعراء ، على أن الناقد البصير ليجد في شعره الأول نفحة تنم عن اتجاهه الفلسفي

فإنا نجده عندما يطلق لنفسه السير على سجيتها تندفع به في مسالك عميقة من الفلسفة قلَّ ان سمعنا بمثلها من شعراء زمـانه . خذ مثلاً على ذلك ما جاء في صدر مرثيته لأبيه وصدر مرثيته لصديقه الفقيه وهما من أوالي شعره ففي الأولى يقول :

جهلنا فلم نعلم على الحرص ما الذي ... يراد بنا والعلم لله ذي المن
اذا غيب المرء استسر حديثه ... ولم تخبر الأفكار عنه بما يغني
طلبت يقيناً من جهينة عنهم ... ولن تخبريني يا جهين سوى الظن
فان تعهدبني لا أزال مسائلاً ... فاني لم اعط الصحيح فاستغني
وإن لم يكن للفضل ثم مزية ... على النقص فالويل الطويل من الغبن

وفي الثانية يقول :

صاح هذي قبورنا تملأ الرّ ... حب فأين القبور من عهد عادِ
خفف الوطء ما اظن اديم الأ ... رض إلا من هذه الأجساد
خلق الناس للبقاء فضلت ... امـة يحسبونهم للنفـادِ
انما ينقلون من دار اعما ... لٍ الى دار شقوةأو رشادِ
ضجعة الموت رقدة يستريح ... الجسم فيها والعيش مثل السهادِ

وهذا يترجم عن نفسٍ أقلقها الشك في أمور واطمأنت الى اليقين في أمور ، فهي في الحالة الأولى تلح في التسآل وفي الحالة الثانية تطمئن الى برد اليقين .

أما القسم الثاني من شعر شاعرنا فقد سلك فيه مسلكاً خاصاً ابتدعه لنفسه ابتداعاً تنكب فيه جميع الأغراض التي كان ينظم فيها المتقدمون من الشعراء والمتأخرون واتجه الى درس أمور لا عهد للشعراء بدراساتها واتخذ في ذلك من عقله اماماً مرشداً ومناراً هادياً يعرض عليه جميع ما يعن له من شؤون الملكوت في السموات والأرض فيقر ما يقره وينفي ما ينفيه ويقف موقف الشك فيما يعجز العقل عن البت فيه :

يرتجي الناس أنْ يقوم إمام ... ناطق في الكتيبـة الخرساء
كذب الظن لاامام سوى العقل ... مشيراً في صبحـه والمسـاء

فاذا ما أطعته جلب الرحمة عند المسير والارساء

نهاني عقلي عن أمور كثيرة وطبعي اليها بالغريزة جاذب

والعقل يسعى لنفسي في مصالحها فما لطبع الى الآفات جذاب

تركت مصباح عقل مااهتديت به والله أعطاك من نور الحجى قبسا

فشاور العقل واترك غيره هدراً فالعقل غير مشير ضمه النادي

وصرف جل جهوده في دراسة أحوال الانسان لخلل غرائزه وطباعه كما حلل أخلاقه وعاداته ، وأنعم النظر طويلاً في أديانه ومعتقداته كما أنعم النظر في حياته ومماته وأولية أمره وآخرته . وإذا كان لا بد لنا من ضرب الأمثلة في هذا الباب فهاك طرفاً منها :

انتهت به دراساته للغرائز البشرية الى أن هذا المخلوق المسمى بالانسان مطبوع على الشر مجبول على العدوان وإذا صدر منه الخير فانما يكون ذلك لعلة :

شر اشجار علمت بها شجرات أثمرت ناسا
حملت بيضاً وأغربة وأتت بالقوم أجناسا
كلهم ضمت جوانحه ماردا في الصدر خناسا

أتعبتم السابح في لجه ورعتم في الجو ذات الجناح
هذا وأنتم غرض للردى فكيف لو خلدتم يا قباح

ما أنتم بالنبات الحميـ ـد ولا بالنخيل ولا بالعُشر
ولكن قتاد عديم الجناة كثير الأذاة أبى غير شر

ما فيهم بر ولا ناسك إلا إلى نفع له يجذب
أفضل من أفضلهم صخرة لاتظلم الناس ولا تكذب

أما المعتقدات فقد طاف بها طواف خبير بصير فانتهى به المطاف الى الاعتقاد بوجود خالق حكيم متصف بجميع صفات الكمال منزه عن جميع صفات النقص :

اثبت لي خالقاً حكيماً ولست من معشر نفاة

عجبي للطبيب يلحد في الخا لق من بعد درسه التشريحا

اذا كنت من فرط السفاه معطلاً فيا جاحد اشهد أنني غير جاحدِ
اخاف من الله العقوبة آجلاً وازعم أن الأمر في يد واحدِ

الله حق وابن آدم جاهل من شأنه التفريط والتكذيب
واللب حاول أن يهذب اهله فاذا البرية ما لها تهذيب

اما النبوات واليوم الآخر فانه كان يدور فيها في ليل من الشك فتارة يقف على مطمئن من الاثبات وتارة يندفع الى شفا الانكار فبينا نسمعه يقول :

دعاكم الى خير الامور محمد فليس العوالي في القنا كالسوافل
حداكم على تمجيد من خلق الضحى وشهب الدجى من طالعات وآفل
فصلى عليه الله ماذر شارق وما فت مسكاً ذكره في المحافلِ

ويقول :

أحسن بهذا الشرع من ملة يثبت لا ينسخ فيما نسخ

ويقول :

وجدنا اتباع الشرع حزماً لذي النهى ومن جرب الأيام لم ينكر النسخا
ومن يعف عن ذنب ويسخ بنائل فخالقنا اعفى وراحته اسخى

ويقول :

وقدرة الله حق ليس يعجزها حشر لخلق ولا بعث لأموات
ولا تطيعن قوماً ما ديانتهم إلا احتيال على أخذ الاتاوات

ويقول :

ما اقدر الله أن تدعى بريته ... من تربهم فيعودوا كالذي كانوا
قديمكن البعث انناذى المليك به ... وليس منا لدفع الشر امكان

ويقول :

وان طال الرقاد من البرايا ... فان الراقدين لهم مهب

فبينا هو كذلك اذ نسمعه يقول :

إن الديانات القت بيننا احناً ... وعلمتنا افانين العداوات

ويقول :

إن يصحب الروح عقلى بعد مظعنها ... للموت عني فأجدر أن ترى عجبا
وإن مضت في الهواء الطلق هالكة ... هلاك جسمي في تربي فوا شجبا

ويقول :

واوصال جسم للتراب مآلها ... ولم يدر دارٍ اين تذهب روحها

ويقول :

قلمت ظفري تارات وماجسدي ... الا كذاك متى ما فارق الروحا

ويقول :

ايرجون ان اعود اليهم ... لا ترجوا فانني لا اعود
ولجسمي الى التراب هبوط ... ولروحي الى الهواء صعود

ويقول :

وروح الفتى اشبهت طائراً ... اطير فما عاد لما نفر

ويقول :

وجبر وكسر له في الزمان ... ويكسر يوماً فلا ينجبر

ويقول :

سنؤوب في عقبى الحياة مساكنا ... لا علم لي بالأمر بعد مآبها

ويقول :

لو جاء من اهل البلى مخبر ... سألت عن قوم وأرخت
هل فاز بالجنة عمالها ... وهل ثوى في النار نوبخت

رفع المسهم

ويقول :

لا حس للجسم بعد الروح نعلمه فهل تحس اذا بانت عن الجسد

ويقول :

أرى قبساً في الجسم يطفئه الردى وما دمت حياً فهو ذا يتلهب

وفي هذا ما فيه من الحيرة الحائرة التي تجهد العقل وتكده ثم تتركه يدور في متاهات المجهولات وآخر ما قرأت له في هذا الباب قوله :

اقيم خمسي وصوم الدهر آلفه وأدمن الذكر ابكاراً بآصال
عيدين افطر في عامي اذا حضرا عيد الأضاحي يقفو عيد شوال
واعبد الله لا ارجو مثوبته لكن عبادة اكرام واجلال
اصون ديني عن جعل اؤمله اذا تعبد اقوام بأجمال

على انه كبير الثقة بأن الدين بمجموعه إنما هو وسيلة لتهذيب النفوس وصقلها وتصفية الأرواح من ادران الشرور والسمو بالاخلاق الى اوج الكمال :

صم ثم صلّ وطف بمكة زائراً سبعين لا سبعاً فلست بناسك
جهل الديانة من اذا عرضت له اطماعه لم يلف بالمتماسك

ما الخير سوم يذوب الصائمون له ولا صلاة ولا صوف على الجسد
وانما هو ترك الشر مطرحاً ونفضك الصدر من غلٍ ومن حسدِ

توهمت يا مغرور انك دينّ عليّ يمين الله مالك دين
تسير الى البيت الحرام تنسكاً ويشكوك جار بائس وخدين

لعل اناساً في المحاريب خوفوا بآي كناس في المشارب اطربوا
اذا رام كيداً في الصلاة مقيمها فتاركها عمداً الى الله اقرب

والدين انصافك الاقوام كلهم واي دين لآبي الحق إن وجبا

ونظر في الحياة فرأي انها صلة بين روح وجسد وانها عبء ثقيل وانها

مجموعة من التكاليف المضنية وان التخلص منها ربح وفوز مبين :

وما العيش الا علة برؤها الردى ... خفل سبيلي انصرف لطياتي

ويقول :

كأس المنية اولى بي واروح لي ... من أن اكابد اثراءً واحواجا

ويقول :

العيش افقر منا كل ذات غنى ... والموت اغنى بحق كل محتاج

اذا حياة علينا للأذى فتحت ... باباً من الشر لاقاه بارتاج

ويقول :

رب روح كطائر القفص المسجو ... ن ترجو بموتها التسريحا

ويقول :

متى الق من بعد المنية اسرتي ... اخبرهم أني خلصت من الأسر

ويقول :

صمت حياتي الى مماتي ... لعل يوم الحمام عيد

ويقول :

ان السيوف تراح في اغمادها ... وتظل في تعب اذا لم تغمد

ويقول :

ضجعة الموت رقدة يستريح ال ... جسم فيها والعيش مثل السهاد

ويقول :

تعب كلها الحياة فما اع ... جب إلا من راغب في ازدياد

ويقول :

إن يقرب الموت مني ... فلست اكره قربه

من يلقه لا يراقب ... خطباً ولا يخش كربه

ويقول :

ايا جسد المرء ماذا دهاك ... وقد كنت من عنصر طيب

تصير طهوراً اذا ما رجعت ... الى الاصل كالمطر الصيب

ويقول :

اذا افترقت اجزاؤنا حط ثقلنا ونحمل عباً حين يلتئم الشعب

ونظر في موقف الانسان تجاه سائر انواع الحيوان فحكم على الانسان بأنه معتدٍ أثيم لا يشبعه الكثير مهما كثر ولا يقف في وجه مطامعه واقف مهما قوي يفترس الوادع من الحيوان ويعتدي على دره وبيضه وسائر نتاجه واعلن أن عمله هذا ظلم مشين واعلن اكثر من هذا فحرض الغراب على مقابلة الاعتداء بالاعتداء قائلاً :

جر يا غراب وأفسد لا ترى احداً الا مسيئاً واي الخلق لم يجر

خذ من الزرع ما يكفيك عن عرضٍ وحاول الرزق في الأعلى من الشجر

لو كنت حارس اثمار لهم ينعت ثم اقتربت لما اخلوك من حجر

بل اعلن العطف والرقة على الحشرات المؤذية فهذا هو يقول :

تسريح كفك برغوثاً ظفرت به أبر من درهم تعطيه محتاجا

لافرق بين الأسك الجون تطلقه وجون كندة امسى يعقد التاجا

ولسنا نريد استقصاء آراء ابي العلاء في الانسان وما يحيط به من العوارض وانما نريد أن نشير الى أنه نهج في شعره نهجاً مبتكراً واتخذ له موضوعات حية باقية فجاء شعره جامعاً بين الابتكار في الموضوع وبين العمق في التفكير والصراحة في التعبير والبراعة في التصوير وان شعراً يجمع بين هذه العناصر الحية لجدير بالبقاء ما بقيت اغراضه وموضوعاته حية ماثلة وما بقي الفن الذي ابرزه حياً ماثلاً ، وليس غرضي أن اقصر الخلود على شعر شاعرنا الفيلسوف وانما اريد أن اقول ان كل شعر يجمع بين العناصر التي جمعها شعر ابي العلاء من حيوية الموضوع وعمق التفكير وصراحة التعبير وبراعة التصوير فانه لخليق بالعيش الطويل .

سلك ابو العلاء هذا الوادي من الشعر وترك الشعراء في اوديتهم يهيمون يحبرون قصائد الثناء استدراراً لأكف اهل الثراء ويطيلون الهجاء لمن يمنعهم العطاء ويرثون من لا يعرفون ويتهافتون في العبث والمجون تركهم

في ذلك وانصرف الى درس احوال الانسان وما يحيط بـه من خير وشر فأخذ يقرر ويصور ويخترع ويبدع ، فمات الكثير من شعر اولئك الشعراء المنطوي على الثنـاء الزائف والهجاء الباطل والرثاء الكاذب بموت اولئك الممدوحين والمهجوين ، وبقي شعر شاعرنا حياً يطاول ويصاول ويجاهد ويجالد ، فان رأينا بعض شعر المديح والهجاء والرثاء والمجون يعيش فانمـا ذلك لمـا يحمل معه من نادر الصفات الفنية وطريف المعاني الأدبيه أو لمـا يتخلله من الموضوعات الخالدة الباقية فانني ازعم أن قصيدة المتنبي التي هجا بهـا ابن كيغلغ :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم عرضاً نظرت وخلت اني اسلم

لم تتداولها الألسن إلا لما انطوت عليه من بارع الحكم ذات الموضوع الحي الباقي وما عليك إلا أن تنظر في قصيدة ابي العلاء نفسه التي مطلعها :

غير مجدٍ في ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شادي

فانك تجد جمهرة المتأدبين يحفظون صدرها ولا يعرفون من سائرهـا إلا النزر اليسير وما ذاك إلا لأن صدرها حيوي الموضوع خالد الأثر على الزمن واما باقيها فانه كسائر شعر الرثاء يزيد عليه أو يساويه .

واني لأزعم أن الكثير من شعر أبي العلاء لم تنكشف مخبآت معـانيه لمعاصريه لبعد ما بين عقليته وعقليتهم وفرق ما بين نظرته ونظرتهم خذ مثلاً على ذلك قوله في ساسة زمانه :

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها وعدوا مصالحها وهم اجراؤهـــا

فان كلمته هذه مع صراحتها لم يتوضح معناها جلياً الا في هذه العصور المتأخرة عندما ذر قرن الديمقراطيات في الغرب ثم في الشرق مع أن رجال النهضة الاسلامية الأول كانوا يدركونها ويعملون بمقتضاها ولكن تتابع القرون وتتابع الكوارث طمست معالمهـا حيناً من الدهر . وسيبقى كثير من شعر أبي العلاء كامن المعاني الى أن تفسره اعمال الاجيال المقبلة واحوالها لأن الرجل كان ينظر الى الحقائق بمجهر متقن الصنـع فيرى

الكثير مما يخفى على غيره ولا يظنن ظانٌ أننا عندما نكبر في أبي العلاء عقله الجبار وعبقريته الفذة ندعو الى اعتناق مذاهبه كلها لاننا اذا اكبرنا فيه اكباره للعقل وشغفه بالخير ودعوته الى الحرية على اختلاف ضروبها والعدالة والمساواة بأدق مقاييسها والى التحلي بكل خلق كريم والتخلي عن كل عمل رذيل . واذا اكبرنا فيه اتساع معارفه في علوم الكون والشرائع وفنون الآداب فاننا لا ندعو الى اعتناق مذاهبه في الحياة المتقشفة الجافة وهجر جميع متع الحياة البريئة والدعوة الى الزهد في زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق والتبرم بالحياة واستثقال اعبائها فان الأحوال التي اكتنفت حياته جعلته جزوعاً كثير الضجر عديم الامل رزيء المنى وهذه كلها من خويصات نفسه لا يجمل بأبناء هذا العصر ولا سيما الناشئة منهم أن ينحدروا معه ويتخذوا منه قدوة فيها فان الله جل وعلا خلق لهم مافي الأرض جميعاً ليتمتعوا بالحلال الطيب وينعموا بالعيش الرافه الهنيء « قل من حرّم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق » ..

طه الراوي

رفع المسيهما

الفيلسوف

ملعبَ الدهرِ لو ملكنا هدانا لبلغنا من الحياة مُنانا
سبقتْنا إليك احنحة الشوقِ وشقتْ لنا سبيل خطانا
وتلقيتنا بسمة إشفاق وطوّقتنا رضىً وحنانا
ودرجْنا معَ الشروقِ نغنيك ونسقي سمعَ الدُّنى ألحانا
وحنين المجهولِ ، أخيلةٌ تُنبت من كل صخرةٍ ريحانا
أي زاد سوى الظنون حملنا ؟ وتركنا الى هواها العنانا
كلما اوغلت ركائبنا ضاق على زحمة الدروب مدانا
واحتوانا من كل صوب ضباب يرجع الطرف خاشعاً حيرانا
أتريد الوجودَ منهتك الستر يرينا اسراره عريانا
ويفض الفدام عن قلبه السمح ويجريه للعطاش دنانا
لو بلغنا ما نشتهي لرأينا الله في نشوة الشعور عيانا
نحن نسج الثرى فما لأمانينا على كل كوكب تتفاني
تلك اقدامنا تعثر بالاعشاب حيناً وبالحصى احيانا
وظلال الغروب ، دون مدى الطرف ، الى رهبة اللقا تتداني
نشطت قبلنا مواكب شتى وزامت خضيبة خذلانا
وبقايا اشباحها من رؤى الهموم او هي تماسكاً واقترانا
تتمز الهاجس الرهيف فما يبلغ صدقاً منها ولا بهتانا
وخفي الوجود ما انفك لا يغبض قلباً ولا يرف لسانا
طلبته عين الخيال ولما لمحته تكسرت أجفانا

ملعب الدهر إن رجع حنين من اقاصيك ارهف الآذانا
واستفز الاجيال من حجرة الغيب فهبت تمزق الاكفانا

وتهادت تقل موكب فكر يسحب الشهب خلفه اردانا
قام عنه ابو العلاء ، وقام الموت مستنزف الاباء جبانا
قد طواه الزمان حتى اذا الخـــلد اجتباه أطل يطوي الزمانا
ذاك تمجواله كأن انطلاق الـــروح فيه لم يستطب ميدانا
بين شك مروع ويقين مطمئن ما يأتلي حيرانا
وهو في حالتيه قيثارة زهـــراء تروي نشيدها الفتانا
وقف الشرق بعدلأي لتذكا ر صداهـــا مرنحاً نشوانا

يا أخا الحكمة السنية هل نلـــت على سدة الخلود أمانا
كيف ألفيت عالماً لم يفتح مرود النور جفنه الوسنانا ؟
هل محا بسمة الكآبة عن فيـــك واردى في صدرك الاحزانا
وهدى خاطراً ، وزان لساناً وسبى مقلة ، وارضى جنانا
كم تهاوت من دونه روحك الحرى وسالت جراحها الحانا !
عالم الوهم نحن صغنا رؤاه واردناه ان يكون فكانا !
لست تستطيع ان تكون إلاهاً فاذا اسطعت فلتكن إنسانا

لمن الارض إن سلاها بنوها وتناسوا سخاءها الهتانا
وهبتنا من قلبها خفقة القلـــب وشدت بساعديها قوانا
واباحت لنا جناها واعطت فوق ما افق حلمنا اعطانا
فهي مرآتنا ، ومرآة مسرا نا ومرآة سخطنا ورضانا
ما بكينا نفارها إنما العجـــز على صرخة الحنين ، بكانا
اي قلب حملته بين جنبيـــك ووالاك طيماً اسوانا
طالعته الحياة مشبوبة الانـــفاس تذكي دماءه اشجانا
مر من وهجها الملح فما هدّ هدّ شوقاً ولا شفى حرمانا
كنت في حبك المجرد لا تحـــبس عن كل معتف احسانا

أمنَ الحبِّ انْ تدار عليكَ الكأسُ ملأى وتنثني ظمآنا
ما العزاء الذي نحرتَ لهُ العمـــرَ وقدَّمتهُ لهُ قربانا ؟
أتصباك موردٌ من ْ وراءِ الـــغيبِ تغشى نعيمهُ جذلانا
كنتَ تدري انَّ الهناءَةَ طيرٌ لاحَ في دوحةِ الحياة وبانا
يا لزهوِ الصبا نظرتُ بعينيه الى العيشِ مورقاً ريانا
ماعرفتُ ارتعاشةَ الكفِّ بالكأس اذا كانتِ المنى ندمانا
هيكلي الرحب كل اهواء نفسي في ذراهُ اقمتها أوثانا
سوف امضي كما مضيتَ وندري في حمى الروحِ اينا اشقانا

يا أخا الحكمةِ السنية هلْ منـــكَ التفاتٌ الى صدى نجوانا
سلسلتها على الحناجرِ ذكرا كَ وقرَّتْ في كلِّ سمعٍ بيانا
منك اشراقها ، ولولا الجذور الخضرُ ماهزَّتِ الصبا اغصانا
أتخافُ الاصغاءَ انْ يجرحَ الهدأةَ او انْ يصوغها اشجانا
قدْ يحنُّ الطريدُ للربعِ مهما سامهُ الربعُ شقوةً وهوانا
هذه الدارُ كم سئمت بها العيـــشَ وكم ذقت مرَّها ألوانا
سرحتْ في ضلوعها شيعُ النســـلِ فنزتْ ضلوعها ادرانا
وتعالتْ صيحاتكَ الحمرُ تهدي لو أصابتْ اصداؤها آذانا
وتلقيتها اسىً فتلقتْ اسداً في قيودهِ غضبانا
فتواريت عنْ عيونِ مراضٍ خلتَ الحاظها عليكَ سنانا
وطويتَ الايامَ في عزلة الرهـــبان لم تحتسبْ لها حسبانا
قدْ تجفُّ الحياةُ ، إلاَّ وريداً ويضيقُ الوجودُ الاَّ مكانا

كيف تفترُّ عنْ رضى ولياليـــكَ اقامتْ عليكَ حرباً عوانا
وعجافُ الرجال ارفعُ قدرا منكَ في غيهمْ وانبه شانا ؟
طالما كنتَ مبصراً في دياجيـــك وكانوا في نورهمْ عميانا

اسرجوا سهوةَ المذلةِ وانقضوا على مثخنِ الجراحِ طعانا
واستباحوا مالَ الضعيفِ عتوّاً واهانوا حرماته طغيانا
وأزاحوا عن المنابر احراراً فهزّتْ اعوادُها عبدانا
وتمشوا لدى الاعاجمِ حملانَ وسابوا في قومهمْ ذؤبانا
هذه الزمرةُ التي في حماها وقفَ الملكُ مطرقاً خزيانا
ما اظنّ العصورَ مرّتْ عليها فتلفتْ اما تراها الآنا ! ! !

يافؤاداً من المراحمِ نبضاتٍ ومنْ جامدِ السنا شريانا
مرجلُ الحقد لم تلامسه كفٌّ الحبّ الا ادمى لظاهُ البنانا
لمْ يزلْ شرّبُ النجيع سكاري يتبارونَ حولهُ عدوانا
طرفوا مقلة السماءِ وأدموا كبدَ الارضِ عثيراً ودخانا
ما ألانتْ قلوبهم ادمعُ الايـــتام اوْ هزّهمْ انينُ الحزانى
فضحاياهمُ تمورُ على الرملِ المدمى وتعتلي صلبانا
كلهمْ في وليمةِ البغي يخشى أنْ يرى جوفَ غيرهِ ملآنا
والحجى بينهمْ شراعٌ على الدأماءِ لا يرتجي لهُ شطآنا
قلْ لتلكَ الحمائمِ البيضِ : طيري فالخطايا تدفقتْ طوفانا ! ! !

أناجيك يابحيّ الدراري وأغنيك أغنياتي الحسانا
إنّ آفاقكَ البعيدةَ لاتطلقُ للخاطر الحبيسِ عنانا
حسبك المجد ان ترى كلّ يومٍ لاغانيكَ عندهُ مهرجانا ! !

عمر ابو ريشه

الاضطراب السياسي في عصر أبي العلاء

وأثره في بيئته وشعره

عاش شاعرُنا الفيلسوف في فترات الانهيار السياسي — في تلك الفترات السود التي تصدّعت فيها السيادةُ العربية على مذبح الشهوات التي كانت تضطرم في صدور المتغلبينَ منَ الديلم ومن إليهم من الأعاجم المتسلطين. نعم، عاش شاعرُنا في نهاية هذه الفترات والبلاد العربية تعصف بها الزعازع وتهزها الاعاصير. فكان الحكمُ في بغداد غيرَه في مصر، وفي بلاد الشام غيرَه في القطرين المتنابذين، وهو في أقصى المغرب، في الاندلس، وفي شمال افريقية غيرُه في الاقطار العربية الثلاثة — كل شيءٍ قد تعرّض للميوعة والتفكك، ففسدَت الحياةُ السياسية، وفسدت الحياة الاجتماعية حتى أصبحت الدنيا العربيةُ وكأنها على بركان.. دولٌ مختلفاتُ المنازعِ والاهداف قد انتثرت في الرُقعةِ الاسلامية الكبرى، نزعاتٌ فردية في إهاب من المطامع الصارخة تجيش في كل صدر، جمعياتٌ سرية تستهدف غايات مريبة، مذاهبُ جديدة هدّامة ترمي إلى نزعاتٍ سياسية خطيرة — كل شيءٍ قد فسد واضطرب، وأبو العلاء ينظر إلى هذه التيارات الجارفة نظرةَ الفيلسوف الانساني المتألم وقد أشفق — وهو الحكيم البعيد النظر — ان تنهار هذه الامبراطوريةُ الكبرى في الفترة التي وصلتْ فيها الحياةُ العقلية إلى الذُروة، وأن يكون لبيئته النصيبُ الأوفرُ من مأساة هذا الانهيار..

ولعلّ من أدق الأمور التي تستدعي انتباه الباحثين أن تجريَ احداث الحياة منذ فجر التاريخ الاسلامي في الاقطار العربية الثلاثة — مصر والشام والعراق — على غرار واحد من الانشاء أو التهديم، من النظام أو الفوضى فما يجري اليومَ مثلاً من تجاوبٍ بليغ للنهوض والتحرر والتطور والتماسك كان يجري بالامس، في تلك الفترة، وفي نفس هذه الاقطار بالضدّ،

رفع المسهم

من تنافس وتناحر وتنازع وتخاذل وثورات وفتن أدّت إلى انهيار سحيق ذاق العربُ مرارته طويلاً عبرَ القرون .

هذا التنازُع الذي كان طابع الحكومات الاسلامية في عصر أبي العلاء هو الذي قضى على ما كان للخلافة من السلطان السياسي — ذلك السلطان الذي تجاذبته مصر وبغداد مدةً غير قصيرة .

كانت بغداد خاضعةً للديلم أو للأسرة البويهية التي حكمت العراقَ وفارسَ حكماً اوتوقراطياً فيه هذا التكالبُ على السلطة والمال ، وهذا التزاحم على المجد والسلطان ، وهذا الصراعُ الدامي بين أبناء العمومة وحتى بين الأخ وأخيه . وإذ كان للخلافة هذا السلطان الداوي في الرقعة الاسلامية الكبرى ، وكانت النفوس تتطلع إلى بريق سلطانها كقوةٍ من القوى الروحية والزمنية معاً ، كان من البداهة بمكان ، وقد تقلص ظلها في بغداد ، أن يطمح إليها الفاطميونَ بعد أن ملكوا مصر .

وللفاطميين هذه الدعوى التي تربطهم بآل البيت . فقد ادّعوا هذه الوشائجَ القويةَ بين نسبهم ونسبِ فاطمةَ بنتِ الرسول ، ورغم ماقامت به بغدادُ من الاحتجاج الصارخ على هذه الدعوى الباطلة ، وما تبع ذلك من احتجاج بعض المنتسبينَ إلى آل البيت في القاهرة نفسها وطلبهم الحجة الساطعة على هذا البرهان فقد أثبتوا هذه الدعوى بقوةِ السيف وبريق الذهب ، وكلمة المعزّ لدين الله يذكرها كلُّ من قرأ تاريخ الفواطم : أتريدون البرهان على نسبي ؟ هاكم فاقرأوه :

سلّ نصفَ سيفه من غمده وقال لهم : هذا نسبي !

ونثر عليهم ذهباً كثيراً وقال : هذا حسبي ! . .

ماذا كان موقفُ المعارضين من هذين البرهانين القاطعين ؟

كان جواب الجميع : السمعَ والطاعة !

وانتهت ذيول هذه الحركة عند هذا الحد ، وأصبحت الخلافة في مصرَ أقوى منها في بغداد ، وأخذت الدعوة العباسية تنكمش في حدود ضيقةٍ بعد أن أصبح الخليفةُ الشرعي في بغداد ، العوبةً في أيدي الامراء البويهيين المتسلطين .

والشام — وأريد بيئة المعري — ماذا كان شأنها في جون هذه الاحداث ؟

رفع المسيهما

كانت مسرحاً لفتن وحروب متعاقبة لعلّ اقربها إلى عهده تلك الحروبُ والغزوات التي أثارها الامير سيفُ الدولة توطيداً لكيان العربي وصوناً لثغور الشام من الغزو البيزنطي . . وإذا كانت الايام لم تسعد المعري ان يرى المجد الشامخ الذي شادَه الاميرُ الحمداني في السياسة القوميّة والحياة العقلية ، فقد شاهد ، وهذا مازاد في محنته ، لوناً من ضعفِ السياسة وفساد الرأي في ابنه سعد الدولة ، وفي حفيده أبي الفضائل ، وإذا تركنا الكلام عن ابن سيف الدولة لأن ملكه لم يطل ولم تمتز بالاحداث الخطيرة فنرجو أن يطول حديثنا قليلاً عن حفيده أبي الفضائل ، فقد انتهى حكم الدولة الحمدانية والدنيا العربية على ماوصفنا ، ولم يكن أبو الفضائل كجدّه بل كانت مطامحه منحصرة بالملك دون أن يعطي للمملكة حقها من التضحية والبذل ، أي كان يريد أن يحتفظ بصولجان الملك رخيصاً ، وكانت أهدافه تختلف كل الاختلاف عن أهداف جدّه ، هذا يفكر بمجد امته وبلاده ، وذاك بمجده الشخصي ، والفرق جدٌّ بعيدٍ بين الاتجاهين . . وإذ كانت بلاد الشام تتمتع بالحكم الذاتي على أيدي امراء مختلفي المنازع والاهواء فقد فكر الفاطميون بضمها إلى مصرَ لاسيما بعد أن تضاءل سلطان بغداد الروحي كما تضاءل سلطانها السياسي . .

وقد عزّز هذه الفكرةَ الرغبات التي أثارها بعض زعماء حلب الناقمين على حكم أبي الفضائل من جهة واغراء الوزير المغربي للخليفة الفاطمي بوجوب الاستيلاء على حلب واطرافها من جهة اخرى ، ونزلت هذه الرغبات من نفس عزيز مصر منزلةً طيبة فجهز حملةً كبرى إلى بلاد الشام لضمها إلى المملكة الفاطمية . وناط أمرَ هذه الحملة باحد غلمانه الاتراك الذي استطاع أن يخضع البلادَ الشاميةَ كلها دون حلب التي امتنعتْ على مصر للخطة المزريةِ التي انتهجها أميرها . . ماذا ؟ استغاث أبو الفضائل بباسيل الثاني امبراطور الروم لمحاربة الفاطميين . . وبذلك فقد اقترف أكبر غلطةٍ سياسية بهذه الصلات التي خلقها مع أعداء البلاد الطبيعيين ، فهدم الحفيد بيديه الاثيمتين مابناه الجدُّ . أي هدم هذا ؟ لقد مدّ يدَه إلى الاجنبي — تحقيقاً للنزوات الشخصية الهائجة والانانية السوداء — وقال له :

رفع المسهم

إن البلاد مفتوحةُ الصدر لكم . فهيا ادخلوها مطمئنينَ قبل أن يزيلني ملك مصر الفاطمي عن عرش آبائي وأجدادي . .

وتتالت الاحداث والحروب مدة أربع سنوات كاملة بين البيزنطيين والفاطميين كتب فيها النصر للفاطميين أولاً ثم للبيزنطيين الذين بسطوا سلطانهم على بلاد الشام بفضل هذه المعاهدة أو بفضل هذا الخضوع المزري لاعداء الدين واللغة والعادات والوشائج والدم . ولم يقف الفاطميون موقف المتفرج من هذه الاحداث بعد أن مست سلطتهم بل جهزوا حملة ثانية لدفع البيزنطيين عن بلاد الشام فنجحوا وسقطت حلب في أيدي الفاطميين الذين قضوا على السياسة الخرقاء التي انتهجها أبو الفضائل الذي اعتمد ، مع وزيره لؤلؤ ، على الاجنبي في توسيع شقة الخلاف بين مصر والشام .

وهكذا ، فقد مثلت في تلك الفترة ، وفي بيئة المعري ، رواية من أفجع مآسي التاريخ ، هي نتيجة هذا الاضطراب السياسي الذي ساد البلاد العربية كلها . فقد كانت الاطماع تتهدد بلاد الشام من الشمال ومن الجنوب ، أما أطماع الجنوب ، فمهما قيل عنها ، فهي في اعتقادي ، هينة يسيرة ، هي اطماع الفاطميين الذين يحكمون مصر ، وهم يمتون إلى العروبة بنسب عريق . . أما اطماع الشمال فهي السيفُ يحزُّ العنق — اطماع الاعداء الطبيعيين لهذه الاوطان التي حماها سيفُ الدولة فترة غيرَ قليلةٍ من مطامعهم فجاء أبو الرذائل — أريدُ حفيده المسمى أبا الفضائل — يفتح صدره لهم ، ويمهد الاسباب لدخول أعظم ثغور المملكة الاسلامية .

وكتب التاريخ لتقصّ لنا هذه الفترات بما يدمي القلبَ ويدمع العين . وليس كالاديب رجل تعاف نفسه شروزَ السياسة وشرور الحروب والقتال . . وقد فكر في بقعةٍ تكون في معزلٍ عن هذه الشرور ، فرأى بغداد أهدأ حالاً من الشام ، وهي إلى هذا كعبةُ العلم والادب ، فشدّ إليها الرحال ، ومكث فيها سنةً وبعضَ سنة فما الذي أفادَه من هذه الرحلة التي تركت في نفسه أجمل الذكريات؟ لقد خرج بفكرة لاغموض فيها ، وهي ان الانسان بالرغم مما لقيه من كرم البغداديين وحسن وفادتهم — هو هو في جبلته وطبيعته

وان الحكام هم هم في كل مصرٍ ووطن . وانتهى إلى الرأي الذي يتلاقى وروح فلسفته الحزينة التي تقوم على الشك واليأس :

إن العراقَ وإن الشام مذ زمن صفران مابهما للملك سلطان
ساس الانام شياطين مسلطةٌ في كلّ مصر من الوالين شيطان

وعاد إلى وطنه ، وإذا التنافس على أشده ، وحلب تشهد من جديد هذا الصراع الدامي في أرضها ، وشهد ابو العلاء هذا الصراع بين احفاد الحمدانيين أو غلمانهم والمتغلبين من اعراب الشام وعلى رأسهم صالح بن مرداس ، ثم بين المرداسيين والفاطميين ، وأخيراً بين المرداسيين وغلمانهم الذين ثارت في نفوسهم شهوة الحكم أيضاً مما لايسمح المجال لان نقصّ تفاصيله باسهاب . . نعم ، شهد فيلسوفنا الحكيم هذا الصراعَ الدامي المتعاقب ، وبديهي ان تؤلمه هذه الاحداثُ وان يكون لعواملها الاثرُ الاكبرُ في فلسفته وأدبه .

فأبو العلاء أديب حساس ، وشاعر عميق التفكير ، وفيلسوف حر ذو نظرة نافذة ، رأى وطنه نهباً للاهواء والشهوات ، ورأى البلاد العربية وقد انتهتْ إلى ما انتهتْ إليه من الضعف والاضطراب والفوضى ، بديهي أن يؤثر ذلك في أدبه ، وأن تشيعَ روحُ السخرية في هذا الادب ، وان يقسوَ قسوةً مرة على من يظهرون بصورٍ من ملائكة الرحمن بينا هم ابالسة في إهاب انسان .

لقد آلمته هذه الاحداث العاتية التي هزّتِ البلادَ العربية من أقصاها إلى أقصاها . . ولعله فكر بالنزوح عن وطنه . . ولكن إلى أين والدنيا العربية في لهيبٍ محترق من الفوضى . لقد فكر بالهجرة إلى الحجاز . . ولكن :

أما الحجاز فما يرجى المقام به لانه بالحرار الخمس محتجز
والشامُ فيه وقود الحرب مشتعلٌ يشبه القوم شدّتْ منهم الحجز
وبالعراق وميضٌ يستهل دماً وراعد بلقاء الشرّ يرتجز

إلى أين يذهب ؟

كل البلاد ذميمٌ لامقام به وإن حللتَ ديار الويل والرهم
ان الحجاز عن الخيرات محتجز وما تهامةُ الا معدنُ التهم
والشام شؤم وليس اليمن في يمن ويترِبُ الآن تثريب على الفهم

كان يفكر فيلسوفنا بالهجرة الى اية بقعة عربية قد خلت من فساد عصره ومخازيه وقد ودّ اكثرَ من مرةٍ الخلاص من هذا المأزق .

كيف التخلص والبسيطة لجةٌ والجوّ غيمٌ بالنوائب يسجم
فسد الزمان فلا رشاد ناجم بين الانام ولا ضلال منجم

إلى أين يذهب وكل أرض قد ملئت بالمفاسد والشرور ؟ قبع في بيته ، في سجنه الضيق ، وأخذ يرسل صيحاته الصادقة في تصوير طباع البشر — طباع اولئك المسيطرين على دفة السياسة ، المتربعين على دست الحكم وقد نسوا أمنيات شعبهم ، ونسوا اولى واجباتهم كخدام للمصلحة العامة ، فكانوا مطية الاهواء ومطية الشهوات دون أن يفكروا بالمسئولية الكبرى الملقاةِ على عاتقهم وهي خدمة الشعب وانهم اجراؤه لا أسياده .

مُلّ المقام فكم أعاشر امة امرتْ بغير صلاحها امراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها وعدوا مصالحها وهم اجراؤها

وليس كالمعري أديب شاعر عرف سجايا النفس البشرية وطواياها فوصفها أبلغ وصف ، كما وصف هذه الشهوات التي كانت لاتعرف غير النهب والاستلاب فكان رغم عزلته ، ذا اتصال مباشر بهذه القضايا التي تشغل الشعب سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الخلقية .

في الواقع ، ان ابا العلاء قد اعتزل البشر ، ولكن هل كان هذا الشيخ الوقور الذي يعتبرُ حكيمَ العصر وفيلسوفه بحق ، بعيداً عما يمثل على مسرح البشرية ؟ . . أبداً . ان عزلته لم تحصنه عن شكاوى الافراد والجماعات ، وكانت شخصيته الفذّة تجتذب الناس على اختلاف طبقاتهم إلى سجنه المتواضع ، يحلّ قضاياهم ومعضلاتهم ، ويتوسط لدى أولي الأمر برفع ظلاماتهم ، وقصةُ عصيان أهالي المعرة على سياسة أمير حلب صالح بن مرداس ، والقائه القبض على سبعينَ شخصاً من زعمائها ، وتجهيز حملةٍ للقضاء على مثيري تلك الفتنة ، ولجوء كبار القوم الى أبي العلاء ليشفعَ لهم لدى صالح وقبول ابن مرداس شفاعته ان هذه القصة تدُلّ دلالة بالغة على انه كان على اتصال بما يجري على مسرح السياسة ، وان القوم لم يتركوه يتمتع بعزلته ، وهذا ما كان له اكبرُ الأثر

في ادبه ، ولو اعتزل البشر حقاً كالرهبان المتبتلين أو الصوفيين المتجردين لكان لون أدبه يختلف كل الاختلاف عن هذا اللون المغموس باعماق النفس البشرية .

وفي اللزوميات وفي رسائله نقرأ الكثير من هذه العزات التي تصف اضطراب السياسة ، وسوء الادارة ، وفسادَ الحكم .

فالسياسة التي تسير على الاهواء والنزوات ، ولا تستند على الفكر الرجيح المتزن ـ هي في نظره ـ سياسة خرقاء . .

واذا الرئاسةُ لم تعنْ بسياسة عقلية خطيءَ الصوابَ السائسُ

يسوسون الامورَ بغير عقلٍ فينفذُ امرهم ويقالُ ساسه

فأفّ من الحياة وافّ مني ومن زمنٍ رئاسته خساسه

هذه السياسةُ المضطربة التي غمرت بيئته وكلَ بُقعة من الأرض العربية هي التي كانت تستثيره ليصف هذه الاهواء الجامحة . كان يشير الى روح الطغيان في نفوس المتسلطين الذين يريدون ان تخضع الرعية لأهوائهم رغم مايقومون به من مظالم .

يسود الناسَ زيدٌ بعد عمرو كذاك تقلب الدولات دوله

ومن شر البرية ربُ ملك يريد رعية ان يسجدوا له

لقد تساءل اكثر من مرة كيف لايثور الشعب ضدّ تلك السياسه الغاشمة ؟ كيف يدفع الافرادُ الضرائب والمكوس وهم يشاهدون ملوكهم وقد أصبحوا عبيد الشهوات واللذاذات . .

وارى ملوكاً لاتحوط رعية فعلامَ تؤخذ جزية ومكوس ؟

وجدتُ الناس في هرجٍ ومرجٍ غواةً بين مُعتزل ومرجي

فشأن ملوكهم عزفٌ ونزفٌ واصحاب الامور جباةُ خرج

أتعجب من ملوك الأرض امسوا للذات النفوس عبيد قنّ

فيالذلك العصر الذي عاش في صميمه ، لاهمّ لملوكه وزعمائه الا لذاتهم واهواؤهم ، والاّ مصادرة اموال الناس وإشاعة الفوضى في البلاد ، والزيغ في قرارة النفوس ـ هذا العصر المضطرب الذي عاش في اعاصيره وأهوائه قد جعله ،

ونفسه اميل الى التشاؤم ، ان ينظر الى الدنيا هذه النظرة السوداء ، وان يراها على حقيقتها ، اي ان يرى شرورها أغلب . .

عرفتُ سجايا الدهرِ اما شروره فنقدٌ ، واما خيره فوعود
اذا كانت الدنيا ، كذاك خلقها ولو ان كل الطالمات سُعود
رقدنا ، ولم نملك رُقاداً عن الاذى وقامت بما خفنا ونحن قعود

قالوا فلان جيد لصديقه لايكذبوا . . مافي البرية جيد
فأميرهم نال الامارة بالخنى وتقيهم بصلاته متصيد

لقد سئمت نفسه هذه المخازي ـ هذا التنازع على إماراتٍ كاذبة ، هذه المذاهب الاجتماعية والسياسية التي شاعت في عصره والتي كانت في مظهرها ذات رواء جميل . . ولكن من هم رجالها ؟ ممن لاتطمئن اليهم النفوس . . من صميم الشعوبيين . . كان يرى في هذه المذاهب الشائعة التي سادت عصره وسيلةً للسيطرة والحكم . . فما كان اصحابها ليقصدوا المثل العليا في مذاهبهم التي ابتدعوها ودعوا اليها سواء منهم القرامطة او غيرهم .

انما هذه المذاهب اسبا بٌ لجذب الدنيا الى الرؤساء

اولئك الرؤساء الذين عرف خبيئة طواياهم فازدراهم شرّ ازدراء ـ هم الذين كانوا يثيرون الفتن والحروب في سبيل مطامعهم الدنية ومجادهم الكاذبة .

كانت هذه الفتن وما تجره وراءها من ارهاق تستثيره وتستفز ضميره . فما كان شعوره المرهف يتحمل اية مظلمة ، وهو الذي عاش في افق واسع من فرديته الحرة رغم سجونه الثلاثة ـ هذا الثائر الحر الذي انتصب يدافع عن كرامة العقل وعن حرية الفرد وحرية الجماعة قد اهاب بالانسان ان يثور على المظالم . وطلب الى المفكرين الذين يساهمون في سياسية الدولة ان يتحرروا هم ايضاً من الرياء الاجتماعي ، وان لايكونوا آلاتٍ مسخرة في ايدي العتاة ، يميلون مع الهوى دون أن يستجيبوا لنداء الضمير . لقد غمز الادباء والشعراء والخطباء ـ الخطباء الذين يصفون الامير بالتقوى ايام الجمع بينما هو آية في الهوى والضلال . .

ما أجهل الامم الذين عرفتهم ولعلَّ سالفهم أضلُّ واتبر
يدعون في جماعتهم بسفاهةٍ لأميرهم ، فيكاد يبكي المنبرُ

نعم ، يكاد يبكي المنبر من ضلالات ذلك الخطيب المرائي الذي يخدع الجماعات ويصور لها الحالة على غير حقيقتها لا في الشؤون السياسية بل في الشؤون الاجتماعية فيصفه بقوله :

طلب الخسائسَ وارتقى في منبر يصف الحساب لامة ليهولها
ويكون غير مصدقٍ بقيامةٍ أمسى يمثل في النفوس ذهولها

والادباء والشعراء . . هل يؤدون رسالتهم السامية في هذا المصطرع الصاخب كما يؤديها هو ؟ ان رسالة الادب رسالة مقدسة لايجوز التهاونُ بها . . وكما غمز الخطباء المشعوذين فقد غمز الشعراء المدّاحين الذين يتخذون الشعر آلة لتشويه الحقائق الساطعة .

بني الآداب غرتكم قديماً زخارفُ مثلُ زمزمة الذباب
وما شعراؤكم الا ذئاب تلصصُ في المدائح والسباب

لقد اضطرب كل شيءٍ في نظره — اضطربت مقاييس الحياة ، واختلَّ النظام ، ولم يعد ينظر إلى الحياة الا هذه النظرة السوداء البغيضة التي تنطوي فيها خيوطُ فلسفته التشاؤمية .

قد اختلَّ الانامُ بغير شكٍّ فجدوا في الزمان أو العبوه

نعم ، كل شيءٍ عنده يدعو إلى اليأس ، فالحياة رواية من الروايات الكاذبة ، والانسان يخادع أخاه الانسان ، اليومَ يرتفع به إلى السماء ، وغداً ، يشك بنزاهة قصده فيهبط به إلى مواطئ الاقدام .

وكم أدّى امانته إليها امينٌ خونته وسرقته
وقائم امةٍ زكته عصراً فلما أن تمكن فسقته

هذه هي أهواء الجماعات لاتكاد ترتفع بالرجل الذي احبته حتى تهبطَ به الأرض ، لاتكاد تؤلهه وتعتبره رمزاً للامانة حتى تتنكرَ له وتعتبره رمزاً للخيانة !

وبعد فقد كدنا ننتقل من تصوير عصره إلى آرائه في الحياة . .

ولكن هل هذه الآراء الا صورة ذلك العصر المليء بالمخازي والموبقات ، مخازي السياسة الرعناء التي كان لها أبلغُ أثر في انهيار الامة العربيه — ذلك الانهيار الذي ذاقت مرارته العصورَ الطوال . . نعم ، كدنا ننتقل من تصوير الاضطراب في عصره السياسي إلى آرائه في الحياة — تلك الحياة التي سئم أوضارها وأضاليلها فنظر إليها هذه النظرةَ الفلسفيةَ المتعالية . . كيف يحتمل هذه المخازي ؟ كيف يدفع هذا الطغيان ؟ لاحيلة له إلا الشعر — هذا الينبوع الثرّ الذي يبرد غليل الموتورين المتشائمين .

قد فاضت الدنيا بادناسها على برایاها واحناسها
والشر في العالم حتى التي مكسبها من فضل عرناسها
وكل حي فوقها ظالم وما بها أظلم من ناسها

وبعد فنتساءل : وقد عاش شاعرُنا الحكيم في سجوف هذا اليأس الحزين يهدِم وينقدُ ويهاجم هل كانت له رسالة في الحياة ؟ مالون هذه الرسالة ؟ كيف كان يريد أن يكون العالم ؟ لقد أراد له الخير المحض ، وأراد له العدالة الاجتماعية المطلقة ، وأراد الهناءة المثلى للبشرية فهل تحققت رسالته ؟ ابداً . . فقد اصطدمت هذه الميولُ الطيبة بغريزة الانسان ونزْعته الشريرة — فتراءت له الدنيا ، في مرآة تشاؤمه ، وعلى ضوء الاحداث التي واجهت عصرَه — صورةً من المآثم والشرور ، فيئس ، وجره هذا اليأس الحزين إلى العزلة — تلك العزلة التي انتجتْ للادب الحي ثروة خالدة ترمز إلى جبروت العقل العربي الذي لايقل في خياله وابداعه عن أسمى العقول التي عرفتها آداب البشرية .

فاذا أضفنا إلى عزلته هذه الحياة الجافة القاسية المملولة التي عاشها في سجنه الضيق خمسين عاماً ، بعيداً عن المباهج والاضواء واللذاذات ، والشرور التي أصابت عصرَه وما كان لها من أثرٍ سيء في بيئته ، ثم تلك المحنة التي بلي بها وهو في الرابعةِ من عمره ، ومزاجه السوداوي الكئيب ، وشكوكه الفلسفية القلقة — علمنا ما كان لهذه الحياة من أثر في أدبه — هذا الادب

العلائي الذي يعتبر نسيج وحده بين آداب الامم الحية ، والذي يرى فيه الباحثون الكثير من الآراء والفكرات والصور التي تتلاقى مع أصدق ما خلده أكابر أدباء العالم في مختلف العصور . نعم ، اننا نجد مثلاً في حدائق أبي العلاء العابسة الكئيبة تشاؤم شوبنهور وسخرية اناتول فرانس والكثيرَ من هذه المذاهب والفكرات الشائعة في عصرنا هذا ، ففلسفته لم تقف عند واحات الزُهد والعزلة بل تعدّتها إلى الاخلاق والسياسة والاجتماع والدين والانسان والخالق فأبدى رأيه صريحاً في جميع ظواهر الحياة ، ماظهر منها وما استتر ، حتى الاشتراكية التي عرفتها مذاهب القرن العشرين — فكان شاعراً فيلسوفاً يعكس في شعره كلَّ النزعات التي يحسها المفكر الحر الذي سما بنزعاته فوق كل القيود التي فرضتها عليه مواضعاتُ عصره ، وهكذا ، فقد كان لنا من لزومياته ، والعوبته ، وفصوله وغاياته والكثير من رسائله هذه الثروةُ الضخمةُ التي تشغل في رحاب الفكر الانساني مكاناً رفيعاً .

* * *

أيها السادة

ان مجد الامم يقوم على مايتركه ادباؤها ومفكروها من تراث ثمين ، وقد ترك المعري لامته أضخم تراث أدبي ، فاذا احتفت الدنيا العربية بذكرى مولده الالفي فانها تحتفي بتراثها الذي خلد على الاجيال — بذكرى رجل اقتعد مكانته السامقة إلى جانب عباقرة الادباء العالميين الذين قام مجدهم على الصدق لا على الشعوذة ، وعلى جمال الفكرة ونبل الشعور ، أحسّ فتألم فأملى ، حتى هذه الأبياتُ المتفرقةُ التي وصف بها لوثات عصره — كافية الدلالة على ما كان يجيش به صدرُه من ميولٍ صادقةٍ ونزعات سامية في سبيل الخير والحق والجمال — الخير الذي كان يصدُمه الشر ، والحق الذي كان يغلبه الباطل ، والجمال الذي كانت تلطخه البشاعة — بشاعة الغرائز الدنية التي تدفع الانسان إلى تشويه الحقائق في سبيل الانانية الحمقاء — تلك الانانية التي كانت من أقوى العوامل في انهيار السلطان العربي الذي واجهه عصر أبي العلاء .

سامي الكيالي

الحفلة الخامسة

في اللاذقية

في الساعة التاسعة من يوم الجمعة التاسع والعشرين من شهر ايلول ١٩٤٤ غادر أعضاء المهرجان مدينة حلب متوجهين الى اللاذقية ، فمضت سياراتهم صوب الغرب تقطع سهول حلب الخصبة ومسافاتها ، حتى بلغت بلدة (ادلب) ، فوقفوا عند مدخل البلدة ، حيث احتشد أعيان المدينة ، وموظفو الحكومة ، وطلاب المدارس وطالباتها لاستقبالهم . فدوت الانغام الموسيقية ، وأنشد الطلاب بعض الأناشيد الوطنية ، وقدم الطالبات طاقات الزهر الى ضيوفهن . ثم اجتاز الركب صفوف المستقبلين بين الهتاف والحماسة والعطف ، وانحدرت السيارات الى وادي العاصي حتى بلغت بلدة (جسر الشغور) . ثم تسنمت جبالاً عالية مخضرة ، وما زالت في صعود وهبوط حتى وقفت عند (قسطل العجوز) . وعدلت بعد ذلك عن الطريق العام قاصدة أحراج الباير حيث أعدت بلدية اللاذقية لاعضاء المهرجان مأدبة غداء . فصعدت في جبال صعبة المرتقى فيها من المضايق والتلال والمعاطف والأحراج الكثيفة مايبعث في قلب المسافر شعوراً عميقاً بالخشية والجلال (١) . فكان الركب لايبلغ قمة جبل حتى ينحدر الى فجاجه وبطون أوديته . وكلما سعد في جبل ظن أنه سيطل منه على البحر . وما زالت الجبال تتلو الجبال ، حتى صعد الركب في سفح جبل شاهق مطل على واد عميق . فلما شارفت السيارات قمة الجبل ، احترقت احداها ، وهي سيارة أرسلها محافظ اللاذقية لارشاد الركب الى مكان المأدبة . فأوعث الاعضاء ، وأوجسوا خيفة من الطريق ، حتى ظنوا أنهم سيضيعون في

---

(١) تبلغ مساحة الاحراج في سورية ٥٠٠٠٠ هكتار ، ومساحة أحراج الباير والبسيط نحو ٢٠٠٠٠ هكتار ، معظم اشجارها من الصنوبر وانواع البلوط كالسنديان والملول . وفيها حرجات كثيرة من الارز والدنوب والزيتون البري والبطم واشجار متفرقة من الآس والدردار والغار والعبهر وغيرها . وحراج الباير والبسيط تشبه حراج اوربة الغبياء .

رفع المسهم

مضايق الجبال بين اشجار الصنوبر. وبينما في هذه الحالةاذ وقفتالسيارات في واد يقالله فرواشق على حدود لواء الاسكندرونةفيه عين ماء وأشجار عالية باسقة تحيط بساحة مستوية علىشكل دائرةأعدت فيها موائدالطعام على هيئة بديعة من الترتيب . فلما دنوا منها رأوا محافظ اللاذقية الأمير مصطفى الشهابي ، ورئيس بلديتهـا السيد عدنان الأزهري،علىرأس وفد كبيرمن أعيان االلاذقية ، خرجوا لاستقبالهم. فنزلوا من السيارات ، وسرى عنهم ما كان اصابهم من التعب ، وسروا بما رأوا من سحر الطبيعة وجمالها . ثم أنهم جلسوا الى مائدة جمعت حسن الحضارة الى جمال الطبيعة ، فتناولوا الطعام على الانغام الموسيقية التي غناها بعض القرويين من رجال التركمان بزاميرهم وطبولهم. وسمعوا كلمة الترحيب التي القاها السيد عدنان الازهري باسم مدينة اللاذقية ، فأنسوا بما سمعوا ونسوا وعورة الطريق ووعثاء السفر .

ولما انتهت مأدبة الغداء سار الركب الى مدينة اللاذقية على طريق انطاكية فهبط في سفوح الجبال المطلة على البحر ، حتى انتهى الى سهول اللاذقية الخصبة ، وبلغ المدينة قبيل غروب الشمس .

وكانت مدينة اللاذقية قد اعدت العدة لاقامة الحفلة الخطابية في فندق السياحة والاصطياف المشرف على البحر.فلما استراح الاعضاء قليلاً في الفندق ، نزلوا الى مكان الحفلة ، وهو في الناحية الجنوبية من الفندق متصل بأمواج البحر . وغصّ فناء الفندق بالمدعوين وامتلأت شرفاته بالمدعوات ، وأحاطت الجماهير به من جهاته الثلاث ، بعضهم في الطرق المؤدية الى الفندق ، وبعضهم الآخر في الحديقة العامة المتصلة بساحل البحر .

وكانت الحفلة الخطابية من أروع الحفلات التي ائتلفت فيهاانغام الموسيقي وأمواج البحر، وانسجم هتاف الجماهير مع كلام الخطباء ، حتى خيل الى السامعين انهم في أرض يفيض منها السحر والايمان والروعة والشعر .

وألقى الامير مصطفى الشهـابي في أول الحفلة كلمـــة ترحيب عرف فيها الضيوف بمحافظة اللاذقية ، قال ان سكانها قرابة نصف مليون نسمة منهم ٦٢٪ علويون و٢٠٪ سنيون و ١٨٪ مسيحيون معظمهم من الروم الارثوذكس. وقال ان أهم غلاتها التبغ والزيتون والقطن . وفيها معدن من القار (الاسفلت) .

و ٨٠ ٪ من التبغ الذي يدخن في سورية ولبنان يزرع فيهذه المحافظة، ويشحن قسم كبير منه الى امريكا . ثم ذكر نبذة عن مدارس المحافظة ، وطرقها ، وبلدانها، ومصايفها، وحراجها، وآثارها الرومانية والعربيةوالصليبية كقلعة صهيون والمرقب والحصن ، وشيئاً عن عادات السكان ودلّل على أن معظمهم عرب أقحاح ولا سيما العلويين والنصارى .

ثم تتابع الخطباء بعده على المنبر على الوجه الآتي :

١ — الاستاذ عبد الحميد العبادي الناحية التاريخية في أدب المعري
عميد كلية الآداب بجامعة فاروق الاول

٢ — الدكتور جميل صليبا فكرة الخير في فلسفة أبي العلاء
عضو المجمع العلمي العربي

٣ — الاستاذ بدوي الجبل الدهر ملك العبقرية (قصيدة)

٤ — الاستاذ محمد الشريقي أسلوب المعري

٥ — الاستاذ أنيس المقدسي الروح العلائية في أدبنا الحديث
ممثل الجامعة الاميركية في بيروت

ثم كانت مأدبة العشاء بعد ذلك في دار الامير مصطفى الشهابي ، دعى إليها وجهاء المدينة ، وموظفوها ، وأساتذتها ، وتخللها حفلة سمر ألقى فيها بعض المغنين قطعاً من الزجل الشعبي ، وأوى الاعضاء بعد ذلك إلى فندق السياحة والاصطياف فنعموا بالراحة بعد التعب ، وناموا على أصوات الامواج الرتيبة . وفيما يلي نص الخطب التي القيت في هذه الحفلة :

جميل صليبا

ناحية التاريخ

من ادب أبي العلاء المعري

سيدي الرئيس ، سيداتي ، سادتي .

يقول أبو العلاء في بعض لزوميانه :

ما كان في هذه الدنيا بنو زمن الا وعندي من اخبارهم طرف

فهو يدعي أنه ما من امة وجدت فيهذه الدنيا الا وقد ألم بطرف من أخبارها وعرف شيئاً من تصاريف احوالهـا . والحق ان أبا العلاء لم يصطنع المبالغة . ولم يركب متن الشطط عند ما ادعى هذه الدعوى . فقد أدرك من اول أمره أن العاهة الجثمانية التي لحقته منذ طفولته لاشك مانعته من معرفة الطبيعة الانسانية من طريق البيان والمشاهدة غير أنه فطن الى أن في وسعه أن يتدارك ماتفوته عليه هذه الآفة المحتومة من طريق الاطلاع على ماضي الانسانية المسطور في تاريخهـا . فالطبيعة الانسانية واحدة لاتختلف ، والنـاس هم الناس بعد العهد بهم ام قرب . ذلك اصل ولع أبي العلاء بالتاريخ . ثم نجده يزداد به ولعاً عند رجوعه من بغداد الى بلده ، واعتزامه لزوم ثاني محبسيه. فان أبا العلاء لم يرد باعتزاله الناس أن يضرب بينه وبينهم حجاباً كثيفاً لايراهم من دونه ولا يرونه ، وانما اراد بالعزلة أن يكون بنجوة من مخالطتهم وملابستهم وأن تتاح له حرية درس احوالهم ونظمهم ومصاير امورهم دون أن تمتد اليه ايديهم ، ودون أن يعرضوا له بما يوجب له شغل الخاطر وهم القلب وفتنة النفس فكأنه اراد أن يقطع صلته بالناس من ناحية ليصلها بهم من ناحية أخرى هي ناحية الاطلاع على أخبار الماضين منهم والغابرين أي من ناحية الاطلاع على التاريخ . على أنه اذا كانت الضرورة هي التي قضت على أبي العلاء بالاطلاع على التاريخ فهناك سبب آخر حبب هذا العلم الى عقل شاعرنا

رفع المسهم

الفيلسوف وقلبه . ذلك أن التاريخ قد يكون الذ العلوم واشدها امتاعاً متى ورد الانسان ساحته وقلب صحائفه بفهم ذكي وقلب سليم . هو موكب الامم ومعرض الحياة الانسانية ، فيه تبين مواطن الضعف والقوة من تلك الحياة وفيه تظهر اسباب عظمة الشعوب واسرار اضمحلالها . فيه حكمة الحياة واضحة لالبس فيها ولا ابهام . فاذا كان أبو العلاء قد اقبل على التاريخ يتلو صحائفه ويستخرج عبره فان ذلك انما كان عن ضرورة اول الامر ثم عن حب له وشغف به اخيراً .

على أن اطلاع أبي العلاء على التاريخ كان بطبيعة الحال محدوداً بحدود الرواية التاريخية العربية على نحو ماوصلت اليه في ايامه أي في النصف الثاني من القرن الرابع والنصف الاول من القرن الخامس الهجري . فماذا كانت حدود هذه الرواية ؟

لقد ابتدأت الرواية التاريخية العربية في القرن الاول الهجري ثم نمت نمواً مطرداً وتنوعت تنوعاً بيناً في القرون الثلاثة التالية . فدونت اخبار العرب قبل الاسلام واخبار الامم التي كان للعرب اتصال بها كالفرس والروم والهنود والمصريين والاحباش وكل ذلك كالمدخل الى التاريخ الاسلامي ثم دونت سيرة الرسول عليه السلام واخبار المغازي والفتوح واخبار الدولتين الاموية والعباسية، وما تفرع عن الاخيرة من دويلات عدة بعضها في الشرق كالطاهرية والسامانية والغزنوية والبويهية والحمدانية وبعضها في الغرب كالطولونية والاخشيدية والادريسية والفاطمية وقد وضعت في كل ذلك كتب كثيرة ذكر اكثرها ابن النديم في الفهرست في الفصل الذي عقده للاخباريين خاصة . وقد سلم لنا من هذه التآليف شيء غير قليل نذكر منه كتاب السيرة لابن اسحق بتلخيص ابن هشام ومغازي الواقدي وطبقات ابن سعد وكتب ابن قتيبة والدينوري والبلاذري واليعقوبي وتواريخ الطبري والصولي والمسعودي وأبي الفرج الاصفهاني ومسكويه . لاشك أن أبا العلاء اطلع على جل هذه الكتب ان لم يكن اطلع عليها كلها ، فقد كانت في متناول يده في مكاتب المعرة واللاذقية وحلب ودار العلم ببغداد ولا ادل على سعة علمه بالتاريخ العام واخبار العرب قبل الاسلام والتاريخ الاسلامي من كثرة استشهاده بالحوادث التاريخية كثرة رائعة في نثره وشعره . ففي الرسالة التي يعزي

فيها خاله أبا القاسم بن سبيكة باخيه نجده يسرد اسماء الانبياء من لدن آدم الى محمد (ص) ثم يتبع ذلك بسرد اسماء ملوك اليمن فملوك الحيرة وغسان والفرس وسادات العرب في الجاهلية وكل ذلك على سبيل العبرة والموعظة وبيان أن كلا منهم قد صار بعد العز وعلو الشأن الى الموت والفناء ونجده في « رسالة الغفران » يخبر في القصيدة السينية التي قالها على لسان الجني « أبي هدرش » كيف استغوى هذا الجني في جاهليته كثيراً من خلق الله ملائكة وغير ملائكة الى أن بعث الله نبيه محمداً (ص) فآمن به وصدقه واشترك معه هو وقبيله من الجن في غزوات بدر واحد والخندق كما اشترك بعد في وقائع اليرموك والجمل وصفين والنهروان . وكثيراً مايورد أبو العلاء في «رسالة الغفران» تلميحات وأشارات الى الفرق والنحل الاسلامية من سنة وشيعة ومعتزلة ومرجئه كما ذكر الزنج والقرامطة والمختار بن أبي عبيد والمنصور اليمني والحلاج . ومن الطريف انه ساق في آخر رسالة الغفران كلاماً على الدنانير والعملة الاسلامية فيه تفصيلات لانجدها في كتب التاريخ التي بايدينا . وتفيض « اللزوميات » بذكر كثير من ملوك الفرس والروم والهند واليمن وحوادث الدولة الاسلامية وملوكها من نحو محمود ومسعود الغزنويين والاخشيد وابيه طغج وجده جف كما تذكر خاقان وخان وآلك (= أيلك)

وكما وجد أبو العلاء في التاريخ العام الاسلامي وغير الاسلامي مادة انتفع بها الى ابعد مدى في تأييد آرائه وتقوية حججه وتجميل فنه المنثور والمنظوم فقدوجد في حوادث عصره أو في التاريخ المعاصر له مادة غزيرة اكسبت شعره ونثره حيوية عجيبة وأمدته بما أعانه على تكوين رأيه في السياسة ونظم الحكم والاجتماع بوجه عام . ونستطيع ان نقول ان شعر صباه وصدر كهولته الوارد في ديوانه « سقط الزند » يتصل اتصالاً وثيقاً بحوادث عصره بل هو صدى لحوادث ذلك العصر . وفي وسع من يقرأ « سقط الزند » « واللزوميات » ان يتبين صورة لابأس بها لحوادث الشام خاصة في زمن أبي العلاء .

كانت معرة النعمان معدودة من الاقليم المعروف « بالعواصم » والواقع على تخوم الدولة الاسلامية مما يلي مملكة الروم وقد أصبحت حلب اذ ذاك قاعدة ذلك

الأقليم ، وكانت متنازعة بين متأخري امراء الدولة الحمدانية وبين الدولة الفاطمية المصرية فيغلب بنو حمدان على أمرهم ويستولي الفاطميون على حلب ولكن سرعان ماانبرت للفاطميين اسرة عربية بدوية هي الاسرة المرداسية فتستولي على حلب سنة ٤١٤ على يد أسد الدولة صالح بن مرداس الكلابي . وقد تبعت المعرة حلب فيما اختلف عليها من الاحوال لذلك نجد أبا العلاء يمدح امراء حلب على اختلافهم من حمدانية وفاطمية . فيمدح الامير سعيد الدولة الحمداني بالقصائد الاولى من « سقط الزند » كالقصيدة اللامية الأولى ومطلعها :

اعن وخد القلاص كشفت حالا ومن عنـد الظلام طلبت مالا

كما يمدح ولاة الفاطميين على حلب في قصائد أخرى منها السينية التي مطلعها :

لولا تحية بعض الأربع الدرس ما هاب حد لساني حادث الحبس

ثم ان أهل المعرة ثاروا على صالح بن مرداس بسبب المرأة التي أهانها خمار نصراني فذهبت الى المسجد يوم الجمعة وقصت على الناس ما نالها فثاروا بالخمار وانتهبوا حانوته وهدموها والى هذا الحادث يشير ابو العلاء بقوله في اللزوميات :

اتت جامع يوم العروبة جامعا تقص على الشهاد بالمصر امرها
فلو لم يقوموا ناصرين لصوتها لحلت سماء الله تمطر جمرهـا
فهدوا بنـاء كان يأوي فناءه فواجر القت للفواحش خمرها

واستفحل الخطب عندما أشار على صـالح وزيره النصراني « تادرس » (وكان حنقاً على أهل المعرة) بقبض سبعين رجلاً منهم وسار صالح الى المعرة فأخرج اليه اهل المعرة ابا العـلاء شفيعاً فشفعه صالح واطلق له الاسارى السبعين سنة ٤١٨ والى ذلك يشير ابو العلاء بقوله في اللزوميات : .

تغيبت في منزلي برهـة ستير العيوب فقيد الحسد
فلما مضى العمر الا الأقل وحم لروحي فراق الجسد
بعثت شفيعاً الى صالح وذاك من القوم رأي فسد
فيسمع مني سجع الحمـام واسمع منه زئير الأسد
فلا يعجبني هذا النفـاق فكم نفقت محنة ما كسد

وباضمحلال نفوذ الفواطم في الشام اصبحت الشام نهباً لقبـائل العرب

المتبدية من لدن الجزيرة الى حدود مصر وخاصة قبائل كلاب وطيء وعامر والى ذلك يشير ابو العلاء بقوله :

أرى حلبـا حازها صالح وجال سنان على جلقـا
وحسان في سلفي طيء يصرف من عزه أبلقـا
فلما رأت خيلهم بالغبـار قتاما على جيشهم علقـا
رمت جامع الرملة المستضام فأصبح بالدم قـد خلقا
وما ينفع الكاعب المستبا ة هام على عضب فلقـا
وطل قتيـل فلم يدكر وغل أسير فما أطلقـا
وكم تركت آهلاً وحده وكم غادرت مثرياً مملقـا
يسائل في الحي عن ماله وما القول في طائر حلقا

واذا كانت هذه الأشعار تصور لنا الحوادث البارزة بالشام في أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس فانها تصور لنا ناحية من نواحي شخصيـة ابي العلاء ، ناحية وطنية وحبه لبلده ومعشره وحزنه لما يصيبه واستعداده لأن يخدمه بنفوذه الأدبي عند الاقتضاء ، وهي أشعار تأتلف وشعره الذي قاله وهو في بغداد يتشوق بلده المعرة .

على أن لوطنية أبي العلاء مظهراً آخر . لقد كان للشام في زمنه عدو اجنبي يرقب الفرص للانقضاض عليه . ذلك العدو هو الروم وكان الروم بعد زمان سيف الدولة والتياث الأمر بالشام قـد استولوا على انطـاكية سنة ٣٥٨ واستولوا بعد على اللاذقية وذلك في أيام امبراطورهم نقفور قوقاس . ثم أخذوا يمدون أعينهم الى حلب . وكان سعيد الدولة الحمداني وولاة الفاطميين يدافعونهم جهدهم . وهنا تجد ابا العلاء يسخر فنه لا لخدمة وطنه فحسب ولكن لخدمة العالم الاسلامي كله ، فهو في مدائحه لعمال حلب يشيد دائماً بمقاومتهم الروم ، فيخاطب الأمير سعيد الدولة الحمداني (٣٨١ — ٣٩٢ هـ) بقوله :

حفظت المسلمين وقد توالت سحائب تحمل النوب الثقالا
وقيت عيالهم اذ كل عين تعد سواد ناظرهـا عيـالا
بوقت لايطيق الليث فيـه مساورة ولا السيد احتتـالا

ويقول :

الى حارم قاد العتاق سواهماً لها من نشاط بالكماة زمال
بني الغدر هل الفيتم الحرب مرة وهل كف طعن عنكم ونضال
وهل اظلمت سحم الليالي عليكم وما حان من شمس النهار زوال
وهل طلعت شعث النواصي عواليا رعال ترامى خلفهن رعال
فان تسلموا من سورة الحرب مرة وتعصمكم شم الانوف طوال
ففي كل يوم غارة مشمعلة وفي كل عام غزوة ونزال

الى أن يقول في الخيل :

يردن دماء الروم وهي غريضة ويتركن ورد الماء وهو زلال
وقد علم الرومي انك حتفه على أن بعض الموقنين يخال

وكان الشيخ ابو الحسين بن سنان احد رؤساء حلب قد عزم على الحج فكتب اليه أبو العلاء ينهاه عن الحج في عامه ويريه ان الروم لحلب بالمرصاد فمن ذلك قوله: « وسفر مولاي الى الحج في هذا العام حرام بسل كما حرم صوم عيد الفطر وحظر على المحرم تضمخ بعطر . . . . . وهو ادام الله تمكينه . . . . . امين من امناء المسلمين يرهف الشوكة ويستجيد الاُمة ويحصن ماوهى من سور أوشرفات . . . . . ومن لحياطة الرعية بمداميك المدر . . . . . واجراء السعد لحفظها والقدر ، وحلب حرسها الله قد صار فيها رباط يغتنم ، وجهاز يرغب فيه ويتنافس ولا يلبث ان يزول بانعقاد الهدنة ، وعودة الجامع كلمة الروم الى كرسيه من بزنطيه »

فقصائد أبي العلاء الواردة في « سقط الزند » والمتصلة بمدح امراء حلب المناضلين للروم تجري مجرى قصائد المتنبي المعروفة بالسيفيات والقصائد الروميات لأبي فراس الحمداني وهي حلقة من حلقات ملحمة الحروب العربية الرومية . على ان أبا العلاء كما يخيل الينا كان يلحظ فيما بينه وبين نفسه ان روح الجهاد قد فتر عند المسلمين وعند قومه خاصة وانهم امام استعلاء الروم وكلبهم عليهم قد التزموا خطة الدفاع دون الهجوم . وقد احب ان يعبر عن هذا الاعتقاد الذي استقر في نفسه من طريق الكناية والرمز ، فنظم تلك المجموعة الغريبة من القصائد المعروفة

« بالدرعيات » والوارد في آخر « سقط الزند » فالدرع اداة وقاية لاسلاح هجوم كالسيف والرمح والقوس . هذا ظننا في تعليل إنشائه هذه القصائد فان يكن ظننا صادقاً فقد أبدع أبو العلاء الرمز واجاد الكناية .

ويستعرض أبو العلاء جملة احوال العالم الاسلامي لعهده فيرى حالا لاتسره من ظلم واضطراب وفقر وطغيان ويجتهد في أن يطب لتلك الحال فيذهب الى أن الملوك والمتغلبين لم يدركوا انهم في حقيقة الامر خدام رعاياهم واجراؤها وأن الشعوب مستقر السلطان ومستمده :

مل المقام فكم اعاشر أمة ... امرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها ... وعدوا مصالحها وهم اجراؤها

ويرى في علاج الفقر أن يؤخذ الناس باداء الزكاة المفروضة عليهم شرعاً :

واحسب الناس لو اعطوا زكاتهم ... لما رأيت بني الاعدام شاكينا
ياقوت ماانت ياقوت ولا ذهب ... فكيف تعجز اقواما مساكينا

ويرى ان الارض لله لايصح تملكها :

الارض لله ماستحيا الحلول بها ... أن يدعوها وهم في الدار اضياف
تنازعوا في عواري فبينهم ... نبل حطام وارماح واسياف

ويرى ان في امكان الناس ان يصلوا الى « المدينة الفاضلة » أو « اليوتوبيا » أو الجماعة السياسية المثالية اذا سلكوا طريق القصد وجادة الاعتدال :

ان اكلتم فضلاً وأنفقتمُ فضـ ... ـلاً فلا يدخلن وال عليكم
لا تولوا أموركم ايدي النا ... س اذا ردت الأمور اليكم

وكما وجد أبو العلاء في التاريخ قديمه والمعاصر له مادة غذت فنه الأدبي وأعانته على صوغ آرائه في الاصلاح السياسي والاجتماعي فقد وجد فيه كذلك مادة لآرائه الفلسفية الخاصة به . لقد عرض تواريخ الأفراد والملوك والأسر والأمم وما يختلف على الناس من احوال فوجد كل ذلك لا محالة منتهياً الى العدم والفناء ، رأى الحياة كلها أشبه شيء بعملية حسابية مركبة نتيجتها الصفر . ومن ثم ساء ظنه بالحياة ولم ير في سعي الناس سوى جهود عقيمة :

حوادث الدهر ما تنفك غادية على الأنام بإبلاس وتلبيس
الوت بكسرى ولم تترك مرازبه وبالمناذر أودت والقوابيس
زارت حسيناً وحست بالردى حسناً وواجهت آل عباس بتعبيس

والليل والنهار عنده شفا مقراض ياتيان على كل شيء :

الصبح أصْبَحُ والظلا م كما تراه احم حالك
يتباريان ويسلكا ن الى الورى ضيق المسالك
أسدان يفترسان من مرا به فأبه لذلك
حملا الممالك عن ردى قاض الى خان وآلك

والشر ، لا الخير هو الغالب على الناس :

والارض موطن شرة وضغائن ما أسمحت بسرور يوم فارد

هذه فلسفة التاريخ عند أبي العلاء وتفسيره إياه . هو تفسير رجل متشائم لا يرى في العالم ولا في الحياة شيئاً يسر . وهو من أجل ذلك يستعجل الفناء والعدم ويمتنع من الزواج الذي هو وسيلة النسل وبقاء النوع :

تواصل حبل النسل مابين آدم وبيني ولم يوصل بلامي باء

وهو سيء الظن بالناس زاهد فيهم .

وزهدني في الناس معرفتي بهم وعلمي بأن العالمين هباء

نهيتك عن خلاط الناس فاحذر أقاربك الادانى واحذرني
وان انا قلت لاتحمل جرازا فهز أخا السقاسق واضربني

الى أي شيء يرجع هذا التشاؤم ؟

قد يقول قائل ان مزاج أبي العلاء المتأثر بحياته التي اخذ نفسه بها بعد عودته من بغداد هو علة هذا التشاؤم . ولكن مزاج شاعرنا الفيلسوف نتيجة لاعلة لتلك الحال . فهو انما اخذ نفسه بحياة الزهد والتقشف البالغ بعد أن بلغ الاربعين وبعد أن استكمل خبرته بالناس والاشياء اذاً خبرته بالناس والاشياء في القديم وفي زمنه هي علة تشاؤمه . هي علمه بالتاريخ كما وصل اليه وكما عرفه .

لقد كان علم قدماء المؤرخين من الاغريق والرومان بالانسان وحياته قاصرا قصورا بينا . لقد بنوا الرواية التاريخية على حياة الفرد أو الاسرة أو القبيلة أو

المدينة أو طبقة بعينها ، ومن شأن التاريخ اذا بني على هذا الاساس ان يكون قاتم اللون مليئاً باخبار الفتن والثورات وظلم الانسان للانسان واستعباد الطبقات بعضها لبعض فلما اطلع فلاسفة الاغريق والرومان على هذا التاريخ تأثروا به في صوغ نظرياتهم عن الحياة جملة فجاءت نظريات ملؤها التشاؤم سواء في ذلك نظريات افلاطون والرواقيين والابيقوريين وصنيق ومارك اوريل . فمنهم من رأى ان العالم ينتقل في دورات زمنية تفتتح كل منها بعصر ذهبي مجيد ثم لايزال يتدلى ويضعف حتى تختتم الدورة بحال فوضى واضمحلال ثم تفتتح دورة أخرى وهلم جرا . ومنهم من رأى الانسان محدود القدرة مضروباً بينه وبين قوى لا حد لقدرتها هي الآلهة بنطاق لاسلطان له عليه فنغمة فلاسفة الاغريق والرومان نغمة حزن ويأس وحسرة على الناس والحياة بوجه عام . ثم جاءت العصور الوسطى الاوربية وساد سلطان النصرانية فأصبح الناس يرون ان هذه الدنيا دار بلاغ وان الآخرة هي دار القرار وان السعادة في هذه الدنيا ليست محققة وان الحياة الآخرة هي التي ترجى فيها السعادة والخلود . فازداد الناس ضيقا بالحياة واصبح شعارهم الزهد فيها وتمني الخلاص منها . والرواية التاريخية الشرقية لاتختلف في خصائصها العامة عن الرواية الغربية والمجتمع الشرقي القديم لم يكن يختلف اختلافا جوهريا عن المجتمع الاغريقي الروماني القديم ومن ثم كانت نظرة حكائهم الى الحياة هي نفس نظرة حكماء الغرب نظرة يأس وحزن وتشاؤم . وفكرة الادوار التي تحدثنا عنها عند مفكري الاغريق والروم تقابل فكرة « الفترات الزمنية » التي تفتتح بمجيء نبي أو رسول وتنتهي بقيام آخر والايمان بحياة مستقبلة ينعم فيها المؤمن ويخلد هي خير مايتعزى به المؤمن عما يصيبه من البلاء في هذه الدنيا

لم يلحظ القدماء على العموم ان الانسان ابتدأ ضعيفاً ثم صار بعقله واجتهاده وقوة ارادته يرقى شيئاً فشيئاً ولكنهم خصوا بعنايتهم ضعفه امام عوامل لاسلطان له عليها مثل القضاء والقدر والحياة الأخرى وعلاقته بخالقه سبحانه وتعالى .

وبعد فابو العلاء قد نهج في فلسفة التاريخ منهج المفكرين القدماء من المشارقة والمغاربة على السواء لأن العلة واحدة في الحالين . على أن تشاؤمه ويأسه ينطوي على حب حقيقي للانسان والانسانية واذا كان أبو العلاء شديد الرفق بالحيوان فلا شك في انه كان في اعماق نفسه اشد رفقاً بالانسان .

عبد الحميد الشاري

فكرة الخير في فلسفة أبي العلاء

ليس غرضي في الكلام عن فكرة الخير في فلسفة أبي العلاء ان أحيط بفلسفته الخلقية كلها ، فان أمراً كهذا يحتاج الى وقت واسع وبحث طويل . وانما أريد أن أبين ما هو المثل الأعلى للخير في نظر أبي العلاء ، وما هي القواعد الخلقية اللازمة عنه .

والبحث في فكرة الخير هام جداً ، لأن أبا العلاء لم يكن فيلسوفاً مدرسياً ، ولا صاحب مذهب منظم كأرسطو وابن سينا . وإنما كان فيلسوفاً خلقياً قبل كل شيء . ومن البحث في فكرة الخير يستطيع الناظر أن يطل على الفلسفة الخلقية كلها .

لم يكن أبو العلاء حسن الرأي في الدنيا والناس . ومن الاطالة أن نستدل على ذلك الآن بشعره ونثره . فقد ذم الدنيا كما ذمها ابو العتاهية ، واتهم الانسان بالظلم كما اتهمه به المتنبي ، ونفض يده من اصلاح الانسان فلم يرج له شفاء من أدوائه ، ولا نجاة من أوصابه وآلامه ، بل زعم أن جبلته فاسدة وان الشر في طبعه وانه غادر يميل الى الظلم .

وجبلة الناس الفساد فضل من يسمو بحكمته الى تهذيبها

من وسخ صاغ الفتى ربه فلا يقولن توسخت

وأكثر الذين بحثوا في فلسفة ابي العلاء الخلقية لم يدرسوا إلا هذه الناحية السوداء من مبادئه . فأشاروا الى تشاؤمه ، وريبه ، وسخريته ، ونقده للحياة الاجتماعية والدينية ، وشكه في إصلاح الانسان ، وأهملوا ايمانه بالخير ، وألحقوه بالفلاسفة المتشائمين كشوبنهاور وغيره . وأريد الآن أن أبين أن تشاؤم أبي العلاء انما هو تشاؤم نسبي لا ينافي الإيمان بالخير . وفي اللزوميات والفصول والغايات أدلة كثيرة على تطلع أبي العلاء الى مثل أعلى شبيه بالمثل العليا الخلقية التي تطلع اليها أصحاب الأحلام من الشعراء والفلاسفة والمصلحين . فما هو الخير في نظر ابي العلاء ؟ ـ

رفع المسهم

من الصعب لا بل من العبث ان نبحث عن تعريف علمي واضح للخير في شعر أبي العلاء . لان اللزوميات ليست كتاباً فلسفياً مشتملاً على تعريفات علمية واضحة . وليس من شأن الشعراء ان يضعوا التعريفات وان يبنوا عليها المباديء والغايات. على أن أبا العلاء قد ذكر لنا الخير في كثير من أشعاره ، فلم يكتف بالتلميح به بل اثبته وعدد لنا كثيراً من صفاته. ولنذكر الآن بعض هذه الصفات :

١ — لنبين اولاً ان الخير محبب الى النفس . فكل عاقل يطلبه ويريد الحصول عليه ، لانه يجد فيه لذته وسعادته . نعم ان الانسان قد يعجز عن الخير لصعوبة الطريق المؤدية اليه فطريق الغي واسعة ، وطريق الخير كما يقول ابو العلاء ضيقة كسم الخياط . والعدل صعب والمرء يعييه قود النفس للخير ، مع انه « يقود العسكر اللجب » . وقد يعجز الانسان عن الخير لكسله الطبيعي وفساد جبلته ، وغش طبيعته ، ولكنه اذا ماتجرد عن غرائزه ، وابتعد عن هواه استسهل فعل الخير ، ورغب فيه واحبه .

والخير محبوب ولكنه يعجز عنه الحي أو يكسل

٢ — على أن اللذة التي يجدها الانسان في الخير ليست غاية الفعل ، ولا هي مبدأ من مبادئه لانها تنقلب الى الم . فقد تولد لذة ساعة واحدة شقاء حياة طويلة ، وقد تولد المرض والفضيحة والعار . والذين يرسلون نفوسهم في اللذات لايعرفون الراحة والهناء انهم كالانعام ، لابل اضل سبيلاً . لان اللذة كما يقول أبو العلاء لاتخلد صعلوكاً ولا ملكاً . ولا تدوم على حال واحدة ، بل سرعان ماتنقلب الى ضجر وملل .

اذا فزعنا فان الامن غايتنا وان امنا فما نخلو من الفزع
وشيمة الانس ممزوج بها ملل فما ندوم على صبر ولا جزع

فلا خير اذن في لذة نتيجتها الملل ، ولا قيمة لمسرة نصيبها الزوال ، ولا فائدة في امن لايخلو من الفزع .

جاءتك لذة ساعة فأخذتها بالعار لم تحفل سواد العار
ان يرسل النفس في اللذات صاحبها فما يخلدن صعلوكاً ولا ملكاً

٣ — وكما ان اللذة ليست غاية الفعل ، فكذلك المنفعة ليست غاية الخير ، بل الفضيلة اسمى من ان تنحل الى تجارة رابحة . فينبغي للعاقل أن ينزه الخير عن نتائجه ، وان لايؤمل الربح منه كأنه تاجر . نعم قد يجر الينا الخير نفعاً ، فنفعله كما يقول أبو العلاء لأن له ثمرة لذت في المطعم ، وتضوعت لمن تنسم ، وحسنت في المنظر والمتوسم ، وجاوزت الحد في العظم ، ونفعله لحسنه في المسامع ، ونفعله لنكسب به ثواباً عند الله .

فافعل الخير وأمل غبّه فهو الذخر اذا الله حشر

ولكن المنفعة والخير امران مختلفان تماماً . وانك لتجد المنفعة في هذه الدنيا قد وفرت للاشرار اكثر مما وفرت لاولى الفضل ، بل اولو الفضل كما يقول أبو العلاء غرباء في اوطانهم ، غرباء في بني جنسهم . وكثيراً ماتولدت المنفعة من الشر .

ولا لون للماء فيما يقال ولكن تلونه بالأواني
وفي كل شر دعته الخطوب شواسع منفعة أو دواني
وجدت الشر ينفع كل حين ومن نفع به حمل الحسام

فلو كان معنى الخير مطابقاً لمعنى المنفعة لما ولد الخير الا نفعاً ، ولما ولد الشر الا مضرة . فالخير ليس اذن في اللذة ولا هو في المنفعة بل هو مستقل عنهما معاً .

٤ — لذلك صرح أبو العلاء بان الخير يجب ان يطلب لذاته لالنفعه . فالاخلاق في نظره ليست في مداراة الناس ، ولا هي في طلب المنافع واللذات ، بل هي ذاتية مثالية . والعاقل انما يفعل الخير لانه خير وجميل ، لا لأنه يرجو عليه ثواباً عند الله والناس ، أو يخشى من مخالفته عقاباً . « قد تقول لك النفس انها في اذى وقذى ، فاذا كنت محباً للخير قلت لها يانفس صبراً وتسليما ، ان ماتفعلينه هو الواجب» . فابو العلاء لم يكتف بتنزيه الخير عن اللذة والمنفعة حتى نزهه عن العقاب والثواب ، وجعله خالصاً لربه ، وزجر السنة الناس عن مديحه . وفي ذلك يقول :

كن صاحب الخير تنويه وتفعله مع الايام على ان لايدينوكا
فلتفعل النفس الجميل لانه خير واحسن للأجل ثوابها
توخي جميلاً وتفعليه لحسنه ولا تحكمي أن المليك به يجزي
فنزه جميلاً جئته من جزاية تؤمل او ربح كانك تاجر

سأفعل خيراً ما استطعت فلا تقم على صلاة يوم اصبح هالكا

فالخير جميل ، والظلم قبيح ، وأبو العلاء يفضل عذاب النار مع الخير ، على نعيم الخلد مع الظلم :

وما سرني اني اصبت معاشراً بظلم ، واني في النعيم مخلد

ومثل هذه المعاني كثير في اللزوميات والفصول والغايات لم نشأ ان نطيل في الاستدلال بها . وهي كلها تدل على أن أبا العلاء قد آمن بالخير وطلبه لذاته لالنفعه .

٥ — ومن اعظم صفات الخير قيمة صفته العقلية ، لأن العقل في نظر أبي العلاء هو معيار كل معرفة صحيحة ، وميزان كل منهج قويم . فالخير لايكون خيراً حقيقياً الا اذا كان خاضعاً لحكم العقل . ومنهج الاخلاق لايكون واضحاً الا اذا اضيء بنور الروية والفكر . لم يوصف العقل باحسن مما وصفه ، أبو العلاء في لزومياته وفصوله وغاياته . فقد جعله اماماً ومشيراً وهاديا الى الرشاد ونبياً . قال في الفصول والغايات : « العقل نبيء ، والخاطر خبيء ، والنظر بريء ، ونور الله لهذه الثلاثة معين » . وقال في اللزوميات :

يرتجي الناس ان يقوم امام ناطق في الكتيبة الخرساء
كذب الظن لا امام سوى العق ل مشيراً في صبحه والمساء
فاذا ما اطعته جلب الرح مة عند المسير والارساء

وقال :

وينفر عقلي مغضباً ان تركته سدى واتبعت الشافعي ومالكا

وقال :

فشاور العقل واترك غيره هدرا فالعقل خير مشير ضمه النادي

وهذا يدل على ان الخير كل الخير هو في اتباع العقل لان العقل مشير امين . فاذا ما اطاعه الانسان جلب الى نفسه الرحمة وابتعد عن القسوة ، وتحرر من سيطرة التقاليد العمياء والعادات المظلمة وحكم النظر في الاخبار والروايات . فان الغائص كما يقول أبو العلاء لا يتناول درة الحق الا بالروية والفكر . واذا قوي عقل المرء استطاع ان يهوى الدنيا ولا تهويه ، اما اذا قل عقله فان الدنيا تغويه وتغريه بزخارفها واكاذيبها . فليأخذ الانسان اذن في سبيل العقل ليهدى بهديه . انه اذا فعل ذلك ادرك ان هناك عادات قبيحة ومعاملات سيئة ،

وقوانين وشرائع بالية تحتاج الى اصلاح وتبديل . ولو اتبع الانسان عقله في هذه الدنيا لما لقي فيها الا الخير .

وها هنا مسألة لابد من الاشارة اليها ، وهي ان أبا العلاء لم يكتف ببيان أثر العقل في الخير ، بل اشار ايضاً الى ان الادراك العقلي ضروري للمسؤولية الخلقية والشعور بالالم . فما قاله في الفصول والغايات : « ان الله ، وله علو المكان ، قد جعل الشر غريزة في الحيوان ، فابعدهم من الشرور اقل حظاً من المعقول ، الا ترى الحجر مر به العاثر فادمى الابهام . لاذنب للحجر ، ولكن للواضع والعاثرين » وقال ايضاً : « داء المسرة العقل ، وداء الحزن الجهل » وهذا يدل على ان ازدياد القوة المدركة عند الحيوان يقربه من الشر ، ويزيد شعوره بالالم . فالعقل يولد الحزن والالم والشقاء ، والجهل يولد القناعة والرضى . وابو العلاء يعتقد كشوبنهاور ان للشعور بالالم درجات : فالجماد لايحس بالالم ، والنبات يكاد يكون عديم الحس . اما الحيوان فان درجات شعوره بالالم متفاوتة . فكلما كان ارقى كان شعوره بالالم اشد . وكلما كان ادنى كان شعوره بالالم اخف . واما الانسان فهو اكثر الحيوانات شعوراً بالالم لنمو مداركه العقلية . ولو فرضنا ان هناك عالماً آخر فوق عالم الانسان له نصيب من العقول ، ونمطه في الوجود شبيه بالنمط الذي نحن فيه ، لكان شعوره بالالم أشد من شعور الانسان به . فكأن العقل عن النعيم صاد ، وللسعادة مضاد . وكأن العلم سبب من اسباب الشقاء .

اذا علمي الاشياء جر مضرة الي فان الجهل أن اطلب العلما

فاذا كان العلم يشقينا ، فخير لنا ان لانعلم . ولنحن حقيقون بأن ننعم في الجهل ، وأن نفضل الظلمات على النور .

فهم الناس كالجهول وما يظفر إلا بالحسرة الفهماء

اذا كان علم الناس ليس بنافع ولا دافع فالحسر للعلماء

فالجهل مع الفضيلة خير من العلم مع الرذيلة . والذي يقيم الصلاة ويروم بها كيداً أبعد عن الله كما يقول ابو العلاء من تاركها عمداً .

فأنت ترى أن أبا العلاء قد جعل العقل من جهة ميزان الخير ، وجعله من جهة ثانية علة الشقاء والضير . وليس في هاتين الجهتين أي تناقض ، لأن العقل

لا يكون علة الشر إلا إذا كان ناقصاً ، فيكون له في هذه الحالة جهتان إحداهما جهة العلو ، وهي جهة الشعور بالكمال ، والأخرى جهة السفل ، وهي جهة الشعور بالنقص . وكلما غلبت الجهة الثانية الجهة الأولى كان الشعور بالألم أشد وأقوى . فاذا استطاع الانسان أن يتغلب على غريزته ، وأن ينزه عقله من العاطفة والهوى لم يشعر إلا بالكمال ، ولم يدرك إلا الخير . وإذا غلب هواه قواه ، وطغت غريزته على عقله عاش في عذاب دائم وضلال مبين .

ولو كان عقل النفس في الجسم كاملاً لما أضمرت فيما يلم به غماً

والنفس لا تشعر بهذا الشقاء الا لوجودها في الجسم . فقد كانت قبل اتصالها بالجسم سعيدة هادئة . فلما هبطت اليه أدركها العذاب ، كما يقول أفلاطون وابن سينا ، ونحن لا نعلم لماذا هبطت الروح إلى الجسم ، ولماذا أراد الله لها هذا الشقاء ، ولماذا أمرها أن تكسب الخير عن طريق العقل . فما هي إرادة الله ، وما هي عنايته ، وما هي صفاته ، إن العقل لا يستطيع أن يحيط بذلك كله ، فهو لا يعرف حقيقة الله ، ولا قدم العالم ، لأن نطاقه في أمور ما بعد الطبيعة محدود . دع عنك ان قيود الجسم والغريزة تصده عن إدراك الحق ، فلا بد له إذن من الاستعانة بنور الله .

٦ — وإذا استقل العقل عن الغريزة ، وتجرد من العواطف والأهواء ، أدرك المثل الأعلى وتطلع الى الحياة الروحية المثالية . فالعاقل لا يطلب الخير لنفسه فقط ، بل يطلبه لنفسه ولبني جنسه أيضاً . وأبو العلاء لا يريد أن ينفرد وحده بالخير ، بل يريد أن يعم الخير جميع الناس . ولو كانت له جنة الخلد لما أحب بها انفراداً . وفي ذلك يقول :

ولو أني حبيت الخلد فرداً لما أحببت بالخلد انفرادا
فلا نزلت علي ولا بأرضي سحائب ليس تنتظم البلادا

ولا فرق في نظره بين حر وعبد ، ولا بين غني وفقير ، ولا بين عربي وأعجمي ، ولا بين هاشمي وغير هاشمي ، بل الناس كلهم سواء لأنهم متساوون في اصلهم ، متساوون في حقوقهم وواجباتهم لا فضل لواحد منهم على الآخر إلا بالتقوى .

فان الناس كلهم سواء وإن ذكت الحروب مضرمات

٧ — فأنت ترى أن مذهب أبي العلاء في الخير قريب من مذهب الرواقيين ، لأنه قد مدح الجهد والمشقة ، ودعا إلى اتباع العقل ، وهجر اللذات ، ونادى بالعدل والمساواة والرحمة . وهو قريب أيضاً من مذهب شوبنهاور ، لأن الرحمة عنده هي الحب ، لا بل هي مبدأ الاحسان والعطف على الانسان والحيوان . وربما كان شعوره بالرحمة أحد مظاهر تشاؤمه ، لأنه كما قدمنا قد حكم على الناس بالفساد ، وذمهم لتخبطهم في دياجير الظلام ، ولكنه في الوقت نفسه حنا عليهم حنو الأم على رضيعها ، فأراد إنقاذهم مما هم فيه من الجهل والظلم والشقاء . وإنك لتجد وراء نقده الاجتماعي ووراء هزئه وسخريته شعوراً عميقاً بالحب والحنان . وتجد قسوته على نفسه أشد من شعوره بالعطف على غيره . ولكم تمنى أن يشعر الانسان بالرحمة التي يشعر بها هو نفسه ، وأن يسود العدل بين الناس ، وأن لا يقابل الشر بالشر . ومن أجل هذا الشعور بالرحمة رام الدفاع عن الحيوان ، وأراد حماية الضعفاء والمرضى والمساكين والشيوخ والأطفال . فهو إذن رسول الإخاء وعدو الظلم وبطل المساواة والعدل . ألا ترى اليه كيف يطلب الى المسلم والصابيء والهادي أن يرحموا المسكين ، وأن يصيدوا الخير ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً . إن الأمراء لا يسوسون الرعية بالعقل ، بل يعتدون على الأفراد ويسومونهم أنواع العذاب ، ويحدثون الفوضى في سبيل مطامعهم . والقضاة والعلماء ليسوا أحسن حالاً من الأمراء ، لأنهم يستخفون بقضايا الناس ، ويستجيزون الجور والفهر ، ويقبلون شهادة الزور والرشوة . فهم أشبه بالتجار الظالمين منهم بالعلماء العاملين . لا يصلح الناس إلا سياسة عقلية مبنية على الرحمة والعدل والمساواة . ولو صلح الحكام لما احتدمت نار الحرب بينهم ؛ ولوفروا على الناس كثيراً من البؤس والشقاء . فأبو العلاء يكره الحرب ، ويرجو أن يسود السلام في العالم ، وان يحل الوئام محل الخصام ، والحب محل البغضاء ، وان لا يشهر رجل على رجل سيفاً .

وفي ذلك يقول :

فلا تشهرن سيفاً لتطلب دولة فأفضل ما نلت اليسير المروج

رفع المسهم

ويقول :

فان ترشدوا لاتخضبوا السيف من دم ولا تلزموا الأميال سبر الجرائح

ويقول : « يارب العب ، ان عبادك لفي تعب ، الام الاسنة على الرماح والاعنة في اعناق الخيل ورحائلها فوق الاثياج » .

فالانسان في نظره اخو الانسان احب ام كره . ومن الظلم ان يسلم الناس امرهم للغريزة وان تلعب بهم المقادير ، وان يسوقهم الدهر الى هذا الشقاء .

٨ — وهذه الاخلاق التي نادى بها أبو العلاء ليست سلبية ، لانه لم يكتف بالامتناع عن الشر ، بل دعا الى فعل الخير دعوة ايجابية بدون قيد ولا شرط . فهو من جهة يقول : لاتؤذ بلسانك بشراً ، ولا تحن من خانك ، ولا تضر الجار اذا لم تنفعه ، ولا تهزأ باحد ، ولا تؤازر الظالم ، ولا تجالس المغتاب ، ويقول من جهة ثانية : صد افعال الخير ، وان استطعت ظالماً فاردعه ، واكرم صاحبك ولا تخدعه ، واطعم سائلك اطيب طعاميك ، واكس العاري اجد ثوبيك ، وامسح دموع الباكية بارفق كفيك ، وافعل الخير بجذل ، وكن دون المحارم اخا عذاب .

ويقول ايضاً :

لاتسدين قبيحاً ان همت به وافعل جميلاً فان الخير يغتنم

فان قدرت فلا تفعل سوى حسن بين الانام وجانب كل ما قبحا

٩ — وهذا يدل على ان فكرة الخير في فلسفة أبي العلاء مفعمة بالشعور الديني ، ولا غرو في ذلك فابو العلاء قد نشأ في بيئة دينية ، فكانت حياته مثلاً اعلى يقتدى به في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وفي لزومياته ابيات كثيرة يدعو بها الى الصيام والصلاة والزكاة . فالعقل عنده ، وان كان نبياً ، خاضع للنور الالهي . ولولا غريزته الوحشية ، ومغالاته في التوحيد ، ورغبته في التوحيد ، وضعف جسمه وفقد بصره لما انتقد الحج ولا ذم المرأة ولا اعرض عن الزواج والنسل . ان ارادة النسل عنده شبيهة بارادة الحياة التي اشار اليها شوبنهاور . انها لاتنافي غريزته الوحشية فحسب ، بل تؤدي الى زيادة كمية الشر والالم في العالم . ومهما يكن من امر فان الخير في نظر أبي العلاء عقلي وديني معاً . ولا فرق عنده بين الدين والاخلاق .

الدين إنصافك الأقوام كلهم واي دين لآبي الحق إن وجبا

١٠ — ويظهر أن للخير في فلسفة أبي العلاء درجات ومراتب ، كالخير الخاص بالحيوان ، والخير الخاص بالانسان ، والخير الخاص بالملائكة ، والخير الأعلى هو الله ، فاذا فعل الانسان خيراً ارتفع إلى عالم الملائكة ، وإذا فعل شراً هبط إلى درجة الحيوان .

ثلاث مراتب ملك رفيع وإنسان وجيل غير أنس
فان فعل الفتى خيراً تعالى الى قنس الملائك خير قنس
وإن خفضته همته تهاوى إلى جنس البهائم شر جنس

والشر لا ينسب إلى الله أبداً ، بل ينسب إلى الدهر والمادة .

كذب الذي نسب القبيح إلى الذي خلق الأنام وخط في برسامه

لا أزعم الصفو مازجاً كدراً بل مزعمي ان كله كدر

كأن الدهر بحر نحن فيه على خطر كركاب السفين

أعجم قد بين الرزايا وجعل الشر ترجمانه

فالإله خير وكمال ، والعالم شر ونقص . ولولا تيار الزمان الذي عكر صفو الوجود لما تولد الشر ، ولا خوف على مصير الانسان لأنه يستطيع أن يتغلب على الشر باتباعه العقل وإيمانه بالله وثقته بعدله وكماله . والدهر لا عقل له ، أما الله فهو كما قالت الفلاسفة عقل محض ، ومن اتبع عقله فقد تشبه بالله .

١١ — تلك هي صفات الخير في فلسفة أبي العلاء . فما هي القواعد الخلقية التي تلزم عنه ؟

لا أريد الآن أن أذكر جميع القواعد التي اشتملت عليها فلسفة أبي العلاء الخلقية ، وإنما أريد أن أنبه إلى أن مثله الأعلى الخلق قد جره إلى العزلة والتقشف والمحبة والرحمة والتسامح والسلام .

فالتقشف يقضي باتباع العقل وإماتة الشهوات ، والاعراض عن اللذات ، والقسوة على النفس ، ومجاهدتها ، وقطع عقباتها الغريزية ، والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة ، وكفها عن الهوى .

رفع المسهم

والعزلة تقضي بقطع القلب عن الدنيا ، والتجافي عن دار الغرور ، والاعراض عن الجاه والمال والزواج والنسل ، والهرب من الشواغل والعلائق .

والرحمة تقضي بالتسامح والحب والسلام والعطف على الانسان والحيوان .

١٢ — فهذه الاخلاق كما ترى ، شبيهة باخلاق الرواقيّين ، لا بل باخلاق الزهاد والمتصوفين فهي تدل على ان تشاؤم أبي العلاء لم يكن تشاؤماً مطلقاً ، بل كان تشاؤماً نسبياً لاينافي الايمان بالخير ولو كان تشاؤمه مطلقاً لما عزى نفسه بالايمان ، ولا تمسك باهداب العقل ، ولا تطلع الى المثل الاعلى . واصحاب التشاؤم المطلق يعتقدون ان حقيقة الوجود شر ، وان اللاوجود خير من الوجود ، اما اصحاب التشاؤم النسبي ، فيعتقدون ان الخير موجود في الدنيا مع الشر ، وانه في وسع الانسان ان يتغلب بارادته العاقلة على الظلمات . فابو العلاء لايرى ان حقيقة الوجود شر مطلق . ولو اعتقد ذلك لنسب الشر الى الله ، ولما آمن بالله حكيم قادر ، خير عادل ، يجزي المحسن ويجازي المسيء . ولما اثبت الخير في الدنيا الى جانب الشر . وهو يقول في ذلك :

جهلنا ولكن للخلائق صانع اقربه فسل من القوم او شهم

ويعلم كل ان للخير موضعاً وفضلاً على انباته اجمع الدهم

ويقول : « غفرانك ربنا القديم ، خلقت الخير الى جنب الضير » .

ويقول :

خير وشر وليل بعده وضح والناس في الدهر مثل الدهر قسمان

ويقول :

والشر مشتهر المكان معرف والخير يلمح من وراء خمار

فوجود الله المسيطر على الدهر ، والنور المحيط بالظلمات ، والعقل الهادي إلى الرشاد ، كل ذلك يدعونا إلى الاعتقاد ان الله سينقذ الانسان من براثن الدهر ، وسيرفعه إلى المثل الأعلى . فأبو العلاء متشائم في الدنيا متفائل في الآخرة . وإذا كان قد بكى لبكاء الناس ، وحنا على الحيوان ورثى لحال البائس المسكين ، فما ذلك إلا لأنه تطلع إلى المثل الأعلى ، ورغب في حياة مثالية

لا يشوبها نقص ، ولا يعكر صفوها ألم . ومن الخطأ تشبيهه بشوبنهاور ، لأن الارادة في نظر شوبنهاور إنما هي عمياء هوجاء . سيان عندها الخير والشر . أما الله في نظر المعري ، فلا يصدر عنه إلا الخير ، ولا يريد لعباده إلا الرحمة والعدل . وهذا الايمان بالله هو كما يقول أبو العلاء خير الذخر في كل شدة « والخير عند ربنا لا يضيع » فليرد الإنسان إليه أمره ، وليطهر مهجته بخوفه ، وهذا يدل على أن أبا العلاء لا يختلف عن غيره من أصحاب الأحلام ، كأفلاطون والفارابي وغيرهما ، الذين حلموا بمدينة فاضلة لا تنبت أرضها إلا الرحمة والعدل ، فهو بهذا المعنى شاعر المثل الأعلى ، ورسول الكمال والخير .

جميل صليبا

رفع المسهم

الدهر ملك العبقرية

حلي الندي كرامة للراح ... عجباً اتسكرنا وأنت الصاحي
لك في السرائر بدعة مرموقة ... أنس المقيم وجفوة النزاح
مجد كآفاق السماء اذا انتهت ... منه نواح بادهت بنواح
الدهر ملك العبقرية وحدها ... لا ملك جبار ولا سفاح
والكون في أسراره وكنوزه ... للفكر لا لوغى ولا لسلاح
ذرت السنون الفاتحين كأنهم ... رمل تناوله مهب رياح
لا تصلح الدنيا ويصلح أمرها ... الا بفكر كالضياء صراح
مرح على كيد الحياة وأهلها ... يلقى شدائدها بأزهر ضاح
خير العقائد في هواي عقيدة ... شماء ذات توثب وجماح
تبني الحياة على هدى إيمانها ... والعقل مثبت غيرها والماحي
سكرى من الحق المدل وربما ... لقي الحتوف فحاد عنها الصاحي
سكر العقيدة أين من آفاقه ... سكر العيون وأين سكر الراح
ملك الحياة فخلف كل ثنية ... لليأس يكمن منه الف طماح
شرف العقيدة أن تكون جريحة ... فبدار قسطك من أذى وجراح
واجعل بكفيك الحياة تحدياً ... منها لأول معتد بالساح
العمر من غيب القضاء خبيئة ... فابسط مصون كنوزه بالراح
لا تشك من قصر الحياة فربما ... أغنت اشارتها عن الايضاح
سفر الحياة اذا اكتفيت بمتنه ... أغناك موجزه عن الشراح
واختر لنفسك ميتة مرموقة ... بين النجوم على الاديم الصاحي
للموت في اللجج العنيفة رهبة ... شمخت بسؤددها على الضحضاح
حوطت بالله العقيدة من أذى ... خرقاء فاجرة اليمين وقاح
سكرت على كرم الندي وعربدت ... فالآن لا خمري ولا أقداحي

فيم المقام على قراي وفاتها ... في الروع حطم ظبى وقصف ماح
ومن البلية لا بلية قبلها ... أن تحسب العجفاء كبش نطاح
لهو العيون — ولا أقول قذاتها — ... وكل تكلف زهوة لمجناح
مترنح العطفين من خيلائه ... ماذا تركت لغارة وكفاح
الله يعلم ما أردت شماتة ... بمصرعين من العياء طلاح
تأبى الشماتة في الضعيف شمائلي ... وتعف عن شلو الجريح صفاحي
وانا الذي وسع الهموم حنانه ... وبكى لكل معذب ملتاح
أشقى لمن حملوا الشقاء كأنما ... أتراح كل أخي هوى أتراحي
غسل الاسى قلبي وحسبك بالاسى ... من غاسل حقد القلوب وماحي
ووددت حين هوى جناح حمامة ... لو حلقت من خافقي بجناح
حب قد انتظم الوجود بأسره ... اسد الشرى وحمامة الادواح
اعمى تلفتت العصور فما رأت ... عند الشموس كنوره اللماح
نفذت بصيرته لأسرار الدجى ... فتبرجت منها بألف صباح
من راح يحمل في جوانحه الضحى ... هانت عليه أشعة المصباح
أمصور الدنيا جحيماً فائراً ... يرمي العصور بجمره اللفاح
البغي عند الأقوياء سجية ... والمكر في الزهاد والصلاح
هون عليك ففي النفوس بقية ... من رحمة ومروءة وسماح
خلف الهجير وعنفه ولهيبه ... ما شئت من ظل وطيب نفاح

* * *

ضجت ملائكة السماء لساخر ... مر الدعابة شاتم مداح
السخر فيه اذ سقاك حتوفه ... كالسخر حين تراه في النصاح
نكب العقائد والطباع فيالها ... فتكات حتف كالقضاء متاح
وعدا على حرم السماء فياله ... فتحا أطل به على الفتاح
عرى السرائر والنفوس ممزقاً ... عنهن كل غلالة ووشاح
وجلا المصون من الضمائر فانتهى ... همس النفوس لضجة وصياح
ان يقس في نقد الطباع فلم تكن ... ترجى لرحمتها يد الجراح

* * *

ايه رهين المحبسين ألم يئن اطلاق مأسور وفك سراح
ظفرت برحمتك الحياة وصنتها عن كل ناعسة الجفون رداح
أتضيق بالانثى وحبك لم يضق بالوحش بين سباسب وبطاح
يا ظالم التفاح في وجناتها لو ذقت بعض شمائل التفاح
عطر أحب من المنى وغلالة بدع فمن وهج ومن أفراح
هي صورة لله جل جلاله عزت نظائرها على الالواح
منحت بقدرته النعيم ولونت أنواعه جلت يد المناح

* * *

ليت الهموم العبقرية هدهدت بحنان طيبة اللمى ممراح
لو انها نزلت على نعمى الهوى نزلت مدللة باكرم ساح
حرم على عسر الزمان ويسره وحمى امين السرب غير مباح
ماأحوج العقل الحكيم وهمه وسع الحياة لصبوة ومراح
ولمن تدلله وتسكر روحه عند الهجير بظلها النفاح
انثى اذا ضاقت سريرة نفسه طلعت بآفاق عليه فساح
تسقي الهموم اذا وردن حنانها بمعطر كالسلسبيل قراح
وتردهن عرائساً مجلوة كندى الصباح وكن غير صباح
للعبقرية قسوة لولا الهوى عصفت بكل عقيدة وصلاح
رعناء ان ترك الجمال عنانها طاحت بفارس متنها الجحجاح
ماللشراع على العواصف حيلة ان لم تصرفه يد الملاح

* * *

ايه حكيم الدهر اي مليحة ضنت عليك بمطرها الفواح
اسكنتها القلب الرحيم فرابها مافيه من شكوى ورجع نواح
جرحت اباءك والحياء فاقفلا باب المنى ورميت بالمفتاح
لو انصفت لسقتك خمرة ريقها سكر العقول وفتنة الارواح
ولأسعفتك على الهوى بمعطر بالحسن . لا بشقائق واقاح
لاتخف حبك بالضغينة والاذى الحب جوهر حقدك الملحاح
واطل هجاءك ماأردت فخلفه غرر منضرة من الامداح

* * *

العبقرية والجمال تحدرا من نبعة وتسلسلا من راح

اخوان ماطلع الضحى لولاهما ... الا على العبرات والاتراح
الظالمان المالكان ونعمة ... ماسلفا من زلة وجناح
ان التي حرمتك نعمة حبها ... وابيك عار كواعب وملاح
لو كان في يدي الزمان وسره ... واعنة الإمساء والإصباح
لاعدتها بعد الردى مجلوة ... بشبابها وجمالها الفضاح
في مشهد تكسو الوفود رحابه ... وينص بالغادين والرواح
فنزعت فتنتها وسحر جفونها ... ومحوت نور جبينها الوضاح
ونثرت جوهر ثغرها من عقده ... فصحاحه العطرات غير صحاح
ورددت للسبعين ريق عمرها ... والحاليات من الصبا المفراح
وجلوت مرآتي فندت صرخة ... كلمى وغطت خزيها بالراح
حتى إذا أتممت ذلك كله ... أشرفت أنظر نظرة المرتاح
فثأرت من ظلم الجمال وربما ... شمتت جراح في الثرى واضاحي
واذا رأيتك ضقت فيه تفكرت ... للجد منه دعابتي ومزاحي

* * *

هذي العروبة في حماك مدلة ... ريع العدو بها وجن اللاحي
الازرق الرجراج حن لرملة ... في الدجلتين ندية مسماح
وأرى الكنانة انتماجدماجدت ... بالعاص لا «بمنى» ولا «بفتاح»
الوحدة الكبرى تهلل فجرها ... بظلال أبلج ذائد نفاح
«شكري» الذي لقي السيوف بصدره ... فأعادها مزقاً على الصحصاح

* * *

سمعاً حكيم الدهر فهي قصيدة ... وأبيك بدع مغرد صداح
عصماء ان شهد الندي خطيبها ... تركت فصاح القوم غير فصاح
بدهت شواردها العدى بكتيبة ... خضراء تلمع بالحديد رداح
هل في ثراك على المعرة موضع ... بين العيون لدمعي السحاح
حنت النفوس عليه تسكب حبها ... فجلت براح البيد غير براح
ما للجياد الأعوجية حسرا ... صرعى الهجير على المدى الفياح
فاعذر اذا لم أوف مجدك حقه ... لجج الخضم طغت على السباح

بروي الجبل

أسلوب المعري

ومنهاجه

سيداتي وسادتي :

باسم تراثنا الادبي وسلسلة الفكر العربي نجتمع الآن في ضوء هذا المهرجان ومن حول مناوره وذرى منابره لنحيي ذكرى (أبي العلاء) [أحمد ابن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري] رهن المحبسين . ولنكرم في ذكراه ليس شخصاً زائلاً بل عبقرية فذة وفكرة باقية ونفحة عطرة من نفحات الادب العربي تملّت بها العروبية والانسانية في القرنين الرابع والخامس للهجرة وما زالت تطوي مراحل الزمن لتعيش بيننا بعد ألف سنة مما نعد ولتعبر عن حاجاتنا الادبية تعبيرها عن حاجات عصرها وزمانها . وإذا كانت الشخصية الادبية هي التي توفق في أي عصر من العصور في التعبير عن الحاجات الادبية لذلك العصر أو لجماعة من جماعاته أو فئة من فئاته وكلما ارتفعت في ميزان القيم اتسعت آفاقها وعظم شمولها وجاوزت حدود الحاضر الى المستقبل فان أبا العلاء هو من طراز تلك الشخصيات الادبية التي أوفت على الزمن وشغلته ماضياً وحاضراً ومستقبلاً . ذلك لان أبا العلاء في غالب ما اخرج للناس لم يكن إلا ومضة حق وخير وتعبيراً حراً بليغاً عن الكون والحياة وصدى قويا شجيا لخلجات القلب وأمواج النفس .

ومهما اختلف النقاد في هذه الشخصية الادبية النادرة واستبقوا النظر في منهاج أبي العلاء وأسلوبه واكتناه مناحيه فزعموا له الوضوح او الابهام والشك أو اليقين والقوة أو الضعف او اعتبروا لغته وألفاظه وجناسه ومجازه دليل تفوق وتمكن او ضربا من ضروب العبث فأن هذا ليس بضائره في شيء بل ان هذا كله لدليل اهتمام بذي خطر لا بد وأن يختلف إليه النظر اختلاف النقاد في مذاهبهم واذواقهم وعقائدهم وثقافاتهم .

رفع المسهم

أما الذي لا ريب فيه وعليه المعول واليه ميل جمهرة النقـاد فهو ان أبا العلاء شخصية أدبية فذة طالعت الآداب العربية بأسلوب جديد له خطره وأثره في الشعر والنثر تفنن فيه أبو العلاء لفظاً ومعنى شكلاً وأساساً وتأثر به الادب العربي والآداب الاجنبية الى حد بعيد . ونحن اذا صحبنا أبا العلاء واستمعنا إليه في رفق وأناة واستقصينا آثاره وفنونه وشروحـه ومتونه استطعنا أن نرد المنهاج الذي اعتمده وركّز عليه اسلوبه سواء أفي الشعر أم النثر الى الاصول الآتيه :

(أ) في الشعر

١ — الاخذ بمباديء المدرسة القديمة (مدرسة الخليل بن أحمد) في العروض والقافية مع استقصاء نواقص هذه المدرسة واكمالها وقد كان من جراء ذلك ان استحدث القافية المقيدة المجردة أثبتها في ديوانه (جامع الاوزان) على ما روى (ياقوت) قال : (وذلك مفقود في الشعر القديم والمحدث يشبه المقصور) .

٢ — اخضاع حروف المعجم بكاملها للقافية الشعرية والنظم على منوال ما فُقد أو ندر او أهمل من ذلك عند المتقدمين وهذا بعض ما قصد إليه في (اللزوميات) . وعمل كهذا كان يعتبر من باب الاستقراء الادبي والجهد اللغوي الفني ورياضة الفكر بل حتى الخليل بن أحمد وهو أدنى إلى عصر البساطة والطبع (تظرف) فجمع حروف المعجم في بيت من الشعر .

٣ — لزوم مالا يلزم على مثال ما شرح وأوضح في مقدمة (اللزوميات) أيضاً وهو أن يلزم مع كل روي حرفاً ليس بلازم تقوية للقافية في السمع كما في قوله :

وإذا رجعت إلى الحقائق لم يكن في العـالم البشري إلا بائس
والموت باز والنفوس حمـائم وهزبر عريس ونحن فرائس

فقد التزم في هذين البيتين الهمزة المكسورة مع السين كما هو ظاهر من كلتي (بائس) و (فرائس) وكان بامكانه أن يكتفي بالسين لو لم يجد في

ما التزم ايقاعاً أجمل ولفظاً أنبل . ذلك هو منحاه في (لزوم مالا يلزم) وهو شكل من أشكال النظم النادر في شعر المتقدمين وسعه وأضاف اليه وتفنن فيه واختصه باغراض شعرية جديدة . وأنشأ عليه أبنية أوراق ديوان (اللزوميات) وأكثر ما ورد منظوما في رسالة (ملقى السبيل) .

٤ — نبذه أسلوب القصيدة العربية التقليدي سواء أبالنسبة لاغراضها أم تنسيقها وذلك أن الشاعر العربي قد ظل محافظا على أساليب العصر الجاهلي وقوالبه الشعرية يستلهم من حياة البداة ومنازعهم وصور البادية وتقاليدها ما يباين طبع الحضارة واحساسها وصورها وحاجاتها ومن أعرض عن ذلك من الشعراء المحدثين ظل فرديا في المجتمع العربي الجديد وفي معزل عن الذاتية القومية إلى حد بعيد الى أن جاء أبو العلاء بأسلوبه متخذاً من صدق الكلمة والنظر الحر والحياة العامة والمثل العليا دليله في الشعر .

(ب) في النثر

١ — استحداثه قوالب جديدة للنثر الفني تجمع بين الروح الشعري والفكر التعليمي الفلسفي مضيفا إلى بعضها (الغاية) أو القافية إلى السجع والتوازن على نمط خاص هو أدنى إلى ما نسميه (الشعر المنثور) في اصطلاح أيامنا ليكون التعبير أحسن جرساً وأوقع في السمع والنفس . وهذا هو أسلوبه في (الفصول والغايات) و (والأيك والغصون) محمولا على مواعظ وتأملات وأحاديث وآراء والتفاتات ذهنية وروحية إلى حقائق أو مظاهر كونية وإنسانية في صيغ متينة حافلة بفوائد وطرائف أدبية ولغوية تستسر غالباً في الوشي الفني والاغراب والتكلف .

أما في (ملقى السبيل) وهو نثر وشعر من نوع المواعظ والتذكير بالنهاية فيجيء بالقطعة النثرية لا تجاوز سطراً أو أسطاراً على حرف واحد أو عدة حروف من السجع ثم يكرر معناها شعراً يبتدئ بهذا من الهمزة إلى أن يستوفي حروف المعجم وهو نمط آخر يعتمد حل المعنى وعقده ووحي الالفاظ والاوزان معاً . وهو أدنى إلى أسلوب الوعظ الخطابي القديم عند العرب .

رفع المسيهما

٢ ــ اصطناع الاسلوب القصصي التعليمي الفكه محمولا على الخيال المبدع والسخرية اللاذعة والاستقصاء الادبي الجامع وهو أسلوبه في رسالة الغفران المشهورة وقد كاد ينفرد به .

والمعري لم يكن عابثاً أو متفكهاً في اعتماد هذه الاصول او ابتكار تلك القوالب الادبية التي أودعها حشاشة نفسه وعصارة فكره مهما اختلف النقاد في تقويمها بل كان يريد أن يبلور ما لم يكن مبلوراً من أشكال الصيغ العربية . وأن يتمم نقصا أو يسد ثلمة في دواوين الشعراء المتقدمين والمحدثين وأن يأخذ بالاقوى من القافية مصطفيا موسيقى اللفظ ورادا قوة الكلمة في بناء القوافي إلى لزوم ما لا يلزم وإلى توافق الكلمات في السنخ (أي أصل بناء الكلمة) لان هذا هو الامتن والاحسن في رأيه ولان العرب كما يقول : كانت تختار أشرف الكلم في السمع متأثراً في الوقت نفسه بما كان شائعا في عصره والعصور التي تقدمته من افتنان بالصنعة والتوشية والمحسنات اللفظية والمعنوية وبما كان للصيغة من أثر سحري يشفع بالاغراب والتكلف ذلك ما جعل أبا العلاء يأخذ بأقصى حد العبارة وهو يرى للالفاظ قوة ايحائية تنقل أكثر من معانيها وتخلق أجواء من عواطف وتصورات .

بيد أن أبا العلاء لم يقصر أسلوبه على هذا المستوى بل كان يراعي فيه مقتضى الحال فالنثر الفني المحمول على التفوق الادبي والمنهج التعليمي هو عنده غير النثر التعليمي المجرد او ما يكتب في المراسلات او يقال في الجماعات ففي الاول يؤثر الصعوبة والمتانة والتعمق اللغوي والسجع ولزوم ما لا يلزم والتفنن اللفظي والمعنوي وحشد المعرفة وفي الانواع الاخرى يتوخى مع الجزالة وتوثيق السرد بساطة التعبير وسهولته ومن كلامه في بيان ما ترك من حروف المعجم توخيا للسهولة في ما وضع من خطب منبرية عامة قوله : (تركت الجيم والحاء وما يجري مجراهما لان الكلام المقول في الجماعات ينبغي أن يكون سجيحاً سهلا) . ومن شواهد أسلوبه البسيط السهل (مقدمة اللزوميات) و (رسالة الملائكة) والمعري لا يختار الصعبة

للتعمية كما ظن بعض النقاد بل لان الصعوبة أنفس من السهولة في مذهبه الادبي وما يهمس أو يلمّح به أحيانا ليس هو من باب التعمية بل من سوانح الريب الغابر وقد تكون الاشارة أبلغ فيه من العبارة وليس أدل على وضوح أبي العلاء وصراحة طبعه وحرّية فكره حتى في الشؤون الدينية والسياسية من آرائه الجريئة وأفكاره المعلنة في تعريف الله ونفيه عنه الصفات واثباته له الزمان والمكان بالمعنى الذي عرّفهما به ومن قوله بالعلل ورسالة العقل وحرية النظر والخير للخير والمساواة العامة والمغفرة الشاملة ومن حملاته العنيفة على الطغيان والطغاة والولاة وتجار العقائد والماديء وسائر مساويء عصره ومن نقده المذاهب والشيع والمقالات جميعاً حتى ليصح أن يدعى له مذهب مستقل . ولو أن أبا العلاء كان يؤثر التعمية حقا في أسلوبه وبيانه لم يُتبع كل مؤلف ممتاز من مؤلفاته الادبية بشرح أو تفسير لكشف مغلقاته — على ما هو ثابت في ثبت مؤلفاته — بل أن الصعوبة هي مهماز البحث والاستقراء ونزعة تعليمية عند أبي العلاء أوجبت أن يلحق ديوانه (لزوم مالايلزم) (زجر النابح) و (شرح اللزوم) و (الراحلة) و (راحة اللزوم) و (بالفصول والغايات) كتابي (السادن) و (اقليد الغايات) و (بالأيك والغصون) او (الهمزة والردف) (تفسير الهمزة والردف) . وهذا كله لان أبا العلاء لم يكتب لنفسه فحسب بل لطلابه وقرائه جميعا . بل ان النزعة التعليمية المعلمية لتلازم أسلوبه حتى في القصص الخيالي الفكه وقد يضحي الوحدة الفنية ووحدة السياق اللاذة في سبيل الاستقصاء العلمي النافع . ومن ايثاره هذه النزعة استخدامه مصطلحات وسائل العلوم والفنون الخاصة في اختراع المعاني العامة وتوسيع الطاقة اللغوية والبيانية بحذق وعمق سواء أفي الشعر أم النثر مما لم يسبق إليه .

قال في (الفصول والغايات) : [استغفرك ماحي السيئات من قول ليس باسناد . استكثر من السناد . كم أوطيء في الذنوب واضمن الحوب بالحوب . وإذا تقويت لفعل الحسنة اقويت ومتى انكفأت إلى الخير أكفأت . فاسترني ربي فعيوبي أقبح من السناد والاكفاء] .

وقال في (الأيك والغصون) : [لا تعيبن احداً بأمر فتطأ على مثل الجمر . اصبر على ما حكم ربك واياك وليت الكاذبة ولو الغرارة وعسى المخلفة ولعل الخالبة وابك على خطيئتك ولا تكونن كالرجل يبكي العداء .

ومنها :

ما ترحيم وضع وكلام ضم وجمع جر بالاضافة ونصب على الاغراء]

وقال في (لزوم مالا يلزم) :

بعدي من الناس برء من سقامهم وقربهم للحجى والدين أدواء
كالبيت أفرد لا ايطاء يدركه ولا سناد ولا في اللفظ إقواء

وأمثلة ذلك كثيرة جدا في شعره ونثره .

والمعري الحائر او الساخر او الثائر شخصية مطبوعة لا مصنوعة . بيد أنه كلما أوغل في حروف المعجم أو عالم الالفاظ والكلمات وأغرب أو تفنن في الجناس والالغاز والتوشية مستسراً في بطولة البيان والبديع واللغة اكتنفه الغموض الى أن يفسر نفسه باملائه أو تفسره المعاجم وهو في مثل هذا الايغال قد يضحي الجمال الفني بمعناه الحديث ليشبع نهمه العلمي او التعليمي ارضاء لذوق عصره . والقطعة الفنية من مثل بيانه هذا انما نستفيد منها اليوم بمقدار ما يستفيد علماء الحضارات القديمة من القطع الاثرية والنفائس المتحفية . أما عندما يرتجف قلبه بالالم وتغمر ثورته النفسية معالم الصيغة وتتكاثف عواطفه وأفكاره فينبثق عنها الالهام فاننا لنبصر فيه عندئذ أوضح وجهٍ وآنس روح وأعمق نظر بل الشاعر الحق متصلا ليس بعصره فحسب بل بجميع العصور الانسانية .

وأبو العلاء عندما يأخذ بالسمت الفلسفي في الشعر أو باختراع المعاني العامة من المسائل والمصطلحات العلمية والفنية الخاصة لا يسخر الشعر للعلم بل العلم للشعر فهو ليس بالشاعر الفقيه أو اللغوي أو النحوي أو الفلكي بالمعنى المنتقص في الذوق الادبي بل هو الشاعر الملهم ابداً والمشرف بشعلة وجدانه وبيانه على صميم الحياة وأقصى المسالك الانسانية .

وقد يبهجنا أن نستمع إليه الآن قليلا لنكون أكثر اتصالا بروحه الشعري الواضح واسلوبه الحر :

قال من قصيدة في (لزوم ما لا يلزم) يمجد الله ويندد بما انتهى إليه مجتمع عصره من انحلال أخلاقي :

للمليك المذكرات عبيد ... وكذاك المؤنثات اماء
فالهلال المنيف والبدر والفر ... قد والصبح والثرى والماء
والثريا والشمس والنار والنث ... رة والارض والضحى والسماء
هذه كلها لربك ما عا ... بك في قول ذلك الحكماء
خلني يا أخي استغفر الا ... ه فلم يبق في إلا الذماء
ويقال الكرام قولا وما في العص ... ر إلاالشخوص والاسماء
وأحاديث خبرتها غواة ... وافترتها للمكسب القدماء

وقال : يحمل على الطغاة والطغيان والفوضى السياسية في عصره :

يكفيك حزنا ذهاب الصالحين معاً ... ونحن بعدهم في الارض قطان
ان العراق وان الشام من زمن ... صفران ما بهما للملك سلطان
ساس الانام شياطين مسلطة ... في كل مصر من الوالين شيطان
من ليس يحفل خمص الناس كلهم ... ان بات يشرب خمراً وهو مبطان
تشابه النجر فالرومي منطقه ... كمنطق العرب والطائي مرطان
أما كلاب فأغنى من ثعالبهم ... كأن ارماحهم في الحرب أشطان
صلوا بحيث أردتم فالبلاد أذى ... كأنما كلها للإبل اعطان

وقال : يخاطب الدنيا الغرارة ويقوّم مصير الانسان :

يموج بحرك والاهواء غالبة ... لراكبيه فهل للسفن إرساء
إذا تعطفت يوماً كنت قاسية ... وان نظرت بعين فهي شوساء
إنس على الارض تدمي هامها إحن ... منها إذا دميت للوحش أنساء
فلا تغرنك شم من جبالهم ... وعزة في زمان الملك قعساء
نالوا قليلا من اللذات وارتحلوا ... برغمهم فاذا النعماء بأساء

وقال : وكأنه يرى الموت أثبت الحقائق على مافيه من سر غامض :

أما الصحاب فقد مروا وما عادوا ... وبيننا بلقاء الموت ميعاد
سر قديم وامر غير متضح ... فهل على كشفنا للحق إسعاد

سيران ضدان من روح ومن جسد هـذا هبوط وهذا فيـه إصعاد
أخـذ المنـايا سوانا وهي تاركة قبيلنـــــا عظة منهـا وايعاد
توقعوا السيل أوفى عارض وله في العين برق وفي الاسماع إرعاد

وبعدُ : أوليس في هذا الشعر أعمق وأدق ما يختلج به القلب البشري ؟ أفلا نرى فيه الشاعر الملهم وقد أبرز أفكاره وأحاسيسه في صيغ متينة متسقة من اللفظ الواضح المأنوس تدخل الآذان من غير استئذان لتحتل أعماق النفس ؟ ألم نخشع مع الشاعر لعظمة الله بديع السماوات والارض وقد أبرز الكون عبداً لله بمذكراته ومؤنثاته ؟ ألم يصور لنـا حياة عصره حتى لكأننا نراه ونعيش فيه ؟ ألم يبصرنا بالموت والحياة وقد أشهدنا النهاية سيلاً جارفاً وايعادها عارضاً تخطف الابصار بروقه وتصم الآذان رعوده ؟ ألا ان هذا لهو الشعر بأكمل معانيه وأجمل مبانيه .

أما قصائد (أبي العلاء) المشهورة كمرثيته الخـالدة (غير مجد في ملتي واعتقادي) وقصيدة (عللاني فان بيض الاماني) وأشباههما فقـد كاد يجمع أهل البصر في الشعر أنه ابتنى منها هيكل جمال فني ما زال يخشع له الخيال والفكر .

وأبو العلاء إذا لم يستطع أن يطالعنا بالمسرات والمباهج في (اللزوميات) لانها نظر حزين في نقص النواميس ورثاء حار للانسانية الضعيفة الفـانية ومعالجة جريئة لمجتمع مريض وحيرة متجهمة متهجمة فلقد طالعنا بما يروح عنا في رسالة الغفران وبرز أسلوبه القصصي التعليمي غنياً بالخيال والصور الفـكاهية محمولة على السخرية اللاذعة مما هو معروف مشهور ولا مجـال الآن لتحليله وتفصيله . والسخرية في اسلوب ابي العلاء مردها إلى النقد الضمني كأن يظاهر خرافة او صورة على المبالغة ليثير من حولها الضحك . والقهقهة التي يثيرها حول بعض الاساطير والعقائد تكون معول هدمها وآية نسخها .

ومما تفنن فيه اسلوباً وبياناً انطاقه الطير والحيوان بما ينفع الانسان

وبهج البيان . ألّف في هذا الباب — على ما نقل الرواة ومؤرخو الآداب العربية ولم يصل إلينا — (سجع الحمائم) يتكلم فيه على ألسنة حمائم أربع و (أدب المصفورين) و (الصاهل والشاحج) و (خطب الخيل) يتكلم على ألسنتها (والقائف) على مثال (كليلة ودمنة) بل هو كما يقول الكلاعي صاحب (احكام صنعة الكلام) أكثر ورقاً وأفسح طلقاً وأكثر شمماً وعبقاً . وله مما يعد من الاشكال الادبية الخاصة كتاب (المواعظ الست) في خطاب (رجل ، اثنين ، جماعة) ، (امرأة ، امرأتين ، نسوة) . ومما تحسن الاشارة إليه تفننه في اختيار العناوين الطريفة المبتكرة لآثاره ومؤلفاته الادبية سواء أفي الشعر أم النثر وهي نزعة الادب الحديث محمولة على الذوق الفني والدقة والاناقة .

ولقد تأثر أبو العلاء في أسلوبه إلى حد كبير بما حدد لنفسه من معنى الادب وغاية الشعر إذ كان المتقدمون يرون الشعر باباً من ابواب الباطل فاذا بالمعري يخرج به عن هذا فيبتنيه على القيم أي على الحق والخير والجمال بعد أن ظل الشعر أمداً طويلا مسخراً للعابثات وأهواء الرئاسات والمدائح والاهاجي والاغراض الخاصة المحدودة .

ومما صرح به في مقدمة (اللزوميات) أنه قد رفض الشعر بمفهومه السابق إلى أسلوب جديد هو أسلوب الصادقة معتذراً عما قد يبدو من ضعف فنه الشعري بسبب هذا المنحى فيقول : (من سلك في هذا الاسلوب فقد ضعف ما ينطق به من النظام لانه يتوخى الصادقة) إلى أن يقول : (ويروى عن الاصمعي كلام معناه أن الشعر باب من أبواب الباطل فاذا أريد به غير وجهه ضعف) .

بيد أن توخي الصادقة لم يكن باعث ضعف في شعر أبي العلاء بل قوة وهذا الاسلوب الجديد بفكرته وغايته هو الذي نفحه بالخلود وأبرز منه شاعر القيم بل المفرد العلَم الذي حمل الكون والانسان على أثلة اللسان ومنطوق البيان واختار للحكمة أفقاً شعرياً تشرف منه على العالم ،

وفي الحق أن أبا العلاء في اختياره مذهب الصادقة قد جعل من الشعر

تعبيراً تاماً عن نفسه . والفن تعبير كما يقال والشاعر كلما كان أصدق تعبيراً عن نفسه كان أبلغ شعراً وأعظم أمراً . نعم . قد يجاوز المعري أحياناً حدود الروح الشعري في استمداده المبنى من الصيغ الصعبة ولكنه ليظل في استمداده المعنى من ثورته الروحية الملهمة وشعوره الاصيل مثال الشاعر الجبار .

وإذا كان قد انفصل في اسلوبه الجديد عن مذهب (الفن للفن) وهو في أصله مذهب أرسطو ثم الأصمعي إلى مذهب (الفن للفائدة) وهو في أصله مذهب أفلاطون معتبراً غاية الشعر التهذيب والحقيقة والمثل الاخلاقية العليا مجاوزاً في هذا ما أخذ به الأصمعي من الفصل بين الاخلاق والشعر فأنه في الواقع لم يأخذ بهذا السمت إلا لأن الانسانية في نظره قد تستطيع أن تستغني عن باطل الفن ولكنها لا تستطيع أن تستغني عن الاخلاق .

ونحن إذا أخذنا برأي من يذهب إلى أن (الادب نقد الحياة) ولاحظنا القوة الناقدة الزاخرة بالحيوية الذهنية والمعارف الشاملة والحس المرهف في أسلوب أبي العلاء أمكننا أن نضعه في الذروة بين عباقرة الادب وأن نحمل تفوقه الادبي على مواهبه الممتازة وثقافته الواسعة وفهمه الحياة والعالم فهماً عميقاً شاملاً أمدّ أبداً قوته المبدعة بالأضواء والظلال والجمال والجلال .

ولعلنا نختلف أحياناً مع أبي العلاء في آرائه ومقاييسه وفي تفسيره الحياة والكون والمعاني الآلهية ولكن الذي يستهوينا منه أبداً هي حرية فكره وطهارة نفسه وأن يصدر في كل ما يكتب أو يقول عن إيمان صادق وغيرة عامة وفكر رصين وشعور عميق . وفي الحق إذا كان أسلوب الكاتب أو الشاعر شديد التأثر بمزاجه وخصائصه النفسية والفكرية فأن أسلوب أبي العلاء ليس بمطبوع على هذا فحسب بل هو ذات أبي العلاء يطالعنا بصرامته ورقته وغموضه ووضوحه وقلقه واطمئنانه وبما يواكب عواصف نفسه وآهاته وواهاته من تشاؤم مكفهر ونظر حائر وتناقض أحياناً .

لا جرم أن المفاجئات الروحية في حنادس الكون والحياة ومعارج (اللانهاية) لابد وأن تهز الانسان هزاً وأن تجاوب في نفسه أمواجها ومفارقاتها .

رفع المسيهما

وأنى لأبي العلاء وقد أعجزه سر الغيوب ووقف في ليل عاصف يتشوف على خضم المجهول أن لا تطالعه الحيرة أو التناقض كلما أمعن في السرى ولما يطلع الفجر:

أما اليقين فلا يقين وإنما أقصى اجتهادي أن أظن وأحدسا
سألتموني فأعيتني إجابتكم من ادعا أنه دار فقد كذبا
وبصير الاقوام مثلي أعمى فهلموا في حندس نتصادم

بيد أن أبا العلاء قد أفاد من الحيرة على خضم المجهول أن ازداد ايماناً بعظمة الله وصغر شأن الانسان ووجوب النظر الحر وانتهى إلى تنزيه الخالق مع التسليم لملكوته والثقة المطلقة بعدله ورحمته لان الانسان على حد تعبيره أقل في ملك الله من أن يناله غضبه أو رضاه .

قال في (لزوم ما لا يلزم) :

ليفعل الدهر ما يهم به إن ظنوني بخالقي حسنه
لا تيأس النفس من تفضله ولو أقامت في النار ألف سنه

وقال : وما أنا يائس من فضل ربي على ما كان من عمد وسهو

وقال في (الفصول والغايات) :

كن حراً وانزل حيث شئت ولو بحرة النار فان رعاية الله شاملة للأحرار .

ولقد تأثر أسلوبه بنظره هذا واغتنى بالصيغ المبتكرة والتعابير الجميلة الرصينة في مناجاة الله وتحميده وتسبيحه وتمجيده . بيد أنه من جهة أخرى قد ظل مأخوذاً بفلسفة التشاؤم لدوام ريبه في العلة الغائية وهو ما يبرح يرى اللحد يصير لحداً مراراً وقد أضحكه تزاحم الأضداد.

وفي الحق ان التشاؤم وهو طابع الريب والألم محمولاً على المزاج لذو أثر بليغ في أسلوب أبي العلاء بل هو (علامته الفارقة) لما حمله في (اللزوميات) و (الفصول والغايات) من أفكار وألوان قاتمة حتى أسرف بعض النقاد فاعتبره في لون أسلوبه هذا (سلبياً هداماً) واقتصد آخرون فزعموه إيجابياً بقدر معلوم واني لأميل الى الأخذ بالرأي الثاني بل الى القول بأن التشاؤم في ذاته

ليس هدماً للحياة بل هو لون من ألوانها ولحن من ألحانها بل ميزان من موازينها ومعرض للكثير من صورها ورسومها . نعم . وأي ضير في أن يطالعنا ابو العلاء بالألوان القاتمة من الحياة البشرية محمولاً على مزاجه وحيرته وعوامل بيئته وخصائصه النفسية والفكرية .

أوليست الحياة دمعاً وابتساماً وعرفاً ونكراً وخيراً وشراً وقبحاً وجمالاً .

أوليست غاية الفن ان نرسم الطمر كما نرسم البرد . بل ان الجمال الانساني لا يقوم بغير المفارقات بل من منا لم يشعر في بعض أيامه بحزن مجهول قد اكتنف روحه وقلبه وحملها اليأس والجزع .

ولقد تأثرت آداب الأمم جميعاً بهذه الظاهرة الروحية وانتهى التشاؤم بالطرب اليوناني الى فلسفة اغتنام وهي الفلسفة العابثة التي عب فيها شعراء شرقيون عديدون أيضاً وفي مقدمتهم الشاعر الفارسي المشهور (عمر الخيام) .

لاجرم ان المعري قد أحب الحياة والانسانية حباً جماً فخرج يطوف الآفاق وبوده لو أن يطول السهى براحتيه حتى اذا اكتوى بنار التجربة وزاده فقد أمه مدبرة أمره وهو المستطيع بغيره حزناً وألماً انقلب الى ذويه متوحداً متقللاً لا فراراً من المجتمع لذاته بل عزوفاً عن مخزياته وانزوى في مدرسته المتواضعة في (معرة النعمان) منقطعاً الى التأليف والتعليم ورياضة النفس والجسد مؤمناً بعد أن حلب الدهر أشطره ان النفس البشرية المجبولة على غير الخير لا تحصل عليه الا بما استن لنفسه وبما توجه اليه من فلسفة صارمة :

فأكره على الخير مجبولة على غيره في علان وسر
فلم يجعل التبر حلي الفتاة حتى أهين وحتى كسر

أجل . في هذه الفلسفة الصارمة الحازمة وجد أخيراً أبو العلاء اطمئنان نفسه وراحة ضميره ومستقر طموحه وكأني به وقد ابتدأ ايجابياً جد ايجابي يرتد به الطموح الى (السلبية — الايجابية) لا توكيداً بكينونته فحسب بل ليعبر عنها ايضاً باسلوب جديد يطالع العالم بألمع آثاره وأروع أشعاره .

وفي الحق اذا كان الأدب العالمي مديناً الى كرمة الخيام المتوددة المغردة

تنفحه بالرباعيات فهو مدين الى مدرسة المعري المتوحدة المتهجدة تنفحه باللزوميات والفصول والغايات وغيرها من الآيات البينات .

ولقد أفاد أسلوب أبي العلاء من مدرسته الجديدة ونزعتها الفلسفية الصارمة فكانت هي هو بكل ما اليها من ألوان وأجواء وظلال وأضواء .

* * *

وبعدُ . فليس المعري في تشاؤمه (السلبي — الايجابي) الا علماً من أعلام النقد نقد الحياة وهدم الطغاة بأبلغ ما تستوعب الصيغ وهو بأسلوبه الحائر او الساخر أو الثائر المنبثق عن ثورة وجدانه محمولاً على بيانه ليهز الضمير الانساني هزا . ولا غرو بعد ذلك ان يتأثر بأسلوبه أدب المشرق والمغرب . فقد أصبح معلوماً لدى الباحثين في الأدب المقارن ان الشاعر الفارسي (عمر الخيام) الذي أبهج التشاؤم بالاغتنام والحب والمدام قد أفاد في رباعياته من أسلوب المعري واقتبس كثيراً من معانيه الشعرية الفلسفية على ما بين الشاعرين من فارق في الوسيلة هذا الى مدام وذاك الى صيام .

ومثل هذا يصح أن يقال عن تأثر (دانتي) الشاعر اللاتيني في (جحيمه) بأسلوب رسالة الغفران أيضاً مما اجتزيءُ بالاشارة اليه .

ويبدو أن عرب الأندلس خاصة كانوا من المهتمين بأسلوب المعري وفي النسج على منواله كما يستدل من معارضاتهم لملقى السبيل . ولغيرها من آثار أبي العلاء فقد عارض هذه الرسالة ممن علمنا الحافظ الربيع الكلاعي الأندلسي المتوفى سنة ٦٣٤ هـ والكاتب الشهير (أبو عبد الله) محمد بن ابي الخصال وزير يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين .

ولا حاجة بعد ذلك الى التنويه بما كان لعرب المشرق من اهتمام أوفى بآثار المعري وآرائه فقد سارت بحديث ذلك الركبان وعلمه الناس من قاص ودان .

***

إلى هنا . وأنهي حديثي عن أسلوب شاعرنا وناثرنا العظيم لأعرض على

حضراتكم صورة تذكارية ناطقة من صور شيخوخته الفانية وقد وقف كالشمس الغاربة ملوحاً للماضي البعيد من شاطئ النهاية محمولاً على هذه الأبيات :

سقياً لأيام الشبـاب وما حسرت مطيَّتميا
أيام آمل أن أمسَّ الفرقدين براحتيـا
وأفيض إحساني على جاريَّ ثم وجارتيـا
فالآن تعجز همـتي عمـا ينـال بخطوتيا
أوصى ابنتيه لبيد الماضي ولا أوصـي ابنتيـا
لست المفاخر في الرجال بعمـــتيَّ وخالتيـا
لكن أقر بأنـني ضرع أمارس دارتيـا
والله يرحـمني إذا أودعت أضيق ساحتيـا
لا تجعلن حالي إذا غيبت أبأس حالتيـا

محمد الشريقي

رفع المسهم

الروح العلائية

وأثرها في أدبنا الحديث

كان الشعر القديم عموماً يدور حول نفس الشاعر أو من يتصل بهم من عظماء الناس ، إليهم يتزلّف ، وبوقائعهم يهتم ، ولاتمام رغائبهم يسرع . أما الشعب ورغائبه والمجتمع وحاجاته والحياة ومشكلاتها والطبيعة ومعانيها فقلما كانت تهمه أو تسترعي انتباهه . وان كان شيء من ذلك فعرضاً في مقدمات قصائده أو خطرة خاطفة في بعض خواطره — وبعبارة أخرى كان الشاعر موضوع شعره ، فالمديح أو الرثاء لمن يستعظمه أو يستوهبه ، والغزل او العتاب لمن يحبه أو يلازمه ، والفخر بنفسه أو بعشيرته . وقد نسج أكثر الشعراء على هذ المنوال لم يشذ عنهم في ذلك غير النادر ومن هذا النادر شاعر المعرة . بل هو عند التحقيق نسيج وحده بين القدماء وسابق لأوانه دون سائر الشعراء .

انفرد هذا الحكيم في عهده بمزية النظر الحرّ إلى الكون والمجتمع البشري فلم يكن قبله من حمل حملته على الفساد العام والمعتقدات الشائعة . وقد مرّت قرون قبل أن بعثت روحه ثانية تحرّك في أدبنا الحديث روح التأمل العميق والنطر الواسع . هذا البعث هو الذي نحاول أن ندرسه في حياتنا الأدبية لنبين ولو بايجاز كلي مدى أثره فيها .

كانت حياتنا الروحية حتى أواخر القرن الماضي لا تزال جارية على سنة القرون الوسطى ، وطفيفاً جداً كان تأثرنا بالنضال المحتدم يومئذٍ في أوربة بين آراء الطبيعيين وتعاليم الإلهيين ، فظلت رهبة الدين مستولية على المجتمع العربي . وظلّ الايمان بالله وبالآخرة راسخاً في نفوسهم . الله أكبر بيده نواميس الكون واليه مصير الانسان ، وما السماء والجحيم والخلود والتنزيل والنبوءة إلا بديهيات لا تقبل مناقشة ولا تحتاج إلى برهان . وإلى ذلك يرجع

كل أدبٍ روحي في الأقطار العربية قبل الانقلاب الفكري الذي عم الغرب لبروز نظرية التطور الطبيعي واهتمام العلماء والفلاسفة بها .

فلما انتشر كتاب دارون في أصول الأنواع وأخذ أرباب العلم والنظر يبحثون في نظرياته بين مناقش ومدافع لم يستطع العالم العربي أن يبقى بنجوة من هذه الموجة الفكرية العامة ، فنشأ فيه كما نشأ في الغرب قبله فئة من مريدي التحقيق العلمي كان لها أثر كبير في إثارة الشكوك وتنشيط البحث الحر ورفض مالايجاري السنن الطبيعية مما أدى إلى كثير من الجدل والمناطرة (١).

وكان لذلك نتيجتان ، الأولى تطرّف البعض في رفض النصوص الدينية المخالفة للعلم — وهو مذهب الدكتور شبلي شميّل ومدرسته — والثانية الأخذ بتأويل تلك النصوص للجمع بين العلم والايمان وهو مذهب كثيرين ومنهم جمال الدين الأفغاني(٢) والشيخ محمد عبده(٣) وقد توسع في ذلك محمد فريد وجدي حتى جعل التأويل قاعدة الأصول الاسلامية وأوجب تأويل نص الكتاب إن أوهم ظاهر ألفاظه مخالفة للعقل والعلم (راجع مقالة الاسلام والعلم الحديث في عدد الهلال الممتاز « العرب والاسلام في العصر الحديث » سنة ١٩٣٩) .

وقد ظل هذا النزاع بين الطبيعيين والالهيين محتدماً حتى مطلع القرن العشرين ، ولعله لا يزال في بعض الأنحاء إلى الآن . على أن النزعة الفكرية في أدب هذا القرن ، هي نزعة التجديد ، تجديد المعتقدات وتحريرها من قيود التقاليد والخرافات . فالأدب القديم المحافظ يتراجع اليوم أمام أدب ينادي بالحرية الفكرية والتساهل الديني لا من طريق الالحاد كما قد يتبادر إلى ذهن البعض « فلا شيء — كما يقول الدكتور صرّوف — افسد من هذا الوهم ولا أقبح منه تهمة على العلم لأن العلم والكفر مستقلان كل الاستقلال ، فكم عالم من أشد الناس تديناً وكم كافر يجهل مباديء العلم (٤) » .

(١) من رام الاطلاع على ما كان يدور من خصومة في هذا الباب فليراجع المقتطف مج ٨ ص ٧١٢ — ٧١٩

(٢) راجع خاطرات الأفغاني للمخزومي ١٦١ و ١٨٥

(٣) راجع مقال الدين والفلسفة ، المقتطف مج ١٠٥ (٤) المقتطف ٧ — ٥٦٥

هذا الأدب الجديد أدبٌ فكري ومن مزاياه الشك في كل ما يناقض العلم أو يغل العقل عن التقدم . ولا أقول إنه صدى لشعر المعري ولكني أقول إنه يستقي من نفس المنبع ، منبع التفكير الحر المنبثق من اصطدام النظريات العلمية بالتقاليد الدينية والاجتماعية . فكيف تسنى لشاعر اللزوميات في القرن الخامس الهجري ما يتسنى لمفكري القرن العشرين ؟ وهل كان في بيئته ما يدفعه إلى ورود هذا المنبع الفكري ؟ سؤال لا بد في الاجابة عنه من الرجوع إلى عهد الشاعر وإلقاء نظرة على أثره في نفسه .

« بيئة المعري الفكرية » : عاش شاعرنا مابين منتصف القرن الرابع ومنتصف القرن الخامس للهجرة — أي في إبان الحضارة الفكرية العربية . في ذلك العصر كان قد تم نقل العلوم اليونانية وسواها إلى العربية ونبغ في الشرق العربي كثيرون من العلماء والمفكرين . فكانت بغداد وعدد من المدن الشرقية الاخرى مراكز علمية احتكت فيها « الروحانية » السامية التي حملت إلى الناس الايمان بالتوحيد والمعاد بالعقلية اليونانية التي حملت اليهم البحث المنطقي والنظريات الفلسفية . وكان من جراء هذا الاحتكاك تعدّد المنازع الفكرية والكلامية مما أحدث في العقول ميلاً الى النظر النقدي . فتسرب الشك الى عقول الكثيرين واستولى على البعض منهم روح الانكار أو اللاأدرية ، فرفضوا ما لم تقبله عقولهم من تعاليم وسنن . ومن هؤلاء المعري فقد نشأ في هذا الجو الفكري المضطرب توّاقاً الى المعرفة وبلوغ الحقائق المشبعة للعقل ، وفي نفسه الحساسة كان اصطدام التقاليد بالتفكير الحرّ اصطداماً عنيفاً . حقاً لا نعرف بالضبط متى كان ابتداؤه ولكننا نعلم أن أثره لم يبرز الا بعد رجوعه من بغداد وحبسه نفسه على العلم في المعرّة . وفي كلامه على نفسه في كتابه الفصول والغايات [1] ما يدل على نزعته منذ الثلاثين إلى التأمل العقلي يقول مخاطباً النفس : « قد أخلقتِ الجسد فما تريدين ، اظعني عنه لا يحمدك في الحامدين . ما زلت آمل الخير وأرقبه حتى نضوت كملاً ثلاثين . . . فلما تقضت الثلاثون وأنا كواضع مرجله على نار الحباحب علمت أن الخير مني غير قريب . الرجل كل الرجل من آتى الزكاة ورحم المسكين ،

(١) ص ٢٧٩

وتبرّع بما لا يجب عليه وكره الحنث وكفر عن اليمين » . ومن قرأ هذا الفصل كله كما ورد في الكتاب يستشف ما استشفه الدكتور طه حسين من نزعة المعري إلى التأمل في النفس وتبعتها وفي الشر وأنه غريزة في الحيوان وفي طلبه التزهد والتعالي عن سفاسف الحياة (١) .

وقد نرى نزعة التأمل العقلي قبل ذلك فيه في رثائه لوالده وهو في شبابه ، إذ يقول عن مصير الأموات :

طلبت يقيناً يا جهينة عنهم ولن تخبريني يا جهين سوى الظن
فان تعهديني لا أزال مسائلاً فاني لم أعط الصحيح فأستغني

ولكن نفسيته على ما يظهر لم تنضج إلا دور العزلة — دور اللزوميات ، وفيه يظهر طابعه الروحي الخاص .

« طابعه الروحي »: ليست اللزوميات عند التحقيق الا انعكاساً لحالاته النفسية الناشئة عن بيئته الفكرية والاجتماعية . ويظهر فيها مطبوعاً بطابع خاص يميزه عن سائر الشعراء والكتاب وهو يتألف من ثلاثة عناصر رئيسية هي : الحيرة والتشاؤم والاخلاص .

١ — الحيرة : وهي وليدة التفكير في ما لا يحده العقل المحدود . أهناك حياة ثانية أم لا حياة ؟ هل الله كما تصوّره النصوص الدينية أو هو شيء آخر ؟ أيتفق العقل والايمان أم لا يتفقان ؟ . مثل هذه الأسئلة كانت تضطرب في نفس المعري وكان لديها كالقارب تتقاذفه اللجج . فبينا تراه يقينياً يهاجم الجاحدين والمعطلين في مثل قوله :

إذا كنت من فرط السفاه معطلاً فيا جاحد اشهد أنني غير جاحد

وقوله :

وقال أناس ما لأمر حقيقة فهل أثبتوا أن لا شقاء ولا نعمى
فنحن وهم في مزعم وتشاجر ويعلم رب الناس أكذبنا زعما

وقوله :

لا ريب أن الله حق فلتعد باللوم أنفسكم على مرتابها

(١) مع أبي العلاء في سجنه ص ٢١٥ — ٢٢٣

تراه يتابع اللا أدريين فيقف من الغيبيات موقف المشكك بل موقف المناقض نفسه إذ يقول :

دفناهم في الأرض دفن تيقن ولا علم بالأرواح غير ظنون
وروم الفتى ما قد طوى الله علمه يعد جنوناً أو شبيه جنون

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحق لسكان البرية أن يبكوا
يحطمنا صرف الزمان كأننا زجاج ولكن لا يعاد له سبك

خذ المرآة واستخبر نجوماً تمر بمطعم الأري المشور
تدل على الحمام بلا ارتياب ولكن لا تدل على النشور

والآراء في تفسير حيرة الشاعر وتناقضه مختلفة . ومهما تكن فمما لا شك فيه أنه لم يصل إلى درجة الالحاد فهو يقول بإله حكيم متعال عن البشر . ولكن صورة الله في نفسه ليست الصورة ذاتها التي يتخيلها المؤمن العادي . ولعلنا من دراسة أقواله ومقابلتها نخلص إلى الحكم بأن نظره إلى العالم الثاني لم يكن إلا نظر لا أدري متأثر بالاسلام أو مسلم متأثر باللاأدرية .

٢ — تشاؤمه : وهو ظاهر في اكثر شعره — كقوله في الإنسان والطبيعة البشرية

قد فاضت الدنيا بأدناسها على برایاها وأجناسها
وكل حي فوقها ظالم وما بها أظلم من ناسها

وقوله :

قالوا فلان جيد لصديقه لايكذبوا مافي البرية جيد
فأميرهم نال الإمارة بالخنا وتقيهم بصلاته متصيد
وجبلة الناس الفساد وضل من يسمو بحكمته إلى تهذيبها

ولو تابعناه في آرائه ووقفنا عند ظاهر أقواله لقلنا حتما بالجبرية المطلقة ولما رأينا من حاجة إلى معاهد تربوية أو علمية ولا إلى شرائع دينية . فباطلة كل وسائل الثقافة أو الاصلاح . أليس الانسان ولد فاسداً وسيبقى كذلك إلى أن يزول ؟ ولكن هل كان المعري جبرياً وإلى أي حد ؟ وللجواب عن هذا السؤال يجب هنا أن نفرق بين الجبرية الفلسفية والجبرية الشعرية .

فالاولى تفكير منظم ينتهي فعلاً إلى القول بأن الانسان غير مكلف وأنه لا سبيل إلى خروجه عما رسم له منذ الازل ، وهي فكرة تهدم كل ما يحاوله الانسان من ترقية نفسه كفرد أو كمجموع ، وتجعل الشرائع الدينية والاجتماعية قيوداً لا معنى لها في الحياة . أما الجبرية الشعرية فهي شعور فقط بضعف الانسان إزاء المجهول . فبينا ترى الشاعر من جهة يقول بالقدر ويصف فعله وأثره في الناس . كقوله :

وللحيّ رزق ما أتاه بسعيه وعقل ولكن ليس ينفعه العقل

قضى الله فينا بالذي هو كائن فتم وضاعت حكمة الحكماء

كتب الشقاء على الفتى في عيشه وليبلغن قضاءه المكتوبا

ما حركت قدم ولا بسطت يد إلا لها سبب من المقدار

قضاء بوافي من جميع جهاته كما هو عن أيماننا والاياسر

ولو لم يرد جور البزاة على القطا مكونها ما صاغها بمناسر

وهل ألوم غبياً في غباوته وبالقضاء أتته قلة الفطن

وما دفعت حكماء الرجال حتفاً بحكمة بقراطها

ولكن يجي قضاء يريك أخا غيّها مثل سقراطها

تراه من جهة أخرى يدعو الناس إلى مثل عليا ينشدونها ويحضهم على فضائل يعيشون بموجبها . وهو في هذه الدعوة جادّ فيما يقول ، ويحملنا ضمناً على الاعتقاد بأنه مؤمن بقدرة الانسان على الخير . وإلا فما معنى طلبه الاصلاح الديني والاجتماعي وما معنى نقده حياة الافراد والجماعات ، ولماذا يدعونا إلى اتباع العقل والبعد عن الكذب والرياء والتنويه والادعاء حاضاً على العمل الصالح وضبط النفس عن الشهوات وغير ذلك من الفضائل . إن المعري جبري إذ يرى ضعف الانسان أمام الكون وحوادث الايام أمام نظام الحياة والموت . ولكنه غير جبري في الدعوة إلى البر والتقوى والحض على الحياة الفاضلة .

رفع المسيهما

نعم إنه على ما يظهر يائس من تهذيب الطبع البشري :

فلا تأمل من الدنيا صلاحاً فذاك هو الذي لا يستطاع

ولكن يأسه لا يمنعه عن تبيان ما يجب عليهم أن يفعلوه لينالوا التهذيب الحقيقي . فكأنه يترك للانسان شيئاً من الحرية ، ولهذا تسمعه يعارض الجبرية بقوله : إن كان من فعل الكبائر مجبراً فعقابه ظلم على ما يفعل

٣ ــ الاخلاص : وهو من أبرز صفاته . فهو مخلص إلى العقل الهادي الوحيد في الحياة :

كذب الظن لا إمام سوى العقل مشيراً في صبحه والمساء

جاءت أحاديث إن صحت فان لها شأناً ولكنّ فيها ضعف اسناد

فشاور العقل واترك غيره هدراً فالعقل خير مشير ضمه النادي

ولا يعني ذلك أن المعري كان معتزلياً في آرائه ونظرياته إذ كان يهاجم بنقده جميع الفرق ، ولكنه كان كالمعتزلة في تعظيمه شأن العقل . ويظهر إخلاصه أيضاً في نظره إلى الدين . وهو عنده على وجهين . الاول : وضعي أي نظام بشري قائم على مراسيم وفرائض ، وهذا باب للاختلاف بين الناس ولنشوء التحزب والتنافر بينهم بل التباغض وسفك الدماء ، وفي ذلك يقول :

إن الشرائع ألقت بيننا إحناً وأودعتنا أفانين العداوات

والثاني : روحي عملي وهو رياضة النفس على عمل الخير والتمسك بأهداب الفضيلة والتعالي عن الاطماع الضارة والشهوات الفاسدة :

وقد يكون في الوجه الوضعي من الدين فائدة لمن فهم حقيقته وعرف كيف يستخدمه لتقوية الروح الدينية الحقيقية في النفس . ولكن المعري قلما يرى ذلك فهو صريح في مهاجمته النظم الخارجية زاعماً أن أربابها إنما يحرصون عليها لما يرجونه من فائدة مادية :

إنما هذه المذاهب أسبا ب لجذب الدنيا إلى الرؤساء

أفيقوا أفيقوا يا غواة فانما دياناتكم مكر من القدماء

أرادوا بها جمع الحطام فأدركوا وبلدوا وماتت سنة اللؤماء

هكذا ينظر إلى النظم الدينية . بل كثيراً ما نراه يسرف في تهجمه على رؤساء الدين وينعتهم عموماً بما قد يصدق فقط على بعض الافراد ، فيقول مثلاً :

رويدك قد غررت وأنت حر بصاحب حيلة يعظ النساءَ
يحرّم فيكم الصهباء صبحاً ويشربها على عمد مساءَ
يقول لكم غدوت بلا كساءٍ وفي لذاتها رهن الكساءَ
إذا فعل الفتى ما عنه ينهى فمن جهتين لا جهة أساءَ

ومن إسرافه في ذلك قوله :

كم قائم بعظاته متفقه في الدين يوجد حين يكشف عاهرا

ومع تفضيله الاسلام على سواه يدمج أهله مع أهل سائر المذاهب والفرق فيقول :

وكلنا قوم سوء لا أخص به بعض الانام ولكن أجمع الفرقا
دين وكفر وأنباء تقص وفر قان ينصّ وتوراة وإنجيل
في كل جيل أباطيل يدان بها فهل تفرّد يوماً بالهدى جيل

هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدت ويهود حارت والمجوس مضلّله
اثنان أهل الارض ذو عقل بلا دين وآخر دينّ لا عقل له

وأقواله في ذلك أكثر من أن يحصرها هذا المقام . ومهما يكن من إسرافه وتعميمه فهو لا شك حرب على الرياء في الدين والانصراف إلى الاوضاع الخارجية . وإنما الامر عند الجوهر لا العرض — الروح لا المسوح — فلا عجب أن نراه يخاطب الدين الذي لا يأمن الناس بوائقه بقوله :

توهمت يا مغرور أنك ديّن عليّ يمين الله ما لك دين
تسير إلى البيت الحرام تنسكا ويشكوك جار بائس وخدين

والذي يستسلم إلى أطماعه وشهواته :

سبّح وصلّ وطف بمكة زائراً سبعين لا سبعاً فلست بناسك
جهل الديانة من إذا عرضت له اطماعه لم يلف بالمتماسك

رفع المسهم

فالدين الحقيقي عنده هو الانصاف وإعطاء كل ذي حق حقه :

الدين انصافك الاقوام كلّهم وأيُّ دين لآبي الحق إن وجبا

وكما أن إخلاصه للحقيقة يدفعه إلى تلمس الدين في قلب الانسان وتصرفاته لا في فروضه ووسائل عباداته ، كذلك هو يدفعه إلى التصريح برأيه في موقف الحكومة من الشعب . فالحكومة عنده إنما هي خادمة للشعب مستأجرة بماله لاجل مصالحه ، لا سيدة مستبدة به تسومه العذاب وتتمتع بما يجنيه من مال . فيؤلمه أن يرى الحكام في أيامه :

يسوسون الامور بغير عقل فيُنفذ أمرهم ويقال ساسه

فأفَّ من الحياة وأفَّ مني ومن زمن رئاسته خساسه

ويصورهم بأقبح الصور فيقول :

ساس الانام شياطين مسلطةٌ في كل مصر من الوالين شيطان

وقد يحمل المعري إخلاصه أيضاً إلى مهاجمة العلماء ذاهباً إلى أن علمهم ليس بشيء بل هو الجهل :

وما العلماء والجهال إلا قريب حين تنظر من قريب

ولا يستثني نفسه بل يصرح بكل تواضع أنه جاهل :

الله يشهد أني جاهلٌ ورعٌ فليحضر القوم إقراري وإشهادي

أعمى البصيرة لا يهديه ناظره إذ كل أعمى لديه من عصا هادي

أقررت بالجهل وأدعى فهمي قومٌ فأمري وأمرهم عجب

والحق أني وأنهم هذر لست نجيباً ولا هُم نجب

علمي بأني جاهل متمكن عندي وإن ضيّعت حق العالم

لقد علم الله رب الكمال بقلة عقلي وديني ومالي

دعيت أبا العلاء وذاك مينٌ ولكنَّ الصحيح أبو النزول

ومن ظواهر صراحته ذهابه إلى أن الكون سائر على نظام أزلي ثابت ؛ فاذا حبس المطر أو فاض فان الصلاة إلى الله مثلا لا تحمله على تغيير طبيعة الجو :

رفع المسهم

قضى الله في وقت مضى أن عامكم يقلّ حياه أو يزيد به السّجم
فقولكم رب اسقنا غير مُمطر ولكن بهذا دانت العرب والعجم

ومهما يحاول الانسان أن يغالب هذا النظام المحتوم فانه لا يرجع إلا بالخيبة ولا يلاقي غير العناء :

والطبع أحكمه المليك فلن ترى حجراً يقول ولا هزبراً يبغم
وإذا غدوت على القضاء مغالباً فأذاك تستمري وأنفك ترغم

وإذا كان الامر كذلك فعبث تعلقنا بالخوارق واتكالنا على التدجيل والتنجيم والسحر وما إلى ذلك من ضروب الاباطيل ، ومن العبث أن نقول إن بركات الطبيعة متعلقة بأعمال الانسان :

لم يسقكم ربكم عن حسن فعلكمُ ولا حماكم غماماً سوء أفعال
وإنما هي أقدارٌ مرتبةٌ ما علقت باساءات وإجمال

فالمعري مخلص للحقيقة ينفر من الرياء والاستبداد والادعاء ويطلب الصراحة والابتعاد عن الغرور ونبذ كل مالا يوافق العقل ، فلا بدع أن نرى الكثيرين في عهده وبعد عهده بعيدين عن إدراك كنه نفسه يرمونه بالكفر أو يتقوّلون عليه مايمليه عليهم الجهل وسوء الظن .

كان المعري في القرن الخامس الهجري يعيش في جوّ قرننا الحاضر بل نستطيع أن نعده من حكماء هذا القرن ومن روّاد التفكير الروحي الحديث . ومن يقرأ أدبنا التأملي اليوم ولا يراه مشبعاً بالروح العلائية — روح الحيرة والتشاؤم والاخلاص للحقيقة — تلك الروح التي تفيض من قلب الشاعر متأثرة بمساوىء الحياة . كان الشعراء قبله وهم مبصرون لايرون في الحياة إلا أنفسهم ولا يرون في الأدب إلا مايوصلهم إلى اغراضهم ، لكن المعري وهو الاعمى قد ألقى على الحياة نظرة أوسع من نظراتهم وتطلع إلى آفاق أبعد من آفاقهم ، فانعكست نظراته عن بيئة قاتمة كأنما هي أشعة تنفذ الينا من وراء زجاجة سوداء ، وهي نفس الروح أو النظرات التي نراها في أدبنا الحديث . ولا أعني أن هذا صدى أو تقليدلشعر المعري بل أعيد القول أن شاعر المعرة وشاعر القرن العشرين يستقيان من نبع واحد .

والغريب أننا لا نرى في هذه القرون العشرة التي تفصلنا عن أبي العلاء

عهداً شملته هذه النزعة الفكرية التي نراها اليوم . ولماذا ؟ لأن هذه القرون شهدت انحطاط الحركة العلمية الحرّة وسيطرة التقاليد القديمة ، فاتجه العقل فيها نحو الجمع الأدبي والتصنيف الديني والتفسير اللغوي والبياني وغرق في تيار الرجعية فلم تتهيأ له بيئة تساعده على النظر الحر كما تهيأت له في الآونة الأخيرة ، وإذا قلت الآونة الأخيرة ، فاني أعني ما أقول ، إذ هي لا تتجاوز الثلاثين أو الأربعين سنة الماضية ، بل لعلها لا تتجاوز المدى القائم بين الحرب العالمية الأولى وهذه الحرب . ففي هذه الفترة نرى الشعر العربي يخرج عما كان عليه في أواخر القرن التاسع عشر ، يخرج عن الموضوعات القديمة التي عرفت في كل الاجيال إلى آفاق جديدة يطل منها على المدنية الحاضرة ويرى ما فيها من قبح أو جمال .

« ظواهر الاتفاق والاختلاف بين أدب المعري وأدب القرن العشرين » : إن أدبنا الفكري إزاء الروح العلائية بين عاملي جذب ودفع . الاول يقوده إلى نفس المنهل الذي نهل منه المعري والثاني يدفعه عنه إلى منهل آخر . فلو راجعنا الشعر العربي الحديث لوجدنا فيه ما نجده في اللزوميات من نظر إلى الحياة وما وراء الحياة . خذ مثلاً هذين البيتين :

خبرت دنياي وأبناءها مذ نشأتي خبرة مستقريء
فلم أشاهد غير ما حالة أرتني السوء بكل امريء

هذا صوت يرتفع من العراق على لسان الدجيلي وهو شبيه في تشاؤمه بصوت الرصافي إذ يقول ضارباً على هذا الوتر :

أرى الخير في الاحياء ومض سحابة بدا خلباً والشر ضربة لازم
إذا ما رأينا واحداً قام بانياً هناك رأينا خلفه ألف هادم
وما جاء فيهم عادل يستميلهم إلى الخير إلا صده ألف ظالم
جهلت كجهل الناس حكمة خالق على الخلق طرّا بالتعاسة حاكم

ألا يعكس لنا هذا الكلام روح أبي العلاء المتبرمة بالانام ؟ وأمثال هذه الابيات كثيرة في هذا العصر . وكما لام المعري والده على الاتيان به

إلى هذا العالم المملوء بالشقاء هكذا يفعل الشاعر المصري محمود أبو الوفا إذ يصيح بمرارة اليائس :

أبي ! وفي النار مثوى كل والدةٍ ووالدٍ أنجبا للبؤس أمثالي
خلفتني فوضعت الحبل في عنقي يشده لف دهر جد ختال
ما كان ضرك لو من غير صاحبة قضيت عمرك شأن الزاهد السالي

وهو ذا العقاد وهو الاديب القائل بوجوب الانضواء إلى كنف الثقافة الحديثة ، والمعنى في كتاباته باصلاح المجتمع . تجيئه أحياناً ساعات يقع فيها تحت تأثير أبي العلاء فيقول :

لقد كنت أرجو في الحياة لبانة فعدت وما لي في الحياة رجاء
وكنت إخال الناس إلا أقلهم كراماً إذا هم كلهم لؤماء

وهذا شاعر مصري آخر ، هو أحمد رامي ، وهو من ناظمي الاغاني المرحة تحل به أحياناً الروح العلائية فيصيح متظلماً من الحياه وأبنائها :

كثر اللؤم في بني الانسان وقسا قلبهم من الاضغان

وبعد أن يعدد مساوئ الحياة من غدر وظلم وقسوة وسلب يدعو الطبيعة إلى البكاء على الانسان وعلى طريقة المعري يصرّح أن لا خير إلا في إمحاء هذه الدنيا من صفحة الاكوان :

إن دنيا تضج باللؤم أولى بامحاء من صفحة الاكوان

وإنك لتحس بهذه الروح المتبرمة في كل الاقطار العربية حتى في المهاجر الاميركية ولعلها بين اللبنانيين والسوريين هناك أشد لاصطدام خياليتهم الشرقية بالمادية الغربية .

فجبران مثلاً لا يرى بين الناس ما نسميه خيراً أو عدلاً أو دينا . وفي مواكبه يصرح قائلا :

الخير في الناس مصنوع إذا جبروا والشر في الناس لا يفنى وإن قبروا
والعدل في الارض يبكي الجن لو سمعوا به ويستضحك الاموات لو بصروا
والدين في الناس حقل ليس يزرعه إلى الاولى لهم من زرعه وطر

وهو يزعم أن هذه المثل العليا لا توجد على حقيقتها إلا في الطبيعة

بعيدة عن صخب المدن وتكالب سكانها — ففي الطبيعة لا تعدي ولا حسد ولا ظلم ولا أوهام بل كل شيء يجري على مقتضى ما خلق له .ومثله فوزي المعلوف في قصيدته على بساط الروح وأخوه شفيق في عبقر ورشيد الخوري في قروياته وأعاصيره ورهط غيرهم من أدباء المهاجر .

وقد تجاوزت هذه الروح العلائية الحديثة مصر وسورية ولبنان والعراق إلى سائر الاقطار العربية فدخلت الحجاز وتونس وسواها وتغلغلت في نفوس النشء الجديد.

وكما تنبعث روح أبي العلاء في عصرنا بالتشاؤم تنبعث في الحيرة أو النزعة اللا أدرية . ويكفي للتمثيل هنا أن أنوّه بقصيدة أبي ماضي « الطلاسم » وقصيدة الرصافي « من أين من أين يا ابتدائي » والزهاوي « حول الحقيقة » . ويمثل ذلك قول الزركلي من قصيدة « في سر الوجود أو الحياة » :

لجة مزبدة أم نهر معتكر أم هو سيل
ما أمامي ؟ حيرة لا تنتهي ما دام هذا الليل ليل

وقد تصل هذه اللاأدرية في الصافي النجفي حدود الانكار في قصيدته الخلود الزائف وسواها . فهو يقف هناك موقف المهكم من اليتمنيين الذين ينظرون إلى ما بعد الموت نظرهم إلى امر واقعي .

وفي أدبنا الجديد نزعة علائية شديدة إلى محاربة التعصب الديني والتقاليد البالية والدعوة إلى التمسك بجوهر الدين دون العرض ، بالعمل دون العقيدة . ولا أبالغ إذا قلت إن هذي هي النزعة العامة في الشعر العصري في كل الأقطار العربية ، وهي أوضح من ان أمثل لها في هذا المقام . وقد دعت إليها دواعي المدنية الحديثة المبنية على روح العلم والنظر الحر إلى الحياة . وأوقدها في الأدب حدثان هامان — الأول إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ . والثاني الدعوة إلى الملك العربي أيام المغفور له فيصل . فهذان الحدثان كانا مبعثاً لتموجات أدبية مندفقة من قلوب تؤمن بالإخاء والوئام . وتختلف عن دعوة المعري بأنها أكثر اتصالا بالعاطفة القومية . فالمعري لم يعنَ بهذه الناحية الخاصة ولم يكن في بيئته ما يدفعه إلى غير النظر الروحي أو الاجتماعي البحت . أما الادب الحديث فيجعل الدعوة إلى جوهر الدين والتعالي عن القشور

رفع المسهم

الفارغة والانظمة المفرقة وسيلة لتقوية الرابطة القومية بين مختلف العناصر ، وهنا تشتبك السياسة بالدين او الدعوة إلى القومية بالدعوة إلى شجب المنعنات الطائفية الحائلة دون الاتحاد القومي . وقد قاد ذلك بعضهم إلى التهجم على رؤساء الدين — كما فعل المعري — وعزو كثير من السيئات إليهم — وكما أسرف شاعر المعرة أسرفوا هم أيضاً وأطلقوا لاقلامهم العنان دون رادع في هذا الميدان .

ومن أمثلة هـذا الاسراف ما جاء للريحاني من خطبة له موضوعها : « الثورة الادبية » قال : (١)

« وأما الكهان ياسادتي فهم أول من عاثوا في الارض فساداً . هم أول من قيدوا النفوس البشرية واستعبدوها ، هم أول من تاجروا بالخداع والتغرير . هم أول من استولوا على الامراء والملوك وأيدوا سلطانهم بأنباء من السماء كاذبة . والكهان اليوم أو رؤساء الاديان كلها هم أعـداء الحرية الروحية الادبية » . إلى أن يقول : « على الكهان وآلهة الكهان امتشق نبي العرب حسامه في الكعبة . وصبّ أشعيا نار غضبه في أورشليم على الكهان ومذابحهم وتزاويقهم وأصنامهم ، وانقضت صواعق حزقيال في إسرائيل ، وزمزمت رعود دانيال في بابل . على تغريرات رجال الدين وخزعبلات العبادات قام ابن عبد الوهاب في نجد ولوثيروس في وتنبورغ ونوكس في إنكلترة ، وغيرهم في البلاد كثيرون » .

وكما كان الادب العلائي ينزع إلى العقل ويؤمن بالنظام الارلي وينفر من التدجيل والاوهام هكذا نرى أدبنا الآن . على أن في الادب الحديث برغم ما يشمله من ظلام التشاؤم والحيرة مسحة من التفاؤل أو الرضى بالواقع والايمان بمقدرة الانسان على التقدم . وقد مرّ معنا أن المعري لم يكن جبريا مطلق الجبرية وأن في شعره ما يسمح للانسان بشيء من حرية الارادة في التصرف . ولكن ذلك لم يبلغ فيه درجة الرضى والايمان بمقدرة الانسان كما نراه في الادب الحديث . إن المعري يكاد يقف أمام القدر موقف الوهن والتردد :

(١) راجعها في الريحانيات ٢ — ٣٠

تعب كلها الحياة فما أعجـــب إلا من راغب في ازدياد

أما الشاعر الحديث فينزع إلى المناضلة والجهاد . المعري لم يكن يرى في الحياة ما يستحق السعي لاجله ، أما شاعر اليوم فالحياة عنده برغم قتامها ذات قيمة ولكن قيمتها لن تبلغ إلا بإرهاف العزم واطّراح الخوف والإقدام على المصاعب . وعلى ذلك قول الشاعر المصري عبد الرحمن شكري :

انضُ عنك الحذار من حادث الدهـــر فليس الحـذار يغني فتيـلا
إنما العيش أن تكون جريئاً ليس ترضى الحياة غمراً ذليلا

ويقول :

هو العيش كالحسناء تبغض محجماً جباناً ويحظى بالوصال جسور
بدا لي أن لا سعد إلا تصبّر تقرّبه في التـائبات صدور
وعزمٌ وإيمانٌ وطبعٌ وحكمةٌ ورأيٌ بآلاء الحيـاة خبير

فالكدّ والجرأة والصبر هي مفاتيح الحياة المثلى ، وإذا صح ذلك فالحياة التي هذه مفاتيحها حياة ثمينة جديرة بالاهتمام والجهاد . وهذا الجهاد كثيراً ما يعني التمرد على القديم . ولا ينكر أن المعري كان متمرداً يدعو إلى اطراح كل ما لا يقبله العقل السليم ، ولكن تمرده مقيد بالاستسلام للقضاء ، وبهذا يختلف عن الشاعر الحديث الذي يعني بالتمرد للتخلص المطلق من كل مايقيد النفس البشرية ويقف في سبيل تقدمها المطرّد . ويتمثل لنا ذلك في جبران ومدرسته . فالتمرد عنده ليس هدماً فحسب بل هو الخطوة الاولى في سبيل البناء الاثبت وهو التخلص من العوائق التي تعوقنا عن النمو إلى ما هو أفضل (١) . وفي هذا الجهاد والسعي نحو الافضل تنكشف لنا معاني الحياة الحقيقية . فاللا أدرية الحديثة مع اعترافها بجهل الانسان للحقيقة ترى لزاماً عليه ابتغاءها أو الطموح إليها إذ على هـذا الابتغاء والطموح تقوم دعائم العمران والتقدم .

ويكثر في أقوال المحدثين القول بأن السعادة حالة وجدانية نفسية لا أمر موضعي تحصل عليه من الخارج . فالبعض يلتمسها في القناعة والبعض في

(١) راجع مقالة النفس الطموحة في العواصف .

رفع المسيهما

بساطة العيش والبعض في الالتجاء إلى حمى الطبيعة والبعد عن عناء المدنية والبعض يراها في السعي المستمر والاختبار المتجدد كقول أحدهم (١) : « لذاتنا في الشوق لا في الوصال » ولا ينكر أن فكرة القناعة والبساطة فكرة قديمة وهي بارزة في حياة المعري وأقواله . أما فكرة السعي المستمر والاختبار المتجدد ففكرة حديثة مستمدة من الادب الغربي ، ولعلَّ غوته في روايته فوست هو أعظم من أثار هذه الفكرة في نفوس المحدثين . (٢)

ومهما يكن من علاقة بين أدبنا الحديث والروح العلائية فما لا شك فيه أن العصر الحاضر متأثر بهذه الروح وأن شاعر المعرة لا يزال حياً في نفوس المفكرين . ولا أعلم شاعراً قديماً بلغ تأثيره الروحي في أدبنا ما بلغه تأثير هذا الشاعر العظيم — شاعر واحد فقط يقاربه هو أبو الطيب المتنبي ولكن من سبيل آخر . فهذا يثير فينا روح الفخر القومي أو الفردي . ويرفعنا إلى ذروات الاختبار الحي ولكننا لا نقف معه كما نقف مع المعري متسائلين عن الحياة والانسان ، عن الشرائع والعمران ، عن الاكوان وما وراء الاكوان.

ليس المعري أشعر شعراء العرب فقد نرى كثيرين ممن يفوقونه في نواحٍ مختلفة من الفن الشعري ، ولكنك قلما تجد فيهم من يضاهيه في تأثيره الروحي على الاجيال . ولماذا ؟ أليس لانه يطبع شعره بطابع الصراحة والاخلاص ، ولانه ينظر إلى الحياة نظرة المترفع الحقيقي لا المقلد للمترفعين أو المرتزق بادعاء الورع والدين :

فلتفعل النفس الجميل لانه خيرٌ وأحسن لا لاجل نوالها

إن المعري أسمى تراث روحي وصل إلينا من الاجيال الغابرة وقد زالت منذ أيامه إلى الآن دول وتيجان ، وبادت أمم وبلدان ، ولكن روحه لا تزال حية لانها روح النابغة الذي يعيش لكل زمان .

انيس المقدسي

(١) يوسف غصوب في القفص المهجور ١٦٩

(٢) وقد توسع الاستاذ أحمد أمين بك في شرح هذه الفكرة (راجع كلامه في كتابه فيض الخاطر ٣ — ٩٦ فهو حري بالمطالعة)

الحفلة السادسة

في دمشق

لما أصبح الاعضاء (يوم السبت في ٣٠ ايلول ١٩٤٤) ساروا في مدينة اللاذقية إلى الشارع الذي أطلق عليه اسم أبي العلاء ، بين دوي الموسيقى وهتاف الشعب ، فزاروا دار الكتب الوطنية التي شيدها المحافظ ، وافتتحوا شارع أبي العلاء وساروا فيه .

ثم غادر الركب مدينة اللاذقية في الساعة العاشرة وسار إلى الجنوب مع ساحل البحر . فمرّ ببلدة بانياس وقلعة المرقب وبلدة طرطوس حيث وقف قليلا ، ثم تابع سيره صوب الجنوب حتى بلغ حدود لبنان ، وعطف إلى الشرق ، فصعد في الجبال وبلغ بلدة تل كلخ . ثم أشرف على بحيرة حمص وحدائقها وسهولها .

وكان رئيس بلدية حمص السيد فيضي الاتاسي ومحافظها السيد فؤاد الحلبي قد خرجا على رأس وفد من أعيان المدينة لاستقبال الركب . فساروا جميعاً في موكب عظيم وبلغوا مدينة حمص في الساعة الثانية بعد الظهر .

ولما دخلوا المدينة زاروا خلمة السيد هاشم الاتاسي رئيس الجمهورية السابق فاستقبلهم في داره أحسن استقبال وآنسهم ألطف إيناس ، ثم خرجوا بعد ذلك معه إلى حديقة البلدية المعروفة باسم الروضة حيث أعدت لهم مدينة حمص مأدبة غداء فاخرة فجلسوا في ظلال الاشجار وتجاذبوا أطراف الحديث على مائدة الطعام .

وتكلم على المائدة السيد فيضي الاتاسي مرحباً بالاعضاء ، وتلاه الاستاذ عارف النكدي شاكراً . ثم تكلم الدكتور عبد الوهاب عزام باسم الوفد المصري فقال : « يملأ نفسي إعجاباً وروعة وفخاراً ، أن أقف على مقربة

رفع المسهم

من أعظم تمثل للبطولة المجاهدة المخلصة الطيبة . ضريح خالد بن الوليد رضي الله عنه . . . يا قومنا إن الفرصة قد سنحت ، والزمان ضنين بفرصه ، والفرص سريع مرورها ، فاحذروا أن تناموا والخطوب يقظى ، أو تبطئوا والزمان يسرع ، أو تقفوا والفلك يدور ، أو تهزلوا والزمان يجد ، ألا إن تكاليف المجد شاقة ومطالبه صعبة ، وغاياته بعيدة . ولكن في ضمان العزائم المجتمعة ، وفي كفالة النفوس الأبية تذليل الشاق ، وتيسير الصعب ، وتقريب البعيد ، فاجمعوا أمركم ، واجمعوا كلمتكم ، وتقدموا إلى العمل بقلوب ملؤها الرجاء والأمل ، ورؤوس ملؤها الحكمة والروية ، وأيد ملؤها النشاط والقوة . . الخ الخ . »

ولما انتهت مأدبة الغداء في الساعة الرابعة بعد الظهر برح الركب مدينة حمص عائداً إلى دمشق فمر ثانية ببلدة النبك واستراح قليلا في حديقة البلدية ، ثم غادرها قبيل غروب الشمس فبلغ دمشق في العشاء .

وكان الدكتور طه حسين قد دعا أعضاء المهرجان والوزراء وأدباء دمشق وأساتذتها إلى مأدبة عشاء في فندق (اوريان بالاس) ، فألقى الاستاذ مهدي الجواهري أبياتاً في مدح الوفد المصري دعا فيها الدكتور طه حسين واخوانه إلى زيارة العراق . ثم أخذ الاعضاء بأطراف الحديث عن رحلتهم وما تخللها من سرور ومشقة وإكرام وحفاوة واخلدوا بعد ذلك إلى الراحة في غرفهم .

وفي الساعة العاشرة من صباح الاحد الاول من شهر تشرين الاول عام ١٩٤٤ سار الركب إلى مصيف بلودان لتناول طعام الغداء على مائدة المجمع العلمي العربي في الفندق الكبير ، ثم عاد منها في الساعة الثالثة بعد الظهر لحضور الحفلة الخطابية السادسة .

وبدئت الحفلة الخطابية في الساعة الخامسة بعد الظهر في بهو الجامعة السورية ، وهي ختام حفلات المهرجان تتابع فيها الخطباء على الوجه الآتي :

١ — الدكتور عبد الوهاب عزام لزوم ما لا يلزم :
عضو المجمع العلمي العربي متى نظم ، وكيف نظم ورتب

٢ – الشيخ عبد القادر المغربي شيخ المعرة والشيخ الدرا
نائب رئيس المجمع العلمي العربي

٣ – الاستاذ سليم الجندي دين أبي العلاء
عضو المجمع العلمي العربي

٤ – الاستاذ هنري لاووست اختلاف الآراء في فلسفة أبي العلاء
عضو المجمع العلمي العربي

٥ – الاستاذ شفيق جبري ذكرى أبي العلاء (قصيدة)
عضو المجمع العلمي العربي

وتكلم في هذه الحفلة بعض الخطباء ممن لم ترد أسماؤهم في البرنامج كالاستاذ فؤاد افرام البستاني ، والاستاذ عزمي النشاشيبي ، والدكتور عارف العارف ، والآنسة جهان الموصلي ، وسنثبت كلماتهم في الملحق :

وتخلل الحفلة دور موسيقى غنت فيه فرقة الاذاعة بدمشق أبياتاً من شعر أبي العلاء وهي :

ومن لي بأني في جناح غمامة تشبهها في الجنح أم رئال
تهاداني الارواح حتى تحطني على يد ريح بالفرات شمال
فيا برق ليس الكرخ داري وانما رماني إليه الدهر منذ ليال
فهل فيك من ماء المعرة قطرة تغيث بها ظمآن ليس بسال
أإخواننا بين الفرات وجلق يد الله لا خبرتكم بمحال
أنبئكم أني على العهد سالم ووجهي لما يبتذل بسوآل

ولما انتهت الحفلة الخطابية في الساعة التاسعة مساء سار الاعضاء إلى قصر رئيس الجمهورية اجابة لدعوة فخامته فتناولوا طعام العشاء على مائدته .

وتكلم على المائدة الشيخ بهجة البيطار فدعا إلى اتباع السلف الصالح في التشريع المدني الحديث ، ثم تلاه الاستاذ أحمد أمين فقال : « أبو العلاء شخصية من أعجب العجب . فهو يطعمنا ويجوع ، ويجمعنا ويعتزل ، ويرمينا

بالحجارة ونرميه بالازهار ، وتسطع علينا روحه في هذا العصر متألقة بالحياة الجديدة . لقد كان في حياته يصف بؤس الناس ، ولا يريد أن ينغمس في شؤونهم . أما حياتنا الحديثة فتقضي أن نصف البؤس وأن نعمل لازالته . ولعل هذه الروح هي التي ترفرف علينا الآن .

« نحن لانريد أن نعتزل كما اعتزل ، وان نصور ولا نتدخل في الحوادث ، ولكن نريد أن نتصور الحوادث ونعمل على اصلاحها وازالة شرورها . اننا نشعر أننا في عالم لاتنفع فيه الا الارادة القوية . في عالم لاتكفي فيه الاماني الطيبة . وانما يحتاج الى العمل الطيب » .

ثم قال : « وأحب ان اقرر ان الشريعة الاسلامية سمحة لاتحجر علينا ان نفهم العالم وان تكون نظراتنا الى الفروع نظرات مرنة . فالعالم تقدم في كل فرع من فروع الحياة ، والتشريع يجب ان يتمشى مع العصر » .

ثم تكلم الدكتور طه حسين فقال : « اما انا فلم اقف لأتحدث في هذه الموضوعات الخطيرة التي تحدث فيها الزملاء ، وانما لأؤدي عنا جميعاً واجباً لااشك انه احب شيء الينا . وهو ان نشكر لفخامة الرئيس الاول ماتفضل به من رعاية مهرجان ابي العلاء . ولا خلاف في ان مالقيه ابو العلاء في حياته من عطف الحكام أو غضبهم كثير ، ولكن الشيء المحقق ان حظ أبي العلاء بعد موته من الاضطهاد والاعراض عنه اكثر من العطف عليه والميل اليه . فاذا قلت ان حضرة صاحب الفخامة الرئيس هو اول زعيم عربي في العصر الحديث عطف على شيخ المعرة فشمل الاحتفال برعايته الكريمة ثم افتتح المهرجان واختتم اجتماعاته ، ثم دعا الوفود الى قصره ليكرمها ، فانما أعبر عن شعور كل واحد منا » ثم اختتم كلمته بشكر الوزراء لما تفضلوا به من مشاركة اعضاء المهرجان في الاحتفال بأبي العلاء .

وارتجل فخامة رئيس الجمهورية كلمة شكر بها لاعضاء المهرجان جهودهم الطيبة في احياء ذكرى أبي العلاء وتوثيق اواصر المودة بين اقطار البلاد العربية فقال : « ان في مدينة معاوية ومدينة خالد بن الوليد ، ومدينة أبي الفداء ، ومدينة الحمدانيين وغيرها من المدن والقرى والذاكر التي زرتموها لفكرة واحدة متغلغلة في

قرارات النفوس ، وهي ان هذه الأقطار لا تحب سوى الحرية ولا تفكر الا في العروبة والكرامة . وستبقى ذكرى المهرجان على مر الأيام منقوشة في الصدور لالأنها ذكرى أبي العلاء فحسب، بل لانها ذكرى قدومكم الى ربوع الشام للحفاوة بالشاعر النابغة والفيلسوف العبقري أبي العلاء المعري . واذا عدتم ايها الاخوان الى بلادكم فاذكروا ان هذه البلاد التي عانت من صروف الدهر وجور الزمان ما تعجز الامم عن حمله تريد الآن أن تحيا سيدة عزيزة حاكمة نفسها بنفسها فخورة بماضيها وأمجادها ، وانها تريد أن تبقى حرة مستقلة . ونحن اليوم على وشك تحقيق فكرة يلذ لنا ترديدها ، لانها هدفنا ، وغايتنا التي نسعى اليها جميعاً . وهي انه لاحياة لبلادنا الا اذا اتحدت الامة العربية بآمالها وآلامها واهدافها . وكما انها ذات تاريخ واحد وتقاليد واحدة فكذلك تريد أن تكون ذات ثقافة واحدة وسياسة واحدة . ولقد ادركنا في اجتماعاتكم هذه الوحدة الثقافية كما بلغنا في الماضي الوحدة الأدبية . وستتحد سياستنا بحول الله في اجتماعات الاسكندرية . فلكم منا اجمل الشكر وللذين يجتمعون لآن في الاسكندرية التحيات الطيبات وخالص الاماني. والله نسأل ان يأخذ بايدينا لنصل الى ما نصبو اليه نفوسنا من آمال ورغبات » .

وكان ختام مهرجان ابي العلاء في منتصف الليل من اليوم الاول من تشرين الاول عام ١٩٤٤ .

جميل صليبا

لزوم مالا يلزم

متى نُظم وكيف نُظم ورتّب

عنيت بأبي العلاء المعرّي ناشئاً ، وكتبت في أخباره وأشعاره تلميذاً . وما زلت معنياً به حافظاً لأخباره وأشعاره . واللزوميات أعظم آثار الرجل ، وهي سجل عقائده وآرائه ، ولها النصيب الأوفر من أحاديث من يتحدثون عن المعري ، وكتابة من يكتبون في فلسفته .

وكثيراً ماساءلت الأدباء وسألت نفسي : متى نظمت اللزوميات وكيف رُتبت ؟ أخطّ الشاعر خطها ثم نظمها ولاءً على ترتيب حروف الهجاء ، فآراؤه فيها متوالية على هذا الترتيب ؛ ماتتضمنه أبيات على رويّ الهمزة مقدم زماناً على مايذكر في أبيات على رويّ الباء وهلم جرّا ؟ أم نظم الرجل مانظم ثم رتبه على حروف الهجاء ، فقدم متأخراً وأخر متقدماً ، مسايرة للترتيب الهجائي ؛ فما يعرف المتقدم والمتأخر من شعر الرجل إلا مادلت عليه حوادث مذكورة فيه ، ولا يستطاع تتبع أفكاره ورعاية تطورها على الزمان ؟ وكنت أقول إنه لابد لمؤرخ أبي العلاء من إن يفصل في هذه القضية ، فيجزم بأن اللزوميات مرتبة على الزمان أو غير مرتبة .

فلما دعاني المجمع العلمي العربي إلى شهود الاحتفال بذكرى أبي العلاء بعد مرور ألف عام على مولده ، وسألني عن الموضوع الذي أوثر الكلام فيه في هذا الاحتفال ، اخترت أن أتكلم في تاريخ اللزوميات وترتيبها . فأعدتُ قراءتها مستوعباً ، متقصياً الأبيات التي تذكر فيها حوادث معروفة أو رجال معروفون ، والتي تذكر فيها سنّ أبي العلاء أو حاله من الشباب والكهولة والشيخوخة . وراجعت ماأثره التاريخ من أخبار الرجل ، وذكر كتبه . فانتهيت إلى القضايا التي أسجلها فيما يأتي :

المبحث الأول

متى نظمت اللزوميات

— ١ —

جمهرة شعر أبي العلاء في مجموعتين : الأولى تتضمن شعر الصبا والشباب ، وهي التي سماها سقط الزند . وقد جرى في هذا الشعر مجرى الشعراء الآخرين ، فمدح وهجا وتغزل ورثى ووصف الخ .

وقد قال أبو العلاء في مقدمة سقط الزند :

« وقد كنت في ريان الحداثة ، وجن النشاط ، مائلا في صغو القريض ، أعتدّه بعض مآثر الأديب ، ومن أشرف مراتب البليغ . ثم رفضته رفض السقب غرسه ، والرأل تريكته ؛ رغبة عن أدب معظم جيده كذب ، ورديئه ينقص ويجدب » .

وقال مستملي أبي العلاء الذي كتب ثبت كتبه كما رواه ياقوت في معجم الادباء :

« من غير هذا الجنس كتاب لطيف فيه شعر قيل في الدهر الأول يعرف بكتاب سقط الزند وهو ثلاثة آلاف بيت » ،

وفي سقط الزند قصائد قالها في بغداد ، وأخرى أرسلها إلى بغداد بعد رجوعه إلى المعرة سنة أربعمائة . وأبيات قيلت بعد سنين كثيرة من اعتكافه في المعرة كالبيتين اللذين مدح بهما القاضي ابن نصر المالكي ، ومرثية جعفر بن علي بن المهذب .

والمجموعة الثانية هي التي سماها « لزوم مالا يلزم » .

— ٢ —

هذه المجموعة الثانية من أشعار أبي العلاء قد نظمت بعد رجوعه من بغداد . وقد خط خطتها ، وتكلف لها ماتكلف من لزوم مالا يلزم ، ومن استيعاب الحروف الهجائية على الحركات الثلاث والسكون . قال في مقدمتها :

« كان من سوالف الأقضية أني أنشأت أبنية أوراق توخيت فيها صدق الكلمة ، ونزهتها عن الكذب والميط . ولا أزعمها كالسمط المتخذ ، وأرجو ألا تحسب من السميط . فمنها ماهو تمجيد لله الذي شرف عن التمجيد . . . الخ » .

وقال في المقدمة كذلك :

رفع المسهم

« وقد تكلفت في هذا الكتاب ثلاث كلف :

الأولى : أنه ينتظم حروف المعجم عن آخرها .

والثانية : ان يجيء رويّه بالحركات الثلاث وبالسكون بعد ذلك .

والثالثة : أنه لزم مع كل رويّ فيه شيء لا يلزم من ياء أو تاء أو غير ذلك من الحروف » .

فهذا شعر حدد موضوعه واختير له نظامٌ في القوافي ، وترتيبٌ على الحروف وحركاتها . وكأنه كتاب من كتب العلوم اتصل تأليفه حتى كمل . وهي خطة تسلى بها في عزلته . فينبغي أن يكون تاريخه متصلا ونظمه متواليا .

وانا ادعي أن ماتضمن هذا الكتاب من الآراء هو فلسفة أبي العلاء في عزلته بعد سنة أربعمائة ، وان هذا الكتاب كله ، إلا أن تشذ أبيات قليلة ، نظم بعد هذه السنة .

يدل على هذا أن أبا العلاء قال في مقدمة السقط : إنه رفض الشعر . وقال في مقدمة اللزوميات : « وقد كنت قلت في كلام لي قديم إني رفضت الشعر . رفض السقب غرسه ، والرأل تريكته . والغرضُ ما استُجيز فيه الكذبُ ، واستعين على نظامه بالشُبهات . فأما الكائن عظة للسامع ، وإيقاظاً للمتوسن ، وأمراً بالتحرز من الدنيا الخادعة وأهلها الذين جبلوا على الغش والمكر ، فهو إن شاء الله مما يُلتمس به الثواب » .

فهذا النظم الذي توخى فيه العظة والايقاظ كان بعد النظم الذي جرى فيه مع الشعراء ثم رفضه رفض السقب غرسه ، والرأل تريكته .

ودليل آخر أنه ذكر سنه في كثير من أبيات اللزوميات تصريحاً وتلويحاً ، ولم يذكر ما دون الأربعين ، وهو قد بلغ الأربعين سنة ثلاث وأربعمائة ، إلا بيتاً واحداً في هذه القطعة :

إذا هبت جنوب أو شمال فأنت لكل مُقتاد جنيب

رويدك إنْ ثلاثون استقلت ولم يُنب الفتى فمتى ينيب

والخطاب في هذا البيت إما أن يكون لغير الشاعر وإما أن يكون بعض اللزوميات قد نظم حين جاوز الثلاثين قبل سفره إلى بغداد ، وإما أن تكون

هذه القطعة نظمت كذلك بعد رجوعه من بغداد واعتزامه الاعتزال ، وكانت سنه حينئذ سبعاً وثلاثين سنة ، فقد مضت الثلاثون ولم يبلغ الأربعين ؛ فليس بعيداً أن يذكر مرور الثلاثين . ومهما يكن فجمهرة الكتاب نظمت بعد سنة أربعمائة كما أسلفت .

ودليل آخر على أن أبا العلاء شرع بنظم اللزوميات بعد رجوعه من بغداد بقليل ، أنه يذكر في اللزوميات — كما فعل في سقط الزند — رحلته إلى العراق آسفاً على الرحيل وعلى الأوبة . وهذا ، في غالب الظن ، لا يقال بعد مضي سنين كثيرة على هذه الرحلة :

وما بيَ طرق للمسير ولا السُرى ... لأني ضرير لا تضيء لي الطُرُق
أغربانك السحم استقلت مع الضحى ... سوانح أم مرّت حمائمك الوُرق
رحلتُ فلا دنيا ولا دين نلته ... وما أوبتي إلا السفاهة والخرق

***

يا لهف نفسي على أني رجعت إلى ... هذى الديار ولم أهلك ببغداذا
إذا رأيت أموراً لاتوافقني ... قلت الإياب إلى الاوطان أدّى ذا

***

شئمت ياهمة عادت شآميـة ... من بعد ما أوطنت عصراً ببغداد

***

وأزيد على هذه الادلة أن أبا العلاء ذكر سنّ الاربعين في اللزوميات ، وقد بلغها بعد رجوعه بسنين ثلاث .

— ٣ —

إن كان المعري شرع ينظم لزوم ما لا يلزم حين رجع من بغداد أو بعد رجوعه بقليل فكم استمرّ ينظمها ، ومتى انتهى من نظمها وجمعها ورتبها وكتب لها المقدمة التي كتب ؟

يمكن أن نجيب هذا السؤال بوسيلتين ؛ الاولى تتبع الحادثات التي ذكرها والرجال الذين أورد أسماءهم في شعره . والثانية استقراء الابيات التي ذكر فيها سنه .

(١) الحوادث والرجال :

١ — أولا : بنو عامر وطيء :

يذكر أبو العلاء فتناً وخطوباً أثارها بنو عامر وطيء في الشام وما حولها ، ويسمي بعض رجالهم في مواضع كثيرة ، منها :

إذا عامر تبعت صالحا وزجت بنو قرة الحردبا
وأردف حسان في مائج متى هبطوا مخصباً أجدبا
وإن قرعوا جبلا شامخاً فليس يعنف إن يحدبا
رأيت نظير الدبا كثرة قتيرهم كعيون الدبا

ومنها :

ألم تر طيئاً وبني كلاب سموا لبلاد غزة والعريش
ولو قدروا على الطير الغوادي لما نهضت إلى وكر بريش

ويذكر طيئاً وزعيمها حسان في قوله :

قد أشرعت سنبس ذوابلها وأرهفت بحتر معابلها
لفتنة لا تزال باعثة راعها في الوغى ونابلها
حسان في الملك لا يحس لها تزجي إلى موتها قنابلها

ويقول :

أرى حلبا حازها صالح وجال سنان على جلقا
وحسان في سلفي طيء يصرف من عزه أبلقا
فلما رأت خيلهم بالغبار ثغاما على هامهم علقا
رمت جامع الرملة المستضام فأصبح بالدم قد خلقا الخ

وقد رثى للرملة كثيراً وحزن لما ناب أهلها ؟ يقول :

والرملة البيضاء غودر أهلها بعد الرفاغة يأكلون قفارا

***

عتروا الفوارس بالصوارم والقنا والملك في مصر يعتر فارها (١)

(١) الملك في مصر كان للفاطميين حينئذ وكان الخليفة منهم الظاهر (٤٠١ — ٤٢٧) فهو يلوم الفاطميين على أن تركوا هذه القبائل تعبث في الارض وهم لاهون بتعتير فارات المسك يتطيبون بها لا بعتر الفوارس . والعتر الذبح .

جعلوا الشفار هواديا لتنوفة مرهاء تكحل بالدجى أشفارها
تكبو زناد القادحين وعامر بالشام تقدح مرخها وعفارها

ويقول :

أيا قيلُ إن النار صال بحرها مقيمُ صلاة والمهند وارس
وبالرملة الشعثاء شيبٌ وولدة أصابهم مما جنيت الدهارس
وقد ظهرت أملاك مصر عليهم فهل مارست من ظلمها ماتمارس
وأحسنُ منكم في الرعية سيرة طُغجّ بن جف حين قام وبارس

وقد ذكر المعري هذه الحادثات في سقط الزند كذلك ، إذ قال في القصيدة التائية التي بعث بها الى علي التنوخي بعد رجوعه من العراق :

بيني وبينك من قيس وإخوتها فوارسٌ تذر المكثار سكيتا

ويقول في القصيدة الطائية التي أرسلها إلى خازن دار العلم ببغداد وهو محتجب بمعرة النعمان :

وما أذهلتني عن ودادك روعة وكيف وفي أمثالها يجب الغبط
ولا فتنة طائية عامرية يحرق في نيرانها الجعد والسبط
وقدطرحت حول الفرات جرانها إلى نيل مصر فالوساع بها تقطو
فوارس طعانون ما زال للقنا مع الشيب يومافي عوارضهم وخط
وكل جواد شفه الركض فيهم وَجٍ يتمنى أن فارسه سَقط
ونبّالةٍ من بُحتر لو تعمدوا بليلٍ أناسيّ النواظر لم يخطوا

فما هذه الفتن التي ذكرها أبو العلاء ومتى كانت ؟

كانت أمور الشام ولا سيما البلاد الشمالية في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس مضطربة بين سلطان الفاطميين والامراء المتغلبين من بني حمدان ومواليهم ومن رؤساء القبائل العربية . وقد استولى صالح بن مرداس الكلابي صاحب الرحبة على حلب في هذا الاضطراب سنة ٤٠٢ . ثم وقعت خطوب ردت حلباً إلى سلطان الفاطميين حيناً . فلما قتل نائب الفاطميين عزيز الدولة سنة ٤١٢ ، وتولى من قبلهم ابن شعبان طمع صالح بن مرداس في التغلب على نواب الفاطميين فحالف اثنين من رءوس العرب هما حسان الطائي

وسنان بن عُليان الكلبي واتفقوا على أن يقتسموا الشام من حلب إلى حدود مصر ، فصارت حلب وما يليها لصالح ، ودمشق لسنان ، والرملة وما يليها إلى مصر لحسان . وذلك سنة ٤١٤ . وقد تقدمت أبيات المعري التي تذكر هذا التقسيم .

هذه حوادث وقع بعضها في العقد الاول من القرن الخامس ومعظمها في العقد الثاني . فهذه الابيات قد نظمت كذلك في هذين العقدين ولا سيما الثاني منهما .

ثانياً — يُذكر صالح بن مرداس في اللزوميات مرات أخر لحادث آخر كان له في نفس المعري أثر باق .

نقل ياقوت عن أبي غالب بن مهذب المعري في حوادث سنة ٤١٧ من تاريخه : « صاحت امرأة يوم الجمعة في جامع المعرة وذكرت أن صاحب الماخور أراد أن يغتصبها نفسها . فنفر كل من في الجامع وهدموا الماخور وأخذوا خشبه ونهبوه . وكان أسد الدولة (صالح) في نواحي صيدا فوصل الامير أسد الدولة فاعتقل من أعيانها سبعين رجلا . وذلك برأي وزيره تادرس بن الحسن الاستاذ . وأوهمه أن في ذلك إقامة للهيبة — قال ولقد بلغني أنه دعي لهؤلاء المعتقلين بآمد وميّا فارقين على المنابر — وقطع تادرس عليهم ألف دينار . وخرج الشيخ أبو العلاء المعري إلى أسد الدولة صالح وهو بظاهر المعرة وقال له : مولانا السيد الاجل أسد الدولة ومقدمها وناصحها كالنهار الماتع اشتد هجيره وطاب بَرداه ، وكالسيف القاطع لان صفحه وخشن حدّاه . خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين . فقال صالح قد وهبتهم لك أيها الشيخ . ولم يعلم أبو العلاء أن المال قد قُطع عليهم وإلا كان قد سأل فيه » .

ونقل ياقوت أيضاً عن القفطي أنه وجد على ظهر ديوان الاعشى في مدينة قفط سنة ٥٨٥ ما يأتي : « حكي أن صالح بن مرداس صاحب حلب نزل على معرة النعمان محاصراً لها ونصب عليها المجانيق واشتد في الحصار لاهلها . فجاء أهل المدينة إلى الشيخ أبي العلاء لعجزهم عن مقاومته لانه جاءهم بما

لا قبل لهم به وسألوا أبا العلاء تلافي الامر بالخروج إليه بنفسه وتدبير الامر برأيه إما بأموال يبذلونها أو طاعة يعطونها ، فخرج ويده في يد قائده وفتح الناس له بابا من أبواب معرة النعمان ، وخرج منه شيخ قصير يقوده رجل . فقال صالح هو أبو العلاء فجيئوني به . فلما مثل بين يديه سلم عليه ثم قال : الامير أطال الله بقاءه كالنهار الماتع الخ » .

وهذه الحادثة ذكرها المعري في موضعين من اللزوميات في حرف الدال المكسورة واللام المكسورة . يقول :

تغيبت في منزلي برهة ستيرَ العيوب فقيد الحسد
فلما مضى العمر إلا الاقل وُحمّ لروحي فراق الجسد
بعثت شفيعاً إلى صالح وذاك من القوم رأي فسد
فيسمع مني سجع الحمام وأسمع منه زئير الاسد
فلا يعجبني هذا النفاق فكم نفقت محنة ما كسد

ويقول :

آليت أرغب في قميص نموه فأكون شارب حنظل من حنضل
نجى المعاشر من براثن صالح ربٌّ يفرج كل أمر مُعضل
ماكان لي فيها جناحُ بعوضة والله ألبسهم جناحَ تفضل

فهاتان القطعتان نظمتا في حادث وقع سنة سبع عشرة وأربعمائة . والظن أن نظمهما لم يتأخر عن هذا التاريخ كثيراً .

ثالثاً — يذكر الشاعر « محموداً » في مواضع كثيرة يقول :

يسلك محمود وأمثاله طريق خاقان وكنداج

* * *

أسر إن كنتُ محموداً على خلق ولا اسر بأني الملك محمود
مايصنع الرأس بالتيجان يعقدها وإنما هو بعد الموت جلمود

* * *

لاكانت الدنيا فليس يسرني أني خليفتها ولا محمودها

* * *

سيموت محمود ويهلك آلك ويدوم وجه الواحد الخلاق

* * *

من محمود الذي كرر المعري ذكره وجعله مثلا في الملوك وقال إنه لايسره أن يكون في منزلته ، وإن الدهر سيبطش به كما بطش بالضعفاء ؟

في تعليقات الطبعة المصرية أنه أمير المعرة إذ ذاك . ولا نعرف من تولى في تلك النواحي ذلك العصر إلا محموداً حفيد صالح بن مرداس . ومحمود هذا تولى الإمارة سنة ٤٥٢ وخلع في السنة التالية ، ثم تأمر مرة أخرى سنة ٤٥٤ ، فدامت له الامارة حتى سنة ٤٦٨ . فقد تولى بعد وفاة المعري .

ولا أدري لماذا أثبت الشيخ الميمني البيت الاول : « يسلك محمود . . . الخ » اول فصل من كتابه عن المعري عنوانه : « هو ووزير محمود بن نصر بن صالح » . نقل في هذا الفصل مايقال عن تدبير محمود هذا لقتل المعري وخلاص المعري بالدعاء. وهي خرافة مروية نفاها الشيخ الميمني وقال إن محموداً تولى بعد وفاة المعري كما قلت . فهل الميمني ، مع نفيه هذه الخرافة ، يظن أن محموداً الذي في البيت هو حفيد صالح ذكره المعري قبل توليه الملك ؟ لاأدري لماذا اثبت هذا البيت في فاتحة هذا الفصل .

والذي أراه أن محموداً الذي أكثر المعري ذكره هو سلطان ذاع صيته في ذلك العصر وضرب المثل بقدرته وغناه ، هو يمين الدولة السلطان محمود بن سبكتكين فاتح الهند . ولهذا قرنه المعري بالخليفة في البيت :

لا كانت الدنيا فليس يسرني أني خليفتها ولا محمودها

والسلطان محمود تولى الملك من سنة ٣٨٧ إلى سنة ٤٢١ . فهذه الابيات التي تضمنت اسمه نظمت قبل سنة ٤٢١ ولا ريب لان المعري يذكره ذكر الاحياء ، ويقول : « سيموت محمود . . . الخ » . ويزيد هذا وضوحا أن الشاعر يقول في اللزوميات أيضاً :

محمودنا الله والمسعود خائفه فعدّ عن ذكر محمود ومسعود

ملكان لو أنني خيرت مُلكهما وعود صلب أشار العقل بالعود

ومسعود هو ابن السلطان محمود استقر له الملك سنة ٤٢١ بعد أن ظفر

بأخيه محمد . وبقي له السلطان حتى سنة ٤٣٢ . وأما السلطان محمود السلجوقي وأخوه مسعود فقد ملكا في القرن السادس الهجري .

رابعاً — كان أبو القاسم المغربي الوزير ممن أقام بالمعرة وكان يواد المعري ويراسله ، وكان المعري يحفظ له ولابيه من قبل أياديه . فلما توفي رثاه بأبيات مثبتة في اللزوميات . ولا أعرف فيها رثاء لغيره أو مدحاً صريحاً :

ليس يبقى الضرب الطويل على الده ر ولا ذو المبالة الدرحايه
يا أبا القاسم الوزير ترحلـ ت وخلفتني ثقال رحايه
وتركت الكتب الثمينة للنا س وما رحت عنهم بسحايه
ليتني كنت قبل أن تشرب المو ت أصيلاً شربته بضحايه
إن تحتك المنون قبلي فاني منتحـاها وإنها منتحايه
أمّ دفر تقول بعدك للذا ئق لا طعم لي فأين فحايه
إن يخط الذنب اليسير حفيظا ك فكم من فضيلة محّايه

وهذا الوزير توفي سنة ٤١٨ . فهذه القطعة نظمت في هذه السنة .

خامساً — يقول المعري :

ألم ترني وجميع الانام في دولة الكذب الذائل
مضى قيلُ مصر إلى ربه وخلى السياسة للخائل
وقالوا يعود فقلنا يجوز بقدرة خالقنا الآئل
اذا هبّ زيد الى طيء وقام كليب الى وائل

أظن أن قيل مصر المعني في هذا البيت هو الحاكم بأمر الله الفاطمي ، فهو الذي انتظر بعض الناس عودته . والحاكم هلك سنة ٤١١ . فالظاهر أن هذه الابيات نظمت قريباً من هذا التاريخ .

(ب) سن المعري في اللزوميات :

يذكر المعري سنه في اللزوميات تصريحاً وتلويحاً ؛ تارة يقول بلغت كذا أو جاوزت كذا ، وتارة يقول : إذا بلغ الانسان كذا آن له أن يرعوي أو حان له أن يهلك . وقد عبرت اللزوميات مستقصياً الابيات التي يذكر فيها سنه ؛ فاذا هو يذكر الاربعين مراراً ويذكر الخمسين كثيراً

ولا يذكر ما دون الاربعين إلا مرة واحدة قدمت الكلام فيها ، ويذكر السبعين مرة سأثبتها من بعد .

يقول في الهمزية التي افتتح بها اللزوميات :

إذا ما خبت نار الشبيبة ساءني ولو نُص لي بين النجوم خباء
أرابيك في الود الذي قد بذلته فأُضعفُ إن أجدى لديك رباء
وما بعد مر الخمس عشرة من صبا ولا بعد مر الاربعين صباء

* * *

ويقول :

خبر الحياة شرورها وسرورها من عاش مدة أول المتقارب
وافى بذلك أربعين فما له عذر إذا أمسى قليل تجارب

* * *

ومتى سرى عن أربعين حليفها فالشخص يصغر والحوادث تكبر

* * *

ورميت أعوامي ورائي مثل ما رمت المطيُّ مهامه السفار
وركبت منها أربعين مطية لم تخل من عنت وسوء نفار

* * *

شربت سني الاربعين تجرعا فيا مَقِراً ما شُربه فيَّ ناجع

* * *

ويجوز أن تدل هذه القطعة أنه بلغ ثمانياً وأربعين :

عش يا ابن آدم عدة الوزن الذي يدعى الطويل ولا تجاوز ذلكا
فاذا بلغت وأربعين ثمانيا فحياة مثلك أن يوسد هالكا

وأما ذكر الخمسين فأكثر وأصرح :

حياتي بعد الاربعين منية ووجدان حلف الاربعين فقود
فمالي وقد أدركت خمسة أعقد أبيني وبين الحادثات عقود ؟

* * *

إذا كنت قد جاوزت خمسين حجة ولم ألق خسراً فالمنية لي ستر
وما أتوق ، والخطوب كثيرة ، من الدهر إلا أن تحل بي الهتر

* * *

إذا طلع الشيب المسلم فحيه ولا ترض للعين الشباب المزوّرا
لقد غاب عن فرديك خمسين حجة فأهلا به لمـــا دنا وتسورا

* * *

وما العيش إلا لجـة باطلية ومن بلغ الخمسين جاوز غمرها

* * *

أخمسين قد أفنيتها ليس نافعي بتأخير يوم أن أعض على خمس

* * *

لا خير من بعد خمسين انقضت كملا في أن تمارس أمراضا وأرعاشا

* * *

خمسون قـد عشتها فلا تعش والنعش لفظ من قولك انتعش

* * *

علقت بحبل العمر خمسين حجة فقد رث حتى كاد ينصرم الحبل

* * *

كأنك بعـد خمسين استقلت لمولدك ، البناء دنا ليهوى

وقد ذكرت الخمسون في ثلاث قطع أخرى ، في حرف الطاء والكاف والميم . ولم تذكر الستون في اللزوميات قط . وجاء ذكر السبعين في قوله :

من عاش سبعين فهو في نصب وليس في العيش بعدها خيره

رجحنا أن أبا العلاء شرع ينظم اللزوميات بعـد رجوعه من بغداد كما قلت آنفاً . وقد عرفنا أنه ذكر سن الاربعين والخمسين كثيراً ولم يذكر الستين قط على برمه بالحيـاة وتعجله الموت — ولو بلغها وهو ينظم اللزوميات لاكثر ذكرها — فساغ أن نقول إن الرجل نظم اللزوميات من سن الاربعين إلى أن نيّف على الخمسين . وأما السبعون فأغلب الظن أنه لم يعن بها نفسه .

وإن قدرنا أنه المعني بها فقطعة أو قطع قليلة نظمت بعد وألحقت بهذه المجموعة التي نظمت كلها أو جلها في السن التي قدّرتُ .

ويؤيد هذا أن الحوادث التي ذكرها وقعت كما بينت في أوائل القرن الخامس ولم تتأخر عن سنة ٤٢٠ وكذلك الرجال الذين ذكرهم أحياء كصالح بن مرداس ومحمود بن سبكتكين ماتوا قريباً من هـذا التاريخ . وقـد رثى الوزير المغربي الذي توفى سنة ٤١٨ . وأشار إلى وفاة الحاكم بأمر الله وقد توفى سنة ٤١١ . فكل حادثة مؤرخة نجدها في اللزوميات تقع في العشرين الاولى من القرن الخامس . وكل رجل ذكره الشاعر ذكر الاحياء هلك حول هـذا التاريخ : صالح مات سنة ٤٢٠ ، ومحمود مات سنة ٤٢١ .

واما مسعود بن محمود الذي تولى سنة ٤٢١ فقد ذكره مرة مع أبيه ولم يعد إلى ذكره . فهو لم ينظم في أيام مسعود بعد هلاك محمود ، أو لم ينظم إلا نادراً .

وأعزّز بأمر يستأنس به مضموماً إلى الادلة السابقة ، أن أبا العلاء ذكر في مواضع من الكتاب أنه لم يشب ، وزعم أنه كان جديراً بأن يشيب ، وأنه لا يسره بقاء شعره أسود . يقول :

ويحمل الهم قلبي معفياً جسدي رأسي أحم وظهري غيرُ منأطر

* * *

غرك سود الشعرات التي في الوجه مني وأنا الدالف
كلفتني شيمة عصر مضى هيهات منك العصر السالف

* * *

يا مفرقي هلا ابيضضت على المدى فما سرني أن بت أسود حالكا
قبيح بفود الشيخ تشبيه لونه بفود الفتى والله يعلم ذلكا

* * *

تأخر الشيب عني مثل مقدمه على سواي ووقت الشيب ما حضرا

* * *

ثم ذكر في مواضع كثيرة لا تقل عن عشرة ، شيبَ رأسه وبياض شعره ، مثل قوله :

نمنا على الشيب فهل زارنا طيف لأصل الشرخ منتابُ

* * *

كانت مفارقُ جون كأنها ريش غِربه
ثم انجلت فعجبنا للقار بُدّل صَربه

* * *

أأذهب فيكمُ أيام شيبي كما أذهبتُ أيام الشباب

* * *

قد شاب رأسي ومن نبت الثرى جسدي فالنبتُ آخر ما يعتو به الزهر

* * *

أيها الشيب لا يريك من كفي مقص ولا يواريك خطر
إن نهيت النفس اللجوج عن الإثـ ـم وطابت فإنما أنت عِطر

فقد نظمت اللزوميات وشعره أسود ، ثم استمر النظم حتى شاب . وهذا يلائم السن التي ذكرتها والتاريخ الذي حددته . ولو أنه نظمها قبل الاربعين لما ذكر الشيب ، ولما استبطأه . ولو نظمها بعد الخمسين لما ذكر المفرق الحالك والشعرات السود . ولا يجوز أن يدّعى أنه نظم قبل الشيب واستمر ينظم حتى مات ، وسن الشيب متصلة بالموت . فقد دلت الادلة الاخرى على أنه لم يستمر في النظم طول عمره .

ويمكن أن يقال : إن كان أبو العلاء فرغ من نظم اللزوميات أو كاد حين بلغ الخمسين فكيف ذكر الكبر متبرما ، وطول الثواء متململا ، وذكر دنو الاجل وقرب الرحيل ، وسقوط الاسنان ، في مثل قوله :

طال الثواء وقد أنى لمفاصلي أن تستبد بضمها صحراؤها

* * *

وما زال البقاء يرث حبلي إلى أن حان للعرس انقطاع

* * *

رفع المسهم

أعلل مهجتي ويصيح دهري ألا تغدو فقد ذهب الرفاق

* * *

تخلفت بعد الظاعنين كأنهم رأوك أخا وهن فما حملوكا

* * *

أيتها النفس لا تهالي شرخي قد مر واكتهالي
لم يبق إلا شفاً يسير قرّب من موردي نهالي

* * *

فمي أخذت منه الليالي وإنني لاشرب منه في إناء مثلم

* * *

رب متى أرحل عن هذه الد نيا فاني أطلت المقام

هذه الابيات وأشباهها تصدر عن الشيخ همّ ، بلغ أرذل العمر ، وذهب جيله وبقي وحده . ولكن المعري له شأن آخر ، فهو يبرم بالحياة في عنفوانها ويقول :

شربت سني الاربعين تجرعا فيا مقراً ما شربه في ناجع

ويرى ان الحياة بعد الاربعين موت ، والوجدان فقد .

حياتي بعد الاربعين منية ووجدان حلف الاربعين فقود

فشكوى أبي العلاء من الضعف ، وهتافه بالموت ، وبرمه بالحياة لا يدل كل حين على الشيخوخة أو الهرم .

وأما قوله :

فمي أخذت منه الليالي وإنني لأشرب منه في إناء مثلم

فسقوط الأسنان كثيراً ما يعرض في السن التي قدّرتُ أنه نظم فيها الكتاب .

وقد ذكر سقوط أسنانه في رسالته إلى أبي الحسن بن سنان ، وقد تقدم إليه باختصار كليلة ودمنة بأمر عزيز الدولة . وعزيز الدولة قتل سنة ٤١٢ ، ولما يبلغ أبو العلاء الخمسين .

رفع المسهم

المبحث الثاني

ترتيب اللزوميـات

— ١ —

وضع أبو العلاء خطة هذه المنظومة متكلفاً فيها ثلاث كلف كما قال في المقدمة : أن يلتزم في قوافيه حرفاً لا يلزم ، وأن ينتظم حروف المعجم كلها ، وأن يستوفي في كل حرف الحركات الثلاث والوقف .

وقد تبين من تاريخ الحوادث التي ذكرت في هـذا النظم ومن تاريخ الرجال الذين ذكرهم ومن الأسنان المختلفة التي ذكرها أن الترتيب الهجائي لا يساير الترتيب الزمني . أنظر إلى رويّ الأبيات التي أثبتها فيما تقدم ، وإلى تاريخ الحوادث التي تتضمنها والأسنان التي تذكر فيها تر هذا واضحاً . فـلا يسوغ أن نظن أن قطعة على روي الباء مثلاً ينبغي أن يتقدم تاريخها على قطعة في حرف الميم ، وينبغي ألاّ ينظر إلى الترتيب الهجائي في تتبع آراء أبي العلاء في لزومياته .

— ٢ —

ودليل آخر : أنّ كثيراً من القطع المتوالية تتفق في الموضوع أو تتفق في الوزن والقافية بل تتفق في كلمات القافية أحياناً . فلو أنه نظمها ولاء لم يكن للفصل بينها وجه ، وكان يلزم أن تكون قطعةً واحدة ، ولو نظمهـا قطعاً متوالية لم يُجز لنفسه أن يكرر فيها القوافي والمعاني ، فليس الفصل بينها إذاً إلا بأنها نظمت في أحيان مختلفة ثم جمعت .

أنظر إلى هاتين القطعتين ، وهما متواليتان على الميم المضمومة :

العقل يخبر أنني في لجـة ... من باطل وكذاك هذا العالم
مثلُ الحجارة في الملظات قلو بنا ... أو كالحديد فليتهـا لا تالم

ويليهـا :

لم تَلقَ في الأيام إلا صاحباً ... تأذى به طولَ الحياة وتالم
ويُعد كونك في الزمان بلية ... فاصبر لها فكذاك هذا العالم

ويقول من قطعة في حرف الفاف :

مرازبُ كسرى ماوقت مهجة له وقيصر لم يمنع رداه الطارق

وفي قطعة تليها :

وهل أفلت الايام كسرى وحوله مرازبه أو قيصر وبطارقه

فلو أن القطعتين نظمتا ولاء ما كرر هذا المعنى .

وأما القطع المتوالية المتفقة في الوزن والقافية ، والروي وحركته أو سكونه فكثيرة لا تحوج الى التمثيل هنا . والامر كله أبين من أن يطال فيه الكلام .

— ٣ —

وهنا نسأل : إن كان أبو العلاء لم ينظم على ترتيب الحروف والحركات فكيف ضمن الوفاء بما التزم من استيعاب الحروف وحركاتها ؟ إن كان قد نظم على الروي والحركة اللتين تعنّان له دون أن ينتقل من حرف إلى مايليه ومن حركة إلى ما بعدها فكيف استوعب الحروف والحركات ؟

لنا أحد فرضين : إما أن الرجل كان يأمر كاتبه أن يثبت كل حرف في فصل على حدة ، وكان يستعيده قوافي هذا الفصل فيكمل نقصه حتى كملت الحروف والحركات . وإما أنه جعل الكتاب كله مجموعة واحدة على غير تفصيل ، وكان يقصد إلى تغيير الحروف كل حين على غير ترتيب . فلما اجتمع له مقدار كبير من المنظوم رتبه وأكمل نقصه . وبهذا يُشعر قوله في المقدمة : وهذا حين أبدأ بترتيب النظم .

ونحن نجد في الكتاب قطعاً نظن أنها لم تنظم إلا لضرورة هذا الاستيعاب فالثاء المفتوحة ، والذال الساكنة ، والضاد المضمومة ، والطاء الساكنة ، والهاء الساكنة ، لم يَنظم في كل منها إلا بيتين اثنين وهما أقل ما ينظم لإنفاذ خطته . وقد قال هو هذا في آخر المقدمة .

— ٤ —

نظم أبو العلاء ملتزما ما لا يلزم ، ومستوفياً الحروف وحركاتها ، ورتب كتابه على الحروف وعلى حركات كل حرف ، وقال في آخر المقدمة :

« وهذا حين أبدأ بترتيب النظم وهو مائة وثلاثة عشر فصلا ؛ لكل

حرف أربعة فصول . وهي على حسب حالات الروي من ضم وفتح وكسر وسكون ، وأما الالف وحدها فلها فصل واحد ، لانها لا تكون إلا ساكنة . وربما جئت في الفصل بالقطعة الواحدة أو بالقطعتين ليكون قضاء لحق التأليف . وبالله التوفيق » .

وقد أدركت أنا بالتأمل في فصول اللزوميات ، ترتيباً آخر لم ينبه إليه المعري . وهو ييسر على الباحث عن الأبيات في الكتاب ، زيادة على التيسير بترتيب الحروف والحركات . ذلك أن الأوزان في كل فصل مرتبة على ترتيب الدوائر والأبحر عند العروضيين .

فنجد البحر الطويل في الفصل مقدماً على غيره ، والمتقارب مؤخراً عن غيره ، والأبحر بينهما على ترتيبها . وليس معنى هذا أنه استوفى في كل فصل الأبحر الخمسة عشر ، بل المعنى أن مايوجد من الأوزان في فصل يلتزم فيه الترتيب .

فالذي يبحث عن قطعة أو بيت على الراء المفتوحة — مثلاً — لا يلزمه ، إذا عرف الوزن ، أن يبحث في أبيات الراء المفتوحة كلها ، بل يطلب البحر الذي فيه وزن القطعة أو البيت في موضعه من الراء المفتوحة . وذلك يسير إذا عرف ترتيب الأبحر في العروض وهو أمر أمم .

* * *

هذا ما بدا لي في تاريخ اللزوميات وترتيبها ، فمن بدا له ما يؤيد رأيي أو ينقضه ، فليتفضل مشكوراً بالادلاء برأيه والإبانة عن حجته .

وكنت هممت أن أتبع هذا البحث بنظرة شاملة في موضوع اللزوميات وترتيب أمهات الآراء فيها مسلسلة ، ولكن عداني عن هذا طول البحث وتجاوزه الحدّ الذي يحده ضيق الوقت وكثرة المتكلمين في حفلات أبي العلاء .

ولعلي أضمه إلى هذا البحث من بعدُ ليكونا بحثاً مجملاً جامعاً مستوعباً اللزوميات : تاريخها وترتيبها وموضوعها . وبالله التوفيق .

عبد الوهاب عزام

رفع المسهم

شيخ المعرة والشيخ المدرا

موضوع كلمتي ايها السادة لا يتعلق بأبي العلاء نفسه . وإنما يتعلق بوصف كتاب مخطوط دمشقي له علاقة بآثاره . وتفسير أشعاره .

وهو موضوع على قلة شأنه بالنسبة إلى موضوعات الافاضل الذين تكلموا في هذا المهرجان الالفي — فيه جدّة تسوّغه . ونسبة دمشقية تروّجه . وشيء من مفاجأة يشفع به .

على أن موائد العلم كموائد الطعام . لا تستطاب ما لم تتعدد ألوانها . وتتباين طعومها . ويجد كل من الآكلين ما يلذ له منها .

وإن كان شاعر بني عبس شكا شعراء زمانه الذين لم يغادروا له متردّماً برقّعه فان المتكلمين من خطباء وشعراء في هذا المهرجان تركوا لي — من فضلهم وعن غير اختيار منهم — متردماً رنقته . وشتاتاً لممته . وخبراً من أخبار أبي العلاء . جئتكم به أمشي على استحياء .

***

إذا وازنا بين ما تركه لنا أبو العلاء من ثروة في أدبنا العربي وبين ما تركه غيره من أدبائنا الاقدمين وجدنا بطل مهرجاننا قد تقدمهم . وأبرّ عليهم . وكان له السبق خاصة في ثلاث خصال :

(١) أخيلته المبتكرة في المعاني .

(٢) أسلوبه القصصي[1] في ايراد أبحاثه اللغوية والادبية .

---

(١) هذا موضع التساؤل أو التعجب من أبي العلاء في وضعه طائفة من مصنفاته في شكل حوار خيالي بين عدة أشخاص أو بين الطير والحيوان والملائكة أحياناً : فمن تصفح اسماء الكتب التي صنفها علماء عاشوا في زمن أبي العلاء وقبل زمنه وبعد زمنه لم يجد فيها ما يجده في مصنفاته هو من هذا الاسلوب الخيالي : فبين مصنفاته [أدب الصغورين] [خطب الخيل] [رسالة الضبين] [رسالة على لسان ملك الموت] [سجع الحمائم] [الصاهل والشاحج] [كتاب القائف] قالوا انه على مثال كتاب كليلة ودمنة [رسالة الغفران] [رسالة الملائكة] —

(٣) نقده الجريء للنُظُم الاجتماعية الفاشية في زمانه .

على أن آثار أبي العلاء ليست كلها سواء في حسن السياقة . ولا في قرب التناول . ولا في الفائدة والامتاع : فسقط الزند شعر ولا كاللزوميات . والفصول والغايات نثر ولا كرسالة الغفران . حتى أن أبا العلاء نفسه كان يانف من نسبة أشعار (سقط الزند) إليه . أو أن تقرا عليه . أو أن يتمثل بها لديه . وكان يسمي سقط الزند (ديوان الصبي) بينا كان يسمي شرحه على اللزوميات (راحة اللزوم) .

ومن بين هاتين التسميتين يمكننا أن نستخرج اعتراف أبي العلاء نفسه ببداعة لزومياته . وتخلّف ما عداها .

— وهي على شكل رسالة الغفران غير أن رسالة الغفران أوسع منها خيالاً . وأمتع امتانا . وله كتاب باسم [نظام السور] وهذه التسمية تشعر بأن سور القرآن تتشاكى وتتظلم من بعض الشيء . كل هذه المصنفات مما وضعه أبو العلاء وهي تدل على أن له ميلاً خاصاً أو ذوقاً خاصاً في فن القصة لم نعهده في غيره من عباقرة المؤلفين الذين عاشوا في زمنه ومثل بيئته فمن ورث هذا الميل يا ترى ؟ وكيف تسرب الى نفسه ؟

نعم ان شروط فن القصة في آثاره الخيالية هذه لم تتوفر بتمامها فيها لكن نواتها قد وجدت فيها مستوحاة من طبع أبي العلاء وغريزته العبقرية .

يخطر لي أن هذا الميل في أبي العلاء ان لم يكن تسرب الى طبعه من القرآن الكريم فقد تسرّب اليه من الفرس فقد كان له « كما يظهر من ترجمته ومجموع أخباره » زوار وخلطاء وتلاميذ منهم : أشهرهم الخطيب التبريزي وكان تلميذاً له ويظهر أن المعرة كانت إلى عهد قريب منزلاً للحجاج والزوار الايرانيين يقصدونها لموقعها من طريقهم ولأثر في جامعها منسوب الى سيدنا الحسين .

ومن أشهر من زار المعرة في زمن أبي العلاء من الفرس « ناصر خسرو » الرحالة الفارسي العظيم وقد وصفها ووصف أبا العلاء في رحلته التي سماها [سفرنامه] فلا جرم أن يكون أبو العلاء — وهو الذكي الألمعي الثقف اللقف — عرف من هؤلاء الطرّاء الفارسيين شيئاً ولو قليلاً من أدب الفرس وتخيلات شعرائهم وأسلوبهم القصصي في مصنفاتهم . وما نفس لا نفس [كليلة ودمنة] و [شهنامة الفردوس] . ومن كان في ذكاء أبي العلاء لا يعوزه لأجل التأثر والمحاكاة أكثر من هذا القليل حتى تفيض قريحته بالكثير مما كان على نمطه ومضروباً على غراره . ويمكن أن تعدّ مقامات البديع الهمذاني من جملة الآثار الخيالية التي تأثر بمضامينها أبو العلاء : فهي — وان كانت عربية في مولدها — فارسية في محتدها . إذ أن البديع فارسي العرق : كان يقيم ببهرات ومات فيها . وكان معاصراً لأبي العلاء : جمعهما وبيع الشباب وعاش المعري بعده أكثر من نصف قرن .

إذن يصح القول بأن أبا العلاء ليس سوى لزومياته : فهي التي لم يَفرِ فيها فَرِيَّه أحد . ولم يُلهم في عُمقِيِّ تفكيرها إلهامه أحد . بل هي التي سجلت له حق الخلود من جهة . وكشفت لنا عن أسرار مجتمع زمانه من جهة أخرى . وقد نبهنا هو نفسه إلى صنيعه هذا مذ قال :

(ومن تأمل أقوالي رأى جملا يظل فيهن سرُّ الناس مشروحا)

وهل يريد بسر الناس إلا ما نريده بقولنا : (أسرار المجتمع) (أسرار الوجود) (نواميس الاجتماع) (طبائع العمران) .

***

ومن مواضع العجب أن أحداً من فحول العلماء لم يتصدَّ للزوميات فيشرحها كلها (١) شرحاً يستوعب فيه جميع ما دفن فيها من كنوز . واستتر تحت ذيلها من رموز .

ولو تصدى متصدٍ إلى شرحها على النحو الذي وصفنا لمنحنا من واسع علمه (دائرة معارف) تحيط بثقافتنا العربية الاسلامية من جميع جهاتها . ولكن هذه الاحاطة تحتاج إلى عيلم (انسكلوبيدي) عامٍ في مناحي علمه . شامل لكل فن ومطلب في اتساع ذرعه . وعمق تفكيره . ولا ندري ان كان أمثال هؤلاء العيالم تركوا شرح اللزوميات تهيباً للعمل ؟ أو تأثماً من العمل ؟

لا جرم أن في اللزوميات ما ينفعل منه الورع المتزمّت . ويقطب عنه سماعه المسلم المتشدد . أما ديوان (سقط الزند) فلا يكاد يوجد فيه والحمد لله ما يحول بين المرء وقلبه . أو يلقّنه الشك في ربه . ولذا كثر شرّاح السقط . وقل أو فقد من شرح اللزوميات .

***

(١) بلغنا أخيراً أن قد شرح بعضها أبو عبد الله الطليوسي . ويوجد من شرحه هذا بعض أوراق في المكتبة التيمورية بالقاهرة . وبعض قصائد من الشرح المذكور في مكتبة الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب في تونس .

وعلى قاعدة (ازهد الناس في العالم وأهله وجيرانه) زهد الجيران والاقارب في وضع شرح على السقط : أولئك الجيران والاقارب الذين عناهم أبو العلاء بقوله في (سقط الزند) :

(أإخواننا بين الفرات وجلّق يدَ الله لا خبرتكم بمحال)

وقام الاباعد يشرحونه . ويتفننون في التعليق عليه . وإيضاح ما خفي منه : فشرحه التبريزي والرازي والخوبي[١] والابيوردي والواحدي والاخسيكتي والخوارزمي[٢] وهؤلاء كلهم مشارقه . وربما كانوا أعاجم أيضاً . وشرحه من المغاربة الاندلسيين القادسي والبطليوسي[٣] ،

ونسأل الجيران عن سبب زهدهم في شرح ديوان جارهم . فيجيبنا الاستاذ عباس الغزاوي البغدادي عضو مجمعنا العلمي بأن لديه شرحاً للسقط ألّفه سنة ١٢٧٧ هـ أحد أدباء العراق : وهو ابراهيم فصيح الحيدري البغدادي وسماه (نفح الزند) وقد قرظ هذا الشرح أمين أفندي الجندي مفتي دمشق الشام . وأسرة الحيدري أسرة علم في بغداد كانت . أما اليوم فمن أبرز شخصياتها السياسيين معالي (داود الحيدري) وزير العراق المفوض في لندن .

وأنتم يا علماء القطر الشامي ؟

يجيبنا صاحب كشف الظنون بأن ابن الرازي الحموي (المتوفى سنة ٧٣٧ هـ) له شرح على سقط الزند .

وأنتم يا أقرب الجيران : يا علماء دمشق الماضين الذين قال أبو العلاء في بلدكم : (دمشق عروس الشام الموموقة . وواسطة عقدها المرموقة) ها أنتم أولاء ترون مبلغ عناية أحفادكم دماشقة اليوم بتكريم أبي العلاء في مهرجانه الألفي . أما لكم فيه أثر ؟ أو لديكم عنه خبر ؟

فيجيبنا شيخان دمشقيان متعاصران ومتقاربان في الوفاة : (يوسف البديعي)

---

(١) وشرحه يسمى (التنوير) وهو مطبوع في الهند سنة ١٢٧٦هـ ثم طبع في مصر سنة ١٢٨٦ هـ .

(٢) وشرحه يسمى (ضرام السقط) وهو مطبوع على هامش طبعة التنوير الهندية .

(٣) قال بروكلمن أن شرح البطليوسي قد طبع أيضا .

و (محمد بن نورالدين[1] الدرّا) . يقول لنا الاول : إنه ألف في أخبار أبي العلاء كتاباً سماه (أوج التحري) (وهو الذي طبعه المعهد الافرنسي بدمشق . ووزعت نسخه خلال أيام مهرجانه الألفي) فنقول للبديعي لانريد هذا وانما نريد شرحاً لسقط الزند .

فبهمهم إذ ذاك الشيخ الدرا وسمعنا صوته المهيب من وراء برازخ الاموات قائلا : انني وضعت شرحاً على ديوان سقط لزند الذي نظمه عروس مهرجانكم في مجلد تزيد صفحاته على خمسمائة صفحة . وفرغت من تأليفه سنة أربع وستين بعد الألف للهجرة . فيكون قد مر على ولادته إلى يومكم هذا ثلاثمائة سنة كاملة وبذلك أستحق أن يقام له مهرجان صغير بجانب المهرجان الألفي الكبير . وافتتحت مقدمته بقولي :

(نحمدك يامن شرح صدر من بصّره بنور الهداية . فارتسم في ديوان حضرة الولاء . وطمس على بصيرة من حذره غرور الغواية . فأخلد إلى الارض وأبى العلاء).

إلى أن قلت في سبب وضعي للشرح المذكور ما خلاصته : إنني كنت مولعاً بديوانيْ (ابن الفارض) و (أبي الطيب) كما كنت حريصاً على أن أتفهم معاني اشعار (أبي العلاء) في ديوانه (سقط الزند) . وقد صعب عليّ تفسير طائفة كبيرة منها . حتى علقت في الكف نسخة من الديوان عليها هوامش . فاستعنت بها في وضع شرحي هذا . مما أنا فيه من الغربة في مدينة جدة حاجاً . وكتبي اللغوية بعضها في بلدي دمشق . وبعضها الآخر في الديار المصرية . وقد ترددت أولا في الشروع حتى رأيت في المنام مولانا الشريف (زيدَ ابنَ محسن[2]) وكان من سعادة تلك الرؤيا تقبيلي لراحته . فألهمت أن أخدم خزانة كتبه بهذا الشرح . ففعلت . وقدمت بين يدي خدمتي قصيدة مدحته بها . وجعلت عدتها أربعة وستين بيتاً بعدد ما زاد على الالف من تاريخ نظمها الذي كان سنة أربع وستين بعد الالف ومطلعها :

(خذ يمين الحمى فثم بدور طلعت في دجا الشعور تُنير)
(كل بدر يُقله غصن بانٍ مثمر بالدلال لدن نضير)
(فقدت قلبها المناطق فيه فهي حيرى على الخصور تدور)

---

(١) وفاة الشيخ الدرا كانت بدمشق سنة ١٠٦٥ هـ ووفاة الشيخ البديعي ببلاد الروم سنة ١٠٧٣ هـ .

(٢) راجع ترجمته في تاريخ المحبي الدمشقي جزء ٢ ص ١٧٦ .

قال : وكنت سميت شرحي (سفط العقيان والحلى لعروس ديوان أبي العلاء) .

ثم رأيت في المنام أني أستقدح زنداً . واستصبح منه فنداً . فعبرت ذلك بأن أسميه (ضوء الفند [1] من سقط الزند) .

قال : وقد خطر لي أن أرتب قصائد الديوان على حروف المعجم بعد أن أدمج فيها الدرعيات وأجعلها ديواناً واحداً — خلافاً لترتيب نسخه المتداولة في أيدي الناس — ثم شرعت في العمل فقلت : قال أبو العلاء احمد بن عبد الله بن سليمان المعري نسبة إلى المعرة وهي قرية من قرى دمشق الشام) إلى آخر ماقال المؤلف.

اقول : جعلُ المؤلف (معرة أبي العلاء أو معرة النعمان) من قرى دمشق أمر مشكل : ويمكن تأويله بأن المعرة كانت في زمن المؤلف من ملحقات حماة . وحماة من أعمال دمشق فتكون المعرة من قرى دمشق . أو أن الناسخ أخطأ : أراد أن يكتب (حلب) فكتب (دمشق) . وهو الاقرب . ومن المستبعد جداً أن يكون (الشيخ الدرا) أراد بمعرة أبي العلاء معرة صيدنايا التي هي من قرى دمشق . نستبعد هذا لانه جهل مطبق . لا يتفق مع فضل المؤلف المحقق .

***

هذه أيها السادة خلاصة ما قاله الشيخ الدرا في مقدمة شرحه . ثم ذكر في خاتمته أنه أتمه في خلال تسعة أشهر . وأنه بيض منه أربعة كراريس ورجع إلى وطنه دمشق . فتوفي في السنة التي بعدها (أي سنة خمس وستين بعد الألف) ودفن في جبانة باب الصغير . وبقيت مسودات الشرح مهملة مدة ثلاثين سنة . حتى قام ابن أخت المؤلف (عبد الحق بن على الدرا) فبيض المسودات بياضاً كاملا . وذلك سنة خمس وتسعين بعد الألف .

والمحبي في تاريخه [2] (خلاصة الاثر) ترجم للشيخ الدرا ترجمة حسنة وأثنى عليه . وقال إنه كان من أنبل أبناء وقته فاضلا شاعراً ممتع المحاضرة قرأ

(١) الفند معناه الشمع الذي يستضاء به وهو لفظ لا تعرفه العرب بهذا المعنى وربما كان سريانيا . وقد كتبت فيه مقالا مسهباً نشرته مجلة المجمع العلمي العربي (مجلد ١٧ ص ٥٧)

(٢) جزء ٤ ص ٢٤٩ .

رفع المسهم

العربيـة على النجم الغزي وحضر دروس الشيخ عبد الرحمن العمادي فتفوّق وشاع فضله ورحل إلى القاهرة مراراً . وأخذ عن الشيخ سلطان ومن عاصره من العلماء . ومدح من ساداتها الشيخ محمد البكري الصديقي بقصيدتين :

مطلع الاولى :

(خليليّ حطا بالركائب من مصر سقاها وحياها المريع من القطر)

ومطلع الثانية :

(من لقلب من الهوى لا يُفيق وعيون إنسانُهن غريق)

ويظهر أن مخطوطة مكتبتنا هي التي كتبها عبد الحق ابن أخت المؤلف . وربما كانت وحيدة لا ثاني لها : فقد سألت عنها كبير آل الدرا في دمشق فقال إنهم يسمعون بها ولم يرو لها أثراً . وراجعت فهارس دار الكتب الظاهرية . ودار الكتب المصرية فلم أظفر بذكر لها . وقد كتبت على ظهر المخطوطة هذه الجملة : (إن هذا الشرح أحسن شروح الديوان) أما كيف وصلت هذه المخطوطة الينا في طرابلس الشام فيمكن استنتاجه مما يلي :

يوجد في الصفحة الاربعين من المخطوطة هامشة نحوية بخط أديب كبير من أدباء دمشق هو أحمد بن الياس الكردي . وقد وقّع عليها وأرّخ بجانب التوقيع سنة كتابتها بمائة وثلاث وتسعين بعد الألف .

وأحمد الكردي هذا من عيون شعراء الشام في القرن الثاني عشر . ترجم له المرادي في تاريخه (١) وقال : إنه كان يلقب بالارّجاني (٢) الصغير وبالقاموس الماشي . وهو الذي وصف السفينة وصفاً أبدع فيه كل الابداع وذلك يوم ركبها إلى مصر القاهرة يمدح واليها محمد باشا الشهير بالراغب ومطلعها

(١) سلك الدرر جزء ١ ص ٨٣ .

(٢) تشبيهاً له بالارجاني الكبير وهو لقب القاضي ناصح الدين أبي بكر أحمد المتوفى سنة ٥٤٦ هـ وربما كان السبب في أنهم شبهوه به إبداعه في وصف السفينة كما أبدع الارجاني في وصف الشمعة في قصيدته التي مطلعها :

(غنّت بأسرار ليـل كاد يخفيها وأطلعت قلبها للناس من فيها)

ثم سرد أوصافها إلى أن قال :

(صفر غـلائلها ، حمر عمـائمها سود ذوائبهـا بيض لياليهـا)

(هذي مُنايَ بلغتها لاوانها فالحمد للافلاك في دورانها)

ومنها :

(النيلَ أيتها السفين فليس لي في فارس أرب ولا أرجانها)

(فتر شفي من ثغر دُمياط المنى لا ظل ذاك الشعب من بوّانها)

قال المرادي : ونزل أحمد الكردي طرابلس الشام وتزوّج بها وحصل له بعض وظائف . ثم غادرها إلى حلب موافياً صديقه الوزير راغب باشا المذكور حينما جاء والياً . فمات فيها سنة تسع وتسعين ومائة بعد الألف للهجرة . أما كتبه فيظهر أنها بيعت في طرابلس . ومن جملتها مخطوطة الدرا التي قالنا إن عليها هامشة بخط أحمد الكردي فوقعت إلينا منذ ذلك التاريخ .

وخط هذه النسخة جيد واضح . والأبيات وحدها مكتوبة بالحمرة . غير أن فيها طائفة من الأغلاط . لأن ناسخها على مايظهر لم يكن متمكناً من العربية وآدابها .

وقد عارضت النسخة بشرحي (الخويي) و (الخوارزمي) فاذا فيها آثار كثيرة من شرح الخويي المسمى بالتنوير : مما يدل على أن النسخة التي ظفر بها المؤلف الدرّا في جدة كانت هوامشها مستقاة من شرح (الخويي) .

***

وللشيخ الدرا استظهارات أو نقول آراء شخصية لم نجدها لغيره من الشراح مثال ذلك ما قاله في شرح بيت المعري :

(ورائي أمامُ والامام وراءُ إذا أنا لم تكبرني الكبراء)

فهو بعد أن أطال في المعنى المراد من قوله : (ورائي أمام والامام وراء) ونقل جميع ما قاله غيره من الشراح قال : (وثمّ معنى آخر يحتمله التركيب : وهو انه أطلق الوراء والامام وأراد بها مظروفيها : الموتَ والحياة . مجازاً مرسلاً : إذ أن أمل الانسان جهة أمامه واجله من خلفه . وحقيقة المعنى حينئذ : إذا لم تعرف قدري العظماء فموتي حياة وحياتي موت . قال وهذا الاحتمال أنسب بمواقع كلام أبي العلاء كقوله (فيا موت زر إن الحياة ذميمة) .

وقال بعد أن شرح قول أبي العلاء :

(يود أن ظلام الليل دام له . وزيد فيه سواد القلب والبصر)

ما نصه : (وإذا تأملت فحوى هذا البيت رأيته كالهادم لاركان البيت السابق ما لم يُتكلف له) . والبيت السابق هو قوله :

(ماسرت إلا وطيف منك يصحبني سرّى أمامي وتأويباً على أثري)

وهكذا نرى للمؤلف استظهارات أو مبادهات من رأيه الخاص لم نرها لغيره .

وإذا رأى الشيخ الدرا شيئاً لم يعجبه من شعر شيخ المعرة لا يبالي أن يلزه وينال منه . ففي قول أبي العلاء :

(حلباً يملأ الجفان سديفاً يَرعب الغاليات بالترعيب)

شرح الشيخ الدرا معنى هذا البيت ثم قال : (قماقع ما تحتها طائل)

وبعد أن شرح قوله :

(مستقي الكف من قليب زجاج بغروب اليراع ماء مداد)

قال : ولعمري إن الذوق لينبو عن هذه الاستعارات .

***

ولقد لمحنا من خلال شرح الشيخ الدرا أنه من الشيوخ الذين يسيئون الظن بشيخ المعرة خلافاً للبديعي مؤلف (أوج التحري) فأنه كان يحسن الظنّ به . ولعل المعاصرة بين ابني البلد الواحد الدرا والبديعي هي التي أدت إلى اختلاف وجهة النظر في أبي العلاء ثم انتهت بهما إلى وضع تأليفيهما . على أن الشيخ الدرا ما كان يشير إلى رأيه السيء في أبي العلاء إلا في الندَري : مثال ذلك أنه بعد أن شرح قوله :

(وإني وإن كنت الاخير زمانه لآت بما لم تستطعه الاوائل)

قال : (وقد أفحم بحرف واحد ورد الله يده في فيه) يشير بقوله : (أفحم بحرف واحد) إلى قصة الغلام الذي اعترض أبي العلاء قائلا : آنت الذي قلت : (وإني وإن كنت الخ . . .) قال نعم . قال إن الاوائل وضعوا للهجاء تسعة وعشرين حرفاً فزد أنت عليها حرفاً واحداً إن قدرت . فسكت مفحماً .

وأقام الشيخ الدرا النكير على شيخ المعرة مذ قال في رثاء الفقيه الحنفي أبي حمزة :

(واحْبُواه الاكفان من ورق المصحف كبراً عن أنْفَس الابراد)

فتأفف الشيخ الدرا من هذا الغلو ووصف صاحبه بما لا يرضي أنصاره وربما حكم عليه بأشد مما وصف .

* * *

حقاً إن عقول المفكّرين من البشر لم تقف في الحكم على أحد من البشر موقفها من شيخ المعرة : حتى كانوا فيه طوائف ثلاثاً : طائفة جعلته من أصحاب الميمنة . وطائفة جعلته من أصحاب المشأمة . أما الطائفة الثالثة فهم الحائرون في أمره . المتوقفون عن تقرير مصيره . ويوشك أن يكون أبو العلاء عنى نفسه وهذا الفريق الثالث عندما قال :

(والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد)

فهو هو الانسان الذي استحدثه خالقه من جماد . وجمع فيه ماتشتت من ذكاء العباد . وأودعه ماشاء من النقائض والاضداد .

* * *

وقد قلت :

أبو العلا لغز غدا حله مُعضِلة عَيَّ بها العالمون
كم بات في أمر الورى حائراً والناس في حيرته (١) حائرون
فقائل : حَيرُته عن هُدى وقائل حيرته عن فُتون
وقائل : خُبل عن خَلوة لا طُعم فيها غير بُلس وتين
وقائل : شككه راهب فكان في الشك زوالُ اليقين
وقائل : ضل فلم يهتد لرشده : فهو من الاخسرين
لكنما الجنة مفتاحها في يد ربي لا يد القائلين

المغربي

(١) وأشهر قول له دل به على حيرته — هذا البيت :

(ويغري النفس إنكار ومعرفة وكل معنى له نفي وإيجاب

دين أبي العلاء

اذا حاول الانسان أن يتكلم في أبي العلاء وجد مجالاً واسعاً للقول لأن في شعره أبياتاً رائعة في كل غرض من أغراض الشعر وفي نثره آيات بارعة لا تقل عن شعره في الجودة ولكن الناس نسوا أو تناسوا ذلك ولم يذكروا له إلا السيئات حتى في هذا اليوم الذي أعد للاحتفاء به .

ولقد بدا لي أن تكون كلمتي هذه في تشاؤمه الذي فرض عليه فرضاً فرأيت ذلك يجر إلى سخط القائلين به فصرفت نفسي عنه .

ثم حسن عندي أن أبين عطفه على المرأة لأن بعض الناس يعتقد أنه أعدى عدوها ولكنني عدلت عنه لأنه يحتاج إلى تطويل لا يتسع له هذا المقام.

وبعد اللتيا والتي . تخيرت القول في دين أبي العلاء أو مذهبه أو معتقده .

ما هو السبب في تكفيره

افتن المتقدمون والمتأخرون في تكفير هذا الرجل ووصفوه بالالحاد والزندقة والمروق وما أشبه ذلك من النعوت ولا بدلكل حادث في هذا الكون من سبب يوجبه وعلة تقتضيه والممعن في البحث يجد أسباباً كثيرة لذلك من اشدها الحسد من أعدائه والتنطع والتشدد في الدين من خصومه والطموح إلى الظهور على أكتافه . والولوع بالإغراب على حسابه .

الحسد

أما سبب الحسد فان أبا العلاء أوتي من المواهب الفطرية ما لم يؤته كثير من الناس ونال حظوة عند الملوك والأمراء والكبراء فلما نالها شاعر أو عالم ورزق من طيرورة الشهرة ما لم يتح لكثير من النوابغ .

فقد بذل له المستنصر العلوي ما في بيت المال في المعرة . وكتب داعي الدعاة إلى تاج الأمراء أن يجري له ما تدعو اليه حاجته في جميع مهـــامه .

رفع المسهم

وكلف الوزير الفلاحي عزيز الملك أن يحمله إلى مصر ليبني له دار علم . وسمح له بخراج المعرة مدة حياته فأبى ذلك كله وكان عفافه هذا يزيده حرمة في أعين الملوك فمن دونهم ولم يمرّ بالمعرة وزير مذكور أو فاضل مشهور إلا وقصده واستفاد منه أو طلب شيئاً من تصنيفه أو كتب عنه .

فهذه الحظوات وتلك المواهب أوقدت في قلوب حساده ناراً .

التنطع والتشدد

وأما سبب التنطع فان أبا العلاء انتقد كثيراً من المزاعم التي كان يعتقدها بعض الناس في زمانه .

فأنكر أن يكون حام اسودّ من أجل ذنب أحدثه . وأن يكون الخضر حياً . وان الشيب لم يعرفه الناس قبل ابراهيم وأن الأدمي كان إذا عطس لفظ أنفساً . وأن الشمس تضرب وتهان إذا حان الشروق وأن عجوزاً تحلب القمر وأن . وأن . .

وأنكر تأثير الاحراز التي تكتب لدفع العين أو الجن كما أنكر المشي على الماء والطيران في الهواء وأن يعود مليك مصر إلى الدنيا وأن يقوم إمام ناطق في الكتيبة الخرساء إلى كثير من مثل هذه المزاعم وكان جريئاً في نقده وإبداء آرائه فتناول رؤساء المذاهب والنحل والملوك والعلماء والخطباء والشعراء والتجار وقلما سلم منه صنف من الناس ولم يتخير لذلك قولاً ليناً ولا أسلوباً لطيفاً وإنما واجه هؤلاء بكلمات أشد من الصواعق . وفي اضعاف كلامه كثير مما لا يرتضيه المتشددون في الدين وإن لم يوجب تكفيره .

وأما الطموح الى الظهور

فقد رأينا فيمن انتقد أبا العلاء كثيراً ممن لم يستطع إدراك ما يريده أبو العلاء من كلامه على وجه صحيح وربما جاء بالبيت على أنه حجة له وهو حجة عليه ولكنه انتقده ليقال إنه انتقد أبا العلاء ؟

رفع المسيهما

وأما الولوع بالاغراب

فان فريقاً من الناس يجد في البحث عن زلة لأبي العلاء ويتسقط هفواته حتى إذا ظفر بشيء ولو بشبهة. ضعيفة ابتهج وتنفج كأنما أحدث فتحاً جديداً في الاسلام وفيهم كثير ممن عثر فيما قال عثرة لا تقال.

فتألب عليه حساده وأولئك المتنطعون والطاعنون والمولعون وأرادوا أن يسقطوه من أعين الناس فالتمسوا مغمزاً في علمه وأدبه وعفافه فلما أعياهم ذلك لجؤا إلى الدين فاتخذوا منه سلاحاً للطعن فيه ومالأهم على ذلك فريق ممن يتابع على غير بصيرة فهذه هي أكثر الأسباب، تأثيراً في تألب الناس عليه.

ماذا قالوا يفعلون

اتفقت كلمة حساد أبي العلاء وأعدائه على تكفيره ولكنهم اختلفوا في الطرق التي توصله إلى ذلك فمنهم من كفره بما لا يوجب التكفير ومنهم من نسب إليه أبياتاً هو بريء منها ومنهم من حرف أقواله عما يوجب الايمان إلى ما يوجب الكفر ومنهم من جره إلى الكفر بغير سبب ولا مناسبة ومنهم. ومنهم .. ومن هؤلاء ياقوت فقد جعله ملحداً وروى له هذين البيتين:

اللاذقيـــة فتنـــة ما بين أحمد والمسيح
هذا يعالج دلبـــة والشيخ من حنق يصيح

ولم يروهما غير ياقوت ولا هما في ديوانه ولا يظهر فيهما أثر للالحاد وتأليفهما الركيك يشهد بأن المعري بريء منهما. ولقد كانت العامة أبرع من ياقوت في التكفير فانهم لم يروا فيهما ما يوجب الالحاد فزادوا بيتاً ثالثاً وهو:

كل يعظم دينـــه يا ليت شعري ما الصحيح

وأورد أبو العلاء في رسالة الغفران أبياناً لسمير بن أدكن مطلعها:

يصول أبو حفص علينا بدرة رويدك ان الحق يطفو ويرسب

فقال ياقوت هذا يشبه أن يكون شعر المعري قد نحله هذا اليهودي. كأنما أنكر أو أكبر أن يكون شعر فيه كفر أو إلحاد لغير أبي العلاء.

وزعم ابن الجوزي والباخرزي و لذهبي ان أبا العلاء عارض السور والآيات بكتاب الفصول والغايات . وربما كان فيهم من لم يطلع عليه . ولم يبين واحد منهم مايريد بالمعارضة فان ارادوا المعارضة بالمعاني والاغراض والمقاصد فهذا باطل لأن اغراض القرآن الكريم كثيرة ومقاصده مختلفة منها شرع الاحكام وبيان بعض الشرائع التي كانت قبل الاسلام وقص الاخبار وما اشبه ذلك والفصول والغايات اغراضه قليلة ومقاصده محدودة لاتكاد تخرج عن تمجيد الله وعن العظات وقد تصدى فيه الى القول في الموسيقى والعروض والنحو ونحو ذلك مما ليس له أثر في القرآن الكريم .

وإن أرادوا المعارضة بالألفاظ فهذا باطل أيضاً لأن أبا العلاء التزم في كتابه هذا أن يكون آخر كل غاية على حرف من جروف الهجاء وأكثر من السجع واستعمال الغريب واستشهد بأقوال الشعراء والحكماء والأمثال ونحوها والقرآن الكريم خال من ذلك كله .

والذي أعتقده أن أبا العلاء كانت له ثروة في اللغة وباع طويل في الحكم واطلاع واسع على العلوم المختلفة فوضع هذا الكتاب على هذا النمط ليبين فيه قدرته في كل ما تقدم وبما ذكرناه يتبين أن بين القرآن الكريم وكتاب الفصول والغايات فروقاً متعددة في الألفاظ والمعاني .

وروى أبو الفداء في تاريخه هذين البيتين على هذا الوجه :

أتى عيسى فبطل شرع موسى وجاء محمد بصلاة خمس
وقالوا لا نبي بعد هذا فضل القوم بين غد وأمس

والصواب روايتها كما وردا في ديوانه لزوم ما لا يلزم :

دعا موسى فزال وقام عيسى وجاء محمد بصلاة خمس
وقيل يجيء دين غير هذا وأودى الناس بين غد وأمس

والزمخشري أورد في الكشاف بيت أبي العلاء في وصف النار :

حمراء ساطعة الذوائب في الدجى ترمي بكل شرارة كطراف

ثم قال وكانه قصد بخبثه أن يزيد على تشبيه القرآن . ولقد عمي جمع الله له عمى الدارين إلى آخر قوله . وهذا البيت يصف فيه المعري نار القرى وهو من قصيدة رثى بها الشريف الموسوي وهو ببغداد . وليس فيه ولا

في القصيدة كلها ما يدل على ما قاله الزمخشري . ولعل هذا البيت أجمل بيت قالته العرب في وصف النار .

ونسب ابن السبكي في الطبقات إلى أبي العلاء البيتين المشهورين وأولهما :

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

ثم قال : قبحه الله ما أجرأه على الله . . . وهذان البيتان لابن الراوندي .

ونسب أبو الحسين الجزار هذا الشطر لابي العلاء وهو :

حديث خرافة يا ام عمرو

وهو لبعض مشركي العرب .

وهناك كثير من مثل هذه الاقوال المحرفة ألصقت بأبي العلاء ظلما وزوراً .

وإذا كان مثل هؤلاء الائمة لا يتثبت في الرواية ولا يتورع عن التحريف والتقول ويكفر بغير موجب فما نقول فيمن هو أدنى منهم منزلة في العلم والشهرة .

وفي الناس كثير ممن يكفر أبا العلاء وإذا سألته عن السبب قال لك إني لم أر شيئاً من كلامه ولكني رأيت فلاناً من العلماء يكفره فقلدته في ذلك ومن قلد عالماً لقي الله سالماً .

ومثل هؤلاء مثل رجل مر بالسوق فرأى فريقاً من الناس يضربون رجلا مسكيناً فجاء إليه وأوسعه ضربا وشتما وسبا فقيل له من هذا الذي ضربته وما السبب الذي حملك على ضربه وسبه فقال إني والله ما عرفته قبل اليوم ولا عرفت له ذنباً ولكني رأيت الناس يضربونه فضربته وهذا سبيل كثير من الناس مع أبي العلاء استضعفوه فنتفوه حياً وميتاً .

كيف وزع المعري على الملل والنحل

لم تتفق كلمة المتقدمين والمتأخرين على جعل ابي العلاء يدين بدين واحد وإنما جعلوه نهبا مقسما بين الملل والنحل والحقه كل واحد بما شاء وشاء له الهوى .

فجعلوه برهميا ومزدكيا وزنديقا وملحداً وكافرا ومعطلا ودهريا وقرمطياً وشيعياً ودرزيا وتقياً وزعم فريق أنه عارض القرآن ومن عطف عليه جعله في حيرة او صاحب تقية او مجمعاً للمتناقضات ومنهم من جعله ساحراً إلى غير ذلك من الاقوال ولكل واحد من هؤلاء متمسك يعول عليه في حكمه .

رفع المسيهما

البرهمية

أما من قال أنه برهمي فاستدل على ذلك بأنه لم يأكل اللحم خمساً وأربعين سنة . وكلام أبي العلاء يدل على أنه لا يعتقد أن أكل اللحم محرم وإنما تركه اجتهاداً في التعبد ورحمة للمذبوح ورغبة بغفران الله . ويعتقد أن العقل لا يقبح ترك أكله وإن كان حلالا لان المتدينين لم يزالوا يتركون ما هو لهم حلال مطلق . وان له في السنة نيفاً وعشرين ديناراً يأخذ خادمه بعضها وما بقي لا يعجب فاقتصر على فول وبلسن وما لا يعذب على الألسن . هذا ما قاله أبو العلاء ولكن الناس يجعلونه برهمياً شاء أم أبى وقد روي أن النبي ﷺ أتي بشربة من لبن مشوبة بعسل فقال أما اني لست احرمه ولكني أتركه تواضعاً لله . والتاريخ طافح بأخبار المتدينين الذين كانوا يمتنعون من تناول الأطعمة المباحة زهادة فيها ورغبة في التقرب إلى الله .

المزدكية

وأما المزدكية فمن أعجب العجب جعل المعري مزدكياً لأن مزدك على ما قال ابن الأثير كان يستحل المحارم والمنكرات ويسوي بين الناس في الأموال والنساء ويأخذ امرأة هذا فيسلمها الى الآخر . وقد طلب من قباذ أن يسلمه امرأته فاجابه ولكن ابنه انوشروان حال دون ذلك والقصة مشهورة

وأبو العلاء كان يأبى زواج الحرائر ويتشدد في منع المرأة من الخروج إلى الحمام والعراف والحج ويحظر دخول الوليد عليها كل ذلك غيرة عليها وقد قال :

برئت إلى الخلاق من أهل مذهب يرون من الحق الاباحة للأهل

فجعله مزدكياً بعد هذا من الغرائب .

القرمطية

وأما نسبته الى القرمطية فلا تقل في الغرابة عن نسبته إلى المزدكية لأنه لعن بعضهم وكفرهم في رسالة الغفران ص ١٤٥ وقال فيهم في لزوم ما لا يلزم :

يرتجي الناس أن يقوم إمام ناطق في الكتيبة الخرساء

رفع المسهم

كذب الظن لإمام سوى العقـــــل مشيراً في صبحه والمساء
انما هذه المذاهب أسبـا ب لجذب الدنيا إلى الرؤساء
غرض القوم متعـة لا يرقو ن لدمع الشماء والخنساء
كالذي قام يجمع الزنج بالبصـــــرة والقرمطي بالاحساء

وبعض الناس يقتطع قوله : إنما هذه المذاهب أسباب ... ويجعله بيتاً منفرداً ليصرفه عن القرامطة ويجعله شاملاً لكل مذهب ليثير الناس عامة على تكفيره وأما نسبته إلى بقية المذاهب الأخرى فعلى مثل هذا النمط والقياس كلها قائمة على الشبه وإيرادها ثم ردها وإبطالها يحتاج إلى وقت طويل .

التقية

وأما التقية فلعلها أغرب ما قيل فيه وذلك أن الانسان إنما يلجأ إليها عند الخوف من فتنة أو شر أو بطش . وأبو العلاء صرح في مواطن كثيرة بأمور هي أحق من غيرها بالتقية . فاين التقية ممن يقول في ملوك عصره .

مل المقام فكم أعاشر أمـة أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم أجراؤها

ساس البلاد شيـاطين مسلطة في كل مصر من الوالين شيطان

يسوسون الأمور بغير عقل فينفـذ أمرهم ويقال ساسه
فاف من الحيـاة وأف مـني ومن زمن رئاسته خساسه

بل اين التقية ممن يقول :

اثنان أهل الأرض ذو عقل بلا دين وآخر دين لا عقل له

فما المظات وإن راعت سوى حيل من ذي مقال على ناس تحولها

قالوا فلان جيد فأجبتهم لا يكذبوا ما في البرية جيد
فأميرهم نال الامارة بالخنى وتقيهم بصلاته يتصيـــد

لو غربل الناس كيما يعدموا سقطاً لما تحصل شيء في الغرابيـل

رفع المسيهما

وديوانه مكتظ بمثل هذه الصراحه الاذعة ولو كان عنده شيء من التقية للجأ اليها في مثل هذه المواطن او استغنى عنها .

رأينا في اعتقاد ابي العلاء

يحدثنا التاريخ ان ابا العلاء كان يرمى من اهل الحسد له بالتعطيل وان تلامذته وغيرهم كانو يعملون الاشعار على لسانه ويضمنونها اقوال الملحدة قصداً لهلاكه وقد حرف اثنان منهم بيتا من لزوم ما لا يلزم ليثبتا عليه الكفر فكتب رسالة الضبعين الى معز الدولة يشكوهما اليه ويبين له ان في حلب نسخا من الكتاب بريئة من التحريف وإن أبا العلاء ألف كتاباً في الرد على من نسبه إلى معارضة القرآن وفي الجواب عن أبيات أخرجوها من لزوم ما لا يلزم وكفروه بسببها وسماه زجر النابح ثم طعنوا فيه بأبيات أخر فوضع كتاباً آخر سماه نجر الزجر أو بحر الزجر بين فيه التحريف ووجوه الأبيات ومعانيها وإن أعداءه لم يألوا جهداً في الافتراء عليه وإن كتبه التي وصلت إلينا مغمورة بالشعور الاسلامي وليس في شيء منها متمسك لخصومه إلا رسالة الغفران ولزوم ما لا يلزم.

رسالة الغفران

أما رسالة الغفران فقد قيل ان فيها تهكماً واستخفافاً وهما من الأمور النفسية التي لا يعلمها إلا الله ولا يمكن لبشر أن يعلمها إلا إذا أخبره بها صاحبها ولم ينقل عن أبي العلاء شيء من هذا وبناء الحكم على الشبهة او الاحتمال لا قيمة له عند أهل العلم .

لزوم ما لا يلزم

وأما لزوم ما لا يلزم وهو الذي يعتمد عليه الناقدون والناقمون فقد طبعت نسخة منه في الهند ثم طبع في مصر وهذه النسخة لا نعلم نحن ولا غيرنا يعلم عن أية نسخة نقلت .

رفع المسهم

ولكننا نعلم يقيناً وفوق اليقين أنها لم تسلم من عبث الطابع والشارح فقد وردت فيها أبيات فيها كلمات زائدة على الوزن كقوله :

وقد ضننت بشاة وهي فاردة على أزل فقيد المال قوت عسال

فكلمة قوت زائدة . وأبيات فيها نقص كقوله :

يخادع ملك الارض إذا أتت منيته لم تغن عنه مخارقه

ولعل أصل البيت حتى إذا أتت . أو نحوها فقد نقص البيت كلمة . وأبيات فيها تحريف كقوله :

والنون في حكم الخواطر محدث والاولى هو الزمان المظلم

والصواب والنور في حكم . . وقد فسر الشارح بعض الكلمات تفسيراً غريباً كقوله :

وجوهكم كلف وأفواهكم عدى . . .

قال الشارح العدي كل خشبة بين خشبتين . وحجر رقيق يستر به الشيء فيكون المعنى وأفواهكم خشبة . . أو حجر . وما أغرب هذا التفسير . وربما اجتمع في البيت الواحد تحريف وتفسير وكل منها يخل بالمعنى كقوله في الديك :

ورثت هدى التذكار من عهد جرهم أو ان ترفت في السماء النعائم

قال في الشرح النعائم النعام ورف الطائر بسط جناحيه وهو غير مستعمل وانما المستعمل رفرف إلى آخر كلامه .

وصواب البيت أوان ترقت في السماء النعائم والمراد بالنعائم هنا ثمانية كواكب وهي من منازل القمر يقال لها النعائم وكقوله من أبيات يذكر فيها أبو العلاء ما يقتاته :

لا أفجع الام بالرضيع ولا أشرك هـــذا الفرير باللبن

أقتات من طيب النّهات وهل يسلم عود الفتى من الأبن

قال في الشرح والنّهات النّهاق [أي الحمار] والاسد والزّحار . والزحار جاء لمعان منها داء يأخذ البعير فيزحر منه حتى ينقلب سرمه ومنها استطلاق البطن . فقد جعل الشارح أبا العلاء يقتات حماراً أو أسداً أو زحاراً على أحد معانيه وكل ذلك قوت ممقوت . وصواب البيت أقتات من طيب النبات .

رفع المسيهما

وفي الكتاب مئات من مثل هذه الهنات لم ينبه عليها الشارح لانه لم ينتبه لها وإذا كان لا يفطن إلى ما يخل بالوزن أو المعنى وهو أقل ما يجب على الشارح ويزيد الخرق اتساعاً بالتفسير الذي يمجه الذوق ويأباه العقل في الأمور البديهية فهل نأمن بعد ذلك من التحريف فيما يتعلق بدين المعري واعتقاده . ولو وقع في كلامه مثل هذه الجملة أنا أومن بالله ولا أشرك به لما استبعدت أن يحذف كلمة لا من الجملة الثانية ويزيدها في الأولى قياساً على ما رأيته في شرحه ولو ساعد المقام لأوردت جملة من هذه المضحكات ومن المعلوم ان لزوم ما لا يلزم لم يكن من كتب العقائد والدين وإنما هو ديوان شعر والشاعر قد يبالغ أو يوجز ويقول ما لا يفعل ويتخيل أمراً غير واقع ويلجأ إلى المجاز كما قال أبو العلاء

لا تقيد على لفظي فاني مثل غيري تكلمي بالمجاز

وإذا كان الأمر على ما ذكرنا فلا يجوز أن توزن أقواله بما توزن به النصوص الشرعية وأقوال العلماء في كتب الدين ولا أن يدقق في مفاهيمها وقيودها ما يدقق في كتب العقائد وإن التشدد في مثل هذا سهل على أعداء الغزالي أن يطعنوا فيه بقوله ليس في الامكان ابدع مما كان . والعقل يستبعد من الغزالي أن ينسب العجز إلى الله .

ومن أمعن النظر تبين له أن المعري يحتذي على مثال المعتزلة والحكماء النظريين فانه جعل العقل أساساً لآرائه . وعلى هذا الأصل ذهب في الفصول والغايات ولزوم ما لا يلزم إلى أن الله تعالى يقدر على المستحيلات لأن عدم القدرة عجز وهو صفة نقص فيجب أن ينزه الله عنه . وإن كثيراً من القضايا الشرعية يقصر العقل عن إدراك حكمة الشارع فيها .

ويظهر لمن تقصى في البحث أن فريقاً من الناس إذا رأى بيتاً للمعري يوهم الحكم عليه بسوء العقيدة تمسك به وإذا رأى مئات من الأبيات الصريحة في الدلالة على حسن اعتقاده ضرب بها عرض الحائط ولم يلتفت إلى قوة الأدلة ولا إلى تكافؤها والقاعدة أن الأدلة إذا تعارضت تساقطت فاذا سلمنا أن الأدلة التي تثبت إيمانه متكافئة مع الأدلة التي تنفيه في القوة والصراحة والسلامة من

الاحتمال حكمنا بسقوطها ووجب علينا أن نلتمس سبيلاً آخر لايضاح هذه الناحية وليس لدينا إلا حياة المعري العملية وهذا التاريخ يحدثنا أنه كان صواماً قواماً صالحاً تقياً زاهداً طاهر اللسان واليد والذيل .

ولا مشاحة في أن التكفير حكم شرعي ولا بد لكل حكم شرعي من علة توجبه وطريق يثبته ولا يصح الحكم على إنسان بالكفر إلا إذا أنكر أمراً معلوماً من الدين بالضرورة وكان هذا الانكار ثابتاً بدليل سالم من الاحتمال لأن الدليل إذا طرقه الاحتمال سقط به الاستدلال .

وقد رأينا فريقاً من العلماء إذا رأى في كلام المعري شبهة توجب تكفيره تمسك بها وإذا رأى ما يوجب إيمانه قال انه تقية . وعلى هذا الأساس يمكننا أن نكفر كل إنسان حتى في قوله لا إله إلا الله لأننا نجعل قوله لا إله نفياً للاله موجباً للكفر . وقوله إلا الله من باب التقية ومثل هذا لا يرضاه العلم ولا العدل .

وبعد كل ما تقدم فان أعظم المواطن التي أنكرها الناس على أبي العلاء يكاد ينحصر في خمسة أمور :

الأول اعتقاده بالله وقد يجد الناظر في كتبه أنه أثبت لله من صفات الكمال كل ما أثبته أهل السنة ونفى عنه ما نفوا ولم يشذ عنهم في شيء إلا في مسألتي الزمان والمكان على ما فيهما من نظر .

وقد نسبه فريق إلى الجبر وهو بريء منه ويشهد لذلك قوله :

لا تعش مجبراً ولا قدرياً واجتهد في توسط بين بينا

وأصرح منه قوله :

وإن سألوا عن مذهبي فهو خشية من الله لا طوقاً أبت ولا جبرا

واحتج لبطلان الجبر بقوله :

إن كان من فعل الكبائر مجبراً فعقابه ظلم على ما يفعل

وما يراه الانسان في بعض أبياته الأخر مما يوهم الجبر فهو من نوع مايراه في أقوال العلماء عند إثبات الجزء الاختياري أو الارادة الجزئية أو ميل النفس حتى قال بعض المحققين الانسان مجبر في صورة مختار .

وفريق آخر جعل المعري جامعاً للمتناقضات فهو مؤمن كافر وبر فاجر وتقي زنديق ودهري موحد فهو عنده مجموعة غريبة أو جامع لكل غريب . ومنهم . ومنهم .

الثاني والثالث اعتقاده بالكتب والرسل أو النبوات .

أبو العلاء عظم القرآن كثيراً وأنكر جواز النسخ عليه ووصفه في رسالة الغفران في ص ١٥٨ وصفاً بديعاً لا يصدر إلا عن قلب مفعم بالايمان به .

وقلما رأيته ذكر نبياً إلا وأعقبه بقوله ﷺ إلا إذا ضاق الوزن أو السجع عن ذلك وقد ذكر النبي ﷺ في الجزء المطبوع من الفصول والغايات نحواً من اثنين وعشرين مرة وفي كل مرة يقول ﷺ .

وقد رويت له أبيات في الكتب والنبوات لا يمكن تأويلها تأويلا حسناً إذا صحت نسبتها إليه منها ما هو في لزوم ما لا يلزم ومنها ما انفرد بروايته راو واحد كياقوت وأبي الفداء وغيرهما .

واذا سمح لنا أن نجهر بقول الحق امكننا ان نقول إن في بعض هذه الابيات حقائق لم يستعد كثير من الامة لقبولها بعد ولا يسامح في البحث فيها فندعها الآن إلى الزمان حتى لا نكفر على حساب أبي العلاء .

الرابع اعتقاده بالملائكة

لقد أثبت أبو العلاء الملائكة ولم ينف عن قدرة الله أشباح ضياء بغير لحم ودم وذكر كثيراً منهم في كتبه واعتقد وجودهم في السماء والارض والدنيا والآخرة واعتقاده فيهم لا يخالف اعتقاد أهل السنة :

الخامس الحشر

لأبي العلاء في نثره ونظمه كثير من الجمل والابيات تدل دلالة صريحة قطعية على اعتقاده الحشر وفي لزوم مالا يلزم وحده أكثر من مائة بيت كلها تصرح باثبات الحشر أو ما يكون فيه من جنة ونار وحساب وما أشبه ذلك وقد أعرض عنها بعض الناس وتمسكوا بقوله :

يحطمنا ريب الزمان كاننا زجاج ولكن لا يعاد له سبك

ورواه ياقوت :

يحطمنا صرف الزمان كاننا زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

وسواء أكان الصواب لا يعاد له . أم لا يعاد لنا . فانهم جعلوا البيت دليلا على انكاره الحشر . ومن البديهي أنه يريد بهذا البيت اننا ضعاف كالزجاج يسهل تحطيمه ولكن بيننا وبينه فرق وهو أن الزجاج إذا حطم في الدنيا أمكن أن يسبك فيعود إلى ما كان عليه فيها ولا يريد السبك في الآخرة وإذا لم يحمل كلامه على هذا الوجه كان معناه بيننا وبين الزجاج فرق وهو أن الزجاج يعاد سبكه في الآخرة ونحن لا يعاد لنا سبك فيها . وهذا بعيد أن يصدر عن مثل أبي العلاء .

التعقيب

إن التاريخ لم يعين لنا الزمن لكل قول من أقوال أبي العلاء حتى نجعل المتأخر منها ناسخاً للمتقدم ونحكم عليه بآخر أقواله .

وإننا نحترم كل رأي كما نحترم صاحبه وإن كان مخالفاً لما نعتقده في أبي العلاء واننا لا نريد أن نجعل أبا العلاء في مصاف الصديقين والاولياء المقربين ولا نحاول أن نبرئه من كل ما قيل فيه .

وإنما نريد أن نبين أن تكفير الانسان بما ينسب إليه من قول لا يصح إلا إذا ثبت بدليل قاطع أنه تكلم بذلك القول على الوجه الذي أوجب تكفيره .

وأن التكفير على ماخيلت أو على شبه أو أدلة محفوفة بالشكوك أو الاحتمالات لا قيمة له في نظر الدين ولا في نظر العلم .

وإن الجنة ليست في أيدينا حتى نهبها من نشاء وننزعها ممن نشاء .

وأن أبا العلاء قال ما قال ولم يعبأ بما قيل ولا بما يقال ولا بمن قال وسجل اسمه في ديوان الخلود رضي أعداؤه أم لم يرضوا .

وأن رحمة الله التي وسعت كل شيء وجنته التي عرضها السموات والارض لا تضيقان عن رجل يقول :

أأصبح في الدنيا كما هو عالم ... وأدخل ناراً مثل قيصر أو كسرى

وإني لأجو منه يوم تجاوز ... فيأمر بي ذات اليمين الى اليسرى

وكنت أود أن يتسع الوقت لأورد من كلام أبي العلاء ما يدل على كل ما ذكرته ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه . وعسى أن لا أكون في كلمتي هذه كمن حاول أن ينقذ غريقاً فغرق معه .

محمد سليم الجندي

اختلاف الآراء

في فلسفة أبي العلاء المعري

إن شخصية أبي العلاء المعري لهي من تلك الشخصيات العبقرية الكبرى المتعددة المزايا والصفات التي يصعب على الباحثين عنها — وإن لم يستحل — أن يدركوها إدراكاً كلياً وأن يحدّدوها تحديداً شاملاً .

فكذلك فلسفته . إنها متفننة النواحي متباينة الأطراف ، متناقضة المرامي ، فقلما تردد الناس في مذهب كتردّدهم فيها ، وقلما اختلف العلماء ، على تنوّع طبقاتهم ، في غابر الزمان وفي حاضره ، كاختلافهم فيها .

فاذا تأملنا في أولئك المختلفين من المتقدمين وجدناهم على ثلاثة أقسام تفرّعت إلى فروع . فريق من زندقه أو كفّره وفريق من حكم بصحة إيمانه واجتهد في الدفاع عنه إلى حدّ أنه أنكر فيه وجود فلسفة امتاز بها عما سواه وفريق من تحيّر في شأنه وما جرأ على شتمه ولا على تبريره فأمسكوا عنه وفوّضوا أمره إلى خالقه .

إن هؤلاء المتحيرين ، لقلة عددهم وخفة أهميتهم ، لا يستحقون أن نعتني بهم أدنى اعتناء ولكننا أردنا أن نتوسع بعض التوسع في الذين كفّروه ثم فيمن برّأه ، وذلك تمهيداً لتفهم فلسفته فنذكر اختلاف الناس في تعليلها .

***

إن أول من هاجمه مهاجمة منظمة كان الشيخ أبا الوفاء بن عقيل البغدادي شيخ الحنابلة في وقته والذي عاصر أبا العلاء بعض المعاصرة . تفقه ابن عقيل على القاضي أبي يعلى صاحب الأحكام السلطانية المشهورة وأخذ الأصول عن الشيخ ابن الوليد إمام المعتزلة في زمانه . ان ابن عقيل على ما يرويه لنا الحفاظ — شبّه أبا العلاء بابن الراوندي وأنه قال لناس ، زعموا أن أبا العلاء

رفع المسهم

أبدى إلحاده لعباً ومجوناً ، ما نصه : « وما الذي ألجأه إلى أن يقول في دار الاسلام ما يُكفر به الناس ؟ إن المنافقين مع قلة عقلهم وعلمهم أجود سياسة منه لانهم حافظوا على قبائحهم في الدنيا وستروها وهذا أظهر الذي تسلط عليه به الناس وزندقوه والله إن ظاهره كباطنه . »

ثم اقتدى بابن عقيل الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي الواعظ المتفنن صاحب التصانيف الشهيرة والذي كان معظما لابن عقيل متابعاً لمعظم آرائه وإن رد عليه في بعض المسائل . ان ابن الجوزي عاب على أبي العلاء مبالغته في معاداة الانبياء ، وهو الذي قال : « زنادقة الاسلام ثلاثة ابن الراوندي وأبو حيان التوحيدي وأبو العلاء وأشدهم على الاسلام أبو حيان لانه مجمج ولم يصرح » .

اقتفى أثر أولئك البغداديين الذين طعنوا في أبي العلاء ، من انتسب بالشام إلى مدرستهم التاريخية وفي طليعتهم الشيخ شمس الدين الذهبي فانه تكلم عن أبي العلاء في كتابين من كتبه الكبار أولاً في تاريخه الكبير الذي لم يُنشر إلى الآن . ثانياً في مختصره المفيد الذي طُبع في حيدر آباد إنه في كتابه الأول أطلق على أبي العلاء تسمية الزنديق واشتدّ في شتمه ولكنه في كتابه الثاني خفّف عباراته واقتصر على القول بأنه سيء العقيدة .

ولكن أبا العلاء ، فيما أرى ، ما لقي بالشام خصماً أشدّ طعناً فيه من الشيخ اسماعيل بن كثير الدمشقي الشافعي الذي لازم الحافظ المزي وأخذ عن الامام الشيخ تقي الدين بن تيمية . انه ، في بدايته ، خصّص لأبي العلاء ترجمةً قيمة كفّره فيها ونسبه إلى فلسفة البراهمة ثم انه أبدى سوء ظنه بأبي العلاء أيضاً لما تكلم عن الشاعر المشهور بالعز الضرير وهو الحسن بن محمد بن نجا . كان هذا الشاعر من نصيبين فنشأ بإربل حيث اشتغل بعلوم الاوائل قال عنه ابن كثير ما نصه : « يُنسب إلى الالحاد وقلة الدين وترك الصلوات له شعر أورد منه الشيخ قطب الدين قطعة في ترجمته وهو شبيه بأبي العلاء المعري قبحهما الله » .

* * *

رفع المسهم

كان لأبي العلاء من جهة أخرى أنصار انتصروا له ودافعوا عنه أشد الدفاع ويجب علينا أن نذكر في طليعتهم الشيخ كمال الدين ابن العديم الحلبي الذي توفي بالقاهرة سنة ستين وستمائة وأنه صنف لحلب تاريخاً مفيداً وأفرد لأبي العلاء ترجمة طويلة سماها كتاب الانصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري » فقد جزء كبير منها ونشرها لأول مرّة الشيخ العلامة المؤرخ المشهور راغب الطبّاخ في كتابه أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، أصبح كتاب الانصاف والتحري العمدة التي اعتمد عليها كل من دافع عن أبي العلاء فيما بعد .

فمن أشهر من حذا حذوه واعتمد على كتابه الشيخ زين الدين بن الوردي . ولد ابن الوردي بالمعرّة ونشأ وصنّف في عدة علوم . ترجم أبا العلاء في تاريخه المشهور ترجمة حسنة علينا أن نتوسع فيها بعض التوسع فان عواطف ابن الوردي نحو أبي العلاء مرت بثلاثة أطوار .

كان ابن الوردي في بادئ أمره متعصباً له لكونه من المعرة ولما شاهده في سيرته وشعره من غاية الورع والزهد ثم أنه بعد ذلك وقف على كتاب استغفر واستغفري فبغضه وأبعده عنه ثم وقف على اللزوميات فزادته بغضاً له ونفرة عنه لإفراط الشك والتشكيك المتضمن بها . ثم ان ابن الوردي ، في الطور الثالث من تطوره اطلع على كتاب ضوء السقط الذي أملاه أبو العلاء قبل موته بقليل فان هذا الكتاب أرجع ابن الوردي عن سوء ظنه بأبي العلاء إلى الحكم بصحة عقيدته قال : « فكان هذا الكتاب عندي مصلحاً لفساده موضحاً لرجوعه إلى الحق وصحة اعتقاده فانه كتاب يحكم بصحة إسلامه » . فعظم هذا الكتاب كل التعظيم لما يحتويه من العواطف الدينية السامية وقال في الختام ما يستحق الذكر . « وهو خاتمة كتبه والأعمال بخواتمها وقد يُعذر من ذمه واستحلّ شتمه فانه عوّل على مبادئ أمره وأواسط شعره ويُعذر من أحبه وحرّم سبّه فانه اطلع على صلاح سرّه وما صار إليه في آخر عمره من الانابة التي كان أهلها والتوبة التي تجبّ ما قبلها » .

* * *

هذا ولقد اختلف أولئك العلماء — وهم القليل من كثير ولكل واحد منهم مقام عالٍ في تاريخ الأدب العربي — اختلافاً كبيراً في فلسفة أبي العلاء وعقيدته فاذا أنعمنا النظر في هذا الاختلاف وجدنا له أسباباً معينة .

أولاً : إن أولئك المتقدمين كانوا أكثر اهتماماً بذمّ أبي العلاء أو بمدحه منهم تفهمه أو بالتحري عن حقيقة فكره فهم أقرب إلى المتكلمين منهم إلى المؤرخين وهم في ذلك على خلاف ما نحن عليه الآن فان تطور أساليب النقد والبحث عوّدنا التمييز بين التبرير المذهبي وبين التعليل التاريخي . وثانياً : نشأ هذا الاختلاف في فلسفة أبي العلاء عن تناقل داخلي يُحسّ به في أبياته نفسها في اللزوميات خاصة وفي جميع مؤلفاته عامة فهذا أمر من الأهمية بمكان يجب علينا أن نتوسع فيه بعض التوسع .

* * *

ان أبا العلاء انتقد الديانات كلها في أبيات عديدة مشهورة من اللزوميات أنكر النبوات حتى بالتصريح وهاجم رجال الدين على اختلاف طبقاتهم مهاجمة عنيفة متكررة عاب عليهم بأمرّ التهكم جهلهم ونفاقهم وتناقضهم في أهم مسائل الدين وتنازعهم بمذاهبهم على الدنيا وما فيها فشكّ وشكك في كل ماجاءت به الكتب المنزلة من البعث والثواب والعقاب ومن الأخبار المتعلقة بعالم الغيب وأظهر أيضاً ما كان يظنه مخالفاً للعقل في الشريعة من العبادات والمعاملات انه في كل ذلك تلون، وأي تلون ، بآراء الطبيب الفيلسوف أبي زكريا الرازي الذي تعدى الحدود في نقض الديانات والذي كان لكتبه الهدامة أوسع الانتشار بين غلاة الباطنية .

ولكنه مع ذلك ، مهما ساء ظنه بالرسل والانبياء ، أظهر في أبيات عديدة من هذه اللزوميات نفسها إخلاصه لربه وتفضيله لنبيه محمد ﷺ على سائر الأنبياء وايثاره لدين الاسلام لسائر الأديان . وأبدى في سيرته وفي شعره تقوى لاشك فيها وحث الناس عليها وأما زهده في الدنيا وإحسانه الى الغير فهذا أمر لامزيد عليه فيه وكذلك لايزال يذكر الله تعالى ويمجده وهو يقتنع بوجود الله اقتناعاً فطرياً وجدانياً لايتكلف البراهين على إثباته وأنه في كثير من أبياته وصف الله كما

رفع المسهم

وصف نفسه وكما وصفه رسوله الى حدّ أن عقيدته تُشبه أحياناً عقيدة من اتبع طريقة السلف .

ان هذا التناقض الذي لايظهر في اللزوميات فحسب ولكنه في جميع كتبه عامة كان ، فيما أعتقد ، مقصوداً فلماذا قصده ؟ هذه هي المسألة التي نريد الآن أن نذكر أهم اختلاف الناس فيها .

* * *

ذهب بعض العلماء إلى أن علة هذا التناقض توجد في تطور أبي العلاء الفكري. انه كان ، على مايزعمون ، في أول أمره ملحداً كافراً ثم انه رجع الى الايمان في آخر عمره فتاب وأناب . اننا فيما يخصنا لانعتقد بصحة هذه الفرضية وان جازت عقلاً . فان أبا العلاء أظهر شكه الفلسفي من أول شبابه لما اشتكى في مرثية أبيه جهله لأمور الغيب ولمصير الروح بعد الموت ، كما أنه عبر عن هذه العواطف نفسها من الشك والتشاؤم واللادرية في قصائد يوجد فيها مايدل على أنها من آخر مانظم .

ذهب قوم آخرون الى القول بأن علة هذا التناقض توجد في تقية أبي العلاء وفي كتمانه . قالوا انه كان ملحداً في باطنه ولكنه خشيةً من عقاب الفقهاء تستر وراء تلك العبارات الايمانية والمظاهر الاسلامية . ولكننا أيضاً لانتفق هذه الفرضية بالقبول ولا نعتقد بأن أبا العلاء التجأ الى التقية بمعناها الاصطلاحي فان جرأته حينما يتكلم عن الديانات ورجالها تدل على صراحة لاتحوجه الى تقية الغلاة ولكنه في ذلك اضطر ، وهو في ذلك متألم أشد التألم ، الى أن يذهب من مذهب المجاز في ابداء كثير من آرائه لما تخالف مخالفة تامة ماتفق الناس عليه وربما كان في ذلك كله أكثر خشية من الاضرار بالغير منه بنفسه اذ لايكون عامة الناس مستعدين لفهم فلسفته حق الفهم . فجاز لنا أن نقول ان المعري في لزومياته قصد معاني اكثر مما ابداه صراحة .

فجاء قوم آخرون زعموا أنهم اكتشفوا سر باطنه واقترحوا لتعليل ذلك التناقض الذي أشرنا اليه علةً اخرى فقالوا : ان أبا العلاء المعري كان مخلصاً في اظهاره لدينه وابدائه لتقواه كما انه كان مخلصاً في حثه الناس على التمسك بدينهم

لما كان في ذلك لعامتهم من فائدة ومنفعة . ولكنه في الحين ذاته كوّن لنفسه وللخاصة فلسفة إلهية مبينة على الوجدان والعقل اكثر منها على النقل أدى به اليها اجتهاده الخيالي غير اجتهاد الأصولي المرتبط بشروطه وهي فلسفة لاتخالف الديانات ولا تتفوقها ولكنها ترمي الى جمع أسمى العواطف الدينية التي يشترك فيها البشر .

إن هذه الفلسفة الالهية تدعو إلى الايمان الواحد المطلق برب واحد حكيم مدبر للأمور على ما يشاء إيماناً وجدانياً فطرياً يحسّ به كل إنسان في صميم فؤاده فيتساوى فيه جميع المؤمنين ثم إن هذه الفلسفة الالهية تكون أخلاقية أكثر منها عبادية أنها تفضل على العبادات الشكلية روح التعبد والدين فتنحو نحو تهذيب البشر ونحو تحويلهم عن الطمع في الدنيا إلى الزهد فيها وعن الظلم إلى الانصاف وعن التعصب إلى التسامح وعن التفاضل إلى التساوي وعن التباغض إلى التحابّ وعن اختلاف الكلمة إلى توحيدها والاتفاق والتضامن .

* * *

فاذا كانت تلك فلسفة أبي العلاء على ما يقولون فما هي العوامل التي حملته على التفلسف بها وما هي المصادر التي ألفته إلى مثل هذه الآراء الالهية والاجتماعية؟ علينا أن نشير الآن بغاية الايجاز إلى اختلاف الناس في ذلك وأن نذكر أهمّ النظريات التي اعتمدوا عليها ، فهم في ذلك على قسمين : من نسبه إلى الزهد الهندي ومن نسبه الى مذهب الباطنية .

ان أول من نسبه الى الزهد الهندي هو أبو الفداء المؤرخ المشهور الذي قال عنه في تاريخه أنه تمذهب بمذهب الهنود فيما يتعلق بنباتيته . فحذا حذوه اسماعيل بن كثير في بدايته وأضاف الى ذلك أنه شككه راهب في دينه . وكذلك كثير من المستشرقين ، وفي مقدمتهم Von Kremer فون كرمر ، ظنوا أن فلسفة أبي العلاء تلوّنت بالفلسفة الهندية خصوصاً فيما يتعلق بالزهد ورحمة الحيوان والنباتية وفلسفة العدم . فرد على هذه النظرية رداً ما الاستاذ العلامة Nicholson نيكلسون والاستاذ البحاثة Massignon حينما تساءل عن إمكان وجود علاقات فكرية بين الحلاج وصوفية الهند .

نعم يجوز لنا أن نظن أن أبا العلاء أخذ بعض الآراء الهندية التي كانت شائعة في أيامه ولكنه اخذها متفرقة لا عن مذهب فلسفي معين . ولا غرو في ذلك فان الصلة بين الهند وبلاد العرب اشتدت في زمانه على يد محمود ابن سبكتكين ، ولكن المسلمين في مختلف الاقطار وإن تعجبوا من عجائب الهند ودهشوا من غريب عوائد سكانها ، فانهم ما كانوا اطلعوا على عقليتهم الفكرية اطلاعاً مكنهم من التفلسف بفلسفتهم ومن التخلق بأخلاقهم . انما اتسعت هذه العلاقات الثقافية فيما بعد القرن السابع للهجرة ففي هذا الزمان المتأخر نفسه افترئت على أبي العلاء هذه التهمة التي أشرنا إليها وهي تهمة تقليده لفلسفة الهنود .

وأما النظرية الثانية التي أشرنا إليها فهي نظرية من ظن أن أبا العلاء تأثر بمذاهب الباطنية ، إن هذه النظرية قد انتشرت انتشاراً ما منذ عدة سنوات في الشرق وفي الغرب وأول من أيدها هو الاستاذ بندلي جوزي من جامعة باكو في كتابه عن الحركات الفكرية في الاسلام ؟ يذهب الاستاذ بندلي جوزي إلى أن ما نراه في اللزوميات من حرية الفكر والاشتراكية والسلمية والمساواة الاجتماعية قد سببه تأثير مذاهب الباطنية فيها . ثم ان الاستاذ Massignon ماسينيون هو الذي لفت أنظار العلماء بصفة علمية إلى أوجه الشبه بين فلسفة المعري وبين مذاهب الباطنية خصوصاً فيما يتعلق بتشاؤمه وشكه الفلسفي . ثم أن الاستاذ Bernard Lewis الذي كان من جملة من أحس بضرورة دراسة الحركات الباطنية ، الف كتاباً للتحري عن أصلهم أشار فيه إلى تأثير الاسماعيلية في أبي العلاء وغيره من كبار الشعراء مثل عمر الخيام . ثم أن الاستاذ عمر فروخ في مؤلفه القيم عن حكيم المعرة بحث عن العلاقات بين فلسفة أبي العلاء وبين مذهب الحاكمية فان هذا المذهب ، كما يُعلم ، تكون في زمان أبي العلاء وتفرع عن مذهب القرامطة .

ولا غرو في ذلك فان مذاهب الباطنية ، أيام أبي العلاء قد انتشرت وتوطدت في مختلف أقطار العالم الاسلامي فاحتك أبو العلاء في كثير من دعاتهم واطلع على بعض كتبهم ، وان لم يعتنق مذهب فرقة من فرقهم .

فانه خصص أبياتاً كثيرة من اللزوميات لمناظرتهم عاب عليهم فيها أموراً شتى تدل على أنه تبرأ منهم فعاب على النصيرية قولهم بالتناسخ وعلى الحاكمية عبادتهم للحاكم بأمر الله وعلى القرامطة إباحتهم للمنكرات وطمعهم في الملك .

اننا ، وهذا مما لاشك فيه ولا ريب ، نلاحظ مطابقة غريبة بين بعض أفكاره وبين بعض آراء الباطنية : منها قوله باتباع العقل اتباعا كاد أن يكون مطلقاً وتفضيله إياه على النقل والاخبار ، وزهده المتطرف وغير ذلك من الآراء ، كما أنه شاركهم في معرفتهم بالفلسفة اليونانية التي تكثر عناصرها في اللزوميات وفي غيرها .

ولكننا بالرغم من ذلك كله ليس في استطاعتنا أن نحكم بانتساب أبي العلاء إلى مذاهب الباطنية حكما قاطعاً ما دامت معظم كتبهم مجهولة أو غير منشورة ومنها بصفة أخص كتب الشيخ المؤيد في الدين داعي دعاة الاسماعيلية في أيام المستنصر والذي راسل أبا العلاء في مسألة النباتية ، والذي له عدة كتب منها مجالسه التي أبدى فيها آراء تشبه آراء أبي العلاء في اللزوميات .

ليس في نيتنا أن نعالج هذا الموضوع معالجة مطولة فاكتفينا بالاشارة إلى هذه النظرية لكونها شاهدة من شواهد اختلاف الآراء في فلسفة أبي العلاء .

***

ونقول في الختام : ان أبا العلاء في لزومياته يذكر اختلاف الناس وتنازعهم في شؤون الدين والدنيا استهزأ لاختلاف الفقهاء في التحليل والتحريم وفي الاستحسان والاستنكار كما أنه استهزأ لاختلاف المتكلمين في نظرياتهم فانه لو كان في إمكانه أن يشاهد من عالم الغيب اختلاف الناس في شأنه بعد موته لاضاف أبياتاً جديدة إلى لزومياته سخر فيها من هذا الاختلاف الجديد سخرية يمتزج فيها تهكمه المرّ وشفقته الانسانية وتسامحه الشامل وعواطفه السامية التي تجعله فخراً لجميع البشر فعلينا أن نفوض سر باطنه إلى الله تعالى وأن نكتفي بالاعجاب من تفنن فكره ومهارة فنه وإخلاص دينه والسلام .

هنري لاوست

ذكرى ابي العلاء

هتفوا والحمى تموج جنانه ما ضجيج الحمى وما مهرجانه
أهشام على السرير وعز الـ ـملك يطوي لمع الضحى لمعانه
أم وفود الحجاج تطري فتاها وابن مروان وارف سلطانه
أم خيال من آل جفنة كالفجـ ـر يغني بطيفه حسّانه
فكأن النعمان قد حشد العر ب وكسرى زاهٍ به إيوانه
ما درى الهاتفون أية ذكرى هيجت ربعهم فرف حنانه
تلك ذكرى أبي العلاء وما ذكـ ـراه إلا الربيع أو ريعانه
دار والدهر وحيه فتراه فلكاً ليس ينقضي دورانه

* * *

كذب الشعر ما وفى حقه الشعـ ـر ولا أدى فضله انقانه
هيكل من نعومة الحس بال لم يطفه من البلى جثمانه
واديم مرمم هدّه الضعـ ـف فكادت تمجه أردانه
ذاب حتى تخاله العين وهماً أمن الوهم شفّه ذوبانه
عصب ثائر ولا ثورة النا ر وفكر لم يتئد هيجانه
اركبت الخضمّ في عصفة الريـ ـح فما موجه وما طغيانه
يطمئن العباب بعد مثارٍ اين منه على الدجى اطمئنانه
لو أصابت ملكاً عضوضاً قوافيـ ـه لمادت من وقعها أركانه

* * *

انما الشعر ثورة من صميم القـ ـلب ، ما لحنه وما أوزانه
ان لويت الحديد عن عاتق الشعـ ـب تلوّت بسحره قضبانه
دول كالاحلام تدرج في الار ض وتبقى ندية أفنانه

هدم الدهر مشمخر المباني وسما عن تهدمه بنيانه
رب تاج على جوانبه الدر — نضيد ازرت به تيجانه
اين صوب القلوب والفكر الغر — تعالى مثل السماء مكانه
ثورة في اعتساف كل عنيد تتلظى في وجهه نيرانه
وهدى في الانام يلمح كالصبح فتمشي بضوئه عميانه
أي سمع لم ينبسط لاغانيه وقلب ما هزء تحنانه
يطرب البلبل المغرد في الرو ض فتندى من صوته أغصانه
ويفيض القريض في المحفل الظمآن حتى يروى به ظمآنه
لا يعز الله العزيز رجالا لم يكرم في ظلهم فرسانه

* * *

يا ضريحاً على المعرة ما استو حش منه في ليلة جيرانه
عاف رب الضريح كل نعيم في حواشيه ذله وهوانه
لم يفجع أماً بما ترضع الام — فغذت رضيعها ألبانه
يمرح الطير في ذراه أميناً ملء عينيه في الفضاء أمانه
حسبه الماء والقفار من الخبز فهذا نعيمه وليانه
ما رفيف القصور، ما ترف السلطان، ما تاجه وما صولجانه
رب كوخ أشهى إليه من القصر وان ماج انسه وقيانه
عيشة الفكر لا حياة جماد مات احساسه وطاح كيانه
عيشة الحس والعواطف والفن — ففيها صراعه وطعانه
هكذا المرء فكرة وشعور لا جماد العرا ولا حيوانه

* * *

يفخر الناس باللآلىء من كسب حرام، وفخره ديوانه
لم يضره فقد النواظر فالقلب بصير تفتحت أجفانه
قد يرى المرء بالفطانة ما ليس تراه على النوى أعيانه
كم بصير أعمى الجنان إذا أمّ — سبيلا ضل السبيل جنانه

* * *

فلسفي التفكير إن رام فكراً في عنان السماء لان عنانه
يتهادى على خضمّ المعاني لم يفتّه موج ولا حسبانه
وزن الدهر والخلائق والنا س ولم يخطئ شعرة ميزانه
لمس الدنيا باليدين وجالت في خبايا رجالها آذنه
فتخطّى الفلوب حتى وعاها فجلاها مثل الضحى تبيانه
فترى اللؤم أصفر اللون يخفي نهشة الموت والاذى ثعبانه
وترى الكذب جائلا في مداه ثم تغدو قصيرة أشطانه
وترى الخبث ثعلباً يتلوّى لم يطل مكره ولا روغانه
ويظل الغبي بالزهو يهذي ما زهوّ الغبي ، ما هذيانه
صور أملاها الزمان عليه فرواها كما رواها زمانه
يهرم الدهر والتصاوير باق سرها لا يمسه حدثانه

* * *

راحة القبر لحنه وأغانيه فما التذّت غيرها ألحانه
ما شفاه كالها الروح والريحان ، في دفن جسمه ريحانه
ما ثدي كأنها حب رما ن على الصدر ، في الثرى رمانه
ما عيون الغزلان والسحر فيها فلمحايا في شعره غزلانه
فكأن الفناء دفء من البر د وقد طال قرسه وأوانه
أو كأن الهلاك ظلة حر يتلاشى في ظلها وهجانه
امل ذاهب ويأس مقيم طال في جانبيها خطرانه

* * *

أذعن الناس للسلاسل فانقا دوا واعيا أصنامهم إذعانه
ثار من زخرف السياسة فيهم فتحدى طغاتها شيطانه
كل علج في ظلها عربي من معدّ يسمو به عدنانه
ما رأى منها محسناً يسع الامة في ليل ظلمها إحسانه
ذهب الصادقون منها على الدهر — فجاشت لفقدهم أحزانه
وتمطى في جنبه كل دجال — توالى على الورى بطلانه

نهب الشعب واستباح حمى الشعـــب فمنه قصوره وجنانه
ضجّ منه أبو العلاء ومن غفـــوة شعب ما هاجه عدوانه
صاح : أين الامام في الوطن الحر — تغني بعدله أوطـــانه
أين أين الامام في أمة يصـــدق فيها فؤاده ولسانه
لا تراه يذوب في كل لون لم يحل عهده ولا ألوانه
انما الملك خدمة ملؤها الصـــدق وقلب ما يلتوي ايمانه

* * *

فسد الخلق من قديم الليالي واستوت في فساده أزمانه
فكأن الانسان في الغار من أمـــس ولم تنخسف به غيرانه
أفلا تشهد الزحام على الار ض وهذي جروحه وأنانه
كم بكى الجن والاناسي من هو ل ألحت عليهما أشجانه
لم يبدل غرائز الناس علم بدل الأرض والسما ميدانه
وعظ الواعظون منا طويلا ما شفى وعظهم ولا برهانه
ليت نوحاً على السفينة والكو ن غريق يعمه طوفانه
فلعل الايام تأتي بجيل لم تروّع سخاله ذؤبانه

* * *

خفف الهمس ما أظن رفات الشـــيخ يرضى بضجة لقيانه
عاش في عزلة ومات عليها في هدوء اعتزاله رضوانه
لم نكرم أبا العلاء ولكن كرمته آياته وبيانه
بعثت جلق روائع ماضيه — وهذي آثاره وعيانه
قسماً بالحمى وما نسج الفجـــر عليه فلألأت أحضانه
ليس يفنى شعب تغنى بماض ملأ الدنيا نعمة عنفوانه
أرأيتم والمهرجان صداه كيف هبّت سهوله ورعانه
يتناجى شبابها في هوى الما ضي ونجواهم ضمه وضمانه
فمتى ينظم الحمى علم يحمـــل بشرى التفافهم خفقانه

شفيق جبري

تمـــــة

رفع المسهم

من ضحايا العقل (١)

ينتبط لبنان ، وقد قام بقسطه من تكريم أبي العلاء في تمام الذكرى الألفية في شهر آذار الفائت ، بان يشارك اليوم الدول العربية في تشييد هذا الصرح الفخم لحكيم المعرة، هذا الصرح الذي وضع أساسه المجمع العلمي العربي، وتبارى في رفع بنيانه فنانو العمارة في مصر والعراق وفلسطين وشرقي الأردن وسوريا ، فكان للبنان أن يأتي بحجره المتواضع ، مستوحياً من هذه الأبحاث النفيسة المتوالية علينا طول الاسبوع في تحديد ابي العلاء ، سائلاً ، ماهو سرّ الحيرة في هذه الشخصية العجيبة ؛ وما هي قيمة ذاك المقياس العقلي الذي اتخذه المفكر في قدر الطبيعة وما وراءها ، فاغتر بعصمته ، مؤملاً ان يخرج به من تلك الحيرة . حتى اذا خذله المقياس ، رأيناه وهو المفكر مؤله العقل ، يهوي صريعاً من ضحايا عقله .

* * *

والذي حارت البريةُ فيه حيوانٌ مُستحدثٌ من جمادِ

منذ أن وقف الانسان ذاهلاً أمام مظاهر الطبيعة ، مُتشوفاً ، في تفهمها ، الى ماوراء الطبيعة ، دخلت الفلسفة في العالم . وكان محورها ، ولا يزال ، هذا الانسان نفسه ، الحائر في كيانه ومصيره حيرة البرية جمعاء . يتناول بطرفه بسائط الأرض ، ويرقى بخياله معارج الأفلاك ، ثم ينكفئ على عالمه الأصغر ، متأملاً متسائلاً قادراً مركزه من المجتمع ، ومن العالم الأكبر بكامله ، مقابلاً بين تلك « القصبة الصغيرة » على قول بسكال ، وهذا الكون الهائل ، بين مسكنة القصبة تجاه جبروت الكون ، وصغر هذا الكون تجاه سمو الفكر في تلك القصبة . بين اللامتناهي في الصغر

(١) الكلمات التي وردت متأخرة لم تذكر في برنامج الحفلات ، ألحقت بالحفلة السادسة وألقيت فيها .

رفع المسيهما

واللامتناهي في الكبر يقف الانسان وسطاً معتدلاً في هذا النظام الكوني الشامل واذا به المحمول والموضوع في التفكير الفلسفي . بل هو القائس والمقياس والمقيس . يتدرج من المظاهر الى اسبابها ، ويتقصى الأسباب الى سببها الأول ، فيأتي بالشروح والحلول والتعليلات المتباينة .

ويكون العقل اليوناني ، فينسق ويرتب ، ويطلع بالنظم الفلسفية على بناء متماسك.

ويبدأ النقل على عهد الامويين . فتصطدم المدنيتان . وينتبه الفكر العربي من طمأنينته ، فيسأل ويقلق ، ويحاول بدوره الحلول والشروح والتعليلات . ويحاول الاتيان بالنظام المتناسق على يد الفارابي ، بعد ان يتمرس بالمذاهب والبدع والأهواء فمن قدرية يثيرون مشكلة الحرية والاختيار الى جبرية يهولهم الانتقاص من قدرة الله فيسكنون الى القضاء والقدر ؛ ومن معتزلة يشيدون بذكر العقل مادام العقل يوافق نزعاتهم ، الى أشاعرة يلوذون من المنطق بالمنطق ، الى فلاسفة يحاولون التوفيق بين الحكمة والشريعة فلا يوفقون الا الى وضع الواحدة إزاء الأخرى ، متقابلتين حيناً متدابرتين أحياناً . وناهيكم بالديانات المختلفة كاليهودية والنصرانية بطوائفها ومذاهبها من يعقوبي ونسطوري وملكاني وماروني ، والمجوسية بتنوع مظاهرها من زرادشتي ومزدكي ومانوي ، والبوذية وما تتفرع اليه من انواع العبادات والتقشفات .

في هذه البوتقة الجائشة نشأ ابو العلاء . وفي هذا الخضم المتلاطم تاهت فكرته متلمسةً مستهدية .

يترك بلدته المعرَّة فريسة النزاع السياسي ، ويهبط انطاكية ، فتزعجه أصداء المجادلات البزنطية الشهيرة . فينتقل الى اللاذقية ، فتقلق عليه سكينته تلك الضجة الصاخبة « بين أحمد والمسيح » . فيعرج على أحد الرهبان يحاوره ويجادله . ويكون الراهب قد « درس الفلسفة وعلومَ الاوائل » ، كما يقول المؤرخون . فتنفتح لأبي العلاء على النصرانية واليهودية ، وعلاقة الدين بالدنيا والطبيعة بما وراؤها ، آفاق يرتادها تنقلاً واتساعاً ، ولا يتوقف على نقطة منها عمقاً وتأملاً . فلا يفيد الا إلمامات كافية لتغذية شكه واستخفافه بالعبادات على السواء .

رفع المسيهما

وينتقل به الحظ الى بغداد . وبغداد تحيش بالمناقشات الدينية والمناظرات الفلسفية ، والمجادلات العلمية ، على حرية تامة في الفكر والقول ، واحترام متبادل بين المتناظرين ، وتساهل نسمع به اليوم ـ بعد الف سنة ـ فنخجل من أنفسنا . وقد وصف لنا الذهبي بعض هذه المجالس الكلامية بما إستعاذ منه بالله واسترجع اليه . الا ّ انه أفادنا الفائدة كلها في تاريخ الحركة الفكرية في ذاك العصر . قال في حوادث سنة ٣٧٢ للهجرة (٩٨٢ م) .

«في هذا الزمان كان الأهواء والبدع فاشية بمثل بغداد من الرفض والاعتزال . فانا لله وانا اليه راجعون . ذكر الحميري في ترجمة ابي عمر احمد بن سعدي الاندلسي الفقيه طامة ً كبرى ، قال: « سمعت أبا محمد بن أبي زيد الفقيه يسأل أبا عمر بن سعدي عند وصوله الى القيروان من بلاد المشرق فقال : هل حضرت مجالس اهل الكلام ؟ قال : نعم ، مر ّتين ولم أعد اليها. قال : ولِمَ ؟ فقال أما أول مجلس حضرته فرأيت مجلساً قد جمع الفرق َ من السنة ، والبدعة ، والكفار ، واليهود ، والنصارى ، والدهرية ، والمجوس . ولكل فرقة رئيس يتكلم ويجادل عن مذهبه . فاذا جاء رئيس قاموا كلهم له على أقدامهم حتى يجلس . فاذا تكاملوا ، قال قائل من الكفار : « قد اجتمعنم للمناظرة ، فلا يحتج أحد بكتابه ولا بنبيه . فاننا لا نصدق بذلك ولا نعتد ّ به وإنما نتناظر بالعقل والقياس » . فيقولون : نعم . ولما سمعت ذلك لم أعد ثم قيل لي : هذا مجلس آخر للكلام . فذهبتُ اليه . فوجدتهم على مثل سيرة أصحابهم . فقطعت مجالس أهل الكلام » .

وفي بغداد تعر ّف المعري الى المجوسية وآرائها ، وإلى البوذية . أو السومانية كما كان يقال ، ومبادئها في تحريم لحم الحيوان ، والميل الى حياة صارمة متقشفة كثيراً ما تقود إلى النسك الكئيب المتشائم . وفي بغداد كذلك سمع بالتناسخ وباحراق أجساد الموتى ، فأعجبه هذا ، واستنكر ذاك .

وإذا أضفنا إلى هذه المعلومات الدخيلة ما غُذي به ، منذ طفوليته ، من علوم العربية الأصلية ، وما لُقن من شعر القدماء وأحاديثهم وأساطيرهم ، صح ّ لنا أن نبر ّر قوله :

ما مرَّ في هـذه الدنيا بنو زمن إلا وعندي من أخبارهم طرَف

هو « الأخذ من كل شيء بطرف » ، وهو تحديد الأدب في نظر القدماء . أو تخطيء ، نحن اليوم ، إذا قلنا بهذه الثقـافة العلائية إلى الأدب في سعته وتسطحه عن العلم في عمقه وتناسقه ؟

كلُّ هذه البذور صادفت تربة خصبة في عقلية أبي العلاء المطربة القلقة ، فنبتت كما شاءت تتجـاور ولا تكاد تتعارف ، بل هي في نزاع دائم وصخب مستطيل حتى يعجّ الجدل في دماغ الأعمى ، وقد حُجب عنه كلّ ملهي ، وسدّ عليه كل سبيل للتسلية والترفيه ، وإذا به يحاور عقله ، ويجادل نفسه الليـل والنهار ، يسأل ويقارن ، وقد لا ينتظر الجواب ، بل كثيراً ما اكتفى به استفهاماً منكراً ساخراً ، وكأن تنبهه إلى مواضع النقص من البشر ، وشدة استحيائه منهم ، وحذره من غمزاتهم عليه وأقاويلهم فيه .

يروّعه السرار بكل أمرٍ مخافة أن يكون به السرار

دفعته إلى اتخاذ تلك الدرع من الهزء بهم ، والسخر من أعمالهم ، وأكثر ما يكون هذا السخر حاجزاً يلجأ إليه بعض الضعفاء الحيين فيفاجئون الناس بما يخافونه منهم ، وأعمى المعرة كان من هؤلاء فسخر وأسرف في السخر ، حتى لم ينجُ منه أحد ، لا من كبار القوم ولا من صغارهم ، لا من رجال الدين ولا من رجال الدنيا ، لا من الأحيـاء ولا من الموتى ، لا من عامة البشر ولا من الأنبياء ، لا من الملائكة ولا من الجنّ ، وكان يمتزج هذا السخر بشيء من الحسرة ولد تشاؤماً كئيباً وسوء ظن بالناس لم يختصّ بالنساء وحدهنّ بـل شمل بني آدم أجمعين ، وارتقى أحياناً إلى الخالق نفسه .

وكان من نتائج هذا الغليان الفكري ، ومن أثر تلك الحالات المتناوبة عقلية الشاعر الحساسة القلقـة ، شذور أحكام وشتى آراء مسكوكة سكّ النقود المعلمة يتداولها الناس فيستنتجون منها المذاهب المتناقضة ، والعقائد الغريبة ، يُزري عليه بعضهم إلحاده الوقح ، ويبرئه غيرهم من « وصمة الكفر الشنعاء » ، ويقيمه فريق آخر زعيماً لأرباب الشك والارتياب ، ويبني له غـير هؤلاء صرح الفلسفة المادية عالياً ، ولكل فريق أسانيد صارخة في « اللزوميات » وفي

غير « اللزوميات » ، يشرحونها ويؤولونها ، ويعلقون عليها ، وكل حزب بما لديهم فرحون .

بيد أن الخطب أيسر من ذلك في نظرنا ، فليس أبو العلاء بالكافر الملحد ، ولا بالمؤمن المستسلم ، ولا بالشاك الحائر شكاً علمياً ، ولا بالفيلسوف المادي . إنما هو ذكاء حاد ، وعقل معجب بذاته حتى الغرور ؛ وشعور مرهف بوطأة مصايبه خاصة ومصايب قومه عامة ؛ وفضول مستيقظ لما يقال في زمانه — وفي كل زمان — في جور الحكام ، وفساد الأخلاق ، وحيل النساء خاصة ، ورياء رجال الدين ؛ وبقية إيمان في قرارة النفس تكاد تخنقها هذه الموجات الطامية ، ثم هو ، فوق ذلك ، بلاغة صارخة على هدوئها ، وحجة دامغة ، واستنتاج جارف لا يقف لدي تحفظ ، ولا يأخذ باحتياط ، ومقارنات مفاجئة كانت في أصل ذاك السخر الهدام .

ولكان أبو العلاء غير هذه الشخصية المبددة لو أمكنه أن يتعمق في درس الأصول الدينية فيميز بين الشريعة في روحها ومظاهر تطبيقها في العالم ولا يحمل النبوات نفاق بعض اتباعها ورياء بعض ممثليها . ولو أمكنه ، كذلك أن يتلقى المبادئ الفلسفية على وجهها الانساني الأصيل ، غير مكتف بغبار المجادلات وزبد المناظرات ، لما اغتر بالعقل الحسي المشترك وحده يجعله إمامه في كل شيء .

هذه خطوط عامة في تصوير شخصية أبي العلاء ، قد تكون متقطعة وقد تكون واهية ، ولكنها ضرورية في نظرنا ، لنتمثل المفكر قبل الولوج إلى فكرته .

أما موضوعات هذه الفكرة أو أهداف الحملة العلائية ، فقد ترد إلى أربعة :

١ — العناية الالهية . وهي ، لو كانت موجودة ، لعنيت بالنظام والعدل في هذا العالم ، فلم يسيطر فيه الشر ولم تتوال المصايب على ابي العلاء ؛ تلك المصايب التي لم يجد لها سبباً في اعماله ، ولا في حياته الخاصة المكتنفة بالعفاف والزهد .

٢ — الحقائق الدينية بجملتها في جميع الديانات ، والشرائع التي تسمح للناس بالاساءة إلى الناس .

٣ — مصير النفس بعد الموت ، وكل ما تعلق بذلك من بعث وثواب وعقاب .

٤ — هذا المجتمع البشري الفاسد الذي لا دواء له إلا قطع النسل . ومن هنا حملته على الزواج ، وبالتالي على المرأة .

وقبل أن نشهد الأعمى في هذا المعترك اليائس ، لنتفحص معداته للقتال ولنتعرف مقاييسه ، فنراه أعزل إلا من العقل .

كذب الظن لا إمام سوى العقـــــل مشيراً في صبحه والمساء

سأتبع مَنْ يدعو إلى الخير جاهداً وأرحلُ عنها ، ما إمامي سوى عقلي

ولكن أيّ عقل هو ؟ ولأي شيء يصح مقياساً ؟

ينتج من اللزوميات أن المقصود بهذا « العقل » الذي يردد ذكره أبو العلاء في أكثر الصفحات ، فيلوذ به كلما عرضت له مشكلة ، هذا الحس ، أو الادراك ، أو بادي الرأي المشترك بين الناس يأخذون به في اختبارهم اليومي وأحكامهم الجارية ، هذا الإدراك العامي الذي جعله ديكارت مُشاعاً بين البشر .

هذا العقل الحسي الشائع يصلح مقياساً للمحسوسات ، فهو سيد في منطقته المادية ، أما إذا ارتفعنا به إلى ما فوق فلا يرى إلاّ الانكار والنفي ؛ حتى في الشؤون الطبيعية التي لا تقع تحت حسه ، كأن ينفي في القرون الوسطى أن تكون الشمس ثابتةً والأرض تدور ، وكان من حقه أن ينفي ، لثلاثين سنة خلت ، أن يسمع أهل دمشق مثلاً رجلاً يتكلم في بغداد .

هذا العقل الحسي ، هذا المقياس البسيط ، هو الذي تسلح به أبو العلاء فأقبل على الكون بأجمعه ، يقيس كلّ شيء ، ويجادل في كل شيء ، تحت راية ذاك العقل ، فلا عجب أن يُثير كثيراً من الغبار ، ويحدث ضجةً ، لا تزال أصداؤها تتردد حتى اليوم في أنحاء الاعتراضات السطحية والاحتجاجات العامية ، وأيّ فرق بين هذا الشاعر المفكر والرجل العامي لا يفهم أحكام ما يفوق « عقله » من الشؤون فيزري بها ، سوى تلك اللذعة التهكمية ، وذاك التساؤل المغري بالتشكيك واللاأدرية ، أوَ لم يقلد المعري في « عقله » كثير من الشعراء ، فعرضوا الاستفهامات عديدة في مجالي الكون ، وتصوروا أنهم أدركوا قمـــة التفكير الفلسفي إذ أجابوا عن كل ذلك بتعبير واحد : لستُ أدري !

ذلك أن لكل مقيسٍ مقياساً خاصاً ، ولكل نظامٍ في العالم محكا من وعه ، فلا تكال الأرض بالصاع ، ولا يقاس الفكر بالقفزان .

ولا نرى أبا العلاء ميز في صلاح مقياسه العقلي بين نُظم العالم المتدرّجة من الطبيعي المادّي ، إلى الانساني الفكرى ، إلى الالهي فائق الطبيعة ، فكان لا بدّ من فساد النتيجة إذ فسدت المقاييس ، وكان لا بدّ من أن ينفي وجود الملائكة والجنّ كما ينفي وجودَ فلان من الناس في بيته مثلاً ، والدليل المشترك بين النفيين هو كونه لا يحسّ بهما :

قد عشت عمراً طويلاً ماعلمت به حسّاً يُحَس لجنيّ ولا مَلك

أخذ ابو العلاء بهذا المقياس في اختباره المادّي فصحّ مقياساً الأحكام ، وأمكنه أن ينفي وجود الفلان في بيته لأنه لا يحسّ به . فخال المقياس صحيحاً كذلك في الشؤون الفائقة المادّة ، ومَنْ من المفكرين لا يميز بين هذين العالمين الفارقين ، فينتقل من الواحد إلى الآخر بالمقياس نفسه ؟ إلا إذا شاء أن يتظرف أو يتماجن فعل أبي نواس ، ولا نراه بعيداً عن أبي العلاء في استخدامه هذا القياس :

ما جاءنا أحدٌ يُخبر أنه في جنة مذمات أو في نار !

وينتقل الشاعر بمقياسه من الجن والملائكة إلى الله فيقول :

أما الإله فاني لست مدركه

وهو على حقّ وإخلاص في قوله ، لا نه لن يُدرك الإله عن هذا الطريق . على أن الطبيعة الإنسانية ، طبيعته التامة ، كانت كثيراً ما تثور على هذه النتائج المنطقية الفاسدة ؛ فيسكن أبو العلاء إلى الإيمان :

أثبت لي خالقاً حكيماً ولست من معشر النفاة

* * *

انفرد اللهُ بسلطانه فماله في كل حالٍ كفاء

ما خفيت قدرته عنكم وهل لها عن ذي رشاد خفاء؟

ثم يعود بعقله إلى العالم الروحي ، فيرى الديانات المتباينة والعبادات المختلفة ، والشرائع المتناحرة أحياناً ، وكلها تدّعي صحة الدين ، وطهارة الايمان ، والعمل

على خلاص البشر ، فيضيع مقياسه في ذلك ، ولا يرى أفضل من أن ينكرها جميعاً ، حاكماً عليها بالضلال لأنها تخالف « العقل » :

هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدت ... والهود حارت ، والمجوس مضللهْ
اثنان أهل الأرض ، ذو عقل بلا ... دينٍ ، وآخر دَيِّن لا عقل لهْ !

* * *

إذا رجع الحصيف إلى حجاه ... تهاون بالمذاهب وازدراها
وَهت أديانهم من كل وجهٍ ... فهل عقلٌ تشدُّ به عُراها !

وذاك ان اختلاف العبادات يظهر جديراً بالازدراء في نظر هذا العقل، فلو كان الجوهر واحداً ، لما تباينت الأعراض :

عجبتُ لكسرى وأشياعه ... وغسلِ الوجوه ببولِ البقرْ
وقولِ النصارى : إلهٌ يُضامُ ... ويظلم حياً ولا ينتصر
وقولِ اليهود : إلهٌ يُحب ... رِشاشَ الدماء وريح القتر
وقومٍ أتوا من اقاصي البلادِ ... لرمي الجمار ولثم الحجر
فواعجباً من مقالاتهم ! ... أيعمى عن الحق كل البشر(١)

أجل هذه مفاعيل المقياس المادي الضيق الذي لا يمكنه أن يتجاوز الأعراض الى الجوهر الروحي لأنه من نظام مادي . ولا مندوحة لنا في قدر هذا الفرق قدره الصحيح من تذكر ما أشاد به بسكال من تدرج الأنظمة في العالم : النظام المادي وله مقاييسه ، والنظام العقلي وله مقاييسه كذلك ، والنظام الروحي ، أو نظام المحبة ، وله مقاييس خاصة . ومن لم يتح له تجاوز النظام الى تاليه فيستعمل لكل نظام مقياسه الخاص ضلَّ ولم يستصبح بنور . هذا المعري يرى تنوع الديانات في اعراضها فينكرها جميعاً ويرمي أصحابها بالعمى . وهذا ابن عربي يتحقق التنوع نفسه ، ولكنه يتجاوز في حكمه نظام المادة الى نظام المحبة فينفذ من الأعراض المتباينة الى الجوهر الموحد ، فيتحقق ان لامعبود في الواقع الا الله ويصيح :

لقد صار قلبي قابلاً كل صورةٍ ... فمرعى لغزلانٍ ودير لرهبان
وبيت لأوثانٍ وكعبة طائفٍ ... وألواح توراةٍ ومصحف قرآن

(١) سواء اثبتت نسبة هذه الابيات أم لا فانها تصور الفكرة العلائية في صميمها .

أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني

***

ولنعد الى إله أبي العلاء، الذي يعود اليه بعقله ، فلا يمكن أن يتصوره خارجاً عن الزمان والمكان . وقد كان مشكل ازلية العالم لايزال يحز الأدمغة في ذاك العهد . فاذا كان العالم أزلياً ، كان الزمان ـ وهو امتداد الحركة ـ والمكان ـ وهو امتداد الاقطار ـ ازليين كذلك :

ولو طار جبريل بقية عمره من الدهر، مااستطاع الخروج من الدهر

فصار الله ضمن الزمان وضمن المكان :

قالوا : لنا خالق قديم قلنا : صدقتم ، كذا نقولُ
زعمتموه بلا زمان ولا مكان ؛ ألا فقولوا :
هـذا كلام له خبيءٌ معناه : ليست لنـا عقول !

اما الجنس البشري في هذا العالم الأزلي فليس من الضرورة ان يبدأ بآدم المعروف ، بل قد يرقى في القدم الى الأزل . و لمَ لا ؟

خالق لايشك فيه قديم وزمان على الأنام تقادم
جائز أن يكون آدمُ هذا قبله آدم على إثر آدم !

والديانات ظواهر اجتماعية تأتي وتزول :

أتى عيسى فـأبطل دين موسى وجاء محمد بصـلاة خمس
وقيل يجيء دين بعد هـذا فأودى الناس بين غد وأمس
إذا قلت المحال رفعت صوتي وان قلت اليقين أطلت همسي

ولا تترك بيننا إلا التفرقة والإحن والعداوات :

إن الشرائع ألقت بيننا إحناً وأورثتنا أفانـين العداوات
وهل أبيحت نساء الروم عن عرض للعرب الا باحـكام النبوات

ثم يتناول الشرائع وتناقضها الظاهر في نظره :

يد بخمس مئين عسجداً وديت ما بالها قطعت في ربع دينار
تناقض مالنا الا السكوت له وأن نعوذ بمولانا من النار

رفع المسيهما

وهو فساد قياس أدّي إليه سوء الفهم لروح الشريعة . وقد انتبه له الكثيرون ممن تعقبوا المعري بالنقد والرد والشتم والتكفير . قال ياقوت جامعاً كل ذلك « كأن المعري حمار لا يفقه شيئاً . وإلا فالمراد بهذا بين : لو كانت اليد لا تقطع إلا في سرقة خمسمائة دينار لكثر سرقة ما دونها طمعاً في النجاة . ولو كانت اليد تودى بربع دينار لكثر من يقطعها ويؤدي ربع دينار دية عنها . نعوذ بالله من الضلال ؟ »

ومن المشاكل التي اثارت خيال المعري ، وأرهفت حسه ، وأقلقت عقله مشكلة الانسان : كيانه ومصيره .

أولم يكن من الافضل ألا يكون ؟

ريب الزمان مفرق الالفين فاحكم الهي بين ذاك وبيني
أنهيت عن قتل النفوس تعمداً وبعثت انت لقتلها ملكين
وزعمت أن لها معاداً ثانياً ما كان اغناها عن الحالين

أما الموت فيتوق إليه المعري على خوفه منه . يتوق إليه لان فيه راحة وغنى

ضجعة الموت رقدة يستريح الجسم فيها ، والعيش مثل السهاد
تعب كلها الحياة فما أعجب الا من طامع في ازدياد

* * *

أصبح في لحدي على وحدتي لست إلى الدنيا بمحتاج

* * *

فمالي أخاف طريق الردى وذلك خير طريق سلك
يريحك من عيشةٍ مرةٍ ومال أضيع ومال ملك

ولكنه يخاف على الرغم من هذه المحاولة في الاقناع

وخوف الردى آوى الى الكهف أهله وكلف نوحا وابنه عمل السفن
وما استعذبته روح موسى وآدم وقد وعدا من بعده ، جنتي عدن

ويقول ، وملء جوانحه الرعب والأسى :

يهال التراب على من ثوى فآه من النبأ الهائل

ثم يخص نفسه ، فيتصور انقضاء اجله واهتمام الناس بحفر قبره في تلك الصورة المفزعة :

يكر الحول بعد الحول عني وتلك مصارع الأقوام حولي
كأني بالاولى حفروا لجاري وقد أخذوا المعاول وانتحوا لي

وأما ما وراء الموت ...

أما الجسوم فللتراب مآلها وعييت بالارواح أني تسلك

ولندعه على عيه بالارواح هنيهةً ، منصرفين الى ما يستخرجه خياله الخصب من نهاية الجسد وتحوله الى تراب :

تعود إلى الارض أجسامنا وتلحق بالعنصر الطاهر
ويقضي بنا فرضه ناسك يمرّ اليدين على الظاهر

* * *

تيمموا بترابي عليّ فعلكم بعد الهمود يوافيني بأغراضي
وان جعلت بحكم الله في خزف يقضي الطهور، فاني شاكر راض

فاذا كان الانسان نهايته الى إناء الفخار

فلا يمس فخاراً من الفخر عائد الى عنصر الفخار للنفع يضرب
لعل إناء منه يصنع مرّةً فيأكل فيه من أراد ويشرب
ويحمل من أرض لارض ومادرى فواهاً له بعد البلى ، يتغرب

وأعجب بتغرب هذه العناصر بعد هلاك المركب الجامع .

وما أقرب فكرة التحوّل هذا إلى رباعية الخيام ، وقد دخل معمل الخزّاف فتخيل سماع الأرواح ترتفع إليه من خلال الطين المجبول ! قال (في تعريب وديع البستاني) .

أمسِ أبصرتُ جارنا الخزافا يجيل الطين كيف شاءَ اعتسافا
ويكيل المقدار منه جزافا

وكأني سمعت بين يديه صوت مظلومة تشكى لديه
آه رفقاً ! فأنت طين وماء أيها المرء ، لا تسمني العذابا !

هذا النفع المادي من مآل الأجسام البشرية يتوسع فيه أبو العلاء حتى التصورات المزعجة . فيذكر أجساداً كانت جديرة بالصون وقد صارت في طلاء الجدار » .

وكم من رجال جسومهم عُفرُ تبنى بهم أو عليهم الجدُرُ

وهذه الصورة ، وهي أروع وأشد وقعاً لما فيها من التخصيص والتضاد :

لعل مفاصل البناء تُضحي طلاءً للسقيفة والجدار

ويبلغ به التصور الخيالي أن يرى سطح الأرض كله من تراب الأجسام فيربأ بالموتى أن يدوسهم الأحياء :

خفف الوطء ما أظن أديم الأ رض إلاّ من هذه الأجساد
سرْ إن اسطعت في الهواء رويداً لا اختيالاً على رفات العباد
وقبيح بنا وإن قدم العهد هوان الآباء والأجداد

وكيف بهذا التصوّر الفسيح الغنيّ إن علق به الشاعر الفارسي فأشار إلى عادة الفرس في إراقة القطرات من الكأس قبل شربها :

ما جزافاً ما قد أراق السقاة ! لا لعمري بل تلكمُ صدقات
إنما الترب يا ندامى رفات !
فليريقوا فتلكم القطراتُ لكبودٍ تذيبها الحسرات
وليريقوا لعلها مطفئات لوعةً في الثرى تؤج التهابا !

* * *

هذا مصير الأجسام . وأما الأرواح ، وهي لا تقع تحت الحسّ ، فلم يكن لعقل المعري أن يجيب عن مصيرها بشيء .

فهل تحس إذا بانت عن الجسد ؟

أم انها تنتقل من جسد إلى جسد وفقاً لزعم الهنود في التناسخ ؟ وهل تدخل جسد الحيوان في تنقلاتها ؟ وهل هناك بعث ؟ وحشر ؟ ودينونة ؟

أما العقل فيقول :

ولم نر بطن الأرض يلقي لظهرها رجالاً كما يلقي الى بطنها الظهر

* * *

تحطمنا الأيام حتى كأننا زجاج ، ولكن لا يعاد لنا سبك

ويرفض التناسخ :

يقولون إن الجسم يُنقل روحه إلى غيره حتى يهذبه النقل
فلا تقبلن ما يخبرونك ضلةً إذا لم يؤيد ما أتوك به العقل !

واما بقية الايمان فتصيح :

وقدرة الله حق ليس يُعجزها حشر لجسم ولابعث لأموات

* * *

اذا ما أعظمي كانت هباءً فان الله لايعييه جمعي

بل هي تناضل عن هذا الايمان بالبعث ، وتراهن عليه ، قبل الغزالي بنصف قرن ، وقبل بسكال بستة قرون :

زعم المنجم والطبيب كلاهما ان لامعاد . فقلت : ذاك إليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر أو صح قولي ، فالوبال عليكما

***

وكيف يثيب الله الناس أو يعاقبهم على أفعالهم ، وهم غير مخيرين فيها .

وهل في هذا الكون القديم السائر منذ الازل الى الابد ، مكان لاختيار أو أثر لحرية ؟ وكيف يؤمن العقل بالحرية والتخيير .

والمرء يقدمُ دنياه على خطرٍ بالكره منه، ويناها على سخط ؟

***

ماباختياري ميلادي ولا هرمي ولا حياتي ، فهل لي بعد تخيير ؟

كان عراك الجبرية والقدرية قد خفَّ في المجتمع الاسلامي . ولكنه لم يخف ولن يخف في الفكر البشري ، وهو المقابل بين معرفة الله الشاملة وارادته المطلقة من جهة وعدله بين الناس في توزيع الثواب والعقاب وما يفرضه ذلك من مسؤولية فردية وبالتالي من حرية اختيار .

اما ابو العلاء فقد كان جازماً في حكمه ، غير متردد في استنتاج كل مايمكن من هذا المبدأ . فحمل على القائلين بهلاك من يفعل الكبائر .

ان كان من فعل الكبائر مجبراً فعقابه ظلم على مايفعلُ

وتجاوز حتى جعل المدح والذمّ لامعنى لهما لأن الانسان غير مخير في اكتسابهما. وقال إن تأليفه الكتب ونظمه الشعر بقضاء وقدر .

وإذا كان الأمر كذلك فقد أصبح الاصلاح لا يرجى في المجتمع ، وظل الانسان شريراً بطبعه ، كما يقول ، وظل الفساد غريزة فيه ، لا يمتاز أحد عن الآخر في هذا الأمر :

إن مازت الناس أخلاق يقاس بها فانهم عند سوء الطبع ، أسواء

أو كان كلّ بني حواء يشبهني فبئس ما ولدت للناس حوّاء

وإذاً فقد كان طبيعياً أن يفضل المعري الحيوانات على البشر ، بل يفضل تسريح برغوث على عمل الإحسان :

تسريح كفي برغوثاً ظفرت به أبر من درهم تعطيه محتاجا !

اما الخلاص من الشر الاصيل في البشر فلا سبيل اليه الا العدم أي قطع النسل :

فليت وليداً مات ساعة وضعه ولم يرتضع من امه النفساء

ومن نظريات المعري الحبيبة الى قلبه ان الآباء يجنون على ابنائهم :

على الولد يجني والد ولوانهم ولاة على أمصارهم خُطباء

وهو مايبرر تلك الوصية الغريبة التي شاءها ان يُكتب على قبره :

هذا جناه أبي عليَّ وما جنيت على أحد !

ولا سبيل الى قطع النسل الا بتحريم الزواج ، فينقطع بذلك الشر في العالم . وقد سهل له عقله ، وهو الشفيق على البرغوث ، أن لايتراجع عن وأد البنات :

ودفن ، والحوادث فاجعات لإحداهن احدى المكرمات

بل ان عقله هذا يقوده الى تصور امور يبتسم لها في التساهل بتزويج البنات شرط أن لا يزوج البنون :

واطلب لبنتك زوجاً كي يراعيها وخوف ابنك من نسل وتزويج

ولا نعلم بما نعتذر عنه في حملته على النساء . وما كانت تلك الحملة مقصودة لنفسها . الا انه جر اليها في حملته على النسل البشري . ولو لم توجد المرأة لكان ذلك بدء السعادة . اما وقد وجدت فينبغي .

لزومها البيت مع اهتمامها حتى يجيها الوفد من حمامها

وطبيعي أن يكون تعليم النساء امراً مفروغاً منه في نظر المعري :

علموهن الغزل والنسج والرد ن وخلوا كتابة وقراءه
فصلاة الفتاة بالحمد والاخلا ص تغني عن يونس وبراءه

* * *

ولا تحمد حسانك ان توافت بأيد للسطور مقومات
فحمل مغازل النسوان أولى بهنّ من اليراع مقلمات

واذا كان لابد لهن من تلاوة شيء من القرآن فلينظر الى عجوز متناهية الكبر فاقدة الاسنان :

ليأخذن التلاوة عن عجوز من اللائي فقرن مهتمات
يسبحن المليك بكل جنح ويركعن الضحى متأثمات
فما عيب على الفتيات لحن اذا قلن المراد مترجمات
ولا يدنين من شيخ ضرير يلقنهن آيا محكمات
سوى من كان مرتعشاً يداه ولمته من المتثغمات

وكأنه يتصور مطالب النساء الكثيرة ومراميهن البعيدة فيرسم لهن تلك الصورة المتحركة على مهلها :

أعوذ بالله من ورهاء قائلة للزوج : إني الى الحمام أحتاج
وهمها في أمور لو يتابعها كسرى عليها، لشين الملك والتاج!

* * *

ولم يفت نظام المجتمع فكر المعري ، وقد كثر فساد الحكم في عصره . فحكم عقله في السلطة ومبدإها ، وطلع علينا برأي كان جديداً في القرون الوسطى المؤمنة بان كل سلطة من الله الخالقة حول صاحب الامر هالةً من الكرامة والتبجيل . واذا باعمى المعرة يفتح أبصار الناس على أن مصدر السلطة الشعب وان الامير خادم الرعية :

ملّ المقام فكم أعاشر أمة أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها وعدوا مصالحها ، وهم أجراؤها !

ثم يستنكر عقله أن يكون البشر طبقات متمايزة في الشرف والحقوق وهم متساوون في الاصل والجبلة ، فيصيح :

لا يفخرن الهاشمي على امرئٍ من آل بربر
فالحق يحلف ما علي عنده الا كقنبر

هذه المساواة بين البشر يريدها كذلك في الممتلكات ، رامياً الى شيء من الاشتراكية ، لفظاً على الاقل :

لو كان لي ، أو لغيري قدر أنملة من البسيطة ، خلت الامر مشتركا

***

من الاله ؛ الى النبؤات والشرائع ، الى مصير الاجساد والارواح ، إلى مظاهر المجتمع . لمحات خاطرة ، ونفذات مشعة ، وأحكام تتفاوت خطأ وصواباً ، وآراء تتباين عمقاً وتسطحاً . هي حجارة من مقالع مختلفة نحتها الشاعر الجاهد فزخرف بعضها ، وصقل البعض الآخر ، وتركها مبعثرة معالم على طريق المفكرين دون أن يشيد منها ذاك الصرح الموحد التصميم ، الموحد البنيان في التفكير البشري المتناسق . إلا أنه ، وإن لم يوفق الى السير في سمت الفلسفة الانسانية السوية ، فقد كفاه فخراً أنه بدأ ، منذ ألف سنة ، يحر هذه الاداة العجيبة التي تجعل من الكائن البشري انساناً كاملاً ، ألا وهي العقل !

فؤاد افرام البستاني
مندوب لبنان

رفع المسهم

من هو ابو العلاء المعري

ولِمَ تقام المهرجانات لذكرى مرور الف عام على ولادته

ما كان ابو العلاء المعري نبياً جاء بدين يهدي البشر الى الصراط المستقيم ولا خليفة راشداً استن للامة سنناً تهديهم الى سبل الرشاد. ولا ملكا عزيز الجانب لم تأخذه في الحق لومة لائم. ولا قائداً فاتحاً وسع ملك العرب وسلطانهم، ولا بطلاً ردّ عنهم غزاة بلادهم، ولا مجتهداً وضع للامة مبادىء قادتهم الى الخير، ولا مكتشفاً ضم الى بلاد امته بلاداً اخرى ولا مخترعا اوجد لامته ما هون عليها مشقات العمل.

ولكن الروح الانسانية تواقة بفطرتها الى الافكار والسوانح العلوية التي تعبق من مهبط الكمال في ظلمات اسرار الخليقة فتنير السبل وتدفع البشر الى العلاء.

والذكاء والمعرفة أعلى ميزات الانسان وأجلها، فاذا اقترنا بالعقل والوجدان كانا كواكب منيرة في ظلمات الخليقة يهتدي بها العاثي في حالك المعضلات.

وانّية الانسان وحرسه على صيانة ما يخصه من كل جامحة تجعله يقدس من تخلق بالقواعد التي وضعها البشر لهذه الغاية واحترام كل من يدافع عنها بالقوة او باللسان. واذا كان هذا التخلق والدفاع في زمن كثر فيه الاستهتار واشتدت فيه قوة الاستغلال زاد صاحبه اكباراً واجلالاً في نظر أمثاله من بني الانسان.

واذا جاء بأكثر مما كان يطلب منه استجلب الانظار اليه واختص بتقدير من لم يكن قادراً على مساواته وأصبح بنظر الناس من الأفذاذ. وابو العلاء المعري كان خلوقاً جريئاً قوي الروح والارادة زكياً عالماً قادراً على التعبير عما يخالج نفسه من عواطف وأفكار وانتقاد كل ما لم يقبله الخلق الكامل

رفع المسهم

والعقل السليم بحرية وجرأة وبلغة متينة غير مبال بما تأتي به آراؤه بالنسبة الى عصره من مقت ونكبات .

وقد تغلب فيه جوهر الروح على جوهر الجسد فكبح جماح شهواته المادية وعاش عيشة الزهاد المتقشفين مكتفياً بما يمسك مسكة حوبائه من طعام وشراب وتغذية روحه بالدرس والتفكير والتدريس والنظم والتأليف ، غير ملتفت الى قيود محيطه الذي ساد فيه القلق والاضطراب وضحيت فيه الحرية في سبيل ممارسة خصائص الحكم التي كانت تستلزمها حالة الاجتماع آنئذ .

وهذه الخصائص وهذا الاعتكاف على الدرس والتفكير الذي اتخذ فيه الحياة الانسانية كلها موضوعاً لتفكيره والتأمل بحل معضلاتها جاء ببنات أفكاره التي استجلبت اعجاب الادباء والعلماء من سائر بني الانسان .

ان منشأ حبنا وتصورنا ومخاوفنا وآمالنا وحسراتنا ورجائنا هو النفس وليس العقل الذي هو آلة الفكر والمحاكمة ، فالنفس هي الينبوع الفياض لعواطفنا ، والعواطف هي الجوهر الأصلي في انسانيتنا والفكر واسطة لتسميتها وتفسيرها واللسان وتر ما يلد في وجداننا من العواطف المنبعثة عن حالاتنا النفسية .

وهناك بعض تجليات نفسية عميقة لا نستطيع التعبير عنها بلغة الكلام تذهب بنا الى فكرة يأس عميق أو سرور ظاهر .

ومن هذا يمكن وجود مسلكين متناقضين من فكرة واحدة أحدهما يشقي الانسان والآخر يسعده قليلاً او كثيراً ، والأول هو التشاؤم والثاني هو التفاؤل، واذاً ليست مسألة التشاؤم والتفاؤل الا مسألة مزاجية .

فاذا نظر الانسان الى الاكوان الخارجية وصحف حياته نظرة تقدير يحاول بها تعيين القيم فلا ينظر الا من وراء أحواله النفسيةفيرى الدنيا جميلة او قبيحة والحياة سعيدة أو شقية على نسبة انتعاشه المعنوي .

واللذه والألم والسرور والحزن حالتان أصليتان في الحياة الانسانية وكل حالة منهما يتلازم فرعاها مردودين الى شكل عام من أشكال الشعور ينتهي بنا الى القول بأن من لم يتألم لا يتلذذ ومن لم يحزن لا يسر وان الوجدان البشري بحر خضم مجهول الحدود لا ينال غوره تمر به الرياح والعواصف من حين الى

آخر فتثير فيه أمواجاً يعجز العقل عن استيعابها وهي ما نسميه وحياً والهاماً وتلك الأمواج هي الحالات النفسية ، والانسان على استعداد عظيم لحمل الكون الجامد الصامت بأسره على لسانه وهذا هو الشعر في اعمّ وأتم معناه والانسان بمثل هذا الاستعداد انما يأنس الى الأكوان فينطقها ويقبس منها معاني وأفكاراً تصلها به الصلة التامة فيمد الكون بالمعاني .

وما الشاعر الفذ الا ذلك الذي يمد الكون بالمعاني البليغة ويخترق حجب الحياة والموت ويهز النفس أبداً لسورة إلهامه ويزن الحياة بالقسطاس المستقيم . وليس من أمر انساني يفوق أهمية أمر تقويم الحياة وتفسيرها بالمعنى الصحيح الا أن الناس لم يختلفوا في أمر قط اختلافهم في حل هذه المعضلة العويصة ، لما يكتنف مزاجهم من مجلى حالتي التشاؤم والتفاؤل وما صبغ أفكارهم من صبغة الأمل الباسم أو اليأس الباكي .

وان أروع الشعر واجمل البيان هو ما استطاع أن يكشف العواطف المستسرّة المتصلة بقضايا الموت والحياة والسعادة والشقاء التي تتلاطم أمواجها في نفوسنا دائرة على قطبي اليأس والرجاء .

ولعقائد الانسان في المعاد والآخرة اتصال وثيق بانصراف أفكاره وعواطفه الى نظريات التفاؤل والتشاؤم وللايمان وشكوكه أثر بين في تلك العقائد ولتقديره الكون قائماً على الاتقان والنظام وعدم يقينه بذلك دخل كلي في إيمانه وشكوكه فمن لم يؤمن بالعدل المطلق لا يؤمن بالآخرة ، ولهذه المبادئ اكبر صلة بالخير والشر فمن يعتبر الخير أصلاً وعلة غائية يظلّ متفائلاً ومن يعتبر الشر أصلاً في الخلق لا يعيش الا متشائماً .

ومن هذا نستنتج ان الاصل في السعادة هو الاطمئنان النفسي وهذا مبعث الايمان . والايمان خارج عن اختيار الانسان لانه لابد فيه من الهام قدسي خاص أي هداية كما قال تعالى : (انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) وفي التشاؤم الاقرار بأن الشر أصل في الوجود ، وقد كان المعري من عباقره الشعراء الذاهبين الى الشق الثاني ويرى أن الدهر قائم على الاتلاف والافساد والمجتمع منصوب على الغدر والخيانة وأن النظم البشرية التي يسير

عليها المجتمع بعيدة عن تقويم الحياة والقسطاس المستقيم الذي يريده العقل وأن لا شيء قائم على الاتقان والنظام والعدل والمساواة ؛ فأراد أن يفهم الكون بجميع المعلومات الناجمة عن تجارب البشر والاديان وتاريخ الانسان على العموم ، فدار حول دائرة المعارف الانسانية الصغيرة في وسط فضاء الظلام الواسع يدرس ويفكر وهو الشاعر الملهم والحكيم الواعي ، والفيلسوف اذا سار مع ميوله الطبيعية وتذوق بالشبه ولم يكبح جماح خياله وقع بالشك وانقاد للمؤثرات النفسانية التي تهاجمه من كل صوب وحدب فتطوّح به للانكار وتزمله بالتشاؤم في كل أقواله وأفكاره .

وعمي المعري في الرابعة من عمره وقساوة محيطه وعيشه وما أوتيه من الاحساس الرقيق دفعه لانتقاد كل ما لم يقبله عقله ووجدانه غير هيّاب ولا وجل . فصوّر آراءه في شعره ونثره غير ملتفت إلى قيود محيطه وعقيدته فجاء بما جاء به من انتقاد للمجتمع ولبعض المظاهر الدينية ووقف حائراً يقول :

وبصير الأقوام مثلي أعمى فهلموا في حندس نتصادم

ونظر إلى موت أصحابه الذين سبقوه إلى دار البقاء ، فرأى هناك سراً غامضاً تقف العقول عنده حيرى كليلة فقال :

أما الصحاب فقد مرّوا وماعادوا وبيننا بلقاء الموت ميعاد
سرّ قديم وأمر غير متضح فهل على كشفنا للحق اسعاد
سيران ضدان من روح ومن جسد هذا هبوط وهذا فيه اصعاد
أخذ المنايا سوانا وهي تاركة قبيلنا عظة منها وايعاد
توقعوا السيل ، أوفى عارض وله في العين برق وفي الاسماع ارعاد

وتراه تجاه هذا السرّ المبين ينتقل فجأة إلى تقويم الحياة وبيان ماهية الوجود فيقول :

كل ذكر من بعده نسيان وتغيب الآثار والأعيان
إنما هذه الحياة عناء فليخبرك عن أذاها العيان
ما يحسّ التراب ثقلاً إذا ديس ولا الماء يتعب الجريان
نفس بعد مثله يتقضى فتمرّ الدهور والأحيان

ومرثيته الخالدة خير معبر عن فكرته في الحياة التي لا يرى فيها ما يستحق منه دمعة أو ابتسامة حينما يقول :

غير مجد في ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شاد
وشبيه صوت النعيّ إذا قيس بصوت البشير في كل ناد
أبكت تلكم الحمامة أم غنت على فرع غصنها الميّاد

ولكنه سما بتفكيره إلى عالم الحقيقة عالم القيم المحضة المعينة المستقر الذي لا يتغير فجذبه نحوه كالمغناطيس وعلا به إلى مكانته العليا ووهبه قوّة على النهوض فوق قوّة مستواه الطبيعي فرأى أن العالم ليس مجرّد مجموعة ذرات مادية محشودة بدون معنى وأنه ليس مجرّد فراغ تدور حوله حياة الانسان ، فقال :

بوحدانية العلام دنا فذرني أقطع الأيام وحدي

وقال :

انفرد الله بسلطانه فما له في كل حال كفاء
ما خفيت قدرته عنكم وهل لها عن ذي رشاد خفاء

والبيت الأول لا يعدو قول الله عزّ وجلّ (قل هو الله أحد) إلى آخر السورة ، لأنه يثبت الوحدانية ويثبت القدرة بلفظ القرآن .

وقال :

أما ترى الشهب في أفلاكها انتقلت بقدرة من مليك غير منتقل

وهنا يقصد استقرار الموجود المطلق ، ثم قال :

والله أكبر لا يدنو القياس له ولا يجوز عليه كان أو صارا

وهنا قال بعالم لا يتناهى ومكان لا يتناهى وإلهٌ في هذا العالم لا يتناهى .

وقال :

هو الفلك الدوّار أجراه ربه على ماترى من قبل أن تجري الفلك
له العز لم يشركه في الملك غيره فيا جهل إنسان يقول لي الملك
وأيامه منظومة في حياته ولا نظم يبقى حين يمتلئ السلك
خلقنا لشيء غير باد وإنما نعيش قليلاً ثم يدركنا الهلك

وهنا استمد ضرورة الايمان من ضرورة المنظم لهذه الخليقة التي حارت بها الافكار وهو يرى اننا خلقنا لشيء غير باد لعقلنا المحدود .

وهو بمناسبات عديدة يبين لنا اعتقاده القوي في الحياة الآخرة وعبادته الموجود المطلق عبادة خالصة لوجهه تعالى ، لاحبا بجنته ولا خوفا من ناره ، ومنها :

وقدرة الله حق ليس يعجزها حشر لخلق ولا بعث لاموات
فاعجب لعلوية الاجرام صامتة فيما يقال ومنها ذات اصوات

* * *

واعبد الله لاارجو مثوبته لكن تعبد اعظام واجلال
اصون ديني عن جعل أوءمله اذا تعبد اقوام باجمال

* * *

ماالخيرصوم يذوب الصائمون له ولا صلاة ولا صوف على الجسد
وانما هو ترك الشر مطرحا ونفضك الصدر من غل ومن حسد
مادامت الوحش والانعام خائفة فرسا فما صح امر النسك للاسد

وقد وضع على مايفهم من نصوص الكتاب في زمن متأخر من حياته كتاب الفصول والغايات بقدس الله فيه ويبجله تقديس النادم المستغفر الذي يعتقد أن ذنوبه اعظم من ان تغفر واشد من أن تجد مجالا للغفران .

وللتدليل على ذلك اذكر لكم ماقاله في هذا الخصوص :

(أستغفر من لايعزب عليه الغفران لو كانت الذنوب سودا صارت بشرتي كحلك الغراب واصبح دمي كالحبر المستنعت للكتاب واعديت ماجاورني من وقت ومكان حتى يكون مقعدي في الشمس الصافية مظلما وانا في رأد الضحاء) وقد وضعه في تمجيد الله والمواعظ ، وقال :

(قد علم ربنا ماعلم اني الفت الكلم آملا رضاه المسلم واتقي سخطه المؤلم فهب لي مابلغ به رضاك من الكلم والمعاني الغراب) . والكتاب من الناحية العلمية متعة الاديب وامنية العالم ملأه بشتى العلوم من اللغة والادب والعروض والنحو والصرف والتاريخ والحديث والفقه والفلك ، بث فيه كل ماوعاه صدره من ألعلم وغيره مما لم يسبق لغيره جمعه بالطريقة التي سلكها ذلك انه يملي الفقرة على تلامذته

ثم يختمها بالغاية وهي عنده بمنزلة القافية من بيت الشعر ، وقد تطول الفقرة وقد تقصر ثم يملي التفسير .

فالمعري شاعر حقيقي وفيلسوف مزاجي واكبر مميزات شعره انه صادر عن الم فياض وهيجان نفسي، ولكن آراءه ساطعة وطرازتفكيره موافق لاصول مراقبة الوجدان وسبيل استدلاله مثال للمنطق الحسي وسلسلة محاكماته تنطلق من تموجات حواسه ، وطول عراكه في ظلمات الحياة ساقه للغضب وانكار قدسية الاديان .

وذهن المعري فعال في كل ميادين الحياة . وجوامع الكلم التي جاء بها غذاء روحي للمثقفين من ابناء الامة العربية .

وفعالية الملكات المعنوية في كل مؤلفاته والتنويع الذي لم يسبق اليه يجلبان لنا الدور الذي لعبه العقل والحس والالم وكلها تحتاج الى فكر وقاد ووجدان رقيق حساس وعلم جم والهام رائع يجب ان يحاكم من اتى بمثلها وجدانه قبل ابرازها محاكمة دقيقة وان يتنور كل مايحيط ويتمركز في قرارة نفسه ووعيه لانها لاترد عفوا ولا يمكن أن تأتي من العدم بل هي ثمرة عملية ذهنية مصقولة جريئة وليست مما يقدر أن يأتي به كل انسان بل خص بها الافذاذ وصقلها العلم والتفكير ولذلك فان شاعرنا الفيلسوف من ارباب الخلود الذين اثارت خواطرهم وسوانحهم عقول المثقفين وزادوا ثروة العالم الفكرية ، فلا غرو اذاً ان يحتفل به العرب احتفال الامم الاخرى باكبر مفكريها .

اديب وهبه
مندوب شرق الأردن

المعرى والمرأة

أبا العلاء ! هل كان يخطر ببالك أن تشترك امرأة في تقديرك وتكريمك ؟ أما تعجب ياعدو المرأة الجبار أن تقف امرأة الآن تفخر بك وتشيد بآثرك ؟ اما تستغرب فيلسوف المعرة أن أقف اليوم لأعيد ماسطرته قريحتك الناقمة الفياضة من الطعن واللذع والحط من قيمتنا نحن معشر النساء ؟

ألست أنت القائل :

ألا إن النساء حبال غي ... بهن يضيع الشرف التليد

وهل تنكر قولك :

أتت خنساء مكة كالثريا ... وخلت في المواطن فرقديها

ولو صلت بمنزلها وصامت ... لالفت ماتحاوله لديها

وهل نسيت قولك :

ودفن والحوادث فاجعات ... لاحداهن احدى المكرمات

وقولك :

ودفن الغانيات لهن أوفى ... من الكلل المنيعة والخدور

بهابالك أبا العلاء تسرف في تجريح المرأة فتراها شيطانة غي تجرر وراءها الفتنة حيث سارت وحيثما حلت وانى هبطت حتى ولو كانت في مكان من أقدس الاقداس .

وما الذي حدا بك حتى اوسعتها ذماً وتقريعاً ورغبت في دفنها وسلبها نعيم الحياة وعهدها بك تمقت القسوة والظلم فهل اعتقدت استحالة اصلاحها ؟ وليس عجيباً أن تشترك المرأة في احياء ذكراك وتكريم آثارك الخالدة بعد أن تناولتها بلسان لاذع وقول قارس لأن ظلمك الناس لم يكن مقتصراً على المرأة فحسب بل تناولت الرجل أيضاً بنصيب وافر من النقد والتشنيع إذ قلت :

فأف لعصريهم نهار وحندس ... وجنني رجال منهم ونساء

فكنت إذا تحدثت عن الحاكم نعته بالظلم وعن الولد رميته بالعقوق وعن

رفع المسهم

الصديق وصفته بالختل والغدر وقد شككت بكل شيء حتى في القدرة الالهية فلا عجب إن شككت بعد هذا ، وكان حقاً عليك أن تنقلها الى جحيمك فتصليها بناره وتحرقها بأواره . ولكن المرأة المستضعفة في نظر الناس استطاعت أن تصمد أمام حملات طائشة مغرضة وأن تبقى أمد الدهر موئل الرجل وملاذه .

وأنا زعيمة بأن الرجل الذي يكثر من التحدث عن المرأة نقداً وتجريحاً ، قذفاً وتشويهاً انما هو اقرب الرجال الى المرأة واشدهم حبألها وايثاراً لأن من أحب الشيء اكثر من التحدث عنه .

سيداتي سادتي عاش أبو العلاء في عصر زهده في الحياة ورغبه عنها وملأ نفسه سوء ظن بها ، عصر فتنة واضطراب عصر ضج بالظلم والزور والبهتان ، عصر عم فيه الفساد ونزرت العصمة ، عصر غمره الفجور فسادت فيه الإباحية الخلقيـة وهوت الحياة الاجتماعيـة الى أحط لدركات فتفسخت الأسـرة وعمت الفوضى ففضلت الاماء على الحرائر وتكونت لدى شيخنا المعري النواة الأولى لنسيجه الفلسفي التشاؤمي حتى صب نقمته على المرأة وعلى الحياة لابل على الوجود أجمع حتى أنه لم يستثن ذم نفسه حيث قال :

بني الدهر مهلاً ان ذممت فعالكم فاني بنفسي لامحـالة أبدأ

لاشك في أن الآلام التي بلاها في حياته جسدية أو روحية كانت العامل الأكبر في تشاؤمه وزهده في الحياة ، ففقدان بصره وحرمانه من عطف امرأة تحدب عليه وتحن إليه تشاركه آلام الحياة وتصور له مباهجها تخلق له جواً سعيداً يسهل لديه اسباب العيش ويحبب إليه البقاء تلك أسباب حملته أن يركب هذا المركب الساخط الصاخب على الحياة .

اجل لم يحظ أبو العلاء بعطف امرأة في حياته ولعله أصابه أذاها فمنعه كبرياؤه من ذكر هذا الأذى فنقم عليها نقمة الملتاع وأطلق لسانه في ذمها .

من يدري لو أن حكيم المعرة هذا لاقى حناناً واشفاقاً من شريكة أو اخت أو ابنة لما ضن عليها بوفاء أو ثناء ولكف عن ذمها وأخمد من نار عدوانه لها وحقده عليها . على أن شذوذه حمله على التناقض في رأيه فبينما نراه يطعن بالمرأة ويصب عليها اللعنات نراه يشفق عليها وينكر تعدد الزوجات ويندى عداوته حين يذكر المرأة الأم بقوله :

العيش ماضٍ فأكرم والديك به والأم أولى بإكرام وإحسان
وحسبها الحمل والارضاع تدمنه مران بالفضل نالا كل إنسان

تلك الأم التي عد نعيها اكبر صدمة من صدمات الدهر أتم بها بناء بيته المظلم من الحزن الذي لزمه طيلة حياته ففاضت شاعريته برثائها بقصيدتين مفعمتين بالزفرات الحارة التي كان يصعدها بعد وفاتها .

سيداتي سادتي لو كنا جميعاً معشر النساء والرجال في عصر أبي العلاء وتوالت علينا مصائبه وويلاته لاشتركنا معه في وضع المرأة بأحط منزلة في ذمة التاريخ .

ولو شهد فيلسوف المعرة عصرنا هذا عصراً اشتركت فيه المرأة مع الرجل في العلم والأدب والفلسفة عصراً برهنت فيه أنها مبعث إلهام الرجل وموقظ القوى الخامدة فيه ، عصراً شعر الرجل فيه أنه بجانب شريكة تبادله الرأي وتشاطره آلام الحياة وافراحها ، عصراً ظهرت فيه دائبة لاتمل متحركة لاتسكن نشيطة لاتفتر ولجت ابواب العلم وضحت بكل غالٍ وثمين لكشف النقاب عن أعظم سر من اسرار الوجود خلص البشرية من أكبر الآفات ، عصراً قطعت فيه السنة من كانوا يصمونها بالضعف بما خلدته من المآثر العلمية والأدبية .

لو شهد المعري هذا العصر لغير رأيه في المرأة فما آذى شعورها ولا جرح إحساسها وقدسها أجل تقديس ونالت من نفسه مكانها الأسمى ولسكن الى زوج جعلت من نفسه المتشائمة المظلمة نفساً مشرقة متفائلة تريه السعادة في الشباب والهرم في الغنى والفقر في الصحة والمرض وتنير الناحية المظلمة من آرائه وافكاره ، وتترجم خلجات نفسه ووحي شعوره وتكشف النقاب عن الكثير من كنوز اسراره .

لك العذر أبا العلاء لأن المرأة لاتعدم في كل عصر عدواً لها يرى في كل عمل من أعمالها نقصاً وفي كل حركة من حركاتها عيباً ولكن المرأة يذكي نشاطها النقد ويقوي حركتها التهجم ونحن مهيئات انفسنا لاقتحام كل صعب وتخطي كل حاجز بعزيمة لاتخور وهمة لاتفتر .

جبران الموصلي
مندوبة الندوة الثقافية النسوية

ابو العلاء واقطاب الفكر المحدثون

ايها الحفل الكريم ،

يسرني قبل البدء بالكلمة التي أعددتها لهذا المهرجان ان أذكر حضرتكم وحضرة الآنسة الموصلي ان عدو المرأة في الوقت الحاضر هو توفيق الحكيم وان الدكتور طه حسين بك والدكتور مهدي البصير والداعي الماثل أمامكم من عشاق المرأة وأنصارها . المؤمنين بجليل قدرها وخطير شأنها في حياة الافراد والشعوب ، وأن لنا أزواجاً واولاداً من اجلهم نحيا لا من اجل أنفسنا فعفواً أيتها الآنسة الفاضلة واغفري ذنب أبي العلاء الذي يكفيه جزاء ان حرم عطف المرأة وخانها. تلك المرأة التي قال الله عنها في كتابه العزيز = « ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة . الآية . . »

وبعد انتقص قدر أبي العلاء بعض مواطنيّ اللبنانيين بغية النيل من الثقافة العربية وتقديس الثقافة الغربية الحديثة فعز عليّ وانا المدافع بحكم حرفتي على المجرمين أحياناً ان لا ادرأ الظلم عن أمة لم يعرف التاريخ بين الغزاة من هو ارحم منها ، وعمن يُمثل ثقافتها أحسن تمثيل ، لا سيما أن بيني وبينه رابطة العاهة .

وقد رأيت خير سبيل للرد على مواطنيّ المصابين بهوس الاستغراب ولاظهار الحق أن أقارن بين المعري والمفكرين الغربيين المحدثين جملة وأن أختار موضوعاً لهذه المقارنة الخاطفة اسمى مالدى الانسان من مميزات — العقل والقلب .

يفتخر العلماء الغربيون بالاعصر الحديثة افتخاراً عظيما ويدعونها بأزمنة النور لاستعادة العقل فيها سلطانه المسلوب وبسط نفوذه على المذاهب والآراء والمعتقدات كافة .

بيد أننا لو أجلنا الفكر في تلك الازمنة المضيئة لتبينا أن ضياءها كان في أكثر الاحيان كسماء البلاد التي انبثق فيها مشوهاً غير خالص النقاوة والصفاء وسر ذلك أمور أخصها وأعمها معاً هو أن فريقاً من أئمة المفكرين الذين أوجدوا ذلك الضياء

رفع المسهم

لم يعترفوا بحقوق العقل الطبيعية ولم يتركوه حراً طليقاً يستشف الحقائق من وراء الحجب والاصداف التي نسجتها الاعصر المظلمة بسخافاتها وأهوائها المزمنة المتراكمة .

فالفيلسوف الفرنسي الامام « ديكارت » مثلا بالرغم من تمجيده العقل تمجيداً عظيماً وتوجيهه الفكر الحديث نحو التنظيم لم يعلن سيطرة العقل على المعارف كلها بل استثنى منها كل ما تعلق بالكنيسة وتعاليمها ، وقال بوجوب الأخذ بتلك التعاليم كما هي دون ما نقد ولا تمحيص .

وإذا ذكرنا ما كان للكنيسة في عصر «ديكارت» من اثر بين في صميم الحياة الغربية الخاصة والعامة ادركنا دون عناء مدى الافق البعيد الذي اعتبره أمام العقليين المحدثين حراما وحذر العقل أن يضيئه بشعاعه .

وإذا انتقلنا من «ديكارت» الى «بسكال» وجدنا عند هذا المفكر المشهور ما يدهش من لا يدهش ، ذلك أنه بعد أن نهج في الشطر الاول من حياته ازاء العقل نهج «ديكارت» لم يلبث أن رجع في الشطر الثاني منها عن هذا المنهج وانطلق — على أثر حادث عربة جرت له فنجا منها كما يقولون — ينتقد العقل إنتقاداً شديداً — ويدعو إلى تمجيد الكنيسة واعتبارها وحدها — ام الحقائق .

وفضلا عما تقدم ان أكثر هؤلاء المفكرين وإن اعترفوا في القرن الثامن عشر وما يليه بسلطان العقل فانهم لم يتجردوا في اغلب الاحيان عما انطبع أو اشتد في أنفسهم وأذهانهم من أهواء ومعتقدات .

وحسبي أن أذكر حضرتكم أن المفكر الاجتماعي العظيم « مونتسكيو » على الرغم من وجوده في عصر كله تحرر وانطلاق من سلاسل الماضي واغلال العهد الاقطاعي فانه لم يتجرد عن هواه الطبعي الموروث بل طالب بالمحافظة على امتيازات النبلاء وان المؤرخ الاشهر «ميشيله» لم يتجرد عن هواه الحزبي فشوه عامداً متعمداً وجه تاريخ امته تشفيا من الملكية والملكيين . وان أكثر المستشرقين والمستعربين لايتجردون عن شعوبيتهم ضد العرب والاسلام فيشوهون الحقائق ويحرفونها عن مواضعها تحريفاً لبقاحيناً وحيناً وقاطعاً منهم في هدم ايماننا بماضينا وأملا بان يتبع ذلك انهدام ثقتنا بمستقبلنا فنبقى بلا أمل ولاطموح وتبقى للغرب الغلبة علينا أبد الدهر .

رفع المسيهما

اما أبو العلاء خير من يمثل الفكر والثقافة العربيين وان جارى العاطفة حين لها أو الفى نفسه امام المعضلات الفلسفية الكبرى التي لم يطق حلها والتي لايستطيع العقل الانساني استكناه اسرارها فانه لم يتهيب مبدئيا حرمة الماضي ولا قداسة تراث الاباء فاعمل فيها العقل غير هياب ولا متحفظ كما اعمله في كل شيء لاقتناعه ان العقل سبيل المعرفة العلمية الاوحد .

كذب الظن لاامام سوى العقـــــل مشيراً في صبحه والمساء

وواضح ان هذا البيت المشهور الرائع في لفظه ومعناه ليس من شوارد الخيال أو فلتات اللسان عند المعري ولكنه في رأيه اعلان حقوق العقل وان شئتم تعبيراً احدث فقولوا انه ميثاق المعرة بل بيان حكيمها الفكري اذاعه على المفكرين من الف عام وكان من اول من تقيد به في كل موضوع تناوله بالبحث لم يفرق بين ان يكون الموضوع دينياً أو غير ديني اسلامياً أو غير اسلامي عربياً أو غير عربي .

ولا شك ان بحث هذه الموضوعات وما اليها بالعقل المتجرد عن الميل والهوى ليس بالشيء اليسير حتى عندصفوة العلماء والمفكرين مثل « ميشله » و « مونتسكيو » كما اسلفنا بل هو من اصعب الامور واشقها على النفس لما يستلزم ذلك من انكار ماانغرس او اشتد فيها من اهواء ومعتقدات امتزجت بالنفس امتزاجاً تاما واصبحت مع الزمن جزءاً من اجزائها بل كيانها المعنوي حتى اننا لنفكر باهوائنا ومعتقداتنا واوهامنا اكثر مما نفكر بالعقل .

ولولا أن أبا العلاء من احدّ الناس ذكاء واثقبهم فكرا وارجحهم عقلا واشدهم انقطاعا عن اسباب الدنيا لما استطاع بلا ريب انيبحث كل موضوع عالجه بالعقل ولا ان يبلغ تفكيره ذروة التحرر والانعتاق حتى اتت آراؤه رغم مابينها من تناقض احياناً حقائق نقية صافية لايشوبها قصر نظر « ديكارت » ولا هوى « مونتسكيو » ومن نحا نحوهما في البحث والتفكير .

بيد أن تفوق أبي العلاء على اكثر المفكرين الغربيين المحدثين لم ينحصر في الناحية العقلية النظرية البحت بل تعدى ذلك الى الناحية الخلقية العملية أيضاً .

فبينا نرى الاديب والمصلح الفرنسي الاشهر « فولتير » مثلا ينفق القسم الاكبر من اوقاته في تملق الملوك والامراء وذوي الوجاهة والثراء فيحوك معهم أو ضدهم

مختلف الشباك نبيلها وحسيسها لجلب الدنيا حلالا أو حراماً ، وبينا نري الفيلسوف الانكليزي الامام« بيكون »بالرغم من ثروته الطائلة وجاهه العريض ومنصبه السامي في الدولة يأكل اموال الناس بالباطل فيحكم عليه بالزج في غيابة السجن اعواما ، وبينا نرى الفيلسوف الالماني الشهير « لايبنتز » يوغر صدر المليك الغازي لويس الرابع عشر على الشرق ويقدم له مشروعاً خطياً منطوياً على افناء الملايين من الشرقيين لالجرم ارتكبوه بل لمجرد انهم مسلمون أي أن لهم في عبادة الخالق مذهباً غير مذهبه ، وبينا نرى طائفة من المستشرقين يتخذون العلم اداة للفتح والاسترقاق ويعتبرون الامم والشعوب المستضعفة اقنانا لمجتمعاتهم وعبيداً كما كان اباؤهم الاقطاعيون يعتبرون تلك المجتمعات ذاتها اقنانا وعبيداً .

بينا نرى كل هذا واكثر من هذا عند فريق من مصابيح ازمنة النور اذا بمفكرنا العربي المعتد والمنشأ أبي العلاء يرفق بالطير والانسان والنحل والحيوان على حد سواء واذا به يأبى التكسب بالشعر مخافة أن يغتصب بواسطة الحكام والامراء الممدوحين مال الشعب والفقراء . واذا به يعتبر البشر قاطبة سواسية لافرق عنده كما قال بين هاشمي وآل بربر ولا بين الامام علي كرم الله وجهه ومولاه قنبر ، واذا به يتعالى عن الدنيا ويأبى الا ان يعيش على هامش الحياة مكتفياً منها بما لايكاد يقيم اوده .

واذا قيل أن أبا العلاء لم يترفع عن الدنيا الا بسبب العاهة التي اطفأت النور من عينيه وغمرته منذ الطفولة بالظلمة الدائمة فاني اذكر حضرتكم ان تلك العاهة ذاتها لم تمنع الدكتور طه حسين بك ولا الدكتور مهدي البصير ولا بشار بن برد ولا الشيخ سليمان الفاروقي ولا الماثل امامكم عن طلب الدنيا واستمراء مابث لنا الله فيها من نعمة كما ان وجود الضياء في عيني « كانت » و « سبينوزا » لم يمنع هذين الفيلسوفين العظيمين عن التزام حياة العزلة والتقشف حتى ان « سبينوزا » وهو اليهودي النجار لم يقبل اكثر الهدايا والمرتبات التي عرضت عليه من الامراء والاغنياء بل أبى الا أن يعتاش من مهنته اليدوية الشاقة وهي صنع زجاج النظارات .

ولا ريب ان هذه الامثلة وما اليها تثبت بصورة لاتحتمل الجدل ان العمي ليس

في حد ذاته سر الاعراض عن متع الحياة وان سلامة البصر ليست في حد ذاتها سر الاقبال عليها .

اما الوقار الذي يعتبره الاستاذ العقاد سر التقشف عند أبي العلاء وان حال بلا ريب دون التهتك والاستهتار فانه لايحول ابداً دون اللذائذ والمسرات التي يبيحها العرف وتقرها الشرائع والانظمة .

فاعراض أبي العلاء عن متع الحياة ليس اذاً صدى عاهته المشهورة كما يتوهم بعض المفكرين ولا نتيجة وقاره المعروف كما يعتقد الاستاذ العقاد ولكنه منبعث عن اسباب وعوامل وان عزت معرفتها معرفة دقيقة لتعلقها باختلاجاته النفسية الداخلية فان اهمها على مايظهر لي ، مزاجه الخاص ثم ماشهد من عسف يرافق الحياة ويتغلغل في صميم مظاهرها المختلفة .

تغني أيام أبي العلاء كاعب من الكواعب كام كلثوم في زماننا مثلا ساعة أو بضع ساعات فتجبى الف دينار ، إن لم أقل أكثر ، فوق ما تجبى من نشوة الزهو والاعجاب ويشتغل عامل من العمال أو فلاح من الفلاحين الدهر كله فلا ينال لقاء أعماله المرهقة العائدة على المجتمع بالنفع العميم والخير العظيم ما تجبى تلك المغنية في حفلة واحدة . ولنقل مثل ذلك عن تاجر يبرم عقداً من عقود البيع او الشراء فيكسب من المال في دقائق مالا يكسبه الف قطب من أقطاب الفكر والادب أنفقوا أعمارهم في خدمة العلم والانسان .

هذه هي الحياة في عصر أبي العلاء وهكذا كانت في كل عصر من العصور وفي كل مجتمع من المجتمعات وهكذا ستكون مادامت على الارض حياة وما دام فوقها بشر يختلفون مواهب وحظوظاً .

وبين أن حياة كهذه قوامها الظلم وفلسفتها أبداً الاخلال بالتوازن بين مالامرء وما عليه ، بين ما يعطي وما يأخذ ، مايستحق وما ينال ، ليست مما يغري حكيماً كأبي العلاء حرم على نفسه اللحم والعسل مخافة أن يعتدي على ما للنحل والحيوان وامتنع عن الزواج مخافة أن يجني على نفس بشرية بشقاء الوجود .

إن حب الحقيقة دعا أبا العلاء الى إنكار مالم يوافق من المذاهب والآراء والمعتقدات

عقله فلا عجب ان يدعوه مزاجه الحساس النبيل وحبه العدل الى ترك مالم يرض من اللذائذ والمسرات وجدانه .

وعلى كل حال وأيا كان السبب الذي أهاب بحكيم المعرة الى التزام حياة العزلة والتقشف فمما لا يقبل الجدل ان أبا العلاء قطب من أقطاب الفكر والفضل والادب وركن من أركان الثقافة والعدل والرحمة وانه إذا جاز للغربيين ولبعض مواطني اللبنانيين المصابين بهوس الاستغراب أن يفخروا بالاعصر الحديثة ويدعوها بازمنة النور فان من حقنا أن نمجد أبا العلاء وأن ندعو مفكرنا العربي الاعمى بالضياء بل بالشمس طلعت في معرة النعمان فاضاءت الشرق والغرب باشعتها النقية الخالدة خلود الفكر .

عارف العارف

مندوب الحكومة اللبنانية

كلمة الاذاعة الفلسطينية

يطيب لي أن أقف موقفي هذا في حفلكم العظيم الكريم فاشترك بالنيابة عن دار الاذاعة الفلسطينية في القدس . فاتقدم بالشكر والتقدير العظيمين للمجمع العلمي العربي الموقر وللجمهورية السورية الجليلة على ماصنعت أيديها للادب العربي وللفكر العربي وللنهضة العربية جميعاً بما نظمت هذا المهرجان الالفي لذكرى أبي العلاء وكماقد أحسن المعري إلى الادب العربي والفكر طوال هذه القرون العشرة الماضية فقد أحسن الادباء والعلماء الذين عرفوا في أبي العلاء أدبه العميق وفكره الخالد السامي فعرفوه إلى الناس ونوهوا به في الشرق والغرب — أقول كما قد أحسن هؤلاء الادباء والعلماء محدثين وقدماء إلى الادب والفكر معاً بما قد قدموا للناس من شرح للادب العلائي والفلسفة العلائية . فقد أحسن المجمع العلمي العربي في دمشق وأحسنت الجمهورية السورية الجليلة بحفاوتها الائقة هذه بذكرى ذلك الشاعر العظيم والفيلسوف الحكيم فاحييكم أيها السادة الاعلام . وأنقل لكم تحية فلسطين بهذه المناسبة السعيدة العظيمة .

أيها السادة الاجلاء لست أقصد هنا الى البحث في أدب أبي العلاء وفكره وفلسفته ولن يكون هذا القصد موفقاً . وأنا أعلم أن فيكم من تفرغ لابي العلاء وتعرف الى أبي العلاء وعرف بابي العلاء على نحو يدعو الى الاعجاب والتقدير حقاً . وانما أقصد كما قد أشرت الى أن أعرب عن شكر فلسطين للقائمين بهذا المهرجان العظيم وبهذه الحفاوة البالغة لذكرى علم من أعلام الفكر العربي معلناً بذلك انهذا المهرجان سيكون خدمة جديدة لكنها بارزة تضاف الى ماقد أدى الى الفكر العلائي من احسان وخدمات .

على أنني فيما ازجي كلمة الشكر والتقدير هذه لايسعني الا أن افضي أمام هذا المحفل الكريم بان فكر المعري انما قد خلد هذا الخلود لانه أثار مشاكل في هذه الحياة ماتزال قائمة . ومع ان الدراسات التي ظهرت للمعري وتظهر الان ستظهر

بسبب هذا الاحتفاء نفسه كثيرة . فان بسط هذه الفلسفة لم يستنفذ بعد . وان لاولي الاقلام وحملة الفكر في بلادنا لمجالا وأي مجال في هذا المضمار الفسيح .

وليس هذا المهرجان الذي تجمع عليه البلاد العربية هو وحده شاهداً على أن أدب المعري خالد ولكن هذه الدراسات المتوالية في غضون القرون العشرة المنصرمة شاهد آخر . وليس هذا غريباً فالرجل الذي قال عن وجوده .

هذا جناه أبي علي وما جنيت على أحد .

والرجل الذي قال عن الحكام الجائرين .

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها وعدوا مصالحها وهم اجراؤها

والرجل الذي قال :

يرتجي الناس أن يقوم امام ناطق في الكتيبة الخرساء
كذب الظن لاامام سوى العقل مشيراً في صبحه والمساء

الرجل الذي قال هذا وغيره انما اثار مشاكل لاتزال ماثلة وهذا هو لعمر الحق سر الخلود .

غير أن الانصاف يقضي بالقول أن فلسفة أبي العلاء اثارت مشاكل ولم تشر الى حلها ولعل حل هذه المشاكل أن يكون من واجب المدنية الحاضرة في ديمقراطيتها الصحيحة . بل لعله يكون من حقنا أن نأمل ذلك ليتم لرجال الفكر في العالم العربي الحديث مابدأ به أبو العلاء .

وقد ينسى الناس أبا العلاء عند مايجدون سبيلهم الى حل هذه المشاكل فينعمون بالمدنية زاهرة زاهية بريئة من اسباب الكدر والشقاء . ينسونه اذا هم فقدوا يومئذ حس الوفاء وعرفان الجميل وهيهات لهم أن يفعلوا وهيهات اذن أن لايظل أبو العلاء خالداً

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عزمي النشاشيبي
مندوب الاذاعة الفلسطينية

رفع المسيهما

لزوم ما لا يلزم في الأدب العربي (١)

مدخل البحث

كنت منذ حين أتوقع قيام المجمع العلمي العربي بقضاء حق واجب عليه لأبي العلاء المعرّي فالمعرّي من حيث منهجه في البحث العلمي اللغوي في أكثر كتبه المعروفة ما هو إلا مجمع من أعظم المجامع العلمية وأكثرها عائدة على الأدب واللغة ولست مغالياً إذا قلت أن المعرّي سبق زمانه بألف سنة في القيام بأعظم ما تقوم به المجامع العلمية الحديثة من المهام وقد تخلى عن جميع متع الحياة لينجز بمفرده عملاً عجز عنه جمع غفير من العلماء فهو والحالة هذه أحق أئمة العلم واللغة والشعر بهذا المهرجان وقد فطن مجمعنا العلمي العربي إلى ذلك فنهض بواجبه وأدى الحق لصاحبه وهي لعمري مأثرة من مآثره وحسنة كبرى تضاف إلى حسناته الأخرى .

كنت من جملة من دعي إلى المساهمة في هذا المهرجان وقد تلقيت دعوة الرئيس بكثير من الابتهاج وذلك لولعي بأدب المعري منظومه ومنثوره بيد أني تحيرت بأي ناحية من نواحي المعري أبدأ وهي والحق يقال كثيرة يحار فيها الكاتب والأديب أأكتب فصلاً في سيرة المعري وأخباره أم في عصره وأحواله فأردد ما كتبه المؤرخون أم أملي كلمة في حكمة المعرّي وآرائه في الحياة وهو موضوع كثر خوض أعلام الفكر والأدب فيه أم أنشيء مقالة في أدب المعرّي وهو بحث مطروق ثم نظرت فاذا أمامي نسخة محصلة مختارة من اللزوميات طالما تأملتها واستوحيتها في شرخ الشباب وقد ألهمتني هذه النسخة الآن أن أكتب في هذا الموضوع ألا وهو لزوم ما لا يلزم في تاريخ آداب اللغة العربية .

---

(١) الكلمات التي بعث بها أصحابها لتنشر في الكتاب بعد أن تعذر حضورهم إلى دمشق في أسبوع المهرجان .

رفع المسيهما

لزوم مالا يلزم في تاريخ آداب اللغة العربية

في لزوميات المعري نواح جمة تثير فينا حب الدرس والنظر فمن ذلك ناحيتها الفلسفية وهي أوفر نواحي اللزوميات حظاً من عناية الادباء فقد اردوا فيها الرسائل والفصول غير انه قل من أفرد بحثاً في تاريخ تطور هذا الفن المسمى « لزوم مالا يلزم » وكيف نشأ في الأدب العربي سواء أكان ذلك قبل عصر المعري ام بعده لذلك رأيت من المفيد الالمام بهذه الناحية الادبية اللغوية من نواحي اللزوميات ومن الواضح انه لاعلاقة البتة لهذا البحث بالفلسفة العلائية .

لزوم مالا يلزم في شعر العرب

قال أبو العلاء المعري (١) :

كثيّر انا في حرفي اهبت له ... في التاء يلزم حرفا ليس يلتزم

أبى شاعرنا الحكيم الا ان يكون مؤرخا في بيته هذا يؤرخ الفن الذي احبه ونذر له نفسه ألا وهو التزام مالا يلزم .

يقول أبو العلاء انه حذا حذو كثيّر عزة الذي التزم اللام في تائيته التي يقول في مستهلها :

خليليّ هذا ربع عزة فاعقلا ... قلوصيكما ثم احللا حيث حلت

وهذه القصيدة — وهي مما يستجاد من شعر العرب — تعد حسب رواية القالي (٢) خمسة وثلاثين بيتا بناها من اولها الى آخرها على التزام حرف معين قبل الرويّ وهو امر لم يسبق اليه شاعر من شعراء العرب وله قصيدة أخرى اولها :

أدارا لسلمى بالنباع فخمت ... سألت فلما استعجمت ثم صمت

فالزم الميم كما فعل باللام فهل كان كثير اول شاعر استخدم هذا النوع من انواع البديع فقلده الشعراء وهل اراد المعري ذلك ؟ الجواب كلا . ومن رأيي أن المعري في اقتدائه بكثير عزة لم يفعل ذلك لان كثيراً اول من استخدم هذا الفن كما توهم فريق من علماء البيان بل لأن لزوم مالا يلزم لم يرد الا نادراً في شعر العرب

(١) اللزوميات ٢ : ٢٣٠ ط الجمالية سنة ١٣٣٣

(٢) امالي القالي ٢ : ١٠٩

قبل عصر كثّير كما انه ورد عفوا في نبذ ومقطوعات قصيرة اما كثّير فقد نظم اشهر واطول قصيدة لزومية تناقلها الرواة وبذلك يتداعى زعم من زعم غير هذا من علماء البديع . وفي مقدمة اللزوميات للمعري نفسه مايفند مزاعم القوم ففي المقدمة المذكورة (١) شواهد تدل على أن هذا النوع من أنواع البديع ورد في شعر الأعشى وطرفة والنابغة وعمرو بن معد يكرب وغيرهم من القدماء ولا حاجة إلى القول بأنه شيء غير مقصود وقد ورد عفواً في شعر القوم أو في كلامهم المطبوع أما صاحبنا كثيّر فقد تصنع وقصد التفنن في تائيته فحذا حذوه الشعراء وحسب كثير أن يعترف المعرّي له بهذه الفضيلة .

وللمعرّي فصل لطيف في تاريخ علم القوافي ومصطلحاتها أو ألقابها كما يقول وهل هي — أعني مصطلحات القافية — من وضع العلماء في عصر التدوين أم تلقيت عن العرب فان سكان العمد وإن كانوا لا يعقلون هذه المصطلحات إلا أنه وجد فيهم من يعرف مواقع الحروف ويقرأ ويكتب وقد ورد في هذا الفصل من مقدمة لزوم ما لا يلزم ذكر الخليل وسعيد بن مسعدة (٢) والفرّاء وخلف بن حيان من علمائهم بالشعر والنحو واللغة وقد استنبط المعرّي من الباب الذي عقده أبو عبيدة القاسم بن سلام للبحث في القوافي (في كتابه الغريب المصنف) ومن إسناده لها عن الشيوخ ان صاحب الغريب يرى أنها أي المصطلحات مأخوذة عن العرب كما تؤخذ عنهم اللغة وهذا الفصل الذي كتبه المعري من أقدم ما وصل الينا في هذا الموضوع (٣) .

هذا وقد أكثر شعراء العرب قبل كثير عزة وبعده من التزام ما لا يلزم قبل تاء التأنيث هذه فتارة يلزمون اللام كما رأيت في قصيدة كثير وهو الأكثر وطوراً يلزمون الميم وقد يلتزمون غيرهما من الحروف وأكثر ما اتفق لهم في ذلك من الشعر يعدّ من الرائق المستجاد ومن هؤلاء الأعشى وعمرو بن

(١) مقدمة اللزوميات للمعري ١٩ و ٢٠ ط الجمالية سنة ١٣٢٣

(٢) هو ابو الحسن المعروف بالاخفش الاوسط انظر نزهة الالباء ١٨٦ ومعجم الادباء ٤ : ١٤٢ و ١٤٤

(٣) مقدمة اللزوميات ١١ و ١٢ ط الجمالية سنة ١٣٢٣

معديكرب ومن بعدهم يعقوب بن سليمان بن طلحة بن عبدالله ومن أحسن شواهد هذا الباب وأشهرها الأبيات التي أولها (١) :

سأشكر عمراً ان تراخت منيتي أيادي لم تمنن وإن هي جلت

وأول أبيات الأعشى :

فدى لبني ذهل بن شيبان ناقتي وراكبها يوم اللقاء وقلت

وأول أبيات يعقوب بن سليمان (٢) :

وقد كنت لي حسباً من الناس كلهم ترى بك نفسي مقنعاً لو تملت

ومن القوافي التي التزم فيها العرب ما لا يلزمهم كاف الاضمار في مثل « جمالك وشمالك » وقد التزموا اللام فيها قبل الضمير وقد علل المعري التزام العرب بذلك في خصوص هاتين القافيتين أعني التائية والكافية بأن تاء التأنيث هذه وكاف الاضمار ضعيفتان وكلتاهما من حروف الهمس (٣) فكأن اللام الملتزمة في هذه القصائد هي القافية وكأن كلاً من التاء والكاف صلة لها لا أكثر .

هذا ويمكن أن يلتزم الشاعر حرفين أو أكثر إلى أربعة أحرف أو خمسة (٤) وممن بلغ الغاية في ذلك أبو العلاء المعرّي نفسه فقد بنى قافية على « دارهم مزدارهم صدارهم » ملتزماً فيها أربعة أحرف وبنى أخرى على « ضرائرهم حرائرهم سرائرهم » ملتزماً فيها خمسة أحرف وثالثة على « يعذبون يكذبون يجذبون » ملتزماً فيها أربعة أيضاً إلى غير ذلك .

لزوم ما لا يلزم في أدب المولّدين

لزوم ما لا يلزم معدود على الأكثر من صناعة المحدثين أو المولدين كبقية أنواع البديع فالمحدثون استخدموا هذا الفن فأكثروا من استخدامه عن علم

(١) رويت الأبيات المذكورة في كتب الأدب لجماعة منهم عبد الله بن الزبير على وزن [قتيل] ومحمد بن سعيد البغدادي وابراهيم بن العباس الصولي وغير هؤلاء . ومن نسبها إلى الصولي ابن خلكان في الوفيات ٣ : ٢٣١

(٢) ذيل أمالي القالي ٢٩

(٣) مقدمة اللزوميات ١٨ ط الجمالية سنة ١٣٢٣ ويقول المعري ان حروف المعجم متساوية في القوة الا ما ذكر من التاء والكاف المصدر نفسه ٢٧

(٤) المصدر نفسه ٢٨

وخبرة وبذلك تميزوا عن القدماء ومن أوضاع المحدثين على الأغلب هذه الألفاظ أو الألقاب التي أطلقوها على فنون البديع ولذلك لا يكاد يخلو شعر شاعر من خولهم من لزوم ما لا يلزم نجده في شعر أبي نواس على قلة وهو أكثر في شعر أبي تمام ولا يخلو شعر البحتري منه قال المعرّي (١) وقد بنى أبو عبادة قصيدة على الطويل الأول وجعل قوافيها على « اروى وجدوى » فلزم الواو إلى آخر القصيدة فقد لزم فيها ما لا يلزم أن جعل روي القصيدة الألف أما ابن الرومي فهو على ما يقول علماء الأدب والبيان من أكثر المحدثين ولعاً بلزوم ما لا يلزم قال المرزباني « ابن الرومي أشعر أهل زمانه بعد البحتري وأكثرهم شعراً وأوسعهم افتناناً في سائر أجناس الشعر وضروبه وقوافيه يركب من ذلك ما هو صعب متناوله على غيره ويلزم نفسه ما لا يلزم ويخلط كلامه بألفاظ منطقية يجمل لها المعاني ثم يفصلها بأحسن وصف وأعذب لفظ(٢) » وقال الزبدي كان ابن الرومي من أكثر الناس ولعاً بلزوم ما لا يلزم في شعره(٣) إلا أن المعري أغفل ذكره في من ذكر في هذا الباب مع أنه أولى المولدين بذلك وهو خاصة أولى من البحتري لأنه أكثر استخداماً منه لهذه الصناعة ولا ندري على وجه التأكيد علة ذلك الاغفال ونرجح أن للمعري رأياً خاصاً في صاحبه ونحن نعلم أن الاثنين مختلفان في المذهب والمزاج متباينان في الطباع ومن رأي المعري على الأرجح ان ابن الرومي مدخول العقل كما يظهر من وصفه له في رسالة الغفران (٤) ويؤخذ على ابن الرومي شيء من الغموض والتعقيد وله أسلوب في البيان يفتقر إلى الصقل والعناية وإلى ذلك يومي المعرّي في قوله (٥) :

لو نطق الدهر هجا اهله كانه الرومي أو دعبل

(١) مقدمة اللزوميات ٢٨ وأول قصيدة البحتري المذكورة :

لنا أبداً بث نعانيه في أروى وحزوى وكم أدنتك من لوعة حزوى

(٢) معجم الشعراء ٢٨٩

(٣) يحيى بن حمزة الزيدي في الطراز ٢ : ٤٠٢

(٤) رسالة الغفران ١٦١ ط مصرية قديمة

(٥) اللزوميات ٢ : ١٦٣

وهو لعمري شاعر مغزر بالفعل لكن لفظه مجبل

اقسام اللزوم

لم يعرف القدماء الا نوعاً واحداً من لزوم مالا يلزم وهو مابنيت عليه لزوميات المعري بيد أن المتأخرين حاولوا اضافة اقسام اخرىً الى هذا الباب من ابواب البديع ومن هذا القبيل قسمٌ سموه « المجنب » وهو أن يجمع في القافية بين كلمتين احداهما كالجنيبة التابعة للأخرى مثل قول أبي الفتح البستي :

أبا العباس لاتحسب باني لفقري من حلى الاشعار عاري
فلي طبع كسلسال معين زلال من ذرى الاحجار جاري
وما اكبت لي الايام زندا فلي زند على الادوار واري

وهذا هو رأي كل من ضياء الدين بن الاثير(١)وعبد الحميد بن أبي الحديد (٢) والاكثرون على انه نوع من انواع الجناس وسموه « المزدوج » أو « المردد » (٣) هذا ومما عده المتأخرون من اقسام اللزوم « تصغير القافية » مثل قول الشاعر :

عز على ليلي بذى سدير سوء مبيتي ليلة القمير

قال ابن الاثير اذا صغرت الكلمة الاخيرة في الشعر فان ذلك ملحق بلزوم مالا يلزم (٤) » وقد نظم المتأخرون ونثروا بالفاظ كلها معجمة أو كلها مهملة أو جميعها متصلة أو بالعكس وبالغ كثير منهم في العبث بهذه الصناعة اللفظية وعدّ قوم هذا من قبيل لزوم مالا يلزم قال العباسي (٥) ومما يلحق بهذا النوع يعني لزوم مالا يلزم مايختبر به الادباء افكارهم ويشحذون به قرائحهم من التزام حروف جميعها مهملة أو جميعها معجمة أو لاتنطبق معها الشفتان الى غير ذلك من التفننات ويغلب على الظن أن للزوميات المعري دخلا في اتساع القوم بهذا النوع من التصنع

(١) المثل السائر ١٠٣

(٢) شرح النهج ٢ : ٣٨٦

(٣) يحيى بن حمزة الزيدي في الطراز ٢ : ٣٧٦ وراجع أيضاً المثل السائر ١٠٣ وشرح النهج ٢ : ٣٨٦ وجنان الجناس للصفدي٢٧ قال : ومنهم من يسمي هذا النوع « المكرر » و «المردد» وللصفدي في هذا الكتاب بعض الزوميات .

(٤) المثل السائر ١٠٨

(٥) معاهد التنصيص ٢ : ١٠٦

بعد العجز عن محاكاة المعري في فنه زاعمين أن ذلك من قبيل لزوم مالا يلزم وليس منه في شيء ومهما كان فهو توسع لااثر فيه للابداع ولا طائل تحته وانما هو عبث الأدباء في عصر استولى فيه الجمود واستحوذ الخمول على الافكار .

القاب اللزوم

ويبدو لنا من تصفح الكتب التي الفها علماء البيان أن لهذا النوع من انواع البديع عدة القاب ظهرت في مختلف العصور ومن اقدمها « الاعنات » من العنت وهو الكلفة والمشقة وهو على ماظن اول لقب اطلق على هذا الفن وبه عرف في كتب البلاغة والبيان التي الفها القدماء مثل ابن المعتز (١) وغيره وقد استعمل هذا اللقب مدة بعد عصر ابن المعتز الى أن تغلبت عليه وعلى بقية اسمائه كالتشديد والتضييق الكلمة الشائعة اليوم وهي « لزوم مالا يلزم » وذلك في عصر المعري أو في عصر قريب منه وخاصة بعد أن ظهر ديوان اللزوميات .

لزوميات المعري

كثرة الالتزامات في شعر المعري

عرفنا مما مرّ ان لزوم مالا يلزم ورد في شعر العرب ولكنه نادر على كل حال اما في شعر المولدين والمحدثين فانه اكثرُ من شعر العرب ولكنه قليل لايكاد يذكر بالقياس الى شعر المعري في اللزوميات فالمعري هو أول من التزم مالا يلزم في مجموعة كبيرة من شعر تكون في العدة كدواوين كثيرة والشائع المتداول ان المعري فرض على نفسه التزام قيد واحد في اللزوميات والواقع غير ذلك ففي هذه اللزوميات قيود أو كلف ثلاث اولها استيعاب حروف المعجم عن آخرها في الروي وثانيها استعمال الحركات الثلاث في القافية ومن بعدها الوقف أي الاسكان وثالثها التزام حرف معين أو عدة أحرف قبل الروي وهو لزوم مالا يلزم بمعناه المصطلح فهذه ثلاث التزامات صناعية على رأي المعري (٢) واكثر من ثلاثة بعد اضافة الوقف اليها على رأي آخر (٣) وهكذا انفرد أبو العلاء بهذه الخصائص الفنية وامتاز

(١) انظر كتاب البديع لابن المعتز ٧٤ (٢) مقدمة اللزوميات ٢٠ و ٢١

(٣) ياقوت في معجم الأدباء ١ : ١٨٣ وهذه عبارة ياقوت : بنى « لزوم ما لا يلزم » على حروف المعجم يذكر كل حرف سوى الألف بوجوهه الأربعة وهي الضمة والفتحة والكسرة والوقف .

على الشعراء قديمهم وحديثهم بهذا المذهب الجديد والاسلوب المخترع فقد جرت عادة هؤلاء الشعراء ان ينظموا الشعر كيفما اتفق وعلى اي روي يهديهم اليه الخاطر لايترسمون غاية معينة كما فعل صاحب اللزوميات والواقع انك اذا تصفحت كثيراً من دواوين القدماء لاتكاد تعثر فيها على ابيات التزموا فيها مالا يلزم الا نادراً ولا يوجد فيهم قط من استوعب حروف المعجم في القوافي أو نظم في قافية مستوعرة أو حوشية وهؤلاء المحدثون أو المولدون وخولهم مكثرون وقد يكون ديوان احدهم في العدة كدواوين كثير من القدماء فلما استوعبوا في قوافيهم حروف المعجم عن آخرها واذا اتفق لبعضهم ذلك في الحروف فانه في حلٍ من الحركات وفي حلٍّ من الوقف والاسكان فهذا البحتري لم يعثر في ديوانه على رويّ بني على الخاء والتاء والغين وهذا المتنبي استعمل الهمزة مضمومة مرة ومكسورة أخرى ولكنه لم يستعملها مفتوحة ولا ساكنة إلى غير ذلك فاللزوميات والحالة هذه عمل مركب شاق لا بد للاحاطة بجزئياته ثم انجازها من قوة ذهنية ممتازة ومواهب فطرية خارقة للعادة لذلك قيل « ان المعري » أحد أذكياء العالم ونادرة من نوادر بني آدم .

تفاسير اللزوميات ومختاراتها

من الخطأ أن يظن أن اللزوميات هي الكتاب الوحيد في موضوعه للمعرّي فقد اضطر صاحب اللزوميات إلى تأليف كتب ضخمة تتعلق بديوانه المذكور اما شرحاً لما فيه من الغريب مثل كتاب « راحة اللزوم » في مائة كراسة وقد ذكره القفطي وياقوت الحموي والحاج خليفة (١) واما دفاعاً عن آرائه فيه مثل « زجر النابح » وذلك أن بعض الجهال تكلم على بعض أبيات منه يريد التشرر والأذية فالزم أبا العلاء أصدقاؤه فأنشأه وهو كاره في (٤٠) كراسة وكتاب « بحر الزجر » يتعلق بزجر النابح وله كتاب سماه « الراحلة في تفسير لزوم ما لا يلزم » (٢) وقد ضاعت هذه الكتب فيما ضاع من كتب المعري ولم يصل إلى أيدينا منها شيء . وللبطليوسي شارح سقط الزند شرح على بعض اللزوميات

(١) كشف الظنون ١ : ٥٣١

(٢) ياقوت في معجم الأدباء ١ : ١٨٣ و ١٨٤ و ١٨٧ وكشف الظنون ١ : ٥٣١

نقل لنا عنه بعض الأدباء (١) وتوجد من هذا الشرح أوراق قديمة في الخزانة التيمورية بالقاهرة وهو شرح ممزوج لشعر المعرّي في السقط واللزوميات . وفي الخزانة المذكورة رسالة تتضمن مباحث جرت بين القاضي أبي بكر بن العربي والبطليوسي بشأن الشرح المذكور وفيها أيضاً نسخة مخطوطة من مختصر اسمه « مختار لزوم ما لا يلزم » لم يعرف صاحبهـــا (٢) وقد اختار بعض أدباء القاهرة منذ أربعين سنة مجموعة من اللزوميات سموها « الالزم من لزوم مالايلزم» ولها مقدمة لطيفة وفيها يقول حافظ ابراهيم :

لله درّ انتخـاب بحسن ذوقك يشهد
كان كتاب المعرّي فصار معجز أحمد

وفيهـا لآخر (٣) :

أجدت انتخاباً يا نسيم وجدته ألذّ من الماء الزلال على الظما
لقد كان سفراً لم نجد لاقتنائه لزوماً فأضحى بانتخابك ألزما

وألف شميم الحلي كتاباً سماه « الاشارات المعرّية » (٤) ولابن القامغاز (٥) الحلي كتاب المطاول يرد فيه على المعري في مواضع سها فيها .

نقد اللزوميات

نقصد بهذا العنوان نقد اللزوميات من ناحيتها الادبية فمن علماء الادب من يزعم ان الكلفة ظاهرة في لزوميات المعري وان جيدها المطبوع لايزيد على رديهـا المصنوع واقدم ماوصل الينا من هذا القبيل رأي ضياء الدين بن الاثير فقد زعم ان شعر أبي العلاء في اللزوم متكلف وقال عن شعر لابي تمام في اللزوم « هذا احسن مايجيء في هذا الباب وليس بمتكلف كشعر أبي العلاء » وقال ايضاً « ماينبغي لمؤلف الكلام ان يستعمل هذا النوع حتى يجيء به متكلفا وقد سلك ذلك أبو العلاء المعري « ومن اقواله » وقد جمع أبو العلاء احمد بن عبد الله بن سليمان كتاباً سمـاه

(١) الخفاجي في شفاء الغليل ١٩١ والبلوي في الف باء ٢ : ٥٢
(٢) أبو العلاء المعرى لأحمد تيمور ٦٨ و ٧٣
(٣) الألزم من لزوم ما لا يلزم ط الجمهور سنة ١٣٢٣
(٤) معجم الأدباء ٥ : ١٣٨
(٥) بغية الوعاة ٧٩

« لزوم مالا يلزم » فأتى فيه بالجيد الذي يحمد والردي الذي يذم [١] ومن شعر أبي العلاء المتكلف على رأي ابن الأثير لزوميته التي اولها :

تنازعُ في الدنيا سواك ومالهُ ولا لك شيءٌ في الحقيقة فيها

وقد تبع ابن الأثير في هذا الرأي جماعة منهم عبد الحميد بن أبي الحديد فقال : « وقد صنع أبو العلاء المعري كتاباً في اللزوم من نظمه فأتى فيه بالجيد والردي واكثره متكلف [٢] » وللمتأخرين عن هؤلاء كلام في نقد اللزوميات أضربنا عنه صفحا لانه لايزيد على كونه ترديدا لكلام ابن أبي الحديد وابن الأثير مثل قول ابن معصوم [٣] « ألف الشيخ أبو العلاء المعري كتابا سماه لزوم مالا يلزم ولكن جمع فيه الغث والسمين » الى غير ذلك من الاقوال .

فهذه كما ترى اقوال عامة لم تُدعم بدليل ومنشأها اما الجهل باغراض أبي العلاء أو الحسد والمكابرة . واللزوميات على ماارى لم تخل من تشدق أو تكلف وكيف يخلو من ذلك سفر في ضخامة هذا الديوان ومن هذا القبيل قول المعري فيها :

غلت واغلت ثم غالت وأوحشت وحشت وحاشت واستمالت وملت

وقوله :

مابال رأسك لاتبش بلونه عين وبات بكل ذي نظر يبش
يمسي كبعض الروم ابيض باردا ولقد يكون كانه بعض الحبش

فهذا والذي قبله شيءٌ ثقيل بارد ولهذه الابيات نظائر في اللزوميات ولكنها قليلة مغتفرة بالقياس الى كثيرها من الشعر المطبوع .

وخلاصة القول كان صاحب اللزوميات مطبوعا على هذا الفن وقد يتكلف ويتعسف ولكن تكلفه ليس بكثير خلافاً لما ادعاه هؤلاء الادباء .

لزوم مالا يلزم بعد عصر المعري

دخل هذا الفن منذ عصر المعري في طور جديد من حيث طبيعته ومميزاته ففي هذا العصر انشئت اللزوميات وصار لزوم مالا يلزم شعاراً لصاحبها وميزة

(١) المثل السائر ١٠٥ و ١٠٨
(٢) شرح نهج البلاغة ١ : ٦٦
(٣) أنوار الربيع ٧٧٩

يمتاز بها ادبه حتى شاع هذا اللقب كانما هو من الاوضاع اللغوية التي ابتكرها المعري وكأنّ مدلولَ هذه العبارة مدلول قائم بنفسه ليس له صلة بالبديع أو بهذه المحسنات اللفظية وذلك لأن المعري استخدم فنون البديع للتعبير عن آرائه وهي آراء خاصة فاجأ بها الناس وتناول فيها نقدَ عاداتهم واخلاقهم ونظم الحكم والسياسة وشؤون الاجتماع والعمران عندهم أي ان المعري استخدم هذه الصناعة اللفظية تحدوه فكرة عامة أو غاية فلسفية بعيدة وبهذا فارق سواه ممن استخدموا انواع البديع ولا غاية لهم الا مجرد العبث بالالفاظ الفارغة فللزوميات فضل ظاهر لافي موضوع الادب واللغة فحسب بل في باب العلم والمعرفة .

فضل اللزوميات على اللغة

تركت اللزوميات اثراً لايستهان به في عصر المعري والعصر التي تليه وذلك من نواح شتى فمن الناس من تأثر بها من حيث لغتها واساليبها البيانية فبعثت من هذه الناحية نهضة لغوية كبرى شاع على اثرها التزام مالا يلزم في شعر الشعراء وفي انشاء المترسلين وخصوصاً في القرنين الخامس والسادس وهلم جرا وحاول كثير من الادباء محاكاة المعري في جزالة الفاظه أومشايعته في طريقته أو معارضته في اسلوبه الا انهم قصروا عن شأوه غالباً فالمعري امام مجدد مجتهد في ادبه والقوم مقلدون على الاكثر وقصارى احدهم ان يلتزم مالا يلزم في ابيات او في قصيدة أو عدة مقطعات واين هذا من سفر كامل مفرغ الحلقات كاللزوميات ولدينا شواهد كثيرة على شيوع الادب اللزومي في العصور المذكورة فهذه المقامات اللزومية لمنشئها الوزير السرقطي الآتي ذكره وكذلك الرسائل اللزومية لكل من ابن اسيد الغرناطي (١) وعبد الرحمن المكناسي (٢) وممن شغف بمباراة المعري نثراً ونظماً شميم الحلي (٣) روى عنه ياقوت وحدثنا عن اطواره الغريبة وله ترجمة مفصلة في معجم الادباء وهو من منشئي الرسائل اللزومية وله ايضاً كتاب الاشارات المعرية وكتاب اللزوم في مجلدين .

هذا في النثر واما في الشعر فقد سلك مسلك المعري في لزومياته كثيرون من

(١) السيوطي في البغية ٢٩٨

(٢) المصدر نفسه ٣٠٣

(٣) ياقوت في معجم الأدباء ٥ : ١٣٨

اشهرهم العلامة الماكسيني الآتي ذكره ومن الشعراء الذين اشتهروا بمحاكاة المعري في شعره أو في لزومياته ابن فورجة البروجردي وابو النجيب عبد الرحمن بن عبد الجبار المراغي احد افراد زمانه علماً وادباً وكان يلتزم مالا يلزم في شعره وهو المقصود بقول الأبيوردي الشاعر المشهور (١) :

شعر المراغي وحوشيتم كعقله اسلمه اسقمه
يلزم ما ليس له لازماً لكنه يترك ما يلزمه

وفي هذا المعنى لابن معصوم (٢) :

وشاعر قريضه من كل حسن معدم
لم يلتزم شيئاً سوى لزوم ما لا يلزم

فهذا ونحوه يدلنا على أن فريقاً ممن راق له مذهب المعري في لزوم مالا يلزم قصر عن شأوه في اللزوميات وذلك لأن صاحبها كان مطبوعاً على هذا الفن بخلاف غيره .

فضل اللزوميات على العلم

ويوجد فريق آخر تأثر باللزوميات من حيث الفكرة التي دارت عليها أي من حيث معاني اللزوميات لا من حيث مبانيها فقد ثار الجدل وكثر الخلاف بسبب اللزوميات وآراء المعرّي فيها وتضاربت أقوال المصنفين من العلماء والأدباء ما بين منتصف له أو قائل باكفاره حتى أن بعض الأدباء من أنصار المعري يضع اللزوميات في الرتبة بعد الكتب الإلهية المنزلة وهو القائل (٣) .

إن كنت متخذاً لجرحك مرهما فكتاب رب العالمين المرهم
أو كنتَ مصطحباً حكيماً سالكاً سبل الهدى فلزوم ما لا يلزم

فقد بعثت اللزوميات كما ترى حركة فكرية عامة تغلغلت في أنحاء العالم القديم شرقا وغرباً وظهر جماعة من البلغاء والمترسلين نهجوا بأدبهم نهج المعري في تذكير الناسي وتنبيه الغافل وتعليم الجاهل وحاموا حول مقاصده

(١) ابن خلكان في ترجمة الأبيوردي من وفيات الأعيان ونقلها ابن معصوم في أنوار الربيع ولا وجود لهذين البيتين في النسخة المطبوعة في بيروت من ديوان الأبيوردى .
(٢) أنوار الربيع ٨٦٠
(٣) نقلاً عن ظهر نسخة قديمة من لزوم ما لا يلزم .

في التوحيد والالهيات وأصول الدين والأخلاق لكن لم يبلغ أحدهم شأوه في ذلك لأن سيرة المعري وسلوكه كانا من مواعظه البليغة فالمعرّي وعظ الناس بأعماله قبل أقواله والمرجح أن الزمخشري والاصفهاني في مقاماتهما ونوابغ كلمهما قد تأثرا بأسلوب المعرّي في ملتقى السبيل أو في الفصول والغايات .

والخلاصة للمعرّي في اللزوميات أسلوب أخاذ يشبه أساليب أساتذة التربية أحياناً فهو يترفق في صقل العقول لحملة المنقول كما يجتهد في تلقين لغة الأعراب وأصول الآداب لأصحاب التأمل والنظرات الفلسفية .

الرابطة المعرية

ونعني بهذه الرابطة تألب فئة من أئمة الأدب وفيهم جماعة من المكافيف أو العميان واتفاق آرائهم على تقديم المعرّي والتعصب لأدبه واقتفاء آثاره في منظومه ومنثوره وقد نشأت هذه الرابطة بعد عصر المعري ولاحظنا وجودها ونحن نتصفح كتب التاريخ والطبقات ولأدب المعري على الأرجح أبلغ الأثر في وعي أتباعه من العميان فقد نبه فيهم شعور الاعتداد بأنفسهم والثقة بكفاءتهم والاعتزاز بزعامته وإمامته في الأدب فراحوا يكثرون من رواية شعره ويبثون الدعوة له ومنهم من سلك مسلكه في التزام ما لا يلزم وذلك للرابطة التي تربط بين المعري وبين هؤلاء المكافيف ودونك أشهر من عرفناه من هؤلاء :

١ — العلامة الماكسيني (١) : اسمه مكي بن ريان الماكسيني الموصلي إمام في النحو واللغة والأدب بالغ تلاميذه — وهم كثيرون — في الثناء عليه ومن أقوالهم « جامع فنون الأدب وحجة كلام العرب » وهذه الكلمة لتلميذه ابن المستوفي وأطلق عليه صاحب التبيان (٢) في شرح الديوان لقب « الشيخ الامام »

(١) أول من ترجم للماكسيني تلميذه أبو البركات ابن المستوفي في تاريخ اربل وعنه نقل المتأخرون مثل ابن خلكان ٢ : ٥٨٣ والصفدي في نكت الهميان ٢٩٦ والسيوطي في البغية ٣٣٥ وابن العماد في الشذرات ٥ : ١١ وماكسين التي نسب اليها بليدة من أعمال الجزيرة على نهر الخابور يقول ابن خلكان وهي على صغرها تشابه المدن الكبيرة في حسن بنائها ومنازلها .

(٢) انظر مقدمة التبيان في شرح الديوان [ط] القاهرة سنة ١٢٨٧ ومنها يظهر أن المؤلف قرأ المتنبي على الماكسيني سنة ٥٥٩ في مدينة الموصل .

وهو في رأي الجزري(١) « إمام عالم بالقراءات والنحو » ومما لاحظناه ان الماكسيني المجمع على تدينه وورعه كان أبداً يتعصب للمعري ويطرب اذا قريء عليه شعره فسلك مسلكه في النظم وذلك للجامع بينهما من العمى والادب على مايقول ابن المستوفي وهكذا نجد للمعري انصاراً من بين حفظة القرآن وائمة القراءات . توفي الماكسيني سنة ٦٠٣ ومن شعره .

سئمت من الحياة فلم أُردها تسالمني وتشجيني بريقي
عدويّ لايقصر عن أذايا ويفعل مثل ذلك بي صديقي
وقد أضحت لي الحدباء داراً وأهلُ مودتي بلوى العقيق

٢ — الداودي الضرير : داود بن احمد ابو سليمان الداودي الضرير — اديب بغدادي مولع بشعر أبي العلاء يحفظ منه جملة صالحة ولذلك كان الناس يرمونه بسوء العقيدة توفي الداودي سنة ٦١٥ ومن شعره أمثلة في معجم الادباء (٢) .

٣ — السنهوري المادح : اسمه احمد بن مسعود السنهوري الضرير ويعرف بالمادح عاصر الصفدي اجتمع به واخذ عنه سنة ٧٥٨ وفيه يقول « كان حفظه الله له قدرة على النظم ينظم القصيدة وفي كل بيت حروف المعجم وفي كل بيت ظاء وفي كل بيت ضاد وهكذا من هذا اللزوم » ونجد امثلة مشهورة في نكت الهميان(٣) .

٤ — الصرصري الشاعر البغدادي الضرير : لغوي أديب من البلغاء يدخل شعره في ثمان مجلدات مدائحه النبوية سارت بها الركبان له قصائد التزم فيها ما لا يلزم وهكذا الحروف الصعبة واخرى في كل بيت حروف المعجم . قتل الصرصري في وقعة بغداد سنة ٦٥٦ وتجد في نكت الهميان (٤) امثلة بليغة من شعره تجعله بحق من فحول الشعراء .

ومما يدخل في هذا الباب

الامير اسامه بن منقذ : من رواة شعر المعري في اللزوم وقد روى فيما روي

(١) طبقات القراء للجزري ٢ : ٣٠٩
(٢) معجم الأدباء ٤ : ١٩١
(٣) نكت الهميان ١١٥ و ١١٦
(٤) المصدر نفسه ٣٠٨ و ٣٠٩

رفع المسهم

له لزوميَّة في الشيب بعبارة تدل على تقديم المعري واكباره (١) ولا توجد هذه اللزومية في النسخ المتداولة من اللزوميات وهي :

واهاً لرأسك زال ادهمه عنه واشهبه وارقطه
وأعادهُ مثلَ اللجين مدىً قد كان قبل به ينقطه
ياليت شعري حين يرتحلُ ال جونُ المودَّع اين مسقطه

ابن فورجة : محمد بن حمد بن فورجة ـ زنة سكرجة ـ البروجردي نحوي لغوي من المبرزين في النظم والنثر لقي المعري في بغداد على الاكثر وقرأ عليه واكثر من الرواية عنه وبينهما مشاعرة ومكاتبة وقد ورد ذكره في سقط الزند بمناسبة قصيدة بعث بها الى المعري اولها :

الا قامت تجاذبني عناني وتسألني بعرصتها المقيلا

فاجابه المعري بقصيدة مشهورة اولها :

كفى بشحوب اوجهنا دليلا على ازماعنا عنك الرحيلا

ومنها :

كلفنا بالعراق ونحن شرخ فلم نلمم به الا كهولا
وردنا ماء دجلة خير ماء وزرنا سيد الشجر النخيلا
وشارفنا فراق أبي عليّ فكان أعزّ داهية نزولا
ولو لم الق غيرك في اغترابي لكان لقاؤك الحظ الجزيلا

وللمعري اثر كبير في طريقته واسلوبه في الشعر ولذلك قال الباخرزي (٢) «شعره فرخ شعر الاعمى اعني شاعر معرة النعمان وان كان هذا الفاضل منزها من معرة العميان» وفي دمية الباخرزي وتتمة اليتيمة للثعالبي امثلة من شعره (٣) ولابن فورجة حديث ممتع في النقد الادبي جرى بينه وبين المعري بشأن المتنبي وفي هذا الحديث اشارة إلى مقاييس الفصاحة عند القوم وقد حكاه صاحب التبيان في شرح

(١) لباب الآداب [ط] الرحمانية ٣٧٥ وعبارة الامير أسامة (والشيخ أبي العلاء بن سليمان التقدم في هذا المعنى بقوله) وانظر ٢٠١ و ٣٧٠ و ٤٦٢ من الكتاب المذكور
(٢) دمية القصر ٩١ من الطبعة الحلبية
(٣) تتمة اليتيمة [ط] طهران ١ : ٢٢١ و ٢٢٥ وممن ترجم لابن فورجة ابن شاكر في فوات الوفيات ٢ : ٢٦٧ و ٢٦٨ والسيوطي في البغية ٣٩ والمجد الشيرازي في البلغة ٥

الديوان (١) وابن فورجة كما مر كثير التحدث والرواية عن أبي العلاء في الادب واللغة وفي اسمه وميلاده اقاويل مختلفة اصحها ما قدمناه .

لزوم ما لا يلزم في الادب الاندلسي

يروع المتأمل في تاريخ الاندلس نهضة منقطعة النظير في اللغة وآدابها وفي علوم النقل والرواية وكثرة غريبة في عدد اللغويين والنحاة لم يعهد مثلها قط إلا في العراق في بعض عصوره والاندلس تلي العراق في كثرة من تخرّج فيها من أئمة النحو واللغة واهل الرأي والمذهب فيها ولا مجال في هذه العجالة لتفصيل ذلك هذا من ناحية ويدهش المتأمل من ناحية أخرى فتور ظاهر في الاندلسيين من حيث عنايتهم بالحكمة والمعارف العقلية في بعض العصور وقد عانى كثير من اعلام الفكر وأهل النظر ما عانوه من العنت والضيق على ايدي أمراء السوء يعاونهم على ذلك أحيانا فريق من المتفقهة الجامدين وتاريخ اولئك الاعلام والنظار في الاندلس حتى أعيان الادباء مليء بالمحن والنكبات في كثير من الاحيان وقد اسرع الانحلال الى دول الاسلام في الاندلس والمغرب ومن جملة العوامل في ذلك — على ما أظن — هذا الافراط والتفريط افراط القوم في جانب المنقول وتفريطهم في ناحية المعقول وذلك خلافاً للامم المنيعة المجاورة للاندلسيين وهي امم كان جل اعتمادها في حياتها على المعقولات وعلى الحقائق التي تعززها التجربة ويشهد بها الامتحان .

وقد دخل أدب المعري من شعر ونثر الى الاندلس على ايدي جماعة من تلامذته المغاربة أو الاندلسيين الذين رحلوا الى الشرق ولازموا أبا العلاء وقرأوا عليه اوعلى من قرأ عليه من تلامذته كالخطيب التبريزي شارح الحماسة فشغف الاندلسيون بأدب ابي العلاء واعجبتهم طريقته واساليبه وكثر فيهم مقلدوه واتباعه في فنونه الادبية كما يظهر لنا من تصفح كتب التاريخ والطبقات ولا نبالغ اذا قلنا ان مؤلفات المعري في الشعر واللغة خاصة بعثت من جهة نهضة أدبية لغوية كما اوجدت من جهة ثانية حركة فكرية عامة في الاندلس . فمن الاندلسيين فريق تصدى لمساجلة المعري ومعارضته وبينهم الاعيان والوزراء في كتب لم تزل باقية

(١) التبيان ٢ : ٤٧٥

رفع المسيهما

إلى هذه الغاية في خزائن المغرب والاندلس (١) ومن الاندلسيين فريق آخر تأثر بالمعري من حيث بلاغته وجزالة لغته في شعره خصوصاً سقط الزند والدرعيات وغيرها وقد عنى هؤلاء برواية شعره في السقط أو شرح ما فيه من الغريب فكان السقط من جملة محفوظات البلوي صاحب كتاب « ألف باء » ومن شراح السقط ولعله اشهر شراحه ابن السيد البطليوسي صاحب الاقتضاب الآتي ذكره ومن أدباء الاندلس من حاكى أبا العلاء في التزام ما لا يلزم ومن هؤلاء أصحاب المقامات والرسائل اللزومية في النثر . وأصحاب الدواوين في النظم وقد ضاع اكثرها فلم يصل إلى أيدينا منه شيء فلا نرى جدوى في التعريف باصحابها وانما نكتفي بذكر من وصلت الينا آثارهم ممن حذوا حذو المعري في لزوم ما لا يلزم نثراً ونظماً من الاندلسيين مبتدئين بالقسم الاول اي بالكتاب والمترسلين .

لزوم ما لا يلزم في نثر الاندلسيين

اشتهر بالتزام ما لا يلزم في النثر فريق من كتاب الاندلس وهاك اسماء أربعة من مشاهيرهم في استخدام الفن المذكور .

١ ـ السرقسطي صاحب اللزوميات : اسمه محمد بن يوسف بن ابراهيم السرقسطي شاعر ناثر اديب رحالة في طلب العلم جاب الاندلس وزار أشهر مدنها ومنها غرناطة قرطبة مرسية بلنسية مالقة شاطبة للاخذ عن أعلامها وممن أجاز له القاضي ابو علي الصدفي وهو أكبر مشايخه (٢) ترجم للسرقسطي ابن الابار (٣)

(١) من هذه الكتب الباقية الى الآن كتاب [جهد النصيح] في مساجلة المعري في خطبة الفصيح تأليف الحافظ سليمان بن موسى الكلاعي كتاب [المسعى الجليل والمرعى الوبيل] في معارضة ملقى السبيل للحافظ محمد بن الأبار البلنسي ولابن الخصال وزير يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين كتاب في هذا الموضوع . احكام صيغة الكلام من تأليف الوزير الأندلسي القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي ويذكر فيه بعض مؤلفات غير معروفة لأبي العلاء ومن هذه الكتب نسخ خطية محفوظة في الخزائن التونسية والأندلسية .

(٢) المعجم في اصحاب أبي علي الصدفي لابن الابار [ط] مدريد سنة ١٨٨٥ ص ١٦٠ و ١٦١ وراجع عن الصدفي طبقات القراء للجزري ١ : ٢٥٠ وطبقات الحفاظ للذهبي ٤ : ٤٨ ونفح الطيب ١ : ٣٦٤ و ٣٦٥

(٣) المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي لابن الابار

وابن بشكوال (١) والسيوطي (٢) وشهدوا بفضله وغزارة علمه وله شعر ورسائل ومن مؤلفاته « المسلسل » وموضوع هذا الكتاب لغوي ولكنه غريب لم يسبق اليه من حيث الوضع والترتيب فقد التزم السرقسطي فيه أن يفسر كل لفظة باخري لها معنيان قريب وبعيد أو معنى حقيقي وآخر مجازي ثم ينتقل إلى ذلك المعنى البعيد ويفسره وهلم جرًّا مثلا يفسر الذهب بالنضير ثم يقول النضير الناعم والناعم الخافض والخافض الواضع وهكذا على التسلسل فكأنه كتاب من كتب المجازات اللغوية أو من كتب البلاغة وما شاكل ذلك وهو مفيد في بابه . على أن أشهر ما وصل إلينا من اثاره مقاماته اللزومية .

المقامات اللزومية

هي خمسون مقامة انشأها السرقسطي بقرطبة لما وقف على مقامات الحريري التي أنشأها بالبصرة ولا شك أنه وقف على لزوميات المعري فجمع بين مباراة الاثنين وفي هذه المقامات يتحدث « المنذر بن حمام عن السائب بن تمام » اشتهرت هذه المقامات ورويت عن منشئها ولذلك يقول ابن الزبير « له المقامات اللزومية المشهورة » (٣) ويقول ابن بشكوال « له مقامات أخذت عنه واستحسنت » (٤) وممن رواها عنه الامام النحوي اللغوي المشهور بابن الباذش ورواها عن ابن الباذش ابن الابار ومن رواتها محمد بن خير الاشبلي صاحب الفهرست المشهور الآتي ذكره جاء فيه « المقامات اللزومية خمسون لابن الطاهر محمد بن يوسف التميمي السرقسطي من انشائه روايتي كذلك عنه » (٥) وقد ذكرها في كشف الظنون (٦) ومما قاله « المقامات اللزومية مشهورة جاءت على غاية من الجودة » وعدد هذه المقامات اللزومية خمسون كما مر توجد منها نسختان في مكتبة جامع لاله لي بالاستانة وقد

(١) الصلة لابن بشكوال [ط] مدريد ٢ : ٥٢٩ و ٥٣٠

(٢) بغية الوعاة ١٢٠

(٣) نقله السيوطي عنه في البغية ١٢٠

(٤) الصلة لابن بشكوال ٢ : ٢٢٩ و ٢٣٠

(٥) فهرس ابن خير [ط] اسبانية ٣٤٣

(٦) الكشف ٢ : ١٦٩٥ [ط] الاستانة

وصف النسخ المخطوطة من المقامات المذكورة أديب دمشقي (١) ونشر نموذجاً منها وهو المقامة الاولى واسمها « القفرية » ومن جملة هذه المقامات مقامة اسمها « الخداعية » وأخرى اختصت بالنظم والنثر وهي المقامة الخمسون وفي هذه المقامات دليل على بلاغة منشئها وغزارة مادته في الادب واللغة ولكن انى له بلوغ شأو المعري أو الحريري في المنظوم والمنثور .

٢ ـ ابن خير الاشبلي ابو بكر محمد بن خير الاشبلي حافظ ثقة في النحو واللغة والادب له ترجمة مفصلة في طبقات الحفاظ (٢) ومثلها في طبقات القراء (٣) وثالثة في بغية الوعاة (٤) وهو يمثل لنا ولع الاندلسيين بالمعري وعنايتهم بكتبه في ذلك العصر وذلك ما حملنا على ذكره في هذا المكان توفي ابن خير سنة ٥٧٥ بقرطبة ولم يصل إلى أيدينا من آثاره الا الفهرست المسمى « فهرست ابن خير » وهذا الفهرست عبارة عن سفر جمع فيه اسانيد ما رواه من الكتب وبعضها اسانيد عالية فهو مثلا يروى « الكامل » بسند عال يرفعه إلى المبرد وقد استطرد فيه إلى فوائد ادبية وتاريخية . ومن مرويات ابن خير على ما جاء في الفهرست المذكور (٥) جميع كتب المعري ورسائله وسائر شعره في « اللزوم » وكل ما له من منثور ومنظوم قال روايتي ذلك عن أبي بكر بن العربي (٦) عن أبي زكريا التبريزي عن المعري .

٣ ـ مترسلون لزوميون : وهذه اسماء فريق من المترسلين اللزوميين ورد ذكرهم في كتب الطبقات مثل عبد الرحمن بن اسيد الغرناطي قالوا هو كاتب بارع قدر من اللزوم على ماعجز غيره حتى صار طبعا له (٧) وعبد الرحمن السلمي الاندلسي يعرف بالمكناسي كاتب حلو الاغراض ينشيء الرسائل اللزومية

(١) السيد محمد علي ظبيان في مجلة المقتبس ٢ : ٦٦٦ ـ ٦٦٨ وفي مجلة الزهراء ٢ : ٤٠٢ ـ ٤٠٤

(٢) طبقات الحفاظ للذهبي ٤ : ١٥٤ و ١٥٥

(٣) طبقات القراء للجزري ٢ : ١٢٩

(٤) البغية ٤١

(٥) فهرس ابن خير الاشبلي [ط] اسبانية ٤١٢ و ٤٥٠

(٦) انظر عن الحافظ أبي بكر العربي مطمح الأنفس للفتح بن خاقان ٢١ و ٧٣ وطبقات الحفاظ للذهبي ٤ : ٨٦ ـ ٨٩ وأزهار الرياض ٣ : ٦٢ ـ ٦٥ و ٨٦ و ٩٥ ونفح الطيب ١ : ٣٣٥ ـ ٣٤٣

(٧) البغية ٢٩٨ عن تاريخ غرناطة

وبلغ في اللزوم مبلغاً اعجز غيره وله رسائل جليلة . توفي بمراكش سنة ٥٩١(١) ومنهم ابن غلندة ذكر ابن الابار انه من اصحاب اللزوميات الى غير هؤلاء .

لزوم مالا يلزم في شعر الاندلسيين

مذهب الجماعة . مذهب اندلسي في الادب

قال الشهاب المقري (٢) في ترجمة ابن جزي الغرناطي مانصه « ذهب في شعره مذهب الجماعة كابي العلاء المعري والرئيس ابن المظفر وابي طاهر السلفي وابي الحجاج بن الشيخ وأبي الربيع بن سالم وابي علي بن أبي الاحوص وغيرهم » هذا ما قاله الشهاب المقري ومنه نعلم أن طريقة المعري ومن حذا حذوه في نظمه كانت طريقة مأثورة شائعة بدرسونها في الأندلس والمغرب وان « مذهب الجماعة » هذا مذهب اندلسي في الادب ويقصدون به نظم الاشعار في المواعظ والالهيات والتوحيد والاخلاق وما الى ذلك كما نجده في اشعار السلفي (٣) وابن جزي (٤) وابن ابي الاحوص (٥) وابن الشيخ وغيرهم ممن لم يذكرهم الشهاب المقري في كتابه وهي اشعار التزموا فيها ما لا يلزم في كثير من الاحيان وهاك اشهر شعراء الاندلس الذين نظموا شعرهم على الطريقة المذكورة وفي مقدمتهم ابن السيد البطليوسي والسرقسطي وغير هؤلاء :

١ — ابن السيد البطليوسي : عبد الله بن محمد بن السيد نزيل بلنسية شاعر ناثر بليغ مؤلف موفق في التأليف من اعلام الاندلس في اللغة والادب وهو

(١) البغية ٣٠٣ نقلاً عن ابن الزبير

(٢ أزهار الرياض ٣ : ١٨٤

(٣) انظر عن الحافظ السلفي وفيات الأعيان ١ : ٥٣ ـ ٥٥ وطبقات الحفاظ للذهبي ٤ : ٩٠ ـ ٩٦ وأزهار الرياض ٣ : ١٦٧ ـ ١٧١ ومواضع أخر من الكتاب المذكور

(٤) محمد بن جزي أديب فقيه مؤلف جماعة للكتب له خزانة ملوكية استشهد سنة ٧٧١ تجد ترجمته وأمثلة من شعره في أزهار الرياض ٣ : ١٨٤ ـ ١٨٦

(٥) ابو علي بن ابي الأحوص القرشي الغرناطي اسمه الحسين بن عبد العزيز له ترجمة مفصلة في بغية الوعاة ٣٣٤ وهو من حيث المزاج والميل الى العزلة والتسخط على الحياة والتزام ما لا يلزم في شعره كثير الشبه بأبي العلاء المعري .

صاحب الاقتضاب (١) والانصاف (٢) افرد الفتح بن خاقان رسالة خاصة في ترجمته ضمنها جزءا من شعره (٣) وله ايضا ترجمة في قلائد العقبان(٤) ووفيات الاعيان(٥) وبغية الوعاة (٦) .

عني البطليوسي بشعر ابي العلاء المعري وشرح مافيه من الغريب وله شرح مشترك على سقط الزند واللزوميات يقال انه احسن الشروح بيد انه نادر الوجود توجد منه اوراق قديمة في الخزانة التيمورية بالقاهرة(٧) وقد عثر اخيرا في تونس على نسخة قديمة منه في مجلدين فهو اقدم شرح يعثر عليه من شروح سقط الزند واللزوميات . وله شعر وترسل كثير وهو متفنن في شعره ونثره نظم قطعة تنفك عنها ست قطع وأخرى تنفك عنها تسع(٨) وللمعري تأثير ظاهر في طريقته واساليبه قال ابن خاقان وقد اكثر من القول في الزهد . توفي البطليوسي سنة ٥٢١ ومن شعره وقد التزم ما لا يلزم :

امرت الهي بالمكارم كلها ... ولم ترضها الا وانت لها اهل
فقلت اصفحوا عمن اناب اليكم ... وعوذوا بحلم منكم ان بدا جهل
فهل لجهول خاف صعب ذنوبه ... لديك امان منك او جانب سهل

ومن تفننه قوله في اولاد صاحب قرطبة وهم عزون ورحمون وحسون :

اخفيت سقمي حتى كاد يخفيني ... وهمت في حب عزون فعزوني
ثم ارحموني برحمون فان ظمئت ... نفسي الى ريق حسون فحسوني

٢ - السرقسطي الشاعر : هو صاحبنا منشيء المقامات اللزومية المار ذكره في الفصل السابق شاعر مكثر يلتزم في شعره على الاكثر مالا يلزم ومن شعره امثلة عثرنا عليها في كتب الادب جلها على مانظن مقتبس من مقاماته اللزومية .

للسرقسطي في معاهد التنصيص(٩) اربعة ابيات لزومية مهد لها صاحب المعاهد بقوله ، ولابي طاهر محمد بن يوسف التميمي السرقسطي وهو مصنف المقامات اللزومية وهي خمسون مقامة بناها على لزوم مالا يلزم واول الابيات :

(١) طبع في المطبعة الأدبية ببيروت سنة ١٩٠١
(٢) طبع مصر سنة ١٣١٩
(٣) نقل المقري صاحب نفح الطيب وأزهار الرياض هذه الرسالة برمتها في كتابه الأخير ٣ : ١٠٣ و ١٤٩ (٤) ص ١٩٣
(٥) ٣ : ٤٧٤ (٦) ص ٢٨٨
(٧) ابو العلاء المعري لأحمد تيمور ٦٨ (٨) ازهار الرياض ٣ : ١٣٤
(٩) معاهد التنصيص ٢ : ١٠٦

ياهائما بالدلال والخفر الصقت خد العزيز بالعفر

ومن شعره في المقامات اللزومية وهو مما رواه ابن الأبار (١) والأبيات خمسة أولها :

هيهات من ذنب المسيء تأسف وله على هول الذنوب تعسف

وله قصيدة من هذا الباب أولها :

دعا بك الدهر لو تجيب يا حبذا السامع المجيب

منها : المجد فوز الفتى بحظ فما تميم وما تجيب

٣ ــ ابن الشيخ البلوي (٢) : اسمه يوسف بن محمد أبو الحجاج القضاعي البلوي يعرف بابن الشيخ عالم لغوي من محفوظاته سقط الزند عنى باللزوميات في شعره . أهم ما وصل من مصنفاته (الف باء) (٣) في الأدب واللغة وهو كتاب غريب الوضع والترتيب التزم في ترتيبه ما لا يلزم وفيه نقل عن شرح للبطليوسي على لزوم ما لا يلزم للمعرّي والبلوي المذكور مولع بالنظم على هذه الطريقة كأستاذ الفقيه أبي محمد الخطيب (٤) . توفي ابن الشيخ البلوي سنة ٦٥٣ ومن لزومياته في شيخ فقير خطب جارية غنية :

أتخطب من قدها غصن بان ومن كالسجنجل منها اللبان

تضاف إلى الشمس من حسنها وتنسب في العز للمرزبان

وأنت عديم أخو عيلة مشيبك في عارضيك استبان

وليكن هذا آخر البحث في تاريخ لزوم ما لا يلزم وهو فيما نظن قليل من كثير وربما فاتنا منه ما يعادل هذه الصفحات وقد حالت حوائل قاهرة دون استيعاب البحث مضافاً إلى كلال الذهن وتشعث البال والله المستعان على إتمامه في المستقبل إنه ولي التوفيق .

(بغداد) محمد رضا الشبيبي

رئيس مجلس النواب

(١) المعجم في اصحاب القاضي الصدفي لابن الابار ١٦١

(٢) انظر بغية الوعاة ٣٥٣

(٣) طبع هذا الكتاب في مصر سنة ١٢٧٧ بمجلدين

(٤) الف باء ٢ : ٣٦١ و ٣٦٢ وانظر ايضاً ١٥٦ و ٢٧٦ و ٣٦٦

ابو العلاء المعرى وعلم النحو

كتب لأبي العلاء صنوف من المجد العلمي .

كان شاعراً مكثراً مفيضاً خلف ديوانين من اوسع الدواوين فى العربية — ومع ذلك وجد من العلماء من يقول — أبو العلاء حكيم وليس بشاعر — وكان فيلسوفاً حكيماً حدد لنفسه رأياً في الحياة وأملى عليه رأيه خطة من العيش التزمها وصبر عليها ووفى بها — ومع ذلك جحدت عليه فلسفته وقيل مضطرب في الرأي متقلب في الحكم وقيل برم بالحياة تملي عليه السوداء — ودع عنك من رماه بالالحاد والزيغ وسوء الايمان .

وكان عالماً لغوياً فكان هذا أبين مجد له واشرقه . ومذ كان ابو العلاء بهر الناس علمه باللغة وتصرفه فيها واحاطته بعلومها ولم يتعلق عليه في هذا متعلق.

ولكن البحث الجديد يبدو كانه يعكس الطريق على السابقين في تقدير علم أبي العلاء وتقويم مواهبه ودرس آثاره .

فاما فلسفته فقد وجدت من استنبطها واحاط بها وصورها وحدة متماثلة متكاملة تستحق أن تجد منزلتها في تاريخ الفلسفة وتاريخ الفكر وتاريخ الحياة أيضا .

ومذ بدأ الدكتور طه حسين — وهو ناشيء — يكشف عن فلسفة المعري ويؤلف بين اشتاتها ويظهر الناس على جملتها ، وفلسفة أبي العلاء حقيقة ماثلة لدى الناس لا يجحدونها وان اختلفوا في تقويمها .

وأما شعر أبي العلاء فللادباء اليوم رأي حسن في تقديره وأنه الشعر علا عن اللغو وسما بما فيه من رأي وبحث في أمور الحياة .

وانه الشعر العربي الذي يقدم للناس نثراً فيقبلون عليه راضين يمتعون بمعانيه قلوبهم وعقولهم .

وإن الغربيين اذا ترجموا من الشعر العربي لم يجدوا لديهم أقوم من شعر المعري .

رفع المسهم

فقد كشفت فلسفة المعري وقوم شعره — أما علومه اللغوية وهي المع آيات مجده فماذا دُرس منها ؟ لقد زحزحت عن مكانها وكانت الأولى . وكأنما نشر ابو العلاء فيلسوفاً وشاعراً وقد كان يحيا عالماً لغويا .

وانا أحاول هنا أن أدرس طرفاً يسيراً من أطراف علوم أبي العلاء اللغوية — وهو العلم الذي سماه المتقدمون (بالعربية) وشمله كتاب سيبويه ونسميه الآن علم النحو والصرف أو « علم النحو » ونكتفي .

وأريد أن أكتفي من البحث ببيان موقف أبي العلاء من هذا العلم ومن سبل بحثه في فقه العربية .

أرضي أبو العلاء هذا الاسلوب من البحث أم كرهه؟ فان كان قد رضي فهل أحدث فيه بحثاً أو زاده فصلاً ؟ وان كان كرهه فهل بدل منه شيئاً أو حاول ان يبدله ؟ .

تعلم أبي العلاء النحو بالشام

بكر أبو العلاء إلى درس النحو صبياً — كما كان الناشئون يبكرون — وتلقى أول دروسه على والده الشيخ عبد الله بن سليمان ولم يكن نحوياً مذكوراً ولا عرف له رأي في النحو وإنما تعلم منه ما كان ينبغي أن يتعلم فقيه يتهيأ للقضاء .

وكان الشيخ عبد الله فقيهاً قاضيا عربي النجر يفتخر بنسبه من تنوخ .

وكان أشياخ العرب يقبلون على نحو الكوفة ويعرضون عن نحو البصرة نحو الموالي وكان الفقهاء يحبون نحو الكوفة ايضاً لأن الكوفيين أكثر رواية وحمعا للآثار وحفظاً للحديث ولأن البصريين اقلوا الرواية وتورطوا في الفلسفة والجدل واطرحوا الحديث ان يحتجوا به ولحنوا المحدثين .

لذلك أخذ الشيخ يعلم ولده كتاب النحو الذي تعلمه من قبل وهو « مختصر محمد بن سعدان الضرير الكوفي النحوي » المتوفي سنة ٢٣١ وكان هذا الكتاب مما يتدارسه الناشئون بالشام ويؤثره الفقهاء .

وكان بمدراس الشام موجز آخر يسمى « الجَمَل » الفه عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي وكان الزجاجي من أئمة النحاة وقصد إلى الشام واقام بطبرية وتوفي بها سنة ٣٣٩ هـ وترك له مدرسة وتلاميذ يدرسون كتابه « الجمل » فدرسه أبو العلاء .

وكذلك كان بالشام كتاب في النحو مختصر يسمى « الكافي » ورد اليهم من مصر ألفه الشيخ أحمد بن محمد المرادي المصري المتوفي بمصر سنة ٣٣٨ قالوا « كان شيخاً تقياً ورعا انتفع به خلق كثير » ونقل تلاميذه كتابه الى الشام فكان مما يدرس بها ولقيه أبو العلاء وقرأه ايضاً وقد بقيت هذه المختصرات تدرس بالشام الى أن جلس أبو العلاء بالمعرة استاذا يعلم الناس فعلمها لتلاميذه كما سنراه بعد .

انتقل هذا الفتى المستكثر من العلم الى «حلب» قالوا «دخل أبو العلاء حلب وهو صبي فقرأ بها على محمد بن عبد الله بن سعد النحوي » ولم يقولوا ما قرأ عليه ولكن ابن سعد لم يكن نحوياً ولا ذكر في النحاة وان سمي نحوياً وانما كان راوية لديوان المتنبي .

وكان شعر المتنبي متغنى أهل الشام وهتاف عاطفتهم وذاكر ايامهم فاحبه الشباب واحبه أبو العلاء ثم زاده فيه حبا ان معانيه لاءمت نفسه فأكب عليه جمعاً وحفظاً ثم قصد ابن سعد هذا الذي لقي المتنبي وسمع منه وحفظ عنه وعد راوية له ولكن الفتى كان أجمع لشعر المتنبي وأروى له من راويته .

قالوا « ان ابن سعد كان يروي من ديوان المتنبي قصيدته التي مطلعها » :

« أزائر يا خيال أم عائد »

فقال منها .

. . . . . أو مَوْضِعاً في فنان ناجبة

فرد عليه ابو العلاء — وقد اجتمع معه بحلب وهو صبي — وقال بل هو

او مُوضِعاً في فتان ناجية

فلم يقبل ذلك ابن سعد ومضى الى نسخة عراقية صعدت مع ابي علي بن ادريس من العراق فوجد القول ما قال ابو العلاء ولم تكن القصيدة مما قرأه على المتنبي ولكن مما بعث اليه .

فلم يجد أبو العلاء في حلب استاذا له لا في الرواية ولا في النحو .

وانما كان في حلب آثار مدرسة نحوية عظيمة أساسها أبو عبد الله الحسين بن احمد بن خالويه سنة ٣٧٠ وأبو الفتح عثمان بن جني المتوفي سنة ٣٩٢ ولهذه المدرسة اسلوب في البحث يتميز بعنايتها بالقرآن وجمع روايته وتوجيه ماسمى منها

شاذا وعمل الامامين في هذا الباب هو مرجع الدارسين له وقد تأثر أبو العلاء بأسلوب هذه المدرسة في البحث وان لم يلق احدا من أئمتها وألف كتابا سماه « تظلم السور » يتكلم فيه عن لسان السور وتتظلم كل سورة ممن قرأها بالشواذ ويتعرض لوجه الشاذ .

لم يفلح المعري في أن يلقى استاذا بالشام فانحدر الى بغداد على وعثاء الطريق وعناء الرحلة ومشقة السفر عليه خاصة ولكن لقاء الشيوخ كان من تمام العلم ولربما كان الرجل عالما مليئا ثبتا ثم عيب بانه لالقاء له وبانه صحفي لم يأخذ عن كبار الشيوخ .

بغداد ونحاتها

كانت بغداد تصطخب باصوات العلماء وعلماء النحو خاصة كان فيها قبيل مقدم أبي العلاء الامام ابو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي المتوفي سنة ٣٦٨ كان الى امامته في النحو فقيها قاضيا ورعا وشرح كتاب سيبويه فجاء اوسع شرح واسيره وابقاه الى الآن وهو يبلغ حجم « الكتاب » اضعافا ثلاثة أو أربعة والناس يحرصون عليه ويجاهدون في تحصيله ويتفاخرون باقتنائه .

وكان إلى جانبه ، الامام أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي المتوفي سنة ٣٧٧ وكان يلقب سيبويه الثاني وقالوا « لم يشهد النحو بعد سيبويه اعلم به ولا أدق نظرا في قياسه من أبي علي » .

كان الشيخان يتنازعان رياسة النحو في الدنيا ولكل منهجه فأبو سعيد أكبر رواية وأوفر حظاً من الشعر واللغة والسماع وإن كان نحوه نحو البصرين وجدلهم وقياسهم .

والفارسي أدق نظراً وأصح قياساً وأغوص على أسرار العربية وكان يقول « اخطيء في خمسين مسألة مما تأتي به الرواية أحب إلي من ان أخطيء في مسألة واحدة مما يأتي به القياس » .

وكان إلى جانب هذين الإمامين الشيخ أبو الفتح عثمان بن جني المتوفي سنة ٣٩٢ وهو تلميذ الفارسي وفي طريقته . ثم الرماني علي بن عيسى المتوفي سنة ٣٨٤ وهو ذو طريقة وحده كان اعمق من الفارسي غوصا على القياس وعلته حتى كان الفارسي يقول .

رفع المسهم

« ان كان النحو ما بأيدينا فليس مع الرماني شيء منه وان كان النحو ما عنده فما بأيدينا منه شيء » .

كل هذا يبين عن كثرة المدارس النحوية وتفرع المذاهب ونشاط الجدل اللغوي ولكن ابا العلاء نزل بغداد وقد تخرمت المنية هؤلاء الأئمة . السيرافي سنة ٣٦٨ ، والفارسي سنة ٣٧٧ ، والرماني سنة ٣٨٨ ، وابن جني سنة ٣٩٢ .

فكأنما كتب له الايلقي مدارس النحو الا في أعقابها وكأن الموت كان يسابقه إلى لقاء الشيوخ .

كانت رياسة النحاة قد انتهت الى الشيخ علي بن عيسى الربعي المتوفي سنة ٤٢٠ وكان شيخاً كبيراً وكان اماماً واسع العلم ولكنه كان ضيق الصدر غير محمود العشرة ولم يكن لأبي العلاء بد من ان يقصد اليه ويحكون ان ابا العلاء منذ استأذن على الشيخ اذن له في عبارة تسيء اليه فكر راجعاً ولم يعد ولم يتلق عن الربعي شيئاً.

ونحن نعلم خلق الربعي وانه صرف عنه بعض النابهين من تلاميذه سئل ابن برهان « لِمَ تأخذ النحو عن أصحاب الربعي وتترك الشيخ وقد أدركته . فقال يمنعني جنونه وما تعلمون مني » . (انظر يا قوت . ترجمة ابن برهان) . وكذلك نعلم طريقة الربعي في الجدل النحوي واتباعه سبيل استاذه أبي علي الفارسي .

وكلا الامرين لا يلائم أبا العلاء فلم يكن من سبيل الى أن تطول الصحبة بينهما . وعندي ان أبا العلاء قصد الى الربعي وأخذ عنه قليلا ثم انصرف وابن العديم ينص على أنه تلقى عن الربعي . أما القصة فانها أبدعت في تصوير هذا النفور وسرعته وبت اللقاء كأن لم يكن لقاء .

لم يجد أبو العلاء اذن استاذاً له في بغداد كما لم يجد من قبل استاذا في الشام واضطر ان يطلب النحو من الكتب وان يكون قارئاً لامتلقياً.

وسنحاول ان نعلم ما اتصل به من كتب النحو وكيف اتصل بها ونرى كيف قدرها وقدر أصحابها .

الكتاب وسيبويه

نعلم من بعض رسائل المعري (ص ٢٦ مرجليوث) أن أبا العلاء كتب الى أحد أخواله — أبي طاهر بن سبيكة — يسأله أن يحصل له نسخة من « الكتاب »

ومن شرحه وان خاله لقي عناء في تحصيله وكأنه كتب اليه بما لقي فأرسل اليه المعري رسالة منها « وفهمت ما ذكره الشيخ من أمر النسخة المحصلة وهو — ادام الله عزه — الكريم المتكرم وانا المثقل المتبرم جرى في التفضل على الرسم والحت الحاح الوشم فاما الشرح فان سمح القدر والا فهو هدر . . . .

وكنت قلت في بعض كتبي الى سيدي ان كانت الخطوط مختلفة والابواب مؤتلفة فلا بأس يغني عن السرق ثوب من خلق ماعدا خط علي بن عيسى فانه رجل اتكل على مافي صدره فتهاون في سطره .

وهو — ادام اللهُ تأييده — من الملامة في احصن لامة فلا يبعثه تعذر الحاجة على اللجاجة اهو الكتاب المكنون الذي لايمسه الا المطهرون انما هو اباطيل إياه وتعليل في ايام الحياة » اهـ

اما تقديره سيبويه رحمه الله فانه لم يزل يتعرض له بالنقد والتخطئة في مواضع من رسائله منها :

« ان ابن القارح سأل ابا ليلى نابغة جعدة كيف تنشد قولك:

فليس بمعروف لنا ان نردها صحاحا ولا مستنكرا ان تعقرا

أتقول — «ولا مستنكرا» ام «ولا مستنكرٍ» فيقول الجعدي بل «مستنكرا» فيقول الشيخ فان انشدكم منشد « مستنكرٍ » فما تصنع قال « أزجره وازبره نطق بامر لايخبره » فيقول الشيخ انا لله وانا اليه راجعون ما أرى سيبويه الا وهو في هذا البيت لان أبا ليلى ادرك جاهلية واسلاما وغذي بالفصاحة غلاما .

وامامنا سيبويه يذكر هذا البيت في كتابه (ج ١ ص ٣٣)

ويجيز فيه «مستنكر» بالجر ويتكلم في توجيهه

ومثل هذا مانراه في سؤاله عدي بن سعد عن بيته :

ارواح مودع ام بكور انت فانظر لاي امر تصير

وأن سيبويه يزعم ان «أنت» يجوز ان ترفع بفعل مضمر يفسره قولك فانظر فيقول عدي بن زيد دعني من هذه الاباطيل .

وقد ينبغي ان نتلبث عند هذين النقدين قليلا ففيهما أصلان يرجع اليهما اكثر ما

نقده ابو العلاء من نحو البصرة الاول أن نحاة البصرة بقياسهم قد قولوا العرب مالا يقولون وأجروا على ألسنتهم غير ما يرضون .

والثاني انهم تكلفوا في توجيه الكلام وتخريجه بما اوقعه في الاباطيل .

واذ كان هذا يبين عن رأي أبي العلاء في سيبويه وفي الكتاب فلنحاول أن نتعرف الى رأيه في أبي سعيد والشرح .

السيرافي وشرحه

طلب أبو العلاء شرح السيرافي من خاله أبي طاهر مع الكتاب كما قرأنا في الرسالة السابقة وقال في تقديره « أما الشرح فان سمح القدر والا فهو هدر » .

وطلبه ايضا من صديق له آخر هو أبو عمر الاسترابادي وكأنه لقي في تحصيل الشرح عناء ايضا كما يفهم من رسالة أبي العلاء (ص ٣٨ مرجليوث) .

« كان أيسر من عنائه في ذلك قذف الشرح في سيح . . .

انما هو افانين كلام اصبح وهو مجموع المقيس فيه والمسموع لايخلد من رواه قد عاش الناس بسواه . . . ولا أقول لمن غاب ريش سهمه اللغاب ولا اقول لكتاب ابي سعيد — « اولئك يناد َون من مكان بعيد » بل انا من التثقيل حذر ، مشفق من ذلك معتذر ، وانما سالت أن يستسمد برائه لقلة نظرائه وهو عندي أجل والكتاب أيسر وأقل من أن يكلف خطوات ولو كن كديب القطوات » .

وأبو العلاء لايزهد في الشرح زهده في الكتاب ولا يجعله كما جعل الكتاب « اباطيل إياه » وانما اشفق من التثقيل وعاب من الشرح انه « أصبح وهو مجموع المقيس فيه والمسموع » وأبو العلاء يضيق بالقياس صدرا ولا يعدل بالمسموع شيئاً ولكن الشرح مع مافيه من القياس غزير الرواية والشيخ أبو سعيد فياض الاستشهاد وذلك اغرى أبا العلاء بتحصيله .

أما الرأي في أبي سعيد فانك قد تراه في ثنايا مانقص عليك قال ابو سعيد في الجزء الاول من الشرح عند ترجمة سيبويه « باب مايكون في اللفظ من الاعراض » مانصه :

حضرتُ أبا بكر بن دريد وقد أنشد أبياتا تنحل آدم وهي :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مغبر قبيحُ

تغير كل ذي لون وطعم وقل بشاشةُ الوجهِ المليحِ

فقال ابو بكر أول ماقال الشعر أقوى فقلت له انشاد البيتين على وجه لايكون فيه اقواء وانما هو :

. . . . . وقلّ بشاشةَ اوجهُ المليحُ

على تقدير وقل بشاشةً بفتحتين وجعل يستشهد لحذف التنوين في هذا الموضع اذا تلاه ساكن بشواهد عدة من الشعر ومن القرآن الكريم ثم قال وحذف التنوين عند الالتقاء بساكن غير داخل في ضرورة الشعر وقد رأيت بعض من ذكر ضرورة الشعر أدخل فيه حذف التنوين وهو عندي ليس كذلك . اهـ . من تفصيل لعمري وفيّ رويّ .

وابو العلاء يعرض لهذه القصة حين يلتقي ابن القارح بابينا آدم ثم يقول مانصه : قلت انا هذا الوجه الذي ذكره ابو سعيد شر من اقواءٍ عشر مرات في القصيدة الواحدة اهـ. (رسالة الغفران ص ١٠٩ و ١١٠) .

ابو علي الفارسي و كتبه

ونحن مضطرون ان نطيل عليك بنقل من نص رسالة الغفران ص ٥٧ لتعلم تقدير أبي العلاء للفارسي وكتبه .

« قال ابن القارح : وكنت قد رأيت في المحشر شيخاً لنا كان يدرس النحو في الدار العاجلة يعرف بأبي علي الفارسي وقد امترس به قوم يطالبونه ويقولون تأولت علينا وظلمتنا فلما رآني أشار بيده فجئته فاذا عنده طبقة منهم يزيد ابن الحكم الكلابي وهو يقول ويحك أنشدت علي هذا البيت برفع «الماء» يعني قوله :

فليت كفافاً كان شرك كله وخيرك عني ما ارتوى الماءُ مرتوي

ولم أقل إلا « الماءَ » . وكذلك زعمت اني فتحت الميم في قولي :

تبدل خليلا بي كشكلك شكله فاني — خليلاً صالحاً بك — مَقتوي

وإنما قلت «مُقتوي» بضم الميم . وإذا هناك راجز يقول تأولت عليّ أني قلت:

يا إبلي ما ذنبه فتأبيَـــهْ ماء رواء ونصيّ حوْلِيَهْ(١)

(١) يروي هذا البيت أبو سعيد في الشرح :

يا ابلى ما ذامه فتابيَهْ ماء رواء ونصيّ حوْلِيَهْ

شاهداً على تثنية « حول »

فحركت الياء في « تأبيه » ووالله ما فعلت ولا غيري من العرب

وإذا رجل آخر يقول أدعيت علي أن الهاء راجعة على الدرس في قولي :

هذا سراقة للقرآن يدرسه والمرء عند الرشى أن يلقها ذيب

أفمجنون أنا حتى أعتقد ذلك . وإذا جماعة من هذا الجنس كلهم يلومونه على تأويله . فقلت يا قوم ان هذه أمور هينة فلا تفتنوا هذا الشيخ فانه يمت بكتابه في القرآن المعروف « بالحجة » وانه ما سفك لكم دماً ولا احتجن عنكم مالاً فتفرقوا عنه وشغلت بخطابهم والنظر في حويرم فسقط مني الكتاب الذي فيه ذكر التوبة فرجعت اطلبه فما وجدته فأظهرت الوله والجزع » اه .

فهو يخطئه في روايته ويكره منه تأويله ويزعم أنه يقوّل العرب ما لم يقولوا ويحمل كلامهم ما لم يريدوا وانه انما يرضى من عمله (كتاب الحجة) وهو في اعراب القرآن وتوجيه قراءاته .

وكذلك انصرف المعري عن بغداد لم يتلق عن أحد من أئمة النحو بها وقرأ كتبهم فضاق صدراً بما فيها . وكان أشد ما ضاق به التكلف في التأويل والغلو في التعليل والمضي مع القياس مضيا يراه المعري منتهياً الى أن يجيز في العربية ماليس منها

تدريسه النحو بالمعرة

عاد أبو العلاء الى المعرة واستقر بها استاذا فماذا علمهم من النحو ؟

جعل يعلم من شاء منهم كتب النحو الموجزة التي تعلمها من قبل في المعرة وفيما حولها من بلاد الشام وهي .

(١) الجمل — للزجاجي — (٢) الكافي — للنحاس (٣) المختصر — لابن سمدان .

وجعل يؤلف الكتب شرحاً لها أو بياناً لشواهدها . فألف لكتاب الجمل :

(أ) — عون الجمل (ب) — اسعاف الصديق

وألف على « الكافي » كتاباً سماه « قاضي الحق » . وعلى مختصر ابن سمدان كتاباً سماه « المختصر الفتحي » ألفه لأبي الفتح ابن كاتبه .

فان املى كتاباً مبتدئاً به فهو على مثال هذه الكتب من الايجاز — وعلى هذا الف كتاب « الحقير النافع » كتاب مختصر في خمس كراسات . ثم ألف كتاباً

يتصل به سماه « الطل الطاهري » كتبه لأبي طاهر المسلّم بن علي من رجال الدولة وهو قريب في الحجم من الكتاب الأول وقد يخلط الكتابان كتاباً واحداً.

لم يؤلف كتاباً موسعاً ولا تعرض لهذه الكتب النحوية المطولة التي اتصل بها في بغداد إلا أن يكون كتاب سيبويه هم بشرحه فشرح قليلاً منه أو من شواهده ثم انصرف عنه ولم يتممه.

وكان يملي هذه المختصرات ويهديها إلى أصدقائه أو إلى أحد من رجال الدولة قضاء لحق أو جزاء على معروف أو براً بصاحب كما ترى في تسمية كتبه « اسعاف الصديق » و « قاضي الحق » وكما نقرأ في اخباره فني ترجمته في كثير من الكتب التي ترجمته — « قال الشيخ أبو العلاء لزمت مسكني منذ سنة أربعمائة واجتهدت أن أتوفر على تسبيح الله وتمجيده إلا أن اضطر إلى غير ذلك فأمليت أشياء وتولى نسخها الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي هاشم أحسن الله معونته فألزمني بذلك حقوقاً جمة وأيادي بيضا لأنه افنى فيّ زمنه ولم يأخذ عما صنع ثمنه والله يحسن له الجزاء ويكفيه حوادث الزمن والأرزاء » اه.

وقد كتب لولد هذا الشيخ كتابين في النحو « المختصر الفتحي » و « عون الجمل » قالوا وكان هذا الكتاب آخر ما أملاه الشيخ وما شغله من التأليف رحمه الله.

الخلاصة

طفنا مع أبي العلاء حيثما اتصل بالنحو متعلماً أو معلماً قارئاً أو مملياً ورأينا أنه لم يتلق عن أستاذ يحترمه ويقدره ويتأثر بتوجيهه إلا أن يكون أباه فقد وجهه إلى نحو الكوفيين وحببه في الرواية والسماع ثم أورثته المدرسة الشامية الميل إلى إعراب القرآن وإلى توجيه قراءاته.

أما في بغداد فقد نفر من المدارس النحوية البصرية وضاق بما فيها من قياس وتعليل وجدل.

ولما عاد إلى المعرة اكتفى أن يعلم من النحو المختصرات أو يملي الجمل وأخذ يبث في رسائله نقده لمذاهب البصريين ومافيهامن تعليل وتكلف في التأويل.

أما اجتزاء أبي العلاء بالمختصرات والجمل فقد يكون مذهباً تعليمياً نافعاً

وقد يصلح لمن شاء أن ينال من النحو حظاً ثم ينصرف إلى غيره مما قد يحتاج إلى النحو كالفقه والأدب . أما من شاء النحو على أنه فقه اللغة وكشف أسرارها وخصائصها وتعليل قوانينها ومجاريها فان ذلك لا يجـــديه شيئاً ولا يصله بشيء .

وأما نقد أبي العـلاء للنحاة للمبالغة في التعليل والتكلف في التأويل فقد يكون له من ذلك ما ينقده على أنه نقد لم يكن دقيق المسلك ولا خفي المكان وكل ما ابتدعه المعري هو أسلوبه الشعري في هذا الانتقاد .

وأستطيع الآن أن أقرر مطمئناً أن أبا العلاء كان عالماً بالنحو وأن أقرر — كذلك — أنه لم يكن نحوياً ولا أراد أن يكون نحوياً وإنما كان ناقداً لغوياً درس النحو فعابه وضاق به وانصرف عنه واكتفى من قواعده بما يمكنه من العمل الذي وافق هواه وساير طبعه وهو — النقد — ونظرات في مثل (عبث الوليد) أو (ذكرى حبيب) تبين أنه انصرف إلى النقد ولم يعن بمسائل النحو ولا بتخريج النحاة .

من بعد أبي العلاء

لم يذهب مع الريح نقد أبي العلاء للنحاة وأسلوبه الشعري الذي اتبعه في النقد زاد من أثره فشاع وتندر الناس به .

ولو أنه كان نقداً أعنف من هذا وأعمق بحثاً ثم مضى في بطون الكتب النحوية لما بلغ هذا المدى من الذيوع ومن الأثر .

نرى عقب زمن أبي العلاء عَرَضاً ظاهراً في كتب النحو — وكتب الأئمة منهم — يبدؤون كتبهم بالدفاع عن النحو والذود دونه ذوداً عنيفاً يرى أنه درء لهجوم قوي مرّ .

فالامام عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧٤ يبدأ دلائل الاعجاز — وهو كتاب يعده الجرجاني ونعده معه كتابا في النحو — يبدأ هذا الكتاب بجدل قوي لمن زهد في النحو واحتقره واصغر أمره وتهاون فيه — وان صنيع هؤلاء أشبه بالصد عن كتاب الله وتعرف معانيه ثم يُفصل ما عابوه من النحو بما لايبعد مما نعد به ابو العلاء — (وانظر تفصيل ذلك في اول الدلائل) .

والامام ابو القاسم محمد بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ يبدأ كتابه « المفصل » بمثل هذا الدفاع ويجعل الذين يغمصون من العربية ويضعون من مقدارها ويريدون ان يخفضوا ما رفع الله من منارها لايبعدون عن الشعوبية منابذة للحق الابلج وزيغا عن سواء المنهج وذلك لأنهم لايجدون علما من العلوم الاسلامية فقهها وكلامها وتفسيرها واخبارها الا وافتقاره الى العربية لايدفع ويرون الكلام في معظمها مبنيا على علم الاعراب . . . .

والزمخشري رحمه الله يتحكك بابي العلاء في مواضع اخرى ففي تفسيره للمرسلات عند آية « ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر » . جلب ذكر أبي العلاء لأدنى مناسبة — كما يقول النحاة — فذكر بيت المعري :

حمراء ساطعة الذوائب بالضحى ترمي بكل شرارة كطراف

وجعل يعيب المعري ويلمزه لسوء تشبيهه وهو ظاهر التجانف والميل . وتعودنا من الزمخشري رحمه الله ان يعرض لخصوم المعتزلة وليس ابو العلاء منهم ولكن الزمخشري كان رجلاً أديباً قرأ رسائل المعري وفطن لموقفه من النحاة فحمله كرهه على التحرش به .

وهذه الخصومة النحوية قد جنت على ابي العلاء ايضا فان النحاة اهملوا شعره وندر جداً ان تعرضوا له بشرح أو استشهاد أو نقد وقد عنوا بشعر ابي تمام والمتنبي لما فيهما من تصرف في اللغة وفي الاساليب النحوية وقد كان في شعر ابي العلاء من ذلك مايغريهم بدرسه ولكنهم اعرضوا عنه .

وأظهر من هذا اعراضهم عن كتبه في النحو فلم يدرسوها ولا نقلوا عنها حتى لم يبق منها كتاب ولا أثر من نقل . وتلك خصومة جنت على المتخاصمين ولم يجن العلم منها شيئاً .

ولقد أرى أن ابا العلاء فكر في النحو بالطبيعة التي فكر بها في كل امور الحياة يحس العيب — فيما يراه عيبا — فيعبر عنه وينعى به وربما التزم ان يتجنبه ويعصم نفسه منه ولكن رأيه في اليأس والقنوط يمنعه ان يثور الى شيء من الاصلاح .

واذا ما نهض النحو — واظنه ينهض — فانه سيشهد ان النحاه المتقدمين والبصريه منهم خاصة قد ابلوا في كشف اسرار اللغة ووصلوا من فقهها الى قيم كثير وان آثارهم قد طمت تحت ركام من الاعراض والفتور وان ابا العلاء كان شيئاً مما فتر الناس عنها ...

* * *

وكتب بالاسكندرية في رمضان من سنة ١٣٦٣ وقدم الى المهرجان الألفى المقام لأبي العلاء في سورية وأملاه

ابراهيم مصطفى

« مندوب جامعة فاروق الأول »

بعض ملاحظات

تتعلق بحياة أبي العلاء وآثاره

« تشرفت بدعوة المجمع العلمي العربي بدمشق اياي لحضور مهرجان الشاعر الحكيم العظيم أبي العلاء المعري . وأنا أشكر للمجمع العلمي الموقر دعوته باسمي وباسم أدباء فارس وعلمائها ورجالاتها . وأعتذر لحضوري متأخراً فما كل ما يتمنى المرء يدركه .

لقد هيأت بحثاً موجزاً كتبته باللغة الفرنسية لأُلقيه إبان المهرجان فلم أتمكن من ذلك وقد طلبت إلى صديقي الدكتور أسعد طلس أن يترجمه إلى العربية ففعل مشكوراً .

وسأرجع إلى طهران حاملاً الى بلادي أطيب الذكريات لرجال سورية الأفاضل الذين غمروني بعطفهم وبخاصة رجال المجمع العلمي العربي وأدباء دمشق » .

* * *

قال بعض شعراء فارس متنبئاً بحظ الشعراء بعد موتهم :

« حينما يكون الشاعر حياً لا يقدر الناس شعره حق قدره، بل ان بعضهم ينقد لفظه كما ان آخرين يتهجمون على آرائه .

ولكنه إذا مات أصبح قوله أغلى من الدر واثمن من الابريز .

فياحبذا تلك الحالة الحسنة التي يصبح فيها الموت افضل من الحياة » .

لاشك في ان هذا الشاعر يتألم من حال كثير من معاصريه الذين لا يقدرون قيمة شعره وعبقريته لما في نفوسهم من الحسد والفكر الضيق . كما لم يقدر كثير من الاقدمين عبقرية غيره من الشعراء والنوابغ .

إن ابا العلاء هو واحد من هؤلاء الشعراء الذين لقوا من معاصريهم مالقيه هذا الشاعر فانهم تهجموا على عبقريته وضيقوا عليه انفاسه في حياته ومنعوه أن يظهر بصورته الحقيقية . وذلك ان ابا العلاء ما كان يشبه قليلا او كثيراً من تقدمه من الشعراء إما باسلوبه الخاص او بافكاره الجريئة فكان طبيعياً ان ينظر الناس اليه نظرة قاسية ويتهجموا عليه ويشتموه ويلعنوه ويكفروه لا لشيء سوى انهم حاسدون او متعصبون رأى ذلك أبو العلاء من معاصريه فتعب منهم وتألم من مجتمعهم

رفع المسهم

واحتقرهم فانزوى في « محبسه » يعيش عيشة نسك وانزواء ويعبر عن آرائه بالفاظ غامضة واسلوب مبهم كل ذلك بتعمد منه لئلا يطلع على مذهبه وافكاره من ليسوا لها اهلا .

اشتهر ابو العلاء شهرة واسعة في حياته على الرغم من ذلك الانزواء الشديد الشديد وهو بحق اهل لتلك الشهرة لان قدره لم يكن قط بحاجة الى مرور الازمان ليعرفه المسلمون في كافة نواحي الارض .

ان الذين قدروا ابا العلاء في حياته هم كثيرون كما ان العلماء الذين كانوا يفتخرون بالنسبة اليه والاستفادة منه كانوا لا يحصون ، اما الملوك والامراء الذين كانوا يحبون ان يتشرفوا به وبزيارته فهم كثيرون أيضاً .

انا لا استطيع ان احدث طويلا عن ابي العلاء في هذا الجمع الحافل من علماء الشرق والمشرقيات لقلة بضاعتي ولكني حثت التي بعض ملاحظات تتعلق بحياة ابي العلاء احد كبار مفكري الشرق واحد مفاخره . وانا آمل أن اكون في بحثي هذا قد امطت اللثام عن بعض الأمور المبهمة في ادب ابي العلاء .

على الرغم من انزواء ابي العلاء في معرة النعمان فان صيته كان قد وصل الى اقصى حدود خراسان وما وراء النهر وذلك قبل نصف قرن من وفاته .

اذا استثنينا رحلة ابي العلاء القصيرة الى بغداد فاننا لانجد رحل الى بلد وراء بلاد الشرق الاسلامي ولكن هذا لم يمنع مواطني الفرس من ان يرحلوا الى بغداد من كل الجهات ليفيدوا من اقامته القصيرة في تلك المدينة . وكثير منهم من استسهل الصعاب فقصد معرة النعمان ليقرأ على الشيخ في داره .

وانه لمن الفخر ان يكون هؤلاء الفرس هم الذين نشروا آثاره وكتبه في بلاد الشرق الاسلامي في حياته وبعدها . وانه لمن الخير ان نلاحظ انهم كانوا اسبق من غيرهم في نشر ادب ابي العلاء .

ان من اول من تحدث عن المعري فيما اعرف من ادباء فارس هو ابو منصور الثعالبي في كتاب «تتمة اليتيمة» الذي نشرته في طهران [انظر ج ١/٩] . والذي الفه بين عامي ٤٠٤ و ٤٠٧ للهجرة اي قبل موت ابي العلاء باربعين او خمس واربعين سنة . وقد خصص الثعالبي فصلا عن حياة الشيخ كما روى لنا بعض شعره واليكم نص كلامه [كان حدثني ابو الحسن الدلفي المصيصي الشاعر وهو من لقيته

قديماً وحديثاً في مدة ثلاثين سنة قال لقيت بمعرة النعمان عجباً من العجب رأيت اعمى شاعراً ظريفاً يلعب بالشطرنج والنرد ويدخل في كل فن من الجد والهزل يكنى ابا العلاء سمعته يقول انا احمد الله على العمى كما يحمده غيري على البصر فقد صنع لي واحسن بي اذ كفاني رؤية الثقلاء البغضاء قال وحضرته يوما وهو يملي في جواب كتاب ورد عليه من بعض الرؤساء :

وافى الكتاب فأوجب الشكرا فضممته ولثمتـــه عشرا
وفضضتـــه وقرأته فاذا أجلى كتاب في الورى يقرا
فمحاه دمعي من تحـدره شوقاً اليـك فلم يدع سطرا

فتحفظتها واستعملتها كثيراً في مكاتبات الاخوان اهـ]

وقد أورد ياقوت نص الثعالبي باختصار في معجم أدبائه [ج ١ /١٧٢ - ١٧٣]

وقد أضاف على ذلك (قال أنشدني لنفسه :

لست أدري ولا المنجم يدري ما يريد القضـاء بالانسان
غير أني أقول قول محق قد يرى الغيب فيه مثل العيان
إن من كان محسناً قابلتـه بجميل عواقب الاحسان .)

وإذا قارنا عبارة ياقوت بعبارة تتمة اليتيمة وجدنا أن هذه المقطوعة التي أوردها ياقوت ليست لأبي العلاء وإنما هي للمحسن بن عمرو بن المعلى الذي ترجمه الثعالبي في التتمة بعد أبي العلاء مباشرة . والراوي لهذه المقطوعة على قول الثعالبي هو أبو يعلى البصري لا أبو الحسن الدلفي كما زعم ياقوت . وتفسير هذا ان نسخة التتمة التي رآها ياقوت كانت مخرومة ينقصها بعض مقاطع فاشتبه الأمر على ياقوت فخلط بين شعر أبي العلاء وشعر المحسن . فأنبه العلماء على هذه الغلطة التي وقع فيها ياقوت وأرجوهم أن يصححوا ما قاله لئلا يقعوا في الفخ الذي وقع فيه .

بعد الثعالبي جاء ناصر خسرو الداعي الباطني والشاعر الفارسي المشهور الذي زار معرة النعمان في ١٥ رجب سنة ٤٣٨ أي قبل موت أبي العلاء باحدى عشرة سنة وقد حدثنا في رحلته « سفرنامه » بأخبار هامة عن شيخ المعرة وقد اعتمد عليها كثير من المستشرقين والشرقيين في دراساتهم ولذا فاني لا أحب أن أقف طويلاً أمامها وأناقشها .

رفع المسهم

ونحن إذا رحنا نفتش عن العلماء الفرس الذين ترجموا لأبي العلاء وشرحوه ونشروا آثاره تقف أمام عالم كبير هو أبو زكريا بن الخطيب التبريزي (٤٢١ — ٥٠٢) الذي سار على قدميه من تبريز إلى المعرة ليلتقي حكيمها ويفيد منه مع أنه لم يكن له من العمر أيامئذ إلا قريب من سبعة عشر عاماً ولكن القدر قد عاكسه فان مدة استفادته من الشيخ لم تطل أكثر من سنة أو سنتين على أقصى تقدير. وهذا يفسر حملة صاحب التنوير على كتاب ضوء السقط للتبريزي واليك نص كلامه عن هذا الكتاب [غير واف بالمقصود ولا دال على الغرض المطلوب لتقاصره عن بلوغ ما يجب من الابانة والايضاح وقصوره على إشارات من مواضع معدودات لا تكشف الغطاء من مشكلة ولا تشفي ذاغلة ، قد عني الشارح فيه بشرح الألفاظ وتفصيل ما غمض من اللغات غير أنه حرم توفيق الاتقان فيما نقله ولم يصب شاكلة الصواب فيما استثبته وأصّله ، ولما لم يكن ضوؤه كافلاً باضاءة المعنى ولا معثراً على ما هو المقصود من إبانة الفحوى ...] (طبع مصر سنة ١٣٢٤ ص ٥) . وسنتكلم مفصلاً فيما صاحب التنوير .

وهناك مؤلف فارسي آخر تحدث عن أبي العلاء ونقل شيئاً كثيراً من مختار شعره وهو الباخرزي صاحب كتاب دمية القصر المؤلف في سنة ٤٦٤ أي بعد موت أبي العلاء بخمس عشرة سنة ، فقد حدثنا الباخرزي بأخباره منقولة عن أبي عثمان الصابوني الذي زار شاعرنا في معرة النعمان .

بعد أن انتشر كتاب ضوء السقط في العالم الاسلامي أصبحنا نجد عدداً كثيراً من الشراح الفرس ولن أتحدث اليكم في هذه الفترة عن شروحهم الكثيرة فان الوقت أضيق من ذلك ولكني أحب أن أقف وقفة طويلة أمام شارح واحد وهو صاحب التنوير الذي لا يزال إلى عهدنا هذا مجهولاً .

إن هذا الشرح القيم قد انتهى منه صاحبه في شهر محرم سنة ٥٤١ وقد نشر للمرة الأولى مطبوعا على الحجر في تبريز سنة ١٢٧٦ ثم نشر في القاهرة مرات عديدة وقد ذكر صاحب معجم المطبوعات العربية ومفهرس دار الكتب المصرية أن صاحب هذا الشرح هو ابن طاهر النحوي أبو يعقوب يوسف

ولكنهم لا يعرفوننا شيئاً عن أخبار أبي طاهر هذا ولا عن مصادرهم التي اعتمدوا عليها في هذا القول .

إن قولهم انه [نحوى] هو تحريف ظاهر عن كلمة (خويي) لأن المؤلف كان من [خوي] وهي بلدة لاتزال موجودة الى ايامنا هذه في الشمال الغربي من بلاد آذربجان في فارس وقد ذكر السمعاني في كتاب الانساب في نسبة [الخويي] مايأتي : « من المنسوبين الى خوي احدى بلاد آذربجان صاحبنا ابويعقوب يوسف ابن محمد — كذا وهو تحريف ظاهر لكلمة طاهر — ابن الخوبي من اهل خوي سكن طوس وكان حسن السيرة فاضلا كتبت عنه اقطاعا من الشعر بنوقان وكان ينوب عن القاضي » [كتاب الانساب ورقة ٢١٢ ب] وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان [٢/٥٠١ في مادة خوي] مايأتي : «يوسف بن طاهر بن يوسف بن الحسن الخوي الاديب ابو يعقوب من اهل خوي اديب فاضل وفقيه بارع حسن السيرة رقيق الطبع مليح الشعر مستحسن النظم كتب لابي سعد الاجازة وقد كان سكن نوقان طوس ولي نيابة القضاء بها وحمدت سيرته في ذلك وله تصانيف من جملتها رسالة تنزيه القرآن الشريف عن وصمة اللحن والتحريف وقال ابو سعد وظني انه قتل في وقعة الغزية بطوس سنة ٥٤٩ أو قبلها بيسير » .

واذا نحن قارنا عبارة ياقوت بعبارة السمعاني عن ابي يعقوب نجد ان مااورده ياقوت عن السمعاني إما أن يكون من نسخة كاملة من كتاب الانساب لم تصل الينا وإما ان يكون من كتاب آخر للسمعاني .

ومما يجدر قوله انه قد بقي لنا كتاب ثانٍ من آثار أبي يعقوب وهو مجموعة أمثال عربية عنوانها — فرائد الخرائد — ومن الكتاب نسخة في المكتبة الوطنية باريس رقمها ٣٩٦٨ . وفي مقدمة هذا الكتاب نجد اسم المؤلف هكذا يوسف ابن طاهر الخويي . ويذكر الحاج خليفة هذا الكتاب فيقول : «فرائد الخرائد في الأمثال والحكم لابي يعقوب يوسف بن طاهر الخويي فرغ منه سنة ٥٣٢ ذكر في اوله ان ابا الفضل احمد بن محمد الميداني وانه استاذه ألف كتابا لكنه اطال فيه فذكر فيه مااهمل من الامثال وألفه على ترتيب الحروف وادرج فيه الابيات السائرة والحكم » .

رفع المسهم

ويلاحظ المرء ان الحاج خليفه كان يعرف كتاب التنوير كما كان يعرف ابايعقوب الخويي مؤلف الفرائد ولكنه لم ينسب كتاب التنوير اليه لان اسم المؤلف لم يكن مذكوراً في صدر كتاب التنوير .

ولا شك في ان مؤلف كتاب التنوير هو نفس مؤلف كتاب الفرائد الذي ذكره الحاج خليفة. كما انه لاشك في ان مؤلف التنوير هو نفس الرجل الذي ترجمه ياقوت والسمعاني. قد لاحظنا ان ياقوتاً والسمعاني لم يذكرا كتاب التنوير في عداد مؤلفات ابي يعقوب الخويي ولكن نلاحظ في مقدمة التنوير ان مؤلف هذا الكتاب كان مضطلعا بعلوم الدين والعقائد والطب فضلا عن الآداب . وانه كان يعيش في خراسان . وليس هناك مايمنع ان يكون نائب القاضي في طوس وانه ألف كتاباً دينياً اسمه تنزيه القرآن . [انظر بروكلمان ١/٢٨٩ الذيل ١/٤٥٣ و ٥٠٧] .

وخلاصة ماسبق :

١ً — ان مؤلف كتاب التنوير هو ابو يعقوب يوسف بن طاهر بن يوسف بن حسن الخويي من خوي احدى بلاد آذربيجان .

٢ً — كان شاعراً ومحدثاً واديباً وفقيهاً وكان مقيماً في طوس يشغل وظيفة نائب القاضي .

٣ً — كان تلميذاً لأبي الفضل الميداني صاحب مجمع الأمثال وكان السمعاني صاحب الانساب ممن اخذوا منه اجازة .

٤ً — إنه ألف كتاب فرائد الخرائد ليرتب كتاب أستاذه ويتممه في سنة ٥٣٢ ، وألف كتاب «تنزيه القرآن الشريف عن وصمة اللحن والتحريف» .

٥ً — إن كتاب تنوير سقط الزند قد تم تأليفه في خراسان في شهر المحرم سنة ٥٤١ وان المؤلف قتله الغز في أواخر سنة ٥٤٨ أو أوائل سنة ٥٤٩ بطوس وكان ذلك بعد استيلاء الغز على خراسان وأسرهم صاحبها السلطان سنجر.

ومن أغرب الحوادث أن هناك شارحاً آخر لسقط الزند هو صدر الافاضل القاسم بن الحسين الخوارزمي (٥٥٥—٦١٧) مؤلف ضرام السقط الذي أتم تأليفه سنة ٥٩٧ أي بعد تأليف التنوير بست وأربعين سنة ، قتله التتار في سنة ٦١٧ في خوارزم .

رفع المسهم

وقد أشار صدر الأفاضل في ضرام السقط [المطبوع بتبريز سنة ١٢٧٦ على هامش كتاب التنوير] إلى شراح السقط قبله وهم ابن الخطيب التبريزي صاحب التنوير . وهو قد حمل حملة على صاحب التنوير . كما حمل على صاحب شرح آخر هو الايضاح لمؤلف لا نعرفه .

أيها السادة الأفاضل

أختم كلمتي بالاعتذار اليكم لأنني لم اجئكم بشيء ذي قيمة في بحثي هذا . فقد كنت أحب أن أتحدث اليكم عن الخيام وعلاقة أدبه بالمعري لأنهما يتشابهان في مواضع كثيرة ولكن ضيق الوقت وقلة البضاعة منعاني من ذلك فأعتذر اليكم ثانية والسلام عليكم ورحمة الله .

عباس اقبال

مخطوطات أبي العلاء المعري

في مكتبة جامعة برنستون

تمتاز مكتبة جامعة برنستون بخزانة كتبها العربية التي شرع في تأسيسها عام ١٩٠٠ المستر غريت من تلامذة الجامعة سابقاً وأمنائها حالياً . فالخزانة تستوعب اليوم ما ينيف على عشرة آلاف مخطوط عربي مما يخولها حقّ تبوء المقام الأول بين خزائن جامعات العالم . على أن مكانتها ليست بكثرة مخطوطاتها فحسب بل بعدد الأمّات والنوادر منها .

فمن هذه النفائس « كتاب الصناعة الطبية لحنين بن اسحق العبادي . نسخه عثمان بن علي بن محمد السمرقندي عام ٥٧٢/ ١١٧٦ — ٧٧ . وهو ترجمة كتب جالينوس الطبية ويحوي موادّ لا وجود لها في مخطوطات جالينوس اليونانية واللاتينية . وفضلاً عن ذلك فالمخطوطة العربية أقدم من كل المخطوطات اليونانية واللاتينية الباقية اليوم . ومنها « الكتاب الملكي » لعلي بن العباس المجوسيّ نقله بركات بن ثابت عام ٥٨٦/ ١١٩٠ . وهو النسخة الوحيدة الكاملة في هذا الكتاب على ما نعلم باستثناء نسخة في حوزة الدكتور سامي حداد في بيروت . ومن طريف أمر هذا الكتاب أنه التأليف العلمي الرئيسي الوحيد الذي حفل الصليبيون بنقله إلى اللاتينية وذلك في أنطاكية عام ١١٢٧ . ومنها « الموجز في الطب » لابن النفيس الدمشقي المتوفى عام ١٢٨٨ وهو بخط مسعود ابن محمد القزويني نسخه عام ٧٩٥/١٣٩٣ وابن النفيس هو الذي اكتشف الدورة الدموية الصغرى قبل سرفيتوس البرتغالي المنسوب هذا الاكتشاف له بمائتين وثلاثين سنة . ومنهـــا « المدخل إلى صناعة الموسيقى » للفارابي نسخه أحمد بن محمد ... عام ٨٦٦/١٤٦١ وهو مزدان بالرسوم والرّموز الموسيقية التي لا يستطيع أحد اليوم قراءتها .

وبين مخطوطات هذه المجموعة تأليفات وتعليقات يد عدد من اعلام التاريخ

رفع المسهم

الاسلامي في التأليف والخط بينهم ياقوت الحموي الجغرافي وابن الاثير المؤرخ وابن النفيس المتطبب وابن عربي الفيلسوف المتصوف والفيروزابادي اللغوي وابن حجر العسقلاني الفقيه .

ولما تكرم الاستاذ رئيس المجمع العلمي العربي وطلب اليّ إعداد كلمة لمهرجان أبي العلاء راجعت الفهرس الذي كنا نشرناه بالطبع عام ١٩٣٨ لمجموعة (غريت) العربية التي كانت يومئذٍ في حوزة مكتبة جامعة برنستون فوجدت فيه ذكر ثلاث مخطوطات تحمل اسم المعري فرأيت أن اصفها واتحف المجمع بمصور بعض صفحاتها . ولا بد من ان نذكر في هذا المقام ان الجامعة اقتنت بعد طبع هذا الفهرس مجموعة ثانية من المخطوطات العربية تبلغ نحواً من ستة آلاف لم يتيسر لنا الآن درسها ووضع فهارسها لذلك لا ندري ما إذا كان فيها نسخ غير هذه من مؤلفات أبي العلاء .

إن أحدث مخطوطات المعرّي في جامعة برنستون هي « الرسالة الاغريضية » (رقمها ٢١٩١ في فهرس مجموعة غريت المطبوع . والاغريض زهر النخل وكل أبيض طري) . نسخها عام ١٢٧٥/١٨٥٨ في المدينة محمد علي بن حسين بن عمر الدمشقي وضمنها مع غيرها من الرسائل في مجلد واحد كلها منقولة من مجموعة وجدها في خزانة شيخ الاسلام بالمدينة . وهي رسالة في اللغة والشعر والمنطق نشرها (مرغليوث) مع رسائل غيرها لأبي العلاء في اوكسفورد عام ١٨٩٨ ولا نعرف لها أختاً سوى مخطوطة في خزانة الاسكوريال بمدريد (وصفها درينبورغ في فهرس هذه الخزانة تحت رقم ٤٧٠ — ٢) . ومخطوطتنا تقع في ٤ ورقات طول كل ورقة منها ٢٧٫٦ سنتيمتراً . وعرضها ١٨٫٥ سنتيمتراً . وطول المكتوب من الصفحة ٢٢ وعرضه ١١٫٨ . وعدد السطور في الصفحة يختلف بين ٢٩ و ٣١ . ورقها أوربي صقيل وحبرها أسود باستثناء العنوان وعلامات الوقف فانها بحبر أحمر .

جاء في مستهلّها :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه

رسالة أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري وتسمى الاغريضية كتبها جواباً عن الرسالة التي كتبها الوزير ابو القاسم هبة الله المغربي . والمغربي هذا توفي سنة ١٠٢٧/٤١٨ على ما ترجم له ابن خلكان .

وفي نهايتها :

وكان تمامها في يوم الاثنين المبارك الموافق خمسة وعشرون [كذا] خلون من محرم الحرام من شهور افتتاح سنة الف ومائتين [و] خمسة وسبعون [كذا] على يد ناقلها لنفسه أضعف الورى محمد علي بن حسين بن عمر الدمشقي نزيل المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة وأذكى السلام .

وعلى هامش المخطوطة بعض التصحيحات . وهي في حال حسنة . غلافها من الطراز الشرقي الأزرق له ردّة وعليه طوابع حمراء . والمخطوطة مشتراة من بريل الكتبي المعروف في هولاندة عام ١٩٠٠ . وكان بريل اشتراها مع غيرها من السيد امين بن حسن الحلواني المدني الحنفي عام ١٨٨٣ لمناسبة افتتاح المعرض الاستعماري في امستردام . وبريل استشار المستشرق الاسوجي لاندبرغ في امر مجموعة الحلواني لدى اقتنائها .

أما اقدم نسخة من مخطوطات المعري في مجموعة برنستون فهي من « لزوم ما لا يلزم » اهم مجموعة شعرية لأبي العلاء (رقمها ٢٨ في فهرس مجموعة غريت المطبوع) نقلها حسين بن احمد بن حسين الجزري بتاريخ ١٠١٣/١٦٠٥ . عدد اوراقها ٢٠٠ الواحدة منها ٥ ، ٢٠ × ١٤ سنتيمتراً والمكتوب منها ٥ ، ١٧ × ٢ ، ٧ . وتشتمل كل صفحة على ٣١ سطراً بالخط النسخي المضبوط بالشكل على ورق اوربي صقيل . جاء في مستهلها :

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد رسوله وعلى الأئمة الابرار من عترته قال ابو العلاء احمد بن عبد الله بن سليمن التنوخي المعري رهن المحبسين [البيت والعمى] تجاوز الله عنه .

وفي نهايتها :

وكان الفراغ منه يوم الجمعة المبارك في اواخر شهر شعبان من شهور سنة ثلث عشر بعد الالف على يد افقر الورى الى رحمة الله تعالى حسين بن احمد بن حسين الجزري غفر الله له ولوالده ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين والحمد لله وحده .

وفي حواشيها تعاليق وتقييدات من مقتنيها ومطالعيها . وهي في حالة حسنة

وجيدة التجليد . وعلى دفتي غلافها مطبوع مداليتان مذهبتان. ولغلافها ردة مطبوع عليها أيضاً مدالية مذهبة . والمخطوطة مشتراة من خزانة مراد البارودي في بيروت عام ١٩٢٥ .

وهنالك مخطوطة ثالثة للمعري في پرنستون وهي « سقط الزند » (رقمها ٢٩ في فهرس مجموعة (غريت) المطبوع . وهي اول مجموعة اشعار نظمها (المعري) نسخها عام ١٠٥٣/١٦٤٣ علي الراشدي سبط المعروفي . عدد اوراقها ٧٨ الواحدة منها ١٩٫٥ × ١٣٫٥ سنتيمتراً والمكتوب منها ١٢٫٥ × ٦٫٥ . وعلى كل صفحة ١٩ سطراً بالخط النسخي المضبوط بالشكل على ورق اوربي صقيل بحبر أسود فيما سوى العناوين وعلامات الوقف فبحبر أحمر أو أزرق . والمخطوطة مخرومة من اولها والصفحة الاولى منقولة ثانية بخط ناسخ متأخر. جاء في مستهلها:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه العون

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين اما بعد . . . وفي نهايتها:

تم الديوان المعروف بسقط الزند من شعر أبي العلاء احمد بن عبد الله المعري على يد الفقير الحقير علي الراشدي سبط المعروفي وكان الفراغ من تعليقه يوم الاثنين لخامس عشر شوال من شهور سنة ثلاثاً [كذا] وخمسين والالف احسن الله تعالى ختامها آمين يارب العالمين .

ويتلو ذلك حاشية مؤداها ان النسخة هذه منقولة من نسخة بخط القاضي عبد اللطيف بن القاضي محب الدين في معرة النعمان .

وعلى هامش المخطوطة عناوين ضمن دوائر حمراء وكثير من التعليقات والاضافات والشروح . ولقد عبث العث بعدد من صفحاتها . وغلافها من الطراز الشرقي مطبوع على دفتيه مداليتان والمخطوطة مشتراة من البارودي في بيروت عام ١٩٢٥ .

جامعة پرنستون في ٢٠ تموز عام ١٩٤٤ فيليب حتي

«الناس تخطب في علاك وتنشد»

لمضي ألفٍ من سنيك أحمدُ ... الناس تخطب في علاك وتنشدُ
ذي (مهرجانات) تقام بحلّقٍ ... ونظيرها من حول قبرك تعقد
الوفد تلو الوفد جاء مشاركاً ... فيها وكل عن بلاد موفـــد
جاؤك من شرق البلاد وغربها ... وشعارهم لأبي العلاء المقصد
يحيون ذكرك بعد موتك أعصراً ... طاب الممات وطاب منك المولد
شيخ المعرة والحوادث جمـــة ... وكفاك أنك لم تنلك لها يد

* * *

يا صاحب العلم الغزير ومن رأى ... سرّ الحياة حواه حتى الجلمد
والخلق لا يفنون بعد مماتهم ... لكنما أعمارهم تتجـــدد
يا من عجمت من البرية عودها ... وخبرت جيلك غوروا أو انجدوا
ووصفت فلسفة الحياة بصورة ... فيها تساوى يوم وصفك والغـد
هل أنت تسمع منشديك قريضهم ... أمْ أنت فانٍ لا تعي من ينشد
أترى عرفت بأن شعرك لم يمت ... فـــله بألسنة الأنام تردد
في كل بيت من بيوتك حكمة ... للنـاس بالغة وشعر جيـــد
شعر يهـــز السامعين نشيده ... شعر تقوم له النفوس وتقعد
جلت معـانيه وأفصح لفظـه ... وكأنه في السبك ثوب مؤجد

* * *

مات الملوك ولم تعش اخبـارهم ... وقديم ذكرك في الوجود مخلد
يروي حديثك مؤمن ومنافق ... ومحايدون ومغرضون وحسد
شعراً وفلسفةً وزهداً صادقاً ... في كلها عجب لمن يتفقـــد
لله من صيتٍ بعيدٍ نلتـــه ... أعلى مكانته الحجي والسؤدد

رفع المسهم

شيدت مجداً لم تشده أئمـــة من أهل بيتك فضلهم لا يجحد
وبلغت من كرم الطباع مكانة ما حازهـا إلا النبيّ محمـــد
ودّ الملوك لو أنّ فضلك فضلهم هيهـات يبلغ ما بلغت السيد
خطبوا اليك ودادهم ووصالهم فأبيت وصلهمُ وأنت المزهـد
وغدوت عنهم راغباً مترفعـــاً لم يصطنعـــك توعد وتودّد
وسلكت في دنياك غير سلوكهم للعلم منـــك وللاله تجرّد
ورغبت عن أكل اللحوم زهادة وعبادة وكذا التقي الأزهد
وحبست نفسك لا ترود ديارهم حتى الممات وظل بيتك يقصد
يأتون ناديك الندي ليأخـذوا عنك العلوم كأنّ دارك معهد
فيبـارحونك قاصدين ديارهم وهم الاولى زودتهم فتزودوا

* * *

حسدتك أقوام وألّب فتيـــة منهم عليك فقيل إنك ملحد
وسعى لخفضك جاهل ومنـاويءٌ وبقيت رغمهما وأنت الأمجد
النـاس فيك مؤالف ومخالف ومفكر في أمره مـــتردد
وكذا العظيم بموته وحيـاته ناس تواليـــه وناس تحسد
شاهدت شر الناس في أفعالهم فصدعت تنقد حالهم وتُنَدّد
نقداً تنزّه عن غُلوّ أو هوىً في النفس أو عما يريد المفسد
وسخرت من فتك الطغاة وبطشهم لم تخشهم إن أبرقوا أو أرعدوا
هذي لعمرك جرأة نبويـــة عن نيلها قصر الشجاع الأيد

* * *

أأبا العلاء وما عليك غضاضة ان عدت للدنيا فعودك أحمد
لترى بعينك كيف يقتتل الورى وجيوشهم للموت كيف تُحشّد
فيها النساء مع الرجال تجندت وعلى النضال تدرّبوا وتعوّدوا
ساروا إلى الهيجاء صفاً واحداً ما منهمُ إلا الكميّ الأصيد
يصلون نار الحرب لا يخشونها والحرب تخترم الجسوم وتحصد
لا درع داود تقيهم من ردىً كلاّ ولا درع كوصفك تسعد

ناهيك من حقدٍ لهم وتطاحنٍ ... عند القتال وغـــلةٍ لا تبرد
في كل ثانيةٍ وكل دقيقـــة ... غاراتهم ما بينهم تتجـــدد
في الأرض حربهمُ وحرب في السما ... لهمُ وأخرى حيث بحر مزبد
ركبوا القلاع الطائرات كأنها الـ ... عقبان تهبط في الفضاء وتصعد
يرمون بعضهمُ لبعضٍ من علٍ ... بقذائفٍ نيرانها تتوقّـــد
دُكت بها للأبرياء منـازل ... والدير هدّ بها وهدّ المسجد
وتُنهاك (قنبلة) تطير بنفسهـا ... ولهـا الأثير مسير ومسدّد
لا تستطيع الطائرات لحاقهـا ... ولها إذا طارت دويّ أبعـد
تهوي فتنفجر انفجاراً هائـلاً ... أنىّ يوجهها الخبير المرشد
قتل الرضيع بها وماتت أمـــه ... من أجله وأبوه ثمّ مجنّـد
كم نائمٍ في بيته مع أهـــله ... هدمت عليهم بيتهم فاستشهدوا
وجرت كصخر السيل دباباتهم ... تفني رجال الحرب أنّى تقصد
أما بوارجهم فهنّ حوارس ... وهناك غواصاتهم تتصيّـــد

* * *

قالوا نحارب حرب سلمٍ دائمٍ ... في الأرض يلقاه الضعيف المفرد
وعدالةٍ بين الشعوب جميعهـا ... حتى يتم لهـا المعاش الأرغد
كلٌ يبرّر بالدعاية دينـــه ... وفعاله عمـا يبرّر تبعـــد
أأبا العـلاء فذي حكاية حالهم ... أما الحديث فليس فيه تزيّد
نم في ثراك ورح فؤادك من عنىً ... فالناس بعدك بئس مما تعهـــد

تبريز ـ ٢١ آب سنة ١٩٤٤

كاظم الدجيلي
قنصل العراق في تبريز

المعرى والموسيقى

قد يستغرب هذا العنوان وحق للسامع ان يستغرب فابو العلاء شاعر وابو العلاء فيلسوف حكيم وابو العلاء زاهد وابو العلاء لغوي ونحوي وصرفي .

ولكن ماحيلتي وانا امرؤ ولع بالموسيقى وايقن ان الطبيعة البشرية لاغنى لها عنها الا اذا كانت شوهاء او بتراء وأبو العلاء ذو طبيعة رقيقة في الطبائع وذو قلب كريم بين القلوب فاذا كان قد اخذ نفسه بالامتناع عن طيبات الحياة فانه لم يفعل ذلك لنقص في شعوره بما امتنع عنه ولا لخلل في جسمه يباعد بينه وبين تفهم تلك الطيبات وانما امتنع عنها وهو بها شاعر واي شاعر ولها مدرك واي مدرك . وما اعتقد ان ابا نواس ذكر الخمر ووصفها باكثر من ذكر ووصف أبي العلاء لها وان اختلفت بينها الغاية واساليب العرض وما ارى صريع الغواني وعمر بن ابي ربيعة ألما بغوامض غرائز النساء واخلاقهن كما ألم أبو العلاء بها وبتحليلها وان اختلفت بينهم الاساليب والغايات . فابو العلاء كان عالما بما اتى من زهد وكان عالما جدا بما ترك من طيبات حتى نرى ان شعره ونثره قد فاضا بتحليل مانرك ولم يلما الا قليلا بتحليل ما آثر لنفسه من طرائق العيش فلم يصف ولم يحلل اثر المطعم الجشب واللباس الخشن والعزلة القاسية في نفسه بمثل ماحلل اثر الخمر والمرأة والمال والمجد .

فهذا بعض ماجعاني ابحث عن الموسيقي في حياة هذا الانسان العظيم وشيء آخر هو ادعى لان ابحث عن اثر الموسيقى في نفس المعري خاصة وهو انه رحمه الله كان بصيرا انقطعت بينه وبين الدنيا الاسباب الا بسبب من اذنه ولمسه فكان بالحري ان تراعي هذه الاذن المرهفة كل نأمة من حوله وكل هيعة . وهو لم ينقطع عن خوض ماكان يخوض فيه جميع الناس من مجتمعات عامة وخاصة الا بعد ان شارف الاربعين من عمره فهو اذن قبل ذلك قد استمع الى الموسيقى ساعيا لسماعها او غير ساع سمعها في الافراح وسمعها في المآدب العامة وسمعها على افواه الحداة في القوافل التي كانت تحمله بين الشام والعراق وسمعها من صديق يدمدم او جار يترنم على الاقل .

ولم يمهاني المعري ان اسأل عن موسيقاه الرسوم والاطلال فهو قد اثبت تذوقه لها وتحليله لآثارها واطلاعه على ضروبها والحانها في شتى اشعاره ومؤلفاته .

اما اطلاعه على ضروب والحان موسيقى عصره فقد انبأنا به كتاب الفصول والغايات بتفصيل لانجده عند مؤلفي ذلك العصر حتى المغنين منهم والملحنين فقد جاء في الصحيفة الثامنة بعد الثمانين من ذلك المؤلف بعد ذكر شيء عما ينطق به العود من طرائق الغناء مايلي :

« والطرائق الثماني . الثقيل الاول وايقاعه ثلاث نقرات متساويات الاقدار على مثال مفعولن (مف) نقرة (عو) نقرة (لن) نقرة وهي نقرات ثقال وانت تثبته بالوتد المفروق أوضح مما تثبته بالسبب المضطرب وذلك ان الوتد المفروق ثلاثة احرف اوسطها الساكن والسبب حرفان فانت اذا وقفت على الوتد المفروق سكنت سكونا اطول من السكون الذي على السبب مثل قولك صخر بحر دهر فعلى هذا يجري الثقيل الأول .

وخفيف الثقيل الاول وحقيقته ثلاث نقرات متواليات وهي اخف من التي ذكرنا واسرع تواليا كقولك مفعولن بلا فصل والثقيل الثاني وقد اختلفوا في ايقاعه فاسحاق يوقعه ثلاث نقرات نقرتان متساويتان ممسكتان وواحدة ثقيلة على وزن مفعولان ومنهم من يوقعه اربع نقرات متساويات الاقدار لاخفاف محثوثات ولا ثقال ممسكات على مثال مفعو مفعو ومنهم من يوقعه اربع نقرات ثلاث متساويات والرابعة اثقل منهن على مثال مفعولاتن .

وخفيف الثقيل الثاني وحقيقته اسرع حثا منه وهو نقرتان خفيفتان والثالثة ثقيلة وهو الخفيف الذي اختاره اسحاق ويسمى الماخوري وهو عكس الرمل ووزنه مفعولان .

والرمل هو نقرة ثقيلة واثنتان محثوثتان (لان مفعو) ومثله في الكلام (ملّ وصلي صدّ عني

وخفيف الرمل . وخفيف الرمل جاء على غير جنسه وذلك ان خفيف كل نوع جاء على غير جنسه وذلك ان خفيف كل نوع مثل ثقيله الا انه اخف حث الايقاع فاما الرمل فلم يجيء خفيفه على عدد نقراته وهو على نقرتين بينهما فصل ووزنه على مثال فعلن فعلن

والهزج . وهو على نقرة نقرة.واحدةثقيلة وأخرى خفيفة على وزن (قال لي).
وخفيف الهزج . وخفيف الهزج مثله الا انه اسرع حثاً منه . . » .

ولسنا نعلم ما كانت تضم في هذا الباب المؤلفات الكثيرة التي فقدت لأبي العلاء على أن فيما انتقل لايدينا بعض الغنية عن افتقاد ماضاع فشعرهُ ونثرهُ يؤكدان لنا أن المعري لم يكتف بان يلم بطرق الالحان وضروبها بل هو يتذوقها ويحلل آثارها في نفوس السامعين . استمع له في لزومياته وهو ينعى التكبر على الانسان فيقول:

ما كبره وثقيل اللحن يمنعه من سرعة الفهم ترسيل وتمديد

فالمعري لايكتفي أن يعدد ضروب اللحن من ثقيل وخفيف الثقيل والرمل والهزج وغيرها بل أنه ليعرف طبائع هذه الضروب معرفة من تخطت هذه الالحان سمعه الى قلبه وشعوره . فهو قد وعي طبيعة اللحن الثقيل وشعر أن من طبيعة هذا اللحن أن لايكون سريعاً الى الفهم لطول الترسل والتمديد فيه .

ولا ابالغ إذا قلت لكم إن واحدا من المئة من المغنين حتى الحذاق منهم لا يعرفون تأثير صفات الغناء — التي منها الاسترسال . والتمديد . ولا باس من أن نذكر الان بعض صفات الغناء لتروا من ذلك ان أبا العلاء كان في هذا الفن من العلماء فمنها الاجتهاد . والاستهلال . والاسترسال . والمناضلة . والمخاتلة . والتغريد والتفخيم . والترخيم . والمراسلة . والمطاولة . والترجيع . والتفريع . والتقدير . والتوطئة. والاتفاق . وتقديرالانفاس . والاضعاف والتذلل . والتدلل . والاتصال والتحرش . و لابتداع الى غير ذلك مما لايعرفه الا الراسخون فيهذا الفن والمعري لا يكتفي بذلك أيضاً بل انه يطلعك على خبرته بعلاقات الالحان بعضها ببعض وبانه خبير بقواعد الانتقال من لحن الى لحن حتى يأتي على آخرها ففي رسالة الغفران يقول على لسان ابن القارح لاحدى قيان الجنة (اعملي قول ابي أمامة) .

أمن آل مية رائح او مغتد عجلان ذا زاد وغير مزود

ثقيلا أول (فتصنعه فتجيء به مطربا وفي اعضاء السامع متسربا ولو نحت صنم من احجار ثم سمع ذلك الصوت — لرقص فيقول (هلم خفيف الثقيل الاول) فتنبعث فيه بنغم لو سمعه الغريض لأقران ماترنم به مريض فاذا اجادته قال (عليك بالثقيل الثاني) فتأتي به فاذا رأى ذلك قال (سبحان الله كلما كشفت القدرة بدت لها عجائب

فصيري الى خفيف الثقيل الثاني فانك لمجيدة محسنة ثم يقترح عليها الرمل وخفيفه وأخاه الهزج فاذا تيقن لها حذاقة وعرف منها بالعود لباقة هلل وكبر واطال حمد ربه واعتبر ا . هـ . فمن هذا الخبر يظهر لنا أن المعري كان عارفاً باصول الخروج من لحن الى لحن اذ ان بين الانغام توافقاً وتنافرا وليست كل نغمة توافق السير مع غيرها من النغمات بل أن هناك نغمات لاتأتلف مع غيرهـا البتة ونرى الجهـلاء اليوم لفن الموسيقى يقترحون على مغن اغنية من مقام (السيكاه) بينما يكون المغنى آخذاً بانشاد اغنية من الحجاز كار مثلا ففي مثل هذا الحال لايعلم الا الله مقدار مايصيب المغني من التأثر التنافري الواقع بين النغمتين وهذا مالم يغفل عنه أبو العلاء كما ظهر لنا في الخبر السابق وقد جاء في رسائل اخوان الصفا ان الخروج من لحن الى لحن والانتقال منه ليس له طريق الا على احد الوجهين اما أن ينقطع ويسكت ويصلح الدسـاتين والاوتار بالحذق والارخاء ويبتدأ ويستأنف لحنا آخر ويترك الامر لحاله ويخرج من ذلك اللحن الى لحن قريب منه مشاكل له — وهو ان ينتقل من الثقيل الى خفيفه او من الخفيف الى ثقيله او الى ماقارب منه .

اما تحليله لاثر الموسيقى في النفس فظاهر في شعره ونثره على صورة تدعونا الى ان نقف عند هذا التحليل متأنين غير مستعجلين فابو العلاء في لزومياته وفي فصوله وغاياته وفي غير ذلك من مؤلفاته يدعو الى اجتناب اللهو والتمتع بمفـاتن الحيـاة واجتناب كل مايعين على ذلك وفي جملتها الموسيقى فهو اذن — يدعو الى اجتنابها لانها كالخمر والنساء من افتن مفاتن الحياة ولان لها سحرا لايمتنع منه اصعب القلوب ولا اشد الاعصـاب ولأنها لاتملاء الحياة آمالا واحلاما وهو لايرى بحكم زهده وتشاؤمه أن يسمح للحياة ان تلعب بنابهذه الامال والاحلام التي تزينها لنا بالموسيقى أو بالخمر او بالنساء او بها جميعا .

ولكن الموسيقي لذة منزهة لاتخلب اللب كما تفعل الخمر ولاتثلم الشرف او تنغص العيش كما يحتمل أن تفعل النساء وانما هي لذة منزهة كما قلت تسمو بالروح ولاتهيج الجسد الا اذا استعانت بمعاني الشعر أو بحرارة الخمر او بقرب الكواعب الغر .

فالمعري من ذلك بين نارين النار الاولى هي أنه ليؤثر الموسيقى لو كان يمكن ان تكون اللذة المنزهة الوحيدة التي يلجأ اليها الناس وهو لايتعنت في كبت اعجابه بها بل يقول مثلا :

وهواك عندي كالغناء فانه حسن لدي ثقيله وخفيفه

ويسترسل مع شعوره وخياله في عالم الالحان فيقول :

وغنت لنا في دار سابور قينة من الورق مطراب الاصائل مهدال
أتزهر أغضاً فهاجت بمزهر مثانيه احشاء لطعن واوصال

فهذا كلام من افسح لحسه ولشعوره المجال الى مداه في لحظة من تلك اللحظات التي كان يتناسى فيها أخذه بالزهد كل خشن من قول او عمل .

والنار الثانية هي التي اكتوى بها المعري برضاه واراد ان يكوي بها جميع العالمين وهي الاحتشاد بكل قوى الارادة لخنق الغرائز وكبت المشاعر واجتناب اللذائذ والابتعاد عن كل مايغرى بالاستسلام لمفاتن الحياة :

والموسيقى أجل خطراً من أن نهمل شأنها في هذا الباب فهي مفتاح لكثير من الاخيلة واللذائذ — والشهوات

طربت لقمرية مربع على غصني ضالة غنتا
بدت لها زهرات الربيع فاحسنتا القول وافتنتا
وتعذر نفسك عن الحنين وتعذل عنك أن حنتا

فهو اذن على تذوقه لها وفهمه لرفعة شأنها مضطر الى أن لايجعلها تكأة الى غيرها من اللذائذ الجسدية الدموية ولا مغريا يحرك الغرائز ويذوق الاماني والاحلام .

ولهذا فهو اذا ذكر لك الموسيقى في أي موضع من شعره ونثره فانه لايهمل مطلقاً ان يذكر الى — جنب ذلك بانها ضرب من الندب والنواح أو باعث على الندب والنواح فهو ما يفتاء يردد :

وشبيه صوت النعي اذا قيـــــس بصوت البشير في كل ناد
ابكت تلكم الحمامة أم غنـ — ـت على فرع غصنها الميـاد

ويقـول :

ردي كلامك ما املت مستمعا وهل يمل من الانفاس ترديد
هاجت بكاي اغاني القيان بها كأنها من ذوات الثكل تعديد

ويقـول :

تسمى رشيدا من لؤي بن غالب امير وهل في العالمين رشيد
فان أغاني الليالي نيـاحة ومنهـا بسيط مقتضى ونشيد

وقـوله :

تحالفت الغرائز والمعـاني فكيف توافق المتجسدات
فما بين المقـابر نادبات وما بين الشروب مغردات

او هو على الاقل يذكرك في تلك اللحظة التي تنعم فيها بالموسيقى ان الاحداث والفواجع ملء برديك فلا تذهب مع تنعمك الى مداه

هي النفس عنّاها من الدهر فاجع برزء وغنّاها لتطرب ساجع

فنفسك يابن آدم لاتزيد على انها العوبة بيد الحياة ماتغنيها السواجع الا لتنعيها الفواجع رحمك الله أبا العلاء فلقد انشأك الله عقلا جباراً لايقنع الا بان يحيط بجميع ماحوله وشعوراً عميقاً زاخراً يتقد كالكوكب الخالد ولا يسطع كالهشيم المحترق رحمة سابغة وسعت العالمين والسلام

فخري البارودي

فهرست المسهم
غفر الله له ولوالديه

الفهرس

الصفحة		
٥	المقدمة	للأستاذ خليل مردم بك .
٩	**الجلسة الأولى في دمشق**	
١٢	كلمة فخامة رئيس الجمهورية	
١٤	كلمة وزير المعارف	
١٧	كلمة رئيس المجمع العلمي العربي	
١٩	الفصول والغايات	للدكتور طه حسين . .
٢٦	الفيلسوف الحر (قصيدة) . . .	للأستاذ محمد مهدي الجواهري
٣٠	ابو العلاء المعري شاعر أم فيلسوف ؟	« أحمد الشايب . .
٤٦	**الجلسة الثانية في دمشق**	
٤٨	سلطان العقل عند أبي العلاء . . .	للأستاذ أحمد أمين . .
٦٥	التفاؤل والأثرية في كلام الشيخ . .	« محمد اسعاف النشاشيبي
١٠٥	أبو العلاء (قصيدة)	« محمد البزم . . .
١١٧	المعري في نظر المستشرقين	« الفريد غليوم . .
١٢٤	المعري وآراؤه في الاصلاح الاجتماعي .	« عارف النكدي .
١٣٥	**الجلسة الثالثة في معرة النعمان على ضريح أبي العلاء**	
١٣٧	شاعر البشر (قصيدة)	للأستاذ معروف الرصافي .
١٣٩	على قبر أبي العلاء	للدكتور مهدي البصير .

رفع المسهم

الصفحة

١٤٤ **الحفلة الرابعة في حلب**

١٤٦ أبو العلاء شاعر انساني . . . . . للاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

١٦٤ سر الخلود في شعر أبي العلاء . . . « طه الراوي . .

١٧٥ الفيلسوف (قصيدة) . . . . . « عمر أبو ريشة . .

١٧٩ الاضطراب السياسي في عصر أبي العلاء « سامي الكيالي . .

١٩٠ **الحفلة الخامسة في الهرزقية**

١٩٣ ناحية التاريخ من أدب أبي العلاء . . للأستاذ عبد الحميد العبادي .

٢٠٢ فكرة الخير في فلسفة أبي العلاء . . للدكتور جميل صليبا . .

٢١٣ الدهر ملك العبقرية (قصيدة) . . للأستاذ بدوي الجبل . .

٢١٧ أسلوب المعري ومنهاجه . . . . « محمد الشريقي . . .

٢٣١ الروح العلائية وأثرها في أدبنا الحديث « أنيس المقدسي . .

٢٤٧ **الحفلة السادسة في دمشق**

٢٥٢ لزوم مالا يلزم متى نظم وكيف نظم ورتب للدكتور عبد الوهاب عزام .

٢٧٠ شيخ المعرة والشيخ الذرا . . . . للأستاذ عبد القادر المغربي .

٢٨٠ دين أبي العلاء . . . . . « محمد سليم الجندي .

٢٩٣ اختلاف الآراء في فلسفة أبي العلاء . « هنري لاوست . .

٣٠١ ذكرى أبي العلاء (قصيدة) . . « شفيق جبري . .

تتمـــــة

(الكلمات التي وردت متأخرة فألحقت بالحفلة السادسة)

٣٠٦ من ضحايا العقـل . . . . . للأستاذ فؤاد افرام البستاني .

٣٢٢ من هو أبو العلاء المعري . . . . « أديب وهبة . . .

٣٢٩ المعري والمرأة . . . . . للآنسة جهان الموصلي . .

٣٣٣ أبو العلاء وأقطاب الفكر المحدثون . للاستاذ عارف العارف . .

٣٣٨ كلمة الاذاعة الفلسطينية . . . . « عزمي النشاشيبي . .

رفع المسهم

الصفحة

(الكلمات التي بعث بها أصحابها لتنشر في الكتاب بدل ان تنذر حضورهم الى دمشق في أسبوع المهرجان)

٣٤٠ لزوم ما لا يلزم في الادب العربي . . للاستاذ محمد رضا الشبيبي . .
٣٦٢ ابو العلاء المعري وعلم النحو . . . » ابراهيم مصطفى . .
٣٧٥ بعض ملاحظات تتعلق بحياة ابي العلاء وآثاره » عباس اقبال . . .
٣٨٢ مخطوطات أبي العلاء المعري في مكتبة جامعة برنستون للدكتور فيليب حتي .
٣٨٦ الناس تخطب في علاك وتنشد (قصيدة) للشيخ كاظم الدجيلي . . .
٣٨٩ المعري والموسيقى . . . . . للأستاذ خفري البارودي . .

MILLENARY FESTIVAL

OF

ABŪ AL-ʿALĀʾ AL-MAʿARRĪ

DAR SADER *PUBLISHERS*
P.O.Box 10
BEIRUT

رفع المسهم